الدروس والعبر في غزوات وسرايا خير البشر ﷺ

غزوة أُحُد (١)

بطاقة فهرسة
أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

قاسم ، غريب محمود
الدروس والعبر في غزوات وسرايا خير البشر صلى الله عليه وسلم : موسوعة شاملة لأحداث ودروس الغزوات والسرايا النبوية / غريب محمود قاسم .
ط١ - القاهرة: الوادي للثقافة والإعلام ، ٢٠١٩ .
٨٦٨ ص، ٢٤سم.
تدمك ٦ ٨٢ ٦٥١٥ ٩٧٧ ٩٧٨
١ - السيرة النبوية- عصر الجهاد في سبيل نشر الدعوة ٢ - غزوة أحد (١)
أ- العنوان ٢٣٩,٤

تاريخ الإصدار: ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

الطبعة: الأولى

رقم الإيداع: ٢٠١٩/١٣٩٩٨م

الترقيم الدولي: ISBN: ٩٧٨ - ٩٧٧ - ٦٥١٥ - ٨٢ - ٦

الوادي للثقافة والإعلام
ص.ب (١٣٠ **محمد فريد) القاهرة** ١١٥١٨
E-mail: darannshr@hotmail.com

الدروس والعبر

في

غزوات وسرايا خير البشر ﷺ

موسوعة شاملة لأحداث ودروس الغزوات والسرايا النبوية

غزوة أُحُد (١)

السبت ٧ شوال ٣ هـ/ ٢٣ مارس (آذار) ٦٢٥م/ ٢٧ برمهات ٣٤١ قبطي

الباب الأول: المرحلة الأولى من غزوة أحُد (قبل المعركة)

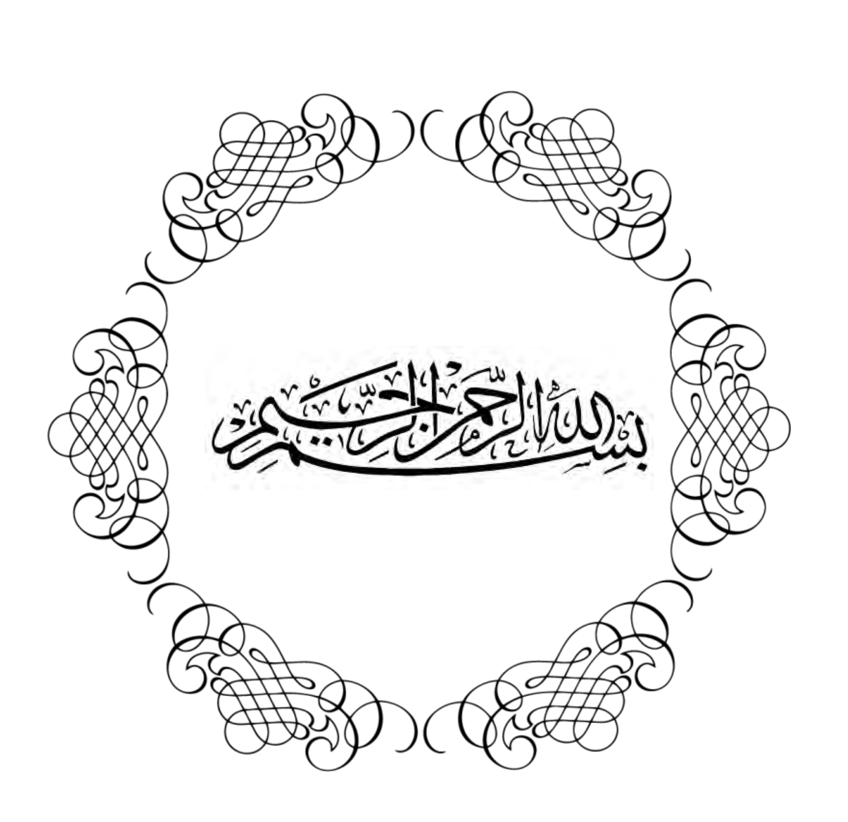
الباب الثاني: المرحلة الثانية من غزوة أحُد (المعركة)

الباب الثالث: المرحلة الثالثة من غزوة أحُد (بعد المعركة)



غريب محمود قاسم

من علماء الأزهر الشريف


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فهذه هي المجموعة الثانية من كتاب «**الدروس والعبر في غزوات وسرايا خير البشر** ﷺ»، أتناول فيها «**غزوة أُحُد**» وما بينها وبين **غزوة الأحزاب**.

أبواب هذه المجموعة: وقد اشتملت هذه المجموعة على خمسة أبواب:

الباب الأول: المرحلة الأولى من غزوة أُحُد (قبل المعركة).

الباب الثاني: المرحلة الثانية من غزوة أُحُد (المعركة).

الباب الثالث: المرحلة الثالثة من غزوة أُحُد (بعد المعركة).

الباب الرابع: السرايا بين أُحُد والأحزاب.

الباب الخامس: الغزوات بين أُحُد والأحزاب.

لقد كانت غزوة أُحد مَعْلَمًا بارزًا في تاريخ الإسلام كله، بل وفي تاريخ الإنسانية، وليس في سيرة النبي ﷺ فقط.

فقد كانت وما زالت مدرسة للأمة المسلمة إلى يوم القيامة، تنهل من دروسها، وترتوي بعبرها، وما أكثرها من دروس وعبر وعظات مع كل خطوة من خطواتها من قبل أن تبدأ وإلى ما بعد انتهائها في أرض المعركة.

فإننا مع تتبع أحداث هذه الغزوة بداية من أسبابها إلى أحداثها، ثم إلى ما تلاها من أحداث ونتائج نرى أنها تتكرر في تاريخ المسلمين على مدى هذه القرون الخالية، ولا يختلف فيها إلا الأسماء والمسميات، وبعض الوقائع والأحداث، أما الإطار العام لحرب الكفار للإسلام والمسلمين في كل العصور فهو إطار واحد كما سنرى ذلك من تناولنا لهذه الغزوة.

وقد سرتُ في دراسة هذه الغزوة الكبرى للرسول ﷺ «**أُحد**» على المنهج الذي اتبعته في دراسة غزوة «**بدر الكبرى**»، فقد انتهجتُ المنهج التالي:

أولًا: قمت بتقسيم الحديث عن الغزوة إلى ثلاث مراحل في ثلاثة أبواب:

المرحلة الأولى: قبل المعركة.

المرحلة الثانية: المعركة.

المرحلة الثالثة: بعد المعركة.

وقد جعلت غزوة «**حمراء الأسد**» هو القسم الثاني من المرحلة الثالثة؛ لأن الحديث عن غزوة «أُحد» لا ينتهي إلا بمواصلة الحديث عن غزوة «**حمراء الأسد**»؛ وكذلك لأن بعضًا من الدروس المستنبطة من غزوة «أُحد» مرتبطة بالدروس المستنبطة من غزوة «**حمراء الأسد**» ارتباطًا وثيقًا.

ثانيًا: قمت في كل مرحلة من مراحلها الثلاث بتقسيمها على قسمين:

القسم الأول: العرض العام لأحداث المرحلة.

وقد سرت فيه على النهج السابق في غزوة بدر الكبرى من استعراض أحداث الغزوة من خلال مصادر السيرة الرئيسة: القرآن الكريم، والسنة النبوية، وكتب السيرة والتاريخ... إلخ.

وقد بينت منهجية التعامل مع هذه المصادر في مقدمة الجزء الأول من مجموعة غزوة بدر الكبرى.

القسم الثاني: عرض الدروس المستفادة من المرحلة.

ثالثًا: تقسيم الدروس المستفادة من كل مرحلة: أيضًا قمتُ بتقسيم الدروس المستفادة من كل مرحلة إلى عدة أقسام: مبتدئًا بالدروس العقائدية المستفادة من المرحلة، ثم ما يليها من دروس، على ما اتبعته في عرض دروس غزوة بدر الكبرى.

كما أفردت للقضايا الهامة في الغزوة مباحث خاصة، مثل: مقومات النصر وعوامل الهزيمة في ضوء غزوة أُحد، وفلسفة البلاء في ضوء غزوة أُحد، والشهيد وأحكامه، وأسرته من بعده، ودور الحرب النفسية في غزوة أُحد، وغزوة أحد بين النصر والهزيمة.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

أبو عمر غريب محمود محمد قاسم

ليسانس دار العلوم ـ جامعة القاهرة

ليسانس أصول الدين والدعوة ـ جامعة الأزهر

ليسانس الحقوق ـ جامعة القاهرة

زاوية البقلي ـ الشهداء ـ المنوفية

ت: ٠١٠٠٦٥٣٦١١٠ -٠١١٤٠٨٤٧٤٧٨

MAKKA 29167@Gmail.COM

النسخة الأولى في: الثلاثاء غرة ربيع الأول ١٤٢٨هـ / ٢٠ من مارس (آزار) ٢٠٠٧م.

وكانت أخر مراجعة وتنقيح في: الاثنين: ٢٥ رجب ١٤٣٩هـ / ١٢من أبريل (نيسان) ٢٠١٨م.

تمهيد
أهمية غزوة أُحد وقيمتها في التاريخ الإسلامي والعالمي

١ ـ بين بدر وأحد:

يقول أ/ شقرة: «لم يكد يمضي وقتٌ يسير على غزوة بدر حتى بدأت غزوة أُحد تفرضُ نتائجها على الفريقين فوق أرضٍ واقعةٍ تحت حماية المسلمين، أي أن المعركة فُرضت على المسلمين فوق أرضهم، وذلك له دلالته الكبيرة على التحدي الضخم الذي تَقَدَّم زحف المشركين إلى أرض المعركة، واستهانتهم بقوة المسلمين التي زعزعت قوتهم فوق أرض بدر، وهو يعني أن المُصاب الذي أوقعه الرسول ﷺ بالمشركين في بدر لم يبلغ منهم مبلغه، فسرعان ما عزموا الأمر، وحزموا التدبير، ونسوا مرارة الهزيمة، وصمموا على الثأر والنَّيْل من لبانة النصر الذي أحرزه المسلمون في بدر.

وإذا كانت غزوة بدر هي الفرقان الذي أعز الله به الإسلام وأذل به الكفر، والبداية التي انطلق منها الإسلام في الجزيرة، فإن غزوة أُحد كانت التجربة المُرَّة التي علَّمت المسلمين كيف ينبغي أن تكون طاعة الأمير في العُسر واليُسر، والدرس العظيم الخطير الذي لُقِّنوه فلا يُنسى على الدهر، وظلت ندامةٌ تؤرقهم في نومهم ويقظتهم يتحيَّنون كل فرصة للتخفف منها بالطاعة الكاملة لرسول الله ﷺ امتثالًا وتحقيقًا في نفوسهم لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾[النور].

وتقف غزوة أُحد مع أُختها غزوة بدر على طريق الإسلام العظيم مَعْلَمَيْن كبيرين على شيئين قد يبدوان بادئ ذي بدء نقيضين، لكنهما في الحقيقة سواء، وينتهيان بالإنسان إلى غاية واحدة، وهي تربية الفرد المسلم في كل عصر على الخضوع الكامل لأمر الله المُنَزَّل على نبيه، هذان الشيئان هما:

أولًا: أن النصر لا يكون إلا مع الصبر والطاعة للأمير.

وثانيًا: أن الهزيمة حين تحيق بالجند قد تحمل في ثناياها معنًى من معاني النصر يدركه الجند بعد حين.

وتعرض سورة (آل عمران) للحديث عن غزوة أُحد في سبع وأربعين آية، بدءًا من آية ١٢١ وانتهاء بآية ١٦٨، وهذا العدد من الآيات يُشعر بمكانة هذه الغزوة وشرفِها عند الله الذي استحقت معه أن تُعرض هذا العرض ليظل قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة.

وقد وردت آيتان في هذا الحديث عن غزوة أُحد، هما: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾[آل عمران].

ويلوح لي ـ بنظر اجتهادي محض ـ أن في هاتين الآيتين تذكيرًا للنبي ﷺ بالنعمة الكبرى التي أصابها هو وأصحابه يوم بدر بما أحرزوه من نصر مؤزر على قريش، فما أوقعت قريشٌ وأشياعها يوم أُحد من أذى به وبأصحابه لا ينبغي أن يكون مُحزنًا له إلى الحد الذي يحمله على الدعاء عليهم أو اليأس من هداهم، فيذكرُهم دائمًا بذلك الأذى، فإن لله حكمة بالغة في ذلك لا يعلمها النبي ﷺ، فإن مذاق حلاوة النصر يُنسي مذاق مرارة الهزيمة، والعهد غير بعيد بينهما، فهو عام واحد وَفَّتْ قريشٌ بإنفاذ ما قالت بعدَه، وهذا النظر يُلمح إليه قوله سبحانه: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾[آل عمران]، فجمعَ هنا بين نتيجتي الغزوتين، وقرن بينهما في موضع واحد من القرآن، وفي السورة الأولى من السورتين اللتين جاء ذكر الغزوتين فيهما، ذكر النتيجة الأولى وهي النصر الذي أصابوه في غزوة بدر، والنتيجة الثانية وهي المصاب الأليم الذي وقع بهم في غزوة أُحد، فإن حلاوة الأولى تُضعف مرارة الثانية، وهذا يحمل العقل على التأمل والنظر في الأشياء كلها، وتقدير نهاياتها، على أَحد النتيجتين، ولا يكون أحدهم أرجح من الآخر إلا بمقدار ما يكون من تحقيق لأسبابه، فيكون ذلك حافزًا نفسيًّا كبيرًا للمسلمين أن يستمسكوا بكل سبب يُفضي بهم ـ في إطار النظر الإيماني ـ إلى النتيجة الأولى في شبه يقين أو يقين». [**السيرة النبوية العطرة في الآيات القرآنية المسطرة لشقرة ٣٥٤-٣٥٧**].

ويقول أ/ النجيري: «كانت غزوة بدر فرقانًا بين الحق والباطل، بين عهد الاستضعاف وعهد الظهور، بين الانتظار والتصبر والترقب والاستعداد، والمبادأة والقوة والمنازلة، وبها تميز معسكران للحق والباطل إيذانًا ببداية تغيير ثوري للبشرية، وظهور نور الحق على الخلق جميعًا، وتزعزع سلطان الوثنية والأهواء، وسقوط الطواغيت الأرضية، وهذا الاصطراع بين الحق والباطل لابد أن يوجد في كل مكان وزمان.

والدرس الأساسي الذي نتعلمه من بدر هو أن الحق ينتصر بقوة الإيمان لا بعدد ولا بعُدة، ونتعلم التوجه إلى الله تعالى في طلب النصر.

ويجب أن نستحضر في كل لقاء مع الباطل يكون فيه متغلبًا بعَدده وعُدده موقفَ النبي ﷺ وفي تلك الساعة الحاسمة حين «نَظَرَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ [فَإِذَا هُمْ أَلْفٌ وَزِيَادَةٌ]، وَأَصْحَابُهُ ثَلاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا [ثَلاثُ مِائَةٍ وَنَيِّفٌ]، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ الله ﷺ القِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ [وَعَلَيْهِ رِدَاؤُهُ وَإِزَارُهُ]، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «**اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ [إِنَّكَ إِنْ تُهْلِكْ] هَذِهِ العِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لَا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ [أَبَدًا]**»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ [يَسْتَغِيثُ رَبَّهُ ﷻ

وَيَدْعُوهُ] مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ ﷺ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ [فَرَدَّاهُ]، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: **يَا نَبِيَّ الله كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ**، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال] فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالمَلَائِكَةِ. [مسلم في الجهاد والسير (١٧٦٣)، وأحمد عن عمر ﷺ (٢٠٣)].

والحكمة من نصر أهل الإيمان على ضعفهم ومذلتهم هي أن يتقرر في عقيدتهم أن النصر بيد الله تعالى وحده فلا يتكلوا على سواه، ولا تتوجه القلوب لغيره، فالله ﷻ هو الذي ينتصر في الحقيقة، كما دعا نوح ﷺ ربه ﷻ: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾ [القمر: ١٠]، وكقوله تعالى في سورة محمد ﷺ: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد ﷺ: ٤].

وهو يؤيد بنصره من يشاء لتظهر قضية التوحيد جلية حين يدرك أهل الإيمان أن لا حول لهم ولا قوة، وبعد أن يستنفدوا كل قواهم، ويبدو أن الباطل سينتصر ويستأصل شأفة أهل الحق، حينئذ يأتي تثبيت الله تعالى ونصره، كما بين سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة]، وكما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف].

وقد ظهر النفاق بعد بدر، وظل النبي ﷺ يتألف المنافقين عسى أن يصلح حالهم، ولكنهم نكثوا يوم أحد، وعملوا عملهم في تصدع الصف المسلم؛ لذلك كانت أُحُدُ فرقانًا بين الإيمان والنفاق، ومدخلًا حاسمًا لوضع قواعد صارمة لمعاملة المنافقين باعتبارهم مرض اجتماعي لابد من علاجه وعزله وتشتيته حتى لا يختلط بالحق، ويثبط الهمم، ويرهق النفوس.

وفي بدر كان استئصال قادة الشرك وسراته الذين كانوا يلمون الشعث الكفري بمكة، وبموتهم انفتح باب الاختيار الحر أمام كثير من القرشيين بلا سيطرة الرؤساء: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال].

على حين ميز ابتلاء أُحُد بين المؤمنين الصادقين ومن تابعهم من راغبي المغنم أو ضعاف النفوس حتى تتمحص القلوب والنيات لله، كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد ﷺ].

فلابد أن تتمحص الجماعة المؤمنة ليدرك ثبات الرجال ومعادنهم، فمنهم من يتزلزل، ومَنْ يفر، ومَنْ يثبت.

وفي بدر وأُحُد نتعلم درس الشورى، فقد أخذ النبي ﷺ بمشورة حباب بن المنذر ﷺ في التقدم على بئر بدر حتى يكون من خلفهم فيمنعوا العدو ماءه فقد روي أنه ﷺ قال: «**أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ**»(١)، حين كانوا بين خيارين بعد انفلات عير قريش منهم، فإما ملاقاة جيش مكة، أو الرجوع للمدينة، كما شاور المسلمين حين سمع بخروج قريش تريد المدينة: هل يخرج لملاقاتهم أم ينتظرون في المدينة؟

ونتعلم من ذلك أن الشورى لازمة لاستلهام الرأي الرشيد من الله تعالى، وهي سبب لتنزل النصرة ورفع البلاء.

كما نتعلم درس الطاعة للقائد والأمير وعدم مخالفة الأوامر أو التلهف على الغنائم أو إرادة الدنيا، فإحقاق الحق وقطع دابر الكافرين أكبر من الغنم العاجل أما إرادة الدنيا فهي ترفع النصرة، كما يرفعها ذهاب المودة والتآلف والتقوى من صفوف الجند المسلم، ويتأكد التحذير من اختلاف القلوب والآراء والمعاصي والجبن والتطلع إلى الدنيا؛ لأنها أسباب الفشل.

ويأتي درس الإخلاص والتجرد والطاعة والتناصح والتواد وإرادة وجه الله تعالى وحده، مع مراقبة خفايا النفوس ودقائق القلوب لتحقيق ما فيها من إرادات، والتفطن لتسويل الشيطان وصرفه لنياتنا إلى الدنيا والغنيمة، فالهدف هو إعلاء كلمة الله ﷻ فقط، وغير ذلك معناه نزول البلاء.

وفي بدر حين توحد المسلمون وأخلصت نياتهم كانت النصرات الغيبية وإمداد الله تعالى بالملائكة، أما في أحد حين فشل بعض الجيش، عمت الفوضى والانحسار، فلا يزيد الظالمون الصف إلا خسارًا.

ومن جانب آخر كانت محنة ظهرت فيها بطولات إيمانية نادرة وشجاعة عظيمة، وتضحيات كبيرة، وأكرم الله تعالى سبعين من المسلمين بالشهادة.

وفي النهاية، حين يعود الجيش على أية حال، منتصرًا أو مجروحًا، ينبغي أن تعفو القيادة، وأن تقدر التضحيات التي بُذلت، وأن تبشر بالخير والرضوان، وأن ما كان من جروح فبما كسبت القلوب، والله هو الغفور.

وقد تنزلت سورة الأنفال بكثير من الدروس للمؤمنين في حال لقاء الأعداء، ولكنهم لم يلتزموها حق الالتزام؛ لذا جاء ابتلاء أُحد حتى يُصلح المؤمنون من شأنهم ويراجعوا المنهج ويلتزموا توجيهاته، وأبرز هذه الدروس التي خولفت:

(١) التجرد وإرادة وجه الله تعالى والدار الآخرة: وفي ذلك يقول الحق ﷻ: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الأنفال].

---

(١) هو قطعة من حديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٤٢٦- ٤٢٧ من طريق بسام الصيرفي عن أبي الطفيل عن الحباب به، وقد ضعفه الذهبي في التلخيص .

فالهدف من القتال هو إحقاق الحق وإزهاق الباطل لا الغنائم؛ ولذا يقول جل شأنه: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنفال].

(٢) **الثبات والاستعانة بالله ﷻ وبذكره والتصبر**: يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال]، ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾[الأنفال].

(٣) **الطاعة لله تعالى ولرسوله وللقيادة المسلمة**: يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنفال]، ويقول أيضًا: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾[الأنفال].

(٤) **إدراك أن النعمة تتحول وتتبدل بالظلم والعصيان**: وإن صدر ذلك من بعض المؤمنين، فالله يعاقبهم حتى يستقيموا مرة أخرى، ويبيِّن ذلك قوله سبحانه: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال]، وقوله كذلك: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾[الأنفال]». [**البلاء الإلهي للنجيري ٦-١٤**].

٢ ـ غزوة أُحد مدرسة المسلمين والإنسانية:

تحت عنوان: «**بعض الحكم والغايات المحمودة التي كانت في وقعة أُحُد**» يقول الإمام ابن القيم: «وقد أشار الله ﷻ إلى أُمهاتِها وأُصولها في سورة (آل عمران) حيث افتتح القصة بقوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾ إلى تمام ستين آية.

فللَّهِ كم من حكمة في ضِمن هذه القِصة بالغةٍ، ونعمة على المؤمنين سابغةٍ، وكم فيها من تحذيرٍ وتخويفٍ وإرشاد وتنبيه، وتعريفٍ بأسباب الخير والشر ومآلها وعاقبتها». [**زاد المعاد ٣/ ١٩٦، ٢١٥**].

ويقول الشيخ المدري: «عندما يقف المسلم ويُقلب صفحات غزوة أحد يجد أنَّ فيها سِفْرًا عظيمًا للدروس والعبر التي تقوِّم اعوجاج مسالكنا، وتحيي وتقوي ضعف إيماننا، وتثبت مواضع أقدامنا، وتكشف ما وراء المظاهر إلى حقائقها.

ولقد وصف القرآن هذه المعركة وصفًا دقيقًا، وسلَّط الضوء على خفايا النفوس، ودخائل القلوب، وكان فيها تربية للأمة في كل زمان ومكان، ودروسًا تتوارثها الأجيال تلو الأجيال.

غزوة أحد التي تعلم منها المسلمون أنه ينبغي أن تكون الشدائد والمحن في كل زمان فيصلًا لتمييز المؤمنين، وفضح المنافقين.

والتي فيها دروس للأمة جمعاء في حياتها ومعاملاتها، ولعل دروس النكبات والهزائم أعظم أثرًا من غيرها في كل وقت وحين.

غزوة أحد التي تركت آثارًا غائرة في نفس النبي ﷺ تلازمه حتى آخر حياته، ولما حانت وفاته جعل آخر عهده بذكريات البطولة أن يودع قتلى أحد وأن يدعو الله لهم.

روى الشيخان في صحيحهما عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ كَالْمُوَدِّعِ لِلأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: «**إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْحَوْضُ، وَإِنِّي لأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا**».

قَالَ: فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ. [**البخاري في المغازي (٤٠٤٢، ٤٠٨٥)، وفي الجنائز (١٣٤٤)، وفي المناقب (٣٥٩٦)، وفي الرقاق (٦٤٢٦، ٦٥٩٠)، ومسلم في الفضائل (٢٢٩٦)**].

إن مقارنة يسيرة بين حال الأمة في يومها وبين حالها يوم هزمت في معركة أحد وجعلت الهزيمة بسبب معصيتها ومخالفتها لرسولها توحي بأن الأمة اليوم لم تكمل أسباب النصر والتمكين التي وردت في كتاب الله تعالى، وإنما هي في غفلة معرضة، لم ترفع بالدين رأسًا في كثير من بقاعها وأصقاعها وفي كثير من أحوالها وأهوالها.

إن غزوة أحد من المعارك التي خاضها النبي ﷺ بنفسه، التي كانت محلًّا لأحداث كبار ودروس وعبر عظام، فهي فياضة بالعظات الغوالي، والمواعظ القيمة.

ومع ما وقع فيها من الكوارث والنكبات، وما حوته من النوازل والأزمات، إلا أنه يصدق فيها قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور:١١]». [**غزوة أحد للمدري ٣-٤، ٧-٩**].

ويقول د/ زين السيد: «إن المعارك الإسلامية تُختبر فيها طبائع الرجال ويُمحص فيها المؤمنون ليميز الخبيث من الطيب، ولكن بِقَدْر ما يكون عليه الجند من ثقتهم في الله وإيمانهم به، والتفافهم حول قائدهم والتزامهم بأوامره وعدم التفريط فيها بقدر ما يكون النصر والغلبة، وبقدر ما يكون التفريط والخلاف لأوامر القائد بقدر ما تكون الهزيمة.

وقد كانت غزوة أُحد إحدى هذه المعارك التي خاض غمارها المسلمون ومروا فيها بتجربة قاسية كانت نتيجة للتصرف الفردي والجري وراء الغنائم والزهو بالانتصار المؤقت ومخالفة أوامر القائد، وقد

كانت فيها أحداث وأحداث ومواقف تستلفت النظر وتدعو إلى التأمل ومواطن للعظة والاعتبار، فهي من المعارك التي يجب أن نقف أمامها طويلًا لنستلهم من أحداثها العبرة والعظة، ونأخذ بما كان فيها من إيجابيات وجوانب مشرقة، ونتأسى بالبطولات الصامدة أمثال: حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أسد الله وأسد رسوله ﷺ، وأنس بن النضر، وأبي عبيدة بن الجراح، وأبي دجانة، ومصعب بن عمير رضي الله عنهم، وغيرهم من البطولات التي ما زال التاريخ يتحدث عنها ويفخر بها، ونتلافى ما كان فيها من سلبيات كانت سببًا في هزيمة المسلمين بعد أن كان النصر لهم». [**دور الحرب النفسية في غزوتي أُحد والأحزاب للسيد ٤٤**].

ويقول الشيخ أبو خوات: «لئن كانت غزوة بدر نصرًا إلهيًّا يكاد يكون معجزة كاملة، حظ الإنسان فيها ضئيل، فإن غزوة أُحد كانت وستظل نشاطًا إنسانيًّا له أسبابه وأحداثه ونتائجه يُعتبر مدرسة تسير مع الإنسانية تعلمها الدروس التي تحتاج إليها في تاريخها الطويل.

ولقد سجل القرآن الكريم كثيرًا من أحداث «أُحد» ومواقعها في سورة آل عمران، مما يحكي قصة الغزوة في أسلوب يركز على العبرة والدرس بغرض التعليم والإفادة والتربية؛ لنستطيع ـ إذا كنا حقًّا مسلمين ـ أن نأخذ منها، وألا نقع في مثل ما وقع فيه المسلمون يومها مهما طال الزمن ومرت الأيام».

[**دروس من غزوات الرسول ﷺ لأبي خوات ٣١، ٦٠**].

ويقول د/ البوطي: «تنطوي غزوة أُحد على دروس بالغة الأهمية للمسلمين في كل عصر، ولكأن الحكمة من وقوعها على الشكل الذي حدث، أن يتكون منها درس تطبيقي عملي، يُعلِّم المسلمين كيفية البلوغ إلى النصر في معاركهم مع العدو، وكيفية التحرز من مزالق الفشل والهزيمة».

[**فقه السيرة للبوطي ١٨٨-١٨٩**].

ويقول د/ فيض الله: «إن تكن غزوة أُحد مؤسفة بالنظر إلى نتائجها، وما أسفرت عنه من ضحايا ودماء زكية غالية، ما كانت لتراق جزاءً لأخطاء وقع فيها ضعيفو النفوس؛ فقد كانت غزوة غنية حافلة بالعظات والعبر، والمبادئ والتربية الإلهية، والدروس الهامة؛ ولذا تنزلت فيها آيات طويلة، تركت في المسلمين من الآثار والفوائد، أكثر مما تتركه الغنائم والأسلاب بعد النصر، وبقي اسم أُحد، محتفظًا بمكانه المرموق، ورصيده الوافر في قلوب المسلمين، وبقيت التعاليم الإلهية التي عمَّقت الإيمان، وثبَّتت الأحكام، وسمت بالنفوس المؤمنة، موصولة بأُحد الذي اتخذ بسببها بحق وصف المحبة المتبادلة: «**أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**». [**البخاري في الزكاة (١٤٨٢)، وفي الجهاد والسير (٢٨٨٩، ٢٨٩٣)، وفي أحاديث الأنبياء (٣٣٦٧)، وفي المغازي (٤٠٨٣، ٤٠٨٤، ٤٤٢٢)، وفي الأطعمة (٥٤٢٥)، وفي الدعوات (٦٣٦٣)، وفي الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٣٣٣)، ومسلم في الحج (١٣٦٥، ١٣٩٢، ١٣٩٣)، والترمذي في المناقب (٣٩٢٢)، وابن ماجه في المناسك (٣١١٥)، وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه (٨٢٤٥)، وعن أنس رضي الله عنه (١٢٠١٣، ١٢١٠١، ١٢٢٠٥، ١٣١١٣، ١٣١٣٦)، وعن سويد الأنصاري رضي الله عنه (١٥٢٣٢)، وعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه (٢٣٠٩٣)، والموطأ (١٦٤٥)**]. [**صور وعبر لفيض الله ١٢٢**].

ويقول د/ أبو خليل: «هُزمت قريش ببدر، فسارت في شوال السنة الثالثة للهجرة، باتجاه المدينة المنوَّرة تريد ثأرها، فكانت غزوة أُحُد، وكان خطأ الرماة الذي قرر مصير المعركة.

وفي حياة رسول الله ﷺ حدثان متميِّزان، أُحُد، وحُنين.

ففي أُحُد وقع خطأ فني حربي مادي، عندما خالف الرماة الأمر العسكري.

وفي حُنين وقع خطأ أخلاقي معنوي تربوي، عندما قال بعض المسلمين: «**لن نُغْلبَ اليومَ عن قِلَّة**».

وإن كنا ندع الحديث عن حُنَين إلى حينه، فإننا نقول: في أُحُد ما أخطأ رسول الله ﷺ، بل أخطأ الرماة، في اجتهاد خاطئ، فَسبَّبُوا ما سبَّبوا، تركوا النصَّ، وهو أمر رسول الله ﷺ الذي لا يحتمل التأويل، إلى التحليل والتأويل: فوقعوا في المخالفة.

ومع ذلك لم تحقق قريش ما أرادت، على الرغم من الخطأ الفادح المُرْتكب، والذي ساق إليها النصر، وهي المهزومة المندحرة.

فإن أرادت ثأرًا لقتلاها ببدر، فقد حققت مطلبًا.

وإن أرادت استعادةً لهيبة أو سمعة مهدورة، فقد حققت ذلك إلى أجل.

ولكن إن أرادت الأمر الأهم الأعظم، ألا وهو القضاء على المسلمين، والقضاء على رسول الله ﷺ لتستطيع فتح طريق تجارتها إلى الشام فهذا ما لم تستطع تحقيقه.

وفي غزوة أُحد دفع المسلمون ثمن مخالفة أمر رسول الله ﷺ، كما كشفت أُحد مدى استعدادات المسلمين المادية والروحية.

في أُحد منع الله ﷻ النصر عن المسلمين؛ كي لا تتعلَّق القلوب بغير الله، فخطأ واحد مع كل الفضائل المجتمعة، ما حال دون العقوبة والجزاء.

فكانت أُحد درسًا مؤثِّرًا، عمَّق الإيمان، مع خالص الحب والطاعة لرسول الله ﷺ، ففازوا بكامل الإيمان، فجاء النصر الدائم المستمر، حتى فتح الله عليهم مكة المكرمة.

أُحُد، امتحان واختبار، لا ليعلم الله النتيجة، فعلمه سبحانه سابق، الامتحان والاختبار ليعلم المسلمون أنفسهم، فكانت أُحُد ونتائجها عملية طهارة وتزكية، وعودة إلى سلامة النفس، وطهارة القلب.

اختبار أُحُد ليعرف المسلمون مراحل إيمانهم، وإلى أيَّة مرحلة وصلوا، فمن آثر الآخرة على الدنيا ومغانمها، ازداد إيمانًا وعُلُوًّا، ومن آثر الدنيا ومغانمها على الآخرة، استدرك، ولحق بعد أُحُد بمن آثر الآخرة على الدنيا.

وفي أُحُد كان بإمكان رسول الله ﷺ، وبمدد إلهي، أن يهزم قريشًا بحفنة تراب، ولو فعل، لبَطُل الجهاد، لقول من بعده ﷺ: ونحن بحاجة إلى حفنة تراب؛ لنهزم الأعداء، ولا وجود لتلك اليد التي ترمي هذه الحفنة: إذن.. فلا جهاد.

أُحُد لبنة في استكمال بناء الشخصيَّة الإسلامية، وتأكيد على أن الإسلام ـ مع الأحكام ـ عمل قلبي، وتذوُّق وجداني، وشعور روحي، وطاعة تامة، والتزام كامل لا يقبل شائبة أو مخالفة.

وبعد المخالفة، جاء العزاء من الله سبحانه، مع عفوه، للمسلمين، فكان تضميدًا للجراح، وتبديلًا للنفوس من الوهن إلى القوة، ومن اليأس إلى الأمل، فانتقلوا إلى حمراء الأسد يحمل بعضهم بعضًا، فكأنما أحياهم بعد موت، وأوجدهم بعد عدم.

إلى حمراء الأسد كي لا يظن العدو أن المسلمين قد انهزموا نفسيًّا، أو معنويًّا، أو قلبيًّا، ومع أنهم لا يستطيعون المشي من كثرة جراحاتهم، حَمَلَهم إيمانهم لا أبدانهم، وحملهم يقينهم لا صحتهم وأجسامهم.

وبذلك الإيمان، وبهذا اليقين، ما قالوا: نحن جرحى، فكيف المسير إلى حمراء الأسد بعد يوم واحد من غزوة أُحد! وما وقع في نفوسهم عدم صلاحهم للقتال، وقال ﷺ: «**وألا يخرجنَّ معنا أَحَدٌ إلا من حضر يومنا بالأمس**»، فرفض ﷺ بذلك الجنديَّ سليمَ الجَسدِ مريضَ القلب، وقَبِل الجنديَّ جريحَ الجسدِ مُعافى الإيمان، صحيحَ القلب، فساروا وجراحاتهم في صدورهم وليست في ظهورهم، واستجابوا بعد أن مسَّهم القرح.

وعلى الرغم مما جرى في غزوة أحد، تجلَّت عظمة رسول الله ﷺ فيها:

ـ في فَرْضه ميدان المعركة على قريش.

ـ وفي إحرازه النصر سريعًا قبل مخالفة الرماة.

ـ وفي فكِّه الطوق الذي فُرِض على المسلمين، والذي كان كافيًا لإفناء جيش بكامله.

ـ وفي يأس قريش من القضاء على المسلمين، بعد أن كان فناؤهم أمرًا ممكنًا سهلًا، يحققّه جيش أقل عددًا من جيش قريش.

لقد كان رسول الله ﷺ قائدًا فذًّا، جنَّب جُنْده الخطر المحقَّق بمهارة وحنكة، وأعاد لهم هيبتهم بعد يوم واحد فقط بمناورته الرائعة إلى حمراء الأسد، فانسحب أبو سفيان ومَنْ معه مكتفيًا بصورة فوز، وسمعة انتصار، لن ينال مثلها مطلقًا، وسيفتح الله على نبيِّه، وسيدخل مكة، لا ليذل قريشًا، ولا لكي يحطِّم كبرياءها، لا.. فبعد أُحُد استغفر لقريش قائلًا: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ**»، ولما أراد أبو قتادة الأنصاري رضي الله عنه التمثيل من قريش؛ لِـمَا رَأَى مِنْ الْمُثْلَةِ بِالْمُسْلِمِينَ، ولِـمَا رَأَى مِنْ غَمِّ رَسُولِ اللهِ

ﷺ فِي قَتْلِ حَمْزَةَ رضي الله عنه وَمَا مُثِّلَ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا أَبَا قَتَادَةَ، إِنَّ قُرَيْشًا أَهْلُ أَمَانَةٍ، مَنْ بَغَاهُمُ العَوَاثِرَ كَبَّهُ اللهُ لِفِيهِ، وَعَسَى إِنْ طَالَتْ بِكَ مُدَّةٌ أَنْ تَحْقِرَ عَمَلَكَ مَعَ أَعْمَالِهِمْ، وَفَعَالَكَ مَعَ فَعَالِهِمْ، لَوْلَا أَنْ تَبْطَرَ قُرَيْشٌ لَأَخْبَرْتُهَا بِمَا لَهَا عِنْدَ الله**».

قَالَ أَبُو قَتَادَةَ رضي الله عنه: **وَالله يَا رَسُولَ الله، مَا غَضِبْتُ إِلَّا لله وَلِرَسُولِهِ حِينَ نَالُوا مِنْهُ مَا نَالُوا.**

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**صَدَقْتَ، بِئْسَ القَوْمُ كَانُوا لِنَبِيِّهِمْ**».

[المغازي للواقدي ١/ ٢٩٠-٢٩١، وسبل الهدى والرشاد للصالحي ٤/ ٢٣٠].

صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله، لقد كنت رائعًا في جهادك، ورائعًا في مجال التربية والأخلاق والمحبة.

لقد انتصرتَ على التخلُّف فَحَلَّ التقدمُ.

وانتصرتَ على الذل فَحَلَّت العزةُ.

وانتصرتَ على الجهل فَحَلَّ العلمُ.

وانتصرتَ على الشرك والأصنام فَحَلَّ الإسلامُ والإيمانُ.

وانتصرتَ على القبلية والعصبية فحل التوحُّدُ والوئامُ والإخاءُ.

جئتَ ـ صلى الله عليك ـ فأطفأت عداوة العرب وعشائريتهم وشتاتهم، وأضأت نور المحبة بين القلوب، فقامت مجتمعة للهداية والتحرير.

اللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيًّا أدَّى الأمانة، وبلَّغ الرسالة». **[غزوة أُحد لأبي خليل ٧-١٢].**

ويقول الشيخ/ كشك: «تحدثت سورة آل عمران عن غزوة أُحد من أول قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴿١٢١﴾﴾ [آل عمران]، إلى قوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران]، فهذه ستون آية تناولت غزوة أُحد بكل ما فيها من دروس وعبر، والواقع أن هذه الغزوة مدرسة عظمى من مدارس التاريخ، كان من أهم دروسها درس التمحيص، قال تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** ﴿١٤٠﴾ **وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ** ﴿١٤١﴾ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ** ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران].

نعم كان لابد من أُحد؛ ولذا كان الرسول ﷺ إذا مر بهذا الجبل يقول: «**أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**».

[سبق تخريجه].

ولقد وقف الرسول ﷺ على هذا الجبل ومعه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فارتج الجبل، فقال له الصادق المعصوم وهو ينظر من وراء الحجب ويستشف الغيوب بوحي من علام الغيوب، قال له:

«اثْبُتْ أُحُدُ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدَانِ». [البخاري في المناقب (٣٦٧٥، ٣٦٨٦)، وأبو داود في السنة (٤٦٥١)، والترمذي في المناقب (٣٦٩٧)، وأحمد عن سهل بن سعد ﷺ (٢٢٣٠٤)].

وكان ما قاله الرسول ﷺ حقًّا...

نعم كان لابد من أُحد في حياة المسلمين حتى يميز الله الخبيث من الطيب، قال ﷺ في هذه الآيات التي نزلت في أُحد: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، لقد كانت غزوة أُحد بوتقة انصهرت فيها المعادن، وأعني بها معادن الرجال، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

إن الشدائد هي مقياس الصمود والوفاء ومقادير الرجال:

جَزَى اللهُ الشَّدَائِدَ كُلَّ خَيْرٍ　　　عَرَفْتُ بِهَا عَدُوِّي مِنْ صَدِيقِي

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾ [آل عمران].

إن التضحية بالروح شيء يهون على أصحاب العقائد المؤمنين بالشهادة، وهذا ما قرره الله تعالى في قوله: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾، فإنهم إذا صمتت الألسنة، ونطقت الأسنة، وخطبت السيوف على منابر الرقاب، وأقدمت الرماح على الخطط الصعاب، فلا ترى إلا رؤوسًا تُنثر، ودماءً تهدر.

كَأَنَّ مَثَـارَ النَّقْـعِ فَـوْقَ رُؤُوسِـنَا　　　وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ

وضجت صدور العاديات ضبحًا، فرأيتَ الميدان حركة دائبة متواصلة وصفها القرآن الكريم أدق وصف في قوله جل شأنه: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾﴾ [العاديات]، إذا كان ذلك كذلك فإن المؤمنين يشتاقون إلى الجنة أكثر من اشتياق الجنة إليهم، فترخص أرواحهم في أسواق الموت، ويتلقون ضربات السيوف كأنها قُبُلات الملائكة.

وإذا كانت غزوة أُحد قد غربلت القلوب، ونخلت الرجال نخلًا، فقد سبق أن حدثنا الكتاب العزيز عن الملأ من بني إسرائيل، الذين قال الله فيهم: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٦]، وقال فيهم: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وقال في حق المؤمنين: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ﴾، وجاء ذلك ردًّا على الذين قالوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ﴾، وهكذا صمدت القلة أمام الكثرة الجالوتية، فكانت النتيجة أن القلة المؤمنة هزمت الكثرة الباغية الطاغية، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا

بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة]». [في رحاب التفسير لكشك ٤/ ٦٦٩-٦٧٠].

٣ ـ الموازنة بين الجيشين بين «بدر وأحد»:

يقول د/ أبو فرحة: «لئن كانت غزوة بدر صفحة من كتاب الكون، فيها نصرٌ للمؤمنين وهزيمة ماحقة للكافرين، صفحة مبهجة تجلَّت فيها عناية الله بجنده، ونصره لهم على عدوه نصرًا مؤزرًا.

فإن غزوة أُحد صفحة أخرى منه لا تقل وضاءة عن سابقتها عند التحقيق والتدقيق كما سيأتي، تجلت فيها عناية الله بجنده على نحو آخر، هو نصره لهم على أنفسهم بتهذيبها وتنقيتها وسبكها وصقلها، وتعليمهم من سنن الله ما لم يكونوا يعلمون، وتثبيت ذلك في أنفسهم بوقوعه أحداثًا ترتبت عليها آثارها ليكون الدرس أبقى وأخلد.

فلا غنى للمسلمين عن هذه وتلك، لا غنى لهم عن بدر وبهجة صفحتها وإشراقها، كما وأنه لا غنى لهم عن أحد ومس حرها، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء].

وإنه ليبدو بالتأمل السريع، والنظرة الخاطفة مدى ما بين الغزوتين من تكامل، وما فيهما من تقابل، لا يجمع بينهما إلا إرادة الله ـ بهما معًا الخير كل الخير للمؤمنين وإن اختلف وجهه، فبدا سافرًا حينًا ومقنعًا حينًا آخر.

وهذه نقاط موجزة لتوضيح ذلك:

أولًا: في بدر كان المشركون مختلفين حول الخروج مترددين، وفي أُحد كان المسلمون هم المختلفون المترددون في الخروج.

ثانيًا: في بدر كان المشركون بين مستهين بالمسلمين لا يأخذ حذره، وخائف منهم لا يجتمع له أمره بسبب ما بلغهم من إنذار الرسول ﷺ لهم بأنه قاتِلٌ فلانًا وفلانًا منهم، وما شاهده بعضهم من رؤى مثبطة منها رؤيا عاتكة ورؤيا جهيم بن الصلت.

تركت هذه الرؤى بالإضافة إلى إنذار الرسول ﷺ في المشركين أثرها، فكانوا بين مستهين بالمسلمين لا يأخذ حذره؛ لما يعلمه من قلة عددهم، ولعدم ثقته في هذه الرؤى، وتلك الإنذارات، وبين خائف لا يجتمع له أمره بسببها.

وفي أُحد أخذ المسلمون حالة المشركين يوم بدر، فكانوا بين مستهين بالمشركين لا يأخذ حذره، وخائف لا يجتمع له أمره بسبب ما سمعوه من الرسول ﷺ من نبوءات باستشهاد عدد منهم، كما جاء في تأويل رؤيته ﷺ، تلك التي رآها قبيل غزوة أُحد، وما شاهده بعضهم من رؤى مشيرة إلى استشهادهم منها رؤيا عبد الله بن حرام رضي الله عنه.

وقد رواها البخاري بسنده عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: لَـمَّا حَضَرَ أُحُدٌ دَعَانِي أَبِي مِنْ اللَّيْلِ فَقَالَ: **مَا أُرَانِي إِلَّا مَقْتُولًا فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ** ﷺ. [**البخاري في الجنائز (١٣٥١)**].

وقد ذَكَرَ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ عَنِ الْوَاقِدِيِّ أَنَّ سَبَبَ ظَنِّهِ ذَلِكَ مَنَامٌ رَآهُ، أَنَّهُ رَأَى مُبَشِّرَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ رضي الله عنه ـ وَكَانَ مِمَّنِ اسْتُشْهِدَ بِبَدْرٍ ـ يَقُولُ لَهُ: أَنْتَ قَادِمٌ عَلَيْنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ، فَقَصَّهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**هَذِهِ الشَّهَادَةُ**». [**فتح الباري ٣/ ٤٥٨ - ٤٥٩**].

وبذلك يتضح بجلاء أن المسلمين والمشركين قد تبادلوا الحالات النفسية بين بدر وأُحد؛ ليترتب على كل حالة أثرها.

ثالثًا: فيهما معًا منَّ الله على المسلمين بالنعاس أَمَنَة منه، يشير إلى النعاس بيوم بدر بقوله تعالى: ﴿ **إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ** ﴾[الأنفال: ١١]، ويشير إليه يوم أحد بقوله: ﴿**ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ** ﴾[آل عمران: ١٥٤].

رابعًا: في بدر رجع الأخنس ببني زهرة، فأحدث رجوع الأخنس ولا شك في صفوف المشركين وهنًا، يهيئهم لما أعده الله لهم من هزيمة.

وفي أُحد رجع ابن أبي بمن معه وهم قرابة ثلث الجيش، فأحدث انسحابه ـ كما سيأتي ـ هزة في صفوف المسلمين، كادت تؤدي إلى انسحاب طائفتين أخريين من المؤمنين، وذلك أيضًا، كان تهيئة لحرمانهم مما أعده الله للمؤمنين من جزيل المثوبة على ما يصيبهم من البلاء، وما يريد أن يخصهم به من اتخاذ الشهداء منهم دون سواهم: ﴿**وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾**﴾[آل عمران]، كما كان ليتميز به المؤمنون من المنافقين.

خامسًا: في كل منهما كان الشيطان يبدو مساعدًا للمشركين، وكانت الملائكة تقوم بدورها في مساعدة المسلمين، فلم يكن المشركون وحدهم، وكذلك لم يكن المسلمون وحدهم، ولكن شتان بين نصير ونصير، كما وأنه شتان بين جند وجند.

تلك نقاط موجزة، وضَّحَتْ لنا كما قلت سابقًا، مدى ما بين الغزوتين من تكامل وما فيها من تقابل، كما وضحتْ لنا مدى ارتباط الأسباب بمسبباتها، والنتائج بمقدماتها.

ففي بدر حيث كان الكفار مختلفين حول الخروج مترددين، وكانوا بين مستهين بالمسلمين لا يأخذ حذره، وخائف منهم لا يجتمع له أمره، مما ترتب عليه عدم اتحاد كلمتهم وانسحاب الأخنس ببني زهرة.

نزلت بهم الهزيمة، كنتيجة حتمية لتلك المقدمات.

وفي أُحد حيث تبادل الفريقان أحوالهم، فبينما اتحدت كلمة المشركين وأخذوا حذرهم وخرجوا نصب أعينهم الثأر من المسلمين، مهما كلفهم ذلك نجد المسلمين يختلفون في الخروج، ويجمعون في صفوفهم بين مستهين بالمشركين لا يأخذ حذره منهم وخائف منهم لا يجتمع له أمره، كما أنه قد انسحب عبد الله بن أُبي بثلث الجيش، وبذا يكون المسلمون قد جمعوا بين الكثير من عوامل هزيمة المشركين يوم بدر، فلا عجب إذا ترتبت عليها نتائجها من بلاء نزل بالمسلمين يومئذ.

وهكذا ترتبط الأسباب بمسبباتها والنتائج بمقدماتها، أشد الارتباط وأحكمه:

﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل].

هذه «غزوة أحد» كما جاءت في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وسيرته العطرة.

تاريخ لا كالتواريخ، فليست أحداثها فارغة من المعاني، وخلوًّا من العبر، إلا في أضيق الحدود، شأن تواريخ الملوك وأشباههم.

لا، بل هي في حقيقتها قد ابتدعت أحداثها لتستوعب من المعاني أعلاها، ومن العبر أدقها؛ لتبقى من بعد مخلدة في كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، عظة واعظة وعبرة معبرة، ودرسًا ربانيًّا كريمًا.

إن كنت في شك من هذا، فما بال كتاب الله يتناولها من نواحيها بهذه الإطالة، في الحديث عنها بالحديث والتعليل والمقارنة والتوجيه، وما بال سنة سيدنا رسول الله ﷺ تخصها بحشد هائل من الأحاديث النبوية الشريفة.

اللهم إن في هذا لأعظم دليل على ما قلت». [**غزوة أُحد لأبي فرحة ٢٩٠-٢٩٧**].

٤ ـ امتحان ثقيل الوطأة:

يقول الشيخ الغزالي: «موقعة «أحد» فياضة بالعظات الغوالي والدروس القيمة، وقد نزلت في أدوارها وحوادثها ونتائجها آيات طوال، وكان لها في نفس الرسول ﷺ أثر عميق، ظل يذكره إلى قبيل وفاته، كانت امتحانًا ثقيل الوطأة، محَّص السرائر، ومزَّق النقاب عن مخبوئها، فامتاز النفاق عن الإيمان، بل تميَّزت مراتب الإيمان نفسه، فعُرف الذين ركلوا الدنيا بنعالهم فلم يعرِّجوا على مطمع من مطامعها، والذين مالوا إليها بعض الميل، فنشأ عن أطماعهم التافهة ما ينشأ عن الشرر المستصغر من حرائق مروِّعة.

بدأت المعركة بانسحاب ابن أبي، وهو عمل ينطوي على استهانة بمستقبل الإسلام وغدر به في أحرج الظروف، وتلك أبرز خسائس النفاق.

والدعوات ـ إبَّان امتدادها وانتصارها ـ تغري الكثيرين بالانضواء تحت لوائها، فيختلط المخلص بالمغرض، والأصيل بالدخيل، وهذا الاختلاط مضرٌّ أكبر الضرر بسير الرسالات الكبيرة وإنتاجها.

ومن مصلحتها الأولى أن تُصاب برجَّات عنيفة، تعزل خبثها عنها، وقد اقتضت حكمة الله أن يقع هذا التمحيص في أحد: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾[آل عمران: ١٧٩].

فالجبن والنكوص هما اللذان كشفا عن طوية المنافقين، فافتضحوا أمام أنفسهم وأمام الناس قبل أن تعلن عن نفاقهم السماء.

فإذا تجاوزت السفوح التي يدبُّ عليها أولئك المنافقون، وثبت إلى ذرى شامخة للإيمان البعيد الغور، النقي العنصر، يتمثل في مرحلة الهجوم المظفر الذي ابتدأ به القتال، ثم في مرحلة الدفاع النبيل الهائل الذي حمل المسلمون عبئه عند ما ارتدت الكرة للمشركين، ورجحت كفتهم.

إن الرجال الذين يكتبون التاريخ بدمائهم، ويوجِّهون زمامه بعزماتهم، هم الذين صلوا هذه الحرب، وحافظوا بها مصير الإسلام في الأرض». [**فقه السيرة للغزالي ٢٦٥-٢٦٦ ط دار القلم**].

٥ ـ معركة في الميدان والضمير:

يقول صاحب الظلال: «من معركة الجدل والمناظرة، والبيان والتنوير، والتوجيه والتحذير ـ فيما سبق من سورة آل عمران ـ ينتقل السياق إلى المعركة في الميدان: معركة أُحد.

وغزوة أُحد لم تكن معركة في الميدان وحده، إنما كانت معركة كذلك في الضمير، كانت معركة ميدانها أوسع الميادين؛ لأن ميدان القتال فيها لم يكن إلا جانبًا واحدًا من ميدانها الهائل الذي دارت فيه: ميدان النفس البشرية، وتصوراتها ومشاعرها، وأطماعها وشهواتها، ودوافعها وكوابحها، على العموم، وكان القرآن هناك يعالج هذه النفس بألطف وأعمق، وبأفعل وأشمل ما يعالج المحاربون أقرانهم في النزال!

الانتصار الكبير: وكان النصر أولًا، وكانت الهزيمة ثانيًا، وكان الانتصار الكبير فيها بعد النصر والهزيمة، انتصار المعرفة الواضحة والرؤية المستنيرة للحقائق التي جلَّاها القرآن، واستقرار المشاعر على هذه الحقائق استقرار اليقين، وتمحيص النفوس، وتمييز الصفوف، وانطلاق الجماعة المسلمة ـ بعد ذلك ـ متحررة من كثير من غبش التصور، وتميع القيم، وتأرجح المشاعر، في الصف المسلم، وذلك بتميز المنافقين في الصف إلى حد كبير، ووضوح سمات النفاق وسمات الصدق، في القول والفعل، وفي الشعور

والسلوك، ووضوح تكاليف الإيمان، وتكاليف الدعوة إليه، والحركة به، ومقتضيات ذلك كله من الاستعداد بالمعرفة، والاستعداد بالتجرد، والاستعداد بالتنظيم، والتزام الطاعة والاتباع بعد هذا كله، والتوكل على الله وحده، في كل خطوة من خطوات الطريق، ورد الأمر إلى الله وحده في النصر والهزيمة، وفي الموت والحياة، وفي كل أمر وفي كل اتجاه.

حصيلة ضخمة: وكانت هذه الحصيلة الضخمة التي استقرت في الجماعة المسلمة من وراء الأحداث، ومن وراء التوجيهات القرآنية بعد الأحداث، أكبر وأخطر ـ بما لا يُقاس ـ من حصيلة النصر والغنيمة، لو عاد المسلمون من الغزوة بالنصر والغنيمة.

وقد كانت الجماعة المسلمة إذ ذاك أحوج ما تكون لهذه الحصيلة الضخمة، كانت أحوج إليها ألف مرة من حصيلة النصر والغنيمة، وكان الرصيد الباقي منها للأمة المسلمة في كل جيل أهم وأبقى كذلك من حصيلة النصر والغنيمة.

وكان تدبير الله العلوي من وراء ما بدا في الموقعة من ظواهر النقص والضعف والتميع والغبش في الصف المسلم، ومن وراء الهزيمة التي نشأت عن هذه الظواهر.

كان تدبير الله العلوي من وراء هذا الذي وقع وفق سنة الله الجارية، حسب أسبابه الطبيعية الظاهرة، تدبيرًا كله الخير للجماعة المسلمة في ذلك الحين؛ لتنال هذه الحصيلة الضخمة من العبرة والتربية، والوعي والنضج، والتمحيص والتميز، والتنسيق والتنظيم.

وليبقى للأمة المسلمة في أجيالها المتعاقبة هذا الرصيد من التجارب والحقائق والتوجيهات التي لا تُقدر بثمن، ولو كان هذا الثمن هو النصر والغنيمة!

الميدان الحقيقي: لقد انتهت المعركة في ميدان الأرض، ليبدأها القرآن في ميدانها الأكبر: ميدان النفس، وميدان الحياة الشاملة للجماعة المسلمة، وصنع بهذه الجماعة ما تصنعه يد الله، عن علم وعن حكمة، وعن خبرة، وعن بصيرة، وكان ما شاءه الله وما دبره، وكان فيه الخير العظيم، من وراء الضر والأذى والابتلاء الشاق المرير.

التعقيب القرآني العجيب: ولعل مما يلفت النظر في التعقيب القرآني على أحداث المعركة هو ذلك الازدواج العجيب بين استعراض مشاهدها ووقائعها، والتوجيهات المباشرة على هذه المشاهد والوقائع، وبين التوجيهات الأخرى المتعلقة بتصفية النفوس، وتخليصها من غبش التصور، وتحريرها من ربقة الشهوات، وثقلة المطامع، وظلام الأحقاد، وظلمة الخطيئة، وضعف الحرص والشح، والرغبات الدفينة.

ولعل مما يلفت النظر أكثر، الكلام ـ في صدد التعقيب على معركة حربية ـ عن الربا والنهي عنه، وعن الشورى والأخذ بها، على الرغم مما كان للشورى من معقبات ظاهرية في النتائج السيئة للمعركة!

ثم.. سعة المساحة التي يعمل فيها المنهج القرآني في النفس البشرية، وفي الحياة الإنسانية، وتعدد نقط الحركة فيها، وتداخلها، وتكاملها العجيب..

حقيقة المعركة الكبرى: ولكن الذين يدركون طبيعة هذا المنهج الرباني لا يعجبون لشيء من ذلك الازدواج وهذه السعة، وهذا التداخل، وهذا التكامل، فالمعركة الحربية في الحركة الإسلامية ليست معركة أسلحة وخيل ورجال وعدة وعتاد، وتدبير حربي فحسب، فهذه المعركة الجزئية ليست منعزلة عن المعركة الكبرى في عالم الضمير، وعالم التنظيم الاجتماعي للجماعة المسلمة، إنها ذات ارتباط وثيق بصفاء ذلك الضمير، وخلوصه، وتجرده، وتحرره من الأوهاق والقيود التي تطمس على شفافيته، وتقعد به دون الفرار إلى الله!

وكذلك هي ذات ارتباط وثيق بالأوضاع التنظيمية التي تقوم عليها حياة الجماعة المسلمة، وفق منهج الله القويم، المنهج الذي يقوم على الشورى في الحياة كلها ـ لا في نظام الحكم وحده ـ وعلى النظام التعاوني لا النظام الربوي، والتعاون والربا لا يجتمعان في نظام!

في ميدان الحياة الواقعية: والقرآن كان يعالج الجماعة المسلمة، على إثر معركة لم تكن ـ كما قلنا ـ معركة في ميدان القتال وحده، إنما كانت معركة في الميدان الأكبر: ميدان النفس البشرية، وميدان الحياة الواقعية، ومن ثم عرج على الربا فنهى عنه، وعرج على الإنفاق في السراء والضراء فحض عليه، وعرج على طاعة الله ورسوله فجعلها مناط الرحمة، وعرج على كظم الغيظ والعفو عن الناس، وعلى الإحسان والتطهر من الخطيئة بالاستغفار، والتوبة وعدم الإصرار، فجعلها كلها مناط الرضوان، كما عرج على رحمة الله المتمثلة في رحمة الرسول ﷺ ولين قلبه للناس، وعلى مبدأ الشورى وتقريره في أحرج الأوقات، وعلى الأمانة التي تمنع الغلول، وعلى البذل والتحذير من البخل في نهاية ما نزل في التعقيب على الغزوة من آيات..

عرج على هذا كله؛ لأنه مادة إعداد الجماعة المسلمة للمعركة في نطاقها الواسع، الذي يتضمن المعركة الحربية في إطاره ولا يقتصر عليها، معركة التعبئة الكاملة للانتصار الكبير، الانتصار على النفس والشهوات والمطامع والأحقاد، والانتصار في تقرير القيم والأوضاع السليمة لحياة الجماعة الشاملة.

وعرج على هذا كله ليشير إلى وحدة هذه العقيدة في مواجهة الكينونة البشرية ونشاطها كله، ورده كله إلى محور واحد: محور العبادة لله، والعبودية له، والتوجه إليه في حساسية وتقوى، وإلى وحدة منهج الله في الهيمنة على الكينونة البشرية كلها، في كل حال من أحوالها، وإلى الترابط بين جميع هذه الأحوال في ظل هذا المنهج، وإلى وحدة النتائج النهائية للنشاط الإنساني كله، وتأثير كل حركة من حركات النفس، وكل جزئية من جزئيات التنظيم في هذه النتائج النهائية.

وإذن فهذه التوجيهات الشاملة ليست بمعزل عن المعركة، فالنفس لا تنتصر في المعركة الحربية إلا حين تنتصر في المعارك الشعورية والأخلاقية والنظامية، والذين تولوا يوم التقى الجمعان في «أحد»: إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا من الذنوب، والذين انتصروا في معارك العقيدة وراء أنبيائهم هم الذين بدأوا المعركة بالاستغفار من الذنوب، والالتجاء إلى الله، والالتصاق بركنه الركين، والتطهر من الذنوب إذن والالتصاق بالله، والرجوع إلى كنفه من عدة النصر، وليست بمعزل عن الميدان! واطراح النظام الربوي إلى النظام التعاوني من عدة النصر، والمجتمع التعاوني أقرب إلى النصر من المجتمع الربوي، وكظم الغيظ والعفو عن الناس من عدة النصر، فالسيطرة على النفس قوة من قوى المعركة، والتضامن والتواد في المجتمع المتسامح قوة ذات فاعلية كذلك.

حقيقة قدر الله: كذلك كان من الحقائق التي اتكأ عليها السياق من بدئه إلى نهايته، حقيقة قَدَرِ الله، ورد الأمر إليه جُملة، وتصحيح التصور في هذه النقطة تصحيحًا حاسمًا جازمًا.

وفي الوقت ذاته تقرير سنة الله في ترتيب العواقب التي تحل بالبشر على ما يصدر من سعيهم ونشاطهم، وخطئهم وإصابتهم، وطاعتهم ومعصيتهم، وتمسكهم بالمنهج وتفريطهم فيه، واعتبارهم بعد هذا كله ستارًا للقدرة، وأداة للمشيئة، وقَدَرًا من قدر الله يحقق به ما يشاء سبحانه.

الانتصار في ميزان الله: ثم ـ في النهاية ـ إشعار الجماعة المسلمة أن ليس لها من أمر النصر شيء، إنما هو تدبير الله لتنفيذ قدره، من خلال جهادها، وأجرها هي على الله، وليس لها من ثمار النصر شيء من أشياء هذه الأرض، ولا لحسابها الخاص يؤتيها الله النصر إذ يشاء، إنما لحساب الأهداف العليا التي يشاؤها الله.

وكذلك الهزيمة، فإنها حين تقع بناء على جريان سنة الله، وفق ما يقع من الجماعة المسلمة من تقصير وتفريط، إنما تقع لتحقيق غايات يقدرها الله بحكمته وعلمه؛ لتمحيص النفوس، وتمييز الصفوف، وتجلية الحقائق، وإقرار القيم، وإقامة الموازين، وجلاء السنن للمستبصرين.

ولا قيمة ولا وزن في نظر الإسلام للانتصار العسكري أو السياسي أو الاقتصادي، ما لم يقم هذا كله على أساس المنهج الرباني، في الانتصار على النفس، والغلبة على الهوى، والفوز على الشهوة، وتقرير الحق الذي أراده الله في حياة الناس؛ ليكون كل نصر نصرًا لله ولمنهج الله؛ وليكون كل جهد في سبيل الله ومنهج الله، وإلا فهي جاهلية تنتصر على جاهلية، ولا خير فيها للحياة ولا للبشرية، إنما الخير أن ترتفع راية الحق لذات الحق، والحق واحد لا يتعدد، إنه منهج الله وحده، ولا حق في هذا الكون غيره، وانتصاره لا يتم حتى يتم أولًا في ميدان النفس البشرية، وفي نظام الحياة الواقعية، وحين تخلص النفس

من حظ ذاتها في ذاتها، ومن مطامعها وشهواتها، ومن أدرانها وأحقادها، ومن قيودها وأصفادها، وحين تفر إلى الله متحررة من هذه الأثقال والأوهاق، وحين تنسلخ من قوتها ومن وسائلها ومن أسبابها، لتكل الأمر كله إلى الله، بعد الوفاء بواجبها من الجهد والحركة، وحين تحكم منهج الله في الأمر كله، وتَعُدُّ هذا التحكيم هو غاية جهادها وانتصارها، حين يتم هذا كله يحتسب الانتصار في المعركة الحربية أو السياسية أو الاقتصادية انتصارًا في ميزان الله، وإلا فهو انتصار الجاهلية على الجاهلية، الذي لا وزن له عند الله ولا قيمة!

ومن ثم كان ذلك الازدواج، وكان ذلك الشمول، في التعقيب على المعركة التي دارت يوم أحد، في ذلك الميدان الفسيح، الذي يعد ميدان القتال جانبًا واحدًا من جوانبه الكثيرة».

[في ظلال القرآن لقطب ١/ ٤٥٧-٤٦٠].

٦ ـ البداية الحقيقية للغزوة:

يقول الشيخ عرجون: «كانت غزوة أُحد امتدادًا لغزوة بدر في الوسائل والمقدمات، والمقاصد والغايات، والوقائع والأحداث، وكانت الفواصل الزمنية بينهما ـ على تقاربها ـ معالم للاتصال الوثيق لتوقعات المستقبل وما يحويه بين جنباته من ترقبات لوصل حاضر المجتمع المسلم في نضاله المرير بماضيه في كفاحه الصبور؛ ليكون هذا الماضي في إطار الإيمان خطًّا متوحد المنازل والمسالك مع حاضر المجتمع في ظل رسالته الخالدة الخاتمة لرسالات السماء في حياة خاصة ممتدة عبر الحياة الإنسانية العامة في كفاح لا ينقطع، ونضال لا تسكن حركاته ولا يهدأ أواره، من أجل إنقاذ الإنسانية المعذبة في الأرض من تورطاتها الوثنية المتهالكة وشركها الطاغي العنيد».

ويقول أيضًا عن أثر بدر الكبرى على المشركين: «وقد كانت غزوة بدر ضربة قاصمة لملأ الفجور الوثني، ترنح منها طواغيته ترنحًا أدار رؤوسهم واستدار بهم كما تستدير الحمر النَّعِرَة، ولكنه بعد صحوة من سكر الهزيمة تماسكوا مستمسكين بعتو كفرهم، وأبوا إلا أن يعودوا إلى مواقفة جند الله؛ ليصلوا ماضي وثنيتهم الجاهلية الباغية بحاضر فجورهم الكفور حتى يكون ماضيهم الخبيث وحاضرهم الفاجر صورة لطغيان مستقبلهم الإلحادي المشرك الكفور؛ ليكون هذا الحاضر الخبيث حلقة اتصال في توحيد الزمن بأحداثه في النضال بين الكفر والإيمان، والهدى والضلال، حتى يكون هذا الماضي حلقات متواصلة في سلسلة الفجور الوثني لحياة الطغيان في لفائف الشرك الملحد، والطغيان الحقود...».

ويؤكد أثر بدر الكبرى بقوله: «وكانت بدر، فكانت نكالًا لهم، ووبالًا عليهم، هُزموا فيها شر هزيمة، حسَّت صناديدهم بالمهندات من السيوف المسلمة، واستأصلت أشراف جاهليتهم قتلًا، وأسرًا،

وتشريدًا، وفرارًا في فجاج الأرض، حتى بلغ فُلُّهم (أي بقيتهم المهزومة) مكة مهزومين أذلاء، يعضون بنان الحسرة والاندحار، وهم في ذهول وحَيْرة، لا يصدقون ما يبصرون بأعينهم؛ لأن الهزيمة لم تكن تمر بخيالهم المظلم بظلمات الغم والحزن الكظيم». [**محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٣/ ٥٤١-٥٤٢، ٥٤٥**].

ويقول أ/ فتح الباب: «ترجع البداية الحقيقية لغزوة أحد إلى انتهاء غزوة بدر بانتصار الإسلام والمزيد من القوة للمسلمين، وباندحار الشرك وذلة قريش، فلقد أذكت مرارة الهزيمة نيران الحقد في نفوس المشركين، وأهاجت مواجدهم وغرائزهم ذكرى قتلاهم، وما أصابهم من نقص في أموالهم، فأخذوا يُعدون للثأر ولفتح الطريق لهم إلى الشام، واستنقاذ مكانة مكة التجارية ومكانتها الدينية بعد أن بسط المسلمون نفوذهم على ساحل البحر الأحمر طريق قريش إلى الشام، وزاد من حقد قريش أن سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه قد أخذت تجارتها حين سلوكها سبيل العراق إلى الشام». [**القيم الخلقية لفتح الباب ٦٠**].

الباب الأول

المرحلة الأولى من غزوة أحد

(قبل المعركة)

الفصل الأول: عرض المرحلة الأولى من غزوة أُحد (قبل المعركة)

الفصل الثاني: الدروس والعبر المستفادة من المرحلة الأولى من غزوة أُحد (قبل المعركة)

الفصل الأول
عرض المرحلة الأولى من غزوة أُحُد (قبل المعركة)
المبحث الأول
الموقف قبل أُحد والقوات المناوئة للمسلمين

القوة الإسلامية الناشئة:

يقول أ/ خلف الله: «إنها لمعجزة لن تتكرر في التاريخ أبدًا أن يتمكن المسلمون ببداية مادية ضئيلة وبإمكانيات محدودة جدًّا من التغلب على أعداء يحيطون بهم من كل جانب، وأن يؤسسوا دولة يمكنها بعد خمسة عشر عامًا من تأسيسها أن تدحر أكبر إمبراطوريتين في العالم في ذلك الوقت، ولا غرو فقد كان رائد المسلمين وقائدهم أكبر زعيم عرفته الإنسانية على الإطلاق.

فلو قارنا عدد المسلمين بعدد المشركين قبل غزوة أُحد لما وجدنا هنالك نسبة تُذكر: فعدد المهاجرين كان يتراوح ما بين مائة وخمسين ومائتين رجالًا ونساء وأطفالًا، وكان عدد نفوس الأوس والخزرج يتراوح ما بين ألفين إلى ثلاثة آلاف: منهم المسلمون والمتظاهرون بالإسلام والذين لم يؤمنوا بعد.

وإذا نظرنا إلى الناحية المادية وجدنا أن قريشًا قد جرَّدت المهاجرين من أموالهم، فتركوها وهاجروا، فلم يكن أمامهم سوى الكدح في طلب الرزق، إذ أبت عليهم أنفسهم أن يعيشوا عالة على الأنصار، فاشتغل بعضهم بالتجارة بما اقترضه من أهل المدينة، ومن لم تكن له دراية بالتجارة كان يشتغل بالزراعة في أراضي الأنصار.

ولم يكن الأنصار أنفسهم من ذوي الثراء الواسع بل كان الأغنياء بينهم قلائل؛ وترجع أسباب ذلك إلى النظام الذي كان يسود يثرب قبل الهجرة؛ إذ كان اليهود يستأثرون دون الأوس والخزرج بالثروة ويسيطرون على النشاط الاقتصادي فيها، ومما زاد في فقر الأوس والخزرج احتدام النزاع بينهم وكثرة حروبهم التي صرفتهم عن العناية باقتصادياتهم، وقد استغل اليهود هذا الصراع فزادوه حدة واشتعالًا حتى لا يستقر الأمر للأوس أو للخزرج أو يصفو لهم الجو، وحتى يضطر كل من الفريقين إلى العمل كأجراء لدى اليهود؛ وبذا يسهل على هؤلاء الحصول على الأيدي العاملة بأرخص الأجور.

كانت الهجرة حدًّا فاصلًا بين عهدين، فمن الناحية الاقتصادية أخذ المسلمون يتحررون شيئًا فشيئًا من سيطرة اليهود؛ وذلك بفضل براعة المهاجرين في الشؤون التجارية، وقد أوغرت هذه المنافسة التجارية الشريفة على الزعامة الاقتصادية صدور اليهود على المسلمين وأثارت حقدهم وجعلهم يترقبون الدوائر بالمسلمين.

ولم تكن هذه الظروف الاقتصادية الشديدة ذات أثر في نفسية الرعيل الإسلامي الأول الذي كان على استعداد لبذل كل تضحية لإعلاء كلمة الحق.

أما من الناحية العسكرية فقد رأينا المسلمين يخرجون إلى بدر وليس معهم من وسائل الركوب سوى سبعين بعيرًا يعتقبون عليها، وكانت تنقصهم معدات القتال كالأدرع، كما كانت قوة الفرسان معدومة؛ إذ لم يكن لهم حتى غزوة أُحد سوى فرسين اثنين، وقد عوَّض رسول الله ﷺ هذا النقص بتكوين فرقة من الرماة، وسنذكر فيما بعد أهمية هذه الفرقة في الجيش الإسلامي.

وكانت العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية الناشئة مبنية على السلم والمحافظة عليه بعقد معاهدات ترد من يجترئ على الإخلال بقواعد السلام.

أما إذا أعلنت إحدى القوات الخارجية الحرب على المسلمين كما فعلت قريش فإن المسلمين يستخدمون معها جميع الطرق المشروعة للدفاع والتي تكفل رد العدوان مع رعاية القواعد الإنسانية التي شرعها رسول الله ﷺ والتي سنبينها عند مناسبتها.

وبالرغم من ذلك كله استطاع رسول الله ﷺ أن يؤمن الدولة الإسلامية الناشئة، وأن يهزم قريشًا في بدر: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران]، كما قَهر يهودَ بني قينقاع مع أن القوة الإسرائيلية في شمال الحجاز كانت تضاهي قوة قريش في الجنوب، وسيطر المسلمون على الموقف تمامًا حول المدينة، وقد زادت قوة المسلمين بما غنموه خلال انتصاراتهم وأصبح في استطاعتهم سنة ٣ هـ أن يبعثوا سبعمائة جندي للقتال.

دراسة القوات المناوئة للمسلمين:

أ ـ قريش: كانت قريش تعتمد في حياتها الاقتصادية على التجارة حتى اشتهر القرشيون بأنهم تُجَّار العرب، ونذكر فيما يلي المعاهدات مع الدول المحيطة ببلادهم:

١ـ مع الروم: والذي تولى عقدها هاشم بن عبد مناف، وكان يتردد على الشام، وقابل قيصر الروم فأُعجب به وطلب منه أن يتردد عليه، ولما رأى منزلته عند القيصر فاتحه في أن يكتب كتابًا لقريش يؤمِّن فيه تجارتهم فكتب له أمانًا بذلك. [**أسواق العرب ـ سعيد الأفغاني ص ١٠١، وصبح الأعشى ١/ ٣٥٨**].

٢ ـ مع ملوك اليمن: أخذ المطلب بن عبد مناف عهدًا من ملوك اليمن لمن اتجر إليهم من قريش.

٣ ـ مع الحبشة: أخذ عبد شمس بن عبد مناف عهدًا مثله من الحبشة.

٤ ـ مع كسر فارس: أخذ نوفل بن عبد مناف عهدًا من كسرى فارس لقريش.

وترتب على هذه المعاهدات القيام برحلة الشتاء إلى الجنوب ورحلة الصيف إلى الشمال: وكانت رحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة، ورحلة الصيف إلى الشام وفارس.

وكان هذا النشاط التجاري يعتريه الفتور إذا ساءت العلاقات بين القرشيين وبين هذه الدول كما حدث حين غزت الحبشة مكة عام الفيل.

كما أن العلاقات بين العرب والفرس قد اضطربت نظرًا لاضطراب أحوال الفرس من جهة ولسوء علاقتهم مع القبائل العربية المجاورة من جهة أخرى؛ مما أدى إلى عدم انتظام العلاقات الاقتصادية وانقطاعها أحيانًا.

وكان القرشيون يحملون من أسواق الجنوب البضائع التي ترد من الشرقين الأقصى والأوسط، مثل: التوابل، والطيب، والمنسوجات، والجلد، والأسلحة، والمعادن النفيسة إلخ.. فيبيعون في أسواق العرب المحلية ما شاؤوا، ويحملون ما تبقى إلى الشام، وعند عودتهم من الشام يجلبون معهم الحبوب والأخشاب وغيرها، فيوزعون منها على الأسواق المحلية، ويحملون الباقي إلى الجنوب؛ فكانوا بمثابة الوسطاء بين إقليم البحر الأبيض شمالًا وبين الأقاليم الموسمية جنوبًا، وقد أَثْرت من وراء هذه القوافل التجارية بيوتات كثيرة من قريش، وكانت هذه الثروة سببًا في إيجاد سوق مالية للإقراض والسمسرة والعمولة والربا الفاحش الذي كانت تصل فائدته أحيانًا إلى ١٠٠٪ أو أكثر.

[مجلة غرفة القاهرة ـ العدد الثاني ـ فبراير ١٩٥١م مقال بعنوان (رحلة الشتاء والصيف) ص ١٣٣] .

وكانت البطون العريقة في قريش تقتسم فيما بينها المناصب الكبرى، فاختص الهاشميون بالسقاية، وبنو سهم بجباية الأموال، وبنو عدي بالسفارة، وبنو مخزوم بالقبة، وبنو أمية بالعقاب، وبنو تيم بالديات، وبنو نوفل بالرفادة، وإن كان الجميع يشتركون فيها تبعًا لرغبتهم، وبنو عبد الدار بالسدانة والحجابة والندوة [(١)]، واللواء؛ ولذا نجد أن قريشًا تعقد لهم لواءها في غزوة بدر وفي غزوة أُحد، وكانت لبني أسد المشورة، ولبني جُمح الأزلام.

وقد أكسبت التجارة قريشًا [(٢)] عِلمًا بالأحوال السياسية والاجتماعية للأمم المجاورة، كما أكسبت القرشيين جُرأة وعِزة وخبرة بالرحلات ودراية بالطرق والمسالك؛ فكانت لهم مكانة خاصة في نفوس

---

(١) هي دار مشورة قريش، وكانت ملاصقة للبيت الحرام من ناحية الجهة الشامية من الكعبة، وكانت دارًا واسعة تقضي فيها قريش شؤونها العامة:

أ ـ في دار الندوة كانت تعقد قريش لواءها إذا خرجت للحرب .

ب ـ ومن دار الندوة ترحل قوافلها للتجارة، وفي فنائها تحط هذه القوافل حمولتها إذا رجعت .

نقلًا عن كتاب: صور من التاريخ الإسلامي: للأستاذ الكبير عبد الحميد العبادي ﷬ ص ٨ .

(٢) راجع ما كتبه د/ حسن إبراهيم حسن عن أثر التجارة في القرشيين في كتابه: تاريخ الإسلام السياسي ١/ ٧٨ وما بعدها .

العرب جميعًا؛ لولايتهم شؤون البيت الحرام من جهة؛ ولسيطرتهم على الشؤون الاقتصادية في جنوب الحجاز من جهة أخرى، وقد ترتب على مركزهم الاقتصادي عقد معاهدات محلية بينهم وبين القبائل لتأمين الطرق التجارية للقوافل، فكانت هذه القبائل تكف عن النهب والسلب وتقوم بخفارة هذه القوافل، إما في نظير مبلغ معلوم يأخذونه من القرشيين، أو في مقابل إرسال بضائعهم مع القرشيين لتصريفها بمعرفتهم.

هذا من الناحية الاقتصادية.

أما من الناحية العسكرية فكانت قوة قريش لا يُستهان بها إذ كان في استطاعتها أن تعبئ خمسة آلاف مقاتل مسلحين بأجود أنواع الأسلحة، مزودين بقوة كافية من الفرسان، هذا فضلًا عن وفرة المؤن ووسائل الانتقال، ولم تخرج قريش يوم بدر بألف مقاتل إلا لاستهانتها بعدد المسلمين ولقلتهم في نظرها، وقد تلافت هذا التقصير في غزوة أُحد فجهزت ثلاثة آلاف مقاتل أنفقت عليهم وسيَّرتهم حتى المدينة، وهذا ما لا تستطيعه قبيلة إلا إذا كانت منيعة الجانب واسعة الثراء.

وكان للقرشيين فوق ذلك قوة من الجيش وكانت عبارة عن طبقة من العبيد مسلوبة الحقوق العامة ومسخرة لأشراف مكة وسراتها في حالتي السلم والحرب، وبعض هذه الطبقة قد شُري بالمال، وبعضها كان من فلول الحبش بعد أن قام سيف بن ذي يزن بتحرير اليمن من حكمهم، ولما ظهر الإسلام أسرع عدد وافر منهم إلى اعتناقه، فَجَرَّ ذلك عليهم اضطهاد أوليائهم وقبائلهم، ومن هذه الطبقة: أبو رافع، بلال بن رباح، عامر بن فهيرة، وحشي قاتل حمزة ﷺ، صؤاب وهو ممن حملوا لواء قريش يوم أُحد.

ليس هذا فقط، بل كان لقريش قوة أخرى هي قوة الأحابيش، وسنتكلم عليها بعد قليل.

لقد أعلنت قريش الحرب على المسلمين واستخدمت كل الطرق لإيذاء المسلمين والنَّيْل منهم: من مصادرة لأموال المهاجرين، وإثارة للقبائل، ومحاولة لاغتيال رسول الله ﷺ، كما استغلت مكانتها الدينية والأدبية لصرف القبائل عن الإسلام، وكان ذلك يسيرًا عليها إذ كانت مكة ملتقى لجميع العرب، وكانت تترصد من يؤمن فتُنزل به أشد ضروب العذاب والنكال، وكانت تستأجر الشعراء لتنفير القبائل على المسلمين وتأليبها عليهم، وكانت ترمي من وراء ذلك إلى منع انتشار الإسلام وإضعاف القوة المعنوية للمسلمين، وتجريدهم من الأنصار وحصرهم في المدينة حتى يتيسر لها القضاء عليهم.

عطف رجال من قريش على المسلمين:

لم تخل قريش ممن يعطف على المسلمين وكان ضلع معظم الذين ظلوا في مكة من الهاشميين مع المسلمين إلا أن أَحدًا كان لا يستطيع المجاهرة بذلك، وقد قوَّى انتصار بدر عزيمة هؤلاء وجعلهم يجاهرون بهذا العطف، وفي ذلك قَالَ أَبُو رَافِعٍ (كان في ذلك الوقت غلام للعباس وكان يكتم إسلامه) مَوْلَى

رَسُولِ الله ﷺ: كُنْت غُلَامًا لِلعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَ الإِسْلَامُ قَدْ دَخَلَنَا أَهْلَ البَيْتِ، فَأَسْلَمَ العَبَّاسُ، وَأَسْلَمَتْ أُمُّ الفَضْلِ، وَأَسْلَمْتُ، وَكَانَ العَبَّاسُ يَهَابُ قَوْمَهُ وَيَكْرَهُ خِلَافَهُمْ، وَكَانَ يَكْتُمُ إِسْلَامَهُ، وَكَانَ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ مُتَفَرِّقٍ فِي قَوْمِهِ، وَكَانَ أَبُو لَهَبٍ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ بَدْرٍ، فَبَعَثَ مَكَانَهُ العَاصِي بْنَ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَكَذَلِك كَانُوا صَنَعُوا، لَمْ يَتَخَلَّفْ رَجُلٌ إِلَّا بَعَثَ مَكَانَهُ رَجُلًا، فَلَـمَّا جَاءَهُ الخَبَرُ عَنْ مُصَابِ أَصْحَابِ بَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، كَبَتَهُ اللهُ وَأَخْزَاهُ، وَوَجَدْنَا فِي أَنْفُسِنَا قُوَّةً وَعِزًّا.

قَالَ: وَكُنْتُ رَجُلًا ضَعِيفًا، وَكُنْتُ أَعْمَلُ الأَقْدَاحَ، أَنْحَتُهَا فِي حُجْرَةِ زَمْزَمَ، فَوَاللهِ إِنِّي لَجَالِسٌ فِيهَا أَنْحَتُ أَقْدَاحِي، وَعِنْدِي أُمُّ الفَضْلِ (زوجة العباس عم رسول الله ﷺ) جَالِسَةٌ، وَقَدْ سَرَّنَا مَا جَاءَنَا مِنَ الخَبَرِ، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو لَهَبٍ يَجُرُّ رِجْلَيْهِ بِشَرٍّ حَتَّى جَلَسَ عَلَى طُنُبِ (الحبل تشد به الخيمة) الحُجْرَةِ، فَكَانَ ظَهْرُهُ إِلَى ظَهْرِي، فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ إِذْ قَالَ النَّاسُ: هَذَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ـ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَاسْمُ أَبِي سُفْيَانَ الْمُغِيرَةُ ـ قَدْ قَدِمَ.

قَالَ: فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: **هَلُمَّ إِلَيَّ، فَعِنْدَكَ لَعَمْرِي الخَبَرُ**، قَالَ: فَجَلَسَ إِلَيْهِ، وَالنَّاسُ قِيَامٌ عَلَيْهِ، فَقَالَ: **يَا ابْنَ أَخِي، أَخْبِرْنِي كَيْفَ كَانَ أَمْرُ النَّاسِ؟** قَالَ: **وَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ لَقِينَا القَوْمَ فَمَنَحْنَاهُمْ أَكْتَافَنَا يَقُودُونَنَا كَيْفَ شَاؤُوا، وَيَأْسِرُونَنَا كَيْفَ شَاؤُوا، وَايْمُ اللهِ مَعَ ذَلِكَ مَا لُـمْتُ النَّاسَ؛ لَقِينَا رِجَالًا بِيضًا، عَلَى خَيْلٍ بَلْقٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَاللهِ مَا تُلِيقُ شَيْئًا، وَلَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ.**

قَالَ أَبُو رَافِعٍ: فَرَفَعْتُ طُنُبَ الحُجْرَةِ بِيَدَيَّ، ثُمَّ قُلْتُ: **تِلْكَ وَاللهِ الْمَلَائِكَةُ**، قَالَ: فَرَفَعَ أَبُو لَهَبٍ يَدَهُ فَضَرَبَ بِهَا وَجْهِي ضَرْبَةً شَدِيدَةً، قَالَ: وَثَاوَرْتُهُ (وثبت إليه)، فَاحْتَمَلَنِي فَضَرَبَ بِي الأَرْضَ، ثُمَّ بَرَكَ عَلَيَّ يَضْرِبُنِي، وَكُنْتُ رَجُلًا ضَعِيفًا، فَقَامَتْ أُمُّ الفَضْلِ إِلَى عَمُودٍ مِنْ عُمُدِ الحُجْرَةِ فَأَخَذَتْهُ فَضَرَبَتْهُ بِهِ ضَرْبَةً فَعَلَتْ فِي رَأْسِهِ شَجَّةً مُنْكَرَةً، وَقَالَتْ: **اسْتَضْعَفْتَهُ أَنْ غَابَ عَنْهُ سَيِّدُهُ**، فَقَامَ مُوَلِّيًا ذَلِيلًا، فَوَاللهِ مَا عَاشَ إِلَّا سَبْعَ لَيَالٍ حَتَّى رَمَاهُ اللهُ بِالعَدَسَةِ فَقَتَلَتْهُ. [السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٦٤٦-٦٤٧].

وقد أدى هؤلاء أجل الخدمات للمسلمين إذ كانوا يطلعونهم على ما تبيته قريش؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ لأصحابه في غزوة بدر: «**مَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَلَا يَقْتُلْهُ...، وَمَنْ لَقِيَ العَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، عَمَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَا يَقْتُلْهُ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا أُخرِجَ مُسْتَكْرَهًا**»، ولم يفهم أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة رضي الله عنه سر هذا الأمر ولا يجوز توضيحه له فقال: «**أَنَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَتَنَا وَعَشِيرَتَنَا وَنَتْرُكُ العَبَّاسَ! وَاللهِ لَئِنْ لَقِيتُهُ لَأُلْجِمَنَّهُ السَّيْفَ**»، وقد أُسر العباس في بدر وقُتل فيها والد حذيفة وشقيقه وعمه، نسي حذيفة موقف الهاشميين من رسول الله ﷺ قبل الهجرة، وغاب عنه استماتة أبي طالب في الدفاع عن رسول الله ﷺ ووقوفهم مع رسول الله ﷺ حين حاصرت قريش المسلمين في شِعب بني

هاشم مدة ثلاث سنوات، وقد صمد الهاشميون لهذا الحصار القاتل ولم يكن ليصمد له غيرهم لما عرفوا به من شجاعة وصبر ونجدة وحمية وكرم.

ثم قل لي بربك لو كان بين أعدائك أنصار ثم إنك قتلت هؤلاء الأنصار فماذا تكون النتيجة! يترتب على ذلك عدم تجاسر أحد على نصرتك وفقدانك لمصدر مهم من المصادر التي تمدك بأسرار أعدائك وأخبارهم دون أن تتكلف خسائر في الأموال والأرواح خلال بثك للطلائع، والأهم من هذا كله أنك تكون قد قمت بنفسك بتوحيد كلمة أعدائك عليك بتطهير صفوفهم من أنصارك، ثم إنه لا يجوز أن تبين لعدوك مَنْ أنصارك في صفوفه كيلا يضطهدهم أو يقتلهم إن استطاع.

لقد كان خروج الهاشميين مع القرشيين في بدر إن هو إلا مراعاة لتقاليد الجاهلية لا غير وهم ما بين كاره ومستكره، ولم يكن أبو لهب بينهم، ولو كان بينهم لقُتل لإيذائه للمسلمين، وهو وإن كان قد نجا من بدر إلا أنه لم ينجُ من زوجة العباس في مكة، فقد ضربته كما مر بنا ضربة كانت سببًا في وفاته، وكان العباس أسرع الهاشميين في مكة إلى مساعدة رسول الله ﷺ، وهذا هو السر في أنه ﷺ نص على اسمه بالذات في بدر.

حلفاء قريش «الأحابيش»:

أخطأ المستشرق اليسوعي (لامانس [P. Lammens: Bercèau de L, Islam]) في كتابه (مهد الإسلام) حين ذهب إلى أن الأحابيش إن هم إلا زنوج من الحبشة، والظاهر أنه نظر إلى اللفظ فساقه إلى هذا الوهم.

وفي الحقيقة أن اللفظ نفسه يدل لغويًّا على التجمع، هذا من الناحية اللغوية، أما من الناحية التاريخية فجميع المصادر العربية الأصيلة قد استعملت هذا اللفظ في الدلالة على القوة العسكرية التي كانت قريش تستأجرها قبل إسلامها للدفاع عن بلادها وقوافلها ومهاجمة أعدائها، وكان الأحابيش كما ذكر ابن إسحاق في سيرة ابن هشام عبارة عن حلف قوامه أحياء من عرب كنانة (منهم بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة)، والهون بن خزيمة (منهم عضل والقارة) وهؤلاء ينزلون في تهامة غرب الحجاز ناحية البحر الأحمر، وهنالك خزاعة وتنزل قريبًا من مكة، وكان سيد الأحابيش وقت أُحد هو الْحُلَيْسُ بْنُ عَلْقَمَةَ أَوْ ابْنُ زَبَّانَ، وَهُوَ أَحَدُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ [**السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٣١٢. وينظر موقفه في صلح الحديبية بالتفصيل**]، وكانوا في محالفتهم مع قريش يعاملونها معاملة الحليف لحليفه، وكانت لهم كلمة مسموعة في الشؤون العامة لقريش، وكانت قريش تحترمهم لحاجتها إلى قوتهم.

ب ـ العرب عامة: كان العرب في ذلك الوقت يلتزمون الحياد حيال الصراع القائم بين مكة والمدينة، هذا مع عدم تخليهم في معاملة المسلمين عن عاداتهم الجاهلية إذ كانوا يحاولون الغارة على المدينة بين فَيْنة وأخرى.

وقد سلك المسلمون سياستين مختلفتين مع العرب تهدف كل منهما إلى تأمين مركزهم في المدينة وإلى إحكام الحصار الاقتصادي على قريش:

١ـ سياسة سلمية اتبعت مع عرب الحجاز للمحافظة على السلم في الحجاز، وقد عقد رسول الله ﷺ معهم حلفين دفاعيين هجوميين: وقد تم الأول أثناء غزوة الأبواء [**كانت في صفر سنة ٢ هـ والأبواء تقع شمال المدينة بنحو ٢٨ كيلو مترًا**]، وكان مع بني ضَمْرَة في الشمال، والثاني أثناء غزوة العشيرة [**كانت في جمادى الأولى سنة ٢هـ**]، وكان مع بني مدلج في الجنوب.

ولما كان عرب الحجاز يسيطرون على الطريق الشامي للقوافل، فإن هذا الطريق بعد موادعة قبائله أصبح تحت سيطرة المسلمين.

٢ ـ وسياسة دفاعية اتبعت مع القبائل الشرقية من ناحية نجد، وكانت هذه القبائل تمتاز بخشونتها وجرأتها وحبها للغارات طبقًا لعادات الجاهلية، فكان رسول الله ﷺ يقصد كل تجمع تعقده بقصد تهديد المسلمين أو النَّيْل منهم فيفرقه بهدوء ويكتفي ﷺ بهرب عدوه منه فيرجع.

ج ـ المنافقون: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَـٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران].

والمنافقون قوم أبناء عمومة الأنصار أبطنوا الكفر وأضمروا العداء، ثم أعلنوا الإسلام وتظاهروا بالمحبة الصافية وانتحلوا الإخاء المصفَّق (الصافي) واصطفوا الود المتحول، وإن قلوبهم لتنطوي على المرض والحقد والغدر والمكر، زعموا أن سيوفهم مع المسلمين، صدقوا ولكن قلوبهم كانت مع الكفار، وزعموا أنهم خالصون خيرون، كذبوا هم جبناء أخساء أشرار: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة]، لم يقولوا كلمة الإسلام في صدق فينتظمون في عقد الأنصار، ولم يعلنوا الكفر واضحًا فيُجري عليهم الرسول ﷺ حُكم الكفار: مذبذبين بين ذلك: لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء؛ ولهذا كانوا أشد ضررًا وأبلغ في الأذى أثرًا، إذ إن رسول الله ﷺ ما كان في استطاعته إلا أن يكتفي بظاهرهم ويكل إلى الله ما في سرائرهم، وكان ظاهرهم السلم والإسلام وباطنهم الكفر والكفران، وظلوا على هذا شوكة في جنب المسلمين وقذى في العيون وقرحة في الأكباد.

[قصص القرآن ـ محمد أحمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون ص ٣٥٣: ٣٥٧].

ولما كان المنافق يمتاز بخسة النفس والحقد والجبن الذي يمنعه من التصريح بدخيلته؛ لذا دأب المنافقون على محاربة المسلمين ويغرون الأعداء بهم، وكان على رأسهم عبد الله بن أُبي بن سلول الخزرجي الذي كان يطمع في الوصول إلى زعامة الأوس والخزرج، ولا يمكنه أن يحقق أطماعه الخبيثة ما دامت الدعوة الإسلامية قائمة، فكان يتربص بالمسلمين الدوائر، وكانت كلما ازدادت القوة الإسلامية شوكة ازداد ابن أُبي نفاقًا، وقد نزل عليه وعلى أتباعه نصر بدر نزول الصواعق.

وكان ابن أُبي يعتد ويعتز باليهود ويدخرهم لنصرته؛ يتضح ذلك من موقفه في حادث بني قينقاع إذ أدخل يده في جيب رسول الله ﷺ وهو يقول: «**لَا وَاَللهِ لَا أُرْسِلْكَ حَتَّى تُحْسِنَ فِي مَوَالِيَّ، أَرْبعُمِائَةِ حَاسِرٍ** (الذي لا درع له) **وَثَلَاثِمِائَةُ دَارِعٍ** (الذي عليه الدرع)، **قَدْ مَنَعُونِي مِنْ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، تَحْصُدُهُمْ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ، إنِّي وَاَللهِ امْرُؤٌ أَخْشَى الدَّوَائِرَ**». [**سيرة ابن هشام ٢/ ٤٩، ومغازي الواقدي ١/ ١٧٧-١٧٨**].

ولم يمنعه من نصرة اليهود وقتال المسلمين سوى جبنه وعدم ثقته في نفسه وفي قوة أتباعه [(١)].

د ـ اليهود: لا يخفى أن اليهود كانوا إبان البعثة النبوية قوة كبيرة في شمال الحجاز تعادل قوة قريش في جنوبه، ومعنى ذلك أن الحجاز كان مقسومًا بينهما قسمة طبيعية، فنفوذ قريش يشمل جنوبي الحجاز من المدينة حتى الطائف، ونفوذ اليهود يشمل شماليه، وكان يمتد من المدينة حتى تيماء، وهي واقعة في أقصى حدود الحجاز الشمالية، ولولا الزعامة الدينية التي كانت تتمتع بها قريش بين العرب وما كان لها من مقام أدبي وديني في نَظَرهم لحراستها البيت الذي يقدسونه ويحجون إليه، وقيامها على خدمته وسدانته، لقلنا إن نفوذ اليهود كان أكبر؛ لأنهم أكثر ثروة وغنى وأوفر سلاحًا؛ ولأن بلدانهم كانت حصينة وكانوا يسيطرون سيطرة فعلية على اقتصاديات شمالي الحجاز، وكانت زراعته أيضًا في أيديهم، وما كان للعرب في مناطق اليهود أي نشاط اقتصادي، بل كان معظمهم يشتغلون أُجراء لديهم يعملون على تنمية زراعتهم ويخدمونهم بالأجرة، ولا شك أن هذا الفقر الذي نشره اليهود في هذه المناطق كان من العوامل الهامة التي أدت إلى كثرة الحروب بين العرب وخصوصًا بين الأوس والخزرج حتى أنقذهم رسول الله ﷺ من هذه الفوضى التي كانوا يعيشون في حمأتها.

وكانت مناطق اليهود في شمال الحجاز موزعة كما يلي:

منطقة المدينة، وتشمل:

١ ـ بنو قينقاع داخلها وتعدادهم = ١٤٠٠

٢ ـ بنو قريظة في جنوبها الشرقي = ١٥٠٠

٣ ـ بنو النضير في بطحان غربها = ١٥٠٠

---

(١) افتضح أمره في غزوة بني المصطلق كما سيأتي تفصيله في الحديث عنها .

٤ ـ بطون نازلة بين الأوس والخزرج = ٦٠٠

المجموع = ٥٠٠٠

منطقة خيبر وأهلها أشد اليهود قوة وأوسعهم ثراء، وتشمل:

١ ـ خيبر وتعدادها = ٣٠٠٠

٢ ـ وادي القرى = ٥٠٠

٣ ـ فدك = ٥٠٠

المجموع = ٤٠٠٠. [غزوة أُحد لخلف الله ١٠-٢٣].

الجو العام قبل غزوة أُحد:

يقول أ/ كولن: «لقد أدت هزيمة معركة بدر إلى إثارة حقد وغيظ مشركي مكة ولاسيما عند أولئك الذين قُتل أقرباؤهم أو أبناؤهم، فهؤلاء كانوا يثيرون أهل مكة على الدوام ويحرضونهم على الانتقام وعلى أخذ الثأر.

ولم تكن جهود الإثارة منحصرة في مكة فقط، فقد كانت هناك جهود مبذولة في المدينة أيضًا في هذا الاتجاه بوساطة كعب بن الأشرف، وكان هذا يهوديًّا يحاول إلقاء الفتنة بين المؤمنين بأشعاره التي يشبب بها بنساء المسلمين ويفتري عليهن، بل إنه لم يتورع من مد لسانه القذر إلى الرسول ﷺ نفسه، ومع أن المسلمين كانوا يحسون بضيق شديد من هذا الوضع إلا أنهم كانوا دائمًا يجابَهون بصبر الرسول ﷺ وحلمه ونظرته البعيدة.

بدأ المشركون أيضًا بترتيب السرايا، فقد تعلموا هذا وبدأوا يحاولون بترتيب هذه السرايا التي كانت تقوم بأعمال النهب والسلب وإضعاف الروح المعنوية لأهالي المدينة.

وكانوا أحيانًا ينجحون في هذا، واستمر هذا طوال سنة بعد معركة بدر، وبدأ المكيون يضايقون أهل المدينة مضايقة الجراثيم للجسم؛ لذا كان من الضروري حفظ المدينة ـ المؤهلة لأن تكون مهدًا للمدنية ـ من جميع الجراثيم الضارة، وهذا ما فعله الرسول ﷺ.

في هذه الفترة قُتل كعب بن الأشرف أعدى أعداء الإسلام؛ لأنه كان على رأس شبكة خائنة، فكان قتله ضروريًّا، وقام محمد بن مسلمة ﵁ بهذه المهمة.

[ينظر: البخاري المغازي ١٥ - ١٦، مسلم، الجهاد ١١٩، السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٥٨].

وبدأ يهود بني قينقاع بإثارة المتاعب فقد تَحرَّشوا بامرأة مسلمة، وفي حادثة الشغب التي أعقبت هذا التحرش قُتل رجال من الطرفين، ولم يكتفوا بهذا بل قالوا للرسول ﷺ وهم مطمئنون إلى قلاعهم

الحصينة: **يَا مُحَمَّدُ، لَا يَغِرَّنَّكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنَّكَ قَتَلتَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ، كَانُوا أَغْمَارًا لَا يَعْرِفُونَ القِتَالَ، إنَّكَ وَاللهِ لَوْ قَاتَلتنَا لَعَرَفْت أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ وَأَنَّكَ لَمْ تَلقَ مِثْلَنَا.**

فتوجه إليهم الرسول ﷺ لأنهم برهنوا أنهم أناس لا يمكن الاطمئنان إليهم، وأنهم على استعداد دائم لإثارة الشغب والمشاكل، وقد ندم اليهود على فعلتهم واضطروا إلى الاستسلام، ولكن الرسول ﷺ أخرجهم من المدينة لأنه لم يكن مطمئنًّا إليهم.

وبخروجهم أصبحت المدينة المنورة أكثر أمانًا.

في هذه الأثناء كانت مكة تغلي، فقد أقسم أبو سفيان أن لا يمس الطيب حتى ينتقم من المسلمين، حتى إنه أتى مرة إلى المنطقة التي يسكنها يهود بني النضير وأشعل النار في بيت أو بيتين من بيوت المسلمين ثم هرب إلى مكة». [**النور الخالد محمد ﷺ لكولن ٦٧-٦٨**].

ويقول أ/ الشافعي: «غفت عين المدينة بعد جلاء بني قينقاع عنها، وانكمش غير المسلمين من ساكنيها، وسادت ربوعها موجة من الهدوء بعد هذه العواصف التي كانت اليهود مثارها.

ولم يركن النبي ﷺ إلى استقرار الأمر له، كما لم يُخْدَع من قبلُ بما أحرزه من نصر، ولم يغفل عما يُدبَّر له في غده، فهو يعلم أن لقريش على العرب سيادة لا تزال، ولن يَغمض لها جفنٌ قبل أن تأخذ بثأرها منه، وما حادثة قافلة «صفوان بن أمية» ببعيد.

إن بُعد نظر النبي ﷺ وفطنته السياسية يوجبان عليه أن يُعد للأمر عُدته، وأن يَحسب لطوارئ الليالي حسابها.

لقد حصَّن جبهته الداخلية، فوطَّد الروابط بينه وبين أصحابه فصفُّهم وراء قيادته قويٌّ متماسك، وقلوبُهم تفيض له حبًّا وبه تمسكًا، وكَفل لأصحابه من القوة ما جعلهم أكفاء لكل مواجهة».

[**غزوة أحد للشافعي ٢٨-٢٩**].

المبحث الثاني
أسباب المعركة واستعدادات المشركين

تاريخ الغزوة:

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: «وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، حِينَ صَلَّى الْجُمُعَةَ، فَأَصْبَحَ بِالشِّعْبِ مِنْ أُحُدٍ، فَالْتَقَوْا **يَوْمَ السَّبْتِ فِي النِّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ**».

[مجمع الزوائد في الجهاد ٦/ ١٨٢ رقم ١٠١٢٤، وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ٣/ ١٤١ رقم ٢٩٢٩]، ورجاله ثقات. والسيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٠٠].

وقال ابن كثير: «وَكَانَتْ هَذِهِ الْغَزْوَةُ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ، قَالَهُ الزُّهْرِيُّ، وَقَتَادَةُ، وَمُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، وَمَالِكٌ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: لِلنِّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: يَوْمَ السَّبْتِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْهُ». **[البداية والنهاية لابن كثير ط هجر ٥/ ٣٣٨].**

وحسب جداول الكتب التي تتناول التواريخ الهجرية ومقارنتها بالشهور الميلادية والقبطية، فإن شهر شوال سنة ٣ هـ يبدأ في يوم الأحد، وبالتالي فيوم السبت يوافق ١٤ وليس ١٥ كما قال ابن إسحاق، وهو ما يوافق ٣٠ مارس (آذار) ٦٢٥م/ ٤ برموده ٣٤١ قبطي.

وأن يوم الحادي عشر على قول قتادة هو يوم الأربعاء، وهو مخالف لكل من عرض أحداث الغزوة من خروجه يوم الجمعة والالتقاء بالمشركين يوم السبت.

وقال الواقدي: «غَزْوَةُ أُحُدٍ يَوْمَ السَّبْتِ لِسَبْعٍ خَلَوْنَ مِنْ شَوَّالٍ، عَلَى رَأْسِ اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ شَهْرًا». **[المغازي للواقدي ١/ ١٩٩].**

وقال ابن سعد: «ثُمَّ غَزْوَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُحُدًا يَوْمَ السَّبْتِ لِسَبْعِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ شَوَّالٍ عَلَى رَأْسِ اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ شَهْرًا مِنْ مُهَاجَرِهِ». **[الطبقات الكبير ٢/ ٣٣ رقم ١٦٢٨].**

وقال ابن القيم: «وَكَانَتْ وَقْعَةُ أُحُدٍ يَوْمَ السَّبْتِ فِي سَابِعِ شَوَّالٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ». **[زاد المعاد ٣/ ٢١٨].**

وأرى أن هذا التاريخ هو الصواب، وهو ما يوافق ٢٣ مارس (آذار) ٦٢٥م/ ٢٧ برمهات ٣٤١ قبطي. **[ينظر: التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية والقبطية لمختار باشا ص ٣٥، والمعجم المختصر للوقائع من بدء الهجرة حتى عام ١٩٥٠م للعيس ص ٨].**

وقال الجنرال أ. أكرم: «لقد ذكر بعض المؤرخين أن تاريخ معركة أحد يقع بعد أسبوع من التاريخ المذكور، لكن الأصح هو هذا التاريخ». **[سيف الله خالد بن الوليد ﷺ لأكرم ص ٤٧].**

أسباب المعركة:

«وقد كانت هذه المعركة ثاني معركة دامية طاحنة يخوضها المسلمون ضد مشركي مكة، وهي أعظم من معركة بدر (حيث كثرة الاستعداد وضخامة القوات التي اشتبكت فيها)». [**غزوة أُحد لباشميل ٥٣**].

«لقد كانت أسباب غزوة أحد هي هي الأسباب الرئيسة لحروب الكفار والمشركين للإسلام والمسلمين على مدار القرون الإسلامية المتعاقبة، تزيد قليلًا أو تنقص، ولكنها في مجملها لا تخرج عن هذه الأسباب التي دفعت كفار مكة إلى غزوة أحد.

وعندما نتحدث عن غزوة أُحد خاصة نجد أن أسباب هذه الغزوة كانت نتيجة تراكمات كثيرة وسلسلة من الأحداث التي امتدت لفترة زمنية طويلة، بدأت منذ بُعث الرسول ﷺ، فأصل الأسباب هو الخلاف بين الرسول ﷺ وكفار قريش في مكة، والذي توج بأول صدام رئيس بين المسلمين وأعدائهم كفار قريش في غزوة بدر الكبرى، والتي كانت الضربة القاصمة، حيث قُتل فيها صناديد قريش وأشرافها وسادتها، وانتهت بانتصار الرسول ﷺ فيها، فكان هذا الانتصار بمثابة الصدمة العنيفة على كفار قريش.

وكان لهذا أثره على زعماء قريش، وعلى مكانتها الاجتماعية، وعلى متاجرها وقوافلها القادمة من الشام، وخاصة بعد أن رأوا من سيطرة المسلمين على طرق التجارة إلى الشام، حتى وصل الأمر بالمسلمين إلى الاستيلاء على قافلة قريش المتجهة إلى الشام في سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى القردة كما سبق تفصيل ذلك في الجزء الثاني من مجموعة غزوة بدر.

وبهذا تجمعت عدة مصائب على قريش، فمن القتلى إلى الهزيمة، إلى قطع طريق التجارة، بالإضافة إلى إذلال قريش بين القبائل العربية، إلى العار الذي لحق بها بصفتها تتزعم القبائل العربية.

كل ذلك زاد في حنق قريش وغيظها على المسلمين، مما جعلها تسارع في استعداداتها، وبذل قصارى جهدها وطاقتها المادية والمعنوية، ومحاولة إحكام خطتها في سبيل حشد جيش كبير تقضي به على المسلمين؛ للأخذ بثأر قتلاها في غزوة بدر الكبرى، ومحاولة لرد اعتبارها، والحد من قوة المسلمين التي تُحْكِم الحصار من حولهم. [**غزوة أحد دراسة دعوية لبامدحج ص ٦٧ – ٧٠ بتصرف**].

ومن هذا كله يتبين لنا أن أسباب غزوة أحد متعددة، منها: الديني، والاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي.

أ ـ السبب الديني: الصد عن سبيل الله:

إن الصراع بين الحق والباطل صراع أبدي لا يفتر، فقد أخبر المولى ﷻ أن المشركين ينفقون أموالهم في الصد عن سبيل الله، وإقامة العقبات أمام الدعوة الإسلامية، ومَنْعِ الناس من الدخول في الإسلام والسعي للقضاء على الإسلام والمسلمين ودولتهم الناشئة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾[الأنفال].

قال الطبري: يصرفون أموالهم وينفقونها؛ ليمنعوا الناس عن الدخول في الإسلام.

وقال ابن كثير: أخبر تعالى أن الكفار ينفقون أموالهم ليصدوا عن اتباع الحق.

وقال أيضًا: هي عامة، وإن كان سبب نزولها خاصًّا.

وقال الشوكاني: والمعنى أن غرض هؤلاء الكفار في إنفاق أموالهم هو الصد عن سبيل الحق بمحاربة رسول الله ﷺ وجمع الجيوش لذلك.

ومن هنا يظهر أن أهم أسباب غزوة أحد هو السبب الديني الذي كان من أهداف قريش للصد عن سبيل الله، واتباع طريق الحق، ومنع الناس من الدخول في الإسلام، ومحاربة الرسول ﷺ، والقضاء على الدعوة الإسلامية». [**غزوة أحد دراسة دعوية لبامدحج ص ٦٧ - ٧٠ بتصرف**].

«إن أهم الأسباب وأعظم العوامل لإشعال نار العداوة بين المسلمين والكفار تكمن في أن هناك حقًّا أتى به النبي ﷺ يدعو إليه ويأمر به، أمرهم بإفراد العبودية لله وحده، ونهاهم عن عبادة ما سواه من الأنداد، والأوثان، والطواغيت، وباطلًا تتمسك به قوى الكفر والضلال، فعنه تدافع، ومن أجله تناضل». [**غزوة أحد: دراسة تحليلية من خلال السيرة النبوية للسعيدي ص ٣٩**].

وهذا السبب هو الدافع الأول للحروب الصليبية، ولحروب التتار، وغيرهم، بقصد القضاء على الإسلام وإبادة المسلمين، فإن شعار هذه الحروب الباغية جميعها شعار واحد، وهو: «**دمروا الإسلام وأبيدوا أهله**». [**قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام وأبيدوا أهله ـ أ/ جلال العالم ص ٨٥**].

ولهذا على المسلمين أن يعوا الدرس في أن الحروب الغربية الحديثة هدفها ديني قبل كل شيء، سواء ما كان منها في العصور الوسطى ـ كما يسمونها ـ، أو ما كان منها في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، أو ما كان منها في القرنين العشرين والحادي والعشرين، وقد أعلنها صريحة رئيس وزراء إيطاليا ـ وغيره ـ مؤخرًا بأن الحرب على العراق «**حرب صليبية**»، وقد وعى علماء الإسلام هذا الأمر، فأعلن الأزهر الشريف على لسان المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة بأن الحرب على العراق هي: «**حرب صليبية جديدة**».

ب ـ السبب الاجتماعي: محو عار الهزيمة:

تقيم العرب للانتصار في الحروب قيمته، وتعد الهزيمة مذلة، تبذل قصارى جهدها في غسلها مهما كلفها ذلك، ولقد كان للهزيمة الكبيرة في غزوة بدر الكبرى، وقتل السادة والأشراف من قريش وَقْعٌ كبير من الخزي والعار الذي لحق بهم، وجعلهم يشعرون بالمذلة والهزيمة؛ ولذلك بذلوا قصارى جهدهم في غسل هذه الذلة والمهانة التي لصقت بهم؛ لذلك شرعوا في جمع المال لحرب الرسول ﷺ فور عودتهم من بدر. [**ينظر: غزوة أحد دراسة دعوية لبامدحج ص ٧٢، والسيرة النبوية للصلابي ٢/ ١٠١-١٠٢**].

لقد «ذهب طلقاء بدر يجُرُّون أذيال الخيبة والحسرة إلى مكة، وكانت فلول الجبن المشرَّدة قد باءت ذليلة إليهم، واجتمع هؤلاء وهؤلاء، والحقد الحانق يشوي أكبادهم، وحفائظ الضغينة تملأ قلوبهم، فلم تترك فيها مكانًا لغير المناداة بالثأر لقتلى أشرافهم في بدر، ممن سُحبوا على وجوههم إلى القليب على أوجع صورة وأشنع ما يستحقه الفاجرون من الكافرين المفترين على الله الكذب، المغرورين بما في أيديهم من قوى مادية بشرية، وعتاد حربي». [**محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٣/ ٥٤٥-٥٤٦**].

وهذا السبب الاجتماعي أيضًا ما زال ساريًا في المجتمعات المعادية للإسلام، فهم لم ينسوا ما كان من هزيمتهم أمام جيوش المسلمين في القرون الإسلامية المتعاقبة، ففي الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٧م يدخل القائد البريطاني «**اللنبي**» «**القدس الشريف**»، ويمر بحشود السكان المهلِّلة، وهو يؤم صفوف الموكب العسكري على صهوة جواده، لكن المشاعر التي اعتملت في صدره، وانعكس لونها على مُحيَّاه، ليست من وحي اللحظة كما يلوح، ليست اعتزازًا بنصر، ليست إدلالًا بقوة، ليست طمأنينة إلى مصير، إنها ذخر نفسي من نوع آخر، فرح قديم دفين يتفجر الآن!

في تفاخر هو الكبر، وزهو هو البطر، وثقة هي الغرور، يصعر خديه، ينفخ صدره الذي ورَّمه التيه، يشد قامته التي مطها الاستعلاء، يحشو عينه بوهج الكراهية، ويرسم على فمه بسمة صفراء، ثم يرمي بنظرة صلف إلى المسجد الأقصى، وقبة الصخرة، وكنيسة القيامة، وما إلى هنالك من مواقع التراث الروحي الخالد، ليقول في تجبر واستكبار: «**اليوم انتهت حقًّا الحروب الصليبية**».

وينزاح عن صدره وقر مئات الأعوام، ويتنفس الصعداء، أو يتنفس الخيلاء!

بل لعله قد طاف ببصر ملؤه الاستهانة والامتهان، يكتسح بومضه جموع العرب الذين شاركوه الكفاح، وشاركوه الانتصار، وشاركوه الاحتفال!». [**صليبية إلى الأبد لعبد المقصود ١٩-٢١**].

وفي عام ١٩٢٠م يخترق «**جورو**» القائد الفرنسي الأبتر دمشق العاصمة الحزينة، بموكب يسبح على الدماء والدموع، يدوس أشلاء شرف الوعد الغربي، يمشي على حطام صداقة الأصدقاء، ثم يمضي الرجل مزهوًّا بركبه العسكري، نحو مثوى السلطان الناصر صلاح الدين.

وبقلب مقروح، وصدر مغلول، وعين يملؤها الحقد، يتقدم وهو مشتعل الغضب إلى القبر، حتى ليحسب الناس أن ذلك الثاوي فيه هو الذي فصل عن جسده ذراعَه المبتور!

بأقصى ما تستطيع أن تصوغه كراهية، وتفرزه شماتة، يفح الأبتر فحيح ثعبان، وهو يخاطب البطل العربي الراقد حياله في هدوء وسلام، رقدة الموت بالضريح، ويقول: «**ها نحن أولاء قد عدنا يا صلاح الدين!**».

وترتفع راية الاستعمار، ويَسْخَر القدر من سذاجة العرب، يَسْخَر من المخدوع المغلوب، ولكنه يزدري الخادع الغالب، ملء الازدراء!

ويثور سؤال: لماذا عسى قال القائدان: اللنبي الإنجليزي، وجورو الفرنسي ما قالاه؟!

يعجز الواقع عن التبرير، وتحار العقول في الجواب.

فما كان الأول في صفوف الصليبيين، وما حارب الثاني صلاح الدين.

وكيف، وقد مضت على الحروب الصليبية قرون؟، وغاب الناصر صلاح الدين إلا من الذاكرات!، وتقدمت البشرية نحو ألف عام إلى الأمام؟ (١)

ومع هذا كله، فقد آثر اللنبي وجورو أن يكونا صليبيين من القرن الحادي عشر يعيشان في قلب القرن العشرين.

ولا عجب! فالإناء ينضح بما فيه، إنهما حقًّا صليبيان، بالعقل، والقلب، والجارحة صليبيان، طبيعة العِرْق فيهما، ودماء الأسلاف طغت على هوة الزمن، ومدى التقدم الحضاري والقيم الإنسانية ليعودا القهقري إلى الوراء، ليعيشا حياة الجاهلية الأوربية العمياء، ليسلكا نفس مسالك الأجداد الذين سَلُّوا قبلهم ـ تعصبًا وعنتًا ـ صليب المسيح للقضاء على العرب والمسلمين.

ليتنكرا لِـمُثُل الأخلاق ومكارم الفروسية، وإن حُسِبا، وحُسب معهم الأسلاف، في عداد الفرسان!».

[صليبية إلى الأبد لعبد المقصود ٣٠ – ٣١].

ج ـ السبب الاقتصادي: فك الحصار عن الاقتصاد المكي:

مكة بلد جبلي لا يعرف الزراعة، وكانت حياة قريش الاقتصادية تقوم على التجارة، حيث إن التجارة هي أهم مورد اقتصادي بل الوحيد لقريش، وكانت حركة السرايا التي تقوم بها الدولة الإسلامية قد أثرت على اقتصاد قريش وفرضت عليها حصارًا اقتصاديًّا قويًّا، فلقد استطاع المسلمون أن يعطلوا طرق

---

(١) كانت استعادة بيت المقدس من يد الصليبيين في ٢٧ رجب ٥٨٣ هـ ـ ١٢ أكتوبر ١١٨٧م، وكانت وفاة الناصر صلاح الدين الأيوبي في ٢٧ صفر ٥٨٩ هـ!

قريش التجارية، واستولوا على بعض قوافلها وقتلوا بعض من فيها، وكان الاقتصاد المكي قائمًا على رحلتي الشتاء والصيف، رحلة الشتاء إلى اليمن وتحمل إليها بضائع الشام ومحاصيلها، ورحلة الصيف إلى الشام تحمل إليها محاصيل اليمن وبضائعها، وقطع أحد جناحي هاتين الرحلتين ضرب للجناح الآخر؛ لأن تجارتهم إلى اليمن قائمة على سلعة الشام والعكس، قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝٤﴾[قريش]».

[ينظر: غزوة أحد لبامدحج ٧٤، وغزوة أحد لأبي فارس ١٣، والسيرة للصلابي ٢/ ١٠٢ -١٠٣].

ويشير إلى هذا السبب الاقتصادي قول صفوان بن أمية بعد غزوة بدر الكبرى: «**إِنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ قَدْ عَوَّرُوا عَلَيْنَا مَتْجَرَنَا، فَمَا نَدْرِي كَيْفَ نَصْنَعُ بِأَصْحَابِهِ، لا يَبْرَحُونَ السَّاحِلَ، وَأَهْلُ السَّاحِلِ قَدْ وَادَعَهُمْ (أي صالحهم وسالمهم)، وَدَخَلَ عَامَّتُهُمْ مَعَهُ، فَمَا نَدْرِي أَيْنَ نَسْلُك، وَإِنْ أَقَمْنَا نَأْكُلُ رُؤُوسَ أَمْوَالِنَا وَنَحْنُ فِي دَارِنَا هَذِهِ، مَا لَنَا بِهَا نِفَاقٌ** (جمع النفقة. القاموس المحيط ٣/ ٢٨٦)، **إِنَّمَا نَزَلْنَاهَا عَلَى التِّجَارَةِ إِلَى الشَّامِ فِي الصَّيْفِ وَفِي الشِّتَاءِ إِلَى أَرْضِ الحَبَشَةِ**[1]». [المغازي للواقدي ١/ ١٩٧].

وهذا السبب الاقتصادي كان واضحًا في الحروب الصليبية والتترية وغيرها، فعند دراستنا **لمعركة ملاذكرد** (الجمعة ٢٧ من ذي القعدة ٤٦٣ هـ/ ٢٦ أغسطس «آب» ١٠٧١م) سيتبين لنا كيف أن الحملة الصليبية التي هزمتها هذه المعركة الحاسمة كان قائدها قد قَسَّم الدول الإسلامية وكنوزها على قادته.

بل إن الاكتشافات العلمية الغربية كانت مسخرة لضرب الاقتصاد لدول المشرق الإسلامي، فقد كان هدف اكتشاف «**فاسكو دي جاما**» لطريق رأس الرجاء الصالح هو ضرب اقتصاد الدول الإسلامية في الشرق، والتي كانت تحصل على الضرائب من التجارة الغربية الهندية التي كانت تمر بأرض المسلمين، فأرادت البرتغال البحث عن طريق آخر لتجارة الغرب حتى لا يستفيد المسلمون من هذه التجارات، وقد بدأ البرتغاليون محاولاتهم منذ سنة ١٤٥٥م، ولكنهم لم يستطيعوا أن يتوصلوا إلى شيء في هذا الأمر حتى قام «**فاسكو دي جاما**» ـ وكان برتبة «**أميرالاي**» ـ برحلته الشهيرة، وكادت أيضًا أن تبوء بالفشل لولا مساعدة الملاح العربي المسلم «**أحمد بن ماجد**» له.

«فقد اعترفت حكومة البرتغال أخيرًا بفضل هداية ابن ماجد لفاسكو دي جاما إلى الهند من بلدة ماليندي بكينيا على الساحل الإفريقي، فأقامت نصبًا تذكاريًّا للملاح العربي ابن ماجد يخلد هذه المناسبة». [ابن ماجد الملاح ـ د/ أنور عبد العليم ـ دار الكاتب العربي ـ القاهرة ١٩٦٧م ـ ص ٢٧].

---

(١) وفي هذا رد واضح على الذين لا يقرون بأهمية الحرب الاقتصادية على أعداء الإسلام والمسلمين في هذه الأيام والمتمثلة في مقاطعة منتجاتهم، والاتجاه إلى المنتجات الوطنية البديلة .

وتم لهم ما أرادوا فضُرب الاقتصاد الإسلامي في الشرق وخاصة الاقتصاد المصري.

وأيضًا كان الهدف الاقتصادي واضحًا في الحملة الفرنسية على مصر.

بل إن الحروب الغربية الماثلة أمامنا هذه الأيام في أفغانستان والعراق وغيرهما لا يُخفي أصحابها الدافع الاقتصادي البارز فيها.

وغير ذلك الكثير للمتأمل في تاريخ الصراع مع أعداء الإسلام والمسلمين.

د ـ السبب السياسي: استعادة هيبة قريش بين القبائل العربية:

حيث رأت قريش أن في هزيمتها لطمة وعارًا، وإصابة خطيرة لها في مركزها في الجزيرة العربية، فقد أخذت سيادة قريش في الانهيار بعد غزوة بدر الكبرى، وتزعزع مركزها بين القبائل بوصفها زعيمة لها، وتمرغت سمعتهم العسكرية، وضعفت هيبتهم في نفوس الناس أعداء وأصدقاء، وظلوا يجترون آلامها ليل نهار، نساء ورجالًا.

وهنا كان لابد من رد الاعتبار والحفاظ على زعامتها مهما كلفها الأمر من جهود ومال وضحايا.

[ينظر: غزوة أحد دراسة دعوية لبامدحج ص ٧٥، والسيرة النبوية للصلابي ٢/ ١٠٣].

الاستعداد للمعركة:

«وبينما كان المسلمون ـ عقب معركة بدر مباشرة ـ يقومون بحركاتهم العسكرية، وتنظيماتهم الاجتماعية ـ داخل المدينة، وخارجها ـ لتوطيد سلطانهم وتأمين قاعدة دعوتهم (المدينة)، كانت قريش من جانبها تقوم باستعدادات واسعة النطاق لخوض المعركة الفاصلة التي قررت خوضها مع المسلمين في ديارهم.

وقد كان عكرمة بن أبي جهل، والحارث بن هشام، وصفوان بن أمية، وأبو سفيان بن حرب، وعبد الله بن أبي ربيعة، وحُوَيْطِب بن عبد العزى، أكثر زعماء قريش نشاطًا وتحمسًا لخوض المعركة، فقد كان هؤلاء هم المحرك الدائم لقبائل قريش، بل ولمن جاورها من قبائل كنانة وثقيف، وتهييجهم ضد النبي ﷺ وتحريضهم على الاشتراك في حربه». [غزوة أُحد لباشميل ٥٤].

التحريض على غزو الرسول ﷺ وميزانية الحملة:

وكان أول هذه الاستعدادات العملية، هو وضع ميزانية ضخمة لتمويل هذا الغزو الذي قررت مكة القيام به إلى أرض يثرب لضرب المسلمين فيها.

قال الواقدي: «مَشَتْ أَشْرَافُ قُرَيْشٍ إلى أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ: الأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدٍ، وَجُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ، وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، وَعِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَالحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ، وَعَبْدُ الله بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، وَحُوَيْطِبُ ابْنُ عَبْدِ العُزَّى، وَحُجَيْرُ بْنُ أَبِي إِهَابٍ، فَقَالُوا: **يَا أَبَا سُفْيَانَ انْظُرْ هَذِهِ العِيرَ الَّتِي قَدِمْتَ بِهَا فَاحْتَبَسْتَهَا، فَقَدْ**

عَرَفْتَ أَنَّهَا أَمْوَالُ أَهْلِ مَكَّةَ وَلَطِيمَةُ قُرَيْشٍ، وَهُمْ طَيِّبُو الأَنْفُسِ يُجَهِّزُونَ بِهَذِهِ العِيرِ جَيْشًا إِلَى مُحَمَّدٍ، وَقَدْ تَرَى مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِنَا، وَأَبْنَائِنَا، وَعَشَائِرِنَا.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: **وَقَدْ طَابَتْ أَنْفُسُ قُرَيْشٍ بِذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ أَجَابَ إِلَى ذَلِكَ وَبَنُو عَبْدِ مَنَافٍ مَعِي، فَأَنَا وَاللهِ المَوْتُورُ الثَّائِرُ، قَدْ قُتِلَ ابْنِي حَنْظَلَةُ بِبَدْرٍ وَأَشْرَافُ قَوْمِي.**

فَلَمْ تَزَلِ العِيرُ مَوْقُوفَةً حَتَّى تَجَهَّزُوا لِلخُرُوجِ إِلَى أُحُدٍ؛ فَبَاعُوهَا وَصَارَتْ ذَهَبًا عَيْنًا، فَوُقِفَ عِنْدَ أَبِي سُفْيَانَ.

وَيُقَالُ: إِنَّمَا قَالُوا: **يَا أَبَا سُفْيَانَ بِعْ العِيرَ ثُمَّ اعْزِلْ أَرْبَاحَهَا.**

وَكَانَتْ العِيرُ أَلْفَ بَعِيرٍ وَكَانَ المَالُ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَكَانُوا يَرْبَحُونَ فِي تِجَارَتِهِمْ لِلدِّينَارِ دِينَارًا».

[المغازي للواقدي ١/ ٢٠٠-٢٠١، السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦٠].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَفِيهِمْ كَمَا ذَكَرَ لِي بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ، أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال].

المتطوعون في الغزو:

فَاجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ لِحَرْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ فَعَلَ ذَلِكَ أَبُو سُفْيَانَ بنُ حَرْبٍ، وَأَصْحَابُ العِيرِ بِأَحَابِيشِهَا، وَمَنْ أَطَاعَهَا مِنْ قَبَائِلِ كِنَانَةَ وَأَهْلِ تِهَامَةَ. **[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦٠].**

«ووافق برلمان قريش (دار الندوة) على اقتراح قدَّمه صفوان بن أمية يقضي بفتح باب التطوع لغير القرشيين من القبائل المجاورة للمشاركة في غزو المسلمين، على أن تُرسل قريش مندوبين للقيام بهذه المهمة؛ لتشجيع قبائل كنانة على هذا التطوع». **[غزوة أُحد لباشميل ٥٥].**

وقد اختارت قريش لهذه المهمة شاعرين من قبيلة جُمَح القرشية، أحدهما: **أَبُو عَزَّةَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللهِ الجُمَحِيُّ** (١)، **والثاني: مُسَافِعُ بْنُ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ وَهْبِ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ جُمَحٍ.**

أما **أَبُو عَزَّةَ** فقد استدعاه **صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ** ـ وكان من أغنياء قريش ـ وطلب منه القيام بمهمة تحريض قبائل كنانة على التطوع لحرب محمد ﷺ قائلًا: **يَا أَبَا عَزَّةَ إِنَّكَ امْرُؤٌ شَاعِرٌ، فَأَعِنَّا بِلِسَانِكَ، فَاخْرُجْ مَعَنَا**، فَقَالَ: **إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَنَّ عَلَيَّ فَلا أُرِيدُ أَنْ أُظَاهِرَ عَلَيْهِ**، قَالَ: **بَلَى، فَأَعِنَّا بِنَفْسِكَ، فَلَكَ اللهُ عَلَيَّ**

---

(١) أبو عزة هذا أسره المسلمون في غزوة بدر، ولكن الرسول ﷺ مَنَّ عليه لفقرة ولكثرة بناته، على ألا يظاهر عليه أحدًا، ولكنه غدر، فأسر مرة أخرى في معركة أحد فضربت عنقه .

إِنْ رَجَعْتُ أَنْ أُغْنِيَكَ، وَإِنْ أُصِبْتَ أَنْ أَجْعَلَ بَنَاتِكَ مَعَ بَنَاتِي، يُصِيبُهُنَّ مَا أَصَابَهُنَّ مِنْ عُسْرٍ وَيُسْرٍ، فَخَرَجَ أَبُو عَزَّةَ فِي تِهَامَةَ، وَيَدْعُو بَنِي كِنَانَةَ وَيَقُولُ:

يَا بَنِي عَبْدِ مَنَاةَ الرُّزَّامْ (١) أَنْتُمْ حُمَاةٌ وَأَبُوكُمْ حَامْ

لا تَعِدُونِي نَصْرَكُمْ بَعْدَ العَامْ لا تُسْلِمُونِي لا يَحِلُّ إِسْلامْ

وَخَرَجَ **مُسَافِعُ** إِلَى بَنِي مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ، يُحَرِّضُهُمْ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ:

يَا مَالِ (٢)، مَالِ الحَسَبِ المُقَدَّمِ أَنْشُدُ ذَا القُرْبَى وَذَا التَّذَمُّمِ (٣)

مَنْ كَانَ ذا رُحْمٍ وَمَنْ لَمْ يَرْحُمِ الحِلْفَ وَسْطَ البَلَدِ المُحَرَّمِ (٤)

عِنْدَ حَطِيمِ الكَعْبَةِ المُعَظَّمِ (٥)

[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦١، والمغازي للواقدي ١/ ٢٠١].

وقد نجح هذا الشاعران في مهمتهما حيث أقنعا كثيرًا من أفراد قبائل كنانة المجاورة لقريش بالتطوع في جيش مكة لغزو المسلمين.

قال الصالحي: «فَأَجْمَعَتْ قُرَيْشٌ لِحَرْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبَعَثُوا: **عَمْرَو بْنَ العَاصِ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ الزِّبَعْرَى** ـ وأسلما بعد ذلك ـ **وَهُبَيْرَةَ بْنَ أَبِي وَهْبٍ**، وَ**مُسَافِعَ بْنَ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأَبَا عَزَّةَ الجُمَحِيَّ** ـ الَّذِي مَنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ ـ إِلَى العَرَبِ يَسْتَنْفِرُونَهَا لِحَرْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَلَّبُوا العَرَبَ وَجَمَعُوهَا». **[سبل الهدى والرشاد للصالحي ٤/ ٢٧١-٢٧٢].**

مبلغ قوة قريش الغازية:

«وهكذا تهيأت قريش للمسير إلى القتال، وخرجت تقصد المدينة في ثلاثة ألوية قوامها ثلاثة آلاف رجل، منهم: ألفان وتسعمائة من قريش ومواليها وأحابيشها(٦)، ومائة من قبائل كنانة المتطوعين، وقد

---

(١) **الرُّزَّامْ**: جمع رَازِم، وهو الذي يثبت ولا يبرح من مكانه، يريد أنهم يثبتون في الحرب ولا ينهزمون .

(٢) **يَا مَالِ**: أراد يا مالك، فحذف الكاف للترخيم .

(٣) **وَذَا التَّذَمُّمِ**: هو الذي له ذمام أي عهد .

(٤) **ذا رُحْمٍ**: ذا قرابة، وَمَنْ لَمْ يَرْحُمِ ـ بضم الحاء ـ: مَنْ كان من غير ذي القرابة، والحِلف: العهد .

(٥) **الحطيم**: ما بين الحجر إلى ميزاب الكعبة .

(٦) **الأحابيش**: قبائل تحالفت على النُّصرة، وحالفت قريشًا على ذلك، وقيل: إنها سُميت بذلك لأنها تحالفت عند جبل حبشي بأسفل مكة، وقيل: سُميت بذلك لاجتماعهم، والتجمع في كلام العرب هو التحبُّش . عيون الأثر ٢/ ٢٥ .
وقيل: الأحابيش قبائل غير قرشية، وهم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة، حالفوا قريشًا، وسبب تسميتهم بالأحابيش هو أنهم اجتمعوا عند جبل اسمه حبشي يقع أسفل مكة، وتحالفوا عنده على أنهم مع قريش يدًا واحدة على غيرهم ما سجى ليل ووضح نهار وما رسى حبشي مكانه، فسموا أحابيش باسم الجبل .

أخذوا معهم من العدة والسلاح الشيء الكثير، أما سلاح النقليات فقد كان في هذه الحملة ثلاثة آلاف بعير، ومعهم من سلاح الفرسان مائتا فرس جنَّبوها حتى أُحُد، أما سلاح الوقاية فقد كان لهم منه سبعمائة درع، وتابعت قريش مسيرها حتى بلغت العقيق، ثم نزلت عند بعض السفوح من جبل أحد على خمسة أميال من المدينة، وهي أشد ما تكون تحرقًا إلى الثأر لقتلاها في بدر».

[القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات لفتح الباب ٦٠، غزوة أُحد لباشميل ٥٧].

توزيع القادة:

وقد انتخبت قريش أبا سفيان بن حرب قائدًا عامًّا للجيش، كما أعطت قيادة سلاح الفرسان لخالد بن الوليد بمعاونة عكرمة بن أبي جهل.

كما أَسندت مهمة حمل اللواء (وهو علم الجيش) إلى بني عبد الدار بن قصي.

وكان حامل اللواء عند الصدمة الأولى **طَلحَةَ بْنَ أَبِي طَلحَةَ العَبْدَرِي** الذي كان أول قتيل من حَملة اللواء الذين أبادهم المسلمون في أول المعركة عن بكرة أبيهم حتى سقط لواء قريش على الأرض ونزلت بهم الهزيمة». **[غزوة أُحد لباشميل ٥٧-٥٨].**

نساء القادة في الجيش المكي:

وزيادة من قريش في التصميم على القتال، ولئلا يُحَدِّثَ أحدٌ منهم نفسَه بالفرار من المعركة استصحب قادة قريش معهم نساءهم إلى المعركة.

«فَلَـمَّا أَجْمَعُوا المَسِيرَ وَتَأَلَّبَ مَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ العَرَبِ وَحَضَرُوا، اخْتَلَفَتْ قُرَيْشٌ فِي إخْرَاجِ الظُّعُنِ (النساء، وأصل الظعن الهوادج فسميت النساء بها. شرح أبي ذر ص ٢١٧) مَعَهُمْ.

قَالَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ: **أُخْرُجُوا بِالظُّعُنِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ، فَإِنَّهُ أَقْمَنُ أَنْ يُحْفِظْنَكُمْ وَيُذَكِّرْنَكُمْ قَتْلَى بَدْرٍ، فَإِنَّ العَهْدَ حَدِيثٌ، وَنَحْنُ قَوْمٌ مُسْتَمِيتُونَ لا نُرِيدُ أَنْ نَرْجِعَ إِلَى دَارِنَا حَتَّى نُدْرِكَ ثَأْرَنَا أَوْ نَمُوتَ دُونَهُ.**

فَقَالَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ: **أَنَا أَوَّلُ مَنْ أَجَابَ إِلَى مَا دَعَوْتَ إِلَيْهِ،** وَقَالَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ مِثْلَ ذَلِكَ، فَمَشَى فِي ذَلِكَ نَوْفَلُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الدِّيلِي، فَقَالَ: **يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ هَذَا لَيْسَ بِرَأْيٍ أَنْ تُعَرِّضُوا حُرَمَكُمْ عَدُوَّكُمْ، وَلا آمَنُ أَنْ تَكُونَ الدَّائِرَةُ لَهُمْ فَتَفْتَضِحُوا فِي نِسَائِكُمْ.**

فَقَالَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ: **لا كَانَ غَيْرُ هَذَا أَبَدًا،** فَجَاءَ نَوْفَلٌ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ، فَقَالَ لَهُ تِلْكَ المَقَالَةَ، فَصَاحَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ: **إِنَّكَ وَاللهِ سَلِمْتَ يَوْمَ بَدْرٍ فَرَجَعْتَ إِلَى نِسَائِكَ، نَعَمْ نَخْرُجُ فَنَشْهَدُ القِتَالَ، فَقَدْ رُدَّتْ القِيَانُ مِنْ الجُحْفَةِ فِي سَفَرِهِمْ إِلَى بَدْرٍ فَقُتِلَتْ الأَحِبَّةُ يَوْمَئِذٍ،** قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: **لَسْت أُخَالِفُ قُرَيْشًا؛ أَنَا رَجُلٌ مِنْهَا، مَا فَعَلَتْ فَعَلْتُ،** فَخَرَجُوا بِالظُّعُنِ.

وكان عدد النساء اللواتي خرجن مع الجيش إلى أُحد خمس عشرة امرأة:

فَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ بِهِنْدِ بِنْتِ عُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ.

وَخَرَجَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ بِامْرَأَتِهِ أُمِّ حَكِيْمٍ بِنْتِ الحَارِثِ بْنِ هِشَامِ بنِ المُغِيرَةِ.

وَخَرَجَ الحَارِثُ بْنُ هِشَامِ بنِ المُغِيرَةِ بِامْرَأَتِهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ الوَلِيدِ بْنِ المُغِيرَةِ.

وَخَرَجَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ بِبَرْزَةَ بِنْتِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّةِ.

وَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ بِامْرَأَتِهِ هِنْدِ بِنْتِ مُنَبِّهِ بْنِ الحَجَّاجِ.

وَخَرَجَ طَلحَةُ بْنُ أَبِي طَلحَةَ بِامْرَأَتِهِ سُلافَةَ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ شَهِيدٍ، وَهِيَ مِنْ الأَوْسِ.

وَخَرَجَتْ خُنَاسُ بِنْتُ مَالِكِ بْنِ المُضَرِّبِ مَعَ ابْنِهَا أَبِي عَزِيزِ بْنِ عُمَيْرٍ العَبْدَرِيِّ، وَهِيَ أُمُّ مُصْعَبِ ابْنِ عُمَيْرٍ حَامِلِ لِوَاءِ المُسْلِمِينَ رضي الله عنه.

وَخَرَجَ الحَارِثُ بْنُ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ الأَسَدِ بِامْرَأَتِهِ رَمْلَةَ بِنْتِ طَارِقِ بْنِ عَلْقَمَةَ.

وَخَرَجَ كِنَانَةُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ العُزَّى بِامْرَأَتِهِ أُمِّ حَكِيمٍ بِنْتِ طَارِقٍ.

وَخَرَجَ سُفْيَانُ بْنُ عُوَيْفٍ بِامْرَأَتِهِ قَتِيلَةَ بِنْتِ عَمْرِو بْنِ هِلالٍ.

وَخَرَجَ النُّعْمَانُ وَجَابِرٌ ابْنَا مَسْكِ الذِّئْبِ بِأُمِّهِمَا الدُّغُنِّيَّةِ.

وَخَرَجَ غُرَابُ بْنُ سُفْيَانَ بْنِ عُوَيْفٍ بِامْرَأَتِهِ عَمْرَةَ بِنْتِ الحَارِثِ بْنِ عَلْقَمَةَ، وَهِيَ التِي رَفَعَتْ لِوَاءَ قُرَيْشٍ حِينَ سَقَطَ حَتَّى تَرَاجَعَتْ قُرَيْشٌ إِلَى لِوَائِهَا». [**المغازي للواقدي ١/ ٢٠٢، السيرة لابن هشام ٢/ ٦٢**].

التحريض على اغتيال حمزة رضي الله عنه:

وقبل خروج الجيش من مكة، «دَعَا جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ غُلَامًا لَهُ حَبَشِيًّا يُقَالُ لَهُ: وَحْشِيٌّ، يَقْذِفُ بِحَرْبَةٍ لَهُ قَذْفَ الحَبَشَةِ، قَلَّمَا يُخْطِئُ بِهَا، فَقَالَ لَهُ: **اُخْرُجْ مَعَ النَّاسِ، فَإِنْ أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ عَمَّ مُحَمَّدٍ بِعَمِّي طُعَيْمَةَ بْنِ عَدِيٍّ، فَأَنْتَ عَتِيقٌ**..

وَكَانَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ كُلَّمَا مَرَّتْ بِوَحْشِيٍّ أَوْ مَرَّ بِهَا، قَالَتْ: **وَيْهًا أَبَا دَسْمَةَ اشْفِ وَاسْتَشْفِ**، وَكَانَ وَحْشِيٌّ يُكَنَّى بِأَبِي دَسْمَةَ». [**السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦١-٦٢**].

جيش مكة يتحرك نحو المدينة:

«وبعد أن أتمت قريش استحضارات الحركة، وأتمت كامل تجهيزاتها أخذت في التحرك بجيشها الضخم نحو المدينة.

وكان جيش مكة هذه المرة على غاية من التنظيم والاستعداد، وقد تجنب قادة مكة الاختلاف هذه المرة، فلم يحدث أي شقاق في الرأي حتى انتهت المعركة». [**غزوة أُحد لباشميل ٦١**].

محاولة نبش قبر أم الرسول ﷺ:

تابعت جيوش مكة سيرها نحو المدينة، وقد سلكت الطريق الغربية المعتادة، التي تمر بعُسفان ثم خُلَيص، فالجحفة، فرابغ، فالأبواء، فالمدينة.

قال الواقدي: «وَخَرَجَ النِّسَاءُ مَعَهُنَّ الدُّفُوفُ يُحَرِّضْنَ الرِّجَالَ، وَيُذَكِّرْنَهُمْ قَتْلَى بَدْرٍ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ، وَجَعَلَتْ قُرَيْشٌ يَنْزِلُونَ كُلَّ مَنْهَلٍ يَنْحَرُونَ مَا نَحَرُوا مِنَ الجُزُرِ مِمَّا كَانُوا جَمَعُوا مِنَ العِيرِ وَيَتَقَوَّوْنَ بِهِ فِي مَسِيرِهِمْ، وَيَأْكُلُونَ مِنْ أَزْوَادِهِمْ مِمَّا جَمَعُوا مِنَ الأَمْوَالِ.

وَكَانَتْ قُرَيْشٌ لَـمَّا مَرَّتْ بِالأَبْوَاءِ قَالَتْ: **إِنَّكُمْ قَدْ خَرَجْتُمْ بِالظُّعُنِ مَعَكُمْ، وَنَحْنُ نَخَافُ عَلَى نِسَائِنَا، فَتَعَالَوْا نَنْبُشُ قَبْرَ أُمِّ مُحَمَّدٍ، فَإِنَّ النِّسَاءَ عَوْرَةٌ، فَإِنْ يُصِبْ مِنْ نِسَائِكُمْ أَحَدًا قُلْتُمْ: هَذِهِ رِمَّةُ أُمِّكَ، فَإِنْ كَانَ بَرًّا بِأُمِّهِ كَمَا يَزْعُمُ فَلَعَمْرِي لَيُفَادِيَنَّكُمْ بِرِمَّةِ أُمِّهِ، وَإِنْ لَمْ يَظْفَرْ بِأَحَدٍ مِنْ نِسَائِكُمْ فَلَعَمْرِي لَيَفْدِيَنَ رِمَّةَ أُمِّهِ بِمَالٍ كَثِيرٍ إِنْ كَانَ بِهَا بَرًّا.**

وَاسْتَشَارَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ أَهْلَ الرَّأْيِ مِنْ قُرَيْشٍ فِي ذَلِكَ فَقَالُوا: **لا تَذْكُرْ مِنْ هَذَا شَيْئًا، فَلَوْ فَعَلْنَا نَبَشَتْ بَنُو بَكْرٍ وَخُزَاعَةُ مَوْتَانَا**». [المغازي للواقدي ١/ ٢٠٦].

وعَنْ هِشَامِ بْنِ عَاصِمٍ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: لَـمَّا خَرَجَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ، فَنَزَلُوا بِالْأَبْوَاءِ، قَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ لأَبِي سُفْيَانَ بنِ حَرْبٍ: **لَوْ بَحَثْتُمْ قَبْرَ أُمِّ مُحَمَّدٍ، فَإِنَّهُ بِالأَبْوَاءِ، فَإِنْ أَسَرَ مِنْكُمْ أَحَدًا افْتَدَيْتُمْ بِهِ كُلَّ إِنْسَانٍ بِإِرْبٍ مِنْ آرَابِهَا (أَيْ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَائِهَا)**، فَذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو سُفْيَانَ لِقُرَيْشٍ، وَقَالَ: إِنَّ هِنْدًا قَالَتْ كَذَا وَكَذَا، وَهُوَ الرَّأْيُ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: **لَا نَفْتَحُ عَلَيْنَا هَذَا البَابَ، إِذًا تَبْحَثُ بَنُو بَكْرٍ مَوْتَانَا**. [أخبار مكة للأزرقي ٢/ ٩١٧ تح دهيش].

وقال الحلبي: «وَالـمُشِيرُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ زَوْجُ أَبِي سُفْيَانَ». [السيرة الحلبية ٢/ ٤٩٠].

المبحث الثالث
القوة الإسلامية تأخذ أهبتها

نشاط الاستخبارات النبوية:

«بعد غزوة بدر بدأ ﷺ يرقب أخبار قريش، ويحسب عليها تحركاتها، فله بين صفوفهم عيونٌ عليهم، فعمه العباس ما يزال تشده إليه عاطفة من الإكبار له والإعجاب به تَملك عليه مشاعره، وهو لا يفتأ يذكر له ما لاقاه من عطف عليه، ووفاء له، حتى وهو شاهر سلاحه في وجه المسلمين، لقد لقي من كريم معاملة النبي ﷺ له وهو أسيرٌ ما جعله أَسيرَ فضلِه وعبد إحسانه، فلا عجب وقد اطَّلع على دقائق تصرفات قومه أن يكتب إلى ابن أخيه مبصِّرًا، ومن قومه محذِّرًا». [غزوة أُحد للشافعي ٢٩].

«وكان العباس بن عبد المطلب (عم النبي ﷺ) قد رجع من المدينة بعد أن تم إطلاق سراحه من الأسر بالفداء الذي دفعه عن نفسه، ولكنه بالرغم من عدم إسلامه آنذاك فقد كان مخلصًا لابن أخيه النبي ﷺ، فكان يخشى عليه الدوائر، وكان لذلك يرقب حركات قريش واستعداداتها العسكرية.

وكان النبي ﷺ يتابع أخبار قريش بدقة بواسطة عمه العباس ﷺ، قال ابن عبد البر: «وكان ﷺ يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله ﷺ، وكان المسلمون يتقوون به بمكة، وكان يحب أن يقدم على رسول الله ﷺ فكتب إليه رسول الله ﷺ: «**إن مُقَامَكَ بمكةَ خيرٌ لك**». [الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/ ٨١٢].

ولما أتمت قريش تجهيزات جيشها وأخذ هذا الجيش في التحرك أرسل العباس ﷺ من مكة رسالة مستعجلة، مع أحد رجاله الأمناء، ضمَّن هذه الرسالة التفصيلات الكاملة عن حملة مكة، فذكر فيها:

١ ـ معلومات مؤكدة عن تحرك قوات المشركين نحو المدينة، واليوم الذي خرجت فيه.

٢ ـ حجم الجيش وقدراته القتالية، وهذا يعين على وضع خطة تواجه هذه القوات الزاحفة».

[غزوة أُحد لباشميل ٦٠-٦١، والسيرة النبوية للصلابي ٢/ ١٠٤].

قال الواقدي: «فَلَـمَّا أَجْمَعُوا الـمَسِيرَ كَتَبَ العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الـمُطَّلِبِ كِتَابًا وَخَتَمَهُ وَاسْتَأْجَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي غِفَارٍ وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يَسِيرَ ثَلاثًا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ يُخْبِرُهُ أَنْ قُرَيْشًا قَدْ أَجْمَعَتْ المَسِيرَ إِلَيْكَ فَمَا كُنْتَ صَانِعًا إِذَا حَلُّوا بِكَ فَاصْنَعْهُ، وَقَدْ تَوَجَّهُوا إِلَيْكَ، وَهُمْ ثَلاثَةُ آلافٍ وَقَادُوا مِائَتَيْ فَرَسٍ، وَفِيهِمْ سَبْعُمِائَةِ دَارِعٍ، وَثَلاثَةُ آلافِ بَعِيرٍ، وَأَوْعَبُوا مِنْ السِّلاحِ». [المغازي للواقدي ١/ ٢٠٣-٢٠٤].

كيف تلقى الرسول ﷺ نبأ الغزو:

وقد أسرع رسولُ العباس بالرسالة وجدَّ في السير، حتى أنه قطع الطريق ما بين مكة والمدينة في ثلاثة أيام، والتي تبلغ مساحتها خمسمائة كيلومتر، مع أن قَطعها ـ عادة ـ لا يتم إلا في عشرة أيام.

قال الواقدي: «فَقَدِمَ الغِفَارِيُّ فَلَمْ يَجِدْ رَسُولَ الله ﷺ بِالـمَدِينَةِ وَوَجَدَهُ بِقُبَاءَ، فَخَرَجَ حَتَّى يَجِدَ رَسُولَ الله ﷺ عَلَى بَابِ مَسْجِدِ قُبَاءَ يَرْكَبُ حِمَارَهُ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ الكِتَابَ، فَقَرَأَهُ عَلَيْهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ ﷺ، وَاسْتَكْتَمَ أُبَيًّا مَا فِيهِ، فَدَخَلَ مَنْزِلَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «**فِي البَيْتِ أَحَدٌ؟**»، فَقَالَ سَعْدٌ ﷺ: **لا، فَتَكَلَّمْ بِحَاجَتِكَ**، فَأَخْبَرَهُ بِكِتَابِ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الـمُطَّلِبِ، وَجَعَلَ سَعْدٌ ﷺ يَقُولُ: **يَا رَسُولَ الله، إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ خَيْرٌ**، وَقَدْ أَرْجَفَتْ يَهُودُ الـمَدِينَةِ وَالـمُنَافِقُونَ، وَقَالُوا: **مَا جَاءَ مُحَمَّدًا شَيْءٌ يُحِبُّهُ**، فَانْصَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى المَدِينَةِ وَاسْتَكْتَمَ سَعْدًا ﷺ الخَبَرَ، فَلَـمَّا خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ خَرَجَتْ امْرَأَةُ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ ﷺ إِلَيْهِ فَقَالَتْ: **مَا قَالَ لَكَ رَسُولُ الله؟ فَقَالَ: مَا لَكِ وَلِذَلِكَ لا أُمَّ لَكِ؟ قَالَتْ: قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ عَلَيْكَ**.

وَأَخْبَرَتْ سَعْدًا ﷺ الخَبَرَ، فَاسْتَرْجَعَ سَعْدٌ ﷺ، وَقَالَ: **لا أَرَاكِ تَسْتَمِعِينَ عَلَيْنَا وَأَنَا أَقُولُ لِرَسُولِ الله ﷺ تَكَلَّمْ بِحَاجَتِكَ**، ثُمّ أَخَذَ يَجْمَعُ لَبَّتَهَا، ثُمَّ خَرَجَ يَعْدُو بِهَا حَتَّى أَدْرَكَ رَسُولَ الله ﷺ بِالجِسْرِ، وَقَدْ بَلَحَتْ (انقطعت من الإعياء فلم تقدر أن تتحرك)، فَقَالَ: **يَا رَسُولَ الله، إِنَّ امْرَأَتِي سَأَلَتْنِي عَمَّا قُلْتَ، فَكَتَمْتُهَا، فَقَالَتْ: قَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ رَسُولِ الله، فَجَاءَتْ بِالحَدِيثِ كُلِّهِ، فَخَشِيتُ يَا رَسُولَ الله أَنْ يَظْهَرَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ فَتَظُنَّ أَنِّي أَفْشَيْتُ سِرَّكَ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**خَلِّ سَبِيلَهَا**».

وَشَاعَ الخَبَرُ فِي النَّاسِ بِمَسِيرِ قُرَيْشٍ، وَقَدِمَ **عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ الخُزَاعِيُّ** فِي نَفَرٍ مِنْ خُزَاعَةَ، سَارُوا مِنْ مَكَّةَ أَرْبَعًا، فَوَافَوْا قُرَيْشًا وَقَدْ عَسْكَرُوا بِذِي طُوًى، فَأَخْبَرُوا رَسُولَ الله ﷺ الخَبَرَ، ثُمَّ انْصَرَفُوا فَوَجَدُوا قُرَيْشًا بِبَطْنِ رَابغ، فنَكَّبُوا عَنْ قُرَيْشٍ - وَرَابِغٌ عَلَى لَيَالٍ مِنْ المَدِينَةِ.

وَلَـمَّا أَصْبَحَ أَبُو سُفْيَانَ بِالأَبْوَاءِ أُخْبِرَ أَنَّ عَمْرَو بْنَ سَالِمٍ وَأَصْحَابَهُ رَاحُوا أَمْسِ مُمْسِينَ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: **أَحْلِفُ بِالله أَنَّهُمْ جَاؤُوا مُحَمَّدًا فَخَبَّرُوهُ بِمَسِيرِنَا، وَحَذَّرُوهُ وَأَخْبَرُوهُ بِعَدَدِنَا، فَهُمُ الآنَ يَلْزَمُونَ صَيَاصِيَهُمْ، فَمَا أَرَانَا نُصِيبُ مِنْهُمْ شَيْئًا فِي وَجْهِنَا**.

فَقَالَ صَفْوَانُ: **إِنْ لَمْ يَصْحَرُوا** (أصحر الرجل: أي خرج إلى الصحراء) **لَنَا عَمَدْنَا إِلَى نَخْلِ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ فَقَطَعْنَاهُ فَتَرَكْنَاهُمْ وَلا أَمْوَالَ لَهُمْ، فَلا يَجْتَبِرُونَهَا** (اجتبره: أحسن إليه) **أَبَدًا، وَإِنْ أَصْحَرُوا لَنَا فَعَدَدُنَا أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِهِمْ وَسِلاحُنَا أَكْثَرُ مِنْ سِلاحِهِمْ، وَلَنَا خَيْلٌ وَلا خَيْلَ مَعَهُمْ، وَنَحْنُ نُقَاتِلُ عَلَى وِتْرٍ عِنْدَهُمْ، وَلا وِتْرَ لـهُمْ عِنْدَنَا**». [المغازي للواقدي ١/ ٢٠٤-٢٠٥].

حالة الطوارئ في المدينة:

وبعد أن تأكد المسلمون من تحرك الجيش المكي نحوهم، ظلوا متيقظين، وظلت المدينة في حالة استنفار عام، على رجالها السلاح لا يفارقهم، حتى وهم في أوقات الصلاة استعدادًا للطوارئ.

وانتشر جند الإسلام حول مداخل المدينة يحرسونها، خوفًا من أن يؤخذوا على غِرَّة.

«وَبَاتَتْ وُجُوهُ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ: سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فِي عِدَّةٍ لَيْلَةَ الجُمُعَةِ عَلَيْهِمْ السِّلاحُ فِي المَسْجِدِ بِبَابِ النَّبِيِّ ﷺ خَوْفًا مِنْ بَيَاتِ المُشْرِكِينَ وَحَرَسَتْ المَدِينَةَ تِلكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحُوا». [المغازي للواقدي ١/ ٢٠٨].

دوريات استطلاع المدينة:

وقد نشطت دوريات المسلمين لاستطلاع أخبار العدو، وكانت تضرب باستمرار في أعمالها حول الطرق التي تحتمل أن يسلطها المشركون للإغارة على المسلمين.

قال الواقدي: «وَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَيْنَيْنِ لَهُ أَنَسًا وَمُؤْنِسًا ابْنَيْ فَضَالَةَ لَيْلَةَ الخَمِيسِ فَاعْتَرَضَا لِقُرَيْشٍ بِالعَقِيقِ فَسَارَا مَعَهُمْ حَتَّى نَزَلُوا بِالوِطَاءِ، فَأَتَيَا رَسُولَ الله ﷺ فَأَخْبَرَاهُ.

وَكَانَ المُسْلِمُونَ قَدْ ازْدَرَعُوا (زرعوا) العِرْضَ ـ وَالعِرْضُ مَا بَيْنَ الوِطَاءِ بِأُحُدٍ إِلَى الجُرُفِ، إِلَى العَرْصَةِ، عَرْصَةِ البَقْلِ اليَوْمَ ـ وَكَانَ أَهْلُهُ بَنُو سَلِمَةَ، وَحَارِثَةَ، وَظَفَرٍ، وَعَبْدِ الأَشْهَلِ، وَكَانَ المَاءُ يَوْمَئِذٍ بِالجُرُفِ أَنْشَاطًا (**بئر أنشاط**: قريبة القعر، يخرج دلوها بجذبة)، لا يَرِيمُ (لا يبرح) سَائِقُ النَّاضِحِ مَجْلِسًا وَاحِدًا، يَنْفَتِلُ (ينصرف) الجَمَلُ فِي سَاعَةٍ حَتَّى ذَهَبَتْ بِمِيَاهِهِ عُيُونُ الغَابَةِ التِي حَفَرَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ.

فَكَانُوا قَدْ أَدْخَلُوا آلَةَ زَرْعِهِمْ لَيْلَةَ الخَمِيسِ المَدِينَةَ، فَقَدِمَ المُشْرِكُونَ عَلَى زَرْعِهِمْ وَخَلَّوْا فِيهِ إِبِلَهُمْ وَخُيُولَهُمْ ـ وَقَدْ شَرِبَ الزَّرْعُ فِي الدَّقِيقِ، وَكَانَ لأُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ فِي العِرْضِ عِشْرُونَ نَاضِحًا يَسْقِي شَعِيرًا ـ وَكَانَ المُسْلِمُونَ قَدْ حَذِرُوا عَلَى جِمَالِهِمْ وَعُمَّالِهِمْ وَآلَةِ حَرْثِهِمْ.

وَكَانَ المُشْرِكُونَ يَرْعَوْنَ يَوْمَ الخَمِيسِ حَتَّى أَمْسَوْا، فَلَمَّا أَمْسَوْا جَمَعُوا الإِبِلَ وَقَصَلُوا (علفوها القصيل، وهو ما اقتصل من الزرع أخضر) عَلَيْهَا القَصِيلَ، وَقَصَلُوا عَلَى خُيُولِهِمْ لَيْلَةَ الجُمُعَةِ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا يَوْمَ الجُمُعَةِ خَلَّوْا ظَهْرَهُمْ فِي الزَّرْعِ وَخَيْلَهُمْ حَتَّى تَرَكُوا العِرْضَ لَيْسَ بِهِ خَضْرَاءُ.

فَلَمَّا نَزَلُوا وَحَلُّوا العُقْدَ وَاطْمَأَنُّوا، بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ **الحُبَابَ بْنَ المُنْذِرِ بْنِ الجَمُوحِ** رضي الله عنه إِلَى القَوْمِ، فَدَخَلَ فِيهِمْ وَحَزَرَ وَنَظَرَ إِلَى جَمِيعِ مَا يُرِيدُ، وَبَعَثَهُ سِرًّا، وَقَالَ لِلحُبَابِ: «**لا تُخْبِرْنِي بَيْنَ أَحَدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ إلا أَنْ تَرَى قِلَّةً**»، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ خَالِيًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا رَأَيْتَ؟**»، قَالَ: **رَأَيْتُ يَا رَسُولَ الله عَدَدًا، حَزَرْتُهُمْ ثَلاثَةَ آلافٍ يَزِيدُونَ قَلِيلًا أَوْ يَنْقُصُونَ قَلِيلًا، وَالخَيْلُ مِائَتَيْ فَرَسٍ، وَرَأَيْتُ دُرُوعًا ظَاهِرَةً حَزَرْتُهَا سَبْعَمِائَةِ دِرْعٍ**، قَالَ ﷺ: «**هَلْ رَأَيْتَ ظُعُنًا؟**»، قَالَ: **رَأَيْتُ النِّسَاءَ مَعَهُنَّ الدِّفَافُ وَالأَكْبَارُ** ـ الأَكْبَارُ يَعْنِي الطُّبُولَ ـ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَرَدْنَ أَنْ يُحَرِّضْنَ القَوْمَ وَيُذَكِّرْنَهُمْ قَتْلَى بَدْرٍ، هَكَذَا جَاءَنِي خَبَرُهُمْ، لا تَذْكُرْ مِنْ شَأْنِهِمْ حَرْفًا، حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، اللَّهُمَّ بِكَ أَجُولُ وَبِكَ أَصُولُ**».

[المغازي للواقدي ١/ ٢٠٦-٢٠٨].

وهكذا نقلت الاستخبارات الخبر الأخير عن تحركات جيش مكة، وهو أن هذا الجيش قد سلك وادي العقيق، وانحرف منه إلى ذات اليمين وعسكر في السبخة من وادي قناة الواقع شمالي المدينة، في مكان يقع بالقرب من جبل عينين الذي سُمِّي فيما بعد بجبل الرماة.

المجلس العسكري الأعلى:

«وبعد أن تأكد الرسول ﷺ من أن المشركين قد اتخذوا السبخة من وادي قناة معسكرًا لهم، سارع إلى عقد مؤتمر عسكري استشاري أعلى لبحث الموقف، حضره جميع قادة الجيش النبوي وأهل الرأي من أهل المدينة، وقد حضر هذا المجلس عبد الله بن أُبي بن سلول (المنافق) بصفته أحد زعماء الخزرج.

وكان عقد هذا المجلس في يوم الجمعة السادس من شهر شوال سنة ٣ هـ.

مشاورة النبي ﷺ الصحابة رضي الله عنهم وإخبارهم برؤياه:

وقد دار النقاش في هذا المجلس ـ بصفة رئيسة ـ حول المكان الذي يجب أن يلقى فيه المسلمون عدوهم، وقد كان رأي النبي ﷺ أن يتحصن المسلمون بالمدينة؛ لإجبار قريش على مهاجمتها، وكان يهدف من اتباع هذه الخطة إلى أن يتبع المسلمون (في منازلة المشركين) خطة قتال الشوارع؛ لأن ذلك يُمكِّن المسلمين من إيقاع الخسائر الجسيمة بالمشركين، دون أن يتحمل المسلمون خسائر تُذكر، ذلك أن المسلمين سيقاتلون وهم متحصنون في مواقع يجهلها المشركون كل الجهل.

يُضاف إلى ذلك أن اتباع هذه الخطة يُمكِّن النساء من الاشتراك في مقاتلة المشركين بإلقاء الأحجار الثقيلة عليهم عندما يقتحمون شوارع المدينة». [غزوة أُحد لباشميل ٦٦].

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه ، أُرَاهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ [رُؤْيَايَ] [رُؤْيَا] أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي** (وهمي وظني واعتقادي) **إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ** (بلد من بلاد الحجاز) **أَوْ هَجَرُ**(مدينة من اليمن)، **فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ، وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا، فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ، فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ بِأُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللهُ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ، وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَأَيْتُ فِيهَا [أَيْضًا] بَقَرًا، وَاللهُ خَيْرٌ، فَإِذَا هُمُ الْمُؤْمِنُونَ [النَّفَرُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] يَوْمَ أُحُدٍ، وَإِذَا الْخَيْرُ مَا جَاءَ اللهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ [بَعْدُ]، وَثَوَابِ الصِّدْقِ، الَّذِي آتَانَا اللهُ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ**». [**البخاري في المناقب (٣٦٢٢)، وفي المغازي (٣٩٨٧، ٤٠٨١)، في التعبير (٧٠٣٥، ٧٠٤١)، ومسلم في الرؤيا (٢٠ - (٢٢٧٢)، وابن ماجه في تعبير الرؤيا (٣٩٢١)، والدارمي في الرؤيا (٢٢٠٤)**].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: تَنَفَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَيْفَهُ ذَا الْفَقَارِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَهُوَ الَّذِي رَأَى فِيهِ الرُّؤْيَا يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: «**رَأَيْتُ فِي سَيْفِي ذِي الْفَقَارِ فَلًّا، فَأَوَّلْتُهُ فَلًّا يَكُونُ فِيكُمْ، وَرَأَيْتُ أَنِّي مُرْدِفٌ كَبْشًا، فَأَوَّلْتُهُ**

كَبْشَ الكَتِيبَةِ، وَرَأَيْتُ أَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، فَأَوَّلْتُهَا الـمَدِينَةَ، وَرَأَيْتُ بَقَرًا تُذْبَحُ، فَبَقَرٌ وَاللهُ خَيْرٌ، فَبَقَرٌ وَاللهُ خَيْرٌ»، فَكَانَ الَّذِي قَالَ رَسُولُ الله ﷺ. [مسند أحمد ٤/ ٢٥٩ رقم ٢٤٤٥، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن، وراوه باختصار: الترمذي في السير (١٥٦١)، وابن ماجه في الجهاد (٢٨٠٨)].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: تَنَفَّلَ رَسُولُ الله ﷺ سَيْفَهُ ذَا الفَقَارِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَهُوَ الَّذِي رَأَى فِيهِ الرُّؤْيَا يَوْمَ أُحُدٍ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لـمَّا جَاءَهُ الـمُشْرِكُونَ يَوْمَ أُحُدٍ كَانَ رَأْيُ رَسُولِ الله ﷺ أَنْ يُقِيمَ بِالـمَدِينَةِ يُقَاتِلُهُمْ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ نَاسٌ ـ لَمْ يَكُونُوا شَهِدُوا بَدْرًا: تَخْرُجُ بِنَا يَا رَسُولَ الله إِلَيْهِمْ نَقَاتِلُهُمْ بِأُحُدٍ، وَرَجَوْا أَنْ يُصِيبُوا مِنَ الفَضِيلَةِ مَا أَصَابَ أَهْلَ بَدْرٍ، فَمَا زَالُوا بِرَسُولِ الله ﷺ حَتَّى لَبِسَ أَدَاتَهُ، فَنَدِمُوا وَقَالُوا: يا رَسُولَ الله، أَقِمْ، فَالرَّأْيُ رَأْيُكَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ يَضَعَ أَدَاتَهُ بَعْدَ أَنْ لَبِسَهَا، حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ»، قَالَ: وَكَانَ مِمَّا قَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَئِذٍ قَبْلَ أَنْ يَلبسَ الأَدَاةَ: «إِنِّي رَأَيْتُ أَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، فَأَوَّلْتُهَا المَدِينَةَ، وَأَنِّي مُرْدِفٌ كَبْشًا، فَأَوَّلْتُهُ كَبْشَ الكَتِيبَةِ، وَرَأَيْتُ أَنَّ سَيْفِي ذَا الفَقَارِ فَلٌّ، فَأَوَّلْتُهُ فَلًّ يَكُونُ فِيكُمْ، وَرَأَيْتُ بَقَرًا تُذْبَحُ، فَبَقَرٌ وَاللهُ خَيْرٌ، فَبَقَرٌ وَاللهُ خَيْرٌ».

[المستدرك ٢/ ١٥٥ كتاب قسم الفيء، رقم ٢٦٤٤، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، وَرَأَيْتُ بَقَرًا مُنَحَّرَةً [يُنْحَرُ]، فَأَوَّلْتُ أَنَّ الدِّرْعَ الحَصِينَةَ المَدِينَةُ، وَأَنَّ البَقَرَ [نَفَرٌ] هُوَ وَالله خَيْرٌ».

قَالَ: فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «لَوْ أَنَّا أَقَمْنَا بِالـمَدِينَةِ، فَإِنْ [فَإِذَا] دَخَلُوا عَلَيْنَا فِيهَا قَاتَلْنَاهُمْ».

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله! وَالله مَا دُخِلَ [دُخِلَتْ] عَلَيْنَا فِيهَا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَكَيْفَ يُدْخَلُ [أَفَتُدْخَلُ] عَلَيْنَا فِيهَا فِي الإِسْلَامِ، قَالَ عَفَّانُ فِي حَدِيثِهِ فَقَالَ ﷺ: «شَأْنَكُمْ إِذًا»، قَالَ: فَلَبِسَ ﷺ لَأْمَتَهُ.

قَالَ: فَقَالَتِ الأَنْصَارُ [بَعْضُهَا لِبَعْضٍ]: رَدَدْنَا عَلَى رَسُولِ الله [النَّبِيِّ] ﷺ رَأْيَهُ، فَجَاؤُوا فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ الله، شَأْنَكَ إِذًا، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لَأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ». [مسند أحمد ٢٣/ ٩٩ رقم ١٤٧٨٧، وقال الشيخ الأرناؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد على شرط مسلم، ومجمع الزوائد ٦/ ١٥٢ كتاب المغازي والسير (١٠٠٥٧)، وقال الهيثمي: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، وسنن الدارمي في الرؤيا (٢٢٠٥)].

وقد أعلن الرسول ﷺ رأيه هذا في ذلك المؤتمر حين «ظَهَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَامِي رُؤْيَا، رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، وَرَأَيْتُ كَأَنَّ سَيْفِي ذَا الفَقَارِ انْقَصَمَ مِنْ عِنْدِ ظُبَتِهِ، وَرَأَيْتُ بَقَرًا تُذْبَحُ، وَرَأَيْتُ كَأَنِّي مُرْدِفٌ كَبْشًا».

فَقَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ الله فَمَا أَوَّلْتَهَا؟ قَالَ: «أَمَّا الدِّرْعُ الحَصِينَةُ فَالمَدِينَةُ، فَامْكُثُوا فِيهَا، وَأَمَّا انْقِصَامُ سَيْفِي مِنْ عِنْدِ ظُبَتِهِ فَمُصِيبَةٌ فِي نَفْسِي، وَأَمَّا البَقَرُ المُذَبَّحُ فَقَتْلَى فِي أَصْحَابِي، وَأَمَّا مُرْدِفٌ كَبْشًا، فَكَبْشُ الكَتِيبَةِ نَقْتُلُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَأَمَّا انْقِصَامُ سَيْفِي، فَقَتْلُ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، وَرَأَيْتُ فِي سَيْفِي فَلًّا فَكَرِهْتُهُ»، فَهُوَ الَّذِي أَصَابَ وَجْهَهُ ﷺ.

وَقَالَ النَّبِي ﷺ: «**أَشِيرُوا عَلَيَّ**»، وَرَأَى رَسُولُ الله ﷺ أَلا يَخْرُجَ مِنَ المَدِينَةِ لِهَذِهِ الرُّؤْيَا، فَرَسُولُ الله ﷺ يُحِبُّ أَنْ يُوَافَقَ عَلَى مِثْلِ مَا رَأَى وَعَلَى مَا عَبَّرَ عَلَيْهِ الرُّؤْيَا.

فَقَامَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيِّ فَقَالَ: **يَا رَسُولَ الله، كُنَّا نُقَاتِلُ فِي الجَاهِلِيَّةِ فِيهَا، وَنَجْعَلُ النِّسَاءَ وَالذَّرَارِيَّ فِي هَذِهِ الصَّيَاصِي، وَنَجْعَلُ مَعَهُمْ الحِجَارَةَ، وَالله لَرُبَّمَا مَكَثَ الولدَانُ شَهْرًا يَنْقُلُونَ الحِجَارَةَ إِعْدَادًا لِعَدُوِّنَا، وَنُشَبِّكُ الـمَدِينَةَ بِالبُنْيَانِ فَتَكُونُ كَالحِصْنِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَتَرْمِي المَرْأَةُ وَالصَّبِيُّ مِنْ فَوْقِ الصَّيَاصِيِّ وَالآطَامِ وَنُقَاتِلُ بِأَسْيَافِنَا فِي السِّكَكِ، يَا رَسُولَ الله إِنَّ مَدِينَتَنَا عَذْرَاءُ مَا فُضَّتْ عَلَيْنَا قَطُّ، وَمَا خَرَجْنَا إِلَى عَدُوٍّ قَطُّ إِلَّا أَصَابَ مِنَّا، وَمَا دَخَلَ عَلَيْنَا قَطُّ إِلَّا أَصَبْنَاهُ، فَدَعْهُمْ يَا رَسُولَ الله فَإِنَّهُمْ إِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَحْبِسٍ، وَإِنْ رَجَعُوا رَجَعُوا خَائِبِينَ مَغْلُوبِينَ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا، يَا رَسُولَ الله، أَطِعْنِي فِي هَذَا الأَمْرِ، وَاعْلَمْ أَنِّي وَرِثْتُ هَذَا الرَّأْيَ مِنْ أَكَابِرِ قَوْمِي وَأَهْلِ الرَّأْيِ مِنْهُمْ، فَهُمْ كَانُوا أَهْلَ الحَرْبِ وَالتَّجْرِبَةِ.**

وَكَانَ رَأْيُ رَسُولِ الله ﷺ مَعَ رَأْيِ ابْنِ أُبَيٍّ، وَكَانَ ذَلِكَ رَأْيَ الأَكَابِرِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اُمْكُثُوا فِي المَدِينَةِ، وَاجْعَلُوا النِّسَاءَ وَالذَّرَارِيَّ فِي الآطَامِ، فَإِنْ دَخَلُوا عَلَيْنَا قَاتَلْنَاهُمْ فِي الأَزِقَّةِ، فَنَحْنُ أَعْلَمُ بِهَا مِنْهُمْ، وَارْمُوا مِنْ فَوْقِ الصَّيَاصِيِّ وَالآطَامِ**»، فَكَانُوا قَدْ شَبَّكُوا المَدِينَةَ بِالبُنْيَانِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ فَهِيَ كَالحِصْنِ». [المغازي للواقدي ١/ ٢٠٩-٢١٠، ابن هشام ٣/ ٦٣].

النبي ﷺ يترك رأيه للأغلبية:

ولكن كثيرًا من الشباب كانوا متحمسين للخروج ومقاتلة المشركين خارج المدينة، فقد «قَالَ فِتْيَانٌ أَحْدَاثٌ لَمْ يَشْهَدُوا بَدْرًا، وَطَلَبُوا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ الخُرُوجَ إِلَى عَدُوِّهِمْ وَرَغِبُوا فِي الشَّهَادَةِ وَأَحَبُّوا لِقَاءَ العَدُوِّ: اُخْرُجْ بِنَا إِلَى عَدُوِّنَا.

وَقَالَ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ السِّنِّ وَأَهْلِ النِّيَّةِ، مِنْهُمْ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الـمُطَّلِبِ، وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَالنُّعْمَانُ بْنُ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، فِي غَيْرِهِمْ مِنَ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ: **إِنَّا نَخْشَى يَا رَسُولَ الله أَنْ يَظُنَّ عَدُوُّنَا أَنَّا كَرِهْنَا الـخُرُوجَ إِلَيْهِمْ جُبْنًا عَنْ لِقَائِهِمْ؛ فَيَكُونُ هَذَا جُرْأَةً مِنْهُمْ عَلَيْنَا، وَقَدْ كُنْتَ يَوْمَ بَدْرٍ فِي ثَلاثِمِائَةِ رَجُلٍ فَظَفَّرَكَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَنَحْنُ اليَوْمَ بَشَرٌ كَثِيرٌ، قَدْ كُنَّا نَتَمَنَّى هَذَا اليَوْمَ وَنَدْعُو اللهَ بِهِ، فَقَدْ سَاقَهُ اللهُ إِلَيْنَا فِي سَاحَتِنَا.**

وَرَسُولُ الله ﷺ لِـمَا يَرَى مِنْ إِلحَاحِهِمْ كَارِهٌ، وَقَدْ لَبِسُوا السِّلاحَ يَخْطِرُونَ بِسُيُوفِهِمْ يَتَسَامَوْنَ [يتبارون] كَأَنَّهُمْ الفُحُولُ.

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ سِنَانٍ أَبُو أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِي ﷺ: **يَا رَسُولَ الله، نَحْنُ وَالله بَيْنَ إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ، إِمَّا يُظَفِّرُنَا اللهُ بِهِمْ فَهَذَا الَّذِي نُرِيدُ فَيُذِلَّـهُمْ اللهُ لَنَا فَتَكُونُ هَذِهِ وَقْعَةً مَعَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَلا يَبْقَى مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ، وَالأُخْرَى يَا رَسُولَ الله يَرْزُقُنَا اللهُ الشَّهَادَةَ، وَالله يَا رَسُولَ الله مَا أُبَالِي أَيُّهُمَا كَانَ، إِنَّ كُلًّا لَفِيهِ الـخَيْرُ.**

فَلَمْ يَبْلُغْنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رجعَ إِلَيْهِ قَوْلًا، وَسَكَتَ.

فَقَالَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ: **وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ لا أَطْعَمُ اليَوْمَ طَعَامًا حَتَّى أُجَالِدَهُمْ بِسَيْفِي خَارِجًا مِنْ الْمَدِينَةِ.**

وَكَانَ يُقَالُ: كَانَ حَمْزَةُ ﷺ يَوْمَ الجُمُعَةِ صَائِمًا، وَيَوْمَ السَّبْتِ صَائِمًا، فَلاقَاهُمْ وَهُوَ صَائِمٌ.

قَالُوا: وَقَالَ النُّعْمَانُ بْنُ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَالِمٍ ﷺ: **يَا رَسُولَ الله، أَنَا أَشْهَدُ أَنَّ البَقَرَ الْمُذَبَّحَ قَتْلَى مِنْ أَصْحَابِكَ، وَأَنِّي مِنْهُمْ، فَلِمَ تَحْرِمُنَا الجَنَّةَ؟ فَوَالَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لأَدْخُلَنَّهَا**، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**بِمَ؟**»، قَالَ: **بِأَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلا أَفِرُّ يَوْمَ الزَّحْفِ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**صَدَقْتَ**»، فَاسْتُشْهِدَ يَوْمَئِذٍ.

وَقَالَ إِيَاسُ بْنُ أَوْسِ بْنِ عَتِيكٍ ﷺ: **يَا رَسُولَ الله، نَحْنُ بَنُو عَبْدِ الأَشْهَلِ مِنْ البَقَرِ الْمُذَبَّحِ، نَرْجُو يَا رَسُولَ الله أَنْ نُذَبِّحَ فِي القَوْمِ وَيُذَبَّحَ فِينَا، فَنَصِيرُ إِلَى الجَنَّةِ وَيَصِيرُونَ إِلَى النَّارِ، مَعَ أَنِّي يَا رَسُولَ الله لا أُحِبُّ أَنْ تَرْجِعَ قُرَيْشٌ إِلَى قَوْمِهَا فَيَقُولُونَ: حَصَرْنَا مُحَمَّدًا فِي صَيَاصِيِّ يَثْرِبَ وَآطَامِهَا! فَيَكُونُ هَذَا جُرْأَةً لِقُرَيْشٍ وَقَدْ وَطِؤُوا سَعَفَنَا، فَإِذَا لَمْ نَذُبَّ عَنْ عِرْضِنَا لَمْ نَزْرَعْ، وَقَدْ كُنَّا يَا رَسُولَ الله فِي جَاهِلِيَّتِنَا وَالعَرَبُ يَأْتُونَنَا، وَلا يَطْمَعُونَ بِهَذَا مِنَّا حَتَّى نَخْرُجَ إِلَيْهِمْ بِأَسْيَافِنَا حَتَّى نَذُبَّهُمْ عَنَّا، فَنَحْنُ اليَوْمَ أَحَقُّ إِذْ أَيَّدَنَا اللهُ بِكَ، وَعَرَفْنَا مَصِيرَنَا، لا نَحْصُرُ أَنْفُسَنَا فِي بُيُوتِنَا.**

وَقَامَ خَيْثَمَةُ أَبُو سَعْدِ بْنُ خَيْثَمَةَ ﷺ، فَقَالَ: **يَا رَسُولَ الله، إِنَّ قُرَيْشًا مَكَثَتْ حَوْلًا تَجْمَعُ الجُمُوعَ وَتَسْتَجْلِبُ العَرَبَ فِي بَوَادِيهَا وَمَنْ تَبِعَهَا مِنْ أَحَابِيشِهَا، ثُمَّ جَاؤُونَا قَدْ قَادُوا الخَيْلَ وَامْتَطَوْا الإِبِلَ حَتَّى نَزَلُوا بِسَاحَتِنَا فَيَحْصُرُونَنَا فِي بُيُوتِنَا وَصَيَاصِينَا، ثُمَّ يَرْجِعُونَ وَافِرِينَ لَمْ يُكْلَمُوا، فَيُجَرِّئُهُمْ ذَلِكَ عَلَيْنَا حَتَّى يَشُنُّوا الغَارَاتِ عَلَيْنَا، وَيُصِيبُوا أَطْرَافَنَا، وَيَضَعُوا العُيُونَ وَالأَرْصَادَ عَلَيْنَا، مَعَ مَا قَدْ صَنَعُوا بِحُرُوثِنَا، وَيَجْتَرِئُ عَلَيْنَا العَرَبُ حَوْلَنَا حَتَّى يَطْمَعُوا فِينَا إِذَا رَأَوْنَا لَمْ نَخْرُجْ إِلَيْهِمْ فَنَذُبَّهُمْ عَنْ جِوَارِنَا، وَعَسَى اللهُ أَنْ يُظَفِّرَنَا بِهِمْ فَتِلْكَ عَادَةُ الله عِنْدَنَا، أَوْ تَكُونَ الأُخْرَى فَهِيَ الشَّهَادَةُ، لَقَدْ أَخْطَأَتْنِي وَقْعَةُ بَدْرٍ، وَقَدْ كُنْتُ عَلَيْهَا حَرِيصًا، لَقَدْ بَلَغَ مِنْ حِرْصِي أَنْ سَاهَمْتُ ابْنِي فِي الخُرُوجِ فَخَرَجَ سَهْمُهُ فَرُزِقَ الشَّهَادَةَ وَقَدْ كُنْتُ حَرِيصًا عَلَى الشَّهَادَةِ، وَقَدْ رَأَيْتُ ابْنِي البَارِحَةَ فِي النَّوْمِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ يَسْرَحُ فِي ثِمَارِ الجَنَّةِ وَأَنْهَارِهَا وَهُوَ يَقُولُ: الحَقْ بِنَا تُرَافِقْنَا فِي الجَنَّةِ، فَقَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا، وَقَدْ وَالله يَا رَسُولَ الله أَصْبَحْتُ مُشْتَاقًا إِلَى مُرَافَقَتِهِ فِي الجَنَّةِ، وَقَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَرَقَّ عَظْمِي، وَأَحْبَبْتُ لِقَاءَ رَبِّي، فَادْعُ اللهَ يَا رَسُولَ الله أَنْ يَرْزُقَنِي الشَّهَادَةَ وَمُرَافَقَةَ سَعْدٍ فِي الجَنَّةِ.**

فَدَعَا لَهُ رَسُولُ الله ﷺ بِذَلِكَ، فَقُتِلَ بِأُحُدٍ شَهِيدًا.

وَقَالُوا: قَالَ أَنَسُ بْنُ قَتَادَةَ ﷺ: **يَا رَسُولَ الله، هِيَ إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ إِمَّا الشَّهَادَةُ، وَإِمَّا الغَنِيمَةُ وَالظَّفَرُ فِي قَتْلِهِمْ.**

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ الهَزِيمَةَ**». [المغازي للواقدي١/ ٢١٠-٢١٣].

وقال موسى بن عقبة: «... وَكَانَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَشْهَدُوا بَدْرًا قَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ السَّابِقَةِ، وَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ؛ لِيُبْلَوْا مَا أَبْلَى إِخْوَانُهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَلَـمَّا نَزَلَ أَبُو سُفْيَانَ وَالْمُشْرِكُونَ بِأَصْلِ أُحُدٍ فَرِحَ الـمُسْلِمُونَ الَّذِينَ لَمْ يَشْهَدُوا بَدْرًا بِقُدُومِ العَدُوِّ عَلَيْهِمْ، وَقَالَوا: **قَدْ سَاقَ اللهُ عَلَيْنَا أُمْنِيَتَنَا**».

[البداية والنهاية لابن كثير ٤/ ١٤].

عرض النبي ﷺ عليهم رؤياه وتأويلها، ولكن عاد الذين لم يشهدوا بدرًا فقالوا: «**كُنَّا نَتَمَنَّى هَذَا الْيَوْمَ وَنَدْعُو اللهَ، قَدْ سَاقَهُ اللهُ إِلَيْنَا وَقَرُبَ الـمَسِيرُ**.

وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: **مَتَى نُقَاتِلُهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ إِذَا لَمْ نُقَاتِلْهُمْ عِنْدَ شِعْبِنَا؟**

وَقَالَ رِجَالٌ: **مَاذَا نَمْنَعُ إِذَا لَمْ تَمْنَعِ الحَرْبُ بِرَوْعٍ؟** (في رواية موسى في دلائل البيهقي: إذا لم نمنع الحرث يزرع).

وَقَالَ رِجَالٌ قَوْلًا صَدَقُوا بِهِ وَمَضَوْا عَلَيْهِ، مِنْهُمْ: حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ قَالَ: **وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ لَنُجَالِدَنَّهُمْ**.

وَأَبَى كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا الخُرُوجَ إِلَى العَدُوِّ، وَلَمْ يَتَنَاهَوْا إِلَى قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرَأْيِهِ، وَلَوْ رَضُوا بِالَّذِي أَمَرَهُمْ كَانَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ غَلَبَ القَضَاءُ وَالقَدَرُ.

وَعَامَّةُ مَنْ أَشَارَ عَلَيْهِ بِالخُرُوجِ رِجَالٌ لَمْ يَشْهَدُوا بَدْرًا، قَدْ عَلِمُوا الَّذِي سَبَقَ لِأَصْحَابِ بَدْرٍ مِنَ الفَضِيلَةِ». [البداية والنهاية لابن كثير ٤/ ١٥].

«كانت الكثرة وجمهور الأكابر من الصحابة يرون رأي رسول الله ﷺ، ولاسيما بعد أن أخبرهم برؤياه، فكان رأيهم تبعًا لرأي رسول الله ﷺ.

وكانت كثرة الشباب ومن فاتهم مشهد بدر يرون أن يخرج بهم رسول الله ﷺ إلى عدوهم، ليعوِّضوا ما فاتهم من فضل بدر، وما سمعوه منه ﷺ في فضلها وفضل من شهدها، وكانوا يودُّون لو أتاح الله لهم غزوة ينالون بها مثل ما نال البدريون من الفضل وعظيم الثواب.

وكان مع هؤلاء الشباب بعض الأكابر من المهاجرين والأنصار، مثل أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب ﷺ، ومثل سعد بن عبادة سيد الخزرج ﷺ، والنعمان بن مالك ﷺ أحد أبطال الأنصار، وغيرهم من أبطال المجتمع المسلم، وسوَّغوا رأيهم بما رأيناه في أقوالهم رضوان الله عليهم جميعًا».

[محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٣/ ٥٥١].

«لقد كانت تلك الحناجر المؤمنة بنصر الله حريصة على الخروج في لهفة على الفوز بإحدى الحسنين، فمسَّت من قلوب المسلمين شِغافها، وحرَّكت فيهم مشاعر الشوق إلى الجنة، وقد تصوَّرت أمام بصائرهم عروسًا في أبهى زينتها تبسط لهم ذراعيها، هؤلاء الذين يَمْهَرونها بأرواحهم ودمائهم في سبيل الله». [غزوة أحد للشافعي ٤٤].

واتضح للرسول ﷺ على أثر هذه المناقشات أن الأغلبية ترى خلاف رأيه، فلم يسعه إلا الاستجابة لرأي هذه الأغلبية، وأعلن أنه خارج لمقاتلة العدو حيث هو بوادي قناة، بالرغم من أنه ﷺ كاره للخروج.

النبي ﷺ يرفض الرجوع إلى رأيه الأول:

بعد ارفضاض المجلس ذهب المسلمون لأداء صلاة الجمعة، وبعد أن صلى النبي ﷺ بالمسلمين «أَمَرَهُمْ بِالتَّهَيُّؤِ لِعَدُوِّهِمْ، ثُمَّ صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ العَصْرَ بِالنَّاسِ، وَقَدْ حَشَدَ النَّاسُ وَحَضَرَ أَهْلُ العَوَالِي، وَرَفَعُوا النِّسَاءَ فِي الآطَامِ، فَحَضَرَتْ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ وَلِفُّهَا، وَالنَّبِيتُ وَلِفُّهَا، وَتَلَبَّسُوا السِّلاحَ.

فَدَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ بَيْتَهُ وَدَخَلَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما، فَعَمَّمَاهُ وَلَبِسَاهُ، وَصَفَّ النَّاسُ لَهُ مَا بَيْنَ حُجْرَتِهِ إِلَى مِنْبَرِهِ يَنْتَظِرُونَ خُرُوجَهُ، فَجَاءَهُمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ رضي الله عنهما، فَقَالا: **قُلْتُمْ لِرَسُولِ الله ﷺ مَا قُلْتُمْ، وَاسْتَكْرَهْتُمُوهُ عَلَى الـخُرُوجِ، وَالأَمْرُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنْ السَّمَاءِ فَرُدُّوا الأَمْرَ إِلَيْهِ، فَمَا أَمَرَكُمْ فَافْعَلُوهُ، وَمَا رَأَيْتُمْ لَهُ فِيهِ هَوًى أَوْ رَأْيٌ فَأَطِيعُوهُ.**

فَبَيْنَا القَوْمُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ الأَمْرِ وَبَعْضُ القَوْمِ يَقُولُ: القَوْلُ مَا قَالَ سَعْدٌ، وَبَعْضُهُمْ عَلَى البَصِيرَةِ عَلَى الشُّخُوصِ، وَبَعْضُهُمْ لِلْخُرُوجِ كَارِهٌ، إِذْ خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ لَبِسَ لأْمَتَهُ، وَقَدْ لَبِسَ الدِّرْعَ فَأَظْهَرَهَا، وَحَزَمَ وَسَطَهَا بِمِنْطَقَةٍ مِنْ حَمَائِلِ سَيْفٍ مِنْ أَدَمٍ كَانَتْ عِنْدَ آلِ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ الله ﷺ بَعْدُ، وَاعْتَمَّ وَتَقَلَّدَ السَّيْفَ.

فَلَـمَّا خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ نَدِمُوا جَمِيعًا عَلَى مَا صَنَعُوا، وَقَالَ الذِينَ يُلِحُّونَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ: **مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُلِحَّ عَلَى رَسُولِ الله فِي أَمْرٍ يَهْوَى خِلافَهُ**، وَنَدَّمَهُمْ أَهْلُ الرَّأْيِ الَّذِينَ كَانُوا يُشِيرُونَ بِالـمُقَامِ، فَقَالُوا: **يَا رَسُولَ الله، مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُخَالِفَكَ فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ، وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَسْتَكْرِهَكَ وَالأَمْرُ إِلَى الله، ثُمَّ إِلَيْكَ.**

فَقَالَ ﷺ: «**قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى هَذَا الحَدِيثِ فَأَبَيْتُمْ، وَلا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ**».

وَكَانَتْ الأَنْبِيَاءُ قَبْلَهُ إِذَا لَبِسَ النَّبِيُّ لأْمَتَهُ لَمْ يَضَعْهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**انْظُرُوا مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَاتَّبِعُوهُ، امْضُوا عَلَى اسْمِ الله، فَلَكُمْ النَّصْرُ مَا صَبَرْتُمْ**» [المغازي للواقدي ١/ ٢١٤، والسيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦٣].

قال البخاري: وَشَاوَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ يَوْمَ أُحُدٍ فِي الـمُقَامِ وَالخُرُوجِ، فَرَأَوْا لَهُ الخُرُوجَ، فَلَـمَّا لَبِسَ لَأْمَتَهُ وَعَزَمَ قَالُوا: أَقِمْ، فَلَمْ يَمِلْ إِلَيْهِمْ بَعْدَ العَزْمِ، وَقَالَ: «**لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ يَلْبَسُ لَأْمَتَهُ فَيَضَعُهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ**». [البخاري تعليقًا كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وَأَنَّ الْمُشَاوَرَةَ قَبْلَ الْعَزْمِ وَالتَّبَيُّنِ لِقَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فَإِذَا عَزَمَ الرَّسُولُ ﷺ لَمْ يَكُنْ لِبَشَرٍ التَّقَدُّمُ عَلَى الله وَرَسُولِهِ].

وروى البيهقي عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ، عَنْ عُرْوَةَ، فَذَكَرَ قِصَّةَ أُحُدٍ وَإِشَارَةَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالْمُكْثِ فِي الْمَدِينَةِ، وَأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ أَبَوْا إِلَّا الْخُرُوجَ إِلَى الْعَدُوِّ، قَالَ: وَلَوْ تَنَاهَوْا إِلَى قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَمْرِهِ كَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَلَكِنْ غَلَبَ الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ، قَالَ: وَعَامَّةُ مَنْ أَشَارَ عَلَيْهِ بِالْخُرُوجِ رِجَالٌ لَمْ يَشْهَدُوا بَدْرًا، وَقَدْ عَلِمُوا الَّذِي سَبَقَ لِأَهْلِ بَدْرٍ مِنَ الْفَضِيلَةِ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ وَعَظَ النَّاسَ وَذَكَّرَهُمْ وَأَمَرَهُمْ بِالْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ، ثُمَّ انْصَرَفَ مِنْ خُطْبَتِهِ وَصَلَاتِهِ، فَدَعَا بِلَأْمَتِهِ فَلَبِسَهَا، ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالْخُرُوجِ، فَلَمَّا أَبْصَرَ ذَلِكَ رِجَالٌ مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ، قَالُوا: **أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نَمْكُثَ بِالْمَدِينَةِ، فَإِنْ دَخَلَ عَلَيْنَا الْعَدُوُّ قَاتَلْنَاهُمْ فِي الْأَزِقَّةِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِاللهِ وَبِمَا يُرِيدُ، وَيَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ، ثُمَّ أَشْخَصْنَاهُ**، فَقَالُوا: **يَا نَبِيَّ اللهِ أَنَمْكُثُ كَمَا أَمَرْتَنَا؟** قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا أَخَذَ لَأْمَةَ الْحَرْبِ وَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْعَدُوِّ أَنْ يَرْجِعَ حَتَّى يُقَاتِلَ، وَقَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى هَذَا الْحَدِيثِ، فَأَبَيْتُمْ إِلَّا الْخُرُوجَ، فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالصَّبْرِ إِذَا لَقِيتُمُ الْعَدُوَّ، وَانْظُرُوا مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوهُ**»، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ. وَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَهَكَذَا ذَكَرَهُ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، وَكَذَلِكَ ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ شُيُوخِهِ مِنْ أَهْلِ الْمَغَازِي، وَهُوَ عَامٌّ فِي أَهْلِ الْمَغَازِي وَإِنْ كَانَ مُنْقَطِعًا، وَكَتَبْنَاهُ مَوْصُولًا بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ. [السنن الكبرى للبيهقي ٧/ ٦٥ رقم ١٣٢٨١].

مظاهرة النبي ﷺ بين درعين وأخذه بالأسباب:

عَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ رَجُلٍ قَدْ سَمَّاهُ: «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ظَاهَرَ يَوْمَ أُحُدٍ بَيْنَ دِرْعَيْنِ، أَوْ لَبِسَ دِرْعَيْنِ**». [**أبو داود في الجهاد (٢٥٩٠)، وابن ماجه في الجهاد (٢٨٠٦)، وقال الشيخ الألباني: صحيح، ومسند أحمد ٢٤/ ٤٩٩ رقم ١٥٧٢٢، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، والمعجم الكبير للطبراني ٧/ ١٥٣ رقم ٦٦٦٩. وظَاهَرَ يَوْمَ أُحُدٍ بَيْنَ دِرْعَيْنِ**: أي لبس إحداهما فوق الأخرى، وكأنه من التظاهر بمعنى التعاون والتساعد، كأن جعل إحداهما ظِهارة، والأخرى بطانة. الأساس في السنة ـ السيرة ٢/ ٥٥٦].

وعَنْ الزُّبَيْرِ ﷺ قَالَ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ ذَهَبَ لِيَنْهَضَ إِلَى الصَّخْرَةِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ ظَاهَرَ بَيْنَ دِرْعَيْنِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَنْهَضَ إِلَيْهَا،... الحديث. [**المستدرك على الصحيحين في المغازي والسرايا (٤٣١٢)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي**].

وعَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، يُقَالُ لَهُ: مُعَاذُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ظَاهَرَ يَوْمَ أُحُدٍ بَيْنَ دِرْعَيْنِ. [**مجمع الزوائد في المغازي والسير ٦/ ١٥٥ رقم ١٠٠٦٥، وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى [مسند أبي يعلى الموصلي ٢/ ٢٤ رقم ٦٦٠ وقال الشيخ أسد: رجاله رجال الصحيح]، ورجاله رجال الصحيح**].

وعَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ مَنْ حَدَّثَهُ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَاهَرَ يَوْمَ أُحُدٍ بَيْنَ دِرْعَيْنِ. [**مجمع الزوائد في المغازي والسير ٦/ ١٥٥ رقم ١٠٠٦٦، وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى [مسند أبي يعلى الموصلي ٢/ ٢٤ رقم ٦٥٩، وقال الشيخ أسد: رجاله رجال الصحيح إلا أنه منقطع]، وفيه راو لم يسم، وبقية رجاله رجال الصحيح**].

وعَنْ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ ظَاهَرَ بَيْنَ دِرْعَيْنِ يَوْمَ أُحُدٍ.

[مجمع الزوائد في المغازي والسير ٦/ ١٥٥ رقم ١٠٠٦٧، وقال الهيثمي: رواه البزار [مسند البزار ٣/ ٣١١ رقم ١١٠٣]، وفيه إسحاق بن أبي فروة، وهو ضعيف].

وعَنْ أَيُّوبَ بْنِ النُّعْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ ﷺ، قَالَ: رَأَيْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ دِرْعَيْنِ.

[مجمع الزوائد في المغازي والسير ٦/ ١٥٦ رقم ١٠٠٦، وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ٢٢/ ٣٠٢، ٣٧٥ رقم ٧٦٧، ٩٣٨، وفي الثاني «العلاء الأنصاري» بدل «النعمان»]، وفيه الواقدي، وهو ضعيف].

وعَن مُحَمَّدِ بنِ مَسلَمَةَ ﷺ قَالَ: رَأَيتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ يَومَ أُحُدٍ دِرعَين؛ دِرعَهُ ذاتَ الفُضُولِ، ودِرعَهُ فِضَّةً، ورَأَيتُ عَلَيه يَومَ خَيبَرَ دِرعَين: ذاتَ الفُضُولِ، والسُّغدِيَّةُ.

[الطبقات الكبير لابن سعد ١/ ٤١٩ رقم ١٤٧٧].

سترون غدًا إذا التقى القوم:

عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ الأَنْصَارِيِّ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ يُقَالُ لَهُ سُلَيْمٌ: أَتَى رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ يَأْتِينَا بَعْدَمَا نَنَامُ، وَنَكُونُ فِي أَعْمَالِنَا بِالنَّهَارِ، فَيُنَادِي بِالصَّلَاةِ، فَنَخْرُجُ إِلَيْهِ، فَيُطَوِّلُ عَلَيْنَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ، لَا تَكُنْ فَتَّانًا، إِمَّا أَنْ تُصَلِّيَ مَعِي، وَإِمَّا أَنْ تُخَفِّفَ عَلَى قَوْمِكَ**»، ثُمَّ قَالَ: «**يَا سُلَيْمُ، مَاذَا مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ؟**»، قَالَ: **إِنِّي أَسْأَلُ اللهَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِهِ مِنْ النَّارِ، وَالله مَا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ** (أي مسألتك الخفية، أو كلامك الخفي، والدندنة: أن يتكلم الرجل بكلام تُسمع نغمته ولا تُفهم)، **وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ!** فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**وَهَلْ تَصِيرُ دَنْدَنَتِي وَدَنْدَنَةُ مُعَاذٍ إِلَّا أَنْ نَسْأَلَ اللهَ الْجَنَّةَ وَنَعُوذَ بِهِ مِنْ النَّارِ**»، ثُمَّ قَالَ سُلَيْمٌ: **سَتَرَوْنَ غَدًا إِذَا التَقَى الْقَوْمُ إِنْ شَاءَ اللهُ**، قَالَ: وَالنَّاسُ يَتَجَهَّزُونَ إِلَى أُحُدٍ، فَخَرَجَ وَكَانَ فِي الشُّهَدَاءِ ﷺ.

[مسند أحمد في حديث سليم من بني سلمة ﷺ ٣٤/ ٣٠٧ رقم ٢٠٦٩٩، وقال الشيخ الأرناؤوط: صحيح لغيره].

وصيه عبد الله بن حرام ﷺ:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ: لَـمَّا حَضَرَ أُحُدٌ دَعَانِي أَبِي مِنْ اللَّيْلِ فَقَالَ: **مَا أُرَانِي إِلَّا مَقْتُولًا فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ**. [البخاري في الجنائز (١٣٥١)].

وقد ذَكَرَ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ عَنِ الْوَاقِدِيِّ أَنَّ سَبَبَ ظَنِّهِ ذَلِكَ مَنَامٌ رَآهُ، أَنَّهُ رَأَى مُبَشِّرَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ ﷺ ـ وَكَانَ مِمَّنِ اسْتُشْهِدَ بِبَدْرٍ ـ يَقُولُ لَهُ: أَنْتَ قَادِمٌ عَلَيْنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ، فَقَصَّهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**هَذِهِ الشَّهَادَةُ**». [فتح الباري ٣/ ٤٥٨ - ٤٥٩].

وعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ لِي أَبِي: «**يَا بُنَيَّ، لَا أَدْرِي لِعَلِّي أَنْ أَكُونَ فِي أَوَّلِ مِنْ يُصَابُ غَدًا، وَذَلِكَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأُوصِيكَ بِبُنَيَّاتِ عَبْدِ الله خَيْرًا**»، فَالْتَقَوْا فَأُصِيبَ ذَلِكَ الْيَوْمَ.[المستدرك على الصحيحين في معرفة الصحابة ﷺ ٣/ ٢٢٤ رقم ٤٩١٢، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: لَـمَّا حَضَرَ قِتَالُ أُحُدٍ دَعَانِي أَبِي مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: **إِنِّي لَا أُرَانِي إِلَّا مَقْتُولًا فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ، وَإِنِّي وَالله مَا أَدَعُ أَحَدًا يَعْنِي أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ بَعْدَ نَفْسِ رَسُولِ الله ﷺ، وَإِنَّ عَلَيَّ دَيْنًا، فَاقْضِ عَنِّي دَيْنِي وَاسْتَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْرًا**، قَالَ: فَأَصْبَحْنَا فَكَانَ أَوَّلُ قَتِيلٍ، فَدَفَنْتُهُ مَعَ آخَرَ فِي قَبْرٍ، ثُمَّ لَمْ تَطِبْ نَفْسِي أَنْ أَتْرُكَهُ مَعَ آخَرَ فِي قَبْرٍ فَاسْتَخْرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، فَإِذَا هُوَ كَيَوْمِ وَضَعْتُهُ غَيْرَ أُذُنِهِ. [المستدرك على الصحيحين في معرفة الصحابة رضي الله عنهم ٣/ ٢٢٤ رقم ٤٩١٣، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم»، وسكت عنه الذهبي].

صلاة الجنازة قبل الخروج:

«وكَانَ مَالِكُ بْنُ عَمْرٍو النَّجَّارِيُّ رضي الله عنه مَاتَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَلَـمَّا دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ فَلَبِسَ لأْمَتَهُ ثُمَّ خَرَجَ - وَهُوَ مَوْضُوعٌ عِنْدَ مَوْضِعِ الجَنَائِزِ - صَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ دَعَا بِدَابَّتِهِ فَرَكِبَ إِلَى أُحُدٍ».

[المغازي للواقدي ١/ ٢١٤، والسيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٦٣].

عقد الألوية:

وخرج النبي ﷺ إلى العدو على رأس جيش بلغ حوالي ألف مقاتل.

وقد قسم ﷺ هذا الجيش إلى ثلاث كتائب:

١ـ كتيبة المهاجرين، وأعطى علمها لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه.

٢ـ كتيبة الأوس من الأنصار، وأعطى علمها للحُبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ بْنِ الجَمُوحِ رضي الله عنه.

٣ـ كتيبة الخزرج من الأنصار أيضًا، وأعطى علمها لأُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رضي الله عنه.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَاسْتَعْمَلَ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ رضي الله عنه عَلَى الصَّلَاةِ بِالنَّاسِ. [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦٤].

لا نستنصر بأهل الكفر:

عَنْ أَبِي حَمِيدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى إِذَا جَاوَزَ ثَنِيَّةَ الوَدَاعِ فَإِذَا هُوَ بَكَتِيبَةٍ خَشْنَاءَ، فَقَالَ: «**مَنْ هَؤُلاءِ؟**»، قَالُوا: **عَبْدُ الله بْنِ أُبَيٍّ فِي سِتِّمِائَةٍ مِنْ مَوَالِيهِ مِنَ اليَهُودِ مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعٍ**، فَقَالَ: «**وَقَدْ أَسْلَمُوا؟**»، قَالُوا: **لَا يَا رَسُولَ الله**، قَالَ: «**مُرُوهُمْ فَلْيَرْجِعُوا، فَإِنَّا لا نَسْتَعِينُ بِالـمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ**». [مجمع الزوائد ٥/ ٥٥٠ كتاب الجهاد (٩٥٧٠)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه سعد بن المنذر بن أبي حميد ذكره ابن حبان في الثقات، فقال: سعد بن أبي حميد فنسبه إلى جده، وبقية رجاله ثقات، المطالب العالية لابن حجر ١٧/ ٣٥٦ كتاب المغازي والسير (٤٢٦٣)، وقال ابن حجر: هذا إسناد حسن].

وعند ابن سعد: «**لا تَسْتَنْصِرُوا بِأَهْلِ الشِّرْكِ عَلَى أَهْلِ الشِّرْكِ**».

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَذَكَرَ غَيْرُ زِيَادٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ الزُّهْرِيِّ: إِنَّ الأَنْصَارَ يَوْمَ أُحُدٍ، قَالُوا لِرَسُولِ الله ﷺ: **يَا رَسُولَ الله، أَلَا نَسْتَعِينُ بِحُلَفَائِنَا مِنْ يَهُودَ؟** فَقَالَ ﷺ: «**لَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِمْ**».

[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦٤].

قال الواقدي: «فَلَـمَّا رَكِبَ رَسُولُ الله ﷺ خَرَجَ السَّعْدَانِ أَمَامَهُ يَعْدُوَانِ ـ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ـ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا دَارِعٌ وَالنَّاسُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ حَتَّى سَلَكَ عَلَى الْبَدَائِعِ (موضع من ديار خثعم. معجم ما استعجم ص ٢٤٤)، ثُمَّ زُقَاقِ الحِسْيِ (موضع ببطن الرمة. معجم ما استعجم ص ٢٤٧) حَتَّى أَتَى الشَّيْخَيْنِ (موضع بين المدينة وجبل أُحد على الطريق الشرقية مع الحرة إلى جبل أُحد. وفاء الوفا ٢/ ٣٣٣) ـ وَهُمَا أُطُمَانِ كَانَا فِي الجَاهِلِيَّةِ فِيهِمَا شَيْخٌ أَعْمَى وَعَجُوزٌ عَمْيَاءُ يَتَحَدَّثَانِ فَسُمِّيَ الأُطُمَانِ الشَّيْخَيْنِ ـ حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَأْسِ الثَّنِيَّةِ (**ثنية الوداع**: هي ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة، وهو اسم قديم جاهلي، سُمي لتوديع المسافرين. معجم البلدان ٢/ ٨٦)، التَفَتَ فَنَظَرَ إِلَى كَتِيبَةٍ خَشْنَاءَ لَهَا زَجَلٌ (الصوت الرفيع العالي) خَلْفَهُ فَقَالَ: «**مَا هَذِهِ؟**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، هَؤُلاءِ حُلَفَاءُ ابْنِ أُبَيٍّ مِنْ يَهُودَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لا نَسْتَنْصِرُ بِأَهْلِ الشِّرْكِ عَلَى أَهْلِ الشِّرْكِ**». [المغازي للواقدي ١/ ٢١٥-٢١٦].

استعراض الجيش ورد الغلمان:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: عَرَضَنِي [عُرِضْتُ عَلَى] رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ فِي الْقِتَالِ [**فِي جَيْشٍ**]، وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَلَمْ يُجِزْنِي [فَلَمْ يَقْبَلْنِي]، وَعَرَضَنِي [وَعُرِضْتُ] يَوْمَ الْخَنْدَقِ [ثُمَّ عُرِضْتُ عَلَيْهِ مِنْ قَابِلٍ فِي جَيْشٍ]، وَأَنَا ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَأَجَازَنِي [فَقَبِلَنِي].

قَالَ نَافِعٌ: فَقَدِمْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ خَلِيفَةٌ، فَحَدَّثْتُهُ هَذَا الْحَدِيثَ، فَقَالَ: «**إِنَّ هَذَا لَحَدٌّ** [فَصْلُ مَا] **بَيْنَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ** [**الذُّرِّيَّةِ وَالْمُقَاتِلَةِ**]»، فَكَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ أَنْ يَفْرِضُوا (أي أن يقدروا لهم رزقًا في ديوان الجند، وكانوا يفرقون بين المقاتلة وغيرهم في العطاء، وهو الرزق الذي يجمع في بيت المال ويفرق على مستحقيه) لِمَنْ كَانَ ابْنَ [بَلَغَ] خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَمَنْ كَانَ دُونَ ذَلِكَ فَاجْعَلُوهُ فِي الْعِيَالِ.

[البخاري في المغازي(٤٠٩٧)، وفي الشهادات (٢٦٦٤)، ومسلم في الإمارة (١٨٦٨)، وأبو داود في الخراج والإمارة والفيء (٢٩٥٧) وفي الحدود (٤٤٠٦، ٤٤٠٧)، والترمذي في الأحكام (١٣٦١)، وفي الجهاد (١٧١١)، والنسائي في الطلاق (٣٤٣١)، وابن ماجه في الحدود (٢٥٤٣)، ومسند أحمد ٨/ ٢٨٧ رقم ٤٦٦١].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: عُرِضْتُ يَوْمَ أُحُدٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَلِي ابْنُ ثَلاثَ عَشْرَةَ، فَجَعَلَ أَبِي يَأْخُذُ بِيَدِي فَيَقُولُ: **يَا رَسُولَ الله، إِنَّهُ عَبِلٌ** (ضخم) **الْعِظَامِ، وَإِنْ كَانَ مُؤَذِّنًا**، قَالَ: وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَعِّدُ فِيَّ الْبَصَرَ وَيُصَوِّبُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**رُدَّهُ**»، فَرَدَّنِي. **[المستدرك على الصحيحين في معرفة الصحابة رضي الله عنهم ٣/ ٦٥٠ رقم ٦٣٨٩، وسكت عنه الذهبي، وهو صحيح. الأساس في السنة ٢/ ٥٥٦].**

وقال الواقدي: «وَمَضَى رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى أَتَى الشَّيْخَيْنِ فَعَسْكَرَ بِهِ، وَعُرِضَ عَلَيْهِ غِلْمَانٌ: عَبْدُ الله ابْنُ عُمَرَ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَالنُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ، وَزَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ، وَالبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ، وَأُسَيْدُ بْنُ ظُهَيْرٍ، وَعَرَابَةُ بْنُ أَوْسٍ، وَأَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ، وَسَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ، وَرَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ، فَرَدَّهُمْ.

قَالَ رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ: فَقَالَ ظُهَيْرُ بْنُ رَافِعٍ: **يَا رَسُولَ الله، إِنَّهُ رَامٍ**، وَجَعَلْتُ أَتَطَاوَلُ وَعَلَيَّ خُفَّانِ لِي، فَأَجَازَنِي رَسُولُ الله ﷺ، فَلَمَّا أَجَازَنِي، قَالَ **سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ** لِرَبِيبِهِ **مُرَيِّ بْنِ سِنَانٍ الحَارِثِيِّ**، وَهُوَ زَوْجُ أُمِّهِ: **يَا أَبَتِ أَجَازَ رَسُولُ الله رَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ وَرَدَّنِي، وَأَنَا أَصْرَعُ رَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ**، فَقَالَ مُرَيُّ بْنُ سِنَانٍ الحَارِثِيُّ: **يَا رَسُولَ الله، رَدَدْتَ ابْنِي وَأَجَزْتَ رَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ وَابْنِي يَصْرَعُهُ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**تَصَارَعَا**»، فَصَرَعَ سَمُرَةُ رَافِعًا، فَأَجَازَهُ رَسُولُ الله ﷺ، وَكَانَتْ أُمُّهُ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ».

[المغازي للواقدي ١/ ٢١٦، السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦٦].

لَعَلَّكَ جَزِعْتَ:

عَنِ الشَّعْبِيِّ: أَنَّ امْرَأَةً دَفَعَتْ إِلَى ابْنِهَا يَوْمَ أُحُدٍ السَّيْفَ، فَلَمْ يُطِقْ حَمْلَهُ، فَشَدَّتْهُ عَلَى سَاعِدِهِ بِنِسْعَةٍ (سير يضفر عريضًا على هيئة أعنة النعال، تشد به الرحال ويجعل زمامًا للبعير وغيره)، ثُمَّ أَتَتْ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، هَذَا ابْنِي يُقَاتِلُ عَنْكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيْ بُنَيَّ، احْمِلْ هَا هُنَا، أَيْ بُنَيَّ، احْمِلْ هَا هُنَا**»، فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ، فَصُرِعَ فَأُتِيَ به النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**أَيْ بُنَيَّ، لَعَلَّكَ جَزِعْتَ؟**» قَالَ: **لَا يَا رَسُولَ الله**.

[المصنف لابن أبي شيبة ٢٠/ ٣٥٩ كتاب المغازي باب في أُحد وما جاء فيها رقم ٣٧٩٣٧، وقال الشيخ عوَّامة: هذا حديث مرسل، إسناده حسن من أجل عطاء بن السائب، ومراسيل الشعبي صحيحة].

المبيت بين أُحُد والمدينة:

وفي منطقة الشيخين وحيث استعرض الرسول ﷺ جيشه أدركهم المساء، فأذَّن بلال بالمغرب، فصلى النبي ﷺ بأصحابه، ثم أذَّن بالعشاء فصلى بهم، وبات بذلك الموضع القريب من معسكر المشركين.

وقد انتخب مفرزة لحراسة المعسكر قوامها خمسون رجلًا، باتوا يقومون بأعمال الدورية طائفين حول المعسكر، وقد أعطى الرسول ﷺ قيادة قوة الحراسة هذه إلى محمد بن مسلمة الأنصاري ﷺ.

[غزوة أُحد لباشميل ٧٣].

حراسة النبي ﷺ:

قال الواقدي: «وَقَدْ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ، قَالَ حِينَ صَلَّى العِشَاءَ: «**مَنْ يَحْفَظُنَا اللَّيْلَةَ؟**»، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: **أَنَا يَا رَسُولَ الله**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ أَنْتَ؟**»، قَالَ: **ذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ**، قَالَ: «**اجْلِسْ**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ رَجُلٌ يَحْفَظُنَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ؟**»، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: أَنَا، فَقَالَ: «**مَنْ أَنْتَ؟**»، قَالَ: **أَنَا أَبُو سَبُعٍ**، قَالَ: «**اجْلِسْ**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ رَجُلٌ يَحْفَظُنَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ؟**»، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: أَنَا، فَقَالَ: «**وَمَنْ أَنْتَ؟**» قَالَ: **ابْنَ عَبْدِ قَيْسٍ**، قَالَ: «**اجْلِسْ**»، وَمَكَثَ رَسُولُ الله ﷺ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «**قُومُوا ثَلَاثَتُكُمْ**»، فَقَامَ ذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَيْنَ صَاحِبَاكَ؟**»، فَقَالَ ذَكْوَانُ: **أَنَا الَّذِي كُنْتُ أَجَبْتُكَ اللَّيْلَةَ**، قَالَ: «**فَاذْهَبْ حَفِظَكَ اللهُ**».

قَالَ: فَلَبِسَ دِرْعَهُ وَأَخَذَ دَرَقَتَهُ وَكَانَ يَطُوفُ بِالعَسْكَرِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَيُقَالُ: كَانَ يَحْرُسُ رَسُولَ الله ﷺ لَمْ يُفَارِقْهُ». [المغازي للواقدي ١/ ٢١٧].

التمرد في جيش المدينة ومحاولة نصح المتمردين:

وقبل طلوع الفجر بقليل أدلج الرسول ﷺ بجيشه، حتى إذا كانوا بالشوط أدركتهم صلاة الصبح فصلى بأصحابه وعليهم السلاح؛ لأن العدو كان قريبًا منهم، يرونه ويراهم.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالشَّوْطِ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَأُحُدٍ، انْخَزَلَ عَنْهُ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ بن سَلُولَ بِثُلُثِ النَّاسِ، وَقَالَ: **أَطَاعَهُمْ وَعَصَانِي، مَا نَدْرِي عَلَامَ نَقْتُلُ أَنْفُسَنَا هَاهُنَا أَيُّهَا النَّاسُ**، فَرَجَعَ بِمَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ وَالرَّيْبِ، وَاتَّبَعَهُمْ عَبْدُ الله بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ، أَخُو بَنِي سَلِمَةَ، يَقُولُ: **يَا قَوْمِ، أذكِّركم اللهَ أَلَّا تَخْذُلُوا قومكم ونبيّكم عِنْد مَا حَضَرَ مِنْ عَدُوِّهِمْ**، فَقَالُوا: **لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ تُقَاتِلُونَ لَمَا أَسْلَمْنَاكُمْ، وَلَكِنَّا لَا نَرَى أَنَّهُ يَكُونُ قِتَالٌ.**

قَالَ: فَلَمَّا اسْتَعْصَوْا عَلَيْهِ وَأَبَوْا إِلَّا الِانْصِرَافَ عَنْهُمْ، قَالَ: **أَبْعَدَكُمْ اللهُ أَعْدَاءَ الله، فَسَيُغْنِي اللهُ عَنْكُمْ نَبِيَّهُ**. [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦٤، وقال العلي: سنده حسن، وهو مرسل. صحيح السيرة النبوية ص ٢٠٤].

وقال الواقدي: «وَأَقْبَلَ ابْنُ أُبَيٍّ فَنَزَلَ نَاحِيَةً مِنْ العَسْكَرِ، فَجَعَلَ حُلَفَاؤُهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُنَافِقِينَ يَقُولُونَ لابْنِ أُبَيٍّ: **أَشَرْتَ عَلَيْهِ بِالرَّأْيِ وَنَصَحْتَهُ وَأَخْبَرْتَهُ أَنَّ هَذَا رَأْيُ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِكَ، وَكَانَ ذَلِكَ رَأْيُهُ مَعَ رَأْيِكَ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ وَأَطَاعَ هَؤُلاءِ الغِلْمَانَ الَّذِينَ مَعَهُ**، فَصَادَفُوا مِنْ ابْنِ أُبَيٍّ نِفَاقًا وَغِشًّا».

[المغازي للواقدي ١/ ٢١٦].

في هذا المكان تمرَّد عبد الله بن أُبيٍّ، وانسحب راجعًا إلى المدينة بثلاثمائة مقاتل، كانوا قد خرجوا ضمن جيش النبي ﷺ، وكان هؤلاء جميعًا من المنافقين.

وقد رجع هذا المنافق (ابن أبي) بكتيبة النفاق هذه، وانفصل بها عن الجيش النبوي في ذلك الظرف الدقيق، متظاهرًا بالاحتجاج بأن الرسول ﷺ عصاه وأطاع غيره من الشباب حينما قرر الخروج إلى العدو، الأمر الذي كان يعارض فيه.

لقد «ارْتَحَلَ ابْنُ أُبَيٍّ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ فِي كَتِيبَةٍ كَأَنَّهُ هَيْقٌ (الظليم، وهو الذكر من النعام، والأنثى هيقة، ويريد هنا سرعة ذهابه) يَقْدُمُهُمْ، فَاتَّبَعَهُمْ عَبْدُ الله بْنُ عَمْرِو ابْنِ حَرَامٍ رضي الله عنه، فَقَالَ: **أُذَكِّرُكُمْ اللهَ وَدِينَكُمْ وَنَبِيَّكُمْ وَمَا شَرَطْتُمْ لَهُ أَنْ تَمْنَعُوهُ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَوْلادَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ.**

فَقَالَ ابْنُ أُبَيٍّ: **مَا أَرَى يَكُونُ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ، وَلَئِنْ أَطَعْتَنِي يَا أَبَا جَابِرٍ لَتَرْجِعَنَّ، فَإِنَّ أَهْلَ الرَّأْيِ وَالحِجَا قَدْ رَجَعُوا، وَنَحْنُ نَاصِرُوهُ فِي مَدِينَتِنَا، وَقَدْ خَالَفَنَا وَأَشَرْتُ عَلَيْهِ بِالرَّأْيِ فَأَبَى إِلَّا طَوَاعِيَةَ الغِلْمَانِ.**

فَلَـمَّا أَبَى عَلَى عَبْدِ الله ﷺ أَنْ يَرْجِعَ، وَدَخَلُوا أَزِقَّةَ المَدِينَةِ، قَالَ لَهُمْ أَبُو جَابِرٍ ﷺ: **أَبْعَدَكُمْ اللهُ، إِنَّ اللهَ سَيُغْنِي النَّبِيَّ وَالـمُؤْمِنِينَ عَنْ نَصْرِكُمْ.**

فَانْصَرَفَ ابْنُ أُبَيٍّ وَهُوَ يَقُولُ: **أَيَعْصِينِي وَيُطِيعُ الوِلْدَانَ؟**

وَانْصَرَفَ عَبْدُ الله بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ ﷺ يَعْدُو حَتَّى لَـحِقَ رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ يُسَوِّي الصُّفُوفَ». **[المغازي للواقدي ١/ ٢١٩]**.

هدف المنافقين من التمرد:

«ولا شك أن الباعث الرئيس لهذا التمرد لم يكن ـ كما ادَّعى زعيم المنافقين ـ مخالفة الرسول ﷺ لرأي عبد الله بن أُبي حول المكان الذي يلقى فيه المسلمون المشركين.

وإنما الباعث الحقيقي لهذا التمرد في ذلك الظرف الدقيق، هو إحداث البلبلة والاضطراب في جيش المسلمين على مرأى ومسمع من عدوِّهم؛ ليكون ذلك أسرع في القضاء عليهم.

ولقد كاد ينجح رأس النفاق في تحقيق ما كان يهدف إليه من تمزيق جيش المسلمين ونسف وحدته وكاد الاضطراب والاختلاف يحدث داخل الجيش النبوي على أثر انسحاب هذا المنافق بعصابته الخائنة، فقد هَمَّ بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة من الخزرج، بالانسحاب والعودة إلى المدينة، متأثرين بوساوس ذلك المنافق الكبير.

وكادت تكون كارثة لو أنهم انسحبوا وخذلوا نبيهم، غير أن الله تولى هاتين القبيلتين فثبتهما، فعدلتا عن الانسحاب، واستمرتا على ولائهما للرسول ﷺ حتى نهاية المعركة». **[غزوة أُحد لباشميل ٧٤-٧٥]**.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ: فِينَا نَزَلَتْ: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾[آل عمران: ١٢٢]، قَالَ: نَحْنُ الطَّائِفَتَانِ بَنُو حَارِثَةَ، وَبَنُو سَلِمَةَ، وَمَا نُحِبُّ ـ وَقَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً: وَمَا يَسُرُّنِي ـ أَنَّهَا لَمْ تُنْزَلْ؛ لِقَوْلِ الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾.

[البخاري في تفسير القرآن (٤٥٥٨)، وفي المغازي (٤٠٥١)، ومسلم في فضائل الصحابة ﷺ (٢٥٠٥)].

فشل مؤامرة التمرد:

لا شك أن حركة التمرد الخبيثة التي قام بها رأس النفاق في ذلك الظرف، هي مؤامرة خسيسة، قصد بها المنافقون تفتيت وحدة الجيش الإسلامي وإضعاف قوته وهو على أبواب معركة حياة أو موت، وهي لا شك مؤامرة فظيعة للغاية.

ولكن هذه المؤامرة ـ ولله الحمد ـ فشلت فشلًا ذريعًا؛ إذ لم ينجح رأس النفاق إلا في الانسحاب بأصحابه من أهل الريبة والنفاق، الذين قد يكون بقاؤهم داخل الجيش المحمدي ساعة القتال عاملًا من عوامل تحطيم الجيش الإسلامي.

إذ لا يبعد ـ وهذه نواياهم الخبيثة ـ إذا ما بقوا داخل الجيش المحمدي حتى النهاية، أن يميلوا على المسلمين وهم داخل الجيش فيضربوهم ساعة احتدام المعركة، ثم ينضمون إلى العدو.

فكأن الله ﷻ كشف نياتهم الخبيثة وهم لا يزالون في منتصف الطريق، فكان رجوعهم من ذلك المكان بمثابة تصفية للجيش المحمدي، أراد الله بها تطهير هذا الجيش من عناصر التآمر والانهزامية والخذلان؛ ليلقى المسلمون عدوهم، وهم وحدة متماسكة وكتلة متراصة.

فانطبق على هؤلاء المنافقين قوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾[التوبة]». [**غزوة أُحد لباشميل ٧٦-٧٧**].

اختلاف جديد داخل الجيش الإسلامي:

وبعد أن أخذ المنافقون في الانسحاب من الجيش، اختلف المسلمون فيما يصنعون حيال هذا التمرد الخطير الذي قاده عبد الله بن أُبي في تلك اللحظات الخطيرة التي كان الجيش المسلم يمر بها.

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ: لَـمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أُحُدٍ رَجَعَ نَاسٌ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَهُ [مِنْ أَصْحَابِهِ]، وَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةً تَقُولُ: نُقَاتِلُهُمْ [نَقْتُلُهُمْ]، وَفِرْقَةً تَقُولُ: لَا نُقَاتِلُهُمْ [نَقْتُلُهُمْ]، فَنَزَلَتْ: ﴿۞ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾[النساء]، وَقَالَ ﷺ: «**إِنَّهَا طَيْبَةُ تَنْفِي الذُّنُوبَ [الْخَبَثَ] [الرِّجَالَ] كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الفِضَّةِ [الْحَدِيدِ]**». [**البخاري في المغازي (٤٠٥٠)، وفي التفسير (٤٥٨٩)، وفي فضائل المدينة (١٨٨٤)، ومسلم في صفات المنافقين (٢٧٧٦)، والترمذي في تفسير القرآن (٣٠٢٨)، ومسند أحمد رقم ٢١٥٩٩، ٢١٦٣٠، ٢١٦٣٤، ٢١٦٣٦**].

فقد رأى فريق من قادة جيش النبي ﷺ تأديب هؤلاء المتمردين والقضاء عليهم للتخلص منهم قبل الاشتباك مع جيش المشركين.

ولكن فريقًا آخر ـ وعلى رأسهم النبي القائد الأعلى ﷺ ـ رأوا غير الرأي الأول، رأوا ترك هؤلاء المتمردين وشأنهم الآن.

وهذا الرأي ـ دونما جدال ـ هو غاية في الحكمة والصواب؛ لأن مقاتلة المتمردين في تلك الساعات الحرجة فيه من الخطورة على سلامة الجيش الإسلامي ما لا يخفى على أي خبير عسكري يقدر النتائج.

فمقاتلة المتمردين في تلك الساعة يجعل المسلمين بين نارين، جيش المشركين وهؤلاء المتمردين، وهذا مما يسهل على جيش مكة الإحاطة بجيش المدينة وضربه ضربة قد تكون مدمِّرة قاضية.

وبهذا الموقف الذي سيطرت فيه قيادة الجيش العليا على الأعصاب إزاء ذاك التمرد الغادر، أثبت الرسول القائد ﷺ بأنه يجب أن يكون ـ عن جدارة واستحقاق ـ على رأس أمهر قادة العالم العسكريين خبرة ودراية وإدارة وحنكة. [**غزوة أُحد لباشميل ٧٧-٧٨**].

خلاصة الجيش بعد التمرد:

وبعد حادثة تمرد المنافقين وانسحابهم إلى المدينة بقي النبي ﷺ في سبعمائة مقاتل فقط، واصل السير بهم نحو جبل أُحد؛ ليقاتل بهم ثلاثة آلاف يفضلونهم من ناحية التسلح والتموين في كل شيء إلا العقيدة والإيمان. [غزوة أُحد لباشميل ٧٨].

إلى أُحد:

ولما كان المشركون قد سبقوا المسلمين إلى وادي قناة وعسكروا فيه بالسبخة قبل خروج المسلمين من المدينة، ولما كان النبي ﷺ يجهل كل المسالك إلى أُحد في تلك المنطقة لحداثة عهده بها، فقد طلب ممن لهم خبرة بالمسالك والطرق في تلك المنطقة أن يدلوه، على طريق يفضي به إلى الشعب من جبل أحد دون أن يمر على جيش مكة المنتشر في السبخة من الوادي، والذي كان يحول ـ في مناطق كثيرة ـ بين المسلمين وبين الشِّعب من أُحد. [غزوة أُحد لباشميل ٧٨-٧٩].

الدليل إلى أُحد والمنافق أعمى القلب أعمى البصر:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى الْقَوْمِ مِنْ كَثَبٍ ـ أَيْ مِنْ قُرْبٍ ـ مِنْ طَرِيقٍ لَا يَمُرُّ بِنَا عَلَيْهِمْ؟**»، فَقَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ أَخُو بَنِي حَارِثَةَ بْنِ الحَارِثِ: **أَنَا يَا رَسُولَ الله!** فَنَفَذَ بِهِ فِي حِرَّةِ بَنِي حَارِثَةَ، وَبَيْنَ أَمْوَالِهِمْ حَتَّى سَلَكَ فِي مَالٍ (حَائِطٍ) لِمِرْبَعِ بْنِ قَيْظِيٍّ، وَكَانَ رَجُلًا مُنَافِقًا ضَرِيرَ البَصَرِ، فَلَـمَّا سَمِعَ حِسَّ رَسُولِ الله ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ قَامَ يَحْثِي فِي وُجُوهِهِمْ التُّرَابَ، وَيَقُولُ: **إنْ كُنْتَ رَسُولَ الله، فَإِنِّي لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ حَائِطِي.**

وَقَدْ ذُكِرَ لِي أَنَّهُ أَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تُرَابٍ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: **وَالله لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي لَا أُصِيبُ بِهَا غَيْرَكَ يَا مُحَمَّدُ لَضَرَبْتُ بِهَا وَجْهَكَ.**

فَابْتَدَرَهُ القَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تَقْتُلُوهُ، فَهَذَا الأَعْمَى أَعْمَى القَلْبِ، أَعْمَى البَصَرِ**».

وَقَدْ بَدَرَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ، أَخُو بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، قَبْلَ نَهْيِ رَسُولِ الله ﷺ عَنْهُ، فَضَرَبَهُ بِالقَوْسِ فِي رَأْسِهِ فَشَجَّهُ. [السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٦٥، المغازي للواقدي ١/ ٢١٧-٢١٨].

وهكذا تحرك الجيش الإسلامي، فسلك به الدليل أبو خيثمة ﷺ طريقًا قصيرًا وصل به إلى الشِّعب من أُحُد دون أن يمر على عسكر مكة.

فقد نفَذَ الدليل بالمسلمين في حرَّة بني حارثة وبين مزارعهم متجهًا بهم شمالًا نحو جبل أُحُد، وتاركًا جيش المشركين شماله غربًا. [غزوة أُحد لباشميل ٧٩].

حادثة تفاءل بها الرسول ﷺ:

«وَمَضَى رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى سَلَكَ فِي حَرَّةِ بَنِي حَارِثَةَ، فَبَيْنَا هُوَ فِي مَسِيرِهِ إِذْ ذَبَّ فَرَسُ أَبِي بَرْدَةَ بْنِ نِيَارٍ رضي الله عنه بِذَنَبِهِ فَأَصَابَ كُلَّابَ (مسمار يكون في قائم السيف، وفيه الذؤابة لتعلقه بها) سَيْفِهِ فَسَلَّ سَيْفَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا صَاحِبَ السَّيْفِ، شِمْ سَيْفَكَ ـ أي اغمده ـ فَإِنِّي إِخَالُ السُّيُوفَ سَتُسَلُّ فَيَكْثُرُ سَلُّهَا**»، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُحِبُّ الفَأْلَ وَيَكْرَهُ الطِّيَرَةَ». [**المغازي للواقدي ١/ ٢١٨، والسيرة لابن هشام ٢/ ٦٤**].

مبلغ قوة جيش المدينة:

وقد بلغت قوة جيش النبي ﷺ ـ قبل أن يتمرد المنافقون ـ ألف مقاتل، يقابلهم من جانب المشركين ثلاثة آلاف مقاتل، وبعد أن تمرد المنافقون صار جيش الرسول ﷺ سبعمائة مقاتل فقط.

ولم يكن مع المسلمين من **سلاح الوقاية** سوى مائة دارع، بينما يوجد في جيش المشركين سبعمائة دارع.

كما أن المسلمين ليس لهم من **سلاح المطاردة** أكثر من فرسين: لرسول الله ﷺ ولأَبِي بَرْدَةَ بْنِ نِيَارٍ رضي الله عنه، بينما يوجد في جيش مكة من هذا السلاح المهم مائتا فرس». [**غزوة أُحد لباشميل ٦٩**].

دعاء عبد الله بن جحش وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما:

عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، حَدَّثَنِي أَبِي رضي الله عنه أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ جَحْشٍ رضي الله عنه قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ: **أَلَا تَأْتِي نَدْعُو الله؟**، فَخَلَوْا فِي نَاحِيَةٍ، فَدَعَا سَعْدٌ رضي الله عنه فَقَالَ: **يَا رَبِّ إِذَا لَقِينَا الْقَوْمَ [العَدُوَّ] غَدًا، فَلَقِّنِي رَجُلًا شَدِيدًا بَأْسُهُ، شَدِيدًا حَرْدُهُ** (حرَد عليه حَرْدًا: غضب واغتاظ فتحرش بالذي غاظه وهَمَّ به، فهو حَرِدٌ وحُرْدان)، **فَأُقَاتِلُهُ فِيكَ وَيُقَاتِلُنِي، ثُمَّ ارْزُقْنِي عَلَيْهِ الظَّفَرَ حَتَّى أَقْتُلَهُ، وَآخُذَ سَلَبَهُ** (ما يُسلب من القتيل)، [فَأَمَّنَ عَبْدُ الله رضي الله عنه]، فَقَامَ عَبْدُ الله بْنُ جَحْشٍ رضي الله عنه، ثُمَّ قَالَ: **اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي غَدًا رَجُلًا شَدِيدًا حَرْدُهُ، شَدِيدًا بَأْسُهُ، أُقَاتِلُهُ فِيكَ وَيُقَاتِلُنِي، ثُمَّ يَأْخُذُنِي، فَيَجْدَعُ أَنْفِي وَأُذُنِي، فَإِذَا لَقِيتُكَ غَدًا قُلْتَ: يَا عَبْدَ الله فِيمَ جُدِعَ أَنْفُكَ وَأُذُنُكَ؟ فَأَقُولُ: فِيكَ وَفِي رَسُولِكَ، فَيَقُولُ: صَدَقْتَ.**

قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ: **يَا بُنَيَّ كَانَتْ دَعْوَةُ عَبْدِ الله بْنِ جَحْشٍ خَيْرًا مِنْ دَعْوَتِي، لَقَدْ رَأَيْتُهُ آخِرَ النَّهَارِ، وَإِنَّ أُذُنَهُ وَأَنْفَهُ لَـمُعَلَّقَانِ فِي خَيْطٍ.**

قَال سَعْدٌ رضي الله عنه: **كَانَتْ دَعْوَتُهُ خَيْرًا مِنْ دَعْوَتِي، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ آخِرَ النَّهَارِ، وَإِنَّ أَنْفَهُ وَأُذُنَهُ لَمُعَلَّقٌ فِي خَيْطٍ**».

[المستدرك للحاكم في الجهاد ٢/ ٨٦ رقم ٢٤٠٩، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. ومجمع الزوائد ٩/ ٤٩٦ كتاب المناقب (١٥٦٥٢)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، والسنن الكبرى للبيهقي ٦/ ٥٠١ رقم ١٢٧٦٩، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١/ ١١٢، وسبل الهدى والرشاد ٤/ ٣٢٢].

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُقْسِمُ عَلَيْكَ أَنْ أَلْقَى الْعَدُوَّ غَدًا فَيَقْتُلُونِي، ثُمَّ يَبْقُرُوا بَطْنِي، وَيَجْدَعُوا أَنْفِي وَأُذُنِي، ثُمَّ تَسْأَلُنِي بِمَا ذَاكَ؟ فَأَقُولُ: فِيكَ**»، قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ: «**إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَبَرَّ اللهُ آخِرَ قَسَمِهِ كَمَا بَرَّ أَوَّلَهُ**». [المستدرك للحاكم في معرفة الصحابة ﷺ ٣/ ٢٢٠ رقم ٤٩٠٢، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين لولا إرسالٌ فيه، وقال الذهبي: مرسل صحيح].

الفصل الثاني

الدروس والعبر المستفادة من المرحلة الأولى من غزوة أُحُد

(قبل المعركة)

المبحث الأول

الدروس العقائدية

١ ـ موقف كفار قريش من رسالة الهدى والنور نموذج للفجور الوثني العنيد:

يقول الشيخ عرجون: «إن الذين أشركوا بالله آلهة أخرى اتخذوها معبودات لهم مع الله تعالى يدعونها ويتقربون إليها بأنواع القرابين، والذين ألحدوا في آيات الله بالتكذيب والاستهزاء والسخرية فأنكروا وجود الله، وعميت أبصارهم وبصائرهم عن حكمته في نظام الكون ودلالة هذا النظام المحكم على وجوده واقتداره وإطلاق مشيئته وإحاطة علمه ـ يأبون إلا أن يقودوا الحياة بأزمة عقولهم الوثنية القاصرة، ويسوقوها بسياط الكفر والفجور ليجعلوا من أنفسهم حماة للحياة الفاجرة، ويجعلوا من فجورهم طرائق لمسيرة الحياة يوجهونها بمشيئاتهم.

وكان كفَّار قريش ومشركوهم ممن عسَوا في حمأة الوثنية الباغية نموذجًا لهذا الفجور العنيد بوقوفهم أمام دعوة الحق والهدى التي جاءتهم على يد رجل منهم، يعرفون صدقه وأمانته، ويعرفون منبعه ومرباه، ويعرفون مدخله ومخرجه، وغدوه ورواحه، وحركته وسكونه، وأخذه وعطاءه، وسلوكه في الحياة وعشرته مع الناس والأشياء.

فانبعثوا لمناهضة هذه الدعوة الراشدة الهادية التي أرادتهم سدنة لها لتجعل منهم سادة ذادة، يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وقادة يأخذون بزمام الإنسانية إلى آفاق حضارة إيمانية، يبنون دعائمها على قواعد منهج الرسالة الخالدة، ولكن الكفرة ركبوا متن الشيطان غرورًا وعتوًّا، وطغيانًا وكفرًا، فجعلوا من ظهور طلائع الإيمان مهابط لسياط تعذيبهم يصبونه عليهم بلاء ليفتنوهم عن دينهم، حتى أخرجوهم من ديارهم وأموالهم مهاجرين إلى إخوانهم أنصار الله بالمدينة التي صارت عاصمة المجتمع المسلم وقلعته الحصينة التي فيها بناء المجتمع الجديد في تركيبه الاجتماعي المتكافل على دعائم التآخي بين أفراد هذا المجتمع وجماعاته، فكان بهذا التآخي قوة موحدة الوسائل والأهداف، تستطيع أن تواقف أعداء الدعوة إلى الله ورسالة الهدى والنور، مهما بلغ طغيانهم المادي، وقوتهم الخاوية من دوافع الإيمان وأهدافه الإنسانية.

وقد كانت هجرة طلائع الإيمان من السابقين الأوَّلين إلى المدينة غصَّة في قلوب قريش وطواغيتها، أشجت صناديدها، وأثارت في نفوس أشراف جاهليتهم حفائظ الحقد الحانق والغيظ الكظيم، مما جعلهم في همٍّ مقيم مقعد، يفكِّرون ويقدِّرون، ولا هدف لهم في تدبيرهم وتقديرهم إلا القضاء على المجتمع المسلم الجديد الذي سيقضي على تجاراتهم وهي صاعدة نازلة، غادية رائحة، مارَّة على مدينتهم في عيراتها وقوافلها، وفي هذه العيرات والقوافل الأموال التي نهبوها في مكة من المهاجرين، وجعلوها مع أموالهم في تجارتهم.

ولم يكن يغيب عن ملأ أولئك الطغاة من فجَّار الكفر وأحلاس الوثنية الفاجرة أن المجتمع المسلم في تركيبه الاجتماعي الجديد، وقوته التي كانت ثمرة من ثمرات وحدته الإيمانية ومؤاخاته التكافلية ينام على الضيم مطمئنًا دون أن ينهض ليسترجع أمواله المنهوبة منه، ودون أن يقف في طريق عيراتهم وقوافلهم المحمَّلة بهذه الأموال وغيرها لينتزعها من أيديهم كرهًا وقسرًا، ودون أن يعمل كل ما يستطيع في وضعه الجديد لتكسيد تجاراتهم، وتبوير سعيهم، وكسر شوكتهم المادية المتعززين بها.

وقد كان هذا التصور ـ وهو حقيقة كشف عنها تحفز المجتمع المسلم للوقوف في طريق قوافلهم ليصدَّها عن المرور على مدينته، ويغنم ما فيها من أموال كانت مصدر غرور هؤلاء الفجرة، عملًا بأبسط قواعد الحرب المعمول بها في قانون الحياة الإنسانية ـ يملأ أدمغة أولئك المستكبرين في الأرض، فكان لا بدَّ لهم من الاستعداد لمقاومة هذا المجتمع المسلم وفتح الطريق أمام عيراتهم وقوافلهم، وحمايتها بقوة السلاح». [**محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٣/ ٥٤٣-٥٤٥**].

٢ ـ العنجهية والكبرياء الجاهلي:

يقول أ/ خلف الله: «خرجت قريش بعنجهيتها وخيلائها وكبريائها وجاهليتها تقطع الفيافي تريد محاربة الله تعالى! ولمه؟ لأن الله تعالى أرسل رسول الله ﷺ ليحرر الناس من العبودية لغير الله، ويخلصهم من الهُبَل والعُزَّى والأصنام، ويهديهم بإذن الله سبل السلام، ويدعوهم إلى مكارم الأخلاق ويقرر قواعد الإنسانية المتهدمة على أسس راسخة قوية أصلها ثابت وفرعها في السماء.

عَزَّ على المشركين أن تنسف الدعوة المحمدية آلهتهم وتحطم جاهليتهم الأثيرة عندهم وأن تهاجم دخائل نفوسهم فتطالبهم بالطهارة من كل رجس والخروج عن كل خبث، لقد صَبَّ المشركون العذاب على المسلمين صبًّا حين كانوا بمكة حتى هاجروا منها واستولوا على أموالهم، ولم يتركوهم بعد هجرتهم وشأنهم، بل قرروا إبادتهم، إذ وجدوا أن صوت رسول الله ﷺ في المدينة يؤرقهم وينفي الكرى عنهم وهم في مكة، ذلكم الصوت الرحيم الذي يدعو الخلق إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وينادي بالأخوة والمساواة ويعلن عن حقوق الإنسان الأصيلة بقوة لم تُعرف من قبل ولا من بعد، فلا فرق بين

عربي وعجمي إلا بالتقوى، فلا سيد ولا مسود ولا استغلال ولا ظلم ولا ذل ولا استعباد، ولا استبداد ولا فوضى ولا أنانية ولا كبرياء ولا نهب ولا سلب، ولا طمع ولا محاباة، هذه التعاليم لم تستسغها النفوس المريضة؛ لأنها كانت ضربة موجهة إلى صميم نظم المشركين السياسية والاقتصادية والاجتماعية فناصب كبارهم هذه التعاليم العداء؛ لأنها تجردهم مما يتمتعون به من امتيازات ومركز أدبي بين قومهم وتجعلهم أشخاصًا عاديين لا فرق بينهم وبين عبيدهم.

لذا وجد المشركون أن بقاءهم منوط بمحو الدعوة الإسلامية وحرمان المسلمين من إيمانهم بالله ورسوله ﷺ وهيهات هيهات أن يتم لهم ذلك، وقد جربوا بأنفسهم، ألم يُعذِّبوا الضعفاء بإلقائهم على الأحجار المحماة وجلدهم بالسياط وتعذيبهم في حُمَّارة القيظ المحرق مع حرمانهم الطعام والشراب! ومع ذلك كان الواحد منهم يقول: أَحد.. أَحد ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة].

إن أكبر الكبائر الإشراك بالله تعالى؛ ذلك لأن الشرك ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض، وحُجُب متلاطمة لا يقر لها قرار، فهو يجعل الإنسان عبدًا للمخلوق، وهو لا يعبد المخلوق إلا جلبًا لفائدة أو دفعًا لضرر فهو في الواقع عبد لمصلحته وبالتالي هو عبد لنفسه! وعبادة النفس معناها أن الشخص غير صالح ليكون عضوًا كريمًا عاملًا على الرقي بالجماعة الإنسانية محققًا لسعادتها، بل هو على الضد من ذلك يكون عدوًّا للإنسانية هادمًا لأركانها ساعيًا في شقائها دون أن يدري، إذ إن الشرك يقلب الأوضاع، فيجعل الحق باطلًا، والباطل حقًّا، والخالق مخلوقًا، والمخلوق خالقًا، وعلى هذا الأساس لا يمكن تبني قواعد الجماعات على أسس سليمة؛ ذلك أن العلاقات الإنسانية تكون مبنية على مستلزمات الشرك وهي الجشع والتربص والحقد والكذب وسفك الدماء والعدوان والاستعباد والإذلال، والبناء السياسي يكون أساسه استبداد فريق بفريق، والاقتصادي يبنى على أساس استغلال فئة لأخرى، والاجتماعي على أساس تفوق طائفة على طائفة، وتكون العلاقات بين الجماعات البشرية مبنية على الإرهاب والتهديد والقوة، فالقوي يأكل الضعيف، كل ذلك يؤدي إلى انفراط نظام العقد الإنساني الذي يتحول إلى فوضى لا ضابط لها ولا رابط، يسودها الخوف ويخيم عليها القلق وتتخللها الحروب التي لا تنتهي والتي تسببها الأطماع التي لا تنتهي، وحينئذ تصبح الحياة شقاءً لا سعادة فيه وجحيمًا لا يُطاق يعذب فيه البشر بعضهم بعضًا، وهيهات أن يسعد مشرك لسبب بسيط، وهو أن عذابه من داخله لا من الخارج، إن الذي يقوم بتعذيبه نفسه التي بين جنبيه فإلى أين يفر منها؟...

إن السعادة ليست في الحياة ولا في السلطان ولا في المال ولا في البنين، وكم رأينا وسمعنا عن

أشخاص توفر لهم كل ذلك وكانوا يَشْكُون باستمرار من شقائهم المقيم، لقد بحثوا ونقَّبوا عن السعادة في جميع مآرب النفس وملذاتها فلم يفلحوا في الوصول إليها بل كان الشقاء في انتظارهم كلما فرغوا من لذة عاد إليهم وسرى في عروقهم وتجدد لهم بدل العذاب عذابان فيسرعون إلى لذة أخرى تُنسيهم شقاءهم وهكذا: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج].

إن هذا الذي فعله المشركون مع رسول الله ﷺ لم ينته بعد، بل هو موجود في كل وقت طالما وُجد الشرك على سطح الأرض، فهناك نفوس مظلمة مكابرة لا تعترف بحق ولا تريد أن تقوم بواجب، همُّها الإيذاء والاعتداء والتنعم بسلب الغير، وهناك دول بأسرها لا يمكنها أن تعيش إلا على أشلاء البشر، إنها تطحن حريات الآخرين لتصنع حريتها، وتجرِّد الشعوب من الحقوق لتحتكر حقوق الإنسان لنفسها، وتحرمهم من القوت لتنعم هي بطيب العيش ولذة الحياة، وتحشد قوات التدمير والهلاك وترسلها على الشعوب لتكبلها بأغلال العبودية والتبعية لها، وقد شاهدنا ورأينا بأعيننا أفعالهم كما سمعنا عن جرائمهم التي تقشعر لها الأبدان ومع ذلك يدَّعون زورًا وبهتانًا أنهم حماة الإنسانية، ألا ساء ما يحكمون.

وبعد: فإن تكامل الذات يتوقف على درجة قبولها لبعض جوانب الحقيقة أو لها كلها دون خضوع لضغط أو انقياد لتقاليد موروثة أو مجاراة لمألوف، ولا يكون قبول الذات للحقائق كاملًا إلا إذا امتلأت بالإيمان بالله تعالى واستضاءت جوانبها بمعرفته، وما ينطبق على الفرد ينطبق على المجموع، إذ يستحيل أن يتحقق وجود الجماعة المتكاملة إلا إذا كان أفرادها من هذا النوع، فالإيمان بالله تعالى هو الأساس الوحيد لبناء القيم الإنسانية والعلاقات الإنسانية على أسس من التفاعل البيولوجي المتكامل الذي يحقق للأفراد أكبر قسط من سعادتهم.

وها هو العالم الآن لا يستقر على قيم ثابتة يبني عليها الناس سلوكهم وعلاقاتهم، فهم متخبط ما بين قديم وجديد ومخضرم، وفي كل جيل تنهدم قيم وتقوم أخرى، والبشر يقتربون في هدمهم وبنائهم من الفطرة، وسواء اقترب البعض أم ابتعد فهيهات أن تستقر قيم ما غابت معرفة الله تعالى عن القلوب وما ضعف الإيمان أو انعدم.

لقد بيَّن رسول الله ﷺ للناس سبل السعادة الحقة، فلم يترك طريقًا يقرب إليها إلا وقد أمر به، ولم يترك سببًا يقرِّب إلى الشقاء إلا وقد نهى عنه، اللهم إنه قد بلَّغ، وبلَّغ الحاضر من صحبه الغائب.

ومع ذلك قُتل الإنسان ما أكفره! ها هم المشركون يخرجون لقتاله ﷺ ويتشوقون إلى التمثيل بأصحابه، وها هي هند كلما مرت بوحشي تقول له: (يا أبا دسمه أشف واستشف) وممن؟! من عم رسول الله ﷺ وأسد الله الحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

ولله در حسان ثابت ﷺ إذ يقول في خروج قريش:

سُقْتُمْ كِنَانَـةَ جَهْلًا مِـنْ سَـفَاهَتِكُمْ ... إِلَى الرَّسُـولِ فَجُنْـدُ الله مُخْزِيهَـا

أَوْرَدْتُمُوهَا حِيَاضَ المَـوْتِ ضَـاحِيَةً ... فَالنَّـارُ مَوْعِـدُهَا، وَالقَتْـلُ لَاقِيهَـا [1]

جَمَّعْتُمُـوهُمْ أَحَابِيشًـا بِـلا حَسَـبٍ ... أَئِمَّـةَ الكُفْـرِ غَـرَّتْكُمْ طَوَاغِيهَـا [2]

أَلا اعْتَـبَرْتُمْ بِخَيْـلِ الله إِذْ قَتَلَـتْ ... أَهْلَ القَلِيبِ وَمَنْ أَلْقَيْنَهُ فِيهَـا؟! [3]

كَـمْ مِـنْ أَسِـيرٍ فَكَكْنَـاهُ بِـلا ثَمَـنٍ ... وَجَـزِّ نَاصِـيَةٍ كُنَّـا مَوَالِيهَـا [4]

[غزوة أُحد لخلف الله ٤٣-٤٦].

٣ ـ حقيقة موقف أهل الكتاب من أهل الإيمان:

يقول أ/ النجيري: «ربط الله تعالى بين موقف أُحُد الذي تعرض فيه المسلمون للابتلاء وموقف أهل الكتاب، فبيَّن موقفهم من أهل الإيمان حين يرونهم في حال الامتحان، فقال: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران].

وهذا تعبير عن مكنون الصدور بما فيها من حقد وبغض شديد وضحه الله بقوله: ﴿هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ [آل عمران].

ونرى من ذلك صورة المخادعة والتظاهر من بعضهم بالإيمان وما تُكن صدورهم إلا الضغينة والكره.

ولقد أرادت كتيبة حسنة الإعداد من يهود من حلفاء ابن أُبي أن تلحق بالمسلمين حين بلغوا رأس الثنية في طريقهم إلى أُحد لتنضم إليهم، ولكن النبي ﷺ رفض ذلك برغم قلة عدد جيشه، وقال: «**لا نَسْتَنْصِرُ بِأَهْلِ الشِّرْكِ عَلَى أَهْلِ الشِّرْكِ**»، كما أن الأنصار في هذا اليوم قَالُوا لِرَسُولِ الله ﷺ: **يَا رَسُولَ الله! أَلَا نَسْتَعِينُ بِحُلَفَائِنَا مِنْ يَهُودَ؟** فَقَالَ ﷺ: «**لَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِمْ**».

[ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٩٣، طبقات ابن سعد ٢/ ١ / ٢٧١].

وكان ذلك تعبيرًا عن قول الحق ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [آل عمران].

---

(١) **حياض**: جمع حوض . **الضاحية**: البارزة للشمس .

(٢) **حَسَب**: الشرف . **الطواغي**: جمع طاغية، وهو المتكبر المتمرد .

(٣) **أهلَ القَليب**: من قتل ببدر من المشركين .

(٤) **مَوَاليها**: أهل النعمة عليها .

وتُبين هذه الآيات في جلاء أن أهل الكتاب كان موقفهم في أُحد هو:

ـ الاجتهاد في إحداث الاضطراب في الصف المسلم والانشقاق للجماعة المسلمة.

ـ رغبتهم الشديدة في إرهاق المسلمين وإعناتهم.

ـ ظهور العداوة من مقالاتهم برغم محاولاتهم مداراة المسلمين.

ـ تُكِنُّ صدورُهم أعظم مشاعر البغض والحقد على المسلمين.

ـ خديعتهم المسلمين حتى إنهم يُظهرون لهم المحبة والإيمان والتسامح والتعاون والتآزر، فينالوا من المسلمين المحبة والإحسان والعهود، مع أن صدورهم تتحرق كمدًا وغيظًا مما بالمسلمين من خير يودون أن يزول.

ـ وهم يحبون ألا «يمس» المؤمنين خير، فإذا نزل الضر سُرُّوا بذلك، ولم تُخف ألسنتهم الشماتة والزراية.

ـ وهم يتحينون الفرص ويدبرون لمكيدة أهل الإيمان، ولكن الله تعالى من ورائهم، وهو يحيط بكيدهم.

ـ ولا ينقطع تثبيطهم وصرفهم المؤمنين عن الخروج في سبيل الله تعالى، ويبين ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾ [آل عمران].

وهذا البيان الذي أورده القرآن الكريم لموقف أهل الكتاب من أهل الإيمان في بدء الحديث عن غزوة أُحُد، هو موقف ثابت أراد الله تعالى أن يلفت الأنظار والعقول لما فيه من عبر ودروس في كل موقف يمر به المؤمنون: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [آل عمران].

وتأتي الآيات بعد ذلك لتحذر مرة أخرى من متابعة الكافرين وموالاتهم؛ لأنه سبب الخسران: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [آل عمران].

وبرغم كل ذلك فإن مِنْ أهل الكتاب مَنْ في قلبه الخير والوفاء، وقد ظهر ذلك في موقف أحد اليهود ويُدعى **مُخَيْرِيق**، فقد كان النبي ﷺ قد عقد عهدًا مع يهود المدينة للتناصر وعدم الاعتداء والتعاون في الدفاع عن المدينة، وكان النبي ﷺ يرمي من وراء ذلك إلى تأمين ظهره وكف يد يهود عن أن تتآمر مع أعدائه، ولم يكن يريد منهم أن يخرجوا معه في جيشه، ولم يثبت عنه ﷺ أنه استعان بهم في غزوة، إلا أن مخيريق (وهو أحد بني ثعلبة بن الفطيون) دعا قومه إلى نصر رسول ﷺ وقال لهم: والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم حق واجب، فقالوا له معتذرين: إن اليوم السبت، فقال: لا سبت لكم، وأخذ سلاحه ولحق برسول الله ﷺ فقاتل معه حتى قُتل، وأوصى أن يكون ماله لرسول الله ﷺ

يصنع فيه ما يشاء، ويقال إن بعض صدقات رسول الله ﷺ بالمدينة من مال مخيريق». [ينظر: تاريخ الطبري ٢/ ٥٣١، والمغازي للواقدي ١/ ٢٦٣، والسيرة النبوية لابن هشام ٣/ ١٢٩]. [البلاء الإلهي للنجيري ١٠١-١٠٦].

٤ ـ تأصل عداوة اليهود للمسلمين:

يقول أ/ خلف الله: «وهنا نتساءل: هل كان في استطاعة اليهود أن يعيشوا في سلام دائم في ظل الرسالة المحمدية الخالدة؟ الجواب: لا؛ ذلك أن نفسية الغالبية من اليهود قد جُبلت على طباع يستحيل عليهم أن يعدلوا عنها، وها هم المسلمون قد كتبوا لهم صحيفة نصت على أن لليهود ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ومع ذلك لم يكفوا عن الكيد للمسلمين وممالأة أعدائهم بل وإغراء القبائل بهم.

لقد كانت لهم الزعامة الاقتصادية والسياسية في شمال الحجاز، فلما جاء رسول الله ﷺ أصبح صاحب الرأي الأعلى في شؤون المدينة وما جاورها، كما أن المهاجرين ـ ولا ننسى أنهم قرشيون ـ حذقوا التجارة ومرنوا على أساليبها وعرفوا أسرارها، وسرعان ما بدأوا في تحرير المدينة من سيطرة اليهود الاقتصادية، بل نافسوا اليهود منافسة شريفة هدَّدت مركزهم التجاري الاحتكاري؛ لذا عقد اليهود النية على التخلص من المسلمين أو إخضاعهم لسلطانهم بطرقهم الخاصة وأهمها تأليب العرب عليهم.

ولما انتصر المسلمون في بدر ازداد حنق اليهود ولم يستطيعوا كتمان حقدهم فأخذوا يجاهرون بالعداوة والبغضاء، وأول من جاهر بها هم يهود بني قينقاع إذ كانوا يقيمون داخل المدينة نفسها ويظهر تبجحهم من خطابهم لرسول الله ﷺ بقولهم: «**يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ تَرَى أَنَّا قَوْمُكَ! لَا يَغُرَّنَّكَ أَنَّكَ لَقِيتُ قَوْمًا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالحَرْبِ، فَأَصَبْتَ مِنْهُمْ فُرْصَةً، إِنَّا وَاَللهِ لَئِنْ حَارَبْنَاكَ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّا نَحْنُ النَّاسَ**».

[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٤٧، السيرة النبوية لابن كثير ٣/ ٥].

واتضح من تصرفاتهم وسلوكهم أنهم لا يطيقون وجود المسلمين بالمدينة فكان لابد من إجلائهم عنها، وقد تم ذلك في شوال سنة ٢هـ.

ويجب أن نَذكر كلمة عن تطور الأفكار والتعاليم اليهودية قبل البعثة المحمدية إذا أردنا أن نفهم نفسيتهم.

وضع أسس الصهيونية قبل البعثة المحمدية:

نبذة من تعاليم وتقاليد اليهود الذين بدلوا التوراة: فمن الناحية السياسية نجد أن هذا النوع من اليهود لا يعرف الخضوع لحدود المعايشة السلمية لمواطن، ولا يعترف بمبدأ التزامات المواطنة ومسؤولياتها، وإنما هم يتصرفون تصرفات يبدو فيها من الضعف ما يثير الرحمة، فإذا ما قدروا بطشوا بطشة الجبارين، وهم في ضعفهم إنما يلتمسون الطريق إلى السيطرة والاستغلال، وقد وصف شريدان الأمة اليهودية بقوله: (إنها تطأطئ الرأس لتغزو).

(ومن ثم كان رد الفعل الذي يكاد يكون واحدًا بين شعوب الأرض التي عرفت بني إسرائيل: فتلك الشعوب التي آوتهم في بلادهم وأكرمت أول الأمر لقاءهم في ضعفهم، فلما أساؤوا إلى أصحاب البلاد الأصليين بأن عاشوا في عزلة لا يشاركون في مسؤوليات الوطن المشتركة، بل يحتفظون لأنفسهم بالغُنم وعلى سواهم الغُرم، ويقودون حياتهم كما ورثوا أسلوبها عن آبائهم دون اندماج في مواطنة حقة، ويترقبون الفرص لاقتناص أسباب الاستقلال والسيطرة، لم تجد تلك الشعوب سبيلًا إزاء هذا السلوك الشاذ سوى الانتقاض عليهم). [**الصهيونية في المجال الدولي ـ د/ محمد عبد المعز نصر ص ٣٥**].

ومن الناحية الدينية نجد أن هذا النوع من اليهود يمتلئ حقدًا على جميع الأديان، فهم الذين أثاروا أباطرة الرومان وسلطوهم على ذبح المسيحيين أينما ثقفوا حتى جرت الدماء أنهارًا خلال الاضطهادات الدينية المروعة، فقبل الهجرة المحمدية بخمسة قرون قام اليهود في عهد الحاخام إكيبا سنة ١١٥م والذي يسمونه (أبا السنة التلمودية) بذبح مائتي ألف مسيحي في ليبيا و٢٤٠ ألف ما بين مسيحي ووثني في قبرص، ولم تقف هذه المذابح حتى أخمد الإمبراطور الروماني تراجان ثورتهم، وفي سنة ١٣٤م قاموا بمذابح واسعة النطاق راح ضحيتها مئات الألوف من غير اليهود.

ويبذل هذا النوع من اليهود ما في وسعه للتشكيك في الأديان وفي العقائد، بل إنهم في عهد رسول الله ﷺ كانوا يدسُّون الأسئلة لتشكيك المسلمين فألجمهم رسول الله ﷺ وكبتهم، وكان يبين شبههم ويوضحها بصدر رحب، ولم ينته ذلك بل إنهم فيما بعد دسوا كثيرًا من أساطيرهم في كتب المسلمين وهي المعروفة بالإسرائيليات للتشكيك في الشريعة المحمدية، ولهم براعة سابقة في ذلك، فقد غيروا ما جاء به موسى عليه السلام حتى لم يبق منه إلا الاسم، واختلطت في أذهانهم فكرة الألوهية حتى حولوها إلى عبادة الغرور الإنساني والتفوق الجنسي، وقالوا: إنهم خُلقوا من مادة الإله، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرًا، ويقولون: إن الله يحقد على غير اليهود، وإن أكبر الكبائر عند الله هي العطف على (جوييم) أي غير اليهود.

وسجلوا ذلك في أساطير سموها بالتلمود أو (سيفرهزوهار)، وأول من قام بهذا العمل حبر من أكبر أحبارهم اسمه (يهوذا القديس) الذي عاش في القرن الثالث الميلادي وقد قضى ثلاثين عامًا في كتابة (المشتا) التي تعتبر أساسًا للتلمود المقدس، وتوفر الأحبار من بعده فرادى وجماعات على تكميله حتى قرب من تمامه في القرن الرابع أو الخامس الميلادي ـ قبل البعثة المحمدية بمدة تقرب من قرنين ـ وقام يهود بابل بكتابة (الجمارا) وشروحها، وهي نواة التلمود البابلي، ومن هذين المؤلفين يتكون التلمود الذي لا يمكن فصله عن تفكير هذه الطائفة من اليهود ولا فصل التفكير اليهودي عنه.

[ننصح لمن يريد تفصيل هذا الموضوع بالاطلاع على كتاب: العدوان الثلاثي على مصر في مقال للدكتور محمد القصاص بعنوان: الإسرائيليون وروح العدوان ص٨٠ – ١٠٧].

وقد نص التلمود على أنه (لا يصح التعامل مع شخص يملك نسخة من التوراة وليس لديه نسخة من التلمود)، (أي بني! أطع كلام التلمود ونصائح الربانيين أكثر من إطاعتك لكلام التوراة!)، وقالوا: إن موسى عليه السلام أُنزلت عليه التوراة والتلمود فجعل التلمود وهو خير الكتابين يُحفظ بطريق الرواية الشفوية حتى لا يطلع عليه غير اليهود.

أما من الناحية الاجتماعية فهؤلاء يؤمنون بنظرية (العنصر المتفوق) الذي اختاره الله من بين جميع أجناس البشر، واعتقدوا أنه لو لم يوجد اليهود لغاضت البركة من الأرض وانطفأ نور الشمس وكف المطر عن النزول.

وفي نظرة اليهود إلى غيرهم يقول الحبر ابرافانيل: (الشعب اليهودي جدير بحياة الخلود، أما الشعوب الأخرى فإنها أشبه شيء بالحمير).

ويقول الحبر منياجيم: (يا معاشر اليهود إنكم أنتم البشر، أما الشعوب أخرى فليسوا من البشر في شيء إذ إن نفوسهم آتية من روح نجسة، أما نفوس اليهود فمصدرها روح الله المقدسة!).

وعلى أساس هذا الاختلاف الجوهري بين اليهود (الذي هو إنسان)، وغير اليهودي (الذي هو حيوان) تقوم الأخلاق التلمودية بأسرها؛ ولذا يعفي التلمودُ اليهوديَّ من التمسك بالعهود والوعود مع غيرهم، ويبيح لهم الغدر والحنث ما دامت مصلحتهم تقتضي ذلك.

ولكي يحققوا نظرية التفوق لم يحجموا عن القيام بنشر الفساد والانحلال بين الأفراد والجماعات حتى إذا ما عم الفساد أذلوا العباد وأصبحوا سادة العالم أجمع طبقًا لنظريتهم المقدسة.

وكان الإسلام أول من كشف الستار عن تعاليم اليهود السرية التلمودية، ولم تطبع هذه التعاليم وتصبح في متناول الباحث إلا بعد انتشار الطباعة في أوربا فطبعت سنة ١٥٢٠م في اثني عشر مجلدًا.

هذا هو السر في عدم استطاعة اليهود مجاورة النبي ﷺ في المدينة بالرغم من كل الضمانات الكافية التي قُدمت للمحافظة عليهم.

وها هو العالم اليوم يشكو من الصهيونيين ومن مؤامراتهم التي تهدد اقتصاديات الدول، ومن تلاعبهم بالعلاقة الدولية السياسية إلى درجة تهدد بقيام حرب عالمية ثالثة.

وقد وجد هتلر حين أراد النهوض بألمانيا أنه لا يستطيع أن يفعل شيئًا طالما وُجد صهيوني داخل بلاده، فتخلص منهم وشرَّدهم من ألمانيا، ولم يكن هتلر مبتكرًا في سياسته إزاءهم، بل إن كل دولة قاست منهم فعلت معهم نفس هذه الخطة». [غزوة أُحد لخلف الله ٢٣-٢٧].

ويقول الشيخ أبو خوات: «قد يتساءل المعنيون بقضية فلسطين بعد أن يستبد بهم الضيق من مجرد التفكير في الأحداث المتتابعة منذ أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والتي انتهت أخيرًا بتوطين

اليهود في فلسطين أرض العرب ومسرى رسول الإسلام ﷺ، ومهبط وحي أكثر الأنبياء، قد يتساءلون عن السبب في اختيار فلسطين بالذات ورفض أوغندا مثلًا أو استراليا أو غيرهما من الأماكن التي كان يمكن لليهود أن يعمروها، ويعيشوا فيها في سلام، قد يتساءلون عن ذلك بعد أن يرفضوا ـ في ذكاء ـ ما تردده أبواقهم وأبواق سادتهم من المستعمرين من دعوى الوعد بأرض فلسطين لليهود، وبعد أن يناقشوا هذه الدعوى مناقشة تؤدي إلى التساؤل عمن أصدر الوعد لهم، وعمن صدر لهم الوعد، وعن مدى قدرة الواعد على تحقيق وعده المطلق أو المشروط حتى لا يحققه لهم إلا عن طريق معصيته والفجور في معاملة الناس، وفي عصر وايزمان وبن جوريون وموشى ديان، حَمَلَة تلك الأسماء التي كنت أود ألا أدنس صفحات هذا الكتاب بذكرها فيها.

أقول: قد يتساءل الدارسون لقضية فلسطين بعد مناقشة ذلك كله عن السبب في الإصرار على توطين اليهود والتمكين لهم في فلسطين بالذات والقيام بتشجيع هجرتهم من كل مكان إليها وبحشد أشدهم شراسة وتطرفًا وإمدادهم ـ وهم ما يزالون مواطنين في دولة عربية تحت الانتداب ـ بكل أسباب القوة والتفوق على العرب، وإغرائهم بشن الحروب والغارات عليهم تعميقًا للعداوة بينهم مما لم يحدث له ـ فيما نعلم ـ مثيل في التاريخ، ولو أن هؤلاء المتسائلين درسوا قضية اليهود في يثرب بعد الهجرة وظهور الإسلام، ودرسوا مدى شهوة الانتقام والإذلال والفتك والإبادة عند الغرب المسيحي بالنسبة لكل ما يتصل بالإسلام والعروبة بسبب، لكان لهم رأي آخر مستمد من ملاحظة هذه الأحداث كلها، فلقد شبع الغرب المسيحي في المسلمين إيذاء وتقتيلًا وفتكًا على يد الإسبان تارة، وبوساطة ما اخترعوه من حرب صليبية قذرة نسبوها إلى الصليب المقدس عندهم ظلمًا، ثم أخيرًا على يد الفرنسيين والطليان والإنجليز وغيرهم تارة أخرى، ومع ذلك لم يبيدوا الجنس ولم يقضوا على الدين، وإن كانوا قد بلغوا من ذينك بعض ما يريدون، وبالدراسة التاريخية الواعية والذكاء الخارق أصروا على أن يتركوا هذه المهمة أمانة بين يدي اليهود بعد أن يزرعوهم في مكانهم ذلك، مستغلين ما يعرفون من تأصل العداء بين اليهود والمسلمين بالذات، وما استقر في نفس دهماء اليهود من دعوى الوعد المزعوم، وما يوجد من شوق في نفس زعماء اليهود للتوطن في وطن خاص ككل شعوب الأرض، وبهذه الطريقة يستريح الغرب المسيحي من بكاء اليهود على أبوابه ورجائهم العون لتوطينهم في وطن يجمع شملهم بعد تفرق دام آلاف السنين كما يتحقق بأقل الجهد والتكاليف ما كان يريده ويباشره بنفسه من استنفاد لكل جهد عربي أو تَقَدُّم إسلامي، وفي هذا المجال ينسى أمورًا لا تُنسى، منها ما يعتقده كل مسيحي من أن اليهود هم قتلة المسيح وصالبوه ومتهموا أمه بكل ما لا يُستطاع سماعه، ومنها أنه وقف في وجه كل دولة إسلامية تريد أن تسجل في دستورها الممنوح أنها دولة إسلامية، مدعيًا أن إقامة دولة على أساس الدين لا يناسب روح

العصر، أما إسرائيل فلها وحدها أن تقوم على أساس الدين والعنصرية جميعًا وبيد الغرب المسيحي نفسه، ولعل هذا العون هو حبل الناس، وحبل الناس كما نراه سريع التمزق والانقطاع، وإذا انقطع مدد الناس لليهود فلن تكون إسرائيل.

أُقَدِّم بهذا كله بين يدي الدروس المستفادة من أحداث غزوة أحد، بعد أن استوعبت الدور القذر الذي كان يلعبه اليهود على مسرح الحوادث في تلك الفترة التي تلت نصر الله في بدر وامتدت حتى غزوة أُحد، ومما ملأني يقينًا بأن دور اليهود دائمًا هو التأليب والدس والوقيعة، وبأنه لو لم يكن لليهود وجود في يثرب حين وقوع هذه الغزوات لتغير وجه التاريخ الإسلامي، ولكن هكذا أراد الله لتظل لهذه الأمة دعوة الجهاد في سبيله إلى أن يشاء ما يشاء.

فلقد حدث يوم نَصر الله في بدر أن أرسل رسول الله ﷺ رجلين من أصحابه بشيرين لأهل العالية وأهل السافلة من المدينة، وكان اليهود مقيمين في يثرب وحولها، ودخلها المسلمون وأبقوا عليهم فيها بعد عقد معاهدة مع كل قبيلة من قبائلهم الثلاث الكبرى: **بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة**، ولقد كان من أغنى وأشهر زعمائهم في ذلك الوقت رجل يسمى **(كعب بن الأشرف)** وكان من المأمول أن يشارك اليهودُ المسلمين فرحتهم بهذا النصر وبالقضاء على صناديد الكفر والشرك بالله الذي يؤمن به اليهود والمسلمون جميعًا، ولكن حقد اليهود على المسلمين أعمى بصائرهم عن الإحساس بهذا الشعور الديني المنتظر، فبدا من تصرفاتهم ومن أقوالهم ما يدل على حزنهم وأسفهم لنصر المسلمين على المشركين، وراح كعب بن الأشرف هذا وكثيرون غيره يقولون: **والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء الأشراف والملوك، لبطن الأرض خير من ظهرها**، وجعل كعب هذا ـ وكان شاعرًا ـ يقول الشعر في هجاء المسلمين ورثاء قتلى بدر والتشبيب بنساء المسلمين، ثم سافر ومعه وفد كبير من يهود لمواساة أهل القتلى في مكة ولحثهم بما في شعره من حماسة وتشجيع على أخذ الثأر والاستعداد لحرب أخرى، واعدًا المشركين بأن اليهود سيكونون معهم على المسلمين.

وهكذا نلمس العداء المتأصل في نفوس اليهود للمسلمين حقدًا وبغيًا وخوفًا من ظهور الإسلام على اليهودية في بلاد العرب منذ تلك الأيام الضاربة في أعماق التاريخ بين اليهودية والإسلام، فرغم الاتفاق في الإيمان بإله واحد والنبوات واليوم الآخر نجدهم لا يقر لهم قرار ولا يهدأ لهم بال إذا حصل المسلمون على أي خير، وإذا كانت تلك حالهم قديمًا فقد كانت نتيجتها أن قضى المسلمون عليهم وخلصت بلاد العرب للعرب والمسلمين، وإذا كانت تلك حالهم مع العرب والمسلمين حديثًا فكثيرًا ما يعيد التاريخ نفسه، وأرى أن تباشير ذلك قد أقبلت من قريب، ولا تحتاج منا لتحقيقها إلا أن نحاول أن نكون كما كان أسلافنا حقًّا مسلمين.

تلك عبرة عابرة ودرس يجب استيعابه والانفعال به تُعلمنا إياه أحداث غزوة أُحد عند النظر في الفترة التي كانت بين انتهاء بدر بالنصر وقيام أُحد بما فيها من دروس.

وفي هذه المعاني كلها يقول تعالى: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ [المائدة: ٨٢]، ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران].

وكان من عقابهم الدائم الذي استحقوه في أصولهم بسبب مخالفة الأنبياء وقتلهم، واستحقته فروعهم بسبب عنادهم وكفرهم برسول الله ﷺ وبالقرآن رغم معرفتهم صدقهما، كان عقابهم ذلك النداء الصارخ الدائم: «﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ [الأعراف]». [**دروس من غزوات الرسول ﷺ لأبي خوات ٣١-٣٧**].

٥ ـ وسائل الحرب على الإسلام:

يقول أ/ عبَّاد: «الأعداء في جميع العصور يستخدمون جميع الطرق والوسائل لحرب الإسلام ويضحون بالنفيس والغالي وينقضون العهود من أجل ذلك، فكما يجهزون الآلة العسكرية والقوة البشرية، يؤججون المشاعر والأحاسيس بالشعر والخطابة والوعود والمكافآت المغرية؛ لأن وجود الإسلام رعب لأعدائه وحرب على الباطل والبغي والفساد؛ لذا فهم يرصدون لأهله وحامليه ليفتنوهم عنه، وتتنوع وسائل حربهم وأدواتها وإن كان هدفهم يظل ثابتًا وهو أن يردوا المسلمين الصادقين عن دينهم ـ إن استطاعوا ـ فلتحذر الجماعة المسلمة من الاستسلام: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ ۚ﴾ [البقرة: ٢١٧]». [**مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ١٨**].

٦ ـ إثبات نبوة النبي ﷺ:

يقول أ/ عبَّاد: «في دفع النبي ﷺ الكتاب لأُبي بن كعب رضي الله عنه ليقرأه دليل يؤيد أن النبي ﷺ كان أميًّا، بمعنى أنه ما كان يعرف القراءة ولا الكتابة، وإلا لقرأ الكتاب بنفسه وكتم سره، بدلًا من أن يطلب من أُبي بن كعب رضي الله عنه تلاوته ثم يستكتمه.

وهذا أصل معجزة الرسول الأمي ﷺ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة]، فكيف للأمي أن يتحدث عن خلق السموات والأرض: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ

شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء]، وعن خلق وتطورات الجنين في الرحم قبل أن يعرفها التشريح وتكتشفها المجاهر: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون]، وعن علم الزروع والثمار: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الحِجر].

فهل يمكن لبشر مهما أُوتي من الفصاحة والعلم والحكمة والمعرفة أن يجتمع عنده بعض ما جاء به القرآن؟ وكيف يصل إلى حقائق لم تعرفها البشرية ولا الدراسات العلمية إلا بعد اكتشاف الأجهزة والآلات بعد نزول القرآن بأربعة عشر قرنًا؟ وكيف يقرر حقوقًا وواجبات في زمن لم تكن تعرف فيه الحقوق ولا الواجبات ثم يظل ما جاء به فوق مستوى كل قانون أو تشريع على الدوام؟ فكيف إذا كان من نطق بهذا كله أميًّا لا يقرأ ولا يكتب؟ إن أمية الرسول ﷺ ليست في حاجة إلى أدلة لتأكيدها أو شواهد لإيضاحها بعد أن أكد ذلك الخالق في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

فما أعظمه هذا الأمي الذي علَّم وسيعلم الدنيا كلها وإلى أن تقوم الساعة، وقد قال (بورت سميث): من حُسن حظ التاريخ أن محمدًا أسس في وقت واحد ثلاثة أشياء من عظائم الأمور وجلائل الأعمال: فإنه مؤسس لأمة، وإمبراطورية، وديانة، ومع أنه أمي فقد جاء بكتاب هو آية في البلاغة ودستور للشرائع وللصلاة والدين في آن واحد، وهو الكتاب المقدس إلى هذا اليوم عند سُدس العالم، وهو معجزة محمد القوية، وحقًّا إنه لمعجزة: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت]».

[مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٢٤-٢٦].

٧ ـ لماذا لم يعمل النبي ﷺ بالرؤيا التي رآها مع أن رؤيا الأنبياء ـ عليهم السلام ـ حق ووحي؟:

يقول الشيخ عرجون: «وقد أورد الزرقاني في شرحه مواهب القسطلاني سؤالًا، وأجاب عنه فقال: فإن قيل لم عدل ﷺ عن رأيه ولا أسدَّ منه، وقد وافقه عليه أكابر المهاجرين والأنصار وابن أُبي وإن كان منافقًا لكنه من الكبار المجرِّبين للأمور؛ ولذا أحضره ﷺ واستشاره ـ إلى رأي هؤلاء الأحداث؟

قلت: لأنه ﷺ مأمور بالجهاد، خصوصًا وقد فجأهم العدو، فلما رأى تصميم أولئك على الخروج، ولا سيما وقد وافقهم بعض الأكابر من المهاجرين كحمزة رضي الله عنه، والأنصار كابن عبادة رضي الله عنه، ترجَّح عنده موافقة رأيهم، وإن كرهه ابتداء ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

قال الزرقاني: وهذا ظهر لي، ولم أره لأحد.

وهذا الذي ظهر للعلامة الزرقاني ولم يره لأحد من العلماء والأئمة قبله يحتاج إلى نظر وبحث؛ لأن النبي ﷺ لم يطلب من أصحابه المكث بالمدينة وعدم الخروج عنها لمقاتلة أعدائه خارجها رأيًا اجتهاديًّا، وإنما هو تبليغ لما أُوحي إليه في رؤياه المنامية التي رآها وأوَّلها وبلَّغها لأصحابه، ورؤيا الأنبياء وحي بإجماع الأمة، ويدل لذلك حديث عائشة رضي الله عنها عند البخاري في بدء الوحي، إذ قالت رضي الله عنها: «**أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ بِاللَّيْلِ**». [البخاري في التفسير(٤٥٧٢)، وفي التعبير(٦٤٦٧)، ومسلم في الإيمان (٢٣١)].

فإيراد السؤال بالصورة التي أورده عليها الزرقاني ينافي أن الأمر من قبيل الوحي الذي لا تجري عليه مشاورة قط، ولا يدخله الاجتهاد؛ لأنه لا مشاورة في أمر نزل به الوحي، ولا اجتهاد مع النص؛ لأن الاجتهاد قد يدخله الخطأ فيصح العدول عنه إلى رأي آخر تظهر صوابيته، وهنا قد ثبت الوحي بالرؤيا الصادقة وتأويلها من رسول الله ﷺ، والوحي لا يصح العدول عنه إلا بوحي مثله أو أقوى طريقة من نوعه.

فلا وجه لهذا السؤال بالصورة التي أوردها الزرقاني، وإذًا لا محل لهذا الجواب الذي أجاب به عن السؤال، بل كان يجب أن يكون السؤال: لم عدل رسول الله ﷺ عن مقتضى رؤياه وهي وحي من الله تعالى إلى رأي هؤلاء الأحداث الذين استحوذت عليهم عواطف حب الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله وكلمة الحق والهدى والنور، مع أن النبي ﷺ أخبرهم برؤياه وسألوه عن تأويلها فأخبرهم بها وأولها به، وهم يعلمون أن رؤياه ﷺ ضرب من الوحي وطريق من طرائقه؟

وحينئذ يكون الجواب الملاقي لهذا السؤال ملاقاة متلائمة أن رسول الله ﷺ لم يعدل عما طلبه بمقتضى رؤياه وتأويلها ـ من المكث بالمدينة ومقاتلة أعدائه في طرقاتها ومن فوق بيوتها، وعدم الخروج عنها لملاقاة أعدائه خارجها كما هو رأي الشبان الأحداث الذين يريدون أن يعوضوا فضلًا فاتهم في بدر بالخروج في غزوة يكون لها فضلها ـ إلا بوحي ناسخ لوحي الرؤيا الصادقة التي رآها ليتم قضاء الله ويتحقق ما قدره في غيبه من ابتلاء المؤمنين؛ ليكون ذلك الابتلاء درسًا تربويًّا شديد الوقع، عميق الأثر في مستقبل المجتمع المسلم الذي لا ينبغي له أن يخضع للتأثر بالعواطف، ورسول الله ﷺ بين أظهرهم ينزل عليه الوحي، بل يجب أن يكون هوى كل مسلم تبعًا لما يبلِّغه رسول الله ﷺ من الوحي إليه بأية

طريقة من طرائقه، وليس بلازم أن يُخْبِر ﷺ بالنسخ؛ ولهذا لما رأى رجالٌ من أهل الرأي والسداد أن مخالفة رسول الله ﷺ وخيمة العاقبة ندموا، وَقَالُوا: **أَمَرَنَا رَسُولُ الله ﷺ أَنْ نَمْكُثَ بِالْمَدِينَةِ، فَإِنْ دَخَلَ عَلَيْنَا الْعَدُوُّ قَاتَلْنَاهُمْ فِي الْأَزِقَّةِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالله وَبِمَا يُرِيدُ، وَيَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ، ثُمَّ أَشْخَصْنَاهُ، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ الله أَنَمْكُثُ كَمَا أَمَرْتَنَا؟** قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا أَخَذَ لَامَّةَ الحَرْبِ وَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْعَدُوِّ أَنْ يَرْجِعَ حَتَّى يُقَاتِلَ، وَقَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى هَذَا الحَدِيثِ، فَأَبَيْتُمْ إِلَّا الخُرُوجَ، فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى الله، وَالصَّبْرِ إِذَا لَقِيتُمُ الْعَدُوَّ، وَانْظُرُوا مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ [مَاذَا أمركم الله بِهِ] فَافْعَلُوهُ**».

[السنن الكبرى للبيهقي ٧/ ٦٥، السيرة النبوية لابن كثير ٣/ ٢٥].

ففي هذا دليل على أنهم كانوا يعلمون أن رؤيا النبي ﷺ وحي من الله، وأنهم خالفوا رسول الله ﷺ وهو فيهم يأتيه الوحي، وأنه لا يتصرف إلا بأمر من الله وهو ﷺ أعلم بالله وما يريد، فمخالفته ومطاوعة العواطف مهما كان نبلها خروج عما يجب على المجتمع المسلم أفرادًا وجماعات من الطواعية له ﷺ لأنه أعلم بالله وما يريد ويأتيه الوحي من السماء، ونبل العاطفة قد يكون في مضها العذر للمخالفين لأنهم أرادوا الخير.

ولهذا لما ثابوا إلى طريق الاستقامة وعرفوا الحق طلبوا من رسول الله ﷺ أن ينفِّذ رؤياه على تأويله لها، ويمكث في المدينة لمقاتلة أعدائه في أزقتها وفجاجها وأسطح بيوتها، فأبى عليهم أشدَّ الإباء؛ لأن هذا الموقف منهم بعد موقفهم الأول يؤدي إلى التردُّد المفكك لوشائج العزائم الصافية، وهذا التردُّد يُطمع العدو فيهم ويجعله يظن بهم الظنون، والله تعالى يقول لرسوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فالعزيمة بعد المشاورة لا تقبل التردد، والرجوع عن سمتها الذي اتجهت إليه ووضعت قدمها في أول خطوة من خطواتها في مسيرتها نحو هدفها». **[محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٣/ ٥٥٢-٥٥٤]**.

ويقول د/ الحميدي: «وقد يُقال: لماذا لم يعمل النبي ﷺ بالرؤيا التي رآها والتي مفادها الإقامة بالمدينة وعدم الخروج منها لقتال الأعداء مع أن رؤيا الأنبياء ـ عليهم السلام ـ حق ووحي؟ ولماذا فتح باب الشورى مع وضوح الأمر في هذه الرؤيا؟

ويمكن أن يقال: إن تلك الرؤيا تشتمل على الأمرين: البقاء في المدينة مع قتال الأعداء فيها والخروج لقتالهم، ويمثل الأمر الأول من الرؤيا قول رسول الله ﷺ: «**رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ**»، ويمثل الأمر الثاني قوله ﷺ: «**وَرَأَيْتُ كَأَنَّ سَيْفِي ذَا الفَقَارِ انْقَصَمَ مِنْ عِنْدِ ظُبَتِهِ، وَرَأَيْتُ بَقَرًا تُذْبَحُ**».

فكأن هذه الرؤيا تخيير للنبي ﷺ بين الأمرين، وكان النبي ﷺ رحيمًا بالمؤمنين، ولم يخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا؛ فلذلك رأى البقاء في المدينة إشفاقًا على أصحابه، ثم استشار أصحابه

في أحد الأمرين، فلما رأى كثرة المشيرين بالخروج وشدة حماسهم وقوة اندفاعهم كره مخالفتهم ورغب في تلبية مطالبهم وتحقيق طموحاتهم، فعدل عن رأيه وأخذ برأيهم.

فالنبي ﷺ لم يخالف أمر الله تعالى في الرؤيا وإنما أخذ بأحد أمرين خُيِّر فيهما بعدما استشار أصحابه، فلا حاجة إلى القول بأن الرؤيا نسخت كما قال بعض العلماء؛ لأن ذلك لم يثبت، ولأن الرؤيا ليس فيها أمر صريح بأحد الأمرين. [**التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ٧٤-٧٥، مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٣٦-٣٧**].

٨ ـ الأخذ بالأسباب [(١)]:

يقول د/ الزيد: «في استعداد الرسول ﷺ للحرب، نلحظ أنه ظاهَر بين دِرْعَيْن، أي لبس درعًا فوق درع، ومن هذا نأخذ مشروعية الجمع بين التوكل وفعل الأسباب، فلا يكفي التوكل دون فعل الأسباب، ولا يصح الاعتماد على فعل الأسباب فقط دون التوكل على الله». [**فقه السيرة للزيد ٤٤٧**].

٩ ـ لا علمانية في الإسلام:

يقول أ/ عبَّاد: «بعد انفضاض المجلس الاستشاري العسكري ذهب المسلمون لأداء صلاة الجمعة فصلى بهم النبي ﷺ، وهنا وقفة تأمل لدعاة فصل الدين عن الدولة (لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة) فها هو القائد الأول ﷺ ينغمس بكل كيانه وجوارحه في مجلسه الاستشاري العسكري (سياسة محضة)، ثم يصعد المنبر ليخطب ويصلي بالناس مباشرة (دين محض)، فهل كان ﷺ رجل سياسة أم رجل دين، رجل اقتصاد أم رجل اجتماع، أم... أم..؟

إن الرسول ﷺ هو المترجم للقرآن والمحدد أين يعمل الإسلام، فالإسلام الذي شرعه الله لم يدع جانبًا من الحياة دون آخر، فهو ـ بطبيعته ـ شامل لكل نواحي الحياة، فتكاليفه يتعبد بتنفيذها المؤمنون، ويتقربون بها إلى الله، فلا يتصور أن يقبل مسلم فريضة الصيام والصلاة، ويرفض فريضة القصاص أو الوصية أو القتال أو التحكيم إلى شرع الله، وقد دل على هذا الشمول القرآن والسنة، فقد قال تعالى مخاطبًا رسوله ﷺ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل]، وقد ثبت أن رسول الله ﷺ ما ترك أمرًا يقربنا من الله إلا أمرنا به ولا ترك أمرًا يبعدنا عن الله إلا نهانا عنه، حتى تركنا على المحجة البيضاء «... **لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ**» من حديث رواه ابن ماجه بإسناد حسن. [**ابن ماجه في المقدمة (٤٣)، وقال الشيخ الألباني: صحيح، وأحمد ٢٨/ ٣٦٧ رقم ١٧١٤٢ عن العرباض بن سارية رضي الله عنه، وقال الشيخ الأرناؤوط: حديث صحيح بطرقه وشواهده، وهذا إسناد حسن**].

---

(١) للتفصيل في هذا الدرس ينظر: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية ـ د/ عبد الكريم زيدان ـ الفصل الأول ـ سُنَّة الله في الأسباب والمسببات [قانون السببية]. غريب.

فليعلم دعاة فصل الدين عن الدولة أن الإسلام نفسه يرفض تجزئة أحكامه وتعاليمه وأخذ بعضها دون بعض، قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[المائدة: ٤٩]، وأن الله أنكر على بني إسرائيل تجزئة أحكام الدين بأنهم يؤمنون ببعض الكتاب (صلاة، زكاة، صيام)، ويَكْفُرون ببعض (حُكم، شرائع، مُبشِّرات)، واعتبر هذا خزيًا في الدنيا وعذابًا في الآخرة فقال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾[البقرة]، فما بالنا بالإسلام وأهله؟ وما حُكم من جزَّأ دين الإسلام؟ وقد أشار في العصر الحديث الإمام حسن البنا في الأصل الأول من الأصول العشرين من رسالة التعاليم إلى عدة جوانب اعتبرها أساسية في الإسلام الشامل بقوله: «الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعًا، فهو دولة ووطن، أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء، وهو مادة وثروة أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء».

[مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٤١-٤٣].

١٠ ـ ظاهرة النفاق:

يقول د/ أبو فارس: «إن الدارس للسيرة النبوية في الطور المكي قبل الهجرة والطور المدني بعد الهجرة يجد أن ظاهرة النفاق قد نشأت في المجتمع المدني، ولم يكن لها أثر في المجتمع المكي.

وهذا عائد إلى أن الدعوة الإسلامية والجماعة الإسلامية كانت قليلة الأنصار ضعيفة الجانب، يتعرض أهلها إلى حملات التعذيب والتشريد والإبادة، لا تملك النفع المادي لأصحابها وأنصارها، ومن ثم فلا تملكه لغيرهم.

إن الذي يتعاطف مع هؤلاء المسلمين يُضطهد ويُؤذى ويُقاطع وتتعرض مصالحه للخطر، ومركزه الاجتماعي إلى الانحطاط.

إن المسلمين في مكة ليس عندهم من المال الوفير الذي يُرضون به الناس ويكسبونهم، وليسوا أصحاب سلطان يقربون للناس، ويحققون رغباتهم وطموحاتهم، وليسوا أصحاب جاه من خلالهم يحقق الانتهازيون مصالحهم، ويصل الوصوليون إلى مآربهم.

إنه لا منفعة مادية تُرجى منهم عاجلًا أو آجلًا، إن الذي ينضم إليهم يأخذون منه كل شيء ولا يعطونه شيئًا، إن عليه أن يبذل ماله ودمه وكل ما يملك في سبيل دعوة الله، وأجره على الله فاطر السموات والأرض.

وبعبارة موجزة إن النفاق والمنافقين لم يظهروا في الطور المكي لعدم توافر مبررات وجود النفاق والمنافقين.

أما في المجتمع المدني بعد الهجرة النبوية، فقد أقام المسلمون كيانًا سياسيًّا لهم، وأصبح لهم دولة وصولة وجولة، وكثرت الأموال، وعظم السلطان، وسيطروا في المجتمع المدني سيطرة تامة، وكان بعض أهل يثرب وفي مقدمتهم عبد الله بن أبي بن سلول أصحاب أطماع سياسة، وتشوُّف للزعامة، فقد كان قبل الإسلام يَنظم له قومُه الخرز حتى يتوجوه ملِكًا، وجاء الإسلام فحال بينه وبين ما يطلب، وليس له القدرة على مجابهة المسلمين بالقوة، فأظهر الإسلام حتى يحقق بزعمه ما يطمح إليه، وما يتطلع إليه من تطلعات، وأبطن الكفر في قلبه، فهو قد آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه.

ولما أيقنوا أن الإسلام لا يحقق ما في نفوسهم الخبيثة من مآرب سيئة، أخذوا ينتهزون كل فرصة سانحة للإساءة إلى الإسلام وأهله، فشمتوا بالمسلمين كلما ألم بهم مصيبة، أو حدث لهم حادث سوء، وحزنوا حزنًا شديدًا إذا أدرك المسلمون خيرًا في حياتهم.

فقد وصفهم الله تعالى لنبيه محمد ﷺ وللمسلمين فقال ﷻ: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠﴾ [آل عمران].

ولقد أكثر القرآن الكريم من الحديث عن المنافقين فسُميت سورة من سور القرآن باسم (المنافقون)، وتحدثت سورة براءة عنهم فهتكت أستارهم وكشفت أسْرارهم، وفضحت أساليبهم الملتوية، فسُميت بالفاضحة والكاشفة.

هذا وقد تحدث القرآن عن المنافقين في عشر سور من سوره.

والذي يستعرض الآيات التي تحدثت عن المنافقين، وسورها، يجد أن جميعها وردت في السور المدينة؛ لهذا يحدثنا العلماء بأن من ميزات القرآن المدني حديثه عن المنافقين، فكل آية تحدثت عن المنافقين فهي مدنية.

أساليب المنافقين في الكيد للإسلام وأهله: وكانت للمنافقين الحاقدين على الإسلام وأهله أساليب خبيثة في حرب المسلمين، ولقد حدثنا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة عن هذه الأساليب الشريرة لنحذرها ونحذر أهلها، ولا نطمئن إليهم وإن أظهروا الإسلام على اللسان، فالكفر يتغلغل في الجنان.

فمن الأساليب التي أخبرنا القرآن عنها أسلوب السخرية والاستهزاء بالمؤمنين لينالوا منهم، ويهوِّنوا من شأنهم، وليذهبوا بعض غيظ قلوبهم، قال ﷻ يحدثنا عن هذا الأسلوب: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ٦٤ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥﴾[التوبة].

وتارة يستخدمون أسلوب التشكيك وإثارة الفتنة، قال سبحانه: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وتارة يتعاونون مع غير المسلمين من يهود وكافرين ضد المسلمين، ويحرِّضونهم على قتال المسلمين، فقد قام المنافقون بقيادة عبد الله بن أبي بن سلول يحرِّضون بني النضير على البقاء في المدينة، وعدم الاستسلام لأمر النبي ﷺ القاضي بخروجهم منها.

قال ﷻ يحدثنا عن هذا الأسلوب: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحشر].

وتارة يحاولون بذر بذور الفتنة بين المسلمين، لإيجاد شرخ في وحدتهم وتماسكهم، ومن ثم إضعافهم حتى يحصل لهم ما يرجون، ففي غزوة بني المصطلق استغل عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين تخاصم رجل من الأنصار مع أجير لعمر بن الخطاب ﷺ وقال مثيرًا الفتنة: (**أَوَقَدْ فَعَلُوهَا، قَدْ نَافَرُونَا وَكَاثَرُونَا فِي بِلادِنَا، وَاللهِ مَا أَعُدُّنَا وَجَلابِيبِ قُرَيْشٍ إِلَّا كَمَا قَالَ الأَوَّلُ: سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلك، أَمَا وَاللهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُمْ: هَذَا مَا فَعَلْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ، أَحْلَلْتُمُوهُمْ بِلَادَكُمْ، وَقَاسَمْتُوهُمْ أَمْوَالَكُمْ، أَمَا وَاللهِ لَوْ أَمْسَكْتُمْ عَنْهُمْ مَا بِأَيْدِيكُمْ لَتَحَوَّلُوا إِلَى غَيْرِ دَارِكُمْ**). [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٩١].

وتارة يسلكون أسلوب التثبيط عن الجهاد بعد أن يخذلوا المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ [الأحزاب].

وتارة يَلِغون في أعراض المسلمين ويرمونهم بالفاحشة، هذا وتوجهت سهامهم إلى رسول الله ﷺ، فقد قاد حملة الإفك عبد الله بن أبي بن سلول، واتهم زوج النبي ﷺ بالفاحشة، وأشاع هذا للإساءة إلى النبي ﷺ، فبرأها الله ولعنه، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور].

وتارة بتشجيع الفساد والانحلال الخلقي، والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف قال سبحانه: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة].

وتارة يسلكون أسلوب الخداع والكذب على المسلمين، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة].

وقال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [البقرة].

وتارة بلمز النبي ﷺ والطعن في عدالته في توزيع الزكاة وقسمة الغنائم، قال ﷻ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [التوبة].

ولقد وقف الجد بن قيس يعترض على قسمة النبي ﷺ في غنائم حنين فقال: اعدل، فقال الرسول ﷺ: «**وَيْحَكَ مَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ**»[1].

وتارة يطعنون بالرسول ﷺ وأنه سمّاع لكل ما يُقال، دون أن يميز الغث من السمين والنافع من غيره، قال تعالى يذكر هذا الأسلوب الخبيث عندهم: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [التوبة].

وتارة يوالون الكافرين من دون المؤمنين، بل وينصرونهم على المؤمنين ويتمنون الهزائم لهم، قال سبحانه: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء].

---

(١) جاء في نيل الأوطار ٨/ ٢٩٧: (عن جابر ﷺ قال: أتى رجل بالجعرانة منصرفه (منصرف النبي ﷺ) من حنين وفي ثوب بلال فضة، والنبي ﷺ يقبض منه يعطي الناس فقال: يا محمد، اعدل.
فقال الرسول ﷺ: **ويلك من يعدل إذا لم أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل**.
فقال عمر ﷺ: دعني يا رسول الله أقتل هذا المنافق.
فقال: **معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، إن هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية**». رواه أحمد ومسلم).

فئات المنافقين: ومن الجدير بالذكر هنا أن المنافقين لم يكونوا من أهل المدينة فحسب، بل كان منهم من أهل المدينة من المشركين، ومن أهل المدينة من اليهود، ومن الأعراب حول المدينة.

أما أهل المدينة من العرب المنافقين فقد دفعهم حب الزعامة والرياسة والجاه إلى عدم الإيمان والنفاق أملًا منهم في الوصول إلى أهدافهم وتحقيق مآربهم، فأظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر.

وأما المنافقون من اليهود فقد حسدوا رسول الله ﷺ أن ينزل عليه سبحانه الرسالة، فلم يؤمنوا به حق الإيمان، و في نفس الوقت لم يقدروا أن يقاوموه ويستخدموا القوة في حربه، فاختار بعضهم هذا الأسلوب في المحاربة فأظهر الإسلام وأبطن الكفر.

والفئة الثالثة: المنافقون من الأعراب، وهؤلاء أصبحوا منافقين لجفاء طبعهم، وقساوة قلوبهم، وغلظ أكبادهم، ولغلبة التوحش عليهم، وشيوع النهب والسلب، وعدم انسجامهم مع قانون أو نظام، وألفتهم لحياة الفوضى والاضطراب، فقد كرهوا أن يضيق عليهم بقانون أو نظام، فقَبِل بعضهم ذلك على مضض فانصاع في الظاهر، وبقي عدوًّا في الداخل كلما سنحت لهم فرصة عبَّروا عن حقيقة ما في أنفسهم فنهبوا وسلبوا وقطعوا.

ولقد وضع الإسلام علاجًا لهؤلاء المنافقين، يختلف اختلافًا بينًا عن علاج الكافرين، فعالج الكافرين إنْ أصروا على موقفهم بالقتال، وعالج المنافقين بالقول البليغ المؤثر في النفس، وهذا هو جهاد المنافقين، أما جهاد الكافرين فبالقتال، قال تعالى مبينًا صورة جهاد المنافقين: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ [النساء].

ولم يستخدم النبي ﷺ مع المنافقين أسلوب العنف والقتال، إنما استخدم معهم أسلوب الملاينة والملاطفة وتحمَّل رئيسهم عبد الله بن أبي بن سلول حتى مات، وصبر على أذاه.

وهذا الأسلوب منه ﷺ بتوجيه من ربه ﷻ يؤخذ منه ما يلي:

(١) وحدة الطريقة في علاج المعضلات وسيلة من شأنها أن تحافظ على وحدة المسلمين.

(٢) قطعت ألسنة أعدائه أن يصفوه بالسفَّاح.

(٣) تقليل أنصارهم بالصبر عليهم وكشف حقيقتهم للناس خلال التعامل معهم».

[غزوة أُحد لأبي فارس ٤٨-٥٦، وينظر للتفصيل عن «النفاق وقادته»: التربية القيادية للغضبان ٣/ ١٦٥-١٧٨].

١١ ـ خطورة النفاق على الصف المسلم:

يقول د/ فيض الله: «النفاق ضعف وتلبسة، ولا يكشف الضعف إلا القوة، ولا يجلي التلبسة إلا الوضوح، فابن أُبي بن سلول ينخذل في الطريق إلى أُحد، بثلاثمائة من أتباعه، كانوا يمثلون ثلث الجيش، وليس هذا العدد بقليل؛ وانفصاله عن المسلمين في الوقت الحاسم؛ مما يثبط الهمم، ويكسر النفوس الضعيفة، ويثير فيها بواعث القلق والخوف والاضطراب، وهي مقدمات الهزيمة.

ولعله ما كان يقصد إلا هذا، أن يفتَّ في عضد المسلمين، ويثبِّطهم عن لقاء إخوانه المشركين؛ إذ قد كان يمكنه أن يقعد ولا يخرج مع مَنْ خرج، لكن هذا لن يُحدث التفكك المطلوب، والتمزيق المنشود؛ لهذا انحسر مع شِرْذِمَتِه المنافقة في الوقت المناسب.

ولقد تذرَّع بأنه تأثر من رفض النبي ﷺ رأيه، وهو الشيخ المحنَّك، وأخذ برأي الشباب السُذَّج؛ ورأيهم فطير (**رَأْي فطير**: خطر بالبال وَأُبْدي بِلَا تثبت).

وليس هذا إلا تَعِلَّة الانفصال، وإنما العلة أنه لا يتصور أن يقاتل مع المسلمين، أعوانَه وأنداده من أهل الشرك، فكان من فوائد هذه الغزوة أنها كشفت هؤلاء المنافقين، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾[آل عمران].

ولا شك أن انسحاب المنافقين قاطع بأن المحاربين مؤمنون، وأن الغزوة محَّصت المؤمنين من غيرهم، ولا شيء مثل الغزو والحرب والقتال والمحن، يكشف الزيف، ويطهر القلوب، ويبرز الزغل والزيف، ويفصل بين الإيمان الواضح الصريح، والكفر المُبطَّن المطلي.

وقد جاء في الآيات القرآنية التي عقَّبت على هذه الغزوة العجيبة، قوله تعالى في هذا الذي نحن في مواجهته: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾[آل عمران]». [**صور وعبر لفيض الله ١١٣-١١٤**].

ويقول د/ أبو خليل: «لقد أساء المنافقون قبل أُحُد وبعدها، أساؤوا بعدها بدَعاواتهم المضلِّلة، وأساؤوا قبلها عند انسحابهم، فشقُّوا بذلك الصفوف، وأضعفوا القوى، ومع ذلك ما ظهر من رسول الله ﷺ إلا كل صبر وحلم وأناة على الرغم من نفاقهم ودعاواتهم.

ولكنه ﷺ قال عند انسحابهم: «**إِنَّهَا طَيْبَةُ تَنْفِي الذُّنُوبَ [الخَبَثَ] كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الفِضَّةِ [الحَدِيدِ]**»، فمثل أحداث أُحُد، عملية فرز تطهِّر المجتمع؛ ليبقى صافيًا نقيًّا نظيفًا».

[**غزوة أُحد لأبي خليل ١٢٨**].

١٢ ـ أن يتميَّز المؤمنُ الصَّادِقُ مِن المنافقِ الكاذبِ:

يقول د/ الزيد: «في انخزال عبد الله بن أُبي ومَنْ معه وامتناعهم عن استمرار المسير لملاقاة المشركين خارج المدينة، ثم ما حصل من السرور بعد ذلك للمنافقين من نتائج المعركة نأخذ منها أن حكمة الله سبحانه اقتضت «أن يتميَّز المؤمنُ الصَّادِقُ مِن المنافقِ الكاذبِ، فإنَّ المسلمين لما أظهرهم الله على أعدائهم يومَ بدر، وطار لهم الصِّيتُ، دخل معهم في الإسلام ظاهرًا مَنْ ليس معهم فيه باطنًا، فاقتضت

حِكمةُ الله ﷻ أن سَبَّبَ لعباده مِحْنَةً ميَّزت بين المؤمن والمنافق، فأَطْلَعَ المنافقون رُؤوسَهم في هذه الغزوة، وتَكلَّموا بما كانوا يكتُمونه، وظهرت مُخَبَّآتُهم، وعاد تلويحُهم تصريحًا، وانقسم الناسُ إلى كافر، ومؤمن، ومنافق، انقسامًا ظاهرًا، وعَرَفَ المؤمنون أن لهم عدوًّا في نفس دُورهم، وهم معهم لا يُفارقونهم، فاستعدُّوا لهم، وتحرَّزوا منهم، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٧٩] أي: ما كان اللهُ ليذركم على ما أنتم عليه من التباسِ المؤمنين بالمنافقين، حتى يميزَ أهلَ الإيمانِ مِن أهل النفاق، كما ميَّزهم بالمحنة يومَ أُحُد، وما كان الله لِيُطلعكم على الغيب الذي يَمِيزُ به بينَ هؤلاء وهؤلاء، فإنهم متميِّزون في غيبه وعلمه، وهو سبحانه يُريد أن يميزهم تمييزًا مشهودًا، فيقع معلومهُ الذي هو غيبٌ شهادةً، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٧٩] استدراك لما نفاه من اطلاع خلقه على الغيب، سوى الرسلِ، فإنه يُطلعهم على ما يشاء مِن غيبه، كما قال: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن] فحظكم أنتم وسعادتكم في الإيمان بالغيبِ الذي يُطْلِعُ عليه رسله، فإن آمنتم به وأيقنتم، فلكم أعظمُ الأجر والكرامة». [زاد المعاد ٣/ ١٩٩].

فالشدائد تكشف الصديق من العدو وتميِّز بينهما تمييزًا واضحًا وقد قال الشاعر:

جَزَى اللهُ الشَّدَائِدَ كُلَّ خَيْرٍ ... عَرَفْتُ بِهَا صَدِيقِي مِنْ عَدُوِّي

ومن أعظم النعم معرفة العدو وكشفه للحذر منه ومن كيده ودسائسه».

[فقه السيرة للزيد ٤٤٧-٤٤٨].

ويقول د/ البوطي: «للمنافقين في هذه الغزوة مشهد بارز... ولم لا يكون مشهدهم بارزًا فيها، وهي إنما انطوت على حِكَم ومقاصد، من أهمها تمحيص المؤمنين عن أخلاطهم من المنافقين؟ وإن من وراء ذلك لفوائد كبيرة للمسلمين كانت ذخرًا لهم فيما بعد.

لقد رأينا كيف انخذل عبد الله بن أبي بن سلول بثلاثمائة من أتباعه عن رسول الله ﷺ وأصحابه، بعد خروجهم من المدينة، وسبب ذلك في ظاهر ما تذرع به: أن النبي ﷺ إنما أخذ برأي الشباب الأغرار، ولم يأخذ برأي أمثاله من الشيوخ أرباب الحِجى والأحلام، غير أن سبب ذلك في الحقيقة وواقع الأمر، هو أنه لا يريد قتالًا؛ لأنه لا يريد أن يعرض نفسه لمخاوفه ومغباته، وتلك هي أبرز سمات المنافقين: **يريدون أن يأخذوا ما في الإسلام من مغانم، ويبتعدوا عما فيه من مغارم وأتعاب! وإنما الذي يمسكهم على الإسلام أحد شيئين: غنيمة يتوقعونها، أو مصائب ومحن يتوقونها**». [فقه السيرة للبوطي ١٨٩].

ويقول د/ الدقس: «شاء الله تعالى أن يلقن المسلمين درسًا قاسيًا بعد كل هذه الانتصارات، وذلك في النكسة التي لحقت بهم في أُحد، بسبب مخالفة أمر الرسول القائد ﷺ، وكانت تلك النكسة خيرًا كلها، إذ أفادت المسلمين فوائد جمة لا تقل عن انتصار بدر ـ على رغم الخسارة الفادحة التي حلَّت بهم.

فإذا كانت بدر فرقانًا بين الحق والباطل: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، فقد كانت غزوة أُحد فرقانًا ميَّز الله به الطيب من الخبيث، والمؤمن من المنافق: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ [آل عمران].

فقد كشفت تلك النكسة حقيقة الصف المسلم، وتميز المؤمن القوي من المؤمن الضعيف من المنافق، ومن وجهة النظر السياسية كان من الخير أن يخسر المسلمون معركة ما، والدولة الإسلامية في مرحلة التكوين والنشوء؛ ليتميز الخبيث من الطيب، فاستبعد الخبثاء وضعفاء النفوس عن العمل السياسي، وبقي الأطهار الأبرار الأخيار يشدون أزر رسولهم ودولتهم.

قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [آل عمران].

وقال الله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنفال].

لقد كانت هزيمة أُحد تمحيصًا للصف وتمييزًا للمؤمنين من المنافقين، حتى يذهب الزبد جفاء ويمكث ما ينفع الدعوة والدولة». [**دولة الرسول ﷺ من التكوين إلى التمكين للدقس ص ٥٤٠**].

«لقد كان من أهم الدروس التي نجمت عنها غزوة أُحد، هي تمحيص المؤمنين عن أخلاطهم من المنافقين». [**فقه الغزوات للعيساوي ٢٧٢**]. [**وينظر للتفصيل عن المنافقين وبيان أوصافهم في غزوة أُحُد: التربية بالأحداث والوقائع في القرآن الكريم من خلال غزوة أحد في سورة آل عمران لمفتاح ص ٤٧٦-٥٢٤**].

ويقول أ/ خلف الله: «يمتاز المنافق بضعف الإرادة والعجز والحقد، فلو كان قوي الإرادة لما بدا لصاحبه بوجهين، بل لصارحه برأيه بكل شجاعة، والعجز يجبر المنافق على إخفاء مشاعره وكتمانها مما يزيد من وقدة النفاق وشدته، ويتولد الحقد من اعتقاد المنافق أن صاحبه هو الذي يحول بينه وبين بلوغ أهدافه وأمانيه، ونظرًا لضعفه وعجزه فإنه يتمنى كل سوء في سريرته لصاحبه ويجتهد في إخفاء ذلك عنه.

ولا أضر على الجماعة البشرية من المنافقين فيها، وأعلى هؤلاء المنافقين ضررًا الفريق الذي يناوئ نظام الجماعة نفسه: ذلك أنهم يتمنون زواله في كل وقت، وفي هذا ما فيه من ضرر بالغ يلحق الجماعة كلها.

والمنافق يمتاز بكل خصلة تفسد الجماعة: فهو يمتاز بالدس والإغراء والخيانة، ويمتاز بحبه للعدو لاتحاده معه في الهدف، ويمتاز بالكذب في جميع أموره فهو يحلف إنه من أشد المخلصين المتحمسين للصالح العام وفي نفس الوقت يسعى لهدم كل ما ينفع الصالح العام، وهو يعد بأنه سيفعل ويفعل خدمة للجماعة، ولكنه إذا جد الجد أخلف وعده وتعلل بالعلل، وإذا ائتمنته الجماعة على أمر من أمورها المالية أو السياسية أو العسكرية خانها وأضر بها.

قال أعلم العلماء بالنفوس وطبائعها رسول الله ﷺ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**». **[البخاري في الإيمان (٣٣)، وفي الشهادات (٢٦٨٢)، وفي الوصايا (٢٧٤٩)، وفي الأدب (٦٠٩٥)، ومسلم في الإيمان (٥٩)، والترمذي في الإيمان (٢٦٣١)، وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه (٨٤٧٠)].**

وما كان الله ليذر الأمر ملتبسًا مختلطًا بل قضت حكمته أن يميز الخبيث من الطيب: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾[آل عمران: ١٧٩].

ولا يتميز هذا من ذاك إلا بامتحان من نوع خاص له مقاييس خاصة، ولما كانت أبرز خصائص المنافقين قلة صبرهم عند الشدائد كانت البلايا والمحن التي تمر بها الجماعة هي المحك الذي يُظهر نفاق هؤلاء واضحًا للملأ.

ولم يستطع المنافقون أن يجوزوا امتحان غزوة أحد فأطلوا برؤوسهم كالثعابين وأظهروا ما تخفيه بواطنهم وتحدثوا بمخبآتهم، فرجع عبد الله بن أُبيٍّ وفئته قائلين: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ﴾[آل عمران: ١٦٧] ولما نال المؤمنين ما نالهم قالوا: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾[آل عمران: ١٦٨]، وهنا امتاز الناس وعرف المؤمنون أن لهم عدوًّا يساكنهم في مدينتهم ويشاركهم في مجالسهم ولا يفارقهم، فتحرزوا منه ومن كيده.

إن معرفة المنافقين ليس بالأمر الهين السهل، وما كل امتحان يُظْهِر المنافق، بل لا بد لهذا الامتحان من قواعد وشروط يجب مراعاتها ليأتي بالنتيجة المطلوبة، وإن قواعد الامتحان التي وضعها الإسلام لمعرفة هؤلاء قد بُنيت على أدق الاختبارات النفسية.

لقد توصل العلماء الآن إلى وضع اختبارات لمقياس الذكاء أو معرفة القدرات الفردية، ولكنهم حتى الآن لم يتوصلوا إلى تنظيم قواعد ثابتة لمعرفة هذا الطابور الخامس.

وهذه الامتحانات كما تُظهر المنافق وتضع النقط فوق الحروف ليعلم الناس حقائق هؤلاء، تؤدي في نفس الوقت خدمة أخرى للجماعة: فهي تميز المؤمن الصادق وتقسم المؤمنين إلى درجات متفاوتة في إيمانهم وصدقهم.

ولها فائدة أخرى أيضًا: ذلك أنها تنقي المؤمنين من آفات النفوس وأمراضها وتصقلهم، فلو تُركت النفوس في عافية مستمرة لما تهذبت ولما صلحت ولا يمحصها غير التجارب والامتحانات والاختبارات: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾[آل عمران]».

[غزوة أُحد لخلف الله ١٧٩-١٨١].

ويقول د/ الحميدي: «في هذا الخبر مواقف وعبر، فمنها:

أولًا: أن فيه درسًا بليغًا للمسلمين ليأخذوا العبرة مما جرى من أولئك المنافقين الذين خذلوا رسول الله ﷺ والمؤمنين وهم في أحرج المواقف.

وأمام هذا الحادث المهم تَرِد بعض التساؤلات حول تصرفات المنافقين الغريبة في هذه المعركة، فقد خرجوا مع المؤمنين أوَّلًا، ثم لما كانوا في أثناء الطريق رجعوا إلى المدينة بصورة تثير الشبهة عليهم وتبعث على الشك فيهم، فلماذا خرجوا مع المؤمنين ما داموا لا يريدون نُصرة الإسلام والمسلمين؟ ولماذا رجعوا من أثناء الطريق؟

والجواب أن يُقال: يحتمل أنهم خرجوا من أجل الغنائم فيما إذا كان النصر للمسلمين، فلما رأوا ضخامة جيش الكفار أُصيبوا بالرعب وامتلأت قلوبهم ذعرًا فرجعوا ولم يدخلوا المعركة.

ويحتمل أنهم خرجوا مبالغة منهم في ستر نفاقهم، ثم أصيبوا بالرعب فلم يستطيعوا الاستمرار في تمثيل هذا النفاق الذي سيكلفهم تضحيات كبيرة، فرجعوا إلى المدينة مفضلين مواجهة نقمة المؤمنين المحتملة فيما إذا بقي لهم كيان بعد المعركة على مواجهة الموت المحقق في نظرهم على يد الكفار.

ويحتمل أنهم كانوا يسيرون على خطة مرسومة، وذلك في أن يخرجوا مع المؤمنين فإذا ما شارفوا على الوصول إلى الأعداء رجعوا محاولين بذلك التخذيل عن النبي ﷺ بإثارة الفزع والخوف بين المؤمنين.

كل ذلك محتمل، ولكن الذي يظهر أنهم لم يتفقوا على خطة مرسومة وهم في المدينة؛ لأن النبي ﷺ حينما استشار الناس في الخروج أو البقاء وسمع رأي الفريقين دخل بيته ولبس لأمته وأمر الناس بالخروج، فليس هناك وقت كاف لاجتماع المنافقين واتفاقهم على مثل هذه الخطة، فالظاهر أنهم خرجوا نفاقًا، وربما كان لهم أو لبعضهم هدف في الغنيمة، فلما رأوا جيش الكفار أُصيبوا بالرعب فانسحب زعماؤهم وتبعهم مَنْ هو على شاكلتهم في النفاق، ومَنْ لم يتمكن الإسلام من قلبه فافتتن في ذلك اليوم ونافق، وربما كانوا يدبرون خطة الانسحاب في تلك الليلة التي بات فيها جيش المؤمنين قريبًا من جيش الكفار على نحو يثير الفزع والاضطراب في جيش المؤمنين حتى يرجع معهم أكبر قدر ممكن منهم؛ ليحصل الفشل في المسلمين فينهزموا أمام أعدائهم؛ وليتفادوا نقمة المؤمنين بهم فيما إذا انتصروا إذا كان عددهم كبيرًا.

ولقد حصل لهم بعض ما أرادوا حيث رجع ثلث الجيش الإسلامي في ذلك اليوم، وليس من المقطوع به أن جميع أولئك الذين رجعوا كانوا منافقين قبل ذلك، بل يحتمل أن بعضهم كفروا في ذلك اليوم ثم أخفوا كفرهم عن المؤمنين.

وعلى أي حال فرجوع عبد الله بن أُبي ومَنْ معه من المنافقين في ذلك اليوم يُعتبر خيانة مكشوفة، ودليلًا واضحًا على نفاقهم، وهذا من أوضح الأدلة على ما بيته المنافقون للمؤمنين من الشر والنوايا السيئة. [من كتاب «المنافقون في القرآن الكريم» للمؤلف [د/ الحميدي] ص١٢٤].

ولقد تبين من الحوار الذي جرى بين عبد الله بن عمرو بن حرام ﷺ والمنافقين أن هؤلاء المنافقين متناقضون، فبينما يقول عبد الله بن أُبي لحزبه من أهل النفاق في بيان سبب انسحابه: «**أطاعهم وعصاني، وما ندري علام نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس**»، نراه يقول هو وجماعته لعبد الله بن عمرو بن حرام ﷺ: «**لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ولكنا لا نرى أنه يكون قتال**»، وهذا كلام لا يقوله عاقل يزن كلامه؛ لأن أي عاقل يدرك أن قريشًا لم يخرجوا إلا لقتال، ثم إنه إذا كان يغلب على ظن هؤلاء المنافقين أنه لن يكون قتال فلماذا رجعوا وقال بعضهم لبعض: **علام نقتل أنفسنا؟** وما أجابوا به عبد الله بن عمرو بن حرام ﷺ قد أثبته الله سبحانه على سبيل التوبيخ لهم بقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ [آل عمران].

ثانيًا: موقف جليل لعبد الله بن حرام ﷺ حيث سار خلف عبد الله بن أبي بن سلول ومَنْ تبعه من المنافقين يُرغِّبهم في الجهاد في سبيل الله تعالى، ويبعث فيهم النخوة والشهامة للدفاع عن بلدهم وأعراضهم وأموالهم إن لم يكن بهم رغبة في الجهاد في سبيل الله تعالى، وما زال يلح عليهم بالرجوع حتى وصلوا إلى المدينة فدعا عليهم دعاء المعتز بدينه الواثق بنصر الله تعالى لأوليائه مُظهرًا لهم حقارة أمرهم وعدم احتياج المسلمين لنصرتهم.

وهكذا كان عبد الله بن عمرو بن حرام ﷺ حكيمًا عظيم التقدير للأمور، فحينما دعاهم إلى الرجوع ذكَّرهم بوجوب النصرة وفظاعة الخذلان، فلما أن أصروا على الانسحاب بيَّن لهم استغناء المؤمنين عنهم وأشعرهم بهوان أمرهم حتى لا يحملهم الغرور على تحقير المؤمنين وإثارة القلق والرعب في الذراري والنساء وأهل الأعذار». [**التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ٨١-٨٤**].

١٣ ـ النفاق وأثره في الدعوة الإسلامية:

يقول د/ العيساوي: «لقد كان للنفاق أثر كبير في مسيرة الدعوة الإسلامية، حدث ذلك في البلبلة والاضطراب الذي أثاره عبد الله بن أُبي بن سلول في جيش المسلمين، حينما انعزل بالمنافقين من أتباعه والمسلمون على مرأى ومسمع من عدوهم.

لقد كانوا يسعون جاهدين لتفتيت الصف المسلم، ولقد مر علينا دورهم الخياني في غزوة بني قينقاع، وفي غزوة بني النضير، وكذلك ما فعلوه في غزوة الأحزاب من إثارة القلق والاضطراب وإلقاء الرعب والدهشة في قلوب المؤمنين ما قد قص الله تعالى ذلك في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾ [الأحزاب].

لقد عرف المنافقون أن القضاء على هذا الدين وأهله لا يمكن بطريق استخدام السلاح، فقرروا أن يشنوا حربًا دعائية واسعة ضد هذا الدين من ناحية الأخلاق والتقاليد، وأن يجعلوا شخصية الرسول ﷺ أول هدف لهذه الدعاية، وقد ظهرت خطتهم هذه جلية واضحة بعد غزوة الأحزاب، حينما تزوج الرسول ﷺ بأم المؤمنين زينب بنت جحش ﵂، بعد أن طلقها زيد بن حارثة ﵁، وأكثروا من الدعاية في هذا السبيل، واختلقوا قصصًا وأساطير، وقد نشروا هذه الدعاية المختلفة نشرًا بقيت آثاره في كتب التفسير والحديث إلى هذا الزمان، وقد أَثَّرت تلك الدعاية أثرًا في صفوف الضعفاء حتى نزل القرآن بالآيات البينات فيها شفاء لما في الصدور، وينبئ عن سعة نشر هذه الدعاية أن الله استفتح سورة الأحزاب بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾﴾ [الأحزاب]. [الرحيق المختوم للمباركفوري ص٣١٦].

هذه إشارة عابرة، وصورة مُصَغَّرة مما اقترفه المنافقون قبل غزوة بني المصطلق، وكان النبي ﷺ يكابد كل ذلك بالصبر واللين والتلطف، وكان عامة المسلمين يحترزون عن شرهم أو يتحملونه بالصبر إذ كانوا قد عرفوهم بافتضاحهم مرة بعد أخرى حسب قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [التوبة].

ولما كانت غزوة بني المصطلق وخرج فيها المنافقون، مثلوا قوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾[التوبة].

فقد وجدوا متنفسين للتنفيس بالشر فأثاروا الارتباك الشديد في صفوف المسلمين، والدعاية الشنيعة ضد النبي ﷺ، وهذا ما سنتعرض له في دور المنافقين في غزوة بني المصطلق من خلال قولهم: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون]، من خلال ترويجهم لحادث الإفك.

إن دور المنافقين في تثبيط الهمم وإضعاف شوكة المسلمين ليس بالقليل، ولكن الرسول ﷺ بحكمته وبراعة سياسته للأمور استطاع أن يُحجِّم النفاق وأن يقضي على معسكره في المدينة، إن ظاهرة النفاق ابتدأت قبيل أُحد، وبلغت ذروتها في أُحد، وظهر عظم خطرها على الصف الإسلامي، وانتهت فردًا أو أفرادًا يعدون على الأصابع، وأصبح الصف الإسلامي نقيًّا خالصًا وذلك بعظمة تربية النبي ﷺ التي دفعت الكثير منهم إلى أن يسلم ويحسن إسلامه، غير أن هذه الظاهرة عادت للظهور مرة ثانية بعد فتح مكة وانتشار الإسلام في الأرض العربية، وبدت أوضح ما يكون في غزوة تبوك حيث تناولت سورة براءة فضح كل أساليبهم ومخططاتهم، وسبب عودة ظاهرة النفاق هو أن فتح مكة جعل الكثيرين يدخلون خوفًا في الإسلام، فيظهرونه ويبطنون الكفر[المنهج الحركي للسيرة النبوية للغضبان ١/ ٢٨١]».

[فقه الغزوات للعيساوي ٢٧٣-٢٧٤].

١٤ ـ الباعث الحقيقي لانفصال المنافقين في غزوة أُحد:

يقول ف. ر/ سالم العلي: «في الحقيقة لم يكن ما ادعاه المنافقون هو الباعث الحقيقي لانفصال عبد الله بن أُبي عن جيش المسلمين، بل كان الباعث الحقيقي لهذا التمرد في مثل هذا الظرف الدقيق هو إحداث البلبلة والاضطراب في جيش المسلمين على مرأى ومسمع من عدوهم؛ ليكون ذلك أسرع في القضاء عليهم، وفعلًا هَمَّ بنو حارثة من الأوس، وبنو سلمة من الخزرج بالانسحاب من الجيش والعودة إلى المدينة متأثرين بوساوس ذلك المنافق الكبير، وكادت أن تحدث الكارثة لولا لطف الله ﷻ، فعدلتا عن الانسحاب، وقد أنزل الله تعالى فيهما الآيتين الكريمتين: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران]، وقد قاتلت هاتان الطائفتان قتال الأبطال في غزوة أُحد، وسقط منهما العديد من الشهداء والجرحى». [معركة أُحد للعلي ٢٥، غزوة أُحد لباشميل ٧٤-٧٥].

ويقول د/ زين السيد: «كان ابن أُبي يرجو من وراء تصرفه هذا الذي أشرت إليه أن يُضعف قوة المسلمين ويوهن من عزائمهم، ولكن رسول الله ﷺ رأى أن رجوع ابن أُبي ومن معه فيه راحة المسلمين، إذ كفوا شرهم وأُبعدوا حتى لا يحدثوا في الجيش ما يؤثر فيه؛ لذا سار المسلمون في وجهتهم غير مكترثين بتصرف ابن أُبي، فسارع رسول الله ﷺ بإعداد الجيش للمعركة». [دور الحرب النفسية للسيد ٦٥].

١٥ ـ ألا نستعين بحلفائنا من يهود؟!:

يقول د/ الحميدي: «وهذا الموقف الحذِر من رسول الله ﷺ من اليهود يدلنا على بُعد نظره، فهو يعلم من عداوة اليهود للمسلمين ما لا يعلمه الأنصار الذين يظنون أن حلف اليهود لهم وهم في جاهليتهم قد بقي على ما هو عليه بعد إسلامهم، والحال أن اليهود أشد عداوة لهم من المشركين، ولكنهم يُبطنون العداوة ويتربصون بالمؤمنين الفرص المناسبة ليفتكوا بهم، وقد أبانت الأيام بعد ذلك بُعْد نظر النبي ﷺ وصدق تقديره للأمور، كما سيأتي بيان صور من غدر اليهود». [**التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ٨٥**].

ويقول د/ زين السيد: «ومن العجب العجاب أن اليهود الذين لم يحاربوا الرسول ﷺ إلا في الحصون يتطوعون للحرب مع الرسول ﷺ، وليس هذا بالأمر الذي يخفى على الرسول ﷺ، فلابد أنهم كانوا يدبرون أمرًا يغيرون به نظام المعركة باتفاق مع حليفهم المنافق عبد الله بن أُبي بن سلول».
[**دور الحرب النفسية في غزوتي أُحد والأحزاب للسيد ٦١**].

١٦ ـ النهي عن التطير والتشاؤم (١):

يقول أ/ عبَّاد: «مضى الجيش الإسلامي في سكون، فذب فرس أبي بردة بن نيار رضي الله عنه بذنبه، فأصاب حلقة سيف النبي ﷺ فاستله، فقال النبي ﷺ ـ وكان يحب الفأل الحسن ولا يتطير ـ: «**يَا صَاحِبَ السَّيْفِ، شِمْ سَيْفَكَ ـ أي: اغمده ـ فَإِنِّي إِخَالُ السُّيُوفَ سَتُسَلُّ فَيَكْثُرُ سَلُّهَا**».

وكانت العرب تتشاءم من مثل هذا الحدث، وتعتبره من الفأل السيء؛ لذلك حينما علم أبو جهل ـ في غزوة بدر ـ برغبة عتبة بن ربيعة بالرجوع إلى مكة دون محاربة المسلمين وإعلانه لتلك الرغبة، استل سيفه وضرب به فرسه، فقال حكيم بن حزام: بئس الفأل هذا، وتشاءمت قريش من هذا.

لقد حارب الإسلام تلك العادة الجاهلية التي كانت لدى العرب من شؤم وتطير، فكانوا مثلًا إذا أرادوا أمرًا من الأمور (سفر أو زواج أو غير ذلك) نفروا الطير وزجروه فإن مال ناحية اليمين تفاءلوا ومضوا لتنفيذ ما يريدون، وإن مال ناحية الشمال تشاءموا وقعدوا عن إتمام ما قصدوا؛ ولذلك ركز الإسلام على أن التشاؤم أو التطير مجرد توهم أو توقع لحصول شر، وحيث إن التوهم أو التوقع شيء فطرى في النفس الإنسانية؛ فلذلك حدد علاجه في الحديث الذي أورده الحافظ ابن حجر في فتح الباري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**ثَلَاثٌ لَا يَسْلَمَ مِنْهَا أَحَدٌ: الطِّيَرَةُ وَالظَّنُّ وَالحَسَدُ**»، **قِيلَ: فَمَا المَخْرَجِ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «إِذَا تَطَيَّرْتَ فَلَا تَرْجِعُ، وَإِذَا ظَنَنْتَ فَلَا تُحَقِّقُ، وَإِذَا حَسَدْتَ فَلَا تَبْغِ**».
[**فتح الباري ١٠/ ٤٩٦ كتاب الأدب باب ما يُنهى عن التحاسد والتباغض حديث رقم ٦٠٦٤**].

(١) سبق تفصيل هذا الدرس في الدروس العقائدية من المرحلة الأولى من غزوة بدر الكبرى.

أما إذا كان التشاؤم أو التطير سيقعد بصاحبه عن أداء دوره أو القيام بواجبه ظنًّا منه صدق ما اعتقد فقد أشرك.

قال رسول الله ﷺ في الحديث الذي أخرجه أبو داود والترمذي عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، ثَلَاثًا**»، قال ابن مسعود: «**وَمَا مِنَّا إِلَّا تَطَيَّرَ، وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ**». [**أبو داود في الطب (٣٩١٠)، والترمذي في السير (١٦١٤) ولفظه: «الطِّيَرَةُ مِنَ الشِرْكِ»، وابن ماجه في الطب (٣٥٣٨)، وأحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه (٣٦٨٧، ٤١٩٤)، وقال الشيخان الألباني والأرناؤوط: صحيح**].

وإنما جعل ذلك شرك للاعتقاد بأن ذلك يجلب نفعًا أو يدفع ضرًّا، فكأنما أشرك ذلك مع الله؛ لذلك فالطيرة أو التشاؤم حرام؛ لأنها نوع من الأوهام والخرافات لا تكون إلا كمن ذهب الإيمان من قلبه، وفي عصرنا هذا نرى أصحاب العقول الفارغة تعلق أهمية ضخمة على رقم «١٣» مثلًا أو على مرور قط أسود يقطع الطريق أمامهم أو... أو... وكان رسول الله ﷺ يحب الفأل الحسن بالكلمة الصالحة، فذلك من حسن الظن بالله، وقد قال ﷺ في الحديث الذي أخرجه البخاري وأحمد عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**لا طِيَرَةَ وَخَيْرُهَا الفَأْلُ**» (إذ فيه تقوية العزم، وبعث على الجد، ومعونة على الظفر)، قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: «**الكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ**». [**البخاري في الطب (٥٧٥٤)**].

وقال ﷺ أيضًا في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري ومسلم عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ الصَّالِحُ، الكَلِمَةُ الحَسَنَةُ**».

[**البخاري في الطب (٥٧٥٦)، ومسلم في السلام (٢٢٢٣)**].

ومن هنا فقد رخص الإسلام في الفأل ومنع الطيرة، فلو رأى الإنسان شيئًا فظنه حسنًا محرضًا على طلب حاجته فليفعل ذلك، وإن رآه غير ذلك فلا يقبله بل يمضي لسبيله».

[**مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبّاد ٥٦-٥٨**].

المبحث الثاني
الدروس التربوية والأخلاقية

١ ـ الإنفاق في سبيل الله:

يقول د/ أبو فارس: «إذا كان هؤلاء الكفار الذي قضى الله أن يكونوا حطب جهنم يبذلون أموالهم وأنفسهم رخيصة في سبيل الشيطان، فأولى بالمؤمنين الذين آمنوا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا، ويطمعون في رحمة الله ورضوانه، ويرجون جنة عرضها السموات والأرض، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، أولى بهؤلاء المؤمنين أن يبذلوا دماءهم وأموالهم في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وليعلموا أن الله ﷻ قد خلق هذه الأنفس ورزق هذه الأموال، ويعطي بها الجنة، فيا له من إله كريم، قال سبحانه: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة]».

[غزوة أُحد لأبي فارس ١٦].

٢ ـ أعداء الإسلام ينفقون أموالهم في الصد عن سبيل الله:

ويقول أ/ عبَّاد: «هذا نموذج من الأسلوب التقليدي لأعداء هذا الدين وتلك الأمة، إنهم ينفقون أموالهم ويبذلون جهودهم ويستنفرون كيدهم دون ملل أو كسل للصد عن سبيل الله وإقامة العقبات في وجهه وفي حرب الفئة المؤمنة، فالمعركة لن تتوقف وأعداء الدين لن يتركوا أولياءه وحامليه يتحركون في أمان وطمأنينة، فها هي الولايات المتحدة الأمريكية في العصر الحالي تنفق الأموال ـ سواء قروض أو رشاوى أو منح أو غير ذلك ـ وتضع الخطط التي جاءت نتيجة فكر وعمل ومثابرة من أجل (أمركة) العالم وفرض نظام عالمي جديد، وتستخدم في مخططاتها المنظمات الدولية والإقليمية ـ الاقتصادية والعسكرية والسياسية والاجتماعية والأمنية والتعليمية وغيرها، كما استخدمت الخونة والعملاء الذين جندتهم بالأموال أو بالمناصب لتنفيذ تلك المخططات، كل هذا من أجل مواجهة الحركات الإسلامية ومحو الإسلام.

وكان من خططها التي قد لا يفطن إليها الكثير من المسلمين طرح الديمقراطية الغربية ـ بمفهومها الغربي العلماني الإلحادي ـ بدلًا من الشورى الإسلامية، وطرح مفهوم حقوق الإنسان حتى ينسى الناس المفهوم الإسلامي لحقوق الإنسان فيرد الناس هذه القضايا الإنسانية إلى نظم وضعية ولا يردونها إلى المنهج الرباني، كما أنهم يواصلون الضغط لحل القضايا الإسلامية سياسيًّا بعيدًا عن المفهوم

الإسلامي لها (قضية القدس ـ البوسنة ـ كشمير... إلخ) والوقوف ضد التنمية الحقيقية في العالم الإسلامي ليظل تابعًا لهم، فمثلًا لا يسمح للدول الإسلامية بإنتاج الحبوب الرئيسة كالقمح ـ وما يحدث بمصر دليل دامغ حيث تزرع الفراولة والفواكه والكانتلوب، أما القمح فلا.

وهم يتولون بأنفسهم تدريب أجهزة الأمن في بلاد المسلمين ودفعها لاضطهاد العناصر الإسلامية والوطنية المخلصة واتهامها بالخيانة والعمالة والتخريب حتى تتهيأ البلاد للسيطرة الأجنبية؛ لذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال]، فتلك الأموال التي تُنفق لحرب الله ورسوله والفئة المؤمنة ستعقبها إن شاء الله الندامة والحسرة، وقد حدث ذلك بالفعل، فأمريكا جعلت من إيران مخزنًا رئيسًا لها تضع به أسلحتها الحديثة، وأيَّدها الشاه بكل قواه، ولكن شاء الله أن تنقلب إيران على الشاه وتكون العدو الأول لأمريكا، وتستغل الثورة الإيرانية تلك الأسلحة لمحاربة أمريكا ومصالحها بالمنطقة.

وهذا شأن كل مال يُنفق في وجه غير مشروع ويرصد للصد عن اتباع طريق الحق، فأعداء الدين ـ في كل عصر ـ يريدون إطفاء نور الله وإعلاء كلمة الباطل دون كلمة الحق، ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون والمنافقون، وهو سبحانه ناصر دينه ومعلي كلمته، وهذا هو الخزي للكفار في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار، فمن عاش من هؤلاء الأعداء رأى بعينه وسمع بأذنيه ما يسوؤه، ومن قتل منهم أو مات فإلى الخزي الأبدي والعذاب السرمدي». [**مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ١٤-١٦**].

٣ ـ العنجهية الجاهلية الفارغة:

يقول د/ الحميدي: «تبين لنا من استعدادات المشركين أن كفار قريش ومَنْ حالفهم قد اجتمعوا على محاربة المسلمين في المدينة.

وسبق لنا بيان ما حصل على الكفار في معركة بدر من الهزيمة وفَقْد عدد كبير من سادتهم، ووقوع عدد آخرين أسرى بأيدي المسلمين.

وكان من نتائج ذلك أن صمم هؤلاء الكفار على غزو المسلمين في عقر دارهم في المدينة، وكان قصدهم استئصالهم والقضاء على دينهم.

ولو نظرنا إلى الموضوع بنظرة مجردة عن اعتبار العقيدة وأن المسلمين يدافعون عن دينهم الحق وأن الكفار يدافعون عن دينهم الباطل، فإن تذكُّر ما فعله المشركون بالمسلمين من الأذى وهم في مكة على مدى عشر سنوات منذ أن جهر النبي ﷺ بدعوته، وما قاموا به عند هجرتهم من تجريدهم من أموالهم والاستيلاء على مساكنهم يجعل هؤلاء المسلمين في نظر العقلاء مظلومين ظلمًا منكرًا من الكفار، وأن ما

أصاب قوافل المشركين التجارية أو أصابهم في بدر يعتبر قليلًا بالنسبة لما أصابوا من المسلمين قبل ذلك وهم مجردون من القوة، فكانت النظرة الصحيحة والتفكير السليم لو كانوا يعقلون أن يقوموا بتصحيح خطئهم الفادح الذي ارتكبوه مع المسلمين الذين أصبحت لهم دولة قوية في المدينة، وذلك بعقد الصلح معهم وتعويض المهاجرين عن كل ما فقدوه من أموالهم.

ولكنهم ما زالوا على عنجهيتهم واستكبارهم وجهلهم حيث لم يعترفوا بخطئهم الذي ارتكبوه ضد المسلمين، وما زالوا يعتبرون أن المسلمين ضعفاء وأنهم ليس لهم كيان قوي يُخشى منه؛ فلذلك كان عزمهم على غزو المسلمين في المدينة». [**التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ٦٤-٦٥**].

٤ ـ الإخلاص:

يقول الشيخ عرجون: «هذا الموقف الكريم الذي وقفه العباس ﷺ موقف يستحوذ على ذروة الإخلاص، ويعيد للذاكرة موقفًا للعباس قبل أن يُسلم كان من أنبل المواقف وأشرفها بالنسبة لمواقف الحمية القومية، ذلك هو موقف العباس يوم بيعة العقبة الكبرى، فقد حضر بيعة الأنصار لرسول الله ﷺ، وخطب خطبته المشهورة المروية بصحيح الروايات، وذكر فيها: إن محمدًا في عزٍّ ومنعة من قومه، فإن كنتم مبايعيه على تحمل عداوة الأحمر والأسود، فأنتم وما تحملتم، وإلا فدعوه بين قومه.

وتمت البيعة والعباس من شهودها وهو على دين قومه.

كما يُعيد هذا الموقف للذاكرة مواقف الحميَّة الهاشمية التي كان يقفها أبو طالب حمية قومية للنبي ﷺ دفاعًا وردًّا للعدوان على دعوته، بيد أن موقف العباس موقف ينم عن الإخلاص الإيماني الذي يجعل الباحث مطمئنًا إلى أن الإيمان برسالة محمد ﷺ كان يملأ قلب العباس قبل أن يلحق بمكة بعد إطلاقه من الأسر وقبول الفداء منه، كما يدل عليه قول العباس: فينا نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾[الأنفال].

مواقف العباس وحكمة بقائه في مكة ليرصد حركات المشركين ويحمي المستضعفين:

إذا كانت حميَّة أبي طالب جعلت موقفه ـ لعدم إيمانه ـ من قبيل الحب الطبيعي للقرابة الدانية والحمية القومية، فموقف العباس ﷺ كان موقف الحب الإيماني الذي يكنفه الإخلاص للمجتمع المسلم في ظل الإخاء الإيماني، فهو موقف لمحمد ﷺ ابن الأخ الحبيب.

وهو موقف لحماية رسالة محمد ﷺ، وحماية دعوته إلى الله تعالى.

وهو موقف لأداء حق الإيمان بهذه الرسالة الكريمة الراشدة.

وهو موقف للدفاع عن أصحاب محمد ﷺ، ومجتمعه المسلم.

وهو موقف يحمل بين طيَّاته دلائل على أن النبي ﷺ جعل من عمه العباس ﷺ رئيس مخابراته في مكة وجنديًّا من خواص جنود دعوته وحماية لها من الكيد وسوء المكر، وما يدبَّر لمجتمعها تحت أستار الظلام للقضاء عليه وعلى دعوته.

وهذا سلاح من أقوى أسلحة المعارك التي تربط النصر على الأعداء بنجاحه وإحكام أمره.

وكان العباس ﷺ يحب القدوم على رسول الله ﷺ ليقيم معه بالمدينة، ويشهد معه مشاهده، ويكون إلى جانبه في مواقفه، ولكن رسول الله ﷺ استبقاه بمكة ليقوم للدعوة بما لا يستطيع جندي يحمل سلاحه ويخوض معمعة المعركة أن يقوم به.

والمتأمل في هذه السياسة الحكيمة التي وضع أساسها رسول الله ﷺ يظهر له جليًّا ما فيها من حسن التدبير المحكم الذي يحف به التوفيق من جميع جوانبه؛ لأنها سياسة تمثل ما ينبغي للقائد الأعلى أن يتخذه في مواقفه الحذرة التي لا تنام ولا تنيم.

قال القسطلاني في المواهب: وكان العباس ﷺ يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله ﷺ، وكان العباس يحب القدوم على رسول الله ﷺ، فكتب إليه ﷺ: «**إِنَّ مُقَامَكَ بِمَكَّةَ خَيْرٌ لَكَ**».

[الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/ ٨١٢].

وهو خير للمسلمين ـ أيضًا ـ لما فيه من العون للمقيمين بها من المسلمين المستضعفين، وتقوية ثباتهم على الإيمان، ولما فيه من معرفة أخبار أعداء الإسلام، وتآمرهم على المجتمع المسلم ومكرهم به، ووضع هذه الأخبار بين يدي رسول الله ﷺ في حينها المناسب لاتقاء أخطارها، وأخذ الأهبة لردِّ ما فيها من كيد للإسلام والمسلمين، وكان هذا من دأب رسول الله ﷺ، كما أوضحناه في الحديث عن بدر، وعلى هذا السَّنن درج رسول الله ﷺ، وقد بعث أنسًا ومؤنسًا ابني فَضَالة الظفري في غزوة أُحد ليتعرَّفا له أخبار عدوه، فذهبا وقاما بما كلفهما رسول الله ﷺ، وعادا فأخبراه بخبرهم، وذكروا له أنهم أرسلوا إبلهم وخيلهم في زروع الأنصار بالصمغة حتى تركوها ليس بها خضراء، وكان ذلك من بواعث الحمية في أنفس الأنصار». [**محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٣/ ٥٤٧-٥٤٩**].

٥ ـ ما يُستفاد من تصرف العباس ﷺ:

يقول د/ أبو فارس: «ويستفاد من تصرف العباس أمور هامة منها:

١ـ إن هذا العمل من العباس ﷺ يُعد تضحية وجُرأة يشهد المرء له بها، كيف لا؟ وهو يُعرِّض نفسه للهلاك والموت المحقق، فإن التجسس لأعداء بلده جريمة في نظر القانون المكي الجاهلي تستوجب عقوبة الإعدام، وهو لا يجهل هذا، لا سيما والجيش الذي يسير نحو المدينة جيش موتور قد فقد عشرات القتلى

والأسرى في بدر، وهو سائر إلى الانتقام، والرسالة من شأنها أن تُفَوِّت عليه غرضه في المفاجأة بالضربة القاضية.

٢ ـ إن إقدام العباس ﷺ على هذا التصرف وتعاطفه مع المسلمين يدل على حب العباس لهم، ورغبته في انتصارهم على أهل مكة، وهذه عاطفة صادقة تقدر.

ونحن نقول: لعل هذه العاطفة الصادقة والتضحية الجريئة نابعتان من عقيدة الإسلام التي كان يعتنقها سرًّا، ولا تعلم قريش بذلك، وبقي في مكة بعلم الرسول ﷺ عينًا للمسلمين على المشركين.

ويقوي ما ذهبنا إليه عدم خروجه في هذه المعركة لقتال المسلمين.

وما رواه الإمام أحمد ﷺ في مسنده بإسناده عن ابن عباس ﷺ قال: لما أسر العباس في بدر قال له الرسول ﷺ: «**يَا عَبَّاسُ، افْدِ نَفْسَكَ، وَابْنَ أَخِيكَ عَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَنَوْفَلَ بْنَ الحَارِثِ، وَحَلِيفَكَ عُتْبَةَ بْنَ جَحْدَمٍ**» ـ أَحَدُ بَنِي الحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ ـ قَالَ: فَأَبَى، وَقَالَ: **إِنِّي كُنْتُ مُسْلِمًا قَبْلَ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا اسْتَكْرَهُونِي**، قَالَ ﷺ: «**اللهُ أَعْلَمُ بِشَأْنِكَ، إِنْ يَكُ مَا تَدَّعِي حَقًّا فَاللهُ يَجْزِيكَ بِذَلِكَ، وَأَمَّا ظَاهِرُ أَمْرِكَ فَقَدْ كَانَ عَلَيْنَا، فَافْدِ نَفْسَكَ**». [الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ١٤/ ٩٧، ومسند أحمد ٥/ ٣٣٤ رقم ٣٣١٠، وقال الشيخ الأرناؤوط: حسن، وهذا إسناد ضعيف لإبهام راويه عن عكرمة].

ويعضد قولنا أيضًا أمر النبي ﷺ المسلمين في بدر إذا لقوا العباس بن عبد المطلب ألا يقتلوه.

فالنبي ﷺ في الحديث المتقدم لم ينف عنه صفة الإسلام والإيمان، ولكن عامله على ما ظهر منه، ولعل النبي ﷺ بأخذه الفداء منه لم يُرِدْ كشف حقيقة إسلام العباس حتى يعود إلى مكة عينًا للمسلمين دون أن يحذر منه المشركون؛ لأنه لم يظهر إسلامه في مكة، بل ظاهره يؤيدهم، أو على الأقل يسالمهم.

٣ ـ عنصر المباغتة في الحرب له أثره وأهميته في النصر، وقد فوته العباس ﷺ على أهل مكة.

٤ـ إتقان العباس ﷺ للكتابة جعله يحفظ سره لنفسه، ولم يُطلع عليه أحدًا غيره، هذه فائدة من فوائد الكتابة، ولو كان أميًّا وكلف غيره أن يكتب له لافتضح سره؛ لأنه تجاوز صدره إلى غيره.

٥ ـ اختيار العباس ﷺ لحامل الرسالة أن يكون رجلًا من بني غفار كان موفقًا جدًّا؛ لأن الشبهة بعيدة بحقه، وفي حدسنا أن العباس ﷺ اختار الغفاري لإبعاد الشبهة عنه وعما يحمل من جهة، فلا يسأله أحد، ولا يرتاب فيه أحد إن لقيه في الطريق، ومن جهة أخرى فإن بني غفار رجال أشداء، يعرفون المنطقة، ويجوبون طرقها، وأصحاب خبرة بطرقها إلى يثرب.

٦ـ إصرار العباس على الغفاري أن تصل الرسالة إلى الرسول ﷺ في ثلاثة أيام له هدف في غاية الأهمية، وهو أن يصل الخبر إلى الرسول ﷺ قبل أن تصل جيوش قريش وحلفائها إلى المدينة، فيتمكن النبي ﷺ من تدبير الأمر، ورسم الخطة، ومواجهة الاعتداء.

فالمعلوم أن هذا الجيش يستغرق في قطع هذه المسافة الشاسعة بين مكة والمدينة سبعة أيام على الأقل.

وهكذا استطاع الغفاري أن يصل إلى المدينة، ويسأل عن مسجد النبي ﷺ على الفور، فلا يجده هناك، ويكرر البحث عنه حتى يجده في مسجد قباء، فيعطيه الرسالة مختومة كما استلمها، قبل وصول قريش بزمن كاف للإعداد والتخطيط والتنفيذ.

٧ ـ الحيطة والحذر اللذان كانا عند العباس رضي الله عنه، وهو يزود الغفاري بالخبر مكتوبًا.

وأخيرًا فلا غرو إذا علمنا أن الجيوش العالمية، تحرص أشد الحرص أن تخترق أعداءها، ويكون لها أنصار يزودونهم بأخبارهم وتحركاتهم، وعَددهم وعُدتهم، وكل شيء عنهم، وينفقون في سبيل ذلك أموالًا تنوء بحملها العصبة أولو القوة من الرجال.

وها هو ذا النبي ﷺ يتخذ له العيون على المشركين، فقد قَدِم عمرو بن سالم الخزاعي في نفر من خزاعة وقد فارقوا قريشًا من ذي طوى فأخبر النبي ﷺ بمسير قريش ثم انصرفوا.

ونحن نفاخر الدنيا وأهلها بحنكة هذا الرسول العظيم ﷺ، ونعلن أن على الرجال العسكريين أن يتعلموا منه ﷺ الدروس في مجال الاستخبارات والتخطيط، فقد كان له قصب السبق في هذه الأمور كما تقدم شرحنا لها». [**غزوة أُحد لأبي فارس ١٨-٢١**].

٦ ـ أهمية كتمان الأسرار:

يقول د/ أبو فارس: «ولما وصل الغفاري ومعه رسالة العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ مختومة، ثم فك ختمها، ودفعها إلى أبي بن كعب رضي الله عنه فقرأها عليه، فاستكتمه النبي ﷺ، ثم مر على سعد بن الربيع رضي الله عنه فاستكتمه الخبر.

إن موقف النبي ﷺ هذا يعلمنا السرية في الأمور كلها وخاصة الأمور العسكرية، فلا يضع سره إلا عند رجال يحفظون السر ويُقَدِّرون خطورة إفشائه، لقد استكتم أُبي بن كعب وسعد بن الربيع، فحفظا سره من أقرب الناس إليهما، فكُتب السيرة تخبرنا أن زوج سعد بن الربيع رضي الله عنه قد سألته عما دار بينه وبين الرسول ﷺ من حديث فأخفى عليها كل شيء، وقال لها بحزم: «**مَا لَكِ وَلِذَلِكَ لا أُمَّ لَكِ؟**»، فأخبرته بأنها سمعت ما دار بينه وبين الرسول ﷺ، فاسترجع وانطلق بها إلى رسول الله ﷺ، فأدركه وأخبره خبرها، وقال: **يَا رَسُولَ الله إِنِّي خِفْتُ أَنْ تَفْشُو الـخَبَرَ فَتَرَى أَنِّي الـمُفْشِي لَهُ، وَقَدِ اسْتَكْتَمْتَنِي إِيَّاهُ**، فقال ﷺ: «**خَلِّ عَنْهَا**». [**أنساب الأشراف ١/ ٣١٤**].

وكانت هذه المرأة حافظة لسر رسول الله ﷺ، فلم يُذكر عنها أنها تحدثت بالخبر.

ويستفاد من هذا درس هو أن يحذر العسكريون من إطلاع زوجاتهم على أسرارهم العسكرية، وخططهم وأوامرهم، وينبغي ألا يحدِّثوا أصدقاءهم بشيء من هذا، فإن إفشاء مثل هذه الأسرار يهدد كيان الأمة ومستقبلها، ويؤدي إلى إلحاق الأذى بأعراض المسلمين وأموالهم ودمائهم.

تأمل معي موقف سعد بن الربيع ﷺ مع زوجه حينما سألته وإجابته الحازمة الصارمة: «**مَا لَكِ وَلِذَلِكَ لا أُمَّ لَكِ؟**».

والتاريخ العسكري في القديم والحديث ينبئنا أن كثيرًا من الهزائم والمآسي والآلام قد حلت بكثير من الأمم نتيجة لتسرب أسرار الجيوش إلى أعدائها، عن طريق زوجة خائنة، أو خائن في ثوب صديق أو قريب في الظاهر عدو في الحقيقة والواقع». [**غزوة أُحد لأبي فارس ٢١-٢٢**].

ويقول د/ الزيد: «لما بلغ الرسول ﷺ كتابُ العباس ﷺ والذي فيه خبر مسير قريش إليه طلب من أُبي بن كعب ﷺ أن يكتم هذا الأمر ولا يخبر به، وفي هذا مشروعية الكتمان لما يخشى من عاقبة إفشائه، وإطلاع الغير عليه، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «**اسْتَعِينُوا عَلَى إِنْجَاحِ الْحَوَائِجِ بِالْكِتْمَانِ، فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ**». [صحيح: **(عق عد طب حل هب) عن معاذ بن جبل (الخرائطي في اعتلال القلوب) عن عمر (خط) عن ابن عباس (الخلعي في فوائده) عن علي ﷺ ـ صحيح الجامع الصغير (٩٤٣)، والسلسلة الصحيحة (١٤٥٣)**].

فإذا كان لشخص حاجة أو لديه خبر في اطلاع الغير عليه ضرر، فإن من المصلحة أن يكتم ولا يتحدث، فإن إخبار الناس ـ مثلًا ـ بخبر كتاب العباس ﷺ للرسول ﷺ ومسير قريش فيه ما يَسُرُّ اليهود والمنافقين ويُحزن الذين آمنوا ويُدخل الخوف عليهم، والرسول ﷺ يريد أن يستعد لهذا الأمر دون أن يعلم العدو أنه قد علم بخروجهم إليه». [**فقه السيرة للزيد ٤٤٤-٤٤٥**].

٧ ـ المسلم لا يُعَرِّضُ نفسه مواضع التهم والشبهات:

يقول أ/ عبَّاد: «وموقف سعد بن الربيع ﷺ يجعل كل فرد في الجماعة المسلمة حريصًا على ألا يضع نفسه مواضع التهم والشبهات ثم يلوم الآخرين أنهم لا يثقون به، وعليه أن يوضح ما يحدث له أو حوله لقائده حتى لا تتردد كلمة أو يحدث حدث فيظن به سوءًا.

وقد ضرب ﷺ المثل من نفسه لنقتدي به ونتأسى في البعد عن كل شبهة، عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ ﷺ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ مُعْتَكِفًا، فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثْتُهُ، ثُمَّ قُمْتُ فَانْقَلَبْتُ، فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي، وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنْ الأَنْصَارِ، فَلَـمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ**»، فَقَالَا: سُبْحَانَ الله! يَا رَسُولَ الله! قَالَ ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا، أَوْ قَالَ: شَيْئًا**».

[**البخاري في بدء الخلق (٣٢٨١)، ومسلم في السلام (٢١٧٥)**].

وقد أدرك الصحابة خطورة أن يضع الإنسان نفسه مواضع التهم والشبهات فقد أورد الشيخ علي طنطاوي في أخبار عمر رضي الله عنه أنه بينما يمر في الطريق فإذا هو برجل يكلم امرأة فعلاه بالدرة، فقال: يا أمير المؤمنين، إنما هي امرأتي، فقال له: فلِمَ تقف مع زوجتك في الطريق تعرضان المسلمين إلى غيبتكما؟ فقال: يا أمير المؤمنين، الآن قد دخلنا المدينة ونحن نتشاور أين ننزل، فدفع إليه الدرة، وقال: اقتص مني يا عبد الله، فقال: هي لك يا أمير المؤمنين، فقال: خذ واقتص، فقال بعد ثلاث: هي لله، قال: الله لك فيها. [**الرياض النضرة في مناقب العشرة لمحب الدين الطبري ٢/ ٣٧٤-٣٧٥**].

من هنا يجب على المسلم تجنب الوقوع في الشبهات، ثم الحرص على دفع هذه الشبهات إن وقعت خطأ أو عن غير قصد». [**مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٢٦-٢٧**].

٨ ـ التواضع:

يقول د/ الحميدي: «وفي خبر رؤيا رسول الله ﷺ ومشورة أصحابه مواقف منها:

اهتمام النبي ﷺ باستشارة أصحابه مع أنه قد رأى في الرؤيا ما يؤيد أحد الأمرين اللذين استشارهم فيهما، وهو الإقامة في المدينة وقتال الأعداء من داخلها.

ومما يزيد هذا الموقف بهاء وعظمة أن النبي ﷺ نزل على رأيه إلى رأي المخالفين له المتحمسين للقتال خارج المدينة، وهو بذلك يضرب مثلًا عاليًا للمسؤولين من أمته بألا يصروا على رأيهم وإن رأوا أنه الأقرب إلى الصواب، وأن يتخلقوا بخلق التواضع الذي من آثاره إتاحة الفرصة للأفراد أن يدلوا بآرائهم عن طريق الشورى، ثم الوصول بعد ذلك إلى الرأي الذي يتم ترجيحه».

[**التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ٧٥-٧٦**].

٩ ـ الشجاعة:

يقول الحميدي: «في هذا الخبر تصوير لشجاعة المسلمين واندفاعهم القوي نحو الجهاد الذي هو مظنة ذهاب النفوس أو بعض الأعضاء، وحينما تأتي الأوامر من النبي ﷺ بالخروج للقتال فإن الاستجابة قد تكون من باب الطاعة وتنفيذ الأمر، ولكن حينما يكون رأي النبي ﷺ لزوم المدينة والتحصن بها، ثم يندفع هؤلاء المتحمسون إلى طلب الخروج فإن ذلك لا يفسَّر إلا بأنه شوق بالغ إلى الجهاد في سبيل الله تعالى، ومن وراء ذلك الشوق العظيم إلى الظفر برضوان الله تعالى والجنة.

ونجد أن هؤلاء الصحابة يندفعون إلى الجهاد مع ما ظهر لهم في تأويل النبي ﷺ لرؤياه بأن جماعة من صحابته سيقتلون والصحابة يعلمون أن رؤيا الأنبياء ـ عليهم السلام ـ حق، فلم يكن ذلك مثبطًا لهم عن الخروج، بل كان بضد ذلك حافزًا قويًّا لهم على الخروج للجهاد؛ لأن الشهادة في سبيل الله تعالى هي أسمى أمانيهم». [**التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ٧٥**].

١٠ ـ الحزم في القرارات المهمة:

يقول الحميدي: «في هذا الخبر موقف حازم قوي لرسول الله ﷺ حيث قال: «**لا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ**»، فالمشورة وتبادل الرأي قبل العزم الأخير الذي يصل إلى حد التصميم والذي تمثل في هذا الموقف بلبس النبي ﷺ آلة الحرب واستعداده لذلك، وفي هذا درس بليغ للقادة ليجتنبوا حياة التردد الذي يفضي إلى الشقاق وفتور الحماس، وإذا وقع الشقاق ضاع أهم عامل من عوامل القوة وهو اجتماع الكلمة، وإذا فتر الحماس ضعف مستوى الأداء وبذل الطاقة.

وهذان الأمران ـ الشورى والحزم ـ بينهما تناقض في الظاهر حيث إن أحدهما يأخذ جانب اللين والآخر يأخذ جانب الشدة، ولكن الأمر ليس كذلك لاختلاف الحالين في الأمرين، فاللين كان سائغًا في مجال الشورى لاستخراج أراء أهل الرأي ثم التوصل إلى أفضلها، والشدة أصبحت سائغة بعد اتخاذ القرار لضمان وحدة الجماعة والحفاظ على معنويات الأمة في أرقى مستوياتها».

[التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ٧٦].

١١ ـ لا يجب التردد في القرار:

يقول د/ العمري: «ومن الواضح أن الرسول ﷺ عوَّد أصحابه على التصريح بآرائهم عند مشاورته لهم حتى لو خالفت رأيه، فهو إنما يشاورهم فيما لا نص فيه تعويدًا لهم على التفكير في الأمور العامة، ومعالجة مشاكل الأمة، فلا فائدة من المشورة إذا لم تقترن بحرية إبداء الرأي، ولم يحدث أن لام الرسول ﷺ أحدًا لأنه أخطأ في اجتهاده ولم يوفق في رأيه، وكذلك فإن الأخذ بالشورى ملزم للإمام، فلابد أن يطبق الرسول ﷺ التوجيه القرآني ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾[آل عمران: ١٥٩] لتعتاد على ممارسة الشورى، وهنا يظهر الوعي السياسي عند الصحابة رضوان الله عليهم، فرغم أن لهم إبداء الرأي إلا أنه ليس لهم فرضه على القائد، فحسبهم أن يبينوا رأيهم ويتركوا للقائد حرية اختيار ما يترجح لديه من الآراء، فلما رأوا أنهم ألحوا في الخروج وأن الرسول ﷺ عزم على الخروج بسبب إلحاحهم عادوا فاعتذروا إليه، لكن الرسول الكريم ﷺ علمهم درسًا آخر هو من صفات القيادة الناجحة، وهو عدم التردد بعد العزيمة والشروع في التنفيذ، فإن ذلك يزعزع الثقة بها، ويغرس الفوضى بين الأتباع». **[السيرة النبوية الصحيحة للعمري ٢/ ٣٨٠]**.

ويقول أ/ عبَّاد: «وما فعله النبي ﷺ من رفضه لرأي الصحابة ﭫ بالبقاء في المدينة بعد أن لبس لأمته درس للجماعة المسلمة ومن يقودها، فهناك مواقف معينة لا يجب على القائد أن يتراجع في القرار الذي اتفق عليه، فمثل هذا الموقف لو تراجع النبي ﷺ عما عزم عليه بعدما وافق على رأي الأغلبية ولبس درعه وأخذ سلاحه، فقد يتولد في النفوس أن الرجوع جاء نتيجة الضعف والاضطراب في الإرادة وهذا

ينبع من الخوف والحذر، وكل ذلك قد يوهن من نفوس الصف؛ ولذلك كان رد النبي ﷺ بحزم وعزم: «**لا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ**»، وأكد القرآن ذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران]». [مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٣٧-٣٨].

١٢ ـ ما يُستفاد من استشارة النبي ﷺ [غزوة أُحد لأبي فارس ٣٢-٣٤]:

(١) إن الاجتماع الذي عقده رسول الله ﷺ بمثابة مجلس عسكري تمت فيه مداولات، وطُرحت فيه آراء متباينة كل رأي له ما يؤيده وحجته، ثم انتهت المداولات إلى اتخاذ الرأي المناسب.

ويؤخذ من هذا أن الأصل قبل كل معركة أن يجتمع العسكريون المتخصصون قبل اتخاذ القرار العسكري، يدرسون احتمالات الموقف المتوقعة دراسة مستفيضة، ويتداولون الآراء حولها والحلول لها، ثم يخرجون بالقرار العسكري المناسب.

(٢) إن الشورى في هذا الدين في غاية الأهمية، يدلك على هذا مواظبة الرسول ﷺ عليها، والقرآن الكريم ينطق بوجوبها قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ﴾[آل عمران: ١٥٩].

وإذا كان الله ﷻ قد أمر رسوله ﷺ بالشورى وألا ينفرد برأي دونهم وأوجب عليه ذلك، فالشورى في حق غيره ﷺ آكد وأوجب.

(٣) رأي الأكثرية في الشورى ملزم للأقلية وإن كان معهم القائد أو رئيس الدولة، وهكذا رأينا رسول الله ﷺ يأخذ برأي الأكثرية ويقدمه على رأيه.

روى ابن مردويه عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ العَزْمِ في قوله: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾؟ فَقَالَ: «**مُشَاوَرَةُ أَهْلِ الرَّأْيِ، ثُمَّ اتِّبَاعُهُمْ**». [تفسير ابن كثير ٢/ ١٥٠].

(٤) إن رأي عبد الله بن أُبي بن سلول الذي وافق رأي رسول الله ﷺ لم يرد به مصلحة المسلمين ولا الخير لهم، بل «يبدو أن موافقته لهذا الرأي لم تكن لأجل أن هذا الموقف الصحيح من حيث الوجهة العسكرية؛ بل ليتمكن من التباعد عن القتال دون أن يعلم بذلك أحد، وشاء الله أن يفتضح هو وأصحابه ـ لأول مرة ـ أمام المسلمين، وينكشف عنهم الغطاء الذي كان كفرهم ونفاقهم يكمن وراءه، ويتعرف المسلمون في أحرج ساعاتهم على الأفاعي التي كانت تتحرك تحت ملابسهم وأكمامهم».

[الرحيق المختوم للمباركفوري ص ٢٧٩].

ولعل رأيه أيضًا كان يرجو به أن يخدم قريشًا فتتمكن من اقتحام المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم، ويقوم هو بإعانة المشركين من الداخل، بإثارة الفتن والطعن في الظهور من الخلف غدرًا وغيلة، فيحدث بلبلة وفتنة في صفوف المسلمين، ويسهل الهجوم في هذه الحالة أمام المشركين.

(٥) إن موقف الرسول ﷺ في الخروج إلى القتال وعزمه على ذلك مع عرض الشباب عليه العـودة، وترك الأمر له قد وضع أساس النظام في الشورى، وهو إن للشـورى وقتًـا يطـرح النـاس فيـه آراءهـم وحججهم، وتقلب وجهات النظر ثم تناقش الأدلة والآراء وتمحص، ثم تخرج الجماعة بـرأي هـو رأي الأغلبية، وهذا الرأي ينبغي أن يُحترم، وألا يتردد الأمير في تنفيـذه وإن خـالف رأيـه، ولا يـنقض هـذا الرأي لهوى أو لغاية حتى وإن كان هوى نبي أو رسول وإن كان هواه وغايته لا يتطـرق إلـيهما الشـك، فالمجاملة هنا لا تصلح.

وهذا درس للأمة الإسلامية ينبغي أن تحفظه بعد رسول الله ﷺ، فإذا رأت الأمة رأيًا متمثّلًا بأغلبيتهـا أو جميعها فعليها أن تنفذه على الفور، ولا تسمح لحاكم أو قائد أن ينقض هذا الرأي، لأنه يخالف هواه».
[غزوة أُحد لأبي فارس ٣٢-٣٤].

١٣ ـ المسلمون أهل سلام:

يقول أ/ كولن: «كان رأي الرسول ﷺ باختصار هو أن يبقوا في المدينة وأن يجعلوا الذراري في الآطام (الحصون المبنية من الحجارة)، فإن دخل عليهم القوم قاتلوهم في الأزقة ورموا من فوق البيوت.
[السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٦٧، البداية والنهاية لابن كثير ٤/ ١٣].

كان الرسول ﷺ يروم ما يأتي من هذه الإستراتيجية:

أ ـ إن الحرب لم تكن هدفًا من أهداف المسلمين، فهم ممثلون للأمن وللسلام.

ب ـ ولكن إن رام أحد الوقوف أمام نشر الحق فيجب إزالة هذا المانع ولا يترددون في هذا الخصوص عن تقديم أي تضحية.

ج ـ عندما يتعرض المسلمون للهجوم فإنهم سيحاربون دفاعًا عن الدين والعِرض والشرف، وإذا لزم الأمر فإنهم يَقتلون ويُقتلون من أجل هذه الغاية، وهذا من حقوقهم المشروعة.

كان من الضروري إعطاء مثل هذا الانطباع ومثل هذه الصورة عن المسلمين للناس الحيارى حولهم الذين كانوا يراقبون الأحداث الجارية». **[النور الخالد محمد ﷺ لكولن ٦٨-٦٩].**

١٤ ـ الموجِّه لتغلب فكرة الخروج للقاء العدو خارج المدينة:

يقول الشيخ عرجون: «تغلبت فكرة الخروج للقاء العدو خارج المدينة، وكان الموجِّه لهذا التغلب عاملين:

أولهما: موقف الذين فاتتهم بدر فلـم يشـهدوا معركتهـا، ولم يشـاركوا في جهادهـا وحُرمـوا فضـلها، وكانت الكثرة الغامرة في هؤلاء من الأحداث الذين لم تتح لهم فرصة شهود أول معركة في الإسلام، التـي

أربى فضلها على كل فضل، تلك هي معركة بدر وهذا العامل كان يمكن أن يتلاشى، وتتبدد عناصره، ويذوب وينماع ويذهب تأثيره لولا ظهور العامل الثاني في قوة حازمة وعزيمة ماضية وإرادة قاهرة.

أما العامل الثاني فيتجلَّى في موقف القوة الحازمة التي لا تقف مع الأحداث في تقلباتها، ولكنها تتخطاها مسرعة في عزيمة صارمة، وقوة قاهرة، لا تبالي بالنتائج مع إعطائها وزنها الصحيح في مقاييس الحياة المستقبلة.

ذلك هو موقف النبي ﷺ في المضي إلى المعركة خارج المدينة على ما في جنباته من آلام قاسية، كان النبي ﷺ وحده هو الذي يقرأ أسطره في صفحات الغيب من لوح الأقدار.

وهنا يلمع بصيص من النور في قلبي رجلين من سادة الأنصار، كانا عند إسلامها مشرق شمس لهداية الإيمان، ذانك العظيمان هما سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير رضي الله عنهما، فيقولان للذين استأثرتهم عواطف الشباب واستفزَّهم التطلع إلى البطولة: استكرهتم رسول الله ﷺ على الخروج وقلتم له ما قلتم، والوحي ينزل عليه من السماء فردُّوا الأمر إليه، فخرج عليهم ﷺ وقد لبس لأمته، وتهيأ بأداة الحرب، وظاهَرَ بين دِرْعين، فندم الذين كانوا يرون الخروج، وقالوا له ﷺ: **مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُخَالِفَكَ فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ**، فرد عليهم ﷺ بقوله: «**لا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ**».

[**محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٣/ ٥٥٤-٥٥٥**].

١٥ ـ وجهة النظر في كلٍّ من الرأيين:

يقول أ/ خلف الله: «أما الرأي الأول وكان أفضل الرأيين فهو مبني على التكتيك الحربي التالي:

(١) إن جيش المشركين كان مكونًا من أحلاف فلم يكن موحَّد العناصر، وعلى ذلك يستحيل عليهم البقاء أمدًا طويلًا في الحصار، والمسألة تصبح مسألة زمن، إذ لابد من نشوب الخلاف بين المتحالفين إن عاجلًا أو آجلًا.

وقد عرف المخالفون لهذا الرأي خطأهم فتلافوه في غزوة الأحزاب إذ أقام المسلمون في المدينة، وحاصرتهم قريش ومن اجتمع معها من العرب، فلم ينالوا خيرًا، بل أقاموا شر مقام وانقلبوا خاسرين وقد تنازعوا وفشلت ريحهم.

(٢) إن مهاجمة المدن المصممة على الدفاع عن كيانها أمر بعيد المنال، ويكبد المهاجمين خسارة فادحة، ويتعذر عليهم الاستيلاء على المدينة طالما استمر العزم على الدفاع عنها، خصوصًا إذا تشابه السلاح عند المدافعين والمهاجمين وهو في غزوة أُحد كان متشابهًا.

وترجع الصعوبة في مهاجمة المدن في مثل هذه الحالات إلى عدة عوامل منها أن المدافعين يكونون بين أهليهم فيستقتلون في سبيل الدفاع عن أبنائهم والذود عن أعراضهم، وتتضاعف القوات المدافعة إذ

تنضم إليها عناصر جديدة لا يمكنها أن تنضم إلى الجيش في الميدان، هذه العناصر كالنساء والذين يقدرون على الإيذاء من الأبناء، هذا فضلًا عن تمكين المدافعين من استخدام أسلحة فعالة تفقد فاعليتها في ميدان القتال كالأحجار والأدوات، فهذه وإن كانت تصيب في الميدان إلا أنها لا تحسم المعركة، أما بين المنازل والطرقات فإنها شديدة المفعول، خصوصًا وأن المدافعين يكونون مُحصنين في منازلهم بينما يكون العدو مكشوفًا لهم قريب المنال، أضف إلى ذلك كله تعدد المعارك في جهات المدينة كلها وعدم رؤية الميدان وهذا مما يضعف الروح المعنوية عند المهاجِمين.

أما الرأي الثاني فيمكن القول أنه مبني على الاعتبارات التالية:

(١) كان الأنصار قد تعاهدوا في بيعة العقبة على الدفاع عن رسول الله ﷺ فكان أغلبهم يرى أن المكثَ داخل المدينة تقاعسٌ منهم عن نصرة رسول الله ﷺ.

(٢) كانت الأقلية من المهاجرين ترى أنها أحق من الأنصار في الدفاع عن المدينة ومهاجمة قريش وصدها عن زرع الأنصار وسرحهم.

(٣) كان الذين فاتتهم غزوة بدر يتحرقون إلى الاستشهاد في سبيل الله تعالى.

(٤) وأخيرًا كانوا يرون أن في محاصرة قريش للمسلمين في المدينة ظفرًا يجب ألا تحلم به، وظنوا أن هذا الحصار سيطول فيصبح المسلمون مهددين بقطع المؤونة عنهم.

في هذه المؤتمرات كان رسول الله ﷺ يدرب المسلمين على طرق معالجة مشاكلهم وعلى كيفية تعميم الخطط العسكرية، وقد وعى أبطال الإسلام هذه الدروس وأتقنوها فحرج منهم أبطال أذلوا أكبر إمبراطوريتين في العالم: الفارسية والرومانية، وحققوا ما لم يحققه قائد في التاريخ من براعة في رسم الخطط الحربية وقدرة على دحر الجيوش الضخمة في ميادين القتال، كما برعوا في التنسيق والتنظيم وفي تأسيس الدولة». **[غزوة أُحد لخلف الله ٥١-٥٢، القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ للرشيد ٣٧٢-٣٧٥].**

ويقول د/ أبو فارس: «لا شك أن النبي ﷺ قد بنى رأيه ومن معه على ضوء ما لديه من معلومات دقيقة عن جيش المشركين من حيث العدد والعُدة، فهم متفوقون على المسلمين عددًا وسلاحًا، والبقاء في المدينة واتخاذ موقف الدفاع يعوض على المسلمين ما يتفوق به عدوهم عليهم.

فحينما تكون قوة العدو المهاجم أضعاف قوة عدوه، فإن اتخاذ موقف الدفاع يكون أقوى وأجدى؛ ذلك لأن المعتصم والممتنع ببلده يكون كاشفًا لعدوه المهاجم، ومن ثم يستطيع أن يسدد له الضربات القوية، دون أن ينال عدوه منه شيئًا وإن كان كثير العدد كثير السلاح، فكل شيء يقف معه، طبيعة الأرض وتضاريسها التي يعرفها أبناؤها ويجهلها أعداؤها، والصبيان يعاونون الرجال على القتال،

والنساء تقوم في المعركة بنشاط فعَّال، فالجميع يقاتلهم على أفواه الأزقة ومنعطفات الطرق ويفاجؤونهم بالموت الزؤام.

والمقاتل حين يرى عدوه قد جاء يعتدي عليه ويؤذيه في نفسه وماله وعرضه يقبل على القتال بنفس قوية، وعزيمة صادقة، ويقاتل بكل ما أوتي من قوة، إنه يدافع عن نفسه وعن وجوده.

ولقد صدَّق هذا الرأي وصوَّبه موقفُ المسلمين في غزوة الخندق إذ أقبل الأحزاب من كل حدب وصوب وكانوا أضعاف المسلمين في عددهم وعدتهم، ومع هذا فلم ينالوا من المسلمين شيئًا لما استقروا في المدينة، فعادوا إلى مكة خائبين.

أما موقف الصحابة الذين رأوا الخروج من المدينة لقتال المشركين فرأيهم مبني على هدف وجيه، ومقبول في علم الإستراتيجية العسكرية، والتخطيط التعبوي، إنهم يريدون أن يتحَدَّوْا قريشًا، ويُضعفوا معنويات مقاتليها على القتال، فلا تطمع بهم، ولا تتجرأ على قتالهم.

وموقف الدفاع من شأنه أن يجرئ الخصم المهاجم ويقوي معنوياته، فالهجوم يواجه بهجوم معاكس، والتحدي يواجه بالتحدي، وهذا من شأنه أن يُضعف معنويات العدو، هذا هو هدفهم قد عبَّروا عنه بصراحة ووضوح، فقد قالوا: يا رسول الله أخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جَبُنَّا وضعفنا).

[ينظر: السيرة النبوية لابن كثير ٣/ ٢٦، وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٢/ ٢٢-٢٣].

أما بالنسبة لعدد المشركين وكثرتهم فيقابله الروح المعنوية العالية النابعة من الإيمان العميق في النفوس الذي يجعلهم يتغلبون على عدوهم؛ لأنهم إنما يحاربون عدوهم بهذا الدين والإيمان الذي أكرمهم الله به، وما كانوا يومًا يعتمدون على كثرة عددهم في قتال.

وقد صدَّق هذا الموقف غزوةُ بدر الكبرى إذ لم يكن فيها وزن لكثرة المشركين، بل رجحت كفة الإيمان الذي كان في صدور الرجال الذين خاضوا المعركة، وكانوا جياعًا وعراة وقلة، فجندلوا من المشركين سبعين وأسروا سبعين». [**غزوة أُحد لأبي فارس ٣٠-٣٢**].

١٦ ـ خُطة القتال:

يقول أ/ فتح الباب: «وكذلك جمع النبي ﷺ أهل الرأي من المسلمين وأعلنهم بالنبأ الذي تحقق منه، ودارت مباحثات ومناقشات حول أسلوب العمل، أو بعبارة أخرى حول خطة الحرب.

أما محمد ﷺ فكان رأيه أن يتحصن المسلمون بالمدينة فإذا ما حاولت قريش اقتحامها كان أهلها أقدر على صدهم ورد كيدهم في نحورهم وردهم على أعقابهم خاسئين، ورأى عبد الله بن أبي بن سلول رأيَ النبي ﷺ، وقال: «**يَا رَسُولَ الله، كُنَّا نُقَاتِلُ فِي الجَاهِلِيَّةِ فِيهَا، وَنَجْعَلُ النِّسَاءَ وَالذَّرَارِيَّ فِي هَذِهِ الصَّيَاصِي، وَنَجْعَلُ مَعَهُمْ الحِجَارَةَ، وَالله لَرُبَّمَا مَكَثَ الوِلدَانُ شَهْرًا يَنْقُلُونَ الحِجَارَةَ إِعْدَادًا لِعَدُوِّنَا، وَنُشَبِّكُ المَدِينَةَ**

بِالبُنْيَانِ فَتَكُونُ كَالحِصْنِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَتَرْمِي المَرْأَةُ وَالصَّبِيُّ مِنْ فَوْقِ الصَّيَاصِيِّ وَالآطَامِ، وَنُقَاتِلُ بِأَسْيَافِنَا فِي السِّكَكِ، يَا رَسُولَ الله إِنَّ مَدِينَتَنَا عَذْرَاءُ مَا فُضَّتْ عَلَيْنَا قَطُّ، وَمَا خَرَجْنَا إِلَى عَدُوٍّ قَطُّ إِلَّا أَصَابَ مِنَّا، وَمَا دَخَلَ عَلَيْنَا قَطُّ إِلَّا أَصَبْنَاهُ، فَدَعْهُمْ يَا رَسُولَ الله فَإِنَّهُمْ إِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَحْبِسٍ، وَإِنْ رَجَعُوا رَجَعُوا خَائِبِينَ مَغْلُوبِينَ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا، يَا رَسُولَ الله، أَطِعْنِي فِي هَذَا الأَمْرِ، وَاعْلَمْ أَنِّي وَرِثْتُ هَذَا الرَّأْيَ مِنْ أَكَابِرِ قَوْمِي وَأَهْلِ الرَّأْيِ مِنْهُمْ، فَهُمْ كَانُوا أَهْلَ الحَرْبِ وَالتَّجْرِبَةِ».

وشارك ابن أبي في رأيه الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ، بيد أن بعض فتيان المسلمين ورجالهم رأوا الخروج لملاقاة العدو حيث نزل، وقال قائل منهم: «**يَا رَسُولَ الله لا أُحِبُّ أَنْ تَرْجِعَ قُرَيْشٌ إِلَى قَوْمِهَا فَيَقُولُونَ: حَصَرْنَا مُحَمَّدًا فِي صَيَاصِيِّ يَثْرِبَ وَآطَامِهَا! فَيَكُونُ هَذَا جُرْأَةً لِقُرَيْشٍ وَقَدْ وَطِؤُوا سَعَفَنَا، فَإِذَا لَمْ نَذُبَّ عَنْ عِرْضِنَا لَمْ نَزْرَعْ، وَقَدْ كُنَّا يَا رَسُولَ الله فِي جَاهِلِيَّتِنَا وَالعَرَبُ يَأْتُونَنَا، وَلا يَطْمَعُونَ بِهَذَا مِنَّا حَتَّى نَخْرُجَ إِلَيْهِمْ بِأَسْيَافِنَا حَتَّى نَذُبَّهُمْ عَنَّا، فَنَحْنُ اليَوْمَ أَحَقُّ إِذْ أَيَّدَنَا اللهُ بِكَ، وَعَرَفْنَا مَصِيرَنَا، لا نَحْصُرُ أَنْفُسَنَا فِي بُيُوتِنَا**».

وقال أحدهم: «يَا رَسُولَ الله، إِنَّ قُرَيْشًا مَكَثَتْ حَوْلًا تَجْمَعُ الجُمُوعَ وَتَسْتَجْلِبُ العَرَبَ فِي بَوَادِيهَا وَمَنْ تَبِعَهَا مِنْ أَحَابِيشِهَا، ثُمَّ جَاؤُونَا قَدْ قَادُوا الخَيْلَ وَامْتَطَوْا الإِبِلَ حَتَّى نَزَلُوا بِسَاحَتِنَا فَيَحْصُرُونَنَا فِي بُيُوتِنَا وَصَيَاصِينَا، ثُمَّ يَرْجِعُونَ وَافِرِينَ لَمْ يُكْلَمُوا، فَيُجَرِّئُهُمْ ذَلِكَ عَلَيْنَا حَتَّى يَشُنُّوا الغَارَاتِ عَلَيْنَا، وَيُصِيبُوا أَطْرَافَنَا، وَيَضَعُوا العُيُونَ وَالأَرْصَادَ عَلَيْنَا، مَعَ مَا قَدْ صَنَعُوا بِحُرُوثِنَا، وَيَجْتَرِئُ عَلَيْنَا العَرَبُ حَوْلَنَا حَتَّى يَطْمَعُوا فِينَا إِذَا رَأَوْنَا لَمْ نَخْرُجْ إِلَيْهِمْ فَنَذُبَّهُمْ عَنْ جِوَارِنَا، وَعَسَى اللهُ أَنْ يُظَفِّرَنَا بِهِمْ فَتِلْكَ عَادَةُ الله عِنْدَنَا، أَوْ تَكُونَ الأُخْرَى فَهِيَ الشَّهَادَةُ».

وتتابع حديث الإيمان والشجاعة والفداء، فإذا هم انتصروا، فذلك ما أرادوا، وإن لم ينتصروا فذلك هو الاستشهاد والجنة التي أعدت للمتقين، وبدا واضحًا أن رأي الكثرة هو الخروج من المدينة للقتال، وليس التحصن فيها بما رأى الرسول ﷺ وأكابر الصحابة، وهنا قال الرسول ﷺ: «**إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ الهَزِيمَةَ**»، فأبوا مع ذلك إلا الخروج، فلم يكن له إلا أن ينزل على رأيهم، فصلى بالناس إذ كان اليوم يوم جمعة، وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا.

ذلك أن القائد الأعظم ﷺ أدرك بثاقب فكره أن الصبر هو ألزم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها المؤمن، ولا سيما في مثل هذه الموقعة التي لا تكافؤ فيها بين الجانبين، فما زال المسلمون قلة إذا قيسوا بمشركي مكة وعملائهم وعبيدهم، وما زالوا أقل منهم عدة وسلاحًا». [**القيم الخلقية لفتح الباب ٦٥ – ٦٦**].

١٧ ـ تصويب خطأ حول الأكثرية والأقلية:

يقول د/ أبو فارس: «يرى السيد محمد لطفي جمعه في كتابه: (ثورة الإسلام وبطل الأنبياء) أن الأغلبية كانت تريد البقاء في المدينة، وأن قِلَّة من الشباب المتحمسين هي التي رأت الخروج وأرغمت هذه القلة الكثرة على الخروج، وورطتها فيه، وكانت هذه الفئة بقيادة حمزة بن عبد المطلب ﷺ.

فقد جاء في كتابه: (كانت الأغلبية في جانب البقاء في المدينة، ولكن طائفة من الشباب التي تغلي الدماء في عروقها أرادت لقاء العدو، أظهرت رغبة في الخروج لإحراز المجد أو لمجرد حب الحركة، وربما تغلبت الشبيبة في الحياة العامة على الكهول، وفازت حرارة الفتوة على الآراء الناضجة، وقد يحدث كثيرًا، فيرغم الرجال على طاعة الشباب والانقياد لهم، ويتورطون وهم يعلمون نتيجة التساهل للشباب..

فكانت أقلية متحمسة قد غلبت كثرة هادئة مفكرة، فإن هذه الأقلية التي صار على رأسها حمزة بن عبد المطلب ﷺ لقضاءٍ سبق في علم الله ما زالت برسول الله ﷺ حتى وافق على الخروج وهو كاره).

[ثورة الإسلام وبطل الأنبياء ص ٩٤٠-٩٤١ ـ ط عالم الكتب ـ القاهرة ٢٠٠٤م].

هذا الكلام لنا عليه الملاحظات التالية:

(١) أن القول بأن الأغلبية كانت في جانب البقاء في المدينة دعوى تحتاج إلى برهان، بل البرهان يقوم على نقيض ما ادعى به الكاتب، حيث يذكر لنا كُتاب السير أن الأغلبية من الصحابة قد كانت تريد الخروج إلى العدو وقتاله، ولا تريد البقاء في المدينة.

جاء في السيرة النبوية لابن كثير: فقال الذين لم يشهدوا بدرًا: **كُنَّا نَتَمَنَّى هَذَا اليَوْمَ وَنَدْعُو اللهَ، قَدْ سَاقَهُ اللهُ إِلَيْنَا وَقَرُبَ المَسِيرُ**، وَأَبَى كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا الخُرُوجَ إِلى العَدُوِّ، وَلَمْ يَتَنَاهَوْا إِلَى قَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ ...

وَقَالَ رِجَالٌ قَوْلًا صَدَقُوا بِهِ وَمَضَوْا عَلَيْهِ، مِنْهُمْ: حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ ﷺ قَالَ: **وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ لَنُجَالِدَنَّهُمْ**». **[السيرة النبوية لابن كثير ٣/ ٢٤].**

من هذا النص الذي ساقه ابن كثير في سيرته يتبين لنا أن الذين أرادوا الخروج هم الذين لم يشهدوا بدرًا، وهؤلاء وحدهم يشكلون الأغلبية، فكيف إذا انضم إليهم كثير من أهل بدر كسعد بن عبادة، وحمزة بن عبد المطلب، والنعمان بن مالك، وأبو سعد خيثمة بن الحارث). **[ينظر: السيرة النبوية لابن كثير ٣/ ٢٤، والسيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٩٠، وزاد المعاد ٣/ ٢٠٨، وحياة محمد ﷺ ٣٠٢].**

هذا وقد يتوهم من عبارة السيرة الحلبية التالية وغيره، أن الأغلبية كانت ترى البقاء في المدينة، وهذه العبارة هي: (وكان ذلك ـ البقاء في المدينة ـ رأي أكابر المهاجرين والأنصار). **[السيرة الحلبية ٢/ ٤٩٠].**

هذا الوهم يُرد بأن العبارة تفيد أن شيوخ الصحابة من المهاجرين والأنصار قد وافقوه ﷺ على رأيه وهو البقاء في المدينة، وهؤلاء لا يُكونون الأكثرية في المجتمع الإسلامي وفي كل مجتمع إنساني، إذ الشباب

في أي مجتمع يُكونون أغلبيته، وقد كان الشباب يريدون الخروج لا البقاء، ومعهم بعض أكابر الصحابة من المهاجرين والأنصار.

ومن الجدير بالذكر أن الجمهور الأعظم من كُتاب السيرة المُحْدَثين قد فهموا من دراستهم للسيرة النبوية أن الأغلبية من الصحابة كانت تريد الخروج إلى المشركين وقتالهم.

[الرحيق المختوم ٢٨٠، وحياة محمد ﷺ ٣٠٢، والعبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ ٣٤٥، والرسول العربي ﷺ ١٥١، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢/ ٣٢٥، وفقه السيرة للبوطي ٢٣٦].

هذا وقد جاء في شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ما يؤكد أن الأغلبية من الناس كانت تريد الخروج، إذ لما أمرهم الرسول ﷺ بالتهيؤ فرح الناس. [**شرح الزرقاني على المواهب ٢/ ٢٣**].

(٢) وقول الكاتب بأن الذين رأوا الخروج شباب قليلون رغبوا فيه لإحراز المجد أو لمجرد الحركة، فهذا لا نوافق الكاتب عليه، ونشجبه؛ لأنه لا يليق هذا بصحابة رسول الله ﷺ، ويُفهم منه بأنه طعن في صحابة رسول الله ﷺ، وكنا نرغب من كل قلوبنا ألا يسقط الكاتب هذه السقطة الشنيعة، وكنا نود من أعماق قلوبنا أن يتأدب عند ذكر صحابة رسول الله ﷺ، ويفكر كثيرًا في كل كلمة يريد أن يتلفظ بها، قد تؤدي إلى اتهام الصحابة في سرائرهم.

فهل يعقل أن يقول من عنده أثارة من عقل أو دين أن الشباب من الصحابة خرجوا أو رغبوا في الخروج لإحراز المجد أو لمجرد حب الحركة.

إن هؤلاء الشباب الذين آمنوا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا، وباعوا أنفسهم لله رب العالمين، لا يعبثون، ولا يتصرفون تصرف العابثين، إنهم خرجوا دفاعًا عن الإسلام وأهله، وإظهارًا لعزة الإسلام ورغبة فيما عند الله من الثواب العميم والنعيم المقيم في الجنة، وليس لمجرد حب الحركة.

وهذه هي مواقفهم تتكلم بذلك، كما عرضناها في عرض المرحلة الأولى من الغزوة.

(٣) وما زعمه الكاتب ـ غفر الله له ـ من أن الشباب كانوا أقلية متحمسة قد غلبت كثرة هادئة بقيادة حمزة بن عبد المطلب ﷺ وما زالت تضغط على رسول الله ﷺ حتى وافق على الخروج وهو كاره فإزاء هذا نقول:

(أ) إذا كان الشباب قد أرادوا الخروج فهم أكثرية وليسوا أقلية كما زعمت.

(ب) لم يكن الشباب وحدهم يريدون الخروج بل كان معهم نفر من كبار الصحابة، فقد ذكر ابن قيم الجوزية في كتابه زاد المعاد في هدي خير العباد [٣/ ١٩٣]: (فَبَادَرَ جَمَاعَةٌ مِنْ فُضَلاءِ الصَّحَابَةِ مِمَّنْ فَاتَهُ الْخُرُوجُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَأَشَارُوا عَلَيهِ بِالْخُرُوجِ، وَأَلَحُّوا عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ).

(ج) إن الإسلام يقرر أن الإنسان إذا كان بالغًا عاقلًا غير سفيه ولا محجور عليه، رأيه معتبر، ومن حقه أن يُسهم في بناء المجتمع الإسلامي بفكره وماله وجهده ونفسه، ولقد أرسل رسول الله ﷺ أسامة ابن زيد رضي الله عنه قائدًا على المسلمين وهو لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره، وفي الجيش أبو بكر وعمر وعلي وسائر الصحابة رضوان الله عليهم.

(د) وأن يوصف الشباب من صحابة رسول الله ﷺ بالطيش وعدم التفكير، وأنهم تغلبوا على ضحالة فكرهم وحماستهم على أصحاب الفكر والرأي بقيادة رسول الله ﷺ، وأرغموهم على خلاف ما يعتقدون وهم الأكثرية والشباب أقلية، فهذا لا يليق بصحابة رسول الله ﷺ لا سيما أكابر الصحابة من المهاجرين والأنصار.

(هـ) إن الإسلام يرفض بحزم أن تُسَيِّر فئةٌ قليلة من الناس مهما كانت أمرَ الأمة، وتستبد بالأمر، وتضغط بقوة السلاح أو بالحماس لتلبية رغباتها وإن كانت تجر الويل والهلاك على هذه الأمة، ويهمل رأي العقلاء وهم الأكثرية من الناس.

(و) إن وصف الشباب بقلة الفكر وعدم الرؤية وأنهم على هذه الحالة قد حملوا رسول الله ﷺ وكبار الصحابة وأكثريتهم على الخطأ، اتهام ينبو عن الذوق.

(ز) إن الشباب كانوا يريدون الخروج، وهذا رأيهم، ومن حقهم وحق كل مسلم أن يعبر عن رأيه بحرية، ويؤيد رأيه بحججه وبراهينه حتى يقنع غيره أو يقتنع من غيره بقوة حجته ودليله، وبعد ذلك يخضع لرأي الأغلبية فإنه أقرب إلى الصواب في الغالب.

وهؤلاء الشباب لم يكونوا كما وصفهم الكاتب غفر الله له، بضعف الرأي والحجة، بل كانوا ذوي عقول متفتحة وأفكار سديدة، أقنعت الآخرين بها ولم ترهبهم، ولم تغلبهم على أمرهم.

(ح) إن الرسول ﷺ قد علَّم هذه الأمة ورباها أن تكون حرة في تفكيرها واتخاذ قراراتها، ونَفث في روعها أنه لا يملك أحد من البشر مهما كان أن يستبد بالأمر دونها، وأَمرها بالتمرد على المستبدين الذين لا يستشيرون ولا يلتزمون بإرادة الأمة.

وإذا كان رسول الله ﷺ قد ربى هذه الأمة على هذا المبدأ، وعمل بمقتضاه في مواطن كثيرة، فلا يُعقل أن يقبل رسول الله ﷺ ومعه أكثرية الصحابة وجمهور الأمة أن يخضع لرغبة فئة قليلة متحمسة من المسلمين خرجت ـ كما يزعم الكاتب ـ لطلب مجد أو لمجرد حب الحركة.

(ط) إن هذا الذي ذهب إليه الكاتب فيه إساءة كبيرة للرسول ﷺ وإساءة للمسلمين جميعًا، إذ فيه اتهام بالجبن والمجاملة وغلبة ضحالة الفكر على عمقه وصوابه.

وما كان الأمر كما زعم الكاتب أن الرسول ﷺ ومعه الكثرة من المسلمين قد غُلبوا على أمرهم وأُكرهوا على الخروج من فئة قليلة متهورة متحمسة؛ لأن الرسول ﷺ كان باستطاعته أن لا يخرج من المدينة، وقد عَرَضوا عليه ذلك بعد أن لبس لأمته، فأبى ﷺ وقال: «**لا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ**».

ولكنه ﷺ التزم برأي الأغلبية في وقت الشورى، وعلَّم الأمة على الالتزام به، وقد ذهب وقت الشورى وجاء وقت العمل والتنفيذ.

وأخيرًا كنا نتمنى للكاتب ألا يعثر هذه العثرة، ولا يزل هذه الزلة، ولا يكبو هذه الكبوة المهلكة، ونسأل الله لنا وله التوبة والمغفرة والرجوع عما ذهب إليه وأساء فيه». [**غزوة أُحد لأبي فارس ٢٤-٣٠**].

ويقول د/ الصاعدي والمحمدي: «هناك من علق على قضية طلب الشباب وبعض الصحابة الكبار من النبي ﷺ الخروج للقتال خارج مساكن المدينة ـ لا خارج المدينة ـ فيضعون ترتبات المعركة على رأي هؤلاء الشباب الذين تحمسوا للخروج، فكان ما كان من إصابة المسلمين بالجراحات، وإصابة رسول الله ﷺ، وقتل لكثير من الصحابة رضي الله عنهم والتمثيل بهم... إلخ.

ونقول: ليس هناك نص صريح ولا مفهوم واضح يدلنا ويسوقنا إلى عتاب فكرة أولئك الشباب الذين تحمسوا للخروج، فكون النبي ﷺ أحب المكث في المدينة وقتالهم فيها، فهذا كان مجرد رأي للنبي ﷺ، وكان رأيًا سديدًا، ولكنه لم يكن وحيًا، يأمرهم به، وإلا لما كان لأحد من الصحابة أن يخالف أمره: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقد دلتنا عشرات الأحاديث الصحيحة ـ والتي لا يتسع المقام للخوض والتفصيل فيها ـ على أن السمع والطاعة كان نهج الصحابة رضي الله عنهم مع رسول الله ﷺ، وأما ما سمح فيه رسول الله ﷺ من إلقاء الكلمة وإبداء الرأي فهذا لا يُسمى تحمسًا ولا استعجالًا ولا مخالفة.

لقد عرف الجميع أن النصر في أول المعركة كان للمسلمين، حتى أن قريشاً بخيلها ورجالها ولت مدبرة، وهرب النساء يتسلقن أحدًا فرارًا من سيوف أُسْد الله... فغنم المسلمون الغنائم الكثيرة التي خلفهم المشركون خلفهم، لقد كان النصر حليف المسلمين حتى حصل ما حصل من الرماة.

فجاءت الآيات تترى متعاقبة معاتبة الذين خالفوا أمر رسول الله ﷺ وأمر قائدهم عبد الله بن جبير رضي الله عن الجميع، فأين الآيات والأحاديث بمنطوقها ومفهومها التي دلت على عتاب الذين أشاروا بالخروج؟!». [**أحد: الآثار، المعركة، التحقيقات للصاعدي والمحمدي ص ٦٠-٦١**].

١٨ ـ الثبات:

قال الواقدي: «وَخَرَجَ سَلَمَةُ بْنُ سَلامَةَ بْنِ وَقْشٍ ﷺ يَوْمَ الجُمُعَةِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِأَدْنَى العِرْضِ إِذَا طَلِيعَةُ خَيْلِ المُشْرِكِينَ عَشْرَةُ أَفْرَاسٍ فَرَكَضُوا في أَثَرِهِ فَوَقَفَ لَهُمْ عَلَى نَشَزٍ مِنْ الحَرَّةِ، فَرَاشَقَهُمْ بِالنَّبْلِ مَرَّةً وَبِالحِجَارَةِ مَرَّةً حَتَّى انْكَشَفُوا عَنْهُ، فَلَـمَّا وَلَّوْا جَاءَ إِلَى مَزْرَعَتِهِ بِأَدْنَى العِرْضِ، فَاسْتَخْرَجَ سَيْفًا كَانَ لَهُ وَدِرْعَ حَدِيدٍ كَانَا دُفِنَا في نَاحِيَةِ المَزْرَعَةِ فَخَرَجَ بِهِمَا يَعْدُو حَتَّى أَتَى بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ فَخَبَّرَ قَوْمَهُ بِمَا لَقِيَ مِنْهُمْ». [المغازي للواقدي١/ ٢٠٨].

يقول د/ الحميدي: «هذا الخبر يدل على شجاعة سلمة بن سلامة بن وقش الأنصاري ﷺ وقوة احتماله حيث ثبت أمام عشرة من الفرسان، ولقد أعطى المشركين بذلك درسًا بليغًا في الصبر والثبات، وهذا شاهد على أن الكفار لا يبذلون في الحرب إلا جزءًا يسيرًا من طاقتهم؛ لأنهم يهتمون قبل كل شيء بالدفاع عن أنفسهم واستبقاء حياتهم، وأن المؤمن الحق يبذل طاقة كبيرة تعادل طاقة عشرة من الكفار أو أكثر». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ٦٨].

١٩ ـ التعبئة الروحية:

يقول أ/ فتح الباب: «وكان سبيل الرسول ﷺ في إعداد المسلمين للمعركة الوشيكة المرتقبة هي رفع روحهم المعنوية وشد عزائمهم من طريق حسن رعايتهم، فتلك هي الطريقة المثلى لتوحيد صفوفهم والتفافهم حوله، وتسابقهم إلى الجهاد في سبيل الله.

والمناضل الحق هو الذي يدرك أن عوامل الانتصار رهينة بالقوة البشرية ومدى قدرتها على خوض المعارك، والثبات في المواقف والأزمات، وإن هذه القدرة هي صمام الأمن للكيان الروحي والاجتماعي، وهي خط الدفاع الأول عن الهدف الذي يعمل القائد على تحقيقه، وأن النصر لا يتوقف على كثرة العدة والسلاح بقدر ما هو رهين باليد التي تمسك هذا السلاح، والقلب الذي يحركها، فلابد من رعاية أفراد الجماعة المؤمنة حتى لا تشغلها شؤونها الداخلية عن المشكلة الخارجية، وحتى تصلح أحوالها وتطمئن على يومها وغدها فيشتد تماسكها وتقوى وحدتها.

ولقد سلك نبي الأمة الإسلامية الأعظم ورسول الله ﷺ إلى المسلمين أفضل السبل لإنجاز هذه الغاية حين زاد من رابطته بأصحابه من طريق المصاهرة، فتزوج من حفصة بنت عمر بن الخطاب ﷺ، كما تزوج من عائشة بنت أبي بكر ﷺ من قبل، ومثلما تزوج من حفصة زَوَّجَ ابنته فاطمة من ابن عمه علي ﷺ، وزَوَّجَ عثمانَ بن عفان ﷺ ابنته أم كلثوم بعد أن ماتت أختها رقية ﷺ.

وهكذا جمع الرسول ﷺ حوله برابطة المصاهرة أبا بكر وعمر وعثمان وعليًّا ﷺ، وهم قادة تلك الجماعة التي آمنت بعقيدة محمد ﷺ وضَحَّت في سبيلها، ولقد كان في رفع الروح المعنوية في أصحاب

الرسول ﷺ بمثابة الدرع الواقي للعقيدة وللمجتمع الإسلامي الناشئ في مواجهة خصومه وأعوانهم والمتآمرين معه». [القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات لفتح الباب ٦٢-٦٣].

٢٠ ـ الروح المعنوية عند المسلمين:

يقول د/ أبو فارس: «أن القارئ للعديد من كتب السيرة النبوية يجد أن المسلمين كانوا يتمتعون بروح معنوية عالية، يعجز اليراع عن وصفها.

أدلة ذلك:

أولًا: لما استشار النبي ﷺ المسلمين في شأن قتال المشركين طاروا فرحًا لهذا اليوم، وتباروا في التعبير عن سرورهم وحماسهم للقتال.

فقال عبد الله بن جحش ﵁: **يَا رَسُولَ الله، إِنَّ هَؤُلاءِ القَوْمَ نَزَلُوا حَيْثُ تَرَى، وَقَدْ سَأَلْتُ اللهَ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي لأُقْسِمُ عَلَيْكَ أَنْ نَلْقَى العَدُوَّ غَدًا فَيَقْتُلُونَنِي، وَيُمَثِّلُونَ بِي، فَأَلْقَاكَ مَقْتُولًا قَدْ صُنِعَ هَذَا بِي، فَتَقُولَ: فِيمَ صُنِعَ بِكَ هَذَا؟ فَأَقُولَ: فِيكَ، وَأَنَا أَسْأَلُكَ أُخْرَى أَنْ تَلِي تَرِكَتِي مِنْ بَعْدِي، فَقَالَ ﷺ: نَعَمْ.** [إمتاع الأسماع ١/ ١٥٥].

وقال عمرو بن الجموح ﵁ بعد أن أقبل على القبلة: **اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي الشَّهَادَةَ وَلا تَرُدَّنِي إِلَى أَهْلِي خَائِبًا.** [عيون الأثر ٢/ ١٧-١٨، وينظر: إمتاع الأسماع ١/ ١٤٦].

وَقَالَ النُّعْمَانُ بْنُ مَالِكٍ ﵁: **يَا رَسُولَ الله أَنَا أَشْهَدُ أَنَّ البَقَرَ المُذَبَّحَ قَتْلَى مِنْ أَصْحَابِكَ، وَأَنِّي مِنْهُمْ، فَلِمَ تَحْرِمُنَا الجَنَّةَ؟ فَوَالَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لأَدْخُلَنَّهَا.**

[شرح الزرقاني على المواهب ٢/ ٢٣، وأنساب الأشراف ١/ ٣١٥، وإمتاع الأسماع ١/ ١٤٦].

وَقَالَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ ﵁: **وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ لا أَطْعَمُ اليَوْمَ طَعَامًا حَتَّى أُجَالِدَهُمْ بِسَيْفِي خَارِجَ المَدِينَةِ.** [شرح الزرقاني على المواهب ٢/ ٢٣].

وَقَالَ إِيَاسُ بْنُ أَوْسِ بْنِ عَتِيكٍ ﵁: **يَا رَسُولَ الله! نَحْنُ بَنُو عَبْدِ الأَشْهَلِ، وإنا لَنَرْجُو أَنْ نَكُونَ البَقَرَ المُذَبَّحِ.** [أنساب الأشراف ١/ ٣١٥].

وقال قائلهم: **هِيَ إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ: الظَّفَرُ أَوْ الشَّهَادَةُ، وَالله لَا تَطْمَعُ العَرَبُ فِي أَن يَدْخُلَ عَلَيْنَا مَنَازِلَنَا، وَلا يَظُنُّ ظَانٌّ أَنَّا هِبْنَا عَدُوَّنَا فَيَجْتَرِئَ عَلَيْنَا.** [أنساب الأشراف ١/ ٣١٤- ٣١٥].

ثانيًا: شدة فرح الناس لما أمرهم الرسول ﷺ بالخروج. [شرح الزرقاني على المواهب ٢/ ٢٣].

ثالثًا: التصميم على القتال من الجنود وقائدهم: فلقد عزم النبي ﷺ على القتال بإرادة قوية ونفس لا تعرف التردد والتراجع، فها هو ذا رسول الله ﷺ يعبر عن هذه الإرادة الحديدية والعزيمة الصارمة بقوله ﷺ: «**لا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ**».

إنه اختيار المواقف الجريئة والثبات عليها مهما كانت التضحيات وأيًّا كانت النتائج.

وتحدثنا كتب السيرة النبوية عن هذه المعنويات العالية وصورها المتعددة، ومن هذه الصور ما جاء في سيرة ابن هشام وشرح المواهب ما ملخصه: وتنافس الصبيان في الخروج لقتال المشركين، وتدافع الناس، إلا أن رسول الله ﷺ قد رد الصبيان الذين لم يتجاوزوا في أعمارهم خمسة عشر عامًا، وكان قد رد سبعة عشر منهم، ورأينا موقف رافع بن خديج وسمرة بن جندب رضي الله عنهما في عرض الغزوة.

التعبئة المعنوية: وفوق ما كان يتمتع به المسلمون جميعًا من قوة معنوياتهم، وتدافعهم للقتال، وحرصهم عليه، فإن النبي ﷺ وقف فيهم خطيبًا يحرضهم على القتال ويحضهم على الثبات والصبر، ويبشرهم بالنصر إن هم صبروا واتقوا، ويأمرهم بالطاعة». [**غزوة أُحد لأبي فارس ٣٧-٤١**].

٢١ ـ تكريم الإسلام لأصحاب الأمراض والعاهات:

يقول الشيخ أبو خوات: «وفي اعتراف بها لأصحاب الأمراض والعاهات من حق في الإسلام ينيب النبي ﷺ عن نفسه في زعامة المدينة وإمامة الصلاة ابن أم مكتوم رضي الله عنه، وما أدراك مَنْ ابن أم مكتوم؟ إنه الأعمى الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾﴾ [عبس]». [**دروس من غزوات الرسول ﷺ لأبي خوات ٦٣**].

٢٢ ـ حسن اختيار الرجال للمهمات الصعبة:

في بعث الحباب بن المنذر رضي الله عنه لمعرفة جيش المشركين يقول د/ الحميدي: «في هذا الخبر بيان اهتمام النبي ﷺ بمعرفة حجم جيش الكفار ومدى استعدادهم وقوتهم، وهذا أمر ضروري للاستعداد ووضع الخطط المناسبة.

وقوله ﷺ للحباب رضي الله عنه: (**لا تُخْبِرْنِي بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ إلا أَنْ تَرَى قِلَّةً**) بيان لأهمية المحافظة على قوة معنوية المجاهدين وارتفاع حماسهم.

وفي هذا الخبر موقفان للحباب بن المنذر رضي الله عنه:

الأول: في شجاعته حيث استطاع أن يدخل في جيش المشركين ويقوم بمهمة تقدير عددهم وعدتهم، وهذه المهمة لا يكفي فيها أن يجول حولهم من بعيد؛ لأن ذلك لا يتيح له فرصة الاطلاع الكافي، والأرقام التي قدمها للنبي ﷺ تدل على أنه قد دخل في جيشهم، وتلك مغامرة جريئة لا يقوم بها إلا من كانوا يجمعون بين الشجاعة والحذر.

والموقف الثاني: في دقة رصده الحربي حيث أفاد عن عددهم وعدد خيولهم وأدراعهم بما يوافق الإحصاءات التي تمت بعد ذلك أو يقاربها، وهذه خبرة حربية عالية، ولقد أحسن النبي ﷺ الاختيار حينما اختار الحباب رضي الله عنه لهذه المهمة.

وأخيرًا موقف جليل وذلك في جواب النبي ﷺ للحباب ﷺ حيث قال: (**حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، اللَّهُمَّ بِكَ أَجُولُ وَبِكَ أَصُولُ**)، وهذا يدل على قوة التوكل على الله تعالى حيث لم يذكر في ذلك الموقف الرهيب غير الله جل وعلا، وهذا هو أهم عوامل النصر.

إن عوامل النصر المادية يشترك فيها المؤمنون والكفار، ولكن العامل الوحيد الذي يختص بـه المؤمنـون هو التوكل على الله سبحانه، وبهذا العامل القـوي العظـيم انتصـر رسـول الله ﷺ عـلى أعدائـه وانتصـر المؤمنون من بعده على أعدائهم». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ٦٦-٦٧].

٢٣ ـ التسابق والتنافس في الأعمال الصالحة:

يقول د/ فيض الله: «لئن فرَّ المنافقون في شَوْط من الطريق، خوفًا من القتال، ووراءه الموت، فإن الصحابة أهل الإيمان الحق، واليقين الصادق، سارعوا إلى الموت في هذه الغزوة، راغبين في الشهادة، وعلى سواعد هؤلاء قامت هذه الغزوة، وبدمائهم ارتوى أُحد، ومن أجلهم أحب النبي ﷺ أُحدًا، وأحب أُحدٌ المسلمين المجاهدين، فمِنْ هؤلاء السابقين إلى الشهادة، في يقين ثابت، ورغبة ملحة صالحة:

١ـ خيثمة ﷺ الذي قُتلَ ابنُه يوم بدر، وكان به مُولعًا، وكان يتشهَّى أن يكون قد قُتل معه شهيدًا، فيرافقه في رفيع الجنات، ففاته ذلك الشرف.

قال خيثمة أبو سعد، وكان ابنُه استُشْهِدَ مع رسولِ الله ﷺ يومَ بدر: «**يَا رَسُولَ الله، لَقَدْ أَخْطَأَتْنِي وَقْعَةُ بَدْرٍ، وكُنْتُ وَالله عَلَيْهَا حَرِيصًا، حَتَّى سَاهَمْتُ ابني في الخُرُوجِ، فَخَرَجَ سَهْمُهُ، فَرُزِقَ الشَّهَادَةَ، وَقَدْ رَأَيْتُ البَارِحَةَ ابني في النَّوْمِ، في أَحْسَنِ صُورَةٍ، يَسْرَحُ في ثِمارِ الجَنَّةِ وأَنْهَارِهَا، ويقولُ: الْحَقْ بِنَا تُرافِقْنَا في الجَنَّةِ، فَقَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا، وَقَدْ وَالله يَا رَسُولَ الله، أَصْبَحْتُ مُشْتَاقًا إِلى مُرَافَقَتِهِ في الجَنَّةِ، وقَد كَبِرَتْ سِنِّي، وَرَقَّ عَظْمِي، وأحبَبْتُ لِقَاءَ رَبِّي، فَادْعُ اللهَ يَا رَسُولَ الله أَنْ يَرْزُقَني الشَّهَادَة، وَمُرَافَقَةَ سَعْدٍ في الجَنَّةِ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ الله ﷺ بِذَلِكَ، فَقُتِلَ بِأُحُدٍ شَهِيدًا**».

[المغازي للواقدي١/ ٢١٢، زاد المعاد لابن القيم٣/ ١٩].

٢ ـ وهذا عَمْرُو بنُ الجَمُوحِ ﷺ، وَكَانَ رَجُلًا أَعْرَجَ شَدِيدَ العَرَجِ، وكانَ له بَنُونَ أربعَة شَبَاب، مِثْلَ الأُسْدِ، يَشْهَدُونَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ المَشَاهِدَ، فَلَـمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أَرَادُوا حَبْسَهُ، وَقَالُوا لَهُ: **إِنَّ اللهَ** ﷻ **قَدْ عَذَرَكَ، [جَعَلَ لَكَ رُخْصَةً، فَلَوْ قَعَدْتَ وَنَحْنُ نَكْفِيكَ، وَقَدْ وَضَعَ اللهُ عَنْكَ الجِهَادَ]**، فَأَتَى رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالَ: **يا رسُولَ الله، إِنَ بَنِيَّ هؤلاءِ يُرِيدُونَ أَنْ يَحْبِسُونِي عَنْ هَذَا الوَجْهِ، وَالخُرُوجِ مَعَكَ فِيهِ، فوالله إِنِّي لأَرْجُو أن [أُسْتَشْهدَ] فأطأَ بعَرْجَتِي هذِهِ في الجَنَّةِ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **أَمَّا أَنْتَ، فَقَدْ عَذَرَكَ اللهُ فَلا**

جِهَادَ عَلَيْكَ [وَضَعَ اللهُ عَنْكَ الجِهَادَ]، وقال لبنيه: «**وَمَا عَلَيْكُم أَلَّا تَمْنَعُوهُ، لَعَلَّ اللهَ ﷻ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ**»، فخرجَ مَعَ رسولِ الله ﷺ، فَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا».

[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٤٠، زاد المعاد لابن القيم ٣/ ١٩٢].

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ قَالَ: أَتَى عَمْرُو بْنُ الجَمُوحِ ﷺ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: **يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِ الله حَتَّى أُقْتَلَ أَمْشِي بِرِجْلِي هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الجَنَّةِ**، وَكَانَتْ رِجْلُهُ عَرْجَاءَ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**نَعَمْ**»، فَقُتِلُوا يَوْمَ أُحُدٍ هُوَ وَابْنُ أَخِيهِ وَمَوْلًى لَهُمْ، فَمَرَّ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ تَمْشِي بِرِجْلِكَ هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الجَنَّةِ**»، فَأَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِهِمَا وَبِمَوْلَاهُمَا فَجُعِلُوا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ.

[مسند أحمد ٣٧/ ٢٤٧ رقم ٢٢٥٥٣، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن. ومجمع الزوائد في المناقب ٩/ ٥٢٣ رقم ١٥٧٤٦، وقال الهيثمي: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، غير يحيى بن نصر الأنصاري، وهو ثقة].

وأجاب الله دعوة نبيه لعمرو ﷺ، وحقق له رغبته الصادقة، فقُتل يوم أحد شهيدًا.

«وفي هذا الخبر موقف لعمرو بن الجموح ﷺ وذلك في إظهار شوقه الشديد للجهاد في سبيل الله تعالى مع أن الله سبحانه قد عذره في القعود بعرَجه الشديد، ومن كان كذلك فإنه لا يستطيع أن يجاهد بطاقة كاملة، وإن كان الدافع الإيماني لديه قويًّا، ومع كونه مصابًا بهذا العذر ومع كونه قد قدَّم للجهاد بنين أربعة في غاية الشجاعة، فإنه لم يقبل عرض بنيه عليه بالقعود، ورجا الله تعالى أن يطأ بعرجته تلك في الجنة، وذلك بما يرجوه من نيل الشهادة.

ولما ذكر هذا الأمل لرسول الله ﷺ أبان له بأنه ممن عذر الله تعالى ولكنه أشار على بنيه بتمكينه من الخروج لعل الله تعالى أن يحقق له تلك الأمنية الغالية، وقد تحقق له ما رجاه حيث قتل شهيدًا ﷺ.

ومع كونه شديد العرج فإنه قد أبلى في المعركة بلاء حسنًا كما ذكر أبو طلحة، وكان لا يفارقه شعوره بالشوق إلى الجنة حتى استشهد ﷺ». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٢٠].

٣ ـ وَقَالَ النُّعْمَانُ بْنُ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ﷺ أَخُو بَنِي سَالِمٍ: **يَا رَسُولَ الله أَنَا أَشْهَدُ أَنَّ البَقَرَ المُذَبَّحَ قَتْلَى مِنْ أَصْحَابِكَ، وَأَنِّي مِنْهُمْ، فَلِمَ تَحْرِمُنَا الجَنَّةَ؟ ـ يريد ألا يمنعه من سببها، وهو الجهاد في سبيل الله، وذلك يوم أُحد ـ فَوَالَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لأَدْخُلَنَّهَا**، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**بِمَ؟**»، قَالَ: **بِأَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلا أَفِرُّ يَوْمَ الزَّحْفِ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**صَدَقْتَ**»، فَاسْتُشْهِدَ يَوْمَئِذ». [المغازي للواقدي ١/ ٢١١].

٤ ـ وهذا عبدُ الله بنُ جَحْشٍ ﷺ، وهو من الغزاة المجاهدين، ورأس سرية قبل أُحد تَسَمَّت باسمه، يقول يوم أُحد، مناجيًا ربه ﷻ، مخلصًا من أعماقه: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُقْسِمُ عَلَيْكَ أَنْ أَلقى العَدُوَّ غَدًا، فَيَقْتُلُونِي، ثُمَّ يَبْقُرُوا بَطْنِي، ويَجْدعُوا أَنْفي، وَيَصْلِمُوا أُذُنِي، ثُمَّ تَسْأَلُنِي: فيمَ ذلِكَ، فَأَقُولُ فيكَ**».

فيقول بعض رواة الحديث عن سعد ﷺ قال: **فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ آخِرَ النَّهَارِ، وَإِنَّ أَنْفَهُ وَأُذُنَهُ لَمُعَلَّقٌ فِي خَيْطٍ**.

وصدق الله العظيم، وتمت كلمته، إذ قال: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

هؤلاء الذين روَّوا أُحُدًا بدمائهم الزكية، ومزجوها بتربته الطيبة النقية، وخلَّدوا ببطولاتهم ذلك الجبل الأشم، والعقيدة الشماء، وهذه نماذج البطولة الإسلامية التي تخرجت في مدرسة محمد ﷺ، فأروني ماذا تُخرِّج المدارس والمعاهد التي لا تنهض على صريح الإيمان، في أيامنا؟».

[صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة لفيض الله ١٢٣-١٢٥].

ويقول د/ الحميدي: «وهكذا كانت أمنية عبد الله بن جحش رضي الله عنه أن ينال الشهادة وأن يمثل به الكفار لينال أجر ذلك بعد أن يقارع الأقران الأشداء، وقد استجاب الله تعالى دعاءه فنال الشهادة على الصورة التي أحبها.

لقد وفقه الله تعالى لهذا الدعاء؛ لأنه سبحانه أراد أن يتخذ منه شهيدًا مع إخوانه الشهداء الأبرار، ووفق سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى الدعاء المذكور الذي لم يشتمل على طلب الشهادة؛ لأنه سبحانه أراد منه أن يُعَزَّ الإسلام وأهله وأن يذل الكفر وأهله على يديه، ولقد تأخر أجله حتى فتح الله تعالى به مملكة الفرس، وأعز به دولة الإسلام». **[التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٠٨-١٠٩].**

٥ ـ وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ لأَخِيهِ: **خُذْ دِرْعِي يَا أَخِي، قَالَ: أُرِيدُ مِنَ الشَّهَادَةِ مِثْلَ الَّذِي تُرِيدُ، فَتَرَكَاهَا جَمِيعًا.** **[مجمع الزوائد ٥/ ٥٤٠ كتاب الجهاد (٩٥٣٩)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، وذكر الصالحي أنه رواه أبو نعيم. سبل الهدى والرشاد ٤/ ٢٨٧].**

يقول د/ الحميدي: «وهذا مثل يبين حرص الصحابة رضي الله عنهم على الشهادة في سبيل الله تعالى، فقد أعطى عمر رضي الله عنه أخاه زيدًا رضي الله عنه درعه ليَلقى العدو حاسرًا فينال الشهادة، فأجابه زيد رضي الله عنه بأنه هو أيضًا يريد الشهادة.

وقد علم الله تعالى صدق نيتهما في ذلك فمنحهما الشهادة بعد عُمر قضياه في إعلاء كلمة الله تعالى وخدمة المسلمين، حيث استشهد زيد بن الخطاب رضي الله عنه في معركة اليمامة، وساق الله ـ جل وعلا ـ الشهادة لأمير المؤمنين عمر في مسجد رسول الله ﷺ». **[التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٠٦].**

٢٤ ـ عدم التهاون والتفريط في الأعمال الصالحة:

يقول أ/ عبَّاد: «النبي ﷺ وهو يأتي بذروة سنام الإسلام (الجهاد) ـ الذي لا يَعْدله القيام داخل المسجد دون فتور والصيام دون إفطار حتى يعود المجاهد لبيته ـ نجده يدخل المسجد ليؤدي فرض كفاية فيصلي على الميت ويدعو له، إنها رحمة من القائد ﷺ بأتباعه أحياء وأموات، ولفتة لأفراد الأمة

بعدم التهاون والتفريط في الأعمال الصالحة التي قد يستهين بها البعض ـ لعدم الفرضية كالنوافل والأذكار وفرائض الكفاية وغيرها.

وكان الرسول ﷺ يخشى على أمته تفريطها في أداء تلك الأعمال الصالحة التي تسقط بأداء البعض لها فيبين ثواب عمل كهذا ـ الصلاة على الميت ـ في الحديث الذي رواه مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَنْ خَرَجَ مَعَ جَنَازَةٍ مِنْ بَيْتِهَا وَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ تَبِعَهَا حَتَّى تُدْفَنَ، كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ مِنْ أَجْرٍ كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُحُدٍ». [مسلم في الجنائز (٩٤٥)].

وما تساقط المتساقطون في طريق الدعوة إلا من تفريطهم في تلك الأمور وتساهلهم في امتثالهم لأمر الله، فشغلتهم جماهيرية العمل عن محاضن تربيتهم، فوقعوا في الحضيض وسقطوا في أول امتحان عزيمة وطاعة وثقة لقيادتهم». [مفاهيم تربوية من غزوة أحد لعبَّاد ٤٤-٤٥].

٢٥ ـ حسن إعداد الناشئة:

يقول الشيخ العلي: «استعرض الرسول ﷺ الشباب يوم خروجه إلى أحد، فرد من استصغره منهم مثل ابن عمر والبراء وغيرهما، وأجاز من رآه مطيقًا منهم مثل رافع بن خديج وسمرة بن جندب، وقيل إنما أجاز رسول الله ﷺ من أجاز لإطاقته، ورد من رد لعدم إطاقته.

والصحيح أنه أجاز من أجاز لبلوغه بالسن خمس عشرة سنة، ورد من رد لصغره عن سن البلوغ». [صحيح السيرة النبوية للعلي ٢٠٥].

ويقول د/ الصلابي: «رد النبي ﷺ في معسكره بالشَيْخَيْن ـ وهما أُطُمان ـ جماعة من الفتيان لصغر أعمارهم، إذ كانوا في سن الرابعة عشرة أو دون ذلك، منهم: عبد الله بن عمر، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، وزيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وأبو سعيد الخدري، بلغ عددهم أربعة عشر صبيًّا [(١)]، وأجاز منهم رافع بن خديج لما قيل له: إنه رام، فبلغ ذلك سَمُرَة بن جندب، فذهب إلى زوج أمه مري بن سنان بن ثعلبة ـ عم أبي سعيد الخدري ـ وهو الذي ربى سمرة في حجره يبكي ويقول له: يا أبت، أجاز رسول الله ﷺ رافعًا وردني، وأنا أصرع رافعًا، فرجع زوج أمه هذا إلى النبي ﷺ فالتفت النبي ﷺ إلى رافع وسَمرة فقال لهما: تصارعا، فصرع سمرة رافعًا، فأجازه كما أجاز رافعًا، وجعلهما من جنده وعسكر كتائبه، ولكل منهما مجاله واختصاصه.

ونلحظ أن رسول الله ﷺ أجاز رافعًا وسمرة لامتياز عسكري امتازا به على أقرانهما، ورد صغار السن خشية ألا يكون لهم صبر على ضرب السيوف، ورمي السهام، وطعن الرماح، فيفروا من المعركة إذا حمي الوطيس، فيُحدث فرارهم خلخلة في صفوف المسلمين.

---

(١) ذكر صاحب سبل الهدى والرشاد أنهم (سبعة عشر شابًّا، وهم أبناء أربع عشرة سنة؛ لأنه ﷺ لم يرهم بلغوا، وعُرضوا عليه وهم أبناء خمس عشرة، فأجازهم) وذكر أسماءهم. سبل الهدى ٤/ ٢٧٨.

ونلحظ أن المجتمع الإسلامي يضج بالحركة، ويسعى للشهادة شيبًا وشبانًا، حتى الصبيان يقبلون على الموت ببسالة، ورغبة في الشهادة، تبعث على الدهشة، دون أن يجبرهم قانون التجنيد، أو تدفع بهم قيادة إلى ميدان القتال، وهذا يدل على أثر المنهج النبوي الكريم في تربية شرائح الأمة المتعددة على حب الآخرة، والترفع عن أمور الدنيا». [**السيرة النبوية للصلابي ٢/ ١١٢**].

ويقول د/ الحميدي: «في هذا الخبر مثل جيد على حب الصحابة ﭫ للجهاد، وارتفاع مستواهم التربوي، حيث حببوا الجهاد لأبنائهم فأصبح غلمانهم يتسابقون إلى ميادين الجهاد.

وتتبدى هذه المظاهر المتأصلة في نفوس هؤلاء الغلمان في خروجهم مع جيش المسلمين وكلهم أمل في أن يجيزهم رسول الله ﷺ، وأن يشاركوا في الجهاد، كما تتبدى في إلحاح رافع بن خديج ﭬ على ولي أمره ليُقنع النبي ﷺ بالسماح له بالجهاد بحجة أنه يجيد الرماية، ويشفق على نفسه من رد النبي ﷺ بالرفض فينتصب قائمًا على أصابع قدميه ليبدو طويلًا قد بلغ مبلغ الرجال مخفيًا هذا التطاول بخفيه السابغين اللذين يخفيان عقبيه، ويتم فوزه بإجازة النبي ﷺ إياه.

وتأخذ الحسرة سمرة بن جندب ﭬ الذي رُدَّ مع الغلمان، ويعصف به الشوق إلى الجهاد فيُدْلي بمسوغ آخر للقبول، أَوَلَيس يصرع رافعًا؟ فهو إذًا أقوى منه، وما دام الأمر كذلك فهو أحق منه بالإجازة.

ويهمس بذلك في أذن وليه، فينطلق بها إلى النبي ﷺ فرحًا مسرورًا بظفر ابنه بذلك المسوغ، ويتصارعان بأمر النبي ﷺ ويتم لسمرة ما أراد من تلك الإجازة.

إن فرحة هذين الغلامين وأمثالهما بالمشاركة في الجهاد تفوق كل ما يخطر على بال أقرانهم من أَسْرَى المباهج الدنيوية والأهداف القريبة، وذلك شاهد على ارتفاع مستوى المجتمع الإسلامي آنذاك في المثل السامية والقيم العالية». [**التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ٧٧-٧٨**].

ويقول د/ فيض الله: «إن ما يثير الدهشة والإعجاب، أن يتسابق الفتيان، وحديثو العهد بالبلوغ، للانخراط في الجيش المسلم، حبًّا في الجهاد، وهم يعلمون ثمن امتزاجهم بالمقاتلة، ويُقدِّرون جيدًا أنهم لا يشاركون في رحلة ربيعية، أو جولة ترفيهية، ولا ينغمسون في نعيم ماتع، أو متعة ناعمة، ولا يشهدون فرقة موسيقية أو رياضية؛ إنهم يعلمون أنهم يخوضون معركة حربية ضارية، ويواجهون عدوًّا لدودًا عنيدًا، ويعلمون الثمن الباهظ في هذه المواجهات، وهو الدم الزكي، والشباب الفتيُّ، والروح الغالية.

وإن نظرة إلى أجسامهم الرشيقة الناعمة الطرية، وهي تخالط جسوم الرجال، ذوي الأيد والقوة، والعضلات المفتولة، لتوحي بالرجولة المبكرة، والهمم المتصاعدة، والمقاصد الشريفة، التي تتخطى مطالب الشباب، ونزوات المراهقين.

ويدلف النبي ﷺ إلى جيشه، يستعرضه، وينظم صفوفه، ويفجأ بالصغار، يتخذون مواقفهم مع الكبار، فيعزلهم عنهم، ويستبعد أسامة بن زيد، والبراء بن عازب، وزيد بن ثابت، في شيء غير قليل من التقدير والإعجاب.

ويستبعد أيضًا رافع بن خديج، وسمرة بن جندب، وكانا قد بلغا بالسن حينذاك، فيشهد لرافع بعض الصحابة، بأنه يرمي كأحسن ما يكون الرمي، فيجيزه، ويبكي سمرة، في نشيج ونحيب، أن لا يُجاز في الحرب كما يُجاز رافع، وهو ـ عند نفسه وفي الواقع ـ أقوى قوة من رافع، وأشد منه عضُدًا، ويطرحه أرضًا في المصارعة.

ويرى النبي ﷺ فيه صدق الرغبة، وصلاح العزيمة، ونُبل المقصد، فيعود فيجيزه.

أيُّ شباب هذا، وأية تربية مثالية هذه؟ شباب في ميعة الصبا، وغضارة الإهاب، ومقتبل الحياة، يبكي لأنه لا يُؤخذ للقتال، ولا يجنَّد في الجيش المسلم، يبكي وهو يستقبل الحياة؛ ليموت في سبيل الله، فيحيا حياة لا يموت بعدها أبدًا.

إذن ذلك من آثار الإيمان، ومعطيات هذا الدين العظيم، وكلما رسخ الإيمان في القلوب أعطى هذه الثمار اليانعة اليافعة، والقوى الدافعة الغالبة المحركة، وعندما يتحول الإيمان إلى مظاهر وأشكال ورسوم، لا حياة فيها ولا حركة فيها ولا قوة، لا يهب إلا الإخلاد إلى الراحة، وحب الخلود، وإيثار السلامة، والضنُّ بالمال والقدرات، وبكل شيء، فضلًا عن الروح». [صور وعبر لفيض الله ١١٦-١١٧].

ويقول د/ أبو شهبة: «وما كان لنا أن نمر بهذا دون أن نشيد بأثر التربية الإسلامية آنذاك في نفوس الشبان، وأنهم لم يكونوا أقل من الرجال حبًّا للجهاد وتضحية في سبيل العقيدة والمثل الإنسانية العالية، وبهؤلاء الشباب وأمثالهم انتصر الإسلام وعلا على كل الأديان، وكان المسلمون خير أمة أخرجت للناس، وعسى أن يكون لشبابنا في هؤلاء أسوة حسنة». [السيرة النبوية لأبي شهبة ٢/ ١٩٠].

وتحت عنوان **(التربية الإسلامية للشباب)** يقول د/ الزيد: «في الطريق إلى أُحد استعرض الرسول ﷺ الجيش وإذا فيه عدد من الشباب استصغرهم الرسول ﷺ، فردَّهم فلم يفرحوا بردهم، بل تنافسوا في أن يتيح لهم الرسول ﷺ الفرصة للمشاركة في الجهاد، وهذا أثر التربية الإسلامية آنذاك في نفوس الشباب، والتربية على معالي الأمور والبعد عن سفاسفها، فالشباب هم عماد الأمة وهم مستقبلها وهم أحق من اعتنى بتربيته وتوجيهه ورعايته الرعاية الإسلامية الصحيحة». [فقه السيرة للزيد ٤٤٨-٤٤٩].

وتحت عنوان: **«هؤلاء الشباب لماذا يُقدِمون على الموت؟»** يقول أ/ عبَّاد: «لابد للمسلم أن يبحث عن الدافع والسر الذي جعل هؤلاء الشباب صغار السن يقدمون على الموت بل ويصرون عليه أعظم

الإصرار حتى إن أحدهم لا يفرح لأنه لم يُكلف بالجهاد، بل يقف ليعلن رفضه ـ بأدب ـ لرده من الجيش ويقدم الأسباب التي تؤهله لتحمل المسؤولية.

إن الدافع يكمن في هذا الإيمان العظيم الذي استحوذ على القلوب والجوارح فترتب عليه محبة عظيمة للنبي ﷺ وللجنة، فقدمت النفس عن حب لمناصرة النبي ﷺ، والعكس إذا ضعف الإيمان لانشغال الفرد بهموم نفسه ضعفت المحبة وحل الكسل والتقاعس وتفلت الخير من حوله هنا وهناك وهو سعيد أو غفلان وحينما لا يكلف بشيء يتنفس الصعداء، فعلى أفراد الجماعة المسلمة أن يدركوا ذلك جيدًا حتى لا يتفلتوا من الصف». [**مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٤٨-٤٩**].

ويقول د/ أبو فارس: «إن هذا التنافس عند الشباب وهم في عمر الزهور، فيم يتنافسون؟ وماذا يريدون؟

إنهم يتنافسون على الموت ولا يكترثون بهذه الحياة الدنيا، مع أن الشباب غالبًا ما ينزعون إلى اللهو في فترة شبابهم، ولكنهم يتنافسون على الموت، عزفت نفوسهم عن الدنيا والتعلق بها؛ لأن العقيدة الإسلامية التي تغلغلت في شغاف قلوبهم حررتهم من حب الدنيا، واللهث وراء ملذاتها وبهرجها، وربطتهم بالحياة الآخرة التي هي دار مقام حقًّا، وهذه العقيدة حررتهم من الخوف على الأجل وحررتهم من الخوف على الرزق؛ لأنها قد غرست في قلوبهم أن عمر الإنسان محدود لا تنقصه الجرأة والإقدام في القتال، ولا يزيده الجبن والتقاعس لحظة واحدة، وأيقنوا بفضل هذه العقيدة أن الرزق بيد الله، وأن إقدامهم وجرأتهم في القتال لا تنقص من رزقهم حبة خردل، وتقاعسهم عن القتال لا يزيد في رزقهم أو آمالهم شيئًا، وإذا كان الأمر كذلك، فلا نامت أعين الجبناء، ولا كان الجبن ولا كان الجبناء». [**غزوة أُحد لأبي فارس ٤٠-٤١**].

أطروفة في الرد لصغار الصحابة: يقول الشيخ عرجون: «وموضع الطرافة في هذه الأطروفة التي تمثل جانبًا من جوانب منهج الرسالة في تربية النشء أن الرسول ﷺ أجاز رافعًا ﷺ إذ أجازه دون أقرانه في السن لامتياز حربي امتاز به على غيره منهم، وإنما ردَّ ﷺ من ردَّهم خشية ألا يكون لهم صبر على عض السيوف، ووقع السهام، ووخز الرماح، فيفروا من المعركة إذا مسهم لفح أوارها، فيُحدث فرارهم خلخلة في صفوف المسلمين، فلما قيل لرسول الله ﷺ: إن رافعًا يحسن الرمي، والرمي هو رأس القوة في الحرب وبه فسَّر رسول الله ﷺ القوة في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[الأنفال:٦٠]، فقال ﷺ وهو على المنبر: «**أَلا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ**».

[مسلم في الإمارة (١٩١٧)، وأبو داود في الجهاد (٢٥١٤)، والترمذي في تفسير القرآن (٣٠٨٣)، وابن ماجه في الجهاد (٢٨١٣)، والدارمي في الجهاد (٢٤٠٤)، وأحمد عن عقبة بن عامر ﷺ (١٦٩٧٩)].

قبل رافعًا وأجازه؛ لأنه بإحسانه الرمي يؤدي للجيش من الأعمال الحربية ما لا يستطيع أن يؤديه ذوو الأسنان العالية؛ لأن الرمي لا يتطلَّب علوًّا في السن لكنه يتطلَّب علمًا ومعرفة ودربة وسواعد قوية.

بَيْد أن حمية الشباب والغَيْرة على مواقف البطولة في ظل الإيمان والجهاد لإعلاء كلمة الله بعثت في نفس سمرة بن جندب رضي الله عنه حماسة عارمة، فرفع أمره إلى رسول الله ﷺ بأنه أوتي قوة بدنية ودُربة في المصارعة يستطيع بها أن يصرع رافعًا، وهذا امتياز تتطلبه الحرب لا ينزل في ميدان المعارك عن مستوى إحسان رافع رضي الله عنه الرمي.

وأراد الرسول ﷺ وهو القائد الأعظم والمعلم المربي أن يُري أصحابه درسًا عمليًّا في تربية النشء؛ ليكون منهجًا لهم في تربية أولادهم لينهضوا في حياتهم أقوياء، ذوي مهارة على مواقف الغلبة في كل ما يفيد المجتمع المسلم في حياته ومستقبله؛ ليعيش بأفراده وجماعاته قويًّا شجاعًا، لا تفارقه الجرأة على اقتحام المخاطر ووقائع الأحداث». [**محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٣/ ٥٧١-٥٧٢**].

الرفق بالصغار من أهوال المعارك: يقول ل/ فرج: «بعد أن عسكر رسول الله ﷺ في الشيخين، استعرض جنده، فأجاز كل قادر على الجهاد وحَمْلِ السلاح ومواجهة أحداث المعركة، وردَّ صغار السن، فإنَّ خروج أمثالهم يضر بصالح المعركة، ذلك أن أهوالها وأحداثها أكبر من أن يتحملها هؤلاء، ومن هنا يكون وجودهم عبئًا ضارًّا بصالح المعركة، هذا فوق أن قلب الرسول الرؤوف الرحيم ﷺ أبى أن يتحمل هؤلاء ما هو فوق طاقتهم، وأن تُلقى على عاتقهم مسؤوليات أخطر من سنهم وقدراتهم وطبيعتهم؛ ولهذا فإنه ﷺ ردَّ صغار السن، ولكنه أجاز خروج اثنين منهم حين وجد فيهما قدرة على مواجهة الموقف، وهما رافع بن خديج رضي الله عنه الذي كان يحسن الرماية، وسمرة بن جندب رضي الله عنه الذي كانت له قوة في المصارعة وقدرة عليها». [**العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ لفرج ٢٤٩**].

ادعاءات محترفي الغزو الفكري في حماسة شباب الصحابة: يقول د/ البوطي: «ومما يجدر التأمل فيه، حال سمرة بن جندب ورافع بن خديج رضي الله عنهما، وهما طفلان لا يزيد عمر كل منهما على خمس عشرة سنة، وكيف جاءا يناشدان رسول الله ﷺ أن يسمح لهما بالاشتراك في القتال... وأي قتال؟... قتال قائم على التأهب للموت، لا تجد فيه أي معنى من التعادل بين الفريقين: المسلمون وعددهم لا يزيد على سبعمائة، والمشركون وهم يتجاوزون ثلاثة آلاف مقاتل.

والعجيب أيضًا أن يقف بعض محترفي الغزو الفكري على مثل هذه الظاهرة، فيذهبوا في تحليلها إلى أن العرب كانوا أمة تعيش في ظل الحروب والغزوات الدائمة، فكانوا ينشؤون في أجوائها وظروفها؛ ولذلك كانوا ينظرون إليها (شيبًا وشبانًا وأطفالًا) نظرة عادية لا تسبب لهم قدرًا بالغًا من المخاوف.

لا ريب أن أرباب هذا التحليل، يغمضون أعينهم في إصرار عجيب، أثناء هذا الكلام عن تخاذل أمثال عبد الله بن أُبي بن سلول مع ثلاثمائة من أصحابه، تحت وطأة الخوف من عواقب القتال، والرغبة في الجنوح إلى السلامة والأمن، وعن تخاذل أولئك الآخرين الذين استعذبوا ظل المدينة وثمارها ومياهها وسط حرارة الصيف، وأعرضوا عن نداء رسول الله ﷺ بالخروج للقتال، قائلين: لا تنفروا في الحر ... بل وعن هزيمة المشركين في غزوة بدر، رغم ضخامة عددهم وقلة عدد المسلمين، ووقوع الرعب في أفئدتهم، وهم هم العرب الذين نشأوا في ظلال الحروب ورضعوا ألبانها واستهانوا بصعابها!

من الصعوبة البالغة للمنصف أن يتهرب عما تحكم به البداهة الواضحة، من أن سر هذا الإقدام على الموت من مثل هؤلاء الأطفال، إنما هو الإيمان العظيم الذي استحوذ على القلب، والذي ترتبت عليه محبة عارمة للرسول ﷺ، فحيثما وجد الإيمان ووجدت هذه المحبة، ظهر هذا الإقدام والاستبسال، وحيثما ضعف الإيمان، وضعفت المحبة في القلب انقلب الإقدام إحجامًا، والاستبسال كسلًا».

[فقه السيرة للبوطي ١٩٠-١٩١].

٢٦ ـ ضبط النفس:

«لقد كان في موقف الرسول ﷺ مما فعله المنافق الضرير مربع بن قيظي دروسٌ قيمة عالية في التربية الخلقية وضبط النفس حتى في أحرج الأوقات وأمام أوقح الاستفزازات، دروسٌ عملية يلقيها الرسول الأعظم ﷺ إلى أمته ليرفع بها من شاء ممن يوفقهم الله للسير في حياتهم حسب نهجها.

ففي هذا العمل النبوي النبيل درس عظيم، وخاصة للحكام والقادة والعلماء، الذين يجب عليهم أن يجعلوا الانتقام لأنفسهم، حتى ممن أساء إليهم أو أراد بهم شرًّا، تحت أقدامهم؛ ليتربعوا على القلوب طوعًا واختيارًا ولا يحدثوا أمرًا يجلب البلبلة». [غزوة أحد لباشميل ٨٠، مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٥٥].

وفي موقفه ﷺ من المنخذلين مع عبد الله بن أبي يقول د/ أبو فارس: «إن اختيار النبي ﷺ عدم قتالهم وقتلهم هو عين الحكمة والحنكة والتدبير؛ ذلك لأنه ليس من مصلحة المسلمين في هذا الوقت الحرج، والظرف العصيب أن يوزع جهود المسلمين إلى قتال الفئتين؛ لأن ذلك ينهك قوة المسلمين، حتى وإن انتصروا على المنافقين، فإنهم يخرجون من القتال وقد ضعفت قدرتهم على القتال، ومن الصعوبة بمكان أن يقفوا في وجه جيش المشركين القوي في سلاحه وعدده، حيث يبلغ أربعة أضعاف جيش المسلمين.

ومن جهة ثانية، وهذه في غاية الأهمية والخطورة بالنسبة للرسول ﷺ في مجال الجبهة الداخلية، وعلى المستوى الإعلامي في الخارج، أن المنافقين مسلمون ظاهرًا، وهم محسوبون على المسلمين، فإذا قاتلهم الرسول ﷺ يُشاع أن محمدًا ﷺ يقتل أصحابه، وكثيرٌ من الناس لا يدرك الحقيقة، ويسمع لمروجي الفتنة وقالة السوء.

ومن جهة ثالثة: أن الرسول ﷺ لا يحب سفك الدماء ولا يرغب في إشاعة الفوضى والاضطراب في المجتمع، لا سيما أن الذين يتقاتلون هم الأخوة مع الأخوة والآباء مع الآباء والأقارب مع الأقارب، فينتج عن ذلك مأتم في كل بيت، مما يجعل الناس يحقد بعضهم على بعض، وتشيع الثارات للانتقام، وبعدها يصعب أن تلتئم الجراح، وتطيب النفوس وتهدأ الخواطر». [**غزوة أُحد لأبي فارس ٤٦-٤٧**].

ويقول أ/ عبَّاد: «وهذا الرأي ـ تَرْك المتمردين وشأنهم الآن ـ هو غاية الحكمة والصواب لأن مقاتلة المتمردين أو المنافقين أو التاركين للصف في تلك الساعات الحرجة فيه من الخطورة على سلامة الجيش الإسلامي أو العمل الدعوي ما لا يخفى على عاقل؛ لأن المقاتلة تجعل الصف بين نارين: نار العدو ونار هؤلاء المتمردين، وهذا يثبت أن النبي القائد الذي سيطر على الأعصاب إزاء هذا التمرد يعد على رأس أمهر القادة العسكريين ـ خبرة ودراية وإدارة وحنكة.

لذلك سَمح الإسلام للقائد بعدم إقامة الحدود في الحروب حتى لا يغوي الشيطان الجندي ويخوفه فيفر إلى العدو هربًا من إقامة الحد؛ لذلك لم يُقِم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حد شرب الخمر على أبي محجن رضي الله عنه في معركة القادسية ـ سنة ١٤ هـ ـ واكتفى بحبسه». [**مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٥٣-٥٤**].

٢٧ ـ موقف المسلمين من المنافقين المنسحبين:

يقول د/ أبو فارس: «ولما رأى المسلمون المنافقين وهم ثلث الجيش قد انخذلوا وتركوا المسلمين، ثارت ثائرة طائفة منهم وانقسموا في موقفهم من المنافقين إلى فئتين:

الفئة الأولى: رأت أن تقاتل المنافقين وتقتلهم لأنهم يستحقون القتل.

الفئة الثانية: وهي تشكل الأكثرية ويقودها رسول الله ﷺ، ويرى ألا يقاتل هؤلاء.

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ: لـمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أُحُدٍ رَجَعَ نَاسٌ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَهُ، وَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةً تَقُولُ نُقَاتِلُهُمْ، وَفِرْقَةً تَقُولُ لَا نُقَاتِلُهُمْ، فَنَزَلَتْ: ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ ﴾[النساء]، وَقَالَ ﷺ: «**إِنَّهَا طَيْبَةُ تَنْفِي الذُّنُوبَ [الخَبَثَ] كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الفِضَّةِ [الحَدِيدِ]**».

[**البخاري في المغازي (٤٠٥٠)، وفي التفسير (٤٥٨٩)، ومسلم في صفات المنافقين (٢٧٧٦)، والترمذي في تفسير القرآن (٣٠٢٨)، وأحمد عن زيد بن ثابت رضي الله عنه (٢١٥٩٩، ٢١٦٣٠، ٢١٦٣٤، ٢١٦٣٦)**].

ومن الجدير بالذكر أن النبي ﷺ لم ير قتالهم ولم يقاتلهم.

أثر انسحاب المنافقين: لما انسحب عبد الله بن أبي بن سلول بالمنافقين، وكانوا ثلث الجيش تأثر قسم من المقاتلين، وضعف حماسهم للقتال، وفكروا بالانسحاب من الميدان، فقد فكر الرجال من بني سلمة، وبني حارثة أن ينسحبوا، ولكن الله سلم، فثبت المقاتلين من القبيلتين، وشرح صدورهم للقتال.

وفي هذا يقول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران].

وروى الشيخان عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: فِينَا نَزَلَتْ: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ﴾ [آل عمران: ١٢٢] بَنُو سَلِمَةَ وَبَنُو حَارِثَةَ، وَمَا نُحِبُّ أَنَّهَا لَمْ تَنْزِلْ؛ لِقَوْلِ الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ﴾. [**البخاري في تفسير القرآن (٤٥٥٨)، ومسلم في فضائل الصحابة رضي الله عنهم (٢٥٠٥)**].

ولكننا نرى من جهة أخرى أن انسحاب المنافقين كان فيه خير كثير للمسلمين؛ لأن حقيقة المنافقين كفار، وهم يكرهون المؤمنين، ويكرهون الإسلام، ومن ثم فلا فائدة تُرجى من وجودهم في أرض المعركة، بل وجودهم محض ضرر وشر قد خلص الله المسلمين منه.

ويتأكد هذا الشر وهذا الضرر حينما يتضعضع الصف المؤمن في القتال، فسيكون هؤلاء المنافقون معول هدم وتدمير في الجيش الإسلامي، يجوسون خلال المسلمين بالفساد والقتل، بل قد يدفعهم حقدهم الأسود إلى التواطؤ مع الأعداء ضد الإسلام وأهله.

فها هو ذا منافق اسمه الحارث بن سويد بن الصامت يبقى في الجيش الإسلامي في معركة أُحد فماذا فعل؟

لقد استغل انشغال المسلمين في القتال فطعنهم من الخلف إذ قام بقتل المجذر بن ذياد وقيس بن زيد أحد بني ضبيعة، وفر إلى الكفار، ثم رجع إلى المدينة، وأتى رسول الله ﷺ الخبرُ من السماء، ونزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ فأخبره أن الحارث بن سويد قدم، فانهض إليه واقتص منه لمن قتل من المسلمين غدرًا يوم أحد، فنهض رسول الله ﷺ إلى قباء في وقت لم يكن يأتيهم فيه، فخرج إليه الأنصار أهل قباء في جماعتهم، ومن جملتهم الحارث بن سويد، فأمر النبي ﷺ عويم بن ساعدة بضرب عنقه، فقال الحارث: لم يا رسول الله؟ فقال ﷺ: بقتلك المجذر بن ذياد، وقيس بن زيد، فما راجعه الحارث في كلمة، وضرب عنقه. [**ينظر: عيون الأثر ٣/ ١٦-١٧، والدرر في اختصار المغازي والسير ١١/ ١٦٠، السيرة النبوية لابن هشام وغيرها من السير فقد ذكرت الحادثة**].

وهكذا يتبين لنا أن وجود المنافقين شر قد أراح الله المسلمين منه، بانسحابهم من الجيش الإسلامي قبل القتال». [**غزوة أُحد لأبي فارس ٤٥، ٤٨**].

٢٨ ـ الرجال الذين يوزنون بالآلاف:

يقول أ/ عبَّاد: «المسلمون لا ينتصرون على أعدائهم بعدد أو عدة، ولا يقوم لهم صرح ولا ينكشف عنهم طغيان إلا بمثل هؤلاء الرجال الأفذاذ من صحابته الذين عرفوا الله حقًّا، وأطاعوا نبيهم صدقًا،

وأحبوا الجنة يقينًا، فالرجل منهم يوزن بألوف، فعلى كل من أراد للإسلام عودة أن يربي شباب الأمة مثل هؤلاء الذين مُلئت قلوبهم إيمانًا وتفانيًا في الله وإيثارًا لما عنده». [مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبّاد ٧١-٧٢].

٢٩ ـ بين دعوتي عبد الله وسعد رضي الله عنهما:

يقول د/ الخالدي: «التقى سعد مع عبد الله بن جحش رضي الله عنهما قبلَ نشوبِ القتال، وتحدَّثا بشأنِ المعركة، وتذكرا الأجر والثواب، والجنة ونعيمها، ووجوبَ الإقدامِ وحسنَ الجهادِ والبلاءِ والثبات.

ثم قال عبد الله بن جحش رضي الله عنه: **تَعَالَ يَا أَخِي نَدْعُو اللهَ تَعَالَى.**

دعا سعد رضي الله عنه ربه قائلًا: «**يَا رَبِّ! إِذَا لَقِينَا العَدُوَّ غَدًا، فَلَقِّنِي رَجُلًا شَدِيدًا بَأْسُهُ، شَدِيدًا حَرَدُهُ، أُقَاتِلُهُ، وَيُقَاتِلُنِي، ثُمَّ ارْزُقْنِي الظَّفَرَ عَلَيْهِ، حَتَّى أَقْتُلَهُ وَآخُذَ سَلَبَهُ**».

فَأَمَّنَ عَبْدُ الله رضي الله عنه على دعوته.

سألَ سعدٌ رضي الله عنه الله أنْ ييسرَ له رجلًا كافرًا شجاعًا شديدًا قويًّا، فيقتتلان ببسالةٍ وشجاعة، ثم سألَ ربَّه أنْ يرزقَه الظفر عليه، ليقتلَه ويأخذ سلاحه.

هذه الدعوةُ تدلُ على طبيعةِ سعدٍ وشخصيتهِ الجهادية، إنه يريدُ رجلًا كافرًا قويًّا؛ ليكون من مستواهُ في القوة، فهو لا يريدُ قتالَ رجلٍ ضعيفٍ جبان، ليس أهلًا لمقاتلتِه، ويريدُ بعدَ ذلك أنْ يتغلَّبَ عليه ويقتلَه، ويأخذَ سَلَبَه وسلاحَه، ليقاتِلَ به أعداء الله مرةً أخرى.

إنه رجلٌ مجاهدٌ وطَّن نفسَه على الجهاد، يَخرجُ من جهادٍ إلى جهاد، رغبتهُ هي قتالُ الكفار وقتْلُهم وأخْذُ سلاحِهم، ويحبُّ أن يبقى حيًّا ليمارسَ هذه الرغبة باستمرار!

هذه دعوة سعد، فماذا كانت دعوةُ عبد الله بن جحش رضي الله عنهما؟

قال: «**اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي غَدًا، رَجُلًا شَدِيدًا بَأْسُهُ، شَدِيدًا حَرَدُهُ، فَأُقَاتِلُهُ، وَيُقَاتِلُنِي، ثُمَّ يَأْخُذُنِي، فَيَجْدَعَ أَنْفِي وَأُذُنِي! فَإِذَا لَقِيتُكَ غَدًا قُلْتَ لِي: يَا عَبْدَ اللهِ! فِيمَ جُدِعَ أَنْفُكَ وَأُذُنَاكَ؟ فَأَقُولُ: فِيكَ وَفِي رَسُولِكَ! فَتَقُولَ: صَدَقْتَ**». وأَمَّن سعد رضي الله عنه على دعوته.

قَال سَعْدٌ رضي الله عنه: «**كَانَتْ دَعْوَتُهُ خَيْرًا مِنْ دَعْوَتِي، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ آخِرَ النَّهَارِ، وَإِنَّ أَنْفَهُ وَأُذُنَهُ لَمُعَلَّقٌ فِي خَيْطٍ**».

ودعوةُ عبدِ الله بن جحش رضي الله عنه تدل على طبيعته وشخصيته، وهو رجلُ جهادٍ وإقدام، وكان يتصفُ بالشجاعة، وجاهدَ في غزوةِ أُحُد جهادَ الأبطال.

ولكنه كان يتمنَّى الشهادة في سبيل الله، ويرنو بنظرِه إلى الجنة ونعيمها؛ ولذلك سأل اللهَ أن ييسرَ له رجلًا كافرًا قويًّا، يقاتلَه قتالًا شديدًا؛ لينالَ أجْرَ القتال الجزيل، ثم يكتب الله له الشهادة، وتقطع أُذُنُه، ويُجدَعَ أنفُه، في سبيل الله!

لم يكن عبد الله بن جحش رضي الله عنه بهذه الدعوة كارهًا للدنيا، يائسًا منها، راغبًا في التخلص من الحياة، إنما كان حريصًا على الجنة، مُقبلًا على الآخرة، كان يريدُ ما هو أبقى، ويطلبُ الشهادةَ التي توصلهُ إلى ذلك!

واستجاب الله الدعوتين! فيسَّر لسعد رضي الله عنه قتال كفار أقوياء، تغلب عليهم بفضل الله، وكَتَبَ لعبد الله بن جحش رضي الله عنه الشهادة على أرض أُحُد.

ولذلك عَلَّق سعد رضي الله عنه على دعوتيهما بقوله: قَال سَعْدٌ رضي الله عنه: **كَانَتْ دَعْوَتُهُ خَيْرًا مِنْ دَعْوَتِي، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ آخِرَ النَّهَارِ، وَإِنَّ أَنْفَهُ وَأُذُنَهُ لَمُعَلَّقٌ فِي خَيْطٍ!**

فضل سعد على عبد الله بن جحش رضي الله عنهما: كانت دعوة عبد الله بن جحش رضي الله عنه خيرًا؛ لأنه نال الشهادةَ في سبيل الله، وهي ثمنٌ عظيم كريم.

لكن سعدًا كان أفضل من عبد الله بن جحش رضي الله عنهما؛ لأنه عاش بعد هذه الدعوة حوالي خمسين سنة! وهي مدة طويلة، جاهد في هذه المدة جهادًا كبيرًا، وفتح بلاد العراق، وهذا ضاعف أجره وثوابه، وكم عَمِلَ أعمالًا صالحة خلال هذه المدة!

وسعد رضي الله عنه روى عن حادثة أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى:

روى أحمد والحاكم وغيرهما عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ سَعْدًا وَنَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُونَ: «**كَانَ رَجُلانِ أَخَوَانِ فِي عَهْدِ رَسُولِ الله** صلى الله عليه وسلم**، وَكَانَ أَحَدُهُمَا أَفْضَلَ مِنْ الآخَرِ فَتُوُفِّيَ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُهُمَا، ثُمَّ عُمِّرَ الآخَرُ بَعْدَهُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ تُوُفِّيَ**، فَذُكِرَ لِرَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فَضْلُ الأَوَّلِ عَلَى الآخَرِ، فَقَالَ: «**أَلَمْ يَكُنْ يُصَلِّي؟**»، فَقَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله! **فَكَانَ لا بَأْسَ بِهِ**، فَقَالَ: «**مَا يُدْرِيكُمْ مَاذَا بَلَغَتْ بِهِ صَلاتُهُ؟**» ثُمَّ قَالَ عِنْدَ ذَلِكَ: «**إِنَّمَا مَثَلُ الصَّلَوَاتِ كَمَثَلِ نَهَرٍ جَارٍ بِبَابِ رَجُلٍ، غَمْرٍ عَذْبٍ، يَقْتَحِمُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَمَا تُرَوْنَ يُبْقِي ذَلِكَ مِنْ دَرَنِهِ؟!**». [مسند أحمد ٣/ ١١٥رقم ١٥٣٤، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم، ورجاله ثقات، والمستدرك على الصحيحين ١/ ٣١٦، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه...، ووافقه الذهبي].

يقرر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مَنْ طال عمره وتأخرت وفاته، وكثرت طاعاته، يكون أكثر أجرًا من رجل أفضل منه، لكنه مات قبله!

ولهذا كان أجر سعد أكثر من أجر عبد الله بن جحش رضي الله عنهما، مع أنه لم يمت شهيدًا مثله؛ لأنه عاش بعده خمسين سنة! وهو أفضل منه أصلًا؛ لأنه من العشرة المبشرين بالجنة». [**سعد** رضي الله عنه **للخالدي ١٢٩-١٣٣**].

المبحث الثالث

الدروس الفقهية

١ ـ حكم الاستعانة بالعيون والمراقبين:

سبق تفصيله في الدروس الفقهية من المرحلة الأولى من غزوة بدر الكبرى.

٢ ـ أقسام تصرفاته ﷺ:

سبق تفصيله في الدروس الفقهية من المرحلة الأولى من غزوة بدر الكبرى.

٣ ـ حكم اشتراك الأولاد في الجيش، ودورهم فيه [(١)]:

أولاً: مسألة اصطحاب الأولاد في الجيش الإسلامي، في عهد النبوة ماذا ورد فيها؟

يقول د/ خير هيكل: «نسوق في بيان هذه المسألة طائفة من الروايات التي تتصل بها، وما جاء بشأنها من تعليقات لبعض العلماء:

جاء في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما: «عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: **عَرَضَنِي رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ (أُحُدٍ) فِي القِتَالِ، وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَلَمْ يُجِزْنِي، وَعَرَضَنِي يَوْمَ (الخَنْدَقِ) وَأَنَا ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً فَأَجَازَنِي.**

قَالَ نَافِعٌ: فَقَدِمْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ خَلِيفَةٌ فَحَدَّثْتُهُ هَذَا الحَدِيثَ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَحَدٌّ بَيْنَ الصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ، فَكَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ أَنْ يَفْرِضُوا لِمَنْ كَانَ ابْنَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَمَنْ كَانَ دُونَ ذَلِكَ فَاجْعَلُوهُ فِي العِيَالِ». **[البخاري (٢٦٦٤، ٤٠٩٧)، ومسلم (١٨٦٨) واللفظ له، والترمذي (١٧١١). وجاء في مختار الصحاح ص ٣٩٩: «عيال الرجل: من يعوله وواحد العيال: عيل، كجيد»].**

وفي رواية: «فَكَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ أَنْ يَفْرِضُوا لابْنِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً فِي (المُقَاتِلَةِ)، وَلابنِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً فِي (الذُّرِّيَّةِ)». **[المصنف لابن أبي شيبة ١٤ / ٣٩٦ رقم ١٨٦١٣].**

وفي رواية: «هَذا فَصْلُ مَا بَيْنَ الرُّجْلانِ [(٢)]، وَالغِلمَانِ، ثم كَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ: أَلَّا يُجِيزُوا أَحَدًا أَقَلَّ من ابْنِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً». **[سنن سعيد بن منصور ٢/ ١٧٥ رقم ٢٤٦٥].**

جاء في شرح النووي على صحيح مسلم تعليقًا على هذا الحديث ما يلي: «هَذَا دَلِيلٌ لِتَحْدِيدِ البُلُوغ بِخَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ، وَالأَوْزَاعِيِّ، وَابْنِ وَهْبٍ، وَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِمْ، قَالُوا: بِاسْتِكْمَالِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَة يَصِيرُ مُكَلَّفًا، وَإِنْ لَمْ يَحْتَلِمْ، فَتَجْرِي عَلَيْهِ الأَحْكَام مِنْ وُجُوب العِبَادَة وَغَيْرِهِ، وَيَسْتَحِقُّ

---

(١) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية ـ د/ محمد خير هيكل ٢/ ١٠٢٥-١٠٣٥ بتصرف واختصار.

(٢) في القاموس المحيط ٣/ ٣٩٢: راجل، ورجُل ورَجْلان ... إذا لم يكن له ظَهْرٌ ـ يركبه. والجمع: رِجال، ورجَّاله، ورُجْلان .. والمراد: المقاتلون المشاة. ويعني هنا، عموم المقاتلين من البالغين.

سَهْمَ الرَّجُلِ مِنْ الغَنِيمَة، وَيُقْتَلُ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْل الحَرْبِ،.... ثم قال: قَوْلُه: «لَمْ يُجِزْنِي وَأَجَازَنِي» الـمُرَادُ جَعَلَهُ رَجُلًا لَهُ حُكْمُ الرِّجَالِ الْمُقَاتِلِينَ». [النووي على مسلم ٨/ ٦٧ - ٦٨].

وجاء في «فتح الباري» بشرح صحيح البخاري، تعليقًا على هذا الحديث ما يلي: «عَرْضُ الجَيْشِ: اِخْتِبَارُ أَحْوَالِهِمْ قَبْلَ مُبَاشَرَةِ القِتَالِ؛ لِلنَّظَرِ فِي هَيْئَتِهِمْ، وَتَرْتِيبِ مَنَازِلِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ... وَقَوْلُهُ: «فَأَجَازَهُ» أَيْ أَمْضَاهُ وَأَذِنَ لَهُ فِي القِتَالِ».

[فتح الباري ٧/ ٣٩٣- ٣٩٤. وكلمة (فأجازه) هي في رواية البخاري، لا في رواية مسلم التي ذكرناها].

وجاء فيه أيضًا: «وَقَوْلُهُ: «أَنْ يَفْرِضُوا» أَيْ يُقَدِّرُوا لَهُمْ رِزْقًا فِي دِيوَانِ الجُنْدِ، وَكَانُوا يُفَرِّقُونَ بَيْن الْمُقَاتِلَة وَغَيْرِهِمْ فِي العَطَاءِ، وَهُوَ الرِّزْقُ الَّذِي يُجْمَعُ فِي بَيْتِ المَالِ وَيُفَرَّقُ عَلَى مُسْتَحَقِّيهِ.

وَاسْتَدَلَّ بِقِصَّةِ (اِبْن عُمَر ﭭ) عَلَى أَنَّ مَن اِسْتَكْمَلَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةٍ أُجْرِيَتْ عَلَيْهِ أَحْكَامُ البَالِغِينَ، وَإِنْ لَمْ يَحْتَلِمْ... وَأَجَابَ الطَّحَاوِيُّ وَابْنُ القَصَّارِ وَغَيْرُهُمَا مِمَّنْ لَمْ يَأْخُذْ بِهِ بِأَنَّ الإِجَازَةَ الْمَذْكُورَةَ جَاءَ التَّصْرِيحُ بِأَنَّهَا كَانَتْ فِي القِتَالِ، وَذَلِكَ يَتَعَلَّقُ بِالقُوَّةِ وَالجَلَدِ، وَأَجَابَ بَعْضُ المَالِكِيَّةِ: بِأَنَّهَا وَاقِعَةُ عَيْنٍ فَلَا عُمُومَ لَهَا، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ صَادَفَ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ تِلْكَ السِّنِّ قَدْ اِحْتَلَمَ فَلِذَلِكَ أَجَازَهُ.

وَفِي الحَدِيثِ أَنَّ الإِمَامَ يَسْتَعْرِضُ مَنْ يَخْرُجُ مَعَهُ لِلقِتَالِ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ الحَرْبُ، فَمَنْ وَجَدَهُ أَهْلًا اِسْتَصْحَبَهُ وَإِلَّا رَدَّهُ، وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي بَدْرٍ وَأُحُدٍ وَغَيْرِهِمَا... وَعِنْدَ المَالِكِيَّةِ وَالحَنَفِيَّةِ: لَا تَتَوَقَّفُ الإِجَازَةُ لِلقِتَالِ عَلَى البُلُوغِ، بَلْ لِلإِمَامِ أَنْ يُجِيزَ مِنْ الصِّبْيَانِ مَنْ فِيهِ قُوَّةٌ وَنَجْدَةٌ، فَرُبَّ مُرَاهِق أَقْوَى مِنْ بَالِغٍ. [فتح الباري٥/ ٢٧٨-٢٧٩، و(راهق الغلام فهو مراهق: أي، قارب الاحتلام). مختار الصحاح ٢٢١].

وقال الترمذي: «وَالعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ، وَبِهِ يَقُولُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَابْنُ المُبَارَكِ، وَالشَّافِعِيُّ، وَأَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ يَرَوْنَ أَنَّ الغُلَامَ إِذَا اسْتَكْمَلَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً فَحُكْمُهُ حُكْمُ الرِّجَالِ، وَإِنْ احْتَلَمَ قَبْلَ خَمْسَ عَشْرَةَ فَحُكْمُهُ حُكْمُ الرِّجَالِ وقَالَ أَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ: البُلُوغُ ثَلَاثَةُ مَنَازِل بُلُوغُ خَمْسَ عَشْرَةَ، أَوِ الاِحْتِلَامُ فَإِنْ لَمْ يُعْرَفْ سِنُّهُ وَلَا احْتِلَامُهُ فَالإِنْبَاتُ يَعْنِي العَانَةَ». [سنن الترمذي ٣/ ٦٣٤].

هذا وجاء في مصنف ابن أبي شيبة: «عن الشعبي: أَنَّ امْرَأَةً دَفَعَتْ إِلَى ابْنِهَا يَوْمَ (أُحُدٍ) السَّيْفَ، فَلَمْ يُطِقْ حَمْلَهُ فَشَدَّتْهُ عَلَى سَاعِدِهِ بِنِسْعَةٍ (سير ينسج عريضًا.. تُشد به الرحال، والقطعة منه: نسعة. وسمي: نسعًا، لطوله)، ثُمَّ أَتَتْ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: **يَا رَسُولَ الله! هَذَا ابْنِي يُقَاتِلُ عَنْكَ**، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **أَيْ بُنَيَّ! احْمِلِ هَا هُنَا ـ أَيْ بُنَيَّ! احْمِلِ هَا هُنَا**، فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ، فَصُرِعَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: **أَيْ بُنَيَّ! لَعَلَّكَ جَزِعْتَ؟** قَالَ: لَا يَا رَسُولَ الله!». [مصنف ابن أبي شيبة ١٤/ ٤٠١ - ٤٠٢ رقم ١٨٦٢٩. وينظر: كنز العمال ١٠/ ٤٣٨ رقم ٣٠٠٦٢].

وجاء في كنز العمال: «عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ: رَدَّ رَسُولُ الله ﷺ عُمَيْرَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ ـ أَيْ: أَخَا سَعْدٍ ـ عَنْ مَخْرَجِهِ إِلَى بَدْرٍ، وَاسْتَصْغَرَهُ، فَبَكَى عُمَيْرٌ فَأَجَازَهُ...).

[كنز العمال ١٢/ ٤١١ رقم ٢٩٩٩٠ من رواية ابن عساكر].

وفيه أيضًا: «عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: رَدَّ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ (أُحُدَ) نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِهِ اسْتَصْغَرَهُمْ، فَلَمْ يَشْهَدُوا القِتَالَ، مِنْهُمْ: عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةٍ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَالبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ، وَعَرَابَةُ بْنُ أَوْسٍ، وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ، وَزَيْدُ بْنُ أَرْقَمٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَرَافِعٌ، قَالَ: فَتَطَاوَلَ لَهُ رَافِعٌ، فَأَذِنَ لَهُ فَسَارَ مَعَهُمْ، وَخَلَّفَ بَقِيَّتَهُمْ فَجُعِلُوا حَرَسًا لِلذَّرَارِي وَالنِّسَاءِ بِالمَدِينَةِ».

[كنز العمال ١٠/ ٤٣٨ - ٤٣٩ رقم ٣٠٠٦٣ من رواية ابن عساكر].

وجاء عند الطبراني: «عَنْ رَافِعِ بنِ خَدِيجٍ ﷺ قَالَ: جِئْتُ أَنَا وَعَمِّي إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يُرِيدُ بَدْرًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَخْرُجَ مَعَكَ، فَجَعَلَ يَقْبِضُ يَدَهُ، وَيَقُولُ: «**إِنِّي أَسْتَصْغِرُكَ، وَلَا أَدْرِي مَا تَصْنَعُ إِذَا لَقِيتَ القَوْمَ؟**»، فَقُلْتُ: **أَتَعْلَمُ أَنِّي أَرْمَى مَنْ رَمَى! فَرَدَّنِي، فَلَمْ أَشْهَدْ بَدْرًا**».

[مجمع الزوائد ٥/ ١٣٩، وقال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه رفاعة بن هرير، وهو ضعيف].

وفي سيرة ابن هشام: «قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَأَجَازَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَئِذٍ سَمُرَةَ بْنَ جُنْدُبٍ الفَزَارِيَّ، وَرَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ، أَخَا بَنِي حَارِثَةَ، وَهُمَا ابْنَا خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَانَ قَدْ رَدَّهُمَا، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ رَافِعًا رَامٍ، فَأَجَازَهُ، فَلَمَّا أَجَازَ رَافِعًا، قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ الله فَإِنَّ سَمُرَةَ يَصْرَعُ رَافِعًا، فَأَجَازَهُ».

[سيرة ابن هشام (الروض الأنف ٣/ ١٥٠)].

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: «أُصِيبَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: «**يَا رَسُولَ الله قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي، فَإِنْ يَكُنْ فِي الجَنَّةِ أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ، وَإِنْ تَكُ الأُخْرَى تَرَى مَا أَصْنَعُ**»، **فَقَالَ** ﷺ: «**وَيْحَكِ!** (كلمة ترحم وإشفاق) **أَوَهَبِلْتِ؟** (أو فقدتِ عقلك مما أصابك من الثكل بابنك حتى جهلت صفة الجنة؟) **أَوَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ؟! إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ**».

[البخاري في المغازي (٣٩٨٢)، وفي الرقاق (٦٥٥٠، ٦٥٦٧)].

وفي رواية للبخاري: «**يَا أُمَّ حَارِثَةَ! إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى**».

[البخاري في المغازي (٢٨٠٩)].

جاء في فتح الباري: «وَقَعَ فِي رِوَايَةِ ثَابِتٍ عِنْدَ أَحْمَدَ: أَنَّ حَارِثَةَ خَرَجَ نَظَّارًا، زَادَ النَّسَائِيُّ مِنْ هَذَا الوَجْهِ: مَا خَرَجَ لِقِتَالٍ». [**فتح الباري ٦/ ٢٧**].

وجاء في صحيح البخاري أيضًا تحت عنوان (بَاب مَنْ غَزَا بِصَبِيٍّ لِلخِدْمَةِ): «عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَبِي طَلْحَةَ: «**التَمِسْ غُلَامًا مِنْ غِلمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَى خَيْبَرَ**»، فَخَرَجَ بِي أَبُو

طَلحَةَ مُرْدِفِي وَأَنَا غُلَامٌ رَاهَقْتُ (أي: قاربتُ البلوغ، والواو للحال) الحُلُمَ، فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ الله ﷺ إِذَا نَزَلَ...). [البخاري في الجهاد (٢٨٩٣)].

وجاء في فتح الباري في هذا المعرض ما نصه: «قَوْله: «بَاب مَنْ غَزَا بِصَبِيٍّ لِلخِدْمَةِ» يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الصَّبِيَّ لَا يُخَاطَبُ بِالجِهَادِ، وَلَكِنْ يَجُوزُ الخُرُوجُ بِهِ بِطَرِيقِ التَّبَعِيَّة... وَفِي الحَدِيثِ: جَوَازُ حَمْلِ الصِّبْيَانِ فِي الغَزْوِ، كَذَا قَالَهُ بَعْضُ الشُّرَّاحِ، وَتَبِعُوهُ، وَفِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ أَنَسًا ؓ حِينَئِذٍ كَانَ قَدْ زَادَ عَلَى خَمْسَةَ عَشَرَ؛ لِأَنَّ خَيْبَرَ كَانَتْ سَنَةَ سَبْعٍ مِنْ الهِجْرَةِ، وَكَانَ عُمْرُهُ عِنْدَ الهِجْرَةِ ثَمَانِ سِنِينَ». [فتح الباري ٦/ ٨٦].

هذا، وفي مسألة هل يستحق الصبيان والنساء، وأهل الذمة نصيبًا من الغنائم ـ إذا حضروا القتال ـ كنصيب المقاتلين المسلمين من الرجال؟ أم يعطون ما يسمى بالرَّضْخ فقط، أي: مقدارًا من المال من غير تحديد، أقل من نصيب الرجال؟

أقول: في هذه المسألة، جاء في نيل الأوطار ما يلي: «قَالَ بَعْضُهُمْ: يُسْهَمُ (السهم: الحظ، والجمع: سُهْمان، والمراد: يُعْطَى كل من المرأة والصبي حظًّا ونصيبًا كاملًا كنصيب الرَّجُل) لِلمَرْأَةِ وَالصَّبِيِّ، وَهُوَ قَوْلُ الأَوْزَاعِيِّ... وَعَنْ الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ يُسْهَمُ لِلذِّمِّيِّ لَا لِلعَبْدِ وَالنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ فَيُرْضَخُ لَهُمْ... ـ ثم قال ـ: وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا يُسْهَمُ لِلنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ وَالعَبِيدِ وَالذِّمِّيِّينَ، وَمَا وَرَدَ مِنْ الأَحَادِيثِ مِمَّا فِيهِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَسْهَمَ لِأَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ فَيَنْبَغِي حَمْلُهُ عَلَى الرَّضْخِ، وَهُوَ العَطِيَّةُ القَلِيلَةُ جَمْعًا بَيْنَ الأَحَادِيثِ».

[نيل الأوطار للشوكاني ٧/ ٩٢٧].

ـ وأخيرًا: جاء في سنن الترمذي ما نصه: «قَالَ الأَوْزَاعِيُّ: وَأَسْهَمَ النَّبِيُّ ﷺ لِلصِّبْيَانِ بِخَيْبَرَ».

[سنن الترمذي (١٥٥٦)].

وبعد، فهذا بعض ما ورد فيما يتصل بخروج الصبيان مع الجيش المقاتل، في عهد النبي ﷺ.

ومما تدل عليه الروايات والنقول السابقة فيما يخص مسألتنا ما يلي:

١ـ كان النبي ﷺ يستعرض الجيش قبل خوض المعركة مع المشركين لتفحص اللياقة البدنية لأفراد المقاتلين، فمن رآه صغيرًا، وتوقَّع منه عدم القدرة على القتال ـ أخرجه من الجيش، وقد يكون من هؤلاء من بلغ الخامسة عشرة من عمره إلا أنه لا تبدو عليه الصلاحية للقتال، ولكن إذا ثبت لديه كفاءة أحد منهم في أي جانب من جوانب الأهلية العسكرية كان يسمح له بالانضمام إلى المقاتلين، وهذا ما دل عليه تصرفه ﷺ في رده لسمرة بن جندب، ورافع بن خديج مع من رد من الصغار يوم «أُحُد» مع أنهما كانا قد بلغا الخامسة عشرة من العمر ـ كما جاء عند ابن هشام ـ إلا أنه بعد أن ثبت لديه كفاءة «سمرة» و«رافع» في بعض المهارات القتالية أجازهما فيمن أجاز، وفي هذا ما يدل على أن سن

الخامسة عشرة من العمر، وإن كانت هي بداية سن التكليف بالأحكام الشرعية[١]، ومنها الجهاد، إلا أنه قد يُراعَى أيضًا إلى جانبها صفة اللياقة البدنية، والمهارات الحربية من أجل الحصول على إذن بالالتحاق بصفوف المقاتلين بالفعل.

٢ـ لصاحب السلطة الشرعية الحق في أن يأذن للصغار، أو لا يأذن بانضمامهم إلى المقاتلين، على ضوء ما يرى من مصلحة في الإذن، أو عدمه.. وهذا واضح من رد النبي ﷺ لرافع بن خديج في «بدر» مع أنه كان جيد الرماية... والإذن لعمير بن أبي وقاص في المعركة نفسها مع أن النبي ﷺ قد استصغره، فلما بكي تألمًا أن يُحرم من الجهاد ـ عاد فأجازه!

وواضح هذا أيضًا من قبوله ﷺ للولد الذي عرضته أمه يوم «أُحُد» للدفاع عن النبي ﷺ، وذلك كما يبدو حين انهزم المسلمون، وبقي مع النبي ﷺ عددٌ قليل؛ ولذلك قالت المرأة: «يا رسول الله! هذا ابني يقاتل عنك» فقبله ﷺ، وأخذ يوجهه في القتال هنا وهناك ـ كما تقول الرواية.

٣ ـ من لا يُؤذن لهم في الخروج إلى قتال العدو من الصغار والمراهقين المتشوقين إلى الجهاد، ونحوهم ـ قد يُكلفون بأعمال أخرى غير مباشرة القتال على حدود البلاد، وذلك كالقيام بأعمال الحراسة في المدينة كحماية الأهالي فيها من نساء وأطفال ـ إما من المتآمرين من أهل الفتنة والنفاق في الداخل.

أو ممن قد يتسلل من أفراد العدو الخارجي إلى داخل المدينة للإفساد والإضرار، فيكون هؤلاء الحراس لهم بالمرصاد! وهذا واضح من الخبر الذي يقول بحق من ردهم النبي ﷺ عن حضور معركة «أُحُد»: «فجُعلوا حَرَسًا للذراري والنساء بالمدينة».

٤ ـ قد يُؤذن للصغار في الخروج مع الجيش المقاتل، لا لممارسة القتال، ولكن إما للخدمة، وإما لمجرد الاطلاع على مشاهد الحرب إذا اقتضت المصلحة ذلك، إذ الشأن في معايشة الصغار للحياة العسكرية، ورؤيتهم للمعارك عن كثب ـ أن يترتب على ذلك كسر لحاجز الرهبة من القتال في قلوبهم، وإعداد نفسي لهم فيما هم مقبلون عليه من التكليف بالجهاد حين بلوغهم سن التكليف.

وهذا واضح من التماس النبي ﷺ لغلام يخدمه في مسيره لغزوة «خيبر».. فقدَّم له «أبو طلحة» أنسَ بن مالك لهذا الغرض، وكان «أبو طلحة» زوجًا لأم أنس.

هذا، وأنس ﷺ يقول عن نفسه ـ كما في صحيح البخاري ـ بأنه كان غلامًا قد راهق الحلم، أي: قارب البلوغ، ولما يبلغ، وإذا صح أن «أنسًا» كان يومئذ بالغًا فوق الخامسة عشرة من عمره ـ كما أثبت

---

(١) هذا على قول الجمهور . جاء في الفقه الإسلامي وأدلته للدكتور وهبة الزحيلي ١/ ٩١ ما يلي: «البلوغ: وعلاماته خمس: الاحتلام، ونبات الشعر، والحيض، والحَمْل، وبلوغ السن، وهو خمسة عشر عامًا. وقيل: سبعة عشر. وقال أبو حنيفة: ثمانية عشر عامًا» .

ذلك ابن حجر ـ فإن معنى كلام «أنس» في هذه الحال، أنه لما يكن ـ آنئذ ـ قد بلغ من جهة الاحتلام وإن كان قد بلغ الخامسة عشرة من عمره، أو تجاوزها بقليل.. وهذا الأمر وارد.

قلنا: مما تدل عليه الروايات السابقة:

أنه قد يؤذن للصغار في الخروج مع الجيش المقاتِل لمجرد الاطلاع على مشاهد الحرب كما هو ثابت في صحيح البخاري من قصة استشهاد (حارثة بن سراقة) ذلك الغلام الذي قُتل يوم «بدر» وكان من النظارة ـ المتفرجين ـ ولم يكن من المقاتلين.

هذا، وكلمة (غلام) تستعمل في الأصل فيمن هو دون سن البلوغ [**ينظر: فتح الباري ٥ / ٢٧٩**]، كما في قول عمر بن عبد العزيز عن سن الخامسة عشرة: «هذا فصل ما بين الرُّجُلان والغلمان» كما تقدم. [**تقدم تخريج الحديث. وقد أورده ابن قدامة في المغني بلفظ: «هذا فصل ما بين الرجال وبين الغلمان» ١٠ / ٥٤١**].

ـ وإن كان هذا لا يمنع أن تُستعمل الكلمة في الكبار أحيانًا من باب التجوز[**ينظر: فتح الباري ٥/ ٢٧٩**].. كما كانوا يقولون عن النبي ﷺ ـ وهو بمكة، بعد البعثة ـ: «غلام بني هاشم». [**مجمع الزوائد ٦/ ٢٢**].

٥ ـ إن الروايات التي تشير إلى إعطاء النبي ﷺ للصبيان من الغنائم ـ بغض النظر عن كون ذلك على سبيل الإسهام لهم مثل الرجال، أو على سبيل الرضخ ـ لَدليلٌ على خروج الصبيان في عهده ﷺ مع الجيش المقاتِل؛ لأن الأصل أن الغنائم إنما هي لمن حضر الوقائع.

ثانيًا: ماذا قال الفقهاء في حكم مباشرة الأولاد لقتال الأعداء؟

ـ في الفقه الحنفي: جاء في حاشية (ابن عابدين) تعليقًا عل ما جاء في (الدر المختار بشرح تنوير الأبصار) في قوله: «لا يُفرض [أي: الجهاد] على صبي» جاء في الحاشية ما نصه: «في الذخيرة: للأب أن يأذن للمراهق بالقتال، وإن خاف عليه القتل.

وقال السُّغدي: «لابد ألا يخاف عليه، فإن خاف لم يأذن له» [**حاشية ابن عابدين ٣/ ٣٣٩**]، ثم في حالة هجوم الكفار على بلاد المسلمين ـ جاء في الحاشية أيضًا: «وقال السرخسي: الغلمان الذين لم يبلغوا إذا أطاقوا القتال فلا بأس بأن يخرجوا ويقاتلوا في النفير العام، وإن كره ذلك الآباء والأمهات». [**السابق ٣/ ٣٤٢**].

هذا، وجاء في السير الكبير وشرحه ـ بعد النص الذي نقله ابن عابدين عن السرخسي ـ ما لفظه: «وفي غير هذه الحالة [أي حالة النفير العام] لا ينبغي لهم أن يخرجوا، إلا أن تطيب أنفسهم بذلك» [**السير الكبير وشرحه ١/ ٢٠٢**] ـ يعني أنفس آباء الغلمان وأمهاتهم.

ـ وفي فقه الشافعية: جاء في المنهاج وشرحه مغني المحتاج في حكم الجهاد ما نصه مع الإيجاز: «لِلْكُفَّارِ حَالَانِ: أَحَدُهُمَا: يَكُونُونَ بِبِلَادِهِمْ... فَفَرْضُ كِفَايَةٍ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ سِيَرُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ... إذَا

فَعَلَهُ مَنْ فِيهِمْ كِفَايَةٌ سَقَطَ الحَرَجُ عَنْ البَاقِينَ... وَقَوْلُهُ: «مَنْ فِيهِمْ كِفَايَةٌ» يَشْمَلُ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ فَرْضِ الجِهَادِ... فَلَوْ قَامَ بِهِ مُرَاهِقُونَ سَقَطَ الحَرَجُ عَنْ أَهْلِ الفُرُوضِ». [مغني المحتاج ٤/ ٢٠٩].

ثم قال: «الثَّانِي ـ من حالي الكفار ـ: يَدْخُلُونَ بَلدَةً لَنَا فَيَلزَمُ أَهْلَهَا الدَّفْعُ بِالْمُمْكِنِ... حَتَّى عَلَى فَقِيرٍ وَوَلَدٍ وَمَدِينٍ وَعَبْدٍ بِلَا إِذْنٍ». [مغني المحتاج ٤/ ٢٠٩].

وجاء في «المهذب»: «ويجوز أن يأذن [أي: الإمام في الجهاد] للنساء... ويجوز أن يأذن لمن اشتد من الصبيان؛ لأن فيهم معاونة، ولا يأذن المجنون؛ لأنه يعرضه للهلاك من غير منفعة».

[المهذب للشيرازي ٢٣٠].

ـ **وفي فقه المالكية**: جاء في «قوانين الأحكام الشرعية» ما يلي: «المسألة الثالثة: فيمن يُستعان به [أي: من يستعان على القيام بالجهاد] وهم: المسلمون، الأحرار، البالغون، ويجوز بالعبد بإذن سيده، وبالمراهقين الأقوياء...». [قوانين الأحكام الشرعية ص١٦٤].

وفي الشرح الكبير، وحاشية الدسوقي عليه، في مسألة الجهاد متى يكون فرض عين؟ جاء ما نصه: «وَتَعَيَّنَ الجِهَادُ بِفَجْءِ العَدُوِّ عَلَى قَوْمٍ وَإِنْ تَوَجَّهَ الدَّفْعُ عَلَى امْرَأَةٍ، وَرَقِيقٍ... ـ جاء في الحاشية هنا ـ: وَكَذَا صَبِيٌّ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى القِتَالِ.

ثم قال في الشرح: وَتَعَيَّنَ أَيْضًا «بِتَعْيِينِ الإِمَامِ» شَخْصًا، وَلَوْ امْرَأَةً وَعَبْدًا.

وقال في الحاشية: «قَوْلُهُ: «وَبِتَعْيِينِ الإِمَامِ» أَيْ أَنَّ كُلَّ مَنْ عَيَّنَهُ الإِمَامُ لِلجِهَادِ فَإِنَّهُ يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ، وَلَوْ كَانَ صَبِيًّا مُطِيقًا لِلقِتَالِ أَوْ امْرَأَةً أَوْ عَبْدًا أَوْ وَلَدًا أَوْ مَدِينًا، وَيَخْرُجُونَ وَلَوْ مَنَعَهُمْ الوَلِيُّ، وَالزَّوْجُ، وَالسَّيِّدُ، وَرَبُّ الدَّيْنِ، وَالمُرَادُ بِتَعْيِينِهِ عَلَى الصَّبِيِّ بِفَجْءِ العَدُوِّ وَبِتَعْيِينِ الإِمَامِ إِلجَاؤُهُ إِلَيْهِ وَجَبْرُهُ عَلَيْهِ، كَمَا يَلزَمُ بِمَا فِيهِ إِصْلَاحُ حَالِهِ، لَا بِمَعْنَى عِقَابِهِ عَلَى تَرْكِهِ... فَلَا يُقَالُ إِنَّ تَوَجُّهَ الوُجُوبِ لِلصَّبِيِّ خَرْقٌ لِلإِجْمَاعِ...!».

[حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٢/ ١٧٤ - ١٧٥].

هذا ما جاء في فقه المالكية.

ـ **وفي فقه الحنابلة**: فإن موقفه في هذه المسألة يتلخص في أن الصبي لا يدخل تحت التكليف بالجهاد مطلقًا؛ وذلك لأن البلوغ من شرائط التكليف بالأحكام الشرعية ومنها الجهاد ـ كما تقدم ـ وجاء في المغني لابن قدامة بعد ذكره للبلوغ من شرائط وجوب الجهاد: «الصبي ضعيف البُنية، وقد رُوي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: عُرضتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم (أُحُد) وأنا ابن أربع عشرة، فلم يجزني في المقاتلة. متفق عليه». [المغني لابن قدامة ١٠/ ٣٦٦. وسبق تخريج الحديث في الكلام على النقطة الأولى].

وهذا، وقضية إطلاق اشتراط البلوغ لوجوب الجهاد تدل على أن الصبي لا يدخل تحت التكليف بالجهاد لا بصفته فرض كفاية، ولا بصفته فرض عين أيضًا حين يهجم العدو على بلاد المسلمين،

ويصبح النفير عامًّا، وذلك لأن «ابن قدامة» يوجب القتال في حالة النفير العام على من كان من أهل القتال فقط، وأهل القتال هم من تتوفر فيهم الشروط لوجوب الجهاد، يقول: «النفير يعم جميع الناس ممن كان من أهل القتال حين الحاجة إلى نفيرهم لمجيء العدو إليهم». [المغني لابن قدامة ١٠/ ٣٨٩].

ولكن مع ذلك، فإنه يجوز في فقه الحنابلة أن يخرج الصبيان مع الجيش، وأن يُمارسوا القتال بالفعل، وإن كان ذلك ليس واجبًا عليهم، كما هو الشأن في المرأة، على نحو ما تقدم، يدل على هذا أنهم قرروا أن الصبيان، وإذا خرجوا إلى القتال فإنهم يستحقون الرَّضْخ.

أي: شيئًا قليلًا من الغنيمة لا يصل إلى مقدار سهم الرجال ـ وإذا قَتَل الواحد منهم أحدًا من الكفار فإنه يستحق سلبه، أي: ما عليه من لباس، وأدوات حربية، وآلة ركوب.

وفي هذا الصدد، جاء في المغني: «إن السلب لكل قاتل يستحق السهم، أو الرَّضْخ كالعبد، والمرأة، والصبي، والمشرك». [المغني لابن قدامة ١٠/ ٤١٩].

والخلاصة: أن الصبيان ـ وهم من دون سن البلوغ ـ لا يكلفون بالجهاد تكليف إجبار إلا في النفير العام للدفاع عن البلاد الإسلامية وأهلها حين هجوم الكفار.

وفي مذهب المالكية: يُجبرون أيضًا على القتال حين يُكلفون بذلك من قبل صاحب السلطة الشرعية، ولو في غير حالة الدفاع إذا كانوا أهلًا لما يُكلفون به. هذا عند المذاهب الفقهية غير الحنابلة.

أما الحنابلة: فإنهم لا يرون الصبيان أهلًا لإجبارهم على القتال مطلقًا.

ولكن جميع الفقهاء بما فيهم الحنابلة يقولون بجواز حمل الصبيان للسلاح، ومباشرتهم قتال الأعداء بالفعل ما داموا قادرين على ذلك.

ثالثًا: هل يستخدم الأولاد في الجيش الإسلامي في العصر الحديث ـ حين تكوينه؟ وما هو دورهم فيه؟:

إن الجيش ينقسم إلى قسمين:

أ ـ جيش نظامي: ويتكون أفراده ـ في الأصل ـ من المكلفين بالجهاد على سبيل الكفاية، ويوضعون تحت السلاح بصورة دائمة، ويكونون في حالة تأهب للقتال الفوري عند أول إشارة.

ب ـ وجيش احتياطي: ويتكون من سائر المسلمين المكلفين بالجهاد، ومن يجوز لهم الاشتراك في الجهاد، أو أعماله وخدماته.

هذا، وما دام الصبيان لا يدخلون تحت التكليف بالجهاد بصفته فرض كفاية فمكانهم ـ إذًا ـ ليس في الجيش النظامي.. على أن هذا لا يمنع من استخدامهم في هذا الجيش إذا دعت إلى ذلك ضرورة أو

مصلحة؛ وذلك لأن هذا الجيش النظامي، إنما وُجد للتمكين من الجهاد على الوجه الأفضل، والصبيان ممن يجوز لهم القيام بالجهاد.. فعلى هذا يجوز أن يستخدموا في هذا الجيش.

ولكن يبقى أن المكان الطبيعي للصبيان ليس هو الجيش النظامي.. وإنما هو الجيش الاحتياطي الذي يجمع سائر المكلفين بالجهاد من خارج الجيش النظامي، وكل من يجوز لهم الاشتراك في الجهاد من غير المكلفين.

وهذا الجيش يتكون من الأفراد المدنيين الذين ينصرفون إلى شؤونهم، وأعمالهم العادية، غير متفرغين للحياة العسكرية، وإنما يُستنفرون إلى القتال إذا دعت إلى ذلك ضرورة أو مصلحة.

والصبيان القادرون على حمل السلاح قد يكونون عنصرًا من عناصر هذا الجيش الاحتياطي، إذا لزم الأمر.

ـ وأما ما هو دور الصبيان في هذا الجيش؟ أو في الجيش النظامي إذا اقتضت المصلحة استخدامهم فيه؟

فالجواب: أنه يوضع الواحد منهم في الموقع الذي يصلح له.

ـ فمن كان منهم قادرًا على حمل السلاح متدربًا على فنون القتال ـ جاز لأصحاب السلطة استخدامه في هذا المجال، سواء أكان ذلك في داخل البلاد، فيما يسمى بأعمال الدفاع المدني، أو كان على حدود البلاد لمواجهة الأعداء.

ـ ومن كان نَفْعُه ـ من الصبيان ـ في مجال الخدمات أكثر من نفعه في مجال القتال فإنه يُستخدم في هذا المجال الذي ينفع به.

هذا، وقد رأينا في الروايات التي سقناها فيما سبق، كيف أن من الصبيان من كان يقاتِل، ومنهم من كان يقوم بأعمال الحراسة، أو ما يسمى بالدفاع المدني، ومنهم من كان يقوم بخدمة المقاتلين فيما يحتاجون إليه..». [**الجهاد والقتال لخير هيكل ٢/ ١٠٢٥-١٠٣٥ باختصار**].

٤ ـ استغلال الملكية الخاصة حرصًا على الصالح العام:

يقول ل/ فرج: «إن الجيش حين يخرج إلى معركة ما، فإن من حقه أن يستغل الملكية الخاصة، طالما أنها تُعين على تحقيق الهدف، دون الاهتمام بأية معارضة في هذا الشأن، فمثلًا إذا رأى الجيش خلال التحرك ضرورة المرور في أرض مملوكة ملكًا خاصًّا، فمن حقه أن يجتاز هذه الأرض دون إذن صاحبها ولا يلتفت إلى اعتراضه، ذلك أن الجيش لا يهدف إلى الإضرار بالحقوق الخاصة، ولكن إذا كانت الحقوق الخاصة ينتج عنها ضرر عام، وجب استغلالها حرصًا على الصالح العام». [**العبقرية العسكرية لفرج ٢٥١**].

ويقول د/ الزيد: «في قول الرسول ﷺ «مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى القَوْمِ مِنْ كَثَبٍ؟» ومسيرهم في حائط للمنافق مربع بن قيظي، يدلنا هذا على أن المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة، فمصلحة جند المسلمين في اختصار الطريق مقدمة على مصلحة هذا الرجل في مزرعته، يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى: «جوازُ سُلُوكِ الإمام بالعسكرِ في بعض أملاك رعيَّته إذا صادفَ ذلك طريقَه، وإن لم يرضَ المالكُ». [زاد المعاد٣/ ١٩٤]». [فقه السيرة للزيد ٤٤٩].

ويقول أ/ عبَّاد: «وفيه جواز سلوك الإمام بالعسكر في بعض أملاك رعيته إذا صادف ذلك طريقه وإن لم يرض المالك؛ لأن المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة، كما أن مصلحة الجماعة مقدمة على مصلحة الفرد، وظروف الحرب ومتطلباتها تختلف تمامًا عن ظروف السلم ومتطلباته، فمثلًا لا يجوز قتل المسلم نهائيًّا في السلم إلا إذا قَتل مسلمًا متعمدًا أو بدَّل دينه، ولكن يجوز قتله في الحرب إذا تترس به العدو وكان تترسهم به سيوقع الهزيمة بالمسلمين». [مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٥٥].

٥ ـ حكم نبش القبور:

يقول أ/ عبَّاد: «ما طلبته هند بنت عتبة من نبش قبر (آمنة) أم الرسول ﷺ وأخذ ما بقي من أجزاء جسدها يدل على أن حُرمة الميت ليس لها مكانة عند أهل الكفر والإلحاد، أما الإسلام فيضع لذلك ضوابط شرعية؛ لذا قال الفقهاء: «لا يُنبش القبر إلا لغرض صحيح كأن دُفن الميت من غير غسل أو من غير صلاة ما لم يكن قد تغير وتناثرت أعضاؤه، وأيضًا يجوز نبش القبر إذا مُحيت آثاره ليُدفن فيه ميت آخر، كما يجوز نبش قبور المشركين وإزالتها وتسويتها بالأرض وبناء مسجد مكانها ـ بشرط أن يملكها المسلمون بطريق البيع أو الهبة لا بطريق الغصب، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: «... وَأَنَّهُ ﷺ أَمَرَ بِبِنَاءِ المَسْجِدِ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، فَقَالَ: «يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا»، قَالُوا: لَا وَاللهِ، لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللهِ، فَقَالَ أَنَسٌ ﷺ: فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ قُبُورُ المُشْرِكِينَ، وَفِيهِ خَرِبٌ، وَفِيهِ نَخْلٌ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقُبُورِ المُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ، ثُمَّ بِالخَرِبِ فَسُوِّيَتْ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ».

[البخاري في الصلاة (٤٢٨)، وفي المناقب (٣٩٣٢)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٤)، والنسائي في المساجد (٧٠٢)، وأبو داود في الصلاة (٤٥٣)، وأحمد عن أنس بن مالك ﷺ (١٢٧٩٦)].

كما أجاز الفقهاء ضم جزء من أرض المقبرة ـ مقابر المسلمين ـ إلى المسجد إذا ضاق بأهله متى عفت ـ أي مُحيت آثارها وذهبت معالمها ودُرست وترك المسلمون دفن موتاهم فيها».

[مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٢١-٢٢].

٦ ـ حكم الاستعانة بالكفار في جهاد الكفار [(١)]:

يقول د/ فيض الله: «ردَّ النبي ﷺ فرقة من اليهود، مجهزة بالسلاح، عرضت مساعدتها ومقاتلتها مع المسلمين في هذه الغزوة، كما رأينا.

ولعله كان ﷺ يعلم ما تنطوي عليه جوانح اليهود، من حقد على المسلمين، ومكر مخطط للغدر بهم، فردهم واستغنى عنهم.

وقد جعل الإسلام الجهاد مع المسلمين علامة صدق الداخلين في الإسلام، ورأينا الإشارة إلى هذا المبدأ في الوثيقة التي عقدها النبي ﷺ مع اليهود بعد الهجرة إلى المدينة، فقد نصَّت في بندها الأول، على أن من اتبع المسلمين، فلحق بهم، وجاهد معهم، انغمس في أمة الإسلام، فالجهاد مع المسلمين شرط الدخول في الإسلام وأمارة صدق النِّسْبة إليه، وليس من المعقول، الاكتفاء بالجهاد، مع الاستغناء به عن الأصل وهو الإسلام، ولا يُسْتَغْنَى بالشرط عن المشروط، ولا بالفرع عن الأصل، والتابع تابع دائمًا.

وقبول جهاد المنافقين مع المسلمين، قبل انخذالهم، معاملة لهم بظاهر حالهم، وهو الإسلام، وقد تقرر مبدأ التعامل بالظاهر من حال مظهري الإسلام.

أما مَنْ أظهر الكفر، وهو به موقن، فما يصح أن يستعان بجهاده مع المسلمين، وكيف يقاتل أهلَ ملته معهم، والكفر كله ملة واحدة؟

وفي رواية بعض كتب السيرة أن النبي ﷺ لما ردَّ اليهود، مستغنيًا عن عونهم، قال لهم: «**لا نَسْتَنْصِرُ بِأَهْلِ الشِّرْكِ عَلَى أَهْلِ الشِّرْكِ**»، وفي صحيح مسلم عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ قِبَلَ بَدْرٍ، فَلَـمَّا كَانَ بِحَرَّةِ الوَبَرَةِ أَدْرَكَهُ رَجُلٌ، قَدْ كَانَ يُذْكَرُ مِنْهُ جُرْأَةٌ وَنَجْدَةٌ، فَفَرِحَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ حِينَ رَأَوْهُ، فَلَـمَّا أَدْرَكَهُ قَالَ لِرَسُولِ الله ﷺ: **جِئْتُ لِأَتَّبِعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ**، قَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**تُؤْمِنُ بِالله وَرَسُولِهِ**»، قَالَ: لَا، قَالَ: «**فَارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ**»، قَالَتْ: ثُمَّ مَضَى، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالشَّجَرَةِ أَدْرَكَهُ الرَّجُلُ فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، قَالَ: «**فَارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ**»، قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ، فَأَدْرَكَهُ بِالبَيْدَاءِ فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ: «**تُؤْمِنُ بِالله وَرَسُولِهِ**»،

---

(١) سبق تفصيل ذلك الدرس في غزوة الأبواء ٢ هـ. وينظر تفصيلات أكثر في: **الجهاد والقتال في السياسة الشرعية** ـ د/ محمد خير هيكل ـ دار البيارق ـ بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م ـ ٢/ ١٠٣٦-١٠٥٣، **التحالف السياسي في الإسلام** ـ د/ منير محمد الغضبان ـ دار السلام ـ القاهرة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م ـ ١٧٦ص، **حكم الاستعانة بغير المسلمين في الجهاد الإسلامي** ـ د/ محمد عثمان شبير ـ دار النفائس ـ الأردن ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م ـ ١٢٤ص.

قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَانْطَلِقْ**».

[مسلم في الجهاد والسير (١٨١٧)، والترمذي في السير (١٥٥٨)، وقال الترمذي: «وَالعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ العِلمِ، قَالُوا: لَا يُسْهَمُ لِأَهْلِ الذِّمَّةِ، وَإِنْ قَاتَلُوا مَعَ المُسْلِمِينَ العَدُوَّ، وَرَأَى بَعْضُ أَهْلِ العِلمِ أَنْ يُسْهَمَ لَهُمْ إِذَا شَهِدُوا القِتَالَ مَعَ المُسْلِمِينَ». وقد وردت آثار وأحاديث كثيرة في عدم الاستعانة بالمشركين هذا أقواها].

ولا شك أن التقوِّي بالكفار، اعتزاز بهم، وإقرار بنوع من ولايتهم، والنصوص القطعية ترفضه دون تردد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ [المائدة]، ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ [المائدة: ٥١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨﴾ [آل عمران]». [صور وعبر لفيض الله ١١٤-١١٦].

ويقول د/ العيساوي: «تقدم في معرض أحداث غزوة أُحد أن الرسول ﷺ حينما خلف ثنية الوداع، نظر وراءه فإذا كتيبة حسناء، وفي رواية خشناء، فقال: مَنْ هؤلاء؟ قالوا: هذا عبد الله ابن أبي ابن سلول في مواليه من اليهود، وهم رهط عبد الله بن سلام، فقال: هل أسلموا؟ قالوا: لا، إنهم على دينهم. قال: **قولوا لهم فليرجعوا، فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين**.

وقد استدل المجيزون بمشاركة غير المسلمين للمسلمين في الحرب بما يأتي:

في سنن أبي داود بسند صحيح عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ قَالَ: مَالَ مَكْحُولٌ وَابْنُ أَبِي زَكَرِيَّاءَ إِلَى خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، وَمِلْتُ مَعَهُمَا، فَحَدَّثَنَا عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ قَالَ: قَالَ جُبَيْرٌ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى ذِي مِخْبَرٍ ـ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ـ فَأَتَيْنَاهُ، فَسَأَلَهُ جُبَيْرٌ عَنْ الهُدْنَةِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**سَتُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا، وَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِكُمْ**».

[أبو داود في الجهاد (٢٧٦٧)، وفي الملاحم (٤٢٩٣)، وقال الشيخ الألباني: صحيح].

وفي مصنف ابن أبي شيبة، وسنن البيهقي: وعن الشيباني ـ وهو ابن إسحاق ـ أن سعد مالك وهو ـ ابن أبي وقاص ـ غَزَا بِقَوْمٍ مِنَ اليَهُودِ، فَرَضَخَ لَـهُمْ.

[مصنف ابن أبي شيبة١٢/ ٣٩٦ رقم ١٥٠١٣، وسنن البيهقي ٩/ ٣٧].

واستدل المجيزون بأحداث معركة حُنين، وَرَدَ فيها أن صفوان بن أمية ـ وهو على شركه قبل أن يُسلم ـ حضر هذه المعركة مع النبي ﷺ. [تاريخ الطبري ٣/ ٧٤، وسيأتي تفصيل ذلك في أحداث غزوة حنين إن شاء الله].

وجاء في نصب الراية عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: استعان رسول الله ﷺ بيهود قينقاع، فرضخ لهم، ولم يسهم لهم. [نصب الراية للزيلعي ٣/ ٤٢٢].

وفي صحيح البخاري تحت عنوان (باب: إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر).

[البخاري (٣٠٦٢)، ومسلم (٩٨)].

وبناء على ما ورد في هذه الروايات اختلف الفقهاء بين مجيز ومانع.

فمن قال بالجواز الأحناف، حيث جاء في ردِّ المحتار ما نصه: «جواز الاستعانة بالكافر عند الحاجة، وقد استعان باليهود على اليهود ورضخ لهم». [حاشية ابن عابدين ٣/ ٣٦٣].

وجاء في السير الكبير وشرحه: «ولا بأس بأن يستعين المسلمون بأهل الشرك على أهل الشرك إذا كان حكم الإسلام هو الظاهر عليهم.. لأن مَن لم يُسلم من أهل مكة كانوا خرجوا مع رسول ﷺ ركبانًا ومشاةً إلى حُنين.. وخرج صفوان وهو مشرك.. فعرفنا أنه لا بأس بالاستعانة بهم».

[شرح السير الكبير ٤/ ١٤٢٢ ـ ١٤٢٣].

وعند الشافعية: لا بأس أن يُستعان بالمشركين على قتال المشركين إذا خرجوا طوعًا ويرضخ لهم.

[الأم ٤/ ٢٦١].

وجاء في «المنهاج وشرحه مغني المحتاج» ما نصه: «وله ـ أي للإمام ـ الاستعانة على الكفار بكفار من أهل الذمة، وغيرهم تؤمن خيانتهم.. وأن يُعرف حسن رأيهم في المسلمين، ويكونون بحيث لو انضمت فرقتا الكفر قاومناهم.. ثم يقول: يفعل الإمام بالمستعان بهم ما يراه مصلحة من إفرادهم بجانب الجيش، أو اختلاطهم به بأن يفرِّقهم بين المسلمين». [مغني المحتاج ٤/ ٢٢١].

وعند الحنابلة: وعن أحمد ما يدل على جواز الاستعانة به عند الحاجة.. ويشترط أن يكون مَنْ يُستعان به حسن الرأي في المسلمين فإن كان غير مأمون عليهم لم يجزئه الاستعانة به لأننا إذا منعنا الاستعانة بمن لا يؤمن من المسلمين مثل المخذِّل والمُرجِف فالكافر أولى. [المغني ١٠/ ٤٥٦].

وممن قال بعدم الجواز المالكية: حيث جاء في «الشرح الكبير للدردير» و«حاشية الدسوقي» عليه ما نصه: «وحرم علينا استعانةً فإن خرج من تلقاء نفسه لم يُمنع على المعتمد، إلا لخدمة.

قال في الحاشية هنا: أي إلا إذا كانت الاستعانة به في خدمة لنا فلا يحرم والمحرَّم إنما هو الاستعانة به في القتال، ثم بيَّن في الشرح والحاشية المراد بالخدمة، فقال: كَنُوتِيٍّ (الملاح في البحر)، أو خياط أو لهدم حصن، أو حفر بئر أو متراس (ما يشتريه من العدو كالحائط)، أو لغم (اللغم: ألغام حفيرة تحت قلعة ونحوها يجعل فيها مادة متفجرة كالبارود أو الديناميت. المنجد ص ٧٢٦)».

[حاشية الدسوقي ٢/ ١٧٨، والمدونة ٢/ ٤٠، والقوانين الشرعية ص ١٦٤].

والخلاصة: إن الأحناف والشافعية يجيزون قتال غير المسلمين في القتال، مع المسلمين ضد العدو، وكذا في رواية عند أحمد بن حنبل ؒ عند الحاجة.

وأما المالكية: فيمنعون الاستعانة بغير المسلمين في القتال، ولكن يجيزون التحاقهم بالجيش الإسلامي، الذاهب للقتال، مع تحديد نشاطهم العسكري ضد العدو، في الأمور غير القتالية وينبغي علينا هنا أن نفرق بين الاستعانة بأشخاص من الكفار، والاستعانة ببعض ممتلكاتهم كالسلاح وأنواع العدة.

والمسألة في ذلك متروكة للإمام وما يرى فيه من مصلحة للمسلمين، وهو داخل في إطار ما يسمى بالسياسة الشرعية.

أما الاستعانة ببعض ممتلكاتهم كالسلاح وأنواع العدة، لا خلاف في أن ذلك جائز بشرط أن لا يكون فيه خدش لكرامة المسلمين، وأن لا يتسبب عن ذلك دخول المسلمين تحت سلطان غيرهم أو تركهم لبعض واجباتهم وفروضهم الدينية، وقد استعار رسول الله ﷺ من صفوان بن أمية أسلحة ودروع في غزوة حنين، وكان صفوان في وضع المغلوب الضعيف وكان رسول الله ﷺ في المركز الأقوى [**ينظر: زاد المعاد ٢ / ١٩٠، ومغني المحتاج ٤/ ٢٢١**]».

[**فقه الغزوات للعيساوي ٢٥٦-٢٥٩، وينظر: مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٤٥-٤٧**].

ويقول د/ البوطي: «أن النبي ﷺ لم يشأ أن يستعين بغير المسلمين في هذه الغزوة، رغم قلة عدد المسلمين، وقال فيما يرويه ابن سعد في طبقاته: «**لا نَسْتَنْصَرُ بِأَهْلِ الشِّرْكِ عَلَى أَهْلِ الشِّرْكِ**».

(قد يُقال: إن هؤلاء الذين عرضوا مشاركتهم مع المسلمين في القتال يهود من أهل الكتاب، فكيف ساهم الرسول ﷺ أهل الشرك، والجواب: أن إطلاق الشرك عليهم بمعنى غير المعنى الاصطلاحي الذي يُطلق على الوثنيين من العرب، وللشرك معنى عام يُعتبر قدرًا مشتركًا يَصدق على جميع الكافرين).

وفي صحيح مسلم عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ قِبَلَ بَدْرٍ، فَلَمَّا كَانَ بِحَرَّةِ الوَبَرَةِ أَدْرَكَهُ رَجُلٌ، قَدْ كَانَ يُذْكَرُ مِنْهُ جُرْأَةٌ وَنَجْدَةٌ، فَفَرِحَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ حِينَ رَأَوْهُ، فَلَمَّا أَدْرَكَهُ قَالَ لِرَسُولِ الله ﷺ: **جِئْتُ لِأَتَّبِعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ**، قَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**تُؤْمِنُ بِالله وَرَسُولِهِ**»، قَالَ: لَا، قَالَ: «**فَارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ**»، قَالَتْ: ثُمَّ مَضَى، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالشَّجَرَةِ أَدْرَكَهُ الرَّجُلُ فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، قَالَ: «**فَارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ**»، قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ، فَأَدْرَكَهُ بِالبَيْدَاءِ فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ: «**تُؤْمِنُ بِالله وَرَسُولِهِ**» قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**فَانْطَلِقْ**». [**مسلم في الجهاد والسير (١٨١٧)، والترمذي في السير (١٥٥٨)، وقال الترمذي: «وَالعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ العِلمِ، قَالُوا: لَا يُسْهَمُ لِأَهْلِ الذِّمَّةِ، وَإِنْ قَاتَلُوا مَعَ المُسْلِمِينَ العَدُوَّ، وَرَأَى بَعْضُ أَهْلِ العِلمِ أَنْ يُسْهَمَ لَهُمْ إِذَا شَهِدُوا القِتَالَ مَعَ المُسْلِمِينَ». وقد وردت آثار وأحاديث كثيرة في عدم الاستعانة بالمشركين هذا أقواها**].

وقد ذهب جمهور كبير من العلماء بناءً على هذا إلى أنه لا يجوز الاستعانة بالكفار في القتال، وفصَّل الإمام الشافعي في ذلك، فقال: إن رأى الإمام أن الكافر حسن الرأي والأمانة في المسلمين وكانت الحاجة داعية إلى الاستعانة به، وإلا فلا. [**ينظر: مغني المحتاج ٤/ ٢٢١**].

ولعل هذا هو المتفق مع القواعد ومجموع الأدلة، إذ روي أنه ﷺ قَبِلَ معونة صفوان بن أمية يوم حنين، والمسألة داخلة في إطار ما يسمى بالسياسة الشرعية، وسنذكر الفرق بين ما فعله الرسول ﷺ في حنين وما فعله في كل من بدر وأحد في مناسبته إن شاء الله». [**فقه السيرة للبوطي ١٩٠**].

ويقول د/ أبو فارس: «في هذه الغزوة عرض الأنصار على الرسول ﷺ أن يستعينوا بحلفائهم يهود، فقال ﷺ: **لا حاجة لنا فيهم**.

ولما خرج رسول الله ﷺ إلى أُحد والناس عن يمينه وشماله وانتهى إلى مكان يدعى الشيخين رأى كتيبة لها صوت وجلبة، فقال: ما هذه؟ فقال: هؤلاء حلفاء عبد الله بن أبي بن سلول من يهود، فقال ﷺ: «**لا نَسْتَنْصَرُ بِأَهْلِ الشِّرْكِ عَلَى أَهْلِ الشِّرْكِ**».

ها هو ذا رسول الله ﷺ يرفض أن يستعين باليهود، مع أنه ﷺ قد كتب كتابًا بين المسلمين واليهود أول مقدمه للمدينة، حدد فيه علاقة المسلمين باليهود، وحقوق وواجبات الطرفين، وكان من بنود هذا الكتاب أن يشارك اليهود في الدفاع عن المدينة إذا دوهمت من قِبَل عدو، وأن يشارك اليهود في النفقة الحربية للدفاع عن المدينة.

ونجد في السيرة أيضًا النبي ﷺ قد استعان بعبد الله بن أريقط كدليل في الهجرة النبوية وهو على شركه، واستعان النبي ﷺ بصفوان بن أمية وهو على شركه بعد فتح مكة، فأخذ مائة درع منه عارية واستعملها في معركة حنين.

فكيف إذن يمكن أن نوفق بين هذه التصرفات وبين منعه اليهود من المشاركة في غزوة أُحد؟

يبدو لي ـ والله تعالى وأعلم ـ أن النبي ﷺ أبى أن يستعين باليهود، لا سيما حلفاء عبد الله بن أبي بن سلول لعدم اطمئنانه ﷺ إليهم، وإلى حليفهم رئيس المنافقين، فهم جميعًا غدارون لا عهد لهم، ولا ذمة، ومن ثم فسيكونون عنصر تخذيل وتثبيط للمسلمين في المعركة.

ويلوح لي ـ والله تعالى أعلم ـ أنه يجوز للمسلمين أن يستعينوا بغيرهم في بعض الأعمال دون بعض، فيجوز الاستعانة بالمشركين كممولين للمسلمين بالسلاح وأدلاء إن أمنوا غدرهم واطمأنوا إلى سلوكهم وموقفهم.

أما الاستعانة بهم كمقاتلين في صف المسلمين ضد أعدائهم ونشر دعوة الإسلام فلا أرى ذلك، ولا نعلم أن رسول الله ﷺ قد استعان بمشرك في قتاله مع أعدائه، إنما استعان بالمشركين كعيون له على أعدائه يجلبون له أخبار العدو، وأدلاء، كما استعان بأسلحتهم كما تقدم». [**غزوة أُحد لأبي فارس ٦٧-٦٨**].

٧ ـ فيما اشتملت عليه هذه الغزوة من الأحكام بصفة إجمالية:

تحت هذا العنوان يقول الإمام ابن القيم فيما يتصل بالمرحلة الأولى من غزوة أحد:

١ ـ منها: أن الجهادَ يلزمُ الشُّروع فيه، حتى إن مَنْ لَبِسَ لأْمَته وَشَرَعَ في أسْبَابِهِ، وتأَهَّبَ لِلخُروج، ليس له أن يَرْجِعَ عن الخروج حتى يُقاتِلَ عدوَّه.

٢ـ ومنها: أنه لا يَجِبُ على المسلمين إذا طَرَقَهُمْ عدوُّهم في ديارهم الخروجُ إليه، بل يجوزُ لهم أن يلزمُوا دِيارهم، ويُقاتلوهم فيها إذا كانَ ذلك أنصرَ لهم على عدوِّهم، كما أشار به رسولُ الله ﷺ عليهم يومَ أُحُد.

٣ ـ ومنها: أن مَن عذره الله في التخلف عن الجهاد لمرض أو عرج، يجوز له الخروجُ إليه، وإن لم يجب عليه، كما خرج عمرُو بن الجموح ﷺ، وهو أعرج.

٤ ـ ومنها: جوازُ سُلُوكِ الإمام بالعسكرِ في بعض أملاك رعيَّته إذا صادفَ ذلك طريقَه، وإن لم يرضَ المالكُ.

٥ ـ ومنها: أنه لا يأذنُ لِمن لا يُطيق القِتَالَ من الصبيان غيرِ البالغين، بل يردُّهم إذا خرجوا، كما رد رسولُ الله ﷺ ابنَ عمر ومَن معه.

٦ ـ ومنها: جوازُ دعاءِ الرجل أن يُقتَلَ في سَبيل الله، وتمنيه ذلك، وليس هذا من تمني الموت المنهي عنه، كما قال عبد الله بن جحش ﷺ: «**اللَّهُم لقِّني من المشركين رجلًا عظيمًا كفره، شديدًا حَردُه، فأقاتله، فيقتلني فيك، ويسلبني، ثم يجدَع أنفي وأُذني، فإذا لقيتُكَ، فقلتَ: يا عبدَ الله بن جحش، فيم جُدِعْتَ؟ قلت: فيك يا رَبِّ**». [زاد المعاد لابن القيم ٣/ ١٨٩ – ١٩٠، ١٩٦].

المبحث الرابع
الدروس السياسية

١ ـ أهمية الإعلام السياسي في التعبئة:

يقول د/ الغضبان: «أما وزراء الإعلام، وأبطال التعبئة، فكانوا أربعة من قريش وهم: عمرو بن العاص، وهبيرة بن أبي وهب، وابن الزبعرى، وأبو عزة الجمحي، وثلاثة منهم أكبر شعراء قريش، والذين قادوا الحرب الإعلامية ضد رسول الله ﷺ طيلة السنوات العشر، وأما عمرو فلفصاحته التي اشتهر بها في العرب ولدهائه الذي كان يُضرب به المثل، وقع اختيار قريش عليه ليكون أحد هؤلاء الأربعة، ولا أدل على نجاح مهمتهم من تعبئة هذه الألوف في الحرب، وكان عمرو بن العاص، وابن الزبعرى من بني سهم، وهبيرة بن أبي وهب من بني مخزوم، وأبو عزة من جمح.

ولابد أن نشير إلى قوة تأثير هذا الفريق الإعلامي الذي استطاع أن يجمع هذه الجموع رغم الثارات السابقة التي كانت بين قريش وكنانة، فالثابت أن قريشًا في بدر خافت أن تغادر مكة برجالاتها، فتنقض عليها كنانة من خلفها، وتشعل القتل فيها، حتى جاءهم الشيطان بصورة سراقة بن مالك وطمأنهم كي يخرجوا.

«فَلَـمَّا أَجْمَعَتْ قُرَيْشٌ المَسِيرَ ذَكَرُوا الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي بَكْرٍ مِنْ العَدَاوَةِ، وَخَافُوهُمْ عَلَى مَنْ تَخَلَّفَ، وَكَانَ أَشَدَّهُمْ خَوْفًا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، فَكَانَ يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّكُمْ وَإِنْ ظَفِرْتُمْ بِالَّذِي تُرِيدُونَ فَإِنَّا لا نَأْمَنُ عَلَى مَنْ تَخَلَّفَ، إِنَّمَا تَخَلَّفَ نِسَاءٌ وَذُرِّيَّةٌ، وَمَنْ لا طَعْمَ بِهِ، فَارْتَأَوْا آرَاءَكُمْ.

فَتَصَوَّرَ لَهُمْ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ **سُرَاقَةَ بْنِ جُعْشُمٍ المُدْلِجِيِّ**، فَقَالَ: **يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، قَدْ عَرَفْتُمْ شَرَفِي وَمَكَانِي فِي قَوْمِي، أَنَا لَكُمْ جَارٍ أَنْ تَأْتِيَكُمْ كِنَانَةُ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ.**

فَطَابَتْ نَفْسُ عُتْبَةَ، وَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: فَمَا تُرِيدُ؟ هَذَا سَيِّدُ كِنَانَةَ وَهُوَ لَنَا جَارٍ عَلَى مَنْ تَخَلَّفَ، فَقَالَ عُتْبَةُ: لا شَيْءَ، أَنَا خَارِجٌ». [المغازي للواقدي ١/ ٣٧-٣٨].

فالانتقال ببني كنانة من خوف غزوها لقريش، إلى أن تعبئ معها بضعفي أعدادها، لا شك أمر يدل على الجهد الدؤوب الذي بذلته قريش لهذه المواجهة، وعبقرية الفريق الإعلامي والسياسي الذي قادهم إلى هذه المواجهة.

ومع ذلك فالأمر هين من خلال التعبئة الخارجية، لكن الخطر من الثغرة الداخلية المفتوحة داخل المجتمع الإسلامي: «وَكَانَ أَبُو عَامِرٍ الفَاسِقُ قَدْ خَرَجَ فِي خَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ أَوْسِ اللهِ حَتَّى قَدِمَ بِهِمْ مَكَّةَ

حِينَ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ، فَأَقَامَ مَعَ قُرَيْشٍ وَكَانَ دَعَا قَوْمَهُ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ مُحَمَّدًا ظَاهِرٌ فَاخْرُجُوا بِنَا إِلَى قَوْمٍ نُوَازِرُهُمْ.

فَخَرَجَ إِلَى قُرَيْشٍ يُحَرِّضُهَا وَيُعْلِمُهَا أَنَّهَا عَلَى الحَقِّ، وَمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ بَاطِلٌ، فَسَارَتْ قُرَيْشٌ إِلَى بَدْرٍ وَلَمْ يَسِرْ مَعَهَا، فَلَـمَّا خَرَجَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أُحُدٍ سَارَ مَعَهَا، وَكَانَ يَقُولُ لِقُرَيْشٍ: **إِنِّي لَوْ قَدِمْتُ عَلَى قَوْمِي لَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ رَجُلانِ، وَهَؤُلاءِ مَعِي نَفَرٌ مِنْ قَوْمِي وَهُمْ خَمْسُونَ رَجُلًا**، فَصَدَّقُوهُ بِمَا قَالَ، وَطَمِعُوا بِنَصْرِهِ».

[المغازي للواقدي ١/ ٢٠٥-٢٠٦].

هذا هو جو التعبئة في قريش، على قلب واحد، وقرار واحد في المسير إلى محمد ﷺ، ومعهم حلفاؤهم من بني عبد مناة من كنانة، ومعهم أبو عامر الفاسق من أوس الله من المدينة، والذي سيحاول أن يشق الصف الإسلامي عند اللقاء، ومعهم مائة من أبطال ثقيف وشجعانها، وكان هذا الرأي الموحَّد، مختلف تمامًا عما كان عليه وضعهم في بدر، بين كاره للخروج، وراغب فيه، ومتردد فيه، واختلفت قياداتهم مرات قبل لقاء بدر». **[التربية القيادية للغضبان ٣/ ١٤٩-١٥١]**.

٢ ـ الشورى أساس نظام الحكم الإسلامي [(١)]:

يقول أ/ كولن: «كان الرسول ﷺ يرغب أن يتبنى المجتمع مبدأ الشورى وأن يترسخ هذا المبدأ فيه وأن يحل كل المسائل به، كان عليه أن يتصرف هكذا لكي يحس كل فرد بأن القضية قضيته فيساندها بكل جهده؛ لأنه اشترك في مناقشتها وأبدى رأيه فيها، صحيح أن رسول الله ﷺ كان مؤيَّدًا بوحي السماء، ولكنه مع هذا شاور أصحابه لكيلا يقول أحد من المسلمين ـ فيما بعد ـ لو أننا فعلنا كذا لكانت النتيجة كذا.. كان يتشاور مع أصحابه ويأخذ آراءهم ثم يطرح رأيه الشخصي».

[النور الخالد محمد ﷺ لكولن ٢/ ٧٠].

ويقول أ/ عبَّاد: «المجلس الاستشاري الذي أعده النبي ﷺ وما صدر عنه من قرارات يوضح للجماعة المسلمة أن الإسلام يقرر مبدأ أساسيًّا في نظام الحكم وهو الشورى، أما شكلها والوسيلة التي تتحقق بها فهذه أمور قابلة للتحوير والتطوير وفق أوضاع الأمة الإسلامية وملابسات حياتها، فأي شكل أو أي وسيلة تتم بها حقيقة الشورى ـ لا مظاهرها ـ فهي من الإسلام.

ولتعلم الجماعة المسلمة أن خير وسيلة لتربية الأفراد وإعدادهم للقيادة الرشيدة أن يتربوا بالشورى، وأن يتدربوا على حمل تبعات رأيهم وتصرفاتهم فهم لن يتعلموا الصواب إلا إذا زاولوا الخطأ، والخسائر لا تهم إذا كانت الحصيلة هي إنشاء جماعة مسلمة مدربة مقدرة للتبعة، ولتعلم الجماعة المسلمة أن الأمة التي

---

(١) سبق تفصيل درس الشورى في الدروس المستفادة من المرحلة الأولى من غزوة بدر الكبرى.

تبعد عن الشورى لتتقي الخسائر المادية أو تحقق مكاسب مادية فهي هنا تخسر نفسها وتخسر وجودها وتخسر تربيتها، كالطفل الذي يُمنع من مزاولة المشي ـ مثلًا ـ ليتقي العثرات والخبطات، فالنبي ﷺ هنا يريد أن يعيد للفرد المسلم كيانه، بحيث لا يذوب ضمن إطار قبيلته أو عشيرته أو عائلته، فيريد ﷺ أن يبني الإنسان الفاعل القائد، لا الإنسان الإمعة الفاقد للرأي، إنه ﷺ يبني إنسانًا قادرًا على المناقشة وتقليب وجوه الرأي، وهذا يختلف عن نظم الحكم المعمول بها في العالم، وهي نوعان مهما اختلفت الأسماء وتعددت الأساليب فهي لا تخرج عن كونها ديمقراطية رأسمالية، أو دكتاتورية اشتراكية.

والنظام الديمقراطي قائم على أساس أن يستمد الحاكم سلطته من الشعب، فالأمة هي مصدر السلطات، والشعب هو الذي يأتي بالحاكم، والشعب هو الذي يعزل الحاكم، والحاكم يحكم باسم الشعب، فلو وافق الشعب على زواج الرجل من الرجل ـ مثل إنجلترا ـ فعلى الحاكم التنفيذ، ولو وافق الشعب على أن تُترك البنت تزني مع من تشاء ـ كهولندا وغيرها ـ وليس للأب عليها سلطان فعلى الحاكم التنفيذ.

كما أن النظام الديمقراطي قائم على أساس حرية رأس المال، يستثمر بأي طريقة ـ ربا، احتكار، استغلال، رشوة ـ والإسلام يأبى هذا كله؛ لأن الحاكم في الإسلام يستمد سلطته من الله، بمعنى أن الله ﷻ أمر بتنصيب الخليفة ـ ومن أقوى الأدلة على وجوب تنصيب الإمام هو اشتغال المسلمين من الأنصار والمهاجرين بعد وفاة الرسول ﷺ وقبل دفنه باختيار الخليفة، ولو لم يكن ذلك واجبًا لكان تجهيز الرسول ﷺ ودفنه أولى، حيث توفي يوم الاثنين ودُفن بعد اختيار الخليفة ليلة الأربعاء (كما ذكر أحمد)، كما أن الخليفة قائم على تنفيذ أحكام الله وحراسة شريعته وهو يحكم باسم الله.

أما حرية رأس المال في الإسلام فهي تحرم الرشوة والربا والاحتكار، وتترك استثماره في طرق مشروعة كالتجارة وغيرها.

أما النظام الاشتراكي فهو قائم على أساس حكم الفرد، وهو نظام استبدادي، حيث لا يجد الحاكم من يحاسبه، فهو وحده الآمر والناهي، كما أنه قائم على أساس مصادرة الملكية الفردية، وهذا مخالف للإسلام حيث يرفض الاستبداد، ويكفل لكل فرد حق التملك بالشروط التي حددها الإسلام.

وعلى هذا يكون نظام الحكم في الإسلام نظامًا شوريًّا ـ في الأمور التي لم يرد فيها نص شرعي ـ يقوم على أساس تبادل الآراء ومناقشة المقترحات وتنفيذ ما يستقر عليه الرأي منها وهي ملزمة للحاكم.

كما أنه يحترم حرية رأس المال بشرط أن يُحَصَّل ويُنفَق في طرق مباحة، ويأخذ منه ما فرض للمحتاجين.

ومن يُستشار لابد أن تتوافر فيه العدالة والاختصاص والتجربة.

وقد حكى القرطبي عن ابن عطية قوله: «لا خلاف في وجوب عزل مَنْ لا يستشير أهل العلم والدين». [**مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبّاد ٣٨-٤٠**].

ويقول د/ بامدحج: «كان رأي النبي ﷺ في غزوة أُحد البقاء في المدينة والدفاع عنها، ولكن أغلبية المسلمين في حينه أرادوا الخروج إلى أُحد، ومنازلة المشركين هناك، فوافق النبي ﷺ على رأي أصحابه ﭬ وقرر الخروج إلى خارج المدينة وملاقاة المشركين في أُحد.

قال ابن كثير ؒ: «وَأَبَى كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا الخُرُوجَ إِلَى العَدُوِّ، وَلَمْ يَتَنَاهَوْا إِلَى قَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ وَرَأْيِهِ، وَلَوْ رَضُوا بِالَّذِي أَمَرَهُمْ كَانَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ غَلَبَ القَضَاءُ وَالقَدَرُ، وَعَامَةُ مَنْ أَشَارَ عَلَيْهِ بِالخُرُوجِ رِجَالٌ لَمْ يَشْهَدُوا بَدْرًا، قَدْ عَلِمُوا الَّذِي سَبَقَ لِأَصْحَابِ بَدْرٍ مِنَ الفَضِيلَةِ». [**البداية والنهاية ٤/ ١٥**].

وفي أثناء تخطيطه ﷺ للغزوة وجَّه الدعاة إلى الله ﷻ إلى أن اتخاذ القرار ينبغي أن يتم التشاور فيه حتى يتوصل المتشاورون إلى قرار معين، يتفق عليه الجميع، ويستقر الرأي عليه وبعد ذلك يحسم الأمر؛ لكي يجتنب التخبط والتردد فيه حتى ولو خالف رأي بعض المتشاورين؛ لأن التخبط والتردد سيؤدي إلى الفشل والتنازع، وهذا ما فعله ﷺ حينما رجحت كفة الصحابة الذين كانوا يرون الخروج للقاء قريش خارج المدينة، فلما ندموا وقالوا: يا رسول الله! أمرُنا لأمرك تبع، فكان رد الرسول ﷺ حاسمًا فقال ﷺ: «**لا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ**».

وفي هذه الغزوة لم يأمر الرسول الكريم ﷺ بمنع مبدأ الشورى بعد الحادث؛ لكي يتقرر في حياة المسلمين أن المشورة عنصر أساس في حياة الأمة، ولو جاءت أحيانًا برأي خاطئ أو مخالف، فالبشر عُرضة دائمًا للخطأ، ولا تقتصر الشورى على الصواب فقط بحيث تسحب من الأمة إذا أخطأت في المشورة.

والرسول الكريم ﷺ بفعله هذا يبين أن احترام الأمر المتشاور عليه واجب، بل ما دام أن الرأي قد استقر عليه فيجب اتباعه، وتنفيذه حتى ولو كان مخالفًا لرأي البعض.

وفي هذه الغزوة لم يقتصر الأمر على أن الشباب الذين ألحوا على الرسول ﷺ في الخروج من المدينة قد خالفوا الرأي الأرجح الذي اختاره الشيوخ من ذوي الخبرة، بل وصل الأمر إلى مخالفة فريق من الجيش للأوامر الصريحة التى أصدرها الرسول الكريم ﷺ لهم بعدم مغادرة الجبل بأي حال من الأحوال ولو رأوا الطير تتخطفهم، وترتب على ذلك ما ترتب من هزيمة المسلمين، وإصابة الرسول ﷺ بما أحزنه، بالإضافة إلى شماتة أعداء الدعوة من كفار قريش وبعض القبائل العربية، والمنافقين واليهود في الرسول ﷺ وأصحابه.

وعلى الرغم من ذلك كله فقد نزل الأمر الرباني قائلًا: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ولأهمية الشورى في حياة الأمة نجد أنه بالرغم من وجود الرسول ﷺ ـ وهو القدوة للمسلمين عامة وللدعاة خاصة ـ ووجود الوحي الذي ينزل به جبريل ؑ، وكذلك خطورة الموقف الذي يعيشه المسلمون في ذلك الظرف، بل ووقوع الهزيمة بالمسلمين، وإصابتهم بالجراح كل ذلك موجود ويأتي الأمر الرباني بالاستمرار بالشورى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾.

نخلص من هذا إلى أن الشورى في غزوة أُحد لم تكن أمرًا عارضًا ولا خاصًّا بهذه الغزوة بل هو منهج متقرر في سيرة النبي ﷺ». [**غزوة أحد لبامدحج ١٥٤-١٥٦**].

ويقول د/ الرشيد: «حين شاور الرسول ﷺ الصحابة في الخروج إنما قصد عدم إلزامهم بأمرٍ لا تقبله نفوسهم ولا يتفق مع رغباتهم». [**العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ لفرج ص ٤٠٧**].

وأراد بعد ذلك تعليم القادة من بعده: أن قناعة الجند بأمرٍ من أمور الحرب، أمر مهم لأن الجندي الذي يخرج إلى ميدان الجهاد عن جَبْرٍ وإكراه، لا يوجد عنده من الحماس، ما يوجد عند من يخرج عن رغبة صادقة واقتناع تام.

وقد كان ﷺ يأخذ ـ فيما يتعلق بنتائج المشاورة ـ برأي الأكثرين إذا ظهر صوابه، وقد قَرَّرَ ذلك بقوله وفعله:

أما تقريره بقوله فهو صريح فيما رواه عبد الرحمن بن غنم ؓ أن النبي ﷺ قال لأبي بكرٍ وعمر ؓ: «**لَوِ اجْتَمَعْتُمَا فِي مَشُورَةٍ مَا خَالَفْتُكُمَا**». [**مسند أحمد ٢٩/ ٥١٨ رقم ١٧٩٩٥، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب، وحديث عبد الرحمن بن غنم عن النبي مرسل، وقال الهيثمي ؒ (بعد عزوه للإمام أحمد): ورجاله ثقات إلا ابن غنم لم يسمع من النبي ﷺ. مجمع الزوائد ٩/ ٥٣**].

وأما تقريره بفعله فيوضحه أخذه ﷺ برأي أكثر الصحابة يوم أُحد في الخروج للقتال».

[**القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ للرشيد ٣٧٣-٣٧٤، وينظر للتفصيل: التربية بالأحداث والوقائع في القرآن الكريم من خلال غزوة أحد في سورة آل عمران لمفتاح ص ٣٠٩-٣٤٥**].

٣ ـ حدود الشورى:

يقول د/ بامدحج: «وإذا عرفنا أن الشورى مطلوبة ومرغب فيها ومنصوص عليها، فما هي حدود الشورى؟

إن المقصود بحدود الشورى الدائرة أو المجال الذي يباشر فيه مجلس الشورى أو أهل الحَلِّ والعَقْد اختصاصهم، وحدود الشورى من الناحية التشريعية تعني المسائل التي يجوز لأهل الشورى بحثها ومناقشتها واتخاذ قرارات بشأنها.

والمعروف أن شؤون الأمة ومتطلبات الحياة متشعبة تشمل المسائل الدينية، والسياسية، والاقتصادية، والحربية، والأمنية، والاجتماعية، وغير ذلك مما تستلزمه حاجات الأمة وسلامة الدولة. [**نظام الشورى في الإسلام ونظم الديمقراطية المعاصرة ـ د/ زكريا عبد المنعم الخطيب ص ١٧٩ مطبعة السعادة بمصر ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م**].

وأشار ابن سعدي رحمه الله إلى أن أمور الشرع قسمان:

قسم ذكر حده وحكمه وبيَّن كيفيته كالصلاة والزكاة والصيام والحج، وقِسم ذكر حكمه وترك كيفيته؛ مثل بر الوالدين وصلة الأقارب والأرحام، والتعامل بالمعروف بين الزوجين. [**القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة ـ الشيخ ابن سعدي ـ مكتبة الإمام الشافعي ـ الرياض ١٤١٠ هـ**].

وكذلك الشورى من هذا الباب؛ فمع اتفاق الفقهاء على أن الشورى أصل من أصول الحكم في الإسلام لم نجد نصًّا قرآنيًّا يحدد كيفيتها بدقة، ولم نجد الرسول ﷺ وضَّح هذه الكيفية، نعم إنه كان يستشير مَنْ معه من أهل المدينة، وكذلك كان يفعل الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فلماذا لم يُبيَّن في كتاب أو في سنة؟

والجواب عن ذلك أن مناهج الشورى تختلف باختلاف الأحوال، وباختلاف الموضوعات، وباختلاف الزمان والمكان، ولا يوجد نظام ضابط لكل ذلك، (ولأنه لو وضع لها قواعد لاتخذها المسلمون دينًا، وحاولوا العمل بها في كل زمان ومكان).

[**تفسير المراغي للشيخ أحمد مصطفى المراغي ٤/ ١١٤ ـ مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م**].

بل تَرَكَ سن النظام للأمة تضع نظام الشورى على حسب ظروفها وأحوالها، وحسب ما يتفق مع مصلحتها، ولابد أن يتحقق معنى الشورى في النظام على أن يكون أهل الشورى من ذوي العلم والخبرة، ففي أمور الحرب يُستشار أهل الحرب، وفي أمور الفتوى والقضاء يُستشار الفقهاء والعلماء، وفي أمور السياسة يُستشار أهل الخبرة في الأمور السياسية، وفي أمور العمران يُستشار أهل الخبرة في الهندسة، وهكذا في سائر العلوم.

الموضوعات التي يتم التشاور فيها: اختلف في متعلق المشاورة، فقيل: في كل شيء ليس فيه نص، وقيل: في الأمر الدنيوي فقط، وقال الداودي: إنما كان يشاورهم في أمر الحرب مما ليس فيه حكم؛ لأن معرفة الحكم إنما تلتمس منه، قال: ومن زعم أنه كان يشاورهم في الأحكام فربما رأى غيره أو سمع ما لم يسمعه أو يره ... على أنه لم يكن يشاورهم في فرائض الأحكام. [**فتح الباري لابن حجر ١٣/ ٣٥٢**].

قال الزمخشري: «في أمور الحرب ونحوها مما لم ينزل به وحي ليستظهر رأيهم، ولـمَا فيه من تطييب النفوس، والرفع من أقدارهم، وليستن به مَنْ بعده، فإذا قطعت الرأي على شيء بعد الشورى فتوكل على

الله في إمضاء أمرك على الأرشد الأصلح، فإن ما هو أصلح لك لا يعلمه إلا الله، لا أنت ولا مَنْ تشاور».
[الكشاف للزمخشري ١/ ٤٣٢].

وقال ابن حجر: «وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مَيْمُون بْن مِهْرَانَ قَالَ: «كَانَ أَبُو بَكْـر الصِّـدِّيق ﷺ إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ أَمْرٌ نَظَرَ فِي كِتَاب الله، فَإِنْ وَجَدَ فِيهِ مَا يَقْضِي بِهِ قَضَى بَيْنهمْ، وَإِنْ عَلِمَهُ مِنْ سُـنَّة رَسُـول الله ﷺ قَضَى بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَم خَرَجَ فَسَأَلَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ السُّـنَّة، فَـإِنْ أَعْيَـاهُ ذَلِـكَ دَعَـا رُؤُوس الْمُسْـلِمِينَ وَعُلَمَاءَهُمْ وَاسْتَشَارَهُمْ، وَأَنَّ عُمَر بْن الخَطَّاب ﷺ كَانَ يَفْعَل ذَلِكَ». **[فتح الباري لابن حجر ١٣/ ٣٥٤]**.

إن الموضوعات التي يتم التشاور فيها هي التي لم يرد فيها نص من قرآن أو سنة؛ حيث إن الموضوعات التي ورد فيها نص قاطع لا مجال فيه للمشاورة ولا لأخذ الآراء، ومن ذلك مثلًا:

إقامة الحد على السارق بقطع يده، أو إباحة شرب الخمر، أو الزنا، أو تحليل حكم الربا، أو تحريم تعدد الزوجات، أو مساواة الذكر بالأنثى في الميراث.

إن مثل هذه الموضوعات من الأمور الدينية لا يتم التشاور فيها ولا مجال للاجتهاد فيها لورود نصوص قطعية ثابتة فيها.

أما الأمور الدنيوية والأمور التي فيها مجال للاجتهاد مثل أمور الحرب وجميع شؤون الحياة فيتم التشاور فيها.

و قد شاور ﷺ عليًّا وأسامة رضي الله عنهما فيما رَمى به أهلُ الإفك عائشة رضي الله عنها فسمع منهما، حتى نزل القرآنُ، فجلد الرامين وحكم بما أمره الله.

وكانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة؛ ليأخذوا بأسهلها، فإذا وَضَحَ الكتابُ أو السُّنة لم يَتَعَدَّوهُ إلى غيره اقتداء بالنبي ﷺ. **[فتح الباري ١٣/ ٣٥١]**.

«وبهذا يظهر أن كل ما لم يرد به نص ولا إجماع وأشكل أمره على ولي الأمر فإنه يلجأ فيه إلى أهل الحَل والعَقد سواء كان يتعلق بشؤون الدنيا أو أحكام الدين».

[الشورى - د/ عبد الله بن أحمد قادري ص ٥١ - دار المجتمع بجدة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م].

وبالرغم من أنه لم يتم وضع قاعدة عامة للشورى إلا أنه ﷺ وضع حدودًا لنهاية الشورى، فمهمة الشورى هي تقليب أوجه الرأي، واختيار اتجاه من الاتجاهات المعروضة، فإذا انتهى الأمر إلى هذا الحد، انتهى دور الشورى وجاء دور التنفيذ.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «فَإِذَا عَزَمَ الرَّسُولُ ﷺ لَمْ يَكُـنْ لِبَشَرٍ التَّقَـدُّمُ عَـلَى الله وَرَسُـوله»، وشاور النبي ﷺ أصحابه يوم أُحد في المقام والخروج، فرأوا له الخروج «فلما لَبِسَ لَأْمَته وَعَـزَمَ، قَـالُوا: يَـا رَسُـول

اللهِ، أَقِمْ فَالرَّأْيُ رَأْيُكَ، فَقَالَ: «**مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ يَضَعَ أَدَاتَهُ بَعْدَ أَنْ لَبِسَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ**». **[فتح الباري لابن حجر ١٣/ ٣٥١]**.

وثمرة هذه الآية وجوب التمسك بمكارم الأخلاق وخصوصًا لمن يدعو إلى الله ويأمر بالمعروف: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾، أي بعد المشاورة على أمر واطمأنت به نفسك ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ في الإعانة على إمضاء ما عزمت، لا على المشورة وأصحابها.

قال الرازي رحمه الله: دلت الآية على أنه ليس التوكل أن يهمل الإنسان نفسه، كما يقول بعض الجهال، وإلا لكان الأمر بالمشورة منافيًا للآمر بالتوكل، بل التوكل هو أن يراعي الإنسان الأسباب الظاهرة، ولكن لا يعول بقلبه عليها، بل يعول على عصمة الحق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ **[محاسن التأويل للقاسمي ٤/ ٢٧٩ ـ دار الفكر ـ بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م]**». **[غزوة أُحُد لبامدحج ١٥٧-١٦١]**.

٤ ـ رسول الله ﷺ يربي القيادات:

يقول د/ الغضبان: «والشيء المألوف في مثل هذه الحالة: أن يقتصر قرار الحرب على القيادات الكبرى، ولكن النبي ﷺ يريد أن يعيد للفرد المسلم كيانه بحيث لا يذوب ضمن إطار قبيلته أو عشيرته، ويريد ﷺ أن يبني الإنسان الفاعل القائد، لا الإنسان الإمعة الفاقد للرأي، يريد ﷺ أن يبني إنسانًا قياديًّا قادرًا على المناقشة وتقليب وجوه الرأي.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فالاستشارة هنا في قضية الحرب والمواجهة مع العدو، وعادة إنما تؤخذ هذه القرارات في مجلس الوزراء، والخطة في أركان حرب الجيش، والمجالس النيابية والبرلمانات تشارك في اتخاذ هذه القرارات، أما هنا فنجد رسول الله ﷺ يعرض الأمر على كل جنوده، ويطلب منهم إبداء الرأي؛ لأن هؤلاء الجنود هم الذين يبذلون أرواحهم في سبيل الله، هم يبذلون أعز ما يملكون في هذا الوجود، أفلا يحق لهم أن يشاركوا في قرار الحرب والمواجهة؟

إن العقلية التي تجعل أرواح الناس ودماءهم وأموالهم في يد طاغية أيٍّ كان هذا الطاغية: شيخ قبيلة، أو رئيس حزب، أو قائد جيش، أو ملِكًا مستبدًا، أو رئيسًا قاهرًا، هذه العقلية يدرب رسول الله ﷺ جيشه وأمته على إلغائها، وإعادة الثقة بكل فرد بذاته وبعينه، فهو صاحب قرار في اختيار المواجهة؛ لأنه هو الذي ستحصده الحرب، وهو الذي سيُذبح في المعركة؛ لهذا كله، وفي اليوم الثاني ظهر النبي ﷺ على المنبر، وقص عليهم رؤياه.

فالرؤيا يقصها ﷺ على جميع أصحابه، ورؤيا رسول الله ﷺ وحي، فلم ير رؤيا إلا وجاءت كفلق الصبح، وهو الذي يأولها ﷺ ويبدي رأيه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ في أن الدرع الحصينة هي المدينة، ويقول: «**فَامْكُثُوا فِيهَا**» بكلام صريح وبيِّن واضح.

وقال النبي ﷺ: «**أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ**»، ورأى رسول الله ﷺ ألا يخرج من المدينة لهذه الرؤيا.

وتقدم عبد الله بن أُبي على الجميع يبدي رأيه، خاصة ورأيه موافق لرسول الله ﷺ.

فحقه في المشورة محفوظ رغم مواقفه السابقة المشبوهة، فهو فرد في الأمة، وأحد الشخصيات القيادية فيها، فلا نص يمنعه من إبداء الرأي، ولا حَجْر على القناعات والمواقف في الأمور المطروحة على الشورى.

لكن الموقف الأعجب والأروع هو موقف المستويين العظيمين اللذين عارضا رأي البقاء في المدينة، هذان المستويين هما:

فتيان أحداث لم يشهدوا بدرًا.

ورجال من أهل السن وأهل النية.

كيف يجرؤ هؤلاء على عرض رأيهم المخالف صراحة لرأي رسول الله ﷺ، وهو الموحَى إليه، إننا نجد بعض المشعوذين الذين يوهمون الناس بأنهم أرباب من دون الله، أو أنبياء، أو ملهمون، فتمسخ شخصية الأمة كلها أمامهم، ويصبح الناس جميعًا يرون بهم الحكمة والعبقرية والعظمة، وكثيرٌ من هؤلاء الذين تمسخ أشخاصهم أمامهم؛ نتيجة إعجاب وفتنة وعبودية ومذلة، والبعض القليل يصمت خوفًا من سلطان الطاغية فيُمالئ وينافق، لقد كان شيخ القبيلة يعلن حربًا؛ لأن ماجنًا خليعًا في القبيلة أحدث حدثًا أو قتل رجلًا من العدو، فلا يجرؤ أحد على الوقوف أمام هذا الشيخ.

إننا نجد هذه النماذج في القرن العشرين، وتحت ستار الحرية والديمقراطية تُباع الشعوب من خلالها، وتُذبح الشعوب من خلالها، وتَبقى فكرة الملهم والعبقري، والقائد الفذ تمسح وجود كل الناس حوله.

[خريف الغضب ـ أ/ محمد حسنين هيكل (فصل إعادة ترتيب المنطقة من الجزء الثاني)].

وهنا ونحن بين يدي سيد ولد آدم ﷺ، والذي وُضعت أمته كلها في الميزان، ووُضع في الكفة الثانية فرجح بها، ومع ذلك يندفع الشباب والفتيان يعلنون رأيهم دون تهيب أو خوف، فقد بنى ﷺ رجالًا من طراز رفيع، يطلب منهم المشورة رغم الرؤيا الصادقة، ويطلب منهم الرأي رغم التفسير والتأويل الواضح كفلق الصبح، ومع ذلك يندفع إياس بن أوس بن عتيك ﷺ، الشاب المتوثب حماسة وحيوية، فيقول رأيه، وكذلك أنس بن قتادة ﷺ، وسيد الشهداء حمزة ﷺ، كما شارك حمزة ﷺ سيدُ الخزرج سعد بن عبادة ﷺ، وأحد قياداتها النعمان بن مالك ﷺ، ومالك بن سنان ﷺ سيد بني حذرة، كل أولئك شاركوا الشباب وأبدوا رأيهم بصراحة في الخروج إلى الأعداء خارج المدينة، وقد مثَّل هذا الرأي قطاعًا عريضًا من الصحابة، ومثَّل قناعة الشباب المتعطش للجهاد.

ورسول الله ﷺ كاره لهذا الرأي، ولا تزال الرؤيا ماثلة أمام عينيه عن الدرع الحصينة، والذين يرون البقاء في المدينة هم الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ حيث يعرضون جوانب الخطة الحربية التي تكفل النصر في عالم الأسباب.

ومع هذا كله يكتفي ﷺ بما سمع، ويقول لهم: «**لَكُمْ النَّصْرُ مَا صَبَرْتُمْ**»، ويمضي ليلبس لأمة الحرب استجابة للرأي الآخر، الذي يمثله جمهور الصحابة، والذي يمثله عنصر الشباب الذي هو قُرة عينه، لقد رأى ﷺ ثمرة التربية الدؤوبة التي مضى بها بأمر ربه، حيث رأى حب الاستشهاد، والموت في سبيل الله، قد غدا في الصف المسلم لا يقل عن حب النصر.

ورأى الجيل أمامه يستعد بكل طاقته ليتحمل مسؤولياته، ويرغب في المواجهة خارج المدينة، ومراعاة هذه النماذج لتقاتل وهي مرتاحة قريرة العين، غير قتالها وهي محبوسة داخل الآطام والحصون.

وبرز رأي فريق ثالث من خلال التربية النبوية، هذا الفريق ينظر للأمر من خلال هوى قائده ﷺ ورغبته، حتى ولو لم يكن هناك أمر من السماء بذلك، ومثَّل هذا الرأي قادة الأوس العظام: سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير رضي الله عنهما، وطرحا هذا الرأي على المسلمين بعد أن غادر رسول الله ﷺ المسجد لبيته، وأشارا برد الأمر إليه ﷺ.

في هذه الحالة، فاجأ القوم رسولُ الله ﷺ، وقد لبس لأمة الحرب كاملة، وكان الوقع النفسي أمام هذا المنظر العظيم لسيدهم وحبيبهم ﷺ أن أخذوا جميعًا برأي سعد رضي الله عنه.

وكانت فرصة سانحة لسيد الخلق، وقد تراجع صحبه جميعًا وتركوا له الرأي أن يعود إلى رأيه، ويقودهم وقد وافقوا رأيه، لكن المربي الأعظم ﷺ يريد لهذا الجيل أن يقود العالم، ويريد أن يعلِّمه كل قواعد الشورى واحترام الرأي، ويريد بهذه الشعلة المتقدة من الحماس للمواجهة أن تبقى لاهبةً متوهجةً، فقرار المواجهة قد صدر بناء على رأي جمهور الشباب المسلم، ولن يتغير القرار.

ويتعلم كل فرد من هذا الجيش عندما يكون غدًا على رأس جيش أو خوض معركة يتعلم من هذا الدرس كيف تكون القيادة؟ وكيف تكون الشورى؟ وكيف تكون العزيمة؟

وجاء القرآنُ الكريم بعد محنة أحد يقرر هذا الأمر ويقر نبيه بكل خطواته الأولى والثانية، ويقر عينه بهذه العصبة العظيمة التي حوله، ويقر عينها بنبيها ﷺ فيقول: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾.

جاء الوحي الرباني ليقر لين نبيه المصطفى ﷺ لهذا الشباب المتحمس الوثاب، ولو كان غير ذلك لانفصم جنده عنه، وانفضوا من حوله، وقرر خطأ رأيهم في الإصرار على الخروج الذي قاد إلى أن يُشج وجهه الكريم، وتُكْلَم شفته، وتُكسر ثناياه ﷺ، فَلْيَعْفُ عنهم، وليستغفر لهم على ما اندفعوا به من الخروج.

وجاء ليقر وراء ذلك كله صحة الموقف بالأخذ برأي الشورى، وصحة احترام رأيهم، وأنهم لو أخطأوا مرة، فسوف يصيبون مرات، فهم أهل للمشورة، وأهل للأخذ بآرائهم، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر.

ثم تكون مسؤولية القيادة بعد اتخاذ القرار ضمن الأطر الشورية بيد القائد الأعظم ﷺ».

[التربية القيادية للغضبان ٣/ ١٥٢-١٥٦ باختصار].

٥ ـ لا تجوز مخالفة الجماعة:

خرج رسول الله ﷺ وقد لبس لأمته، فقالوا: «**مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُخَالِفَكَ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**»، فقال لهم ﷺ: «**لا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ**».

يقول أ/ خلف الله: «بهذا الكلام الجامع يقرر رسول الله ﷺ أهم القواعد التي تُبنى عليها أصول الحكم: ألا وهي رأي الأغلبية، فرسول الله ﷺ عمل برأي الجمهور من أصحابه إقامة لقاعدة الشورى التي أمره الله تعالى بها، وإن العدول عنه يهدم قاعدة الشورى من أساسها، إذ لا معنى للمشورة حينئذ، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن العدول عن قرار بعد بحثه وتمحيصه وبيان وجوهه وموافقة الأغلبية عليه يؤدي حتمًا إلى اضطراب الأمور وفتور في العزائم وضعف في الهمم، وبالتالي إلى الفشل.

ولسائل أن يسأل: أيهما أفضل: موافقة الجمهور على الخروج، أم اتباع الأصوب وهو الإقامة في المدينة ولو كان ذلك مخالفًا لرأي الجمهور؟

والجواب على ذلك: أن المكث بالمدينة بعد أن رأى جمهور الصحب الخروج للقتال يكون منافيًا لقاعدة الشورى، والإخلال بهذه القاعدة يؤدي إلى فساد أمر الجماعة سواء في القتال أو غيره، فالأفضل حينئذ تنفيذ رأي الجمهور وهو الخروج للقتال». [غزوة أُحد لخلف الله ٥٣-٥٤].

٦ ـ اعتبار رأي الأكثرية، ولكن ليس هذا على إطلاقه:

ويقول د/ الزيد: «في استشارة الرسول ﷺ للصحابة ﷺ في الخروج لملاقاة العدو أو البقاء في المدينة ومقاتلتهم في طرقاتهم، ورغبة كثير من الصحابة ﷺ في الخروج، ثم أخذ الرسول ﷺ بهذا الرأي، فيه دلالة على اعتبار رأي الأكثرية، ولكن ليس هذا على إطلاقه.

قال ابن حجر ﷺ: «إن الأقل عددًا في الاجتهاد قد يصيب ويخطئ الأكثر، فلا يتعين الترجيح بالأكثر ولا سيما إن ظهر أن بعضهم قلَّد بعضًا». [ينظر: فتح الباري ـ ابن حجر ٨/ ١٤٦].

وهذا هو الذي يبدو من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ فقد قال: «وإن كان أمرًا قد تنازع فيه المسلمون فينبغي أن يُستخرج من كل منهم رأيه ووجه رأيه، فأي الآراء كان أشبه بكتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ عُمل به». [مجموع الفتاوى ـ ابن تيمية (جمع ابن قاسم) ٢٨/ ٣٨٧].

والحق لا يُعرف بالرجال ولا بكثرة مَنْ قاله، وإنما يُعرف الرجال بقدر تمسكهم بالحق وإن كانوا هم القِلَّة. [ينظر: إغاثة اللهفان لابن القيم ١/ ٦٩، وتفسير القرطبي ١/ ٣٤٠ ونقل قول علي ﷺ: (إن الحق لا يُعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله)].

ولهذا «فالعبرة شرعًا ليست في كثرة الآراء، وإنما العبرة بسداد الآراء وصوابها وإن قَلَّت».

[التاريخ الإسلامي ـ عبد العزيز الحميدي ١٠/ ٣٦٠].

وهذا الذي عليه عمل السلف الصالح ﷺ في مواقف كثيرة منها:

١ - موقف أبي بكر الصديق ﷺ في إنفاذ جيش أسامة ﷺ، وعدم التفاته إلى رأي الأكثرية.

٢ - إصرار أبي بكر ﷺ على حرب أهل الردة، وعدم التفاته إلى رأي الأكثرية.

٣ - إصرار عمر ﷺ على حبس أرض العراق والشام ومتابعة الصحابة ﷺ له على الرغم من إصرار بعضهم على خلافه. [ينظر: الشورى ـ عبد الله قادري ص٨٧ وما بعدها].

ولا يعني هذا عدم اعتبار رأي الأكثرية في جميع الأحوال، بل قد يُصَار إلى رأي الأكثرية عند عدم المرجِّحات الأخرى، أما إذا أمكن أن يرجح بغيرها فلا يُصار إليها، وعلى هذا يُحمل قول ابن حجر ﷺ في الفتح عندما تحدث عن اختلاف الصحابة في دخول الشام بعد أن ظهر فيها الوباء واستشار عمر ﷺ الصحابة ﷺ. [البخاري في الطب (٥٧٢٩)].

حيث قال ابن حجر ﷺ: «وَفِيهِ التَّرْجِيحُ بِالأَكْثَرِ عَدَدًا، وَالأَكْثَرِ تَجْرِبَةً لِرُجُوعِ عُمَر ﷺ لِقَوْلِ مَشْيَخَةِ قُرَيْش مَعَ مَا اِنْضَمَّ إِلَيْهِمْ مِمَّنْ وَافَقَ رَأْيَهُمْ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَار، فَإِنَّ مَجْمُوعَ ذَلِكَ أَكْثَرُ مِنْ عَدَد مَنْ خَالَفَهُ مِنْ كُلٍّ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَوَازَنَ مَا عِنْد الَّذِينَ خَالَفُوا ذَلِكَ مِنْ مَزِيدٍ فِي العِلمِ وَالدِّينِ مَا عِنْدَ الْمَشْيَخَةِ مِنَ السِّنِّ وَالتَّجَارِبِ، فَلَـمَّا تَعَادَلُوا مِنْ هَذِهِ الحَيْثِيَّة رُجِّحَ بِالكَثْرَةِ وَوَافَقَ اِجْتِهَادُهُ النَّصَّ، فَلِذَلِكَ حَمِدَ اللهَ تَعَالَى عَلَى تَوْفِيقه لِذَلِكَ». [فتح الباري لابن حجر ١٠/ ١٩٠].

ويقول سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ﷺ: «الأكثرية مرجِّح وهو كذلك في الجملة لا بالجملة، هي مرجِّح إذا فقدت المرجِّحات الأخر يُصار إليها، أما وأمكن أن يرجِّح بغيرها فلا يُصار إليها، ثم هي أيضًا ليست إلا في الأمور التي تنظر وللرأي فيها مدخل، فهذا الموجود عند الدول الآن من اتخاذ الأصوات في الأشياء هذا ما يصلح أخذه عامًّا في كل شيء.. إلى أن قال: والمقصود أن هذا مرجِّح في الجملة بعدما تقدم المرجحات الذاتية ولم يعرف هذا في الشريعة في الأمور الهامة».

[فتاوي الشيخ محمد بن إبراهيم ـ جمع ابن قاسم ١٢/ ١٧٤].

وعلى هذا فأكثرية الآراء مرجح، لكنها تأتي في منزلة متأخرة من قائمة المرجِّحات الأخرى عند اختلاف الآراء، فمتى وُجد مرجح ذاتي مما سبق الإشارة إليه أو نحوه، قُدِّم عليها والله أعلم».

[فقه السيرة للزيد ٤٤٥، ٦٩٠-٦٩٢].

٧ ـ حنكة القيادة السياسية: الحزم في الأمور:

يقول د/ فيض الله: «استشار النبي ﷺ ـ تطبيقًا للنصوص ـ أصحابه، في مبدأ الخروج من المدينة لمواجهة المشركين، فكانوا بين مؤيد للقعود، وبين مشير للخروج، وكانوا ـ كما رأينا ـ من الشباب، فمال قلبه إلى رأي هؤلاء، لما فيه من التحرك ومظهر القوة والعزة.

وقد بادر فعلًا، فلبس للحرب لبوسها، فلما خشي الشباب أن يكونوا قد دفعوه إلى الحرب، وربما كان لا يريدها، عادوا ليرغبوا في القعود، لكنه لم يَنْثَنِ عن عزمه، فلم يوافقهم على البقاء في المدينة، وأعلن تصميمه على الخروج، بقوة وصراحة وعزم صحيح، وسد عليهم كل باب للتراجع، وقال كلمته الخالدة: «**مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ**»، كما روتها كتب السنة والسيرة، وفي المقدمة ابن إسحاق.

وتبدو الحكمة في هذا الموقف الصلب، فإن قضايا الحرب والقتال ينبغي أن تترفع عن مجالات الأخذ والرد والتردد، فإن الاضطراب فيها هو نذير الفشل، وسوء العاقبة.

وهل يفسر الإقلاع عن الحرب، بعد اتخاذ لبوسها والسير في مقوماتها، بشيء سوى الخوف من العدو، والاعتراف بوزنه؟

وهل يطمح العدو بأكثر من هذه الحقيقة، أن تأخذ سبيلها إلى القلوب، بدون أن يبذل من أجلها ثمنًا ما؟ إنها السلاح السلبي الفتاك الذي يغري بالسلامة، ويحبذ الركود، والإخلاد إلى السكون المميت».

[صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة لفيض الله ١١٢-١١٣].

ويقول د/ الزيد: «في قول الرسول ﷺ: «**مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَهُ وبَيْنَ عدوِّه**»، يقول ابن القيم رحمه الله: «إن الجهادَ يلزمُ الشُّروع فيه، حتى إن مَنْ لَبِسَ لأْمَتَه وَشَرَعَ في أَسْبَابِهِ، وتأَهَّبَ لِلخُروج، ليس له أن يَرْجِعَ عن الخروج حتى يُقاتِلَ عدوَّه». [زاد المعاد ٣/ ١٩٤].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولهذا مضت السنة بأن الشروع في العلم والجهاد يلزم كالشروع في الحج، يعني أن ما حفظه من علم الدين، وعلم الجهاد ليس له إضاعته لقول النبي ﷺ: «**مَا مِنِ امْرِئٍ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ يَنْسَاهُ إِلَّا لَقِيَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَجْذَمَ**». [أبو داود في الوتر (١٤٧٤)، وقال الشيخ الألباني: ضعيف].

وقال ﷺ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ أُجُورُ أُمَّتِي حَتَّى الْقَذَاةُ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَعُرِضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبُ أُمَّتِي، فَلَمْ أَرَ ذَنْبًا أَعْظَمَ مِنْ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ آيَةٍ أُوتِيَهَا رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيَهَا**». [أبو داود في الصلاة (٤٦١)، والترمذي في فضائل القرآن (٢٩١٦)، وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقال الشيخ الألباني (عنهما): ضعيف. وأخرجه أبو يعلى في مسنده ٧/ ٢٥٤ تحقيق الشيخ أسد].

وقال ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّمَ الرَّمْيَ ثُمَّ نَسِيَهُ فَلَيْسَ مِنَّا**». رواه مسلم.

[مسلم ٣/ ١٥٢٣ رقم ١٩١ بلفظ: «مَنْ عَلِمَ الرَّمْيَ ثُمَّ تَرَكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا، أَوْ قَدْ عَصَى»].

وكذلك الشروع في عمل الجهاد، فإن المسلمين إذا صافوا عدوًّا أو حاصروا حصنًا ليس لهم الانصراف عنه حتى يفتحوه؛ ولذا قال النبي ﷺ: «**مَا يَنبَغِي لِنَبِيٍّ إذَا لَبِسَ لأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَهُ وبَيْنَ عدوِّه**». [في البخاري معلقًا بلفظ: «**لا يَنبَغِي لِنَبِيٍّ يَلبَسُ لأْمَتَهُ فَيَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ**» ٦/ ٢٦٨٢ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] ـ تح مصطفى أديب البغا ـ ط٣ دار ابن كثير ـ بيروت ١٤٠٧هـ. مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٨/ ١٨٦-١٨٧]. [**فقه السيرة للزيد ٤٤٥-٤٤٧**].

ويقول د/ البوطي: «يتجلى هنا أيضًا المبدأ الذي كان رسول الله ﷺ يأخذ به نفسه، وهو التزام التشاور مع أصحابه في كل أمر يحتمل المشاورة والبحث، ولكنا نقف هنا على فارق واحد لم نجده في المشاورة قبيل غزوة بدر، فقد لاحظنا أنه ﷺ لم يشأ أن يعود عن موافقته لأصحابه الذين اقترحوا الخروج للقاء العدو خارج المدينة، بعد أن لبس درعه وأخذ أهبته للقتال، رغم أنهم ندموا وعادوا عن رأيهم ورجوه البقاء إذا كان يرى ذلك، وربما كان النبي ﷺ يميل أو يظهر الميل عند التشاور إلى البقاء في المدينة.

ولعل الحكمة الجليلة في هذا، أن البحث في الأمر بعد أخذ العدة للقتال، وبعد ظهور النبي ﷺ في قومه وأصحابه لابسًا دروعه آخذًا سلاحه ـ شيء خارج عن حدود ما يقتضيه مبدأ التشاور خصوصًا في القضايا الحربية التي تحتاج ـ مع المشورة ـ إلى قدر كبير من الحزم و العزم، ثم إن المعنى الذي قد يتولد عن تقاعسه ﷺ عن الخروج بعد أن طلع عليهم مستعدًا لذلك، إنما هو الضعف والاضطراب في الإرادة وهو كثيرًا ما يكون نابعًا من الخوف و الحذر الذي لا معنى له؛ ولذلك أجابهم النبي ﷺ على كلامهم بعبارة فيها كل الحزم و العزم، دون أن يلتفت إلى لغط القوم وتعاقبهم فيما بينهم، قال: (**مَا يَنبَغِي لِنَبِيٍّ إذَا لَبِسَ لأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَهُ وبَيْنَ عدوِّه**)». [**فقه السيرة للبوطي ١٨٩**].

ويقول أ/ كولن: «لقد تم إعطاء القرار ويجب ألا يُنكص عنه لأنه:

أولًا: كان يعني إجراء ضغط على أفكار الآخرين، وهذا يعني الدخول إلى دائرة مفرغة، ثم إن الرجوع عن قرار متَّخَذ حسب أفكار ومشاعر الأفراد ليس من شيمة أي قائد اعتيادي ويُعد خطأ كبيرًا فكيف برسول الله ﷺ؟ فمن الطبيعي أن يتنزه الرسول ﷺ عن مثل هذا الخطأ.

ثانيًا: لو تم الدخول في حرب دفاعية وحدث شيء غير متوقع، أو ضرر غير منتظر لارتفعت أصوات بعض الذين عارضوا هذه الحرب، كان هذا احتمالًا واردًا على الدوام.

ثالثًا: النجاح والسمعة والغنائم التي تُكتسب في أي حرب دفاعية لا يمكن قياسها بما يتم الحصول عليه من الحرب الميدانية، وكان من الممكن استغلال هذا الأمر من قِبَل غير الراضين.

لكل هذه الأسباب وما يشابهها فقد قال الرسول ﷺ: «**لا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ يَلبَسُ لأْمَتَهُ فَيَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ**»؛ ذلك لأن الله تعالى عندما يقول له: ﴿**فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ**﴾ [آل عمران: ١٥٩] إنما يأمره بأن يكون شخصًا غير متردد، ثابت القرار.

أجل، فأي تردد سيقذف في قلوب تابعيه الخوف والقلق والتردد، وكل تحرك جديد سيؤدي إلى تشتت الآراء ويسوق الجمهور إلى أفكار مختلفة، وهذا يؤدي إلى التحلل والتبعثر.

صحيح أن رسول الله ﷺ كان يود البقاء في المدينة، والدخول في حرب دفاعية، ولكن عندما رجحت كفة الحرب الميدانية في أثناء إجرائه الشورى قرر تنفيذ ما استقرت عليه نتيجة المشورة، ولم يكن من المناسب الرجوع عن هذا القرار مهما كانت النتائج، فلو كلفه تثبيت أسلوب الشورى سبعين ألفًا وليس سبعين شخصًا لما تردد في سلوك هذا الطريق.

كانت معركة بدر نصرًا خالصًا، وكانت معركة أُحد نصرًا كنصر بدر في الأقل».

[النور الخالد محمد ﷺ لكولن ٧١-٧٢].

٨ ـ مبدأ عدم الركون إلى أعداء الإسلام في الاستنصار بهم:

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَذَكَرَ غَيْرُ زِيَادٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ الزُّهْرِيِّ: إِنَّ الأَنْصَارَ يَوْمَ أُحُدٍ، قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: **يَا رَسُولَ اللهِ! أَلَا نَسْتَعِينُ بِحُلَفَائِنَا مِنْ يَهُودَ؟** فَقَالَ ﷺ: «**لَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِمْ**».

[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦٤].

يقول الشيخ عرجون: «عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ ﭬ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى إِذَا جَاوَزَ ثَنِيَّةَ الوَدَاعِ فَإِذَا هُوَ بَكَتِيبَةٍ خَشْنَاءَ، فَقَالَ: «**مَنْ هَؤُلاءِ؟**»، قَالُوا: **عَبْدُ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ فِي سِتِّمِائَةٍ مِنْ مَوَالِيهِ مِنَ اليَهُودِ مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعٍ**، فَقَالَ: «**وَقَدْ أَسْلَمُوا؟**»، قَالُوا: **لا يَا رَسُولَ اللهِ!** قَالَ: «**مُرُوهُمْ فَلْيَرْجِعُوا، فَإِنَّا لَا نَسْتَعِينُ بِالْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ**».

وعند ابن سعد «**لا تَسْتَنْصِرُوا بِأَهْلِ الشِّرْكِ عَلَى أَهْلِ الشِّرْكِ**»، وهي أنسب لما فيها من وضع مبدأ عام للمجتمع المسلم في مستقبله، وهذا الحديث أخرجه الطبراني في معجميه الكبير، والأوسط برجال ثقات عن أبي حميد الساعدي ﭬ.

[مجمع الزوائد ٥/ ٥٥٠ كتاب الجهاد (٩٥٧٠)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه سعد بن المنذر بن أبي حميد ذكره ابن حبان في الثقات، فقال: سعد بن أبي حميد فنسبه إلى جده، وبقية رجاله ثقات].

وقد أطلق النبي ﷺ على هؤلاء اليهود اسم المشركين، وفي هذا الإطلاق دلالة على أنهم كانوا غير المنافقين من شيعة عبد الله بن أبي الذين خرجوا معه، ثم انخذلوا عن جيش المسلمين قبيل نشوب المعركة؛ لأن المنافقين لم يطلق عليهم اسم مشركين، وإن كانوا أشد كفرًا وخبثًا من المشركين.

وفي رواية عن الزهري أن الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ في الاستعانة بحلفائهم من يهود المدينة فقال ﷺ: «**لَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِمْ**».

ومعنى هذا الاختلاف بين الروايات أن الأنصار رأوا من مواليهم اليهود رغبة لم يدركوا ما فيها من مكر في أن يخرجوا معهم لقتال مشركي مكة وألفافها ومرتزقتها الذين استأجرهم أبو سفيان بأموال عير قريش، فلم يعارضوهم، ورأى اليهود بخبثهم أن هذه فرصة فليهتبلوها ليكيدوا المسلمين في ميدان المعركة كيدًا خبيثًا لا يعلم عواقبه الوخيمة إلا الله تعالى، فتأهبوا للخروج وأعدوا له عدتهم، وكوَّنوا كتيبتهم الخشناء بقوة حسبوا فيها للمستقبل القريب والبعيد حسابه، وخرجوا ولهم زجل وأصوات صاخبة لا يُدرى مصدرها في نفوسهم، ورأى الأنصار ـ بحسن نية وضمير مخلص طاهر ـ أن يستأذنوا النبي ﷺ في السماح لمواليهم اليهود أن يخرجوا معهم ليحاربوا مشركي مكة القادمين بعَددهم وعُددهم لمحاربة المجتمع المسلم وليثأروا لقتلاهم في بدر، ولكن النبي ﷺ رد استئذان الأنصار بأسلوب سياسي محكم.

والمقصد من ذلك أن ينبه رسول الله ﷺ مجتمعه المسلم إلى لون من الحذر في حياته المليئة بالمفاجآت ولدد العداوة، فلا يستقيم لهذا المجتمع المسلم أن يأمن كل مَنْ لم يكن معه في وحدة الإيمان والعقيدة أن يُداخله ويعرف أسراره في معاركه الجهادية التي يقاتل فيها لإعلاء كلمة الله.

وهذا سبب عام في عدم الركون إلى أعداء الإسلام والاستعانة بهم، وهو من أهم دعائم منهج الرسالة الخالدة، وأقوى حصونها التي تحميها من المفاجآت الغادرة التي يديرها أعداء هذا المجتمع المسلم لوقف مسيرته، بل للقضاء عليه، وقد حرص القرآن الكريم على تنبيه المسلمين إلى ما في إغفال هذا السبب من خطر على الإسلام والمسلمين، كما يُؤذن بذلك الكثير من الآيات المُحذِّرة في صراحة لا تحتمل التأويل والتردد والاحتيال على النصوص لوضعها في غير موضعها.

ولو لم يكن في ذلك إلا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١].

وأي إلقاء بالمودة أكثر من أن يستعينوا بهم ويداخلوهم في معاركهم الجهادية، ويعرفوا أسرارهم، ويقفوا على مقادير قواهم المادية في حروبهم وطرائق تدبيرهم وأساليب قتالهم، وأَصْرَحُ من هذا قوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة].

وقوله جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [آل عمران].

وهناك وراء هذا السبب في عدم الركون إلى المشركين وائتمانهم على مصالح المجتمع المسلم أسباب خاصة تؤكد وجوب مباعدة كل مخالف في الدين والعقيدة، وهذه الأسباب تغطيها السياسة الماكرة وتكشفها المعاملة الباغية.

وننبه إلى أن هذه المباعدة لأعداء الإسلام والمسلمين لا يدخل فيها سوء المعاملة في العشرة الدنيوية؛ لأن الله تعالى يقول للمؤمنين: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة].

وسوابق اليهود في الغدر والخيانة ونقض العهود، وسوء الكيد للمسلمين والمكر بهم، والتحريض على حربهم ولاسيما بعد انتصارهم في وقعة بدر التي كشفت عن ذات صدورهم معلومة، ولعل هذه السوابق تمثلت لرسول الله ﷺ فرأى فيها كل سوء فأبى أن يقبلهم في حشد كتائبه، وأمر بهم أن يرجعوا واكتفى في تنبيه أصحابه بذكر السبب العام الذي يوجب أن لا يقبلوهم معهم في صفوفهم لمحاربة المشركين، وأن لا يستعينوا بهم على المشركين؛ لأنهم أقرب إليهم في الكفر وعداوة الإسلام والمسلمين.

وهذا الجانب من منهج رسالة الإسلام مما أهمله المسلمون حتى أصبح خلصاء حكام المسلمين وأصفياؤهم، المداخلون لهم في سياسة شعوبهم، والمتحكمون في سياستهم وثرواتهم، الراسمون لخططهم في حياتهم التعليمية ومناهجهم الثقافية وبرامجهم التربوية وأنظمتهم الاجتماعية وخططهم الاقتصادية ـ كلهم من المشركين أصالة أو إلحادًا، فالمسلمون اليوم إما داخلون تحت سلطان الإلحاد الشيوعي، أو منحازون إلى الكتلة الصليبية المُقنَّعة، مما يبعدهم أشد البعد عن منهج رسالة الإسلام، ولن يعود لهم عزهم حتى يعودوا إلى منهج رسالتهم». [**محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٣/ ٥٦٠ – ٥٦٢**].

٩ ـ الخط النبوي في التعامل مع المنافقين:

يقول د/ الغضبان: «صحيح أن أزمة الشقاق قد تم تفاديها يوم بني قينقاع، واستجيب لرأي ابن أُبي، غير أن الأيام كانت تترى وموقف ابن أُبي لم يتغير، فهو لا يزال معتدًّا بحزبه، ولا يزال يوغر الصدور في الخفاء ضد المسلمين، وكان الموقف يوم أحد هو القشة التي قصمت ظهر البعير، فلم يؤخذ برأيه في البقاء في المدينة، كما تذكر بعض الروايات: «أن كتيبة حسنة التسليح لها زجل منفردة عن سواد الجيش، فقال ﷺ: ما هذا؟ فأبلغوه أن الكتيبة من اليهود حلفاء عبد الله بن أُبي.

فقال ﷺ: «**أأسلموا؟**»، قالوا: لا يا رسول الله، فقال: «**مروهم فليرجعوا، فإنا لا ننتصر بأهل الكفر على أهل الشرك**».

وكانت هذه قاصمة ثانية، فهو يرى أن النصر لو تحقق فسيشترك فيه طالما أن حزبه وحلفاءه قد ساهموا فيه، ويكون له المركز الثاني بعد رسول الله ﷺ، أما وقد فاته تحقيق الزعامة بأخذ رأيه في البقاء

في المدينة وفاته المشاركة بالنصر عن طريق حزبه وحلفائه، فليشارك إذن في صنع الهزيمة، وعله يتخلص من محمد ﷺ وزعامته، وليضرب ضربته الذكية، وينفصل بثلث الجيش عائدًا إلى المدينة معلنًا: «.. **سفَّه رأيي، ورد حلفائي، ما أدري علام نقتل أنفسنا أيها الناس**».

ولئن كانت خطوته يوم بني قينقاع كبيرة على الحس الإسلامي، فلقد أصبحت تافهة لا تذكر أمام خطوته في أُحد.

ولقد كانت ذات أثر خطير جدًّا من الناحية المعنوية، فأن ينفصل ثلث الجيش معه، فهذا يعني تصدع الصف الداخلي وهو مُقدم على حرب عنيفة.

وإذا أردنا أن نحدد أبعاد هذه الخطوة أكثر فيمكن القول: إن الأمر أكبر من ثلث الجيش، فلقد أكد القرآن الكريم أن هناك بعض الفئات كادت تستجر معه: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران].

كما يشير القرآن الكريم إلى المنافقين الذين بقوا في الجيش، وعلهم مكثوا بأمره؛ ليتموا المهمة الخطيرة، مهمة إشاعة الفوضى والرعب في الصفوف، حيث يؤكد القرآن هذا المعنى بقوله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾[آل عمران].

فإشارة القرآن الكريم إلى الطائفتين المؤمنتين اللتين كادتا تلتحقان بالمنشقين عن الجيش، والإشارة إلى الطائفة التي أهمتها نفسها في المعركة وهي أخت الطائفة المنشقة لتوضح أن المنافقين هم قرابة نصف الجيش، وتتحدث السيرة عن هذه النماذج في المعركة، فبعضهم قال: لو كان نبيًّا ما قُتل فارجعوا إلى دينكم الأول، وبعضهم قال: ليت لنا رسولًا إلى عبد الله بن أُبي يأخذ لنا أمانًا من أبي سفيان، يا قوم إن محمدًا قد قُتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم ويعتلوكم.

ونلاحظ أن الخط النبوي في أُحد قد اختلف عن الخط في قينقاع من حيث التعامل مع زعيم النفاق، فلقد كانت المراعاة في الموقف الأول كافية لتبيان نوعية هذه النماذج، وكفيلة بأن تعيدهم إلى حظيرة الإيمان، لكننا عندما نجد أن مواقفهم لم تتغير، فلقد كان الموقف حاسمًا وواضحًا في أُحد، ولقد رد حلفاء عبد الله بن أُبي، فلا يمكن أن يقوم في الصف الإسلامي تكتل محاذ لكتلة المسلمين وجماعتهم، ولا يمكن أن يقبل تجمع بجوار الجماعة المسلمة، ورغم حاجة رسول الله ﷺ إلى العدد حيث يواجه ثلاثة آلاف بألف مقاتل، إلا أن المبدأ لا ينقض.

فطالما أنهم لم يعلنوا انضمامهم للصف الإسلامي، فلا استعانة بأهل الكفر على أهل الشرك، والأخطر من ذلك فهؤلاء ليسوا حلفاء المسلمين، إنما هم حلفاء عبد الله بن أُبي، فسلامة الصف ووضوح الولاء أهم بكثير من التجمع العشوائي، وكان انفصال عبد الله بن أُبي رحمة بالمؤمنين، وكما قال لهم عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: **أبعدكم الله، فسيغني الله عنكم نبيه.**

وكان بالإمكان بعد العودة من أُحد أن يوجد في الصف الإسلامي الخالص من يعذر عبد الله بن أُبي ويدافع عنه، ويجد له ولحزبه العذر بالعودة بحجة أنهم مسلمون لهم ظروفهم، لكن كلام الله تعالى جاء كوقع الصاعقة عليهم، فلقد كان القرآن يدمغهم بالنفاق بأوضح بيان: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾[آل عمران].

ثم يربط القرآن الكريم بين الفريقين، الذين استمروا في الجيش لإشاعة البلبلة والهزيمة، والذين انخذلوا إلى المدينة فيقول: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾[آل عمران].

ولا نبالغ إذا قلنا: إن قمة تجمع المنافقين وخطره برز يوم أُحد، لكننا نؤكد في الوقت ذاته إنه قد افتضح أمره، وبرز المنافقون بأشخاصهم وأعيانهم يعلن القرآن عنهم أنهم أقرب للكفر منهم إلى الإيمان، وبذلك تمت المفاصلة بينهم وبين المؤمنين، وغدت الجماعة المؤمنة تنظر إليهم بعين الحذر والكراهية إن استمروا على مواقفهم، وأصبح المسلم يكف عن بث أسراره لأخيه من أبيه وأمه إن كان ممن وصم بالنفاق.

وأدت هذه المواقف الحاسمة منهم بعد ذلك إلى أن يخنسوا ويحاولوا التقرب من الصف المؤمن والاعتذار منه، وأن يتراجعوا عن موقف المواجهة والتحدي، ويغيروا خطتهم للعمل في الخفاء.

أما الذين كانوا مغررًا بهم فقد بدأوا ينضمون للصف الإسلامي في توبة نصوح خالصة حيث فتح لهم القرآن طريق التوبة بعد التحذير العنيف الرهيب بسوء مصيرهم إن استمروا على موقفهم، حيث يقول جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١٤٦﴾﴾[النساء].

وهكذا سار الخط النبوي في التعامل مع المنافقين على أمل تفتيت تجمعهم، والتحذير من كيدهم، وتحذيرهم من مغبة السير في طريق النفاق من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وحققت هذه الخطة أهدافها بشكل واضح وبدأ خط التصاعد للمنافقين بالانحدار، فلقد كانت سورة النساء وحديثها عن الجهاد والنفاق، وسورة آل عمران تعري كل المخططات المشبوهة، وتعالج كل الشبهات المبثوثة، وتفسح المجال رحبًا أمام التوبة». [**المنهج الحركي للسيرة النبوية للغضبان ٢/ ٢٥١-٢٥٥**].

١٠ ـ ولاية المرأة في الإسلام:

يقول أ/ عبَّاد: «ولنا أن نعلم أن هند كادت أن توقع قومها في مهلكة وباب لا يُغلق إلا بزوالهم إذا هم أطاعوها فيما أرادت من نبش قبر أم النبي ﷺ، وهذا شأن كل قوم وليتهم امرأة، فحينما سمع النبي ﷺ أن الفُرس بعد وفاة إمبراطورهم وَلَّوْا عليهم بوران بنت كسرى قال: «**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً**» [البخاري في المغازي (٤٤٢٥)، وفي الفتن (٧٠٩٩)]، وهذا يخص الولاية العامة على الأمة كلها ـ أي الإمامة العظمي ـ أما بعض الأمر فلا مانع أن يكون للمرأة فيه ولاية، مثل ولاية الفتوى أو الاجتهاد أو التعليم أو الإدارة ونحوها، فهذا مما لها ولاية فيه بالإجماع، كما يجوز لها الترشح للمجالس النيابية، وقد ولَّى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشفاء بنت عبد الله العدوية على السوق تحتسب وتراقب وهو ضرب من الولاية العامة.

والمجتمع المعاصر في ظل النظم الديمقراطية حين يولِّي المرأة منصبًا عامًّا كالوزارة أو الإدارة أو نحو ذلك لا يعني هذا أنه ولاها أمره بالفعل وقلدها المسؤولية عنه كاملة؛ لأن المسؤولية هنا جماعية والولاية مشتركة تقوم بأعبائها مجموعة من المؤسسات والأجهزة، والمرأة إنما تحمل جزءًا منها مع من يحملها، وبهذا نعلم أن حكم (تاتشر) في بريطانيا، أو (أنديرا غاندي) في الهند، أو (جولدا مائير) في فلسطين المحتلة ليس هو حكم امرأة في شعب، بل هو حكم المؤسسات والأنظمة الحاكمة التي فشل العرب في إيجاد مثلها حتى الآن، حيث لا يوجد عندهم حكم مطلق أبدي ولا انتخابات مزورة، فقد سقطت (أنديرا غاندي) بجدارة في الانتخابات». [مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٢٢-٢٣].

المبحث الخامس

الدروس العسكرية

١ ـ اتقاء المفاجأة:

يقول أ/ فتح الباب: «وتتجلى لنا ملامح القيادية العسكرية والإدارية الحكيمة التي خص الله بها محمدًا ﷺ للاضطلاع برسالته حين نعلم أنه ﷺ لم يُؤخذ على غِرَّة بغزوة أُحد، إذ كان يدرك بثاقب نظره أن ما أصاب قريشًا في بدر لن يزيدها على الثأر إلا حرصًا، وفي التهيؤ للأخذ به إلا شدة، فكان يجهز المسلمين ويعبئهم روحيًّا كي يلبوا داعي الجهاد لدى أول إشارة وهم على أهبة الاستعداد وتمام القدرة.

ومن التدابير الوقائية التي اتخذها النبي ﷺ ليأمن مفاجأة المشركين بالغزو أنه ﷺ كان يتابع بدقة أنباء قريش وتحركاتها بعد هزيمتها في بدر، فما اطمأن أبدًا إلى أن الأمر قد استقر للإسلام والمسلمين، وما خدعه الحاضر المستقر عما قد يحمله المستقبل في طياته من مخاطر، أو غَرَّه فزع القبائل منه بعد ما حقق من انتصارات، فمحمد رسول الله ﷺ يدرك صدق المثل العربي السائر: «**من مأمنه يُؤتى الحذر**»، وشفافية الإيمان تزيده صفاء وقوة بصيرة، والحرص واليقظة من السمات النفسية الأصيلة للقادة والمصلحين.

فلا عجب أن توافرت تلك السمات في صاحب الدعوة العظمى التي جاءت لاقتلاع القيم البالية من جذورها ولإرساء قيم صالحة على أنقاضها، مهما عظم الصراع واشتدت الخطوب، والإيمان بنصر الله ليس من شأنه أن يُلقي المؤمنُ حِبَالَ الأمور على عواهنها ويغفل عن الواقع، فالإسلام دين عمل ودين حياة». [القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات لفتح الباب ٦١].

٢ ـ أهمية الاستخبار وجمع المعلومات عن الأعداء:

يقول أ/ فتح الباب: «ولم يكد النبي ﷺ يعلم بتجمع عصابة الشرك ونزولها على سفوح جبل أحد مُهَدِّدة بذلك المهاجرين والأنصار في المدينة بزعامة الرسول ﷺ حتى بادر الرسول ﷺ ـ وهو القائد العسكري الملهم من الله ﷻ ـ إلى إرسال بعثة استكشافية تتحسس خبر العدو، فعادت لتنبئه أن قريشًا قد قاربت المدينة، وأطلقت خيلها وإبلها ترعى زروع يثرب المحيطة بها، ووضح الأمر؛ ليضع القائد الأعظم ﷺ الخطة الكفيلة بمواجهة هذا العدو الحاقد الزاحف على المدينة في وَفْرَةٍ من العدد والعدة».

[القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات لفتح الباب ٦٣].

ويقول د/ الرشيد: «حرص الرسول ﷺ على استطلاع أخبار قريش، منذ أن كانت في مكة، حيث كان يستعين بعمه العباس بن عبد المطلب، قال ابن عبد البر ؒ: «وكان ؓ يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله ﷺ وكان المسلمون يَتَقَوَّوْنَ به بمكة، وكان يحب أن يقدم على رسول الله ﷺ، فكتب إليه رسول الله ﷺ **أن مُقَامَكَ بمكةَ خيرٌ**». [الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ٢/ ٨١٢].

وحين عزمت قريش على حرب النبي ﷺ وأتمت تجهيزات جيشها، وأخذت في التحرك صَوْبَ المدينة، أرسل العباس إلى النبي ﷺ رسالةً، وهذه الرسالة تحتوي على أمرين مهمين:

الأول: خبر تحرك قريش من مكة، وهذا أفاد النبي ﷺ في الاستعداد لهذا الجيش قبل وصوله.

الثاني: عدد قوات هؤلاء الأعداء، وهذا أفاده في مجابهة ذلك الجيش بالقوة المناسبة.

ولم يقتصر الرسول ﷺ عند هذا الحد، بل حرص على أن تكون معلوماته عن هذا العدو متجددة مع تلاحق الزمن، وهو بهذا يرشد القادة من بعده إلى أهمية تجديد المعلومات عن أعدائهم، فكلما كانت المعلومات تتصف بالطرافة والجِدَّةِ كانت ذا نفع أكثر.

فحين وصل جيش المشركين إلى مكان يُقَالُ له: العِرْضُ، أرسل الرسول ﷺ الحباب بن المنذر رضي الله عنه، فدخل بين جيش مكة وحزر عددَه وعُدَدَه ورجع وأخبر النبي ﷺ.

ولما بلغ الجيش ذا الحليفة أرسل الرسول ﷺ عينين له وهما ابنا فضالة، فاعترضا لقريش بالعقيق فسارا معهم حتى نزلوا بالوِطاء، ثم رجعا إلى المدينة وأخبرا الرسول ﷺ بذلك.

وبعد انتهاء المعركة ورجوع قريش إلى مكة، بلغ الرسولَ ﷺ مقالةٌ عن أبي سفيان، يلوم فيها جنده لأنهم لم يُشفوا غليلَهم من محمد وجنده، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما انصرف أبو سفيان والمشركون من أُحد وبلغوا الرَّوحاء، قال أبو سفيان: **لا محمدًا قتلتم ولا الكواعبَ أَرْدَفْتُمْ شر ما صنعتم، فبلغ** ذلك رسول الله ﷺ. **[الحديث أخرجه الطبراني، مجمع الزوائد ٦/ ١٢١، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور الجوَّاز، قال الذهبي في ترجمته: محمد بن منصور الخزاعي المكي الجوَّاز عن ابن عيينة والوليد بن مسلم، وعنه النسائي (ثم بواسطة زكريا السجزي عنه)، وابن خزيمة وابن صاعدة، توفي سنة ٢٥٢هـ. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ٣/ ٩٩].**

وذكر موسى بن عقبة رواية أخرى فقال: وقدم رجل من أهل مكة على رسول الله ﷺ فسأله عن أبي سفيان وأصحابه فقال: نازلتهم فسمعتهم يتلاومون ويقول بعضهم لبعض: **لم تصنعوا شيئًا أصبتم شوكة القوم وَحَدَّهم ثم تركتموهم ولم تبتروهم، فقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم.** **[البداية والنهاية ٤/ ٤٨].**

وتفيد كلتا الروايتين استطلاع الرسول ﷺ خبرَ أعدائه حتى بعد انتهاء المعركة، وذلك لكي يطمئن على عدم مباغتتهم له». **[القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ للرشيد ٣٦٢-٣٦٤].**

٣ ـ التدابير الأمنية للرسول ﷺ:

يقول د/ أبو فارس: «وما إن وصل خبر مسير قريش إلى رسول الله ﷺ واقترابها من المدينة المنورة حتى استنفر الناس، وأعلن حالة الطوارئ العامة، وتجهز الجميع للقتال، وأمضوا ليلتهم في حذر كل يصحب سلاحه ولا يفارقه حتى عند نومه، وأمر ﷺ بحراسة المدينة، حيث اختار خمسين من أشداء المسلمين ومحاربيهم بقيادة محمد بن مسلمة رضي الله عنه.

والاهتمام بالحراسة من الأمور الهامة التي تعتني بها الجيوش العصرية اليوم، وهو ما يُسمى في العصر الحديث باصطلاح العسكريين بالأمن العسكري، فكل مقاتل بحاجة إلى الراحة والنوم، وهذا يتسنى له إذا توفر الأمن له بالحراسة الشديدة التي يطمئن إليها.

واهتم الجنود بحراسة قائدهم رسول الله ﷺ، فبات سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة في عدة من الصحابة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ ليلة الجمعة مدججين بالسلاح في باب المسجد يحرسون رسول الله ﷺ [أنساب الأشراف ١/ ٣١٤]». [غزوة أُحد لأبي فارس ٣٤-٣٥].

٤ ـ مشاركة الجنود في القرار العسكري [(١)]:

يقول د/ أبو فارس: «وهناك أسلوب ثالث للشورى كان يستخدمه الرسول ﷺ، قد يبدو له اجتهاد في مسألة عسكرية ولا يريد أن يخرجها إلى حيز التنفيذ إلا بعد مشاورة العسكريين، ثم اتخاذ القرار العسكري على ضوء ذلك، ففي غزوة أُحُد جمع رسول الله ﷺ المسلمين واستشارهم في أرض المعركة، وأعلمهم أنه يرى التحصن في المدينة وعدم الخروج للقاء جيش المشركين في أُحُد.

ولكن الأكثرية من صحابة رسول الله ﷺ وفيهم الشباب والكهول رأت غير رأيه وأصرت على ضرورة الخروج من المدينة والتصدي للمشركين وقتالهم.

ولما رأى رسول الله ﷺ الأكثرية ترى الخروج تنازل عن رأيه ونزل عند رأي الأكثرية؟ ولبس لأمته (سلاحه) وقاد المسلمين إلى موقع المعركة وهو أُحُد». [المدرسة النبوية العسكرية لأبي فارس ١٣٤].

ويقول أ/ عبَّاد: «يلاحظ أن النبي ﷺ عرض الأمر على الجنود وطلب منهم الرأي ـ ولم يقتصر على القيادات الكبرى فقط أو على نفسه ـ لأن هؤلاء الجنود هم الذين يبذلون أرواحهم في سبيل الله، وهذا درس آخر لنا وهو ألا نضع أرواح الناس ودماءهم وأموالهم في يد إنسان أيًّا كانت قدرته أو مكانته، فالإسلام بصفة عامة ـ لكي يحقق للأمة رشدها ـ لابد أن يرفع عنها الوصاية في حركات حياتها العملية الواقعية، فلو كان وجود القيادة الراشدة يمنع الشورى ويمنع تدريب الأمة عليها تدريبًا عمليًّا واقعيًّا في أخطر الشؤون لكان وجود النبي ﷺ ومعه الوحي كافيًا لحرمان الجماعة المسلمة من حق الشورى وبخاصة في المواقف الحرجة مثل أُحد، ولكن الإسلام في وجود النبي ﷺ يقرر هذا المبدأ ويثبته في حياة الأمة المسلمة، والشورى محصورة في كل ما لا نص فيه: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾[آل عمران: ١٥٩]». [مفاهيم تربوية من غزوة أحد لعبَّاد ٤٠-٤١].

---

(١) سبق تفصيله في الدروس العسكرية المستفادة من المرحلة الأولى من غزوة بدر الكبرى تحت عنوان «**إشراك القائد للآخرين في القرار العسكري**».

٥ ـ ضرر تغليب المصلحة الخاصة على ما يبدو من مصلحة عامة:

يقول الشيخ أبو خوات: «ذلك أن ناسًا من المسلمين الذين لم تسعدهم المقادير بالخروج مع الرسول ﷺ في غزوة بدر، ألحت عليهم رغبتهم في تعويض هذا التخلف في أن يطلبوا إلى رسول الله ﷺ الخروج إلى أُحد لملاقاة المشركين من قريش وحلفائهم من الأحابيش مبررين طلبهم بأنه يجعل المشركين يعرفون للمسلمين شجاعتهم وإقدامهم وإقبالهم على قتال عدوهم مهما كان أمره.

وكان رسول الله ﷺ ـ بعدما تلقى كتاب عمه العباس رضي الله عنه الذي يخبره فيه سرًا بخروج قريش إلى يثرب لقتال المسلمين ـ كان يرى البقاء في مدينته والدفاع عنها، وعدم الخروج، وكان هذا رأي **عبد الله بن أُبَيِّ بن سلول** رأس المنافقين، ولكن الذي حدث أن هؤلاء المسلمين الذين فاتتهم بدر استطاعوا أن يكتلوا الأغلبية على رأيهم، فنزل الرسول ﷺ على رأيهم كارهًا، ودخل إلى بيته بعد صلاة الجمعة ومعه صاحباه وبينما هما يلبسانه ويعممانه ظن المسلمون في الخارج أنه لن يخرج من حجرته للقتال، فقال سعد بن معاذ وأسيد بن حضير لمن كانوا في انتظار خروج الرسول ﷺ إليهم: **قُلتُمْ لِرَسُولِ الله ﷺ مَا قُلتُمْ، وَاسْتكْرَهْتُمُوهُ عَلَى الخُرُوجِ، وَالأَمْرُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنْ السَّماءِ فَرُدُّوا الأَمْرَ إِلَيْهِ**، ولكنه ﷺ خرج لابسًا ملابس الحرب ومتقلدًا سيفه، فلما قالوا له: **مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُخَالِفَكَ فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ**، رد عليهم بتلك الجملة المشهورة التي تُعوِّد المسلم على حسم الأمور الهامة وعدم تركها لِلّجاج والجدل متى نالت رأي أغلبية الناس، قال لهم: **لا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إذَا لَبِسَ لأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ**...

أقول: نزل الرسول ﷺ على رأي الأغلبية مع كراهيته له، ولم ينزل عبد الله بن أبي على رأيهم، بل جعل يزين رأيه ويقويه بأمرين: أمر مجرب جرت به العادة، وأمر يخطط فيه للمعركة وكيف تكون إذا نزل الناس على رأيه:

فقال في الأمر الأول: «**يَا رَسُولَ الله، أَقِمْ بِالمَدِينَةِ لَا تَخْرُجْ إِلَيهِمْ، فَوَاللهِ مَا خَرَجْنَا مِنْهَا إِلَى عَدُوٍّ لَنَا قَطُّ إِلَّا أَصَابَ مِنَّا، وَلا دَخَلَهَا عَلَيْنَا إِلَّا أَصَبْنَا مِنْهُمْ**».

وقال في الأمر الثاني: «**فَدَعْهُمْ يَا رَسُولَ الله، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَحْبِسٍ، وَإِنْ دَخَلُوا قَاتَلَهُمْ الرِّجَالُ فِي وُجُوهِهِمْ، وَرَمَاهُمْ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ بِالحِجَارَةِ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَإِنْ رَجَعُوا رَجَعُوا خَائِبِينَ**».

فالرأي الأغلب انساق مع الحماسة ونداء الشجاعة وما إليها ناسيًا أنه يقرر مصير أمة ومستقبل بشرية وكيان دين، والرسول ﷺ ـ كما قررنا سابقًا ـ كان ينفذ رأي الأغلبية ـ فيما لم ينزل فيه وحي ـ وإن كان على غير رغبته.

ومن هذه القصة نتعلم أن مواقف الحرب والسلام يجب أن تحظى بالدراسة المستأنية الواثقة كلما أتيحت الفرصة لهذه الدارسة؛ ليكون الرأي حاسمًا والقرار قاطعًا لا تردد فيه، مع مراعاة عمل كل ما في الوسع لإغلاق باب الفُرقة والخلاف بين المسلمين، فقد ترتب على قرار الخروج إلى المشركين أن انخذل ثلث الجيش نزولًا على رأي ابن أُبي.. مما آلم النبي ﷺ والمسلمين أيما إيلام، وفي هذا ما فيه..».
[دروس من غزوات الرسول ﷺ لأبي خوات ٣٧-٤٠].

٦ ـ قرارات مستقبل الأمَّة في المعارك الحربية يجب أن لا تخضع للعواطف:

يقول الشيخ عرجون: «وفي هذا الموقف درس من دروس منهج الرسالة الخالدة محصله أن اتخاذ القرارات في المعارك الحربية ونقض هذه القرارات يجب أن لا تخضع للعواطف النفسية مهما تبلغ من الإخلاص واحتمال تحقيق الهدف المطلوب، وإنما ينبغي أن تسبق هذه القرارات دراسة واعية متعمقة تبلغ بها مداها في الكشف عن الحقائق المحيطة بالموقف من جميع جوانبه، وعلى ضوء هذه الدراسة تتخذ القرارات في المعارك التي يرتبط بها مستقبل المجتمع، ثم يعقبها التنفيذ دون تردد مهما كانت العواقب.

والنبي ﷺ بوصفه نبيًّا رسولًا، وقائدًا لمجتمعه في حربه وسلمه كان قد درس مع أصحابه الموقف دراسة وافية واستشارهم فيه، وأخبرهم برؤياه وما أوَّلها به، وأخبرهم أنه بمقتضى وحي الرؤيا التي رآها في منامه ـ ورؤيا الأنبياء وحي ـ يرى أن يمكثوا بالمدينة، فإن دخل عليهم عدوهم قاتلوه في أزقتها وفجاجها ومن أسطح بيوتها، ولا يخرجوا منها لملاقاة عدوهم خارجها.

فخالفه الذين لم يشهدوا بدرًا، وسمعوا بفضلها وفضل شهودها، وأرادوا مخلصين مع عواطفهم أن يكون لهم من هذه الغزوة التي حضرتهم، وجاءهم فيها العدو إلى بلدهم لمهاجمتهم عوضًا عما فاتهم من فضل بدر، وتهيأ رسول الله ﷺ للقتال خارج المدينة عملًا بمقتضى رؤياه المنامية، ولبس أداة الحرب وخطب الناس وحرضهم على القتال، وحثهم على الصبر والجد، وتهيأ الناس للخروج، وفرح الذين كانوا يرونه أمنية ساقها الله إليهم، ولكنهم وجدوا من بعض الأكابر مَنْ ندَّمهم على ما كان منهم من استكراه رسول الله ﷺ على الخروج وهو أعلم بالله وما يريد، ينزل عليه الوحي من السماء فندموا وردوا الأمر إليه ﷺ وقالوا معتذرين: **ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما تريد.**

ولكنه ﷺ أبى عليهم أن يرجع عن عزيمته وإصراره على الخروج لملاقاة عدوه خارج المدينة.

وقد كان في هذا الرد الحازم تعليم لهم ألا ينساقوا مع عواطفهم في مواقف تتعلق بمستقبل الدعوة إلى الله، وأخبرهم ﷺ بما أشعرهم بأن النفوس تهيأت للخروج ومواقفة العدو خارج المدينة، فردُّها عن عزيمتها إضعاف لقوتها وتوهين لإرادتها وتثبيط لعزائمها، وإن من سنن النبوة في قيادة المعارك الجهادية لإعلاء كلمة الله أن لا ترجع إذا توجهت، وأن لا تتوقف إذا صممت، وأن لا تتردد إذا

عزمت، ولا تنقض ما أبرمت، وأن لا تجادل إذا درست، وأن لا تخشى اللوم إذا شاورت، وأن لا تظهر أمام أعدائها بمظهر المتراجع قبل أن يحكم الله بينها وبين أعدائها في معمعة الحرب».

[محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٣/ ٥٥٥-٥٥٦].

٧ ـ التردد يعطل الحياة ويفسدها:

يقول ل/ فرج: «وضع رسول الله ﷺ مبدأ هامًّا هو أنه إذا ما تقرر الخروج للقتال، وتم الاستعداد له وأخذت الأهبة للجهاد، فلا يجوز الرجوع فيه مهما كانت الظروف، فإن التردد مرض، والرجوع عن موقف يقرر مفسدة، وإذا كان التردد في شأن من شؤون الحياة يعطله ويفسده، فإن التردد في شؤون الحرب هو أمر قاتل، يؤدي إلى نتائج خطيرة لا تؤثر على فرد، ولكن قد تؤثر على أمة بأجمعها.

وواضح أن هذا المبدأ تقرر حين أخذ المسلمون بالرأي القائل بالخروج، بينما كان رسول الله ﷺ يرى البقاء في المدينة والدفاع عنها ورد العدوان عليها، فلما دخل الرسول ﷺ بيته ليُعِد نفسَه للخروج، تحدث المسلمون بأنهم قد ألزموا رسول الله ﷺ برأي لا يراه وندموا على ذلك، ورأوا أن يدعوا الأمر له يقرر فيه ما يشاء وهم سامعون له مطيعون، فلما خرج عليهم أقبلوا عليه وقالوا: «**استكرهناك ولم يكن ذلك لنا، فإن شئت فاقعد صلى الله عليك**»، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل**».

وهكذا أرسى رسول الله ﷺ قاعدة هامة، ذلك أن الرأي الذي يُتفق عليه لا يصح أن يكون موضع تردد حسمًا للأمور وفضًا للنزاع، فإن فساد الرأي في التردد». **[العبقرية العسكرية لفرج ٢٥٠-٢٥١].**

٨ ـ ضرورة تطبيق مبدأ الكتمان:

يقول د/ الرشيد: «تجلى تنفيذ هذا المبدأ في غزوة أُحد في الظروف الآتية:

الفرع الأول: كتمان خبر تحرك قريش: عندما وصلت رسالة العباس إلى النبي قرأها عليه أُبَيُّ بن كعب، فإذا فيها: «**إن قريشًا قد أجمعت المسير إليك...**»، وقد حرص النبي ﷺ على كتمان هذا الخبر، ويتبين ذلك مما يأتي:

أولًا: أنه حين قرأ أُبي رضي الله عنه الرسالة على النبي ﷺ استكتمه ما فيها، فقد قال الواقدي: «فَقَرَأَهُ عَلَيْهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ رضي الله عنه، وَاسْتَكْتَمَ أُبَيًّا مَا فِيهِ».

ثانيًا: أنه ﷺ حين دَخَلَ مَنْزِلَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ رضي الله عنه، فَقَالَ ﷺ: «**فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ؟**»، فَقَالَ سَعْدٌ رضي الله عنه: **لا، فَتَكَلَّمْ بِحَاجَتِكَ**، فَأَخْبَرَهُ بِكِتَابِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ... فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ وَاسْتَكْتَمَ سَعْدًا رضي الله عنه الْخَبَرَ.

ثالثًا: أنه حين خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ خَرَجَتْ امْرَأَةُ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ ﷺ إِلَيْهِ فَقَالَتْ: **مَا قَالَ لَكَ رَسُولُ الله؟ فَقَالَ: مَا لَكِ وَلِذَلِكَ لا أُمَّ لَكِ؟ قَالَتْ: قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ عَلَيْكَ.**

وَأَخْبَرَتْ سَعْدًا ﷺ الخَبَرَ، فَاسْتَرْجَعَ سَعْدٌ ﷺ، وَقَالَ: **لا أَرَاكِ تَسْتَمِعِينَ عَلَيْنَا وَأَنَا أَقُولُ لِرَسُولِ الله ﷺ تَكَلَّمْ بِحَاجَتِكَ**، ثُمّ أَخَذَ يَجْمَعُ لَبَّتَهَا، ثُمَّ خَرَجَ يَعْدُو بِهَا حَتَّى أَدْرَكَ رَسُولَ الله ﷺ بِالجِسْرِ، وَقَدْ بَلَحَتْ (انقطعت من الإعياء فلم تقدر أن تتحرك)، فَقَالَ: **يَا رَسُولَ الله! إِنَّ امْرَأَتِي سَأَلَتْنِي عَمَّا قُلْتَ، فَكَتَمْتُهَا، فَقَالَتْ: قَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ رَسُولِ الله، فَجَاءَتْ بِالحَدِيثِ كُلِّهِ، فَخَشِيتُ يَا رَسُولَ الله أَنْ يَظْهَرَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ فَتَظُنَّ أَنِّي أَفْشَيْتُ سِرَّكَ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**خَلِّ سَبِيلَهَا**».

ومن العبر التي تُؤْخَذُ من هذه الحادثة، أنه يجب على العسكريين بعامة، والقادة بخاصة أن يُخفوا الأسرار العسكرية وما يتصل بها، وأن يكتموا ذلك كله حتى عن أقرب الناس إليهم، وهم الزوجات ومن في حكمهنَّ، وإذا دعت الضرورة إلى نشر شيء من ذلك فينبغي أن يكون لمن يحفظ السرَّ حتى لا يلحق الأمة ضرر بسبب ذلك.

ولعل من حِكَم كتمان خبر قريش في أول الأمر ـ والله أعلم ـ هو خوف الرسول ﷺ من أن يؤثر هذا الخبر على معنويات المسلمين، حتى يقابل هذا الأمر بما يناسبه من تخطيط واستعداد.

الفرع الثاني: اختيار الوقت والطريق المناسبين: اختار الرسول ﷺ وقتًا وطريقًا مناسبين عند التحرك إلى أُحُد، فقد تحرَّك بعد منتصف الليل، حيث يكون الجو هادئًا والحركة قليلةً، وفي هذا الوقت بالذات يكون الأعداء ـ غالبًا ـ في نوم عميق؛ لأن الإعياء ومشقة السفر قد أخذَا منهم مجهودًا كبيرًا.

ومن المعلوم أن من كان كذلك، فإن نومه يكون ثقيلًا لا يشعر إلا بالأصوات العالية والحركة الثقيلة، ثم إن في هذا الوقت متسعًا لكي يمكن تبييتُهم. [ينظر: **تفريج الكروب في تدبير الحروب ص ٦٧**].

قال الواقدي ﷺ: «وَنَامَ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى أَدْلَجَ فَلَـمَّا كَانَ فِي السَّحَرِ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَيْنَ الأَدِلَّاءُ؟**». [**المغازي للواقدي ١/ ٢١٧**].

ثم إنه ﷺ اختار كذلك الطريق المناسب الذي يسلكه حتى يصل إلى أرض المعركة، وذكر صفةً ينبغي أن تتوافر في هذا الطريق وهي السِّرِّيَّةُ، حتى لا يرى الأعداء جيش المسلمين، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى القَوْمِ مِنْ كَثَبٍ ـ أَيْ مِنْ قُرْبٍ ـ مِنْ طَرِيقٍ لَا يَمُرُّ بِنَا عَلَيْهِمْ؟**» فأبدى أبو خيثمة ﷺ استعداده قائلًا: أنا يا رسول الله، ونَفَذَ به بين بساتين بني حارثة.

ولا شك في أن مرورَه ﷺ بين الأشجار والبساتين، يدلُّنا على حرصه ﷺ على الأخذ بمبدأ الكتمان في أثناء السير؛ لأن الطرق العامة تكشف للأعداء عن مقدار قوات المسلمين، وهذا أمرٌ محذور.

فالرسول ﷺ في هذا المقام أخذ بمبدأ الكتمان من حيث الزمان والمكان، وهو يعلِّم القادة من بعده أن يسلكوا هذا المنهج، لئلا يتمكن الأعداء من معرفة قواتهم، فيضعوا الخطط المناسبة لمجابهتها، وبذلك يذهب تنظيم القادة وإعدادهم لجيوشهم أدراج الرياح.

الفرع الثالث: الصَّمت في ميدان المعركة: في ساحات القتال يحرص كل خصم على الفَتْكِ بخصمه، ويسلك في سبيل تحقيق ذلك كل ما في وسعه.

لذا فإن رفع الأصوات ومناداة الشخصيات البارزة، أو الإشارة إلى أماكنهم في ميدان المعركة، من الأمور المحظورة التي ينبغي تجنُّبُها، لما يُحْدِثُه ذلك من أثر سيء، ومن الأدلة على ذلك:

ما رواه كعبُ بنُ مالكٍ ﷺ قال: «لـمَّا كان يوم أحد وصرنا إلى الشِّعبِ، كنت أول من عرفته ﷺ، فقلت: هذا رسول الله ﷺ فأشار إلي بيده أن اسْكُتْ».

[أخرجه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار، ورجال الأوسط ثقات. **مجمع الزوائد ٦/ ١١٢**].

والحكمة - والله أعلم - من أمره ﷺ لكعب بالسكوت وإن كان ﷺ معصومًا من الناس، هي إرشاد المؤمنين من بعده إلى كتمان الأصوات التي من شأنها إلحاق الضرر بعسكر المسلمين، ومن ذلك الإشارة إلى أماكن وجود القادة في أرض المعركة، وذلك أن الأعداء يحرصون على الفتك بالقائد العام؛ لأن في قتله انهزامًا لجنده، وتفريقًا لقواته فتكون نهاية المعركة لصالحهم.

وقد اقتدى الصحابة ﷺ بالرسول ﷺ في هذا الشأن فكانوا يكرهون رفع الأصوات في ميدان القتال، فعن قيس بن عُباد ﷺ أنه قال: «**كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ يَكْرَهُونَ الصَّوْتَ عِنْدَ الْقِتَالِ**». [أبو داود في الجهاد (٢٦٥٦)، وقال الألباني: صحيح موقوف]». [القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ للرشيد ٣٩٠-٣٩٣].

٩ - مراعاة القائد ظروف جنده التي تمنعهم من المشاركة في القتال:

يقول ل/ فرج: «**ولقد أعفى رسول الله ﷺ مَنْ كانت ظروفه لا تسمح له بالمشاركة في القتال**، وبذلك كان ﷺ يخفف عن المسلمين أعباءهم، ولا يثقلهم بما يزيد على طاقتهم، ذلك أن الإسلام دين يسر ولين، إلا أن رسول الله ﷺ أذن لجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ﷺ بالخروج معه رغم ظروفه العائلية، فقد خلفه أبوه على سبع بنات واستأثر بالشهادة في أُحد، ولما دعا رسول الله ﷺ قومه للخروج إلى حمراء الأسد رغب جابر ﷺ في الشهادة والجهاد، فأذن له الرسول ﷺ، رغم أنه ﷺ كان قد قرر ألا يخرج معه أَحد إلا أصحاب أُحد فقط، وكذلك أذن رسول الله ﷺ لعمرو بن الجموح ﷺ، فقد كان يشكو عرجًا وأراد أبناؤه حبسه عن الخروج، إلا أنه لجأ إلى رسول الله ﷺ وقال له: «**والله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة**»، فقال له الرسول ﷺ: «**أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك**»، ثم قال لبنيه: «**ما عليكم**

أن لا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة»، فخرج مع الخارجين حتى لا يحرمه رسول الله ﷺ من أمل يرجوه ورغبة يسعى إليها وأمنية تجول في فكره وخاطره». [العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ لفرج ٢٤٩].

١٠ ـ التخطيط العسكري [(١)]:

يقول د/ أبو فارس: «وفي غزوة أحد قرر الرسول ﷺ نزولًا عند رأي الأغلبية أن يخرج لملاقاة جيش المشركين، وقد جاءت التقارير أن المشركين قد وصلوا بالقرب من المدينة، وأنهم قد خلوا إبلهم في الزرع الذي بالعريض حتى تركوه قاعًا بلقعًا. [الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٣٧].

وكانت خطة الرسول ﷺ إزاء ذلك إعلان حالة الطوارئ العامة، وتجهز الجميع للقتال، وأن يمضوا ليلتهم في حذر شديد، كل يصحب سلاحه، ولا يفارقه حتى في نومه، وأمر رسول الله ﷺ بحراسة المدينة، واختار هو بنفسه خمسين من أشداء المسلمين ومحاربيهم بقيادة محمد بن مسلمة رضي الله عنه.

والاهتمام بالحراسة من الأمور الهامة التي تعتني بها الجيوش العصرية اليوم، وهو ما يُسمى في العصر الحديث باصطلاح العسكريين بالأمن العسكري، فكل مقاتل بحاجة إلى النوم والراحة، وهذا يتسنى له إذا توفر الأمن له بالحراسة الشديدة التي يطمئن إليها.

وقبل الخروج عبأ رسول الله ﷺ أصحابه، فخطب فيهم يحرضهم على القتال وحضهم على الثبات والصبر، ويبشرهم بالنصر إن هم صبروا واتقوا ويأمرهم بالطاعة.

وبقية عناصر الخطة كانت على النحو التالي:

(١) **وقت السير والحركة**: لقد اختار الرسول ﷺ وقتًا لتحرك الجيش الإسلامي يصعب على العدو أن يكشفه في سيره، فقد أمر الجيش بالمسير بعد منتصف الليل، ووصل قبل بزوغ نور الفجر، ثم أمر بالأذان فأذن، وصلى رسول الله ﷺ بالمسلمين.

إن الوقت الموفق الذي اختاره النبي ﷺ في سيره لأرض المعركة يستفاد منه درس في التحرك العسكري، وهو السِّرِّيَّة في التحركات العسكرية، والحرص الشديد على ألا تكشف التحركات السرية للجيش الإسلامي؛ لذا نراه قد اختار الهزع الأخير من الليل لتحركه، وفي هذا الوقت بالذات يكون العدو نائمًا قد أتعبه السهر، وأنهكه طول السفر وبُعد الشقة.

(٢) **طريق الوصول إلى أرض المعركة**: ويؤخذ من طريق الرسول ﷺ إلى أرض المعركة ما يلي:

أ ـ لقد حرص النبي ﷺ أن يسلك طريقًا لا يمر بها من أمام جيش المشركين، ولعل هذا التصرف نابع من حرص النبي ﷺ على ألا يطلع جيش الأعداء على قوة المسلمين وهي تسير، فيحزرها ويضع

---

(١) ينظر ذلك أيضًا في الدروس العسكرية من المرحلة الثانية من غزوة بدر الكبرى.

الخطة على ضوء ذلك لقتالها، وقد تغري قلة المسلمين هؤلاء المشركين على مهاجمتهم ومباغتتهم، وفي هذه الحالة تكون قدرة الجيش الإسلامي ضعيفة على القتال، وليس لديه خطة تسعفه وهو يقاتل، فتكون الكارثة، فإنه لا أمانة لمشرك، والمشركون لا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمة.

ولعل حرص النبي ﷺ على ألا يمر أمام جيش المشركين كان تجنبًا لكمائن قد وضعوها لمباغتة المسلمين.

ب ـ لقد مر النبي ﷺ بالجيش الإسلامي من بين البساتين حيث يختفي الأفراد بين الأشجار وفي ظلها في الليل فيما لو كانت الليلة مقمرة، ويخف الصوت والجلبة.

ج ـ وهذا ولا شك قد سبب إتلافًا لبعض المزروعات والأشجار لأهل المدينة.

ويؤخذ من هذا أن المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة، والمصلحة العامة هنا تكمن في وصول الجيش الإسلامي سالـمًا إلى أرض المعركة دون أن يتعرض لأذى يتوقعه من المشركين، وهذه المصلحة لا تتحقق إلا بالسير في هذا الطريق المتسبب في إتلاف بعض الأموال الخاصة.

إن الإسلام يقرر أن للدولة الحق في تخطي الحق الخاص، ونزعه إذا كان للجماعة مصلحة عامة تتحقق من وراء ذلك.

(٣) **موقع المعركة**: لقد اختار رسول الله ﷺ معسكره في الوادي قريبًا من قريش، وجعل ظهر الجيش الإسلامي إلى جبل أحد، ووضع على الجبل خمسين راميًا بقيادة عبد الله بن جبير رضي الله عنه ليحموا ظهور المسلمين من حركة التفاف متوقعة من المشركين وخاصة من سلاح الفرسان.

فاختيار الموقع يدل على براعة النبي ﷺ العسكرية: فعدد المشركين غفير، وسلاحهم وفير ومتنوع، وربما فكروا بحركة التفاف من الخلف، فالرماة لهم بالمرصاد يرصدون حركاتهم من أعلى الجبل ويسددون ضرباتهم لهم، ويقتلون كل حركة في مهدها.

(٤) **حَمَلَة الرايات**: وكانت خطته في هذه الغزوة أن يختار ثلاث رايات، راية للأوس وراية للخزرج وراية للمهاجرين، فأعطى راية الخزرج للحباب بن المنذر رضي الله عنه، وراية الأوس أعطاها ﷺ إلى أسيد بن حضير رضي الله عنه، وأعطى لواء المهاجرين إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم أخذ النبي ﷺ اللواء من علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأعطاه لمصعب بن عمير رضي الله عنه وقال: «**نحن أحق بالوفاء**»، وفيه دلالة على أن العهود السابقة للإسلام التي لا تخالف الإسلام معتبرة، وينبغي الوفاء بها إذا لم تلغ، والمسلمون أولى الناس بالالتزام بها.

وقول النبي ﷺ: «**نحن أحق بالوفاء منهم**» إشارة إلى الاتفاق الذي جرى بين قريش قبل الإسلام وهو أن يكون حملة اللواء من بني عبد الدار. [**السيرة النبوية لابن دحلان ١/ ٢٣١**].

(٥) **التعليمات والأوامر العسكرية**: لقد وجه رسول الله ﷺ أوامره الصارمة المحددة لجميع المقاتلين قائلًا: «**لا تبرحوا حتى أوذنكم، لا يقاتلن أحد حتى آمره بالقتال**». [السيرة الحلبية ٢/ ٤٩٦]، وكذلك ما قاله للرماة.

إن الذي يتدبر التعليمات والأوامر العسكرية للرسول ﷺ يلاحظ أمرين:

الأمر الأول: حرص النبي ﷺ على الانضباط في القتال، وأن يكون القتال منظمًا وموجهًا بحيث تتضافر الجهود، وتكون مؤثرة في إضعاف قوة العدو وتبديدها، فقد اتخذ الرسول ﷺ القرار الأول: بأن يقف المسلمون موقف الدفاع القوي الذي يتصدى لهجمات العدو المتلاحقة، حتى ينهك قواه، ثم بعد ذلك يقوم بهجوم قوي فعال، يوجه الضربة القاصمة لأعدائه.

الأمر الثاني: أن اهتمام النبي ﷺ بجبل أُحد وإصدار التعليمات والأوامر العسكرية للرماة بألا يغادروا الجبل مهما كانت النتيجة، يدل على أهمية موقع الجبل الإستراتيجية، وأثره في نتيجة المعركة.

ولقد صدقت الأحداث صواب هذه الفكرة؛ إذ كانت كفة المسلمين راجحة حينما كانوا مسيطرين على الجبل، ورجحت كفة المشركين في المعركة لما سيطروا على هذا الجبل.

(٦) **الشعار في المعركة**: لقد اختار رسول الله ﷺ شعارًا للمسلمين في هذه المعركة هو: «أمت أمت».

يستفاد من اختيار النبي ﷺ شعار أمت في المعركة أمران:

الأول: أن شعار «أمت أمت» يزيد المسلمين قوة في الروح المعنوية وهو تفاؤل بالنصر وبقتل أعدائهم وانتصارهم عليهم، وفي نفس الوقت هو إرهاب للمقاتلين من المشركين، فإن المشرك حين يسمع المسلم يقول لأخيه وقد أقبلا عليه: أمت أمت، أي اقتل اقتل، تَطِير نفسه شعاعًا من أبطال أصحاب الشعار.

الثاني: أن الشعار بحد ذاته بمثابة كلمة سر الليل للمعركة العسكرية عند العسكريين، به يتعارف المقاتلون بعضهم على بعض، ويتميز المؤمنون من الكافرين».

[المدرسة النبوية العسكرية لأبي فارس ٩٧-٩٩، غزوة أُحد لأبي فارس ٦٢-٦٥].

ويقول د/ الحميدي: «في هذا الخبر مواقف وعبر منها:

أولًا: حُسن اختيار رسول الله ﷺ لمكان المعركة وبُعد نظره في التخطيط الحربي، فالمسلمون كانوا مشاة بينما يتفوق عليهم المشركون بسلاح الفرسان الذين يبلغون مائتين، وهم الذين يتقدمون في الهجوم عادة، فالمشركون قد اختاروا الأرض الصالحة للطراد والكر والفر فأبعدوا عن الجبل حتى يستفيد من فرسانهم، لكن الرسول ﷺ اختار الأرض المجاورة لجبل أحد ليعوق من سرعة الخيل ويحرم المشركين من الاستفادة الكاملة من فرسانهم.

هذا إلى جانب كون جبل أحد ـ بارتفاعه ومنعرجاته ـ يعتبر حصنًا وملجًا للمسلمين فيها لو أصـيبوا من أعدائهم.

ولما كان ذلك الموقع الحصين يشتمل على ثغرة خطيرة يمكن للأعداء أن ينفذوا منها إلى جيش المسلمين فإن رسول الله ﷺ قد رتب فيها أمر الحماية حيث أمر خمسين من الرماة بقيادة عبد الله بن جبير ﷺ بالمرابطة فوق جبل عينين الصغير المطل على تلك الثغرة ليصدوا جيش الأعداء فيما لو جاؤوا المسلمين من خلفهم.

ثانيًا: كون النبي ﷺ تحصن بدرعين دليل على مشروعية الاحتياط للنفس وأن أخذ الأسباب لا ينافي التوكل على الله جل وعلا.

وقد فعل النبي ﷺ ذلك مع أن الله تعالى قد عصمه من الأعداء؛ لأنه مشرع لأمته فهو يفعل ما يشرع لكل مسلم أن يفعله حيث إنه قدوة عليا لكل المسلمين». [**التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ٨٦-٨٧**].

١١ ـ استعمال الرايات والألوية:

سبق تفصيله في دروس سرية حمزة ﷺ إلى العيص ١هـ.

١٢ ـ استعمال الشعار في الحرب:

سبق تفصيله في دروس المرحلة الأولى من غزوة بدر الكبرى.

١٣ ـ اتخاذ الأدلاء والخبراء في التحركات العسكرية [(١)]:

يقول د/ أبو فارس: «والذي يستعرض سيرة رسول الله ﷺ نجده حريصًا على الاستفادة من الخبراء بالطرق العسكرية الآمنة، فكان ﷺ يختار الأدلاء، وكانوا مهرة في هذا الفن، وكانت الأهداف المنشودة تتحقق باستخدامهم، إذ كانوا يرشدون الجيوش إلى الطرق الآمنة فتسلكها، وإلى أقصر هذه الطرق أحيانًا مع أمنها لتصل إلى أهدافها بسرعة.

فالسيرة تخبرنا أن رسول الله ﷺ قد استعان بعبد الله بن أريقط المشرك واتخذه دليلًا في طريقه إلى المدينة في هجرته إليها، وكان معروفًا بأنه ماهر في معرفة الطرق الآمنة. [**زاد المعاد ٣/ ٥٢**].

ونجد الرسول ﷺ في **غزوة أحد** حينما أراد أن يصل إلى موقع المعركة وقريبًا من منزل المشركين قال لأصحابه: «**مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى القَوْمِ مِنْ كَثَبٍ ـ أَيْ مِنْ قُرْبٍ ـ مِنْ طَرِيقٍ لَا يَمُرُّ بِنَا عَلَيْهِمْ؟**»، فَقَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ أَخُو بَنِي حَارِثَةَ بْنِ الحَارِثِ: **أَنَا يَا رَسُولَ الله!** فَنَفَذَ بِهِ فِي حِرَّةِ بَنِي حَارِثَةَ، وَبَيْنَ أَمْوَالِهِمْ حَتَّى سَلَكَ فِي مَالٍ (حَائِطٍ) **لِمِرْبَعِ بْنِ قَيْظِيٍّ**. فتابع سيره حتى وصل قبيل بزوغ الفجر المكانَ الذي أراده رسول الله ﷺ». [**المدرسة النبوية العسكرية لأبي فارس ١٩٢**].

---

(١) ينظر في ذلك أيضًا ما سبق تفصيله في الدروس المستفادة من المرحلة الأولى من غزوة بدر الكبرى.

١٤ ـ أهمية التعتيم على العدو:

ما حققه المسلمون بالعبور السريع إلى أُحد:

يقول د/ أبو خليل: «إن قاعدة فقهية تقول: **درء المفاسد أَوْلى من جلب المنافع**.

إذا وُجِد ضرر عام سيحل في الأمة كلها، وهو هنا خطر العدو المهاجم للمدينة المنـورة، فـإن فـوات بعض المصلحة من فرد واحد، أو أكثر، يقدَّم عليها الصالح العام على الصالح الخاص.

لقد حقَّق ﷺ بعبوره السريع باتجاه أحد عبر حائط مربع المنافق أهدافًا هامة:

١ـ لم تر قريش عدد قواته ﷺ، فلو مرَّ بهم عن قرب لعرفوا إمكانات المسلمين، وكشفوا قلة عددهم.. وبصورة عامة، لعرفت قريش ما لا يجب أن يعرفوا.

٢ ـ حقَّق رسول الله ﷺ الوصول من أقرب طريق، فوصل المسلمون إلى أُحُد في غاية السرعة، مع تمام الراحة الجسمية أيضًا.

٣ ـ وكَسْبُ الزمن شيء هام عظيم في الحروب، لقد وصل ﷺ ليضع خطته الحربية حسب طبيعة الأرض، مع أخذ المكان المناسب التحصين، والذي يتلاءم مع قلة عدد المسلمين وكثرة عدد عدوهم.

والنبي ﷺ لما مرَّ ومن معه في أرض مربع بن قيظي المنافق، لم يخرِّبوا شيئًا، ولم يخسر ابن قيظي من أرضه أو ثمره شيئًا، مما يدل على نفاقه وحبه تأخير المسلمين، وسلوكهم طريقًا طويلًا، مما يضيع على المسلمين الفرصة والزمن، فيتحقَّق ما يريده المنافقون، انهزام المسلمين وانكسارهم، وسيظهرون شماتتهم ـ في المدينة وما حولها ـ بعد أُحُد». [**غزوة أُحد لأبي خليل ٢٩-٣٠**].

١٥ ـ التعبئة المعنوية:

يقول د/ أبو فارس: «لقد استطاع رسول الله ﷺ أن يبث في الصحابة في كل غزواته وسراياه روحًا معنوية عالية في القتال.

وفي غزوة أُحد ترى هذه الروح المعنوية العالية في القتال تبدو في أمور وأحداث كثيرة، منها حينما استشار رسول الله ﷺ أصحابه في غزوة أحد كانت الأكثرية تريد الخروج والتصدي للمشركين، وظهرت على ألسنتهم المعبرة عما في قلوبهم روحًا معنوية عالية، وحماسًا شديدًا منقطع النظير، وتباروا في التعبير عن سرورهم وحماسهم للقتال.

وقد رأينا أقوال عبد الله بن جحش، وعمرو بن الجموح، وغيرهما رضي الله عنهم.

ولقد بلغت الروح المعنوية العالية قمتها في تنافس الصغار الذين لم يبلغوا خمسة عشر عامًا على الخروج لقتال صناديد قريش الحاقدين الموتورين الذين جاؤوا ليثأروا لقتلاهم وأسراهم في بدر.

وكتب السيرة تحدثنا عن ذلك فتقول: وتنافس الصبيان في الخروج لقتال المشركين وتدافع الناس كما رأينا من قبل». [**المدرسة النبوية العسكرية لأبي فارس ١٤٥-١٤٧ بتصرف**].

١٦ ـ القضاء على أسباب ضعف الروح المعنوية:

ويقول د/ الرشيد: «ظهر في غزوة أُحد موقفان يستدعيان المعالجة لدى جيش المسلمين؛ لأن بقاءهما سيكون سببًا في ضعف الروح المعنوية، ولكن الرسول ﷺ بما أُوتِيَ من حكمةٍ ورجاحة عقل، عالج كل واحد من هذين الموقفين بما يراه كافيًا لحسم مادة الفساد، التي يمكن أن تنجم عن إهماله، ويتمثل ذلك في الفرعين التاليين:

الفرع الأول: ردُّ من كان دون البلوغ: حين وصل النبي ﷺ بجيشه إلى مكان يقال له «الشَّيْخَين» استعرض جيشه فأجاز مَنْ كان أهلًا للقتال، وردَّ من كان بخلاف ذلك، قال الطبري: «وعرض رسول الله ﷺ المقاتلة بالشيخين بعد المغرب، فأجاز من أجاز وردَّ من ردَّ». [**تاريخ الطبري ٢/ ٥٠٥**].

وعددهم أربعة عشر غلامًا. [**ينظر: مجمع الزوائد ٦/ ١٠٨، وعيون الأثر ٢/ ٧**].

وقد أجاز ﷺ مَنْ كان سِنُّهُ خمس عشرة سنة فأكثر، وردَّ من كان دون ذلك.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَرَضَهُ يَوْمَ أُحُدٍ وَهْوَ ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ فَلَمْ يُجِزْهُ، وَعَرَضَهُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَهْوَ ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ فَأَجَازَهُ. [**البخاري في المغازي(٤٠٩٧)، وفي الشهادات (٢٦٦٤)، وأبو داود في الحدود (٤٤٠٦)، وابن ماجه في الحدود (٢٥٤٣)**].

وقد استدل ابن حجرٍ رحمه الله بهذا الحديث على أنه ينبغي لقائد الجيش أن يستعرض مَنْ يخرج معه للقتال، فمَنْ وجده أهلًا استصحبه وإلا ردَّه. [**ينظر: فتح الباري ٥/ ٢٧٩**].

ولا شك في أن استعراض الجيش من أهم الأمور التي ينبغي أن يُعْنَى بها القادة، حتى يَرُدُّوا مَنْ كان صغيرًا ونحوه؛ وذلك لأن صغار السن قد لا يثبتون في ميدان القتال، كما أنه يمكن أن يكثر فيهم القتل، فيسبب ذلك فتنة لباقي الجيش فَيَضْعُفُوا عن مجالدة الأعداء. [**ينظر: غزوة أُحد ـ د/ أبو فارس ص ٤٠**].

ولما كان وجود مثل هذا الأمر يُعَدُّ ضررًا يلحق بعامة الجيش، فإنه يجب دَفْعُه قبل بِدْءِ القتال، وهذا من باب «**سدِّ الذَّرَائِع**».

الفرع الثاني: خروج النبي ﷺ إلى حمراء الأسد بمن حضر يوم أُحُدٍ:

حين رجع النبي ﷺ من غزوة أُحد وسمع ما كانت تعزم عليه قريش من العودة إلى المدينة: خرج بمن حضر يوم أحد من المسلمين دون غيرهم إلى حمراء الأسد.

قال ابن حجرٍ: «قَالَ ابن إِسْحَاقَ: كَانَ أُحُدٌ يَوْمَ السَّبْتِ لِلنِّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ يَوْمَ الْأَحَدِ سَادِسَ عَشَرَ شَوَّالٍ أَذَّنَ مُؤَذِّنُ رَسُولُ الله ﷺ فِي النَّاسِ بِطَلَبِ الْعَدُوِّ، وَأَنْ لَا يَخْرُجَ مَعَنَا إِلَّا مَنْ حَضَرَ بِالْأَمْسِ، فَاسْتَأْذَنَهُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ الله رضي الله عنهما فِي الْخُرُوجِ مَعَهُ فَأَذِنَ لَهُ، وَإِنَّمَا خَرَجَ مُرْهِبًا لِلْعَدُوِّ، وَلِيَظُنُّوا أَنَّ الَّذِي أَصَابَهُمْ لَمْ يُوهِنْهُمْ عَنْ طَلَبِ عَدُوِّهِمْ، فَلَمَّا بَلَغَ حَمْرَاءَ الْأَسَدِ لَقِيَهُ سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَعْبَدِ الْخُزَاعِيُّ ـ فِيمَا

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ـ فَعَزَّاهُ بِمُصَابِ أَصْحَابِهِ، فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ لَقِيَ أَبَا سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ وَهُمْ بِالرَّوْحَاءِ، وَقَدْ تلوموا فِي أَنفسهم، وَقَالُوا: **أَصَبْنَا جُلَّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ وَأَشْرَافَهُمْ وَانْصَرَفْنَا قَبْلَ أَنْ نَسْتَأْصِلَهُمْ**، وَهَمُّوا بِالْعَوْدِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَخْبَرَهُمْ مَعْبَدٌ أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ خَرَجَ فِي طَلَبِكُمْ فِي جَمْعٍ لَمْ أَرَ مِثْلَهُ مِمَّنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ بِالْمَدِينَةِ، قَالَ: فَثَنَاهُمْ ذَلِكَ عَنْ رَأْيِهِمْ، فَرَجَعُوا إِلَى مَكَّةَ، وَعِنْدَ عَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ مِنْ مُرْسَلِ عِكْرِمَةَ نَحْوُ هَذَا».

[فتح الباري ٧/ ٣٧٣-٣٧٤، وينظر: الدرر في اختصار المغازي والسير ص ١٥٨، والبداية والنهاية ٤/ ٤٩].

وكان من الأهداف التي قصدها النبي ﷺ من خروجه إلى حمراء الأسد ـ والله أعلم: إرهاب الأعداء بإظهار القوة لهم ولو بعد الهزيمة، وتقوية الروح المعنوية لدى الصحابة رضي الله عنهم، ويتمثل هذا الهدف في تحقيق الاعتبارات الآتية:

أولًا: ألا يكون آخر ما تنطوي عليه نفوس الذين خرجوا يوم أُحد هو الشعور بالهزيمة.

ثانيًا: إعلامهم أن ما أصابهم في ذلك اليوم، إنما هو محنة وابتلاء اقتضتهما إرادة الله وحكمته، وأنهم أقوياء وأن خصومهم الغالبين في الظاهر ضعفاء.

ثالثًا: إعلامهم أن لهم الكَرَّة على أعدائهم، متى نفضوا عنهم الضعف والفشل، واستجابوا لدعوة الله ورسوله.

رابعًا: تجرئة الصحابة رضي الله عنهم على قتال أعدائهم **[ينظر: في ظلال القرآن ١/ ٥١٩]**».

[القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ للرشيد ٤٢٨-٤٣٠].

المبحث السادس
الدروس الدعوية

١ ـ المسلمون أولى بالإنفاق لدعوتهم من الكفار لباطلهم:

يقول د/ زيدان: «ذكرنا أن كفار مكة تبرعوا بأموالهم التي لهم في تجارتهم التي جاء بها أبو سفيان من الشام، تبرعوا لإعداد جيش يقاتلون به المسلمين انتقامًا لما أصابهم ببدر، وصدًّا عن سبيل الله بمحاربة النبي ﷺ والمسلمين، وفي إنفاقهم نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾[الأنفال].

على الدعاة تذكير المسلمين بهذا الأسلوب القديم والحديث في محاربة الإسلام والدعاة إليه، وهو أسلوب إنفاقهم أموالهم للصد عن دعوة الإسلام، ومحاربة الدعاة إليه، عن طريق إنفاقهم أموالهم في طرق شتى، وأساليب مختلفة، وعلى جهات ومؤسسات متنوعة؛ لغرض صد الناس عن دعوة الإسلام، ومحاربة الدعاة إليه.

وهذا الأسلوب الذي تبعه كفار قريش ـ إنفاق أموالهم لمحاربة الإسلام ودعاته عن طريق قتالهم ـ يفعله اليوم أعداء الإسلام ودعاتهم، يقول محمد رشيد رضا رحمه الله وهو يفسر هذه الآية التي ذكرناها في إنفاق أموالهم للصد عن سبيل الله، قال: «ومن العبرة في هذا للمؤمنين أنهم أولى من الكفار ببذل أموالهم وأنفسهم في سبيل الله؛ لأن لهم بها من حيث جملتهم سعادة الدارين؛ ومن حيث أفرادهم الفوز بإحدى الحسنيين... والكفار في هذا الزمان ينفقون القناطير المقنطرة من الأموال للصد عن الإسلام».
[تفسير المنار ـ الأنفال: ٣٦].

فالكفار يبذلون أموالهم للصد عن سبيل الله، وفي إقامة العقبات في وجه هذا الدين، وفي حرب الدعاة إليه في كل أرض وفي كل حين.

إن أعداء الإسلام لم يتركوا ولن يتركوا الدعاة إليه في راحة وأمن [في ظلال القرآن ٣/ ١٥٠٦ - ١٥٠٧]، فعلى المسلمين أن يقاتلوهم بإنفاق أكثر وجُهد أكبر لإفشال خططهم في محاربة الإسلام ودعاته».
[المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ١٩١-١٩٢].

٢ ـ يجب توظيف جميع المواهب والقدرات لدعوة الإسلام:

يقول د/ زيدان: «لقد ذكرنا أن المشركين من شدة حقدهم على المسلمين وعزمهم على محاربتهم والإعداد لهذه الحرب، استعانوا بالشعراء لتحريض القبائل على قتال المسلمين ومعاونة قريش على هذا القتال.

وعلى هذا فيجب على الدعاة حث جميع ذوي المواهب والقدرات من الأدباء والشعراء المسلمين على استعمال مواهبهم وقدراتهم الأدبية والشعرية في سبيل نُصرة الإسلام والدعوة إليه، إن الإسلام

ودعاته يتعرضون اليوم لحملة شرسة من أعداء الإسلام لم يشهد مثلها التاريخ من قبل، فعلى الدعاة تبصير ذوي القدرات والمواهب من المسلمين بهذا الواقع المرعب، فلا يجوز في دين الله أن يعيش الأدباء والشعراء في ترف عقلي وفي خيالات الشعراء وفي نظم القصيد في الحب والغزل ورصد الجمال وإنشاء القصص الخيالية التي تدغدغ أحاسيس الشباب والمراهقين، حرام عليهم أن يفعلوا ذلك ولا يستعملوا شعرهم وأدبهم في الدفاع عن دينهم والدعوة إليه، فقد صار دينهم هينًا على كل من يريد أن يهاجمه بالباطل وبالافتراءات بحجة حرية الرأي...

على الدعاة أن يُبَصِّروا الأدباء والشعراء بذلك، ويثيروا فيهم الغيرة على دينهم، حتى لا يكونوا أقل غيرة وحميَّة على دينهم من غيرة الكفار على باطلهم». [**المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ١٩٢**].

٣ ـ لابد للأمير من مشاورة أتباعه:

يقول د/ زيدان: «على أمير جماعة الدعاة إلى الله أن يتأسى برسول الله ﷺ ويقتدي به في مشاورته لأصحابه رضي الله عنهم، فقد كان ﷺ يشاور أصحابه وهو رسول الله ﷺ وتنفيذًا لأمر الله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فهل يجوز أن يهمل أي رئيس جماعة مسلمة مشاورة أفرادها؟

إن مشاورة أي أمير جماعة مسلمة لأفرادها مطلوبة شرعًا؛ فلا يجوز أن يهملها ولا ألا يأخذ بها، فكيف يجوز لجماعة الدعاة ـ وهي تدعو إلى الله وحسب مناهج الله ـ أن يترك أميرها مشاورة أفرادها من الدعاة فيما يخصُّ أمور الدعوة ومناهجها في التبليغ وسياستها في معالجة الأمور التي تتعلق بها؟

إن ترك المشاورة معصية ومخالفة لشرع الله، والشأن في أمير الجماعة المسلمة ـ جماعة الدعاة ـ ألا يتعمد المعصية والمخالفة لشرع الله، ومنها ترك المشاورة، ولا يصرَّ على هذه المخالفة».

[**المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ١٩٢-١٩٣**].

٤ ـ الشورى واجبة ولكنَّها مُعْلِمة وليست مُلزِمة:

ويقول د/ زيدان: «ويجب أن يعلم الدعاة بأن مشاورة أميرهم لهم في شؤون الدولة، وإن كانت واجبة عليه بحكم الشرع، ولكنها مُعلمة غير مُلزمة، بمعنى أن واجب الأمير أن يشاور وليس واجبًا عليه أن يأخذ برأي الأكثرية، فإذا شاور فقد خرج من عُهْدة هذا الواجب ـ واجب المشاورة ـ، أما بأي رأي يأخذ، فهذا متروك له، غير مقيَّدٍ برأي الأكثرية، ولا يُحتج علينا بأن النبي ﷺ كان رأيه عدم الخروج للقاء العدو في أحد والبقاء في المدينة، ولكنه أخذ برأي الأكثرية ـ القاضي بالخروج وعدم البقاء في المدينة ـ لا يحتج علينا بهذا القول بأن الشورى مُلزمة، أي على الأمير أن يأخذ برأي الأكثرية لا يحتج علينا بهذا؛ لأن النبي ﷺ هو رأى أن يأخذ برأي الأكثرية، وليس لأن رأي الأكثرية ملزمٌ للأمير، وكلامنا في مدى التزام الأمير برأي الأكثرية وإلزامه بهذا الرأي وليس كلامنا بجواز الأخذ برأي الأكثرية إذا رأى الأمير ذلك».

[**ينظر تفصيل هذه المسألة في كتاب: أصول الدعوة ـ د/ عبد الكريم زيدان**]. [**المستفاد لزيدان ٢/ ١٩٣**].

٥ ـ لا تردد في العزم على التنفيذ بعد المشاورة:

يقول د/ زيدان: «إن الذين رغبوا في الخروج إلى لقاء العدو وعدم البقاء في المدينة، وكانوا هم الأكثرية، ندموا على ما أشاروا به، وألحوا فيه، وقالوا: لقد رأينا غير ما رأى رسول الله ﷺ، فلما خرج ﷺ من بيته ـ بيت عائشة رضي الله عنها ـ وقد لبس لأمته، قالوا: يا رسول الله، إن شئت بقينا في المدينة ولم نخرج، فقال لهم ﷺ: «**لا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ**».

وبهذا ألقى النبي ﷺ على أصحابه درسًا بليغًا عاليًا، فللشورى وقتها حتى إذا انتهت جاء وقت العزم على التنفيذ والمُضي فيه مع التوكل على الله، ولم يعد هناك مجال للتردد ولا لإعادة الشورى أو التأرجح بين الآراء، وإنما يجب أن يأخذ العزم طريقه في التنفيذ ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء، [**الظلال ١/ ٤٦٠**]، فعلى الدعاة وأميرهم أن يفقهوا ذلك.

إن من واجب الأمير أن يشاور، ومن حق أتباعه من الدعاة أن يعلنوا آراءهم وإلى هنا ينتهي أداء الواجب واستيفاء الحق، وبعد ذلك يختار الأمير الذي يراه ويعزم على تنفيذه، ويمضي هو ومن شاورهم بجد في التنفيذ، كما لو كان رأي الأمير الذي اختاره هو رأي كل واحد من الدعاة، لا فرق بين مؤيد له أو معارض له وقت المشاورة، ولا يجوز أن يتردد الأمير في التنفيذ بعد أن عزم على الرأي الذي اختاره، كما لا يجوز للدعاة أن يخالفوا ما اختاره أميرهم، ولا أن يشيعوا بين أفراد الجماعة، أن رأيهم كان خلاف رأي الأمير، وأن رأي الأمير خطأ، ونحن ننفذه ونلتزم به مُكْرَهين، لا يجوز مثل هذا الكلام؛ لأنه يفتح بابًا للشيطان قد يليه انتقادات من بعض الدعاة ثم تمرد على التنفيذ، وهذا ما يريده الشيطان؛ لأنه يطمع أن يتبعه الانشقاق والفُرْقة بين أفراد الجماعة وجماعتهم، فليحذر الدعاة ذلك». [**المستفاد لزيدان ٢/ ١٩٣-١٩٤**].

٦ ـ يقظة الدعاة لأعداء الدعوة:

يقول أ/ عبَّاد: «لتتعلم الجماعة المسلمة من اهتمام الرسول ﷺ بمعرفة حجم الكفار ومدى تعدادهم وقوتهم أمرًا مهمًّا وهو الاستعداد الكامل للعدو ووضع الخطط المناسبة؛ لأن الدعوة تحتاج إلى عقول تعي وتدرس ما حولها». [**مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٢٩**].

٧ ـ عرض أفراد الصف قدراتهم الدعوية على القيادة:

يقول د/ زيدان: «وفي موقف الشابين رافع وسمرة رضي الله عنهما يرى العلماء أنه: «يجوز لمن يأنس من نفسه القدرة على عمل من أعمال الدعوة أن يعلن ذلك، ويجوز لأمير الجماعة أن يمتحنه ليعرفَ قدرته على العمل الدعوي.

وعلى الدعاة أن يولوا الشباب والفتيان ما يستحقونه من عناية ورعاية، وأن يربوهم على أعمال الجهاد، ومنها: أعمال الدعوة التي تناسبهم، وأن يشدوهم إلى معاني الجهاد حتى يكون شوقهم إلى الجهاد أكثر من شوقهم إلى ما يهواه الصبيان عادة». [**المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ١٩٤ -١٩٥**].

٨ ـ الحذر من تثبيط المتقاعدين:

يقول د/ زيدان: «على الدعاة ألا يتأثروا بأفعال وأقوال الآخرين فيقعدوا عن العمل الدعويِّ المحمود، وأن يكونوا على حذر شديد منهم ومن تصرفاتهم حتى لا يتأثروا بها، ولا يرددوا أقوالهم التي فيها تثبيط عن أعمال الدعوة أو تشكيك في فائدتها وغير ذلك مما فيه إضعاف للدعاة وإضعاف لجماعتهم». [المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ١٩٥].

٩ ـ تمييز المنافقين وبُعدهم عن الصف فضل من الله على المؤمنين:

يقول أ/ عبَّاد: «المنافقون في كل عصر لا يظهرون إلا في وقت الشدة، وما يتمنونه هو القضاء على الحركة الإسلامية الراشدة وأصحابها، فما فعله عبد الله بن أُبي ليس سببه رفض النبي ﷺ لرأيه وإلا لما سار مع الجيش حتى قارب العدو، ولكن هدفه الرئيس من هذا التمرد هو إحداث بلبلة واضطراب في صفوف الجيش الإسلامي على مرأى ومسمع من العدو، والعمل على انهيار مَنْ بقي من الجيش ورفع معنويات العدو وعلو همتهم عندما يرون ذلك.

وكاد المنافق يحقق هدفه بعدما كاد الاضطراب والاختلاف يحدث داخل الجيش الإسلامي، فقد هَمَّ بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة من الخزرج بالانسحاب والعودة إلى المدينة متأثرين بوساوس ذلك المنافق الكبير وكادت تكون كارثة لو أنهم انسحبوا، غير أن الله تولى هاتين القبيلتين فثبتهما فعدلتا عن الانسحاب واستمرتا على ولائهما للنبي ﷺ حتى نهاية المعركة ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[آل عمران].

ولكي تعلم الجماعة المسلمة أن تمييز المنافقين وبُعدهم عن الصف فضل من الله عليهم؛ لأن بقاء مثل هؤلاء ـ بتلك القلوب المتشككة الكارهة، وتلك النفوس المريضة ـ تبث الخور والضعف في أفراد الصف، فهؤلاء المنافقون لا يمثلون قوة للصف بل فتنة وتخاذلًا وتفرقة، وهناك في الصف من يسمع لهم، فإخراجهم من الجماعة المسلمة وبعدهم نعمة ورحمة من الله: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾[التوبة].

والمنافق لا يريد أن يُعَرِّض نفسه للمخاوف والمخاطر، فهو يريد ما في الإسلام من مغانم ويبتعد عما فيه من مغارم، فهو يستمسك بالإسلام لأحد شيئين: غنيمة متوقعة، أو مصائب يريد دفعها، بل ترى المنافق أسرع الناس إلى الشغب والتمرد إذا أقصي من الرئاسة، وهو لها طامح، وعبد الله بن أُبي مثال لهذه الفئة التي تضحي بمستقبل الأمة الإسلامية في سبيل أطماعها الخاصة ومنافعها المادية: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾[آل عمران].

والدعوات ـ إبان امتدادها وانتصارها ـ تغري الكثير بالانضمام تحت لوائها فيختلط المخلص بالمغرض، والأصيل بالدخيل، وهذا الاختلاط مضر أكبر الضرر بالدعوات وبالجماعة المسلمة، فمن مصلحتها أن تصاب الدعوات والجماعة المسلمة بهزات عنيفة تعزل الخبيث عنها، وقد اقتضت حكمة الله أن يقع هذا التمحيص في «أُحُد» فترى الجبن والنكوص وهما اللذان يكشفان طوية المنافقين فيفتضحوا أمام الناس وأمام أنفسهم ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]». [**مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٥١-٥٣**].

١٠ ـ لا يجوز تكثير سواد العدو:

يقول د/ زيدان: «في حادثة انسحاب المنافق ابن سلول وجماعته، لحق بهم الصحابي الجليل «عبد الله بن عمرو ﷺ» والد «جابر بن عبد الله ﷺ» ليردهم عن خروجهم من الجيش؛ وكان مما قاله لهم: «**إذا لم تقاتلوا مع المسلمين فكونوا معهم مكثرين سوادهم**»؛ لأن كثرة سواد المجاهدين مما يرعب العدو ويقوي عزائم المسلمين المجاهدين، «فرفض ابن سلول» ومن معه ما قاله «عبد الله بن عمرو».

فعلى الدعاة: أن يبصِّروا المسلمين بأن تكثير سواد الكفار لا يجوز، ومن مظاهر تكثير سوادهم الاستجابة لدعوتهم لحضور اجتماعاتهم أو مشاركتهم في أعيادهم واحتفالاتهم، وكما أن على الدعاة أن يبصِّروا المسلمين بأن تكثير عدد المسلمين الدعاة إلى الإسلام؛ بإجابة دعوة جماعة الدعاة أو أميرهم إلى حضور اجتماعاتهم أمر واجبٌ.

وعلى الدعاة: في دروسهم وخطبهم أن يذكروا ما ذكره الإمام القرطبي في تفسيره: «واختلف الناس في معنى قوله: ﴿أَوِ ٱدْفَعُوا۟﴾ فقال السدي وابن جريج وغيرهما: كَثِّروا سوادنا وإن لم تقاتلوا معنا، فيكون ذلك دَفْعًا وقَمْعًا للعدو، فإن السواد إذا كثر حصل دفع العدو.

وقال أنس بن مالك ﷺ: رأيت يوم القادِسِيَّة عبد الله بن أُمِّ مَكْتُوم الأعمى ﷺ وعليه دِرْع يجرُّ أطرافها، وبيده رايةٌ سوداء فقيل له: أليس قد أنزل الله عذرك؟ قال: بلىَ! ولكني أُكثِّر «سواد» المسلمين بنفسي.

ورُوي عنه أنه قال: فكيف بسوادي في سبيل الله!». [**تفسير القرطبي ٤/ ٢٦٦**].

إن المسلمين اليوم في حاجة إلى مثل هذه القصة». [**المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ١٩٥ -١٩٦**].

الباب الثاني

المرحلة الثانية من غزوة أحد
(في المعركة)

الفصل الأول: عرض المرحلة الثانية من غزوة أُحد (في المعركة)

الفصل الثاني: الدروس والعبر المستفادة من المرحلة الثانية من غزوة أُحد (في المعركة)

الفصل الأول
عرض المرحلة الثانية من غزوة أُحُد (المعركة)
المبحث الأول
التعبئة العامة للجيشين

المعسكر النبوي في أُحد:

«مضى رسول الله ﷺ بالجيش حتى قطع وادي قناة، وحتى إذا ما وصل إلى فم الشِّعب من أُحد (وهو المطل على وادي قناة الذي رابط فيه المشركون) عسكر بجيشه مستقبلًا المدينة وجاعلًا ظهره إلى هضاب جبل أُحد.

وعلى هذا أصبح جيش العدو فاصلًا بين جيش المسلمين وبين المدينة التي لم يبق فيها من الرجال إلا المنافقون واليهود، والعاجزون عن القتال من المسلمين، وإلا النساء والصبيان تقريبًا».

[غزوة أُحد لباشميل ٨٠-٨١].

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: «وَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حِينَ صَلَّى الْجُمُعَةَ، فَأَصْبَحَ بِالشِّعْبِ مِنْ أُحُدٍ، فَالْتَقَوْا يَوْمَ السَّبْتِ فِي النِّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ». [مجمع الزوائد ٦/ ١٨٢ كتاب المغازي والسير (١٠١٢٤)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ٣/ ١٤١ رقم ٢٩٢٩]، ورجاله ثقات].

التعبئة للقتال وخطبة الرسول ﷺ:

قام النبي ﷺ بتعبئة جنوده وهيأهم صفوفًا للقتال، ثم ألقى فيهم كلمة حثهم فيها على الجهاد، فقال لهم في هذه الكلمة: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أُوصِيكُمْ بِمَا أَوْصَانِي اللهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ العَمَلِ بِطَاعَتِهِ وَالتَّنَاهِي عَنْ مَحَارِمِهِ، ثُمَّ إِنَّكُمْ اليَوْمَ بِمَنْزِلِ أَجْرٍ وَذُخْرٍ لِمَنْ ذَكَرَ الَّذِي عَلَيْهِ، ثُمَّ وَطَّنَ نَفْسَهُ لَهُ عَلَى الصَّبْرِ وَاليَقِينِ، وَالجِدِّ وَالنَّشَاطِ، فَإِنَّ جِهَادَ العَدُوِّ شَدِيدٌ، شَدِيدٌ كَرْبُهُ، قَلِيلٌ مَنْ يَصْبِرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ عَزَمَ اللهُ رُشْدَهُ، فَإِنَّ اللهَ مَعَ مَنْ أَطَاعَهُ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ مَنْ عَصَاهُ، فَافْتَتِحُوا أَعْمَالَكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى الجِهَادِ، وَالتَمِسُوا بِذَلِكَ مَا وَعَدَكُمْ اللهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ، فَإِنِّي حَرِيصٌ عَلَى رُشْدِكُمْ، فَإِنَّ الاخْتِلافَ وَالتَّنَازُعَ وَالتَّثْبِيطَ مِنْ أَمْرِ العَجْزِ وَالضَّعْفِ مِمَّا لا يُحِبُّ اللهُ، وَلا يُعْطِي عَلَيْهِ النَّصْرَ وَلا الظَّفَرَ.**

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، جُدِّدَ فِي صَدْرِي أَنَّ مَنْ كَانَ عَلَى حَرَامٍ فَرَّقَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَمَنْ رَغِبَ لَهُ عَنْهُ غَفَرَ اللهُ ذَنْبَهُ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَمَلائِكَتُهُ عَشْرًا، وَمَنْ أَحْسَنَ مِنْ مُسْلِمٍ أَوْ كَافِرٍ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ فِي عَاجِلِ دُنْيَاهُ أَوْ آجِلِ آخِرَتِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَعَلَيْهِ الْجُمُعَةُ يَوْمَ الجُمُعَةِ إِلَّا صَبِيًّا أَوْ امْرَأَةً أَوْ مَرِيضًا أَوْ عَبْدًا مَمْلُوكًا، وَمَنْ اسْتَغْنَى عَنْهَا اسْتَغْنَى اللهُ عَنْهُ، وَاللهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ.

مَا أَعْلَمُ مِنْ عَمَلٍ يُقَرِّبُكُمْ إِلَى اللهِ إِلَّا وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلا أَعْلَمُ مِنْ عَمَلٍ يُقَرِّبُكُمْ إِلَى النَّارِ إِلَّا وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ.

وَإِنَّهُ قَدْ نَفَثَ فِي رُوعِي الرُّوحُ الأَمِينُ، أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ أَقْصَى رِزْقِهَا، لا يَنْقُصُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ وَأَجْمِلُوا فِي طَلَبِ الرِّزْقِ، وَلا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاؤُهُ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ رَبِّكُمْ، فَإِنَّهُ لا يُقْدَرُ عَلَى مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ.

قَدْ بَيَّنَ لَكُمُ الحَلالَ وَالحَرَامَ غَيْرَ أَنَّ بَيْنَهُمَا شَبَهًا مِنْ الأَمْرِ لَمْ يَعْلَمْهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ عَصَمَ، فَمَنْ تَرَكَهَا حَفِظَ عِرْضَهُ وَدِينَهُ، وَمَنْ وَقَعَ فِيهَا كَانَ كَالرَّاعِي إِلَى جَنْبِ الحِمَى أَوْشَكَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، وَلَيْسَ مَلِكٌ إِلَّا وَلَهُ حِمًى، أَلا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ.

وَالْمُؤْمِنُ مِن الْمُؤْمِنِينَ كَالرَّأْسِ مِنْ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى تَدَاعَى عَلَيْهِ سَائِرُ الجَسَدِ، وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ».

[المغازي للواقدي ١/ ٢٢١-٢٢٣].

مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟:

وبعد أن أتم الرسول ﷺ تعبئة جنده، جرَّد سيفًا باترًا، ثم عرض السيف على أصحابه ونادى فيهم ليبعث التنافس الشريف لإظهار البطولة.

عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: «**مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا؟**»، فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ، كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ: أَنَا، أَنَا، قَالَ: «**فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟**»، قَالَ: فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ، فَقَالَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ، أَبُو دُجَانَةَ ﷺ: **أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ**، قَالَ: فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ(أي شق رؤوسهم).

[مسلم في فضائل الصحابة ﷺ (٢٤٧٠)].

وعَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ﷺ قَالَ: عَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: «**مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟**»، فَقُمْتُ فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَعْرَضَ عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟**»، فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَعْرَضَ عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟**»، فَقَامَ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ، فَقَالَ: **أَنَا آخُذُهُ يَا رَسُولَ اللهِ بِحَقِّهِ، فَمَا حَقُّهُ؟** قَالَ: «**أَنْ لَا تَقْتُلَ بِهِ مُسْلِمًا وَلَا تَفِرَّ بِهِ عَنْ كَافِرٍ**»، قَالَ: فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ [فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ]، وَكَانَ إِذَا أَرَادَ الْقِتَالَ أَعْلَمَ بِعِصَابَةٍ.

قَالَ: [وَخَرَجَ فَاتَّبَعْتُهُ] قُلْتُ: **لَأَنْظُرَنَّ إِلَيْهِ الْيَوْمَ كَيْفَ يَصْنَعُ؟** قَالَ: **فَجَعَلَ لَا يَرْتَفِعُ لَهُ شَيْءٌ [لَا يَمُرُّ بِشَيْءٍ] إِلَّا هَتَكَهُ وَأَفْرَاهُ**، حَتَّى انْتَهَى إِلَى نِسْوَةٍ فِي سَفْحِ الْجَبَلِ مَعَهُنَّ دُفُوفٌ لَهُنَّ فِيهِنَّ امْرَأَةٌ [وَمَعَهُمْ هِنْدُ]، وَهِيَ تَقُولُ:

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقْ نَمْشِي عَـلَى الـنَّمَارِقْ [(١)]
إِنْ تُقْبِلُـوا نُعَـانِقْ وَنَبْسُـطِ الـنَّمَارِقْ [(٢)]
أَوْ تُدْبِرُوا نُفَـارِقْ فِـرَاقَ غَـيْرِ وَامِـقْ [(٣)]

قَالَ: فَأَهْوَى بِالسَّيْفِ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَضْرِبَهَا [فَحَمَلَ عَلَيْهَا فَنَادَتْ: يَا آلَ صَخْرٍ، فَلَمْ يُجِبْهَا أَحَدٌ]، ثُمَّ كَفَّ عَنْهَا [فَانْصَرَفَ]، فَلَمَّا انْكَشَفَ لَهُ الْقِتَالُ، قُلْتُ لَهُ: **كُلُّ عَمَلِكَ [صَنِيعِكَ] قَدْ رَأَيْتُ [رَأَيْتُهُ فَأَعْجَبَنِي]، مَا خَلَا رَفْعَكَ السَّيْفَ عَلَى الْمَرْأَةِ لَمْ تَضْرِبْهَا [غَيْرَ أَنَّكَ لَمْ تَقْتُلِ الْمَرْأَةَ]**، قَالَ: **[إِنَّهَا نَادَتْ فَلَمْ يُجِبْهَا أَحَدٌ]، إِنِّي وَاللهِ أَكْرَمْتُ سَيْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ أَقْتُلَ بِهِ امْرَأَةً [فَكَرِهْتُ أَنْ أَضْرِبَ بِسَيْفِ رَسُولِ اللهِ ﷺ امْرَأَةً لَا نَاصِرَ لَـهَا]**. **[المستدرك على الصحيحين كتاب معرفة الصحابة ﷺ ٣/ ٢٥٦ رقم ٥٠١٩، وقال الحاكم: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. ومجمع الزوائد في المغازي والسير ٦/ ١٥٦ رقم ١٠٠٦٩، وقال الهيثمي: رواه البزار [مسند البزار = البحر الزخار ٣/ ١٩٣ رقم ٩٧٩]، ورجاله ثقات]**.

وفي رواية قال ﷺ: «**مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟**» قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: «**يَضْرِبُ بِهِ الْعَدُوَّ [حَتَّى يَنْحَنِي]**»، فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: أَنَا، فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ عَرَضَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذَلِكَ الشَّرْطِ، فَقَامَ الزُّبَيْرُ رضي الله عنه فَقَالَ: أَنَا، فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَتَّى وَجَدَ عُمَرُ وَالزُّبَيْرُ فِي أَنْفُسِهِمَا، ثُمَّ عَرَضَهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ أَبُو دُجَانَةَ رضي الله عنه: **أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ آخُذُهُ بِحَقِّهِ**، فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَصَدَقَ بِهِ حِينَ لَقِيَ الْعَدُوَّ وَأَعْطَى السَّيْفَ حَقَّهُ، فَقَالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ: - إِمَّا عُمَرُ، وَإِمَّا الزُّبَيْرُ - وَاللهِ لَأَجْعَلَنَّ هَذَا الرَّجُلَ مِنْ شَأْنِي، الَّذِي أَعْطَاهُ النَّبِيُّ السَّيْفَ وَمَنَعَنِيهِ، قَالَ: فَاتَّبَعْتُهُ، قَالَ: فَوَاللهِ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَاتَلَ أَفْضَلَ مِنْ قِتَالِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَضْرِبُ بِهِ حَتَّى إِذَا كَلَّ عَلَيْهِ، وَخَافَ أَلَا يَحِيكَ (لا يؤثِّر) عَمَدَ بِهِ إِلَى الْحِجَارَةِ فَشَحَذَهُ، ثُمَّ يَضْرِبُ بِهِ فِي الْعَدُوِّ حَتَّى رَدَّهُ كَأَنَّهُ مِنْجَلٌ، وَكَانَ حِينَ أَعْطَاهُ السَّيْفَ مَشَى بَيْنَ الصَّفَّيْنِ، وَاخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ رَآهُ يَمْشِي تِلْكَ الْمِشْيَةَ: «**إِنَّ هَذِهِ لَمِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ**».

وَكَانَ أَرْبَعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يُعْلِمُونَ فِي الزُّحُوفِ أَحَدُهُمْ أَبُو دُجَانَةَ رضي الله عنه، كَانَ يُعَصِّبُ رَأْسَهُ بِعِصَابَةٍ حَمْرَاءَ، وَكَانَ قَوْمُهُ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ إِذَا اعْتَصَبَ بِهَا أَحْسَنَ الْقِتَالَ، وَكَانَ عَلِيٌّ رضي الله عنه يُعْلِمُ بِصُوفَةٍ بَيْضَاءَ، وَكَانَ الزُّبَيْرُ رضي الله عنه يُعْلِمُ بِعِصَابَةٍ صَفْرَاءَ، وَكَانَ حَمْزَةُ رضي الله عنه يُعْلِمُ بِرِيشِ نَعَامَةٍ».

[المغازي للواقدي ١/ ٢٥٨-٢٥٩، السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٦٦-٦٧].

---

(١) **طارق**: نجم الصبح، وقولها في البيت تعني أن أبانا في الشرف كالنجم المضيء. قاله الجوهري. وقال الواقدي: عنت أنها من المخدرات اللاتي لا يبرزن إلا ليلًا كالنجم. **النمارق**: جمع نمرقة وهي الوسادة الصغيرة.

(٢) جعل البزار الشطر الأول هو الثاني، وجعل الأول بلفظ: «**وَالْمِسْكُ فِي الْمَفَارِقْ**».

(٣) **الوامق**: المحب.

«كان لموقف الرسول ﷺ وتحريضه على القتال وإلهاب حماس المجاهدين أثره في نفوسهم حتى جعلهم يتسابقون كي يمسك كل واحد منهم بالسيف يريد أخذه بحقه، وإن موقفًا مثل هذا يثير الإعجاب ويطمئن النفس ويبعث في النفوس الأمل في نصر الله ﷻ». [**دور الحرب النفسية للسيد٦٦**].

كتيبة الرماة في الجبل:

وأثناء التعبئة ـ وكجزء من الخطة النبوية الحكيمة ـ اختار ﷺ خمسين من رماة النبل الماهرين في الرماية وأوكل إليهم ـ بقيادة آمر مسؤول هو عبد الله بن جبير ﷺ ـ مهمة المرابطة في جبل عَيْنَيْنِ، وهو المسمى اليوم بجبل الرماة.

ويقع هذا الجبل الصغير جنوب غرب معسكر المسلمين، على ضفة الوادي الجنوبية، وعلى بعد حوالي مائة وخمسين مترًا من مقر قيادة الجيش الإسلامي.

وقد كان هدف الرسول القائد ﷺ من وضع فصيلة رماة النبل ـ التي هي في ذلك العصر بمثابة المدفعية في عصرنا هذا ـ، كان هدفه من تمركز هذه الفصيلة في الجبل، هو حماية جيش المسلمين من خطر الالتفاف أو ضرب المسلمين من الخلف وخاصة ساعة احتدام المعركة». [**غزوة أُحد لباشميل ٨٢-٨٤**].

انْضَحُوا الخَيْلَ عَنَّا بِالنَّبْلِ:

فقد كان النبي ﷺ يعلم أن لدى المشركين قوة كبيرة من الفرسان لا يُستهان بها، لا تقل عن مائتي فارس يقودها بطل مقدام هو خالد بن الوليد.

وكتيبة الفرسان هذه، هي وحدها التي يمكن للمشركين استخدامها للقيام بحركات الالتفاف لضرب المسلمين من الخلف عندما تضطرهم ظروف المعركة إلى ذلك.

ولذلك كانت خيل خالد بن الوليد تتمركز حول جبل الرماة بصفة خاصة؛ لأن ناحية هذا الجبل هو الاتجاه القوي الوحيد الذي يمكن لخيل المشركين من ناحيته استخدامها لضرب مؤخرة المسلمين عند احتدام المعركة، أو لمحاولة التسلل إلى ما وراء صفوف المسلمين قبل نشوب المعركة.

لذلك حرص الرسول ﷺ أشد الحرص على احتلال ذلك الجبل، ووضع فصيلة الرماة فيه، الذين أكد عليهم أن يراقبوا ـ بشدة ـ خيالة المشركين، وقال لهم: «**انْضَحُوا الخَيْلَ عَنَّا بِالنَّبْلِ، لا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا**».

والذي يتيسر له رؤية مكان المعركة والاطلاع على موقع جبل الرماة الذي لا يزال جاثمًا على ضفة وادي قناة، يدرك مدى الخبرة العسكرية العظيمة التي يمتاز بها النبي ﷺ الأعظم في وضع خطط المعارك، والمهارة الواسعة في تنظيم القوى العسكرية، واختيار المواقع التعبوية الممتازة لكسب المعركة.

وعندما توجهت فصيلة الرماة لاحتلال الجبل ـ بأمر القائد الرسول ﷺ ـ أصدر إليهم الأوامر المشددة بألا يتركوا مواقعهم في الجبل مهما كانت الظروف والتطورات، إلا بأمر خاص منه ﷺ.

عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَقِينَا الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ، وَأَجْلَسَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشًا مِنَ الرُّمَاةِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ الله رضي الله عنه، وَقَالَ: «**لاَ تَبْرَحُوا، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلاَ تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلاَ تُعِينُونَا**»، فَلَمَّا لَقِينَا هَرَبُوا حَتَّى رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ فِي الْجَبَلِ، رَفَعْنَ عَنْ سُوقِهِنَّ قَدْ بَدَتْ خَلاَخِلُهُنَّ، فَأَخَذُوا يَقُولُونَ: **الْغَنِيمَةَ الْغَنِيمَةَ**، فَقَالَ عَبْدُ الله رضي الله عنه: عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ لاَ تَبْرَحُوا، فَأَبَوْا، فَلَمَّا أَبَوْا صُرِفَ وُجُوهُهُمْ، فَأُصِيبَ سَبْعُونَ قَتِيلاً...». [**البخاري في المغازي (٤٠٤٣)**].

وعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما يُحَدِّثُ قَالَ: جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الرَّجَّالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ - وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا - عَبْدَ الله بْنَ جُبَيْرٍ رضي الله عنه فَقَالَ ﷺ: «**إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ** (هو مثل يراد به الهزيمة)، **فَلاَ تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ [ظَهَرْنَا عَلَى الْعَدُوِّ]، وَأَوْطَأْنَاهُمْ** (أي: غلبناهم وقهرناهم)، **فَلاَ تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ**»، فَهَزَمُوهُمْ، قَالَ: فَأَنَا وَالله رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ (الاشتداد: العدو، أو السرعة في المشي) [عَلَى الْجَبَلِ]، قَدْ بَدَتْ خَلاَخِلُهُنَّ وَأَسْوُقُهُنَّ (جمع ساق)، رَافِعَاتٍ ثِيَابَهُنَّ.

فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ الله بْنِ جُبَيْرٍ رضي الله عنه: **الْغَنِيمَةَ، أَيْ قَوْمِ، الْغَنِيمَةَ، ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ، فَمَا تَنْتَظِرُونَ [تَنْظُرُونَ]؟**، فَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ جُبَيْرٍ رضي الله عنه: **أَنَسِيتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ الله ﷺ؟** قَالُوا: **[إِنَّا] وَالله لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ، فَلَنُصِيبَنَّ مِنَ الْغَنِيمَةِ**، فَلَمَّا أَتَوْهُمْ صُرِفَتْ وُجُوهُهُمْ (أي تحيروا، فلم يدروا أين يتوجهون)، فَأَقْبَلُوا مُنْهَزِمِينَ، فَذَاكَ [فَذَلِكَ] إِذْ [الَّذِي] يَدْعُوهُمُ الرَّسُولُ فِي أُخْرَاهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ [رَسُولِ الله] ﷺ غَيْرُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَأَصَابُوا مِنَّا سَبْعِينَ [رَجُلًا]، وَكَانَ النَّبِيُّ [رَسُولِ الله] ﷺ وَأَصْحَابُهُ أَصَابَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً: سَبْعِينَ أَسِيرًا، وَسَبْعِينَ قَتِيلًا...».

[**البخاري في الجهاد والسير (٣٠٣٩)، وأبو داود في الجهاد (٢٦٦٢)، ومسند أحمد ٣٠/ ٥٥٤-٥٥٥ رقم ١٨٥٩٣**].

وعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما قَالَ: جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الرُّمَاةِ يَوْمَ أُحُدٍ عَبْدَ الله بْنَ جُبَيْرٍ رضي الله عنه، فَأَصَابُوا مِنَّا سَبْعِينَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ أَصَابُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً: سَبْعِينَ أَسِيرًا، وَسَبْعِينَ قَتِيلًا.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: **يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ** (١). [**البخاري في المغازي (٣٩٨٦)**].

وعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما قَالَ: جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الرَّجَّالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ عَبْدَ الله بْنَ جُبَيْرٍ رضي الله عنه، وَأَقْبَلُوا مُنْهَزِمِينَ، فَذَاكَ إِذْ يَدْعُوهُمُ الرَّسُولُ فِي أُخْرَاهُمْ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَيْرُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً.

[**البخاري في التفسير (٤٥٦١)، وفي المغازي (٤٠٦٧)**].

---

(١) «**سجال**: .. أي: نوب، والسجل: الدلو .. فكأنه شبه المتحاربين بالمستقيين، يستقي هذا دلوًا، وهذا دلوًا». فتح الباري ١/ ٣٦. أي: مرة لهؤلاء، ومرة لهؤلاء.

وعَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: مَا نُصِرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَوْطِنٍ كَمَا نُصِرَ يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ: فَأَنْكَرْنَا ذَلِكَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ كِتَابُ اللهِ عز وجل، إِنَّ اللهَ عز وجل يَقُولُ فِي يَوْمِ أُحُدٍ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: وَالْحِسُّ الْقَتْلُ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران: ١٥٢] وَإِنَّمَا عَنَى بِهَذَا الرُّمَاةَ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَقَامَهُمْ فِي مَوْضِعٍ ثُمَّ قَالَ: «**احْمُوا ظُهُورَنَا فَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ، فَلَا تَنْصُرُونَا، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ غَنِمْنَا، فَلَا تَشْرَكُونَا**»... [مسند أحمد ٤/ ٣٦٨-٣٦٨٩ رقم ٢٦٠٩، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٢٤ كتاب تفسير القرآن رقم ٣١٦٣، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، والمعجم الكبير للطبراني ١٠/ ٣٠١ رقم ١٠٧٣١، والمغازي للواقدي ١/ ٢٩٦-٢٩٧].

وفي رواية للواقدي: «**احْمُوا لَنَا ظُهُورَنَا، فَإِنَّا نَخَافُ أَنْ نُؤْتَى مِنْ وَرَائِنَا، وَالزَمُوا مَكَانَكُمْ لا تَبْرَحُوا مِنْهُ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نَهْزِمُهُمْ حَتَّى نَدْخُلَ عَسْكَرَهُمْ فَلا تُفَارِقُوا مَكَانَكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ فَلا تُعِينُونَا وَلا تَدْفَعُوا عَنَّا، اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ عَلَيْهِمْ! وَارْشُقُوا خَيْلَهُمْ بِالنَّبْلِ، فَإِنَّ الخَيْلَ لا تُقْدِمُ عَلَى النَّبْلِ**».
[المغازي للواقدي ١/ ٢٢٤].

وليتأكد الرماة من جسامة المسؤولية الحربية الملقاة على عاتقهم، رأينا في الأمر العسكري المشدد من الرسول ﷺ قوله: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ عَلَيْهِمْ!**».

كما أنه ﷺ قال لهم أيضًا ومخاطبًا قائدهم المسؤول: «**انْضَحِ الخَيْلَ عَنَّا بِالنَّبْلِ، لا يَأْتُونَا مِنْ خَلفِنَا، إِنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا، فَاثْبُتْ مَكَانَكَ لا نُؤْتَيَنَّ مِنْ قِبَلَكَ**». [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦٥].

تهيؤ المسلمين للمعركة:

وبعد أن اطمأن الرسول ﷺ إلى وضع فصيلة الرماة التي تمركزت في الجبل أخذ يهيئ الصفوف ويوزع المسؤوليات على القادة.

لقد كان الوضع دقيقًا جدًّا بالنسبة للمسلمين، فقد كان التفاوت في العَدد والعُدد وجَودة التسلح بين الفريقين كبيرًا جدًّا.

فقد كانت النسبة في العدد، كل مسلم مقابل أربعة من المشركين على الأقل، كما أن المشركين يمتاز جيشهم بكتيبة سلاح الفرسان التي تتألف من مائتي فارس، في حين أن جيش الإسلام ليس فيه من هذا السلاح سوى فرس واحد فقط.

يضاف إلى هذا أن أكثر رجال الجيش الإسلامي من الحاسرين، إذ لا يوجد بينهم سوى مائة من لابسي الدروع.

بينما يوجد في جيش مكة من لابسي الدروع سبعمائة مقاتل، وهو عدد يوازي جيش المدينة بأكمله.

فكل هذا التفاوت يستوجب الاهتمام والملاحظة والدقة والتركيز في وضع الخطط واختيار الأكفاء من الشجعان ليكونوا في مقدمة الصفوف لمواجهة الموقف والثبات عند الصدمة الأولى.

ولقد نجح الرسول ﷺ في التعويض عن النقص العددي في رجاله، باختياره نخبة ممتازة من رجالات المسلمين المشهورين بالنجدة والبسالة، والذين يوزنون بالآلاف، وجعلهم في مقدمة الصفوف؛ ليكونوا طليعة جيشه حين تلتحم الجموع.

وفي مقدمة هؤلاء حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب والزبير بن العوام وأبو بكر الصديق ومصعب بن عمير وطلحة بن عبيد الله وعبد الله بن جحش وسعد بن معاذ وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع، وأبو دجانة وأنس بن النضر رضي الله عنهم، وأمثالهم من أهل النجدة والبأس واليقين.

وقد أوكل ﷺ إلى كتيبة من الجيش بقيادة الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود رضي الله عنهما مهمة الصمود في وجه فرسان خالد بن الوليد لمساندة الرماة لصد أي هجوم يقوم به الفرسان في أول المعركة».

[غزوة أُحد لباشميل ٨٦-٨٨].

صاحب لواء المسلمين والوفاء المحمدي:

«وَجَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْهِ يُسَوِّي تِلْكَ الصُّفُوفَ وَيُبَوِّئُ أَصْحَابَهُ لِلقِتَالِ، يَقُولُ: «**تَقَدَّمْ يَا فُلانٌ، وَتَأَخَّرْ يَا فُلانٌ**»، حَتَّى إِنَّهُ لَيَرَى مَنْكِبَ الرَّجُلِ خَارِجًا فَيُؤَخِّرُهُ، فَهُوَ يُقَوِّمُهُمْ كَأَنَّمَا يُقَوِّمُ بِهِمْ القِدَاحَ حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ الصُّفُوفُ سَأَلَ: «**مَنْ يَحْمِلُ لِوَاءَ المُشْرِكِينَ؟**» قِيلَ: بَنُو عَبْدِ الدَّارِ، قَالَ: «**نَحْنُ أَحَقُّ بِالوَفَاءِ مِنْهُمْ، أَيْنَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ؟**» قَالَ: هَا أَنَا ذَا، قَالَ: «**خُذِ اللِّوَاءَ**»، فَأَخَذَهُ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ رضي الله عنه، فَتَقَدَّمَ بِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ». **[المغازي للواقدي ١/ ٢٢١].**

وكان ﷺ قد أسند اللواء حين خروجه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما سبق بيانه.

كيف عبأت قريش جيشها؟:

قال الواقدي: «وَأَقْبَلَ المُشْرِكُونَ قَدْ صَفُّوا صُفُوفَهُمْ وَاسْتَعْمَلُوا عَلَى الـمَيْمَنَةِ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ، وَعَلَى المَيْسَرَةِ عِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ، وَلَهُمْ مُجَنَّبَتَانِ مِائَتَا فَرَسٍ وَجَعَلُوا عَلَى الخَيْلِ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ ـ وَيُقَالُ: عَمْرَو بْنَ العَاصِ ـ وَعَلَى الرُّمَاةِ عَبْدَ الله بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، وَكَانُوا مِائَةَ رَامٍ، وَدَفَعُوا اللِّوَاءَ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ـ وَاسْمُ أَبِي طَلْحَةَ عَبْدُ الله بْنُ عَبْدِ العُزَّى بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ».

[المغازي للواقدي ١/ ٢٢٠].

تهيؤ المشركين للمعركة:

«قام المشركون بتعبئة جيشهم في بطن وادي قناة، وهو المكان الذي أُجبروا على قبول المعركة فيه، وكان مكانًا منخفضًا بالنسبة لجيش المسلمين الذي احتل المرتفع من الشِّعب وعبأ صفوفه فيه.

وكانت تعبئة جيش مكة هذه المرة، حسب نظام الصفوف، وكانت هذه أول مرة يقاتل فيها المكيون صفوفًا حيث كانوا دائمًا في حروبهم يقاتلون على طريقة الهنود الحمر وهي طريقة الكر والفر.

وهي الطريقة التي قاتلوا بها المسلمين يوم بدر، وفاجأهم النبي ﷺ في ذلك اليوم بقتال الصفوف الذي لم يعهدوه، والذي كان أحد الأسباب التي أدت إلى هزيمتهم في ذلك اليوم.

ويظهر أن المشركين أخذوا دروسًا في معركة بدر في نظام الصفوف عن المسلمين ثم طبقوه يوم أُحد».

[غزوة أُحد لباشميل ٨٩].

القائد العام لجيش مكة:

«كما أن المشركين ـ أيضًا ـ قد انتخبوا هذه المرة لجيشهم قائدًا عامًّا مسؤولًا، هو أبو سفيان صخر بن حرب الأموي، وهو ما لم يفعلوه في معركة بدر، حيث قاتل جيشهم دون أن تكون له قيادة موحدة، بل كانت القيادة متنازعًا عليها بين الزعماء.

وقد أعطى المشركون لواءهم إلى مفرزة، كلها من قبيلة بني عبد الدار القرشية، وقد وقفت هذه المفرزة بقيادة طلحة بن أبي طلحة العبدري في مقدمة الصفوف.

وقد كان النظام القبلي المجمع عليه والمتبع في الحروب بين قبائل قريش أن يكون حملة اللواء دائمًا من بني عبد الدار، كما تكون قيادة الجيوش في بني أمية، وقيادة الخيل خاصة في بني مخزوم».

[غزوة أُحد لباشميل ٩٠].

أبو سفيان يحرِّض حملة اللواء [1]:

«وَصَاحَ أَبُو سُفْيَانَ يَوْمَئِذٍ: **يَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ نَحْنُ نَعْرِفُ أَنَّكُمْ أَحَقُّ بِاللِّوَاءِ مِنَّا، إنَّا إنَّمَا أُوتِينَا يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ اللِّوَاءِ، وَإِنَّمَا يُؤْتَى الْقَوْمُ مِنْ قِبَلِ لِوَائِهِمْ، فَالزَمُوا لِوَاءَكُمْ، وَحَافِظُوا عَلَيْهِ، وَخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، فَإِنَّا قَوْمٌ مُسْتَمِيتُونَ مَوْتُورُونَ نَطْلُبُ ثَأْرًا حَدِيثَ العَهْدِ.**

وَجَعَلَ أَبُو سُفْيَانَ يَقُولُ: **إذَا زَالَتْ الأَلْوِيَةُ فَمَا قِوَامُ النَّاسِ وَبَقَاؤُهُمْ بَعْدَهَا.**

فَغَضِبَ بَنُو عَبْدِ الدَّارِ، وَقَالُوا: **نَحْنُ نُسَلِّمُ لِوَاءَنَا؟ لا كَانَ هَذَا أَبَدًا، فَأَمَّا المُحَافَظَةُ عَلَيْهِ فَسَتَرَى.**

ثُمَّ أَسْنَدُوا الرِّمَاحَ إلَيْهِ وَأَحْدَقَتْ بَنُو عَبْدِ الدَّارِ بِاللِّوَاءِ وَأَغْلَظُوا لأَبِي سُفْيَانَ بَعْضَ الإِغْلاظِ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَنَجْعَلُ لِوَاءً آخَرَ؟ قَالُوا: نَعَمْ وَلا يَحْمِلُهُ إلا رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ لا كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ أَبَدًا».

[المغازي للواقدي ١/ ٢٢١، السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٦٧].

---

(١) **حامل اللواء**: منصب عسكري معترف به عند العرب في الجاهلية والإسلام كما أنه منصب معروف في الجيوش القديمة، كالجيش اليوناني والجيش الفارسي والجيش الروماني، وكانت قريش في الجاهلية عشرة بطون لكل بطن منها واجب، وكان حمل اللواء في بني عبد الدار.

المنازعات السياسية قبل المعركة:

وقبل نشوب المعركة، وبالرغم من تفوق قريش في كل شيء مادي على المسلمين، فإن الخوف من المسلمين ظل مسيطرًا على نفوس قادة قريش.

لأنهم عرفوا ـ عن تجربة ـ ضراوة المسلمين في القتال، وأن النقص العددي الذي يصاحب المسلمين عادة في جميع معاركهم، تحل محله دائمًا القوة المعنوية العارمة، والتنظيم الدقيق واتحاد الكلمة الذي منشؤه وحدة العقيدة الصادقة التي يمتاز بها المسلمون الذين يرتبطون بقائد محنك فذ لا يقول إلا حقًّا ولا ينطق إلا بصواب.

ولهذا قامت قريش قبيل المعركة بقليل بمناورتين سياسيتين خبيثتين، قصدت بهما إحداث الفُرقة بين المسلمين وإشاعة النزاع داخل صفوفهم. [غزوة أُحد لباشميل ٩١-٩٢].

فقد أرسل أبو سفيان إلى الأنصار خاصة طالبًا منهم التخلي عن رسول الله ﷺ، وأبلغهم بأنه لم يأت لقتالهم، وإنما جاء (فقط) لقتال قومه من قريش قائلًا: «**يَا مَعْشَرَ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ، خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ ابْنِ عَمِّنَا** (يعني النبي ﷺ) **نَنْصَرِفْ عَنْكُمْ، فَإِنَّهُ لَا حَاجَةَ لَنَا بِقِتَالِكُمْ**»، **فَرَدُّوهُ بِمَا يَكْرَهُ**».

[تاريخ الطبري ٢/ ٥١١].

لقد كان رد الأنصار رضي الله عنهم عليه ردًّا عنيفًا، ورفضوا عرضه، بعد أن أسمعوه ما يكره.

أبو عامر الفاسق الخائن:

ولما فشل أبو سفيان في محاولته هذه لجأت قريش إلى محاولة أخرى، قام بها هذه المرة عميل خائن من أهل المدينة، وهو أبو عامر الراهب (عبد عمرو بن صيفي الأوسي).

فقد بعثت قريش قبيل نشوب المعركة بهذا الخائن لاستمالة قومه الأوس من الأنصار ليتركوا النبي ﷺ وينحازوا إلى جانب المشركين.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ: أَنَّ أَبَا عَامِرٍ عَبْدَ عَمْرِو بْنِ صَيْفِيِّ بْنِ مَالِكِ بْنِ النُّعْمَانِ أَحَدَ بَنِي ضُبَيْعَةَ، وَقَدْ كَانَ خَرَجَ حِينَ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ مُبَاعِدًا لِرَسُولِ الله ﷺ، مَعَهُ خَمْسُونَ غُلَامًا مِنْ الأَوْسِ، وَبَعْضُ النَّاسِ كَانَ يَقُولُ كَانُوا خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا، وَكَانَ يَعِدُ قُرَيْشًا أَنْ لَوْ قَدْ لَقِيَ قَوْمَهُ لَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ مِنْهُمْ رَجُلَانِ، فَلَـمَّا التَقَى النَّاسُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيَهُمْ أَبُو عَامِرٍ فِي الأَحَابِيشِ وَعُبْدَانُ أَهْلِ مَكَّةَ، فَنَادَى: **يَا مَعْشَرَ الأَوْسِ، أَنَا أَبُو عَامِرٍ**، قَالُوا: **فَلَا أَنْعَمَ اللهُ بِك عَيْنًا يَا فَاسِقُ** ـ وَكَانَ أَبُو عَامِرٍ يُسَمَّى فِي الجَاهِلِيَّةِ الرَّاهِبَ فَسَمَّاهُ رَسُولُ الله ﷺ الفَاسِقَ ـ فَلَـمَّا سَمِعَ رَدَّهُمْ عَلَيْهِ قَالَ: **لَقَدْ أَصَابَ قَوْمِي بَعْدِي شَرٌّ**، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا، ثُمَّ رَاضَخَهُمْ بِالحِجَارَةِ. [السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٦٧، وسنده حسن ورجاله ثقات، وصرح ابن إسحاق بالتحديث والحديث مرسل. صحيح السيرة النبوية للعلي ص ٢١٣].

مجهود نساء قريش في المعركة:

وكان نصيب نساء قادة قريش اللواتي خرجن مع الجيش، كان نصيبهن من المشاركة في المعركة إثارة حفائظ الأبطال وتهييج عواطف الفرسان، وتحريك مشاعر المقاتلين وإشاعة روح الأخذ بالثأر وإذكاء نيران الانتقام من المسلمين، وتذكير القرشيين بما أصاب أهل مكة يوم بدر على أيدي المسلمين.

وكان أشد هؤلاء النسوة تحريضًا على المسلمين هند بنت عتبة التي قَتل المسلمون يوم بدر أباها عتبة وأخاها الوليد وعمها شيبة وابنها حنظلة.

فقد خرجت هذه المرأة العنيدة مع زوجها القائد العام أبي سفيان بن حرب؛ لتشهد بنفسها معركة الانتقام لعلها تشفي غليلها من المسلمين.

ولقد بذل هؤلاء النسوة مجهودًا كبيرًا لرفع معنويات الجيش القرشي وإثارة روح الثبات والتضحية في نفوسهم، فقد انتشرن بين صفوف المحاربين المتأهبين للقتال، وهن ينشدن الأشعار الحماسية المحرضة على الانتقام من المسلمين والثبات ضدهم في المعركة». [**غزوة أُحد لباشميل ٩٤**].

ويهًا بني عبد الدار:

وقد كان تحريضهن موجهًا ـ بصفة خاصة ـ إلى حَملة اللواء من بني عبد الدار؛ لعلمهن أن مصير جيش مكة في الدرجة الأولى مرتبط بمصير هؤلاء؛ لأنهم يحملون راية الجيش، وفي ذلك العصر لا تأتي هزيمة الجيش إلا من قِبل حاملي رايته إن هم انهزموا، أو قُتلوا.

وهذا هو الذي جعل القائد العام أبا سفيان يقول في كلمته لحاملي اللواء من بني عبد الدار ما قال.

برزت نساء قريش أمام حملة لواء مكة العبدريين وهن ينشدن الأشعار المحرضة الموجهة إليهم بصفة خاصة والتي منها:

وِيهًا بَنِي عَبْدِ الدَّارْ   وِيهًـا حُمَـاةَ الأَدْبَـارْ (١)

ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَّارْ (٢)

ثم أخذن يتجولن تارة في مقدمة الصفوف وتارة في مؤخرتها وفي أيديهن الدفوف يضربهن ويغنين باسم نساء الجيش كله، شعرًا يهددن الرجال فيه بالعزوف عنهم ومفارقتهم إن هم فروا من القتال، ويوعدونهم بأن كل امرأة ستبقى مع زوجها تسعده وتخدمه، إن هم ثبتوا ولم يفروا، ومن هذا الشعر قولهن: ورواية الواقدي للأبيات هكذا:

---

(١) **وِيهًا**: كلمة معناها الإغراء، حُمَاةَ الأَدْبَارْ: أي الذين يحمون أعقاب الناس.

(٢) سبقت رواية الأبيات من كتب السنة في عنوان «**مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟**».

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقْ   نَمْشِي عَلَى النَّمَارِقْ

إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقْ   أَوْ تُدْبِرُوا نُفَارِقْ

فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقْ

إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقْ   وَنَفْرِشُ النَّمَارِقْ [١]

أَوْ تُدْبِرُوا نُفَارِقْ   فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقْ [٢]

ولاشك أن تحريض نساء قريش كان له أثره الفعال في نفوس الجيش المكي، وخاصة حملة اللواء من بني عبد الدار الذين استبسلوا في المعركة، وثبتوا يدافعون عن اللواء حتى أبادهم المسلمون عن آخرهم».

[غزوة أُحد لباشميل ٩٤-٩٥].

(١) **النمارق**: جمع نمرقة وهي الوسادة الصغيرة.

(٢) **الوامق**: المحب. ورواية الواقدي للأبيات هكذا:

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقْ   نَمْشِي عَلَى النَّمَارِقْ

إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقْ   أَوْ تُدْبِرُوا نُفَارِقْ

فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقْ

المبحث الثاني
اشتباك الجيشين

دعاء النبي ﷺ:

عَنْ أَنَسٍ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ يَوْمَ أُحُدٍ: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تَشَأْ لَا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ**».

[مسلم في الجهاد والسير (١٧٤٣)، وأحمد عن أنس ﵁ (١٢٥٣٨، ١٣٦٤٩)].

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ يَرْبُوعَ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، اكْفِنِي كُلَّ شَيْءٍ وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ**». [الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم ٥/ ٣٤٩ رقم ٢٩٢٥].

إن قتلت فأين أنا؟:

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﵄ قَالَ: «**قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلتُ [فِي سَبِيلِ اللهِ]، فَأَيْنَ أَنَا [يَا رَسُولَ اللهِ]؟ قَالَ**: «**فِي الجَنَّةِ**»، فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، [وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو: تَخَلَّى مِنْ طَعَامِ الدُّنْيَا]». [البخاري في المغازي (٤٠٤٦)، ومسلم في الإمارة (١٨٩٩)، والنسائي في الجهاد (٣١٥٤)، ومسند أحمد ٢٢/ ٢١٦ رقم ١٤٣١٤].

قال ابن حجر: «لَكِنْ وَقَعَ التَّصْرِيحُ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ ﵁ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَالْقِصَّةُ الَّتِي فِي الْبَابِ وَقَعَ التَّصْرِيحُ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ ﵁ أَنَّهَا كَانَتْ يَوْمَ أُحُدٍ، فَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُمَا قِصَّتَانِ وَقَعَتَا لِرَجُلَيْنِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَفِيهِ: مَا كَانَ الصَّحَابَةُ ﵃ عَلَيْهِ مِنْ حُبِّ نَصْرِ الْإِسْلَامِ، وَالرَّغْبَةِ فِي الشَّهَادَةِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ».

[فتح الباري لابن حجر ٧/ ٣٥٤].

ساعة الصفر:

واقتربت ساعة الصفر، فبعد أن أتم الفريقان تعبئتهما، وأخذ كل من القادة والجنود مكانه المرسوم له، تقاتَل الخصمان وجهًا لوجه.

ثلاثة آلاف من فرسان المشركين وأبطالهم، تقودهم الحمية الجاهلية، وتدفعهم الرغبة في الأخذ بالثأر، مجهزين أعظم تجهيز ومسلحين أحسن تسليح، يواجهون سبعمائة من المسلمين، تدفعهم الرغبة الصادقة في الاستشهاد في سبيل الله والانتصار لرفع كلمة الله، ليس لديهم ما يتفوقون به على خصومهم سوى سلاح الإيمان القوي، وتجهيزات العقيدة الصادقة الثابتة الصامدة، وأعظِم به من سلاح وأكرم بها من تجهيزات.

أخذ كل من الفريقين يحرض رجاله على الصبر والثبات، وكان الرسول ﷺ قد خطب جيشه عند التعبئة وأصدر أوامره بأن يظل الجيش الإسلامي في موقف الدفاع حتى يتلقى منه الأوامر الخاصة حيث قال: «**لا يُقَاتِلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ حَتَّى نَأْمُرَهُ بِالقِتَالِ**».

وقد ركز بنو عبد الدار لواء المشركين في مقدمة الصفوف وأحاط به ابنا أبي طلحة العبدري.

وبعد إتمام التعبئة تقارب الجمعان، فجاشت العواطف وركضت القلوب بين الجنوب، واحمرت الحدق، وارتفع غليان الدم في العروق، واختلط صهيل الخيل بقعقعة السلاح، ونداءات الأبطال وصيحات الفرسان». [غزوة أُحد لباشميل ٩٧-٩٨].

مصرع قائد حملة لواء مكة:

«وقد أبدى حملة اللواء العبدريون من ضروب الشجاعة والثبات ما أثبت أنهم فعلًا في مستوى مسؤولية حمل الألوية، فقد قاتلوا حول لوائهم بضراوة وشراسة وعناد، وظلوا محافظين عليه مرفوعًا، يدافعون عنه دفاع المستميت حتى أباد المسلمون مفرزتهم عن بكرة أبيها.

وكان أول وقود المعركة قائد حملة لواء المشركين طلحة بن أبي طلحة العبدري، كان من أشجع فرسان قريش، وكان يوم أحد راكبًا جملًا ومعه لواء مكة، وكان المسلمون لشجاعته يسمونه كبش الكتيبة».

[غزوة أُحد لباشميل ١٠٠].

قال الطبري: «ثُمَّ إِنَّ طَلْحَةَ بْنَ عُثْمَانَ صَاحِبَ لِوَاءِ الْمُشْرِكِينَ قَامَ، فَقَالَ: **يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ اللهَ يَعْجَلُنَا بِسِيُوفِكُمْ إِلَى النَّارِ، وَيَعْجَلُكُمْ بِسُيُوفِنَا إِلَى الجَنَّةِ، فَهَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ يَعْجَلُهُ اللهُ بِسَيْفِي إِلَى الجَنَّةِ، أَوْ يَعْجَلُنِي بِسَيْفِهِ إِلَى النَّارِ!** فَقَامَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه فَقَالَ: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا أُفَارِقُكَ حَتَّى أَعْجَلَكَ بِسَيْفِي إِلَى النَّارِ، أَوْ تَعْجَلَنِي بِسَيْفِكَ إِلَى الجَنَّةِ**، فَضَرَبَهُ عَلِيٌّ فَقَطَعَ رِجْلَهُ فَسَقَطَ فَانْكَشَفَتْ عَوْرَتُهُ، فَقَالَ: **أَنْشُدُكَ اللهَ وَالرَّحِمَ يَا بْنَ عَمٍّ!** فَتَرَكَهُ، فَكَبَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَالَ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه: «**مَا مَنَعَكَ أَنْ تُجْهِزَ عَلَيْهِ؟**»، قَالَ: **إِنَّ ابْنَ عَمِّي نَاشَدَنِي حِينَ انْكَشَفَتْ عَوْرَتُهُ فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ**».

[تاريخ الطبري ٢/ ٥٠٩، السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٧٣].

وقال الواقدي: «وَصَاحَ طَلْحَةُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ: **مَنْ يُبَارِزُ؟** فَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: **هَل لَك فِي البِرَازِ؟** قَالَ طَلْحَةُ: نَعَمْ، فَبَرَزَا بَيْنَ الصَّفَّيْنِ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ تَحْتَ الرَّايَةِ عَلَيْهِ دِرْعَانِ وَمِغْفَرٌ وَبَيْضَةٌ، فَالتَقَيَا فَبَدَرَهُ عَلِيٌّ رضي الله عنه فَضَرَبَهُ عَلَى رَأْسِهِ، فَمَضَى السَّيْفُ حَتَّى فَلَقَ هَامَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى لِحْيَتِهِ، فَوَقَعَ طَلْحَةُ، وَانْصَرَفَ عَلِيٌّ رضي الله عنه، فَقِيلَ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه: **أَلا ذَفَّفْتَ عَلَيْهِ؟** قَالَ: **إِنَّهُ لَـمَّا صُرِعَ اسْتَقْبَلَتْنِي عَوْرَتُهُ فَعَطَفَنِي عَلَيْهِ الرَّحِمُ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللهَ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ سَيَقْتُلُهُ، هُوَ كَبْشُ الكَتِيبَةِ.**

وَيُقَالُ: حَمَلَ عَلَيْهِ طَلحَةُ فَاتَّقَاهُ عَلِيٌّ ﷺ بِالدَّرَقَةِ، فَلَمْ يَصْنَعْ سَيْفُهُ شَيْئًا، وَحَمَلَ عَلَيْهِ عَلِيٌّ ﷺ، وَعَلَى طَلحَةَ دِرْعٌ مُشَمَّرَةٌ، فَضَرَبَ سَاقَيْهِ فَقَطَعَ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يُذَفِّفَ عَلَيْهِ، فَسَأَلَهُ بِالرَّحِمِ فَتَرَكَهُ عَلِيٌّ ﷺ، فَلَمْ يُذَفِّفْ عَلَيْهِ حَتَّى مَرَّ بِهِ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ فَذَفَّفَ عَلَيْهِ، وَيُقَالُ: إِنَّ عَلِيًّا ذَفَّفَ عَلَيْهِ».

[المغازي للواقدي ١/ ٢٢٥-٢٢٦].

نقل المعركة حول لواء قريش:

«وكان ثقل المعركة يدور حول لواء المشركين، فقد كان هجوم المسلمين المضاد مركزًا بصفة خاصة على حملة هذا اللواء؛ ولذلك دار القتال أول ما دار بضراوة وعنف حول هذا اللواء.

فقد كان حَملته من صناديد قريش المشهورين بالشجاعة والثبات، وقد كان هدف المسلمين من تركيز الهجوم على حملة اللواء الإطاحة بهذا اللواء؛ لأن الإطاحة باللواء ـ وخاصة في ذلك العصر ـ يعجل بهزيمة من يسقط لواؤهم؛ ولهذا كان لا يتحمل مسؤولية حمل اللواء في تلك المعارك إلا الأبطال المغاوير». **[غزوة أُحد لباشميل ١٠٠].**

قال الواقدي: «فَلَـمَّا قُتِلَ طَلحَةُ سُرَّ رَسُولُ الله ﷺ وَأَظْهَرَ التَّكْبِيرَ وَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ، ثُمَّ شَدَّ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ عَلَى كَتَائِبِ الْمُشْرِكِينَ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ حَتَّى نُقِضَتْ صُفُوفُهُمْ، وَمَا قُتِلَ إِلَّا طَلحَةُ.

ثُمَّ حَمَلَ لِوَاءَهُمْ بَعْدَ طَلحَةَ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي طَلحَةَ، أَبُو شَيْبَةَ وَهُوَ أَمَامَ النِّسْوَةِ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ:

إِنَّ عَلَى أَهْلِ اللِّوَاءِ حَقًّا ... أَنْ تُخْضَبَ الصَّعْدَةُ[1] أَوْ تَنْدَقَّا

فَتَقَدَّمَ بِاللِّوَاءِ، وَالنِّسَاءُ يُحَرِّضْنَ وَيَضْرِبْنَ بِالدُّفُوفِ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ، فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى كَاهِلِهِ فَقَطَعَ يَدَهُ وَكَتِفَهُ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مُؤْتَزَرِهِ، حَتَّى بَدَا سَحْرُهُ، ثُمَّ رَجَعَ، وَهُوَ يَقُولُ: **أَنَا ابْنُ سَاقِي الحَجِيجِ**، ثُمَّ حَمَلَهُ أَبُو سَعْدِ بْنُ أَبِي طَلحَةَ، فَرَمَاهُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، فَأَصَابَ حَنْجَرَتَهُ، وَكَانَ دَارِعًا وَعَلَيْهِ مِغْفَرٌ لا رَفْرَفَ لَهُ، فَكَانَتْ حَنْجَرَتُهُ بَادِيَةً فَأَدْلَعَ لِسَانَهُ إِدْلاعَ الكَلْبِ.

وَيُقَالُ: إِنَّ أَبَا سَعْدٍ لـَمَّا حَمَلَ اللِّوَاءَ قَامَ النِّسَاءُ خَلْفَهُ يَقُلْنَ:

ضَرْبًا بَنِي عَبْدِ الدَّارْ ... ضَرْبًا حُمَاةَ الأَدْبَارْ

ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَّارْ

فَقَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ: فَأَضْرِبُهُ فَأَقْطَعُ يَدَهُ اليُمْنَى، فَأَخَذَ اللِّوَاءَ بِاليُسْرَى، فَأَحْمِلُ عَلَى يَدِهِ اليُسْرَى فَضَرَبْتُهَا فَقَطَعْتُهَا، فَأَخَذَ اللِّوَاءَ بِذِرَاعَيْهِ جَمِيعًا فَضَمَّهُ إِلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ حَنَى عَلَيْهِ ظَهْرَهُ، قَالَ سَعْدٌ: فَأَدْخَلَ سِيَةَ القَوْسِ (ما عطف من طرفيها) بَيْنَ الدِّرْعِ وَالمِغْفَرِ، فَأَقْلَعُ المِغْفَرَ فَأَرْمِي بِهِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ ضَرَبْتُهُ حَتَّى

---

(١) **الصعدة:** نوع من الرماح.

قَتَلْتُهُ، ثُمَّ أَخَذْتُ أَسْلُبُهُ دِرْعَهُ، فَنَهَضَ إِلَيَّ سُبَيْعُ بْنُ عَبْدِ عَوْفٍ وَنَفَرٌ مَعَهُ فَمَنَعُونِي سَلَبَهُ، وَكَانَ سَلَبُهُ أَجْوَدَ سَلَبِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ـ دِرْعٌ فَضْفَاضَةٌ، وَمِغْفَرٌ وَسَيْفٌ جَيِّدٌ ـ وَلَكِنْ حِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ.

وَهَذَا أَثْبَتُ القَوْلَيْنِ، وَهَكَذَا اجْتُمِعَ عَلَيْهِ أَنَّ سَعْدًا ﵁ قَتَلَهُ.

ثُمَّ حَمَلَهُ مُسَافِعُ بْنُ طَلحَةَ بْنِ أَبِي طَلحَةَ، فَرَمَاهُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الأَقْلَحِ، وَقَالَ: **خُذْهَا، وَأَنَا ابْنُ أَبِي الأَقْلَحِ**، فَقَتَلَهُ، فَحُمِلَ إِلَى أُمِّهِ سُلافَةَ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ الشُّهَيدِ، وَهِيَ مَعَ النِّسَاءِ، فَقَالَتْ: مَنْ أَصَابَكَ؟ قَالَ: لا أَدْرِي، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: **خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ أَبِي الأَقْلَحِ**، قَالَتْ سُلافَةُ: **أَقْلَحِيٌّ وَاللهِ!** أَيْ مِنْ رَهْطِي.

وَيُقَالُ: قَالَ: **خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ كِسْرَةَ** ـ كَانُوا يُقَالُ لَهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ: بَنُو كِسَرِ الذَّهَبِ، فَقَالَ لأُمِّهِ حِينَ سَأَلَتْهُ: مَنْ قَتَلَكَ؟ قَالَ: لا أَدْرِي، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ كِسْرَةَ، قَالَتْ سُلافَةُ: إِحْدَى وَاللهِ كِسْرَي، تَقُولُ: إِنَّهُ رَجُلٌ مِنَّا، فَيَوْمَئِذٍ نَذَرَتْ أَنْ تَشْرَبَ فِي قِحْفِ رَأْسِ عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ الخَمْرَ، وَجَعَلَتْ تَقُولُ: لِمَنْ جَاءَ بِهِ مِائَةٌ مِنْ الإِبِلِ.

ثُمَّ حَمَلَهُ كِلابُ بْنُ طَلحَةَ بْنِ أَبِي طَلحَةَ، فَقَتَلَهُ الزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّامِ ﵁، ثُمَّ حَمَلَهُ الجُلاَّسُ بْنُ طَلحَةَ بْنِ أَبِي طَلحَةَ، فَقَتَلَهُ طَلحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ ﵁، ثُمَّ حَمَلَهُ أَرْطَاةُ بْنُ شُرَحْبِيلَ، فَقَتَلَهُ عَلِيٌّ ﵁، ثُمَّ حَمَلَهُ شُرَيْحُ بْنُ قَارِظٍ، فَلَسْنَا نَدْرِى مَنْ قَتَلَهُ، ثُمَّ حَمَلَهُ صُؤَابٌ غُلامُهُمْ فَاخْتُلِفَ فِي قَتْلِهِ، فَقَائِلٌ قَالَ: سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ ﵁، وَقَائِلٌ: عَلِيٌّ ﵁، وَقَائِلٌ: قُزْمَانُ ـ وَكَانَ أَثْبَتَهُمْ عِنْدَنَا قُزْمَانُ.

قَالَ: انْتَهَى إِلَيْهِ قُزْمَانُ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ فَقَطَعَ يَدَهُ اليُمْنَى، فَاحْتَمَلَ اللِّوَاءَ بِاليُسْرَى، ثُمَّ قَطَعَ اليُسْرَى فَاحْتَضَنَ اللِّوَاءَ بِذِرَاعَيْهِ وَعَضُدَيْهِ، ثُمَّ حَنَى عَلَيْهِ ظَهْرَهُ، وَقَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ هَل أُعْذِرْتُ؟ فَحَمَلَ عَلَيْهِ قُزْمَانُ فَقَتَلَهُ». [المغازي للواقدي ١/ ٢٢٦-٢٢٨].

احتدام المعركة:

«وبينما الصراع يدور رهيبًا هكذا حول لواء مكة، كانت نيران المعركة قد اندلعت واشتد القتال بين الفريقين في كل نقطة من نقاط الميدان.

فقد اختلط الفريقان واندفعت قريش إلى القتال يثور في عروقها طلب الثأر لمن مات من أشرافها وساداتها منذ عام ببدر، وسادت روح الإيمان صفوف المؤمنين المجاهدين فانطلقوا ـ خلال الشرك ـ انطلاق الفيضان تقطعت أمامه السدود.

وكان حمزة بن عبد المطلب وأبو دجانة الأنصاري كفرسي رهان في سباق البطولة، حيث انطلقا يهدان صفوف المشركين هدًّا.

أما حمزة ﵁ فبعد أن أصدر الرسول ﷺ أوامره بالقتال، هتف بكلمة التعارف التي اتفق عليها المسلمون وهي (**أمت أمت**) ثم اندفع إلى قلب جيش الشرك كالصاعقة وفي يديه سيفان لا يقف له أحد.

فبالإضافة إلى مشاركته الفعالة في إبادة حملة لواء المشركين، فعل الأفاعيل بأبطالهم الآخرين، وكان يجول الأبطال أمامه كما تجول الريح أمامها الورق اليابس، لما له من هيبة في نفوس الأبطال.

وقد تعرض له أحد فرسان قريش الأفذاذ المشهورين، وهو سباع بن عبد العزى الغبشاني، فناداه حمزة للبراز قائلًا له (في سخرية): هلم إليَّ، فأسرع إليه سباع يكت كتيت الفحل الهائج، فالتقاه حمزة بضربة هاشمية مسلمة جعلته كأمس الدابر.

وقد كان لمقتل سباع هذا أثر سيء في نفوس المشركين؛ لأنه من أبطالهم المعتمد عليهم ساعة الشدة». [غزوة أُحد لباشميل١٠٣-١٠٤].

هجوم المشركين:

«كان المشركون يوم أحد هم البادئين بالهجوم، فقد قامت قوة من مشاتهم بقيادة الخائن أبي عامر الراهب الأوسي، تساندها كوكبة من الفرسان بقيادة عكرمة بن أبي جهل على جناح المسلمين الأيسر بُغية تحطيم هذا الجناح والتسرب إلى داخل الشِّعب لضرب المسلمين من الخلف؛ لإحداث الارتباك في صفوفهم.

ولكن مواقع الجيش الإسلامي التي اختارها الرسول ﷺ لمرابطة جيشه قبل المعركة واحتلال هذا الجيش المواقع التعبوية الهامة في جبل الرماة عند مدخل الشعب أحبط هذه المحاولة إحباطًا كاملًا، حيث قوبل هذا الهجوم ـ وخاصة هجوم الفرسان ـ بسيل منهمر من نبال الرماة في الجبل، كما تصدى المشاة بقيادة الزبير والمقداد للمهاجمين وقاوموهم مقاومة عنيفة، مما أجبر المهاجمين على الارتداد، وقد ساعد في تشتيت المهاجمين ـ على ما يظهر ـ رجال رابطوا في مواقع مختارة من جبل أُحد رجموا المهاجمين بالحجارة وسلطوا عليهم من الصخور قطعًا كبيرة دحرجوها نحوهم، فأحدثت الارتباك في تشكيلاتهم وأجبرتهم على الابتعاد من سفح الجبل.

وقد عاود فرسان مكة الهجوم ثلاث مرات، ولكنهم فشلوا فيها جميعها، وذلك بسبب يقظة الرماة في الجبل، وهذا في أول المعركة، أما في آخرها فقد نجح هجوم خيالة مكة بعد انسحاب الرماة من مواقعهم في الجبل، كما سنفصل ذلك فيما يأتي إن شاء الله». [غزوة أُحد لباشميل٩٨-٩٩]

أولى ثمرات الخطة الحكيمة:

«وكان فشل المشركين في هجومهم الأول هذا أولى ثمرات الخطة الحكيمة الدقيقة التي رسمها الرسول القائد ﷺ لإدارة دفة المعركة، واختار بموجبها المرابطة في ذلك المكان التعبوي الحصين من الشِّعب.

فلو لم يختر الرسول ﷺ ذلك المرتفع من الشِّعب المحاط بهضاب جبل أُحد من جهاته الثلاث، لنجح سلاح خيالة المشركين في التسرب بسرعة إلى مؤخرة الجيش الإسلامي لضربه من الخلف وإشغاله عن مواجهة صدر الجيش المكي.

وبعد أن فشل هجوم الفرسان وتقهقر أبو عامر الفاسق أمام مقاومة المسلمين العنيدة توترت الحالة، ثم حمي الوطيس وصدرت الأوامر من قادة الفريقين بالهجوم العام فاصطدم الجيشان.

وكما هي العادة في اللحظات الأولى من كل معركة، حاول الفريقان الثبات والاستبسال للسيطرة على الموقف، وأبدى كل من أعيان الجيشين شجاعة وبطولة واضحة.

وكان المشركون عندما طارت الشرارة الأولى لإشعال المعركة مغترين بكثرتهم وقوة تسليحهم ووفرة أبطالهم المشهورين بين العرب؛ لذلك كانوا هم البادئين والداعين إلى المبارزة دائمًا».

[غزوة أُحد لباشميل٩٩-١٠٠].

الهزيمة تنزل بجيش مكة:

«وشد المسلمون على صفوف المشركين فزعزعوها وأشاعوا الذعر فيها وبدأ الاضطراب في صفوف جيش مكة.

وساد الاضطراب صفوفهم بعد أن سقط لواؤهم على الأرض عقب إبادة المسلمين لجميع أفراد حملة هذا اللواء، فأخذت روحهم المعنوية في الانهيار، وهذا طبيعي ـ بعد سقوط لوائهم ـ لأن سقوط اللواء ـ وخاصة في ذلك العصر ـ معناه بداية الهزيمة.

وهذا الذي عناه أبو سفيان بقوله (لبني عبد الدار) عندما سلم إليهم لواء مكة: «**إنما يؤتى الناس من قبل راياتهم، يا بني عبد الدار إما أن تكفونا لواءنا وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه**».

ولقد أوفى بنو عبد الدار على الغاية حيث قاتلوا على اللواء بشراسة وعناد جاهلي حتى أبادتهم سيوف الإسلام عن آخرهم، وهنا سقط اللواء من أيديهم على الأرض، وبقي مطروحًا عليها حتى رفعته ـ بعد كارثة الجبل ـ عَمْرة الحارثية، فالتفت حوله قريش من جديد، وإلى هذا أشار حسان بن ثابت رضي الله عنه يعير قريشًا في شعره بقوله:

فَلَولا لَوَاءُ الحَارِثِيَّةِ أَصْبَحُوا يُبَاعُونَ فِي الأَسْوَاقِ بَيْعَ الجَلائِبِ

[غزوة أُحد لباشميل١٠٤-١٠٥].

رجحان كفة المسلمين:

«وبعد معركة اللواء تلك تبلور الموقف وبدأ رجحان كفة المسلمين في المعركة ظاهرًا، فضاعف المسلمون من حملاتهم وبذلت قريش قصارى جهدها للصمود في وجه المسلمين الذين سيطروا على

الموقف، ولكن دونها جدوى، فقد تخاذل المشركون ـ على كثرتهم ـ أمام المسلمين ـ على قلتهم ـ وأخذوا يولون الفرار، ونزلت الهزيمة بجيش مكة نزول السيل العرم بالسد الخرب المتهدم».
[غزوة أُحد لباشميل١٠٥].

أسد الله حمزة ﷺ:

عَنْ عُمَيْرِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ: كَانَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ يُقَاتِلُ يَوْمَ أُحُدٍ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ [بِسَيْفَيْنِ] وَيَقُولُ: «**أَنَا أَسَدُ اللهِ**». [المستدرك للحاكم في معرفة الصحابة ﷺ ٣/ ٢١٢، ٢١٤ رقم ٤٨٧٥ ٤٨٨٠، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي].

وعَنْ عُمَيْرِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: كَانَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ يُقَاتِلُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِسَيفَيْنِ، وَيَقُولُ: «**أَنَا أَسَدُ اللهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ**». [مجمع الزوائد رقم ١٥٤٦٣ وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ٣/ ١٤٩ رقم ٢٩٥٣]، ورجاله إلى قائله رجال الصحيح. والمصنف لابن أبي شيبة ١٧/ ١٧٨ رقم ٣٢٨٧٢].

وعَنْ عُمَيْرِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: كَانَ حَمْزَةُ ﷺ يُقَاتِلُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ بِسَيْفَيْنِ، وَيَقُولُ: «**أَنَا أَسَدُ اللهِ**»، قَالَ: فَجَعَلَ يُقْبِلُ وَيُدْبِرُ، فَعَثَرَ، فَوَقَعَ عَلَى قَفَاهُ مُسْتَلْقِيًا وَانْكَشَطَ، وَانْكَشَفَتِ الدِّرْعُ عَنْ بَطْنِهِ، فَأَبْصَرَهُ الْعَبْدُ الْحَبَشِيُّ فَزَرَقَهُ بِرُمْحٍ (رماه به)، أَوْ حَرْبَةٍ، فَنَفَذَهُ بِهَا.

[المصنف لابن أبي شيبة ٢٠/ ٣٤٦ رقم ٣٧٩٠٥، وقال الشيخ عوامة: وهذا مرسل، ورجاله ثقات، إلا عمير بن إسحاق، فلا أقل من أنه لا بأس به كما قال النسائي، لا: مقبول].

وعَنْ زَكَرِيَّا، عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: «قُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقُتِلَ حَنْظَلَةُ بْنُ الرَّاهِبِ الَّذِي طَهَّرَتْهُ الْمَلَائِكَةُ يَوْمَ أُحُدٍ». [المصنف لابن أبي شيبة ١٧/ ١٧٩ رقم ، ٣٢٨٧٣ ، ٢٠/ ٣٥١ رقم ٣٧٩٢٠ ، وقال الشيخ عوامة: وهذا مرسل، ورجاله ثقات، إلا أن زكريا بن أبي زائدة، كان كثير التدليس عن الشعبي، وقد عنعن].

وعن وَكِيعٍ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: لَـمَّا أُصِيبَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ﷺ، يَوْمَ أُحُدٍ، وَرَأَوْا مِنَ الْخَيْرِ مَا رَأَوْا، قَالُوا: «**يَا لَيْتَ إِخْوَانَنَا يَعْلَمُونَ مَا أَصَبْنَا مِنَ الْخَيْرِ كَيْ يَزْدَادُوا رَغْبَةً**» فَقَالَ اللهُ: **أَنَا أُبَلِّغُ عَنْكُمْ**، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾[آل عمران].

[المصنف لابن أبي شيبة ١٠/ ٣٠٣ رقم ١٩٧٨٢، ١٧/ ١٧٩ رقم ٣٢٨٧٤، ٢٠/ ٣٤٦ رقم ٣٧٩٠٦].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ ﷺ يَقُولُ: فَقَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ حَمْزَةَ حِينَ فَاءَ النَّاسُ مِنَ الْقِتَالِ، قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: رَأَيْتُهُ عِنْدَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَهُوَ يَقُولُ: **أَنَا أَسَدُ اللهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلَاءِ**، لِأَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ، **وَأَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ**، مِنِ انْهِزَامِهِمْ، فَسَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَحْوَهُ، فَلَمَّا رَأَى جَبْهَتَهُ بَكَى، وَلَـمَّا رَأَى مَا مُثِّلَ بِهِ شَهَقَ ثُمَّ

قَالَ: «**أَلَا كُفُّنَ؟**»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَرَمَى بِثَوْبٍ، قَالَ جَابِرٌ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَمْزَةُ**». [المستدرك للحاكم في معرفة الصحابة رضي الله عنهم ٣/ ٢١٩ رقم ٤٩٠٠، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: لَـمَّا أُصِيبَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَحَنْظَلَةُ بْنُ الرَّاهِبِ رضي الله عنهما، وَهُمَا جُنُبَانِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رَأَيْتُ الْمَلَائِكَةَ تُغَسِّلُهُمَا**». [مجمع الزوائد ٣/ ١١٨ رقم ٤٠٨٠ ، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير [١١/ ٣٩١ رقم ١٢٠٩٤]، وإسناده حسن].

«وعندما بدأ سيل الهزيمة يجرف صفوف المشركين، فَقَدَ المسلمون ـ وهم في غمرة النصر ـ بطلًا من أعظم أبطالها وقائدًا من أمهر قوادها، وهو أسد الله ورسوله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي ﷺ، وأخوه من الرضاعة، فقد امتدت يد الغدر والاغتيال إلى هذا الأسد وهو يهدم صفوف الشرك بسيفه».
[غزوة أُحد لباشميل ١٠٦].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بِلَالٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ الشَّيَّابِ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الشِّعْبِ آخِرَ أَصْحَابِهِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَدُوِّ غَيْرُ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه، فَقَاتَلَ الْعَدُوَّ، فَرَصَدَهُ وَحْشِيٌّ، فَقَتَلَهُ، وَقَدْ قَتَلَ اللهُ بِيَدِ حَمْزَةَ رضي الله عنه مِنَ الْكُفَّارِ أَحَدًا وَثَلَاثِينَ ، وَكَانَ يُدْعَى أَسَدَ اللهِ.

[مسند الشاميين للطبراني ٢/ ١٩٦ رقم ١١٧٨، والآحاد والمثاني لابن أبي عاصم ٥/ ١٦٣ رقم ٢٧٠١].

«لقد كانت بطولةُ حمزة رضي الله عنه يوم أحد من أروع البطولات في عالَم الفروسية، وكانت بطولته أرفع بطولات الأبطال، فكان ـ رضوان الله عليه ـ يقاتل قتال الليوث المغاوير، ويندفعُ إلى قلب جيش المشركين فيبدِّد جموعَهم، وهو يغامرُ مغامرة منقطعة النَّظير، فينكشفُ عنه الأبطال والكُماة الشجعان، ويتطايرون أمامه كما تتطاير أوراق الخريفِ أمام الرِّياح العاتية، وبينما هو على هذه الحال الكريمة المشرِقة المشرِّفةِ، إذ كَمَنَ له وحشيٌّ حتى تمكَّن منه، ثمَّ رماه بحربته غيلة، فأصابت منه مقتلًا أودى بحياته.

وأمَّا كيف كان مصرع أسد الإله، وكيف كان اغتياله، فسنترك وحشيًّا يحدثنا عن ذلك المشهد المثير المؤلم الحزين». [فرسان من عصر النبوة لجمعة ٧٢].

قاتِل حمزة رضي الله عنه يروي القصة:

عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ، فَلَـمَّا قَدِمْنَا حِمْصَ قَالَ لِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَدِيٍّ: هَلْ لَكَ فِي وَحْشِيٍّ، نَسْأَلُهُ عَنْ قَتْلِ حَمْزَةَ رضي الله عنه؟ قُلْتُ: نَعَمْ، وَكَانَ وَحْشِيٌّ يَسْكُنُ حِمْصَ، فَسَأَلْنَا عَنْهُ، فَقِيلَ لَنَا: هُوَ ذَاكَ فِي ظِلِّ قَصْرِهِ، كَأَنَّهُ حَمِيتٌ (الزق الكبير)، قَالَ: فَجِئْنَا حَتَّى وَقَفْنَا عَلَيْهِ بِيَسِيرٍ، فَسَلَّمْنَا فَرَدَّ السَّلَامَ، قَالَ: وَعُبَيْدُ اللهِ مُعْتَجِرٌ بِعِمَامَتِهِ مَا يَرَى وَحْشِيٌّ إِلا عَيْنَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، فَقَالَ عُبَيْدُ اللهِ: يَا وَحْشِيُّ أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: لا وَاللهِ إِلا أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ عَدِيَّ بْنَ الْخِيَارِ

تَزَوَّجَ امْرَأَةً يُقَالُ لَهَا أُمُّ قِتَالٍ بِنْتُ أَبِي العِيصِ، فَوَلَدَتْ لَهُ غُلامًا بِمَكَّةَ، فَكُنْتُ أَسْتَرْضِعُ لَهُ، فَحَمَلْتُ ذَلِكَ الغُلامَ مَعَ أُمِّهِ، فَنَاوَلتُهَا إِيَّاهُ، فَلَكَأَنِّي نَظَرْتُ إِلَى قَدَمَيْكَ، قَالَ: فَكَشَفَ عُبَيْدُ الله عَنْ وَجْهِهِ.

ثُمَّ قَالَ: أَلا تُخْبِرُنَا بِقَتْلِ حَمْزَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ حَمْزَةَ قَتَلَ طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيِّ بْنِ الخِيَارِ بِبَدْرٍ، فَقَالَ لِي مَوْلايَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ: إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ بِعَمِّي، فَأَنْتَ حُرٌّ، قَالَ: فَلَـمَّا أَنْ خَرَجَ النَّاسُ عَامَ عَيْنَيْنِ (عام أُحُد) ـ وَعَيْنَيْنِ جَبَلٌ بِحِيَالِ أُحُدٍ، بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَادٍ ـ خَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ إِلَى القِتَالِ، فَلَـمَّا أَنْ اصْطَفُّوا لِلقِتَالِ خَرَجَ سِبَاعٌ (بن عبد العُزَّى العُبْشَانِي، وكان يكنى بأبي نيار) فَقَالَ: هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ؟ قَالَ: فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ ﷺ، فَقَالَ: **يَا سِبَاعُ، يَا بْنَ أُمِّ أَنْمَارٍ مُقَطِّعَةِ البُظُورِ** [1] (وكانت أمه أم أنمار مولى شَريق بن الأخنس بن شَرِيق، وكانت خَتَّانة بمكة)، **أَتُحَادُّ اللهَ وَرَسُولَهُ** ﷺ، قَالَ: **ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ فَكَانَ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ.**

قَالَ: وَكَمَنْتُ لِحَمْزَةَ تَحْتَ صَخْرَةٍ، فَلَـمَّا دَنَا مِنِّي رَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي فَأَضَعُهَا فِي ثُنَّتِهِ (أسفل البطن إلى العانة) **حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ وَرِكَيْهِ.**

قَالَ: فَكَانَ ذَاكَ العَهْدَ بِهِ، فَلَـمَّا رَجَعَ النَّاسُ رَجَعْتُ مَعَهُمْ فَأَقَمْتُ بِمَكَّةَ حَتَّى فَشَا فِيهَا الإِسْلامُ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى الطَّائِفِ، فَأَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ رَسُولًا، فَقِيلَ لِي: إِنَّهُ لا يَهِيجُ الرُّسُلَ (لا ينالهم منه إزعاج)، **قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَلَـمَّا رَآنِي قَالَ: «آنْتَ وَحْشِيٌّ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ؟»، قُلْتُ: قَدْ كَانَ مِنَ الأَمْرِ مَا بَلَغَكَ، قَالَ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّي»، قَالَ: فَخَرَجْتُ.**

فَلَـمَّا قُبِضَ رَسُولُ الله ﷺ فَخَرَجَ مُسَيْلِمَةُ الكَذَّابُ قُلْتُ: لأَخْرُجَنَّ إِلَى مُسَيْلِمَةَ لَعَلِّي أَقْتُلُهُ، فَأُكَافِئَ بِهِ حَمْزَةَ، قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ، قَالَ: فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي ثَلْمَةِ جِدَارٍ كَأَنَّهُ جَمَلٌ أَوْرَقُ (أي: لونه مثل الرماد)، **ثَائِرُ الرَّأْسِ، قَالَ: فَرَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي فَأَضَعُهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ، قَالَ: وَوَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى هَامَتِهِ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ الله بْنُ الفَضْلِ: فَأَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ** رضي الله عنهما **يَقُولُ: فَقَالَتْ جَارِيَةٌ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ: وَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، قَتَلَهُ العَبْدُ الأَسْوَدُ.** [البخاري في المغازي (٤٠٧٢)، ومسند أحمد ٢٥/ ٤٨٠ رقم ١٦٠٧٧].

وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «وَقَاتَلَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ حَتَّى قَتَلَ أَرْطَاةَ بْنَ عَبْدِ شُرَحْبِيلَ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ، وَكَانَ أَحَدَ النَّفَرِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ اللِّوَاءَ، ثُمَّ مَرَّ بِهِ سِبَاعُ بْن عَبْدِ الْعُزَّى الْغُبْشَانِيُّ، وَكَانَ يُكَنَّى بِأَبِي نِيَارٍ، فَقَالَ لَهُ حَمْزَةُ: **هَلُمَّ إِلَيَّ يَا بن مُقَطِّعَةِ الْبُظُورِ** ـ وَكَانَتْ أُمُّهُ أُمَّ أَنْمَارٍ مَوْلَاةُ شَرِيقِ بْنِ عَمْرِو بْنِ وَهْبِ الثَّقَفِيِّ.

---

(١) **البظور**: جمع بظر: وهي اللحمة التي تقطع من فرج المرأة عند الختان. قال ابن إسحاق: كانت أمه ختانة بمكة تختن النساء. والعرب تطلق هذا اللفظ في معرض الذم، وإلا قالوا: خاتنة. ينظر: فتح الباري ٧ / ٣٦٩ سلفية.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: شَرِيقُ بْنُ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ.

وَكَانَتْ خَتَّانَةً بِمَكَّةَ ـ فَلَمَّا الْتَقَيَا ضَرَبَهُ حَمْزَةُ فَقَتَلَهُ.

قَالَ وَحْشِيٌّ، غُلَامُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ: وَاللهِ إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى حَمْزَةَ يَهُدُّ (يهلك، ويروى: يهذ في ابن الأثير (٢/ ١٥٦) ومعناه: يسرع في قتلهم) النَّاسَ بِسَيْفِهِ مَا يُلِيقُ بِهِ شَيْئًا (أي: لا يمر بشيء إلا قطعه، وفي السيرة لابن هشام: ما يقوم له شيء)، مِثْلَ الْجَمَلِ الْأَوْرَقِ (الذي لونه بين الغبرة والسواد، وسمي كذلك لما عليه من الغبار)، إذْ تَقَدَّمَنِي إلَيْهِ سِبَاعُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى، فَقَالَ لَهُ حَمْزَةُ ﷺ: **هَلُمَّ إلَيَّ يَا بن مُقَطِّعَةِ الْبُظُورِ**، فَضَرَبَهُ ضَرْبَةً، فَكَأَنَّ مَا أَخْطَأَ رَأْسَهُ (يقال هذا عند المبالغة في الإصابة، كذا قال الزرقاني على المواهب)، وَهَزَزْتُ حَرْبَتِي حَتَّى إذَا رَضِيتُ مِنْهَا دَفَعْتُهَا عَلَيْهِ، فَوَقَعَتْ فِي ثُنَّتِهِ، حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، فَأَقْبَلَ نَحْوِي، فَغُلِبَ فَوَقَعَ، وَأَمْهَلْتُهُ حَتَّى إذَا مَاتَ جِئْتُ فَأَخَذْتُ حَرْبَتِي، ثُمَّ تَنَحَّيْتُ إلَى الْعَسْكَرِ، وَلَمْ تَكُنْ لِي بِشَيْءٍ حَاجَةٌ غَيْرَهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ قَالَ: خَرَجْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ، أَخُو بَنِي نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَأَدْرَبْنَا مَعَ النَّاسِ (أي جزنا الدروب)، فَلَمَّا قَفَلْنَا مَرَرْنَا بِحِمْصَ ـ وَكَانَ وَحْشِيٌّ، مَوْلَى جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، قَدْ سَكَنَهَا، وَأَقَامَ بِهَا ـ فَلَمَّا قَدِمْنَاهَا، قَالَ لِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَدِيٍّ: **هَلْ لَكَ فِي أَنْ نَأْتِيَ وَحْشِيًّا فَنَسْأَلَهُ عَنْ قَتْلِ حَمْزَةَ كَيْفَ قَتَلَهُ**؟ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إنْ شِئْتَ، فَخَرَجْنَا نَسْأَلُ عَنْهُ بِحِمْصَ، فَقَالَ لَنَا رَجُلٌ، وَنَحْنُ نَسْأَلُ عَنْهُ: إنَّكُمَا سَتَجِدَانِهِ بِفِنَاءِ دَارِهِ، وَهُوَ رَجُلٌ قَدْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الْخَمْرُ، فَإِنْ تَجِدَاهُ صَاحِيًا تَجِدَا رَجُلًا عَرَبِيًّا، وَتَجِدَا عِنْدَهُ بَعْضَ مَا تُرِيدَانِ، وَتُصِيبَا عِنْدَهُ مَا شِئْتُمَا مِنْ حَدِيثٍ تَسْأَلَانِهِ عَنْهُ، وَإِنْ تَجِدَاهُ وَبِهِ بَعْضُ مَا يَكُونُ بِهِ، فَانْصَرِفَا عَنْهُ وَدَعَاهُ، قَالَ: فَخَرَجْنَا نَمْشِي حَتَّى جِئْنَاهُ، فَإِذَا هُوَ بِفِنَاءِ دَارِهِ عَلَى طَنْفَسَةٍ (مُثَلّثَة الطَّاء وَالْفَاء، وبكسر الطَّاء وَفتح الْفَاء، وَبِالْعَكْسِ): وَاحِدَة الطنافس من الْبسط وَالثِّيَاب والحصير) لَهُ، فَإِذَا شَيْخٌ كَبِيرٌ مِثْلُ الْبُغَاثِ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْبُغَاثُ: ضَرْبٌ مِنْ الطَّيْرِ إلَى السَّوَادِ.

فَإِذَا هُوَ صَاحٍ لَا بَأْسَ بِهِ، قَالَ: فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إلَيْهِ سَلَّمْنَا عَلَيْهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إلَى عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَدِيٍّ، فَقَالَ: ابْنٌ لِعَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ أَنْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا وَاَللهِ مَا رَأَيْتُكَ مُنْذُ نَاوَلْتُكَ أُمَّكَ السَّعْدِيَّةَ الَّتِي أَرْضَعَتْكَ بِذِي طُوًى (موضع بمكة)، فَإِنِّي نَاوَلْتُكهَا وَهِيَ عَلَى بَعِيرِهَا، فَأَخَذَتْكَ بِعُرْضَيْكَ [1]، فَلَمَعَتْ لِي قَدَمَاكَ حِينَ رَفَعْتُكَ إلَيْهَا، فَوَاللهِ مَا هُوَ إلَّا أَنْ وَقَفْتَ عَلَيَّ فَعَرَفْتُهُمَا.

---

(١) كَذَا فِي أَكثر الْأُصُول، قَالَ أَبُو ذَر: «أخذتك بعرضتك» من رَوَاهُ هَكَذَا، فالعرضة: الْجلد الَّذي يكون فِيهِ الصبى إِذا أرضع، ويربى فِيهِ، وَمن رَوَاهُ «بعرصتك» بالصَّاد الْمُهْملَة، فَمَعْنَاه أَنه رَفعه إِلَيْهَا بِالثَّوْبِ الَّذي كَانَ تَحْتَهُ، وَمِنْه عرصة الدَّار، وَهُوَ مَا يَقع عَلَيْهِ الْبناء، وَمن رَوَاهُ «بعرضيك» فَمَعْنَاه بجانبيك. وَعرض الشَّيْء (بِضَم الْعين): جَانبه.

قَالَ: فَجَلَسْنَا إِلَيْهِ، فَقُلْنَا لَهُ: جِئْنَاكَ لِتُحَدِّثَنَا عَنْ قَتْلِكَ حَمْزَة، كَيف قَتَلْتَهُ؟

فَقَالَ: أَمَا إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمَا كَمَا حَدَّثْتُ رَسُولَ الله ﷺ حِينَ سَأَلَنِي عَنْ ذَلِكَ، كُنْتُ غُلَامًا لِجُبَيْرِ ابْنِ مُطْعِمٍ، وَكَانَ عَمُّهُ طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيٍّ قَدْ أُصِيبَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَلَمَّا سَارَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أُحُدٍ، قَالَ لِي جُبَيْرٌ: إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ عَمَّ مُحَمَّدٍ بِعَمِّي فَأَنْتَ عَتِيقٌ، قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ، وَكُنْتُ رَجُلًا حَبَشِيًّا أَقْذِفُ بِالْحَرْبَةِ قَذْفَ الْحَبَشَةِ، قَلَّمَا أُخْطِئُ بِهَا شَيْئًا، فَلَمَّا الْتَقَى النَّاسُ خَرَجْتُ انْظُرُ حَمْزَة وَأَتَبَصَّرُهُ، حَتَّى رَأَيْتُهُ فِي عُرْضِ النَّاسِ مِثْلَ الْجَمَلِ الْأَوْرَقِ، يَهُدُّ النَّاسَ بِسَيْفِهِ هَدًّا، مَا يَقُومُ لَهُ شَيْء، فَوَالله إِنِّي لَأَتَهَيَّأُ لَهُ، أُرِيدُهُ وَأَسْتَتِرُ مِنْهُ بِشَجَرَةٍ أَوْ حَجَرٍ لِيَدْنُوَ مِنِّي إِذْ تَقَدَّمَنِي إِلَيْهِ سِبَاعُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى، فَلَمَّا رَآهُ حَمْزَةُ قَالَ لَهُ: هَلُمَّ إِلَيَّ يَا بن مُقَطِّعَةِ الْبُظُورِ، قَالَ: فَضَرَبَهُ ضَرْبَةً كَأَنَّ مَا أَخطَأَ رَأْسَهُ، قَالَ: وَهَزَزْتُ حَرْبَتِي، حَتَّى إِذَا رَضِيتُ مِنْهَا، دَفَعْتُهَا عَلَيْهِ، فَوَقَعَتْ فِي ثُنَّتِهِ، حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، وَذَهَبَ لِيَنُوءَ (ينهض متثاقلًا) نَحْوِي، فَغُلِبَ، وَتَرَكْتُهُ وَإِيَّاهَا حَتَّى مَاتَ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَأَخَذْتُ حَرْبَتِي، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى الْعَسْكَرِ، فَقَعَدْتُ فِيهِ، وَلَمْ يَكُنْ لِي بِغَيْرِهِ حَاجَةٌ، وَإِنَّمَا قَتَلْتُهُ لِأُعْتَقَ، فَلَمَّا قَدِمْتُ مَكَّةَ أُعْتِقْتُ، ثُمَّ أَقَمْتُ حَتَّى إِذَا افْتَتَحَ رَسُولُ الله ﷺ مَكَّةَ هَرَبْتُ إِلَى الطَّائِفِ، فَمَكَثْتُ بِهَا، فَلَمَّا خَرَجَ وَفْدُ الطَّائِفِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ لِيُسْلِمُوا تَعَيَّتْ عَلَيَّ الْمَذَاهِبُ، فَقُلْتُ: أَلْحَقُ بِالشَّأْمِ، أَوْ الْيَمَنِ، أَوْ بِبَعْض الْبِلَاد، فَوَالله إِنِّي لَفِي ذَلِكَ مِنْ هَمِّي، إِذْ قَالَ لِي رَجُلٌ: وَيْحَكَ! إِنَّهُ وَالله مَا يَقْتُلُ أَحَدًا مِنْ النَّاسِ دَخَلَ فِي دِينِهِ، وَتَشَهَّدَ شَهَادَتَهُ.

فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ، خَرَجْتُ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ الْمَدِينَةَ، فَلَمْ يَرُعْهُ إِلَّا بِي قَائِمًا عَلَى رَأْسِهِ أَتَشَهَّدُ بِشَهَادَةِ الْحَقِّ، فَلَمَّا رَآنِي قَالَ: «**أَوَحْشِيٌّ؟**»، قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**اقْعُدْ فَحَدِّثْنِي كَيْفَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ؟**»، قَالَ: فَحَدَّثْتُهُ كَمَا حَدَّثْتُكُمَا، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنْ حَدِيثِي قَالَ: «**وَيْحَكَ! غَيِّبْ عَنِّي وَجْهَكَ، فَلَا أُرِيَنَّكَ**»، قَالَ: فَكُنْتُ أَتَنَكَّبُ رَسُولَ الله ﷺ حَيْثُ كَانَ لِئَلَّا يَرَانِي، حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ ﷺ.

فَلَمَّا خَرَجَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ صَاحِبِ الْيَمَامَةِ خَرَجْتُ مَعَهُمْ، وَأَخَذْتُ حَرْبَتِي الَّتِي قَتَلْتُ بِهَا حَمْزَةَ، فَلَمَّا الْتَقَى النَّاسُ رَأَيْتُ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابَ قَائِمًا فِي يَدِهِ السَّيْفَ، وَمَا أَعْرِفُهُ، فَتَهَيَّأْتُ لَهُ، وَتَهَيَّأَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ مِنْ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى، كِلَانَا يُرِيدُهُ، فَهَزَزْتُ حَرْبَتِي حَتَّى إِذَا رَضِيتُ مِنْهَا دَفَعْتُهَا عَلَيْهِ، فَوَقَعَتْ فِيهِ، وَشَدَّ عَلَيْهِ الْأَنْصَارِيُّ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ، فَرَبُّكَ أَعْلَمُ أَيُّنَا قَتَلَهُ، فَإِنْ كُنْتُ قَتَلْتُهُ، فَقَدْ قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ، وَقَدْ قَتَلْتُ شَرَّ النَّاسِ. [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦٩- ٧٣، وقد رواه الطبراني في المعجم الكبير ٣/ ١٤٧ رقم ٢٩٤٧، وقال الشيخ الصوياني: سنده صحيح. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص ٢٥٤].

وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بْنُ الْفَضْلِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﵄، وَكَانَ قَدْ شَهِدَ الْيَمَامَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ يَوْمئِذٍ صَارِخًا يَقُولُ: **قَتَلَهُ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ**».

[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٧٣].

وعَنْ عُبَيْدِ الله بْنِ عَدِيٍّ بْنِ الْخِيَارِ، قَالَ: أَقْبَلْنَا مِنَ الرُّومِ فَلَمَّا قَرُبْنَا مِنْ حِمْصَ قُلْنَا: لَوْ مَرَرْنَا بِوَحْشِيٍّ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ قَتْلِ حَمْزَةَ، فَلَقِينَا رَجُلًا فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: هُوَ رَجُلٌ قَدْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الْخَمْرُ، فَإِنْ أَدْرَكْتُمَاهُ وَهُوَ صَاحٍ لَمْ تَسْأَلَاهُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرَكُمَا، وَإِنْ أَدْرَكْتُمَاهُ شَارِبًا فَلَا تَسْأَلَاهُ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَيْهِ قَدْ أُلْقِيَ لَهُ شَيْءٌ عَلَى بَابِهِ وَهُوَ جَالِسٌ صَاحٍ، فَقَالَ: **ابْنُ الْخِيَارِ؟** قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: **مَا رَأَيْتُكَ مُنْذُ حَمَلَتْكَ إِلَيَّ أُمُّكَ بِذِي طُوًى إِذْ وَضَعَتْكَ فَرَأَيْتُ قَدَمَيْكَ فَعَرَفْتُهُمَا**، قَالَ: قُلْتُ: جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ قَتْلِ حَمْزَةَ، فَقَالَ: سَأُحَدِّثُكُمَا كَمَا حَدَّثْتُ رَسُولَ الله ﷺ حِينَ سَأَلَنِي، كُنْتُ عَبْدًا لِآلِ مُطْعِمٍ فَقَالَ لِي ابْنُ أَخِي مُطْعِمٍ: إِنْ أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ بِعَمِّي فَأَنْتَ حُرٌّ، فَانْطَلَقْتُ يَوْمَ أُحُدٍ مَعِي حَرْبَتِي وَأَنَا رَجُلٌ مِنَ الْحَبَشَةِ أَلْعَبُ بِهَا لَعِبَهُمْ، فَخَرَجْتُ يَوْمَئِذٍ مَا أُرِيدُ أَنْ أَقْتُلَ أَحَدًا وَلَا أُقَاتِلَهُ إِلَّا حَمْزَةَ، فَخَرَجْتُ فَإِذَا أَنَا بِحَمْزَةَ كَأَنَّهُ بَعِيرٌ أَوْرَقُ، مَا يَرْفَعُ لَهُ أَحَدٌ إِلَّا قَمَعَهُ بِالسَّيْفِ، فَهِبْتُهُ، وَبَادَرَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ سِبَاعٍ، فَسَمِعْتُ حَمْزَةَ يَقُولُ: **إِلَيَّ يَا ابْنَ مُقَطِّعَةِ الْبُظُورِ**، فَشَدَّ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ، وَجَعَلْتُ أَلُوذُ مِنْهُ، فَلُذْتُ بِشَجَرَةٍ وَمَعِي حَرْبَتِي، حَتَّى إِذَا اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ هَزَزْتُ الْحَرْبَةَ حَتَّى رَضِيتُ مِنْهَا، ثُمَّ أَرْسَلْتُهَا فَوَقَعَتْ بَيْنَ ثَنْدُوَتَيْهِ، وَذَهَبَ لِيَقُومَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَقَتَلْتُهُ، ثُمَّ أَخَذْتُ حَرْبَتِي مَا قَتَلْتُ أَحَدًا وَلَا قَاتَلْتُهُ، فَلَمَّا جِئْتُهُ عُتِقْتُ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ أَرَدْتُ الْهَرَبَ مِنْهُ أُرِيدُ الشَّامَ، فَأَتَانِي رَجُلٌ فَقَالَ: **وَيْحَكَ يَا وَحْشِيُّ وَالله مَا يَأْتِي مُحَمَّدًا أَحَدٌ فَيَشْهَدُ بِشَهَادَتِهِ إِلَّا خَلَّى عَنْهُ**، فَانْطَلَقْتُ فَمَا شَعَرَ بِي إِلَّا وَأَنَا قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ أَشْهَدُ بِشَهَادَةِ الْحَقِّ، فَقَالَ: «**أَوَحْشِيٌّ؟**» قُلْتُ: **نَعَمْ وَحْشِيٌّ**، قَالَ: «**وَيْحَكَ حَدِّثْنِي عَنْ قَتْلِ حَمْزَةَ**» فَأَنْشَأْتُ أُحَدِّثُهُ كَمَا حَدَّثْتُكُمَا، فَقَالَ: «**وَيْحَكَ يَا وَحْشِيُّ غَيِّبْ عَنِّي وَجْهَكَ فَلَا أَرَاكَ**»، فَكُنْتُ أَتَّقِي أَنْ يَرَانِي رَسُولُ الله ﷺ، وَقَبَضَ اللهُ نَبِيَّهُ الله ﷺ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ مُسَيْلِمَةَ مَا كَانَ، وَانْبَعَثَ إِلَيْهِ الْبَعْثُ انْبَعَثْتُ مَعَهُ وَأَخَذْتُ حَرْبَتِي، فَالْتَقَيْنَا فَبَادَرْتُهُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَرَبُّكَ أَعْلَمُ أَيُّنَا قَتَلَهُ، فَإِنْ كُنْتُ قَتَلْتُهُ فَقَدْ قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ وَشَرَّ النَّاسِ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما يَقُولُ: كُنْتُ فِي الْجَيْشِ يَوْمَئِذٍ فَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ فِي مُسَيْلِمَةَ: **قَتَلَهُ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ**.

[مسند أبي داود الطيالسي ٢/ ٦٥١-٦٥٢ رقم ١٤١٠، والسنن الكبرى للبيهقي ٩/ ١٦٥-١٦٦ رقم ١٨١٨٨، وقال البيهقي: لفظ حديث أبي داود، وحديث حجين بمعناه يزيد وينقص، لم يذكر حديث الشرب ولا قوله: «إن كنت قتلته»، وقد أخرجه البخاري في الصحيح عن أبي جعفر محمد بن عبد الله، عن حجين بن المثنى].

وعَنْ وَحْشِيِّ بْنِ حَرْبٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ لِي: «**وَحْشِيٌّ؟**» فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**أَقَتَلْتَ حَمْزَةَ؟**»، قُلْتُ: **نَعَمْ، وَالْحَمْدُ لله الَّذِي أَكْرَمَهُ بِيَدِي وَلَمْ يُهِنِّي بِيَدَيْهِ**، فَقَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ: **أَتُحِبُّهُ وَهُوَ قَاتِلُ حَمْزَةَ؟**، فَقُلْتُ: **يَا رَسُولَ الله، فَاسْتَغْفِرْ لِي**، فَتَفَلَ فِي الْأَرْضِ ثَلَاثَةً، وَدَفَعَ فِي صَدْرِي ثَلَاثَةً، وَقَالَ: «**يَا وَحْشِيُّ، اخْرُجْ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ الله كَمَا قَاتَلْتَ لِتَصُدَّ عَنْ سَبِيلِ الله**».

[مجمع الزوائد ٦/ ١٧٥ رقم ١٠١١٢، وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ٢٢/ ١٣٩ رقم ٣٧٠، والأوسط رقم ١٨٢١ أيضاً بنحوه]، وإسناده حسن. قلت: وله طريق أتم من هذه في مناقب وحشي].

رجل يُعد بالآلاف:

«وهكذا فقد المسلمون ـ بمصرع حمزة بن عبد المطلب ﷺ ـ رجلًا يُعَدُّ بالآلاف، فقد كان ﷺ من أكبر سواعد النبي ﷺ في الملاحم، كان في أُحُدٍ ـ كيوم بدر ـ نجم المعركة اللامع.

كان المشركون موتورين من حمزة ﷺ، وكانت قلوبهم تغلي حقدًا عليه؛ لأنه صرع الأحبة من فرسانهم يوم بدر، وكان الذين وترهم حمزة ﷺ يوم بدر في ذويهم يودون قتله انتقامًا.

ولكنهم جميعًا يدركون أن مواجهة حمزة ﷺ ليس بالأمر الهين، فشهرته الحربية واستفاضة ضراوته في القتال جعلت فرائص أعظم الأبطال ترتعد لمجرد التفكير في ملاقاة هذا البطل.

ولهذا لجأ الموتورون من حمزة ﷺ إلى طريق الاغتيال، فتم الاتفاق ـ كما تقدم ـ بين جُبير بن مطعم ومولاه وحشي على عتقه مقابل أن يقتل حمزة ﷺ.

ونُفذت خطة الاغتيال الدنيئة». [**غزوة أُحد لباشميل ١٠٩**].

«لقد كان حمزة ﷺ عم النبي ﷺ وأخاه من الرضاعة، وكان فوق ذلك كله رجلًا يُعد بالآلاف في المعارك، وكان مثلًا عاليًا للشهامة والنجدة والنبل، وكان عضد رسول الله ﷺ عندما يستعر لهيب الحرب، فكان الإسلام ـ يوم مقتل حمزة ﷺ ـ في أمس الحاجة إلى أمثاله من القادة الشجعان؛ لأن الأخطار العسكرية كانت تكتنف الدعوة الإسلامية الناشئة من كل جانب.

فكان مصرع حمزة ﷺ ـ بحق ـ يوم ذاك خسارة عسكرية فادحة بالنسبة للمسلمين، ولم ينل رسول الله ﷺ مثل ما ناله يوم وقف على جثمان عمه البطل الشهيد حمزة ﷺ». [**غزوة أُحد لباشميل ١٨٩**].

لقد «صُرع حمزة ﷺ، لا كما تُصرع الأبطال وجهًا لوجه في ميدان القتال، وإنما كما يُغتال الكرام في حلك الظلام، وهل كان أحد من شجعان العرب جميعًا يحسب نفسه كفؤًا لحمزة ﷺ ونزاله؟

وهل كان يظن أحد أن يطالع الموت حمزة ﷺ في معركة على طول ما مشى بين صفوف الموت مختالًا، ولكن ما عسى أن تُغني الشجاعة والنبل حين يختبئ الاغتيال في حندس الليل فيورد صاحبها حتفه».

[**في منزل الوحي لهيكل ٥٥٧**].

«ونام حمزة بن عبد المطلب ﷺ في رقدته الأبدية عَلَمًا على الشهداء، وانتهت صولة الأسد، وخفقت أصداء تلك الأصوات التي كان يلقيها مملوءة بآيات التوحيد، فتَفزع أمامه الجَحاجِحُ (الجَحْجَاحُ بالفتح السيد والجمع الجَحاجِحُ)، وتنهار أمام عينيه حجب الزمان والمكان.

لقد استشهد وزير رسول الله ﷺ وحبيبه، وبكاه إمام المرسلين، فبكته السماء مرددة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [آل عمران]. [**شهداء الصحابة ﷺ في صدر الإسلام لعبد الوهاب٧٣**].

دعوة الرسول ﷺ وحشي إلى الإسلام:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى وَحْشِيٍّ قَاتِلِ حَمْزَةَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ: **يَا مُحَمَّدُ، كَيْفَ تَدْعُونِي إِلَى دِينِكَ، وَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ مَنْ قَتَلَ أَوْ أَشْرَكَ أَوْ زَنَا يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا، وَأَنَا قَدْ صَنَعْتُ ذَلِكَ؟ فَهَلْ تَجِدُ لِي مِنْ رُخْصَةٍ؟** فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان]، فَقَالَ وَحْشِيٌّ: **يَا مُحَمَّدُ، هَذَا شَرْطٌ شَدِيدٌ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا، فَلَعَلِّي لَا أَقْدِرُ عَلَى هَذَا،** فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء]، فَقَالَ وَحْشِيٌّ: **يَا مُحَمَّدُ أَرَى بَعْدَ مشيئةٍ فَلَا أَدْرِي يُغْفَرُ لِي أَمْ لَا فَهَلْ غَيْرُ هَذَا؟** فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر]، قَالَ وَحْشِيٌّ: **هَذَا نَعَمْ،** فَجَاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّاسُ: **يَا رَسُولَ الله، إِذَا أَصَبْنَا مَا أَصَابَ وَحْشِيٌّ،** قَالَ: «**هِيَ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً**». [مجمع الزوائد كتاب التفسير ٧/ ٢٤ رقم ١١٣١٤، وكتاب التوبة ١٠/ ٣٦١ رقم ١٧٦٢٤، وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ١١/ ١٩٧ رقم ١١٤٨٠]، وفيه أبين بن سفيان ضعفه الذهبي].

وعَنْ سَعِيدٍ، قَالَ: نَزَلَتْ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨] فِي وَحْشِيٍّ وَأَصْحَابِهِ، قَالُوا: كَيْفَ لَنَا بِالتَّوْبَةِ وَقَدْ عَبَدْنَا الْأَوْثَانَ، وَقَتَلْنَا الْمُؤْمِنِينَ، وَنَكَحْنَا الْمُشْرِكَاتِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان]، فَأَبْدَلَهُمُ اللهُ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ عِبَادَةَ الله، وَأَبْدَلَهُمْ بِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ، وَأَبْدَلَهُمْ بِنِكَاحِ الْمُشْرِكَاتِ نِكَاحَ الْمُؤْمِنَاتِ. [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم ٤/ ٢٨٤-٢٨٥].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: جَاءَ وَحْشِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: **يَا مُحَمَّدُ جِئْتُكَ مُسْتَجِيرًا بِكَ،** فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قَدْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ أَرَاكَ عَلَى غَيْرِ جِوَارٍ، فَأَمَا إِذَا كُنْتُ مُسْتَجِيرًا فَأَنْتَ فِي جِوَارِي حَتَّى تَسْمَعَ كَلَامَ الله تَعَالَى**»، قَالَ: **فَإِنِّي أَشْرَكْتَ بِالله الْعَظِيمِ، وَقَتَلْتُ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ، فَهَلْ تُقْبَلُ مِنْ مِثْلِي تَوْبَةٌ؟،** فَصَمَتَ رَسُولُ الله ﷺ فَلَمْ يُجِبْهُ حَتَّى نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠] الْآيَةَ، فَقَرَأَهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: **أَرَى شَرْطًا، فَلَعَلِّي لَا أَعْمَلُ صَالِحًا، أَنَا فِي جِوَارِكَ حَتَّى أَسْمَعَ كَلَامَ الله،** فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء: ٤٨]، فَدَعَاهُ فَقَرَأَهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ وَحْشِيٌّ: **فَلَعَلِّي مِمَّنْ لَا يَشَاءُ اللهُ، أَنَا فِي جِوَارِكَ حَتَّى أَسْمَعَ كَلَامَ الله،** قَالَ: فَنَزَلَتْ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر]، قَالَ وَحْشِيٌّ: **الْآنَ لَا أَرَى شَرْطًا،** فَتَشَهَّدَ وَأَسْلَمَ. [شعب الإيمان للبيهقي ٩/ ٣٤٢ رقم ٦٧٣٨، وقال محققه: إسناده لا بأس به].

السيطرة على الموقف:

«وبالرغم من الخسارة الفادحة التي نزلت بالمسلمين، بمصرع الأسد حمزة ﷺ فإن قواتهم ظلت مسيطرة على الموقف، فلم يتراخوا ولم يحدث أي انحسار في مد الانتصار الذي سجلوه على جيش مكة.

لاسيما أن مصرع حمزة ﷺ لم يكتشفه المسلمون إلا بعد انتهاء المعركة، التي فقد المسلمون فيها كثيرًا من أبطالهم؛ ولأن قتل حمزة لم يكن إلا غيلة في غمرة النصر والمسلمون يطاردون العدو المنهزم».

[غزوة أُحد لباشميل ١٠٩].

الفارس ذو العصابة:

«أما أبو دجانة ﷺ، وهو الركن الثاني من أركان المعركة، والذي أبى الرسول ﷺ أن يعطي سيفه لأحد سواه عندما عرضه على أصحابه قبل المعركة، فقد أبلى بلاء عظيمًا، فكان يوم أُحد لا يقوم له أحد، وقد كان لبسالته أثر عظيم في اندحار المشركين في الصفحة الأولى من المعركة». **[غزوة أُحد لباشميل ١١٠].**

قَالَ ابْنُ هِشَام: حَدَّثَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ العِلمِ أَنَّ الزُّبَيْرَ بْنَ العَوَّام ﷺ قَالَ: وَجِدْتُ فِي نَفْسِي حِينَ سَأَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ السَّيْفَ فَمَنَعْنِيهِ وَأَعْطَاهُ أَبَا دُجَانَةَ، وَقُلْتُ: أَنَا ابْنُ صَفِيَّةَ عَمَّتِهِ، وَمِنْ قُرَيْشٍ، وَقَدْ قُمْتُ إِلَيْهِ فَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُ قَبْلَهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَتَرَكَنِي، وَالله لَأَنْظُرَنَّ مَا يَصْنَعُ، فَاتَّبَعْتُهُ، فَأَخْرَجَ عِصَابَةً لَهُ حَمْرَاءَ، فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ فَقَالَتْ الأَنْصَارُ: أَخْرَجَ أَبُو دُجَانَةَ عِصَابَةَ المَوْتِ، وَهَكَذَا كَانَتْ تَقُولُ لَهُ إِذَا تَعَصَّبَ بِهَا، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ:

أَنَــا الَّــذِي عَاهَــدَنِي خَلِــيلِي ... وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيلِ
أَلَّا أَقُــومَ الــدَّهْرَ فِي الكَيُّــولِ[1] ... أَضْرِبْ بِسَيْفِ الله وَالرَّسُولِ

قَالَ ابْنُ هِشَام: وَيُرْوَى فِي الكُبُول.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاق: فَجَعَلَ لَا يَلقَى أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ.

وَكَانَ فِي المشْرِكِينَ رَجُلٌ لَا يَدَعُ لَنَا جَرِيحًا إِلَّا ذَفَّفَ عَلَيْهِ فَجَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَدْنُو مِنْ صَاحِبِهِ، فَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُمَا، فَالتَقَيَا، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ، فَضَرَبَ المشْرِكُ أَبَا دُجَانَةَ فَاتَّقَاهُ بِدَرَقَتِهِ فَعَضَّتْ بِسَيْفِهِ، وَضَرَبَهُ أَبُو دُجَانَةَ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ قَدْ حَمَلَ السَّيْفَ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِ هِنْدِ بِنْتِ عُتْبَةَ، ثُمَّ عَدَلَ السَّيْفَ عَنْهَا.

قَالَ الزُّبَيرُ: فَقُلْتُ: **اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ**». **[السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٦٨-٦٩].**

قال الواقدي: «قَالَ كَعْبٌ: وَإِذَا رَجُلٌ مِنْ المُشْرِكِينَ جَامِعُ اللأْمَةِ يَصِيحُ: اسْتَوْسِقُوا كَمَا يُسْتَوْسَقُ جُرْبُ الغَنَمِ، وَإِذَا رَجُلٌ مِنْ المُسْلِمِينَ عَلَيْهِ لأْمَتُهُ، فَمَشَيْت حَتَّى كُنْتُ مِنْ وَرَائِهِ، ثُمَّ قُمْتُ أُقَدِّرُ المُسْلِمَ وَالكَافِرَ بِبَصَرِي، فَإِذَا الكَافِرُ أَكْثَرُهُمَا عُدَّةً وَأُهْبَةً، فَلَمْ أَزَل أَنْظُرُهُمَا حَتَّى التَقَيَا، فَضَرَبَ المُسْلِمُ الكَافِرَ

---

(١) **الكَيُّول**: آخر الصفوف في الحرب.

عَلَى حَبْلِ عَاتِقِهِ بِالسَّيْفِ فَمَضَى السَّيْفُ حَتَّى بَلَغَ وَرِكَيْهِ وَتَفَرَّقَ الْمُشْرِكُ فِرْقَتَيْنِ، وَكَشَفَ الْمُسْلِمُ عَنْ وَجْهِهِ فَقَالَ: كَيْفَ تَرَى يَا كَعْبُ؟ أَنَا أَبُو دُجَانَةَ». [المغازي للواقدي ١/ ٢٦٠-٢٦١، البداية والنهاية ٤/ ٢٠].

فاختيار النبي ﷺ أبا دجانة وإعطاؤه السيف من بين جميع أصحابه، يدل على خبرته بالرجال ومعرفته كيف يختار الأكفاء في المواطن الحرجة، والساعات الدقيقة من المعارك الفاصلة.

كاد أبو دجانة رضي الله عنه يقتل هند بنت عتبة:

«ومن عجائب القدر أن أبا دجانة هذا كاد يقتل تلك المرأة العنيدة هند بنت عتبة زوج القائد العام لجيش مكة التي حضرت لتحريض الناس على سفك الدماء، فقد التقى بها أبو دجانة، وهي بلباس الميدان كالرجال وكاد يفلق رأسها بالسيف، لولا أن أدركتها أنوثتها فولولت عندما أحست بالموت يقترب منها.

وكان أبو دجانة رضي الله عنه قد تحدث بهذا فيما تحدث به من أخبار أُحد.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ رضي الله عنه: رَأَيْتُ إِنْسَانًا يَخْمُشُ النَّاسَ خَمْشًا شَدِيدًا (أي يحرضهم على القتال)، فَصَمَدْتُ لَهُ، فَلَمَّا حَمَلْتُ عَلَيْهِ السَّيْفَ وَلْوَلَ (أي صاح فزعًا)، فَإِذَا امْرَأَةٌ، فَأَكْرَمْتُ سَيْفَ رَسُولِ الله ﷺ أَنْ أَضْرِبَ بِهِ امْرَأَةً».

وقال الزبير بن العوام رضي الله عنه: ثُمَّ رَأَيْتُهُ قَدْ حَمَلَ السَّيْفَ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِ هِنْدٍ بِنْتِ عُتْبَةَ، ثُمَّ عَدَلَ السَّيْفَ عَنْهَا. [السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٦٩].

وعَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رضي الله عنه قَالَ: عَرَضَ رَسُولُ الله ﷺ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: «**مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ**»، فَقَامَ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ رضي الله عنه، فَقَالَ يَا رَسُولَ الله: **أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ فَمَا حَقُّهُ؟** قَالَ: فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَخَرَجَ فَاتَّبَعْتُهُ، فَجَعَلَ لَا يَمُرُّ بِشَيْءٍ إِلَّا أَفْرَاهُ (شقه وفتته)، وَهَتَكَهُ (أزاله من موضعه أو شق جزءًا منه فبدا ما وراءه)، حَتَّى أَتَى نِسْوَةً فِي سَفْحِ جَبَلٍ، وَمَعَهُمْ هِنْدُ وَهِيَ تَقُولُ:

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقْ	**نَمْشِي عَلَى النَّمَارِقْ** (١)
وَالْمِسْكُ فِي الْمَفَارِقْ	**إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقْ**
أَوْ تُدْبِرُوا نُفَارِقْ	**فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقْ** (٢)

قَالَ: فَحَمَلَ عَلَيْهَا، فَنَادَتْ: يَا آلَ صَخْرٍ، فَلَمْ يُجِبْهَا أَحَدٌ، فَانْصَرَفَ، فَقُلْتُ لَهُ: **كُلُّ صَنِيعِكَ قَدْ رَأَيْتُهُ فَأَعْجَبَنِي غَيْرَ أَنَّكَ لَمْ تَقْتُلِ الْمَرْأَةَ**، قَالَ: **إِنَّهَا نَادَتْ فَلَمْ يُجِبْهَا أَحَدٌ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَضْرِبَ بِسَيْفِ رَسُولِ الله ﷺ امْرَأَةً لَا نَاصِرَ لَهَا**. [مجمع الزوائد ٦/ ١٥٦ كتاب المغازي والسير (١٠٠٦٩)، وقال الهيثمي: رواه البزار [مسند البزار ٣/ ١٩٣ رقم ٩٧٩] ورجاله ثقات].

---

(١) **النمارق**: جمع نمرقة وهي الوسادة الصغيرة.

(٢) **الوامق**: المحب.

كاد حنظلة ﵁ يقتل القائد العام للمشركين:

وقد كاد البطل حنظلة ﵁ يقتل أبا سفيان قائد عام جيش المشركين.

عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنِ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: وَقَدْ كَانَ النَّاسُ انْهَزَمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى انْتَهَى بَعْضُهُمْ إِلَى دُونِ الْأَعْرَاضِ (أعراض المدينة: قال الأصمعي: هي قراها التي في أوديتها، وقال شمر: هي بطون سوادها حيث الزرع والنخل) عَلَى جَبَلٍ بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدْ كَانَ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ [الغَسِيلُ] الْتَقَى هُوَ وَأَبُو سفيان بن حرب، فَلَمَّا اسْتَعْلَاهُ حَنْظَلَةُ رَآهُ شَدَّادُ بْنُ الْأَسْوَدِ [وَهُوَ ابْنُ شَعُوبٍ]، فَعَلَاهُ شَدَّادٌ بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلَهُ، وَقَدْ كَادَ يَقْتُلُ أَبَا سُفْيَانَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ صَاحِبَكُمْ حَنْظَلَةَ تُغَسِّلُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَسَلُوا صَاحِبَتَهُ**»، [فَسُئِلَتْ صَاحِبَتُهُ عَنْهُ] فَقَالَتْ: خَرَجَ وَهُوَ جُنُبٌ لَـمَّا سَمِعَ الْهَائِعَةَ (قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: الهَائِعَةُ وَالهَيْعَةُ: الصَّيْحَةُ التِي فِيهَا الفَزَعُ)، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَذَاكَ [فَلِذَلِكَ] قَدْ غَسَّلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ**».

[صحيح ابن حبان ١٥/ ٤٩٥ رقم ٧٠٢٥، وقال الشيخ الأرناؤوط: حديث صحيح، رجاله ثقات، وابن إسحاق قد صرح بالتحديث، والمستدرك على الصحيحين كتاب معرفة الصحابة ﵃ ٣/ ٢٢٥ رقم ٤٩١٧ ، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي في التلخيص. السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٧٦. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص ٢٨٠، صحيح السيرة النبوية للعلي ص ٢١٤].

وعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ عَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي عَاصِمٍ أَنَّهُ الْتَقَى هُوَ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ فَلَمَّا اسْتَعْلَاهُ حَنْظَلَةُ رَآهُ شَدَّادُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ ابْنُ شَعُوبٍ، قَدْ عَلَا أَبَا سُفْيَانَ فَضَرَبَهُ شَدَّادٌ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ صَاحِبَكُمْ - يَعْنِي حَنْظَلَةَ - لَتُغَسِّلُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَسَلُوا أَهْلَهُ مَا شَأْنُهُ؟**»، فَسُئِلَتْ صَاحِبَتُهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ وَهُوَ جُنُبٌ حِينَ سَمِعَ الْهَائِعَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لِذَلِكَ غَسَّلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ**».

قَالَ الْإِمَامُ: قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ الْهَائِعَةُ وَالْهَيْعَةُ صَوْتُ الْقِتَالِ. **[دلائل النبوة لإسماعيل الأصبهاني ص ١١٠ رقم ١٠٩، وقال الشيخ الصوياني: سنده قوي. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص ٢٨٠].**

قال الواقدي: «فَلَـمَّا انْكَشَفَ الْمُشْرِكُونَ اعْتَرَضَ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ ﵁ لأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فَضَرَبَ عُرْقُوبَ فَرَسِهِ فَاكْتَسَعَتْ الفَرَسُ، وَيَقَعُ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى الأَرْضِ، فَجَعَلَ يَصِيحُ: **يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَنَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ**، وَحَنْظَلَةُ يُرِيدُ ذَبْحَهُ بِالسَّيْفِ، فَأَسْمَعَ الصَّوْتُ رِجَالًا لا يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهِ مِنَ الهَزِيمَةِ حَتَّى عَايَنَهُ **الأَسْوَدُ بْنُ شَعُوبَ** [1]، فَحَمَلَ عَلَى حَنْظَلَةَ بِالرُّمْحِ فَأَنْفَذَهُ، فَمَشَى حَنْظَلَةُ إِلَيْهِ بِالرُّمْحِ وَقَدْ أَثْبَتَهُ، ثُمَّ ضَرَبَهُ الثَّانِيَةَ فَقَتَلَهُ.

---

(١) في ابن هشام: شداد بن الأسود، وقال السهيلي في الروض: إن الذي قتل حنظلة جعونةٌ بن شعوب الليثي مولى نافع بن أبي نافع.

وَهَرَبَ أَبُو سُفْيَانَ يَعْدُو عَلَى قَدَمَيْهِ فَلَحِقَ بِبَعْضِ قُرَيْشٍ، فَنَزَلَ عَنْ صَدْرِ فَرَسِهِ، وَرَدِفَ وَرَاءَ أَبِي سُفْيَانَ ـ فَذَلِكَ قَوْلُ أَبِي سُفْيَانَ». [المغازي للواقدي١/ ٢٧٣-٢٧٤].

مُنقذ أبي سفيان:

وكان ابن شعوب الذي أنقذ أبا سفيان من سيف حنظلة، يمن دائمًا على أبي سفيان ويذكره بفضله عليه، ومن هذا المن ذلك الشعر الذي سار مع الركبان، والذي قاله ابن شعوب يذكر أبا سفيان ليعرف فضله عليه يوم أنقذه من سيف حنظلة البطل.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ شَدَّادُ بْنُ الْأَسْوَدِ فِي قَتْلِهِ حَنْظَلَةَ رضي الله عنه:

لأَحْمِيَنَّ صَاحِبِي وَنَفْسِي ... وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيلِ

وَقَال أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَهُوَ يَذْكُرُ صَبْرَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَمُعَاوَنَةَ ابْنِ شَعُوبٍ إِيَّاهُ عَلَى حَنْظَلَةَ:

وَلَوْ شِئْتُ نَجَّتْنِي كُمَيْتٌ طِمِرَّةٌ ... وَلَمْ أَحْمِلِ النَّعْمَاءَ لابْنِ شَعُوبِ [(١)]

وَمَا زَالَ مُهْرِي مَزْجَرَ الكَلْبِ مِنْهُمُ ... لَدُنْ غُدْوَةً حَتَّى دَنَتْ لِغُرُوبِ [(٢)]

أُقَاتِلُهُمْ وَأَدَّعِي يَا لَغَالِبٍ ... وَأَدْفَعُهُمْ عَنِّي بِرُكْنٍ صَلِيبِ

فَبَكِّي وَلَا تَرْعَى مَقَالَةَ عَاذِلٍ ... وَلَا تَسْأَمِي مِنْ عَبْرَةٍ وَنَحِيبِ

أَبَاكِ وَإِخْوَانًا لَهُ قَدْ تَتَابَعُوا ... وَحُقَّ لَهُمْ مِنْ عَبْرَةٍ بِنَصِيبِ

وَسَلَّى الَّذِي قَدْ كَانَ فِي النَّفْسِ أَنَّنِي ... قَتَلْتُ مِنَ النَّجَّارِ كُلَّ نَجِيبِ

وَمِنْ هَاشِمٍ قَرْمًا كَرِيمًا وَمُصْعَبًا ... وَكَانَ لَدَى الْهَيْجَاءِ غَيْرُ هَيُوبِ [(٣)]

وَلَوْ أَنَّنِي لَمْ أَشْفِ نَفْسِي مِنْهُمُ ... لَكَانَتْ شَجًا فِي الْقَلْبِ ذَاتَ نُدُوبِ [(٤)]

فَآبُوا وَقَدْ أَوْدَى الجَلَابِيبُ مِنْهُمُ ... بِهِمْ خَدَبٌ مِنْ مُعْطِبٍ وَكَئِيبِ [(٥)]

أَصَابَهُمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ ... كِفَاءً وَلَا فِي خُطَّةٍ بِضَرِيبِ [(٦)]

---

(١) **الكميت من الخيل**: يستوي فيه المذكر والمؤنث، وهو ما كان لونه بين السواد والحمرة. **الطمرة**: الفرس السريعة الوثب.

(٢) **مزجر الكلب**: يريد أنه لم يبعد منهم إلا بمقدار الموضع الذي يزجر الكلب فيه. **دنت لغروب**: أي الشمس، وقد أضمرها ولم يتقدم لها ذكر؛ لأن الغدوة دلت عليها.

(٣) **القرم**: الفحل الكريم من الإبل، ويريد هنا حمزة رضي الله عنه. **الهيجاء**: الحرب.

(٤) **الشجا**: الحزن. **الندوب**: آثار الجروح، الواحد: ندب.

(٥) **الجلابيب**: جمع جلباب، وهو (ها هنا): الإزار الخشن، وكان مشركو أهل مكة يسمون مَنْ أسلم مع رسول الله ﷺ: الجلابيب، يلقبونهم بذلك. **أودى**: هلك. **الخدب**: الطعن النافذ إلى الجوف. **المعطب**: هو الذي يسل دمه. **الكئيب**: الحزين، ويروى: كبيب، أي قد كُب على وجهه.

(٦) **الخطة** (هنا): الخصلة الرفيعة . **الضريب**: الشبيه.

فَأَجَابَهُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ﷺ، فِيمَا ذَكَرَ ابْنُ هِشَامٍ، فَقَالَ:

ذَكَرْتَ الْقُرُومَ الصَّيْدَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... وَلَسْتَ لِزُورٍ قُلْتَهُ بِمُصِيبِ
أَتَعْجَبُ أَنْ أَقْصَدْتَ حَمْزَةَ مِنْهُمْ ... نَجِيبًا وَقَدْ سَمَّيْتَهُ بِنَجِيبِ (١)
أَلَمْ يَقْتُلُوا عَمْرًا وَعُتْبَةَ وَابْنَهُ ... وَشَيْبَةَ وَالْحَجَّاجَ وَابْنَ حَبِيبِ
غَدَاةَ دَعَا الْعَاصِي عَلِيًّا فَرَاعَهُ ... بِضَرْبَةِ عَضْبٍ بَلَّهُ بِخَضِيبِ (٢)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ ابْنُ شَعُوبٍ يَذْكُرُ يَدَهُ عِنْدَ أَبِي سُفْيَانَ فِيمَا دَفَعَ عَنْهُ فَقَالَ:

وَلَولا دِفَاعِي يَا ابْنَ حَرْبٍ وَمَشْهَدِي ... لأَلْفَيْتَ يَوْمَ النَّعْفِ غَيْرَ مُجِيبِ (٣)
وَلَولا مَكَرِّي الْمُهْرَ بِالنَّعْفِ قَرْقَرَتْ ... عَلَيْهِ ضِبَاعٌ أَوْ ضِرَاءٌ كَلِيبِ (٤)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: قَوْلُهُ «عَلَيْهِ أَوْ ضِرَاءٌ» عَنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ يُجِيبُ أَبَا سُفْيَانَ:

جَزَيْتُهُمْ يَوْمًا بِبَدْرٍ كَمِثْلِهِ ... عَلَى سَابِحٍ ذِي مَيْعَةٍ وَشَبِيبِ (٥)
لَدَى صَحْنِ بَدْرٍ أَوْ أَقَمْت نَوَائِحًا ... عَلَيْكَ وَلَمْ تَحْفِلْ مُصَابَ حَبِيبِ
وَإِنّك لَوْ عَايَنْتَ مَا كَانَ مِنْهُمْ ... لَأُبْتَ بِقَلْبٍ مَا بَقِيتُ نَخِيبُ (٦)

قَالَ ابْن هِشَام: وَإِنّمَا أَجَابَ الْـحَارِثُ بْنُ هِشَام أَبَا سُفْيَانَ لِأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ عَرَّضَ بِهِ فِي قَوْلِهِ:

وَمَا زَالَ مُهْرِيٌّ مَزْجَرَ الْكَلْبِ مِنْهُمُ

لِفِرَارِ الْحَارِثِ يَوْمِ بَدْرٍ. [**السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٧٥-٧٦**].

استشهاد ذَكْوَان بْنِ عَبْدِ قَيْس ﷺ:

قال الواقدي: «وَقَالُوا: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ: «**مَنْ لَهُ عِلمٌ بِذَكْوَانِ بْنِ عَبْدِ قَيْسٍ؟**» قَالَ عَلِيٌّ ﷺ: أَنَا رَأَيْتُ يَا رَسُولَ الله فَارِسًا يَرْكُضُ فِي أَثَرِهِ حَتَّى لَحِقَهُ وَهُوَ يَقُولُ: لا نَجَوْتُ إِنْ نَجَوْتَ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ بِفَرَسِهِ وَذَكْوَانُ رَاجِلٌ فَضَرَبَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ عِلاجٍ، فَأَهْوَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ فَارِسٌ،

---

(١) **أقصده**: رماه فأصابه.

(٢) **العضب**: السيف القاطع. **بخضيب**: أي خضيب بدم.

(٣) **النَّعْف**: ما انحدر من حزونة الجبل.

(٤) **قرقرت ضباع**: أي أسرعت وخفَّت لأكله . **الضراء**: الضاربة المتعوِّدة للصيد أو لأكل لحوم الناس. **كليب**: اسم لجماعة الكلاب.

(٥) **السابح**: الفرس الذي كأنه يسبح في جريه. **الميعة**: الخفة والنشاط. **شبيب**: أي شباب، وهو أن يرفع الفرس يديه جميعًا، ويروى (سبيب) بالسين بالمهملة: شعر ناصية الفرس.

(٦) **أبت**: رجعت. **النخيب**: الجبان الفزع.

فَضَرَبْتُ رِجْلَهُ بِالسَّيْفِ حَتَّى قَطَعْتُهَا عَنْ نِصْفِ الفَخِذِ، ثُمَّ طَرَحْتُهُ مِنْ فَرَسِهِ فَذَفَفْتُ عَلَيْهِ، وَإِذَا هُوَ أَبُو الحَكَمِ بْنُ الأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقِ بْنِ عِلاجِ بْنِ عَمْرِو بْنِ وَهْبٍ الثَّقَفِي». [المغازي للواقدي ١/ ٢٨٣].

الأعرج الشهيد عَمْرُو بْنُ الجَمُوحِ ﷺ:

قَالَ طَلْحَةُ بْنَ خِرَاشٍ: سَمِعْتُ جَابِرًا، يَقُولُ: جَاءَ عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ ﷺ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: **يَا رَسُولَ الله، مَنْ قُتِلَ الْيَوْمَ دَخَلَ الْجَنَّةَ؟** قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: **فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي حَتَّى أَدْخُلَ الْجَنَّةَ**، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: **يَا عَمْرُو، لَا تَأَلَّ عَلَى الله**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَهْلًا يَا عُمَرُ، فَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لَأَبَرَّهُ: مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ الجَمُوحِ، يَخُوضُ فِي الجَنَّةِ بِعَرْجَتِهِ**».

[الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١٥/ ٤٩٣-٤٩٤ رقم ٧٠٢٤ كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة ﷺ، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده جيد، والتعليقات الحسان على صحيح ابن حبان للألباني ١٠/ ١٣٦ رقم ٦٩٨٥، وقال الشيخ الألباني: حسن].

وعَنْ عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: كَانَ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ شَيْخٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَعْرَجَ ، فَلَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى بَدْرٍ قَالَ لِبَنِيهِ: **أَخْرِجُونِي**، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ عَرَجُهُ، وَحَالُهُ، فَأَذِنَ لَهُ فِي الْمُقَامِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ خَرَجَ النَّاسُ، فَقَالَ لِبَنِيهِ: **أَخْرِجُونِي**، فَقَالُوا: **قَدْ رَخَّصَ لَكَ رَسُولُ الله ﷺ، وَأَذِنَ**، قَالَ: **هَيْهَاتَ مَنَعْتُمُونِي الجَنَّةَ بِبَدْرٍ وَتَمْنَعُونِيهَا بِأُحُدٍ** ، فَخَرَجَ ، فَلَمَّا الْتَقَى النَّاسُ، قَالَ لِرَسُولِ الله ﷺ: **أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ الْيَوْمَ أَطَأُ بِعَرَجَتِي هَذِهِ الجَنَّةَ؟** قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: **فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، لَأَطَأَنَّ بِهَا الجَنَّةَ الْيَوْمَ إِنْ شَاءَ اللهُ**، فَقَالَ لِغُلَامٍ لَهُ كَانَ مَعَهُ يُقَالُ لَهُ سُلَيْمٌ: **ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ**، قَالَ: **وَمَا عَلَيْكَ أَنْ أُصِيبَ الْيَوْمَ خَيْرًا مَعَكَ؟** قَالَ: «**فَتَقَدَّمْ إِذًا**»، قَالَ: فَتَقَدَّمَ الْعَبْدُ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ، وَقَاتَلَ هُوَ حَتَّى قُتِلَ.

[الجهاد لابن المبارك ص ٦٩ رقم ٧٨، وقال الشيخ الصوياني: هذا السند مرسل، عكرمة ﷺ لم يذكر من هو شيخه، لكن الحديث قوي بما بعده من شواهد. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص ٢٤١].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي أَبِي إِسْحَاقُ بْنُ يَسَارٍ، عَنْ أَشْيَاخٍ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: أَنَّ عَمْرَو بْنَ الْجَمُوحِ ﷺ، كَانَ رَجُلًا أَعْرَجَ شَدِيدَ الْعَرَجِ، وَكَانَ لَهُ بَنُونَ أَرْبَعَةٌ مِثْلَ الْأُسْدِ، يَشْهَدُونَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ الْمَشَاهِدَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أَرَادُوا حَبْسَهُ، وَقَالُوا لَهُ: **إِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ عَذَرَكَ، [جَعَلَ لَكَ رُخْصَةً، فَلَوْ قَعَدْتَ وَنَحْنُ نَكْفِيكَ، وَقَدْ وَضَعَ اللهُ عَنْكَ الجِهَادَ]**، فَأَتَى رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالَ: **إِنَّ بَنِيَّ يُرِيدُونَ أَنْ يَحْبِسُونِي عَنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَالخُرُوجِ مَعَك فِيهِ، فو الله إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ [أُسْتَشْهَدَ] فَأَطَأَ بِعَرْجَتِي هَذِهِ فِي الجَنَّةِ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ عَذَرَكَ اللهُ فَلَا جِهَادَ عَلَيْكَ، [وَضَعَ اللهُ عَنْكَ الجِهَادَ]**، وَقَالَ لِبَنِيهِ: «**مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَمْنَعُوهُ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ**»، فَخَرَجَ مَعَهُ فَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ [شَهِيدًا].

[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٩٠-٩١، وزاد المعاد لابن القيم ٣/ ١٩٢، وقال الشيخ الصوياني: رواه من طريقه البيهقي في الكبرى ٩/ ٢٤، هذا السند: صحيح إن كان هؤلاء الأشياخ من الصحابة، وإلا فهو مرسل ووالد ابن إسحاق ثقة وله رواية عن بعض الصحابة، وللحديث يأتي بعده. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص٢٤٢].

وعَنْ إِسْرَائِيلَ بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَسْرُوقٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُسْلِمُ بْنُ صُبَيْحٍ قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ لِبَنِيهِ: مَنَعْتُمُونِي الْجَنَّةَ بِبَدْرٍ، وَاللهِ، لَئِنْ بَقِيتُ... فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ، فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: أَنْتَ الْقَائِلُ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ قَالَ عُمَرُ: لَمْ يَكُنْ لِي هَمٌّ غَيْرَهُ، فَطَلَبْتُهُ، فَإِذَا هُوَ فِي الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ». [الجهاد لابن المبارك ص ٧٤ رقم ٨٦، وقال الشيخ الصوياني: حسن، هذا السند: مرسل، مسلم بن صبيح تابعي لم يدرك هذا الحدث لكن للحديث شاهد يأتي بعده. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص٢٤٢].

وعَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ قَالَ: أَتَى عَمْرُو بْنُ الجَمُوحِ ﷺ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: **يَا رَسُولَ الله! أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِ الله حَتَّى أُقْتَلَ أَمْشِي بِرِجْلِي هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الجَنَّةِ؟**، وَكَانَتْ رِجْلُهُ عَرْجَاءَ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**نَعَمْ**»، فَقَتَلُوا يَوْمَ أُحُدٍ هُوَ وَابْنُ أَخِيهِ وَمَوْلًى لَهُمْ، فَمَرَّ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ تَمْشِي بِرِجْلِكَ هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الجَنَّةِ**»، فَأَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِهِمَا وَبِمَوْلَاهُمَا فَجُعِلُوا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ.
[مسند أحمد ٣٧/ ٢٤٧ رقم ٢٢٥٥٣، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن. مجمع الزوائد في المناقب ٩/ ٥٢٣ رقم ١٥٧٤٦، وقال الهيثمي: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير يحيى بن نصر الأنصاري، وهو ثقة].

وقال الواقدي: «وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الجَمُوحِ ﷺ رَجُلًا أَعْرَجَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ ـ وَكَانَ لَهُ بَنُونَ أَرْبَعَةٌ يَشْهَدُونَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ المَشَاهِدَ أَمْثَالَ الأَسَدِ ـ أَرَادَ بَنُوهُ أَنْ يَحْبِسُوهُ وَقَالُوا: **أَنْتَ رَجُلٌ أَعْرَجُ وَلا حَرَجَ عَلَيْكَ، وَقَدْ ذَهَبَ بَنُوك مَعَ النَّبِيِّ ﷺ**.

قَالَ: **بَخٍ يَذْهَبُونَ إِلَى الجَنَّةِ، وَأَجْلِسُ أَنَا عِنْدَكُمْ**، فَقَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ امْرَأَتُهُ: **كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مُوَلِّيًا، قَدْ أَخَذَ دَرَقَتَهُ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ لا تَرُدَّنِي إِلَى أَهْلِي خِزْيًا!** فَخَرَجَ وَلَحِقَهُ بَنُوهُ يُكَلِّمُونَهُ فِي القُعُودِ، فَأَتَى رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: **يَا رَسُولَ الله، إِنَّ بَنِيَّ يُرِيدُونَ أَنْ يَحْبِسُونِي عَنْ هَذَا الوَجْهِ وَالخُرُوجِ مَعَكَ، وَالله إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَطَأَ بِعَرْجَتِي هَذِهِ الجَنَّةَ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ عَذَرَك اللهُ تَعَالَى وَلا جِهَادَ عَلَيْكَ**»، فَأَبَى، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِبَنِيهِ: «**لا عَلَيْكُمْ أَنْ تَمْنَعُوهُ لَعَلَّ اللهَ يَرْزُقُهُ الشَّهَادَةَ**»، فَخَلَّوْا عَنْهُ، فَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ شَهِيدًا.

فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: نَظَرْتُ إِلَى عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ حِينَ انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ، ثُمَّ ثَابُوا وَهُوَ فِي الرَّعِيلِ الأَوَّلِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضِلَعِهِ فِي رِجْلِهِ يَقُولُ: **أَنَا وَالله مُشْتَاقٌ إِلَى الجَنَّةِ**، ثُمَّ أَنْظُرُ إِلَى ابْنِهِ يَعْدُو فِي أَثَرِهِ حَتَّى قُتِلا جَمِيعًا». [المغازي للواقدي ١/ ٢٦٤-٢٦٥].

قَالَ أَبُو غَسَّانَ: قَالَ الْوَاقِدِيُّ: مَعَ عَمْرٍو فِي الْقَبْرِ خَارِجَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَسَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَالنُّعْمَانُ بْنُ مَالِكٍ، وَعَبْدُ بْنُ الْحَسْحَاسِ.

قَالَ أَبُو غَسَّانَ: وَقَبْرُهُمْ مِمَّا يَلِي الْمَغْرِبَ عَنْ قَبْرِ حَمْزَةَ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَبْرِ حَمْزَةَ نَحْوٌ مِنْ خَمْسِمِائَةِ ذِرَاعٍ.
[تاريخ المدينة لابن شبة ١/ ١٢٨].

أصيرم بني عبد الأشهل رضي الله عنه:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنْ عَمْرَو بْنَ أُقَيْشٍ كَانَ لَهُ رِبًا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَكَرِهَ أَنْ يُسْلِمَ حَتَّى يَأْخُذَهُ، فَجَاءَ يَوْمُ أُحُدٍ فَقَالَ: أَيْنَ بَنُو عَمِّي؟ قَالُوا: بِأُحُدٍ، قَالَ: أَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا: بِأُحُدٍ، قَالَ: فَأَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا: بِأُحُدٍ، فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ وَرَكِبَ فَرَسَهُ، ثُمَّ تَوَجَّهَ قِبَلَهُمْ، فَلَـمَّا رَآهُ الْمُسْلِمُونَ قَالُوا: **إِلَيْكَ عَنَّا يَا عَمْرُو**، قَالَ: **إِنِّي قَدْ آمَنْتُ**، فَقَاتَلَ حَتَّى جُرِحَ، فَحُمِلَ إِلَى أَهْلِهِ جَرِيحًا، فَجَاءَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رضي الله عنه فَقَالَ لِأُخْتِهِ: **سَلِيهِ حَمِيَّةً لِقَوْمِكَ أَوْ غَضَبًا لَـهُمْ، أَمْ غَضَبًا للهِ**، فَقَالَ: **بَلْ غَضَبًا للهِ وَلِرَسُولِهِ**، فَمَاتَ فَدَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَا صَلَّى للهِ صَلَاةً».

[أبو داود في الجهاد (٢٥٣٧)، وقال الشيخ الألباني: حسن].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه كَانَ يَقُولُ: **حَدِّثُونِي عَنْ رَجُلٍ دَخَلَ الجَنَّةَ لَمْ يُصَلِّ قَطُّ؟** فَإِذَا لَمْ يَعْرِفْهُ النَّاسُ سَأَلُوهُ: مَنْ هُوَ؟ فَيَقُولُ: **أُصَيْرِمُ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ عَمْرُو بْنُ ثَابِتِ بْنِ وَقْشٍ**، قَالَ الحُصَيْنُ (أحد رواة الحديث) فَقُلْتُ لِمَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رضي الله عنه: كَيْفَ كَانَ شَأْنُ الأُصَيْرِمِ؟ قَالَ: كَانَ يَأْبَى الإِسْلَامَ عَلَى قَوْمِهِ، فَلَـمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أُحُدٍ بَدَا لَهُ الإِسْلَامُ فَأَسْلَمَ، فَأَخَذَ سَيْفَهُ فَغَدَا حَتَّى أَتَى القَوْمَ، فَدَخَلَ فِي عُرْضِ النَّاسِ (معظمهم)، فَقَاتَلَ حَتَّى أَثْبَتَتْهُ (حبسته وأسكنته) الجِرَاحَةُ، قَالَ: فَبَيْنَمَا رِجَالُ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ يَلْتَمِسُونَ قَتْلَاهُمْ فِي المَعْرَكَةِ إِذَا هُمْ بِهِ، فَقَالُوا: **وَاللهِ إِنَّ هَذَا لَلأُصَيْرِمُ! وَمَا جَاءَ؟! لَقَدْ تَرَكْنَاهُ وَإِنَّهُ لَمُنْكِرٌ هَذَا الحَدِيثَ، فَاسْأَلُوهُ مَا جَاءَ بِهِ؟** قَالُوا: **مَا جَاءَ بِكَ يَا عَمْرُو، أَحَدَبًا** (الحدب: العطف والحنو) **عَلَى قَوْمِكَ، أَوْ رَغْبَةً فِي الإِسْلَامِ؟** قَالَ: **بَلْ رَغْبَةً فِي الإِسْلَامِ، آمَنْتُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَسْلَمْتُ، ثُمَّ أَخَذْتُ سَيْفِي فَغَدَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَاتَلْتُ حَتَّى أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي**، قَالَ: ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ فِي أَيْدِيهِمْ، فَذَكَرُوهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**إِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**».

[مسند أحمد ٣٩/ ٤١-٤٢ رقم ٢٣٦٣٤، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن، ومجمع الزوائد في المناقب ٩/ ٦٠٦ رقم ١٥٩٥٩، وقال الهيثمي: رواه أحمد، ورجاله ثقات].

وقال الواقدي: «كَانَ عَمْرُو بْنُ ثَابِتِ بْنِ وَقْشٍ شَاكًّا في الإِسْلَامِ، فَكَانَ قَوْمُهُ يُكَلِّمُونَهُ في الإِسْلَامِ فَيَقُولُ: **لَوْ أَعْلَمُ مَا تَقُولُونَ حَقًّا مَا تَأَخَّرْتُ عَنْهُ**، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ بَدَا لَهُ الإِسْلَامُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بِأُحُدٍ، فَأَسْلَمَ وَأَخَذَ سَيْفَهُ، فَخَرَجَ حَتَّى دَخَلَ في القَوْمِ، فَقَاتَلَ حَتَّى أُثْبِتَ فَوُجِدَ في القَتْلَى جَرِيحًا مَيِّتًا، فَدَنَوْا مِنْهُ وَهُوَ بِآخِرِ رَمَقٍ فَقَالُوا: **مَا جَاءَ بِكَ يَا عَمْرُو؟** قَالَ: **الإِسْلَامُ، آمَنْت بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، ثُمَّ أَخَذْتُ سَيْفِي وَحَضَرْتُ، فَرَزَقَنِي اللهُ الشَّهَادَةَ**، وَمَاتَ في أَيْدِيهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**».

قَالَ الوَاقِدِيُّ: فَحَدَّثَنِي خَارِجَةُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ الحُصَيْنِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ مَوْلَى ابْنِ أَبِي أَحْمَدَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ: **أَخْبِرُونِي بِرَجُلٍ يَدْخُلُ الجَنَّةَ لَمْ يُصَلِّ للهِ سَجْدَةً قَطُّ**، فَيَسْكُتُ النَّاسُ، فَيَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: **هُوَ أَخُو بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، عَمْرُو بْنُ ثَابِتِ بْنِ وَقْشٍ**».

[المغازي للواقدي ١/ ٢٦٢].

قُزْمَان والقتال على القومية:

قال ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، قَالَ: كَانَ فِينَا رَجُلٌ أَتَى لَا يُدْرَى مِمَّنْ هُوَ يُقَالُ لَهُ قُزْمَانُ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ إِذَا ذُكِرَ لَهُ: «**إِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، قَالَ: فَلَـمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، قَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا، فَقَتَلَ وَحْدَهُ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً مِنَ المشْرِكِينَ، وَكَانَ ذَا بَأْسٍ، فَأَثْبَتَتْهُ الجِرَاحَةُ، فَاحْتُمِلَ إِلَى دَارِ بَنِي ظَفَرٍ، قَالَ: فَجَعَلَ رِجَالٌ مِنَ المسْلِمِينَ يَقُولُونَ لَهُ: **وَالله لَقَدْ أَبْلَيْتَ اليَوْمَ يَا قُزْمَانُ، فَأَبْشِرْ**، قَالَ: **بِمَاذَا أُبَشَّرُ؟ فَوَالله إِنْ قَاتَلْتُ إِلَّا عَنْ أَحْسَابِ قَوْمِي، وَلَوْلا ذَلِكَ مَا قَاتَلْتُ** (١)، قَالَ: فَلَـمَّا اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ جِرَاحَتُهُ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَقَتَلَ بِهِ نَفْسَه. **[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٨٧، وقال الشيخ العلي: والإسناد حسن ورجاله ثقات، إلا أنه مرسل وهو يعتد به كشاهد للمتابعة والله أعلم. صحيح السيرة النبوية ص ٢٢٣]**.

وقال الواقدي: «وَكَانَ قُزْمَانُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَكَانَ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ أُحُدٍ، فَلَـمَّا أَصْبَحَ عَيَّرَهُ نِسَاءُ بَنِي ظَفَرٍ، فَقُلْنَ: **يَا قُزْمَانُ، قَدْ خَرَجَ الرِّجَالُ وَبَقِيتَ! يَا قُزْمَانُ، أَلَا تَسْتَحْيِيَ مِمَّا صَنَعْتَ؟ مَا أَنْتَ إِلاَّ امْرَأَةٌ خَرَجَ قَوْمُك فَبَقِيتَ فِي الدَّارِ!**

فَأَحْفَظْنَهُ، فَدَخَلَ بَيْتَهُ فَأَخْرَجَ قَوْسَهُ وَجُعْبَتَهُ وَسَيْفَهُ ـ وَكَانَ يُعْرَفُ بِالشَّجَاعَةِ ـ فَخَرَجَ يَعْدُو حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يُسَوِّي صُفُوفَ الْمُسْلِمِينَ، فَجَاءَ مِنْ خَلفِ الصُّفُوفِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الصَّفِّ الأَوَّلِ فَكَانَ فِيهِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، فَجَعَلَ يُرْسِلُ نَبْلًا كَأَنَّهَا الرِّمَاحُ وَإِنَّهُ لَيَكِتُّ كَتِيتَ الجَمَلِ(كت البعير يكت إذا صاح صياحًا لينًا)، ثُمَّ صَارَ إِلَى السَّيْفِ فَفَعَلَ الأَفَاعِيلَ، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرَ ذَلِكَ قَتَلَ نَفْسَهُ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا ذَكَرَهُ قَالَ: «**مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، فَلَـمَّا انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ كَسَرَ جَفْنَ (غمد) سَيْفِهِ، وَجَعَلَ يَقُولُ: **المَوْتُ أَحْسَنُ مِنْ الفِرَارِ، يَا آلَ أَوْسٍ قَاتِلُوا عَلَى الأَحْسَابِ، وَاصْنَعُوا مِثْلَ مَا أَصْنَعُ!**

قَالَ: فَيَدْخُلُ بِالسَّيْفِ وَسْطَ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُقَالَ: قَدْ قُتِلَ، ثُمَّ يَطْلُعُ وَيَقُولُ: **أَنَا الغُلامُ الظَّفَرِيُّ!** حَتَّى قَتَلَ مِنْهُمْ سَبْعَةً، وَأَصَابَتْهُ الجِرَاحَةُ وَكَثُرَتْ بِهِ فَوَقَعَ، فَمَرَّ بِهِ قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ ﷺ، فَقَالَ: أَبَا الغَيْدَاقُ، قَالَ لَهُ قُزْمَانُ: يَا لَبَّيْكَ، قَالَ: هَنِيئًا لَك الشَّهَادَةَ، قَالَ قُزْمَانُ: **إِنِّي وَالله مَا قَاتَلْتُ يَا أَبَا عَمْرٍو عَلَى دِينٍ، مَا قَاتَلْتُ إِلَّا عَلَى الحِفَاظِ أَنْ تَسِيرَ قُرَيْشٌ إِلَيْنَا حَتَّى تَطَأَ سَعَفَنَا**، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ جِرَاحَتُهُ فَقَالَ: «**مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، فَأَنْدَبَتْهُ الجِرَاحَةُ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ**». **[المغازي للواقدي ١/ ٢٢٣-٢٢٤]**.

---

(١) وعقيدة قُزمان هذا هي عقيدة القوميين العلمانيين غير الدينيين الذين يرون أنه من الرجعية والطائفية التزام الكفاح في سبيل الإسلام وباسمه، بل إنهم ليحاربون كل مَنْ يدعو إلى الإسلام ليتخذ المسلمون منه ـ في الوطن العربي ـ دينًا ودولة، ويستنكرون حتى محاربة المستعمرين باسم الإسلام، ومع هذا يدعي البعض منهم أنه مسلم، بل لا يخجل مع هذا أن يشبه نفسه بصلاح الدين الأيوبي وأمثاله من قادة الأمة الإسلامية المجيدة.

فهل تظن أن مصير هؤلاء عند الله أحسن من مصير قزمان؟

«وَكَانَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ يَقُولُ: أَصَابَنِي الجِرَاحُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَلَمَّا رَأَيْتُ مَثْلَ الْمُشْرِكِينَ بِقَتْلَى الْمُسْلِمِينَ أَشَدَّ الْمَثْلِ وَأَقْبَحَهُ قُمْتُ فَتَجَاوَزْتُ عَنِ القَتْلَى حَتَّى تَنَحَّيْتُ، فَإِنِّي لَفِي مَوْضِعِي، إِذْ أَقْبَلَ **خَالِدُ بْنُ الأَعْلَمِ العُقَيْلِيُّ** جَامِعُ اللأْمَةِ يَحُوزُ (يجمع ويسوق) الْمُسْلِمِينَ يَقُولُ: اسْتَوْسِقُوا كَمَا يُسْتَوْسَقُ جُرْبُ الغَنَمِ! مُدَجَّجًا فِي الحَدِيدِ يَصِيحُ: **يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لا تَقْتُلُوا مُحَمَّدًا، ائْسِرُوهُ أَسِيرًا حَتَّى نُعَرِّفُهُ بِمَا صَنَعَ**، وَيَصْمُدُ لَهُ قُزْمَانُ، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ ضَرْبَةً عَلَى عَاتِقِهِ رَأَيْتُ مِنْهَا سَحْرَهُ، ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ وَانْصَرَفَ، وَطَلَعَ عَلَيْهِ آخَرُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَا أَرَى مِنْهُ إلا عَيْنَيْهِ، فَضَرَبَهُ ضَرْبَةً وَاحِدَةً حَتَّى جَزَلَهُ بِاثْنَيْنِ، قَالَ: قُلْنَا: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: الوَلِيدُ بْنُ العَاصِ بْنِ هِشَامٍ، ثُمَّ يَقُولُ كَعْبٌ: إِنِّي لأَنْظُرُ يَوْمَئِذٍ، وَأَقُولُ: **مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَذَا الرَّجُلِ أَشْجَعَ بِالسَّيْفِ! ثُمَّ خُتِمَ لَهُ بِمَا** خُتِمَ لَهُ بِهِ، فَيَقُولُ: **مَا هُوَ وَمَا خُتِمَ لَهُ بِهِ؟** فَقَالَ: **مِنْ أَهْلِ النَّارِ، قَتَلَ نَفْسَهُ يَوْمَئِذٍ**». [المغازي للواقدي ١/ ٢٦٠].

«قَالُوا: وَكَانَ قُزْمَانُ عَدِيدًا فِي بَنِي ظَفَرٍ لا يُدْرَى مِمَّنْ هُوَ، وَكَانَ لَهُمْ حَائِطًا مُحِبًّا، وَكَانَ مُقِلًّا لا وَلَدَ لَهُ وَلا زَوْجَةَ، وَكَانَ شُجَاعًا يُعْرَفُ بِذَلِكَ فِي حُرُوبِهِمْ تِلْكَ التِي كَانَتْ تَكُونُ بَيْنَهُمْ، فَشَهِدَ أُحُدًا فَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا فَقَتَلَ سِتَّةً أَوْ سَبْعَةً وَأَصَابَتْهُ الجِرَاحُ، فَقِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: **قُزْمَانُ قَدْ أَصَابَتْهُ الجِرَاحُ فَهُوَ شَهِيدٌ**، قَالَ: «**مِنْ أَهْلِ النَّارِ**».

فَأُتِيَ إِلَى قُزْمَانُ فَقِيلَ لَهُ: **هَنِيئًا لَكَ يَا أَبَا الغَيْدَاقِ الشَّهَادَةَ**، قَالَ: **بِمَ تُبَشِّرُونِ؟ وَاللهِ مَا قَاتَلْنَا إِلَّا عَلَى الأَحْسَابِ، قَالُوا: بَشَّرْنَاكَ بِالجَنَّةِ، قَالَ: جَنَّةٌ مِنْ حَرْمَلٍ، وَاللهِ مَا قَاتَلْنَا عَلَى جَنَّةٍ وَلا عَلَى نَارٍ، إِنَّمَا قَاتَلْنَا عَلَى أَحْسَابِنَا**، فَأَخْرَجَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَجَعَلَ يَتَوَجَّأُ بِهِ نَفْسَهُ، فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ الْمِشْقَصُ أَخَذَ السَّيْفَ فَاتَّكَأَ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ ظَهْرِهِ.

فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**مِنْ أَهْلِ النَّارِ**». [المغازي للواقدي ١/ ٢٦٣-٢٦٤].

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ: التَقَى النَّبِيُّ ﷺ وَالْمُشْرِكُونَ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَاقْتَتَلُوا، فَمَالَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي الْمُسْلِمِينَ رَجُلٌ لَا يَدَعُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاذَّةً وَلَا فَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا فَضَرَبَهَا بِسَيْفِهِ، فَقِيلَ: **يَا رَسُولَ اللهِ! مَا أَجْزَأَ أَحَدٌ مَا أَجْزَأَ فُلَانٌ!** فَقَالَ: «**إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، فَقَالُوا: **أَيُّنَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ إِنْ كَانَ هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟!** فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: **لَأَتَّبِعَنَّهُ**، فَإِذَا أَسْرَعَ وَأَبْطَأَ كُنْتُ مَعَهُ حَتَّى جُرِحَ فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نِصَابَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَجَاءَ الرَّجُلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: **أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ**، فَقَالَ: «**وَمَا ذَاكَ؟**»، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ - فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ - وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ - فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ - وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**».

وفي رواية: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ**». [البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٣٢)، وفي المغازي (٤٢٠٢، ٤٢٠٧)، وفي القدر (٦٥٩٤)، وفي التوحيد (٧٤٥٤)، ومسلم في الإيمان (١١٢)، وفي الإيمان (١١١) عن أبي هريرة ﷺ،

ولكنه ذكرها في غزوة حنين، وأبو داود في السنة (٤٧٠٨)، والترمذي في القدر (٢١٣٧)، وابن ماجه في المقدمة (٧٦)، وأحمد عن عبد الله بن مسعود ﷺ (٣٦١٧، ٣٩٢٤، ٤٠٨٠)، وعن سهل بن سعد ﷺ (٢٢٣٠٦، ٢٢٣٢٨)، وأخرجه الهيثمي عن أبي يعلى مطولًا. مجمع الزوائد ٦/ ١٦٧ كتاب المغازي والسير (١٠٠٩١)، وقال الهيثمي: قلت: هو في الصحيح باختصار، رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح].

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ الله ، يَوْمَ أُحُدٍ مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا أَتَى فُلَانٌ، آتَاهُ رَجُلٌ، لَقَدْ فَرَّ النَّاسُ وَمَا فَرَّ، وَمَا تَرَكَ لِلْمُشْرِكِينَ شَاذَّةً وَلَا فَاذَّةً إِلَّا تَبِعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، قَالَ: «**وَمَنْ هُوَ؟**» قَالَ: فَنُسِبَ لِرَسُولِ الله ﷺ نَسَبُهُ، فَلَمْ يَعْرِفْهُ، ثُمَّ وُصِفَ لَهُ بِصِفَتِهِ ، فَلَمْ يَعْرِفْهُ ، حَتَّى طَلَعَ الرَّجُلُ بِعَيْنِهِ، فَقَالَ: ذَا يَا رَسُولَ الله الَّذِي أَخْبَرْنَاكَ عَنْهُ، فَقَالَ: «**هَذَا؟**» فَقَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**» قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، قَالُوا: وَأَيُّنَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِذَا كَانَ فُلَانٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا قَوْمُ انْظُرُونِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَمُوتُ عَلَى مِثْلِ الَّذِي أَصْبَحَ عَلَيْهِ، وَلَأَكُونَنَّ صَاحِبَهُ مِنْ بَيْنِكُمْ، ثُمَّ رَاحَ عَلَى جَدِّهِ فِي الْغَدِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَشُدُّ مَعَهُ إِذَا شَدَّ، وَيَرْجِعُ مَعَهُ إِذَا رَجَعَ، فَيَنْظُرُ مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ أَمْرُهُ ، حَتَّى أَصَابَهُ جُرْحٌ أَذْلَقَهُ (أضعفه)، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ ، فَوَضَعَ قَائِمَةَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ، ثُمَّ وَضَعَ ذُبَابَهُ [ذُبَابَتَهُ] بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ ظَهْرِهِ، وَخَرَجَ الرَّجُلُ يَعْدُو، وَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الله، حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: «**وَذَاكَ مَاذَا؟**» قَالَ: يَا رَسُولَ الله، الرَّجُلُ الَّذِي ذُكِرَ لَكَ، فَقُلْتَ: «**إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَقَالُوا: فَأَيُّنَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِذَا كَانَ فُلَانٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ فَقُلْتُ: يَا قَوْمِ انْظُرُونِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَمُوتُ عَلَى مِثْلِ الَّذِي أَصْبَحَ عَلَيْهِ، وَلَأَكُونَنَّ صَاحِبَهُ مِنْ بَيْنِكُمْ، فَجَعَلْتُ أَشُدُّ مَعَهُ إِذَا شَدَّ، وَأَرْجِعُ مَعَهُ إِذَا رَجَعَ، وَأَنْظُرُ إِلَى مَا يَصِيرُ أَمْرُهُ، حَتَّى أَصَابَهُ جُرْحٌ أَذْلَقَهُ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ قَائِمَةَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ، وَوَضَعَ ذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ ظَهْرِهِ، فَهُوَ ذَاكَ يَا رَسُولَ الله، يَتَضَرَّبُ [يَضْطَرِبُ] بَيْنَ أَضْغَاثِهِ (أخلاطه) [أَصْفَاقِهِ]، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**».

[مجمع الزوائد في المغازي والسير ٦/ ١٦٧ رقم ١٠٠٩١، وقال الهيثمي: قلت: هو في الصحيح باختصار، رواه أبو يعلى [مسند أبي يعلى ١٣/ ٥٣٨ رقم ٧٥٤٤، وقال أسد: إسناده صحيح]، ورجاله رجال الصحيح. مسند ابن الجعد ص ٤٣٠ رقم ٢٩٣٠، ٢٩٣١. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص ٢٥٦].

وعَنْ أَكْثَمَ بْنِ أَبِي الْجَوْنِ ﷺ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، فُلَانٌ يَجْرِي فِي الْقِتَالِ؟ قَالَ: «**هُوَ فِي النَّارِ**»، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، إِذَا كَانَ فُلَانٌ فِي عِبَادَتِهِ وَاجْتِهَادِهِ وَلِينِ جَانِبِهِ فِي النَّارِ، فَأَيْنَ نَحْنُ؟ قَالَ: «**إِنَّمَا ذَلِكَ إِخْبَاتُ النِّفَاقِ، وَهُوَ فِي النَّارِ**» قَالَ: كُنَّا نَتَحَفَّظُ عَلَيْهِ فِي الْقِتَالِ، كَانَ لَا يَمُرُّ بِهِ فَارِسٌ، وَلَا رَاجِلٌ إِلَّا

وَثَبَ عَلَيْهِ، فَكَثُرَ عَلَيْهِ جِرَاحُهُ، فَأَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، اسْتُشْهِدَ فُلَانٌ، قَالَ: «**هُوَ فِي النَّارِ**» فَلَمَّا اشْتَدَّ بِهِ أَلَمُ الْجِرَاحِ أَخَذَ سَيْفَهُ فَوَضَعَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ اتَّكَأَ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ ظَهْرِهِ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الله، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، تُدْرِكُهُ الشِّقْوَةُ أَوِ السَّعَادَةُ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهِ، فَيُخْتَمُ لَهُ بِهَا**». [مجمع الزوائد ٧/ ٤٣٣ رقم ١١٩٢٦، وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ١/ ٢٩٦ رقم ٨٧٢]، وإسناده حسن. الأحاديث المختارة للمقدسي ٤/ ٣٣٣ رقم ١٥٠٦، وقال المقدسي: لهذا الحديث شاهد في الصحيحين من حديث سهل بن سعد وأبي هريرة ﭫ].

الغلام الفارسي:

عَنْ أَبِي عُقْبَةَ ـ وَكَانَ مَوْلًى مِنْ أَهْلِ فَارِسَ [مَوْلَى جَبْرِ بْنِ عَتِيكٍ] ـ قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ أُحُدًا [مَعَ مَوَالِيَّ]، فَضَرَبْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَقُلْتُ: **خُذْهَا مِنِّي، وَأَنَا الْغُلَامُ [الرَّجُلُ] الْفَارِسِيُّ**، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ [فبلغت رَسُولَ الله ﷺ]، فَقَالَ: «**فَهَلَّا قُلْتَ [أَلَا قَالَ]: خُذْهَا مِنِّي، وَأَنَا الْغُلَامُ [الرَّجُلُ] الْأَنْصَارِيُّ؟ فَإِنَّ مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ [مِنْ أَنْفُسِهِمْ]**». [أبو داود في الأدب (٥١٢٣)، وابن ماجه في الجهاد (٢٧٨٤)، ومسند أحمد ٣٧/ ١٩٣ رقم ٢٢٥١٥، وقال الشيخان الألباني والأرناؤوط: إسناده ضعيف، ومجمع الزوائد في المغازي والسير ٦/ ١٦٦ رقم ١٠٠٨٩، وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى [مسند أبي يعلى ٢/ ٢١٢ رقم ٩١٠، وقال الشيخ أسد: إسناده حسن]، ورجاله ثقات، والمطالب العالية لابن حجر ١٧/ ٣٧٠ كتاب المغازي والسير (٤٢٦٨)، وضعف محققه إسناده. وقال الشيخ العلي: إسناده حسن. صحيح السيرة النبوية ص ٣٠١].

مُخَيْرِيقٌ خَيْرُ يَهُودَ:

قال الواقدي: «قَالُوا: وَكَانَ مُخَيْرِيقٌ الْيَهُودِيُّ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ، فَقَالَ: **يَوْمَ السَّبْتِ وَرَسُولُ الله ﷺ بِأُحُدٍ، يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، وَالله إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيٌّ، وَأَنَّ نَصْرَهُ عَلَيْكُمْ لَحَقٌّ**، قَالُوا: **إِنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ السَّبْتِ**، قَالَ: **لا سَبْتَ!** ثُمَّ أَخَذَ سِلَاحَهُ، ثُمَّ حَضَرَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَصَابَهُ الْقَتْلُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مُخَيْرِيقٌ خَيْرُ يَهُودَ**».

وَقَدْ كَانَ مُخَيْرِيقٌ حِينَ خَرَجَ إِلَى أُحُدٍ، قَالَ: **إِنْ أُصِبْتُ فَأَمْوَالِي لِمُحَمَّدٍ يَضَعُهَا حَيْثُ أَرَاهُ اللهُ!** فَهِيَ عَامَّةُ صَدَقَاتِ النَّبِيِّ ﷺ». [المغازي للواقدي ١/ ٢٦٢-٢٦٣].

وذكر السهيلي أن رسول الله ﷺ جعل أموال مخيريق اليهودي (بعد قتله) (وكانت سبعة بساتين) أوقافًا بالمدينة لله، ويقال إنها أول أوقاف بالمدينة. [غزوة أُحد لباشميل ٢٠٣].

حجم هزيمة المشركين:

«ولم يترك المسلمون فرصة للمشركين المنهزمين ليجمعوا صفوفهم التي بعثرتها حملات المسلمين الصاعقة، وكان منظرًا رائعًا حقًّا، سبعمائة مقاتل يشتتون ثلاثة آلاف مقاتل يفوقونهم في كل شيء إلا الإيمان.

لقد كانت هزيمة قريش هزيمة منكرة، إلى درجة أن الصنم الذي احتملته القيادة للتبرك به سقط من فوق الجمل الذي كان يحمله، وتحطم تحت أقدام عابديه دون أن يفكر فيه أحد؛ لأن الهزيمة أنستهم كل شيء.

وبلغت الهزيمة بالمشركين إلى أن جلوا عن معسكرهم تمامًا فاحتله المسلمون، وأحاطوا بمن فيه من نساء المشركين.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ نَصْرَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَصَدَقَهُمْ وَعْدَهُ فَحَسُّوهُمْ بِالسُّيُوفِ حَتَّى كَشَفُوهُمْ عَنْ العَسْكَرِ وَكَانَتْ الهَزِيمَةُ لَا شَكَّ فِيهَا. **[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٧٧]**.

وعَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ﷺ قَالَ: «وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُنِي أَنْظُرُ إِلَى [خَدَمِ] هِنْدِ بِنْتِ عُتْبَةَ وَصَوَاحِبَهَا مُشَمِّرَاتٍ هَوَارِبَ، مَا دُونَ أَخْذِهِنَّ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ، إِذْ مَالَتِ الرُّمَاةُ إِلَى الْعَسْكَرِ، حَتَّى [حِينَ] كَشَفْنَا الْقَوْمُ عَنْهُ يُرِيدُونَ النَّهْبَ، وَخَلَّوْا ظَهْرَنَا لِلْخَيْلِ، فَأُتِينَا مِنْ أَدْبَارِنَا، وَصَرَخَ صَارِخٌ: **أَلَا أَنَّ مُحَمَّدًا قُتِلَ** (قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الصَّارِخُ: أَزَبُّ الْعَقَبَةِ، يَعْنِي الشَّيْطَانَ)، فَانْكَفَأْنَا (رَجعْنَا)، وَانْكَفَأَ الْقَوْمُ بَعْدَ أَنْ أَصَبْنَا اللِّوَاءَ حَتَّى مَا يَدْنُو مِنْهُ أَحَدٌ مِنَ الْقَوْمِ». **[المستدرك على الصحيحين ٣/ ٢٩ رقم ٤٣١٦، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. والأحاديث المختارة للمقدسي ٣/ ٧٦ رقم ٨٨٢، وسيرة ابن هشام ٢/ ٧٧-٧٨، وسنده صحيح. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص ٢٤٩]**.

وقَالَ الزُّبَيْرُ ﷺ: وَاللهِ إِنِّي لَأَنْظُرُ يَوْمَئِذٍ إِلَى خَدَمِ النِّسَاءِ، مُشَمِّرَاتٌ يَسْعَيْنَ حِينَ انْهَزَمَ الْقَوْمُ، مَا أَرَى دُونِ أَخْذِهِنَّ شَيْئًا، وَإِنَّا لَنَحْسَبُهُمْ قَتْلَى مَا يَرْجِعُ إِلَيْنَا مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُصِيبَ أَصْحَابُ اللِّوَاءِ، وَصَبَرُوا عِنْدَهُ حَتَّى صَارَ إِلَى عَبْدٍ حَبَشِيٍّ، يُقَالُ لَهُ (صُوَابٌ)، ثُمَّ قُتل صُوَابٌ، فطَرَحَ اللِّوَاءَ، فَمَا يَقْرَبُهُ أَحَدٌ مِنْ خَلقِ الله تَعَالَى، حَتَّى وَثَبَتْ إِلَيْهِ عَمْرَةُ بِنْتُ عَلقَمَةَ الحَارِثِيَّةُ، فَرَفَعَتْهُ لَهُمْ، وَثَابَ إِلَيْهِ النَّاسُ.

[المطالب العالية لابن حجر١٧/ ٣٤٣ كتاب المغازي والسير (٤٢٦٠/ ١)، وقال: هذا إسناده صحيح له شاهد في الصحيح من حديث البراء ﷺ].

وقال في السيرة الحلبية: «ثُمَّ لَـمَّا قُتِلَ أَصْحَابُ لِوَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ يَدْنُو مِنْهُ انْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ وَوَلَّوْا الأَدْبَارَ لَا يَلْوُونَ عَلَى شَيْءٍ وَنِسَاؤُهُمْ يَدْعُونَ بِالوَيْلِ بَعْدَ فَرَحِهِمْ وَضَرْبِهِمْ بِالدُّفُوفِ، وَأَلْقَيْنَ الدُّفُوفَ وَقَصَدْنَ الجَبَلَ كَاشِفَاتٍ سِيقَانَهُنَّ يَرْفَعْنَ ثِيَابَهُنَّ، وَتَبِعَ الْمُسْلِمُونَ الْمُشْرِكِينَ يَضَعُونَ فِيهِمْ السِّلَاحَ وَيَنْتَهِبُونَ الغَنَائِمَ». **[السيرة الحلبية ٢/ ٣٠٨]**.

نصر الله للمؤمنين:

«وهكذا مرة أخرى انهزم الكفر أمام الإيمان، مع التفاوت الهائل في العدد والعدة، فتبعثر ثلاثة آلاف مقاتل من المشركين أمام سبعمائة محارب من المسلمين، كما يتبعثر الورق اليابس أمام العاصفة.

وكادت المدينة تسجل مرة أخرى، على مكة نصرًا ساحقًا، لا يقل روعة وفعالية عن النصر الذي سجلته عليها يوم الملحمة الأولى (ملحمة بدر).

ولكن ـ كما يقولون ـ هناك مزالق بين الكأس والشفة، ذلك أن عملًا واحدًا من أعمال الخروج على النظام والانضباط العسكري [1]، ارتكبه الرماة المتمركزون في الجبل حَوَّل نصر المسلمين المؤزر إلى كارثة.

كان النبي ﷺ ـ كقائد عسكري ـ خبير مسؤول قد اختار ـ وفقًا للخطة المرسومة ـ فصيلة من رماة النبل بقيادة آمر مسؤول، وأمرها بأن تتمركز في جبل عينين ـ كما ذكرنا ذلك فيما مضى ـ وأفهم هذه الفصيلة بأن مهمتها الرئيسة هي حماية ظهر الجيش الإسلامي، وصد أية محاولة في أي وقت يقوم بها خيالة المشركين، بأن يلزموا مواقعهم في الجبل حتى يتلقوا منه ﷺ أوامر خاصة.

ولكي يدركوا خطورة الواجب الملقى على عاتقهم، وأن مصير الجيش الإسلامي قد يكون في ساعة من الساعات مرتبطًا ببقائهم في هذا الجبل حذرهم من مغادرتهم حتى ولو رأوا الطير تتخطف المسلمين». [**غزوة أُحد لباشميل ١١٥ - ١١٦**].

عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: مَا نُصِرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَوْطِنٍ كَمَا نُصِرَ يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ: فَأَنْكَرْنَا ذَلِكَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ كِتَابُ اللهِ عز وجل، إِنَّ اللهَ عز وجل يَقُولُ فِي يَوْمِ أُحُدٍ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: وَالْحِسُّ الْقَتْلُ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران] وَإِنَّمَا عَنَى بِهَذَا الرُّمَاةَ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَقَامَهُمْ فِي مَوْضِعٍ ثُمَّ قَالَ: «**احْمُوا ظُهُورَنَا فَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ، فَلَا تَنْصُرُونَا، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ غَنِمْنَا، فَلَا تَشْرَكُونَا**».

فَلَمَّا غَنَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبَاحُوا عَسْكَرَ الْمُشْرِكِينَ، انْكَشَفَ الرُّمَاةُ جَمِيعًا، فَدَخَلُوا فِي الْعَسْكَرِ يَنْتَهِبُونَ، وَقَدِ الْتَقَتْ صُفُوفُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَهُمْ هَكَذَا ـ وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدَيْهِ ـ وَالْتَبَسُوا، فَلَمَّا أَخَلَّ الرُّمَاةُ تِلْكَ الْخَلَّةَ الَّتِي كَانُوا فِيهَا، دَخَلَ الْخَيْلُ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَضَرَبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَالْتَبَسُوا، وَقُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَاسٌ كَثِيرٌ، وَقَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ أَوَّلُ النَّهَارِ حَتَّى قُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ لِوَاءِ الْمُشْرِكِينَ سَبْعَةٌ أَوْ تِسْعَةٌ، وَجَالَ الْمُسْلِمُونَ جَوْلَةً نَحْوَ الْجَبَلِ، وَلَمْ يَبْلُغُوا حَيْثُ يَقُولُ النَّاسُ الْغَابَ [الْغَارَ]، إِنَّمَا كَانَ تَحْتَ الْمِهْرَاسِ، وَصَاحَ الشَّيْطَانُ: **قُتِلَ مُحَمَّدٌ**، فَلَمْ يَشُكُّوا فِيهِ

(١) **الانضباط العسكري**: تعبير عسكري يُراد به تنفيذ الأوامر نصًّا وروحًا برحابة صدر، والانضباط العسكري هو الطابع المميز للجيش عن المدنيين، وفي بعض الدول يُدعى الضبط العسكري، وهو الإطاعي وتنفيذ الأوامر بدون تردد.

أَنَّهُ حَقٌّ، فَمَا زِلْنَا كَذَلِكَ مَا نَشُكُّ أَنَّهُ قُتِلَ حَتَّى طَلَعَ رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ السَّعْدَيْنِ فَعَرَفْنَاهُ بِتَكَفُّئِهِ إِذَا مَشَى، قَالَ: فَفَرِحْنَا حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يُصِبْنَا مَا أَصَابَنَا، قَالَ: فَرَقِيَ نَحْوَنَا، وَهُوَ يَقُولُ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى قَوْمٍ دَمَّوْا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ**»، قَالَ: وَيَقُولُ مَرَّةً أُخْرَى: «**اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَعْلُونَا**»، حَتَّى انْتَهَى إِلَيْنَا...

[مسند أحمد ٤/ ٣٦٨-٣٦٨٩ رقم ٢٦٠٩، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٢٤ كتاب تفسير القرآن رقم ٣١٦٣، وقال الحاكم: « هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، والمعجم الكبير للطبراني ١٠/ ٣٠١ رقم ١٠٧٣١، والمغازي للواقدي ١/ ٢٩٦-٢٩٧].

الخوف من اقتحام الخيالة الجبل:

«وقد كان أخشى ما يخشاه الرسول ﷺ هو أن يعمد سلاح فرسان المشركين إلى مباغتة المسلمين وضربهم من الخلف ساعة احتدام المعركة.

ولما كانت هذه العملية التي كان يخشى أن تقوم بها خيل قريش، لا يمكن القيام بها إلا عن الطريق الذي يشرف عليه الجبل الذي تمركز فيه المسلمون، لفت ﷺ نظر هؤلاء الرماة بصفة خاصة إلى خطر خيل مكة وأمرهم بأن يترقبوها دائمًا، ويرشقوها بالنبل إن حاولت المرور لضرب المسلمين من الخلف.

وفعلًا حدث الذي كان يخشاه الرسول ﷺ ويتوقع حدوثه، فقد فكر فيه خالد بن الوليد قائد سلاح فرسان المشركين منذ اللحظة الأولى.

فقد ظل ابن الوليد يرقب مواقع الرماة في الجبل مراقبة دقيقة، ويتحين الفرص لعله يجد فرصة لاقتحام الموقع في الجبل وإجلاء المرابطين أو إبادتهم، ثم التسرب من فم الشعب إلى داخله، لضرب المسلمين من الخلف وإحداث الارتباك في صفوفهم في أول المعركة.

وفعلًا قام في بداية الملحمة بثلاث هجمات لاقتحام الشعب من ناحيته الغربية ـ وهي الناحية الوحيدة الصالحة لانطلاق خيله ـ ولكنه فشل في كل هذه الهجمات فشلًا تامًّا حيث أصلاه المرابطون في الجبل نارًا حامية من سهامهم، فارتد بخيله؛ لأن الخيالة لا يقدمون الخيل على النبل». **[غزوة أُحد لباشميل ١١٦-١١٧].**

قيام الرماة بواجبهم أول المعركة:

«وهكذا قام الرماة بواجبهم في أول المعركة خير قيام، حيث صَدَّت نبالهم الحادة كل المحاولات التي قام بها فرسان خالد بن الوليد لاقتحام فم الشعب في أول المعركة.

وظلت مؤخرة المسلمين في مأمن تحت حراسة هؤلاء الرماة الأشداء في جميع مراحل المعركة، حتى ساعة الانتكاسة وهذا يعني أن فصيلة الرماة قد ساهمت مساهمة كبرى في تحقيق النصر الذي أحرزه المسلمون ضد المشركين في أول المعركة». **[غزوة أُحد لباشميل١١٧].**

غلطة الرماة الشنيعة:

«ولكن هؤلاء الرماة إذا كان ذلك شأنهم في أول المعركة، فإنهم قد تسببوا في النهاية في كارثة مروعة أضاعت كل ثمرات النصر التي أحرزها المسلمون ببسالتهم، كما تسبب هؤلاء الرماة في مصرع أكثر من ستين مسلمًا من جند المدينة، وكادوا يكونون سببًا في مقتل النبي الأعظم ﷺ الذي تعرض ـ نتيجة لغلطة هؤلاء الرماة ـ لجراحات كثيرة، وتفصيل ذلك أن هؤلاء الرماة (وعددهم خمسون) لما رأوا أن المسلمين قد كشفوا المشركين عن المعسكر وركبوا ظهورهم يقتلون ويغنمون، ورأوا لواء المشركين مطروحًا على التراب تأكدوا من هزيمة العدو، وهنا اختلفوا فيما بينهم.

فبينما كان سَواد الجيش الإسلامي يوالي ضرباته ضد العدو المنهزم، كان النقاش يدور حادًّا بين الرماة في الجبل حول ما إذا كان من حقهم تَرْك مواقعهم للاشتراك في مطاردة العدو وأخذ حصتهم من الغنائم التي رأوها مبعثرة على أرض المعركة فسال لها لعاب أكثرهم.

وكانت الأغلبية من الرماة تميل إلى ترك الجبل والاشتراك في جمع الغنائم».

[غزوة أُحد لباشميل ١١٧-١١٨].

قال الواقدي: «لـمَّا انْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ وَتَبِعَهُمْ الْمُسْلِمُونَ يَضَعُونَ السِّلاحَ فِيهِمْ حَيْثُ شَاؤُوا حَتَّى أَجْهَضُوهُمْ عَنْ العَسْكَرِ وَوَقَعُوا يَنْتَهِبُونَ العَسْكَرَ، قَالَ بَعْضُ الرُّمَاةِ لِبَعْضٍ: **لِمَ تُقِيمُونَ هَاهُنَا فِي غَيْرِ شَيْءٍ؟ قَدْ هَزَمَ اللهُ العَدُوَّ وَهَؤُلاءِ إِخْوَانُكُمْ يَنْتَهِبُونَ عَسْكَرَهُمْ فَادْخُلُوا عَسْكَرَ الْمُشْرِكِينَ فَاغْنَمُوا مَعَ إِخْوَانِكُمْ.**

فَقَالَ بَعْضُ الرُّمَاةِ لِبَعْضٍ: أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لَكُمْ: «**احْمُوا ظُهُورَنَا، فَلا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ فَلا تَنْصُرُونَا، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا غَنِمْنَا فَلا تَشْرَكُونَا، احْمُوا ظُهُورَنَا؟**»**.**

فَقَالَ الآخَرُونَ: **لَمْ يُرِدْ رَسُولُ الله هَذَا، وَقَدْ أَذَلَّ اللهُ الْمُشْرِكِينَ، وَهَزَمَهُمْ، فَادْخُلُوا العَسْكَرَ، فَانْتَهِبُوا مَعَ إِخْوَانِكُمْ**». **[المغازي للواقدي ١/ ٢٢٩].**

قَالَ الزُّبَيْرُ ﷺ: فَوَالله إِنَّا كَذَلِكَ قَدْ عَلَوْنَاهُمْ وَظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ إِذْ خَالَفَتِ الرُّمَاةُ عَنْ أَمْرِ رَسُولِ الله ﷺ، فَأَقْبَلُوا إِلَى العَسْكَرِ حِينَ رَأَوْهُ مُخْتَلًّا قَدْ أَجْهَضْنَاهُمْ عَنْهُ، فَرَغِبُوا عَلَى الغَنَائِمِ، وَتَرَكُوا عَهْدَ رَسُولِ الله ﷺ، فَجَعَلُوا يَأْخُذُونَ الأَمْتِعَةَ، فَأَتَتْنَا الخَيْلُ مِنْ خَلفِنَا، فَحَطَّمَتْنَا، وَكَرَّ النَّاسُ مُنْهَزِمِينَ، فَصَرَخَ صَارِخٌ يَرَوْنَ أَنَّهُ الشَّيْطَانُ: **أَلا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ**، فَأَعْظَمَ النَّاسُ، وَرَكِبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَصَارُوا أَثْلاثًا: ثُلُثًا جَرِيحًا، وثُلُثًا مَقْتُولًا، وثُلُثًا مُنْهَزِمًا، قَدْ بَلَغَتِ الحَرْبُ، وَقَدْ كَانَتْ الرُّمَاةُ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ رَأَوْا النَّاسَ وَقَعُوا فِي الغَنَائِمِ، وَقَدْ هَزَمَ اللهُ تَعَالَى الْمُشْرِكِينَ، وَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ الغَنَائِمَ: فَمَاذا تَنْتَظِرُونَ؟، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: تَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ رَسُولُ الله ﷺ، وَنَهَاكُمْ أَنْ تُفَارِقُوا مَكَانَكُمْ إِنْ كَانَتْ عَلَيْهِ أَوْ لَهُ، فَتَنَازَعُوا فِي ذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّ

الطَّائِفَةَ الأُولَى مِنَ الرُّمَاةِ أَبَتْ إِلَّا أَنْ تَلحَقَ بِالعَسْكَرِ، فَتَفَرَّقَ القَوْمُ، وَتَرَكُوا مَكَانَهُمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ حَمَلَتْ خَيْلُ الـمُشْرِكِينَ. [المطالب العالية لابن حجر١٧/ ٣٤٣-٣٤٤ كتاب المغازي والسير (٤٢٦٠/ ١)، وقال: هذا إسناده صحيح له شاهد في الصحيح من حديث البراء ﷺ].

الرماة يخالفون أمر قائدهم:

«ولكن آمر الموقع وقائد الرماة المسؤول عبد الله بن جبير الأنصاري ﷺ كان يرى خلاف هذا الرأي، كان يرى أن من الضروري أن تطبق حرفيًّا أوامر النبي ﷺ القائد العام التي تقضي بعدم مغادرة الجبل إلا بأمر خاص منه.. ولما اشتد اللغط بين الرماة، وقف قائدهم فيهم خطيبًا، وحذَّر الذين استأذنوا في ترك مواقعهم، وذكَّرهم بأوامر الرسول ﷺ المشددة التي تقضي بعدم ترك الجبل مهما كانت الظروف والملابسات إلا بأمر من النبي ﷺ.

ثم أعلن هذا القائد بأنه مصمم على البقاء في الجبل حتى يتلقى الأوامر الخاصة من النبي ﷺ بالانسحاب أو يفنى، ثم نهى الذين استأذنوه، ولم يسمح لهم بمغادرة الجبل بل أمرهم بالبقاء في مراكزهم.

ولكن الأكثرية في الجبل من الرماة ـ ولأمر يريده الله ـ تمردوا على قائدهم، وتركوا مواقعهم في الجبل والتحقوا بسواد الجيش للمشاركة في جمع الغنائم ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾[آل عمران: ١٥٢]، فبقي القائد ابن جبير ﷺ في الجبل منفردًا مع أقلية دون العشرة أطاعوه».

[غزوة أُحد لباشميل ١١٨-١١٩].

قال الواقدي: «فَلَـمَّا اخْتَلَفُوا خَطَبَهُمْ أَمِيرُهُمْ عَبْدُ الله بْنُ جُبَيْرٍ ﷺ ـ وَكَانَ يَوْمَئِذٍ مُعْلِمًا بِثِيَابٍ بِيضٍ ـ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ أَمَرَ بِطَاعَةِ الله، وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَأَلَّا يُخَالَفَ لِرَسُولِ الله أَمْرٌ، فَعَصَوْا وَانْطَلَقُوا، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ الرُّمَاةِ مَعَ أَمِيرِهِمْ عَبْدِ الله بْنِ جُبَيْرٍ ﷺ إِلَّا نُفَيْرٌ مَا يَبْلُغُونَ العَشَرَةَ فِيهِمْ الحَارِثُ بْنُ أَنَسِ بْنِ رَافِعٍ، يَقُولُ: **يَا قَوْمِ اُذْكُرُوا عَهْدَ نَبِيِّكُمْ إِلَيْكُمْ، وَأَطِيعُوا أَمِيرَكُمْ**.

قَالَ: فَأَبَوْا وَذَهَبُوا إِلَى عَسْكَرِ الـمُشْرِكِينَ يَنْتَهِبُونَ، وَخَلَّوْا الجَبَلَ وَجَعَلُوا يَنْتَهِبُونَ».

[المغازي للواقدي ١/ ٢٢٩-٢٣٠].

المبحث الثالث
نزول الكارثة بالمسلمين

تحول مصير المعركة:

«وبانسحاب أكثرية الرماة من الجبل انكشفت مؤخرة الجيش الإسلامي تمامًا، حيث بقيت دونها حراسة كافية؛ لأن عشرة من رماة النبل لا يمكن أن يقفوا في وجه مائتين من الفرسان الغائصين في الحديد.

ولم يكن من السهل إبلاغ المسلمين بما حدث؛ ولأن خالد بن الوليد لم يترك فرصة لقائد الرماة ومَنْ بقي معه لينبهوا المسلمين إلى ما حدث على الأقل.

فقد لمح قائد سلاح فرسان مكة ـ الذي كان يراقب موقع الرماة في الجبل مراقبة شديدة ـ لمح تَرْكَ أكثر الرماة لمراكزهم في الجبل فاهتبل الفرصة على عجل، وصاح في كتيبته من الخيالة آمرًا بالهجوم على المسلمين من الخلف..

فاندفعت خيل المشركين تسابق الريح يقودها خالد وعكرمة بن أبي جهل نحو مواقع الرماة في الجبل للقضاء أولًا على مَنْ بقي فيه من الرماة.

وقد صمد قائد الرماة مع مَنْ بقي في وجه فرسان مكة وقاوموا مقاومة الأبطال، ولكن أنَّى لعشرة من المشاة ـ مهما بلغوا من الشجاعة ـ بالمقاومة في وجه مائتي فارس مسلحين أحسن تسليح يقودهم خالد بن الوليد.

ولهذا لم تمض برهة حتى أباد خالد جميع من ثبت من الرماة في الجبل ومنهم قائدهم البطل عبد الله بن جبير ﵁، رحمهم الله جميعًا». [غزوة أُحد لباشميل ١١٩-١٢٠].

قال الواقدي: «قَالَ رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ ﵁: فَلَـمَّا انْصَرَفَ الرُّمَاةُ وَبَقِيَ مَنْ بَقِيَ نَظَرَ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ إِلَى خَلاءِ الجَبَلِ وَقِلَّةِ أَهْلِهِ فَكَرَّ بِالخَيْلِ وَتَبِعَهُ عِكْرِمَةُ فِي الخَيْلِ، فَانْطَلَقَا إِلَى بَعْضِ الرُّمَاةِ فَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ، فَرَامُوا القَوْمَ حَتَّى أُصِيبُوا، وَرَامَى عَبْدُ الله بْنُ جُبَيْرٍ ﵁ حَتَّى فَنِيَتْ نَبْلُهُ، ثُمَّ طَاعَنَ بِالرُّمْحِ، حَتَّى انْكَسَرَ، ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ فَقَاتَلَهُمْ، حَتَّى قُتِلَ ﵁، وَأَقْبَلَ جُعَالُ بْنُ سُرَاقَةَ وَأَبُو بُرْدَةَ بْنُ نِيَارٍ، وَكَانَا قَدْ حَضَرَا قَتْلَ عَبْدِ الله بْنِ جُبَيْرٍ ﵁، وَهُمَا آخِرُ مَنْ انْصَرَفَ مِنَ الجَبَلِ حَتَّى لَحِقَا القَوْمَ وَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ عَلَى مُتُونِ الخَيْلِ فَانْتَقَضَتْ صُفُوفُنَا». [المغازي للواقدي ١/ ٢٣٢].

ويصور هذا التحول ونزول الكارثة بالمسلمين أحد شهود المعركة:

قال الواقدي: «وَانْتَقَضَتْ صُفُوفُ الْمُشْرِكِينَ، وَاسْتَدَارَتْ رِجَالُهُمْ، وَحَالَتْ الرِّيحُ وَكَانَتْ أَوَّلَ النَّهَارِ إِلَى أَنْ رَجَعُوا صَبًا، فَصَارَتْ دبُورًا، حَيْثُ كَرَّ الـمُشْرِكُونَ، بَيْنَا الْمُسْلِمُونَ قَدْ شُغِلُوا بِالنَّهْبِ وَالغَنَائِمِ.

قَالَ نِسْطَاسٌ مَوْلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَكَانَ أَسْلَمَ فَحَسُنَ إسْلامُهُ: كُنْتُ مَمْلُوكًا فَكُنْتُ فِيمَنْ خُلِّفَ فِي العَسْكَرِ، وَلَمْ يُقَاتِلِ يَوْمَئِذٍ مَمْلُوكٌ إلَّا وَحْشِيٌّ، وَصُؤَابٌ غُلامُ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: **يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، خَلِّفُوا غِلمَانَكُمْ عَلَى مَتَاعِكُمْ يَكُونُونَ هُمْ الذِينَ يَقُومُونَ عَلَى رِحَالِكُمْ.**

فَجَمَعْنَا بَعْضَهَا إلَى بَعْضٍ، وَعَقَلْنَا الإِبِلَ، وَانْطَلَقَ القَوْمُ عَلَى تَعْبِيَتِهِمْ مَيْمَنَةً وَمَيْسَرَةً وَأَلْبَسْنَا الرِّحَالَ الأَنْطَاعَ، وَدَنَا القَوْمُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ فَاقْتَتَلُوا سَاعَةً، ثُمَّ إذَا أَصْحَابُنَا مُنْهَزِمُونَ فَدَخَلَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ عَسْكَرَنَا وَنَحْنُ فِي الرِّحَالِ، فَأَحْدَقُوا بِنَا، فَكُنْتُ فِيمَنْ أُسِرُوا، وَانْتَهَبُوا العَسْكَرَ أَقْبَحَ انْتِهَابٍ، حَتَّى إنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ، قَالَ: أَيْنَ مَالُ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ؟ فَقُلْتُ: مَا حَمَلَ إلَّا نَفَقَةً هِيَ فِي الرَّحْلِ، فَخَرَجَ يَسُوقُنِي حَتَّى أَخْرَجْتُهَا مِنْ العَيْبَةِ خَمْسِينَ وَمِائَةَ مِثْقَالٍ، وَقَدْ وَلَّى أَصْحَابُنَا وَأَيِسْنَا مِنْهُمْ وَانْحَاشَ النِّسَاءُ فَهُنَّ فِي حُجَرِهِنَّ سَلَمٌ لِمَنْ أَرَادَهُنَّ، وَصَارَ النَّهْبُ فِي أَيْدِي الرِّجَالِ، فَإِنَّا لَعَلَى مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ الاسْتِسْلامِ إلَى أَنْ نَظَرْتُ إلَى الجَبَلِ، فَإِذَا الخَيْلُ مُقْبِلَةٌ فَدَخَلُوا العَسْكَرَ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَرُدُّهُمْ قَدْ ضُيِّعَتْ الثُّغُورُ التِي كَانَ بِهَا الرُّمَاةُ وَجَاؤُوا إلَى النَّهْبِ وَالرُّمَاةُ يَنْتَهِبُونَ، وَأَنَا أَنْظُرُ إلَيْهِمْ مُتَأَبِّطِي قِسِيِّهِمْ وَجِعَابِهِمْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي يَدَيْهِ، أَوْ حِضْنِهِ شَيْءٌ قَدْ أَخَذَهُ، فَلَـمَّا دَخَلَتْ خَيْلُنَا دَخَلَتْ عَلَى قَوْمٍ غَارِّينَ آمِنِينَ فَوَضَعُوا فِيهِمْ السُّيُوفَ فَقَتَلُوا فِيهِمْ قَتْلًا ذَرِيعًا، وَتَفَرَّقَ الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ وَجْهٍ وَتَرَكُوا مَا انْتَهَبُوا وَأَجْلَوْا عَنْ عَسْكَرِنَا، فَرَجَعْنَا مَتَاعَنَا بَعْدُ فَمَا فَقَدْنَا مِنْهُ شَيْئًا، وَخَلَّوْا أَسْرَانَا، وَوَجَدْنَا الذَّهَبَ فِي المَعْرَكِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ ضَمَّ صَفْوَانَ ابْنَ أُمَيَّةَ إلَيْهِ ضَمَّةً ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَمُوتُ حَتَّى أَدْرَكْتُه بِهِ رَمَقٌ، فَوَجَأْتُهُ بِخَنْجَرٍ مَعِي فَوَقَعَ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ بَعْدُ، فَقِيلَ: رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَاعِدَةَ، ثُمَّ هَدَانِي اللهُ ﷻ بَعْدُ لِلإِسْلامِ». [المغازي للواقدي ١/ ٢٣٠-٢٣١].

المسلمون بين نارين:

«ثم استدار ابن الوليد بسرعة وانقض بفرسانه على مؤخرة الجيش الإسلامي، بعد أن صاح فرسانه صيحة عرف منها المنهزمون أن ابن الوليد قد قام بحركة التفاف ناجحة ضد جيش المدينة، فانقلب المشركون نحو المسلمين وقاموا ضدهم بهجوم مضاد، وأسرعت عمرة الحارثية إلى لواء المشركين المطروح على التراب فرفعته ليلتف المنهزمون حوله من جديد، وتنادى المشركون المنهزمون وشجع بعضهم بعضًا على العودة إلى الميدان بعد أن رأوا لواءهم يُرفع من جديد.

وبهذا تغير الموقف تغيرًا كاملًا، وتحوَّل مجرى القتال لصالح المشركين.

أما المسلمون فقد صاروا بين نارين، فأصبح لذلك همهم الوحيد ـ في تلك اللحظة السيئة ـ النجاة بأرواحهم من الطوق الذي ضربه المشركون حولهم.

وبحركة خالد المباغتة التي يسرت لها غلطة الرماة النجاح الكامل، ضاعت على المسلمين معالم الخطة الحكيمة التي رسمها الرسول القائد ﷺ لإدارة دفة المعركة، فصاروا يقاتلون دونما تماسك، إذ

وجدوا أنفسهم وبطريقة فجائية ـ بعد نسف الرماة بتمردهم خطة القتال التي وضعها الرسول القائد ﷺ للمعركة ـ أمام أسلوب من القتال جديد.

فصاروا وكأنهم يخوضون معركة جديدة، يقاتلون فيها دونما خطة مرسومة، أو تعبئة سابقة، أو قيادة موحدة حيث أصبح كل فرد من أفراد الجيش المطوق، وقبل الاتصال بالنبي القائد الأعلى ﷺ، يرسم لنفسه خطة يحاول بموجبها الإفلات من الحزام الذي وجد المسلمون أنفسهم فجأة داخله».

[غزوة أُحد لباشميل ١٢٠-١٢١].

المسلمون يقتتلون بعضهم:

لقد فقد المسلمون تنظيمهم ـ بعد غلطة الرماة ـ وانتقضت صفوفهم، وعمتهم الفوضى والارتباك، فاختلطوا، وألقوا ما في أيديهم من الغنائم، وانقلب بعضهم يضرب بعضًا، فعمت الفوضى والارتباك صفوفهم، وصاروا يقتتلون على غير شعار.

فكانت محنة قاسية سقط فيه كثير من المسلمين قتلى بأيدي إخوانهم من غير قصد.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ كَانَ النَّاسُ انْهَزَمُوا عَنْ رَسُولِ الله ﷺ حَتّى انْتَهَى بَعْضُهُمْ إلَى الْمُنَقَّى، دُونَ الْأَعْوَصِ (موضع قرب المدينة).

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ ﷺ، قَالَ: لَـمَّا خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ إلَى أُحُدٍ، رَفَعَ حُسَيْلُ بْنُ جَابِرٍ وَهُوَ الْيَمَانُ أَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ الْيَمَانِ، وَثَابِتُ [وَرِفَاعَةُ] بْنُ وَقْشٍ ﷺ فِي الْآطَامِ مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ وَهُمَا شَيْخَانِ كَبِيرَانِ: **مَا أَبَا لَكَ [لَا أَبَا لَكَ]، مَا تَنْتَظِرُ؟ [مَا نَسْتَبْقِي مِنْ أَنْفُسِنَا]، فَوَالله لَا بَقِيَ لِوَاحِدِ مِنَّا مِنْ عُمْرِهِ إلَّا ظِمْءُ حِمَارٍ [دَابَّةٍ]** (الظمء: مقدار ما يكون بين الشربتين، وأقصر الأظماء ظمء الحمار؛ لأنه لا يصبر عن الماء، فضرب مثلاً لقرب الأجل)، **إنَّمَا نَحْنُ هَامَةُ الْيَوْمِ أَوْ غَد** (الهامة: طائر يخرج من رأس القتيل إذا قتل (زعموا) فلا يزال يصيح: اسقوني اسقوني! حتى يؤخذ بثأره، فضربته العرب مثلاً للموت)، **أَفَلَا نَأْخُذُ أَسْيَافَنَا، ثُمَّ نَلْحَقُ بِرَسُولِ الله ﷺ لَعَلَّ اللهَ يَرْزُقُنَا شَهَادَةً مَعَ رَسُولِ الله ﷺ**؟ فَأَخَذَا أَسْيَافَهُمَا، ثُمَّ خَرَجَا، [فَلَحِقَا بِرَسُولِ الله ﷺ بِأُحُدٍ مِنْ النَّهَارِ]، حَتَّى دَخَلَا فِي النَّاسِ وَلَمْ يُعْلَمْ بِهِمَا، فَأَمَّا ثَابِتُ بْنُ وَقْشٍ ﷺ فَقَتَلَهُ الْمُشْرِكُونَ، وَأَمَّا حُسَيْلُ بْنُ جَابِرٍ ﷺ، فَاخْتَلَفَتْ [فَالتَقَتْ] عَلَيْهِ أَسْيَافُ الْمُسْلِمِينَ، فَقَتَلُوهُ وَلَا يَعْرِفُونَهُ [حِينَ اخْتَلَطُوا]، فَقَالَ حُذَيْفَةُ ﷺ: **أَبِي**، فَقَالُوا: **وَالله إنْ عَرَفْنَاهُ**، وَصَدَقُوا، قَالَ حُذَيْفَةُ ﷺ: **يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ [مَا صَنَعْتُمْ!]**، فَأَرَادَ رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يَدِيَهُ، فَتَصَدَّقَ حُذَيْفَةُ ﷺ بِدِيَتِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَزَادَهُ ذَلِكَ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ خَيْرًا.

[السيرة لابن هشام ٨٧-٨٨، والمغازي للواقدي ١/ ٢٣٣، وقال الشيخ الصوياني: سنده صحيح، رواه من طريقه الحاكم ٣/ ٢٢٢ رقم ٤٩٠٩. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص ٢٤٨، ٢٧١، وصحيح السيرة النبوية للعلي ص ٢١٦].

وعَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ ﭫ قَالَتْ: لـمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ هُزِمَ الْمُشْرِكُونَ [هَزِيمَةً تُعْرَفُ فِيهِمْ]، فَصَاحَ إِبْلِيسُ [ـ لَعْنَةُ الله عَلَيْهِ ـ]: **أَيْ عِبَادَ الله أُخْرَاكُمْ**، فَرَجَعَتْ أُولَاهُمْ فَاجْتَلَدَتْ هِيَ وَأُخْرَاهُمْ، فَنَظَرَ حُذَيْفَةُ فَإِذَا هُوَ بِأَبِيهِ الْيَمَانِ ﭭ، فَقَالَ: **أَيْ عِبَادَ الله أَبِي أَبِي**، فَوَالله مَا احْتَجَزُوا [انْحَجَزُوا] حَتَّى قَتَلُوهُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ ﭬ: **غَفَرَ اللهُ لَكُمْ**، قَالَ عُرْوَةُ: **فَمَا زَالَتْ فِي حُذَيْفَةَ مِنْهُ بَقِيَّةُ خَيْرٍ حَتَّى لَـحِقَ بِالله** ﻷ.

قَالَ: وَقَدْ كَانَ انْهَزَمَ مِنْهُمْ قَوْمٌ حَتَّى لَحِقُوا بِالطَّائِفِ». [**البخاري في بدء الخلق (٣٢٩٠)، في مناقب الأنصار** ﭫ **(٣٨٢٤)، وفي المغازي (٤٠٦٥)، وفي الأيمان والنذور (٦٦٦٨)، وفي الديات (٦٨٨٣، ٦٨٩٠)**].

وعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ ﭬ قَالَ: اخْتَلَفَتْ سُيُوفُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْيَمَانِ أَبِي حُذَيْفَةَ ﭭ يَوْمَ أُحُدٍ وَلَا يَعْرِفُونَهُ، فَقَتَلُوهُ، فَأَرَادَ رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يَدِيَهُ، فَتَصَدَّقَ حُذَيْفَةُ بِدِيَتِهِ عَلَى الـمُسْلِمِينَ.

[**مسند أحمد ٣٩/ ٤٦ رقم ٢٣٦٣٩، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن**].

وقال الواقدي: «يَقُولُ رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ ﭬ: فَكُنَّا أُتِينَا مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِنَا وَمَعْصِيَةِ نَبِيِّنَا، وَاخْتَلَطَ الْمُسْلِمُونَ وَصَارُوا يُقْتَلُونَ وَيَضْرِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، مَا يَشْعُرُونَ بِهِ مِنَ الْعَجَلَةِ وَالدَّهَشِ، وَلَقَدْ جُرِحَ يَوْمَئِذٍ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ جُرْحَيْنِ ضَرَبَهُ أَحَدُهُمَا أَبُو بُرْدَةَ وَمَا يَدْرِي، يَقُولُ: **خُذْهَا وَأَنَا الْغُلَامُ الْأَنْصَارِيُّ**، قَالَ: وَكَرَّ أَبُو زَعْنَةَ فِي حَوْمَةِ الْقِتَالِ فَضَرَبَ أَبَا بُرْدَةَ ضَرْبَتَيْنِ مَا يَشْعُرُ إِنَّهُ لَيَقُولُ: **خُذْهَا وَأَنَا أَبُو زَعْنَةَ**، حَتَّى عَرَفَهُ بَعْدُ، فَكَانَ إِذَا لَقِيَهُ قَالَ: **انْظُرْ إِلَى مَا صَنَعْتَ بِي**، فَيَقُولُ لَهُ أَبُو زَعْنَةَ: **أَنْتَ ضَرَبْتَ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ، وَلا تَشْعُرُ، وَلَكِنَّ هَذَا الْجُرْحَ فِي سَبِيلِ الله**، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ ﷺ: «**هُوَ فِي سَبِيلِ الله يَا أَبَا بُرْدَةَ لَكَ أَجْرُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ ضَرَبَكَ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَمَنْ قُتِلَ فَهُوَ شَهِيدٌ**». [**المغازي للواقدي ١/ ٢٣٣**].

إشاعة مقتل الرسول ﷺ:

«ومما زاد النكبة أن إشاعة سرت مفادها أن المشركين تمكنوا من قتل النبي ﷺ ونادى مناديهم بذلك، وسبب هذه الإشاعة أن أحد فرسان المشركين واسمه ابن قمئة التقى بمصعب بن عمير العبدري ﭬ حامل لواء المسلمين فقتله، وكانت طلعة مصعب ﭬ شبيهة بطلعة النبي ﷺ، وخاصة إذا لبس السلاح، فظن الفارس المشرك أنه قد قتل الرسول ﷺ فصاح: «لقد قتلتُ محمدًا»، فشاع هذا الخبر الكاذب بين المقاتلين.

فوقع لهذه الإشاعة مزيد من الذعر والارتباك في صفوف المسلمين المطوقة».

[**غزوة أُحد لباشميل ١٢٥-١٢٦**].

وتاه الكثيرون منهم، لا يدرون إلى أين يتجهون، لاسيما وَقَد «نَادَى إِبْلِيسُ، وَتَصَوَّرَ فِي صُورَةِ جُعَالِ بْنِ سُرَاقَةَ: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ». [**المغازي للواقدي ١/ ٢٣٢**].

ولقد كان من المتوقع أن تقضي كثرة العدو العديدة المتفوقة ـ التي أعادت تنظيمها بعد حركة خالد الناجحة ـ كان من المتوقع أن تقضي هذه الكثرة على القلة من المسلمين المطَّوقين وتسحقهم سحقًا كليًّا.

ولكن الليوث لا تُصاد بسهولة:

عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ صَاحَ يَوْمَ أُحُدٍ: **إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ**، قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ: وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ عَرَفَ رَسُولَ الله ﷺ، رَأَيْتُ عَيْنَيْهِ مِنْ تَحْتِ المِغْفَرِ (زرد أو غطاء ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة)، فَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: هَذَا رَسُولُ الله ﷺ، فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ اُسْكُتْ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ الآية [آل عمران: ١٤٤].

[المطالب العالية ١٧/ ٣٥٤ كتاب المغازي والسير (٤٢٦٢)، وقال ابن حجر: رجاله ثقات ولكنه مرسل أو معضل، المغازي للواقدي ١/ ٢٣٥-٢٣٦].

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: لـمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَصِرْنَا إِلَى الشِّعْبِ كُنْتُ أَوَّلُ مَنْ عَرَفْتُهُ، فَقُلْتُ: هَذَا رَسُولُ الله ﷺ، فَأَشَارَ إِلَيَّ بِيَدِهِ أَنْ اُسْكُتْ، ثُمَّ أَلْبَسَنِي لأْمَتَهُ، وَلَبِسَ لأْمَتِي، فَلَقَدْ ضُرِبْتُ حَتَّى جُرِحْتُ عِشْرِينَ جِرَاحَةً ـ أَوْ قَالَ: بِضْعَةً وعِشْرِينَ جُرْحًا ـ كُلُّ مَنْ يَضْرِبُنِي يَحْسِبُنِي رَسُولَ الله ﷺ.

[مجمع الزوائد ٦/ ١٦١ كتاب المغازي والسير (١٠٠٧٨)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار، ورجال الأوسط ثقات. وقال الشيخ العلي: ورواه أبو نعيم في الدلائل ٢/ ٤٨٢ من طريق ابن إسحاق، وقد صرح عنده بالسماع وسنده متصل، فالحديث صحيح. صحيح السيرة النبوية للعلي ص ٢٢٥].

وروى أبو يعلى بسنده عن عكرمة، قال: قال لي علي ﷺ: «لـمَّا انْجَلَى النَّاسُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ نَظَرْتُ إِلَى القَتْلَى فَلَمْ أَرَ رَسُولَ الله ﷺ فِيهِمْ، فَقُلْتُ: وَالله، مَا كَانَ ﷺ لِيَفِرَّ، وَمَا أَرَاهُ فِي القَتْلَى، وَلَكِنِّي أَرَى أَنَّ اللهَ غَضِبَ عَلَيْنَا بِمَا صَنَعْنَاهُ، فَرَفَعَ نَبِيَّهُ، فَمَا لِي خَيْرٌ مِنْ أَنْ أُقَاتِلَ حَتَّى أُقْتَلَ، فَكَسَرْتُ جَفْنَ (غمد) سَيْفِي، ثُمَّ حَمَلْتُ عَلَى القَوْمِ، فَأَفْرَجُوا لِي، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ الله ﷺ [بَيْنَهُمْ].

[المطالب العالية ١٧/ ٣٦٨ كتاب المغازي والسير (٤٢٦٧)، مجمع الزوائد ٦/ ١٦٠ كتاب المغازي والسير (١٠٠٧٥)، وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى وفيه محمد بن مروان العقيلي، وثقه أبو داود وابن حبان، وضعفه أبو زرعة وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح. وقال الشيخ العلي: وإسناده حسن كما قال البوصيري. صحيح السيرة للعلي ص ٢٢٥].

قال الواقدي: «قال مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ ﷺ: سَمِعَتْ أُذُنَايَ وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ يَوْمَئِذٍ وَقَدْ انْكَشَفَ النَّاسُ إِلَى الجَبَلِ وَهُمْ لا يَلوُونَ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ لَيَقُولُ: «**إِلَيَّ يَا فُلانُ إِلَيَّ يَا فُلانُ، أَنَا رَسُولُ الله**»، فَمَا عَرَّجَ مِنْهُمَا وَاحِدٌ عَلَيْهِ وَمَضَيَا». **[المغازي للواقدي ١/ ٢٣٧].**

وعن البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ: جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الرَّجَّالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ عَبْدَ الله بْنَ جُبَيْرٍ ﷺ، وَأَقْبَلُوا مُنْهَزِمِينَ، فَذَاكَ إِذْ يَدْعُوهُمْ الرَّسُولُ ﷺ فِي أُخْرَاهُمْ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَيْرُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا.

[البخاري في المغازي (٤٠٦٧)، وفي تفسير القرآن (٤٥٦١)].

«وَثَبَتَ رَسُولُ الله ﷺ كَمَا هُوَ فِي عِصَابَةٍ (مجموعة) صَبَرُوا مَعَهُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، سَبْعَةٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَسَبْعَةٌ مِنْ الأَنْصَارِ: **أَبُو بَكْرٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَطَلحَةُ**

ابْنُ عُبَيْدِ اللهِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ العَوّامِ، وَمِنْ الأَنْصَارِ: الحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ، وَأَبُو دُجَانَةَ، وَعَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ، وَالحَارِثُ بْنُ الصُّمَّةِ، وَسَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ.

وَيُقَالُ: ثَبَتَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، فَيَجْعَلُونَهُمَا مَكَانَ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ وَسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ.

وَبَايَعَهُ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ عَلَى الـمَوْتِ ـ ثَلاثَةٌ مِنْ المُهَاجِرِينَ وَخَمْسَةٌ مِنْ الأَنْصَارِ: عَلِيٌّ، وَالزُّبَيْرُ، وَطَلحَةُ، وَأَبُو دُجَانَةَ، وَالحَارِثُ بْنُ الصُّمَّةِ، وَحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ، وَعَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ، وَسَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، فَلَمْ يُقْتَل مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُوهُمْ فِي أُخْرَاهُمْ حَتَّى انْتَهَى مَنْ انْتَهَى مِنْهُمْ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ الْمِهْرَاسِ».
[المغازي للواقدي ١/ ٢٤٠].

النبي الجريح ﷺ:

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: فَلَمَّا كَانَ عَامُ أُحُدٍ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، عُوقِبُوا بِمَا صَنَعُوا يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ، وَفَرَّ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَكُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ، وَهُشِّمَتِ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ، وَسَالَ الدَّمُ عَلِي، وَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿**أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥**﴾[آل عمران] بِأَخْذِكُمُ الْفِدَاءَ. **[مجمع الزوائد في المغازي والسير ٦/ ١٦٦ رقم ١٠٠٩٠، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في آخر حديث عمر الذي في الصحيح في مسنده الكبير. ومسند أحمد ١/ ٣٣٥، ٣٤٦ رقم ٢٠٨، ٢٢١، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن، رجاله رجال الصحيح].**

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَانْكَشَفَ الْمسْلِمُونَ فَأَصَابَ فِيهِمْ العَدُوُّ، وَكَانَ يَوْمَ بَلَاءٍ وَتَمْحِيصٍ أَكْرَمَ اللهُ فِيهِ مَنْ أَكْرَمَ مِنْ الْمسْلِمِينَ بِالشَّهَادَةِ حَتَّى خَلَصَ العَدُوُّ إلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَدُثَّ (قَالَ أَبُو ذَر: «من رَوَاهُ بالراء فَمَعْنَاه أُصِيب بهَا. وَمن رَوَاهُ (فَدُثَّ) بالدَّال الْمُهْملَة، فَمَعْنَاه رمي حَتَّى التوى بعض جسده») بِالحِجَارَةِ حَتَّى وَقَعَ لِشِقِّهِ (لجنبه)، فَأُصِيبَتْ رَبَاعِيَتُهُ وَشُجَّ فِي وَجْهِهِ، وَكُلِمَتْ (جرح) شَفَتُهُ، وَكَانَ الذِي أَصَابَهُ عُتْبَة بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ. **[السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٧٩].**

«وقد ثبت محمد بن عبد الله الهاشمي النبي القائد ﷺ لتك الهجمات السريعة المتلاحقة ثبوت الرواسي، وقاتل المهاجمين بضراوة وشجاعة منقطعة النظير، يسانده في ذلك قلة من أصحابه الذين ثبتوا معه، والذين لم يفارقه بعضهم منذ بداية المعركة، ومنهم من سارع بالانضمام إليه ساعة الانتكاسة.

وأثناء هذا الصراع الرهيب أُصيب الرسول القائد ﷺ بجراحات كثيرة، فقد تحطمت الخوذة الحديدية التي كانت على رأسه نتيجة للضربات التي أصابه المشركون بها، كما أنه أيضًا جُرح في وجهه الشريف عدة جراحات..

فقد حمل عليه أحد فرسان المشركين واسمه **ابن قمئة** وهو يقول: **أين محمد؟ لا نجوتُ إن نجا.**

وروى الطبراني عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﵁، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، رَمَاهُ عَبْدُ الله بن قَمِئَةَ بِحَجَرٍ يَوْمَ أُحُدٍ، فَشَجَّهُ فِي وَجْهِهِ، وَكَسَرَ رَبَاعِيَّتَهُ، وَقَالَ: **خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ قَمِئَةَ**، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ: «**مَا لَكَ، أَقْمَأَكَ اللهُ**»، فَسَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِ تَيْسَ جَبَلٍ، لا تَيْسَ، فَلَمْ يَزَلْ يَنْطَحُهُ حَتَّى قَطَعَهُ قِطْعَةً قِطْعَةً. [**المعجم الكبير للطبراني ٨/ ١٣٠ رقم ٧٥٩٦، وقال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه حفص بن عمر العدني، وهو ضعيف. مجمع الزوائد ٦/ ١٦٩ رقم ١٠٠٩٦، وينظر: الشفاء للقاضي عياض ٢/ ٤٨٠، وفتح الباري ٧/ ٣٧٣**].

وروى أبو نعيم عَنْ نَافِعِ بْنِ عَاصِمٍ قَالَ: الَّذِي دَمَّى وَجْهَ رَسُولِ الله ﷺ عَبْدُ الله بْنُ قَمِئَةَ رَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ، فَسَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِ تَيْسًا فَنَطَحَهُ حَتَّى قَتَلَهُ. [**دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ١/ ٤٨٨ رقم ٤٢٤**].

وروى عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَيْسَرَةَ أَنَّهُ، سَمِعَ يَعْقُوبَ بْنَ مُوسَى يَقُولُ: الَّذِي دَمَّى وَجْهَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ رَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ الْقَمِئَةِ، فَكَانَ حَتْفُهُ أَنْ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِ تَيْسًا فَنَطَحَهُ فَقَتَلَهُ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ: «اسْمُهُ عَبْدُ الله بْنُ الْقَمِئَةِ».

[**مصنف عبد الرزاق الصنعاني ٥/ ٢٩٠ رقم ٩٦٤٨**].

وأثناء صراعه مع ابن قمئة علاه الأخير بالسيف وضربه به ضربة شديدة فلم تضره كثيرًا؛ لأنه ﷺ كان قد لبس درعين، وقد أصابت هذه الضربة عاتق النبي ﷺ فتأثر منها وشكا بسببها أكثر من شهر، فقد كانت ضربة عدو الله عنيفة إلا أنه لم يتمكن من هتك الدرعين بها، فنجا رسول الله ﷺ منها.

كما أنه ﷺ أثناء هذا الصراع جُرح في وجهه، جَرَحَه ابن قمئة الذي كان يلح مع أصحابه في الهجوم على رسول الله ﷺ.

فقد دخلت حلقتان من حلق المغفر (زرد يلبسه المحارب تحت القلنسوة) في وجنتيه الشريفتين، وأخذ الدم يسيل على أثر ذلك؛ نتيجة لضربة أخرى أصابه بها أيضًا ابن قمئة، وكان عدو الله من فرسان المشركين الفاتكين.

كما شُجَّ وجهُه الشريف شجَّة كبيرة بقي أثرها في وجهه حتى التحق بالرفيق الأعلى؛ نتيجة لضربة جاءته أثناء احتدام المعركة، من عبد الله بن شهاب الزهري ـ جد الإمام محمد بن شهاب الزهري المشهور.

كذلك تكسرت رباعيته السفلى (هي السن التي بين الثنية والناب)، وانشقت شفته عندما قذفه عتبة بن أبي وقاص (أخو سعد بن أبي وقاص ﵁) بحجر كبير.

كما وقع ﷺ أثناء تلك الساعة العصيبة الدامية في حفرة عميقة فجُرحت ركبتاه، وأُغمى عليه، وقد سارع أصحابه المدافعون عنه إلى إنقاذه، وأخذ على بن أبي طالب ﵁ بيده، ورفعه طلحة بن عبيد الله ﵁ من الحفرة حتى استوى قائمًا». [**غزوة أُحد لباشميل ١٣١-١٣٣**].

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ (يمسح) الدَّمَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ [تُفْلِحُ أُمَّةٌ] شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ [فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ]، [خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالدَّمِ]، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ**»، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [آل عمران]. [مسلم في الجهاد والسير (١٧٩١)، وعلقه البخاري في المغازي باب ٣١، والترمذي في تفسير القرآن (٣٠٠٢، ٣٠٠٣)، وابن ماجه في الفتن (٤٠٢٧)، ومسند أحمد رقم ١١٩٥٦، ١٢٨٣١، ١٣٠٨٣، ١٣١٣٨، ١٣٦٥٧، ١٤٠٧٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا بِنَبِيِّهِ - يُشِيرُ إِلَى رَبَاعِيَتِهِ -، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ**». [البخاري في المغازي (٤٠٧٣، ٤٠٧٤، ٤٠٧٦)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٩٣)، ومسند أحمد رقم ٨٢١٣، ٨٢١٤، ١٠٣٨٤].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ [نَبِيٌّ] فِي سَبِيلِ اللهِ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ دَمَّوْا وَجْهَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ. [البخاري في المغازي (٤٠٧٤، ٤٠٧٦)].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مسعود رضي الله عنه قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنْ الأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**».

[البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٧)، وفي استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم (٦٩٢٩)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٩٢)، وابن ماجه في الفتن (٤٠٢٥)، ومسند أحمد رقم ٣٦١١، ٤٠٥٧، ٤١٠٧، ٤٢٠٣].

وَعَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ: سَمِعْتُ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو عَلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو وَالْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَنَزَلَتْ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [آل عمران].

[البخاري في المغازي (٤٠٦٩ ، ٤٠٧٠)، وفي التفسير (٤٥٥٩)، وفي الاعتصام بالكتاب (٧٣٤٦)].

وعَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ: «**اللَّهُمَّ العَنْ أَبَا سُفْيَانَ، اللَّهُمَّ العَنِ الحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ العَنْ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ**» ، قَالَ: فَنَزَلَتْ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [آل عمران]، فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ فَأَسْلَمُوا فَحَسُنَ إِسْلَامُهُمْ.

[الترمذي في تفسير القرآن (٣٠٠٤)، وقال الشيخ الألباني: صحيح].

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**».

[صحيح ابن حبان في الأدعية ٣/ ٢٥٤ رقم ٩٧٣، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن].

المشركون يديمون زخم الهجوم على النبي ﷺ:

«لقد تعرض الرسول ﷺ لما تعرض له وأُصيب بما أُصيب به من جراحات، وهو في قلة من أصحابه، وبينما كان كذلك كان أصحابه الذين شتتهم النكسة، يتدافعون نحوه، كما أن المشركين ـ أيضًا ـ أخذوا في التكاثر عليه، فحمي الوطيس من جديد، ودارت المعركة ضارية حول الرسول ﷺ».

[غزوة أُحد لباشميل ١٣٤].

تجمع المسلمين مرة أخرى:

«وبالرغم من المأزق الحرج الذي وقع فيه سواد الجيش الإسلامي، فإنهم أخذوا يقاتلون بضراوة ليشقوا طريقهم نحو قائدهم النبي ﷺ، الذي تأكدوا من سلامته بعد أن سمعوه يناديهم بصوته الكريم من مقر قيادته.

فشقوا طريقهم ـ ولكن بصعوبة كبيرة ـ وسط غابات الرماح والسيوف التي أحاطهم المشركون بها من كل جانب بعد نجاح حركة خالد المفاجئة.

ولقد اتصل المسلمون من جديد بنبيهم ﷺ الذي بقي مع بعض هيئة أركان حربه يرقبون مطاردة المسلمين للعدو وتخلصوا من الطوق المضروب عليهم، ولكن بعد أن دفعوا الثمن غاليًا».

[غزوة أُحد لباشميل ١٢١-١٢٢].

قال الواقدي: «عَنْ نَمْلَةَ بْنِ أَبِي نَمْلَةَ ﵁ قَالَ: لـَمَّا انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ ذَلِكَ الْيَوْمَ نَظَرْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَمَا مَعَهُ أَحَدٌ إِلَّا نُفَيْرٌ، فَأَحْدَقَ بِهِ أَصْحَابُهُ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَانْطَلَقُوا بِهِ إِلَى الشِّعْبِ؛ وَمَا لِلْمُسْلِمِينَ لِوَاءٌ قَائِمٌ وَلا فِئَةٌ وَلا جَمْعٌ، وَإِنَّ كَتَائِبَ الْمُشْرِكِينَ لَتَحُوشُهُمْ مُقْبِلَةً وَمُدْبِرَةً فِي الوَادِي، يَلْتَقُونَ وَيَفْتَرِقُونَ مَا يَرَوْنَ أَحَدًا مِنْ النَّاسِ يَرُدُّهُمْ، فَاتَّبَعْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَأَنْظُرُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَؤُمُّ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ رَجَعَ الْمُشْرِكُونَ نَحْوَ عَسْكَرِهِمْ وَتَآمَرُوا فِي الْمَدِينَةِ وَفِي طَلَبِنَا، فَالقَوْمُ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ الاخْتِلافِ، وَطَلَعَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُصِبْهُمْ شَيْءٌ حِينَ رَأَوْا رَسُولَ الله ﷺ سَالِـمًا».

[المغازي للواقدي ١/ ٢٣٨-٢٣٩].

كيف انقسم الجيش الإسلامي:

«كان المسلمون بعد كشف المشركين عن معسكرهم ونزول الهزيمة بهم، قد انقسموا إلى فرق ثلاث:

١ـ **الفرقة الأولى**: وهم الرسول ﷺ وبعض أركان حربه ظلوا في مركز القيادة العامة ولم يشتركوا في المطاردة، ومن بين هؤلاء أبو بكر الصديق وطلحة بن عبيد الله وغيرهما من المهاجرين والأنصار، وقد كانت الفرقة قليلة العدد جدًّا إذ لم يزد عددهم على أربعة عشر رجلًا.

[سمط النجوم العوالي، للعصامي ٢/ ٨٥].

٢ـ **وفرقة ثانية**: اشتركت في مطاردة العدو، ولكنها لم تتوغل، وبقيت على مقربة من مقر قيادة الرسول ﷺ، وهذه الفرقة لم يتمكن المشركون من تطويقها، عندما تغير مجرى القتال، ويظهر أن من أفراد الفرقة أنس بن النضر وعمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم.

وهذه الفرقة أيضًا كانت صغيرة جدًّا، إلا أن رجالها كانوا يُعدون بالمئات، فقد سارع هؤلاء بالانضمام إلى الرسول ﷺ في مقره، وألَّفوا جبهة لحماية الرسول ﷺ من كرة العدو.

٣ـ **وفرقة ثالثة**: وهي الفرقة الكبرى التي ضمت سواد الجيش الإسلامي، وقامت بمطاردة العدو حتى أجلته عن معسكره واحتلت مقر قيادته واستولت على ما في المعسكر من غنائم.

وهذه الفرقة ـ وإن شئت قل هذا الجيش ـ هو الذي تمكن جيش قريش من تطويقه تطويقًا كاملًا بعد ضربة خيالة ابن الوليد المفاجئة، وقد انقسم الجيش الإسلامي المطوَّق إلى قسمين:

١ـ **القسم الأول**: وهو صغير جدًّا، تمكن من الإفلات وانهزم نحو المدينة، حيث لم يوفق في شق طريقه نحو مقر قيادة الرسول ﷺ في الشِّعب، متوهمًا أن جيش المسلمين قد هُزم، وأن نبيهم ﷺ قد قُتل.

ولكن هذا القسم الصغير لما وصل بعضه أسوار المدينة عنفهم النساء اللواتي كن هناك في الآطام (الحصون) وعلى التلال يرقبن المعركة، عَنَّفَ النساءُ هؤلاء الرجال المنهزمين وحَثَتْ الزوجات التراب في وجوه أزواجهن، ونبهنهم إلى أن الرسول ﷺ لم يُقْتَل.

فعاد هؤلاء المنهزمون أدراجهم مسرعين نحو المعركة، ولكنهم لم يتمكنوا من الاتصال بالنبي ﷺ إلا بعد انتهاء المعركة، ويُقال إن بعضًا من هؤلاء المنهزمين لم يرجعوا إلا بعد ثلاثة أيام من المعركة، وهؤلاء هم الذين قال لهم النبي ﷺ: «**لَقَدْ ذَهَبْتُمْ فِيهَا** (أي الهزيمة) **عَرِيضَةً**»، أو كما قال.

[هذه المقولة رواها ابن حجر في المطالب العالية ١٧/ ٣٤٧ كتاب المغازي والسير، باب وقعة أُحد رقم ٤٢٦٠/ ٢، وأشار إلى أنها من رواية ابن إسحاق بغير إسناد].

وفي رواية للبخاري: «وَقَدْ كَانَ انْهَزَمَ مِنْهُمْ قَوْمٌ حَتَّى لَحِقُوا بِالطَّائِفِ». [**البخاري في الديات (٦٨٨٣)**].

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الفئة المنهزمة ونص على أن الله تعالى عفا عنهم، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٥٥ ﴾[آل عمران].

٢ ـ **القسم الثاني**: أما القسم الأكبر من سواد الجيش المطوَّق، فقد حدث ارتباك شديد داخل صفوفه، وانهارت الروح المعنوية ـ أو كادت ـ في نفوس بعض أفراده الذين أصابهم الذهول بعد الانتكاسة، وخاصة عندما سرت بينهم إشاعة مصرع النبي الأعظم ﷺ». [**غزوة أُحد لباشميل ١٢٢-١٢٤**].

فرار عثمان، وسعد بن عثمان، وعقبة بن عثمان رضي الله عنهم :

عن عُثْمَانَ بْنِ مَوْهَبٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مَنْ أَهْلِ مِصْرَ حَجَّ الْبَيْتَ فَرَأَى قَوْمًا جُلُوسًا ، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلاَءِ الْقَوْمُ؟ قَالَ: هَؤُلاَءِ قُرَيْشٌ، قَالَ: فَمَنِ الشَّيْخُ فِيهِمْ؟ قَالُوا: عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ، قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ شَيْءٍ، فَحَدِّثْنِي هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ وَلَمْ يَشْهَدْ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما : تَعَالَ أُبَيِّنْ لَكَ، أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ فَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ، فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ الله ﷺ وَكَانَتْ مَرِيضَةً ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ**»، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ، فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ عُثْمَانَ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرُّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ بِيَدِهِ الْيُمْنَى: «**هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ**»، فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: «**هَذِهِ لِعُثْمَانَ**»، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: اذْهَبْ بِهَا الآنَ مَعَكَ.

[البخاري في فضائل الصحابة رضي الله عنهم (٣٦٩٨)، وفي المغازي (٤٠٦٦)، ومختصرًا في فرض الخمس (٣١٣٠) ، وفي فضائل الصحابة رضي الله عنهم (٣٧٠٤)، ومسند أحمد ١٠/ ٥٢-٥٣ رقم ٥٧٧٢].

وعن الزُّبَيْرِ رضي الله عنه قَالَ: وَالَّذِينَ تَوَلَّوْا عِنْدَ جَوْلَةِ النَّاسِ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وسعد بْنُ عُثْمَانَ الزُّرَقِيُّ، وَأَخُوهُ عُقْبَةُ بْنُ عُثْمَانَ، حَتَّى بَلَغُوا جَبَلًا بِنَاحِيَةِ المَدِينَةِ يقال له: الحاجب بِبَطْنِ الْأَعْوَصِ، فَأَقَامُوا بِهِ ثَلَاثًا، فَزَعَمُوا أَنَّهُمْ لَـمَّا رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: **لَقَدْ ذَهَبْتُمْ فِيهَا عَرِيضَةً**.

[المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ١٧/ ٣٤٧ رقم ٤٢٦٠/ ٢].

تفكير بعض المسلمين بالاستسلام:

«فقد صار بعض المسلمين حائرين لا يدرون ماذا يصنعون، وتوقف آخرون عن القتال وألقوا بأسلحتهم، وفكر فريق في الاتصال بعبد الله بن أُبي في المدينة؛ ليعرض استسلامهم على القائد العام للمشركين أبي سفيان، ويأخذ لهم الأمان منه، ظنًّا منهم أن محمدًا ﷺ قد قُتل.

فقد قال قائل هؤلاء: «**لَيْتَ لَنَا رَسُولًا إِلَى عَبْدِ الله بْنِ أُبَيٍّ فَيَأْخُذُ لَنَا أَمَنَةً مِنْ أَبِي سُفْيَانَ، يَا قَوْمُ، إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَارْجِعُوا إِلَى قَوْمِكُمْ قَبْلَ أَنْ يَأْتُوكُمْ فَيَقْتُلُوكُمْ**». [البداية والنهاية ط هجر ٥/ ٣٧٦].

[غزوة أُحد لباشميل ١٢٦].

هكذا تصنع العقائدُ الأبطالَ:

عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: **يَا رَسُولَ الله! غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ، لَئِنْ اللهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللهُ مَا أَصْنَعُ؟**، فَلَـمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ

وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ ـ يَعْنِي أَصْحَابَهُ ـ وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ [جَاءَ بِهِ] هَؤُلَاءِ ـ يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ ـ**».

ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ [فَلَقِيَهُ] سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رضي الله عنه فَقَالَ: **يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ، الْجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ**، قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا صَنَعَ، قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ.

قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه: كُنَّا نُرَى ـ أَوْ نَظُنُّ ـ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ الآية [الأحزاب: ٢٣]. [البخاري في الجهاد والسير (٢٨٠٥)، وفي المغازي (٤٠٤٨)، والترمذي في التفسير (٣٢٠١)، ومسند أحمد ٢٠/ ٣٦٦ رقم ١٣٠٨٥، ٢١/ ٢٤٢ رقم ١٣٦٥٨].

وقَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه: عَمِّيَ [أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ] الَّذِي سُمِّيتُ بِهِ لَمْ يَشْهَدْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَدْرًا، قَالَ: فَشَقَّ [فَكَبُرَ] عَلَيْهِ، قَالَ: **أَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ غُيِّبْتُ [غِبْتُ] عَنْهُ [غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُشْرِكِينَ]، وَإِنْ [أَمَا وَاللهِ لَئِنْ] أَرَانِيَ اللهُ مَشْهَدًا فِيمَا بَعْدُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيَرَانِي [لَيَرَيَنَّ] اللهُ مَا [كَيْفَ] أَصْنَعُ**، قَالَ: **فَهَابَ أَنْ يَقُولَ غَيْرَهَا**، قَالَ: فَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ [مِنَ الْعَامِ الْقَابِلِ]، قَالَ: فَاسْتَقْبَلَ [فَاسْتَقْبَلَهُ] سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ لَهُ أَنَسٌ: **يَا أَبَا عَمْرٍو، أَيْنَ؟** فَقَالَ: **وَاهًا لِرِيحِ الْجَنَّةِ أَجِدُهُ دُونَ أُحُدٍ**، قَالَ: فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ، قَالَ: فَوُجِدَ فِي جَسَدِهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ بَيْنِ ضَرْبَةٍ وَطَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ، قَالَ: فَقَالَتْ أُخْتُهُ ـ عَمَّتِيَ الرُّبَيِّعُ بِنْتُ النَّضْرِ ـ: فَمَا عَرَفْتُ أَخِي إِلَّا بِبَنَانِهِ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

قَالَ: فَكَانُوا يُرَوْنَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ.

[مسلم في الإمارة (١٩٠٣)، والترمذي في التفسير (٣٢٠٠)، ومسند أحمد ٢٠/ ٣١٨-٣١٩ رقم ١٣٠١٥].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رَافِعٍ أَخُو بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ قَالَ: انْتَهَى أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ، عَمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ، فِي رِجَالٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَقَدْ أَلْقَوْا بِأَيْدِيهِمْ فَقَالَ: **مَا يُجْلِسُكُمْ؟** قَالُوا: **قُتِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ**، قَالَ: **فَمَاذَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ؟ قُومُوا فَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ**، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقَوْمَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، وَبِهِ سُمِّيَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه. [السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٨٣].

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: **إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَبْعَثَهُ اللهُ أُمَّةً وَحْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَوُجِدَ بِهِ سَبْعُونَ ضَرْبَةً فِي وَجْهِهِ مَا عُرِفَ حَتَّى عَرَفَتْ أُخْتُهُ حُسْنَ بَنَانِهِ، وَيُقَالُ: حُسْنَ ثَنَايَاهُ**. [المغازي للواقدي ١/ ٢٨٠].

إن رب محمد ﷺ لم يُقتل:

«قَالُوا: وَمَرَّ مَالِكُ بْنُ الدُّخْشُمِ ﵁ عَلَى خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ ﵁، وَهُوَ قَاعِدٌ فِي حَشْوَتِهِ بِهِ ثَلاثَةَ عَشَرَ جُرْحًا، كُلُّهَا قَدْ خَلَصَتْ إِلَى مَقْتَلٍ، فَقَالَ: **أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ؟** قَالَ خَارِجَةُ ﵁: **فَإِنْ كَانَ قَدْ قُتِلَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، فَقَدْ بَلَّغَ مُحَمَّدٌ، فَقَاتِلْ عَنْ دِينِكَ.**

وَمَرَّ عَلَى سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ ﵁ وَبِهِ اثْنَا عَشَرَ جُرْحًا، كُلُّهَا قَدْ خَلَصَ إِلَى مَقْتَلٍ فَقَالَ: **عَلِمْتَ أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ؟** قَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ ﵁: **أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ بَلَّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ فَقَاتِلْ عَنْ دِينِكَ، فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ.**

وَقَالَ مُنَافِقٌ: **إِنَّ رَسُولَ اللهِ قَدْ قُتِلَ، فَارْجِعُوا إِلَى قَوْمِكُمْ، فَإِنَّهُمْ دَاخِلُو الْبُيُوتِ.**

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمَّارٍ، عَنْ الحَارِثِ بْنِ الفُضَيْلِ الخِطْمِيِّ قَالَ: أَقْبَلَ **ثَابِتُ بْنُ الدَّحْدَاحَةِ** ﵁ يَوْمَئِذٍ وَالْمُسْلِمُونَ أَوْزَاعٌ، قَدْ سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ فَجَعَلَ يَصِيحُ: **يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، إِلَيَّ إِلَيَّ أَنَا ثَابِتُ بْنُ الدَّحْدَاحَةِ، إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ قُتِلَ، فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، فَقَاتِلُوا عَنْ دِينِكُمْ، فَإِنَّ اللهَ مُظْهِرُكُمْ وَنَاصِرُكُمْ**، فَنَهَضَ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ الأَنْصَارِ، فَجَعَلَ يَحْمِلُ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ وَقَفَتْ لَهُمْ كَتِيبَةٌ خَشْنَاءُ فِيهَا رُؤَسَاؤُهُمْ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ، وَعَمْرُو بْنُ العَاصِ، وَعِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَضِرَارُ بْنُ الخَطَّابِ، فَجَعَلُوا يُنَاوِشُونَهُمْ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ بِالرُّمْحِ، فَطَعَنَهُ فَأَنْفَذَهُ فَوَقَعَ مَيِّتًا، وَقُتِلَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ الأَنْصَارِ.

فَيُقَالُ: إِنَّ هَؤُلاءِ لآخِرُ مَنْ قُتِلَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، وَوَصَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الشِّعْبِ مَعَ أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ قِتَالٌ». [**المغازي للواقدي ١/ ٢٨٠-٢٨١، السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٨٣**].

الرسول ﷺ ينقذ الموقف:

«وهكذا أخذ المسلمون المحاصَرون يشجع بعضهم بعضًا، فعدلوا عن فكرة الاستسلام، وأخذوا سلاحهم، واندفعوا في بسالة يصارعون أمواج جند الشرك المتلاطمة حولهم وقد عادت إليهم روحهم المعنوية التي فقدها الكثير منهم، وأخذوا يشقون لهم بسيوفهم طريقًا عبر صفوف العدو المحيطة بهم، وذلك بعد أن تأكدوا من سلامة قائدهم النبي ﷺ، الذي سمعوه يناديهم بصوته الكريم لينضموا إليه: «أنا رسول الله» حول المقر الذي ظل فيه مرابطًا بعد أن كشف المسلمون المشركين في أول المعركة.

وكان بقاء الرسول ﷺ وهيئة أركان حربه في مقر القيادة وعدم اشتراكهم في المطاردة جاء بموجب خطة وقائية.

وذلك أن الرسول ﷺ عندما وضع خطة المعركة وصَفَّ رجاله للقتال أدخل في حسابه ـ شأن القائد اليقظ ـ إمكان تطور الموقف لغير صالح المسلمين (حساب أسوأ الاحتمالات مبدأ لا يغفل عنه القادة العسكريون في الحرب)، فجعل ظهره وظهر أصحابه إلى جبل أُحد؛ ليتخذ من هذا الجبل مفزعًا يلجأ إليه إذا ما ألمت بهم كارثة.

وكان الرسول ﷺ ـ كقائد أعلى للجيش ـ حين شُغل المسلمون بمطاردة العدو قد تخلف مع بعض أركان حربه: سعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله، فلم يبرحوا مواقعهم، وكأن الجميع ظلوا يتتبعون سير المعركة وعينهم على جبل الرماة، فلم يكد الرسول ﷺ يرى خالدًا ينقض على المسلمين ويحتل الموقع الذي هجره الرماة حتى أدرك عظم الخطر المحدق بالجيش الإسلامي.

ولم يكن أمامه ـ في تلك اللحظات ـ غير سبيلين اثنين يستطيع انتهاجهما:

١ـ إمَّا أن يكفل السلامة الشخصية لنفسه بالشخوص إلى مفزع ما، تاركًا أصحابه لمصيرهم المقدور.

٢ ـ وإمَّا أن يناديهم مخاطرًا بنفسه لكي ينقذهم من الخطر؛ ليجعل من مقره مكان تجمع لهم، فينقذهم بذلك من خطر الإبادة أو الضياع والتفكك.

ولقد اختار السبيل الثانية، وإذ وجدهم في ضيق صاح بأعلى صوته: «**هَلُمَّ إليَّ، أَنَا رسولُ الله**».

ولقد أشار القرآن الكريم إلى موقف الرسول ﷺ الرائع البطولي هذا، الذي أنقذ به الجَيش من حيرته وارتباكه، فقال تعالى: ﴿ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ ﴾[آل عمران: ١٥٣]. [**غزوة أُحد لباشميل ١٢٧-١٢٩**].

تحسن الحالة بعد النكسة:

«ولقد كان صوت الرسول الكريم ﷺ بمثابة تيار أعاد إلى المنهزمين رشدهم، فلم يكد صوته ﷺ يصل إلى آذانهم حتى عادت إليهم الطمأنينة، وأخذوا يتوافدون نحوه، ونجح الكثير من المطوَّقين في شق طريقهم عبر صفوف العدو غير مبالين بالخسائر الباهظة في الأرواح.

وبهذا تحسنت حال المسلمين، وأخذوا ـ بقيادة نبيهم ﷺ ـ في استعادة تنظيمهم.

وصاروا يتجمعون من حوله، وأخذوا في إنشاء جبهة قتال متحدة جديدة، وبهذا أخذ مجرى القتال يتغير عما كان عليه يوم نجح المشركون في تطويق المسلمين وإشاعة الارتباك في صفوفهم بعد حركة خالد وإشاعة مقتل الرسول ﷺ». [**غزوة أُحد لباشميل ١٢٩-١٣٠**].

الهجوم على النبي ﷺ:

«ولكن صيحة الرسول ﷺ إذا كانت قد جمعت شتات المسلمين المبعثرين على صعيد الهزيمة، وأعادت إليهم روحهم، فإنها كذلك نبهت المشركين إلى أن الرسول ﷺ حي لم يُقتل، ودلتهم على مكانه.

مما جعل الذات النبوية الكريمة هدفًا لهجمات المشركين السريعة المتلاحقة.

ولقد كانت فترة عصيبة حقًّا، تعرضت فيها حياة النبي الأعظم ﷺ لأشد الأخطار، فقد عرف المشركون القريبون منه ﷺ مكانه بالتحديد فمالوا عليه بثقلهم ـ وهو لم يزل في قلة قليلة من أصحابه ـ بغية التخلص منه والقضاء عليه، قبل أن يتمكن سواد أصحابه من الالتفاف حوله». [**غزوة أُحد لباشميل ١٣٠**].

المعركة تحتدم حول الرسول ﷺ:

«وهنا دخلت المعركة في طور آخر وأخذت نيرانها في الاشتعال من جديد.

فقد أدرك الصحابة الخطر الجسيم المحدق بنبيهم ﷺ، فخشوا أن يطوقه المشركون الذين عرفوا مكانه لاسيما في تلك الفترة لم يكن فيها معه سوى بعض هيئة أركان حربه وقلة ممن سارع بالانضمام إليه لا يزيدون على عدد أصابع اليدين.

ولهذا تَدَافع الصحابة نحو نبيهم ﷺ، وأخذوا في إقامة سور بشري من أنفسهم لمواجهة ضربات المشركين الموجهة إلى الرسول ﷺ شخصيًّا.

وكان هدف الصحابة هذه المرة ـ في الدرجة الأولى ـ الحفاظ على حياة نبيهم الكريم ﷺ التي أصبحت مهددة بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ الحروب التي خاضها ﷺ.

ذلك أن النبي ﷺ ـ بعد الانتكاسة واضطراب المسلمين وتشتتهم ـ بقي منفردًا في مقر القيادة العامة مع نفر قليل جدًّا من أصحابه؛ ولذلك اغتنم المشركون القريبون منه الفرصة هذه، فقامت مجموعة من فرسانهم ومشاتهم بهجمات خاطفة ركزوها على شخص الرسول الأعظم ﷺ؛ للتخلص منه والقضاء عليه ـ مغتنمين انفراده وتفرق عامة أصحابه عنه». [غزوة أُحد لباشميل ١٣٠-١٣١].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنْ الأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَـمَّا رَهِقُوهُ قَالَ: «**مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الجَنَّةُ، أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الجَنَّةِ؟**»، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهِقُوهُ (أي قربوا منه) [أَرْهَقُوهُ] أَيْضًا فَقَالَ: «**مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الجَنَّةُ، أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الجَنَّةِ؟**»، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَل كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِصَاحِبَيْهِ: «**مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا [إِخْوَانَنَا]**».

[مسلم في الجهاد والسير (١٧٨٩)، ومسند أحمد ٢١/ ٤٤٣ رقم ١٤٠٥٦].

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّ النِّسَاءَ كُنَّ يَوْمَ أُحُدٍ خَلْفَ الْمُسْلِمِينَ، يُجْهِزْنَ عَلَى جَرْحَى الْمُشْرِكِينَ، فَلَوْ حَلَفْتُ يَوْمَئِذٍ رَجَوْتُ أَنْ أَبَرَّ: إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَّا يُرِيدُ الدُّنْيَا، حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾[آل عمران: ١٥٢]، فَلَمَّا خَالَفَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَصَوْا مَا أُمِرُوا بِهِ، أُفْرِدَ رَسُولُ الله ﷺ فِي تِسْعَةٍ: سَبْعَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، وَهُوَ ﷺ عَاشِرُهُمْ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ، قَالَ: «**رَحِمَ اللهُ رَجُلًا رَدَّهُمْ عَنَّا**»، قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ سَاعَةً حَتَّى قُتِلَ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ أَيْضًا، قَالَ: «**يَرْحَمُ اللهُ رَجُلًا رَدَّهُمْ عَنَّا**»، فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَا، حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِصَاحِبَيْهِ: «**مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا**».

[مسند أحمد ٧/ ٤١٨-٤١٩ رقم ٤٤١٤، وقال الشيخ الأرناؤوط: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه].

«وَقَالُوا: إنَّ رَسُولَ الله ﷺ لـمَّا لَحَمَهُ القِتَالُ وَخَلَصَ إِلَيْهِ، وَذَبَّ عَنْهُ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَأَبُو دُجَانَةَ حَتَّى كَثُرَتْ بِهِ الجِرَاحَةُ جَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ رَجُلٌ يَشْرِي نَفْسَهُ؟**»، فَوَثَبَ فِئَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ خَمْسَةٌ مِنْهُمْ **عُمَارَةُ بْنُ زِيَادِ بْنِ السَّكَنِ** ﷺ، فَقَاتَلَ حَتَّى أَثْبَتَ، وَفَاءَتْ فِئَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَاتَلُوا حَتَّى أَجْهَضُوا أَعْدَاءَ الله، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِعُمَارَةَ بْنِ زِيَادٍ: «**أُدْنُ مِنِّي إِلَيَّ إِلَيَّ**» حَتَّى وَسَّدَهُ رَسُولُ الله ﷺ قَدَمَهُ ـ وَبِهِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جُرْحًا ـ حَتَّى مَاتَ، وَجَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَئِذٍ يَذْمُرُ (يحرض) النَّاسَ وَيَحُضُّهُمْ عَلَى القِتَالِ». [المغازي للواقدي ١/ ٢٤٠-٢٤١، والسيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٨١].

ذكر استنصاره ﷺ ربه تبارك وتعالى:

قال ابن إسحاق وابن جريج فيما رواه ابن المنذر وابن جرير وابن أبي حاتم: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَيْنَمَا هُوَ فِي الشِّعْبِ مَعَ أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنْ أَصْحَابِهِ، إِذْ عَلَتْ عَالِيَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ: خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ وَنَفَرٌ مَعَهُ الجَبَلَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ لا قُوَّةَ لَنَا إِلَّا بِكَ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْبُدُكَ بِهَذِهِ البَلْدَةِ غَيْرَ هَؤُلاءِ النَّفَرِ فَلا تُهْلِكَهُمْ، اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لـهُمْ أَنْ يَعْلُونَا**».

وَثَابَ نَفَرٌ مِنَ المهَاجِرِينَ رُمَاةٌ، مِنْهُمْ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ، فَرَمُوا خَيْلَ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى هَزَمُوهُمْ، وَعَلا الـمُسْلِمُونَ الجَبَلَ. [أخرجه الطبري في التفسير ٦/ ١٥٤، سبل الهدى والرشاد للصالحي ٤/ ٣١١].

المبحث الرابع
أبطال حول الرسول ﷺ

تماسك المسلمين بعد الهزيمة:

«تكاثر المشركون على النبي ﷺ في عناد، وتزاحم أهل القوة والبأس منهم للفتك به، واشتد البلاء على صفوة أصحابه الذين سارعوا إلى التحلق حوله، مسترخصين الأرواح في سبيل الدفاع عن حياته ﷺ، فقد تضاعف هجوم العدو واشتد زخمه، وانقض العدو بكامل قوته مركزًا الهجوم على الذات النبوية.

ولكنه في هذا الوقت، كان كثير من المسلمين الشجعان قد تجمعوا حول نبيهم القائد ﷺ، وبالرغم من تفوق العدو في هذا الهجوم الصاعق ـ الذي استهدف النبي ﷺ شخصيًّا ـ تفوقًا ساحقًا، فإن المسلمين ـ دفاعًا عن نبيهم ـ وقفوا في وجه هذا الهجوم كالرواسي، وأقاموا ـ في وجه هذا الهجوم ـ من أنفسهم سورًا بشريًّا ترَّسوا به عن نبيهم المحبوب ﷺ، فلم يُمكنوا أحدًا من المشركين يَخلص إليه، فلم يُمس بأي أذى بعد الذي أصابه من الجراح عندما كان منفردًا في قلة من أصحابه». [**غزوة أُحد لباشميل ١٣٥**].

بطولة الأنصار:

«ولقد حنق المشركون لهذا الاستبسال الذي فوت عليهم فرصة الفتك بالنبي ﷺ فشددوا من هجومهم على مقر قيادة الرسول ﷺ، وأخذ الحرس النبوي يخرون صرعى فرحين حول نبيهم ﷺ، واحدًا إثر واحد، وكلما حدثت ثغرة بمصرع أحدهم سارع آخر وسد هذه الثغرة، وقد كان أكثر الذين قُتلوا وهم يدافعون عن الذات النبوية من الأنصار». [**غزوة أُحد لباشميل ١٣٥-١٣٦**].

عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: مَا نَعْلَمُ حَيًّا مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ أَكْثَرَ شَهِيدًا أَعَزَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الأَنْصَارِ.

قَالَ قَتَادَةُ: وَحَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قُتِلَ مِنْهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ سَبْعُونَ، وَيَوْمَ بِئْرِ مَعُونَةَ سَبْعُونَ، وَيَوْمَ الْيَمَامَةِ سَبْعُونَ، قَالَ: وَكَانَ بِئْرُ مَعُونَةَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ، وَيَوْمُ الْيَمَامَةِ عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه يَوْمَ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ. [**البخاري في المغازي (٤٠٧٨)**].

قال الواقدي: «وَكَانَ ضِرَارُ بْنُ الخَطَّابِ يُحَدِّثُ وَيَذْكُرُ وَقْعَةَ أُحُدٍ، وَيَذْكُرُ الأَنْصَارَ وَيَتَرَحَّمُ عَلَيْهِمْ، وَيَذْكُرُ غَنَاءَهُمْ فِي الإِسْلامِ، وَشَجَاعَتَهُمْ وَتَقَدُّمَهُمْ عَلَى المَوْتِ، ثُمَّ يَقُولُ: لَـمَّا قُتِلَ أَشْرَافُ قَوْمِي بِبَدْرٍ جَعَلْتُ أَقُولُ: مَنْ قَتَلَ أَبَا الحَكَمِ؟ يُقَالُ: ابْنُ عَفْرَاءَ، مَنْ قَتَلَ أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ؟ يُقَالُ: خُبَيْبُ بْنُ يَسَافٍ، مَنْ قَتَلَ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ؟ قَالُوا: عَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الأَقْلَحِ، مَنْ قَتَلَ فُلانًا؟ فَيُسَمَّى لِي، مَنْ أَسَرَ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو؟ قَالُوا: مَالِكُ بْنُ الدُّخْشُمِ، فَلَـمَّا خَرَجْنَا إِلَى أُحُدٍ وَأَنَا أَقُولُ: إِنْ أَقَامُوا فِي صَيَاصِيهِمْ فَهِيَ مَنِيعَةٌ لا سَبِيلَ لَنَا إِلَيْهِمْ نُقِيمُ أَيَّامًا ثُمَّ نَنْصَرِفُ، وَإِنْ خَرَجُوا إِلَيْنَا مِنْ صَيَاصِيهِمْ أَصَبْنَا مِنْهُمْ، مَعَنَا عَدَدٌ كَثِيرٌ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِهِمْ وَقَوْمٌ مَوْتُورُونَ خَرَجْنَا بِالظُّعُنِ يُذَكِّرْنَنَا قَتْلَى بَدْرٍ، وَمَعَنَا كُرَاعٌ وَلا كُرَاعَ مَعَهُمْ، وَمَعَنَا سِلاحٌ أَكْثَرُ مِنْ سِلاحِهِمْ، فَقُضِيَ لَهُمْ أَنْ خَرَجُوا، فَالتَقَيْنَا، فَوَالله مَا أَقَمْنَا لَهُمْ حَتَّى هُزِمْنَا

وَانْكَشَفْنَا مُوَلِّينَ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذِهِ أَشَدُّ مِنْ وَقْعَةِ بَدْرٍ! وَجَعَلْتُ أَقُولُ لِخَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ: كُرَّ عَلَى القَوْمِ، فَجَعَلَ يَقُولُ: وَتَرَى وَجْهًا نَكُرُّ فِيهِ؟ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الجَبَلِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ الرُّمَاةُ خَالِيًا، فَقُلْتُ: أَبَا سُلَيْمَانَ انْظُرْ وَرَاءَكَ، فَعَطَفَ عَنَانَ فَرَسِهِ فَكَرَّ وَكَرَرْنَا مَعَهُ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الجَبَلِ، فَلَمْ نَجِدْ عَلَيْهِ أَحَدًا لَهُ بَالٌ، وَجَدْنَا نُفَيْرًا فَأَصَبْنَاهُمْ، ثُمَّ دَخَلنَا العَسْكَرَ وَالقَوْمُ غَارُّونَ يَنْتَهِبُونَ العَسْكَرَ، فَأَقْحَمْنَا الخَيْلَ عَلَيْهِمْ فَتَطَايَرُوا فِي كُلِّ وَجْهٍ، وَوَضَعْنَا السُّيُوفَ فِيهِمْ حَيْثُ شِئْنَا، وَجَعَلْتُ أَطْلُبُ الأَكَابِرَ مِنْ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ قَتَلَةَ الأَحِبَّةِ فَلا أَرَى أَحَدًا، قَدْ هَرَبُوا، فَمَا كَانَ حَلبَ نَاقَةٍ حَتَّى تَدَاعَتْ الأَنْصَارُ بَيْنَهَا، فَأَقْبَلَتْ فَخَالَطُونَا وَنَحْنُ فُرْسَانٌ فَصَبَرُوا لَنَا، وَبَذَلُوا أَنْفُسَهُمْ حَتَّى عَقَرُوا فَرَسِي وَتَرَجَّلْتُ، فَقَتَلْتُ مِنْهُمْ عَشَرَةً، وَلَقِيتُ مِنْ رَجُلٍ مِنْهُمْ المَوْتَ النَّاقِعَ حَتَّى وَجَدْتُ رِيحَ الدَّمِ وَهُوَ مُعَانِقِي، مَا يُفَارِقُنِي حَتَّى أَخَذَتْهُ الرِّمَاحُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَوَقَعَ، فَالحَمْدُ للهِ الَّذِي أَكْرَمَهُمْ بِيَدِي وَلَمْ يُهِنِّي بِأَيْدِيهِمْ». [المغازي للواقدي ١/ ٢٨١].

دور رماة النبل في الدفاع عن النبي ﷺ:

«وكان لرماة النبل من الصحابة أبلغ الأثر في صد المشركين والدفاع عن النبي ﷺ، وكان الرسول ﷺ راميًا فقد رمى عن قوسه ـ ساعة تكاثر المشركين ـ حتى تقطع وتر القوس وتحطمت وصارت شظايا من كثرة الرمي.

وكان من الرماة الذين اشتهروا بالاستماتة في الدفاع عن رسول الله ﷺ في تلك الساعة العصيبة من المعركة، والذين كان لنبالهم الحادة الصائبة أبلغ الأثر في حماية الرسول ﷺ من أذى المشركين عدد من أصحاب رسول الله ﷺ». [غزوة أحد لباشميل ١٣٦].

«وَكَانَ الرُّمَاةُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ المَذْكُورُ مِنْهُمْ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَالسَّائِبُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ، وَالمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو، وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَحَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلتَعَةَ، وَعُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ، وَخِرَاشُ بْنُ الصِّمَّةِ، وَقُطْبَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ حَدِيدَةَ، وَبِشْرُ بْنُ البَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ، وَأَبُو نَائِلَةَ سِلْكَانُ بْنُ سَلامَةَ، وَأَبُو طَلحَةَ، وَعَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الأَقْلَحِ، وَقَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ، وَرُمِيَ يَوْمَئِذٍ أَبُو رُهْمٍ الغِفَارِيُّ ﷺ بِسَهْمٍ فَوَقَعَ فِي نَحْرِهِ، فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَبَصَقَ عَلَيْهِ فَبَرَأَ، وَكَانَ أَبُو رُهْمٍ يُسَمَّى المَنْحُورُ». [المغازي للواقدي ١/ ٢٤٣].

يرمي المشركين بألف سهم:

«أما سعد بن أبي وقاص ﷺ ـ وهو أيضًا من الرماة المشهورين ـ فقد ثبت مع رسول الله ﷺ ساعة انهزام الناس عنه، وكان من الرماة الخلصاء الأبطال الذين ساهموا بنبالهم الحادة في إحباط المحاولات العنيدة التي قام بها المشركون (بعد الانتكاسة) للقضاء على نبي الإسلام ﷺ.

فقد وقف سعد ﷺ ساعات البلاء المتلاحق، وهي الساعات الدقيقة التي تعرضت فيها الذات النبوية لهجمات القرشيين العارمة، وقف سعد الباسل بين يدي رسول الله ﷺ يدافع عنه، وكان له في

ذلك المقام المحمود أكبر الأثر في إبعادهم عن رسول الله ﷺ فقد قذف المشركين في تلك الساعات العصيبة بألف سهم.

وقد وشحه النبي ﷺ بوشاح عظيم حين قال له الرسول ﷺ: «**فداك أبي وأمي**»؛ وذلك لما رأى من بطولته وشجاعته واستبساله وبراعته في إصابة الهدف.

فقد روى المؤرخون أن النبي ﷺ كان كلما رمى سعد رضي الله عنه المشركين المتزاحمين للفتك بالنبي ﷺ، قال له: «**إرم فداك أبي وأمي**». [**غزوة أُحد لباشميل ١٣٨-١٣٩**].

قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه: نَثَلَ (استخرج نبلها فنثرها) لِي النَّبِيُّ ﷺ كِنَانَتَهُ (جعبة صغيرة من أدم للنبل) يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: «**ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**». [**البخاري في المغازي (٤٠٥٥)**].

وعَنْ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَمَعَ لَهُ أَبَوَيْهِ يَوْمَ أُحُدٍ.

قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ المُشْرِكِينَ قَدْ أَحْرَقَ المُسْلِمِينَ (أثخن فيهم، وعمل فيهم عمل النار)، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**».

قَالَ: فَنَزَعْتُ لَهُ بِسَهْمٍ (فرميته بسهم) لَيْسَ فِيهِ نَصْلٌ (ليس فيه زج)، فَأَصَبْتُ جَنْبَهُ، فَسَقَطَ فَانْكَشَفَتْ عَوْرَتُهُ، فَضَحِكَ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى نَوَاجِذِهِ (أنيابه، وقيل: أضراسه).

[**مسلم في فضائل الصحابة رضي الله عنهم (٢٤١٢)، وباختصار: مسند أحمد ٣/ ٨٨ رقم ١٤٩٥**].

وقَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه: لَقَدْ جَمَعَ لِي رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ أَبَوَيْهِ كِلَيْهِمَا، يُرِيدُ حِينَ قَالَ: «**فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**». وَهُوَ يُقَاتِلُ. [**البخاري في المغازي (٤٠٥٧، ٤٠٥٦)، وفي فضائل الصحابة رضي الله عنهم (٣٧٢٥)**].

وعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ [رَسُولُ الله] ﷺ جَمَعَ أَبَوَيْهِ لِأَحَدٍ إِلَّا لِسَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ [فَإِنَّهُ جَعَلَ] يَقُولُ [لَهُ] يَوْمَ أُحُدٍ: «**يَا سَعْدُ ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**».

[**البخاري في المغازي (٤٠٥٩، ٤٠٥٨)، ومسلم في فضائل الصحابة رضي الله عنهم (٢٤١١)، والترمذي في الأدب (٢٨٢٩)، وفي المناقب (٣٧٥٣)، وزاد: وَقَالَ لَهُ: «ارْمِ أَيُّهَا الغُلَامُ الحَزَوَّرُ»، مسند أحمد ٢/ ٣٥٧ رقم ١١٤٧**].

وعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: مَا رَأَيْتُ [سَمِعْتُ] النَّبِيَّ [رَسُولَ الله] ﷺ يُفَدِّي رَجُلًا بَعْدَ [أَحَدًا غَيْرَ] سَعْدٍ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**». [**البخاري في الجهاد (٢٩٠٥)، وفي الأدب (٦١٨٤)**].

وعن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ: لَـمَّا جَالَ النَّاسُ (فروا ثم كروا) عَنْ رَسُولِ الله ﷺ تِلْكَ الجَوْلَةَ يَوْمَ أُحُدٍ، تَنَحَّيْتُ فَقُلْتُ: أَذُودُ (أمنع وأدفع وأطرد) عَنْ نَفْسِي، فَإِمَّا أَنْ أُسْتَشْهَدُ، وإِمَّا أَنْ أَنْجُو حَتَّى أَلْقَى رَسُولَ الله ﷺ، فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ إِذَا بِرَجُلٍ مُخَمَّرٌ (مغطى) وَجْهُهُ مَا أَدْرِي مَنْ هُوَ، فَأَقْبَلَ المُشْرِكُونَ حَتَّى قُلْتُ: قَدْ رَكِبُوهُ (علوه)، مَلأَ يَدَهُ مِنَ الحَصَى، ثُمَّ رَمَى بِهِ فِي وُجُوهِهِمْ فَنَكَّبُوا (نكب عنه عدل وتنحى، والشيء نحاه) عَلَى أَعْقَابِهِمُ القَهْقَرِي (المَشيُ إلى خَلف من غير أن يُعيد وجْهَه إلى جِهة مَشْيه)، حَتَّى

يَأْتُوا الجَبَلَ فَفَعَلَ ذَلِكَ مِرَارًا، وَلا أَدْرِي مَنْ هُوَ، وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ المِقْدَادُ بْنُ الأَسْوَدِ، فَبَيْنَا أَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ المِقْدَادَ عَنْهُ إِذْ قَالَ المِقْدَادُ: يَا سَعْدُ! هذا رَسُولُ الله ﷺ يَدْعُوكَ، فَقُلْتُ: وَأَيْنَ هُوَ؟ فَأَشَارَ لِيَ المِقْدَادُ إِلَيْهِ، فَقُمْتُ، وَلَكَأَنَّهُ لَمْ يُصِبْنِي شَيْءٌ مِنَ الأَذَى، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَيْنَ كُنْتَ اليَوْمَ يَا سَعْدُ!؟**» فَقُلْتُ: **حَيْثُ رَأَيْتَ يَا رَسُولَ الله**، فَأَجْلَسَنِي أَمَامَهُ، فَجَعَلْتُ أَرْمِي، وَأَقُولُ: **اللَّهُمَّ سَهْمُكَ، فَارْمِ بِهِ عَدُوَّكَ**، ورَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ لِسَعْدٍ، اللَّهُمَّ سَدِّدْ لِسَعْدٍ رَمْيَتَهُ، إِيهَا**[1] **سَعْدُ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**»، فَمَا مِنْ سَهْمٍ أَرْمِي بِهِ إِلَّا وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ سَدِّدْ رَمْيَتَهُ، وَأَجِبْ دَعْوَتَهُ، إِيهَا سَعْدُ**» حَتَّى إِذَا فَرِغْتُ مِنْ كِنَانَتِي (جعبة صغيرة من جلد تحمل فيها السهام)، نَثَرَ رَسُولُ الله ﷺ مَا فِي كِنَانَتِهِ، فَنَبَّلَنِي سَهْمًا نَضِيًّا، قَالَ: وَهُوَ الَّذِي قَدْ رِيشَ، وَكَانَ أَشَدَّ مِنْ غَيْرِهِ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: «إِنَّ السِّهَامَ الَّتِي رَمَى بِهَا سَعْدٌ يَوْمَئِذٍ كَانَتْ أَلْفَ سَهْمٍ». **[المستدرك في المغازي والسرايا (٤٣٧٣)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وأقره الذهبي].**

وعن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ لِلْمُسْلِمِينَ: «**أَنْبِلُوا سَعْدًا، ارْمِ يَا سَعْدُ رَمَى اللهُ لَكَ، ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**». **[المستدرك في الجهاد ٢/ ١٠٥ رقم ٢٤٧٢، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة، ووافقه الذهبي].**

وقال الواقدي: «وَكَانَ رِجَالٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَذْلَقُوا الْمُسْلِمِينَ بِالرَّمْيِ مِنْهُمْ حِبَّانُ بْنُ العَرِقَةِ وَأَبُو أُسَامَةَ الجُشَمِيُّ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه: «**ارْمِ فِدَاك أَبِي وَأُمِّي**»، وَرَمَى حِبَّانُ ابْنُ العَرِقَةِ بِسَهْمٍ، فَأَصَابَ ذَيْلَ أُمِّ أَيْمَنَ - وَجَاءَتْ يَوْمَئِذٍ تَسْقِي الجَرْحَى - فَعَقَلَهَا وَانْكَشَفَ عَنْهَا، فَاسْتَغْرَبَ فِي الضَّحِكِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فَدَفَعَ إِلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه سَهْمًا لا نَصْلَ لَهُ، فَقَالَ: «**ارْمِ**»، فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي ثُغْرَةِ نَحْرِ حِبَّانَ فَوَقَعَ مُسْتَلْقِيًا وَبَدَتْ عَوْرَتُهُ، قَالَ سَعْدٌ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ ضَحِكَ يَوْمَئِذٍ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**اسْتَقَادَ لَهَا سَعْدٌ، أَجَابَ اللهُ دَعْوَتَكَ وَسَدَّدَ رَمْيَتَكَ**».

وَرَمَى يَوْمَئِذٍ مَالِكُ بْنُ زُهَيْرٍ الجُشَمِيُّ أَخُو أَبِي أُسَامَةَ الجُشَمِيِّ، وَكَانَ هُوَ وَحِبَّانُ بْنُ العَرِقَةِ قَدْ أَسْرَعَا فِي أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ وَأَكْثَرَا فِيهِمْ القَتْلَ بِالنَّبْلِ يَتَسَتَّرَانِ بِالصَّخْرِ وَيَرْمِيَانِ الْمُسْلِمِينَ، فَبَيْنَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ أَبْصَرَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه مَالِكَ بْنَ زُهَيْرٍ وَرَاءَ صَخْرَةٍ قَدْ رَمَى وَأَطْلَعَ رَأْسَهُ، فَيَرْمِيهِ سَعْدٌ فَأَصَابَ السَّهْمُ عَيْنَهُ حَتَّى خَرَجَ مِنْ قَفَاهُ، فَنَزَا فِي السَّمَاءِ قَامَةً، ثُمَّ رَجَعَ فَسَقَطَ فَقَتَلَهُ اللهُ عز وجل».

[المغازي للواقدي ١/ ٢٤١-٢٤٢].

---

(١) **إيه**: هذه كلمة يراد بها الاسْتِزَادة، وهي مبنية على الكسر، فإذا وصَلتَ نَوَّنْتَ فقلت إِيهٍ حدِّثْنا، وإذا قلت إيهًا بالنصب فإنَّما تأمره بالسكوت أو العكس.

نَبِّلُوا سَهْلاً:

«ومن الرماة الأبطال الذين ناضلوا المشركين دفاعًا عن رسول الله ﷺ ساعة تعرضه للخطر سهل بن حنيف رضي الله عنه، كان سهل هذا قد بايع الرسول ﷺ على الموت يوم أُحد، فلما شتتت الهزيمة سواد الجيش الإسلامي، ثبت مع الخلصاء الأصفياء بجانب رسول الله ﷺ واسترخص روحه في سبيل الدفاع عنه.

فقد وقف يناضل عن رسول الله ﷺ بالنبل نضالًا شديدًا، حتى إن النبي ﷺ كان يقول وسهل يناضل أمامه: **نبلوا سهلًا** (أي: مونوه بالنبل).

وذكر ابن كثير أن سهلًا هذا كان أحد القلائل الذين ثبتوا مع الرسول ﷺ ساعة الانتكاسة، فقد نقل عن ابن جرير أن ابن قمئة الحارثي رمى رسول الله ﷺ بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجه في وجه فأثقله، فتفرق عنه أصحابه، وجعل ﷺ يدعو الناس: «**إليَّ عباد الله إليَّ عباد الله**»، فاجتمع إليه ثلاثون رجلًا، فجعلوا يسيرون بين يديه، فلم يقف أحد إلا طلحة بن عبيد الله وسهل بن حنيف (لعل هذا كان قبل أن يتكتل الأبطال الآخرون حول رسول الله ﷺ». [**غزوة أُحد لباشميل ١٣٩-١٤٠**].

مُدَّهُ يَبْلُغُ:

«وَبَاشَرَ رَسُولُ الله ﷺ القِتَالَ، فَرَمَى بِالنَّبْلِ حَتَّى فَنِيَتْ نَبْلُهُ، وَتَكَسَّرَتْ سِيَةُ قَوْسِهِ، وَقَبْلَ ذَلِكَ انْقَطَعَ وَتَرُهُ، وَبَقِيَتْ فِي يَدِهِ قِطْعَةٌ تَكُونُ شِبْرًا فِي سِيَةِ القَوْسِ، وَأَخَذَ القَوْسَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَن رضي الله عنه يُوتِرُهُ لَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله لا يَبْلُغُ الوَتَرَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مُدَّهُ يَبْلُغُ**»، قَالَ عُكَّاشَةُ: فَوَالذِي بَعَثَهُ بِالحَقِّ لَمَدَدْتُهُ حَتَّى بَلَغَ وَطَوَيْتُ مِنْهُ لَيَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثَةً عَلَى سِيَةِ القَوْسِ، ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ قَوْسَهُ فَمَا زَالَ يَرْمِي القَوْمَ وَأَبُو طَلحَةَ أَمَامَهُمْ يَسْتُرُهُ مُتَرِّسًا عَنْهُ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى قَوْسِهِ قَدْ تَحَطَّمَتْ فَأَخَذَهَا قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ». [**المغازي للواقدي ١/ ٢٤٢**].

بطولة نادرة ـ أبو دجانة رضي الله عنه:

«ومن الذين أبلوا بلاء حسنًا وأظهروا بطولة نادرة في الدفاع عن الذات النبوية الحبيبة ساعة المحنة، أبو دجانة الأنصاري رضي الله عنه الذي أعطاه الرسول ﷺ سيفه في بداية المعركة.

فقد كان أبو دجانة رضي الله عنه من الخلصاء الأبطال الذين ثبتوا مع النبي ﷺ ساعة الشدة، فقد أقام أبو دجانة هذا من نفسه سورًا ليقي رسول الله ﷺ وَقْعَ سهام العدو المنهالة عليه، فقد ترَّس بنفسه دونه معرِّضًا جسمه لسيل نبال العدو المنهمر من أقواس المشركين.

وقد ذكر المؤرخون أن نبال المشركين المصوبة نحو رسول الله ﷺ، كانت تقع في ظهر أبي دجانة البطل رضي الله عنه وهو مسور بنفسه على رسول الله ﷺ، وكان لا يأبه لها مع أنها تغرز في ظهره بكثرة، حتى أن

بعض المؤرخين شبه ظهر أبي دجانة ـ لكثرة السهام المزروعة فيه ساعة وقوفه دون رسول الله ﷺ ـ بظهر القنفذ». [غزوة أُحد لباشميل ١٤٠].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَتَرَّسَ دُونَ رَسُولِ الله ﷺ أَبُو دُجَانَة بِنَفْسِهِ يَقَعُ النَّبْلُ فِي ظَهْرِهِ وَهُوَ مُنْحَنٍ عَلَيْهِ حَتَّى كَثُرَ فِيهِ النَّبْلُ. [السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٨٢].

حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: إِنَّهُ طَلَعَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فِي أُحُدٍ وَهُوَ يَشْتَدُّ، وَفِي يَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه التُّرْسَ فِيهِ مَاءٌ، وَرَسُولُ الله ﷺ يَغْسِلُ وَجْهَهُ مِنْ ذَلِكَ المَاءِ، فَقَالَ لَهُ حَاطِبٌ: **مَنْ فَعَلَ بِكَ هَذَا؟** قَالَ: «**عُتْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ هَشَمَ وَجْهِي وَدَقَّ رَبَاعِيَتِي بِحَجَرٍ رَمَانِي**»، قُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ صَائِحًا يَصِيحُ عَلَى الْجَبَلِ: قُتِلَ مُحَمَّدٌ، فَأَتَيْتُ وَكَأَنْ قَدْ ذَهَبَ رُوحِي، قُلْتُ: أَيْنَ تَوَجَّهَ عُتْبَةُ؟، فَأَشَارَ إِلَى حَيْثُ تَوَجَّهُ، فَمَضَيْتُ حَتَّى ظَفَرْتُ بِهِ، فَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ فَطَرَحْتُ رَأْسَهُ فَهَبَطْتُ، فَأَخَذْتُ رَأْسَهُ وَسَلَبَهُ وَفَرَسَهُ، وَجِئْتُ بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسَلَّمَ ذَلِكَ إِلَيَّ، وَدَعَا لِي فَقَالَ: «**رَضِيَ اللهُ عَنْكَ، رَضِيَ اللهُ عَنْكَ**». [المستدرك للحاكم كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم (٥٣٠٧)، وسكت عنه الذهبي، وأخرجه البيهقي في السنن ٦/ ٣٠٨ رقم ١٢٥٥٠].

«**انْثُرْهَا لأَبِي طَلحَةَ**» **زيد بن سهل الأنصاري** رضي الله عنه:

ولقد ناضل أبو طلحة رضي الله عنه أمام رسول الله ﷺ بالنبل نضالًا شديدًا حتى تكسرت ثلاث أقواس في يده من شدة الرمي.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: لَـمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبُو طَلْحَةَ رضي الله عنه بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ مُجَوِّبٌ عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ لَهُ (أي واق له بدرع من جلد)، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ [القِدِّ]، كَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ بِجَعْبَةٍ (الكنانة التي تجعل فيها السهام) مِنَ النَّبْلِ فَيَقُولُ ﷺ: «**انْثُرْهَا [انْشُرْهَا] لِأَبِي طَلْحَةَ**».

قَالَ: وَيُشْرِفُ النَّبِيُّ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى القَوْمِ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ رضي الله عنه: **[يَا نَبِيَّ الله]، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لَا تُشْرِفْ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ القَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ**...

وَلَقَدْ وَقَعَ السَّيْفُ مِنْ يَدَيْ أَبِي طَلْحَةَ إِمَّا مَرَّتَيْنِ وَإِمَّا ثَلَاثًا [مِنَ النُّعَاسِ].

[البخاري في المغازي (٤٠٦٤)، وفي مناقب الأنصار رضي الله عنهم (٣٨١١)، ومسلم في الجهاد والسير (١٨١١)].

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ رضي الله عنه كَانَ يَرْمِي بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ خَلْفَهُ يَتَتَرَّسُ بِهِ، وَكَانَ رَامِيًا، وَكَانَ إِذَا رَمَى رَفَعَ رَسُولُ الله ﷺ شَخْصَهُ يَنْظُرُ أَيْنَ يَقَعُ سَهْمُهُ، وَيَرْفَعُ أَبُو طَلْحَةَ رضي الله عنه صَدْرَهُ وَيَقُولُ: **هَكَذَا بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله، لَا يُصِيبُكَ سَهْمٌ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ**.

وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ ؓ يَشُورُ نَفْسَهُ (يعرضها للقتل، وقيل: يسعى ويخف ليُظهر بذلك قوته) بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيَقُولُ: **إِنِّي جَلْدٌ يَا رَسُولَ اللهِ! فَوَجِّهْنِي فِي حَوَائِجِكَ، وَمُرْنِي بِمَا شِئْتَ.**

[مسند أحمد ٢١ / ٤٤٦٥-٤٤٦ رقم ١٤٠٥٨، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم].

وعَنْ أَنَسٍ ؓ قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ ؓ يَرْمِي بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْفَعُ رَأْسَهُ مِنْ خَلْفِهِ لِيَنْظُرَ إِلَى مَوَاقِعِ نَبْلِهِ، قَالَ: فَتَطَاوَلَ أَبُو طَلْحَةَ ؓ بِصَدْرِهِ يَقِي بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: **يَا رَسُولَ اللهِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ.** [مسند أحمد ١٩/ ٨١ رقم ١٢٠٢٤، ٢٠/ ٣٩٠ رقم ١٣١٣٩، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ ؓ يَتَتَرَّسُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِتُرْسٍ وَاحِدٍ، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ ؓ حَسَنَ الرَّمْيِ، فَكَانَ إِذَا رَمَى تَشَرَّفَ (تطلع من فوق) [أَشْرَفَ] النَّبِيُّ ﷺ، فَيَنْظُرُ إِلَى مَوْضِعِ [مَوَاقِعِ] نَبْلِهِ. [البخاري في الجهاد والسير (٢٩٠٢)، ومسند أحمد ٢١/ ٣١٢ رقم ١٣٨٠٠].

وقال الواقدي: «وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ ؓ يَوْمَ أُحُدٍ قَدْ نَثَرَ كِنَانَتَهُ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ رَامِيًا وَكَانَ صَيِّتًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**صَوْتُ أَبِي طَلْحَةَ فِي الْجَيْشِ خَيْرٌ مِنْ أَرْبَعِينَ رَجُلًا**»، وَكَانَ فِي كِنَانَتِهِ خَمْسُونَ سَهْمًا، فَنَثَرَهَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ جَعَلَ يَصِيحُ: **يَا رَسُولَ اللهِ نَفْسِي دُونَ نَفْسِكَ**، فَلَمْ يَزَل يَرْمِي بِهَا سَهْمًا سَهْمًا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُطْلِعُ رَأْسَهُ خَلفَ أَبِي طَلحة ؓ بَيْنَ رَأْسِهِ وَمَنْكِبِهِ يَنْظُرُ إِلَى مَوَاقِعِ النَّبْلِ، حَتَّى فَنِيَتْ نَبْلُهُ، وَهُوَ يَقُولُ: **نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ**، فَإِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيَأْخُذُ العُودَ مِنْ الأَرْضِ، فَيَقُولُ: «**ارْمِ يَا أَبَا طَلْحَةَ**»، فَيَرْمِي بِهَا سَهْمًا جَيِّدًا». [المغازي للواقدي ١/ ٢٤٣].

ذَاكَ كُلُّهُ يَوْمُ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ ؓ:

وقاتل **طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ التيمي** ؓ يوم ذاك دون رسول الله ﷺ قتال جيش كامل.

ولعل قتال طلحة ؓ يوم انهزم الناس عن النبي ﷺ كان أروع وأصدق قتال.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ؆ قَالَ: لَـمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَوَلَّى النَّاسُ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي نَاحِيَةٍ فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ الأَنْصَارِ، وَفِيهِمْ طَلحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ ؓ، فَأَدْرَكَهُمْ الْمُشْرِكُونَ، فَالتَفَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «**مَنْ لِلقَوْمِ؟**»، فَقَالَ طَلحَةُ ؓ: أَنَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَمَا أَنْتَ**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «**أَنْتَ**»، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ التَفَتَ فَإِذَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ: «**مَنْ لِلقَوْمِ؟**»، فَقَالَ طَلحَةُ: أَنَا، قَالَ: «**كَمَا أَنْتَ**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ: أَنَا، فَقَالَ: «**أَنْتَ**»، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ لَمْ يَزَل يَقُولُ ذَلِكَ وَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَيُقَاتِلُ قِتَالَ مَنْ قَبْلَهُ حَتَّى يُقْتَلَ حَتَّى بَقِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَطَلحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ ؓ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ لِلقَوْمِ؟**»، فَقَالَ طَلحَةُ ؓ: أَنَا، فَقَاتَلَ طَلحَةُ ؓ قِتَالَ

الأَحَدَ عَشَرَ حَتَّى ضُرِبَتْ يَدُهُ فَقُطِعَتْ أَصَابِعُهُ، فَقَالَ: حَسِّ (من الأصوات المبنية، يقال عند الوجع)، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَوْ قُلْتَ بِسْمِ اللهِ لَرَفَعَتْكَ المَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ**»، ثُمَّ رَدَّ اللهُ الـمُشْرِكِينَ.

[النسائي في الجهاد (٣١٤٩)، وقال الشيخ الألباني: حسن].

وعَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ: أَنَّ طَلْحَةَ ﵁ رَجَعَ بِسَبْعٍ وَثَلَاثِينَ أَوْ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ بَيْنَ ضَرْبَةٍ وَطَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ، تَرَصَّعَ جَبِينُهُ (أي ضُرب ضربًا شديدًا)، وَقُطِعَتْ سَبَّابَتُهُ، وَشُلَّتِ الْإِصْبَعُ الَّتِي تَلِيهَا.

[المستدرك على الصحيحين في المغازي والسرايا ٣/ ٢٨ رقم ٤٣١٣، وقال الحاكم: « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي].

وعَنْ أَبِي عُثْمَانَ قَالَ: لَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ [رَسُولِ الله] ﷺ فِي بَعْضِ تِلْكَ الأَيَّامِ الَّتِي قَاتَلَ فِيهِنَّ رَسُولُ الله ﷺ غَيْرُ طَلْحَةَ وَسَعْدٍ ﵄، عَنْ حَدِيثِهِمَا. **[البخاري في فضائل الصحابة ﵃ (٣٧٢٢، ٣٧٢٣)، وفي المغازي (٤٠٦٠، و ٤٠٦١)، ومسلم في فضائل الصحابة ﵃ (٢٤١٤). عَنْ حَدِيثِهِمَا: معناه وهما حدَّثاني بذلك].**

وروى الدارقطني في الأفراد، والطبراني عن طلحة، والنسائي، والطبراني، والبيهقي، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﵄ : أَنَّ طَلْحَةَ أَصَابَهُ سَهْمٌ فِي أَنَامِلِهِ فَقَالَ: حَسِّ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَوْ قُلْتَ بِسْمِ اللهِ لَطَارَتْ بِكَ الـمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ حَتَّى تَلِجَ بِكَ فِي جَوِّ السَّمَاءِ، وَلَرَأَيْتَ بِنَاءَكَ الَّذِي بَنَى اللهُ لَكَ فِي الجَنَّةِ وَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا**». **[ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٥/ ٧١-٧٣]. [سبل الهدى والرشاد للصالحي ٤/ ٣٠٠].**

وروى أبو داود الطيالسي وابن حبان عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: كَانَ أَبُو بَكْرٍ ﵁ إِذَا ذَكَرَ يَوْمَ أُحُدٍ بَكَى، ثُمَّ قَالَ: **ذَاكَ كُلُّهُ يَوْمُ طَلْحَةَ**، ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُ، قَالَ: كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَاءَ يَوْمَ أُحُدٍ فَرَأَيْتُ رَجُلًا يُقَاتِلُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ دُونَهُ، وَأُرَاهُ قَالَ: يَحْمِيهِ، قَالَ: فَقُلْتُ: كُنْ طَلْحَةَ حَيْثُ فَاتَنِي مَا فَاتَنِي، فَقُلْتُ: يَكُونُ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي أَحَبَّ إِلَيَّ وَبَيْنِي وَبَيْنَ المُشْرِكِينَ رَجُلٌ لَا أَعْرِفُهُ، وَأَنَا أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ مِنْهُ، وَهُوَ يَخْطَفُ المَشْيَ خَطْفًا لَا أَخْطَفُهُ، فَإِذَا هُوَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَقَدْ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وَشُجَّ فِي وَجْهِهِ وَقَدْ دَخَلَ فِي وَجْنَتَيْهِ حَلْقَتَانِ مِنْ حِلَقِ الْمِغْفَرِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**عَلَيْكُمَا صَاحِبَكُمَا**»، يُرِيدُ طَلْحَةَ، وَقَدْ نَزَفَ، فَلَمْ يُلْتَفَتْ إِلَى قَوْلِهِ، وَذَهَبْتُ لِأَنْزِعَ ذَاكَ مِنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِحَقِّي لَمَا تَرَكْتَنِي، فَتَرَكْتُهُ فَكَرِهَ أَنْ يَتَنَاوَلَهُمَا بِيَدِهِ، فَيُؤْذِيَ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَزَّمَ (عضَّ) عَلَيْهِمَا بِفِيهِ فَاسْتَخْرَجَ إِحْدَى الْحَلْقَتَيْنِ، وَوَقَعَتْ ثَنِيَّتُهُ مَعَ الْحَلْقَةِ، وَذَهَبْتُ لِأَصْنَعَ مَا صَنَعَ فَقَالَ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِحَقِّي لَمَا تَرَكْتَنِي قَالَ: فَفَعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي المَرَّةِ الْأُولَى فَوَقَعَتْ ثَنِيَّتُهُ الْأُخْرَى مَعَ الْحَلْقَةِ فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ هَتْمًا (كسر الثنايا من أصلها)، فَأَصْلَحْنَا مِنْ شَأْنِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ أَتَيْنَا طَلْحَةَ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْجِفَارِ فَإِذَا بِهِ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ أَقَلُّ أَوْ أَكْثَرُ بَيْنَ طَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ وَضَرْبَةٍ، وَإِذَا قَدْ قُطِعَتْ إِصْبَعُهُ فَأَصْلَحْنَا مِنْ شَأْنِهِ. **[مسند أبي داود الطيالسي ١/ ٩، وأخرجه البيهقي في الدلائل ٣/ ٣٦٣، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٨٧، وذكره ابن حجر في المطالب (٤٣٢٧)، والمتقي الهندي في الكنز (٣٠٠٢٥)].**

وَعَنْ قَيْسِ بنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: «**رَأَيْتُ يَدَ طَلحَةَ شَلَّاءَ، وَقَى بِهَا النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ**».

[البخاري في المغازي (٤٠٦٣)، وفي فضائل الصحابة رضي الله عنهم (٣٧٢٤)، ومسند أحمد ٣/ ٩ رقم ١٣٨٥].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: تَذَاكَرْنَا يَوْمَ أُحُدٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا فَرَغَ وَانْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ الْتَفَتَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: «**أَلا أُخْبِرُكُمْ عَنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا مَعِيَ إِلَّا جِبْرِيلُ عَنْ يَمِينِي، وَطَلْحَةُ عَنْ يَسَارِي**». [مجمع الزوائد ٩/ ٢٠٧ رقم ١٤٨١١، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط [٦/ ٦٨ رقم ٥٨١٦]، وفيه القعقاع بن زكريا الطلحي ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح].

وعَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: لَـمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ جَعَلْتُ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى ظَهْرِي حَتَّى اسْتَقَلَّ وَصَارَ عَلَى الصَّخْرَةِ وَاسْتَتَرَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ هَكَذَا وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى وَرَاءِ ظَهْرِي: «**هَذَا جِبرِيلُ** عليه السلام **أَخْبَرَنِي أَنَّهُ لَا يَرَاكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي هَوْلٍ إِلَّا أنقذك مِنْهُ**». [الأحاديث المختارة للمقدسي ٣/ ٤٣ رقم ٨٤٧، وقال د/ دهيش: إِسْنَاده حسن. مجمع الزوائد في المناقب ٩/ ٢٠٨ رقم ١٤٨١٤، وقال الهيثمي رواه الطبراني [المعجم الكبير ١/ ١١٦ رقم ٢١٣]، وفيه سليمان بن أيوب الطلحي، وقد وثق وضعفه جماعة، وفيه جماعة لم أعرفهم].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ الله**».

[الترمذي في المناقب (٣٧٣٩)، وقال الشيخ الألباني: صحيح، والمستدرك في فضائل الصحابة رضي الله عنهم (٥٦١٢)].

وعَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا رَآنِي قَالَ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ الله**». [مجمع الزوائد ٩/ ٢٠٧ رقم ١٤٨١٣، وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ١/ ١١٧ رقم ٢١٥]، وفيه سليمان بن أيوب الطلحي وقد وثق وضعفه جماعة وفيه جماعة لم أعرفهم].

وعَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ أَبِيهِ طَلْحَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا رَآنِي قَالَ: «**سَلَفِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**»، وَسَمَّانِي رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ: طَلْحَةَ الْخَيْرَ، وَفِي غَزْوَةِ ذَاتِ الْعُسَيْرَةِ: طَلْحَةَ الْفَيَّاضَ، وَيَوْمَ حُنَيْنٍ: طَلْحَةَ الْجُودَ، وَقَالَ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ**».

[السنة لابن أبي عاصم ٢/ ٦١٣ رقم ١٤٠٣، والأحاديث المختارة للمقدسي ٣/ ٣٥ رقم ٨٣٢، وقال د/ دهيش: إسناده حسن].

وقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه: جِئْت إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: «**عَلَيْك بِابْنِ عَمِّكَ!**»، فَأَتَى طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ الله وَقَدْ نَزَفَ الدَّمُ، فَجَعَلْتُ أَنْضَحُ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ وَهُوَ مَغْشِيٌّ عَلَيْهِ، ثُمّ أَفَاقَ فَقَالَ: **مَا فَعَلَ رَسُولُ الله**؟ فَقُلْتُ: **خَيْرًا، هُوَ أَرْسَلَنِي إِلَيْك**، قَالَ: **الحَمْدُ لله، كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَهُ جَلَلٌ**. [المغازي للواقدي ١/ ٢٥٥].

وعَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ أَبِيهِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ الله رضي الله عنه قَالَ: لَـمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ ارْتَجَزْتُ بِهَذَا الشِّعْرِ:

نَحْنُ حُمَاةُ غَالِبٍ وَمَالِكِ ... نَذُبُّ عَنْ رَسُولِنَا الْمُبَارَكِ

نَضْرِبُ عَنْهُ الْيَوْمَ فِي الْمَعَارِكِ ... ضَرْبَ صِفَاحِ الْكَوْمِ فِي الْمَبَارِكِ

فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ لِحَسَّانَ ﷺ: «**قُلْ فِي طَلْحَةَ**»، فَأَنْشَأَ حَسَّانُ ﷺ وَقَالَ:

طَلْحَةُ يَوْمَ الشِّعْبِ آسَى مُحَمَّدًا　　عَلَى سَالِكٍ ضَاقَتْ عَلَيْهِ وَشَقَّتِ
يَقِيهِ بِكَفَّيْهِ الرِّمَاحَ وَأَسْلَمَتْ　　أَشَاجِعُهُ تَحْتَ السُّيُوفِ فَشُلَّتِ
وَكَانَ إِمَامَ النَّاسِ إِلَّا مُحَمَّدًا　　أَقَامَ رَحَى الْإِسْلَامِ حَتَّى اسْتَقَلَّتِ

[المستدرك في المغازي ٣/ ٢٧ رقم ٤٣١١ وسكت عنه الذهبي في التلخيص].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: لَـمَّا وَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، افْتَخَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَطَلْحَةُ ﷺ سَاكِتٌ وَسِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ أَبُو دُجَانَةَ ﷺ سَاكِتٌ لَا يَنْطِقُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ أُحُدٍ وَمَا فِي الْأَرْضِ قُرْبِي مَخْلُوقٌ غَيْرَ جِبْرِيلَ عَنْ يَمِينِي، وَطَلْحَةُ عَنْ يَسَارِي**»، فَقِيلَ فِي ذَلِكَ شِعْرًا:

وَطَلْحَةُ يَوْمَ الشِّعْبِ آسَى مُحَمَّدًا　　لَدَى سَاعَةٍ ضَاقَتْ عَلَيْهِ وَشُدَّتِ
وَقَاهُ بِكَفَّيْهِ الرِّمَاحَ فَقُطِّعَتْ　　أَصَابِعُهُ تَحْتَ الرِّمَاحِ فَشُلَّتِ
وَكَانَ إِمَامَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ　　أَقَرَّ رَحَى الْإِسْلَامِ حَتَّى اسْتَقَرَّتِ

[المستدرك في معرفة الصحابة ﷺ ٣/ ٤٢٦، ٤٦٣ رقم ٥٦١٦، ٥٦٨٣، والطبراني في الأوسط ٦/ ٦٨-٦٩ رقم ٥٨١٦، من طريق عيسى بن طلحة عن أبي هريرة ﷺ بمعناه].

وزاد ابن عساكر: وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ:

حَمَى نَبِيَّ الْهُدَى وَالْخَيْلُ تَتْبَعُهُ　　حَتَّى إِذَا مَا لَقَوْا حَامَى عَنِ الدِّينِ
صَبْرًا عَلَى الطَّعْنِ إِذْ وَلَّتْ جَمَاعَتُهُمْ　　وَالنَّاسُ مِنْ بَيْنِ مَهْدِيٍّ وَمَفْتُونِ
يَا طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ قَدْ وَجَبَتْ　　لَكَ الْجِنَانُ وَزُوِّجْتَ الْمَهَا الْعِينِ

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ:

حَمَى نَبِيَّ الْهُدَى بِالسَّيْفِ مُنْصَلِتًا　　لَـمَّا تَوَلَّى جَمِيعَ النَّاسِ وَانْكَشَفُوا

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**صَدَقْتَ يَا عُمَرُ**».

فتلك غَايَتُهُ حَتَّى لَهُ سَبَقُوا　　فَقَالَ بِالْفَضْلِ لَمْ يَشْرَكْهُ فِيهِ ذَوُوا
قَدمَ فِي يَوْمِهِ وَفِي أَيَّامِهِ رَكَضُوا (١)

قَالَ أَبِي: وَقَالَ حَسَّانُ ﷺ:

نَابَ عَنْ مُهْجَةِ النَّبِيِّ وَقَدْ　　أَفْضَى إِلَيْهِ الْعَدُوُّ إِذْ دَلَفُوا
مُضَمَّخًا بِالدِّمَاءِ يَحْمِلُهُ　　طَوْرًا وَيَحْمِيهِ إِنْ هُمْ عَطَفُوا
حَافَظَ إِذْ أَسْلَمَ النَّبِيَّ وَإِذْ　　وَلَّى جَمِيعُ الْعِبَادِ فَانْكَشَفُوا

(١) هذان البيتان زيادة من: مجموع فيه عشرة أجزاء حديثية ص ٢٣٧ تحقيق جرار.

وَقَالَ حَسَّانٌ رضي الله عنه أيضًا:

أَهْلِي فِدَاكَ يا بنَ صَعْبَةَ ... يَوْمَ أُحُدٍ وَالجَبَلْ
تَرَكَ الخِيَارُ نَبِيَّهُمْ ... وَأَقَامَ طَلْحَةُ لَمْ يَزَلْ
إِذْ حَامَ أَصْحَابُ الْقَنَا ... وَالخَيْلُ هَرَّابٌ عَزَلْ
سَتَرَ النَّبِيَّ بِكَفِّهِ ... وَحَمَاهُ بِطِرِيقٌ بَطَلْ

[تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٥/ ١٠٦، وكنز العمال للمتقي الهندي ١٣/ ٢٠٣ رقم ٣٦٦٠٧].

عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:

روى الحاكم عن عبد الله بن سعد عن يعقوب عن أبيه قال: بَلَغَنِي أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ رضي الله عنه جُرِحَ يَوْمَ أُحُدٍ إِحْدَى وَعِشْرِينَ جِرَاحَةً، وَجُرِحَ فِي رِجْلِهِ، فَكَانَ يَعْرُجُ مِنْهَا.

[المستدرك للحاكم كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم ٣/ ٣٤٨ رقم٥٣٤٥، والسيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٨٣].

وَعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، قَالَ: قَالَ الحَارِثُ بن الصِّمَّةِ رضي الله عنه: سَأَلَنِي رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وَهُوَ فِي الشِّعْبِ: «**هَلْ رَأَيْتَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بن عَوْفٍ؟**»، قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله! رَأَيْتُهُ إِلَى جَرِّ (أسفل) الجَبَلِ، وَعَلَيْهِ عَكَرٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَهَرَبْتُ إِلَيْهِ لأَمْنَعَهُ، فَرَأَيْتُكَ فَعَدَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَا إِنَّ المَلائِكَةَ تُقَاتِلُ مَعَهُ**»، قَالَ الحَارِثُ: فَرَجَعْتُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَأَجِدُهُ بَيْنَ نَفَرٍ سَبْعَةٍ صَرْعَى، فَقُلْتُ لَهُ: ظَفِرَتْ يَمِينُكَ، أَكُلَّ هَؤُلاءِ قَتَلْتَ؟ قَالَ: أَمَّا هَذَا - لأَرْطَاةَ بن شُرَحْبِيلَ - وَهَذَا، فَأَنَا قَتَلْتُهُمَا، وَأَمَّا هَؤُلاءِ فَقَتَلَهُمْ مَنْ لَمْ أَرَهُ، قُلْتُ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ. [مجمع الزوائد ٦/ ١٦٣-١٦٤ كتاب المغازي والسير (١٠٠٨٢)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ٣/ ٢٧١ رقم ٣٣٨٥]، والبزار وفيه عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف].

أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: حَدَّثَ أَبِي قَالَ: لَـمَّا انْصَرَفَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَاءَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى رَجُلٍ يُقَاتِلُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقُلْتُ: كُنْ طَلْحَةَ، قَالَ: ثُمَّ نَظَرْتُ فَإِذَا إِنْسَانٌ خَلْفِي كَأَنَّهُ طَائِرٌ، فَلَمْ أَشْعُرْ أَنْ أَدْرَكَنِي، فَإِذَا هُوَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَإِذَا طَلْحَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ صَرِيعًا، فَقَالَ: «**دُونَكُمْ أَخُوكُمْ، فَقَدْ أَوْجَبَ**»، فَتَرَكْنَاهُ وَأَقْبَلْنَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، وَإِذَا قَدْ أَصَابَ رَسُولَ الله ﷺ فِي وَجْهِهِ سَهْمَانِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَنْزِعَهُمَا، فَمَا زَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَسْأَلُنِي وَيَطْلُبُ إِلَيَّ حَتَّى تَرَكْتُهُ، فَنَزَعَ أَحَدَ السَّهْمَيْنِ، وَأَزَمَّ (عض) عَلَيْهِ بِأَسْنَانِهِ فَقَلَعَهُ، وَابْتَدَرَتْ إِحْدَى ثَنِيَّتَيْهِ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَسْأَلُنِي وَيَطْلُبِ إِلَيَّ أَنْ أَدَعَهُ يَنْزِعُ الآخَرَ، فَوَضَعَ ثَنِيَّتَهُ عَلَى السَّهْمِ وَأَزَمَّ عَلَيْهِ كَرَاهَةَ أَنْ يُؤْذِيَ رَسُولَ الله ﷺ أَنْ تَحَوَّلَ، فَنَزَعَهُ، وَانْتَدَرَتْ ثَنِيَّتَهُ أَوْ إِحْدَى ثَنِيَّتَيْهِ، قَالَ: وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَهْتَمَ الثَّنَايَا.

[مجمع الزوائد ٦/ ١٦١ كتاب المغازي والسير (١٠٠٧٦)، وقال الهيثمي: رواه البزار [مسند البزار ١/ ١٣٢، ١٨٦ رقم ٦٣]، وفيه إسحاق بن يحيى بن طلحة وهو متروك، وقال صاحب جمع الفوائد تعليقًا على ذلك: «قلت: لكنه من

رجال الترمذي وابن ماجه، وللحديث طرق». جمع الفوائد ص ١٠١٣ كتاب المغازي والسير باب غزوة أحد رقم ٦٥٥٢. وقال الشيخ حوى: وللحديث طرق يرتقي بها إلى رتبة الحسن. الأساس في السنة وفقهها - السيرة ٢/ ٥٧١].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: لَـمَّا صُرِفَ النَّاسُ يَوْمَ أُحُدٍ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ جَاءَ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى رَجُلٍ بَيْنَ يَدَيْهِ يُقَاتِلُ عَنْهُ وَيَحْمِيهِ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: كُنْ طَلْحَةَ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، مَرَّتَيْنِ، قَالَ: ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى رَجُلٍ خَلْفِي كَأَنَّهُ طَائِرٌ، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ أَدْرَكَنِي، فَإِذَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ رضي الله عنه، فَدَفَعْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَإِذَا طَلْحَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ صَرِيعٌ، فَقَالَ ﷺ: **دُونَكُمْ أَخُوكُمْ، فَقَدْ أَوْجَبَ،** قَالَ: وَقَدْ رُمِيَ فِي جَبْهَتِهِ وَوَجْنَتِهِ، فَأَهْوَيْتُ إِلَى السَّهْمِ الَّذِي فِي جَبْهَتِهِ لِأَنْزِعَهُ، فَقَالَ لِي أَبُو عُبَيْدَةَ: نَشَدْتُكَ بِاللهِ يَا أَبَا بَكْرٍ إِلَّا تَرَكْتَنِي، قَالَ: فَتَرَكْتُهُ، فَأَخَذَ أَبُو عُبَيْدَةَ السَّهْمَ بِفِيهِ، فَجَعَلَ يُنَضْنِضُهُ، وَيَكْرَهُ أَنْ يُؤْذِيَ النَّبِيَّ ﷺ، ثُمَّ اسْتَلَّهُ بِفِيهِ، ثُمَّ أَهْوَيْتُ إِلَى السَّهْمِ الَّذِي فِي وَجْنَتِهِ لِأَنْزِعَهُ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: نَشَدْتُكَ بِاللهِ يَا أَبَا بَكْرٍ إِلَّا تَرَكْتَنِي، فَأَخَذَ السَّهْمَ بِفِيهِ، وَجَعَلَ يُنَضْنِضُهُ وَيَكْرَهُ أَنْ يُؤْذِيَ النَّبِيَّ ﷺ ثُمَّ اسْتَلَّهُ، وَكَانَ طَلْحَةُ أَشَدَّ نَهْكَةً مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، وَكَانَ نَبِيُّ الله ﷺ أَشَدَّ منه، وكان قد أَصَابَ طَلْحَةَ بَضْعَةٌ وَثَلَاثُونَ بَيْنَ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ ورمية . [صحيح ابن حبان ١٥/ ٤٣٨ رقم ٦٩٨٠، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده ضعيف، لضعف إسحاق بن يحيى بن طلحة، وأخرجه البزار ١٧٩١، عن الفضل بن سهل، عن شبابة بن سوار، بهذا الإسناد].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، قَالَتْ: سَمِعْت أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه، يَقُولُ: لَـمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَرُمِيَ رَسُولُ الله ﷺ فِي وَجْهِهِ حَتَّى دَخَلَتْ فِي وَجْنَتَيْهِ حَلَقَتَانِ مِنْ الْمِغْفَرِ، فَأَقْبَلْتُ أَسْعَى إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، وَإِنْسَانٌ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ يَطِيرُ طَيَرَانًا، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلهُ طَلحَةَ بْنَ عُبَيْدِ الله حَتَّى تَوَافَيْنَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَإِذَا أَبُو عُبَيْدَةُ بْنُ الْجَرَّاحِ رضي الله عنه، فَبَدَرَنِي فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِالله يَا أَبَا بَكْر أَلا تَرَكْتَنِي، فَأَنْزِعُهُ مِنْ وَجْهِ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: فَتَرَكْتُهُ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**عَلَيْكُمْ صَوَاحِبَكُمْ**»، يَعْنِي طَلحَةَ بْنَ عُبَيْدِ الله فَأَخَذَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِثَنِيَّتِهِ حَلَقَةَ الْمِغْفَرِ فَنَزَعَهَا، وَسَقَطَ عَلَى ظَهْرِهِ وَسَقَطَتْ ثَنِيَّةُ أَبِي عُبَيْدَةَ، ثُمَّ أَخَذَ الْحَلَقَةَ الأُخْرَى بِثَنِيَّتِهِ الأُخْرَى، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي النَّاسِ أَثْرَمَ». [المغازي للواقدي ١/ ٢٤٦-٢٤٧].

مالك بن سنان رضي الله عنه:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ أَبَاهُ مَالِكَ بْنَ سِنَانٍ رضي الله عنه لَـمَّا أُصِيبَ رَسُولُ الله ﷺ فِي وَجْهِهِ يَوْمَ أُحُدٍ، مَصَّ دَمَ رَسُولِ الله ﷺ وَازْدَرَدَهُ، فَقِيلَ لَهُ: أَتَشْرَبُ الدَّمَ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَشْرَبُ دَمَ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**خَالَطَ دَمِي بِدَمِهِ، لَا تَمَسُّهُ النَّارُ**». [مجمع الزوائد ٨/ ٤٨٣ رقم ١٤٠١٢، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط [٩/ ٤٧ رقم ٩٠٩٨]، ولم أر في إسناده من أجمع على ضعفه].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: أُصِيبَ وَجْهُ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، فَاسْتَقْبَلَهُ مَالِكُ بْنُ سِنَانٍ فَمَصَّ جُرْحَ رَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَنْ خَالَطَ دَمِي دَمَهُ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ**». [مجمع الزوائد ٦/ ١٦٤ رقم ١٠٠٨٣، وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ٦/ ٣٤ رقم ٥٤٣٠].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: لَـمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ شُجَّ النَّبِيُّ ﷺ فِي جَبْهَتِهِ، فَأَتَاهُ مَالِكُ بْنُ سِنَانٍ وَهُوَ وَالِدُ أَبِي سَعِيدٍ، فَمَسَحَ الدَّمَ عَنْ وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ ازْدَرَدَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَنْ خَالَطَ دَمِي دَمَهُ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ**».

[المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣/ ٦٥١ رقم ٦٣٩٤، وقال الذهبي: إسناده مظلم].

وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ﷺ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أُصِيبَ وَجْهُهُ يَوْمَ أُحُدٍ فَدَخَلَتْ الحَلَقَتَانِ مِنْ الـمِغْفَرِ فِي وَجْنَتَيْهِ فَلَـمَّا نُزِعَتَا جَعَلَ الدَّمُ يَسْرُبُ كَمَا يَسْرُبُ الشَّنُّ، فَجَعَلَ مَالِكُ بْنُ سِنَانٍ يَمْلُجُ الدَّمَ بِفِيهِ ثُمَّ ازْدَرَدَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَنْ خَالَطَ دَمُهُ دَمِي فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ**»، فَقِيلَ لِمَالِكٍ: تَشْرَبُ الدَّمَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ أَشْرَبُ دَمَ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ مَسَّ دَمُهُ دَمِي، لَمْ تُصِبْهُ النَّارُ**». [المغازي للواقدي ١/ ٢٤٧].

حنظلة ﷺ غسيل الملائكة يُستشهد يوم زفافه:

قال الواقدي: «قَالُوا: وَكَانَ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ ﷺ تَزَوَّجَ جَمِيلَةَ بِنْتَ عَبْدِ الله بْنِ أُبَيٍّ بْنِ سَلُولَ، فَأُدْخِلَتْ عَلَيْهِ فِي اللَّيْلَةِ التِي فِي صُبْحِهَا قِتَالُ أُحُدٍ، وَكَانَ قَدْ اسْتَأْذَنَ رَسُولَ الله ﷺ أَنْ يَبِيتَ عِنْدَهَا، فَأَذِنَ لَهُ، فَلَـمَّا صَلَّى الصُّبْحَ غدا يُرِيدُ رَسُولَ الله ﷺ، وَلَزِمَتْهُ جَمِيلَةُ فَعَادَ فَكَانَ مَعَهَا، فَأَجْنَبَ مِنْهَا، ثُمَّ أَرَادَ الخُرُوجَ، وَقَدْ أَرْسَلَتْ قَبْلَ ذَلِكَ إِلَى أَرْبَعَةٍ مِنْ قَوْمِهَا فَأَشْهَدَتْهُمْ أَنَّهُ قَدْ دَخَلَ بِهَا، فَقِيلَ لَهَا بَعْدُ: لِمَ أَشْهَدْتِ عَلَيْهِ؟ قَالَتْ: **رَأَيْت كَأَنَّ السَّمَاءَ فُرِجَتْ فَدَخَلَ فِيهَا حَنْظَلَةُ، ثُمَّ أُطْبِقَتْ، فَقُلْتُ: هَذِهِ الشَّهَادَةُ! فَأَشْهَدَتْ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَدْ دَخَلَ بِهَا.**

وَتَعَلَّقَ بِعَبْدِ الله بْنِ حَنْظَلَةَ، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ بَعْدُ، فَوَلَدَتْ لَهُ مُحَمَّدَ بْنَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ.

وَأَخَذَ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ ﷺ سِلاحَهُ، فَلَحِقَ بِرَسُولِ الله ﷺ بِأُحُدٍ، وَهُوَ يُسَوِّي الصُّفُوفَ».

فلما استشهد حنظلة ﷺ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنِّي رَأَيْت الملَائِكَةَ تُغَسِّلُ حَنْظَلَةَ بْنَ أَبِي عَامِرٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ بِمَاءِ المُزْنِ فِي صِحَافِ الفِضَّةِ**».

قَالَ أَبُو أُسَيْدٍ السَّاعِدِيُّ ﷺ: فَذَهَبْنَا فَنَظَرْنَا إِلَيْهِ فَإِذَا رَأْسُهُ يَقْطُرُ مَاءً.

قَالَ أَبُو أُسَيْدٍ ﷺ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَأَرْسَلَ إِلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا، فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ خَرَجَ وَهُوَ جُنُبٌ». [المغازي للواقدي ١/ ٢٧٣، ٢٧٤].

وعَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إِنَّ صَاحِبَكُمْ تَغُسِّلُهُ المَلَائِكَةُ ـ يَعْنِي حَنْظَلَةَ ـ فَاسْأَلُوا أَهْلَهُ مَا شَأْنُهُ**»، فَسُئِلَتْ صَاحِبَتُهُ فَقَالَتْ: **خَرَجَ وَهُوَ جُنُبٌ حِينَ سَمِعَ الهَائِعَةَ [الهَاتِفَةَ]**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لِذَلِكَ غَسَّلَتْهُ المَلَائِكَةُ**».

[السنن الكبرى للبيهقي ٤/ ٢٢ رقم ٦٨١٥، والسيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٧٥].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: لَـمَّا أُصِيبَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ وَحَنْظَلَةُ بْنُ الرَّاهِبِ رضي الله عنهما، وَهُمَا جُنُبَانِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**رَأَيْتُ المَلَائِكَةَ تُغَسِّلُهُمَا**».

[مجمع الزوائد ٣/ ١١٨ رقم ٤٠٨٠ ، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير [١١/ ٣٩١ رقم ١٢٠٩٤]، وإسناده حسن، وقال ابن حجر: «غريب في ذكر حمزة». فتح الباري ٣/ ٢١٢ كتاب الجنائز باب من لم ير غسل الشهداء].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «أَبْصَرَ [نَظَرَ] رَسُولُ الله ﷺ حَنْظَلَةَ بْنَ الرَّاهِبِ، وَحَمْزَةَ رضي الله عنهما تُغَسِّلُهُمَا المَلَائِكَةُ». **[المعجم الكبير للطبراني ١١/ ٣٩٥ رقم ١٢١٠٨، والسنن الكبرى للبيهقي ٤/ ٢٣ رقم ٦٨١٦، وفي سنده أبو شيبة فضعفه].**

وعَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ: «فِي تَسْمِيَةِ مَنِ اسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ وَهُوَ الَّذِي غَسَّلَتْهُ المَلَائِكَةُ». **[المعجم الكبير للطبراني ٤/ ١٠ رقم ٣٤٨٧].**

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: افْتَخَرَ الحَيَّانِ مِنَ الْأَنْصَارِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، [فَقَالَ الْأَوْسُ مِنَّا أَرْبَعَةٌ، وَقَالَ الْخَزْرَجُ: مِنَّا أَرْبَعَةٌ]، فَقَالَتِ الْأَوْسُ: مِنَّا مَنِ اهْتَزَّ لِمَوْتِهِ [لَهُ] عَرْشُ الرَّحْمَنِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَمِنَّا مَنْ حَمَتْهُ [حَمَى لَحْمَهُ] الدَّبْرُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ الْأَفْلَحِ، وَمِنَّا مَنْ غَسَّلَتْهُ المَلَائِكَةُ حَنْظَلَةُ بْنُ الرَّاهِبِ، وَمِنَّا مَنْ أُجِيزَتْ [عَدَلَتْ] شَهَادَتُهُ بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ، وَقَالَ الْخَزْرَجِيُّونَ [الْخَزْرَجُ]: مِنَّا أَرْبَعَةٌ جَمَعُوا الْقُرْآنَ [عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ] لَمْ يَجْمَعْهُ غَيْرُهُمْ: أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو زَيْدٍ، [قُلْتُ لِأَنَسٍ: مَنْ أَبُو زَيْدٍ؟ قَالَ: «أَحَدُ عُمُومَتِي»]. **[المستدرك على الصحيحين كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم ٤/ ٩٠ رقم ٦٩٧٧، وقال الحاكم: « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي. والمعجم الكبير للطبراني ٤/ ١٠ رقم ٣٤٨٨، والأحاديث المختارة للمقدسي ٧/ ١٣٩، وقال د/ دهيش: إِسْنَاده حسن لشاهده].**

قتادة رضي الله عنه يفقد عينه في المعركة:

عَن قَتَادَةَ بنِ النُّعْمَانِ رضي الله عنه قَالَ: أُهْدِيَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ قَوْسٌ، فَدَفَعَهَا إِلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، فَرَمَيْتُ بِهَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ حَتَّى انْدَقَّتْ عَنْ سِنَّتِهَا [سِيَتُهَا]، وَلَمْ أَزَلْ عَلَى مَقَامِي نُصْبَ وَجْهِ رَسُولِ الله ﷺ أَلْقَى السِّهَامَ بِوَجْهِي، كُلَّمَا مَالَ سَهْمٌ مِنْهَا إِلَى وَجْهِ رَسُولِ الله ﷺ مَيَّلْتُ رَأْسِي لِأَقِي وَجْهَ رَسُولِ الله ﷺ بِلا رَمْيٍ أَرْمِيهِ، فَكَانَ آخِرُهَا سَهْمًا بَدَرَتْ [نَدَرَتْ] مِنْهَا حَدَقَتِي عَلَى خَدِّي [بِكَفِّي]، وَتَفَرَّقَ الجَمْعُ فَأَخَذْتُ حَدَقَتِي بِكَفِّي، فَسَعَيْتُ بِهَا فِي كَفِّي إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَلَـمَّا رَآهَا رَسُولُ الله ﷺ

فِي كَفِّي دَمَعَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنَّ قَتَادَةَ قَدْ أَوْجَهَ نَبِيَّكَ بِوَجْهِهِ، فَاجْعَلْهَا أَحْسَنَ عَيْنَيْهِ، وَأَحَدَّهُمَا نَظَرًا**» فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنَيْهِ، وَأَحَدَّهُمَا نَظَرًا. [مجمع الزوائد ٦/ ١٦٢ كتاب المغازي والسير (١٠٠٧٩)، ٨/ ٥٢٥ رقم ١٤٠٩٨، وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ١٩/ ٨ رقم ١٢]، وفيه من لم أعرفه].

وعَن قَتَادَةَ بنِ النُّعْمَانِ ﷺ قَالَ: كُنْتُ نُصْبَ وَجْهِ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، أَقِي وَجْهَ رَسُولِ الله ﷺ بِوَجْهِي، وَكَانَ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بنُ خَرَشَةَ ﷺ مُوقِيًا لِظَهْرِ رَسُولِ الله ﷺ بِظَهْرِهِ، حَتَّى امْتَلأَ ظَهْرُهُ سِهَامًا، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ أُحُدٍ. [مجمع الزوائد ٦/ ١٦٣ كتاب المغازي والسير (١٠٠٨٠)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ١٩/ ٨ رقم ١٣]، وفيه من لم أعرفه].

«وَأُصِيبَتْ يَوْمَئِذٍ عَيْنُ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ ﷺ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى وَجْنَتِهِ، قَالَ قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ: فَجِئْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَقُلْتُ: **أَيْ رَسُولَ الله، إِنَّ تَحْتِي امْرَأَةً شَابَّةً جَمِيلَةً أُحِبُّهَا وَتُحِبُّنِي، وَأَنَا أَخْشَى أَنْ تَقْذَرَ مَكَانَ عَيْنِي**، فَأَخَذَهَا رَسُولُ الله ﷺ فَرَدَّهَا، فَأَبْصَرَتْ وَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ، فَلَمْ تَضْرِبْ عَلَيْهِ سَاعَةً مِنْ لَيْلٍ وَلا نَهَارٍ، وَكَانَ يَقُولُ بَعْدَ أَنْ أَسَنَّ: **هِيَ وَالله أَقْوَى عَيْنَيَّ! وَكَانَتْ أَحْسَنَهُمَا**».

[المغازي للواقدي ١/ ٢٤٢، والسيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٨٢].

وقال ابن كثير: «وَلِهَذَا لَـمَّا وَفَدَ وَلَدُهُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ لَهُ مُرْتَجِلًا:

أَنَا ابْنُ الذِي سَالَتْ عَلَى الخَدِّ عَيْنُهُ ... فَرُدَّتْ بِكَفِّ المُصْطَفَى أَحْسَنَ الرَّدِّ

عَـادَتْ كَـمَا كَانَـتْ لأَوَّلِ أَمْرِهَـا ... فَيَا حُسْنَهَا عَيْنًا وَيَا حُسْنَ مَـا خَـدِّ

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عِنْدَ ذَلِكَ:

تِلْكَ المَكَارِمُ لا قَعْبَانِ مِـنْ لَـبَنٍ ... شِيبًا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالا

ثُمَّ وَصَلَهُ فَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُ ﷺ». [البداية والنهاية ط هجر ٥/ ٤٠٨].

وَهْبُ بْنُ قَابُوسٍ المُزَنِيُّ ﷺ:

«وَأَقْبَلَ وَهْبُ بْنُ قَابُوسٍ المُزَنِيُّ ﷺ، وَمَعَهُ ابْنُ أَخِيهِ الحَارِثُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ قَابُوسٍ ﷺ بِغَنَمٍ لَهُمَا مِنْ جَبَلِ مُزَيْنَةَ، فَوَجَدَا المَدِينَةَ خُلُوفًا، فَسَأَلا: أَيْنَ النَّاسُ؟ فَقَالُوا: بِأُحُدٍ، خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ يُقَاتِلُ المُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالا: لا نَبْتَغِي أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ، فَخَرَجَا حَتَّى أَتَيَا النَّبِيَّ ﷺ بِأُحُدٍ فَيَجِدَانِ القَوْمَ يَقْتَتِلُونَ وَالدَّوْلَةُ لِرَسُولِ الله ﷺ وَأَصْحَابِهِ فَأَغَارَا مَعَ المُسْلِمِينَ فِي النَّهْبِ وَجَاءَتْ الخَيْلُ مِنْ وَرَائِهِمْ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ وَعِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، فَاخْتَلَطُوا، فَقَاتَلا أَشَدَّ القِتَالِ.

فَانْفَرَقَتْ فِرْقَةٌ مِنْ المُشْرِكِينَ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ لِهَذِهِ الفِرْقَةِ؟**»، فَقَالَ وَهْبُ بْنُ قَابُوسٍ: أَنَا يَا رَسُولَ الله، فَقَامَ فَرَمَاهُمْ بِالنَّبْلِ حَتَّى انْصَرَفُوا، ثُمَّ رَجَعَ فَانْفَرَقَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَى فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ**

لِهَذِهِ الكَتِيبَةِ؟»، فَقَالَ الْمُزَنِيُّ: أَنَا يَا رَسُولَ الله، فَقَامَ فَذَبَّهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى وَلَّوْا، ثُمَّ رَجَعَ الْمُزَنِيُّ، ثُمَّ طَلَعَتْ كَتِيبَةٌ أُخْرَى، فَقَالَ: «**مَنْ يَقُومُ لِهَؤُلاءِ؟**»، فَقَالَ الْمُزَنِيُّ: أَنَا يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ: «**قُمْ وَأَبْشِرْ بِالجَنَّةِ**»، فَقَامَ الْمُزَنِيُّ مَسْرُورًا يَقُولُ: **وَالله لا أَقِيلُ وَلا أَسْتَقِيلُ**، فَقَامَ فَجَعَلَ يَدْخُلُ فِيهِمْ فَيَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَرَسُولُ الله ﷺ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَالْمُسْلِمُونَ حَتَّى خَرَجَ مِنْ أَقْصَاهُمْ وَرَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**»، ثُمَّ يَرْجِعُ فِيهِمْ فَمَا زَالَ كَذَلِكَ وَهُمْ مُحْدِقُونَ بِهِ حَتَّى اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَسْيَافُهُمْ وَرِمَاحُهُمْ فَقَتَلُوهُ، فَوُجِدَ بِهِ يَوْمَئِذٍ عِشْرُونَ طَعْنَةً بِرُمْحٍ كُلُّهَا قَدْ خَلَصَتْ إِلَى مَقْتَلٍ، وَمُثِّلَ بِهِ أَقْبَحَ المَثْلِ يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ قَامَ ابْنُ أَخِيهِ فَقَاتَلَ، كَنَحْوِ قِتَالِهِ حَتَّى قُتِلَ، فَكَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﵁ يَقُولُ: **إِنَّ أَحَبَّ مِيتَةٍ أَمُوتُ عَلَيْهَا لَمَا مَاتَ عَلَيْهَا الْمُزَنِيُّ**.

وَكَانَ بِلالُ بْنُ الحَارِثِ الْمُزَنِيُّ يُحَدِّثُ يَقُولُ: شَهِدْنَا القَادِسِيَّةَ مَعَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﵁، فَلَمَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْنَا، وَقُسِمَتْ بَيْنَنَا غَنَائِمُنَا، فَأُسْقِطَ (اسم) فَتًى مِنْ آلِ قَابُوسِ بْنِ مُزَيْنَةَ، فَجِئْتُ سَعْدًا حِينَ فَرَغَ مِنْ نَوْمِهِ، فَقَالَ: بِلالٌ؟ قُلْتُ: بِلالٌ، قَالَ: مَرْحَبًا بِكَ، مَنْ هَذَا مَعَكَ؟ قُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ قَوْمِي مِنْ آلِ قَابُوسٍ، قَالَ سَعْدٌ: مَا أَنْتَ يَا فَتىً مِنْ الْمُزَنِي الذِي قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ؟ قَالَ: ابْنُ أَخِيهِ، قَالَ سَعْدٌ: **مَرْحَبًا وَأَهْلًا، وَنَعِمَ اللهُ بِكَ عَيْنًا، ذَلِكَ الرَّجُلُ شَهِدْتُ مِنْهُ يَوْمَ أُحُدٍ مَشْهَدًا مَا شَهِدْتُهُ مِنْ أَحَدٍ**.

لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَقَدْ أَحْدَقَ الْمُشْرِكُونَ بِنَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَرَسُولُ الله ﷺ وَسْطَنَا وَالكَتَائِبُ تَطْلُعُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَإِنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَيَرْمِي بِبَصَرِهِ فِي النَّاسِ يَتَوَسَّمُهُمْ (**توسم الشيء**: تخيله وتفرسه) يَقُولُ: «**مَنْ لِهَذِهِ الكَتِيبَةِ؟**»، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ الْمُزَنِيُّ: أَنَا يَا رَسُولَ الله، كُلُّ ذَلِكَ يَرُدُّهَا، فَمَا أَنْسَى آخِرَ مَرَّةٍ قَامَهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قُمْ وَأَبْشِرْ بِالجَنَّةِ**»، قَالَ سَعْدٌ: **وَقُمْتُ عَلَى أَثَرِهِ، يَعْلَمُ اللهُ أَنِّي أَطْلُبُ مِثْلَ مَا يَطْلُبُ يَوْمَئِذٍ مِنْ الشَّهَادَةِ، فَخُضْنَا حَوْمَتَهُمْ حَتَّى رَجَعْنَا فِيهِمْ الثَّانِيَةَ، وَأَصَابُوهُ رَحِمَهُ اللهُ، وَوَدِدْتُ وَالله أَنِّي كُنْتُ أُصِبْتُ يَوْمَئِذٍ مَعَهُ، وَلَكِنَّ أَجَلِي اسْتَأْخَرَ**.

ثُمَّ دَعَا سَعْدٌ ﵁ مِنْ سَاعَتِهِ بِسَهْمِهِ فَأَعْطَاهُ وَفَضَّلَهُ، وَقَالَ: اخْتَرْ فِي الْمُقَامِ عِنْدَنَا أَوْ الرُّجُوعِ إِلَى أَهْلِكَ، فَقَالَ بِلالٌ: إِنَّهُ يَسْتَحِبُّ الرُّجُوعَ، فَرَجَعْنَا.

وَقَالَ سَعْدٌ ﵁: أَشْهَدُ لَرَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَاقِفًا عَلَيْهِ وَهُوَ مَقْتُولٌ، وَهُوَ يَقُولُ: «**رَضِيَ اللهُ عَنْكَ فَإِنِّي عَنْكَ رَاضٍ**»، ثُمَّ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ قَامَ عَلَى قَدَمَيْهِ ـ وَقَدْ نَالَ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ الجِرَاحِ مَا نَالَهُ، وَإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّ القِيَامَ لَيَشُقُّ عَلَيْهِ ـ عَلَى قَبْرِهِ حَتَّى وُضِعَ فِي لَحْدِهِ وَعَلَيْهِ بُرْدَةٌ لَهَا أَعْلامٌ خُضْرٌ، فَمَدَّ رَسُولُ الله ﷺ البُرْدَةَ عَلَى رَأْسِهِ فَخَمَرَهُ وَأَدْرَجَهُ فِيهَا طُولًا، وَبَلَغَتْ نِصْفَ سَاقَيْهِ، وَأَمَرَنَا فَجَمَعْنَا الحَرْمَلَ فَجَعَلْنَاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ، وَهُوَ فِي لَحْدِهِ ثُمَّ انْصَرَفَ، **فَمَا حَالٌ أَمُوتُ عَلَيْهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللهَ تَعَالَى عَلَى حَالِ الْمُزَنِي**». [المغازي للواقدي ١/ ٢٧٤-٢٧٧].

المرأة التي قاتلت يوم أُحد (أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية رضي الله عنها):

وعن جهاد أمِّ عمارة نسيبة بنت كعب رضي الله عنها نقل هذه المشاهد مما أورده الواقدي في المغازي حيث قال: «قَالُوا: وَكَانَتْ نُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ أُمُّ عُمَارَةَ، وَهِيَ امْرَأَةُ غَزِيَّةَ بْنِ عَمْرٍو، وَشَهِدَتْ أُحُدًا هِيَ وَزَوْجُهَا وَابْنَاهَا، وَخَرَجَتْ مَعَهَا شَنٌّ لَهَا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ تُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَ الجَرْحَى، فَقَاتَلَتْ يَوْمَئِذٍ وَأَبْلَتْ بَلاءً حَسَنًا، فَجُرِحَتْ اثْنَيْ عَشَرَ جُرْحًا بَيْنَ طَعْنَةٍ بِرُمْحٍ أَوْ ضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ.

فَكَانَتْ أُمُّ سَعْدٍ بِنْتُ سَعْدِ بْنِ رَبِيعٍ تَقُولُ: دَخَلْتُ عَلَيْهَا، فَقُلْتُ لَهَا: يَا خَالَةِ حَدِّثِينِي خَبَرَكِ، فَقَالَتْ: خَرَجْتُ أَوَّلَ النَّهَارِ إِلَى أُحُدٍ، وَأَنَا أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ، وَمَعِي سِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ وَالدَّوْلَةُ وَالرِّيحُ لِلْمُسْلِمِينَ، فَلَـمَّا انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ انْحَزْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَعَلْتُ أُبَاشِرُ القِتَالَ وَأَذُبُّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالسَّيْفِ وَأَرْمِي بِالقَوْسِ حَتَّى خَلَصَتْ إِلَيَّ الجِرَاحُ، فَرَأَيْتُ عَلَى عَاتِقِهَا جُرْحًا لَهُ غَوْرٌ أَجْوَفُ، فَقُلْتُ: **يَا أُمَّ عُمَارَةَ مَنْ أَصَابَكَ بِهَذَا؟** قَالَتْ: أَقْبَلَ ابْنُ قَمِيئَةَ وَقَدْ وَلَّى النَّاسُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَصِيحُ: **دُلُّونِي عَلَى مُحَمَّدٍ، فَلا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا**، فَاعْتَرَضَ لَهُ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ رضي الله عنه، وَأُنَاسٌ مَعَهُ، فَكُنْتُ فِيهِمْ، فَضَرَبَنِي هَذِهِ الضَّرْبَةَ، وَلَقَدْ ضَرَبْتُهُ عَلَى ذَلِكَ ضَرَبَاتٍ، وَلَكِنَّ عَدُوَّ اللهِ كَانَ عَلَيْهِ دِرْعَانِ.

قُلْتُ: **يَدَكِ، مَا أَصَابَهَا؟** قَالَتْ: **أُصِيبَتْ يَوْمَ اليَمَامَةِ لـمَّا جَعَلَتْ الأَعْرَابُ يَنْهَزِمُونَ بِالنَّاسِ، نَادَتْ الأَنْصَارُ: أَخْلِصُونَا، فَأُخْلِصَتْ الأَنْصَارُ، فَكُنْتُ مَعَهُمْ، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى حَدِيقَةِ المَوْتِ، فَاقْتَتَلْنَا عَلَيْهَا سَاعَةً حَتَّى قُتِلَ أَبُو دُجَانَةَ رضي الله عنه عَلَى بَابِ الحَدِيقَةِ، وَدَخَلْتُهَا وَأَنَا أُرِيدُ عَدُوَّ اللهِ مُسَيْلِمَةَ، فَيَعْتَرِضُ لِي رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَضَرَبَ يَدِي فَقَطَعَهَا، فَوَاللهِ مَا كَانَتْ لِي نَاهِيَةٌ وَلا عَرَّجْتُ عَلَيْهَا حَتَّى وَقَفْتُ عَلَى الخَبِيثِ مَقْتُولًا، وَابْنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ زَيْدٍ المَازِنِيُّ يَمْسَحُ سَيْفَهُ بِثِيَابِهِ، فَقُلْتُ: قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَسَجَدْتُ شُكْرًا للهِ.**

وَكَانَ ضَمْرَةُ بْنُ سَعِيدٍ يُحَدِّثُ، عَنْ جَدَّتِهِ، وَكَانَتْ قَدْ شَهِدَتْ أُحُدًا تَسْقِي الـمَاءَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِي ﷺ يَقُولُ: «**لـمُقَامُ نُسَيْبَةَ بِنْتِ كَعْبٍ اليَوْمَ خَيْرٌ مِنْ مُقَامِ فُلانٍ وَفُلانٍ**»، وَكَانَ يَرَاهَا تُقَاتِلُ يَوْمَئِذٍ أَشَدَّ القِتَالِ، وَإِنَّهَا لَحَاجِزَةٌ ثَوْبَهَا عَلَى وَسَطِهَا، حَتَّى جُرِحَتْ ثَلاثَةَ عَشَرَ جُرْحًا.

فَلـمَّا حَضَرَتْهَا الوَفَاةُ كُنْت فِيمَنْ غَسَّلَهَا، فَعَدَّدْتُ جِرَاحَهَا جُرْحًا جُرْحًا فَوَجَدْتُهَا ثَلاثَةَ عَشَرَ جُرْحًا، وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنِّي لأَنْظُرُ إِلَى ابْنِ قَمِيئَةَ وَهُوَ يَضْرِبُهَا عَلَى عَاتِقِهَا ـ وَكَانَ أَعْظَمَ جِرَاحِهَا، لَقَدْ دَاوَتْهُ سَنَةً ـ ثُمَّ نَادَى مُنَادِي النَّبِيِّ ﷺ إِلَى حَمْرَاءِ الأَسَدِ! فَشَدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا، فَمَا اسْتَطَاعَتْ مِنْ نَزْفِ الدَّمِ، وَلَقَدْ مَكَثْنَا لَيْلَنَا نُكَمِّدُ الجِرَاحَ حَتَّى أَصْبَحْنَا، فَلـمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ الحَمْرَاءِ، مَا وَصَلَ إِلَى بَيْتِهِ حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيْهَا عَبْدَ اللهِ بْنَ كَعْبٍ المَازِنِيَّ يَسْأَلُ عَنْهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ يُخْبِرُهُ بِسَلامَتِهَا، فَسُرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ.

حَدَّثَنَا عَبْدُ الجَبَّارِ بْنُ عُمَارَةَ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ غَزِيَّةَ، قَالَ: قَالَتْ أُمُّ عُمَارَةَ: قَدْ رَأَيْتنِي وَانْكَشَفَ النَّاسُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَمَا بَقِيَ إلا نُفَيْرٌ مَا يُتِمُّونَ عَشْرَةً وَأَنَا وَابْنَايَ وَزَوْجِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ نَذُبُّ عَنْهُ، وَالنَّاسُ يَمُرُّونَ بِهِ مُنْهَزِمِينَ، وَرَآنِي لا تُرْسَ مَعِي، فَرَأَى رَجُلًا مُوَلِّيًا مَعَهُ تُرْسٌ، فَقَالَ: «**يَا صَاحِبَ التُّرْسِ أَلْقِ تُرْسَكَ إِلَى مَنْ يُقَاتِلُ!**»، فَأَلْقَى تُرْسَهُ فَأَخَذْتُهُ، فَجَعَلْتُ أُتَرِّسُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنَّمَا فَعَلَ بِنَا الأَفَاعِيلَ أَصْحَابُ الخَيْلِ، لَوْ كَانَ رَجَّالَةً مِثْلَنَا أَصَبْنَاهُمْ، إنْ شَاءَ اللهُ! فَيُقْبِلُ رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ فَضَرَبَنِي، وَتَرَّسْتُ لَهُ فَلَمْ يَصْنَعْ سَيْفُهُ شَيْئًا وَوَلَّى، وَأَضْرِبُ عُرْقُوبَ فَرَسِهِ فَوَقَعَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَصِيحُ: «**يَا بْنَ أُمِّ عُمَارَةَ أُمَّكَ، أُمَّكَ**»، قَالَتْ: فَعَاوَنَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَوْرَدْتُهُ شَعُوب.

وَحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: جُرِحْتُ يَوْمَئِذٍ جُرْحًا فِي عَضُدِي اليُسْرَى، ضَرَبَنِي رَجُلٌ كَأَنَّهُ الرَّقْلُ (النخلة الطويلة) وَلَمْ يَعْرُجْ عَلَيَّ وَمَضَى عَنِّي، وَجَعَلَ الدَّمُ لا يَرْقَأُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اعْصِبْ جُرْحَكَ**»، فَتُقْبِلُ أُمِّي إِلَيَّ وَمَعَهَا عَصَائِبُ فِي حَقْوَيْهَا قَدْ أَعَدَّتْهَا لِلجِرَاحِ، فَرَبَطَتْ جُرْحِي وَالنَّبِيُّ ﷺ وَاقِفٌ يَنْظُرُ، ثُمَّ قَالَتْ: انْهَضْ يَا بُنَيَّ فَضَارِبْ القَوْمَ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**وَمَنْ يُطِيقُ مَا تُطِيقِينَ يَا أُمَّ عُمَارَةَ؟**»، قَالَتْ: وَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الذِي ضَرَبَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا ضَارِبُ ابْنِكِ**»، قَالَتْ: فَأَعْتَرِضُ لَهُ فَأَضْرِبُ سَاقَهُ، فَبَرَكَ فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَبَسَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**اسْتَقَدْتِ يَا أُمَّ عُمَارَةَ!**»، ثُمَّ أَقْبَلنَا إِلَيْهِ نَعْلُوهُ بِالسِّلاحِ حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَفَسِهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الحَمْدُ للهِ الذِي ظَفَّرَكِ وَأَقَرَّ عَيْنَكِ مِنْ عَدُوِّكِ، وَأَرَاكِ ثَأْرَكِ بِعَيْنِكِ**».

حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ ضَمْرَةَ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أُتِيَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه بِمُرُوطٍ فَكَانَ فِيهَا مِرْطٌ وَاسِعٌ جَيِّدٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ هَذَا المِرْطَ لَثَمَنُ كَذَا وَكَذَا، فَلَوْ أَرْسَلت بِهِ إِلَى زَوْجَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ صَفِيَّةَ بِنْتِ أَبِي عُبَيْدٍ ـ وَذَلِك حِدْثَانَ مَا دَخَلَتْ عَلَى ابْنِ عُمَرَ، فَقَالَ: أَبْعَثُ بِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَحَقُّ مِنْهَا، أُمِّ عُمَارَةَ نُسَيْبَةَ بِنْتِ كَعْبٍ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ يَقُولُ: «**مَا التَفَتُّ يَمِينًا وَلا شِمَالًا إلا وَأَنَا أَرَاهَا تُقَاتِلُ دُونِي**».

حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي زَيْدٍ، عَنْ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى، قَالَ: قِيلَ لأُمِّ عُمَارَةَ: هَلْ كُنَّ نِسَاءُ قُرَيْشٍ يَوْمَئِذٍ يُقَاتِلنَ مَعَ أَزْوَاجِهِنَّ؟ فَقَالَتْ: أَعُوذُ بِاللهِ مَا رَأَيْتُ امْرَأَةً مِنْهُنَّ رَمَتْ بِسَهْمٍ وَلا بِحَجَرٍ، وَلَكِنْ رَأَيْتُ مَعَهُنَّ الدِّفَافَ وَالأَكْبَارَ، يَضْرِبْنَ وَيُذَكِّرْنَ القَوْمَ قَتْلَى بَدْرٍ، وَمَعَهُنَّ مَكَاحِلُ وَمَرَاوِدُ، فَكُلَّمَا وَلَّى رَجُلٌ أَوْ تَكَعْكَعَ (أحجم وتأخر إلى الوراء) نَاوَلَتْهُ إِحْدَاهُنَّ مِرْوَدًا وَمُكْحُلَةً، وَيَقُلْنَ: إِنَّمَا أَنْتِ امْرَأَةٌ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُنَّ وَلَّيْنَ مُنْهَزِمَاتٍ مُشَمِّرَاتٍ ـ وَلَهَا عَنْهُنَّ الرِّجَالُ أَصْحَابُ الخَيْلِ وَنَجَوْا عَلَى مُتُونِ الخَيْلِ ـ يَتْبَعْنَ الرِّجَالَ عَلَى الأَقْدَامِ فَجَعَلْنَ يَسْقُطْنَ فِي الطَّرِيقِ.

وَلَقَدْ رَأَيْتُ هِنْدَ بِنْتَ عُتْبَةَ، وَكَانَتْ امْرَأَةً ثَقِيلَةً، وَلَهَا خَلْقٌ، قَاعِدَةً خَاشِيَةً مِنْ الخَيْلِ مَا بِهَا مَشْيٌ، وَمَعَهَا امْرَأَةٌ أُخْرَى، حَتَّى كَرَّ القَوْمُ عَلَيْنَا، فَأَصَابُوا مِنَّا مَا أَصَابُوا، فَعِنْدَ الله نَحْتَسِبُ مَا أَصَابَنَا يَوْمَئِذٍ مِنْ قِبَلِ الرُّمَاةِ، وَمَعْصِيَتِهِمْ لِرَسُولِ الله ﷺ.

حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ، عَنْ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الله، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الله بْنَ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ يَقُولُ: شَهِدْتُ أُحُدًا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، فَلَـمَّا تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ دَنَوْتُ مِنْهُ وَأُمِّي تَذُبُّ عَنْهُ، فَقَالَ: «**يَا بْنَ أُمِّ عُمَارَةَ**»، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**ارْمِ**»، فَرَمَيْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلًا مِنْ المُشْرِكِينَ بِحَجَرٍ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ فَأَصَبْتُ عَيْنَ الفَرَسِ، فَاضْطَرَبَ الفَرَسُ حَتَّى وَقَعَ هُوَ وَصَاحِبُهُ، وَجَعَلْتُ أَعْلُوهُ بِالحِجَارَةِ حَتَّى نَضَّدْتُ عَلَيْهِ مِنْهَا وِقْرًا، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَنْظُرُ وَيَتَبَسَّمُ، فَنَظَرَ إِلَى جُرْحٍ بِأُمِّي عَلَى عَاتِقِهَا، فَقَالَ: «**أُمَّكَ، أُمَّكَ! اعْصِبْ جُرْحَهَا، بَارَكَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ، مُقَامُ أُمِّكَ خَيْرٌ مِنْ مُقَامِ فُلانٍ وَفُلانٍ، وَمُقَامُ رَبِيبِكَ - يَعْنِي زَوْجَ أُمِّهِ - خَيْرٌ مِنْ مُقَامِ فُلانٍ وَفُلانٍ، وَمُقَامُكَ لَخَيْرٌ مِنْ مُقَامِ فُلانٍ وَفُلانٍ، رَحِمَكُمْ اللهُ أَهْلَ البَيْتِ!**»، قَالَتْ: **أُدْعُ اللهَ أَنْ نُرَافِقَكَ فِي الجَنَّةِ**، قَالَ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُمْ رُفَقَائِي فِي الجَنَّةِ**»، قَالَتْ: **مَا أُبَالِي مَا أَصَابَنِي مِنْ الدُّنْيَا**». [المغازي للواقدي ١/ ٢٦٨-٢٧٢، السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٨١-٨٢].

نساء المدينة يقمن بالإسعاف:

أما غير نسيبة المازنية من نساء المسلمين فلم يثبت أن واحدة منهن قد اشتركت في القتال يوم أُحد.

غير أن بعضًا من نساء المسلمين خرجن من المدينة بعد انسحاب المشركين إلى مكان المعركة فساهمن في إغاثة الجرحى وإسعافهم بالماء وغيره، ومن هؤلاء عائشة زوج النبي ﷺ، وابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنهما وغيرهما.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: لَـمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، وَأُمَّ سُلَيْمٍ، وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ، أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا تَنْقُزَانِ [(١)] القِرَبَ - وَقَالَ غَيْرُهُ: تَنْقُلَانِ القِرَبَ - عَلَى مُتُونِهِمَا، ثُمَّ تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلَآنِهَا، ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغَانِهَا فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ. [البخاري في الجهاد والسير (٢٨٨٠)، وفي مناقب الأنصار (٣٨١١)، وفي المغازي (٤٠٦٤)، ومسلم في الجهاد والسير (١٨١١)].

وقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: «رَأَيْتُ أُمَّ سُلَيْمٍ بِنْتَ مِلحَانَ وَعَائِشَةَ عَلَى ظُهُورِهِمَا القِرَبُ يَحْمِلانِهَا يَوْمَ أُحُدٍ، وَكَانَتْ حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ تَسْقِي العَطْشَى وَتُدَاوِي الجَرْحَى، وَكَانَتْ أُمُّ أَيْمَنَ تَسْقِي الجَرْحَى...». [المغازي للواقدي ١/ ٢٤٩].

(١) **تَنْقُزَانِ**: أي تحملان وتقفزان بها وثبًا. لسان العرب لابن منظور مادة «نقز». أي: تسرعان المشي كالهرولة - وعلى هذه الرواية: ضبط بعضهم (القِرَب) بالرفع على الابتداء - والجملة حالية. وبعضهم ضبطها بالنصب على نزع الخافظ. التقدير: تنقزان بالقرب .. **والمتن**: هو الظهر، وما يكتنف الصلب من يمين وشمال (الفتح ٦/ ٧٩) وينظر: مختار الصحاح (م.ت.ن). **والخدم**: واحدها: خدمة، وهي الخلخال. **والسوق**: جمع ساق (شرح النووي على مسلم ٧/ ٤٦٥).

وقَالَ ثَعْلَبَةُ بْنُ أَبِي مَالِكٍ ﷺ: إِنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ ﷺ قَسَمَ مُرُوطًا بَيْنَ نِسَاءٍ مِنْ نِسَاءِ المَدِينَةِ، فَبَقِيَ مِرْطٌ جَيِّدٌ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ عِنْدَهُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ! أَعْطِ هَذَا ابْنَةَ رَسُولِ الله ﷺ الَّتِي عِنْدَكَ، يُرِيدُونَ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عَلِيٍّ ﷺ، فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: أُمُّ سَلِيطٍ أَحَقُّ، وَأُمُّ سَلِيطٍ مِنْ نِسَاءِ الأَنْصَارِ مِمَّنْ بَايَعَ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ عُمَرُ ﷺ: فَإِنَّهَا كَانَتْ تَزْفِرُ (أي تحمل القرب مملوءة بالماء) لَنَا القِرَبَ يَوْمَ أُحُدٍ»، قَالَ أَبُو عَبْدِ الله (البخاري): تَزْفِرُ: تَخِيطُ. [البخاري في الجهاد والسير (٢٨٨١)، وفي المغازي (٤٠٧١)].

وعَنْ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ قَالَتْ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نَسْقِي القَوْمَ، وَنُدَاوِي الجَرْحَى، وَنَرُدُّ القَتْلَى إِلَى المَدِينَةِ.

وفي رواية: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَسْقِي القَوْمَ وَنَخْدُمُهُمْ، وَنَرُدُّ الجَرْحَى والقَتْلَى إِلَى المَدِينَةِ.

[البخاري في الجهاد والسير (٢٨٨٢، ٢٨٨٣)].

اسْتَقَادَ لَهَا سَعْدٌ:

وكذلك كان بعض نساء المسلمين يقمن بعملية الإسعاف ساعة احتدام المعركة، ومن هؤلاء أم أيمن ﷺ حاضنة رسول الله ﷺ.

قال الواقدي: «وَكَانَ مِمَّنْ وَلَّى فُلَانٌ، والحَارِثُ بنُ حَاطِبٍ، وَثَعْلَبَةُ بْنُ حَاطِبٍ، وَسَوَّادُ بْنُ غَزِيَّةَ، وَسَعْدُ بنُ عُثْمَانَ، وَعُقْبَةُ بنُ عُثْمَانَ، وَخَارِجَةُ بْنُ عَامِرٍ، بَلَغَ مَلَلَ[1]، وَأَوْسُ بْنُ قَيْظِيٍّ فِي نَفَرٍ مِنْ بَنِي حَارِثَة، بَلَغُوا الشَّقْرَةَ[2]، وَلَقِيَتْهُمْ أُمُّ أَيْمَنَ ﷺ تَحْثِي فِي وُجُوهِهِمْ التُّرَابَ، وَتَقُولُ لِبَعْضِهِمْ: **هَاكَ المِغْزَلُ فَاغْزِلْ بِهِ، وَهَلُمَّ سَيْفَكَ!** فَوَجَّهَتْ إِلَى أُحُدٍ مَعَ نُسَيَّاتٍ مَعَهَا». [المغازي للواقدي ١/ ٢٧٧- ٢٧٨].

وقال الواقدي: «وَرَمَى حِبَّانُ بْنُ الْعَرِقَةِ بِسَهْمٍ فَأَصَابَ ذَيْلَ أُمِّ أَيْمَنَ - وَجَاءَتْ يَوْمَئِذٍ تَسْقِي الْجَرْحَى - فَعَقَلَهَا (صرعها) وَانْكَشَفَ عَنْهَا، فَاسْتَغْرَبَ فِي الضَّحِكِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَدَفَعَ إِلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ سَهْمًا لَا نَصْلَ لَهُ فَقَالَ : «**ارْمِ!**»، فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي ثُغْرَةِ نَحْرِ حِبَّانَ، فَوَقَعَ مُسْتَلْقِيًا وَبَدَتْ عَوْرَتُهُ، قَالَ سَعْدٌ: فَرَأَيْت رَسُولَ الله ﷺ ضَحِكَ يَوْمَئِذٍ حَتّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ (أقصى الأضراس وهي أربعة)، ثُمَّ قَالَ: «**اسْتَقَادَ لَهَا سَعْدٌ، أَجَابَ اللهُ دَعْوَتَكَ وَسَدَّدَ رَمْيَتَك!**». [المغازي للواقدي ١/ ٢٤١].

---

(١) **ملل**: موضع في طريق مكة بين الحرمين، قال ابن السكيت: هو منزل على طريق المدينة إلى مكة عن ثمانية وعشرين ميلًا من المدينة. معجم البلدان ٨/ ١٥٣.

(٢) **الشقرة**: موضع بطريق فيد بين جبال حمر على نحو ثمانية عشر ميلًا من النخيل، وعلى يوم من بئر السائب، ويومين من المدينة . وفاء الوفا ٢/ ٣٣٠.

الولاء والبراء في أرض المعركة:

عَنْ أَيُّوبَ قَالَ: قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ لِأَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه: **قَدْ رَأَيْتُكَ يَوْمَ أُحُدٍ فَصَفَحْتُ عَنْكَ**، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: **لَكِنِّي لَوْ رَأَيْتُكَ لَمْ أَصْفَحْ عَنْكَ.**

[المستدرك على الصحيحين في معرفة الصحابة رضي الله عنهم ٣/ ٥٣٩ رقم ٦٠٠٥، وسكت عنه الحاكم والذهبي].

يستأذن النبي ﷺ في قتل أبيه:

وروى ابن شاهين بإسناد حسن إلى هشام بن عروة عن أبيه، قال: استأذن حنظلة بن أبي عامر وعبد الله بن عبد الله بن أُبي ابن سلول رضي الله عنهما رسولَ الله ﷺ في قتل أبويهما، فنهاهما عن ذلك.

[الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٢/ ١١٩].

الأب يركل جثة ابنه:

ومن عجائب الأمور أن أبا عامر الراهب مر بابنه الشهيد حنظلة رضي الله عنه وهو مُجندل بين الشهداء فركله برجله في تشف وقسوة، وكأنه ليس ابنه.

فقد قال ابن كثير: «وَقَدْ ذَكَرَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ: أَنَّ أَبَاهُ ضَرَبَ بِرِجْلِهِ فِي صَدْرِهِ، وَقَالَ: **ذَنْبَانِ أَصَبْتَهُمَا، وَلَقَدْ نَهَيْتُكَ عَنْ مَصْرَعِكَ هَذَا، وَلَقَدْ وَاللهِ كُنْتَ وُصُولًا لِلرَّحِمِ، بَرًّا بِالْوَالِدِ**».

[البداية والنهاية ط هجر ٥/ ٣٧٠].

وقال الواقدي: «فَلَمَّا قُتِلَ حَنْظَلَةُ مَرَّ عَلَيْهِ أَبُوهُ، وَهُوَ مَقْتُولٌ إِلَى جَنْبِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ جَحْشٍ، فَقَالَ: **إِنْ كُنْتُ لأُحَذِّرُكَ هَذَا الرَّجُلَ مِنْ قَبْلِ هَذَا الْمَصْرَعِ، وَاللهِ إِنْ كُنْتَ لَبَرًّا بِالوَالِدِ، شَرِيفَ الْخُلُقِ فِي حَيَاتِكَ، وَإِنَّ مَمَاتَكَ لَمَعَ سَرَاةِ أَصْحَابِكَ وَأَشْرَافِهِمْ، وَإِنْ جَزَى اللهُ هَذَا القَتِيلَ - لِحَمْزَةَ - خَيْرًا، أَوْ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، فَجَزَاكَ اللهُ خَيْرًا**، ثُمَّ نَادَى: **يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، حَنْظَلَةُ لا يُمَثَّلُ بِهِ، وَإِنْ كَانَ خَالَفَنِي وَخَالَفَكُمْ، فَلَمْ يَأْلُ لِنَفْسِهِ فِيمَا يَرَى خَيْرًا**، فَمُثِّلَ بِالنَّاسِ وَتُرِكَ فَلَمْ يُمَثَّلْ بِهِ». [المغازي للواقدي ١/ ٢٧٤].

علاج جراح النبي ﷺ:

عن عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَهْلِ بْنَ سَعْدٍ رضي الله عنهما: أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ جُرْحِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: «جُرِحَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ (السن التي بين الثنية والناب، والثنية إحدى السنين اللتين في مقدمة الفم)، وَهُشِمَتِ البَيْضَةُ (الخوذة) عَلَى رَأْسِهِ، فَكَانَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام [بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ]، تَغْسِلُ الدَّمَ وَعَلِيٌّ رضي الله عنه [وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه] يُمْسِكُ [يَسْكُبُ عَلَيْهَا بِالْمِجَنِّ]، فَلَمَّا رَأَتْ [فَاطِمَةُ رضي الله عنها] أَنَّ الدَّمَ لاَ يَزِيدُ إِلَّا كَثْرَةً [أَنَّ المَاءَ لَا يَزِيدُ الدَّمَ إِلَّا كَثْرَةً]، أَخَذَتْ حَصِيرًا [قِطْعَةَ حَصِيرٍ]

فَأَحْرَقْتُهُ حَتَّى صَارَ رَمَادًا، ثُمَّ أَلْزَقْتُهُ [أَلْصَقْتُهُ بِالْجُرْحِ]، فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ».

[البخاري في الجهاد والسير (٢٩١١)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٩٠)].

وَعَنْ أَبِي حَازِمٍ أَنَّهُ سَمِعَ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ ﷺ وَهُوَ يُسْأَلُ عَنْ جُرْحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَعْرِفُ مَنْ كَانَ يَغْسِلُ جُرْحَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَنْ كَانَ يَسْكُبُ المَاءَ، وَبِمَا دُووِيَ، قَالَ: كَانَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَغْسِلُهُ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ يَسْكُبُ المَاءَ بِالمِجَنِّ (الترس)، فَلَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام أَنَّ المَاءَ لَا يَزِيدُ الدَّمَ إِلَّا كَثْرَةً، أَخَذَتْ قِطْعَةً مِنْ حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهَا وَأَلْصَقَتْهَا فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَئِذٍ، وَجُرِحَ وَجْهُهُ، وَكُسِرَتْ البَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ. [البخاري في المغازي (٤٠٧٥)].

وعَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلٍ ﷺ قَالَ: لَـمَّا كُسِرَتْ بَيْضَةُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى رَأْسِهِ، وَأُدْمِيَ وَجْهُهُ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وَكَانَ عَلِيٌّ ﷺ يَخْتَلِفُ (يأتي به مرة بعد أخرى) بِالمَاءِ فِي المِجَنِّ، وَكَانَتْ فَاطِمَةُ ﷺ تَغْسِلُهُ، فَلَمَّا رَأَتِ الدَّمَ يَزِيدُ عَلَى المَاءِ كَثْرَةً، عَمَدَتْ إِلَى حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهَا وَأَلْصَقَتْهَا عَلَى جُرْحِهِ، فَرَقَأَ (سكن عن الجري وانقطع) الدَّمُ. [البخاري في الجهاد والسير (٢٩٠٣، ٣٠٣٧)، وفي الطب (٥٧٢٢)].

وعَنْ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: اخْتَلَفَ النَّاسُ بِأَيِّ شَيْءٍ دُووِيَ جُرْحُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، فَسَأَلُوا سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ ﷺ، وَكَانَ مِنْ آخِرِ مَنْ بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ بِالمَدِينَةِ، فَقَالَ: «وَمَا بَقِيَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، كَانَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام تَغْسِلُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَعَلِيٌّ ﷺ يَأْتِي بِالمَاءِ عَلَى تُرْسِهِ [يَجِيءُ بِتُرْسِهِ فِيهِ مَاءٌ]، فَأُخِذَ حَصِيرٌ فَحُرِّقَ [فَأُحْرِقَ]، فَحُشِيَ بِهِ جُرْحُهُ».

[البخاري في النكاح (٥٢٤٨)، وفي الوضوء (٢٤٣)].

فيمن خسف به من الكفار يوم أُحُد:

إن أحد المشركين أراد التطاول على هذا الإخلاص المتوهج في صدر محمَّد ﷺ وصحبه ﷺ، أراد أن يحمل أصنامه إلى رحاب الله، فكيف كانت العاقبة؟

عَنْ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ: **اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ عَلَى الحَقِّ فَاخْسِفْ بِيَ الأَرْضَ،** قَالَ: فَخُسِفَ بِهِ. [مجمع الزوائد ٦/ ١٧٨ كتاب المغازي والسير (١٠١١٥)، وقال الهيثمي: رواه البزار [مسند البزار ١٠/ ٣٠٠ رقم ٤٤١٦]، ورجاله رجال الصحيح. وقال الشيخ الصوياني: سنده حسن. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص ٢٨٢].

«ورأى المشركون المعجزة بأعينهم، فالتهمت بقية معنوياتهم كما التهمت الأرض ذلك المتطاول، فولوا مدبرين إلى مكة على عجل خشية أن يهب المؤمنون مرة أخرى، فيخطفوا بقايا الفرح التي التقطوها من أرض أُحد». [السيرة النبوية للصوياني ٢/ ٢٣٨].

المبحث الخامس
الانسحاب المنظم وانتهاء المعركة

الانسحاب المنظم:

«ضاعف المشركون من حملاتهم على مقر النبي ﷺ بعد أن عرفوا مكانه بعد الانتكاسة، وتلاحقت هجماتهم عليه بغية التخلص منه، وقد كان خليقًا بالمشركين أن يسحقوا المسلمين سحقًا كليًّا عند انتقاض صفوفهم وانفراط عقد نظامهم، وأن يقضوا على القائد الأعلى النبي ﷺ ساعة انفراده بعد انهزام الناس عنه.

ولكن ثبات الرسول ﷺ واستبسال القلة من خلصاء أصحابه الذين استماتوا في الدفاع عنه ساعة اضطراب صفوف المسلمين بعد غلطة الرماة، كان له أكبر الأثر في إحباط الهجمات التي قام بها المشركون بغية الفتك بالذات النبوية، كما كان له أكبر الأثر في إعادة تنظيم المسلمين الذين ما كادوا يسمعون بسلامة قائدهم الأعلى النبي ﷺ ويعرفون مقره حتى سارعوا إلى التكتل حوله من جديد مما فوت على المشركين أثمن فرصة كانت قد سنحت لهم». [غزوة أُحد لباشميل ١٥٨-١٥٩].

الرسول ﷺ يَشْرع في الانسحاب نحو الجبل:

«لقد كان هدف الرسول ﷺ هذه المرة، وبعد أن تجمع الكثير من جنده حوله، الارتداد بجيشه إلى مواقع حصينة في جبل أُحد؛ لتجنيبهم خطر التطويق والإبادة من جديد.

لاسيما أن بقاءهم في المكان الذي دارت فيه المعركة يعرضهم لذلك، فهم وإن أبدوا بطولة نادرة في الاحتفاظ بمواقعهم حول نبيهم ﷺ، وحمايته من هجمات المشركين السريعة الخاطفة، إلا أنهم مهددون مع نبيهم بالتطويق من جديد، وخاصة إذا تجمعت حولهم كل القوى القرشية التي كان الكثير منها لم ينضم إلى القوة التي كانت تهاجم الرسول ﷺ، والذين تجمعوا حوله.

وهذا هو الذي جعل الرسول ﷺ يسارع بالانسحاب نحو الجبل بعد أن تجمع حوله من أصحابه قوة كانت كافية لحماية النبي ﷺ، ومن معه أثناء هذا الانسحاب». [غزوة أُحد لباشميل ١٥٩].

نجاح الانسحاب وأثر إشاعة مقتل النبي ﷺ على المشركين:

«ومما ساعد في تسهيل انسحاب المسلمين إلى مواقع حصينة في الجبل دونما خسارة تُذكر هو أن كثيرًا من المشركين صدَّقوا نبأ مصرع النبي ﷺ الذي أعلنه ابن قمئة الذي قَتل مصعب بن عمير رضي الله عنه فظنه الرسول ﷺ، فنادى: لقد قتلت محمدًا.

فكثير من هؤلاء المشركين ـ ومنهم القائد العام أبو سفيان ـ ظنوا أن محمدًا ﷺ قد قُتل؛ ولذلك كف الكثير منهم عن القتال ظنًّا منهم أن هزيمة المسلمين كانت ساحقة لا قومة لهم بعدها، فأخلد الكثير منهم إلى الراحة وانشغل بالتمثيل بقتلى المسلمين.

قال العصامي: واشتغل المشركون بقتلى المسلمين يمثلون بهم، ويقطعون الآذان والأنوف والفروج ويبقرون البطون، وهم يظنون أنهم أصابوا رسول الله ﷺ. [**سمط النجوم العوالي ٢/ ٨٧**].

ولقد اغتنم الرسول ﷺ فرصة تصديق بعض المشركين إشاعة مقتله فسارع بالارتداد نحو الجبل بمن معه من الصحابة الذين سارعوا إلى التجمع حوله.

وقد كان ﷺ حريصًا على أن لا يعرف المشركون مكانه حينذاك، ولا أدل على ذلك من أن كعب بن مالك رضي الله عنه لما عرفه بعد إشاعة مقتله صاح بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله، فأشار إليه ﷺ بأن يسكت؛ لئلا يزداد عدد الذين يعرفون مكانه من المشركين.

وبالرغم من أن المشركين سمعوا صيحة كعب بن مالك رضي الله عنه فإن أكثرهم لم يصدقها ظنًّا منهم أنها صيحة إنما أُريد بها شد عزائم المسلمين الذين ألقى البعض منهم سلاحه لإشاعة مقتل النبي ﷺ».
[**غزوة أُحد لباشميل ١٥٩-١٦٠**].

انسحاب المسلمين ليس انسحاب المنهزم:

«واصل الرسول ﷺ انسحابه عبر الشِّعْبِ نحو الجبل تحت حماية قوة منظمة من خلصاء أصحابه، وكان هذا الانسحاب ليس بانسحاب المنهزم الذي لا يلوي على شيء ولا يقاتل ساعة الانسحاب.

بل كان انسحاب الرسول ﷺ هذا انسحابًا منظمًا جرى في حالة استعداد وتعبئة وانتظام من الذين قاموا به وأشرفوا على تنفيذه.

فقد ظل الذين قاموا بهذا الانسحاب المنظم، وعلى رأسهم الرسول القائد ﷺ، يقاتلون بثبات وقوة أثناء قيامهم بهذا الانسحاب حتى وصلوا إلى المكان الذي حدده القائد الأعلى الرسول ﷺ من الجبل للاعتصام به والتحصن فيه». [**غزوة أُحد لباشميل ١٦٠**].

ضراوة القتال أثناء الانسحاب:

«ولقد اشتد المشركون في مطاردتهم وضاعفوا من هجومهم بغية الفتك بالرسول القائد ﷺ منذ ما شرع في الارتداد بجيشه نحو الجبل.

فكرَّ أحد فرسان المشركين، وهو عثمان بن عبد الله بن المغيرة، وأركض فرسه نحو رسول الله ﷺ قاصدًا الفتك به، وهو يقول: لا نجوتُ إن نجا، يعني النبي ﷺ.

فوقف الرسول ﷺ واستعد لمواجهته، ولكن الفرس أثناء ركضها عثرت به في بعض الحفر، فسارع إليه أحد حرس الرسول الأقوياء، وهو الحارث بن الصمة ﷺ، لمنازلته، وبعد مصادمة طويلة جرت بينهما بالسيف ضربه الحارث على رجله فأقعده ثم ذفف عليه وأخذ سلاحه، ثم التحق بالرسول ﷺ، فقال النبي ﷺ: **الحمد لله الذي أحانه** (أي أهلكه). [إمتاع الأسماع ١/ ١٥٦].

ثم تزايد هجوم المشركين لعرقلة انسحاب المسلمين وتَسَابَق فرسان مكة لقتل النبي ﷺ وهو لما يزل في بطن الشِّعْبِ، وانقض أحد فرسان مكة، وهو عبيد الله بن جابر العامري، على الحارث بن الصمة ﷺ فضربه بالسيف على عاتقه وأصابه بجرح بليغ مما أجبر المسلمين على إسعافه وحمله.

ولكن أبا دجانة ﷺ البطل المشهور عطف على الفارس القرشي عبيد الله العامري وضربه بسيفه ضربة أطارت رأسه وأراح المسلمين من شره». [غزوة أُحد لباشميل١٦١].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنْ الأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَـمَّا رَهِقُوهُ قَالَ: «**مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الجَنَّةِ؟**»، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا فَقَالَ: «**مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الجَنَّةِ؟**»، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَل كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِصَاحِبَيْهِ: «**مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا**». [مسلم في الجهاد والسير (١٧٨٩)].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: «مَا بَقِيَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ إِلَّا أَرْبَعَةٌ، أَحَدُهُمْ: عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ، قُلْتُ لِأَبِي: فَأَيْنَ كَانَ عَلِيٌّ؟ قَالَ: بِيَدِهِ لِوَاءُ المُهَاجِرِينَ». [**مجمع الزوائد ٦/ ١٦٣ رقم ١٠٠٨١، وقال الهيثمي: رواه البزار [كشف الأستار عن زوائد البزار ٢/ ٣٢٤ رقم ١٧٩٠]، والطبراني [المعجم الكبير ٩/ ٩٥ رقم ٨٥١٥، والمعجم الأوسط ٨/ ٩٦ رقم ٨٠٧٩]، وفيه يحي بن عبد الحميد الحماني، وهو ضعيف**].

الشقي الذي قتله الرسول ﷺ بيده:

ثم أقبل الشقي أُبيُّ بن خلف الجمحي يركض فرسه في غطرسة جاهلية نحو الرسول ﷺ يريد الفتك به وهو يقول: **أين محمد؟ لا نجوتُ إن نجا**، فوقف له النبي ﷺ ثم أرداه قتيلًا بحربة قذفه بها قبل أن يقترب منه، فكان أُبي، الشقي هذا، الإنسان الوحيد الذي قتله الرسول ﷺ بيده الكريمة.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَقْبَلَ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ يَوْمَ أُحُدٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يُرِيدُهُ، فَاعْتَرَضَ رِجَالٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، وَرَأَى رَسُولُ الله ﷺ تُرْقُوَةَ أُبَيٍّ (أعلى الصدر، عظمة مشرفة بين ثغرة النحر والعاتق وهما ترقوتان) مِنْ فُرْجَةٍ بَيْنَ سَابِغَةِ الدِّرْعِ (درع سابغة: تامة طويلة) وَالْبَيْضَةِ (الخوذة)، فَطَعَنَهُ بِحَرْبَتِهِ، فَسَقَطَ أُبَيٌّ عَنْ

فَرَسِهِ، وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ طَعْنَتِهِ دَمٌ، فَكَسَرَ ضِلَعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ، فَأَتَاهُ أَصْحَابُهُ وَهُوَ يَخُورُ خُوَارَ الثَّوْرِ، فَقَالُوا لَهُ: **مَا أَعْجَزَكَ إِنَّمَا هُوَ خَدْشٌ**، فَذَكَرَ لَهُمْ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**بَلْ أَنَا أَقْتُلُ أُبَيًّا**»، ثُمَّ قَالَ: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ هَذَا الَّذِي بِي بِأَهْلِ ذِي الْمَجَازِ لَمَاتُوا أَجْمَعِينَ**، فَمَاتَ أُبَيٌّ إِلَى النَّارِ، فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ قَبْلَ أَنْ يَقْدَمَ مَكَّةَ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] الْآيَةُ. [المستدرك ٢/ ٣٥٧ في التفسير رقم ٣٢٦٣، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي].

وعَنْ عُمَارَةَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: شُجَّ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وَذُلِقَ مِنَ الْعَطَشِ حَتَّى جَعَلَ يَقَعُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَتَرَكَهُ أَصْحَابُهُ، فَجَاءَ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ يَطْلُبُهُ بِدَمِ أَخِيهِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، فَقَالَ: **أَيْنَ هَذَا الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَلْيَبْرُزْ لِي، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ نَبِيًّا قَتَلَنِي**، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَعْطُونِي الْحَرْبَةَ**»، فَقَالُوا: **يَا رَسُولَ اللهِ، وَبِكَ حَرَاكٌ؟** فَقَالَ: «**إِنِّي قَدِ اسْتَسْقَيْتُ اللهَ دَمَهُ**»، فَأَخَذَ الْحَرْبَةَ ثُمَّ مَشَى إِلَيْهِ فَطَعَنَهُ فَصُرِعَ [فَصَرَعَهُ] عَنْ دَابَّتِهِ، وَحَمَلَهُ أَصْحَابُهُ فَاسْتَنْقَذُوهُ [فَاسْتَفْرَدُوهُ]، فَقَالُوا لَهُ: **مَا نَرَى بِكَ بَأْسًا**، قَالَ: «**إِنَّهُ قَدِ اسْتَسْعَى اسْتَسْقَى اللهَ دَمِي، إِنِّي لَأَجِدُ لَـهَا مَا لَوْ كَانَتْ عَلَى رَبِيعَةَ وَمُضَرَ لَوَسِعَتْهُمْ**». [المصنف لابن أبي شيبة ٢٠/ ٣٦٢ رقم ٣٧٩٣٩، ١٠/ ٣٢٠ رقم ١٩٨١٩، وقال الشيخ الصوياني: سنده صحيح، وهذا السند: مرسل، لكن ابن أبي شيبة قال بعده مباشرة: حدثنا عفان، قال حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن الزبير: مثله، وهذا السند صحيح، فعفان ثقة ثبت إذا شك في حرف من الحديث تركه، وشيخه ثقة عابد من رجال مسلم ١/ ١٩٧، وبقية السند لا يسأل عنها. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص ٢٨١].

وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا أُسْنِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الشِّعْبِ أَدْرَكَهُ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ وَهُوَ يَقُولُ: **أَيْنَ مُحَمَّدٌ؟ لَا نَجَوْتُ إِنْ نَجَوْتَ**، فَقَالَ الْقَوْمُ (أي: الحرس المحيطون بالرسول ﷺ): **يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَعْطِفُ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَّا؟** فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: «**دَعُوهُ**»، فَلَـمَّا دَنَا، تَنَاوَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْحَرْبَةَ مِنْ الْحَارِثِ بْنِ الصِّمَّةِ رضي الله عنه، يَقُولُ بَعْضُ الْقَوْمِ فِيمَا ذُكِرَ لِي: فَلَمَّا أَخَذَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهُ انْتَفَضَ بِهَا انْتِفَاضَةً تَطَايَرْنَا عَنْهُ تَطَايُرَ الشَّعْرَاءِ عَنْ ظَهْرِ الْبَعِيرِ إِذَا انْتَفَضَ بِهَا ـ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الشَّعْرَاءُ ذُبَابٌ لَهُ لَدْغٌ ـ ثُمَّ اسْتَقْبَلَهُ فَطَعَنَهُ فِي عُنُقِهِ طَعْنَةً تَدَأْدَأَ مِنْهَا عَنْ فَرَسِهِ مِرَارًا.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: تَدَأْدَأَ، يَقُولُ: تَقَلَّبَ عَنْ فَرَسِهِ فَجَعَلَ يَتَدَحْرَجُ.

[السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٨٤، وقال الشيخ الصوياني: سنده صحيح إلى قوله: «فلما أخذها»، رواه: من طريقه أبو نعيم (٤٨٢)، وهذا السند: صحيح، الزهري إمام طبقته وشيخه ثقة من رجال الشيخين وله رؤية ١/ ٤٢٢، أما قوله: «فلما أخذها رسول الله ﷺ ـ أي الحربة ـ انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشُّعْر عن ظهر البعير إذا انتفض»، فضعيف لأنه دون سند، بل هو من كلام ابن إسحاق. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص ٢٨٣].

وقال الواقدي: «حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: لَـمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أَقْبَلَ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ يَرْكُضُ فَرَسُهُ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ النَّبِيِّ ﷺ اعْتَرَضَ لَهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ لِيَقْتُلُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اسْتَأْخِرُوا عَنْهُ**»، فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ وَحَرْبَتُهُ فِي يَدِهِ، فَرَمَاهُ مَا بَيْنَ سَابِغَةِ الْبَيْضَةِ وَالدِّرْعِ فَطَعَنَهُ هُنَاكَ، فَوَقَعَ أُبَيُّ عَنْ فَرَسِهِ فَكُسِرَ ضِلَعٌ مِنْ أَضْلاعِهِ، وَاحْتَمَلُوهُ ثَقِيلًا حَتَّى وَلَّوْا قَافِلِينَ، فَمَاتَ بِالطَّرِيقِ وَنَزَلَتْ فِيهِ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[الأنفال: ١٧].

فَحَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الظَّفَرِيُّ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ قَدِمَ فِي فِدَاءِ ابْنِهِ وَكَانَ أُسِرَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ عِنْدِي فَرَسًا لِي أُجِلُّهَا فَرَقًا (مكيال يسع ستة عشر منًّا، وقيل اثني عشر منًّا) مِنْ ذُرَةٍ كُلَّ يَوْمٍ أَقْتُلُكَ عَلَيْهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ عَلَيْهَا إِنْ شَاءَ اللهُ**»، وَيُقَالُ: قَالَ ذَلِكَ بِمَكَّةَ، فَبَلَغَ رَسُولَ الله ﷺ كَلِمَتَهُ بِالْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «**أَنَا أَقْتُلُهُ عَلَيْهَا إِنْ شَاءَ اللهُ**».

قَالُوا: وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ فِي الْقِتَالِ لا يَلْتَفِتُ وَرَاءَهُ فَكَانَ يَقُولُ لأَصْحَابِهِ: «**إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَأْتِيَ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ مِنْ خَلْفِي، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَآذِنُونِي بِهِ**».

فَإِذَا بِأُبَيٍّ يَرْكُضُ عَلَى فَرَسِهِ، وَقَدْ رَأَى رَسُولَ الله ﷺ فَعَرَفَهُ فَجَعَلَ يَصِيحُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: **يَا مُحَمَّدُ لا نَجَوْتُ إِنْ نَجَوْتَ**، فَقَالَ الْقَوْمُ: **يَا رَسُولَ الله، مَا كُنْتَ صَانِعًا حِينَ يَغْشَاكَ فَقَدْ جَاءَكَ، وَإِنْ شِئْتَ عَطَفَ عَلَيْهِ بَعْضُنَا**، فَأَبَى رَسُولُ الله ﷺ وَدَنَا أُبَيٌّ، فَتَنَاوَلَ رَسُولُ الله ﷺ الْحَرْبَةَ مِنْ الْحَارِثِ بْنِ الصُّمَّةِ ﷺ، ثُمَّ انْتَفَضَ بِأَصْحَابِهِ كَمَا يَنْتَفِضُ الْبَعِيرُ فَتَطَايَرْنَا عَنْهُ تَطَايُرَ الشَّعَارِيرِ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يُشْبِهُ رَسُولَ الله ﷺ إِذَا جَدَّ الْجِدُّ.

ثُمَّ أَخَذَ الْحَرْبَةَ، فَطَعَنَهُ رَسُولُ الله ﷺ، بِالْحَرْبَةِ فِي عُنُقِهِ وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ فَجَعَلَ يَخُورُ كَمَا يَخُورُ الثَّوْرُ، وَيَقُولُ لَهُ أَصْحَابُهُ: **أَبَا عَامِرٍ، وَالله مَا بِكَ بَأْسٌ، وَلَوْ كَانَ هَذَا الذِي بِكَ بِعَيْنِ أَحَدِنَا مَا ضَرَّهُ**.

قَالَ: **وَاللاتِ وَالعُزَّى، لَوْ كَانَ الذِي بِي بِأَهْلِ ذِي الْمَجَازِ لَمَاتُوا أَجْمَعُونَ، أَلَيْسَ قَالَ: لأَقْتُلَنَّكَ؟** فَاحْتَمَلُوهُ، وَشَغَلَهُمْ ذَلِكَ عَنْ طَلَبِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَحِقَ رَسُولُ الله ﷺ بِعَظْمِ أَصْحَابِهِ فِي الشِّعْبِ.

وَيُقَالُ: تَنَاوَلَ الْحَرْبَةَ مِنْ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ﷺ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: مَاتَ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ بِبَطْنِ رَابِغٍ، فَإِنِّي لأَسِيرُ بِبَطْنِ رَابِغٍ بَعْدَ هَوِيٍّ مِنْ اللَّيْلِ إِذَا نَارٌ تَأَجَّجُ فَهِبْتُهَا، وَإِذَا رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْهَا فِي سِلْسِلَةٍ يَجْتَذِبُهَا يَصِيحُ: الْعَطَشَ، وَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ: لا تَسْقِهِ فَإِنَّ هَذَا قَتِيلُ رَسُولِ الله ﷺ، هَذَا أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ، فَقُلْتُ: أَلا سُحْقًا، وَيُقَالُ: مَاتَ بِسَرِفٍ (موضع على ستة أميال من مكة، من طريق مرو).

وَيُقَالُ: لَـمَّا تَنَاوَلَ الحَرْبَةَ مِنْ الزُّبَيْرِ ﷺ حَمَلَ أُبَيٌّ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ لِيَضْرِبَهُ فَاسْتَقْبَلَهُ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ﷺ يَحُولُ بِنَفْسِهِ دُونَ رَسُولِ الله ﷺ، فَضَرَبَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ﷺ وَجْهَهُ، وَأَبْصَرَ رَسُولُ الله ﷺ فُرْجَةً بَيْنَ سَابِغَةِ البَيْضَةِ وَالدِّرْعِ فَطَعَنَهُ هُنَاكَ فَوَقَعَ وَهُوَ يَخُورُ». [المغازي للواقدي ١/ ٢٥١-٢٥٢].

وكان أُبِّي بن خلف الشقي هذا شديد العداوة لرسول الله ﷺ، وكان يؤذيه بمكة قبل الهجرة ويهدده بالقتل.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَكَانَ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ يَلْقَى رَسُولَ الله ﷺ بِمَكَّةَ فَيَقُولُ: **يَا مُحَمَّدُ، إنَّ عِنْدِي العَوْذَ فَرَسًا أَعْلِفُهُ كُلَّ يَوْمٍ فَرَقًا مِنْ ذُرَةٍ أَقْتُلُكَ عَلَيْهِ**، فَيَقُولُ رَسُولُ الله ﷺ: «**بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ إنْ شَاءَ الله**».

فَلَـمَّا رَجَعَ إلَى قُرَيْشٍ وَقَدْ خَدَشَهُ فِي عُنُقِهِ خَدْشًا غَيْرَ كَبِيرٍ، فَاحْتَقَنَ الدَّمُ، قَالَ: **قَتَلَنِي وَالله مُحَمَّدٌ**، قَالُوا لَهُ: **ذَهَبَ وَالله فُؤَادُكَ، وَالله إنْ بِكَ مِنْ بَأْسٍ** (أي ما بك من بأس)، قَالَ: **إنَّهُ قَدْ كَانَ قَالَ لِي بِمَكَّةَ: أَنَا أَقْتُلُكَ، فَوَالله لَوْ بَصَقَ عَلَيَّ لَقَتَلَنِي**. فَمَاتَ عَدُوُّ الله بِسَرِفَ وَهُمْ قَافِلُونَ بِهِ إلَى مَكَّةَ.

[السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٨٤].

مصرع عثمان بن عبد الله المخزومي:

«وَأَقْبَلَ عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ الْمُغِيرَةِ المَخْزُومِيُّ يُحْضِرُ فَرَسًا لَهُ أَبْلَقَ يُرِيدُ رَسُولَ الله ﷺ وَعَلَيْهِ لأْمَةٌ لَهُ كَامِلَةٌ وَرَسُولُ الله ﷺ مُوَجِّهٌ إلَى الشِّعْبِ، وَهُوَ يَصِيحُ: **لا نَجَوْتُ إنْ نَجَوْتَ**، فَيَقِفُ رَسُولُ الله ﷺ، وَيَعْثُرُ بِهِ فَرَسُهُ فِي بَعْضِ تِلْكَ الحُفَرِ التِي كَانَتْ حَفَرَ أَبُو عَامِرٍ فَيَقَعُ الفَرَسُ لِوَجْهِهِ، وَخَرَجَ الفَرَسُ عَائِرًا، فَيَأْخُذُهُ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ فَيَعْقِرُونَهُ، وَيَمْشِي إلَيْهِ الحَارِثُ بْنُ الصُّمَّةِ ﷺ فَتَضَارَبَا سَاعَةً بِسَيْفَيْنِ ثُمَّ يَضْرِبُ الحَارِثُ رِجْلَهُ - وَكَانَتْ الدِّرْعُ مُشَمَّرَةً - فَبَرَكَ وَذَفَّفَ عَلَيْهِ.

وَأَخَذَ الحَارِثُ يَوْمَئِذٍ دِرْعًا جَيِّدَةً وَمِغْفَرًا وَسَيْفًا جَيِّدًا، وَلَمْ يُسْمَعْ بِأَحَدٍ سَلَبَ يَوْمَئِذٍ غَيْرُهُ، وَرَسُولُ الله ﷺ يَنْظُرُ إلَى قِتَالِهِمَا، وَسَأَلَ رَسُولُ الله ﷺ عَنْ الرَّجُلِ فَإِذَا عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ: «**الحَمْدُ لله الذِي أَحَانَهُ**».

وَكَانَ عَبْدُ الله بْنِ جَحْشٍ ﷺ أَسَرَهُ بِبَطْنِ نَخْلَةَ حَتَّى قَدِمَ بِهِ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فَافْتَدَى فَرَجَعَ إلَى قُرَيْشٍ حَتَّى غَزَا أُحُدًا فَقُتِلَ بِهِ.

وَيَرَى مَصْرَعَهُ عُبَيْدُ بْنُ حَاجِزٍ العَامِرِيُّ - عَامِرُ بْنُ لُؤَيٍّ - فَأَقْبَلَ يَعْدُو كَأَنَّهُ سَبُعٌ فَيَضْرِبُ الحَارِثَ بْنَ الصُّمَّةَ ﷺ ضَرْبَةً جَرَحَهُ عَلَى عَاتِقِهِ، فَوَقَعَ الحَارِثُ جَرِيحًا حَتَّى احْتَمَلَهُ أَصْحَابُهُ، وَيُقْبِلُ أَبُو دُجَانَةَ عَلَى عُبَيْدٍ فَتَنَاوَشَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَتَّقِي بِالدَّرَقَةِ ضَرْبَ السَّيْفِ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِ أَبُو دُجَانَةَ فَاحْتَضَنَهُ، ثُمَّ جَلَدَ بِهِ الأَرْضَ، ثُمَّ ذَبَحَهُ بِالسَّيْفِ كَمَا تُذْبَحُ الشَّاةُ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَلَحِقَ بِرَسُولِ الله ﷺ».

[المغازي للواقدي١/ ٢٥٢-٢٥٣].

اعتصام المسلمين بالجبل:

«وهكذا نجح المسلمون في انسحابهم المنظم، وقطعوا الشِّعْب نحو هضاب جبل أُحد بعد اشتباكات متعددة تغلبوا فيها على خيالة المشركين الذين قاموا بمحاولات يائسة لإعاقة هذا الانسحاب وقَتْل الرسول ﷺ، ثم وصل المسلمون إلى هضبة عالية من هضاب جبل أُحد، وجعلوا منها خط دفاع حصين تحدوا منه كل المحاولات التي قام بها المشركون لسحقهم أو تشتيتهم من جديد.

والفضل في نجاح هذا الانسحاب الذي به نجا من خطر الإبادة تسعون في المائة من قوات المسلمين الذين بعثرتهم النكسة التي تسبب فيها تمرد الرماة على قائدهم في الجبل.. الفضل يعود في نجاح هذا الانسحاب في الدرجة الأولى إلى الموقع الذي اختاره الرسول القائد العظيم ﷺ معسكرًا لجيشه ومقرًّا لقيادته قبل المعركة، وهو فم الشِّعْب من أُحد الذي تكتنفه من الخلف هضاب هذا الجبل التي أصبحت بعد النكسة حصونًا منيعة اعتصم بها المسلمون وصدوا منها كل الهجمات اليائسة التي قام بها المشركون».

[غزوة أُحد لباشميل ١٦٣].

كاد المسلمون يقتلون النبي ﷺ:

«ويدل سير حوادث المعركة على أن بعض المسلمين الذين لم يعلموا بنجاة الرسول ﷺ من القَتْل، قد سبقوا النبي ﷺ إلى الهضبة التي قرر الاعتصام بها عندما انسحب من الميدان، وهم لا يعرفون مصيره بعد النكسة التي انعزل لها المسلمون بعضهم عن بعض.

وفي تلك الظروف العصيبة حاول أحد هؤلاء المسلمين الذين اعتصموا بالجبل قبل وصول النبي ﷺ إليه.. حاول قتل النبي ﷺ وهو في مقدمة أصحابه صاعدًا نحو الجبل، ظنًّا منه أن الرسول ﷺ والصاعدين معه في الجبل، هم من الأعداء الذين جاؤوا لمطاردة المسلمين».

[غزوة أُحد لباشميل ١٦٤-١٦٥].

كاد يكون أشأم سهم في الدنيا:

«فقد وضع هذا الرجل المسلم سهمًا في قوسه وصوَّبه نحو الرسول ﷺ لإطلاقه عليه، وكاد السهم ينطلق إلى صدر الذات المحمدية الشريفة، لولا أن الرسول ﷺ لحظ ذلك، فصاح وقد عرف أن المتهيئ للرمي من المسلمين: أنا رسول الله.

فنزع الرجل السهم من قوسه وفرح ومن معه في الصخرة بالرسول ﷺ ووصوله إليهم سالمًا، ويعلم الله كيف كانت حال هذا الرجل المسلم الذي كاد يقتل بسهمه سيد الأولين والآخرين؟

لا شك أن أسعد لحظة في حياته، هي تلك اللحظة التي نزع فيها سهمه من وتر القوس الذي كاد يكون أشأم قوس في الدنيا لو انطلق السهم منه نحو سيد البشر ﷺ.

وواصل الرسول ﷺ صعوده في الجبل حتى وصل إلى المكان الذي قرر التمركز فيه والاعتصام بـه، وهو مكان حصين يشبه الصخرة العظيمة في الناحية الشرقية من الشِّعْب». [غزوة أُحد لباشميل ١٦٥].

تأثير الجراح على قوة الرسول ﷺ:

«ويظهر أن الجراحة التي أُصيب بها النبي ﷺ أثناء صراعه مع المشركين بعد النكسة، قد أثرت عليه، وأن هذه الجراح قد سببت له ضعفًا في قوته الجسيمة.

ودليل ذلك أنه عندما أراد ارتقاء الصخرة لم يستطع إلا بعد أن جلس تحته طلحة بن عبيد الله ﵁، الذي نهض به حتى استوى عليها.

عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ ﵁ قَالَ: كَانَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ دِرْعَانِ يَوْمَ أُحُدٍ، فَنَهَضَ إِلَى الصَّخْرَةِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَأَقْعَدَ طَلحَةَ ﵁ تَحْتَهُ، فَصَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ حَتَّى اسْتَوَى عَلَى الصَّخْرَةِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**أَوْجَبَ طَلحَةُ**» (أي: عمل عملاً أوجَب له الجنة). [**الترمذي في الجهاد (١٦٩٢)، وفي المناقب (٣٧٣٨)، وقَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وقال الشيخ الألباني: إسناده حسن، والسيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٨٦**].

وعَنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ يَوْمَئِذٍ: «**أَوْجَبَ طَلْحَةُ**»، حِينَ صَنَعَ بِرَسُولِ الله ﷺ مَا صَنَعَ، يَعْنِي حِينَ بَرَكَ لَهُ طَلْحَةُ فَصَعِدَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى ظَهْرِهِ.

[**مسند أحمد ٣/ ٣٣ رقم ١٤١٧، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن**].

وعَنْ الزُّبَيْرِ ﵁ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ عَنْ مُصْعِدِينَ فِي أُحُدٍ، فَذَهَبَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى ظَهْرِهِ لِيَنْهَضَ عَلَى صَخْرَةٍ فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَبَرَكَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ الله تَحْتَهُ، فَصَعِدَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى ظَهْرِهِ، حَتَّى جَلَسَ عَلَى الصَّخْرَةِ، قَالَ الزُّبَيْرُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «**أَوْجَبَ طَلْحَةُ**»، ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ﵁، فَأَتَى الْمِهْرَاسَ، وَأَتَاهُ بِمَاءٍ فِي دَرَقَتِهِ، فَأَرَادَ رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يَشْرَبَ مِنْهُ فَوَجَدَ لَهُ رِيحًا فَعَافَهُ، فَغَسَلَ بِهِ الدَّمَ الَّذِي فِي وَجْهِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى مَنْ دَمَّى وَجْهَ رَسُولِ الله ﷺ**».

[**صحيح ابن حبان ١٥/ ٤٣٦ رقم ٦٩٧٩، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده قوي، وقال الشيخ الألباني (٦٩٤٠): حسن**].

وَعَنْ الزُّبَيْرِ ﵁ قَالَ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ حِينَ ذَهَبَ لِيَنْهَضَ إِلَى الصَّخْرَةِ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ ظَاهَرَ بَيْنَ دِرْعَيْنِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَنْهَضَ إِلَيْهَا، فَجَلَسَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ الله ﵁ تَحْتَهُ، فَنَهَضَ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى اسْتَوَى عَلَيْهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَوْجَبَ طَلْحَةُ**». [**المستدرك على الصحيحين للحاكم في المغازي والسرايا (٤٣١٢)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي**].

وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَنَهَضَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى صَخْرَةٍ مِنْ الْجَبَلِ لِيَعْلُوَهَا، وَقَدْ كَانَ بَدُنَ رَسُولُ الله ﷺ، وَظَاهَرَ بَيْنَ دِرْعَيْنِ، فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَنْهَضَ ﷺ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَجَلَسَ تَحْتَهُ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ الله ﵁، فَنَهَضَ بِهِ حَتَّى اسْتَوَى عَلَيْهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ ـ كَمَا حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ الزُّبَيْرِ ﷺ قَالَ: سَمِعْت رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمئِذٍ يَقُولُ: «**أَوْجَبَ طَلْحَةُ**»، حِينَ صَنَعَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مَا صَنَعَ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَلَغَنِي عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَبْلُغْ الدَّرَجَةَ المَبْنِيَّةَ فِي الشِّعْبِ. [سيرة ابن هشام٢/ ٨٦، وقال الشيخ الصوياني: سنده صحيح. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص٢٥٥].

كما أن نهوض طلحة رضي الله عنه بالنبي ﷺ كان بركة عليه، إذ تسبب ذلك في علاج إحدى رجلي طلحة رضي الله عنه من العرج الذي أصابها أثناء دفاعه عن النبي ﷺ بعد النكسة، وذلك أن طلحة رضي الله عنه عندما حمل النبي ﷺ، تكلف استقامة المشي لئلا يشق على النبي ﷺ فاستوت رجله العرجاء لهذا التكلف فشفي من العرج، ويظهر أن سبب العرج الذي أصاب طلحة انفراط في الورك، وهذا الانفراط يسبب قصرًا في الرجل، ولا يزول هذا إلا بعد عودة ما انفرط إلى مكانه، وهذا لا يعود إلى مكانه إلا بعملية شد عنيفة تعيد العضو المفروط إلى مكانه، ولكن تكلف استقامة المشي ناب عن هذه العملية فعادت الورك إلى حالتها الطبيعية».
[غزوة أُحد لباشميل ١٦٦-١٦٧].

النبي ﷺ يصلي قاعدًا من تأثير الجراح:

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَذَكَرَ عُمَرُ مَوْلَى غُفْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى الظُّهْرَ يَوْمَ أُحُدٍ قَاعِدًا مِنْ الجِرَاحِ الَّتِي أَصَابَتْهُ، وَصَلَّى المُسْلِمُونَ خَلفَهُ قُعُودًا. [السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٨٧].

تجمع المسلمين في الجبل:

«وبعد أن وصل الرسول ﷺ إلى المثابة المقصودة من الجبل أخذ المسلمون المشتتون هنا وهناك يتوافدون عليه ويتجمعون حوله ﷺ، وبهذا أخذت حالة المسلمين في التحسن وأخذت قوتهم تتزايد من جديد، بعد أن أصبحوا في مركز حصين صدوا منه جميع المحاولات التي قام به مشركو مكة لتطويقهم أو تشتيتهم من جديد، ذلك أن الرسول ﷺ تحصن بالمسلمين في شرف عال من الجبل يشبه الصخرة العظيمة الممتنعة، فأصبح لذلك من الصعب وصول المشركين إليه ﷺ، بل صار مجرد اقتراب المشركين من مقر قيادة الرسول ﷺ الجديدة في الجبل يعرضهم لسهام المسلمين الذين أصبحوا بعد انسحابهم في مكان يشرف تمامًا على جيش المشركين الذي تجمع الكثير منه تحت المسلمين في فم الشِّعْب من أُحد». [غزوة أُحد لباشميل ١٦٧].

طلب الرسول ﷺ للماء:

وقد أصاب النبي ﷺ عطش شديد أثناء الانسحاب، فطلب الماء.

عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رضي الله عنه قَالَ: «... ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه يَأْتِي الْمِهْرَاسَ (قال أبو ذر: قال أبو العباس: ماء أحد، وقال غيره: المهراس حجر ينقر ويجعل إلى جانب البئر، ويصب فيه الماء

لينتفع به الناس)، فَأَتَاهُ بِمَاءٍ فِي دَرَقَتِهِ، فَأَتَى بِهِ رَسُولَ الله ﷺ، فَأَرَادَ أَنْ يَشْرَبَ مِنْهُ، فَوَجَدَ لَهُ رِيحًا فَعَافَهُ، فَغَسَلَ بِهِ وَجْهَهُ ﷺ مِنَ الدِّمَاءِ الَّتِي أَصَابَتْهُ، وَهُوَ يَقُولُ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى مَنْ أَدْمَى وَجْهَ رَسُولِ الله**»، وكان الذي أدماه يَوْمَئِذٍ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ». [**المطالب العالية لابن حجر ١٧/ ٣٥٠ كتاب المغازي والسير (٤٢٦٠/ ٤)، وصحح ابن حجر إسناده، وحسنه محققه**].

وعندما لم يستسغ الرسول ﷺ شرب الماء الذي جاء به علي بن أبي طالب ﷺ، ذهب محمد بن مسلمة الأنصاري ﷺ إلى مكان آخر للماء فجاء بماء عذب فشرب منه النبي ﷺ ودعا لابن مسلمة ﷺ بخير، ويظهر أن محمد بن مسلمة ﷺ طلب الماء للرسول ﷺ وجاءه به بعد أن استقر في مكانه من الجبل بعد الانسحاب». [**غزوة أُحد لباشميل ١٦٨**].

آخر هجوم يقوم به المشركون:

«وبعد أن تمركز المسلمون في هضاب جبل أُحد حاول المشركون القيام بالهجوم عليهم عدة مرات، ولكن جميع هذه المحاولات ذهبت أدراج الرياح، فقد شن المسلمون وهم في معتصمهم بالجبل هجمات مضادة على المشركين ردوهم بها على أعقابهم مما جعلهم يفقدون الأمل في النَّيْل من المسلمين من جديد.

وكانت آخر محاولة قام بها جيش مكة لضرب المسلمين في مواقعهم في الجبل هي تلك المحاولة التي قامت بها كتيبة من فرسان مكة، اقتحمت الجبل ناحية الرسول ﷺ بقيادة القائد العام أبي سفيان وخالد بن الوليد بغية ضرب المسلمين في مقرهم الرئيس حيث عسكر الرسول ﷺ.

وفعلًا وصلت كتيبة الخيالة في هجومها إلى نقطة في الجبل لا تبعد كثيرًا عن مقر قيادة الرسول ﷺ ولكن المسلمين بقيادة عمر بن الخطاب ﷺ شنوا على خيل أبي سفيان هجومًا مضادًّا فقاتلوهم حتى أجبروهم على الانسحاب والهبوط إلى الوادي». [**غزوة أُحد لباشميل ١٦٨-١٦٩**].

خسارة قريش في هجومها الفاشل الأخير:

«قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَبَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ بِالشِّعْبِ، مَعَهُ أُولَئِكَ النَّفَرُ مِنْ أَصْحَابِهِ، إِذْ عَلَتْ عَالِيَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ الجَبَلَ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: كَانَ عَلَى تِلْكَ الخَيْلِ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَعْلُونَا**»، فَقَاتَلَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ وَرَهْطٌ مَعَهُ مِنْ المُهَاجِرِينَ حَتَّى أَهْبَطُوهُمْ مِنْ الجَبَلِ». [**السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٨٦**].

وقد تكبد المشركون في هذا الهجوم الفاشل ثلاثة من القتلى كلهم صُرعوا بنبال الرامي المشهور سعد بن أبي وقاص ﷺ.

«وفي مغازي الأموي: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ صَعَدُوا عَلَى الجَبَلِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِسَعْدٍ ﵁: «**اجْنُبْهُمْ**» ـ يَقُولُ: ارْدُدْهُمْ ـ فَقَالَ: **كَيْفَ أَجْنُبُهُمْ وَحْدِي؟** فَقَالَ ذَلِكَ ثَلَاثًا، فَأَخَذَ سَعْدٌ ﵁ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، فَرَمَى بِهِ رَجُلًا فَقَتَلَهُ، قَالَ: **ثُمَّ أَخَذْتُ سَهْمِي أَعْرِفُهُ، فَرَمَيْتُ بِهِ آخَرَ فَقَتَلْتُهُ، ثُمَّ أَخَذْتُهُ أَعْرِفُهُ، فَرَمَيْتُ بِهِ آخَرَ فَقَتَلْتُهُ، فَهَبَطُوا مِنْ مَكَانِهِمْ، فَقُلْتُ: هَذَا سَهْمٌ مُبَارَكٌ، فَجَعَلْتُهُ فِي كِنَانَتِي**، فَكَانَ عِنْدَ سَعْدٍ ﵁ حَتَّى مَاتَ، ثُمَّ كَانَ عِنْدَ بَنِيهِ». [زاد المعاد لابن القيم ٣/ ١٨٩].

إنهاء القتال:

«وبفشل المحاولة اليائسة الأخيرة التي قام بها أبو سفيان بنفسه للهجوم على المسلمين بعد اعتصامهم بهضاب جبل أُحد يئست قريش من المسلمين، وتأكد لدى قادتها أن المسلمين أمنع من أن ينالوا منهم شيئًا من جديد بعد أن أعادوا تنظيمهم والتفوا حول قائدهم الأعلى النبي ﷺ في تلك المواقع الحصينة.

يضاف إلى هذا أن الإعياء والتعب قد بلغ من الجيش المكي مبلغًا عظيمًا، لاسيما أن هذا الجيش قد تلقى من جند الإسلام في الصفحة الأولى من المعركة ضربات موجعة مزلزلة، كان لها أبلغ الأثر في إدخال الرعب والفزع إلى قلوب جند مكة الذين أباد المسلمون في لحظات خاطفة جميع أفراد فصيلة لوائهم حتى مرغوه في التراب، ثم أنزلوا بجيش مكة في هجوم خاطف مذهل عارم هزيمة كادت تكون ساحقة لولا غلطة الرماة غفر الله لهم.

وهكذا وبعد أن يئس قادة قريش من المسلمين، قرر أبو سفيان إنهاء القتال، وأعطى الأوامر إلى جنده بالاستعداد للرحيل.

وبهذا وضعت الحرب أوزارها، وانتهت العمليات العسكرية في منطقة أُحد».

[غزوة أُحد لباشميل ١٧٠].

النعاس يغشى المؤمنين دون المنافقين:

عَنْ أَبِي طَلْحَةَ ﵁ قَالَ: **كُنْتُ فِيمَنْ تَغَشَّاهُ النُّعَاسُ يَوْمَ أُحُدٍ، حَتَّى سَقَطَ سَيْفِي مِنْ يَدِي مِرَارًا، يَسْقُطُ وَآخُذُهُ، وَيَسْقُطُ فَآخُذُهُ**. [البخاري في المغازي (٤٠٦٨)].

وفي رواية أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ ﵁ قَالَ: **غَشِيَنَا النُّعَاسُ وَنَحْنُ فِي مَصَافِّنَا** (١) **يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ: فَجَعَلَ سَيْفِي**

---

(١) قال أ/ حوى: الذي يبدو لي أن النعاس أصابهم مرتين يوم أُحد، مرة قبل المعركة، ومرة بعد المعركة، والروايات هذه تشير إلى الاثنتين، فلا شك أن النعاس الذي أشارت إليه الآية كان بعد المعركة ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾، والنعاس الذي أشار إليه النص «وَنَحْنُ فِي مَصَافِّنَا» كان قبل المعركة، واختلط الأمر على بعض الرواة فدمجوا الروايتين. الأساس في السنة ٢/ ٥٦٠. قلت: وحديث الزبير ﵁ الآتي يؤكد أنه كان في نهاية المعركة.

يَسْقُطُ مِنْ يَدِي وَآخُذُهُ، وَيَسْقُطُ وَآخُذُهُ. [البخاري في تفسير القرآن (٤٥٦٢)، والترمذي في تفسير القرآن (٣٠٠٨)، ومسند أحمد ٢٦/ ٢٧٧ رقم ١٦٣٥٧].

وفي لفظ الترمذي زيادة: «... **وَالطَّائِفَةُ الأُخْرَى المُنَافِقُونَ، لَيْسَ لَـهُمْ هَمٌّ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ، أَجْبَنُ قَوْمٍ وَأَرْعَبُهُ، وَأَخْذَلُهُ لِلحَقِّ**».

وعَنْ أَبِي طَلحَةَ ﷺ قَالَ: رَفَعْتُ رَأْسِي يَوْمَ أُحُدٍ فَجَعَلتُ أَنْظُرُ، وَمَا مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا يَمِيدُ (يميل ويتحرك) تَحْتَ حَجَفَتِهِ (الدرع من الجلد) مِنْ النُّعَاسِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷻ : ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ . [الترمذي في تفسير القرآن (٣٠٠٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح].

وَقَالَ الزُّبَيْرُ ﷺ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي مَعَ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ حِينَ اشْتَدَّ عَلَيْنَا الخَوْفُ، وَأُرْسِلَ عَلَيْنَا النَّوْمَ، فَمَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا وَذَقْنُهُ، أَوْ قَالَ: ذَقْنُهُ فِي صَدْرِهِ، فَوَالله إِنِّي لَأَسْمَع كَالحُلُمِ قَوْلَ مُعَتِّبِ بنِ قُشَيرٍ: لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَا هُنَا، فَحَفِظْتُهَا، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ إلى قوله: ﴿مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ لِقَوْلِ مُعَتِّبِ بنِ قُشَيرٍ قَالَ: ﴿لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾، حَتَّى بَلَغَ: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾[آل عمران].

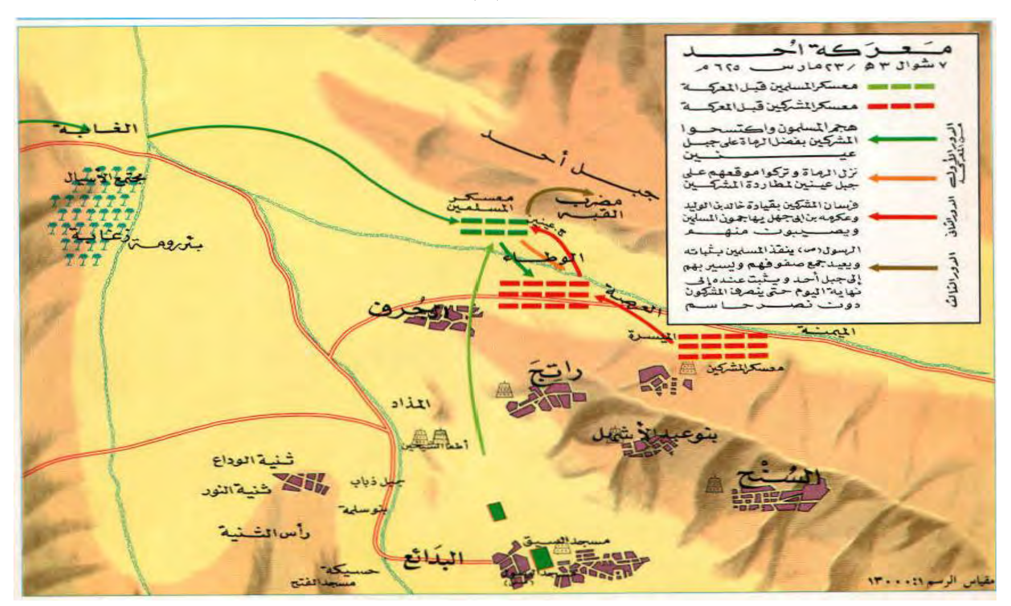
[المطالب العالية لابن حجر ١٧/ ٣٤٩ كتاب المغازي والسير ٤٢٦٠/ ٣، وصحح ابن حجر إسناده، وحسنه محققه].

وَقَالَ الزُّبَيْرُ ﷺ: وَالله إِنَّ النُّعَاسَ لَيَغْشَانِي، إِذْ سَمِعْتُ ابْنَ قُشَيرٍ يَقُولهَا، وَمَا أَسْمَعُهَا مِنْهُ إِلَّا كَالحُلُمِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران]. [المطالب العالية لابن حجر ١٧/ ٣٤٧ كتاب المغازي والسير (٤٢٦٠/ ٢)، وصحح ابن حجر إسناده، وحسنه محققه].

وعن عبد الرحمن بن عوف ﷺ في قوله: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾، قَالَ: أُلْقِيَ عَلَيْنَا النَّوْمُ يَوْمَ أُحُدٍ. [مجمع الزوائد ٦/ ١٦٧ كتاب المغازي والسير (١٠٠٩٣)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط [٤/ ٢٧١ رقم ٤١٧٢]، وفيه ضرار بن صرد وهو ضعيف].

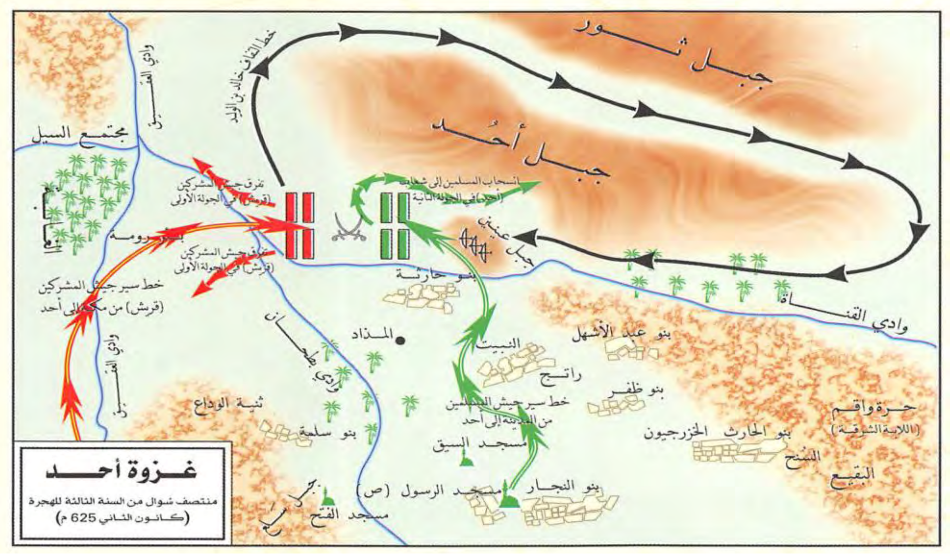
المبحث السادس
خرائط غزوة أُحد

(١)



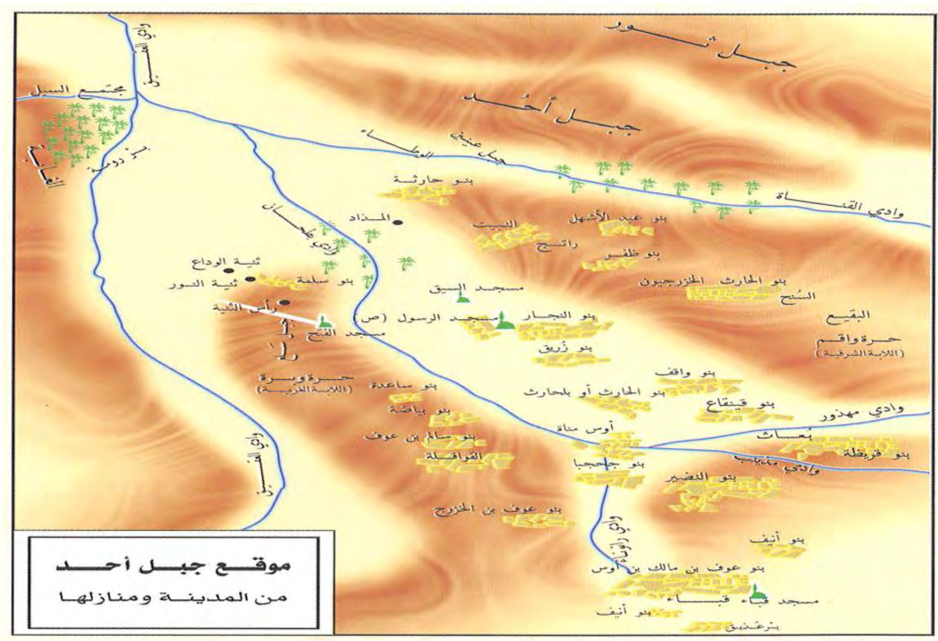
أطلس تاريخ الإسلام لمؤنس ٦٨.

(٢)



أطلس تاريخ العرب والإسلام للكاتب ص ١٥.

(٣)



أطلس تاريخ العرب والإسلام للكاتب ص ١٥.

(٤)

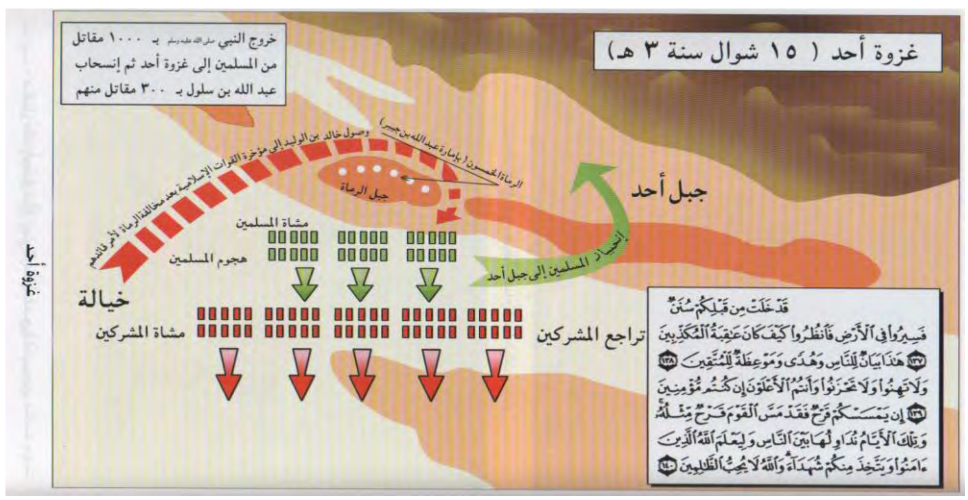


أطلس السيرة النبوية لأبي خليل ص ١٢١.

(٥)

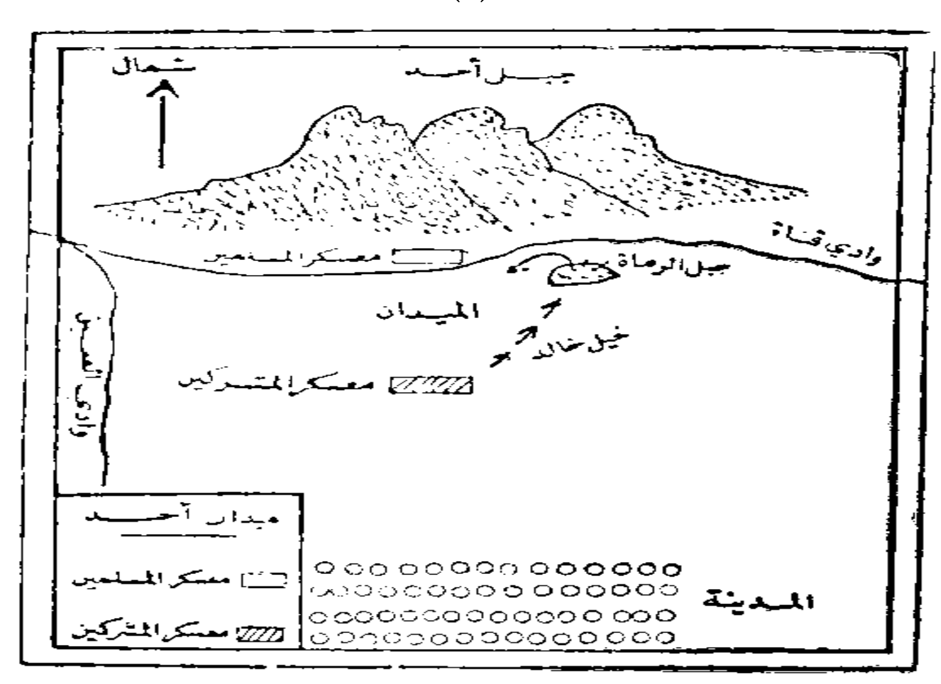
حدائق الأنوار لبحرق ص ٥٣٨.

(٦)



الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ للمغلوث ص ١٦٥.

(٧)



غزوة أحد لباشميل ص ٣١٠.

(٨)

الرسول القائد ﷺ لخطاب ص ١٧٩.

(٩)

مخطط تصوري لمنطقة جبل أحد

الحركات العسكرية للرسول الأعظم ﷺ ليحيى ١/ ٢٢٥.

(١٠)

(١) قوة المسلمين (٦٠٠) مقاتل وراجل.
(٢) رماة المسلمين (٥٠) خمسون.
(٣) قوة المشركين الراجلة (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف.
(٤) فرسان خالد بن الوليد (١٠٠) مائة.
(٥) فرسان عكرمة بن أبي جهل (١٠٠) مائة.
(٦) و(٧) و(٨) حركة التفاف خالد بن الوليد.
(٩) من الالتفاف الى مطاردة محدودة.
(١٠) هجمات عكرمة الفاشلة.
(١١) مشاركة عكرمة في المطاردة المحدودة.

مقياس الرسم
١/١٢٥٠٠

مخطط تصوري لميدان القتال في (أحد).

الحركات العسكرية للرسول الأعظم ﷺ ليحيى ١/ ٢٢٦.

(١١)

غزوة أُحد لأبي خليل ص ٣١.

(١٢)

غزوة أحد لأبي خليل ص ٤٠.

(١٣)

غزوة أُحد لأبي خليل ص ٧٠.

(١٤)

غـــزوة أحـُـدْ

قيادة الرسول ﷺ السياسية والعسكرية لعرموش ص ٦١.

(١٥)

جبل أحد
وادي قناة
معسكر المسلمين
معسكر المشركين
جبل الرماة
وادي العقيق
سير المشركين إلى أحد
وادي بطحان
حرة الوبرة
جبل سلع
سير المسلمين إلى أحد
حرة واقم
المسجد النبوي

مخطط غزوة أحد

قراءة سياسية لقلعجي ص ١٤٨.

(١٦)

جبل أحد
جبل الرماة
بنو حارثة
بنو سلمة
حرة الوبرة
حرة واقم
بنو عبد الأشهل
المسجد النبوي
بنو قينقاع
بنو قريظة
العوالي
قباء
بنو النضير
جبل عير
حرة الكرماء

خريطة غزوة أحد

كبرى المعارك لمرسي ص ٢١.

(١٧)

جبل أحد
الغابة
وادى العقيق
جبل عينين
تل الرماة
الجرف
أرض شديدة الانحدار
وادى القناة
جيوش قريش
قبل المعركة
م
الشيخين
العوالي
أرض سبخة
بنو حارثة
النبيت
رائح
بنو عبد الأشهل
بنو ظفر
السنح
مسيرة جيش المسلمين
بنو سلمة
أطما الشيخين
وسط المدينة
مسجد الرسول
مسيرة جيش قريش
جبل ذباب
البدائع
بنو النجار
حسيكة
مسجد الفتح
بنو زريق
ثنية الوداع
بنو واقف
حمراء الأسد
منازل بني قينقاع

شكل٣٢ – منظر للمدينة فى موقعة أحد

١ – قريش تصل إلى المكان أ وتعسكر فيه في انتظار خروج المسلمين

٢ – النبى يخرج من المدينة ويتخذ طريقا نصف دائرة ليصل إلى سهل أحد

خاتم الأنبياء محمد ﷺ للبدراوي ص ٥٤٨.

(١٨)

١

وادي العقيق
جبل أحـد
عريش الرسول
جبل عينين
قوات المسلمين
تل الرماة
ميمنة (خالد)
ميسرة (عكرمة)
جيش قريش
أبو سفيان
الشيخين
العوالي
بنو عبد الأشهل
السنح

شكل٣٣ – توزيع قوات الجانبين قبل المعركة

٢

المسلمون يهاجمون الوسط بشدة
الرماة يمطرون جيش قريش بالسهام
جيش قريش يتراجع ويتشتت

٣

الرماة يتركون مواقعهم وينزلون لجمع الغنائم
المسلمون يجمعون الغنائم
عكرمة
خالد

٤

جبل أحـد
عكرمة يهاجم عريش النبى والمسلمين من الخلف
خالد يحتل موقع الرماة
خالد يهاجم
فلول قريش تتجمع وتهاجم

شكل ٣٤ – معركة أحد:
خطوات سير المعركة

خاتم الأنبياء محمد ﷺ للبدراوي ص ٥٥١.

(١٩)

٥

عريش النبى
جماعة الصمود
عكرمة يفلح فى الوصول إلى العريش
هجوم خالد
تشتت المسلمين وفرار معظمهم

٦

قوات المسلمين تلتف حول النبى فى شعاب الجبل
ابن قمئة يعلن قتل النبى
توقف القتال.
قوات قريش تتراجع إلى معسكرها
انتهاء المعركة

٧

قريش تنسحب إلى معسكرها قبل المعركة
النبى يعود إلى المدينة
قريش تبدأ العودة إلى مكة
مسجد الرسول
البدائع
بنو النجار
بنوزريق
النبى يخرج لمطاردة قريش ولا يلحقها
قريش تبدأ العودة إلى مكة
حمراء الأسد

شكل ٣٥ – الجزء الثانى من معركة أحد.

خاتم الأنبياء محمد ﷺ للبدراوي ص ٥٥٦.

(٢٠)

سيف الله خالد بن الوليد ﷺ لأكرم ص ٤٦.

(٢١)

الشمال
١
عينين
عكرمة
خالد
خيم
٢
عينين
خالد
و
عكرمة
٣
عكرمة
خالد
عينين
٤
عينين
مقياس الرسم
١ بوصة = ١ ميل

سيف الله خالد بن الوليد ﷺ لأكرم ص ٥٣.

الفصل الثاني

الدروس والعبر المستفادة من المرحلة الثانية من غزوة أُحُد (المعركة)

المبحث الأول

الدروس العقائدية

١ ـ طبيعة الصف الإسلامي في أحد:

يقول د/ الغضبان: «لابد لنا من وقفة مستأنية لدراسة طبيعة الصف الإسلامي، وتركيبه قبيل غزوة أحد، ومن خلال المقارنة مع طبيعة الصف الإسلامي قبيل غزوة بدر، تتضح معالم هذا الصف أكثر وأكثر.

لقد رأينا رسول الله ﷺ قبيل بدر، ولم يعد الإعداد المادي الكافي للمواجهة؛ إذ أن خروج الجيش الإسلامي كان لمواجهة قافلة يقودها سبعون شخصًا، ولم يكن خروجه لمواجهة جيش قوامه ألف رجل، ومع هذا كله، وبعد الاستشارات العديدة التي أقدم عليها رسول الله ﷺ في مبدأ المواجهة مع العدو، وخص الأنصار بالذكر والرأي، وحيث أجمعت القيادات الكبرى بعد التردد النفسي البشري خوف المواجهة، على لقاء العدو، كان ذلك التوجه النبوي العظيم إلى الله رب العرش العظيم بطلب النصر.

صحيح أن العدة المادية لم تكن كاملة ولم تكن كافية، والكثير من المسلمين في المدينة، وفيهم قيادات عظيمة كان يمكن أن تكون في الصف لو عرفوا أن رسول الله ﷺ يَلقى حربًا، لكن النبي ﷺ مطمئن إلى الإعداد المعنوي، مطمئن إلى سلامة صفه كله، فليس منهم شخص دون المستوى الإيماني المطلوب، رغم قصر مدة التربية النبوية، التي لم تبلغ لبعضهم سنتين فقط، رغم هذا كله فهو مطمئن إلى أن النماذج التي معه في بدر هي خيرة أهل الأرض، وهذا هو أعظم إعداد في البناء، كان التوجه النبوي الكريم إلى رب العزة والجلال أن يُنزل نصره، وكان ذلك الإلحاح الشديد في التذلل والتضرع إلى الله أن ينجز وعده حتى ليسقط رداؤه الشريف عن منكبيه، وهو لا يشعر من عظمة التوجه إلى الله تعالى بتحقيق موعوده بالنصر، ولا أدل على ثقته بهذا الصف من صيغة دعائه ﷺ: «**اللَّهُمَّ إنْ تَهْلِكْ هَذِهِ العِصَابَةُ اليَوْمَ لَا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ**».

فهذه العصابة عنده هي خيرة أهل الأرض، وهي المنوط بها الخلافة الراشدة فيها.

لكننا نجد في أُحُد صورة معاكسة تمامًا، ورغم مظاهر الحماس الطاغي من الشباب للمواجهة، ومن الشيوخ الكبار، خاصة الذين لم يُتح لهم أن يشهدوا بدرًا، فقد كانت نظرته ﷺ لهذا الصف تختلف كثيرًا عن نظرته لصف بدر.

لقد انضم إلى الصف الإسلامي ثلاثة أضعاف أو ضعفين على أقل تقدير خلال عام واحد، وهذا العام لم يكن كافيًا لإتمام التدريب والتربية؛ لرفع هذه الأعداد الجديدة إلى المستوى الإيماني المطلوب والموجود عند السابقين الأولين، ورغم أن الإعداد لم ينقطع خلال هذا العام من خلال الغزوات المستمرة للعدو، والسرايا العظيمة من الرجالات الكبار القدوة، رغم هذا كله لم يكن الصف بعد قد غدا مؤهلًا لمثل هذه المواجهة، ولم نجد هذا الإلحاح الشديد على رب العزة والجلال في إنزال نصره؛ لأن الإعداد المعنوي في الصف لا يزال دون المستوى المطلوب للمواجهة، ولا نتحدث هنا عن المنافقين إنما نتحدث عن ضعاف الإيمان داخل الصف الإسلامي الواحد.

وإن القائد العادي الذي يرى هؤلاء الجنود ليدرك بثاقب نظره تخلخل المستويات الإيمانية، وضعف بعض النماذج داخل الصف، فكيف بسيد الخلق، وسيد القادة، وسيد العباقرة في الوجود لا يدرك أبعاد هذا الصف، ونوعياته، ومستوياته؛ ولهذا كله كان جواب رسول الله ﷺ، ليس إلحاحًا في التضرع بإنزال النصر بمقدار ما كان تقريرًا يتناسب مع واقع الصف الجديد: «**وَلَكُمْ النَّصْرُ مَا صَبَرْتُمْ**».

وهذا ما يقرره القرآن الكريم ابتداءً: ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥﴾ [آل عمران].

ولم يصبروا ويتقوا ـ أي كل الصف بكل أفراده ـ فلم يأت الخمسة آلاف من الملائكة، وكل الذي ورد عن نزول الملائكة في نص صحيح، وما ورد على لسان سعد رضي الله عنه عن نزول جبريل وميكائيل، لحماية رسول الله ﷺ، عندما استفرد وحده من العدو كما يقول سعد رضي الله عنه: «**رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وَمَعَهُ رَجُلَانِ يُقَاتِلَانِ عَنْهُ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، كَأَشَدِّ القِتَالِ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ**».

[البخاري في المغازي (٤٠٥٤)].

وقد نزل القرآن الكريم بعد الغزوة يعالج طبيعة هذا الصف.

ولابد من إيضاح كذلك في هذا الصدد: أن هذه المعالجة كانت منصبة على السبعمائة الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ، أما الحديث عن المنافقين، فكان صريحًا عنهم بأسمائهم ومواقفهم، بينما يأتي التعبير القرآني ليصف الصف المسلم نفسه: ﴿إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا﴾ [آل عمران: ١٢٢].

﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

﴿۞ إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

أما الحديث عن المنافقين، فكان يأتي:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [آل عمران].

وكل ما فعله ﷺ أمام هذا الجيش الذي عرف نوعياته، وفقِه مستوياته: أن خَطَب تلك الخطبة العظيمة التي تحث على الجهاد، وتوضح العديد من الأسس والقواعد الإيمانية التي قد تغيب عن الذهن أثناء المعركة، وأيضًا ترد الجنود إلى أصل القضية وهدف الجهاد، والتي تسوق العديد من الأحكام الشرعية التي تترى كل يوم من رب العالمين:

(١) فمناط الأمر كله هو طاعة الله ورسوله، والبعد عن معصيته: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أُوصِيكُمْ بِمَا أَوْصَانِي اللهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ العَمَلِ بِطَاعَتِهِ وَالتَّنَاهِي عَنْ مَحَارِمِهِ**».

(٢) ولابد من الإيضاح لطبيعة هذه الحرب، فقد انتهت حروب الذِّكر والشُّهرة والصِّيت، حروب العصبية والقبلية المنتنة، إنها بدء مرحلة جديدة لحرب جديدة قوامها الإيمان والكفر، وهدفها الحرص على مرضاة الله، وما أعد الله للمؤمنين في الجنان، وكثير من النماذج داخل هذا الصف، لم تتبلور القضية في نفوسهم بعد، خلال هذه الأشهر القليلة «**ثُمَّ إِنَّكُمْ اليَوْمَ بِمَنْزِلِ أَجْرٍ وَذُخْرٍ لِمَنْ ذَكَرَ الَّذِي عَلَيْهِ، ثُمَّ وَطَّنَ نَفْسَهُ لَهُ عَلَى الصَّبْرِ وَاليَقِينِ، وَالجِدِّ وَالنَّشَاطِ، فَإِنَّ جِهَادَ العَدُوِّ شَدِيدٌ، شَدِيدٌ كَرْبُهُ، قَلِيلٌ مَنْ يَصْبِرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ عَزَمَ اللهُ رُشْدَهُ، فَإِنَّ اللهَ مَعَ مَنْ أَطَاعَهُ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ مَنْ عَصَاهُ، فَافْتَتِحُوا أَعْمَالَكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى الجِهَادِ، وَالتَمِسُوا بِذَلِكَ مَا وَعَدَكُمْ اللهُ**».

(٣) «**وَالتَمِسُوا بِذَلِكَ مَا وَعَدَكُمْ اللهُ**» التماس الأجر من الله في مفهومه الحقيقي يختلف عما يظنه كثير من الناس الذين يحددونه في سعة الرزق وقوة الصحة وعلو المكان من الله: ﴿ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾ [الفجر].

والنبي ﷺ هنا يرد الإنسان للمفهوم الصحيح لالتماس الأجر وهو «**مَا وَعَدَكُمْ اللهُ**»، وقد أوضح الصحابي الجليل ربعي بن عامر رضي الله عنه لرستم قائد الفرس في معركة القادسية سنة ١٣ هـ معنى موعود الله حينما قال لرستم: «**اللهُ ابْتَعَثْنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ، وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَى سِعَتِهَا،**

وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ، فَأَرْسَلَنَا بِدِينِهِ إِلَى خَلْقِهِ لِنَدْعُوَهُمْ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَبِلَ ذَلِكَ قَبِلْنَا مِنْهُ وَرَجَعْنَا عَنْهُ، وَمَنْ أَبَى قَاتَلْنَاهُ أَبَدًا حَتَّى نُفْضِيَ إِلَى مَوْعُودِ الله، قَالُوا: **وَمَا مَوْعُودُ الله؟** قَالَ: **الجَنَّةُ لِمَنْ مَاتَ عَلَى قِتَالِ مَنْ أَبَى، وَالظَّفَرُ لِمَنْ بَقِيَ**». [البداية والنهاية ط هجر ٩/ ٦٢٢].

إذن فالتماس الأجر من الله لا يُقاس بالأمور المادية من نصر أو هزيمة، وقد قال الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ ﭬ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا مِنْ غَازِيَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فَتَغْنَمُ وَتَسْلَمُ، إِلَّا كَانُوا قَدْ تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أُجُورِهِمْ، وَمَا مِنْ غَازِيَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ تُخْفِقُ وَتُصَابُ، إِلَّا تَمَّ أُجُورُهُمْ**». [مسلم في الإمارة (١٩٠١٦)].

فالأصل في الجهاد ـ بالسيف أو بالكلمة ـ ليس الحصول على النصر أو الغنيمة ولكن الأصل هو رفع كلمة الله كيف كانت النتيجة التي تحققت، فأحيانًا عدم النصر في المعركة ـ في نظر الناس ـ يُعد رفعًا لكلمة الله.

وعَنْ أَبِي مُوسَى ﭬ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: **الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ،** (وفي رواية: **الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً**) **فَمَنْ فِي سَبِيلِ الله؟** قَالَ ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله**». [البخاري في العلم (١٢٣)، وفي الجهاد والسير (٢٨١٠)، وفي فرض الخمس (٣١٢٦)، وفي التوحيد (٧٤٥٨)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٤)، وأبو داود في الجهاد (٢٥١٧)، والترمذي في فضائل الجهاد (١٦٤٦)، والنسائي في الجهاد (٣١٣٦)، وابن ماجه في الجهاد (٢٧٨٣)، وأحمد عن أبي موسى الأشعري ﭬ (١٨٩٩٩، ١٩٠٩٩، ١٩١٣٤، ١٩٢٤٠، ١٩٢٤١)].

(٤) والقضية ليست قضية الجهاد فقط، وإخلاص النية في قلب المعركة، إنما الجهاد حلقة من سلسلة مستمرة من الطاعات، أو حلقة من سلسلة مستمرة من المعاصي: «**وَعَلَيْكُمْ بِالَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ، فَإِنِّي حَرِيصٌ عَلَى رُشْدِكُمْ، فَإِنَّ الاخْتِلافَ وَالتَّنَازُعَ وَالتَّثْبِيطَ مِنْ أَمْرِ العَجْزِ وَالضَّعْفِ مِمَّا لا يُحِبُّ الله، وَلا يُعْطِي عَلَيْهِ النَّصْرَ وَلا الظَّفَرَ**».

وكأنه كان ﷺ يرى النتائج المرة رأي العين، حين يأتي الاجتهاد الشخصي مكان الأمر النبوي، ويقع الاختلاف والتنازع، ويُحال بين الجيش والنصر، وجاء القرآن الكريم بعد المعركة ليقول لهؤلاء السبعمائة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

(٥) وها هو ﷺ يَذكر أحكامًا شرعية بعينها، يُعلِّمها هذا الجيل، فهو يدخل إلى أعماقه ليقول له في معركة الضمير قبل معركة السلاح: إن الذي يُبيِّت غير الطاعة فالله ـ تعالى ـ سيكشفه، فليؤوب إلى ربه قبل أن يفضح.

(أ) «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ جُدِّدَ فِي صَدْرِي أَنَّ مَنْ كَانَ عَلَى حَرَامٍ فَرَّقَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَمَنْ رَغِبَ لَهُ عَنْهُ غَفَرَ اللهُ ذَنْبَهُ**».

(ب) وصِلَةُ الجيش بقائده ونبيه صلةُ روح وحب وتفان وتضحية: «**وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَمَلائِكَتُهُ عَشْرًا**»، إنها الصلاة التي تربط هؤلاء المؤمنين بالقلب المحرِّك لهم، الذي مَنَّ به عليهم: ﴿**لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾**﴾ [آل عمران].

(ج) والله تعالى يُثيب على الإحسان، ويُعاقب على المعصية، والذين هم داخل الجيش ووقفوا مع الصف الإسلامي، ولم يعتنقوا عقيدته، فسيأخذون أجرهم في دنياهم، أمثال قزمان وغيره: «**وَمَنْ أَحْسَنَ مِنْ مُسْلِمٍ أَوْ كَافِرٍ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ فِي عَاجِلِ دُنْيَاهُ أَوْ آجِلِ آخِرَتِهِ**».

(د) وأهم مَعلم من معالم التربية العامة لهذا الصف المسلم هو: يوم الجمعة حيث يخطب ﷺ في المسلمين، يُبلغهم أوامر ربهم، ويصوغهم على هدى الله، والذين تخلوا عن الجمعة فاتهم خير كبير، ولم يعد الأمر في الخيار بل على سبيل الوجوب والفرض: «**وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَعَلَيْهِ الْجُمُعَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلاَّ صَبِيًّا أَوْ امْرَأَةً أَوْ مَرِيضًا أَوْ عَبْدًا مَمْلُوكًا، وَمَنْ اسْتَغْنَى عَنْهَا اسْتَغْنَى اللهُ عَنْهُ، وَاللهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**».

(هـ) وها هو ﷺ: كأنه في خطبة مودِّع، فقد أدى الأمانة، وبلغ الرسالة: «**مَا أَعْلَمُ مِنْ عَمَلٍ يُقَرِّبُكُمْ إِلَى اللهِ إِلاَّ وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلا أَعْلَمُ مِنْ عَمَلٍ يُقَرِّبُكُمْ إِلَى النَّارِ إِلاَّ وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ**».

(و) وأخطر قضية قبيل المعركة يجب أن يفقهها الجيل المجاهد هي: أن الأعمار والأرزاق بيد الله، ولن تُقدِّم الحرب أو المعركة أو تؤخِّر شيئًا فيها، ففيم يكون الجبن؟! فالموت لا يأتي إلا بقدر محدد، ولو كان المقاتل على فراشه: ﴿**قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ**﴾ [آل عمران: ١٥٤].

والمغانم التي تتشوق بعض النفوس لها بعد النصر، لن تُطلب بمعصية الله، ومعصية أوامره: «**وَإِنَّهُ قَدْ نَفَثَ فِي رُوعِي الرُّوحُ الأَمِينُ، أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِي أَقْصَى رِزْقِهَا، لا يَنْقُصُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ وَأَجْمِلُوا فِي طَلَبِ الرِّزْقِ، وَلا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاؤُهُ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ رَبِّكُمْ، فَإِنَّهُ لا يُقْدَرُ عَلَى مَا عِنْدَهُ إِلاَّ بِطَاعَتِهِ**».

(ز) ويبقى القلب المؤمن الحي هو الميزان الحساس في الحلال والحرام، بعد ما بيَّنها الله في كتابه وعلى لسان رسوله، وذلك في الشبهات بين الحلال والحرام: «**قَدْ بَيَّنَ لَكُمْ الحَلالَ وَالحَرَامَ غَيْرَ أَنَّ بَيْنَهُمَا شَبَهًا مِنْ الأَمْرِ لَمْ يَعْلَمْهَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ إِلاَّ مَنْ عَصَمَ، فَمَنْ تَرَكَهَا حَفِظَ عِرْضَهُ وَدِينَهُ، وَمَنْ وَقَعَ فِيهَا كَانَ كَالرَّاعِي إِلَى جَنْبِ الحِمَى أَوْشَكَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، وَلَيْسَ مَلِكٌ إِلاَّ وَلَهُ حِمًى، أَلا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ**».

وها نحن نجد هذه المعاني التي وردت في الخطبة النبوية التربوية قبيل المعركة، قد جاء القرآن بعد المعركة ليحاسب الصف الإسلامي على ضوئها جميعًا، ومدى التزامه بها من عدم التزامه».

[التربية القيادية للغضبان ٣/ ١٦٠-١٦٥، مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٦٥-٦٨].

٢ ـ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا:

يقول د/ فيض الله: «استعرض النبي ﷺ جيشه، وتفقد اصطفاف الصحابة، فلما سوَّاهم صفوفًا، قام فيها فخطب، حاثًّا على الصبر والثبات، وكان فيما قال ﷺ: **«إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةِ الله، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلا بِطَاعَتِهِ»**.

[صحيح: رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي أمامة رضي الله عنه ـ صحيح الجامع الصغير: ٢٠٨٥].

ويقول ﷺ: **«لا تَسْتَبْطِؤُوا الرِّزْقَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَبْدٌ لِيَمُوتَ حَتَّى يَبْلُغَهُ آخِرُ رِزْقٍ هُوَ لَهُ، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، أَخْذِ الحَلالِ، وَتَرْكِ الحَرَامِ»**.

[صحيح: رواه الحاكم في المستدرك والبيهقي في الشعب عن جابر رضي الله عنه ـ صحيح الجامع الصغير: ٧٣٢٣].

ولقد يعجب المرء من هذه التوصية، في ساحة الحرب، والموت يطلُّ على الرجال، ولقد يكون لهذه التوصية وَقْعها في السلم، والنفوس تَشْرَئِبُّ إلى المال، وتتطلع إلى المادة، أما في أهوال الحروب، وصلصلة السلاح، فقد تبدو أمامها علامات الاستفهام.

غير أن المؤمن البصير، المطمئن إلى رجاحة عقل الرسول ﷺ وأنه يتصرف بأمر الله، ووحي من لدنه، لا يتشكك في أن الباعث على هذه التوصية في هذا المقام، وهو التحذير من شغل القلب للسلب، وتعلق النفوس بالمغانم، وأن ذلك لا يقدم ولا يؤخر في اكتساب الرزق المقدور، بل قد يجر إلى الخسارة والوبال، والخروج عن التقوى، فليكن طلب المال في غير معصية الله، ومخالفة الرسول القائد، وفي رفق رقيق، لا تجاوز فيه ولا سرف.

وقد صدَّقت أحداث معركة أُحُد هذه التوصية، إذ كان النصر في جانب المسلمين، فلما خولفت تعليمات رسول الله ﷺ التي أصدرها إلى الدريئة، فرامت مكانها الذي أُمرت بالتلبث فيه مهما يكن من الأمر؛ لتشارك في حيازة الغنائم، كرَّ عليهم المشركون من خلفهم، وأهووا عليهم بسيوفهم ونبالهم، وهم راكعون في جمع الأسلاب والحطام، فأسقط في أيديهم، ووقعا بين فكي الرحى، واستشهد الكثير، وجرح الأكثر، حتى الرسول ﷺ.

الدماء الذكية، والأرواح البريئة، تعجل إليها الموت، واستلب النصر، ومني المسلمون بأفجع المصائب، لمخالفة غير مقصودة لأمر القائد، كان سببها البعيد تعلق القلب بالمادة وشغله بها، والتوسع بعض الشيء في طلبها، وقد كانت الوصية بالإجمال في الطلب.

إن التعلق بالمادة، جرَّ ـ ولو عن غير قصد ـ إلى مخالفة أمر القائد الرسول ﷺ، فقُلِب الموضوع، وغيَّر وجه المعركة، ومسَّ الجيش كله، بعذاب أليم، وسوء منقلب.

فصدق الرسول ﷺ في قوله: «**حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ**». [رواه البيهقي في شعب الإيمان عن الحسن مرسلًا ـ وقال عنه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغير رقم ٢٦٨٢: ضعيف، وفي الضعيفة رقم ١٢٢٦: موضوع].

وصدق الله تعالى في قوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور]». [صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة لفيض الله ١١٨-١١٩].

٣ ـ العقيدة باقية، والدعوة خالدة، ولو مات الدعاة:

يقول د/ فيض الله: «أنكر الله تعالى على المسلمين، ذلك القنوط الذي أخذهم في المعركة، لـمَّا أُشيع مقتل محمد ﷺ، والذهول الذي منوا به تلقاءه، حتى كأنهم ظنوا أنه لا فائدة من القتال بعد موته، ولا معنى للجهاد بعد فَقْدِه، فكأن الدعوة انتهت، ومات الدين بموت رسوله، ونسوا الحقيقة الواضحة اليسيرة، وهي أن العقيدة باقية، والدعوة خالدة، ولو مات الدعاة، والدعوة قبل الداعية وجودًا، وباقية بعد موته، ووظيفة الداعية تبليغها الناس، وغرسها في الضمائر، وتقريرها في العقول، فإذا مات الداعية، بقي تصور الدعوة حيًّا قائمًا راسخًا، لا يناله الموت بسوء.

إن محمدًا ﷺ رسول، أدى رسالته في درب الرسل عبر التاريخ، وقد مات الرسل، ولابد أن يموت محمد ﷺ، لكن الدعوة إلى الله والحق ونظام الله في هذه الأرض، بقيت بعد موت الرسل، وهي باقية بعد موت رسول الله ﷺ.

لا تموت الأفكار، بل تموت رجالها، والأفكار صائرة إلى الخلود، والناس يصيرون إلى فناء، فالدعوة أبقى من الدعاة.

ولهذا عتب الله على المسلمين، لما ركنوا إلى ما يشبه القنوط والقعود عن الجهاد، واعتبره كالارتداد عن العقيدة، التي هي حركة وجهاد، وليست جمودًا وقعودًا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[آل عمران].

وكأن الله تعالى يُعِدُّ بهذا اللفت إلى الحقيقة، أولئك المسلمين ـ المتعلقين بحب الرسول ﷺ وبشخصه، والذين رأينا استماتتهم في الدفاع عنه، في هذه الغزوة ـ للمفاجأة الكبرى، حين يموت الرسول ﷺ ـ فعلًا ـ كيلا يستبد بهم الهَوْل ووقع المصيبة، فلا يؤاخذوا ولا يذهلوا، ولا تطيش أحلامهم، ولا يفقدوا السيطرة على أنفسهم.

وربما كان الصدِّيق ﷺ من أعظم الصحابة تمثلًا لهذه الحقيقة، وانتفاعًا بهذا التوجيه الإلهي السديد، والإعداد الرشيد، فهو الذي قال قولته الخالدة ـ عندما توفى رسول الله ﷺ ـ وتهدَّد عمر ﷺ بسيفه

المشهور كل من يجرؤ على نعيه: «**مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهُ، فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ**».

وهكذا فصلت العقيدة الإسلامية ـ بحق ـ بين الدعوة وبين الداعي، فالدعوة باقية خالدة، والدعاة ميتون، مستميتون في سبيلها، وأمنية المتأخرين من الدعاة، أن يلحقوا بالسابقين، على درب الدعوة الطويل نفسه، دونما تغير في الدعوة، أو انحراف عن مقاصدها، أو تبديل في معالمها، أو ادِّخار أي وسع في إنجاحها.

فمن هنا قال أنس بن النضر ﷺ للذين رآهم، قعدوا بعد إشاعة قتل النبي ﷺ، مستسلمين للأمر الواقع، والإشاعة المرجفة المغرضة: «**فَمَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ؟ قُومُوا فَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ**». [**صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة لفيض الله ١٢٥-١٢٦**].

وتقول د/ هيام فرحات: «نزلت الآيات تعالج الخطأ الذي وقع فيه بعض الصحابة ﷺ من انهزام وتقهقر فور سماعهم الإشاعة التي روجت في المعركة بمقتل النبي ﷺ، فبينت لهم أنه يجب الثبات على العقيدة والحق، حتى وإن قُتل محمد ﷺ، فهو كسائر البشر غير مخلد، وستأتيه المنية، وكان هذا العلاج الرباني الشافي للصحابة ﷺ وغيرهم من التابعين والخلف؛ ليسيروا على هديه ونهجه، والمتأمل في التاريخ يجد أن مسيرة الإسلام العظيم الخالدة باقية على مر العصور، وأن الله تعالى قد خص أناسًا للذود والدفاع عن دينه، فهم يستمدون القوة والثبات من تلك الدروس والعبر التي وجهها لنا المنهج الرباني، فنجد الكثير من القادة والعظماء يضحون بأرواحهم من أجل إعلاء راية الحق، وعلى سبيل المثال لا الحصر الإمام الشهيد حسن البنا يستشهد في سبيل إعلاء كلمة الحق على يد الطواغيت، ولم تنته حركته بموته، بل استمرت تشق طريقها سريعًا وسط الخطب والصعاب، فمسيرة الجهاد والمقاومة، وضريبة الدماء الزكية باقية لقيام الساعة، والنصر قادم بعز عزيز أو بل ذليل».

[**المنهج القرآني في علاج أخطاء المؤمنين في العهد النبوي لفرحات ٧٧-٨١**].

٤ ـ التزيُّد العاطفي في حب النبي ﷺ لا يدخل في معالم منهج الرسالة:

يقول الشيخ عرجون: «هذه هي الصورة المجملة للرسالات الإلهية، فإذا التزم أتباعهم بها كانوا خير جماعة أُخرجت للناس، وإذا انحرفوا عنها كانوا بمعرض العقوبة من الله تعالى ليردهم إلى ساحة صدق الإيمان ونقائه، ويربيهم على التزام المتابعة لما جاءهم به الرسل من الهداية وشرائع العبودية لله وحده دون تزيد أو تنقص ليكونوا أسوة لمن يجيء بعدهم من الأجيال والقرون.

كان موقف الصحابة رضي الله عنهم في مبدأ غزوة أُحد موقفاً يغلب عليه الحب العاطفي:

وقد كان موقف أصحاب رسول الله ﷺ من هذا المنهج في غزوة أُحد موقفًا مشوبًا بحب العاطفة التي قادتهم بعيدًا عن مهيعه، وسلكت بهم مسلك المبالغة في الحب العاطفي، مما كان سببًا فيما أصابهم في هذه الغزوة من شدائد الأزمات، وفواجع البلاء التي كان من أشدها أثرًا في عواقب هذه الغزوة أنهم ربطوا إيمانهم وعقيدتهم ودعوتهم إلى الله لإعلاء كلمته بشخص رسول الله ﷺ، إذ لم يكادوا يسمعون صرخة الشيطان بأن محمدًا ﷺ قُتل حتى انفرط عقدهم وتفرَّقوا منهزمين، لا يلوون على شيء من شدة ما أصابهم من المفاجأة والدهش، وقساوة ما نزل على قلوبهم من الغم لسماعهم هذه الكلمة الكاذبة التي كادهم بها الشيطان؛ لينشر الفشل بينهم، ويوهن عزائمهم، ولولا وجود مَنْ ربط الله على قلوبهم فثبتهم ـ من أضراب أنس بن النضر، وسعد بن الربيع، وسعد بن معاذ، ونسيبة بنت كعب المازنية، وأبي طلحة زيد بن سهل النجاري، وطلحة بن عبيد الله، وأبي دجانة رضي الله عنهم ـ لكانت العاقبة أوخم وأشنع مما كان؛ لأن هؤلاء الأبطال راسخي الإيمان قالوا للذين أذهلتهم المفاجأة: إذا كان محمد ﷺ قد قُتل فإن رب محمد لم يُقتل، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد ﷺ». [**محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٣/ ٦٠٥**].

٥ ـ نزلت آية ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ عتابًا للذين أفرطوا في حب النبي ﷺ فظنوا خلوده في هذه الدنيا:

يقول الشيخ عرجون: «وقد تضمن عتاب المؤمنين بهذه الآية وهي التي تلاها أبو بكر رضي الله عنه يوم وفاة النبي ﷺ وسكَّن بها الفتنة وأنفذ بتلاوتها المجتمع المسلم من شر مستطير، وبلاء ساحق أمرين: التزيُّد العاطفي في حب النبي ﷺ بربط بقاء الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيلها ببقاء شخص رسول الله ﷺ مخلدًا، لا يلحقه موت وانتقال من الدنيا إلى دار الخلود.

وهذا هو معنى ما ذكره أبو جعفر الطبري في قولة أبي بكر الصديق رضي الله عنه التي فسَّر بها آية العتاب: إن الربط بين بقاء محمد ﷺ وبين بقاء الدعوة إلى الله والجهاد في سبيلها يتعدَّى حقيقة بشرية محمد ﷺ، فيخرجه في توهم الذين وقفوا موقف الهزة الإيمانية عن كونه بشرًا مثل سائر البشر، يلحقه ما يلحق البشر، ومنها الموت بعد استيفاء الأجل المكتوب له، كما لحق إخوانه المرسلين قبله كما قاله أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه، وهو يسمع مقالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم توفي رسول الله ﷺ: **فَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَقَدْ مَاتَ إِلَهُهُ الَّذِي كَانَ يَعْبُدُهُ** ـ يعني أن استبعاد أو إنكار موت محمد ﷺ تأليه لمحمد ﷺ؛ لأن المتفرد بالأبدية الذي لا يلحقه فناء هو الإله الحق الذي أرسل محمدًا ﷺ برسالة الهدى والنور.

ومثل ذلك ما وقع في غزوة أُحد، فإن بعض المجاهدين المؤمنين لم يكد يسمع الصرخة الفاجرة التي أرجف بها الشيطان بين صفوف المسلمين بأن محمدًا قُتل حتى اضطربت صفوفهم واستولى عليهم

الدَّهَشُ والفزع، واختل نظامهم وذهب تثبُّتهم، ومرج أمرهم، فاختلط صفُّهم بصفوف المشركين، وجعل بعضهم يضرب بعضًا وهم لا يشعرون، ثم ولَّوا الأدبار منهزمين، وتفرَّقوا حتى بلغ بعضهم في فراره المدينة، وبعضهم مكث ثلاثة أيام بعد انتهاء المعركة حتى فاء إلى إخوانهم المسلمين.

وقد وَجَدَ أنسُ بن النضر ﷺ، وهو مُقبل على النبي ﷺ للدفاع عنه بالقتال دونه، وتلقى الضربات عنه بعضًا من الذين استحوذ عليهم الدهش، وغلبتهم المفاجأة، وملكهم الاضطراب النفسي حتى هزَّ إيمانهم جلوسًا يكاد يقتلهم الغم، فقال لهم: **مَا جُلُوسُكُمْ هُنَا؟ قَالُوا: قُتِلَ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ: قُومُوا فَقَاتِلُوا عَلَى مَا قَاتَلَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ ﷺ**.

فكانت هذه المحاورة القصيرة السريعة إيقاظًا لمشاعرهم، وتثبيتًا لقلوبهم، ففاؤوا إلى رسول الله ﷺ، وقاتلوا دونه مدافعين عنه حتى انتهت المعركة؟.

وقد كانت لإصابات النبي ﷺ بالجراحات الكثيرة الدامية في وجهه الشريف، وإصابات من أُصيب من المسلمين بالقتل أو الجراح والتمثيل البشع الشنيع ببعض من استشهد ـ ولا سيما سيد الشهداء حمزة عم رسول الله ﷺ ـ أبلغ الأثر في نفس رسول الله ﷺ، وكانت تلك الإصابات وآثارها الوخيمة على المجتمع المسلم درسًا تربويًّا، تلقَّاه المجتمع المسلم ليتخذ منه معالم لمسيرته القيادية في مستقبل حياته، وكانت مظاهر لتمحيصه ليخلص من شوائب الجموح العاطفي في حُبِّه ﷺ الذي ساقه إليه التزيد العاطفي في هذا الحب؛ وليكون هذا المجتمع على أرفع درجات المتابعة له ﷺ في كل ما يأمر به رسولًا وقائدًا، والمتابعة تقتضي التسليم المطلق في تنفيذ وصاياه دون حرج أو تأويل يبعد تلك الأوامر والوصايا عن أهدافها ومراميها.

وقد دلَّت آية العتاب ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ على أن حبَّ النبي ﷺ يجب أن لا يتعدَّى بشريته ورسالته، فهو ﷺ بشر رسول أو رسول من البشر، والبشر رسلًا أو غير رسل لا عاصم لهم من الموت، وقد كان قبله ﷺ رسل من البشر بلَّغوا رسالات الله تعالى إلى خلقه، ثم ماتوا، ولم يكتب لأحد منهم الخلود في هذه الدنيا.

قال القرطبي: «فأَعلم الله تعالى في هذه الآية أن الرسل ليست بباقية في قومها أبدًا، وأنه يجب التمسك بما أتت به الرسل وإنْ فُقد الرسول بموت أو قتل...

فهذه الآية من تتمة العتاب مع المنهزمين، أي لم يكن لهم الانهزام وإنْ قُتل محمد ﷺ، والنبوة لا تدرأ الموت، والأديان لا تزول بموت الأنبياء.

وذِكْرُهُ ﷺ في الآية باسمه الأكرم إيذان بتأكيد بشريته، وهذا التأكيد يكسب العتاب شيئًا من الشدة الملائمة، ووصفهُ ﷺ بوصف الرسالة بأسلوب الحصر الإخباري مُشعر بوجوب متابعته في كل ما يأمر

به دون تأويل يبعده عن الامتثال؛ لأنه بمقتضى وصف الرسالة مبلِّغ عن الله تعالى ما أرسله به من شرعه وأحكامه التي يجب متابعته فيها مهما تكن الأسباب والنتائج؛ لأنه بإطلاق هذا الوصف وعمومه مفيد أنه لا يأتي بشيء من عنده، وإنما هو حامل لأمانة رسالة الله تعالى يبلِّغها كما أوحاها إليه ربه ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الأحقاف:٩].

فالذي يحب دين الله وشرعه، ويؤمن بالله إلهًا واحدًا ليس له منصرف إلا متابعة مبلِّغ دينه الذي أرسله به، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾[النساء]، وكما قال عز شأنه: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾[آل عمران: ٣١]». [**محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٣/ ٦١٣-٦١٥**].

٥ ـ متابعة الرسول ﷺ هي العنوان على محبة الله ومحبة الرسول محبة إيمانية:

يقول الشيخ عرجون: «اتباع الرسول ﷺ هو العنوان على محبة الله تعالى ومحبة دينه وبذل النفس والمال في سبيل نُصرة هذا الدين للوصول إلى رضاء الله تعالى، وليس على الرسول إلا بلاغ رسالة الله كما أنزلها الله عليه، فإعطاؤه فوق حقه بالتزيُّد العاطفي في حُبِّه وربط بقاء الدين ببقائه، فإذا مات أو قُتل رجعتم عن متابعته، خروج منكم عن التبعية فيما وجب عليكم ﴿وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾ بالتزيد العاطفي في حب الرسول ﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا﴾؛ لأن الله هو الغني الحميد، لم يبعث رسله إلى خلقه لحاجة إلى هؤلاء الرسل والمرسل إليهم، وإنما بعثهم ليبلِّغوهم رسالات ربهم ليفردوه بالتعبد، ويستمسكوا بما آتاهم على رسله لإصلاح حياتهم، فمن اتَّبع هدى الله كان شكورًا لله تعالى مستحقًا جزاء الشاكرين الذين سيؤتيهم ثواب شكرهم في التزامهم بالحق، لا يتعدُّونه إلى جامحات العواطف، ولا يخرجون في التزامهم عن طبيعة الرسالة في متابعتهم الرسل في كل ما يبلِّغونه عن الله تعالى.

ومتابعة الرسول أساس وجوب التأسي به في الصبر على المكاره، والعمل الدائب على نشر الرسالة وتبليغ الدعوة ونصرة الحق ومقاومة الظلم، وهذا التأسي هو الجانب الأغر من جوانب منهج رسالة الإسلام؛ لأنه الدعامة الأولى في بناء مسيرة الدعوة لإعلاء كلمة الله ونشرها في آفاق الأرض».

[**محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٣/ ٦١٦**].

٦ ـ الحب الإيماني بمتابعة الرسول ﷺ هو وشيجة تماسك المجتمع المسلم التي لا تنفصم عراها:

يقول الشيخ عرجون: «وعدم ربط بقاء الدين واستمرار الجهاد في سبيله ببقاء شخص النبي ﷺ في هذه الدنيا لا يلحقه فناء بموت أو قتل، وإيجاب متابعة الرسول ﷺ والتأسي به علمًا وعملًا هما

الوشيجة العظمى لتماسك المجتمع المسلم ولا سيما الدعاة إلى الله من أتباعه، وهما المعيار السوي لتقدير الشخصيات مهما كان شأنها من الرفعة بعيدًا عن المبالغات المفسدة لموازين الحق والعدالة؛ لأن البشر بأعلم علمائهم وأتقى أتقيائهم لم يخرجوا عن كونهم بشرًا مخلوقين لله تعالى، والبشر في طبيعتهم الخطأ فهم خطاؤون لم يعصم الله أحدًا منهم عن أن يكون بمعرض الخطأ والخطيئة، حاشا رسل الله وأنبياءه، فهم الذين ينفردون بالعصمة عن الخطأ فيما يبلِّغونه عن الله تعالى من شرائع وأحكام.

فالذي وقع في غزوة أُحد إنما كان من قبيل الابتلاء الممحِّص؛ ليعرف المجتمع المسلم وخيم عاقبة معصية الرسول ﷺ ومخالفة أمره عمومًا، ويتأكد ذلك في المواطن الأصيلة لبناء الدعوة إلى الله تعالى؛ وليعرف هذا المجتمع المسلم شؤم مخالفة الرسول ﷺ في أوامره ووصاياه، وخاصَّة إذا كان ذلك في ظل حياته وشهوده وقيادته العليا لكتائب المجاهدين من أصحابه الذين اصطفاهم الله لَبِنات لبناء المجتمع المسلم الذي ربَّاه ويربيه على منهج رسالته ليكونوا حملة أمانتها إلى الناس في أكناف الأرض.

وهذه المخالفة هي التي وقعت من الرماة الذين أقامهم رسول الله ﷺ في أماكنهم من جبل عَيْنين وراء الجيش المسلم ليحموا ظهره، فلم يطيقوا الصبر على البقاء في أماكنهم كما أمرهم رسول الله ﷺ، وتركوها متأوِّلين بمجرد ظهور بوادر النصر مع الجولة الأولى التي صدق فيها المجاهدون الحملة على المشركين فهزموهم.

وكانت أوامر رسول الله ﷺ لهم صريحة واضحة لا غموض فيها ولا إبهام، فإنه أمرهم أن لا يبرحوا من أماكنهم مهما كان سير المعركة حتى يرسل إليهم، ووعدهم ووعد جميع المجاهدين معهم إن هم ثبتوا حيث أقامهم كان النصر حليف المسلمين.

قال الزرقاني: وإلى هذا أشار ﷻ بقوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران]». [**محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٣/ ٦١٦-٦١٧**].

٧ - إثبات القدر والسبب:

يقول ابن القيم: «وختم الآية الأولى بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ بعد قوله: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾، إعلامًا لهم بعموم قدرته مع عدله، وأنه عادلٌ قادر، وفي ذلك إثباتُ القدرِ والسببِ، فذكرَ السببَ، وأضافه إلى نفوسهم، وذكر عمومَ القدرة وأضافها إلى نفسه، فالأول ينفي الجَبْرَ، والثاني ينفي القولَ بإبطال القدر، فهو يشاكل قوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير].

وفي ذِكْر قدرته ها هنا نكتة لطيفة، وهى أن هذا الأمر بيده وتحت قدرتِهِ، وأنه هو الذي لو شاء لصرفه عنكم، فلا تطلبُوا كشفَ أمثاله من غيره، ولا تتَّكِلُوا على سواه، وَكَشَفَ هذا المعنى وأوضَحَه كُلَّ الإيضاح بقوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦﴾ [آل عمران]، وهو الإذن الكوني القدري، لا الشرعي الديني، كقوله في السِّحر: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

ثم أخبر عن حِكمة هذا التقدير، وهى أن يعلَمَ المؤمنين مِن المنافقين عِلمَ عَيان ورؤية يتميز فيه أحدُ الفريقين من الآخر تمييزًا ظاهرًا، وكان مِن حكمة هذا التقديرِ تكلُّمُ المنافقين بما في نفوسهم، فسمعه المؤمنون، وسمعوا ردَّ الله عليهم وجوابه لهم، وعرفوا مؤدَّى النفاق وما يؤول إليه، وكيف يُحرم صاحبُه سعادةَ الدنيا والآخرة، فيعودُ عليه بفساد الدنيا والآخرة». [**زاد المعاد لابن القيم ٣/ ٢١٤ -٢١٥**].

٨ ـ وجوب التزام السنن الإلهية للتحقق بالنصر:

يقول د/ فيض الله: «أشارت آيات القرآن الكريم ـ في التعليق على هذه الغزوة ـ أن أحداث أُحد كانت بإذن الله، ووفقه سننه، وبيَّنَتْ أن لله في هذا الكون سننًا ثابتة مستترة، تجري وفقها الأحداث، وأن الإنسان في تحركه وفعاليته يخضع لهذه السنن ولا يشذ عنها، بل هو في كل أحواله ينطبق عليها، ويَنضَوي تحتها، والسنن ومطابقاتها كلها بإذن الله وقدره، تتسق معه، ولا تخرج عنه.

وإن من سنة الله، أن النصر لمن صبر، وامتثل الأمر، وقد أَخَلَّ الأصحاب بالصبر، ولم يوفروا الشرط، فكانت الهزيمة المريرة، وكان القَرْح والجُرْح، وكان استشهاد سبعين من كبار الصحابة، وكانت الآلام المبرحة، وكان كل ذلك بقدر الله وإذنه ومشيئته وسنته.

وإن كون الصحابة مسلمين مجاهدين، لا ينبغي أن تغير لهم السنن والنواميس التي ربط الله تعالى بها كونه وأحداثه، بل من لوازم الإسلام أن يخضعوا لهذه السنن، وألا يعطلوها: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

لكن الإسلام يسعفهم في عون الله لهم، وهو يطبق عليهم سننه، فهو يرعاهم، ويتخذ من أخطائهم التي تقرَّحوا بسببها، خيرًا لهم، وبركة عليهم، وتبدو بذلك الحكمة المستكنة وراء هذه السنة، والقدر المخبوء وراء هذه الأنظمة والنواميس.

قد كان وراء هذه الأحداث سنن مطبقة لا تتخلف: منها استدراج الكافرين، وتمحيص المؤمنين، ومداولة الأيام بين الناس، واختبار مبلغ الصبر على الحق والشدة، ومحق الكافرين المكذبين.

فلا ينبغي أن يطمح المؤمنون ـ لإيمانهم ولأنهم مؤمنون ـ أن يغير الله لأجلهم سننه ونظامه في الكون، وهذا سر تعجيل عقوبة المخالفة في أُحُد؛ ليعلموا أنهم ليسوا بدعًا من الناس، وأن الكون الذي سخر للناس، لا تُغيَّر نواميسه من أجلهم، بل تُطبَّق عليهم فيمن تُطبَّق.

ولا ينبغي أن يغترَّ المسلمون بالنصر يوم بدر، فيظنوا أن الدنيا دانت لهم، وأن العزَّ لن يتخلَّى عنهم، إنهم نالوه واستحقوه بالإخلاص والصبر والطاعة لله ورسوله، وعليهم أن يبقوا في مستواهم؛ ليبقى لهم العز والنصر، فإذا هبطوا عن مستواه ارتفع عنهم، وعزَّ عليهم». [صور وعبر لفيض الله ١٣٥-١٣٦].

ويقول أ/ خلف الله: «الأخذ بالأسباب واجب، وقد جعل الله تعالى لكل شيء سببًا، وعلى هذا بُني نظام الكون.

يقول صاحب المنار: «وكان المؤمنون السابقون إلى الإسلام على ثقة من وعد الله تعالى بنصر نبيه ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ وإظهار دينه، لم يزلزل إيمانهم بذلك ضعفهم وقلتهم، ولا إخراج المشركين للمهاجرين من ديارهم وأموالهم، وكانت وقعة بدر أول تباشير هذا النصر، فلما رأوا أن الله تعالى نصرهم على قلتهم وضعفهم بعد ما كان من دعاء الرسول ﷺ وتضرعه واستغاثة ربه زادهم ذلك إيمانًا بأنهم هم المنصورون، ولكن وقع في نفوس الكثيرين ـ إن لم نقل في نفوس الجميع ـ إن نصرهم سيكون بالآيات والعناية الخاصة من غير التزام للسنن الإلهية في الاجتماع البشري، وأن وجود الرسول ﷺ فيهم ودعاءه على أعدائهم هما أفعل في التنكيل بالكفار من التزام الأسباب الظاهرة التي أهمها طاعة القائد والتزام النظام العسكري وغير ذلك، ولكن الإسلام دين الفطرة لا الخوارق.

كانت عاقبة ذلك أن قصروا في هذه الأسباب يوم أحد حتى ظهر عليهم العدو وجرح الرسول ﷺ نفسه وإن لم يقصر هو ولم ينهزم ﷺ كما هي السنة الاجتماعية التي بينها تعالى في سورة الأنفال: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾[الأنفال]، إن الجنة تُنال بأسبابها ولا ينالها إلا الذي يبذل في الجهاد كل ما في وسعه ـ ونقصد بالجهاد هنا معناه الأعم ـ وتتمكن فيه صفة الصبر تمام التمكن حتى يصبح المؤمن قابلًا للقيام بأشق الأعمال عن رضى وطيب نفس ما دام ذلك يرضي الله ورسوله ويؤثر الحق على الباطل في جميع أحواله.

وقالوا إن التصديق لا يُعتد به ويكون إيمانًا صحيحًا إلا إذا وصل إلى درجة اليقين فإذا نزل على مرتبة اليقين كان ظنًّا أو شكًّا وليس الظن إيمانًا يعتد به والشك كفر صريح». [تفسير المنار ٤/ ١١٨].

فكأن ما حدث للصحب رضي الله عنهم من التأديب الإلهي في هذه الغزوة ما كانوا ليعلموا به من غير تطبيق على الواقع حتى تكمل لهم الفائدة والموعظة فلا يغتروا بشيء يشغلهم عن الاستعداد وتسديد النظر وأخذ الأهبة وغير ذلك من السنن الإلهية التي يتحقق بها الفوز والنصر ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾[آل عمران: ١٥٢].

وإن طلب النصر والظفر دون الأخذ بهذه الأسباب عبث.

وقد بين الله سبحانه للمؤمنين ما فاتهم من الأسباب المؤدية إلى النصر والتي لو راعوها لما انهزموا».

[غزوة أُحد لخلف الله ١٧٤-١٧٥].

٩ ـ التسليم لقدر الله:

في دعاء النبي ﷺ في بداية المعركة يقول الإمام النووي: «قَالَ الْعُلَمَاءُ: فِيهِ التَّسْلِيمُ لِقَدَرِ الله تَعَالَى، وَالرَّدُّ عَلَى غُلَاةِ الْقَدَرِيَّةِ الزَّاعِمِينَ أَنَّ الشَّرَّ غَيْرُ مُرَادٍ وَلَا مُقَدَّرٍ ـ تَعَالَى اللهُ عَنْ قَوْلِهِمْ ـ وَهَذَا الْكَلَامُ مُتَضَمِّنٌ أَيْضًا لِطَلَبِ النَّصْرِ، وَجَاءَ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ هَذَا يَوْمَ أُحُدٍ، وَجَاءَ بَعْدَهُ أَنَّهُ قَالَهُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَهُوَ الْمَشْهُورُ فِي كُتُبِ السِّيَرِ وَالْمَغَازِي، وَلَا مُعَارَضَةَ بَيْنَهُمَا، فَقَالَهُ فِي الْيَوْمَيْنِ. وَاللهُ أَعْلَمُ».

[شرح النووي على مسلم ١٢/ ٤٨].

١٠ ـ إثبات نبوة محمد ﷺ:

يقول د/ أبو خليل: «لقد كان أبو عامر من الرهبان، وعلى هؤلاء وعلى الأحبار أَخَذَ الله ﷻ الميثاق على لسان أنبيائهم بأنَّه إذا ظهر النبي العربي أن يؤمنوا به، وأن يدعوا الناسَ إلى الإيمان به، وكانوا قبل ظهوره يبشِّرون به، ويذكرون أوصافه، والبركات والخيرات وانتشار الإيمان، وإبادة الأصنام عند ظهوره، فلما ظهر وبُعِث وأُرْسِلَ، كانوا أوَّل الأعداء له، ونبذوا ميثاق الله الذي أخذه عليهم، واشتروا به ثمنًا قليلًا، ونظروا بعين المصلحة الدنيوية، فخُيِّل إليهم أنهم إذا اعترفوا بنبوَّته سيُحرمون المنافع المادية التي كانوا يأخذونها من أتباعهم، ورأوا أنهم سيخسرون زعامتهم، فآثروا المنفعة الدنيوية العاجلة على ميثاق الله الذي أخذه على أنبيائهم وعليهم، وآثروا دنياهم على آخرتهم (مع أن دنياهم لن تضيع، وسينعمون بعز الإيمان، ورفاه الإسلام)، والعاجل على الآجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران].

كتموا الحق، وأخفوا الحقيقة، وكان ما يجب أن يفعلوه الوفاء بالميثاق، وأن يبشِّروا بالنبي المنتظر، ويؤمنوا به، فلم يفعلوا ذلك، وأحبوا أن يُحمدوا وعملوا عكس ما يجب أن يفعلوا: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ [آل عمران]. [غزوة أُحد لأبي خليل ٤٣-٤٤].

ويقول د/ أبو خليل أيضًا: «ولم يخطر بباله ﷺ لحظة أن أُحُدًا قد رسمت مصير دعوته في المستقبل، بل هو على يقين أنها صورة عارضة، سرعان ما تتلاشى، فقال ﷺ لعلي رضي الله عنه: «لَنْ يَنَالُوا مِنَّا مِثْلَ هَذَا الْيَوْمِ حَتَّى نَسْتَلِمَ الرُّكْنَ ـ وفي رواية ـ حَتَّى يَفْتَحَ اللهُ عَلَيْنَا».

[الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٣١، سبل الهدى والرشاد للصالحي ٤/ ٣٣٨، ٣٥٥، ٤٤١].

فمع ما في القول من أهمية النبوءة واستشفاف الغيب، وقلنا: إن نبوءة واحدة، يأتي الواقع خلافًا لها، كافية لتنفي النبوَّة كلها، فلو لم يكن محمد بن عبد الله رسول الله حقًّا وصدقًا، لما ألزم نفسه ﷺ بمثل هذه النبوءات، ولكنه رسول الله حقًّا ويقينًا، ولا ينطق عن الهوى.

وفي رباطة جأشه ﷺ، وفي هدوء أعصابه، وفي صموده وثباته، درس عظيم للمسلمين، فهو دليل على مبلغ ثقته بالله، ويقينه أن العاقبة للتقوى». [**غزوة أُحد لأبي خليل ١٣٠-١٣١**].

ويقول أ/ عبَّاد: «الذي يربط بين أقوال الرسول ﷺ وردوده في بدر وأحد يرى أن هناك أمرًا كأنه يلوح بين ناظريه ﷺ يحذر منه، ففي بدر قرر ﷺ نتيجة المعركة قبل وقوعها:

١ ـ «**سِيرُوا عَلَى بَرَكَةِ اللهِ وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ**»، والقافلة نجت فلم يبق إلا النصر.

٢ ـ «**وَاللهِ لَكَأَنِّي الآنَ أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ القَوْمِ، هَذَا مَصْرَعُ فُلانٍ، وَهَذَا مَصْرَعُ فُلانٍ...**» ويضع يده على الأرض ويقول ههنا.

٣ ـ كان يقول ﷺ في دعائه: «**اللَّهُمَّ فَنَصْرَكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي**».

أما في أُحد فكان يُحذِّر:

١ ـ الرؤيا التي رآها «**وَرَأَيْتُ بَقَرًا لِي تُذْبَحُ، وَرَأَيْتُ فِي ذُبَابِ** (حد طرفه) **سَيْفِي ثَلَمًا**».

٢ ـ في الطريق إلى أُحد قال: «**شِمْ سَيْفَكَ ـ اغمده ـ، فَإِنِّي إِخَالُ السُّيُوفَ سَتُسَلُّ فَيَكْثُرُ سَلُّهَا**».

٣ ـ يقول للرماة: «**لا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا، لَا تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ فَلا تُعِينُونَا وَلا تَدْفَعُوا عَنَّا، إِنَّا لا نَزَالُ غَالِبِينَ مَا مَكَثْتُمْ مَكَانَكُمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ عَلَيْهِمْ!**».

كل هذا يؤكد أن النبي ﷺ كان يشعر بشيء سيحدث، وهذا من معجزاته ﷺ».

[**مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٢٠٨-٢٠٩**].

١١ ـ فضح التدين الكاذب:

في تفسيره للآيات ١٠٧-١٠٨ من سورة التوبة يقول ابن كثير: «سبب نزول هذه الآيات الكريمات، أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ إليها رجل من الخزرج يُقال له **أبو عامر الراهب**، وكان قد تنصَّر في الجاهلية، وقرأ عِلم أهل الكتاب، وكان فيه عبادة في الجاهلية، وله شرف في الخزرج كبير، فلما قدم رسول الله ﷺ مهاجرًا إلى المدينة، واجتمع المسلمون عليه، وصارت للإسلام كلمة عالية، وأظهرهم الله يوم بدر، شَرِق اللعين أبو عامر بريقه (شَرِق بريقه: امتلأ فضاق)، وبارز بالعداوة وظاهر بها، وخرج فارًّا إلى كفار مكة من مشركي قريش، يمالئهم على حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب وقدموا عام أُحُد، فكان من أمر المسلمين ما كان، وامتحنهم الله ﷻ، وكانت العاقبة للمتقين.

وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصَّفَّين، فوقع في إحداهن رسول الله ﷺ، وأُصيب ذلك اليوم، فجرح في وجهه، وكُسرت رباعيته (السن بين الثنية والناب، وهي أربع: رباعيتان في الفك الأعلى، ورباعيتان في الفك الأسفل) اليمنى السفلى، وشُج رأسه ﷺ.

وتقدم أبو عامر في أول المبارزة إلى قومه من الأنصار فخاطبهم واستمالهم إلى نصره وموافقته، فلما عرفوا كلامه قالوا: **لا أنعم الله بك عينًا يا فاسق يا عدو الله**، ونالوا منه وسبوه، فرجع وهو يقول: **والله لقد أصاب قومي بعدي شر**.

وكان رسول الله ﷺ قد دعاه إلى الله قبل فراره، وقرأ عليه من القرآن، فأبى أن يُسلم وتمرد، فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يموت بعيدًا طريدًا، فنالته هذه الدعوة، وذلك أنه لما فرغ الناس من أُحُد، ورأى أمر الرسول ﷺ في ارتفاع وظهور، ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي ﷺ، فوعده ومناه وأقام عنده، وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يَعِدُهم ويمنِّيهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ، ويغلبه ويرده عما هو فيه، وأمرهم أن يتخذوا له معقلًا يقدم عليهم فيه مَنْ يقدم مِنْ عنده لأداء كتبه، ويكون مرصدًا له إذا قدم عليهم بعد ذلك.

فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء، فبنوه وأحكموه، وفرغوا منه قبل خروج رسول الله ﷺ إلى تبوك، وجاؤوا فسألوا رسول الله ﷺ أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم؛ ليحتجوا بصلاته ﷺ فيه على تقريره وإثباته، وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية، فعصمه الله من الصلاة فيه، وقال ﷺ: «**إنا على سفر، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله**»، فلما قفل ﷺ راجعًا إلى المدينة من تبوك، ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم، نزل عليه جبريل عليه السلام بخبر مسجد الضرار، وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم: مسجد قباء، الذي أُسس من أول يوم على التقوى، فبعث رسول الله ﷺ إلى ذلك المسجد مَنْ هدمه قبل مَقْدِمه المدينة.

كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية: هم أناس من الأنصار بنوا مسجدًا فقال لهم أبو عامر: **ابنوا مسجدًا واستعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم، فآتي بجنود من الروم، وأُخرج محمدًا وأصحابه**، فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي ﷺ فقالوا له: **قد فرغنا من بناء مسجدنا، فنحب أن تصلي فيه، وتدعو لنا بالبركة**، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ إلى قوله: ﴿ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝١٠٩﴾[التوبة].

وكذا روي عن سعيد بن جبير ومجاهد وعروة بن الزبير وقتادة وغير واحد من العلماء، وقال محمد بن إسحاق بن يسار، عن الزهري، ويزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم،

قالوا: ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ الله ﷺ - يعني من تبوك - حَتَّى نَزَلَ بِذِي أَوَانَ - بَلَدٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ المَدِينَةِ سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ - وَكَانَ أَصْحَابُ مَسْجِدِ الضِّرَارِ قَدْ كَانُوا أَتَوْهُ وَهُوَ يَتَجَهَّزُ إِلَى تَبُوكَ، فَقَالُوا: **يَا رَسُولَ الله، إِنَّا قَدْ بَنَيْنَا مَسْجِدًا لِذِي الْعِلَّةِ وَالحَاجَةِ وَاللَّيْلَةِ المَطِيرَةِ وَاللَّيْلَةِ الشَّاتِيَةِ، وَإِنَّا نُحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنَا، فَتُصَلِّيَ لَنَا فِيهِ**، فَقَالَ: «**إِنِّي عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ، وَحَالِ شُغْلٍ** - أَوْ كَمَا قَالَ ﷺ - **وَلَوْ قَدْ قَدِمْنَا إِنْ شَاءَ اللهُ لَأَتَيْنَاكُمْ، فَصَلَّيْنَا لَكُمْ فِيهِ**»، فَلَمَّا نَزَلَ بِذِي أَوَانَ، أَتَاهُ خَبَرُ المَسْجِدِ، فَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ مَالِكَ بْنَ الدُّخْشُمِ، أَخَا بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ، وَمَعْنِ بْنِ عَدِيٍّ، أَوْ أَخَاهُ عَاصِمُ بْنُ عَدِيٍّ، أَخَا بَنِي الْعَجْلَانِ، فَقَالَ: «**انْطَلِقَا إِلَى هَذَا المَسْجِدِ الظَّالِمِ أَهْلُهُ، فَاهْدِمَاهُ وَحَرِّقَاهُ**»، فَخَرَجَا سَرِيعَيْنِ حَتَّى أَتَيَا بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ، وَهُمْ رَهْطُ مَالِكِ بْنِ الدُّخْشُمِ، فَقَالَ مَالِكٌ لِمَعْنٍ: **أَنْظِرْنِي حَتَّى أخرج إِلَيْكَ بِنَارٍ مِنْ أَهْلِي**، فَدَخَلَ إِلَى أَهْلِهِ، فَأَخَذَ سَعَفًا مِنَ النَّخْلِ، فَأَشْعَلَ فِيهِ نَارًا، ثُمَّ خَرَجَا يَشْتَدَّانِ حَتَّى دَخَلَاهُ وَفِيهِ أَهْلُهُ، فَحَرَّقَاهُ وَهَدَّمَاهُ، وَتَفَرَّقُوا عَنْهُ، وَنَزَلَ فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ مَا نَزَلَ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾[التوبة: ١٠٧] إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ. [سيرة ابن هشام ٢/ ٥٢٩-٥٣٠، تفسير ابن كثير ٧/ ٢٨٠-٢٨٢].

ويقول أ/ شاهين: «هذه إطلالة بسيطة تعطي خلفية كاملة عن رائد هذه المدرسة اللعينة، وحديثنا هنا يسلط الضوء على الخلفية النفسية والتكوينية لأبي عامر الفاسق.

إن هذا النموذج السيئ والذي كان يعد العدة في يوم من الأيام ليكون هو النبي، وكان يتجهز لذلك يكون صاحب نفسية عجيبة كل العجب، فهو لم يكن يبحث عن الحق أو عن هداية الخلق، إنما كما يريد أن يحقق ذاته ويبرز وجوده من خلال الظهور في مظهر الحق، وهو من أكذب الخلق على الله؛ لأن الحقيقة الكامنة خلف هذا المظهر الكاذب الخادع هي أنه يريد الرئاسة الدينية ليحتل بها مكانة في قلوب الخلق وليبرز ذكره بين الناس وتتحقق ذاته فيها، إنه المرض اللعين الذي يصيب تلك النفوس الهزيلة العليلة فيجعلها لا تبحث إلا عن - أنا - وأنا فقط.

إن بعض من يتصدون للدعوة اليوم - وإن كانوا مسلمين - مصابون بهذا الداء العُضال، ويحوزون تلك الخلفية النفسية المريضة لأبي عامر؛ ولذلك نجد أن عداءهم الشديد لحَمَلَة الإسلام المتجردين المخلصين الذين لا يبتغون إلا وجه الله تعالى، نجد أن هذا العداء له نفس لون وطعم العداء الذي كان يكنه أبو عامر لرسول الله ﷺ، ويختلط هذا الأمر على كثير من الناس فلا يستطيعون له تفسيرًا، ولكن الذي يدقق في مفاتيح النفوس البشرية وخلفياتها يدرك بوضوح أنا أبا عامر - وأمثاله من النماذج البشرية المماثلة له - إنما يُكِنُّون كل هذا الحقد الهائل لحَمَلَة الحق المخلصين المتجردين؛ لاعتقادهم أن مَنِ اصطفاهم الله تعالى لحمل رسالته قد سلبوهم الشيء الوحيد الذي كان من الممكن أن يحققوا فيه ذاتهم وكيانهم ووجودهم.

إن هذا النموذج السيئ من البشر نموذج هزيل ضعيف ذو نفسية خسيسة متدنية لا يستطيع أن يحقق ذاته إلا في أمر ذي طبيعة دينية، ليس حبًّا للدين ولكن عجزًا عن تحقيق ذاته في أي مجال آخر لضعفه وخسته.

إن أبا جهل وأمثاله لم يكونوا في حاجة أن يحققوا ذاتهم في مثل هذا الأمر ـ أمر التدين الكاذب ـ لأنهم كانوا أقوياء فجرة.

فحققوا ذواتهم في الكفر الصريح وفي معاداة الحق وأهله، فكانوا صرحاء في حربهم للدين.

أما أبو عامر وأمثاله فهم في حقيقة الأمر يكرهون الدين والتدين، ولكنهم لضعفهم وهوانهم وانسداد الطرق أمامهم لتحقيق ذواتهم في أي أمر آخر فيلجؤون كاذبين إلى تحقيق ذاتهم في الأمر الذي يكرهونه أشد الكره؛ لأنه لم يبق أمامهم غيره لإثبات كيانهم ووجودهم كذبًا ونفاقًا، فإذا اصطفى الله لهذا الدين من يحمله، وكان للمتقين إمامًا بحق، والتف الناس حوله وهداهم إلى رب العالمين، نجد أنا أبا عامر وأمثاله يتعرفون على حقيقتهم، فينقلبون صرحاء في حربهم لهذا الدين وحملته حربًا شعواء لا هوادة فيها.

ومن معالم هذه المدرسة كما قلنا مسجد الضرار، فصاحب فكرة هذا المسجد هو رائد تلك المدرسة أبو عامر الفاسق.

ومن معالم هذه المدرسة أيضًا ادعاء أصحابها أنهم على الحق الصافي النقي، وأن حَمَلة الحق الذين اصطفاهم الله له هم المحرِّفون في الرسالة، وما أفجر أبا عامر اللعين حينما قال لرسـول الله ﷺ مبررًا عدم اتباعه له ولرسالته: «**ولكنك أدخلت يا محمد في الحنيفية ما ليس منها**»، فيقول ﷺ: «**بلى جئتُ بها بيضاء نقية**»، فيعرِّض به اللعين ويقول له: «**يا محمد! إن الكاذب أماته الله طريدًا غريبًا وحيدًا**»، فيقول الرسول ﷺ: «**من فَعَل فَعَل الله به**»، أي من كان كاذبًا فينا فعلًا فعل الله به ذلك، فكان هو عدو الله أماته الله طريدًا غريبًا وحيدًا.

إن هذا المنطق هو منطق أهل هذه المدرسة في تشويه من اصطفاهم الله تعالى لحمل رسالته بصدق وتجرد.

ومن معالم هذه المدرسة أيضًا أنها تمثل المحور الأساسي والمركز الفعال الذي تلتقي عنده كل مدارس الباطل المختلفة لمحاربة الحق وأهله، لقد كان أبو عامر حركة دائمة نشيطة متوثبة في محاربة محمد ﷺ وأصحابه، لقد كان على صلة وثيقة بمدرسة عبد الله بن أُبي ابن سلول زعيم المنافقين، وقام بعقد مصاهرة معه، كما كان على صلة بمدرستي أبي جهل والوليد بن المغيرة في مكة، كما كان على صلة باليهود داخل المدينة (مدرسة حيي بن أخطب)، كما كان على صلة بالروم لتأليبهم على حرب محمد ﷺ، فكان أبو عامر هذا هو حلقة الربط الأساسية والمحورية بين كل مدارس الباطل لتجميعهم على محاربة الحق وأهله».

[أوائل المؤمنين وأكابر المجرمين لشاهين ٦١-٦٤].

١٢ ـ الإيمان ومحبة الرسول ﷺ:

يقول د/ البوطي: «ولنتأمل في وقع الموت على أصحاب رسول الله ﷺ وهم من حوله يحمونه بأجسادهم من نبال المشركين وضرباتهم، يتساقطون الواحد منهم إثر الآخر تحت وابل السهام، وهم في نشوة عارمة وحرص حريص على حفظ حياة الرسول ﷺ، لا يبالون بغير ذلك...!

فما هو مصدر هذه التضحية العجيبة؟

إنه الإيمان بالله تعالى ورسوله أولًا، ثم محبة رسول الله ﷺ ثانيًا، فهما معًا سبب هذه التضحية الرائعة العجيبة، والمسلم يحتاج إليهما معًا، لا يكفيه أن يدعي الإيمان بما ينبغي الإيمان به من أمور العقيدة، حتى يمتلئ قلبه بمحبة الله ورسوله أيضًا؛ ولذلك قال ﷺ: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**». [البخاري في الإيمان (١٤، ١٥)، ومسلم في الإيمان (٤٤)، والنسائي في الإيمان وشرائعه (٥٠١٣، ٥٠١٤، ٥٠١٥)، وابن ماجه في المقدمة (٦٧)، وأحمد عن أنس رضي الله عنه (١٢٤٠٣ و ١٣٤٩٩)].

وبيان ذلك: أن الله عز وجل قد غرس في الإنسان عقلًا وقلبًا، أما الأول فلكي يفكر به فيؤمن بما يجب الإيمان به، وأما الثاني فلكي يستعمله في محبة مَنْ أمر الله بمحبته وبغض مَنْ أمر الله ببغضه، وإذا لم يشغل القلب بمحبة الله ورسوله والصالحين من عباده فسيمتلئ ولابد بمحبة الشهوات والأهواء والمحرمات، وإذا فاض القلب بمحبة الشهوات والأهواء فهيهات أن يصبح الاعتقاد وحده حاملًا لصاحبه على أي عمل من أعمال التضحية أو الفداء.

وهذه الحقيقة من الأوليات التي أقرها علماء التربية والأخلاق، ودلت عليها التجارب البديهية، واسمع ما يقوله في ذلك جان جاك روسو في كتابه (إميل): «كم قيل وأُعيد القول عن الرغبة في إقامة الفضيلة على العقل وحده، ويا له من أساس متين!... أي أساس هذا!... إن الفضيلة كما يقولون هي النظام، ولكن هل يستطيع الإيمان بالنظام أن يتغلب على مسرتي الخاصة؟... إن هذا المبدأ المزعوم ليس إلا لعبًا بالألفاظ فالرذيلة هي حب النظام بشكل مختلف».

[راجع للتوسع في هذا البحث كتابنا (د/ البوطي): تجربة التربية الإسلامية في ميزان البحث].

من أجل هذه الحقيقة لم تستطع الحكومة الأمريكية أن تلتزم بما آمنت به واعتقدت بفائدته يوم أقدمت على تحريم الخمر ومنع مداولتها في المجتمعات والنوادي وذلك عام ١٩٣٣م، إذ لم تمض سوى فترة وجيزة حتى نكص المقننون على أعقابهم، وارتدُّوا مترنحين من ألم الحرمان فألغوا القانون الذي التزموه وراحوا يعبُّون أقداحهم من جديد.

هذا على حين أن أصحاب النبي ﷺ ـ وهم من هم من الثقافة والمدنية والمعرفة بالأضرار والفوائد بالنسبة للأمريكيين اليوم ـ عمدوا بمجرد أن سمعوا أمر الله عز وجل لهم باجتناب الخمر، إلى دنان الخمر فأراقوها وإلى الأقداح فكسروها، وارتفعت أصواتهم تقول: انتهينا يا رب انتهينا...!

والفرق بين الصورتين والواقعتين، أن ههنا شيئًا قد وقر في القلب فكان هواه تبعًا لأمر الله وأحكامه.

هذه المحبة، بل هذا الهوى المستحوذ على قلوب أصحاب رسول الله ﷺ هو الذي جعلهم يمدون نحورهم دون نحر رسول الله ﷺ، ويعانقون الموت في سبيل حفظ حياته ﷺ.

وكم في غزوة أحد من المشاهد الرائعة التي تكشف عن أثر هذه المحبة إذ تغمر قلب صاحبها.

روى ابن هشام أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «**مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لِي مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ؟ أَفِي الأَحْيَاءِ هُوَ أَمْ فِي الأَمْوَاتِ؟**» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ: أَنَا أَنْظُرُ لَك يَا رَسُولَ الله مَا فَعَلَ سَعْدٌ، فَنظَرَ فَوَجَدَهُ جَرِيحًا فِي القَتْلَى وَبِهِ رَمَقٌ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: إنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ أَفِي الأَحْيَاءِ أَنْتَ أَمْ فِي الأَمْوَاتِ؟ قَالَ: **أَنَا فِي الأَمْوَاتِ، فَأَبْلِغْ رَسُولَ الله ﷺ عَنِّي السَّلَامَ، وَقُل لَهُ: إنَّ سَعْدَ بْنَ الرَّبِيعِ يَقُولُ لَكَ: جَزَاكَ اللهُ عَنَّا خَيْرَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَنْ أُمّتِهِ، وَأَبْلِغْ قَوْمَكَ عَنِّي السَّلَامَ، وَقُل لَهُمْ: إنَّ سَعْدَ بْنَ الرَّبِيعِ يَقُولُ لَكُمْ: إنَّهُ لا عُذْرَ لَكُمْ عِنْدَ الله إنْ خَلُصَ إلَى نَبِيِّكُمْ ﷺ وَمِنْكُمْ عَيْنٌ تَطْرِفُ، قَالَ: ثُمَّ لَمْ أَبْرَحْ حَتَّى مَاتَ، قَالَ: فَجِئْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرَهُ.** [السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٩٤-٩٥].

ويوم تمتلئ أفئدة المسلمين في عصرنا هذا بنحو هذه المحبة، بحيث تبعدهم قليلًا عن شهواتهم وأنانيتهم، وتتغلب عليهم ـ أقول: يوم يحدث هذا في أفئدة المسلمين فإنهم يصبحون خلقًا آخر جديدًا، وسينتزعون انتصارهم من بين شدقي الموت، وسيتغلبون على أعدائهم، مهما كانت العقبات والسدود.

وإذا سألت عن السبيل إلى مثل هذه المحبة، فاعلم أنها كثرة الذكر وكثرة الصلاة على رسول الله ﷺ، وفي كثرة التأمل والتفكر في آلاء الله ونعمه عليك، وفي سيرة رسول الله ﷺ وأخلاقه وشمائله، وهذا كله بعد الاستقامة على العبادات في خشية وحضور، والتبتل إلى الله ﷻ بين الحين والآخر».

[فقه السيرة للبوطي ١٩٤-١٩٥].

١٣ ـ النار مصير قتلى القومية:

يقول أ/ عبّاد: «نسأل الله حُسن الخاتمة، وصدق النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: التَقَى النَّبِيُّ ﷺ وَالْمُشْرِكُونَ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَاقْتَتَلُوا، فَمَالَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي الْمُسْلِمِينَ رَجُلٌ لَا يَدَعُ مِنْ الْمُشْرِكِينَ شَاذَّةً وَلَا فَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا فَضَرَبَهَا بِسَيْفِهِ، فَقِيلَ: **يَا رَسُولَ الله! مَا أَجْزَأَ أَحَدٌ مَا أَجْزَأَ فُلَانٌ!** فَقَالَ: «**إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، فَقَالُوا: **أَيُّنَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ إِنْ كَانَ هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟!** فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ القَوْمِ: لَأَتَّبِعَنَّهُ، فَإِذَا أَسْرَعَ وَأَبْطَأَ كُنْتُ مَعَهُ حَتَّى جُرِحَ فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نِصَابَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَجَاءَ الرَّجُلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: **أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الله**، فَقَالَ: «**وَمَا ذَاكَ؟**»، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ ـ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ ـ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ـ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ ـ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**».

وفي رواية: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ**». [البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٣٢)، وفي المغازي (٤٢٠٧)، وفي القدر (٦٥٩٤)، وفي التوحيد (٧٤٥٤)، وأبو داود في السنة (٤٧٠٨)، والترمذي في القدر (٢١٣٧)، وابن ماجه في المقدمة (٧٦)، وأحمد عن عبد الله بن مسعود ﷺ (٣٦١٧، ٣٩٢٤، ٤٠٨٠)، وعن سهل بن سعد ﷺ (٢٢٣٠٦، ٢٢٣٢٨)].

فقزمان قاتل في جانب النبي ﷺ ـ فيما يبدو للناس ـ فكانوا يظنونه من أهل الجنة حيث مات شهيدًا، ولكن الحقيقة عكس ذلك، حيث قاتل حمية دفاعًا عن أحساب قومه، فظهرت تلك الحقيقة عندما أشرف على الموت وعُلم نفاقه فكان من أهل النار.

وقد حدثت مثل حادثة قزمان هذا حادثة لرجل آخر يوم خيبر، قاتل في جانب المسلمين حتى قُتل، ولكن قتاله لم يكن على الإسلام وإنما كان قتالًا وطنيًّا قوميًّا مجردًا (كقتال قزمان المنافق) وعندها أمر رسول الله ﷺ بلالًا فنادى في الناس: «**إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَأَنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ**». روى هذه الحادثة أحمد في مسنده عن أبي هريرة ﷺ.

[مسلم في الإيمان (١١١)، وأحمد عن أبي هريرة ﷺ (٨٠٢٩)].

وهذا مصير من يقتل خارج نطاق العقيدة الإسلامية، وفي غير سبيل نصرتها، فإن مصيره في الآخرة النار، وإن قُتل في جيش يقوده النبي ﷺ وخلف لواء يعقده النبي ﷺ؛ وذلك لأن قتاله ليس على عقيدة الإسلام بل عن حسب وحمية، وهذه هي عقيدة القوميين والعلمانيين واللادينيين، الذين يرون أنه من الرجعية والطائفية الالتزام في الكفاح بالإسلام، بل إنهم يحاربون كل من يدعو إلى الإسلام ويستنكرون محاربة أي أحد ـ حتى اليهود ـ باسم الإسلام، فما أفسدها عقيدة وما أخزاه مصير لكل من يدَّعي الإسلام ثم يرفض القتال تحت عقيدته ومبادئه.

وفي مثل هؤلاء سُئل النبي ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله، فقال ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**». [سبق تخريجه في بداية هذا المبحث].

وفي قزمان وأمثاله قال النبي ﷺ: «**إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَأَنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ**». [مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ١٥٠، ١٥٣، غزوة أُحد لباشميل ١٩٩].

١٤ ـ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ:

يقول الشيخ الصوياني: «وأما هذا البطل المجاهد فهو من أهل النار، ليس لأنه غير مسلم، بل هو مسلم، لكن هناك فرق بين الاستشهاد والانتحار، وهذا البطل المجاهد قد انتحر، لم يصبر لتقتله جروحه أو ليشفى منها، لم يقتله أحد، بل هو الذي قتل نفسه، ولو أدرك ما للجراح والآلام من منافع

لطلب المزيد، قال ﷺ: «إِذَا ابْتَلَى اللهُ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ بِبَلَاءٍ فِي جَسَدِهِ، قَالَ اللهُ: اكْتُبْ لَهُ صَالِحَ عَمَلِهِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، فَإِنْ شَفَاهُ غَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ، وَإِنْ قَبَضَهُ غَفَرَ لَهُ وَرَحِمَهُ». [مسند أحمد ١٩/ ٤٨٣ رقم ١٢٥٠٣، ٢١/ ٢٦٨ رقم ١٣٧١٢، وقال الشيخ الأرناؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنَ، وَلَمْ يَشْكُنِي إِلَى عُوَّادِهِ أَطْلَقْتُهُ مِنْ إِسَارِي، ثُمَّ أَبْدَلْتُهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ، وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ، ثُمَّ يُسْتَأْنَفُ الْعَمَلَ».

[صحيح: [ك هق] عن أبي هريرة ﷺ. صحيح الجامع الصغير (٤٣٠١)].

ويبدأ من جديد مطهرًا من كل ذنب..

ويقول ﷺ عن الذين يكثر ابتلاؤهم وامتحانهم في الدنيا: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ».

[حسن: [ت هـ] عن أنس ﷺ. صحيح الجامع الصغير (٢١١٠)].

أما عن مثل هذا المسلم الشجاع، فقد قال ﷺ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ (يطعن) بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ شَرِبَ سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ (يشربه في تمهل ويتجرعه) فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى (ينزل) مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا». [صحيح: [حم ق ت ن هـ] عن أبي هريرة ﷺ. صحيح الجامع الصغير (٦٤٥٩)].

[السيرة النبوية للصوياني ٢/ ٢٣١-٢٣٢].

١٥ ـ عدم تكفير الفرد إلا ببرهان (لنا الظاهر والله يتولى السرائر):

يقول أ/ عبَّاد: «أما الأصيرم ﷺ فكان مشركًا ـ فيما يبدو للناس ـ وهو يقاتل بجانب النبي ﷺ حتى ظنوا أنه قاتل دفاعًا عن قومه فظهرت الحقيقة وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، حيث كان يقاتل دفاعًا عن الإسلام ورغبة فيه والتزامًا بمبادئه وإيمانًا برسوله ﷺ، فاستحق الجنة.

[دخل الجنة وما صام لله يومًا، يا لكرم الله، الجنة، خلودها وسحرها وعوالمها لهذا الفارس من أجل لحظات، لكنها لحظات من التوحيد، لحظات شارك فيها عمرو بن أقيش في هزيمة الأصنام وأهله].

[السيرة النبوية للصوياني٢/ ٢٠٩].

ولحكمة ـ الله أعلم بها ـ لم يمت أحد منهما ـ قزمان والأصيرم ـ حتى تحدثا مع القوم لنأخذ من ذلك درسًا عمليًّا مهمًّا، ونعلم معنى دعاء: «اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي [قُلُوبَنَا] عَلَى دِينِكَ».

[الترمذي في القدر (٢١٤٠)، وفي الدعوات (٣٥٢٢، ٣٥٨٧)، وأحمد عن أنس ﷺ (١١٦٩٧، ١٣٢٨٤)، وعن النواس بن سمعان ﷺ (١٧١٧٨)، وعن عائشة ﵂ (٢٤٠٨٣، ٢٥٦٠٢)، وعن أم سلمة ﵂ (٢٥٩٨٠، ٢٦٠٣٦، ٢٦١٣٩)، وقال الشيخان الألباني والأرناؤوط: صحيح]. [مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ١٥٢].

١٦ ـ الإيمان بوجود الملائكة:

يقول د/ أبو فرحة: «يتطلب الحديث عن جهاد الملائكة يوم أُحد تحقيق أمرين هما:

أولًا: الإمداد بالملائكة في غزواته عمومًا، حيث أنكر البعض مطلق الإمداد في جميع الغزوات، وقد فصلنا القول فيه في المرحلة الثانية من غزوة بدر الكبرى.

فإذا بطل هذا الرأي وثبت الإمداد العام، فلننتقل إلى الأمر الثاني، وهو الإمداد الخاص بيوم أُحد.

فعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ: **رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وَمَعَهُ رَجُلَانِ يُقَاتِلَانِ عَنْهُ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، كَأَشَدِّ القِتَالِ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ.** [البخاري في المغازي (٤٠٥٤)].

وعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ: **رَأَيْتُ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ الله ﷺ وَعَنْ شِمَالِهِ يَوْمَ أُحُدٍ رَجُلَيْنِ، عَلَيْهِمَا ثِيَابُ بَيَاضٍ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ**، يَعْنِي جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عليهما السلام.

[البخاري في اللباس (٥٨٢٦)، ومسلم في الفضائل (٢٣٠٦) واللفظ له، ومسند أحمد رقم ١٥٣٠].

وعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ: **لَقَدْ رَأَيْتُ يَوْمَ أُحُدٍ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ الله ﷺ وَعَنْ يَسَارِهِ رَجُلَيْنِ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ يُقَاتِلَانِ عَنْهُ كَأَشَدِّ القِتَالِ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ.**

[مسلم في الفضائل (٢٣٠٦)، ومسند أحمد رقم ١٤٦٨، ١٤٧١].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ: «**هَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ الحَرْبِ**». [البخاري في المغازي (٤٠٤١)، وذكرها أيضاً البخاري ـ ولكنها عن غزوة بدر ـ في المغازي (٣٩٩٥)].

وَعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، قَالَ: قَالَ الحَارِثُ بن الصِّمَّةِ ﷺ: سَأَلَنِي رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وَهُوَ فِي الشِّعْبِ: «**هَلْ رَأَيْتَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بن عَوْفٍ؟**»، قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله! رَأَيْتُهُ إِلَى جَرِّ (أسفل) الجَبَلِ، وَعَلَيْهِ عَكَرٌ مِنَ المُشْرِكِينَ، فَهَوَيْتُ إِلَيْهِ لأَمْنَعَهُ، فَرَأَيْتُكَ فَعَدَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَا إِنَّ المَلَائِكَةَ تُقَاتِلُ مَعَهُ**»، قَالَ الحَارِثُ: فَرَجَعْتُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَأَجِدُهُ بَيْنَ نَفَرٍ سَبْعَةٍ صَرْعَى، فَقُلْتُ لَهُ: ظَفِرَتْ يَمِينُكَ، أَكُلَّ هَؤُلاءِ قَتَلْتَ؟ قَالَ: أَمَّا هَذَا ـ لأَرْطاةَ بن شُرَحْبِيلَ ـ وَهَذَا، فَأَنَا قَتَلْتُهُمَا، وَأَمَّا هَؤُلاءِ فَقَتَلَهُمْ مَنْ لَمْ أَرَهُ، قُلْتُ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ. [مجمع الزوائد ٦/ ١٦٣-١٦٤كتاب المغازي والسير (١٠٠٨٢)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ٣/ ٢٧١ رقم ٣٣٨٥]، والبزار وفيه عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف].

وقال ابن أبي شيبة في المصنف: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الحُبَابِ عَنْ مُوسَى بْنِ عُبَيْدَةَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ ثَابِتٍ أَنَّ رَسُولُ الله ﷺ قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ: **أَقْدِمْ يَا مُصْعَبُ**، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ ﷺ: يَا رَسُولَ الله، أَلَمْ يُقْتَلِ مُصْعَبُ؟ قَالَ: «**بَلَى، وَلَكِنْ مَلَكٌ قَامَ مَكَانَهُ، وَتَسَمَّى بِاسْمِهِ**».

[المصنف لابن أبي شيبة ٢٠/ ٣٥٣ كتاب المغازي (٣٧٩٢٥)، وقال الشيخ عوامة: إسناده معضل وضعيف].

وقال ابن سعد: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ بْنُ سَعْدٍ النَّوْفَلِي عَنْ عَبْدِ الله بْنِ الفَضْلِ بْنِ العَبَّاسِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ قَالَ: أَعْطَى رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ ﷺ

اللِّوَاءَ فَقُتِلَ مُصْعَبُ، فَأَخَذَهُ مَلَكٌ فِي صُورَةِ مُصْعَبٍ فَجَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ لَهُ فِي آخِرِ النَّهَارِ: **تَقَدَّمْ يَا مُصْعَبُ**، فَالتَفَتَ إِلَيْهِ المَلَكُ فَقَالَ: **لَسْتُ بِمُصْعَبٍ**، فَعَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ أَنَّهُ مَلَكٌ أُيِّدَ بِهِ.

[المغازي للواقدي ١/ ٢٣٤، والطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ١١١].

وروى ابن إسحاق والبيهقي وابن عساكر عن عبد الله بن عون عن عمير بن إسحاق قال: لَـمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ انْكَشَفُوا عَن رَسُولِ الله ﷺ وَسَعْدٌ ﷺ يَرْمِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَفَتَى يَنْبُلُ لَهُ، كُلَّمَا ذَهَبَ نِبْلُهُ أَتَاهُ بِهَا، قَالَ: ارْمِ أَبَا إِسْحَاقَ، فَلَـمَّا فَرِغُوا نَظَرُوا مَنِ الشَّابُ؟ فَلَمْ يَرَوْهُ، وَلَمْ يُعْرَفْ.

[سبل الهدى والرشاد للصالحي ٤/ ٣٠٤، والحديث رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٢٠/ ٣٤٥ في المغازي (٣٧٩٠١)، وقال الشيخ عوَّامة: حديث مرسل، وعمير بن إسحاق لا أقل من: لا بأس به، كما قال النسائي، لا: مقبول، وقد رواه البيهقي في دلائل النبوة ٣/ ٢٥٦-٢٥٧ من طريق ابن عون، به.].

وروى ابن إسحاق والواقدي وابن عساكر عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قال: لَقَدْ رَأَيْتُنِي أَرْمِي السَّهْمَ يَوْمَ أُحُدٍ فَيَرُدُّهُ عَلَيَّ رَجُلٌ أَبْيَضُ حَسَنُ الوَجْهِ لَا أَعْرِفُهُ، حَتَّى كَانَ بَعْدُ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَلَكٌ.

[سبل الهدى والرشاد للصالحي ٤/ ٣٠٤، المغازي للواقدي ١/ ٢٣٤].

وروى البيهقي عن عروة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، قَالَ: كَانَ اللهُ تَعَالَى وَعَدَهُمْ عَلَى الصَّبْرِ وَالتَّقْوَى أَنْ يَمُدَّهُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُسَوَّمِينَ، وكَانَ قَدْ فَعَلَ، فَلَـمَّا عَصَوْا أَمْرَ رَسُولِ الله ﷺ وَتَرَكُوا مَصَافَّهُمْ، وَتَرَكَتِ الرُّمَاةُ عَهْدَ رَسُولِ الله ﷺ: أَلَّا يَبْرَحُوا مِنْ مَنَازِلِهِمْ، وَأَرَادُوا الدُّنْيَا، رَفَعَ عَنْهُمْ مَدَدَ المَلَائِكَةِ، وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾، فَصَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ وَأَرَاهُمْ الفَتْحَ، فَلَـمَّا عَصَوْا أَعْقَبَهُمُ البَلَاءَ.

[سبل الهدى والرشاد للصالحي٤/ ٣٠٤].

تلك نصوص المثبتين، وأما نصوص النافين للمدد بالملائكة يوم أُحد فهي:

قال ابن عباس ﷺ: لَمْ تُقَاتِلِ المَلَائِكَةُ فِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ سِوَى يَوْمَ بَدْرٍ، وَكَانُوا يَكُونُـونَ فِـيمَا سِـوَاهُ مِنَ الأَيَّامِ عَدَدًا وَمَدَدًا لَا يَضْرِبُونَ. [**تفسير الطبري ٤/ ٤٨**].

وقال مجاهد: حَضَرَتْ المَلَائِكَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُقَاتِلُوا. [**الفخر الرازي ٨/ ٢٢٤**].

وقال البيهقي: لَمْ يُقَاتِلُوا يَوْمَ أُحُدٍ عَنِ القَوْمِ. [**إنسان العيون ٢/ ٢٦٦**].

وقال ابن جرير: فَأَمَّا فِي يَوْمِ أُحُدٍ، فَالدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يُمَدُّوا أَبْيَنُ مِنْهَا فِي أَنَّهُمْ أُمِدُّوا؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَوْ أُمِدُّوا لَمْ يُهْزَمُوا، وَيُنَالَ مِنْهُمْ مَا نِيلَ مِنْهُمْ. [**تفسير الطبري ٨/ ١٨١**].

تلك أهم نصوص المثبتين، والنافين، ويبدو لي أن لا تعارض بينها، فـلا تعـارض بـين الإمـداد، وبـين افتقاد الصبر والتقوى المعلَّق عليهما الإمداد، كما أنه لا تعارض بين الإمداد وبين وقوع الهزيمـة؛ ذلـك لأن

المدد المعلَّق على الصبر والتقوى، إنما هو المدد العام بالعدد المذكور الثلاثة آلاف أو الخمسة آلاف، وذلك لم يحدث لفقدان شروطه؛ ولأنه لو حدث لاشتهر أمره، كما حدث يوم بدر، ولَمّا هُزم المسلمون يوم أُحد.

أما المدد المثبت يوم أُحد فهو مدد آخر غير ما وُعدوا به، هو مدد خاص بمقدار ما يحفظ سيدنا رسول الله ﷺ تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، وذلك كما جاء في حديث البخاري ومسلم السابقين، وقتال عن ابن عوف ﷺ كما في حديث الطبراني وابن منده.

كما أنه كان هناك عون محدود بغير قتال، بدأ في حمل أَحد الملائكة اللواء بعد قتل مصعب بن عمير ﷺ؛ ليراه المسلمون فلا ينكسروا، وفي رد السهام على سعد بن أبي وقاص ﷺ». [**غزوة أُحد لأبي فرحة ٢١٢-٢١٣**].

ويقول د/ أبو فارس: «لم يتخل الله ﷻ عن رسوله ﷺ في هذه الغزوة وفي غيرها، فقد تعهد الله ﷻ بعصمته من الناس الذين يعادونه حتى يبلِّغ رسالته، ويحقق غايته في واقع الحياة، بتطبيق شريعته وقيام دولته.

وقد تجلت عصمة الله ﷻ لرسوله محمد ﷺ في هذه الغزوة حينما اضطرب أمر المسلمين، وتفرقوا عن رسول الله ﷺ، وانكشفوا عنه، وتعرض وجهه ﷺ إلى سبعين ضربة سيف وقاه الله شرها، وأنزل الملائكة تدافع عنه». [**غزوة أُحد لأبي فارس ١٠٣**].

١٧ ـ سوء عاقبة المعصية، والفَشَل، والتنازُع:

يقول ابن القيم في حكم أُحُد: «**فمنها: تعريفُهم سوءَ عاقبة المعصية، والفَشَل، والتنازُعِ، وأن الذي أصابَهم إنما هو بِشُؤمِ ذلِكَ**، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥٢﴾ [آل عمران].

فلما ذاقُوا عاقبةَ معصيتِهم للرسول ﷺ، وتنازعهم، وفشلهم، كانُوا بعد ذلك أشدَّ حذرًا ويقظة، وتحرُّزًا مِن أسبابِ الخِذلان». [**زاد المعاد لابن القيم ٣/ ١٩٦**].

«إن مخالفة أمر القائد الحازم البصير يؤدي إلى خسارة المعركة، كما حصل في وقعة أحد، فلو أن رماة النبل الذين أقامهم الرسول ﷺ خلف جيشه ثبتوا في مكانهم كما أمرهم الرسول ﷺ لما استطاع المشركون أن يلتفوا من حولهم، ويقلبوا هزيمتهم أول المعركة إلى نصر في آخرها، وكذلك يفعل العصيان في ضياع الفرص، ونصر الأعداء، وقد أنذر الله المؤمنين بالعذاب إن خالفوا أمر رسولهم، فقال: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾[النور]». [**السيرة النبوية للسباعي ص ١١٥**].

ويقول د/ الزيد: «**سوء عاقبة التنازع:** فعندما تنازع الصحابة، منهم من يريد النزول من الجبل والمشاركة في جمع الغنائم، ومنهم من يريد البقاء واختلفوا كما يقول الله جل شأنه: ﴿وَتَنَٰزَعۡتُمۡ﴾ كان هذا التنازع من أسباب ما جرى في أُحد من تغير مجراها لغير صالح المسلمين، وبناء على ذلك يجب على المسلم أن يحذر الفرقة والنزاع وأن يحرص أن يكون عضوًا صالحًا في مجتمعه متلاحمًا مع إخوانه مبتعدًا عن النزاع وأسبابه.

سوء عاقبة الذنوب والمعاصي: فإن ما وقع من المعصية في أُحد كما قال تعالى: ﴿وَعَصَيۡتُم﴾ كان سببًا من أسباب ما جرى، والذنوب ضررها عظيم وسريع على الفرد والمجتمع، وقد أُخرج آدم عليه السلام من الجنة بسبب المعصية، وطُرد إبليس (لعنه الله) من رحمة الله بسبب المعصية». [فقه السيرة للزيد ٤٥٩].

١٨ـ سنة الله في الصراع بين الحق والباطل [(١)]:

يقول الشيخ المدري: «وفي غزوة أحد تأكيد لسنة الله في الصراع بين الحق والباطل، والهدى والضلال، فقد جرت سنة الله في رسله وأتباعهم أن تكون الحرب سجالًا بينهم وبين أعدائهم، فيدالوا مرة ويدال عليهم أخرى، ثم تكون لهم العاقبة في النهاية، ولئن انتفش الباطل يومًا وكان له صولات وجولات، إلا أن العاقبة للمتقين، والغلبة للمؤمنين، فدولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلًا.

والجنة عزيزة غالية لا تُنال إلا على جسر من المشاق والمتاعب، والنصر الرخيص السهل لا يدوم، ولا يدرك الناس قيمته، ولذلك قال الله: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾ [آل عمران]». [غزوة أحد للمدري ٣-٣٢].

ويبين ابن القيم رحمه الله حِكمة الله وسُنَّته في رُسله، وأتباعِهم، فيقول في حكم أُحُد: «**ومنها: أن حِكمة الله وسُنَّته في رُسله، وأتباعِهم، جَرَتْ بأن يُدَالوا مَرَّةً، ويُدَالَ عليهم أُخرى، لكن تكونُ لهم العاقبةُ**، فإنهم لو انتصرُوا دائمًا، دخلَ معهم المؤمنون وغيرُهم، ولم يتميَّز الصَّادِقُ مِن غيره، ولو انتُصِرَ عليهم دائمًا، لم يحصل المقصودُ من البعثة والرسالة، فاقتضت حِكمة الله عز وجل أن جَمَعَ لهم بينَ الأمرين؛ ليتميز مَن يتبعُهم ويُطيعهُم للحق، وما جاؤوا به ممن يتبعُهم على الظهور والغلبة خاصة.

فإن هذا مِن أعلام الرسل، كما قال هِرَقْلُ لأبي سفيان: **هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ**؟ قال: **نَعَمْ**، قَالَ: **كَيْفَ الحَرْبُ بَيْنَكُم وبَيْنَه**؟ قالَ: **سِجَالٌ، يُدَالُ عَلَيْنَا المَرَّةُ، ونُدالُ عَلَيْهِ الأُخْرَى**، قال: **كَذلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى، ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ العَاقِبَةُ**». [زاد المعاد لابن القيم ٣/ ١٩٦-١٩٧].

---

(١) للتفصيل في هذا الدرس ينظر: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية ـ د/ عبد الكريم زيدان ـ الفصل الثالث: سُنَّة الله في التدافع بين الحق والباطل [قانون التدافع]. غريب.

ويقول الشيخ عرجون: «من الحِكم التي تضمَّنتها محنة الابتلاء والتمحيص في غزوة أُحد أن سنة الله تعالى مع أنبيائه ورسله أن يبتليهم في الدنيا ويجعل لهم فيها العاقبة الحميدة، وخاصة في معارك الجهاد في سبيل الله؛ لأنهم لو انتصروا دائمًا في حروبهم مع أعدائهم لفُتن الناس بهم، فتزيَّدوا في حبهم وطاعتهم، وفي الاعتقاد فيهم بما يباعد بينهم وبين بشريتهم، وأنهم مخلوقون يجري عليهم ما يجري على سائر البشر من المحن والبلايا فيما لا يمسُّ حقيقة رسالاتهم وقداساتها، وهذا كما قال تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٥٤﴾[آل عمران]، وقوله عز شأنه: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ ...﴾[آل عمران: ١٧٩].

ولو انكسروا دائمًا لم يتحقق المقصود من بَعْثتهم لهداية الناس؛ لأن الانكسار دائـمًا يـدعو إلى الشـك فيهم وفي صدقهم، فاقتضت الحكمة الإلهية الجمع بين الانتصـار لفـتح طريـق مسـيرة الـدعوة إلى الله، وإزالة العقبات التي تقف أمامها، وبين الابتلاء للتربية على احـتمال مـرارة الصـبر والتفكـير في مناشـئ الابتلاء وعواقبه للتوقِّي منها، وليتأسَّى بهم مَـنْ يحمـل عـبء الـدعوة بعـدهم، فيتـذرَّع بالصـبر عـلى المكاره، وتحمُّل المحن وشدائد الأزمـات التـي تقـابلهم في طريـق نشــر الهـدى والخـير؛ وليعلمـوا أن الوصول إلى رضاء الله لا تبلِّغه أعمالهم، فكان لابد للـدعاة إلى الله مـن حـوافز تبعـثهم عـلى المزيـد مـن الصبر والاحتمال ومقابلة السيئات بالحسنات، وهذا كما قال تعـالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٢﴾[آل عمران].

قال ابن إسحاق في تفسيرها: أي أحسبتم أن تدخلوا الجنة فتصيبوا من ثوابي الكرامـة، ولم أختـبركم بالشدة والابتلاء بالمكاره حتى أعلم صدق ذلك منكم في الإيمان بي والصبر على ما أصابكم فيَّ.

وقول الله جل شـأنه: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٢﴾ [آل عمـران] معنـاه: ولمـا تتثبت نفوسكم من الرضا بقضائي وقدري والصبر على بلائي؛ حتى يتجلَّى ذلك منكم وتظهـر للنـاس آثاره ليقتدوا بكم؛ ولتكونوا معالم على طريق الهدى يسترشد بها أهل البلاء من عبادي، فيعجز الشـيطان أن يسدَّ عليهم منافذ الركون إلى مناجاتي بطلب العفو من بلائي والرضا بقضائي.

هذه هي أصول الحِكم الربانية التي أنعم الله بها على عبده وحبيبه محمد ﷺ، وعلى عباده المجاهـدين معه في غزوة أُحد التي كانت أعظم درس تربوي في تاريخ المجتمع المسلم، وهي جامعة لجوامع الفوائد التي لابد للمجتمع المسلم في مسيرته بالدعوة إلى الله من أن يمرَّ بها».

[محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٣/ ٦١٩-٦٢٠].

ويقول د/ أبو خليل: «لقد جرت حكمة الله ﷻ أن الرسل تُبتلى، ثم تكون العاقبة لهم، ولو انتصروا دائمًا لدخل في المسلمين مَنْ ليس منهم، ولما تميَّز الصادق من غيره، فاقتضت الحكمة الجمع بين النصر وتأخيره ليتميَّز الصادق من الكاذب.

ولو قطع الله كل يد امتدت إلى رسول الله ﷺ في حينه، لما بقي إسلام بعده، فلا صبر لداعية، ولا تحمُّل لمسلم، ولقيل: إن الله لم ينتصر لنا كما انتصر لنبيِّه، فتحمُّله ﷺ أسوة وقدوة لتحمل الدعاة المجاهدين من بعده، فتأخير النصر في بعض المواطن حكمة، فهو لتربية النفوس، ولكسر شموخها وتعاظمها، فلما كان الابتلاء والامتحان، صبر المؤمنون، وجزع المنافقون.

كما أن أجْر كل نبيٍّ في التبليغ يكون على قدر ما ناله من المشقَّة الحاصلة له من المخالفين له، وعلى قدر ما يقاسيه منهم، وله أجر الهداية لمن أطاعه أيضًا، ولا أحد أكثر من نبينا ﷺ في ذلك، فلم يتفق لنبي من الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ما اتفق له ﷺ من كثرة ما قاساه من قومه، ومن ثم بعد الصبر والجهاد، من كثرة ما أجابه من الأمم.

كما هيَّأ الله ﷻ لعباده المؤمنين الصادقين منازل في دار كرامته، فقيض لهم أسباب الابتلاء؛ ليصلوا إليها، بفضله ومنَّته أولًا، وبصبرهم وجهادهم واستشهادهم ثانيًا.

فالشهادة من أعلى مراتب المؤمنين المخلصين الصادقين، فساقهم الله إليها إكرامًا لهم، حيث اتخذ منهم شهداء، وكانوا يتمنَّون ذلك قبل لقاء العدو». [**أُحد لأبي خليل١٢٨-١٢٩**].

ويقول أ/ عبَّاد: «لو دام النصر هكذا لدخل الناس كلهم في الإسلام ظاهرًا، لا اقتناعًا بالحق ولكن انضمامًا إلى صفوف المنتصرين، وإذن لا يتميز المؤمن من المنافق، ولا يتبين من يعبد الله على حرف ممن يعبده في السراء والضراء، ولو دام النصر هكذا ما نال المجاهدون شرف التضحية ودرجة الشهادة، ولو دام النصر هكذا لداخل نفوس المؤمنين شيء من الزهو والغرور، ولو دام النصر هكذا ما انكشفت رؤوس الجريمة والفساد وما انكشف النفاق والمنافقون: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [آل عمران]. [**مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ١٩٩-٢٠٠**].

١٩ ـ العاقبة للمتقين:

يقول الشيخ المدري: «للحق جولة، وللباطل صولة، والعاقبة للتقوى، فلا تيأس من إصلاح المجتمع، ولا تقنط من هدايته، فقد صَبَرَ النبي ﷺ على الأذى والجراح، حتى دخل الناس أفواجًا في دين الله، إن عواقب الأمور كلها بيد الله، فامض في الدعوة، وداوم على الدعاء، وهداية البشر بيد خالق البشر.

أبو سفيان في أُحُد يقود المشركين، وشعاره: «اعـلُ هُبـل»، وفي فـتح مكـة يقـول: «لا إلـه إلا الله»، ووحشي يقتل حمزة ﷺ، ثم يُسلم ويقتل مُدعي النبوة مسيلمة الكذاب.

فاحذر على نفسك التقلب، «**فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، يقلبها كيـف يشـاء**»، اسـأله دومًا دوام الثبات، والعبد وإن استغرق في العصيان، فالتوبة تحط الأوزار وإن بلغت العنان.

خالد بن الوليد يقود خيَّالة الكفر، وقُتِل على يديه فضلاء الصحابة، ولما شرح الله صدره للإسـلام، أتى يبايع النبي ﷺ، وقال: يا رسول الله، إني أشترط أن تُغفَر زلتي، فقال ﷺ: «**يا خالد، أمـا علمـت أن الإسلام يهدم ما قبله، وأن التوبة تجُبُّ ما قبلها**».

فأنقذ نفسك من وحل الأوزار، وأقبل على ربك تائبًا من الآثام، فالحسـنات يـذهبن السـيئات، ولا تستنكف عن التمسك بهذا الدين، فحوله سالت الدماء». [غزوة أحد للمدري ٣٤-٣٥].

٢٠ ـ استخراجُ عبوديةِ أوليائه وحزبِه في السَّراء والضرَّاء:

يقول ابن القيم في حِكَم أُحُد: «**ومنها: استخراجُ عبوديةِ أوليائه وحزبِه في السَّراء والضرَّاء، وفيما يُحبُّون وما يكرهون، وفي حال ظَفَرِهم وظفر أعدائهم بهم**، فإذا ثبتُوا على الطاعة والعبودية فيما يُحبون وما يكرهون، فهم عبيدهُ حقًّا، وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد مِن السَّراء والنعمة والعافية».
[زاد المعاد لابن القيم ٣/ ١٩٨].

٢١ ـ التضحية من أجل الدين:

يقول الشيخ المدري: «إن سنة الله ـ جل وعلا ـ قد مضت أن هذا الدين لا يتحقـق في واقـع الحيـاة، ولا يثبت على هذه الأرض، ولا تعلو رايته خفاقة فوق البقاع، ولا يتحقق منهجه بين النـاس إلا بجهـد من أبناء هذا الدين يسبقه ويرافقه ويعقبه توفيق من الله ﷻ.

إن هذا الدين لابد له من علم يُنشر، ودعوة تبذل، وأموال تُنفق، ومهج وأرواح تُزهق في سبيل الله ﷻ، إنه ليس أمرًا هينًا، إنها الرسالة العظيمة الخالدة، إنها الأمانة الكبيرة الماجدة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾[الأحزاب].

ويخاطب الله جل وعلا نبيه ﷺ فيقول: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾[المزمل].

إنها أمانة هذا الدين والرسالة الخاتمة من رب العالمين، الدين الذي ارتضـاه الله ﷻ للنـاس أجمعـين، حتى يرث الله الأرض ومن عليها يوم يقوم الناس لرب العالمين.

هذه الرسالة العظيمة، وهذا الدرس الكريم نقف مع ومضات منـه لنـرى صـورته في غـزوة أحـد، ولست معنيًّا بالوقوف مع الأحداث وترتيبها، وإنما نأخذ هذا الدرس الواضـح الجـلي في هـذه المعركـة

العظيمة من معارك الإسلام الخالدة التي قادها محمد ﷺ برفقة الصحب الكرام الغر الميامين الأبطال الشجعان رضوان الله عليهم أجمعين.

أنس بن النضر ﷺ يُصاب في هذه الغزوة ببضع وثمانين جراحة، ثم مُثِّل به بعدها، فلم يعرفه أحد سوى أخته عرفته ببنانه.

وفي سعد بن الربيع ﷺ سبعون طعنة، و قتل مصعب بن عمير ﷺ، فلم يوجد له ما يُكفن فيه إلا بردة، واستشهد حمزة ﷺ عم النبي ﷺ، واستشهد سبعون من خيرة الصحابة الكرام.

فماذا قَدَّمنا لديننا؟؟ وللصحابة الكرام الصُحبة والسبق والإقدام، تقطعت منهم الأشلاء، وتمزقت الأجساد، وترمل النساء، قدَّموا أرواحهم فداء لهذا الدين، حتى وصل إلينا كاملًا متمَّمًا، فاقدر لهم قدرهم، واشكر لهم سعيهم، وترض عنهم، فقد أحبهم ربهم، رضي الله عنهم وأرضاهم».

[غزوة أحد للمدري ٣٢-٣٤].

٢٢ ـ الله ﷻ المدبر لأمر عباده، وحكمة تبدل الأحوال:

يقول ابن القيم في حكم أُحُد: «**فإنه سبحانه لو نصرهم دائمًا، وأظفرهم بعدوِّهم في كُلِّ موطن، وجعل لهم التَّمْكِينَ والقهرَ لأعدائهم أبدًا، لطغتْ نفوسُهم، وشمخت وارتفعت**، فلو بسط لهم النصرَ والظفرَ، لكانُوا في الحال التي يكونون فيها لو بَسَطَ لهم الرِّزْقَ، فلا يُصْلِحُ عِباده إلا السَّراءُ والضَّراءُ، والشدةُ والرخاءُ، والقبضُ والبسطُ، فهو المدبِّرُ لأمر عباده كما يليقُ بحكمته، إنه بهم خبير بصير.

وأنه إذا امتحنهم بالغَلَبَةِ، والكَسْرَةِ، والهزيمة، ذلُّوا وانكسَروا، وخضعُوا، فاستوجبوا منه العِزَّ والنَّصْرَ، فإن خِلعة النصر إنما تكونُ مع ولاية الذُّلِّ والانكسار، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران]، وقال: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾ [التوبة: ٢٥]، فهو سبحانه إذا أراد أن يُعِزَّ عبدَه، ويجبُرَه، وينصُرَه، كسره أوَّلًا، ويكونُ جبرُه له ونصره، على مِقدار ذُلِّه وانكساره.

وأنه سبحانه هيَّأ لعباده المؤمنين منازِلَ في دار كرامته، لم تبلُغْها أعمالهم، ولم يكونوا بالغيها إلا بالبلاء والمحنةِ، فقيَّض لهم الأسبابَ التي تُوصِلُهُم إليها من ابتلائه وامتحانه، كما وفقهم للأعمال الصالحة التي هي من جملة أسباب وصولهم إليها.

وأن النفوسَ تكتسِبُ من العافية الدائمة والنصر والغنى طغيانًا ورُكونًا إلى العاجلة، وذلك مرض يَعُوقُها عن جِدِّها في سيرها إلى الله والدارِ الآخرة، فإذا أراد بها ربُّها ومالِكُها وراحِمُها كرامته، قيَّض لها من الابتلاء والامتحان ما يكون دواء لذلك المرض العائق عن السير الحثيث إليه؛ فيكون ذلك البلاء

والمحنة بمنزلة الطبيب يسقي العليلَ الدواءَ الكريه، ويقطع منه العروقَ المؤلمَةَ لاستخراج الأدواء منه، ولو تركه، لَغَلَبَتْهُ الأدواءُ حتى يكون فيها هلاكه». [زاد المعاد لابن القيم ٣/ ١٩٨-١٩٩].

٢٣ ـ فضل شهيد العقيدة:

يقول ابن القيم: «**إن الشهادة عند الله ﷻ من أعلى مراتب أوليائه، والشهداء هم خواصه والمقرَّبون من عباده، وليس بعد درجة الصِّدِّيقيَّة إلا الشهادةُ**، وهو سبحانه يُحب أن يتَّخِذَ مِن عباده شهداءَ، تُراقُ دماؤهم في محبته ومرضاته، ويُؤْثِرونَ رضاه ومحابَّه على نفوسهم، ولا سبيلَ إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو». [زاد المعاد لابن القيم ٣/ ١٩٩].

٢٤ ـ إهلاك الأعداء بعد ازدياد بغيهم:

يقول ابن القيم في حكم أُحُد: «**ومنها: أن الله سبحانه إذا أراد أن يهلك أعداءه ويمحقهم، قيَّض لهم الأسباب التي يستوجبون بها هلاكهم ومحقهم**، ومن أعظمها بعد كفرهم بغيهم، وطغيانهم، ومبالغتهم في أذى أوليائه، ومحاربتهم، وقتالهم، والتسلط عليهم، فيتمحص بذلك أولياؤه من ذنوبهم وعيوبهم، ويزداد بذلك أعداؤه من أسباب محقهم وهلاكهم.

وقد ذكر ﷻ ذلك في قوله: ﴿**وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾**﴾ [آل عمران]، فجمع لهم في هذا الخطاب بين تشجيعهم وتقوية نفوسهم، وإحياء عزائمهم وهِممهم، وبينَ حُسنِ التسلية، وذِكر الحِكمِ الباهِرَة التي اقتضت إدالة الكفار عليهم فقال: ﴿**إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ**﴾ [آل عمران: ١٤٠]، فقد استويتُم في القرح والألَم، وتباينتم في الرجاء والثواب، كما قال: ﴿**وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾**﴾ [النساء]، فما بالكم تَهِنُونَ وتضعُفُون عند القرحِ والألم، فقد أصابهم ذلك في سبيلِ الشيطان، وأنتم أُصِبتم في سبيلي وابتغاء مرضاتي.

ثم أخبرَ أنه يُدَاوِلُ أيامَ هذه الحياة الدنيا بين الناسِ، وأنها عَرَضٌ حاضِر، يقسمها دُوَلًا بين أوليائه وأعدائِهِ بخلاف الآخِرةِ، فإن عزَّها ونصرَها ورجاءَها خالصٌ للذين آمنُوا.

ثم ذكر حِكمة أُخرى، وهى أن يتميَّزَ المؤمنون من المنافقين، فيعلمُهم عِلمَ رؤية ومشاهدة بعد أن كانوا معلومِين في غيبه، وذلك العلم الغيبي لا يترتَّب عليه ثوابٌ ولا عقاب، وإنـَّما يترتب الثوابُ والعقابُ على المعلوم إذا صار مشاهدًا واقعًا في الحسِ.

ثم ذكر حِكمة أُخرى، وهى اتخاذُه سبحانه منهم شهداء، فإنه يُحبُّ الشهداء من عباده، وقد أَعَدَّ لهم أعلى المنازل وأفضلَها، وقد اتخذهم لنفسه، فلا بدَّ أن يُنِيلَهم درجة الشهادة.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾[آل عمران]، تنبيه لطيفُ الموقِع جدًّا على كراهته وبغضه للمنافقين الذين انخَذَلُوا عن نبيه يومَ أُحُد، فلم يشهدوه، ولم يَتَّخِذْ منهم شهداء؛ لأنه لم يُحِبهم، فأركَسَهم وردَّهُم لِيَحْرِمَهُم ما خصَّ به المؤمنين في ذلكَ اليوم، وما أعطاهُ مَن استُشهِدَ منهم، فثبط هؤلاء الظالمين عن الأسباب التي وفق لها أولياءَهُ وحِزبه.

ثم ذكر حِكمة أُخرى فيما أصابهم ذلك اليوم، وهو تمحيص الذين آمنوا، وهو تنقيتُهم وتخليصُهم من الذنوب، ومن آفاتِ النفوس، وأيضًا فإنه خلَّصهم ومحَّصهم من المنافقين، فتَمَيَّزوا منهم، فحصل لهم تمحيصان: تمحيص من نفوسهم، وتمحيص ممن كان يُظهِرُ أنه منهم، وهو عدوُّهم.

ثم ذكر حِكمة أخرى، وهي محقُّ الكافرين بطغيانهم، وبغيهم، وعُدوانهم، ثم أنكر عليهم حُسبانَهم، وظنَّهُم أن يدخلُوا الجنَّة بدون الجهاد في سبيله، والصبرِ على أذى أعدائه، وإن هذا ممتنع بحيثُ يُنْكَرُ على مَن ظنه وحَسِبَه، فقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾[آل عمران]، أي: ولما يَقَعْ ذلِكَ منكم، فيعلمه، فإنه لو وقع، لعلمه، فجازاكم عليه بالجنة، فيكونَ الجزاء على الواقع المعلوم، لا على مجرد العلم، فإن الله لا يجزي العبدَ على مجرد علمه فيه دون أن يقعَ معلومُه، ثم وبَّخهم على هزيمتهم مِن أمر كانوا يتمنَّونه ويودُّون لِقاءه، فقال: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾[آل عمران].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ولما أخبرهم الله تعالى على لسان نبيه بما فعل بشهداء بدر من الكرامة، رغبوا في الشهادة، فتمنوا قتالًا يستشهدُونَ فيه، فيلحقُونَ إخوانَهم، فأراهم الله ذلك يوم أُحُد، وسبَّبه لهم، فلم يَلبَثُوا أن انهزموا إلا مَن شاء الله منهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾[آل عمران]». [**زاد المعاد لابن القيم ٣/ ١٩٩-٢٠١**].

ويقول أ/ عبَّاد: «أليس انتصار أهل الشرك في أحد دليلًا على صحة اتجاههم؟ وأليست نجاة المنافقين من الموت أو القتيل دليلًا على بُعد نظرهم في عدم المشاركة في المعركة ودليلًا على سلامة وصحة اتجاههم؟

هذه التساؤلات ترد عليها الآية الكريمة: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [آل عمران] إن الآية تعالج الشبهة التي تجول في بعض القلوب الضعيفة بتلك التساؤلات، وما يجعل ضعاف الإيمان يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية، فيحسبون أن

الله سبحانه لا يتدخل في المعركة بين الحق والباطل؛ لذا فالله بين لهم أن إملاءه سبحانه للمبطلين الظلمة الطغاة المفسدين ليس خيرًا لهم بل هو شر مستطير، فهو سبحانه يعطيهم حظًّا في الدنيا يستمتعون به ويلهون فيه، وهذا فتنة وكيد استدراج؛ لأنهم لو كانوا يستحقون أن يخرجهم الله من غمرة النعمة بالابتلاء الموقظ لابتلاهم، ولكنه سبحانه لا يريد بهم خيرًا، فتركهم يعبون من الإثم عبًّا وتتراكم عليهم الانحرافات فينالهم العقاب العادل وهو العذاب المهين.

وفي حديث ابن مسعود ﷺ قال: «**وَالَّذِي لا إِلَه غَيْرُه مَا عَلَى الأَرْضِ نَفْسٌ إِلَّا المَوْتُ خَيْرٌ لها، إِنْ كَان مُؤْمِنًا، فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ:** ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨﴾ [آل عمران]، **وإِنْ كَان فَاجِرًا فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ:** ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٧٨﴾ [آل عمران].

[المستدرك للحاكم ٢/ ٣٢٦ كتاب التفسير (٣١٦٨)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، والمصنف لابن أبي شيبة كتاب الزهد باب كلام ابن مسعود ﷺ ١٩/ ١٧٥ تح الشيخ عوامة].

هكذا يتضح أن الابتلاء نعمة من الله لا تصيب إلا من يريد الله به الخير، فإذا أصابت أولياءه فإنما تصيبهم لخير يريده الله لهم، ولو وقع الابتلاء مترتبًا على تصرفات هؤلاء الأولياء فهناك الحكمة المعنية، والتدبير اللطيف، وفضل الله على أوليائه المؤمنين.

وهكذا تستقر القلوب وتطمئن النفوس وتستقر الحقائق الأصيلة بأن الله إن مكَّن الكفار من المؤمنين وأبقى المنافقين دون عقوبة فكل هذا لحكمة لا يعلمها إلا هو». [مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٢٠٠-٢٠١].

٢٥ ـ الإعداد لموت النبي ﷺ:

يقول ابن القيم في حكم أُحُد: «**ومنها: أن وقعةَ أُحُدٍ كانت مُقَدِّمَةً وإرهاصًا بين يدي موتِ رسول الله ﷺ، فثبَّتهم**، ووبَّخهم على انقلابهم على أعقابهم أَنْ ماتَ رسولُ الله ﷺ، أو قُتِلَ، بل الواجبُ له عليهم أن يثبتُوا على دِينه وتوحِيدِهِ ويموتوا عليه، أو يُقتلُوا، فإنهم إنما يعبدُون ربَّ محمد ﷺ، وهو حيٌّ لا يموت، فلو ماتَ محمد ﷺ أو قُتِلَ، لا ينبغي لهم أن يَصْرِفَهم ذلِكَ عن دينه، وما جاء به، فكلُّ نفسٍ ذائِقةُ الموت، وما بُعِثَ محمد ﷺ لِيُخلَّد لا هُوَ ولا هُم، بل لِيمُوتُوا على الإسلامِ والتَّوحِيدِ، فإن الموت لا بُدَّ منه، سواء ماتَ رسول الله ﷺ أو بَقِيَ؛ ولهذا وبَّخَهُم على رجوع مَنْ رجع منهم عن دينه لما صرخ الشَّيْطَانُ: إنَّ محمدًا قد قُتِلَ، فقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [آل عمران]، والشاكرون: هم الذين عرفوا قدر النعمة، فثبتوا عليها حتى ماتوا أو قُتِلُوا، فظهر أثرُ هذا العِتَابِ، وحكمُ هذا الخطاب

يومَ مات رسولُ الله ﷺ، وارتدَّ مَن ارتدَّ على عقبيه، وثبت الشاكِرُون على دينهم، فنصرهم الله وأعزَّهم وظفَّرهم بأعدائهم، وجعل العاقبة لهم.

ثم أخبر سبحانه أنه جعل لكل نفس أجلًا لا بُدَّ أن تستوفيه، ثم تلحَقَ به، فيَرِدُ الناسُ كُلُّهم حوضَ المنايا مَوْرِدًا واحِدًا، وإن تنوَّعت أسبابه، ويصدُرونَ عن موقف القِيامة مصادِرَ شتَّى، فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير.

ثم أخبر سبحانه أن جماعةً كثيرةً من أنبيائه قُتِلُوا وقُتِلَ معهم أتباعٌ لهم كثيرون، فما وَهَنَ مَنْ بقىَ منهم لِما أصابهم في سبيله، وما ضَعُفُوا، وما استكانُوا، وما وَهَنُوا عندَ القتل، ولا ضعفُوا، ولا استكانوا، بل تَلَقَّوا الشهادةَ بالقُوَّةِ، والعزِيمةِ، والإقْدَامِ، فلم يُسْتَشْهَدُوا مُدْبِرِينَ مستكينين أذلةً، بل استُشْهِدُوا أعزَّةً كِرامًا مقبلينَ غير مدبرين، والصحيح: أن الآية تتناول الفريقين كليهما». [زاد المعاد لابن القيم ٣/ ٢٠١-٢٠٢].

٢٦ ـ ما استنصرت به الأنبياءُ وأُممهم:

يقول ابن القيم: «ثم أخبر سُبحانه عما استنصرت به الأنبياءُ وأُممهم على قومهم من اعترافهم وتوبتهم واستغفارهم وسؤالهم ربهم، أن يُثَبِّت أقدامَهم، وأن ينصُرَهم على أعدائهم فقال: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آل عمران]، لما علم القومُ أن العدو إنما يُدَالُ عليهم بذنوبهم، وأن الشيطانَ إنما يستزِلُّهم ويهزِمُهم بها، وأنها نوعان: تقصيرٌ في حق أو تجاوزٌ لحد، وأن النصرةَ منوطة بالطاعة، قالُوا: ربنا اغفِرْ لنا ذنوبَنا وإسرافَنَا في أمرنا، ثم عَلِمُوا أن ربَّهم تبارك وتعالى إن لم يُثَبِّتْ أقدامَهم ويَنْصُرْهم، لم يَقْدِرُوا هُم على تثبيتِ أقدامِ أنفسهم، ونصرها على أعدائهم، فسألوه ما يعلمون أنَّهُ بيده دُونهم، وأنه إن لم يُثَبِّتْ أقدامَهم وينصرهم لم يثبتُوا ولم ينتصِرُوا، فَوَفَّوا المقَامَيْنِ حقَّهما: مقامَ المقتضى، وهو التوحيد والالتجاء إليه سبحانه، ومقامَ إزالةِ المانع من النصرة، وهو الذنوبُ والإسرافُ، ثم حذَّرهم سبحانه مِن طاعة عدوِّهم، وأخبر أنَّهم إن أطاعوهم خَسِرُوا الدنيا والآخِرَة، وفي ذلك تعريضٌ بالمنافقينَ الذين أطاعوا المشركين لما انتصروا وظفِروا يومَ أُحُد.

ثم أخبر سبحانه أنه مولى المؤمنين، وهو خير الناصرين، فمَن والاه فهو المنصور.

ثم أخبرهم أنه سيُلقي في قلوب أعدائهم الرعب الذي يمنعهم من الهُجُومِ عليهم، والإقدام على حربهم، وأنَّه يُؤيِّد حزبَه بجند مِن الرعب ينتصِرونَ به على أعدائهم، وذلك الرعبُ بسبب ما في قلوبهم مِن الشركِ بالله، وعلى قدرِ الشركِ يكون الرعبُ، فالمشركُ بالله أشدُّ شيءٍ خوفًا ورُعبًا، والذين آمنوا ولم يَلبِسُوا إيمانَهم بالشِّرْكِ، لهم الأمنُ والهُدى والفلاحُ، والمشركُ له الخوفُ والضلالُ والشقاءُ.

ثم أخبرهم أنه صَدَقَهُمْ وعدَه في نُصرتهم على عدوهم، وهو الصادقُ الوعد، وأنهم لو استمرُّوا على الطاعةِ، ولزوم أمر الرسول ﷺ لاستمرَّت نُصرتهم، ولكن انخلعوا عن الطاعة، وفارقُوا مركزهم، فانخلعوا عن عصمة الطاعة، ففارقتهم النصْرَةُ، فصرفهم عن عدوهم عقوبةً وابتلاءً، وتعريفًا لهم بسوء عواقِب المعصيةِ، وحُسنِ عاقبة الطاعة.

ثم أخبر أنه عَفَا عنهم بعد ذلك كُلِّه، وأنه ذو فضلٍ على عباده المؤمنين.

قيل للحسن: كيف يعفو عنهم، وقد سلَّط عليهم أعداءَهم حتى قَتلُوا منهم مَن قَتلوا، ومَثَّلُوا بهم، ونالُوا منهم مَا نالوه؟ فقال: لولا عفوُه عنهم، لاستأصلَهم، ولكن بعفوه عنهم دَفَعَ عنهم عدوَّهم بعد أن كانوا مُجمعين على استئصالهم.

ثمَّ ذكَّرهم بحالهم وقتَ الفرارِ مُصعدينَ، أي: جادِّين في الهربِ والذهاب في الأرضِ، أو صاعدين في الجبلِ لا يَلوونَ على أحدٍ من نبيهم ولا أصحابهم، والرسولُ ﷺ يدعوهم في أُخراهم: «**إليَّ عِبَادَ الله، أَنا رسُولُ الله**»، فأثابهم بهذا الهرب والفرارِ، غمًّا بعدَ غَمٍّ: غمَّ الهزيمة والكسرةِ، وغمَّ صرخةِ الشيطان فيهم بأن محمدًا ﷺ قد قُتل.

وقيل: جازاكم غمًّا بما غممتُم رسولَه بفراركم عنه، وأسلمتمُوه إلى عدوِّهِ، فالغمُّ الذي حصل لكم جزاءً على الغمِّ الذي أوقعتموه بنبيه، والقولُ الأولُ أظهر لوجوه:

أحدها: أن قوله: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [آل عمران] تنبيهٌ على حِكمة هذا الغم بعدَ الغمِّ، وهو أن يُنسيَهم الحزنَ على ما فاتهم مِن الظفر، وعلى ما أصابهم مِن الهزيمةِ والجِراحِ، فنسُوا بذلك السبب، وهذا إنما يحصُل بالغمِّ الذي يعقُبُه غمٌّ آخر.

الثاني: أنه مطابق للواقع، فإنَّه حَصَلَ لهم غمٌّ فواتِ الغنيمة، ثم أعقبه غمُّ الهزيمةِ، ثم غمُّ الجراح التي أصابتهم، ثم غَمُّ القتلِ، ثم غَمُّ سماعِهم أن رسولَ الله ﷺ قد قُتِلَ، ثم غَمُّ ظهور أعدائهم على الجبل فوقهم، وليس المراد غمَّين اثنين خاصة، بل غمًّا متتابعًا لتمام الابتلاء والامتحان.

الثالث: أن قوله: ﴿بِغَمٍّ﴾، من تمام الثوابِ، لا أنه سببُ جزاء الثواب، والمعنى: أثابكم غمًّا متَّصِلًا بغمٍّ، جزاءً على ما وقع منهم من الهروب وإسلامهم نبيَّهم ﷺ وأصحابه، وترك استجابتهم له وهو يدعوهم، ومخالفتهم له في لزومِ مركزهم، وتنازعِهم في الأمر، وفشلهم، وكُلُّ واحد من هذه الأمور يُوجب غمًّا يخصُّه، فترادفت عليهم الغمومُ كما ترادفت منهم أسبابُها وموجباتُها، ولولا أن تداركهم بعفوِه، لكان أمرًا آخَرَ.

وَمِن لطفه بهم، ورأفته، ورحمته، أن هذه الأمور التي صدرت منهم، كانت من موجبات الطباع، وهى من بقايا النفوس التي تمنع من النصرة المستقرة، فقيَّض لهم بلطفه أسبابًا أخرجها من القوة إلى الفعل، فترتَّب عليها آثارُها المكروهة، فعلموا حينئذ أن التوبةَ منها والاحترازَ مِن أمثالها، ودفعها بأضدادها أمرٌ متعيَّنٌ، لا يتم لهم الفلاحُ والنصرةُ الدائمة المستقرة إلا به، فكانوا أشدَّ حذرًا بعدها، ومعرفة بالأبوابِ التي دخل عليهم منها.

ورُبَّما صَحَّتِ الأَجْسَامُ بِالعِلَلِ.

[زاد المعاد لابن القيم ٣/ ٢٠٢-٢٠٤].

٢٧ ـ حسن الظن بالله ﷻ:

يقول ابن القيم: «ثم إنه تداركهم سُبحانه برحمته، وخفَّف عنهم ذلك الغَمَّ، وغيَّبه عنهم بالنُّعاسِ الذي أنزله عليهم أمنًا منه ورحمة، والنعاسُ في الحرب علامةُ النصرة والأمنِ، كما أنزله عليهم يومَ بدر، وأخبر أن مَن لم يُصبْه ذلك النعاسُ، فهو ممن أهمته نفسُه لا دِينُه ولا نبيُّه ولا أصحابُه، وأنهم يظنون بالله غيرَ الحقِّ ظنَّ الجاهلية.

وقد فُسِّرَ هذا الظنُّ الذي لا يليقُ بالله، بأنه سبحانه لا ينصُرُ رسولَه، وأن أمْرَهُ سيضمحِلُّ، وأنه يُسلِمُه للقتل، وقد فُسِّرَ بظنهم أن ما أصابَهم لم يكن بقضائه وقدره، ولا حِكمة له فيه، ففسر بإنكارِ الحِكمة، وإنكارِ القدر، وإنكارِ أن يُتمَّ أمرَ رسوله ويُظْهِرَه على الدِّين كُلِّه، وهذا هو ظنُّ السَّوْءِ الذي ظَنَّهُ المنافقُونَ والمشرِكُونَ به سبحانه وتعالى في (سورة الفتح) حيث يقول: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح]، وإنما كان هذا ظنَّ السَّوْءِ، وظنَّ الجاهلية المنسوب إلى أهل الجهل، وظنَّ غير الحق؛ لأنه ظنَّ غير ما يليق بأسمائه الحسنى، وصفاتِهِ العُليا، وذاتِهِ المبرَّأة من كُلِّ عيبٍ وسوء، بخلافِ ما يليقُ بحكمته وحمدِه، وتفرُّدِهِ بالربوبية والإلهيَّة، وما يَليق بوعده الصادِق الذي لا يُخلفُهُ، وبكلمته التي سبقت لرسله أنه ينصُرُهم ولا يخذُلُهم، ولجنده بأنهم هُمُ الغالبون، فمَن ظنَّ بأنه لا ينصرُ رسولَه، ولا يُتِمُّ أمرَه، ولا يؤيِّده، ويؤيدُ حزبه، ويُعليهم، ويُظفرهم بأعدائه، ويُظهرهم عليهم، وأنه لا ينصرُ دينه وكتابه، وأنه يُديل الشركَ على التوحيدِ، والباطلَ على الحقِّ إدالة مستقرة يضمحِلُّ معها التوحيد والحق اضمحلالًا لا يقوم بعده أبدًا، فقد ظنَّ بالله ظن السَّوْءِ، ونسبه إلى خلاف ما يليقُ بكماله وجلاله، وصفاته ونعوته، فإنَّ حمدَه وعِزَّته، وحِكمته وإلهيته تأبى ذلك، وتأبى أن يُذَلَّ حزبُه وجندُه، وأن تكون النصرةُ المستقرة، والظفرُ الدائم لأعدائه المشركين به، العادلين به، فَمن ظنَّ به ذلك، فما عرفه، ولا عرف أسماءَه، ولا عرف صفاتِه وكماله، وكذلك مَن أنكر أن

يكونَ ذلك بقضائه وقدره، فما عرفه، ولا عرف ربوبيَّته، وملكه وعظمتَه، وكذلك مَن أنكر أن يكون قدَّر ما قدَّره من ذلك وغيره لِحكمة بالغة، وغاية محمودة يستحقُّ الحمدَ عليها، وأن ذلك إنما صدر عن مشيئة مجردةٍ عن حكمة، وغايةٍ مطلوبة هي أحبُّ إليه من فوتها، وأن تلك الأسبابَ المكروهةَ المفضية إليها لا يخرج تقديرُها عن الحكمةِ لإفضائِهَا إلى ما يُحِبُّ، وإن كانت مكروهة له، فما قدَّرها سُدى، ولا أنشأها عبثًا، ولا خلقها باطلًا، ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ٢٧﴾[ص].

وأكثرُ النَّاسِ يظنون بالله غيرَ الحقِّ ظنَّ السَّوءِ فيما يختصُّ بهم وفيما يفعلُه بغيرهم، ولا يسلَمُ عن ذلك إلا مَن عرف الله، وعرف أسماءَه وصفاتِهِ، وعرفَ موجبَ حمدِهِ وحكمته:

فمَن قَنِطَ مِن رحمته، وأيسَ مِن رَوحه، فقد ظن به ظنَّ السَّوء.

ومَن جوَّز عليه أن يعذِّبَ أولياءه مع إحسانهم وإخلاصهم، ويُسوِّي بينهم وبين أعدائه، فقد ظَنَّ به ظَنَّ السوءِ.

ومَنْ ظَنَّ بِهِ أن يترُكَ خلقه سُدى، معطَّلينَ عن الأمر والنهي، ولا يُرسل إليهم رسله، ولا ينزِّل عليهم كتبه، بل يتركهم هَمَلًا كالأنعام، فقد ظَنَّ به ظنَّ السَّوء.

ومَنْ ظَنَّ أَنَّهُ لن يجمع عبيدَه بعد موتِهم للثوابِ والعِقاب في دار يُجازي المحسنَ فيها بإحسانه، والمسيءَ بإساءته، ويبيِّنُ لخلقه حقيقة ما اختلفوا فيه، ويظهرُ للعالمين كلِّهم صدقَه وصدقَ رسله، وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين، فقد ظنَّ به ظن السَّوءِ.

ومَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُضَيِّعُ عليه عملَه الصالحَ الذي عملَه خالصًا لوجهه الكريمِ على امتثال أمره، ويُبطِلَه عليه بلا سبب من العبد، أو أنه يُعاقِبُه بما لا صُنعَ فيه، ولا اختيار له، ولا قدرةَ، ولا إرادة في حصوله، بل يُعاقبه على فعله هو سبحانه به.

أو ظنَّ بِهِ أنه يجوزُ عليه أن يؤيِّدَ أعداءَه الكاذبين عليه بالمعجزاتِ التي يؤيِّدُ بها أنبياءه ورسله، ويُجريها على أيديهم يُضِلُّونَ بها عباده، وأنه يحسُن منه كُلُّ شيء حتى تعذيبُ مَن أفنى عمره في طاعته، فيخلدُه في الجحيم أسفلَ السافلينَ، ويُنعِمُ مَن استنفد عُمُرَه في عداوته وعداوة رسله ودينه، فيرفعه إلى أعلى عليين، وكلا الأمرين عنده في الحسن سواء، ولا يُعرف امتناعُ أحدهما ووقوع الآخر إلا بخبر صادق، وإلا فالعقل لا يقضي بقُبح أحدهما وحُسنِ الآخر، فقد ظَنَّ به ظَنَّ السَّوْء.

ومَنْ ظَنَّ بِهِ أنه أخبرَ عن نفسه وصفاته وأفعاله بما ظاهره باطل، وتشبيه، وتمثيل، وترك الحقَّ، لم يُخبر به، وإنما رَمزَ إليه رموزًا بعيدة، وأشار إليه إشاراتٍ مُلغِزةً لم يُصرِّح به، وصرَّح دائمًا بالتشبيه والتمثيل والباطل، وأراد مِن خلقه أن يُتعِبُوا أذهانَهم وقُواهم وأفكارَهم في تحريفِ كلامه عن مواضعه، وتأويلِهِ

على غير تأويله، ويتطلَّبوا له وجوهَ الاحتمالات المستكرهة، والتأويلات التي هي بالألغاز والأحاجي أشبه منها بالكشف والبيان، وأحالهم في معرفة أسمائِه وصفاتِه على عقولهم وآرائهم، لا على كتابِه، بل أراد منهم أن لا يحمِلوا كلامَه على ما يعرِفُون من خطابهم ولغتهم، مع قدرته على أن يُصَرِّحَ لهم بالحق الذي ينبغي التصريح به، ويُريحَهم من الألفاظ التي توقعهم في اعتقاد الباطل، فلم يفعل، بل سلك بهم خلافَ طريق الهدى والبيان، فقد ظنَّ به ظنَّ السَّوْءِ، فإنه إن قال: إنه غيرُ قادر على التعبير عن الحقِّ باللَّفظ الصريح الذي عبَّر به هو وسلفُه، فقد ظن بقُدرته العجز، وإن قال: إنه قادرٌ ولم يُبَيِّن، وعدَلَ عن البيان، وعن التصريح بالحقِّ إلى ما يُوهم، بل يُوقِعُ في الباطل المحال، والاعتقاد الفاسد، فقد ظنَّ بحكمته ورحمته ظَنَّ السَّوءِ، وظنَّ أنه، هو وسلفُه عبَّروا عن الحقِّ بصريحه دُونَ الله ورسوله، وأن الهُدى والحقَّ في كلامهم وعباراتهم، وأما كلام الله، فإنما يؤخذ مِن ظاهره التشبيه، والتمثيل، والضلال، وظاهِر كلام المتهوِّكين الحيارى، هو الهُدى والحق، وهذا من أسوأ الظن بالله، فَكُلُّ هؤلاء من الظانين بالله ظن السَّوْءِ، ومن الظانين به غير الحق ظن الجاهلية.

ومَنْ ظَنَّ بِهِ أن يكونَ في مُلكه ما لا يشاء ولا يَقْدِرُ على إيجاده وتكوينه، فقد ظنَّ به ظنَّ السَّوْءِ.

ومَنْ ظَنَّ بِهِ أنه كان مُعَطَّلًا مِن الأزل إلى الأبدِ عن أن يفعلَ، ولا يُوصفُ حينئذ بالقُدرة على الفعل، ثم صارَ قادرًا عليه بعد أن لم يكن قادرًا، فقد ظنَّ به ظنَّ السَّوْءِ.

ومَنْ ظَنَّ بِهِ أنه لا يَسمعُ ولا يُبصِرُ، ولا يعلمُ الموجودات، ولا عَدد السماواتِ والأرضِ، ولا النجوم، ولا بني آدمَ وحركاتِهم وأفعالهم، ولا يعلم شيئًا من الموجودات في الأعيان، فقد ظنَّ به ظنَّ السَّوْءِ.

ومَنْ ظَنَّ أنه لا سمعَ له، ولا بصرَ، ولا عِلم له، ولا إرادة، ولا كلامَ يقولُ به، وأنه لم يُكلِّم أحدًا من الخلق، ولا يتكلَّمُ أبدًا، ولا قال ولا يقولُ، ولا له أمرٌ ولا نهي يقومُ به، فقد ظنَّ به ظنَّ السَّوْءِ.

ومَنْ ظَنَّ بِهِ أنه فوقَ سماواتِه على عرشه بائنًا من خلقه، وأن نِسبة ذاته تعالى إلى عرشه كنِسبتها إلى أسفلِ السافلين، وإلى الأمكنة التي يُرغب عن ذكرها، وأنه أسفلُ، كما أنه أعلى، فقد ظنَّ به أقبحَ الظنِّ وأسوأه.

ومَنْ ظَنَّ بِهِ أنه يُحِبُّ الكفر، والفسوقَ، والعِصيانَ، ويحبُّ الفسادَ كما يُحبُّ الإيمان، والبر، والطاعة، والإصلاح، فقد ظنَّ به ظن السَّوْءِ.

ومَنْ ظَنَّ بِهِ أنه لا يُحبُّ ولا يَرضى، ولا يَغضب ولا يَسخط، ولا يُوالي ولا يُعادي، ولا يقرب من أحد من خلقه، ولا يقرُب منه أحد، وأن ذواتِ الشياطين في القُرب مِن ذاته كذوات الملائكة المقرَّبين وأوليائه المفلحين، فقد ظنَّ به ظنَّ السَّوْءِ.

ومَنْ ظَنَّ أنه يُسوِّي بين المتضادَّيْن، أو يفرِّق بين المتساويين من كل وجه، أو يُحْبِطُ طاعاتِ العمر المديد الخالصةَ الصوابَ بكبيرة واحدة تكون بعدها، فيخلد فاعل تلك الطاعات في النار أبدَ الآبدين بتلك الكبيرة، ويُحبطُ بها جميع طاعاته ويُخَلِّدُه في العذاب، كما يخلد مَن لا يؤمن به طرفة عين، وقد استنفد ساعاتِ عمره في مساخِطه ومعاداة رسله ودينه، فقد ظنَّ به ظنَّ السَّوْءِ.

وبالجملة.. **فمَن ظنَّ به خِلاَفَ ما وصف به نَفسه ووصفه به رسله، أو عطَّل حقائقَ ما وصف به نفسه، ووصفته به رُسله، فقد ظنَّ به ظنَّ السَّوْءِ.**

ومَنْ ظَنَّ أن له ولدًا، أو شريكًا أو أن أحدًا يشفعُ عنده بدون إذنه، أو أن بينَه وبين خلقه وسائطَ يرفعون حوائجهم إليه، أو أنه نَصَبَ لعباده أولياء مِن دونه يتقرَّبون بهم إليه، ويتوسلون بهم إليه، ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه، فيدعونهم، ويحبونهم كحبه، ويخافونهم ويرجونهم، فقد ظنَّ به أقبحَ الظن وأسوأه.

ومَنْ ظَنَّ بِهِ أنه ينالُ ما عنده بمعصيته ومخالفته، كما يناله بطاعته والتقربِ إليه، فقد ظنَّ به خلافَ حِكمته وخلاف موجب أسمائه وصفاته، وهو من ظن السَّوْءِ.

ومَنْ ظَنَّ بِهِ أنه إذا ترك لأجله شيئًا لم يُعوِّضه خيرًا منه، أو مَن فعل لأجله شيئًا لم يُعطه أفضلَ منه، فقد ظنَّ به ظن السَّوْءِ.

ومَنْ ظَنَّ بِهِ أنه يغضبُ على عبده، ويُعاقبه ويحرمه بغير جُرم، ولا سبب من العبد إلا بمجرد المشيئة، ومحض الإرادة، فقد ظنَّ به ظن السَّوْءِ.

ومَنْ ظَنَّ بِهِ أنه إذا صدقه في الرغبة والرهبة، وتضرَّع إليه، وسأله، واستعان به، وتوكَّل عليه أنه يُخَيِّبُه ولا يُعطيه ما سأله، فقد ظنَّ به ظنَّ السَّوءِ، وظنَّ به خلافَ ما هو أهلُه.

ومَنْ ظَنَّ بِهِ أنهُ يُثيبه إذا عصاه بما يُثيبه به إذا أطاعه، وسأله ذلك في دعائه، فقد ظنَّ به خلافَ ما تقتضيه حِكمتُه وحمده، وخلافَ ما هو أهلُه وما لا يفعله.

ومَنْ ظَنَّ بِهِ أنه إذا أغضبه، وأسخطه، وأوضع في معاصيه، ثم اتخذ من دونه وليًّا، ودعا مِن دونه مَلَكًا أو بَشَرًا حَيًّا، أو ميتًا يرجُو بذلك أن ينفَعَه عند ربِّه، ويُخَلِّصَه مِن عذابه، فقد ظنَّ به ظَنَّ السَّوْءِ، وذلك زيادة في بُعْدِه من الله، وفي عذابه.

ومَنْ ظَنَّ بِهِ أنه يُسلِّطُ على رسولِهِ محمَّدٍ ﷺ أعداءَهُ تسليطًا مستَقِرًّا دائمًا في حياته وفي مماته، وابتلاه بهم لا يُفارقونه، فلما مات استبدُّوا بالأمر دون وَصِيِّه، وظلمُوا أهلَ بيتِهِ، وسلبُوهم حقَّهُم، وأذلُّوهم، وكانت العزَّةُ والغلبةُ والقهرُ لأعدائِه وأعدائِهم دائمًا مِن غير جرم ولا ذنب لأوليائه، وأهل الحق، وهو

يرى قهرَهم لهم، وغصبهم إياهم حقَّهم، وتبديلَهم دِينَ نبيهم، وهو يقدر على نُصرة أوليائه وحزبه وجنده، ولا ينصُرُهم ولا يُديلهم، بل يُديل أعداءهم عليهم أبدًا، أو أنَّه لا يقدِرُ على ذلكَ، بل حصل هذا بغير قُدرته ولا مشيئته، ثم جعل المبدلين لدينه مضاجعيه في حفرته، تُسَلِّمُ أُمتُه عليه وعليهم كل وقت كما تظنه الرافضةُ، فقد ظنَّ به أقبحَ الظنِّ وأسوأه، سواءً قالوا: إنه قادرٌ على أن ينصرَهم، ويجعل لهم الدولةَ والظفرَ، أو أنه غيرُ قادر على ذلك، فهم قادِحون في قُدرته، أو في حِكمته وحمده، وذلك مِن ظنِّ السَّوْءِ به، ولا ريب أن الربَّ الذي فعل هذا بغيضٌ إلى مَن ظنَّ به ذلك غير محمود عندهم، وكان الواجبُ أن يفعل خلافَ ذلك، لكن رَفَوْا هذا الظنَّ الفاسِدَ بخرق أعظمَ منه، واستجاروا من الرَّمضاءِ بالنار، فقالوا: لم يكن هذا بمشيئة الله، ولا له قدرةٌ على دفعه ونصر أوليائه، فإنه لا يَقْدِرُ على أفعال عباده، ولا هي داخلةٌ تحت قدرته، فظنُّوا به ظَنَّ إخوانهم المجوس والثَّنَوِيةِ بربهم، وكلُّ مبطل، وكافر، ومبتدِع مقهور مستذل، فهو يظن بربه هذا الظن، وأنه أولى بالنصر والظفر، والعلو من خصومه.

فأكثر الخلق، بل كلهم إلا مَن شاء الله يظنون بالله غيرَ الحقِّ ظنَّ السَّوْءِ، فإن غالبَ بني آدم يعتقد أنه مبخوسُ الحق، ناقصُ الحظ وأنه يستحق فوقَ ما أعطاهُ اللهُ، ولِسان حاله يقول: ظلمني ربِّي، ومنعني ما أَستحقُّه، ونفسُه تشهدُ عليه بذلك، وهو بلسانه يُنكره ولا يتجاسرُ على التصريح به، ومَن فتَّش نفسَه، وتغلغل في معرفة دفائِنها وطواياها، رأى ذلك فيها كامِنًا كُمونَ النار في الزِّناد، فاقدح زنادَ مَن شئت يُنبئك شَرَارُه عما في زِناده، ولو فتَّشت مَن فتشته، لرأيت عنده تعتُّبًا على القدر وملامة له، واقتراحًا عليه خلاف ما جرى به، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقِلٌّ ومستكثِر، وفَتِّشْ نفسَك هل أنت سالم مِن ذلك؟

فَإنْ تَنجُ مِنْهَا تنجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلا فَإِنِّي لَا إِخَالُكَ نَاجِيًا

فليعتنِ اللبيبُ الناصحُ لنفسه بهذا الموضعِ، وليتُبْ إلى الله تعالى وليستغفِرْه كلَّ وقت من ظنه بربه ظن السَّوْءِ، وليظنَّ السَّوْءَ بنفسه التي هي مأوى كل سوء، ومنبعُ كل شر، المركَّبة على الجهل والظلم، فهي أولى بظن السَّوْءِ من أحكم الحاكمين، وأعدلِ العادلين، وأرحمِ الراحمين، الغنيِّ الحميد، الذي له الغنى التام، والحمدُ التام، والحكمةُ التامة، المنزَّهُ عن كل سوءٍ في ذاته وصفاتِهِ، وأفعالِه وأسمائه، فذاتُه لها الكمالُ المطلقُ مِن كل وجه، وصفاتُه كذلك، وأفعالُه كذلك، كُلُّها حِكمة ومصلحة، ورحمة وعدل، وأسماؤه كُلُّها حُسْنَى.

فَـلا تَظْـنُنْ بِرَبِّكَ ظَنَّ سَـوْءٍ فَـإِنَّ اللهَ أَوْلَى بِالجَمِيلِ
وَلا تَظْنُنْ بِنَفْسِـكَ قَطُّ خَيْرًا وَكَيْفَ بِظَـالِمٍ جَـانٍ جَهُـولِ
وَقُلْ يَا نَفْسُ مَأْوَى كُلِّ سُوءٍ أَيُرجَى الخَيْرُ مِنْ مَيْتٍ بَخيلِ
وظُنَّ بِنَفْسِكَ السُّوآى تَجِدْهَا كَذَاكَ وخَيْرُهَـا كَالمُسْـتَحِيلِ

وَمَـا بِكَ مِنْ تُقىً فِيهَا وَخَيْرٍ   فَتِلْكَ مَوَاهِبُ الرَّبِّ الجَلِيلِ
وَلَيْسَ بِهَـا وَلاَ مِنْهَـا وَلَكِـنْ   مِنَ الرَّحْمنِ فَاشْـكُرْ لِلـدَّلِيلِ

والمقصود ما ساقنا إلى هذا الكلام مِن قوله: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾، ثم أخبر عن الكلام الذي صدَر عن ظنهم الباطل، وهو قولهم: ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖ﴾، وقولهم: ﴿لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَا﴾، فليس مقصودُهم بالكلمةِ الأولى والثانية إثباتَ القدر، ورد الأمرِ كُلِّه إلى الله، ولو كان ذلك مقصودهم بالكلمة الأولى، لما ذُمُّوا عليه، ولما حَسُنَ الردُّ عليه بقوله: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾، ولا كان مصدرُ هذا الكلام ظَنَّ الجاهلية؛ ولهذا قال غيرُ واحد من المفسِّرين: إن ظنَّهم الباطل ها هنا: هو التكذيب بالقدر، وظنهم أن الأمرَ لو كان إليهم، وكان رسولُ الله ﷺ وأصحابُه تبعًا لهم يسمعُون منهم، لما أصابهم القتلُ، ولكان النصرُ والظفرُ لهم، فأكذبهم اللهُ ﷻ في هذا الظنِّ الباطل الذي هو ظنُّ الجاهلية، وهو الظنُّ المنسوب إلى أهل الجهل الذين يزعمون بعد نفاذِ القضاء والقدر الذي لم يكن بُدٌّ من نفاذه أنهم كانوا قادرين على دفعه، وأن الأمرَ لو كان إليهم، لما نفذ القضاءُ، فأكذَبَهُم اللهُ بقوله: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، فلا يكون إلا ما سبق به قضاؤه وقدرُه، وجرى به عِلمه وكتابه السابق، وما شاء اللهُ كان ولا بُدَّ، شاءَ الناسُ أم أَبَوْا، وما لم يَشَأ لم يكن، شاءه الناسُ أم لم يَشاؤوه، وما جرى عليكم من الهزيمةِ والقتل، فبأمره الكوني الذي لا سبيلَ إلى دفعه، سواء أكان لكم من الأمر شيء، أو لم يكن لكم، وأنَّكُم لو كنتم في بيوتكم، وقد كُتِبَ القتلُ على بعضكم لخرج الذين كُتِب عليهم القتل من بيوتهم إلى مضاجعهم ولا بُد، سواء أكان لهم من الأمر شيء، أو لم يكن، وهذا مِن أظهر الأشياء إبطالًا لقول القَدَرِيَّةِ النفاة، الذين يُجوِّزون أن يقع ما لا يشاؤُه اللهُ، وأن يشاء ما لا يقع». [زاد المعاد لابن القيم ٣/ ٢٠٤ - ٢١٣].

٢٨ ـ سنة الابتلاء والتمحيص[1]:

يقول ابن القيم: «ثم أخبر سبحانه عن حِكمة أُخرى في هذا التقدير، هي ابتلاءُ ما في صدورهم، وهو اختبار ما فيها من الإيمانِ والنفاق، فالمؤمنُ لا يزدادُ بذلك إلا إيمانًا وتسليمًا، والمنافقُ ومَن في قلبه مرضٌ، لا بد أن يظهر ما في قلبه على جوارحه ولسانه.

ثم ذكر حِكمة أُخرى: وهو تمحيصُ ما في قلوب المؤمنين، وهو تخليصهُ وتنقيتُه وتهذيبه، فإن القلوبَ يُخالطها بِغلبات الطبائع، وميل النفوس، وحكمِ العادة، وتزيينِ الشيطانِ، واستيلاءِ الغفلة ما يُضادُّ ما أُودعَ فيها من الإيمانِ والإسلام والبر والتقوى، فلو تُرِكت في عافية دائمة مستمرة، لم تَتخَلَّص من هذه

---

(١) للتفصيل في هذا الدرس ينظر: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية ـ د/ عبد الكريم زيدان ـ الفصل الرابع ـ سُنَّة الله في الفتنة والابتلاء [قانون الابتلاء]. غريب.

المخالطة، ولم تتمحَّص منه، فاقتضت حِكمةُ العزيزِ أن قَيَّض لها مِن المِحن والبلايا ما يكون كالدواء الكريه لمن عرض له داء إن لم يتداركه طبيبه بإزالته وتنقيته من جسده، وإلا خِيف عليه منه الفسادُ والهلاكُ، فكانت نعمتُه سبحانه عليهم بهذه الكسرة والهزيمة، وقتل مَن قُتِل منهم، تُعادِلُ نعمتَه عليهم بنصرهم وتأييدهم وظفرهم بعدوهم، فله عليهم النعمةُ التامةُ في هذا وهذا». [**زاد المعاد لابن القيم٣/ ٢١٣**].

ويقول الشيخ المدري: «من العبر والدروس في غزوة أحد ذلك الدرس الذي تجده ظاهرًا في جميع فصول هذه الغزوة وأحداثها، ألا وهو الابتلاء، فإن ابتلاء الله تعالى للمؤمنين سنة ماضية وراسخة، فيه من الفوائد والحكم ما لا يحصل بالعافية والأمن، فعلى رغم أن البلاء في هذه الغزوة كان مريرًا قاسيًا، إلا أن الله عاتب بعض من استنكر ذلك فقال تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾[آل عمران]، فمن ظن أن الجنة تحصل له بأبخس الأثمان وأضعف الأعمال فقد أخطأ الحساب؛ إذ لا بد للجنة من مهر يقدمه العبد في هذه الدنيا، به يتميز الأولياء من الأدعياء، فالبلاء يميز الصادق من الكاذب والمؤمن من المنافق، والبلاء يكشف عن معادن الرجال، كما قال الأول:

جَزَى اللهُ الشَّدَائِدَ كُلَّ خَيْرٍ عَرَفْتُ بِهَا عَدُوِّي مِنْ صَدِيقِي

فإن الله لما ابتلى المسلمين بهذه النازلة أبدى المنافقون رؤوسهم، وتكلموا بما كانوا يكتمون، وظهرت مخبأتهم، وعاد تلويحهم تصريحًا، وانقسم الناس في هذه الغزوة إلى كافر ومؤمن ومنافق، وعرف المؤمنون أن لهم عدوًّا في أنفسهم، فماز الله بذلك الخبيث من الطيب، قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

فعرف المؤمنون في هذه الغزوة ضعفهم، وبها عرفوا أعداءهم، وهذبهم بها، ومحص قلوبهم، وجعلها سببًا لبلوغ منازل ودرجات قضى في سابق حكمه أنها لهم، قصرت عنها أعمالهم فاتخذ منهم شهداء كتب لهم أعلى المنازل ورفعهم أعلى الدرجات.

كما أن الله سبحانه وتعالى هيأ بما حدث في هذه الغزوة من البغي والعدوان على أولياء الله تعالى وأحبابه وأصفيائه، هيأ بذلك أسباب محق أعدائه؛ فإن الله إذا أراد أن يهلك أعداءه قيض لهم الأسباب التي يستحقون بها الهلاك والمحق، ومن أعظم هذه الأسباب بعد الكفر بالله بغيهم وطغيانهم ومبالغتهم في أذى أوليائه، وتفننهم في محاربتهم وقتالهم والتسلط عليهم، كما قال الله تعالى في الحديث القدسي: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**» [**البخاري في الرقاق (٦٠٢١)**]، فإذا عتا أعداء الله على أوليائه وحزبه فإن ذلك من أمارات وعلامات قرب محق الله لهم، قال الله تعالى: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤١﴾[آل عمران].

وما تشهده الأمة اليوم من تسلط الكفار وأشياعهم على حزب الله وأوليائه ما هو إلا إحدى علامات قرب محق الله لهؤلاء المعتدين. فالحمد لله الحكيم العليم الخبير.

وعلى ورثة الأنبياء من أهل العلم والدعوة وأهل الخير والصحوة أن يتقوا الله ويصبروا؛ فإن أجل الله قريب، وعليهم أن لا يضجروا إذا أصابهم أذى أو نزل بهم مكروه؛ فإن الله قد قال: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة]، وقد صدق القائل:

لعَلَّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ   وَرُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ

والابتلاء مهما طالت مدته وامتد وقته واشتدت كربته وتوالت أحداثه وكثرت ضحاياه فإن عاقبته أن يرتفع وينكشف فإنه:

مَهْمَا دَجَا اللَّيْلُ فَالتَّارِيخُ أَخْبَرَنَا   أَنَّ النَّهَارَ بِأَحْشَاءِ الدُّجَى يَثِبُ

وينبغي لأولياء الله أن لا يهنوا ولا يذلوا لما نزل بهم من كرب أو حل بهم من ضيم؛ فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، لا يرفعها انكسار عسكري ولا يزيلها ضعفه، بل الأمر كما قال الله تعالى لأوليائه بعد انقضاء هذه المعركة: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران]، فإن ما أصابهم إنما هو في ذات الله تعالى، فعليهم أن يتجلدوا لأعدائهم والشامتين بهم، كما قيل:

وَتَجَلُّدِي لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمُ   أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعْضَعُ

وعلى أولياء الله أن يعلموا أنه إذا كان البلاء يصيب الرسل ومن معهم مع صحة إيمانهم وصدق بذلهم وعظيم جاههم عند الله تعالى فإصابته لمن دونهم أولى وأحرى». [غزوة أحد للمدري ٨٦-٩٠].

[ينظر للتفصيل في سنة الابتلاء والتمحيص من خلال غزوة أحد: دراسة قرآنية لغزوة أُحُد للمجالي ص ٢٦١-٢٧٨].

٢٩ ـ الإنسان مخير في أعماله:

يقول ابن القيم: «ثم أخبر ﷻ عن توَلِّي مَنْ تَولَّى من المؤمنين الصادقين في ذلك اليوم، وأنه بسبب كسبهم وذنوبهم، فاسْتَزَلَّهُمُ الشيطان بتلك الأعمال حتى تولَّوْا، فكانت أعمالهم جندًا عليهم، ازداد بها عدوُّهم قوة، فإن الأعمال جند للعبد وجندٌ عليه، ولا بُدَّ فللعبد كلَّ وقت سَرِيَّةٌ مِن نفسه تَهْزِمُه، أو تنصره، فهو يمُدُّ عدوَّه بأعماله من حيث يظن أنه يُقاتله بها، ويبعث إليه سرية تغزوه مع عدوه من حيث يظن أنه يغزو عدوه، فأعمالُ العبد تسوقُهُ قسرًا إلى مقتضاها مِن الخير والشر، والعبدُ لا يشعر أو يشعر ويتعامى، ففرارُ الإنسان من عدوه، وهو يُطيقه إنما هو بجُند مِن عمله، بعثه له الشيطان واستزلَّه به.

ثم أخبر سبحانه: أنه عفا عنهم؛ لأن هذا الفرارَ لم يكن عن نفاق ولا شكٍّ، وإنما كان عارضًا، عفا الله عنه، فعادت شجاعةُ الإيمانِ وثباتُه إلى مركزها ونصابِها.

ثم كرَّر عليهم سُبحانه: أن هذا الذي أصابهم إنما أُتوا فيه مِن قِبَل أنفسهم، وَبِسبب أعمالهم، فقال: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾[آل عمران]، وذكر هذا بعينه فيما هو أعمُّ من ذلك في السور المكِّية فقال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾[الشورى]، وقال: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩﴾[النساء]، فالحسنة والسيئة ها هنا: النعمة والمصيبةُ، فالنعمةُ مِن الله مَنَّ بها عليك، والمصيبةُ إنما نشأت مِن قِبَل نفسِك وعملِك، فالأول فضلُه، والثاني عدلُه، والعبد يتقلَّب بين فضلِه وعدله، جارٍ عليه فضلُهُ، ماضٍ فيه حكمه، عدلٌ فيه قضاؤه». [**زاد المعاد لابن القيم ٣/ ٢١٣-٢١٤**].

٣٠ـ تعزية الله لنبيه وأوليائه:

يقول ابن القيم: «ثم عزَّى نبيه وأولياءه عمن قُتل منهم في سبيله أحسنَ تعزية، وألطفَها وأدعَاها إلى الرضا بما قضاه لها، فقال: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠﴾[آل عمران]، فجمع لهم إلى الحياة الدائمةِ، منزلةَ القُربِ منه، وأنهم عنده، وجريان الرزق المستمر عليهم، وفرحَهم بما آتاهم من فضله، وهو فوق الرضا، بل هو كمال الرضا، واستبشارهم بإخوانهم الذين باجتماعهم بهم يَتمُّ سُرورُهم ونعيمُهم، واستبشارهم بما يُجدِّدُ لهم كُلَّ وقت مِن نعمته وكرامته.

وذَكَّرهم سبحانه في أثناء هذه المحنة بما هو مِن أعظمِ مننه ونعمه عليهم التي إن قابلوا بها كُلَّ محنة تناهم وبلية، تلاشت في جنب هذه المنة والنعمة، ولم يبق لها أثر البتة، وهى مِنَّتُه عليهم بإرسال رسولٍ من أنفسهم إليهم، يتلُو عليهم آياتِه، ويُزكيهم، ويُعلمهم الكتابَ والحِكمة، ويُنقذُهم مِن الضلال الذي كانُوا فيه قبل إرساله إلى الهدى، ومِن الشقاء إلى الفلاح، ومن الظُّلمة إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، فكُلُّ بليةٍ ومحنةٍ تنالُ العبد بعد حصول هذا الخيرِ العظيم له أمرٌ يسيرٌ جدًّا في جنب الخير الكثير، كما ينالُ الناس بأذى المطرِ في جنب ما يحصل لهم به من الخير، فأعلمهم أن سببَ المُصيبة من عند أنفسهم ليحذروا، وأنها بقضائه وقدره لِيوحِّدوا ويتَّكِلُوا، ولا يخافوا غيره، وأخبرهم بما لهم فيها مِن الحكم لئلا يتهموه في قضائه وقدره، وليتعرَّف إليهم بأنواع أسمائه وصفاته، وسلَّاهم بما أعطاهم مما هو أجلُّ قدرًا، وأعظمُ خطرًا مما فاتهم من النصر والغنيمة، وعزَّاهم عن قتلاهم بما نالُوه من ثوابه وكرامته، لينافِسوهم فيه، ولا يحزنُوا عليهم، فله الحمدُ كما هو أهلُه، وكما ينبغي لكرم وجهه، وعزِّ جلاله». [**زاد المعاد لابن القيم ٣/ ٢١٥ -٢١٦**].

٣١ ـ الإسلام يجب ما قبله:

يقول الشيخ عرجون: «وفي هذه القصة ـ قصة أُحُد ـ معالم مضيئة لمنهج رسالة الإسلام، مما يدل على أن محن الابتلاء في هذه الرسالة الخالدة محفوفة بالمنح الربانية التي تدفعها في مسيرتها إلى أهدافها الحميدة وغاياتها النبيلة.

فإذا جاء في القصة من رواية ابن إسحاق أن بعض الصحابة لما رأوا وحشيًّا قالوا: هذا وحشي، فيقول النبي ﷺ ليشعرهم أنه لا بأس عليه إذْ جاء مسلمًا: «**دَعُوهُ، فَلإِسْلَامِ رَجُلٍ وَاحِدٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَتْلِ أَلْفِ رَجُلٍ كَافِرٍ**». [**الروض الأنف للسهيلي تح الوكيل ٥/ ٤٦١، وسبل الهدى للصالحي ٤/ ٢١٧**].

ومعنى ذلك أن النبي ﷺ لا يريد من أصحابه أن يهيجوا وحشيًّا ولا أن يزعجوه وقد جاء مسلمًا، والإسلام يجبُّ ما قبله من كفر مهما كانت آثاره وجرائره.

وفي هذا دليل على أن رسالة الإسلام إنما تستهدف الهداية والعدل والرحمة والإخاء، ولا يقيم وزنًا لغير الحق، ولا ترضى عن أحقاد الثأر الجاهلية، والله تعالى يقول لنبيه ﷺ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، ويقول له ممتنًّا برسالته على العالمين: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء]، تَجْمَعُ الناسَ في ظلال الهدى والتعاون على البر والتقوى ولم نرسلك معنتًا، ولا مثيرًا لأحقاد الضغن بين أفراد وجماعات المجتمع الإنساني.

وإذا جاء في القصة من رواية الطبراني قوله ﷺ لوحشي: «**اخْرُجْ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ الله كَمَا كُنْتَ تَصُدُّ عَنْ سَبِيلِ الله**»، كان ذلك من قبيل التوجيه الإرشادي إلى مكفِّرات ما سلف من الكفر ومحادة الله تعالى ورسوله، وذِكر القتال في سبيل الله بيان للأمر الأنسب في التكفير، وفيه حضٌّ من النبي ﷺ لإعلاء راية الجهاد، ولعل مخرج وحشي إلى اليمامة وقتله مسيلمة الكذاب كان أثرًا من آثار توجيه النبي ﷺ إلى أفضل ما يمحو الخطايا، ويحتُّ الذنوب، ويطهر من الآثام.

وقد أدرك وحشي ذلك فقال حين قتل مسيلمة الكذاب: قتلت خير الناس ـ يعني سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ـ وقتلت شر الناس ـ يعني أخبث الفجَّار من الكذابين، مسيلمة الحنفي صاحب اليمامة، وقد صدق وحشي في هذا القول». [**محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٣/ ٢٠٢-٢٠٣**].

ويقول د/ الحميدي: «وقد قَبِلَ منه النبي ﷺ إسلامه لأن الإسلام يَجُبُّ ما قبله، ولم يصل إليه من رسول الله ﷺ ولا مجرد عتاب، وهذا منتهى ما يتصوره الإنسان من السماحة والعفو والإحسان».

[**التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٤٠**].

المبحث الثاني
الدروس التربوية والأخلاقية

١ ـ الوفاء بالعهد:

يقول أ/ عبَّاد: «ما أعظمك يا رسول الله! إنك لا تترك شاردة ولا واردة ولا تلهيك عظائم الأمور ولا الصغير منها ولا يشغلك سلم أو حرب ـ على أن تضع كل شيء في موضعه، وأن تترك ما أمرت به إن كان الأصوب في غيره، فأنت تعقد لواء المسلمين الرئيس وتعطيه لعلي بن أبي طالب ﷺ ثم تأخذه وتدفعه لمصعب بن عمير العبدري ﷺ وفاء بالعهد الذي أخذته قريش في الجاهلية بتحديد بني عبد الدار لحمل اللواء، علمًا بأن مصعب بن عمير ﷺ لن يحزن ولن يغضب ولا أحد من الصحابة ﷺ سيُعَلِّق على هذا بشيء، ولكنها عظمة القائد ويقظة المعلم وتوجيه المربي وحنكة السياسي؛ لأن الوفاء بالعهد يحتاج إلى عنصرين: قوة ذاكرة وقوة عزيمة، وأقدار الرجال تتفاوت تفاوتًا شاسعًا في هذا الأمر، فقد يكون ثمن الوفاء فادحًا، ولكنه مناط الاستقامة والثقة والنظافة في ضمير الفرد وفي حياة الجماعة، وقد ربى الإسلام أفرادًا بلغوا في وفائهم بالعهد مبلغًا لم تبلغه البشرية إلا في ظله: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾[الإسراء]». [مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٦٣].

٢ ـ شجاعة وبطولة الجنود:

يقول أ/ فتح الباب: «واستعد الفريقان للقتال، وكل يحرض رجاله، فأما قريش فتذكر بدر وقتلاها، وأما المسلمون فيذكرون الله ونصره، والرسول ﷺ يخطب ويحض على القتال ويَعِدُ رجاله النصر ما صبروا.

ثم نشبت الحرب، وأبلى أبو دجانة ﷺ وحمزة بن عبد المطلب ﷺ عم الرسول ﷺ وعلي بن أبي طالب ﷺ بلاء حسنًا، وهم من أعظم أبطال العرب وشجعانهم، ثم كان مقتل حمزة سيد الشهداء ﷺ، قتله وحشي الحبشي بتحريض من هند بنت عتبة التي خرجت في جمع من النسوة مع المشركين يحركنهم إلى الثأر، وكانت هند أشدهن حُرقة لمقتل أبيها وأخيها منذ عام في بدر، فوعدت وحشيًّا بعِتْقه إن قتل حمزة، ولم يَفُتَّ مصرع حمزة ﷺ عَضُدَ المسلمين، ولا ثنى من عزمهم بأس المشركين وكثرة عددهم، بل حملوا عليهم حملة رجل واحد حتى تراجع أبطال قريش، وهم مضرب أمثالهم في الشجاعة والإقدام، وقُتل أصحابُ لواء قريش واحدًا بعد الآخر، فانكشف المشركون منهزمون لا يلوون على شيء حتى أحيط بنسائهم، وحتى وقع الصنم الذي احتملوا يتيامنون به من فوق الجمل الذي كان يحمله، ومن خلال الهودج الذي كان يحويه». [القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات لفتح الباب ٦٨].

ويقول د/ الحميدي: «في هذا الخبر مواقف بطولية لعدد من الصحابة ﷺ:

الأول: موقف علي بن أبي طالب ﷺ الذي قتل طلحة بن أبي طلحة العبدري مبارزة، وكان مشهورًا بالشجاعة، وهو كبش الكتيبة الذي جاء في رؤيا النبي ﷺ السابقة، وكان قَتله فاتحة خير على المسلمين حيث فرحوا بذلك وهجموا على أعدائهم.

الثاني: مواقف الصحابة الآخرين الذين تتابعوا على قتل حملة اللواء، وقد تبين لنا من هذه المواقف شجاعة حمزة بن عبد المطلب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وبراعة سعد بن أبي وقاص وعاصم بن ثابت رضي الله عنهم في الرماية.

وهذا التركيز الجيد من هؤلاء الصحابة على قتل حملة لواء المشركين كان المقصود منه تحطيم معنوية المشركين وإحداث الخلل في صفوفهم إذا سقط لواؤهم». [**التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١١٦**].

ويقول د/ أبو فارس: «وهكذا جندل أبطال المسلمين من قادة المشركين حملة اللـواء، ولم يوجـد مـن يحمله من الرجال حتى حملته امرأة.

ولما قُتل أصحاب اللواء تفرق المشركون وتمزق شملهم، وانهارت معنوياتهم، وانهارت قواهم، أمـر النبي ﷺ بمهاجمتهم، وتوجيه الضربات القاصمة لهم، وهذا يدل على البراعـة العسـكرية مـن الرسـول ﷺ، إذ استطاع أن يوهن قدرتهم عن القتال ثم يشن عليهم هجومًـا معاكسًـا، فـأزالهم عـن أمكنـتهم، وولوا مدبرين، فارين وقد تركوا أموالهم ونساءهم.

وقفة تأمـل: وقد يقع تساؤل في نفس القارئ الكريم هو لِمَ لمْ يخرج إلى طلحة بن أبي طلحة العبـدري المشرك من يبارزه من المسلمين فور طلبه المبارزة؟

هل كان المسلمون خائفين من نزاله؟

أين علي بن أبي طالب ﷺ؟ أين أبو دجانة سماك بن خرشة ﷺ؟

أين طلحة بن عبيد الله ﷺ؟ أين الزبير بن العوام ﷺ؟ أين الأبطال المغاوير؟

إن الذي وقع في نفسي وانقدح في قلبي أن هذا البطء في الـرد لم يكـن جبنًـا ولا خوفًـا عنـد هـؤلاء المغاوير من الصحابة الذين كانوا يتمنون الشهادة في سبيل الله، بل كان البطء منهم لأن الرسول ﷺ قـد أمرهم ألا يقاتلوا حتى يأمرهم أو يأذن لهم، وكأني بالصحابة رضوان الله عليهم وقد نزل أبو طلحة بـن أبي طلحة العبدري المشرك وحامل لواء المشركين يطلب المبـارزة، وقفـوا مسـتعدين أعنـاقهم تشرـئب للتصدي لهذا المشرك، وانتظروا على أحر من الجمر إذن رسول الله ﷺ لهم بمبـارزة طلحـة وغـيره، فـما هي إلا لحظات إلا ويأذن رسول الله ﷺ أول ما يأذن إلى عـلي بـن أبي طالـب ﷺ، فخـرج عـلي بـن أبي طالب ﷺ يتصدى لهذا المشـرك ويقضـي عليه، ثـم يـأذن النبـي ﷺ لسـائر الصـحابة بالقتـال فـانبروا

يحصدون رؤوس حملة اللواء واحدًا واحدًا حتى أجهزوا عليهم وتمرغ اللواء وتلطخ بالدم والطين، ولاذ الرجال المشركون بالفرار». [غزوة أُحد لأبي فارس ٧٤-٧٥].

بطولة أبي دجانة ﷺ: يقول الشيخ عرجون: «أخرج مسلم والإمام أحمد عن أنس بن مالك ﷺ، والطبراني عن قتادة بن النعمان، وابن راهويه، والبزار عن الزبير ﷺ، قالوا: عَرَضَ رَسُولُ الله ﷺ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَخَذَهُ رِجَالٌ، فَجَعَلُوا يَنْظُرُون إِلَيْهِ وَيَبْسِطُونَ أَيْدِيَهُمْ رَغْبَةً فِي أَخْذِهِ، فَقَالَ ﷺ: «**مَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟**»، فَأَحْجَمَ القَوْمُ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ رِجَالٌ، فِيهِمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعَلِيٌّ، وَالزُّبَيْرُ، فَأَمْسَكَهُ عَنْهُمْ، حَتَّى قَامَ إِلَيْهِ أَبُو دُجَانَةَ ـ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ ﷺ ـ فَقَالَ: وَمَا حَقُّهُ يَا رَسُولَ الله؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَنْ تَضْرِبَ بِهِ فِي وَجْهِ العَدُوِّ حَتَّى يَنْحَنِي، وَلَا تَقْتُلَ بِهِ مُسْلِمًا، وَلَا تَفِرَّ بِهِ عَنْ كَافِرٍ**»، فَقَالَ أَبُو دُجَانَةَ ﷺ: أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ يَا رَسُولَ الله، فَأَعْطَاهُ لَهُ[(١)].

وهذا الحوار المستطلَع لخفايا النفوس يمثل لونًا من ألوان الفراسات النبوية الصادقة، وتوسمات القيادة العليمة المعلِّمة، وفي ذلك من معالم التربية القيادية في مجال المعارك لإظهار أسرار الرجال درس تربوي يجب على القادة أن يتعلَّموه ويعملوا به.

وكان أبو دجانة ﷺ رجلًا شجاعًا جريئًا، لا يهاب الموت، وكان إلى جانب ذلك ميمون النقيبة في الحرب إذا خاضها مشى في حومتها متخايلًا تيَّاهًا يتبختر في مشيته، فلما أخذ سيف رسول الله ﷺ مشى مشيته، فرآه رسول الله ﷺ وهو يتخايل فقال ﷺ: «**إِنَّ هَذِهِ لَمِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ إِلا فِي مِثْلِ هَذَا المَوْطِنِ**».

بطولة أبي دجانة ﷺ **يرصدها الزبير** ﷺ: وقال الزبير بن العوام ﷺ ـ وهو من صناديد أبطال الإسلام ـ: «وَجِدْتُ فِي نَفْسِي ـ أي تأثرت في شيء من الغضب الحزين ـ حِينَ سَأَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ السَّيْفَ فَمَنَعْنِيهِ وَأَعْطَاهُ أَبَا دُجَانَةَ، وَقُلْتُ: أَنَا ابْنُ صَفِيَّةَ عَمَّتِهِ، وَمِنْ قُرَيْشٍ، وَقَدْ قُمْتُ إِلَيْهِ فَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُ قَبْلَهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَتَرَكَنِي، وَالله لَأَنْظُرَنَّ مَا يَصْنَعُ، فَاتَّبَعْتُهُ، فَأَخْرَجَ عِصَابَةً لَهُ حَمْرَاءَ، فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ فَقَالَتْ الأَنْصَارُ: أَخْرَجَ أَبُو دُجَانَةَ عِصَابَةَ المَوْتِ، وَهَكَذَا كَانَتْ تَقُولُ لَهُ إِذَا تَعَصَّبَ بِهَا، فَجَعَلَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ.

وعند الإمام مسلم من حديث أنس ﷺ: فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ المُشْرِكِينَ.

وَكَانَ فِي المُشْرِكِينَ رَجُلٌ لَا يَدَعُ لَنَا جَرِيحًا إِلَّا ذَفَّفَ عَلَيْهِ، جَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَدْنُو مِنْ صَاحِبِهِ، فَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُمَا، فَالْتَقَيَا، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ، فَضَرَبَ المشْرِكُ أَبَا دُجَانَةَ فَاتَّقَاهُ بِدَرَقَتِهِ فَعَضَّتْ بِسَيْفِهِ، وَضَرَبَهُ أَبُو دُجَانَةَ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ قَدْ حَمَلَ السَّيْفَ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِ هِنْدِ بِنْتِ عُتْبَةَ، ثُمَّ عَدَلَ السَّيْفَ عَنْهَا.

وكانت تحمِّس الناس حمسًا شديدًا، تحرضهم على القتال وتغريهم بإشعال نار الثأر لقتلى بدر، فلما حمل عليها أبو دجانة ولولت مستغيثة، قَالَ أَبُو دُجَانَةَ: فَأَكْرَمْتُ سَيْفَ رَسُولِ الله ﷺ أَنْ أَضْرِبَ بِهِ امْرَأَةً.

[السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٦٨-٦٩].

---

(١) قلت: لم أجده بهذا اللفظ والتفصيل فيما بين يدي من مراجع السنة والسيرة. غريب.

وقال الزبير ﵁ في رواية أخرى: خَرَجَ أَبُو دُجَانَةَ بَعْدَمَا أَخَذَ السَّيْفَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، فَاتَّبَعْتُهُ، فَجَعَلَ لَا يَمُرُّ بِشَيْءٍ إِلَّا أَفْرَاهُ وَهَتَكَهُ، حَتَّى أَتَى نِسْوَةً فِي سَفْحِ الجَبَلِ، وَمَعَهُنَّ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَة، وَهِيَ تُغَنِّي تُحَرِّضُ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: فَحَمَلْتُ عَلَيْهَا فَنَادَتْ بِالصَّحَرَاءِ، فَلَمْ يُجِبْهَا أَحَدٌ، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا، فَقُلْتُ لَهُ: **كُلُّ صَنِيعِكَ رَأَيْتُهُ فَأَعْجَبَنِي غَيْرَ أَنَّكَ لَمْ تَقْتُلِ المَرْأَةَ؟!** قَالَ: **فَإِنَّهَا نَادَتْ فَلَمْ يُجِبْهَا أَحَدٌ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَضْرِبَ بِسَيْفِ رَسُولِ الله ﷺ امْرَأَةً لَا نَاصِرَ لَهَا.** [مجمع الزوائد ٦/ ١٥٦ كتاب المغازي والسير (١٠٠٦٩)، وقال الهيثمي: رواه البزار [مسند البزار ٣/ ١٩٣ رقم ٩٧٩] ورجاله ثقات].

هذا لون من الشجاعة النفسية والبدنية منسوج بخيوط من الجراءة العارمة، وكان هذا اللون معروفًا لصاحبه بطل الإسلام أبي دجانة الأنصاري يعرفه هو من نفسه، ويعرفه له قومه الأنصار، له معالم عندهم، يتخذها وشُهر بها، وعرفها له قومه، وصاحب هذه الشجاعة البطولية يزينها بالنخوة والمروءة، فلا يصب نيرانها على ضعيف لا ناصر له، ولا سيما إذا كان سلاحه في هذه الشجاعة مشرَّفًا، خُصَّ به دون سائر أبطال الإسلام وشجعانه؛ ولهذا أبت عليه نخوته البطولية، ومروءته الإسلامية أن يقتل بسيف رسول الله ﷺ امرأة صاحت تطلب الصريخ، وتستصرخ مستغيثة إذ رفع السيف على رأسها تطلب النصراء فلا تجد نصيرًا، لكنه فلق به هامات الأبطال المشركين، فكان لا يَلقى جمعًا منهم إلا فضَّه، ولا يعرض له بطل من أبطالهم إلا جعله كأمس الدابر.

معرفة رسول الله ﷺ بأقدار الرجال وخصائصهم: وكان رسول الله ﷺ يقدِّر هذه الصفات البطولية في أبي دجانة، ويعرف له حقَّه فيها، إذ لم تكد الحرب في أُحد تزأر بالأبطال ويتنادى أُسدها باللقاء حتى عرض رسول الله ﷺ سيفًا كان في يده ونادى في أصحابه: «**مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟**» فاستشرف له جماعة من خاصَّة أبطال الجهاد في الإسلام، وجعلوا ينظرون إلى هذا السيف الذي تخيَّره رسولُ الله ﷺ ليعرضه عليهم ويثير في نفوسهم حميَّة بطولية الجهاد لإعلاء كلمة الله، نظر تفحص وتطلع إلى سرِّه الذي جعل رسول الله ﷺ ينادي عليه بين أصحابه، فيطلبه أبو بكر الصديق وعمر ﵄، ويطلبه معهم الزبير بن العوام ﵁، ابن عمة رسول الله ﷺ القرشي، وهو أشهر في شجاعته البطولية شهرة ملأت أرض الإسلام، فيُعرض عنه رسول الله ﷺ ثلاث مرات.

وإذا بأبي دجانة سماك بن خرشة الأنصاري ﵁، يسأل رسول الله ﷺ عن حقِّ هذا السيف المغلَّف بالأسرار، فيجيبه النبي ﷺ بقوله: «**أَنْ تضْرَبَ بِهِ العَدُوَّ حَتَّى يَنْحَنِيَ**»، ومعنى هذا أن حق هذا السيف شجاعة تملك على من يأخذه ليحارب به المشركين مشاعره ومعالم بطولته، وكرَّة على العدو، فيضرب به في صفوفه ضربًا متواصلًا، يفري به الهامات لا يكل ولا يعيا حتى ينحني السيف في يده.

وكان أبو دجانة ﵁ أصدق وفاء بوعد رسول الله ﷺ، فأدى حق السيف الذي خصَّه به رسولُ الله ﷺ دون أكابر أصحابه وأبطالهم، وهذه الميزة التي ظفر بها أبو دجانة ﵁ وإن كانت لا تدل على تفضيله

على من استشرفوا للسيف متطلِّعين إلى أخذه، والنبي ﷺ يُعرض عنهم، وفيهم ابن عمته الزبير بن العوام رضي الله عنه، وهو مَنْ لا تُنكر بسالته وشجاعته وبطولته في جهاد الإسلام، لكنها تدل على فضله وشجاعته في معامع الوغى.

الزبير رضي الله عنه ينظر ما يصنع أبو دجانة رضي الله عنه بسيف رسول الله ﷺ الذي آثره به فيرى بطولته فيعلم حكمة إيثاره على غيره: وقد تأثر الزبير رضي الله عنه من إعراض النبي ﷺ وهو يطلب منه السيف ثلاث مرات، فيأبى عليه ﷺ إعطاءه إياه، كما أبى إعطاءه غيره من الذين استشرفوا لأخذه، وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وفيهم يعسوب الإسلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وثلاثتهم في مكانتهم من رسول الله ﷺ ومن المجتمع المسلم مَنْ لا يُنكر فضلهم في مواقف البطولات.

ولما رأى الزبير رضي الله عنه هذا الصنيع من رسول الله ﷺ ـ وهو يعلم أن رسول الله ﷺ لا يصنع شيئًا إلا لِحكمة ـ قال: والله لأنظرنَّ ما يصنع أبو دجانة، فاتبعه فجعل يفلق هام المشركين بالسيف، ولا يَلقى مشركًا إلا علاه بالسيف فقضى عليه، فعرف الزبير رضي الله عنه حِكمة اختيار رسول الله ﷺ أبا دجانة بطلًا لسيفه وتمييزه به دون سائر أصحابه رضي الله عنهم». [**محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٣/ ٥٨٨-٥٩٢**].

ويقول د/ الحميدي: «في هذا الخبر مواقف منها:

أولًا: ما قام به النبي ﷺ من شحذ الهمم والتحريض على القتال بصورة مؤثرة حيث رفع السيف فقال: «**مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟**»، فكان من نصيب أبي دجانة سماك بن خرشة رضي الله عنه، وكان من آثار ذلك أن عصب رأسه بعصابة الموت معلنًا أنه سيبذل كل طاقته في القتال، ثم كان منه ما ذكره الزبير بن العوام وقتادة بن النعمان رضي الله عنهما، وذلك بما قام به من التنكيل بالأعداء والإثخان فيهم.

وهكذا يضرب رسول الله ﷺ مثلًا عاليًا للقادة من بعده في محاولة استخراج كل الطاقات الكامنة في النفوس والاستفادة منها في قضايا الدعوة والجهاد، والتشهير بذوي البأس والنجدة ليتأسى المسلمون بهم، وإنزال الناس منازلهم في الإشادة بما لديهم من مواهب، وعدم مجاملة الآخرين وإن كانوا يقاربونهم في هذه المواهب أو يتفوقون عليهم في مواهب أخرى، أو يشاركونهم في نفس المواهب، ولكن الموطن يتطلب أناسًا بأعيانهم لهم أثر في استجاشة المشاعر وإلهاب الحماس، وهكذا كان مقام أبي دجانة رضي الله عنه في قومه وأثره في الحرب، وإن كان الزبير وعلي لا يقلان عنه بأسًا ونجدة رضي الله عنهم.

ثانيًا: اشتمل هذا الخبر على مواقف بطولية لأبي دجانة رضي الله عنه حيث فتك بالأعداء وتعرض لذوي البأس منهم، ولقد حقق بهذه المواقف العالية أمل النبي ﷺ فيه حينما اختصه بذلك السيف».

[التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١١٢-١١٣].

٣ ـ ما يُستفاد من قصة أبي دجانة ﷺ:

يقول د/ أبو فارس: «ولنا ملاحظات حول هذه القصة:

(١) يلوح لي ـ والله أعلم ـ أن النبي ﷺ فعل هذا تشجيعًا للمسلمين، وحضهم على قتال عدوهم، وإذكاء روح المنافسة في الجهاد عندهم، رفعًا لمعنوياتهم القتالية.

(٢) ويؤخذ من هذا أيضًا جواز المنافسة في الجهاد، وإظهار الذين أبلوا بلاء حسنًا، والاعتراف بجهودهم وجهادهم.

(٣) أن إعطاء السيف لأبي دجانة ﷺ دون غيره من الصحابة يدل على شجاعته وثباته ﷺ، وما كان النبي ﷺ، يؤمل عليه من إلحاق النكاية بالعدو تقتيلًا وتشريدًا.

(٤) لقد قام أبو دجانة ﷺ بما اشترط عليه الرسول ﷺ، حيث ضرب بالسيف حتى انحنى، وصار كالمنجل.

(٥) يجوز للمسلم المقاتل أن يُظهر قوته وشجاعته في ساحة المعركة أمام عدوه لإرهابه والتأثير على نفسيته القتالية، كما فعل أبو دجانة ﷺ وأقره النبي ﷺ على ذلك.

(٦) يجوز للمسلم المقاتل أن يُعلم نفسه بعصابة أو بغيرها يتميز بها عن غيره».

[غزوة أُحد لأبي فارس ٦٦].

٤ ـ الأخلاق العالية لحذيفة بن اليمان ﷺ:

«يا لإيمان حذيفة، يا لعتاب حذيفة، والده المؤمن المجاهد تقطعه السيوف، فلا يتلفظ بكلمة نابية، ولا حتى بعتاب مجروح، تنهد قائلًا: غفر الله لكم، ذرفها حذيفة كالدموع وهو يرى حبيب قلبه، وصديقه ووالده الحنون يهوي بسيوف أحبابه خطأ، إن لحذيفة إيمانًا صافيًا كأنهار الجنة، رحم الله حسيلًا، ورحم الله الرماة، ورضي الله عنهم جميعًا». [**السيرة النبوية للصوياني ٢/ ٢١٦**].

٥ ـ خطورة التنافس والحرص على الدنيا:

يقول الشيخ المدري: «وهذه الغزوة تعلمنا كذلك خطورة إيثار الدنيا على الآخرة، وأن ذلك مما يفقد الأمة عون الله ونصره وتأييده.

وفي ذلك درس عظيم يبين أن حب الدنيا والتعلق بها قد يتسلل إلى قلوب أهل الإيمان والصلاح، وربما خفي عليهم ذلك، فآثروها على ما عند الله، مما يوجب على المرء أن يتفقد نفسه وأن يفتش في خباياها، وأن يزيل كل ما من شأنه أن يحول بينها وبين الاستجابة لأوامر الله ونواهيه».

[غزوة أحد للمدري ١٣-١٤].

ويقول د/ الصلابي: «وقد وردت نصوص عديدة من آيات، وأحاديث، تبين منزلة الدنيا عند الله وتصف زخارفها وأثرها على فتنة الإنسان، وتحذر من الحرص عليها، قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾[آل عمران]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ [لقمان].

وقد حذر الرسول الكريم ﷺ أمته من الاغترار بالدنيا، والحرص الشديد عليها في أكثر من موضع، وذلك لما لهذا الحرص من أثره السيء على الأمة عامة وعلى من يحملون لواء الدعوة خاصة، ومن ذلك:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**» **وَفِي حَدِيثِ ابْنِ بَشَّارٍ: «لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ»**. [مسلم (٢٧٤٢)].

ويظهر للباحث أثر الحرص على الدنيا في غزوة أُحد». [**السيرة النبوية للصلابي ٢/ ١٦٠**].

وروى الطبري عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَـمَّا هَزَمَ اللهُ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ الرُّمَاةُ: أَدْرِكُوا النَّاسَ وَنَبِيَّ اللهِ ﷺ، لَا يَسْبِقُوكُمْ إِلَى الْغَنَائِمِ فَتَكُونَ لَهُمْ دُونَكُمْ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نَرِيمُ حَتَّى يَأْذَنَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ، فَنَزَلَتْ: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ﴾[آل عمران: ١٥٢].

وقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: مَا كُنْتُ أَرَى أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُرِيدُ الدُّنْيَا، حَتَّى نَزَلَ فِينَا يَوْمَ أُحُدٍ: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ﴾[آل عمران: ١٥٢].

وقَالَ الطَّبَرِيُّ: «يَعْنِي جَلَّ ثنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ الَّذِينَ تَرَكُوا مَقْعَدَهُمُ الَّذِي أَقْعَدَهُمْ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الشِّعْبِ مِنْ أُحُدٍ لِخَيْلِ الْمُشْرِكِينَ، وَلَحِقُوا بِمُعَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ طَلَبَ النَّهْبِ إِذْ رَأَوْا هَزِيمَةَ الْمُشْرِكِينَ ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ: الَّذِينَ ثَبَتُوا مِنَ الرُّمَاةِ فِي مَقَاعِدِهِمُ الَّتِي أَقْعَدَهُمْ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَهُ، مُحَافَظَةً عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَابْتِغَاءَ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الثَّوَابِ بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ، وَالدَّارَ الْآخِرَةَ». [**تفسير الطبري ط هجر ٦/ ١٣٩-١٤١**].

وذكر ابن الجوزي رحمه الله أن من أسباب نزول قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴿١٦١﴾ ﴾ [آل عمران] أنها نزلت في الذين تركوا أماكنهم

يوم أُحُد طلبًا للغنيمة وقالوا: نخاف أن يقول النبي ﷺ: (من أخذ شيئًا فهو له)، فقال لهم النبي ﷺ: **(ألم أعهد إليكم ألا تبرحوا؟! أظننتم أنا نغل)**، فنزلت هذه الآية.

[زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٢/ ٤٩ ـ دار الفكر ـ بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م].

والمراد تنزيه ساحة النبي ﷺ على أبلغ وجه عما ظن به الرماة يوم أُحُد، فالرماة حين تركوا المركز يومئذ طلبًا للغنيمة قالوا: نخشى أن يقول النبي ﷺ: من أخذ شيئًا فهو له، وألا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر، فقال النبي ﷺ: **(أظننتم أنا نغل ولا نقسم لكم)**، ولهذه نزلت الآية.

[تفسير الآلوسي ٤/ ١٠٩ ـ دار إحياء التراث العربي بيروت ـ د.ت].

قال القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ يعني الغنيمة، قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما شعرنا أن أحدًا من أصحاب النبي ﷺ يريد الدنيا وعرضها حتى كان يوم أُحُد.

﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ وهم الذين ثبتوا في مركزهم، ولم يخالفوا أمر نبيهم ﷺ مع أميرهم عبدِ الله بن جبير رضي الله عنه فحمل خالد بن الوليد وعِكرمة بن أبي جهل عليه، وكانا يومئذ كافرين فقتلوه مع من بقي، رحمهم الله.

والعِتاب مع مَن انهزم لا مع مَن ثبت، فإن من ثبت فاز بالثواب، وهذا كما أنه إذا حل بقوم عقوبة عامة فأهل الصلاح والصبيان يهلكون، ولكن لا يكون ما حل بهم عقوبة، بل هو سبب المثوبة. والله أعلم. [تفسير القرطبي ٤/ ١٥٣].

ويقول ل/ فرج: «بدأت معركة أحد وقَتَلَ أبطالُ الإسلام حَمَلَةَ لواء قريش في مرحلة القتال الأولى، ثم بدأت مرحلة الاشتباك الفعلي، ونجحت قوات المسلمين في هزيمة المشركين، وفجأة تبدل الأمر، واختلت موازين المعركة، وقد أدى إلى هذا الموقف:

ـ ترك الرماة الذين وضعهم رسول الله ﷺ فوق الجبل أماكنهم.

ـ إدراك خالد بن الوليد ـ وهو قائد فرسان المشركين ـ لأهمية الجبل، فظلت عينه عليه حتى وهو ينسحب من المعركة، فلما رأى رماة المسلمين يتركون مواضعهم، قام بحركة التفاف سريعة وهاجمهم من الخلف.

ـ شَغل المسلمون أنفسهم بالغنائم، وتناسوا ـ للحظات ـ أن القتال في سبيل الله، وليس في سبيل الحصول على مطمع أو مغنم دنيوي، وكانت هذه اللحظات هي البداية لما تعرضوا له من محنة قاسية.

دفعهم طمعهم إلى الخروج عن مهمتهم، فنشأ عن مطمع دنيوي حقير موقف عصيب، كاد يهدد الدعوة الإسلامية، لولا فضل الله تعالى.

ولم يكن التقصير من جانب الرماة فقط، بل امتد إلى هؤلاء الذين كان لهم فضل كسب الجولة الأولى، فهؤلاء ما إن رأوا المشركين يفرون حتى اتجهوا إلى جمع الأسلاب والغنائم، وما كانت هذه أو تلك هدفًا من أهداف المعركة، فقد صرفتهم عن استكمال أسباب النصر، واستغلال فرار المشركين ووجود حالة ذعر في صفوفهم، للقيام بعملية مطاردة، فإنَّ كل عملية هجوم ناجح تستتبع عملية مطاردة للقضاء على العدو، وكم يتمنى المسلم أن يكونوا قد طاردوا المشركين وتركوا جمع الغنائم».

[**العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ لفرج ص ٤١٤**].

ويقول د/ الزيد: «من قول بعض الرماة: (أي قوم الغنيمة) وما ترتب على ذلك نأخذ الحذر من الحرص على الدنيا، والله ﷻ يقول: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾[آل عمران: ١٥٢].

وقال ﷺ: «... **إِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا وَتَقْتَتِلُوا، فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**». [**مسلم في الفضائل (٢٢٩٦)**].

وهذا موقف يسير قصير من الحرص على الدنيا، فكيف بمن يصبح ويمسي والدنيا أكبر همه؟

وما دام الحديث عن الدنيا والحرص عليها وعواقب ذلك يجدر بنا أن نذكِّر بقول الله تعالى عن اليهود: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[البقرة]، وقد جعل الرازي هذا الحرص هو علة التفاوت في قول الله تعالى: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ [المائدة: ٨٢]، فقال: «علة هذا التفاوت أن اليهود مخصوصون بالحرص الشديد على الدنيا، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾، فقرنهم في الحرص بالمشركين المنكرين للمعاد، والحرص معدن الأخلاق الذميمة؛ لأن من كان حريصًا على الدنيا طرح دينه في طلب الدنيا، وأقدم على كل محظور ومنكر بطلب الدنيا».

[**التفسير الكبير للرازي ١٢/ ٦٦**]. [**فقه السيرة للزيد ٤٥٠-٤٥١**].

وسيأتي استكماله بعنوان «**إيثار الدنيا على الآخرة يوقع في الخطيئة**» في الدروس الدعوية.

٦ ـ الصبر على الإصابة في سبيل الله:

يقول ل/ فرج: «إن المسلم إذا أُصيب خلال القتال فعليه أن يصبر على إصابته في سبيل الله، وأنه قد يُشفى من مرضه حين تتداركه رحمة الله، فإذا لم يشف ومات متأثرًا بجراحة فهو شهيد له ما وعد الله به الشهداء، أما أن يَقتل المصابُ نفسه تخلصًا من عذابات الجراح، فهذا أمر يخرج بالفرد عن دائرة الإيمان

بما هو مقرر له، وبالتالي فإنه يعبر عن السخط أو اليأس من روح الله، وهذا وذاك أمران مرفوضان غير مقبولين؛ لأنه لا يسخط إلا ضعيف الإيمان، ولا ييأس إلا القوم الكافرون.

وقد حدث أن خرج مع المسلمين يوم أُحد رجل ذو بأس وقوة لا يدري أحد من المسلمين ممن هو، وقاتل هذا الرجل ـ ويُسمى قزمان ــ قتالًا شديدًا، وكان أول من رمى من المسلمين بسهم، وأصابته خلال القتال جراحة أقعدته، فنُقل إلي دار بني ظفر، فلما جاء الليل لم يصبر على جرحه إذ اشتد عليه، فأخذ سهمًا من كنانته وطعن به نفسه فمات، وكان إذا ذُكر قبل موته لرسول الله ﷺ قال: «**هذا من أهل النار**»، فلما مات قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، الرجل الذي قلت إنه من أهل النار فإنه قاتل قتالًا شديدًا وقد مات؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إلى النار**». [**العبقرية العسكرية لفرج ٢٥١-٢٥٢**].

٧ـ كيفية معالجة الأخطاء:

يقول د/ بامدحج: «من توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية ألا نتعامل مع الصحابة رضي الله عنهم بموجب أخطائهم، بل نُكِنُّ لهم كل محبة وتقدير وترضٍّ وتعظيم، فمن أصول أهل السنة والجماعة سلامة القلب من البغض والغل والحقد والكراهية، وسلامة ألسنتهم من كل قول لا يليق بهم، فقلوبهم سالمة من ذلك، مملوءة بالحب والتقدير والتعظيم لأصحاب رسول الله ﷺ على ما يليق بهم، فهم يحبون أصحاب النبي ﷺ ويفضلونهم على جميع الخلق؛ لأن محبتهم من محبة رسول الله ﷺ، ومحبة رسول الله ﷺ من محبة الله عز وجل، وألسنتهم أيضًا سالمة من السب والشتم واللعن والتفسيق والتكفير وما أشبه ذلك مما يأتي به أهل البدع، فإذا سلمت من هذا، مُلئت من الثناء عليهم والترضي عنهم والترحم والاستغفار وغيرذلك. [**شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٢/ ٢٤٧ ـ دار ابن الجوزي بالدمام ـ السعودية ١٤١٥هـ**].

ويعتقدون فضلهم ومحاسنهم ويترحمون عليهم ويستغفرون لهم ولا يقولون إلا ما حكاه الله عنهم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر]، وطاعة الرسول ﷺ في قوله: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**». [**البخاري في فضائل الصحابة رضي الله عنهم (٣٦٧٣)، ومسلم في فضائل الصحابة رضي الله عنهم (٢٥٤٠)، وأبو داود في السنة (٤٦٥٨)، والترمذي في المناقب (٣٨٦١)، وابن ماجه في المقدمة (١٦١)، وأحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (١٠٦٩٥، ١١١٢٤، ١١٢١٤)**].

[**كتاب التوحيد ـ د/ صالح بن فوزان الفوزان ص ٧٦ ـ مكتب الأثير بالرياض د.ت**].

ولكن هناك حقائق متعددة أراد الله أن يؤكدها في أحداث غزوة أحد، ويطبقها لنا رسوله الكريم ﷺ تطبيقًا عمليًا، حيث أراد ﷺ أن يبين لنا الممارسة العملية لكيفية التصرف في مثل هذه المواقف من صبر وضبط للنفس وحسن تصرف.

أ ـ انخزال المنافقين: بدأ النفاق ضد الإسلام في المدينة المنورة، وذلك بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إليها، وأظهر الله ﷻ كلمته، وأعز الإسلام وأهله، أظهرت طائفة منهم دخولها في الإسلام فوُجد النفاق والمنافقون ، [النفاق: آثاره ومفاهيمه ـ د/ عبد الرحمن الدوسري ص ١٠ ـ مكتبة الرشد بالرياض ١٤٠٤هـ].

وبدأوا يكيدون للإسلام من داخله لما يكنونه من غيظ في قلوبهم للمسلمين، بل دخلوا في الإسلام ظاهرًا؛ لتحقيق أهدافهم ضد الإسلام، فلما جاءت غزوة أُحد واستقر رأي الرسول ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم بعد إجراء الشورى على الخروج لملاقاة قريش في أُحد، خرج الرسول ﷺ وجيشه إلى أُحد، ولكن (عندما وصل جيش المسلمين الشوط، انسحب المنافق ابن سلول بثلاثمائة من المنافقين، بحجة أنه لن يقع قتال مع المشركين، ومعترضًا على قرار القتال خارج المدينة، قائلًا: «**أطاع الولدان ومَنْ لا رأي له، أطاعهم وعصاني، علام نقتل أنفسنا**»، وكان هدفه الرئيس من هذا التمرد، أن يُحدث بلبلة واضطرابًا في الجيش الإسلامي؛ لتنهار معنوياته ويتشجع العدو، وتعلو همته، وعمله هذا ينطوي على استهانة بمستقبل الإسلام، وغدر به في أحلك الظروف، وقد اقتضت حكمة الله أن يمحص الله الجيش ليظهر الخبيث من الطيب حتى لا يختلط المخلص بالمغرض والأصيل بالدخيل، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [آل عمران]، فانكشف المنافقون وافتضحوا أمام الناس قبل أن يفضحهم القرآن. [مرويات غزوة أحد ـ د/ حسين أحمد الباكري ص ٧١].

وقد حاول عبد الله بن حرام رضي الله عنه ـ والد جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ـ فقال: «**يَا قَوْم أُذَكِّرُكُمْ اللهَ أَلَّا تَخْذُلُوا قَوْمَكُمْ وَنَبِيَّكُمْ عِنْدَمَا حَضَرَ مِنْ عَدُوِّهِمْ**، فَقَالُوا: **لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ تُقَاتِلُونَ لَمَا أَسْلَمْنَاكُمْ، وَلَكِنَّا لَا نَرَى أَنَّهُ يَكُونُ قِتَالٌ**، قَالَ: فَلَـمَّا اسْتَعْصَوْا عَلَيْهِ وَأَبَوْا إلَّا الانْصِرَافَ عَنْهُمْ قَالَ: **أَبْعَدَكُمْ اللهُ أَعْدَاءَ اللهِ فَسَيُغْنِي اللهُ عَنْكُمْ نَبِيَّهُ**». [السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٦٤].

وفي هؤلاء المنخزلين نزل قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾[آل عمران].

فبالرغم من خطورة الموقف وحاجة المسلمين لهذا العدد، لقلة جيش المسلمين، وكثرة جيش قريش إلا أن الرسول ﷺ ترك هؤلاء المنافقين وشأنهم، ولم يعرهم أي اهتمام، واكتفى بفضح أمرهم أمام الناس.

ب ـ خطأ الفئتين اللتين كادتا أن تفشلا: قال تعالى موضحًا قصة الفئتين اللتين كادتا أن تفشلا ومبينًا علاج ذلك الخطأ: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران]، قال الطبري: أن تفشلا: أي هَمَّا أن يضعفا ويجبنا عن لقاء عدوهما . . . وكان هَمُّهما الذي هَمَّا به من

الفشل، الانصراف عن رسول الله ﷺ والمؤمنين حين انصرف عنهم عبد الله بن أُبي بن سلول بمن معه، جبنًا منهم، من غير شك منهم في الإسلام ولا نفاق، فعصمهم الله مما همُّوا به من ذلك، ومضوا مع رسول الله ﷺ لوجهه الذي مضى له، وتركوا عبد الله بن أُبي بن سلول والمنافقين معه، فأثنى الله ﷻ عليهما بثبوتهما على الحق، وأخبر أنه وليُّهما وناصرهما على أعدائهما من الكفار. [تفسير الطبري ٣/ ٤١٩].

وقال الزمخشري في «الكشاف»: «والطائفتان حيان من الأنصار: بنو سلمة من الخزرج، وبنو الحارثة من الأوس وهما الجناحان... وقد هم الحيان باتباع عبد الله بن أُبي ـ عندما انخزل بثلث الجيش ـ فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله ﷺ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أضمروا أن يرجعوا، فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا، والظاهر أنها ما كانت إلا همة وحديث نفس، وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها إلى الثبات والصبر، ويوطنها على احتمال المكروه... ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية». [الكشاف للزمخشري ١/ ٤٠٩-٤١٠].

وفي هذه الآية الكريمة تربية للمؤمنين، حيث بينت لهم أن الله ﷻ مُطَّلع على أعمالهم أثناء خروجهم إلى غزوة أُحد، كما أرشدهم سبحانه وتعالى إلى التوكل عليه وحده؛ وذلك لأن دخول المعارك أمر ليس بالهين والسهل، بل يحتاج فيه المقاتل إلى الصبر وقوة العزيمة، وخير فعل يتخذ هو التوكل الحقيقي على الله.

[حديث القرآن عن غزوات الرسول ﷺ ـ د/ محمد بن بكر بن إبراهيم آل عابد ص ١٦٤].

لا شك أن الدعاة إلى الله تعالى قد يحدث بينهم خلاف وتنازع في مسألة شكلية، ولقد أرشد القرآن الكريم الدعاة إلى الحل الأمثل، حيث أورد بعد هذه الآيات العلاج الأمثل والناجع في حالة حدوث الخلاف بين المؤمنين عامة والدعاة خاصة في قوله تعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾ [آل عمران].

ج ـ خطأ الرماة: فمن الحقائق التي أراد الرسول الكريم ﷺ أن يؤكدها في هذه الغزوة حادثة خطأ الرماة.

إن الرماة الذين أخطأوا الاجتهاد في غزوة أحد، لم يُخرجهم الرسول ﷺ خارج الصف، ولم يقل لهم: إنكم لاتصلحون لشيء من هذا الأمر، بعد ما بدا منكم في التجربة من النقص والضعف، بل قَبِل ضعفهم هذا في رحمة وعفو وفي سماحة، ثم شمل سبحانه وتعالى برعايته وعفوه جميع الذين اشتركوا في هذه الغزوة رغم ما وقع من بعضهم من أخطاء جسيمة وما ترتب عليها من خسائر فادحة، فعفا سبحانه وتعالى عفوًا غسل به خطاياهم ومحا به آثار تلك الخطايا، فقال جل ثناؤه: ﴿ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم

بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران].

وهناك أمر مهم يتصل بهذا العفو قد يترك أثرًا في نفوسهم يعوقها بعض الشيء، ذلك هو موقف رسول الله ﷺ مما حدث منهم، إنهم يشعرون أن الرسول ﷺ هو وحده الذى تحمَّل نتيجة تلك الأخطاء، فلابد من أن ينالوا منه عفوًا تطيب به نفوسهم، وتتم به نعمة الله عليهم؛ لهذا أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بأن يعفو عنهم وحثه على الاستغفار لهم، كما أمره أن يأخذ رأيهم والاستماع إلى مشورتهم، ولا يجعل ما حدث صارفًا له عن الاستفادة بخبراتهم ومشورتهم، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران]». [**حديث القرآن عن غزوات الرسول ﷺ ـ د/ محمد بن بكر آل عابد ص ١٦٤**].

[**غزوة أحد لبامدحج ٢١٦-٢٢١**].

٨ ـ التشابه بين مخالفات بدر وأُحد واختلاف النتائج:

يقول الشيخ عرجون: «وإذا كان أهل بدر عوتبوا على مخالفاتهم لخطط القيادة العليا للمجتمع المسلم، وأوامر هذه القيادة المتلقاة من الوحي مباشرة أو عن طريق تصويب الاجتهاد أو التنبيه على ما عسى أن يقع فيه من الخطأ غير المقصود، واقتحام المجاهدين ما لم تأمر به القيادة العليا الحكيمة ولم ترضه منهجًا لها ـ فغيرهم أحق وأولى.

وهذه المخالفات البدرية تتمثل في:

أولًا: كراهية فريق من المؤمنين المجاهدين الخروج للقاء عدوهم ومقاتلته، وهو قد قدِم في عدده وعُدَدِه لمهاجمتهم بقصد استئصال المجتمع المسلم في تركيبه الاجتماعي التكافلي الجديد، وفضَّلوا على هذا اللقاء القتالي المضي وراء العير وغنم ما فيها من أموال ومتاع لقلة حاميتها وسهولة أخذها، بعد أن فاتتهم، ونجا بها أميرها أبو سفيان بن حرب، وقد حكى الله ذلك عنهم في قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [الأنفال]، وقد فسرنا الآية في موضعها المناسب، وبينَّا ما فيها من هذا المعنى مستشهدين بحديث أبي أيوب عند الترمذي الذي سقناه أكثر من مرة لتطلُّب المناسبة لهذا المساق.

وقد جاء في هذا الحديث قول بعض الصحابة ﷺ والنبي ﷺ يشاورهم ويقول لهم: «**ما رأيكم في لقاء القوم؟**» بعد أن ذهبت العير ناجية إلى مكة: لا طاقة لنا بقتال القوم، عليك يا رسول الله ﷺ بالعير، فإنها ليس دونها أحد، فيزيدهم الله تعالى في معاتبته لهم شدة، ويذكِّرهم إن أخذ العير أو لقاء النفير وعد

صادق من الله لا يتخلَّف، وقد فاتتكم العير، فلم يبق لكم إلا ملاقاة النفير ينبغي لكم أن تخرجوا لملاقاته فهو أعظم فائدة لكم من العير؛ لأنه برجاله وغنائمه قد صار موضع تحقيق الوعد، فلا تتهيبوا ما فيه من قوة عددية في الرجال وقوة عتادية في الأسلحة والأموال، فإنكم ستغنمونها وتقتلون صناديد أعدائكم وتأسرون أشرافهم، وتشردون فلالهم، وتفزعون فرَّارهم تحقيقًا لوعد الله الذي لا يتخلف فقال لهم عز شأنه: ﴿ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ ـ العير أو النفير ـ أَنَّهَا لَكُمۡ ﴾ [الأنفال:٧] وقد تعين هذا الوعد في النفير بعد فوات العير، ولكنكم تهيَّبتم لقاءه وغفلتم عن وعد الله لكم، وارتبطت همتكم وعزائمكم بالتطلُّع إلى العير لسهولة أخذها وما فيها من عرض الدنيا؛ لأنها ضعيفة الشوكة قليلة الحامية، فوددتموها لذلك كما أخبر الله في قوله جل شأنه: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ ـ أي العير ـ تَكُونُ لَكُمۡ﴾ [الأنفال:٧] لما فيها من الأموال، التي ليس لها قوة كافية للدفاع عنها، ولا تحقق لكم إلا غرضًا شخصيًّا هو الحصول على عرض الدنيا الزائل الفاني ونسيتم أن لقاء النفير والظفر به يحقق إرادة الله في إعزازكم، وإذلال عدوكم ونصركم عليه، وهزيمته أمامكم، وهذا معنى قول الله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧﴾ [الأنفال]؛ ليثبت الحق في مغارزه، ويزيل الباطل عن منازله.

ثانيًا: مخالفة أهل بدر في تعجُّلهم إنهاء المعركة بمجرد ظهور بوادر النصر الذي لم يكن متوقعًا عندهم ولا كان يمر بخيالهم، وإقبالهم على عرض الدنيا والاشتغال بجمع الغنائم واستبقاء الرجال لأخذهم أسرى قبل الإثخان في الأرض؛ لإضعاف شوكة العدو بتكثير القتل في رجاله وصناديده وأشراف جاهليته، والمبالغة في جراحاته لتوهين قوته، فقال لهم منتقلًا عن أسلوب الغيبة في إخبار النبي ﷺ بأنه ما كان من شأنه في نبوته ولا كان مما يمكن أن يقع منه أن يكون له أسرى قبل أن يثخن في الأرض بإشباع سيوف مجاهدي كتائبه من أعناق الكافرين المحاربين له الذين يريدون القضاء على دعوته ومجتمعه، قبل أن يبلغ في جراحاتهم ما يعجزهم عن مواقفة المؤمنين المجاهدين في سبيل إعلاء كلمة الله ـ إلى أسلوب المواجهة بالخطاب معاتبًا لهم على ما كان منهم من مخالفة القيادة العليا في خططها، يريدون بهذه المخالفة عرض الدنيا الزائل، معرضين عن الآخرة وثوابها ونعيمها المقيم: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧﴾ [الأنفال]، ومعنى هذا الأسلوب ـ الذي أوضحناه في الحديث عن وقعة بدر التي هي موضع النص، ونعيد بعضه هنا تأكيدًا لإظهار الترابط بين بدر وأحد ـ ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ ﴾ [الأنفال:٦٧] الذي أُخبر به النبي ﷺ إعلامًا له بما كان عليه الأنبياء قبله من شأن وحال، وهو خاتمهم وجامع فضائلهم ـ نفي أن يقع منه ذلك كما هو منفي عن إخوانه الأنبياء وتنزيه له عن الاتصاف به، فهو أسلوب نفي

وتنزيه لا أسلوب نهي صريح ولا ضمني - كما صرح به أبو حيَّان في تفسيره - فهو في الحقيقة مدح وثناء افتتح به عتاب الذين كانوا سببًا لكينونة ما لا ينبغي أن يكون.

والمخالفة الأولى لأهل بدر، وهي كراهية فريق منهم الخروج إلى لقاء النفير ومقاتلتهم، كانت في مقدمات المعركة قبل نشوبها.

والمخالفة الثانية كانت في نهاية المعركة وتصفيتها.

بيد أن أهل أحد عوقبوا على مخالفتهم أوامر القيادة العليا، فتعرَّضوا لفتنة الهزيمة والقتل والذهول عن مواقفهم حتى صار بعضهم يقتل بعضًا دون قصد ومعرفة من شدة ما انتابهم من الفوضى والدهش، مما أدى إلى فرار جمهورهم عن النبي ﷺ حتى تعرَّض لأشد البلاء وأقسى المحن، فقد أصيب ﷺ بأبلغ الجراحات ودُمي وجهه الشريف، وكُسرت رباعيته، ودخلت حلق المغفر في وجنته الطاهرة، ووقع في حفرة مما كادهم بها أبو عامر الفاسق، فلم يستطع النهوض للخروج منها حتى أنهضه طلحة بن عبيد الله ﷺ لأنهم خالفوا وحي الرؤيا، وكما كانت المخالفة الأولى لأهل بدر في مقدِّمات المعركة قبل نشوبها كانت المخالفة الأولى لأهل أحد في مقدمة المعركة قبل احتدامها، غير أن مخالفة أهل أحد الأولى كانت على عكس مخالفة أهل بدر الأولى؛ لأن مخالفة أهل بدر كانت كراهية فريق منهم لقاء العدو وتهيب قتاله لقلة عددهم وضعف عدتهم، وكثرة العدو وقوة عتاده.

وأما مخالفة أهل أحد فكانت ممثلة في شدة حرصهم على الخروج إلى العدو ومقاتلته خارج المدينة لإعلاء كلمة الله، ولكن منهج الرسالة لا يقر مخالفة القيادة العليا على أيَّة صورة كانت تلك المخالفة، ولا سيما أن القائد الأعلى في المعركة هو رسول الله ﷺ الذي تجب طاعته نبيًّا ورسولًا وقائدًا دون نظر إلى جهة المخالفة، وكان رسول الله ﷺ قد أخبرهم برؤياه وهي وحي من عند الله يقتضي وجوب متابعته وطاعته واطِّراح العواطف وعدم الالتفات إليها؛ لأن النبي ﷺ أعلم بالله وبما يريد من كل أحد منهم، وقد أبدى لهم في تأويل رؤياه دوافع عدم الخروج من المدينة وأن القتال في فجاجها أضمن لنصر المؤمنين». [**محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٣/ ٥٥٦-٥٥٩**].

٩ - جبل الرماة... الواعظ الحي: [١]

يقول أ/ خالد ثامر السبيعي: «من على جبل الرماة في طيبة وقفتُ متأملًا سابحًا في خيال من مئات السنين إلى الوراء، ورمقت ببصري ذلك الجبل الداكن العظيم شامخًا عزيزًا وكأني به يتفاخر أمام الملأ من كل أصقاع الدنيا بوسام المصطفى ﷺ: «**أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**». [سبق تخريجه].

وبين أحد الحبيب... وجبل الرماة الجريح يرقد صفوة من أصحاب محمد ﷺ كانوا مثال الشجاعة والصبر والفداء.

---

(١) موقع WWW.ISLAMWAY.COM، وشبكة مشكاة الإسلامية.

أحبتي: في ذلك المكان.. وأمام تلك المشاهد المذهلة كانت هذه الخواطر.

لن أسرد لكم أحداث غزوة أحد فالقصة معلومة والتاريخُ دوَّنها بكل دقة وأمانة، وتبقى العبرة والعظة تحتاج إلى تذكير ومدارسة.

تأمل يا رعاك الله قول الحق سبحانه: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَـٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾[آل عمران].

لقد نزلت هذه الآية الكريمة لكي تُشخِّص الداء وتقوِّم حال الجماعة المسلمة بعد مخالفة الرماة أمر رسول الله ﷺ ونزولهم لأخذ الغنائم وترك الجبل للمشركين كي يقلبوا النتائج ويحولوا سير المعركة لصالحهم، وقد كان النصر حليف المسلمين، كيف لا وقد رأى بعض الصحابة خلاخيل نساء المشركين وهن يهربن من هول المعركة.

عندها قال ابن مسعود ﵁ قولته المشهورة: «ما كنت أظن أن أحدًا من أصحاب محمد ﷺ يريد الدنيا حتى نزل قول الله ﷻ: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾[آل عمران: ١٥٢].

إن المتأمل في هذه الآية يجد الصراحة والوضوح في تحديد الخطأ الذي وقعت فيه الأمة الإسلامية بدون مجاملة أو تعميم ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾[آل عمران: ١٦٥].

إنها الغنائم التي طالما حذر منها الحبيب ﷺ، إنها الغنائم حينما تقفز على قائمة الأولويات والمهمات في حياة الدعاة والمصلحين، فكذلك تنقلب قائمة النتائج والانتصارات.

واليوم إذا أرادت الأمة الإسلامية ـ وعلى رأسها الدعاة والمصلحون ـ الانتصار والتمكين فلا بد من تحديد الخلل بصراحة ووضوح، ثم العمل الجاد على الإصلاح والتغيير لا المراوغة والتبرير.

يقول د/ عمر بن عبيد حسنة مؤكدًا ضرورة النقد الذاتي وضرورته للحركات الدينية: «إن التستر على الأخطاء باسم المصلحة العامة، وحفظ الكيان والتوهم بأن الحسبة في الدين تؤدي إلى البلبلة والتمزق أمر خطير ومفسدة فظيعة تدفع الأمة ثمنها الدماء الغزيرة، وليس هذا فقط، بل تؤدي إلى ذهاب الريح وافتقاد الكيان أصلًا، فالأمة بدون هذه الحسبة وهذا التناصح تعيش لونًا من التوحد يشبه إلى حد بعيد الورم الممرض». (نقلًا عن كتاب الحركة الدينية وحوار من الداخل ص٦).

إذًا فهذا هو جبل الرماة.... الواعظ الحي ينادي فيقول:

يا أمة الإسلام... إياكم والدنيا، فإنها أهلكت مَنْ كان قبلكم.

إن الواعظ الحي ينادي الحركات الإسلامية التي ما زالت تهرول نحو مكتسبات وهمية... وغنائم هي من حق الأمة الإسلامية، تاركةً خلفها كل محاولات الإصلاح والتجديد تحت ستار المصلحة ومن منطلق الوصاية على الدين.

إن الواعظ الحي يقول لهم: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

أيها الإخوة: إن الغنائم في زماننا هذا ليس خيلًا أو إبلًا ولا ذهبًا أو فضة ولا حتى الجواري الملاح.

إن صور الغنائم عندنا تأخذ أشكالًا وصورًا عديدة:

(١) بعض الدعاة ـ هداهم الله ـ حوَّل اللجان الخيرية إلى مؤسسات لجني الأموال من الناس تحت مُسمى الدورات، التي لا حد لها ولا حصر، والتي أصبحت تتكرر بأسماء وعناوين مختلفة والمادة صورة مكررة ولكنها وللأسف غير منقحة.

(٢) لقد أصبح نجوم المال في العالم الإسلامي هم محط أنظار الحركات الإسلامية، علهم يظفرون منهم بغنيمة لخدمة أفكارهم الحزبية أو أهدافهم الضبابية.

(٣) ربما ترى يومًا من الأيام بعض الدعاة فوق جبل الرماة يشرح أحدهم لطلابه أحداث غزوة أحد ويحذرهم من مغبة مخالفة أمر القائد، فيقتل هذه المسألة بحثًا وتفصيلًا وتأصيلًا، ثم لا يتطرق إلى موضوع الغنائم بسرعة تفوق سرعة الصوت.

وقد يرتقي هذا الجبل الجريح دعاة من مناهج شتى ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٥٣﴾[المؤمنون] لم يستفيدوا من هذا الواعظ الحي ... وهم يرون ما يحل بأمة الإسلام، فتراهم يتنافسون على الغنائم، مركز إسلامي أو مسجد في موقع إستراتيجي أو ربما جمعية خيرية ينتظرها الفقراء والمعوزين بفارغ الصبر، وقد يصل التنافس إلى انتخابات بلدية أو برلمانية.

وداعية آخر بدأ مخلصًا في دعوته ثم أبهرته الغنائم وهي تحيط به عن يمينه وشماله ومن فوقه ومن تحت أقدامه، فأصبحت إحدى عينيه على الدعوة وأخرى ترمق بشغف مقعدًا في البرلمان، كل هذا يحدث في واقع مرير تضيع معه مبادئ وأصول هي إفراز طبيعي لمن قدم الغنيمة على مصلحة هذه الأمة العظيمة.

يا دعاة الإسلام: إننا بحاجة إلى شباب يعشقون التضحية والإيثار وليس من صفاتهم الأنانية والاستئثار.

وبين صراع الغنائم والظفر بها .. يظهر في الجانب الآخر مصعب بن عمير ﷺ الذي ركل الدنيا بقدميه وقد دانت له، كيف لا وهو فتى قريش المدلل، إنه يموت في أُحد حيث لا يسعه الكفن! فما أهون الدنيا عندك يا ابن عمير ـ رضي الله عنك ـ وقد أمسكتها ثم لفظتها كما تلفظ النواة.

أيها الأحرار: بقدر ما كان مصعب ﷺ يحرر نيته ومنهجه من غنائم الدنيا التي تبرق في الطريق إلى الله بقدر ما كان النور يسطع وينتشر في أرجاء الدنيا.

وإني أرجو الله أن يخرج لنا جيلًا من أمثال مصعب بن عمير ﷺ، أفراد ولكن كل واحدٍ منهم يعدل أمة لوحده.

كَأَنَّهُ وُهُوَ فَرْدٌ مِنْ جَلالَتِهِ   فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَمِ

أخيرًا: أختم بهذا الحديث وأترك للقارئ الكريم حرية التفكير والاستنباط من جوامع الكلم لنبي الرحمة ﷺ.

روى الشيخان في صحيحهما عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ كَالْمُوَدِّعِ لِلأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ المِنْبَرَ فَقَالَ: «**إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الحَوْضُ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا**».

قَالَ: فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ. [**البخاري في المغازي (٤٠٤٢، ٤٠٨٥)، وفي الجنائز (١٣٤٤)، وفي المناقب (٣٥٩٦)، وفي الرقاق (٦٤٢٦، ٦٥٩٠)، ومسلم في الفضائل (٢٢٩٦)**].

أيها الناس: **جبل الرماة.... إنه حقًّا الواعظ الحي**. ا.هـ.

١٠ ـ ثبات القائد وشجاعته من أعظم وسائل النصر:

يقول الشيخ أبو خوات: «فلعل من المعروف لدى القارئ أساسًا من معلومات عن المعركة وتأكيدًا مما سبق عرضه في الكلمات السابقة أن الجيش الإسلامي تمزق وتفرق على نحو يصعب وصفه تفصيلًا، وقد وصفه العلامة ابن حجر فيما سبق إجمالًا، ولكنك قد تتساءل عن موقف النبي القائد ﷺ وعن جهاده وبلائه في هذا اليوم العصيب، وبخاصة أنك قد تعلم أن عتبة بن أبي وقاص أصاب وجه النبي ﷺ بالحجارة فشُج وسال دمه الشريف على أرض المعركة، وأن حلقتين من حلق المغفر قد دخلتا في وجنته، وعند محاولة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه نزعها سقطت ثنيتاه وكسرت رباعيته، وفي دفع المسلمين إلى الخلف وقع النبي ﷺ في إحدى الحفر التي صُنعت بمعرفة أبي عامر، فأخذ بيده علي رضي الله عنه وساعده على رفعه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه حتى استوى قائمًا.

قد نتساءل بعد ذلك كله وقد انفض عنه أصحابه مأخوذين بشائعة قتله: ماذا يفعل؟ هل تخاذل؟ هل تراجع؟ هل لجأ إلى الدعاء على أعدائه لتحدث المعجزة الخارقة ـ على أن الأمر لم يخْلُ من إعجاز ـ؟

والجواب: أن النبي ﷺ رغم ذلك كله ثبت في مكانه ينثل كنانته لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ويقول له ما لم يقله لغيره: «**ارم فداك أبي وأمي**»، ويدفع عن نفسه بنفسه حتى أن أُبي بن خلف لما أقبل عليه يريد قتله تناول حربة من الحارث بن الصمة رضي الله عنه وطعنه بها في عنقه فمات وهو عائد إلى مكة.. وأُبي هذا هو الرجل الوحيد في حياة رسول الله ﷺ الحربية كلها الذي قُتل بيد رسول الله ﷺ دفاعًا عن النفس في أحرج لحظات.

وينادي في الناس: **إليّ عباد الله، إليّ عباد الله**، ويعاتبهم على مواقفهم فيعتذرون، حتى جمع حوله عددًا معبأ ليستميت في الدفاع عن الحق الذي يؤمن به، مما جعل قريشًا وحلفاءها يرون أن من مصلحتها

الاكتفاء بما حدث والرجوع إلى مكة وعدم محاولة دخول المدينة، ولو لم يقف رسول الله ﷺ وقفته المؤمنة الواثقة لكان من الممكن أن تقضي قريش يومها على كل ما كانت تنبض به حياة المدينة من قيم ومبادئ جديدة، ولكنه الإيمان والتضحية والشجاعة الخارقة مما يتحلى به القائد حتى استطاع أن يجمع جيشه بعد تفرق وتمزيق، على أن لهؤلاء المستجيبين للنداء حقهم من التقدير والخلود، كما أن لأولئك الذين ثبتوا مع الرسول ﷺ في موقفه حق التنويه والإشادة والتسجيل حتى يتعلم منهم شبابنا الواعي الشجاع كيف تسمو بالرجال مواقفهم، وكيف يصل الإيمان بقضية الموت إلى حد الثبات والصمود في وقت كانت الرماح كأشطان بئر في لبان الأدهم كما يقول عنترة، ذلك الوقت الذي كان الموت فيه حتمًا من الحتم، وكانت النجاة فيه ضربًا من المحال، ولكن هؤلاء الثابتين أحبوا الموت فوُهبت لهم الحياة.

تلك أمثلة ودروس نضعها أمام أمتنا الحاضرة واللاحقة حقًّا واجب الأداء لها ولأمتنا السابقة على سواء.

وتأكيدًا لهذا الحق نذكر الأسماء: ثبت مع رسول الله ﷺ في موقفه في أشد أوقات المعركة أربعة عشر رجلًا وامرأة: أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة والزبير وأبو عبيدة وهؤلاء من المهاجرين، وأبو دجانة والحباب بن منذر وعاصم بن ثابت والحارث بن الصمة وسهل بن حنيف وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير وهؤلاء من الأنصار، وأما المرأة فهي أم عمارة.

وهذا لا يعني أن كبار الصحابة المعروفين بجهادهم وشجاعتهم أمثال علي رضي الله عنه وغيره لم يثبتوا، وإنما كانوا في معمعة القتال يَقتلون ويُقتلون في مواقع بعيدة عن موقف الرسول ﷺ، كما أن هذا لا يعني أن إيمان النبي ﷺ وحده هو العامل الوحيد في عملية التجميع بعد الهزيمة، وإن كان أقوى العوامل الهامة، ولو تصورنا أنه نادى قومًا فقدوا إيمانهم وذهبت الهزيمة بما في نفوسهم من هيبة الرسول ﷺ ومحبته في نفس الوقت، فماذا كان يصنع بمفرده؟ اللهم إلا أن ينصر بمعجزة يستجيب فيها الله وحده لدعائه على أعدائه، ولكنه لم يلجأ إلى ذلك... وحين طُلب منه ذلك قال: «**إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَلَكِنْ بُعِثْتُ دَاعِيًا وَرَحْمَةً.. اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**».

ولكي تكون الغزوة كلها ـ إلا ما لا بد من عين العناية فيه ـ بشرية تخضع لمقاييس النصر والهزيمة، نزل القرآن الكريم ـ حين قال النبي ﷺ: «**كَيْفَ يُفْلَحُ قَوْمٌ خَضَّبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالدِّمَاءِ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ؟**» ـ بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران].

وفي فوضى التخاذل والتراجع والارتباك والثبات، برز للناس مثلان يدلان على معنى عميق، كان بطلاهما رجلًا وامرأة، فأما الرجل فهو أنس بن النضر رضي الله عنه عم أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ وصاحبه ومن رواة الصحاح من أحاديثه، سمع أنس هذا ـ حين شاعت مقالة قتل النبي ﷺ ـ جماعة

يقولون: **لَيْت عَبْدَ الله بْنَ أُبَيٍّ يَأْخُذُ لَنَا أَمَانًا مِنْ أَبِي سُفْيَانَ**، وَقَالَ نَاسٌ مِنَ الْمُنَافِقِين: **لَو كَانَ نَبِيًّا مَا قُتِلَ، ارْجعُوا إِلَى إخْوَانكُمْ وَإِلَى دينكُمْ**، فقال أنس ﷺ على مسمع من الجماعتين ما ينبغي أن يُتخذ درسًا يفيد منه أصحاب المبادئ إلى آخر الدهر، قال: **يَا قَوْمُ إِنْ كَانَ قُتِلَ مُحَمَّدٌ، فَإِنَّ رَبَّ مُحَمَّدٍ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَمَا تَصْنَعُونَ بِالحَيَاةِ بعد رَسُولِ الله ﷺ، فَقَاتِلُوا عَلَى مَا قَاتَلَ عَلَيْهِ وَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ**، ثمَّ قَالَ: **اللَّهُمَّ إِنِّي أعْتَذر إِلَيْكَ مِمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلَاءِ**، ثمَّ سَلَّ سَيْفَهُ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ.

وَعَن بعض الْمُهَاجِرين أَنه مر بِأَنْصَارِيٍّ يَتَشَحَّطُ فِي دَمه فَقَالَ: **يَا فلَانُ أَشَعَرْتَ أَنَّ مُحَمَّدًا قُتِلَ**؟ فَقَالَ: **إِنْ كَانَ قَدْ قُتِلَ فَقَدْ بَلَّغَ، قَاتِلُوا عَنْ دِينِكُمْ**».

أيها المؤمنون بالمبادئ المدافعون عنها اقرؤوا واملؤوا قلوبكم إيمانًا.

وأما المرأة فهي أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية ﵂... (وتقدم) ما قالته عن موقفها يوم أحد ولنأخذ العبرة والدروس، ولتتعلم فتياتنا ونساؤنا من هذا المثل الذي يدل على أن المرأة المؤمنة قد تصل في الجهاد والتضحية وتعريض حياتها للفناء في سبيل ما تؤمن به إلى مستوى أشجع الرجال.

قَالَ ابْنُ هِشَام: وَقَاتَلَتْ أُمُّ عُمَارَةَ نُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ المازِنِيَّةُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَذَكَرَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي زَيْدٍ الأَنْصَارِيُّ: أَنَّ أُمَّ سَعْدِ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ كَانَتْ تَقُولُ: دَخَلتُ عَلَى أُمِّ عُمَارَةَ فَقُلْتُ لَهَا: يَا خَالَةُ أَخْبِرِينِي خبَرَكِ، فَقَالَتْ: خَرَجْتُ أَوَّلَ النَّهَارِ وَأَنَا أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ، وَمَعِي سِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ، وَالدَّوْلَةُ وَالرِّيحُ لِلمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا انْهَزَمَ المسْلِمُونَ انْحَزْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقُمْتُ أُبَاشِرُ القِتَالَ وَأَذُبُّ عَنْهُ بِالسَّيْفِ وَأَرْمِي عَنْ القَوْسِ، حَتَّى خَلَصَتْ الجِرَاحُ إِلَيَّ.

قَالَتْ: فَرَأَيْتُ عَلَى عَاتِقِهَا جُرْحًا أَجْوَفَ لَهُ غَوْرٌ، فَقُلتُ: مَنْ أَصَابَكِ بِهَذَا؟ قَالَتْ: ابْنُ قَمِئَةَ أَقْمَأَهُ اللهُ، لَمَّا وَلَّى النَّاسُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَقْبَلَ يَقُولُ: **دُلُّونِي عَلَى مُحَمَّدٍ، فَلَا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا**، فَاعْتَرَضْتُ لَهُ أَنَا وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَأُنَاسٌ مِمَّنْ ثَبَتَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، فَضَرَبَنِي هَذِهِ الضَّرْبَةَ، وَلَكِنْ فَلَقَدْ ضَرَبْتُهُ عَلَى ذَلِكَ ضَرْبَاتٍ وَلَكِنَّ عَدُوَّ الله كَانَ عَلَيْهِ دِرْعَانِ. [**السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٨١-٨٢**].

فأم عمارة إذن كانت تسقي الناس بسقائها، ولكن لما رأت أنها تستطيع أن تسهم في الحفاظ على حياة قائدها وزعيمها رسول الله ﷺ تحولت إلى مقاتلة تضرب بالسيف وترمي بالنبل وتطعن بالرمح، وهذه صورة تتحدث عن نفسها». [**دروس من غزوات الرسول ﷺ لأبي خوات ٤٩-٥٤**]

يقول د/ أبو فارس: «وثبات النبي ﷺ في مكانه في أرض المعركة ـ وهو مكان القيادة ـ أثر كبير في نجاح عملية التجمع وإنقاذ ما يقارب ٩٠٪ من قوات المسلمين، ولو ترك مقر قيادته وأسهم في جمع الغنائم، لما تمكن الجيش الإسلامي من التجمع بعد حركة خالد بن الوليد المفاجئة.

[**الرسول العربي ﷺ ص١٧٢**].

ما لقيه الرسول ﷺ في الغزوة: ونتيجة لثباته ﷺ في المعركة وفي المقدمة، فقد تعرض لضربات قوية، ولكن الله وقاه شرها.

فقد روى الزهري رحمه الله في مغازيه قال: لقد أخبرنا عبد الرزاق أن وجه رسول الله ﷺ ضُرب يومئذ بالسيف سبعين ضربة وقاه الله شرها [المغازي للزهري ص٧٨]، أي لم تكن قاضية.

هذا وقد روى الإمام مسلم عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ وَيَقُولُ: «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الله**»، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[آل عمران: ١٢٨].

[**مسلم في الجهاد والسير(١٧٩١)، والترمذي في تفسير القرآن (٣٠٠٢)، وأحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه (١١٥٤٥)**].

وأصيبت ركبتا النبي ﷺ بجروح لما وقع في حفرة من الحفر التي حفرها المشركون بإشارة أبي عامر الفاسق عليهم.

وسال دمه الزكي من شجة في جبهته حتى أخضل الدم لحيته ﷺ، كما جُرحت شفة رسول الله ﷺ السفلى وكسر أنفه.

ولقد أنهك جسم رسول الله ﷺ من شدة ما ألم به، حيث لم يستطع أن يصلي ﷺ واقفًا، فصلى جالسًا بالمسلمين، وصلوا خلفه قاعدين، ولم يستطع أن ينهض فجلس طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه تحته ثم نهض به.

درس هام: إن ما لقيه الرسول ﷺ في غزوة أحد يدل دلالة واضحة على أن الله سبحانه وتعالى خلق الناس ليبتليهم، ولا يُستثنى أحد من هذا الابتلاء ولو كان رسولًا نبيًّا، بل الرسل عند الله أشد الناس بلاء، ثم الأمثل فالأمثل». [**غزوة أُحد لأبي فارس ٨٣-٨٤**].

ويقول د/ الحميدي: «فكون النبي ﷺ يرفع صوته بنداء أصحابه يعتبر منتهى الشجاعة والبطولة؛ لأنه هو مقصود المشركين الأول، وهم يعرفون صوته، وهو بهذا النداء يغري المشركين بنفسه، لكنه لم يلتفت إلى ذلك؛ لأن عودة المؤمنين واجتماعهم تحت قيادته أهمُّ من أمر سلامته مع بقائه منفردًا عن أصحابه، وتفرقهم بغير قيادة ولا نظام.

وقد أقبل المشركون إلى النبي ﷺ وقاتلهم وقاتل دونه عدد قليل من أصحابه حتى قُتل بعضهم بين يديه وأثخن بعضهم بالجراح، إلى أن فاء المسلمون بعدما عرفوا مكان النبي ﷺ.

إن مشاركة النبي ﷺ في الجهاد وثباته العظيم في وجه العدو دليل واضح على اهتمامه الكبير بأصحابه وترفُّعه عن النظر إلى الذات، فلقد كان بوسعه ﷺ أن يبقى في مكان حصين، وأن يجعل حوله حرسًا يحمونه من هجمات الأعداء، وسيجد أن جميع الصحابة سيتنافسون على حمايته ووقايته بأرواحهم، ولكنه

واجه حَرَّ المعركة وتعرَّض لاستهداف العدو؛ لأنه يشرِّع لأمته ويرسم للقادة من بعده الطريق الأمثل، وعلى هذا الطريق سار قادة المسلمين من الصحابة ﷺ». [**التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٣٥**].

مثل من شجاعة النبي ﷺ: مقتل أُبي بن خلف:

يقول د/ الحميدي: «في هذا الخبر مثل من شجاعة النبي ﷺ الفائقة، فقد أقبل عليه أُبيٌّ بن خلف وهو فارس ومدجج بالسلاح، وصار يتوعده بالقتل فتصدى له النبي ﷺ ولم يقبل من أصحابه أن يكفوه أمره، ولقد كان متدرعًا بالحديد الواقي من السلاح ولكن النبي ﷺ استطاع أن يطعنه بالرمح من فرجة صغيرة في عنقه بين الدرع والبيضة، ومثل هذه الفجوات عادة لا تتم إصابتها إلا عن قرب وفي حال غفلة ممن وجهت إليه؛ ولذلك لا يهتم بها المقاتلون.

وفي هذا الخبر معجزة للنبي ﷺ حيث قال لأُبي قبل ذلك بزمن حينما توعده: «**بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ إِنْ شَاءَ اللهُ**»، فتم ذلك بمشيئة الله تعالى.

وفي الخبر عبرة في إيمان المشركين بأن النبي ﷺ إذا قال شيئًا وقع، فقد كان أُبي بن خلف على يقين بأنه سيموت من تلك الطعنة الخفيفة؛ لقول النبي ﷺ السابق، ومع ذلك لم ينفعهم ذلك في الإيمان به والدخول في الإسلام؛ لأنهم كانوا يعبدون أهواءهم». [**التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٦٩**].

١١ ـ رجاحة الفكر وشجاعة الفؤاد:

يقول أ/ فتح الباب: «وثمة مثال على رجاحة فكر الرسول ﷺ وشجاعته البطولية، فأما الرجاحة فيدل عليها أنه أَمَرَ أصحابه المدافعين عنه ألا يُكَذِّبَ أحدٌ منهم نبأ قتله حتى لا تتكاثر عليهم قريش فتغلبهم دونه.

وما أروع رجاحة الفكر إذ تنبثق رغم اشتداد الكرب وعظم البلاء.

وأما الشجاعة فيدل عليها صمود الرسول ﷺ وامتلاكه ناصية الأمور، فكان يأمر ويدير ويستحث أصحابه على الثبات، والنبل يترامى حوله من كل جانب.

لقد فرحت قريش بما بلغها عن موت الرسول ﷺ، وأدرك المسلمون الحقيقة حين رأى كعب بن مالك ﷺ عيني النبي ﷺ تزهران تحت المغفر فنادى بأعلى صوته: **يا معشر المسلمون أبشروا، هذا رسول الله ﷺ**، فأشار النبي ﷺ إليه ليسكت، ولكن المسلمين ما لبثوا حين عرفوا أن نهضوا بالنبي ﷺ ونهض معهم نحو الشِّعْبِ ومن حوله أبو بكر وعلي بن أبي طالب والزبير بن العوام ورهط غيرهم.

وكان لصيحة كعب عند قريش كذلك أثرها، فاندفع بعضهم وراء محمد ﷺ والذين ساروا معه، وقد أدركهم أبي بن خلف وهو يقول: **أين محمد؟ لا نجوت إن نجا**.

وهنا تصدى له القائد الأعظم ﷺ في شجاعة منقطعة النظير فطعنة بحربة الحارث بن الصمة رضي الله عنه طعنة جعلته يتقلب على فرسه ويعود أدراجه ليسلم آخر أنفاسه في الطريق.

ثم عاد المسلمون إلى المدينة بعد أن رأوا شهداءهم وقد بلغ عددهم سبعين شهيدًا، وكانت هزيمة بعد نصر بسبب عصيان الرماة أمر النبي ﷺ، واشتغال المسلمين عن العدو بغنائمه.

على أن غزوة أحد لم تكن آخر الغزوات، فلقد انتصر المسلمون بعدها انتصارات حاسمة تُوِّجَتْ بفتح مكة والقضاء على المشركين قضاء مبرمًا». [**القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات لفتح الباب ٧٢– ٧٣**].

١٢ ـ حب الصحابة رضي الله عنهم الرسولَ ﷺ غاية في النموذجية وعمق الإيمان:

يقول د/ فيض الله: «وتجلى حب الصحابة الرسول ﷺ في مواقف شتى من هذه الغزوة، أسفرت كلها عن حب دفين، وإيمان عميق، وإيثار على النفس والروح.

١ـ فأبو دجانة رضي الله عنه يُشرفه أن يأخذ سيف الرسول ﷺ المسمَّى بذي الفقار، ويَعِد بأن يفي بحقه، وهو المقاتلة به حتى ينحني أو ينكسر.

بل إنه بعد أن يأخذه، يعتصب بعصابة الموت الحمراء، ويمشي متبخترًا، في مشية يكرهها الله ورسوله إلا في هذا المقام ـ كما ورد فيه ـ ولِمَ لا يفخر، وهو يضرب بسيف الرسول ﷺ، ويتقوَّى بقوته، ويفرح بإنجازه وعده إياه.

ويبلغ به حب الرسول ﷺ وإكباره شخصه، أنه يسمع في المعركة صوتًا يحرِّض المشركين على القتال، فيتجه نحوه، فيرفع سيفه ليهوي به على الرأس الذي ينبعث منه، لكنه يحجم عنه فجاءةً، إذ يرى امرأة، فيكره أن يضربها بسيفه، ويكرِّم سيف الرسول ﷺ أن يضرب به النساء، بل هو يخصه بضرب الأبطال الأشدَّاء.

وفي الساعة العصيبة، لما حاولت قريش قتل الرسول ﷺ في جماعته التي تنافح عنه، فرمتهم بالنبال، التي كانت تسَّاقط عليهم بغزارة، كان أبو دجانة يترس عليه بظهره، واتخذ نفسه درعًا يقي بها الرسول ﷺ، فكانت النبال تخترق جسمه، وهو ثابت راسخ لا يتحرك.

٢ـ ذلك هو الفداء، وتلك المحبة المحمدية الدينية، وما بعد هذا الحب، الذي تُسترخَص فيه الروح، في ذات الحبيب الأعظم، من مزيد.

ألم يكن يقول أحدهم في معرض حديث معه: **نفسي لك الفداء يا رسول الله!**

قد كانوا جادِّين في الذي يقولون، وكانوا يعنونه ويقصدونه، فهذا من تطبيقاته وواقعاته: الاستماتة في المنافحة دونه.

روى مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنْ الأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَـمَّا رَهِقُوهُ قَالَ: «**مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الجَنَّةِ؟**»، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا فَقَالَ: «**مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الجَنَّةِ؟**»، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَل كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِصَاحِبَيْهِ: «**مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا**». [مسلم في الجهاد والسير (١٧٨٩)].

هكذا، يسَّاقط الصحابة ﷺ واحدًا إثر واحد، في الدفاع عن الرسول ﷺ وفرسان المشركين ورُماتهم يمطرونه بالنبال والسهام الطائشة، في عناد وحِدَّة وإلحاح، بُغيةَ قتله.

٣ ـ وهذا أبو عبيدة ﷺ، ما إن يرى رسول الله ﷺ والدم ينزف من وَجنَته، وحلقات المِغفَر مغروسة فيها، حتى يُلقي بنفسه عليه، ويضمَّه إليه، في حنان وإشفاق، ويعالج الحلقات بأسنانه، حتى يُخرجَها، فتتكسر ثنيِّتاه، وهو غير عابئ، ويتسرب دمه الشريف إلى جوفه، فيمصه في ابتهاج وارتياح، ويبشره النبي ﷺ، قائلًا: «**مَنْ خَالَطَ دَمِي دَمَهُ لا تَمَسُّهُ النَّارُ**». [رواه الطبراني].

سمو في الحب، ومثالية فيه عالية، تتحدى الطبائع وعادات الناس، تَقصُر عنها همم ذوي الهمة، ولا يفسرها إلا الإيمان الراسخ العميق». [صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة لفيض الله ١١٩-١٢١].

١٣ ـ الملاطفة في التربية والتوجيه:

يقول الشيخ عرجون: «وهذه الأحداث الدامية، والمحن القاسية، والبلايا المرزئة التي أصابت المجتمع المسلم في هذه الغزوة لم تكن قط من عقوبات المساخط الإلهية، وإنما كانت دروسًا تربوية كان المجتمع المسلم في أشد الحاجة إليها وهو في دور النشأة والتكوين لتمحيصه تمحيصًا يصفِّي عواطفه الإيمانية، ويصقل غرائزه البشرية، ويصونه عن الإفراط في الحب بالتزيد فيه وإعطاء ما ليس بحق صورة ما هو حق، ويحفظه عن التفريط في المتابعة بالتنقص منها بتحريف التأويل.

نعم إن ما جرى في غزوة أُحد من أحداث وابتلاء ومحن وأزمات كان لونًا من التربية الصادقة القاسية، وهي تربية اقتضاها الموقف بدءًا ونهاية ليتحقق الزجر الذي يحوِّل النفوس عن رغائبها العاطفية إلى إرادات إيمانية، فهي في حقيقتها وعواقبها البعيدة رحمة، من شذاها استمد حكيم الشعراء قوله:

فَقَسَا لِيَزْدَجِرُوا وَمَنْ يَكُ حَازِمًا　　　فَلْيَقْسُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ

والذي يدل على أنها أحداث تربية رحيمة غلَّفتها الشدة القاسية ما نزل في قصَّتها من آيات الكتاب الحكيم.

فقد تلطف الله بمن كان متنزل هذه الأحداث القواصم من المؤمنين المجاهدين، فلاحقهم بالعفو عنهم بعد أن أذاقهم مرارة العتاب لئلا تنفطر نفوسهم كمدًا وغمًّا، فختم الله تعالى آية العتاب المتضمنة

لوعد الله بالنصر إذا حقق الرماة ما أوصاهم به رسول الله ﷺ ونفَّذوا أمره عز شأنه: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران].

تلطف الله تعالى بالمجاهدين في العتاب ملاطفة في التربية والتوجيه:

وهذا التلطف من الله تعالى بهؤلاء المجاهدين الذين هفوا هذه الهفوة يجعل العتاب منه تعالى من قبيل الملاطفة التي تحمل في طيَّاتها التأنيس لهم بعد أن نأَتْ بهم جفوة المعاتبة؛ ليثوبوا إلى منابع الامتنان الإلهي والإحسان الربَّاني، ويقفوا بين مرارة العتاب فلا ينسوا ما كان منهم ليعودوا إلى مثله وبين حلاوة الملاطفة فلا ييتئسوا همًّا وغمًّا.

ويرشح صيرورة التلطف ملاطفة ختم الآية الكريمة بما وصف الله عز شأنه به نفسه من أنه أهل التفضل والإنعام لإبانة أنَّ ملاطفتهم بعد العتاب نابعة من بحار كمال جوده الذي سبقت فيه رحمته غضبه، مع وصفه لهؤلاء المعاتَبين بالإيمان الذي هو ذروة الكمالات لتنزل المراحم والإنعام، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ لا يتركهم لمرارة العتاب تُمِرَّ حياتهم، ولكنه تداركهم بحلاوة الملاطفة لِيَحْلوا لهم مذاق الإيمان.

وهذه الجملة، كالتعليل لجملة العفو قبلها، كأنه قيل: ولقد عفا عنكم متفضِّلًا؛ لأنه ردكم إلى الاعتصام بوصائل الإيمان.

ثم عاد ربنا تبارك وتعالى بعائدة العفو مرة أخرى فختم بها آية التعيير بمعصية التولِّي عند التقاء الجمعين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران]». [محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٣/ ٦٢٠-٦٢٢].

١٤ - الهزيمة ليست سببًا في النجاة:

يقول أ/ خلف الله: «إن الهزيمة لا تؤدي إلى الراحة والنجاة كما يظن المنهزم بل إنها تؤدي إلى غم متصل وكرب مقيم، فالثبات إذن أولى من الفرار وأكمل: ﴿۞ إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [آل عمران]». [غزوة أُحد لخلف الله ١٧٨].

١٥ - مصلحة الجماعة مقدمة على مصلحة الفرد:

يقول د/ البوطي: «إذا تأملنا مدة الحرب التي استمرت بين المسلمين وأعدائهم في هذه الغزوة وجدناها تنقسم إلى شطرين:

الشطر الأول: وفيه التزم المسلمون أماكنهم وأوامرهم التي كانوا قد تلقوها من قائدهم ﷺ، فما الذي كان من ثمرة ذلك؟ لقد سارع النصر إلى المسلمين وسارعت الهزيمة إلى صفوف المشركين، وما

هو إلا أن اكتسح الرعب أفئدة الآلاف الثلاثة فانحسروا عن أماكنهم وأخذوا يولون الأدبار، وهذا الشطر هو الذي علقت عليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾[آل عمران: ١٥٢].

والشطر الثاني: وفيه أخذ المسلمون ينطلقون خلف المشركين ليجهزوا على من يدركونه منهم وليأخذوا الغنائم والأسلاب، وحينئذ نظر الرماة من فوق الجبل الذي كانوا يتمركزون فيه، إلى إخوانهم وهم يضعون السيوف في أعدائهم اللائذين بالفرار ويعودون بالأموال والغنائم، فرغب بعضهم أن يشتركوا معهم في الغنيمة، وخيلت إليهم هذه الرغبة أن الفترة الزمنية للأوامر التي تلقوها من رسول الله ﷺ قد انتهت، فهم في حِلٍّ منها وهم في غنى عن انتظار إذن رسول الله ﷺ لهم بمغادرة أماكنهم، وهو اجتهاد خالفهم فيه بعض زملائهم وفي مقدمتهم أميرهم عبد الله بن جبير ﵁، ولكن أصحاب هذا الاجتهاد نزلوا وانطلقوا يشاركون في أخذ الغنائم... فما الذي كان من نتيجة ذلك؟

لقد كان أن انقلب الرعب الذي داهم أفئدة المشركين إلى استبسال جديد! وكان أن تفتحت أسباب الحيلة والمكر لدى خالد بن الوليد الذي كان يولي هاربًا، فنظر حوله متأملًا، فوجد الجبل المحصن قد خلا من حماته وحراسه، فلمعت الفكرة العسكرية في رأسه، وما هو إلا أن استدار إلى الجبل ومن معه من المشركين فقتلوا مَنْ بقي ممن لم ينزل وأوجعوا المسلمين رميًا بالسهام من خلفهم، وجاء الرعب هذه المرة ليغزو أفئدة المسلمين كما رأينا.

وهذا الشطر من المعركة هو الذي علقت عليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾[آل عمران: ١٥٢].

وانظر...! كم كان وبال هذه الخطيئة جسيمًا، وكم كانت نتيجتها عامة؟

لقد عادت خطيئة أفراد قليلين في جيش المسلمين، بالوبال عليهم جميعًا، بحيث لم ينج حتى رسول الله ﷺ من نتائجها، وتلك هي سنة الله في الكون، لم يمنعها من الاستمرار أن رسول الله ﷺ موجود في ذلك الجيش، وأنه أحب الخلق إلى ربه ﷻ.

فتأمل أنت في نسبة خطيئة هؤلاء الأفراد، إلى خطيئة المسلمين المختلفة المتنوعة اليوم والمتعلقة بشتى نواحي حياتنا العامة والخاصة، تأمل هذا لتتصور مدى لطف الله بالمسلمين إذ لا يهلكهم بما تكسب أيديهم، وبتقاعسهم حتى عن أداء واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاجتماع في كلمة واحدة على ذلك.

وإذا تأملت في هذا، علمت الجواب على سؤال بعضهم اليوم عن الحكمة من أن الشعوب الإسلامية تظل مغلوبة على أمرها أمام الدول الباغية الأخرى، رغم أن هؤلاء كفرة وأولئك مسلمون».

[فقه السيرة للبوطي ١٩٢-١٩٣].

١٦ ـ الوقوف على صفات أهل الباطل:

يقول أ/ خلف الله:

١ـ إن الباطل لا يمكن أن ينال من الحق شيئًا: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٧٦].

٢ ـ إن دولة الباطل مآلها إلى الاضمحلال حتمًا أمام سطوة الحق: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ [آل عمران].

٣ ـ إن دولة الباطل في شقاء دائم: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [آل عمران].

٤ ـ ابتلاء أهل الباطل بالرعب: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [آل عمران].

٥ ـ إن أهل الباطل لا يرضون إلا إذا ردوا أهل الحق على أعقابهم حتى يطمئنوا إلى عدم وجود من يدحض باطلهم ويكشف أمرهم للناس، ولو وافقهم أهل الحق على باطلهم لخسر الجميع: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [آل عمران]».

[غزوة أُحد لخلف الله ١٧٩].

١٧ ـ تدريب الأعصاب على قوة الاحتمال:

يقول أ/ خلف الله: «إن حرب الأعصاب سلاح فتاك وتستخدمه الدول في العصر الحديث في الحرب والسلم، وقد تكتفي الدول البارعة في إدارة دفة هذه الحرب باستخدامه ضد عدوها فيغنيها ذلك عن الحرب الساخنة، والشعب الذي يفوق غيره في قوة الأعصاب هو الذي ينتصر في هذه الحرب.

ولا يدرب الأعصاب على قوة الاحتمال والجلد سوى الحوادث والأزمات: وذو الأعصاب المتزنة القوية هو الذي يصمد ولا يتغير فيما يحب أو يكره في الظفر والهزيمة، أما ضعيف الأعصاب فإنه ينهار سريعًا ويخطئ تبعًا لذلك في تصرفاته.

وكانت أهم نقط الضعف في الألمان أن أعصابهم تكون قوية طالما كان النصر حليفًا لهم، أما إذا بدأت الهزيمة فإنهم ينهارون سريعًا، وقد عرف الحلفاء في الألمان هذا الضعف فاستغلوه في حربهم معهم.

والشعب القوي هو الذي لا يفقد روحه المعنوية في حالتي النصر والهزيمة، بل إن الهزيمة تزيد وقدة الروح المعنوية اشتعالًا.

وقد بين الله سبحانه للمؤمنين هذه القاعدة فنهاهم عن الاستسلام والاستكانة مهما نال العدو منهم: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾[آل عمران].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[آل عمران].

فالمؤمن الصادق لا يعرف الهزيمة ولا يعرف الضعف ولا الاستكانة بل هو في جهاد صادق، **فإما أن ينتصر وإما أن يستشهد**، فإذا انتصر فبها ونعمت، وإذا استشهد فحسبه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [آل عمران]». [غزوة أُحد لخلف الله ١٨١-١٨٢].

١٨ ـ آلام عظيمة:

يقول أ/ فتح الباب: «على أن أحزان المسلمين على ما أصابهم في أحد كانت أحزانًا تسمو بالروح أكثر مما تسمو به الأفراح، كانت أحزانًا نبيلة تمثل أعمق وأصفى ما في النفس البشرية من ينابيع الطهر والضياء، ولم تكن أحزان مَنْ يبتغي الثأر وإعلان القوة يطلبهما فينالهما فيكون منتصرًا، أو يفقدهما فيكون منهزمًا، بل كانت آلام نفوس عظيمة أمضها ما حال بالقيم الإنسانية ـ مجسدة في شهدائها ـ من عدوان غاشم؛ ولأنها كذلك فإن أثرها لم يدم طويلًا كما سنعرض لذلك في سرايا النبي ﷺ بعد غزوة أحد.

كانت مصفاة طهرت الروح مما شابها حينًا من ضعف كان أهم أسباب النكبة، وهو تهافت الرماة على الغنائم وترك مواقعهم مخالفين بذلك الخطة التي رسمها النبي ﷺ وأوصاهم باتباعها وعدم الانحراف عنها مهما كانت الأحوال، ولم يدم هذا الأثر طويلًا؛ لأن القيم الإنسانية لا تموت بموت بعض أصحابها، بل تزداد قوة في نفوس من يخطئه الموت فيبقى ليخلف الشهداء، ويواصل من بعدهم الرسالة حتى ينتصر أو يستشهد، فيأخذ مكانه فدائي مناضل جديد، وهكذا.

فالقيم باقية بقاء الروح، وبقاء الروح مرتبط ببقاء الجنس الإنساني الذي كتب الله ﷻ له أن يحيا حتى يوم البعث.

لا حياة دائمة للجسد، ولكنها الروح، ومن ثم فإن القيمة لا تفنى طالما عاشت البشرية.

ونخلص من هذا إلى أنه لا خوف من الهزيمة المؤقتة على حركة المقاومة طالما كانت هناك أنفاس مهما قلت أو ضعفت تتردد في الصدور؛ لأن الروح القوية لا تضعف بنقصان العدد، كما أنها لا تزيد قوة بزيادته، وهي لا تضعف بما يصيب الجسم من جراح؛ لأنها قادرة على مقاومة المرض واستئصال

الداء، وموت الشهداء يمثل ما يصيب الأمة الإسلامية من نقص في عدد أبنائها المكافحين، وما يصيب الجسد من جرح في أحد أعضائه، فإن هذه الخسارة أو الإصابة لا تلحق بالروح طالما ارتفعت بقوتها الكامنة فوقها فعوضتها.

بيد أن هذه الخسارة أو الإصابة قد يطول الأمد على تعويضها وعلاجها، فتظل الروح حينًا حائرة غير مستقرة، ولا تتحقق الأهداف المنشودة في موعدها، وذلك إذا لحق الموت أو العجز بعضو حيوي في جسم الجماعة يكون منه بمثابة القلب أو الرأس، ونعني بذلك موت القائد، هنالك يعظُم المصاب، وتشتد المحنة؛ لأن العِوض عنه عزيز.

صحيح أن الجماعة لا تفنى ولكنها تظل تعاني من غيبة القائد وافتقادها جهوده زمنًا قد يقصر وقد يطول، ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ من رجال ونساء يدركون هذا المعنى، فكانوا يلتفون حوله في كل موطن، ويزداد التفافهم في أوقات الشدة، ليس وفاء منهم فحسب ـ كما يعلل المؤرخون والباحثون ـ وإنما خوفًا على مصير الدعوة الإسلامية من بعده، ومن الطبيعي أن يزداد إشفاقهم على الرسالة حين كان الصراع ما يزال مريرًا بينهم وبين قريش، وأن يقل كلما تزايدت الانتصارات ورسخت بذلك الدعوة». [القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات لفتح الباب ٧٥-٧٧].

١٩ ـ ملحمة بطولية في التاريخ الإسلامي:

يقول د/ أبو فارس: «لقد كانت غزوة أحد ملحمة بطولية في التاريخ الإسلامي، تجلت فيها صور بطولية رائعة، يتطاول بها وبأمجادها الزمان، فيها أقدم الرجال والنساء على الموت كأنهم قادمون على عُرس، بسرور وحبور، إنهم لا يهابون الموت، بل إنهم طلبوه لتوهب لهم الحياة السعيدة الهنيئة المريئة الخالدة عند الله تعالى، في جنة فيها نعيم مقيم، ورضوان من الله أكبر.

إن المسلم يعتقد في عقيدته أن الدنيا والحياة فيها لا وزن لها في الآخرة، والذي يركن إليها مغرور مخدوع لا يعرف مصلحته الحقة.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ [لقمان].

والكيس حقًّا هو من لم يُتبع نفسه هواها، بل من دانها وعمل إلى ما بعد الموت.

وفي هذه العجالة سنعرض صورًا ونماذج من بطولات المسلمين في أحد:

(١) **الزبير بن العوام** رضي الله عنه: ومن الذين أبلوا بلاء حسنًا في المعركة، وقاتلوا قتال الأبطال، ودوخوا صناديد قريش، وثبتوا ثبات الشم الرواسي، الزبير بن العوام رضي الله عنه حواري رسول الله ﷺ، فلقد أبدى صورًا من الشجاعة منقطعة النظير.

ومن هذه الصور ما جاء في كتب السيرة أن رجلًا من أبطال المشركين خرج على بعير له يطلب المبارزة، فأحجم عنه الناس، حتى دعا ثلاثًا، فقام إليه الزبير ﷺ، فوثب حتى استوى معه على البعير، ثم عانقه فاقتتلا فوق البعير، فطرح الزبير ﷺ المشركَ من على ظهر البعير إلى الأرض، وذبحه كما يذبح الشاة، فلما رآه النبي ﷺ سُرَّ سرورًا عظيمًا، وأثنى عليه.

(٢) **أبو دجانة** ﷺ: بطل من أبطال الصحابة، دفع إليه رسول الله ﷺ سيفه مع تنافس الصحابة عليه، وفيهم الزبير بن العوام ابن عمة النبي ﷺ وحواريه لم يعطه السيف، بل أعطاه إلى أبي دجانة ﷺ على أن يضرب به أعناق المشركين حتى ينحني، فهل قام أبو دجانة ﷺ بهذا الشرط؟

نعم قام به خير قيام كما سبق بيانه في هذا المبحث.

وحين انكشف كثير من المسلمين عن رسول الله ﷺ، وبقيت قلة تقاتل دونه، وتدفع عنه، وأخذوا يتساقطون أمامه واحدًا واحدًا، وازدادت كثافة النبال المنهمرة على رسول الله ﷺ، والموجهة إليه من كل حدب وصوب، خشي أبو دجانة ﷺ أن تصيب سهام المشركين رسول الله ﷺ، فما كان منه إلا أن ترَّس بنفسه دون رسول الله ﷺ، يقع النبل في ظهره، وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل، وهو لا يتململ ولا يتحرك ولا يجزع.

أي بطولة هذه؟! أي ثبات هذا؟! أي تضحية هذه؟!

إن البطولة تتجلى في أبداع صورها وأبهى حللها في أبي دجانة سماك بن خرشة ﷺ.

فهو ﷺ ليس بحاجة إلى شهادتنا وشهادة غيرنا من الناس، وقد شهد له ﷺ بذلك.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَـمَّا انْتَهَى رَسُولُ الله ﷺ إِلَى أَهْلِهِ نَاوَلَ سَيْفَهُ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ، فَقَالَ: **اغْسِلِي عَنْ هَذَا دَمَهُ يَا بُنَيَّةَ، فَوَالله لَقَدْ صَدَقَنِي الْيَوْمَ**، وَنَاوَلَهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ سَيْفَهُ فَقَالَ: **وَهَذَا أَيْضًا، فَاغْسِلِي عَنْهُ دَمَهُ، فَوَالله لَقَدْ صَدَقَنِي الْيَوْمَ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **لَئِنْ كُنْتَ صَدَقْتَ الْقِتَالَ لَقَدْ صَدَقَ مَعَك سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَأَبُو دُجَانَةَ**. [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٠٠].

(٣) **عباس بن عبادة الخزرجي وخارجة بن زيد الأنصاريان** ﷺ:

لما خالف الرماة أمر الرسول ﷺ ونزلوا عن الجبل، وكثر المشركون عليهم وأعملوا فيهم سيوفهم من الخلف، وتفرق من تفرق لهول الصدمة ومباغتتها، أقبل عباس بن عبادة ﷺ في نفر من الخزرج يرفع صوته قائلًا: **يا معشر المسلمين! الله ونبيكم! هذا الذي أصابكم بمعصية نبيكم: فيوعدكم النصر فما صبرتم**، ثم نزع مغفره، وخلع درعه وقال لخارجة بن زيد: **هل لك فيهما؟** قال: **لا أنا أريد الذي تريد.**

فخالطوا القوم جميعًا، وعباس يقول: **ما عذرنا عند ربنا إن أصيب رسول الله ﷺ ومنَّا عين تطرف؟** فيقول خارجة: **لا عذر لنا عن ربنا ولا حجة**، فقاتل عباس حتى استشهد، أما خارجة فقد أخذت

طعنات الرماح تمزق جسده حتى أنهكته فوقع على الأرض، فمر عليه مالك بن الدخشم فقال لهم: **أما علمت أن محمدًا قد قتل؟** فقال خارجة: **فإن كان محمد قد قتل فإن الله حي لا يموت، لقد بلَّغ محمد فقاتل عن دينك**، ثم استشهد رحمه الله.

(٤) **طلحة بن عبيد الله** ﷺ: ومن الأبطال الذين أبلوا بلاء حسنًا في أحد طلحة بن عبيد الله ﷺ، فقد قاتل قتالًا شديدًا دفاعًا عن رسول الله ﷺ حين انكشف عنه كثير من المسلمين، وكر المشركون على رسول الله ﷺ فأحدقوا به من كل ناحية، وصار يذب بالسيف من بين يديه ومن ورائه، وعن شماله، يدور حوله يترس بنفسه دون رسول الله ﷺ، وأن السيوف لتغشاه، والنبل من كل ناحية، وهو يتلقاه بجسمه، فلما رآه ﷺ يفعل ذلك قال له: قد أوجب، أي قد أوجب لنفسه الجنة بقتاله وجهاده ودفاعه عن رسول الله ﷺ.

ورمى مشرك اسمه مالك بن زهير الجشمي بسهم يريد رسول الله ﷺ، فاتقاه طلحة بيده عن وجه رسول الله ﷺ، فأصاب خنصره فشل.

ولما تراجع المسلمون في الجولة الثانية أقبل رجل من بني عامر بن لؤي يصيح: دلوني على محمد، فضرب طلحة عرقوب فرسه فسقط على الأرض، ثم طعنه وقتله.

وأصيب يومئذ في رأسه، ضربه أحد المشركين ضربة وهو مقبل وضربه وهو معرض عنه، فنزف الدم حتى غشي عليه، فنضح أبو بكر ﷺ الماء في وجهه، حتى أفاق، فقال: **ما فعل رسول الله ﷺ؟ قال: خيرًا، هو أرسلني إليك، قال: الحمد لله كل مصيبة بعده جلل.**

(٥) **الحباب بن المنذر** ﷺ: حامل لواء الخزرج في أحد، وكان ﷺ يحوش المشركين كما تحاش الغنم، وتجمعوا عليه حتى قيل قد قتل، ثم برز والسيف في يده وافترقوا عنه، ويجعل يحمل على فرقة منهم، وإنهم ليهربون منه، وكان يومئذ معلمًا بعصابة خضراء في رأسه». [**غزوة أُحد لأبي فارس ١١١-١١٦**].

٢٠ ـ أخذ القدوة من جهاد الصحابة ﷺ:

موقف من جهاد حمزة ﷺ واستشهاده: يقول د/ الحميدي: «في هذا الخبر مواقف وعبر منها: بيان شجاعة حمزة بن عبد المطلب ﷺ العظيمة، فلقد ذكر وحشي قتله لأحد المبارزين من المشركين بصورة تدل على قوة حمزة ﷺ وشجاعته الخارقة ومقدرته الحربية الفائقة.

وذكر الحافظ ابن حجر عن رواية الطيالسي لهذا الخبر: «فإذا حمزة كأنه جمل أورق ما يرفع له أحد سيفه إلا قمعه بالسيف فَهِبْتُهُ»، قال: وعند ابن عائذ: «فرأيت رجلًا إذا حمل لا يرجع حتى يهزمنا، فقلت من هذا؟ قالوا: حمزة، قلت: هذا حاجتي». [**فتح الباري ٧/ ٣٦٩**].

وهذا يعني أنه كان متلثمًا فلم يعرفه وحشي، لكن أهل الخبرة الحربية يعرفونه بجلاده لتميزه عن غيره في الحرب.

وجاء في رواية ابن إسحاق: ويهدُّ الناس بسيفه هدًّا، ما يقوم له شيء». [**سيرة ابن هشام ٣/ ١٩**].

وهذا يدل على مقدار شجاعة حمزة ﷺ أسد الله وأسد رسوله ﷺ، ومبلغ النكاية التي أوقعها بالكفار في تلك المعركة». [**التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٣٩**].

من مواقف سعد بن أبي وقاص ﷺ الجهادية: يقول د/ الحميدي: «في هذه الأخبار مواقف لسعد بن أبي وقاص ﷺ: في حبه العظيم لرسول الله ﷺ حيث زال عنه كل ما يجد من الغم والحزن لما رأى النبي ﷺ سالمًا، وتجددت له طاقة عالية وحماس قوي نحو الجهاد.

في إسهامه الكبير في رماية الأعداء، وسلاح الرماية أمضى في العدو من سلاح المواجهة خصوصًا إذا كان الرمي من رام ماهر كسعد ﷺ.

وإنه لجهد كبير أن يرمي فرد واحد بألف سهم في بعض يوم.

ولقد حاز سعد على شرف دعاء النبي ﷺ له بتسديد رميته وإجابة دعوته، فكان بعد ذلك مشهورًا بدقة الإصابة في الرمي وإجابة الدعاء.

كما حاز على شرف فداء النبي ﷺ إياه بأبيه وأمه، وقد أخرج الإمام البخاري خبر ذلك عن سعد ﷺ قال: «نَثَلَ لِي النَّبِيُّ ﷺ كِنَانَتَهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: «**ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**». [**البخاري في المغازي (٤٠٥٥)**].

وهذا الخبر يدل على دقة سعد ﷺ في الرماية وجودته في إصابة الهدف، وقد أراح المسلمين من اثنين من رماة الكفار كانا قد أضرا بالمسلمين، فكم هي الجهود الكبيرة التي بذلها سعد ﷺ لرسول الله ﷺ والمؤمنين في تلك المعركة!

ولقد كان لسعد ﷺ شرف القيام بإهباط المشركين من الجبل بالرماية الهادفة المسددة كما ذكر الأموي في مغازيه: أن المشركين صعدوا على الجبل، فقال رسول الله ﷺ لسعد ﷺ: «ارددهم»، فقال: كيف أردهم وحدي؟ فقال ذلك ثلاثًا، فأخذ سعد سهمًا من كنانته فرمى به رجلًا فقتله، قال: ثم أخذت سهمي أعرفه فرميت به آخر فقتلته، ثم أخذته أعرفه فرميت به آخر فقتلته، فهبطوا من مكانهم. [**سبل الهدى والرشاد للصالحي ٤/ ٢١١**].

في هذا الخبر موقف إيماني لسعد بن أبي وقاص ﷺ، ببراءته من أهل الشرك وإن كانوا من أقرب الناس إليه، فقد حرص على قتل أخيه عتبة لإصابته رسول الله ﷺ، وهكذا كان الصحابة ﷺ يلغون عامل القرابة إذا تعارض مع الدين، وهذا دليل على قوة إيمانهم». [**التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٧١-١٧٣**].

موقف جهادي لطلحة وعدد من الصحابة ﭫ: يقول د/ الحميدي: «في هذا الخبر بيان لموقف جهادي عظيم لطلحة بن عبيد الله وعشرة من الأنصار لم تُذكر أسماؤهم.

هذا الجهاد تم في أخطر مرحلة من مراحل المعركة، وذلك حينما أُصيب المسلمون بالذهول لهول المفاجأة بهجوم خيول العدو من خلفهم وإشاعة أن رسول الله ﷺ قد قُتل، فقرر النبي ﷺ الانسحاب عن مركز القيادة بمَنْ بقي معه للاعتصام بجبل أحد، فتولى طلحة ورفاقه حماية النبي ﷺ حتى تمت علمية الانسحاب بسلامة النبي ﷺ بعد أن قدَّم الأنصار العشرة أرواحهم فداء له.

وإن ما قام به هؤلاء الأنصار يعتبر تضحية خالدة وعملًا عظيمًا نالوا به الشرفين: شرف حماية النبي ﷺ والإسلام، وشرف الظفر بالشهادة، فرضي الله عنهم أجمعين.

أما طلحة بن عبيد الله ﭬ فإنه كان يتقدم في كل مرة فيبقيه النبي ﷺ، لا حماية له وإنما ادخارًا لموقف أكثر صعوبة وأبلغ خطرًا، وقد مثَّل هذا الموقف أبلغ تمثيل حيث قاتل المشركين وحده كقتال العشرة من الأنصار، حتى عرف أبو بكر وأبو عبيدة ومن اجتمع من الصحابة ﭫ موقع النبي ﷺ فقاموا جميعًا بإكمال تلك المهمة.

وهذا موقف عظيم في التضحية والشجاعة يُذكر لطلحة بن عبيد الله ﭬ، مما حدا بأبي بكرﭬ إلى أن يقول: «**ذَاكَ كُلُّهُ يَوْمُ طَلْحَةَ**». [**التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٥٩**].

ويقول د/ الحميدي: «هذه الأخبار تبين لنا الجهد الكبير الذي بذله طلحة بن عبيد الله ﭬ بشهادة هؤلاء الصحابة الكرام من الدفاع عن رسول الله ﷺ ووقايته من سلاح الأعداء، ولقد استمر يجمع بين حماية النبي ﷺ والدفاع عنه حتى فاء عدد من الصحابة ﭫ، وكان طلحة قد أُغمي عليه من كثرة ما واجه من سلاح الأعداء.

ولقد استحق بهذا ثناء النبي ﷺ والحكم له بأنه قد أدى ما عليه كاملًا.

كما اشتملت هذه الأخبار على موقف جليل لعلي بن أبي طالب ﭬ الذي أثنى على طلحة ﭭ ودافع عنه بالرغم مما جرى بينهما من خلاف، ولقد ذكره بأبرز موقف تفوَّق فيه على غيره من الصحابة.

وهذا دليل على مبلغ الرقي الأخلاقي الذي وصل إليه الصحابة ﭫ حيث كانوا يُشيدون بإخوانهم ويذكرون محاسنهم، وإن وقع الخلاف بينهم إلى حد المواجهة في الميدان.

كما أن في هذا الخبر وصفًا لشجاعة علي بن أبي طالب ﭬ حيث كان وحده يقاتل كتيبة من كتائب المشركين فلم يستطيعوا إصابته». [**التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٦٣**].

موقف جهادي لأبي طلحة ﭬ: يقول د/ الحميدي: «تبين لنا من هذه الأخبار شيء من مواقف أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري النجاري الخزرجي ﭬ، وقد تبين من مظاهر خبرته الحربية مهارته في

الرمي وجهوده الكبيرة في الدفاع عن النبي ﷺ والإثخان في الكفار بسلاح الرماية، كما أنه كان جهير الصوت ويرعب الأعداء بصوته مما جعل النبي ﷺ يعتبره بصوته المرعب عن فئة من الجيش.

هذا إضافة إلى ما قام به من وقاية النبي ﷺ بنفسه حيث جعل من جسده تُرسًا له دون سلاح الأعداء». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٧٥].

موقف جهادي لعمارة بن زياد رضي الله عنه **وعدد من الأنصار** رضي الله عنهم: يقول د/ الحميدي: «في هذا الخبر موقف لعمارة بن زياد بن السكن الأنصاري الأشهلي رضي الله عنه وعدد من الأنصار رضي الله عنهم في حماية النبي ﷺ والدفاع عنه في موقف من أشد المواقف حاز فيه عمارة شرف الشهادة بعد أن أبلى بلاء حسنًا هو وأصحابه رضي الله عنهم». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٧٦].

موقف جهادي لسهل بن حنيف رضي الله عنه: يقول د/ الحميدي: «في هذا الخبر موقف جهادي لسهل بن حنيف رضي الله عنه، حيث كان من الذين ثبتوا مع النبي ﷺ وبايعوه على الموت في حال إصابة المسلمين وتفرقهم، وقد كان من الرماة المشهورين، فبذل طاقة كبيرة في الرماية حماية لرسول الله ﷺ ودفاعًا عنه».
[التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٧٧].

موقف جهادي لشماس بن عثمان المخزومي رضي الله عنه: يقول د/ الحميدي: «وهكذا حوَّل شماس بن عثمان المخزومي رضي الله عنه من جسمه إلى تُرس يقي به رسول الله ﷺ من سلاح الأعداء إلى جانب الدفاع عنه بسيفه، حتى إذا غُشي على رسول الله ﷺ ترَّس بنفسه دونه حتى استشهد رضي الله عنه.

وفي هذا الخبر وأمثاله نستشف مثلًا من أمثلة العظمة حيث تذوب الأجسام في مراد العقول السليمة يتمثل بالطموح العالي نحو بلوغ رضوان الله تعالى والجنة، فيتعرض أولو الألباب لمواطن الشهادة التي فيها رجاء الوصول السريع لتحقيق ذلك الهدف العالي». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٧٨].

موقف الشيخين الشهيدين: يقول د/ الحميدي: «في هذا الخبر مواقف منها:

الأول: ما كان من ذينك الشيخين الكبيرين حُسيل بن جابر (اليمان)، وثابت بن وقش الأنصاريين رضي الله عنهما، حيث اشتاقت نفوسهما إلى الاستشهاد في سبيل الله تعالى، فخرجا إلى الجهاد مع كونهما ممن عذرهما الله سبحانه بالقعود لكبر سنهما، لكن دفعهما إلى الخروج رغبتهما في الشهادة التي هي غاية أماني المؤمنين المتقين، وقد حصل لهما ما أرادا من ذلك رضي الله عنهما.

الثاني: موقف لحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما حينما سامح المسلمين الذين قتلوا أباه خطأ وتصدق بديته على المسلمين، مما أثار إعجاب النبي ﷺ به وزاد في مكانته عنده». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٢١].

موقف جهادي للحارث بن الصمة ﷺ: يقول د/ الحميدي: «فأما الحارث ﷺ فإنه تصدى لعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي مع كونه قد حصَّن نفسه بالحديد الواقي من السلاح، وبذلك وقى رسول الله ﷺ من ذلك الذي أقبل يريد قتله». [**التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٥٧**].

موقف جهادي لوهب المزني وابن أخيه رضي الله عنهما:

يقول د/ الحميدي: «في هذا الخبر مواقف منها:

أولًا: بيان الجهد الكبير الذي بذله في الجهاد وهب بن قابوس المزني وابن أخيه الحارث بن عقبة بن قابوس رضي الله عنهما، حيث تركا ما قَدِمَا من أجله من بيع غنمهما في المدينة وخرجا إلى موقع المعركة في أحد، ولم يكن لهما دافع إلى الخروج إلا نصرة الإسلام والمسلمين، ولقد بذل كل واحد منهما جهدًا كبيرًا في صد الأعداء والنكاية بهم حتى سقطا شهيدين.

وإننا لنجد في هذا الخبر مثلًا لقوة تمثُّل الحياة الآخرة في أذهان الصحابة، فحينما بشَّر النبي ﷺ وهبًا المزني بالجنة قام مسرورًا وهو يقول: «**لا أقيل ولا أستقيل**»، فقد اشترى الجنة بنفسه وطلب موطن الشهادة بعدما أثخن في العدو، ونجد أن الصحابة يتمنون أن يموتوا تلك الميتة التي رافقها ضمان دخول الجنة.

وهذا الشعور القوي نحو الحياة الآخرة هو الذي أنتج العجائب في حياة الصحابة رضي الله عنهم، حيث أصبحوا قوة عظمى على قلة العدد وضعف العُدد، واشتهر في أوساط الأمم أن المسلمين لا يمكن أن يقف لهم أحد مهما كانت قوة استعداده وكثرة جنوده.

ثانيًا: موقف جليل لسعد بن أبي وقاص ﷺ في تذكر خبر وهب المزني ﷺ بالرغم من مرور ثلاث عشرة سنة تقريبًا على غزوة أحد لمجرد مرور اسم رجل من عشيرته عليه، وهذا يعني اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بأخبار أهل الفضل والمواقف الحميدة في الإسلام، وكذلك ينبغي أن يُشادَ بأهل المكارم والمحامد لتحصل الأسوة الحسنة بهم». [**التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٥٤-١٥٥**].

هذه المواقف الجهادية «صورة للرجولة الفارعة التي اصطدم بها الكفر أول المعركة وآخرها، فماد أمامها، واضطربت من تحت أقدامه الأرض، فما ربح شيئًا في بداية القتال، ولا انتفع بما ربح آخره.

وهذا اللون من البطولة مدفون تحت جدران التاريخ الإسلامي القائم إلى اليوم، وما يقوم للإسلام صرح، ولا ينكشف عنه طغيان إلا بهذه القوى المذخورة المضغوطة في أفئدة الصدِّيقين والشهداء.

مَنْ سرُّ هذا الإلهام؟ من مشرق هذا الضياء؟ من مبعث هذا الاقتدار؟

إنه محمد ﷺ! إنه هو الذي ربَّى ذلكم الجيل الفذ، ومن قلبه الكبير أترعت هذه القلوب تفانيًا في الله، وإيثارًا لما عنده». [**فقه السيرة للغزالي ٢٦٧-٢٦٨ ط دار القلم**].

٢١ ـ مواقف النساء الجهادية:

يقول د/ بامدحج: «مرت الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة بمرحلتين، كان للمرأة المسلمة دور فعال في نشر الدين الإسلامي، ولما انتقلت الدعوة الإسلامية إلى المدينة فُرض الجهاد في سبيل الله، وكان لها دور بارز في الإسهام في حماية الدين الإسلامي، فقد شاركت المرأة المسلمة في كثير من الغزوات، وكانت غزوة أُحد أول معركة في الإسلام تشارك فيها المرأة المسلمة، وكان لها أثر بالغ في سقي المحاربين، وتضميد الجرحى.

وكما كانت غزوة أحد مجالًا لإبراز بطولات الرجال، فقد كانت أيضًا مجالًا لإظهار بطولات النساء وصدقهن، فقد كان خروج نساء المشركين إلى أُحد لضرب الدفوف والغناء وإثارة الأحقاد والتمثيل بالقتلى وجدع الأنوف والآذان والتزين بها، وبقر بطون الشهداء، ولكن المرأة المسلمة خرجت لأغراض نبيلة وسامية، فقد خرجت مع المسلمين للدفاع عن الدعوة الإسلامية بطرق مختلفة، فقد خرجت بعض النسوة المسلمات لكي يسقين العطشى ويداوين الجرحى، ومنهن من قامت برد ضربات الكفار الموجهة للرسول ﷺ وذُكر منهن: أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر، وأم عمارة، وحمنة بنت جحش الأسدية، وأم سليط، وأم سليم، ونسوة من الأنصار. [**شرح النووي لصحيح مسلم ١٢/ ٥١١ كتاب الجهاد والسير (١٧٧٩)**].

[**غزوة أحد لبامدحج ٢٢٨**].

ويقول د/ الحميدي: «في هذه الأخبار مواقف منها:

الموقف الأول: الإشارة إلى الدور الذي كانت تقوم به النساء في العهد النبوي من الأعمال الجهادية، حيث كنَّ يقمن بحمل الماء وسقي المجاهدين والاستعداد بمواد الإسعافات لتضميد الجرحى وغير ذلك من الخدمات التي يقدِّمْنَها للمجاهدين.

ولقد ظلت نساء المسلمين يقمن بهذه الخدمات الجهادية بعد ذلك في عصر الفتوحات الإسلامية.

الموقف الثاني: ما قامت به أم عمارة نسيبة بنت كعب رضي الله عنها من التحول عن أداء مهامِّها كامرأة إلى أداء مهام الرجال الجهادية، وذلك حينما وقعت الإصابة على المسلمين، وأُفْرِدَ النبي ﷺ في نفر من أصحابه، فرأت أم عمارة أن واجبها آنذاك أكبر من تقديم الخدمات المساعدة فباشرت قتال المشركين دفاعًا عن رسول الله ﷺ، وحصل منها ما ذُكر في هذه الأخبار من التصدي للأعداء والمشاركة في رد هجماتهم.

إن هذه الأعمال الجهادية الخشنة لا يستغرب صدورها من الرجال؛ لأنهم ـ خصوصًا في ذلك العهد ـ قد مَرَنوا عليها وألِفَتْ عليها أجسامهم، لكن صدور ذلك من النساء أمر غير مألوف عادة، فكَوْن أم عمارة رضي الله عنها تقوم بذلك الجهد الكبير وتواصل الدفاع عن النبي ﷺ رغم إصابتها بتلك الجراح التي

بلغت ثلاثة عشر يعتبر تضحية كبيرة وطاقة عالية غير معتادة، ولا يشك المتأمل بأن هذه الصحابية الجليلة قد حظيت بعون من الله تعالى جعلها تصمد ذلك الصمود العجيب وتقدِّم ذلك الجهد الكبير.

ومن المدهش في خبر تلك المرأة العظيمة أنها لم تُقدِّم نفسها في الجهاد فحسب بل قدَّمت ابنيها ليكونا فداء للنبي ﷺ، ولئن كان الدافع لدى زوجها وابنيها مألوفًا في مجتمع الصحابة رضي الله عنهم، فإن صدور ذلك من أمهما وهي تشاهدهما وتتوقع في أي لحظة أن يكونا تحت سنابك الخيل شهيدين.

إن ذلك يعتبر مثالًا عاليًا لقوة الإيمان ورسوخ اليقين.

فلهذه الأفاعيل الكبيرة والتضحيات العالية من أم عمارة رضي الله عنها بنفسها وبحثِّ بنيها على الجهاد نجد رسول الله ﷺ يثني عليها ذلك الثناء الطيب، ولكنها لقوة إحساسها بالحياة الآخرة وشدة استحضارها لما أعده الله تعالى لأهل الجنة من النعيم المقيم لا تكتفي بسماع ذلك الثناء من رسول الله ﷺ بل تَهْتَبل هذه الفرصة الغالية لتطلب منه ﷺ أن يدعو الله تعالى لها ولأفراد أسرتها بمرافقته في الجنة، وهي تعلم علم اليقين أنه في أعلى عليين.

ونجد أم عمارة رضي الله عنها مع هذا الجهد الكبير والجراح المتعددة المؤلمة تقوم لتَشُدَّ عليها ثيابها لما سمعت منادي رسول الله ﷺ يدعو المسلمين لملاحقة جيش العدو في حمراء الأسد، ولكنها لم تستطع المشاركة في هذه المهمة؛ لأن جراحها ما زالت تنزف دمًا، فأي عزيمة كانت تملكها تلك المرأة، وأي حيوية كان يشتمل عليها قلبها الكبير؟!

إن الطاقة لدى الفرد المسلم لا تحدها الحدود المعتادة إذا كان وراء تلك الطاقة إيمان قوي محرك، وإذا كانت هذه المرأة المؤمنة قد قامت بهذه العجائب، وهي لم تكن مؤهلة لذلك بحكم طبيعتها النسوية، فكيف بالرجال إذا ملكوا ذلك الإيمان القوي الحيوي؟!

وتمر الأيام ويقع المسلمون في لحظات حرجة جدًّا وهم يواجهون أعنف مقاومة واجهوها في حروب الردة، وتبرز أم عمارة رضي الله عنها بصحبة ابنها لتبحث عن رأس المشركين المرتدين مسيلمة الكذاب، وهي تريد أن تتصدى لقتله وإراحة المسلمين منه، ولا تبالي وهي تدفع نفسها لهذا الهدف العالي بيدها التي قُطعت وهي تؤدي هذه المهمة؛ لأن الله تعالى قد أبقى لها اليد الأخرى التي بإمكانها أن تبذل بها ما تستطيع من طاقة، ولكن ابنها عبد الله بن زيد المازني رضي الله عنه يسبقها لأداء هذه المهمة فيشارك في قتل رأس الكفر مسيلمة، وتَقَرُّ عين أم عمارة رضي الله عنها بهذه النهاية الحميدة للمسلمين، وبما قدمه ابنها للإسلام والمسلمين من عمل جليل.

الموقف الثالث: ما كان من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من تقدير أهل الفضل وتذَكُّر ما قدمته أم عمارة رضي الله عنها يوم أحد من بلاء وتضحية في سبيل الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم، فحينما وردت عليه ـ وهو في خلافته ـ ملابس مما أفاءه الله تعالى على المسلمين، وكان فيها لباسٌ متميزٌ أرسله إلى أم عمارة رضي الله عنها، وذكر جهادها المشكور، ولم يلتفت إلى من أشار عليه ببعثه إلى زوجة ابنه عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما.

وهذا موقف يُذكر لأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، ويضاف إلى مواقفه الكثيرة في العدالة وتقديم أهل الفضل والتقدم في خدمة الإسلام والمسلمين». [**التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٤٨-١٥١**].

أُمُّ عمارة رضي الله عنها تقاتل في أحد:

يقول د/ فيض الله: «شهدتْ أحدًا أُمُّ عمارة نسيبة الأنصارية النجَّارية رضي الله عنها، والدة عبد الله وحبيب ابني زيد بن عاصم، مع زوجها وولديها رضي الله عنهم.

ويبدو من مراجعة النصوص أن أم عمارة رضي الله عنها كانت لها مهمة خاصة في هذه الغزوة، وهي أن تحمل الماء على ظهرها، تسقي المؤمنين، وكانت خلال عملها هذا، تدعو للصحابة المجاهدين، وتحرضهم على الرمي، وتحثُّهم على الاستبسال والبطولة، وتشجعهم على الإقدام والاستشهاد في سبيل الله، وقد قامت بمهمتها على أحسن وجه.

فلما تغير وجه المعركة، وأحيط بالنبي صلى الله عليه وسلم ومن معه، ورُشِقوا بالنبال والسهام، ووقعت ساعة الحرج العصيبة، وتَدافع الصحابة لحماية الرسول صلى الله عليه وسلم ـ يقونه بأنفسهم، ويترسونه بأجسامهم، يتلقون بها النبال والحجارة ـ انحازت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تباشر القتال وتذُبُّ عنه، حتى جُرحت وسقطت فيمن سقط من الجرحى، بعد أن تصدَّت لفارس من المشركين، فأسقطته قتيلًا.

وتحدَّث الصحابة عن جهادها وبلائها في غير أحد، فقد شهدت وقعة اليمامة، وجُرِحَت يومئذٍ اثني عشر جرحًا، وقُطعت يدها، وقُتِل ولدُها.

وليس ذلك فحسب، فقد شهد لها النبيُّ صلى الله عليه وسلم بقوة المقاومة وحسن البلاء، وجميل الدفاع عنه، يوم أُحد، وقال، فيما رواه عنه عمر رضي الله عنه: «**مَا اِلتَفَتُّ يَمِينًا وَلَا شَمَالًا يَوْمَ أُحُد إِلَّا وَأَنَا أَرَاهَا تُقَاتِل دُونِي**»

وفي جهاد أُمِّ عمارة الأنصارية رضي الله عنها درس عظيم، وعبرة عظيمة، وتربية مُثلى، ويجدر بنسائنا وبناتنا أن يتَّخذن منها نموذجًا يُحتذى، في فهم الواجب، وسلامة تطبيقه، والتضحية في سبيله، فهل هنَّ فاعلات؟». [**صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة لفيض الله ١٣٠-١٣١**].

٢٢ ـ واتخذ الله من المؤمنين شهداء:

يقول د/ أبو فارس: «لقد سقط في هذه الغزوة سبعون من الشهداء، من خيار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم: خمسة من المهاجرين والبقية من الأنصار عليهم رضوان الله جميعًا، ومن هؤلاء:

(١) **حمزة بن عبد المطلب** ﷺ: قد استشهد ﷺ على يد وحشي غيلة وغدرًا وليس مواجهة، ولقد كان الكفار من أول لحظة بل وقبل أن تتقابل الصفوف حريصين على قتل حمزة ﷺ.

[وقد سبق عرض المؤامرة عليه في المرحلة الأولى قبل المعركة، وكيف كان استشهاده في المرحلة الثانية].

(٢) **مصعب بن عمير** ﷺ: لقد حمل مصعب اللواء يوم أحد، فلما جال المسلمون ثبت به مصعب، فأقبل ابن قميئة فضرب يده اليمنى فقطعها ومصعب يقول: (**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل**)، وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه، فضربها فقطعها، فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول: (**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل**)، ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه.

ولما قُتل لم يَجد المسلمون ما يغطونه به في قبره إلا نمرة إذا غطوا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطوا رجليه خرج رأسه، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يغطوا بها رأسه ويجعلوا على رجليه إذخرًا (حشيشة طيبة الرائحة).

هذا البطل كان من أنعم فتيان مكة وأكثرهم رفاهية، قبل إسلامه، وبعد أن أسلم، يقول عمر ابن الخطاب ﷺ: نظر النبي ﷺ إلى مصعب بن عمير ﷺ مقبلًا وعليه إهاب كبش قد تنطق به، فقال النبي ﷺ: **انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه، لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، فدعاه حُب الله ورسوله إلى ما ترون.**

(٣) **سعد بن الربيع** ﷺ: هذا الذي استكتمه رسول الله ﷺ خبر مسير قريش، وكان رسول الله يحبه، فلما انتهت معركة أحد سأل عنه ﷺ كما سبق تفصيله؛ لما له من مكانة عالية عند رسول الله ﷺ، ولما يعلمه عنه ﷺ من بطولة نادرة ﷺ.

(٤) **حنظلة الغسيل** ﷺ: وكان حنظلة عروسًا وكانت ليلة أحد ليلة عرسه، فلما سمع منادي الجهاد، خرج من حضن عروسه ولم يغتسل، وأخذ سلاحه ولحق بالنبي ﷺ، وهو يسوي الصفوف، فلما انكشف المسلمون اعترض حنظلة لأبي سفيان بن حرب فضرب عرقوب فرسه فوقع أبو سفيان، فحمل رجل منهم على حنظلة، فأنفذه بالرمح، فقال رسول الله ﷺ: «**إِنِّي رَأَيْتُ المَلائِكَةَ تَغْسِلُ حَنْظَلَةَ بْنَ أَبِي عَامِرٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ بِمَاءِ المُزْنِ فِي صِحَافِ الفِضَّةِ**». **[الحديث صحيح، أخرجه ابن سعد في الطبقات، وابن إسحاق في السيرة، والحاكم في المستدرك ٣/ ٢٠٤ والبيهقي في دلائل النبوة كما في الخصائص الكبرى ١/ ٥٣٨ وأبو نعيم في دلائل النبوة برقم ٤٢٠ بتحقيق قلعجي وعباس، صفة الصفوة الحاشية ١/ ٦٠٩].**

قال أبو أسيد الساعدي: فذهبنا ننظر إليه فإذا رأسه يقطر ماء، فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فأخبرته أنه خرج وهو جنب، فولده يقال لهم: بنو غسيل الملائكة.

ومن الجدير بالذكر هنا أن امرأته أرسلت إلى أربعة من قومها تشهدهم أنـه دخـل بهـا، فقيـل لهـا في ذلك فقالت: **رأيت كأن السماء قد فُرجت له، فدخل فيها ثم أطبقـت، فقلـت هـذه الشـهادة،** وعلقـت بعبد الله بن حنظلة. [صفة الصفوة ١/ ٦٠٩].

ما أجمل أن تحذو فتياتنا حذو هذه العروس، وتقتدي بموقفها حين انطلق عروسـها حنظلـة غسـيل الملائكة إلى الجهاد في سبيل الله، فلم تعترض سبيله بل شجعته وهو في ليلة عرسه، وهي تتوقع أن يعـود إليها على آلة حدباء محمول، وقد رأت في نومها ما يفيد باتخاذ الله له شهيدًا.

وحين حدث بينهما ما يحدث بين المرء وزوجه، أخبرت أقرباءهـا حتـى تنـأى عـن مـواطن الريـب والشبهات». [غزوة أُحد لأبي فارس ٨٤-٨٨].

٢٣ ـ التضحية الغالية (غسِّيل الملائكة ﭬ):

يقول أ/ باشميل: «**هيه أيها الشباب المسلم:** هكذا تكون التضحية في سبيل العقيدة الحقة، أيها الشباب المسلم، وليكن الشباب المسلم الذي يهدف حقًّا إلى إعزاز دينه وأمته على مستوى حنظلة البطل ﭬ من البذل في سبيل الإسلام، الذي السير تحت لوائه بصدق وإخلاص وتضحية هو السبيل الوحيد لإعزاز هذه الأمة وتخليصها من ويلاتها التي أخذت بخناقها في كل بقعة من بقاع الوطن الإسلامي، ويخلصها من تلك الاستكانة والضعف.

فيالها من تضحية وشهامة ورجولة ويقين..؟

شاب يافع يخرج مسرعًا ليجيب داعي الجاهد مختارًا ليلة عرسه، فيترك عروسه التي لم تمض على التقائه بها أكثر من ليلة واحدة، والتي ـ كما يقول المؤرخون ـ تشبثت به وحاولت إقناعه بعدم الخروج كامرأة تغلبها العاطفة، فيتركها ليمضي على عجل ليخوض معركة طاحنة رهيبة، ثم يُقتل فيها راضي البال مرتاح الضمير.

ألا رحمة الله على هذا الطراز من الشباب المؤمن، الذي بأمثاله ـ وبأمثاله فقط ـ تخفق البنود عالية، وتُشاد الدول قوية راسخة، وتشق العقائد طريقها لتصل بأصحابها إلى الأهداف الشريفة السامية.

لقد كان بوسع هذا الشاب لو كان من غير طرازه، نعم لقد كان بوسعه لو كان من طراز الشباب العقدي الذي يشرح اليوم نواحي عقائده التقدمية على صخب كاسات الخمر وضحكات الغانيات في الحانات، ويهذي عن اضطلاعه بمسؤولية تحرير الأمة وحماية الشعب.. وهل من يستوحي أفكاره ويستمد شجاعته من كحول الويسكي والشمبانيا، يمكن أن تتحرر على يديه أمة أو تنتصر به عقيدة، أو تستقر في ظل سلطانه أمة؟

نعم لو كان الشاب المؤمن حنظلة ﷺ من طراز هذا الشاب الضائع المائع المغرور ـ شباب الملذات ـ لاستطاع أن يجعل من يوم عرسه أجازة قصيرة يعفي نفسه فيها من القتال لينعم بعروسه، لاسيما أنها أول ليالي عرسه.

ولكنه الإيمان الصادق بالعقيدة الصادقة، لا الجعجعة الفارغة بالوسوسة المبهمة المسماة بالعقيدة المتحررة.. الإيمان الصادق الذي لا تستطيع الوقوف في وجهه أية عاطفة مهما كانت لتثني صاحبه عن عزمه، هو الذي جعل حنظلة ﷺ الشاب المؤمن الباسل يمضي لسبيله ويقضي نحبه شهيدًا بطلًا صادقًا، موفيًّا لله بما عاهده عليه، فيظفر بأجازة أبدية يقضيها في سماء الخلود مع الصديقين الشهداء: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[الأحزاب].

لذا فهو يستحق أن تحتفل به الملائكة وتغسله كما قال النبي ﷺ: **إِنَّ صَاحِبَكُمْ ـ يَعْنِي حَنْظَلَةَ ـ لَتُغَسِّلَهُ الملَائِكَةُ. فَسْأَلُوا أَهْلَهُ مَا شَأْنُهُ؟** فَسُئِلَتْ صَاحِبَتُهُ عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ وَهُوَ جُنُبٌ حِينَ سَمِعَ الهَاتِفَةَ ـ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ الهَائِعَةُ.

فرحم الله غسيل الملائكة حنظلة الشهيد البطل، ورزق الله أمتنا الإسلامية شبابًا من أمثاله وعلى مستوى يقينه ورجولته». [غزو أُحد لباشميل ١٤٧-١٤٨].

وتحت عنوان: **مثل من تعظيم الشهادة والشوق إليها: خبر حنظلة بن أبي عامر** ﷺ يقول د/ الحميدي: «في هذا الخبر مواقف وعبر منها:

الأول: في تعلُّق جميلة بنت عبد الله بن أبي بحنظلة بن أبي عامر ﷺ حين رأت له تلك الرؤيا التي فسرتها بالشهادة، فالمظنون في مثل هذه الحال أن تحاول الابتعاد حتى لا تحمل منه فتكون بعد ذلك غير حظيَّة لدى الخُطَّاب، لكنها تعلقت به رجاء أن تحمل منه فتلد ولدًا يُنسب لذلك الشهيد الذي بلغ درجات عليا في الصلاح باستقامته أولًا ثم بما ترجوه من نيله الشهادة.

ولقد حصل لها ما أمَّلت به فحملت منه وولدت ولدًا ذكرًا سُمِّي عبد الله، وكان له ذكرٌ بعد ذلك، وكان من أعلى ما يفتخر به أن يقول: أنا ابن غسيل الملائكة.

وهكذا نجد ارتفاع مستوى الصحابة ﷺ في النظر إلى رفعة الدين والعلو في الآخرة واعتبار الأمور الدنيوية أمورًا ثانوية خاضعة لأمر الدين.

الثاني: في شوق حنظلة ﷺ القوي إلى الجهاد في سبيل الله تعالى، الذي يتمثل في سرعة خروجه إلى الميدان، الأمر الذي لم يتمكن معه من غُسل الجنابة حيث اعتبر أن ذلك مما يعوقه عن الجهاد.

والذي يغلب على الظن أن امرأته قد أخبرته برؤياها، وأنها قد جعلت من تلك الرؤيا مسوغًا لإقناعه باللبث معها ذلك الوقت رجاء أن تَعْلَق منه بابن ينسب لذلك الشهيد الصالح، إذ أنه يبعد أن تخبر بتلك

الرؤيا الأباعد ولا تخبر بها زوجها، خصوصًا وأن رجاء الشهادة كان هدفًا ساميًا ومقصدًا عاليًا عند الصحابة رضي الله عنهم، فيكون إسراعه بالخروج مع علمه بتلك الرؤيا شاهدًا على قوة إيمانه ورسوخ يقينه، وتكون استجابته لها لتغليب هذا المقصد السامي ليكون له عقب يرجو صلاحه ودعاءه الصالح لا لمجرد قضاء شهوة لا تخطر له على بال في الغالب وقد نزل بالمسلمين ما نزل.

الثالث: موقف جهادي كبير حينما تصدى حنظلة رضي الله عنه لقائد المشركين أبي سفيان بن حرب، والقائد غالبًا يكون حوله ما يحميه، وهو فارس وحنظلة راجل، ولقد كاد أن يقضي عليه لولا معاجلة الأسود بن شعوب له بطعنة من خلفه ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا؛ لينال حنظلة رضي الله عنه الشهادة، وليبقى أبو سفيان على قيد الحياة حتى يوفقه الله تعالى للإسلام بعد ذلك.

الرابع: عبرة عظيمة في نزول الملائكة ـ عليهم السلام ـ لتغسيل حنظلة رضي الله عنه بمياه المزن في صحاف الفضة فإن هذا الخبر يدل على عظمة المؤمن ومنزلته العالية عند الله تعالى، حيث أمر ـ جلَّ وعلا ـ ملائكته بالنزول لتطهير حنظلة لتصعد روحه إلى الملأ الأعلى وجسمه طاهر.

الخامس: في إخبار النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة بذلك معجزة بالغة حيث لم ير الصحابة الملائكة وما قاموا به من تغسيل حنظلة، فرؤية النبي صلى الله عليه وسلم ذلك من المعجزات النبوية». [**التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٢٨-١٣٠**].

٢٤ ـ مثل من أثر الجهاد في الإيمان: إسلام الأصيرم رضي الله عنه وجهاده:

يقول د/ الحميدي: «في هذا الخبر مثل واضح على أثر الجهاد في الإيمان بالله تعالى، فهذا الأصيرم عمرو بن ثابت الأشهلي رضي الله عنه كان قبل يوم أُحد مُنكِرًا للإسلام مباعدًا لقومه من المسلمين، فلما حضر ما حضر من غزو الكفار للمسلمين في بلادهم، لا طمعًا في بلادهم وأموالهم وإنما فقط ليصرفوهم عن دينهم عظُم هذا الدين في نظر الأصيرم رضي الله عنه فدخل قلبه الإسلام، وكان إيمانه قويًّا إلى الحد الذي حمله على المشاركة في الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام، فلحق بقومه في أُحُد وقاتل الأعداء حتى استشهد رضي الله عنه.

لقد كان في حسِّ الأصيرم رضي الله عنه وأمثاله أن دينًا يحمل معتنقيه على التضحية بالأنفس والأموال من أجله، ويحمل أعداءه على تجييش الجيوش من أجل القضاء عليه، أنه دين عظيم في غاية الجلال والعظمة، وإن أدنى ذلك أن يسارع المقتنعون بعظمته إلى اعتناقه، ثم أن يبذلوا وسعهم وطاقتهم في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله». [**التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٢٤**].

٢٥ ـ مصعب بن عمير رضي الله عنه والتحوُّل الإيماني:

يقول د/ أبو خليل: «رحم الله مصعبًا رضي الله عنه، فلو لم يجد منتهى السعادة الروحية في إسلامه، وغاية السرور في إيمانه، مع كامل الصفاء القلبي في صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما انقلب وتحوَّل هذا التحوُّل الجذري في حياته وسلوكه.

ما أعظم هذه العيِّنة من الرجال، وما أرقى تربيتهم التي رباهم عليها رسول الله ﷺ.

لقد رفع مصعب ﷺ لواء المسلمين في أُحد، وما وصل وارتقى إلى هذا المقام، إلا بعد أن تزكت روحه، وعشقت ربها، واستنار قلبه بنور الله ﷻ، فأنكر ذاته، وعاش لعقيدته، واستشهد من أجلها.

وسيبقى مصعب ﷺ في تاريخنا من الخالدين، مع الشخصيات الجليلة، والنفوس النبيلة، والأعلام العظام». [غزوة أُحد لأبي خليل ٥٩-٦٠].

ويقول الشيخ الصوياني: «مصعب بن عمير ﷺ، الذي خرج من ثروته وزينته ليلحق برسول الله ﷺ، مصعب ﷺ الذي خرج من مكة وحيدًا ليثقف جيلًا من أجيال المدينة، مصعب ﷺ الذي خرج من المدينة نحو أُحُد، لا يملك من الدنيا إلَّا سيفه ورداءه، وقرآنًا يملأ صدره ويغنيه عما يراه من حطام الدنيا، سقط مصعب ﷺ على أرض أُحُد، تبكيه المدينة ومكة، ويبكيه **عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ** ﷺ بعد مدة، والطعام بين يديه، فيقول عندما شاهد الطعام وكان صائمًا: «**قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ، ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنْ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ، أَوْ قَالَ: أُعْطِينَا مِنْ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ**». [البخاري في الجنائز (١٢٧٥، ١٢٧٥)، وفي المغازي (٤٠٤٥)].

وتذكَّره أيضًا رفيق دربه وعذابه خَبَّابُ بنُ الأَرَتِّ ﷺ فقال: «**هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نُرِيدُ [نَلْتَمِسُ] وَجْهَ الله، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى الله، فَمِنَّا مَنْ مَضَى [مَاتَ] لَمْ يَأْخُذْ [يَأْكُل] مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا** [(١)]**، مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ** ﷺ، **قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ نَمِرَةً [فَلَمْ نَجِدْ مَا نُكَفِّنُهُ إِلَّا بُرْدَةً]، فَكُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ بَدَتْ [خَرَجَتْ] رِجْلَاهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ بَدَا [خَرَجَ] رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا رَسُولُ الله ﷺ أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ، وَنَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ شَيْئًا مِنْ إِذْخِرٍ [الإِذْخِر]** (نبات معروف زكي الريح، وإذا جف ابيض) ، **وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ** (أينع الثمر: إذا نضج وأدرك)، **فَهُوَ يَهْدِبُهَا** (يقطعها ويجتنيها)». [البخاري في المناقب (٣٨٩٧، ٣٩١٤)، وفي المغازي (٤٠٤٧، ٤٠٨٢)، وفي الجنائز (١٢٧٦)، وفي الرقاق (٦٤٣٢، ٦٤٤٨)، ومسلم في الجنائز (٩٤٠)، وأبو داود في الوصايا (٢٨٧٦)، وفي الجنائز (٣١٥٥)، والترمذي في المناقب (٣٨٥٣)، والنسائي في الجنائز (١٩٠٣)، وأحمد عن خباب ﷺ (٢٠٥٥٤)].

رضي الله عن مصعب ﷺ، ما أعظمه، سافر والدموع من حوله، بعد أن ملأ الصدور والنفوس علمًا وحبًّا ، نالت منه سيوف الشرك وهو يدافع عن دينه وعن نبيه ﷺ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ حِينَ انْصَرَفَ مِنْ أُحُدٍ مَرَّ عَلَى مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ ﷺ وَهُوَ مَقْتُولٌ عَلَى طَرِيقِهِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ وَدَعَا لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ

---

(١) كناية عن الغنائم التي تناولها من أدرك زمن الفتوح، وكأن المراد بالأجر ثمرته، فليس مقصورًا على أجر الآخرة. فتح الباري ٣/ ١٤٢.

عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[الأحزاب]، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَشْهَدُ أَنَّ هَؤُلَاءِ شُهَدَاءُ عِنْدَ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأْتُوهُمْ وَزُورُوهُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا رُدُّوا عَلَيْهِ**». [المستدرك على الصحيحين في التفسير ٢/ ٢٧١ رقم ٢٩٧٧، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وقال الشيخ الصوياني: سنده حسن. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص ٢٧٨].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: لَـمَّا فَرَغَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ مَرَّ عَلَى مُصْعَبٍ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ مَقْتُولًا عَلَى طَرِيقِهِ، فَقَرَأَ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴿٢٣﴾﴾[الأحزاب]. [المستدرك في معرفة الصحابة ﷺ ٣/ ٢٢١ رقم ٤٩٠٥، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي].

[السيرة النبوية للصوياني ٢/ ٢١٩-٢٢٠].

٢٦ ـ ضرار بن الخطاب ﷺ يصف شجاعة الأنصار ﷺ:

يقول د/ الحميدي: «هذا الخبر فيه وصف لحال المسلمين مع أعدائهم من بداية المعركة حتى حصلت الإصابة على المسلمين.

وفيه ثناء واضح على الأنصار ﷺ بالشجاعة والثبات من رجل كان مع الكافرين، وأثخن في المسلمين بعد إصابتهم، ثم هداه الله تعالى للإسلام، فسجل في هذا الخبر موقف المسلمين الثابت وخاصة الأنصار منهم، الذين كانوا مقصد الكفار بعد رسول الله ﷺ لكون الأنصار هم أكثر من قَتل المشركين يوم بدر.

وكون المسلمين يثبتون وهم مشاة لأعدائهم وهم فرسان مع تفوق المشركين كثيرًا في العدد يبين لنا شجاعة المسلمين العالية وإقدامهم على بذل أرواحهم في سبيل الله تعالى.

ونجد في نهاية الخبر شعور المسلم الموقن حيث يحمد ضرار بن الخطاب ﷺ ربه تعالى على أن أبقاه حيًّا حتى دخل في الإسلام، وحيث عبَّر عن قتل الشهداء بأنه إكرام من الله تعالى لهم، وعن قتل الكفار بأنه إهانة منه تعالى لهم». [التاريخ الإسلامي للحميدي٥/ ١٦٥-١٦٦].

٢٧ ـ أنس بن النضر ﷺ ممن أخلصهم الله له يجيبهم إذا أقسموا عليه:

يقول الشيخ عرجون: «وكان أنس بن النضر ـ نضر الله وجهه ـ إلى جانب شجاعته الخارقة وبطولته الفدائية الصادقة راسخ الإيمان رسوخًا عميقًا جعل معرفته بالله تعالى معرفة شهودية، يشهد بها فضل الله تجري به مقاديره، كأنما يجري فيها مع هذه المقادير في فجاج الغيب، وقد رزقه الله تعالى بهذا الإيمان ثقة في الله تعالى واعتصامًا به، بلغا به مقام المقسمين على الله فيجيبهم إلى مطلوبهم.

عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: إِنَّ أُخْتَهُ ـ أَيْ أُخْتُ أَنَسِ بنِ النَّضْرِ ﷺ، وَهِيَ تُسَمَّى الرُّبَيِّعَ ـ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ امْرَأَةٍ، فَأَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِالقِصَاصِ، فَقَالَ أَنَسٌ: يَا رَسُولَ الله، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَا تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا،

فَرَضُوا بِالأَرْشِ وَتَرَكُوا القِصَاصَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ عِبَادِ الله مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لَأَبَرَّهُ**».

[البخاري في الصلح (٢٧٠٣)، ومسلم في القسامة والمحاربين والقصاص والديات (١٦٧٥)، وأبو داود في الديات (٤٥٩٥)، والنسائي في القسامة (٤٧٥٥ -٤٧٥٧)، وابن ماجه في الديات (٢٦٤٩)].

وذكر ابن إسحاق أن أنس بن النضر ﷺ، جاء إلى عمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: **قُتل رسول الله ﷺ**، قال: **فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ**، ثم استقبل القوم، فقاتل حتى قتل ﷺ.

هذا اللون من رسوخ الإيمان وثبات اليقين اللَّذين تحدَّث بهما التاريخ الإسلامي عن هذا البطل هو الذي ارتفع بالمجتمع المسلم إلى منزلة قيادة الإنسانية إلى آفاق حضارة الإيمان بالله وإخلاص الدين كله له، حتى تبوأ هذا المجتمع الذروة في إصلاح الحياة وتطهيرها من أوضار الجاهليات الضالة الظالمة، وهو الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور، وهذه البطولة التي ترى بعين الشهود أن الموت ـ استشهادًا في سبيل الله لإعلاء كلمته ـ إنما هو تجديد للحياة في دار الخلود، والنعيم المقيم».

[محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٣/ ٥٩٣-٥٩٤].

٢٨ ـ إسلام مخيريق ﷺ وجهاده:

يقول د/ الحميدي: «في إسلام مخيريق ﷺ أحد علماء اليهود، وإنفاقه جميع ماله في سبيل الله تعالى، وجهاده مع المسلمين واستشهاده، مواقف عالية من هذا العالم الحَبْر تتابعت كلها في يوم واحد، فقد كان يعلم أن رسول الله ﷺ هو الرسول الذي بَشَّر به أنبياؤهم وأمروهم بالإيمان به ونصره إذا ظهر، وقد تيقظ ضميره يوم أُحُد وتذكَّر وجوب نَصر النبي ﷺ الذي تكالب عليه أهل الباطل، فكان ذلك دافعًا له إلى إعلان إسلامه.

ومثل هذا العالم يكون عادة مترددًا بين قناعته بصدق دعوة النبي ﷺ ووجوب اتباعه وبين مداراة قومه الذين كفروا به وناصبوه العداء، ويكون الفكر المهيمن على هذا وأمثاله هو تأجيل البَتِّ في الأمر رجاء أن يقتنع علماء قومه بالإسلام فيدخل معهم ويجمع بين إرضاء ضميره وإرضاء قومه.

ولكن نزول ذلك البلاء بالمسلمين واحتياجهم الشديد للنصرة عجل بموضوع البت في القضية فأعلن مخيريق إسلامه أمام قومه وأمرهم بذلك.

ولقد كان إسلام هذا الرجل إسلام العالِمِ الموقن فلم يكْتَف بمجرد الإسلام، وإنما قام بإنفاق جميع أمواله في سبيل الله تعالى، والمال من أعز المحبوبات لدى الإنسان، فالخروج من المال دليل على قوة الإيمان بهذا الدين الذي خرج من أمواله في سبيله.

ثم لم يكتف بذلك وإنما خرج بنفسه للجهاد في سبيل الله تعالى، وهذا دليل على ارتفاع مستوى الإيمان عنده حيث حمله على بذل نفسه بعد ماله في سبيل الله جل وعلا، ولقد أكرمه الله تعالى بالشهادة في ذلك اليوم فنال أجرًا عظيمًا في وقت قصير جدًّا». [**التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٢٥-١٢٦**].

٢٩ ـ موقف جليل في ثبات عبد الله بن جبير وأصحابه رضي الله عنهم:

يقول د/ الحميدي: «في هذين الخبرين بيان ثبات أمير الرماة عبد الله بن جبير رضي الله عنه هو ومن بقي من الرماة، وكانوا كما جاء في رواية خوات بن جبير عشرة، ولقد حاول عبد الله رضي الله عنه جهده منع خيل المشركين من الاقتحام على المسلمين فنشر أصحابه في طريقهم، ولكنهم كانوا أقل من أن يقفوا في وجه أولئك الفرسان، فدخلوا معهم في معركة غير متكافئة كانت نتيجتها القضاء على أولئك الرماة والانطلاق نحو جيش المسلمين». [**التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٣٢**].

٣٠ ـ الشهيد الذي يمشي على الأرض:

يقول الشيخ الصوياني: «شاب اسمه رافع بن خديج.. شهيد.. لكنه يعيش بين الناس يأكل معهم ويشرب ويصلي ويصوم، بل ويجاهد في معارك أخرى في هذه الدنيا، مع أنه من شهداء أحد، كيف ذلك؟

عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ قَالَ: أَخْبَرَتْنِي جَدَّتِي يَعْنِي امْرَأَةَ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ قَالَ عَفَّانُ: عَنْ جَدَّتِهِ أُمِّ أَبِيهِ امْرَأَةِ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ، أَنَّ رَافِعًا رُمِيَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، أو يَوْمَ خَيْبَرَ ـ قَالَ: أَنَا أَشُكُّ ـ بِسَهْمٍ فِي ثَنْدُوَتِهِ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، انْزِعِ السَّهْمَ، قَالَ: «**يَا رَافِعُ، إِنْ شِئْتَ نَزَعْتُ السَّهْمَ وَالْقُطْبَةَ** (نصل السهم) **جَمِيعًا، وَإِنْ شِئْتَ نَزَعْتُ السَّهْمَ وَتَرَكْتُ الْقُطْبَةَ، وَشَهِدْتُ لَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّكَ شَهِيدٌ**»، قَالَ: يَا رَسُولَ الله، بَلْ انْزِعِ السَّهْمَ وَدَعِ الْقُطْبَةَ، وَاشْهَدْ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنِّي شَهِيدٌ، قَالَ: فَنَزَعَ رَسُولُ الله ﷺ السَّهْمَ وَتَرَكَ الْقُطْبَةَ، [فَعَاشَ بِهَا حَتَّى كَانَ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه، فَانْتَقَضَ بِهِ الْجُرْحُ، فَمَاتَ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَأَتَى ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما فَقِيلَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَاتَ رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ، فَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ، قَالَ: إِنَّ مِثْلَ رَافِعٍ لَا يُخْرَجُ بِهِ حَتَّى يُؤْذَنَ مَنْ حَوْلَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْقُرَى، فَلَمَّا خَرَجْنَا بِجَنَازَتِهِ، فَصُلِّيَ عَلَيْهِ، جَاءَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما حَتَّى جَلَسَ عَلَى رَأْسِ الْقَبْرِ، فَصَرَخَتْ مَوْلَاةٌ لَنَا فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: مَا لِلسَّفِيهَةِ مِنْ أَحَدٍ لَا تُؤْذِي الشَّيْخَ، فَإِنَّهُ لَا يَدِينُ لَهُ بِعَذَابِ الله. [**مسند أحمد ٤٥/ ٩٧ رقم ٢٧١٢٨، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن، والمعجم الكبير للطبراني ٤/ ٢٣٩ رقم ٤٢٤٢**].

لقد مات رضي الله عنه حاملًا شهادته على ثندوته، على صدره». [**السيرة النبوية للصوياني ٢/ ٢٢٨**].

٣١ ـ ما سر حفاوة الله بوالد جابر رضي الله عنهما؟:

يقول الشيخ الصوياني: «كان الجو مشحونًا بالحزن، ليس هناك أقسى ولا أكثر دموعًا وانتحابًا من لحظات الدفن ومغادرة القبر والأحباب تحت التراب، لحظات كان فيها جابر رضي الله عنه حزنًا ودموعًا، لكن الله

أنزل ما يخفف حزنه، فالتفت ﷺ إلى جابر المجروح ﵁ وقال له: «يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، اسْتُشْهِدَ أَبِي قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا، قَالَ: «أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللهُ بِهِ أَبَاكَ؟»، قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا قَطُّ إِلاَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا (مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول)، فَقَالَ: يَا عَبْدِي، تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ، تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً، قَالَ الرَّبُّ ﷻ: «إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ»، [قَالَ: يَا رَبِّ فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي]، قَالَ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[آل عمران: ١٦٩]».

[الترمذي في التفسير (٣٠١٠)، وابن ماجه في المقدمة (١٩٠)، وفي الجهاد (٢٨٠٠)، وقال الشيخ الألباني: حسن].

فرح جابر بهذه البشرى، فرح بحفاوة الرب الكريم بأبيه، فخفَّفت البشرى كثيرًا من أحزانه، لكن: ما سرُّ هذا الشيخ المحلِّق في النعيم، إنه لم يقاتل كما قاتل حمزة ﵁، ولم تمزقه الطعنات كما مزقت أنس بن النضر ﵁، لقد شرب الخمر ـ وهو لا يزال مباحًا ـ ثم انصرف إلى المعركة، فكان أول من سقط من الشهداء، ومع ذلك يلقى كل هذا الفيض الغامر من النعيم؟!

ليس هكذا يُنْظَرَ إلى والد جابر ﵁، دعونا نتأمل عالم هذا الشيخ من كل زواياه، دعونا نجعل أنفسنا مكانه، إن هذا الشيخ الكبير لم يحارب عن اثنين كما فعل سعد ﵁ في بدر، ولم يحارب بسيفين كحمزة ﵁.

لكنه كان يحارب في معركتين شرستين، إحداهما على أرض أُحُد، أما الثانية فكانت ساحتها داخل أعماقه وبين حناياه، وهي معركة أكثر ضراوة وقسوة، إنها معركة مع الذات، مع الدنيا، مع عواطف الأبوة الجياشة التي تتغلغل في أعماقها تسع بنات مسكينات، والدنيا، كل الدنيا، تعلم أن الشيخ أكثر حنانًا وعطفًا علي بنيه منه وهو شاب، والدنيا، كل الدنيا تعرف للبنات رحمة لا تعادل في قلوب الآباء، فكيف إذ كنَّ تسع بنات يترصَّد لهن اليتم والفقر، إن عبد الله بن عمرو بن حرام ﵁ ينتزع نفسه من بين بناته، من بين أبوته وأحزانه ليتجه بها نحو الجنة، نحو الله، فحب الله متشعب في كل خلاياه ومشاعره، وهو بحاجة إلى الله أكثر من حاجة بناته إليه، هكذا نتأمل هذا الشيخ، وهذه الطريقة نتحسس بعض سره وسر حفاوة الله به.

والد جابر ﵄ ورفاقه الآن أحياء عند ربهم يرزقون، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[آل عمران: ١٦٩].

سأل الصحابة رسول الله ﷺ عن معنى هذه الآية، عن تلك الحياة الفسيحة التي ينعم بها الشهداء، وعن ذلك الكرم الإلهي المدهش، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ الله عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩]، قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ،

فَقَالَ ﷺ: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنْ الجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلكَ القَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اطِّلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ [تَسْتَزِيدُونَ] شَيْئًا [فَأَزِيدُكُمْ]، قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي [رَبَّنَا وَمَا نَسْتَزِيدُ] وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنْ الجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا؟، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَـمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا قَالُوا: يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَـمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا».

وفي رواية عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ مِثْلَهُ وَزَادَ فِيهِ: «وَتُقْرِئُ نَبِيَّنَا السَّلَامَ، وَتُخْبِرُهُ عَنَّا أَنَّا قَدْ رَضِينَا وَرُضِيَ عَنَّا». [مسلم في الإمارة (١٨٨٧)، والترمذي في تفسير القرآن (٣٠١١)، والدارمي في الجهاد (٢٤٥٤)].

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَـمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الجَنَّةِ، تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ العَرْشِ، فَلَـمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ، وَمَشْرَبِهِمْ، وَمَقِيلِهِمْ [وَحُسْنَ مُنْقَلَبِهِمْ]، قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الجَنَّةِ نُرْزَقُ؛ [يَا لَيْتَ إِخْوَانَنَا يَعْلَمُونَ بِمَا صَنَعَ اللهُ لَنَا] لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الجِهَادِ، وَلَا يَنْكُلُوا عِنْدَ الحَرْبِ، فَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [آل عمران]».

[أبو داود في الجهاد (٢٥٢٠)، ومسند أحمد ٤/ ٢١٨ رقم ٢٣٨٨، وحسنه الشيخان الألباني والأرناؤوط، والمستدرك على الصحيحين في الجهاد ٢/ ٩٧ رقم ٢٤٤٤، في التفسير ٢/ ٣٢٥ رقم ٣١٦٥، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٢٠٥].

وعَنْ ابْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي طَيْرٍ خُضْرٍ تَعْلُقُ مِنْ ثَمَرِ الجَنَّةِ أَوْ شَجَرِ الجَنَّةِ». [الترمذي في فضائل الجهاد (١٦٤١)، وقال الشيخ الألباني : صحيح].

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ، قَالَ: لَـمَّا حَضَرَتْ كَعْبًا الْوَفَاةُ أَتَتْهُ أُمُّ بِشْرٍ بِنْتُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنْ لَقِيتَ فُلَانًا، فَاقْرَأْ عَلَيْهِ مِنِّي السَّلَامَ، قَالَ: غَفَرَ اللهُ لَكِ يَا أُمَّ بِشْرٍ نَحْنُ أَشْغَلُ مِنْ ذَلِكَ، قَالَتْ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَمَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فِي طَيْرٍ خُضْرٍ، تَعْلُقُ بِشَجَرِ الجَنَّةِ» قَالَ: بَلَى، قَالَتْ: فَهُوَ ذَاكَ.

[ابن ماجه في ما جاء في الجنائز (١٤٤٩)، وقال الشيخ الألباني : ضعيف].

زخَّات من النعيم أمطرتها تلك الكلمات على قلوب أصحاب النبي ﷺ، فحفرت فيها الأخاديد والشقوق، حسرة على ما فاتهم في هذا اليوم من لذة الحديث إلى أحب حبيب، لذة الاستماع إلى الله.

إن الإنسان ليعرف من حال العاشق حالة من الذهول عن كل ما يحيط به عند لقاء المحبوب، فليت شعري من يصف مشاعر من يتحدث إلى أحب حبيب وأعظم محبوب؟

تمنى فرسان أحد وهم يغادرون تلك المقابر الطيبة، تمنوا لو كانوا فيها، بين أولئك المسافرين في النعيم.

وتمنى ﷺ لو كان مجندلًا على أرض أحد لينعم بلقاء اليوم، تحدث ﷺ بذلك وباح به لأصحابه، فازداد شوقهم وحنينهم إلى الله وإلى الجنة، وإلى هذا الحبيب الذي يبوح بمشاعره، ويقول: «**أَمَا وَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي غُودِرْتُ**[1] **مَعَ أَصْحَابِ نُحْصِ الجَبَلِ**»، يَعْنِي: سَفْحَ الجَبَلِ، يَقُولُ: «**قُتِلْتُ مَعَهُمْ**».

[مسند أحمد ٢٣/ ٢٦٩-٢٧٠ رقم ١٥٠٢٥، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن، ومجمع الزوائد رقم ١٠١١٩، وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع. وقال الشيخ العلي: فالحديث بذلك صحيح. صحيح السيرة النبوية للعلي ص ٢٣٤، و المستدرك في الجهاد (٢٤٠٧)، وفي المغازي والسرايا (٤٣١٨)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي]. [السيرة النبوية للصوياني ٢/ ٢٥١-٢٥٤].

٣٢ ـ المرأة والغزو الفكري:

يقول د/ أبو فارس: «لقد تعرض العالم الإسلامي في القرن التاسع والقرن العشرين إلى غزو فكري وغزو عسكري، ولقد كان الغزو الفكري أخطر بكثير من الغزو العسكري بل هو يمهد للغزو العسكري ويطيل بقاءه وينفذ أهدافه.

نعم إن الغزو العسكري يدركه كل الناس على اختلاف مستوياتهم الفكرية والعلمية، يدركه الجاهل والعالم، الأمي والمتعلم، فإن وجود القوات الغازية على أرض الوطن لا تحتاج إلى كبير فهم لإدراكها، أما الغزو الفكري فهو غير مرئي ولا محسوس إذا لا وجود يراه الناس بأعينهم ويسمعونه بآذانهم ويعانون من بطشه وأذاه.

والغزو الفكري يعمر كثيرًا أكثر من الغزو العسكري، فقد تنسحب جيوش الأعداء من البلاد المحتلة ويبقى الغزو الفكري عشرات السنين محتلًا لعقول الناس وعاداتهم وقلوبهم.

والغزو الفكري يجند له كثير من سكان البلاد، وهؤلاء الجنود قد لا تظهر حقيقتهم للناس، بخلاف الذي يخدم مع قوات الاحتلال العسكري، إن هؤلاء التلاميذ العملاء الأذناب في الغزو الفكري يحققون سياسة الأعداء وتخدع بهم الجماهير؛ لأنهم منهم ويتكلمون بلغتهم ويعيشون معهم.

إن هذا الغزو الفكري يستهدف إلى تشكيك المؤمنين في دينهم وتاريخهم ورسولهم وصحابته ـ رضوان الله عليهم ـ ليخلصوا إلى نتيجة قبيحة هي انسلاخ الأمة من دينها وعقيدتها وتاريخها والتنكر لأبطالها، والرضا بالأوضاع الآسنة التي صنعها أعداء هذه الأمة وأرادوا أن تترسخ فيها عادات وأعراف وقيم وأخلاق غير القيم والأخلاق الإسلامية.

---

(١) **أني غودرت**: من المغادرة، وهي الترك، أي: ليتني تُركت مع قتلى أحد، وأُبقيت فيهم، أي: ليتني استشهدت معهم، وفي النهاية٣/ ٣٤٣: المراد قتلى أحد أو غيرهم. وهو خلاف ظاهر الرواية كما لا يخفى. وفيه دلالة على زيادة شرف شهداء أحد من بين الشهداء، والله تعالى أعلم . مسند أحمد ٢٣/ ٢٧٠.

ومما يعرضه هؤلاء الغزاة الفكريون ليشككوا به الناس والمرأة بالذات قولهم: إن الإسلام قهر المرأة وكبتها وحكم عليها أن تعيش بين أربعة جدران لا تسهم في مجتمعها ولا تدافع عن أرضها وعرضها ومقدساتها، فهل حقًّا ما يُقال: إن الإسلام حرم المرأة من المشاركة في بناء المجتمع والإسهام في الحياة العلمية والاجتماعية والسياسية والعسكرية؟

وحتى لا نستطرد نحدد الحديث عن موقف الإسلام من خلال سيرة الرسول ﷺ العسكرية من مشاركة المرأة في الغزو وإسهامها في الأمور العسكرية فنقول وبالله التوفيق وعليه الاتكال:

إن الإسلام قد فرض القتال الهجومي لنشر الدعوة الإسلامية وتحطيم الأنظمة السياسية المناوئة للإسلام والمعادية له على الرجال دون النساء، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة].

وفي هذه الظروف يكون القتال فرض كفاية على الرجال دون النساء، إذًا لا تأثم المرأة المسلمة إذا لم تخرج تقاتل لنشر الإسلام؛ لأن إلزام النساء بالقتال يرهقهن ويكلفهن مالا يطقن وإنما التكليف في حدود الوسع والطاقة، وترك لها الحرية في المشاركة في ذلك، فلقد أباح الشرع الإسلامي في هذه الظروف للمرأة المسلمة أن تخرج مع الغزاة، ورتب لها الأجر على كل جهد تقوم به، سواء كان بسقي المقاتلين أو بتضميد الجرحى أو بنقل القتلى.

وفي سيرة رسول الله ﷺ شواهد كثيرة على مشاركة المرأة في الجهاد والغزو ومساعدة المقاتلين والجرحى.

ففي الهجرة حشد الطاقات من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة من أجل بناء المجتمع الإسلامي والكيان السياسي والدولة الإسلامية، وكان للمرأة المسلمة دور، إذ كانت أسماء رضي الله عنها تقوم بتزويد رسول الله ﷺ ومن معه في الغار بالماء والغذاء، وتحملت أم سلمة رضي الله عنها العنت والمشقة من أجل الهجرة وحشد الطاقات في المدينة المنورة.

وفي غزو أحد شاركت المرأة في المعركة، فلقد شاركت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، ونساء صحابيات في نقل الماء إلى المقاتلين، وسقيهم، كما سبق بيانه في عرض الغزوة.

ومن النساء اللواتي خرجن يوم أحد أيضًا أم سلمة، وأم سليم سهلة بنت ملحان، وأم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية، وحمنة بنت جحش، وأم أيمن، وأم سليط، رضي الله عنهن جميعًا، وأم سليط هذه قدمها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على زوجه أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه بسبب جهادها في أحد، فقد أشار عليه بعض الصحابة أن يعطي قرطًا جيدًا لزوجه أم كلثوم فأبى، وقال: أم سليط أحق به منها، فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد.

ولم يقف عمل المرأة وجهادها في غزوة أحد وغيرها عند سقي المحاربين وتضميد الجرحى، بل امتشقت الحسام، وجالدت الأبطال من الرجال يوم أن اقتضى الحال ذلك؛ دفاعًا عن رسول الله ﷺ، وتعرضت لأعتى هجمات المشركين، وأشرس أبطالهم كابن قميئه، فكانت طودًا أشمًّا في ثباتها على الرغم مما أصابها من الضربات القوية التي أحدث بعضها أخدودًا بعيد الغور في عاتقها.

وكان رسول الله ﷺ يراها وهي تجابه الرجال، وتقاتلهم في أحلك الظروف وأصعبها، وأحرج ساعات القتال، لا تبالي بالموت ولا تعبأ به، فأقرها رسول الله ﷺ ولم ينكر عليها، بل شجعها ودعا لها ولولدها.

وقد حدثنا رسول الله ﷺ عن جهاد أم عمارة في أحد فقال: «**مَا الْتَفَتُّ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا يَوْمَ أُحُد إِلَّا وَأَنَا أَرَاهَا تُقَاتِلِ دُونِي**». [شرح المواهب ٢/ ٤١-٤٢].

وكان الخليفتان الراشدان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يكرمانها في خلافتيهما لجهادها [صحيح البخاري متن فتح الباري ٨/ ٣٦٩]». [المدرسة النبوية العسكرية لأبي فارس ٢٤٤-٢٤٧].

٣٣ ـ توقيرنا للصحابة رضوان الله عليهم:

يقول د/ الزيد: «نستفيد من الآية [آل عمران/ ١٥٢] فائدة مهمة عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ فإن المسلم عندما يقرأ غزوة أحد، وما جرى فيها من أحداث يجب عليه أن لا يؤثر ذلك في محبة وتوقير الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ لأن ما جرى في ذلك الموقف العصيب قد انتهى بالعفو من الله عنهم بنص القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾، فما حصل انتهى وبقي لنا نحن فقط الدرس والعظة والعبرة، أمَّا أن يتحدث متحدث يريد الانتقاص من مقام أصحاب رسول الله ﷺ فيُرَدُّ عليه بالآية، فعلينا أن نحفظ مكانة صحابة رسول الله ﷺ في قلوبنا ونعرف ما لهم من حق الترضِّي والمحبة والتوقير والاحترام، ولذلك الموقف موقف مشابه، فإن آدم عليه السلام أُخرج من الجنة ولكن الله سبحانه وتعالى تاب عليه واجتباه، فانتهى ما حصل منه عليه السلام وبقي علينا أن نحذر إغواء الشيطان وتزيينه».

[فقه السيرة للزيد ٤٥٩-٤٦٠].

٣٤ ـ ما الفرق بين معصية ابن سلول ومَنْ معه، ومعصية الرماة؟:

يقول أ/ عبَّاد: «حينما عصى عبد الله بن أُبي بن سلول ومن معه وتمردوا وتركوا جيش المسلمين بمنطقة الشوط وعادوا إلى المدينة حكم الله عليهم بالنفاق بقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ۚ﴾[آل عمران: ١٦٧].

أما الرماة فقد حكم الله عليهم بالمعصية بقوله: ﴿... حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾[آل عمران].

والفرق بين الاثنين أن معصية ابن سلول وضح فيها ما يلي:

(١) أنهم خالفوا إجماع الصحابة حيث إن قرار الخروج لمقاتلة العدو جاء بعد تشاور حتى أُقر بالإجماع.

(٢) أطاعوا في بداية الأمر وساروا مع الجيش حتى إذا كانوا على مرأى ومسمع من العدو تمردوا؛ مما يؤكد أن هدفهم هو إحداث بلبلة واضطراب في صفوف الجيش لصالح الأعداء.

(٣) دوافع المخالفة كانت من قبيل المكابرة حيث قال ابن سلول: (**لقد عصاني وأطاع الولدان**).

(٤) أظهروا فرحهم وسرورهم بما حدث للمسلمين حتى قال عبد الله الأب لابنه: (**ما كان خروجك معه ـ أي الرسول ـ إلى هذا الوجه برأي، عصانا محمد وأطاع الولدان، والله لكأني أنظر إلى هذا**).

أما بالنسبة لمعصية الرماة فإنها تختلف عن معصية المنافقين لما يلي:

(١) أنهم اجتهدوا في تأويل نص رسول الله ﷺ بعد يقينهم بهرب وهزيمة جيش المشركين في قولهم: (**لم يرد الرسول أن نبقى بعد انهزام المشركين**).

(٢) أنهم أرادوا المشاركة مع إخوانهم في جمع الغنائم في قولهم: (**هؤلاء إخوانكم ينتهبون عسكرهم فادخلوا فاغتنموا مع إخوانكم ما يغتنمون**).

(٣) القرآن وضح أنها لحظة ضعف إنساني، وقد عفا الله عنهم».

[مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٢٠٦-٢٠٨].

٣٥ ـ الرجال الكُمَّل نفوسهم مرهفة الإحساس:

ويقول د/ الحميدي: «ولابد لنا هنا من أن نقف وقفة تأمل أمام هذا المشهد العظيم، فهذا حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عم رسول الله ﷺ يُقتل غدرًا من هذا الرجل الحبشي ويمثِّل الكفار بجسده، ويحزن عليه الرسول ﷺ حزنًا بالغًا، ومع ذلك ينطلق قاتله ليعيش في مكة حرًّا طليقًا لا يخشى من كيد المسلمين، ولم يخطر بباله أن رسول الله ﷺ يمكن أن يدبِّر خطة للانتقام منه؛ لأنه لم يسبق له أن فعل ذلك مع أمثاله، ولو فعله مع ذلك الرجل لم ينتطح في قتله عنزان، فهو رجل كان مملوكًا فلا قوم له بمكة ولا عشيرة، ومع ذلك فإن شيئًا من ذلك لم يحدث؛ لأن رسول الله ﷺ ـ وهو الإمام الأول للمسلمين ـ لم يكن يتصرف بدافع من الانتصار للنفس، وإنما كان يُقدم أحيانًا على تدبير المكائد للكفار إذا كانوا من الزعماء الذين يكيدون للمسلمين، فالقضاء عليهم قبل ذلك يوفر على المسلمين معارك قد تُضعف من قوتهم، أما أن يفكر في قتل رجل لا قوة له ولا عشيرة لمجرد الانتقام منه فإن ذلك لا يفيد شيئًا في نصر الإسلام ولا يوهن من كيد الكافرين.

وكون ذلك الرجل أغاظ النبي ﷺ وأحزنه صحيح، ولكن الذي يرفع هذا الحزن والغيظ هو احتساب الأجر عند الله تعالى والإيمان بأن أمَد هذه الحياة قصير، وأن هناك لقاء خالدًا في الآخرة، ورسول الله ﷺ هو أعظم من يمثل هذا المبدأ السامي.

أما قول رسول الله ﷺ لوحشي: (**فَهَل تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ عَنِّي وَجْهَكَ؟**) فهذا لا يعني شيئًا من المؤاخذة والتأثيم، وإنما هو تذكير له بأن رؤيته إياه تجلب له شيئًا من المتاعب النفسية؛ لأن ذلك يذكره بتلك المصيبة العظيمة التي كان لها في نفسه أثر بالغ، فأشار عليه النبي ﷺ بأن يغيب وجهه حتى يفقد مصدر التذكير بتلك المصيبة.

إن الرجال الكُمَّل من صفاتهم أن نفوسهم مرهفة الإحساس، يتأثرون إذا أخطأ عليهم أحد خطأ كبيرًا، ولكنهم مع ذلك يكتمون مشاعر نفوسهم فلا يتصرفون إلا بما يوافق العقل السليم، وإذا أخطؤوا على غيرهم تأثروا كثيرًا وسارعوا إلى الاعتذار ومحو أثار ذلك الخطأ، ومع ذلك يبقى في نفوسهم شيء من أثر ذلك.

وإن من رحمة الله تعالى بالإنسان أنه ينسى سريعًا، فتمر عليه المصائب فلا تخلف في نفسه أثـرًا بالغًا؛ لأنه ينساها ويُشغَل بما في حاضره، ولكن حينما يواجه مشهدًا من مشاهد تلك المصائب فإنه يتذكر حالًا في الغالب، فيحصل له شيء من التأثر النفسي إذا كان مرهف الإحساس.

والنبي ﷺ ـ وهو القدوة العظمى لأمته ـ لم يكتم ذلك ويصبر على تحمل الآثار النفسية كلما واجه ذلك الرجل؛ لأنه مشرع للأمة، وكلمته هذه التوجيهية تبين أن شعور الإنسان بالألم والحزن عند تذكر المصيبة لا يعني نقصًا في الإيمان بقضاء الله تعالى وقدره، ولا ضعفًا في الصبر على الأذى؛ لأن ذلك أمر جبلِّي فطر الله الإنسان عليه، فلا يملك محوه في نفسه، وإنما يملك جوارحه أن تقول أو تفعل مالا يليق.

لقد كان رسول الله ﷺ إذًا يتحمل الكثير من الآلام النفسية من مواجهة عتاة الكفر الذين كانوا يواجهونه بأنواع من الأذى النفسي والجسمي ثم يرى وجوههم مع كل صباح ومساء.

ولقد ظل طويلًا يذكر ما واجهه به عتاة ثقيف حينما خرج لدعوتهم لما سألته عائشة ﵂ عن أشد يوم مرَّ عليه كما سبق». [**التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٤٠-١٤٢**].

ويقول الشيخ عرجون: «أما قول النبي ﷺ لوحشي: «**فَهَل تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ عَنِّي وَجْهَكَ؟**»، فالمقصود به أن النبي ﷺ أراد أن لا تُحرك رؤيته وحشيًّا في نفسه ذكريات حادث القتل وما تبعه من تمثيل شنيع بشع، فتثير عنده حزازات بشرية، ربما لا يكون من المستطاع منعها ومقاومتها إلا بشيء من العسر والعنت الشديد، مما قد يشغل النبي ﷺ ويقلقه.

وقد يؤدي ذلك إلى تحريك الحزازات النفسية عند من لا يملك ثورة نفسه إذا تمثلت له أحداث قتل حمزة ﵁، وبشاعة التمثيل به إلى أن يحدث في صفوف المجتمع المسلم ما لا تُحمد عقباه من الأمور المنافية لسماحة الدعوة وتسامحها في سبيل وحدة كلمة المجتمع المسلم». [**محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٣/ ٦٠٢-٦٠٣**].

المبحث الثالث

الدروس الفقهية

١ ـ تقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة:

يقول د/ بامدحج: «**المصلحة**: هي المنفعة التي قصدها الشارع الحكيم لعباده من حفظ دينهم ونفوسهم وعقولهم ونسلهم وأموالهم طبق ترتيب معين فيما بينها.

[ضوابط المصلحة ـ د/ محمد رمضان سعيد البوطي ص٢٣ ـ ط٤ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠٢ هـ].

فإذا نظرنا إلى كليات الدين الخمس وأهميتها وجدنا أن هذه الكليات متدرجة حسب الأهمية: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، فما به يكون حفظ الدين مقدم على ما به يكون حفظ النفس عند تعارضهما، وما به يكون حفظ النفس مقدم على ما به يكون حفظ العقل، وما به يكون حفظ النسل مقدم على ما به حفظ المال، والترتيب بهذا الشكل من هذه الكليات يحظى باتفاق العلماء. [المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ـ د/ يوسف حامد العالم ص١٦٦ ـ ط٢ الدار العالمية للكتاب الإسلامي ـ الرياض ١٤١٥هـ/ ١٩٩٣م].

إن مصلحة الدين أساس للمصالح الأخرى ومقدمة عليها، ويجب التضحية بما سواها في سبيل المحافظة عليها وإلغاء ما يعارضها من المصالح الأخرى [ينظر: المرجع السابق، ص١٤٦].

ولذا نرى أن الدعوة الإسلامية جعلت مصلحة الدين في قمة المصالح، بل جعلتها في مقدمة كليات الدين الخمس، وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة قاعدة مهمة في الدعوة الإسلامية، بل إن هذه القاعدة من أهم القواعد وأعمقها جذورًا في الفقه الإسلامي، وقد أولاها الفقهاء عناية بالغة، فأفاضوا في شرحها والتفريع عليها؛ لأن شطرًا كبيرًا من الأحكام الشرعية يدور حول هذه القاعدة.

وقد وردت في القرآن الكريم عدة آيات تدل على تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، وهي قاعدة جليلة نبه إليها الله ﷻ في كتابه العزيز، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾[التوبة].

فالجهاد والإيمان بالله أفضل من سقاية الحاج، وعمارة المسجد الحرام بدرجات كثيرة؛ لأن الإيمان أصل الدين، وبه تُقبل الأعمال، وتزكو الخصال.

وأما الجهاد في سبيل الله، فهو ذروة سنام الدين، وبه يُحفظ الدين الإسلامي، ويتسع، وينصر الحق، ويزهق الباطل. [تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ ابن سعدي ٣/ ٢١].

فإن كانت سقاية الحاج تروي عطش مجموعة من الناس، وعمارة المسجد الحرام تؤوي مجموعة أيضًا، فلا شك أن الجهاد يحمي به الله هذا الدين من أعدائه المتربصين به، وهي مصلحة لا تختص بفئة ولا بمجموعة، وإنما بالأمة الإسلامية جمعاء.

وقال تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [النساء]، أي لا يستوي من جاهد من المؤمنين بنفسه وماله، وقدَّم مصلحة الدين العامة على مصلحة نفسه الخاصة ومن لم يجاهد في سبيل الله.

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة].

وقد تحدث عدد من العلماء عن قاعدة تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة فقال الشاطبي رحمه الله: «الضابط في ذلك التوازن بين المصلحة والمفسدة فما رجح منها غلب، وإن استويا كان محل إشكال، وخلاف بين العلماء قائم من مسألة انخرام المناسبة تلزم راجحة أو مساوية».

[الموافقات للشاطبي ٢/ ٦٥١ ـ دار المعرفة ـ بيروت ١٤١٥ هـ].

وقال العز بن عبد السلام رحمه الله: «وتقديم المصالح الراجحة على المرجوحة محمود حسن، ودرء المفاسد الراجحة على المفاسد المرجوحة محمود حسن، اتفق الحكماء على ذلك، وكذلك الشرائع، فإن تساوت الرتب تخير، وإن تفاوتت الرتب استعمل الترجيح عند عرفانه». **[قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام ١/ ٦-٧].**

وقال في موضع آخر: «والضابط أنه مهما ظهرت المصلحة الخلية عن المفاسد يسعى في تحصيلها، ومهما ظهرت المفاسد الخلية عن المصالح يسعى في درئها». **[المرجع السابق ١/ ٤٧].**

وقد برزت قضايا فيها تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة من خلال أحداث غزوة أُحد منها:

ـ **مشروعية الجهاد في سبيل الله:** فقد دلت الأدلة على أن مصلحة حفظ الدين مُقَدَّمة على مصلحة حفظ النفس، كذلك الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، فيه مفسدة للنفس والمال، وفيه مصلحة عامة وهي حفظ الدين؛ لذلك فهي مقدمة على المصلحة الخاصة وهي حفظ النفس والمال؛ ولذا شُرع الجهاد في سبيل الله.

ـ **تعرض النبي ﷺ عند اشتداد المعركة لإصابات خطيرة:** فرموه بحجر فكسر أنفه الشريفة ورباعيته، وشجه في وجهه الكريم فأثقله وتفجر الدم منه.

[**فتح الباري لابن حجر ٧/ ٤٠٢، وينظر: فقه السيرة للغزالي ص ٢٩٤**].

كل ذلك لأنه ﷺ كان يبين لمن بعده من الدعاة أن ما فيه مصلحة للدين وحماية له مُقَدَّم على ما فيه مصلحة للشخص.

ـ و ما جاء في قصة طلحة رضي الله عنه في تتريسه على رسول الله ﷺ بنفسه، و قوله: **(نحري دون نحرك)**، ووقايته له حتى شُلَّت يده، ولم ينكر ذلك رسول الله ﷺ، وإيثار النبي ﷺ غيره على نفسه في مبادرته للقاء العدو دون الناس، حتى يكون متقى به، ووجه عموم المصلحة هنا في مبادرته ﷺ بنفسه ظاهر؛ لأنه كان كالجُنَّة للمسلمين، و في قصة أبي طلحة رضي الله عنه أنه كان وقى بنفسه من يعم بقاؤه مصالح الدين وأهله، وهو النبي ﷺ، وأما عدمه فتعم مفسدته الدين وأهله. [**الموافقات للشاطبي ٢/ ٦٤٦**].

ـ ثم أتى عمرو بن الجموح رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت إن قاتلتُ في سبيل الله حتى أُقتل، أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة ـ و كانت رجله عرجاء ـ فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، فقتلوه.

فهذا الصحابي رضي الله عنه يؤثر الدعوة الإسلامية على نفسه وعلى أهله.

وتأتي قصة حنظلة رضي الله عنه كشاهد آخر على تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، حيث كان عروسًا ليلة غزوة أُحد، فسمع النداء بالخروج فعجَّل بالخروج ولم يغتسل فقاتل رضي الله عنه، وجاهد جهاد الأبطال، وقُتل وهو يقاتل.

وكذلك موقف أنس بن النضر رضي الله عنه حين أشيع مقتل رسول الله ﷺ.

وعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ: مَرَّ رَسُولُ الله ﷺ بِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي دِينَارٍ، وَقَدْ أُصِيبَ زَوْجُهَا وَأَخُوهَا وَأَبُوهَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بِأُحُدٍ، فَلَـمَّا نُعُوا لَهَا، قَالَتْ: **فَمَا فَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ**؟ قَالُوا: **خَيْرًا يَا أُمَّ فُلَانٍ! هُوَ بِحَمْدِ الله كَمَا تُحِبِّينَ**، قَالَتْ: **أَرُونِيهِ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ**؟ قَالَ: فَأُشِيرَ لَهَا إِلَيْهِ حَتَّى إِذَا رَأَتْهُ قَالَتْ: **كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ**، تُرِيدُ صَغِيرَةً». [**السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٩٩**].

وفي غزوة أُحد تطبيق عملي آخر من الرسول ﷺ نفسه، أراد الرسول الكريم ﷺ من خلاله أن يبين للدعاة أنه إذا تعارضت مصلحة الدعوة ـ وهي مصلحة عامة للأمة ـ مع مصلحة خاصة، فعند ذلك تُقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، فالرسول ﷺ حينما مر بالجيش في أرض المنافق مربع بن قيظي وترتب على ذلك إفساد المزرعة لكن فيه مصلحة للجيش باختصار الطريق لهم إلى أُحد.

وقد أراد النبي ﷺ أن يبين للدعاة من بعده أن ما يكون به مصلحة للدين مُقَدَّم على ما سواه من المصالح الأخرى، فهناك تعارضت مصلحتان: مصلحة عامة ومصلحة خاصة، ومصلحة الدين في هذا الموقف مصلحة عامة وهي مُقَدَّمة على المصلحة الخاصة وهي مصلحة المال.

وفي مجال تطبيق هذا المبدأ، نجد أن الإسلام أباح نزع ملكية بعض الناس، توسعة لطريق أو مجرى، أو غير ذلك من المنافع العامة. [**دعوة الفطرة ـ د/ يوسف أبو هلالة ص ١٣٥ ـ دار العاصمة بالرياض ١٤٠٨هـ**].

ويمكن أن نستنبط أنه يجوز للمجاهدين مجتمعين أن يأخذوا طرقهم، ولو في أرض مملوكة ملكًا خاصًّا، كما اجتاز النبي ﷺ بجيشه أرض المنافق، ولم يلتفت إلى اعتراض صاحب المزرعة؛ لأن المِلك الخاص له حق الصيانة، إلا إذا ترتب على الحقوق الخاصة ضرر عام، فإذا لم يكن للجيش طريق إلا المِلك الخاص، لم يمنع من سلوكه مهما يكن اعتراض صاحبه؛ ولذلك لم يلتفت النبي ﷺ إلى اعتراض الأعمى صاحب الحديقة، وقال: «**إنه أعمى البصر أعمى البصيرة**». [**خاتم النبيين ﷺ لأبي زهرة ٢/ ٧٣٢**].

وإذا نظرت إلى سنة الرسول ﷺ وقضاياه، وجدتها سارية على هذا المنهج ومقررة لهذا المبدأ العظيم، فعلى سبيل المثال ما رواه أهل السنن: عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ ﷺ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ عَضُدٌ مِنْ نَخْلٍ فِي حَائِطِ رَجُلٍ مِنْ الأَنْصَارِ، قَالَ: وَمَعَ الرَّجُلِ أَهْلُهُ، قَالَ: فَكَانَ سَمُرَةُ ﷺ يَدْخُلُ إِلَى نَخْلِهِ فَيَتَأَذَّى بِهِ وَيَشُقُّ عَلَيْهِ، فَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَبِيعَهُ فَأَبَى، فَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يُنَاقِلَهُ فَأَبَى، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَطَلَبَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَبِيعَهُ فَأَبَى، فَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يُنَاقِلَهُ فَأَبَى، قَالَ: **فَهِبْهُ لَهُ وَلَكَ كَذَا وَكَذَا أَمْرًا رَغَّبَهُ فِيهِ**، فَأَبَى، فَقَالَ ﷺ: «**أَنْتَ مُضَارٌّ**»، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِلأَنْصَارِيِّ: «**اذْهَبْ فَاقْلَعْ نَخْلَهُ**». [**الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢٨/ ١٠٤، وقال محققا الفتاوى: رواه أبو داود في كتاب الأقضية باب من القضاء رقم ٣٦٣٦ عن سمرة بن جندب ﷺ، وضعفه الألباني، ولم نقف عليه عند غير أبي داود. مجموعة الفتاوى ٢٨/ ٦٢ ـ ط٢ دار الوفاء ـ المنصورة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م**].

هذا إذا كان الوضع بالنسبة إلى النفس والمال والعرض ... فما بالك إذا كانت لمصلحة الدين.

وأنكر الله ﷻ على الصحابة من الرماة ﷺ الذين تركوا مواقعهم وذهبوا لجمع الغنائم؛ لأنهم آثروا مصلحة أنفسهم الخاصة على المصلحة العامة وهي حماية الدين قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾[آل عمران].

قال القرطبي ﷺ: «ومعنى ﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ﴾ اختلفتم، يعني الرماة حين قال بعضهم لبعض: نلحق الغنائم، وقال بعضهم: بل نثبت في مكاننا الذي أمرنا النبي ﷺ بالثبوت فيه...

وألفاظ الآية تقتضي التوبيخ لهم، ووجه التوبيخ لهم أنهم رأوا مبادئ النصر، فكان الواجب أن يعلموا أن تمام النصر في الثبات لا في الانهزام، ثم بيَّن التنازع فقال: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني الغنيمة.

قال ابن مسعود ﵁: ما شعرنا أن أحدًا من أصحاب النبيِّ ﷺ يريد الدنيا وعرضها حتى كان يوم أُحُد». [تفسير القرطبي ٤/ ١٥٢-١٥٣]. [غزوة أُحد لبامدحج ١٦٢-١٧٠].

٢ ـ حكم الخيلاء في حالة الحرب:

يقول د/ خير هيكل: «يقول الإمام القرطبي: «وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾[الإسراء: ٣٧] هذا نهى عن الخيلاء وأمر بالتواضع... وقد يكون التكبر وما في معناه محمودًا، وذلك على أعداء الله والظلمة». [الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/ ٢٦٠-٢٦١].

وجاء في تفسير الآلوسي: «﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: فخرًا، وكبرًا قاله قتادة... ثم إن الاختيال في المشي كبيرة كما تدل عليه الأحاديث الصحيحة، وهذا فيما عدا بين الصفين! أما بينهما فهو مباح لخبر صح فيه». [روح المعاني للآلوسي ١٥/ ٧٥].

هذا ويقول الآلوسي ما نصه: «لَطَفَ الله بإباحة اختيال المجاهد بين الصفين، وإباحة الفخر بنحو المال لمقصد حسن». [روح المعاني للآلوسي ٢١/ ٩٠].

ويقول ابن حجر: «وَفِيهِ: جَوَازُ الِانْتِسَابِ إِلَى الآبَاءِ، وَلَوْ مَاتُوا فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَالنَّهْيُ عَنْ ذَلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى مَا هُوَ خَارِجَ الحَرْبِ، وَمِثْلُهُ الرُّخْصَةُ فِي الخُيَلَاءِ فِي الحَرْبِ دُونَ غَيْرِهَا». [فتح الباري ٨/ ٣٢].

هذا وفي منتقى الأخبار، وشرحه نيل الأوطار، تحت عنوان (بَابُ اسْتِحْبَابِ الخُيَلَاءِ فِي الحَرْبِ) ورد الحديث التالي: «**إِنَّ مِنْ الغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللهُ، وَمِنْ الغَيْرَةِ مَا يَبْغُضُ اللهُ، وَإِنَّ مِنْ الخُيَلَاءِ مَا يُحِبُّ اللهُ، وَمِنْهَا مَا يَبْغُضُ اللهُ، فَأَمَّا الغَيْرَةُ الَّتِي يُحِبُّهَا اللهُ، فَالغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ، وَأَمَّا الغَيْرَةُ الَّتِي يُبْغِضُ اللهُ، فَالغَيْرَةُ فِي غَيْرِ الرِّيبَةِ**[(١)]**، وَالخُيَلَاءُ الَّتِي يُحِبُّ اللهُ فَاخْتِيَالُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ عِنْدَ القِتَالِ، وَاخْتِيَالُهُ عِنْدَ الصَّدَقَةِ، وَالخُيَلَاءُ الَّتِي يُبْغِضُ اللهُ فَاخْتِيَالُ الرَّجُلِ فِي الفَخْرِ**[(٢)] **وَالبَغْي**[(٣)]». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيُّ. [الحديث ورد في عدد من كتب السنة. منها سنن البيهقي ٩/ ١٥٦ وسنن أبي داود (٢٦٥٩) وقال عنه الألباني: حسن].

---

(١) «نحو أن يغتار الرجل على أمه أن ينكحها زوجها، وكذلك سائر محارمه، فإن هذا مما يبغضه الله تعالى؛ لأن ما أحله الله فالواجب علينا الرضا به، فإن لم نرض به كذلك من إيثار حمية الجاهلية على ما شرعه الله لنا». نيل الأوطار ٧/ ٢٥٧-٢٥٨.

(٢) «نحو أن يذكر ما له من الحسب والنسب، وكثرة المال، والجاه، والشجاعة والكرم، لمجرد الافتخار، ثم يحصل منه الاختيال عند ذلك، فإن هذا الاختيال مما يبغضه الله تعالى؛ لأن الافتخار في الأصل مذموم، والاختيال مذموم فينضم قبيح إلى قبيح». نيل الأوطار ٧/ ٢٥٨.

(٣) «نحو أن يذكر الرجل أنه قتل فلانًا، وأخذ ماله ظلمًا، أو يصدر منه الاختيال حال البغي على مال الرجل أو نفسه، فإن هذا يبغضه الله؛ لأن فيه انضمام قبيح إلى قبيح». نيل الأوطار ٧/ ٢٥٨.

ويقول الشوكاني: «اخْتِيَالُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ عِنْدَ القِتَالِ مِنْ الخُيَلَاءِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللهُ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ التَّرْهِيبِ لِأَعْدَاءِ اللهِ وَالتَّنْشِيطِ لِأَوْلِيَائِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ لِأَبِي دُجَانَةَ ﷺ لَـمَّا رَآهُ يَخْتَالُ عِنْدَ القِتَالِ: «**إِنَّ هَذِهِ مِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْطِنِ**»، وَكَذَلِكَ الِاخْتِيَالُ عِنْدَ الصَّدَقَةِ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا كَانَ مِنْ أَسْبَابِ الِاسْتِكْثَارِ مِنْهَا وَالرُّغُوبِ فِيهَا». [**نيل الأوطار ٧/ ٢٥٨**].

هذا، وما أشار إليه الشوكاني من اختيال أبي دجانة ﷺ ورد في سيرة ابن هشام وغيره على النحو الذي سبق في عرض الغزوة.

هذا ويدخل في باب الخُيلاء العسكرية بصفتها نوعًا من الحرب النفسية الموجَّهة ضد العدو، يدخل في هذا الباب ما كان يفعله النبي ﷺ وصحبه ﷺ، ومن بعدهم، من الاهتمام بأسلحتهم، وآلاتهم الحربية، إذ يكسونها بالحُلي الفضية، أو يعلقون تلك الحلي عليها، وكأنها عرائس تُجْلى لأقرانها، وتُزيَّن للاحتفال بأعراسها... وما أعراسُها إلا حلبات القتال، وميادين الحرب، حيث تعانق الأقران، وترقص فوق الرؤوس والأعناق!

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: «كَانَ نَعْلُ سَيْفِ (هي الحديدة التي تكون في أسفل القراب، غمد السيف) رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ فِضَّةٍ، وَقَبِيعَةُ (كسفينة، ما على طرف مقبضه من فضة أو حديد) سَيْفِهِ فِضَّةٌ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ حِلَقُ فِضَّةٍ».

[**النسائي في الزينة (٥٣٧٤). وقال الشيخ الألباني: (صحيح)، وبنحوه في أبي داود (٢٥٨٣)، و الترمذي (١٦٩١)**].

وفي صحيح البخاري: «عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ (عُرْوَةِ بنِ الزُّبَيْرِ) قَالَ: كَانَ سَيْفُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ﷺ مُحَلًّى بِفِضَّةٍ، قَالَ هِشَامٌ: وَكَانَ سَيْفُ عُرْوَةَ مُحَلًّى بِفِضَّةٍ»[(١)].

---

(١) صحيح البخاري رقم (٣٩٧٤) فتح الباري ٧/ ٢٩٩ هذا، وفي صحيح البخاري، أيضًا ـ من جهة أخرى ـ عن أبي أمامة ﷺ: «لقد فتح الفتوح قوم ما كانت حلية سيوفهم الذهب ولا الفضة، وإنما كانت حليتهم العلابي، والآنك، والحديد ...» رقم (٢٩٠٩) فتح الباري ٦/ ٩٥. وجاء في الفتح: «العلابي: الجلود الخام التي ليست بمدبوغة، والآنك: وهو الرصاص، وفي هذا الحديث: أن تحلية السيوف، وغيرها من آلات الحرب بغير الذهب والفضة أولى . وأجاب من أباحها: بأن تحلية السيوف بالذهب والفضة إنما شرع لإرهاب العدو! وكان لأصحاب رسول الله ﷺ عن ذلك غنية، لشدتهم في أنفسهم، وقوتهم في إيمانهم». فتح الباري ٦/ ٩٦.

أقول: ويوفق بين هذا الحديث وما قبله من أحاديث صحيحة تفيد غير هذا ـ بأن تحلية السيوف بالفضة كانت موجودة، على عهد الصحابة، ولكنها قليلة، ولم تكن ظاهرة عامة، بحيث أن أبا أمامة ﷺ لم يطلع عليها أو قد اطلع عليها، ولكن لقلتها كأنها في حكم المعدومة؛ ولذا يصح قوله بأن من فتحوا الفتوح لم تكن حلية سيوفهم الفضة .. فالنفي هنا مسلط على ما هو الأغلب الظاهر! إذ لم يكن من الظاهر الغالب عليهم تلك التحلية. وقصده من هذا: أن يصرف اهتمام المجاهدين عن هذه الأمور الهامشية ... فالله ﷻ قد هيأ الفتوح لأصحابه بإيمانهم، ونصرتهم لدينهم، لا بتزيينهم لآلاتهم الحربية!

وينظر في تحلية آلات الحرب بالفضة: الفقه الإسلامي وأدلته للدكتور وهبة الزحيلي ٣/ ٥٤٥- ٥٤٦.

بل يرى بعض الفقهاء جواز لبس الحرير للرجال في الحرب، بقصد إرهاب العدو، وإن ذلك مما يدخل في هذا الباب الذي نحن فيه . ينظر: زاد المعاد لابن القيم ٣/ ٤٨٨. وفتح الباري ٦/ ١٠١.

وبعد، فخلاصة القول أنَّ مما هو محظور ـ في الحالات العامة ـ من الفخر والخيلاء يُباح في الحرب، وما إليها، أو يُستحب». [**الجهاد والقتال لخير هيكل ٢/ ١١٤٥-١١٤٨**].

ويقول د/ البوطي في التعليق على تبختر أبي دجانة ﷺ بين الصفين مما يعتبر خلاصة لما تقدم تفصيل القول فيه: «وهذا يدل على أن كل مظاهر الكبر المحرمة في الأحوال العادية، تزول حرمتها في حالات الحرب، فمن مظاهر الكبر المحرمة أن يسير المسلم في الأرض مرحًا متبخترًا، ولكن ذلك في ميدان القتال أمر حسن وليس بمكروه، ومن مظاهر الكبر المحرمة تزيين البيوت أو الأواني أو القدح بالذهب و الفضة، غير أن تزيين آلات الحرب وأسلحتها بالفضة غير ممنوع، فمظهر الكبر هنا هو افتخار بعزة الإسلام على أعدائه، ثم هو معنى من معاني الحرب النفسية التي ينبغي أن لا تفوت المسلمين أهميتها».

[**فقه السيرة للبوطي ١٩١-١٩٢**].

ويقول أ/ عبَّاد: «ولذلك أجاز العلماء صبغ الشَّعْر وتغيير الشيب من أجل إرهاب العدو، فقال النووي: يمنع المحتسب (الحاكم) الناس من خضاب الشيب بالسواد إلا المجاهد».

[**مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد٧٢**].

٣ ـ أهمية التمسك بالنص الشرعي وضرر الاجتهادات الشخصية في مقابلته:

يقول د/ الزيد: «من قول بعض الرماة: «**ماذا تنتظرون؟ ظهر أصحابكم**» مع سَبْقِ وصية الرسول ﷺ لهم بأن لا يبرحوا أماكنهم سواء ظهر المسلمون على المشركين أو العكس، نأخذ أهمية التمسك بالنص الشرعي وضرر الاجتهادات الشخصية في مقابلة النصوص الشرعية، فما دام هناك أمر من الرسول ﷺ فينبغي الوقوف عنده وعدم التعويل على شيء من الآراء والاجتهادات الشخصية التي لا تقوم أمام النص». [**فقه السيرة للزيد ٤٥١**].

٤ ـ حق القائد في الطاعة، وحدودها [(١)]:

أولاً: حول الطاعة:

أ ـ معنى الطاعة: جاء في «المصباح المنير»: «ولا تكون الطاعة إلا عن أمر، كما أن الجواب لا يكون إلا عن قول، يُقال: أمره فأطاع، وقال ابن فارس: إذا مضى لأمره فقد أطاعه، وإذا وافقه فقد طاوعه».

[**المصباح المنير ص١٤٤**].

وقال القرطبي في تفسيره: «حقيقة الطاعة: امتثال الأمر، كما أن المعصية ضدها، وهي مخالفة الأمر، والطاعة مأخوذة من أطاع إذا انقاد، والمعصية مأخوذة من عصى إذا اشتد...».

[**الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/ ٢٦١**].

هذا هو معنى الطاعة: امتثال الأوامر، واستجابة المأمور لما يريده صاحب الأمر.

---

(١) الجهاد والقتال لخير هيكل ٢/ ١٠٩٦-١١٠٥ بتصرف يسير.

ب ـ **الحكم الشرعي في الطاعة:** المراد بالطاعة فيما نحن بصدده هو طاعة الأنظمة والقوانين والأوامر الصادرة من قيادات الجيش إلى الأفراد الخاضعين لتلك القيادات سواء فيما يتعلق بتدبير شؤون الجيش في وقت السلم، أو تدبير شؤون القتال في وقت الحرب ـ ما الحكم الشرعي في هذه الطاعة؟

الجواب: هو الوجوب، والدليل على ذلك هو القرآن والسنة.

أما القرآن، فالدليل على وجوب الطاعة المعنية فيه هو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: ٥٩].

يقول الإمام النووي في حكم الطاعة: «أَجْمَعَ العُلَمَاءُ عَلَى وُجُوبِهَا فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَعَلَى تَحْرِيمِهَا فِي المَعْصِيَةِ، نَقَلَ الإِجْمَاعَ عَلَى هَذَا القَاضِي عِيَاضٌ، وَآخَرُونَ». [**شرح صحيح مسلم ٨/ ٣٠**].

ويقول أيضًا في بيان المراد بـ «أولي الأمر» الذي تجب طاعتهم بمقتضى الآية السابقة، يقول ما نصه: «قَالَ العُلَمَاءُ: المُرَادُ بِأُولِي الأَمْرِ مَنْ أَوْجَبَ اللهُ طَاعَتَهُ مِنْ الوُلَاةِ وَالأُمَرَاءِ، هَذَا قَوْلُ جَمَاهِيرِ السَّلَفِ وَالخَلَفِ مِنْ المُفَسِّرِينَ وَالفُقَهَاءِ وَغَيْرِهِمْ، وَقِيلَ: هُمْ العُلَمَاءُ، وَقِيلَ: الأُمَرَاءُ وَالعُلَمَاءُ».

[**شرح صحيح مسلم ٨/ ٣٠**].

وأما ما جاء في السنة النبوية بهذا الصدد ـ فنصوص كثيرة منها:

ما ورد في صحيح البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنْ اسْتُعْمِلَ** [(١)] **عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ** [(٢)]». [**البخاري (٧١٤٢) فتح الباري ١٣/ ١٢١**].

وما جاء في البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ يُطِعْ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي، وَإِنَّمَا الإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللهِ وَعَدَلَ، فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا، وَإِنْ قَالَ بِغَيْرِهِ فَإِنَّ عَلَيْهِ مِنْهُ**».

[**البخاري في الجهاد (٢٩٥٧)، ومسلم في الإمارة (٣٤١٧، ٣٤٢٨)**].

هذا، وكما أشار الإمام النووي إلى أن أولي الأمر ـ بمعنى أصحاب السلطة السياسية ـ هي مما أجمع العلماء على وجوبها، فقد تواردت أقوالهم على التصريح بذلك.

جاء في السير الكبير وشرحه، في حكم طاعة أولي الأمر ما لفظه: «فرضية الطاعة ثابتة بنص مقطوع به». [**السير الكبير وشرحه ١/ ١٦٥**].

---

(١) «أي: جُعل عاملًا بأن أمِّر إمارة عامة على البلد مثلًا، أو وُلي منها ولاية خاصة، كالإمامة في الصلاة، أو جباية الخراج، أو مباشرة الحرب» فتح الباري ١٣/ ١٢٢.

(٢) «قيل شبهه بذلك لصغر رأسه، وذلك معروف في الحبشة، وقيل: لسواده: وقيل: لقصر شعر رأسه وتفلفله» فتح الباري ٢/ ١٨٢.

ـ وجاء في حاشية ابن عابدين: «وَيَنْبَغِي لِلإِمَامِ أَنْ يَعْرِضَ الجَيْشَ عِنْدَ دُخُولِ دَارِ الحَرْبِ لِيَعْلَمَ الفَارِسَ مِنْ الرَّاجِلِ.

قَالَ فِي شَرْحِهِ: وَأَنْ يَكْتُبَ أَسْمَاءَهُمْ وَأَنْ يُؤَمِّرَ عَلَيْهِمْ مَنْ كَانَ بَصِيرًا بِأُمُورِ الحَرْبِ وَتَدْبِيرِهَا، وَلَوْ مِنْ المَوَالِي وَعَلَيْهِمْ طَاعَتُهُ؛ لِأَنَّ مُخَالَفَةَ الأَمِيرِ حَرَامٌ إلَّا إذْ اتَّفَقَ الأَكْثَرُ أَنَّهُ ضَرَرٌ فَيُتَّبَعُ».

[حاشية ابن عابدين ٣/ ٣٦١].

ـ وفي الأحكام السلطانية للماوردي، وفي نظيره للفراء ـ أن هناك عدة أمور تلزم أفراد الجيش في حق الأمير عليهم، جاء في ذلك ما نصه:

«أحدها: التزام طاعته، والدخول في ولايته...

والثاني: أن يفوضوا الأمر إلى رأيه، ويكلوه إلى تدبيره.

والثالث: أن يسارعوا إلى امتثال الأمر، والوقوف عند نهيه، وزجره؛ لأنها من لوازم طاعته، فإن توقفوا عما أمرهم به، وأقدموا على ما نهاهم عنه، فله تأديبهم على المحافظة بحسب أحوالهم ولا يغلظ».

[الأحكام السلطانية للماوردي ص٤٨، ونحوه باختلاف يسير: الأحكام السلطانية للفراء ص٣٠- ٣١].

هذا فيما يتعلق بالحكم الشرعي في الطاعة.

ج ـ دور وجوب طاعة الجيش لقياداته في إيجاد الانضباط العسكري لدى أفراده:

لا قيمة لجيش دون أن يهيمن عليه الانضباط العسكري.. ذلك الانضباط الذي يقوم ـ كما يقول المختصون بالشؤون العسكرية: «على الطاعة، والسلوك السليم، حتى في غيبة الأوامر، وبدون الحاجة إلى رقيب، وفي جميع الظروف».

[المدخل إلى العقيدة والإستراتيجية العسكرية الإسلامية ـ ل/ محمد جمال الدين علي محفوظ ص٢٩١].

ولهذا، لم تكن الطاعة لأنظمة الجيش وقوانينه مجرد أمر مستحب، أو مندوب إليه، ولو كانت لما أثمرت ذلك الانضباط المنشود، بل كانت تلك الطاعة أمرًا واجبًا لا رخصة فيه.. حتى لقد جُعلت طاعة «أولي الأمر» في كل المجالات، ومنها مجال الجيش، والجهد قرينة لطاعة الله ﷻ وطاعة رسول الله ﷺ.

هذا، والشأن في المسلم أن الذي يحدده سلوكه في أي نشاط يمارسه في الحياة هو مفاهيمه التي يحملها في عقله عن ذلك النشاط، والشعور النفسي الذي يحمله صدره تجاهه أيضًا، وهذا الشعور وتلك المفاهيم إنما توجد لدى المسلم بأخذه للأحكام الشرعية التي تنظم سلوكه في ممارسة نشاطاته، واعتقاده بأن مصدر تلك الأحكام الوحيد هو الوحي عن الله ﷻ، المتمثل بما جاء في الكتاب والسنة، وما إليهما.

ومن هنا، فالحكم الشرعي في وجوب طاعة أفراد الجيش لقياداتهم إنما هو مرتبط في عقولهم ووجدانهم بالعقيدة الإسلامية.. فلا غرابة، بعد هذا، أن يؤدي هذا الحكم الشرعي دوره في إيجاد

الانضباط العسكري القائم على الطاعة والسلوك السليم، ما دام هذا الانضباط هو، في النهاية، مما تمليه العقيدة الإسلامية على أصحابها.

هذا، وحين يلاحظ وجود ثغرات أو انحرافات في هذا الانضباط ـ فإنها تعالج على حسب الخلل الذي دفع إليها، فإن كان الخلل هو في العقيدة عولجت منطقة الإيمان لدى الإنسان.. وإن كان الخلل هو وجود فورات طائشة، أو وساوس شيطانية، ونحوها.. كانت معالجتها بالعقوبة الزاجرة.

وخلاصة القول: أن الانضباط العسكري أمر أساسي في الجيش لا ينبغي التهاون فيه، والكفيل بإيجاده هو كون الطاعة أمرًا واجبًا في الشرع كوجوب الصلاة، وأن هذا الوجوب هو مما تمليه العقيدة الإسلامية، فإن حدث خلل في الانضباط جرت المعالجة على حسب ما سبق بيانه.

ثانيًا: من الذي تجب طاعته في الجيش الإسلامي؟:

الطاعة ـ حسب نظام الحكم في الإسلام ـ إنما تجب لخليفة المسلمين، أو إمامهم، وهو من **تسلَّم السلطة السياسية بطريق شرعي.**

ففي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمْ**[1] **الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَتَكُونُ خُلَفَاءُ تَكْثُرُ**»، **قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟** قَالَ: «**فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ**[2]**، وَأَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ**».

[مسلم (١٨٢٤)، والبخاري (٣٤٥٥) فتح الباري ٦/ ٤٩٥].

هذا، والحق الذي يجب إعطاؤه للخليفة الشرعي هو ما يقتضيه الوفاء بالبيعة وهو الطاعة.

وفي صحيح مسلم أيضًا عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ... وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنْ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ**[3]».

[مسلم (١٨٤٤). و«صفقة يده: كناية عن البيعة والعهد.. وثمرة قلبه: كناية عن الإخلاص فيما عاهده عليه». جامع الأصول ٤/ ٦٨].

---

(١) «أي: يتولون أمورهم كما تفعل الأمراء والولاة بالرعية. والسياسية: القيام على الشيء بما يصلحه». شرح النووي على صحيح مسلم ٨/ ٣٩.

(٢) «معنى الحديث: إذا بويع لخليفة بعد خليفة فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها، وبيعة الثاني باطلة، يحرم الوفاء بها ويحرم عليه طلبها، وسواء الذين عقدوا للثاني عالمين بعقد الأول، أو جاهلين، وسواء كانا في بلدين، أو بلد، أو أحدهما في بلد الإمام المنفصل، والآخر في غيره ..». شرح النووي على صحيح مسلم ٨/ ٤٠.

(٣) «معناه: ادفعوا الثاني فإنه خارج على الإمام، فإن لم يندفع إلا بحرب وقتال فقاتلوه، فإن دعت الحاجة إلى قتله جاز قتله، ولا ضمان فيه؛ لأنه ظالم متعد في قتاله». شرح النووي على مسلم ٨/ ٤٣.

وعلى هذا، فإمام المسلمين أو خليفتهم هو القابض على كل سلطة في البلاد ومنها سلطة القيادة في الجيش، وذلك حسب ما يدل عليه حصر الطاعة الواجبة في شخص الخليفة أو الإمام، بصورة مطلقة ـ في الحدود المشروعة بطبيعة الحال ـ وتلك الطاعة الواجبة عامة في كل المجالات بما يشمل قيادة الجيش، سواء في القتال الخارجي ضد العدو، أو في القتال الداخلي ضد المنحرفين والخارجين على السلطة.

وفي هذا الخصوص ـ جاء في صحيح البخاري ومسلم: عن أبي هريرة ﷺ: «**وَإِنَّمَا الإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ...**». [**البخاري (٢٩٥٧) فتح الباري ٦/ ١١٦، ومسلم (١٨٤١)**].

قال الإمام النووي في شرح الحديث: «(الإِمَامُ جُنَّةٌ) أَيْ: كَالسِّتْرِ؛ لِأَنَّهُ يَمْنَعُ العَدُوَّ مِنْ أَذَى المُسْلِمِينَ، وَيَمْنَعُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَيَحْمِي بَيْضَةَ الإِسْلَامِ، وَيَتَّقِيهِ النَّاسُ وَيَخَافُونَ سَطْوَتَهُ، وَمَعْنَى يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ أَيْ: يُقَاتَلُ مَعَهُ الكُفَّارُ وَالبُغَاةُ وَالخَوَارِجُ، وَسَائِرُ أَهْلِ الفَسَادِ ويُنْصَرُ عَلَيْهِمْ، وَمَعْنَى **يُتَّقَى بِهِ**: أي يُتَّقَى بِهِ مِنْ شَرِّ العَدُوِّ، وشَرِّ أَهْلِ الفَسَادِ وَالظُّلمِ مُطْلَقًا».

[**شرح صحيح مسلم للنووي ٨/ ٣٩. وينظر: فتح الباري ٦/ ١١٦**].

ومن هنا، كانت القيادة الحقيقية للجيش في الإسلام هي لخليفة المسلمين، فهو القائد الأعلى للجيش والقوات المسلحة، بالفعل لا بالاسم فقط، وهو الذي يعيِّن أو يعزل من يتولون بالنيابة عنه هذا الأمر أو ذاك من أمور الجيش والجهاد، كما كانت عليه الحال في عهد النبي ﷺ، وعهد الخلافة الراشدة.

هذا، وكما تجب الطاعة في الجيش للقائد الأعلى، أي: لخليفة المسلمين ـ كذلك تجب الطاعة في الجيش لمن يُعيِّنهم الخليفة من القواد والأمراء، نيابة عنه في حدود ما أسند إليهم من أمور وصلاحيات (١)، وحين يصدر الخليفة قراره بعزل هذا أو ذاك من قواد الجيش يصبح هذا المعزول مجردًا من أية سلطة على من كان تحت إمرته، فلا يجوز لأحد من هؤلاء ـ أي: من كانوا خاضعين لسلطة القائد المعزول ـ لا يجوز لأحد منهم أن يستمر على طاعته، فيما لو سول الشيطان لهذا القائد أن يتمرد على السلطة الشرعية.

هذا، وحين تَعرِض حالة يتعذر فيها أن يكون لأي قطعة من الجيش قائد أو أمير جرى تعيينه من قبل الخليفة، أو ممن هو مفوض في ذلك من قبل الخليفة ـ كما يحدث عادة على جبهات القتال من استشهاد بعض القادة، مثلًا... في هذه الحال، على هذه القطعة أن تختار من بينها قائدًا يقودها، ويدبر أمورها، عليها أن تطيع هذا الأمير أو القائد، وكأنه مُعيَّن من قِبَل مَنْ فوقه من القواد أو الأمراء المخوَّلين في التعيين، بل كأنه قُلِّد هذا الأمر من قبل المتربع على قمة هرم السلطة، وهو الخليفة نفسه،

---

(١) في بدائع الصنائع ٧/ ٩٩: «وإذا أمر عليهم: يكلفهم طاعة الأمير فيما يأمرهم به، وينهاهم عنه ... لأنه نائب الإمام، وطاعة الإمام لازمة، كذا طاعته: لأنها طاعة الإمام ...».

وذلك إلى أن يأتي إقراره في هذا المنصب أو تغييره ... يدل على هذا ما وقع في «غزوة مؤتة» بعد استشهاد القواد الثلاثة الذين عينهم النبي ﷺ لقيادة الجيش الواحد بعد الآخر.

جاء في صحيح البخاري تحت عنوان «بَاب مَنْ تَأَمَّرَ فِي الحَرْبِ مِنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ إِذَا خَافَ العَدُوَّ»، فيما يرويه أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «**أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ عَنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ فَفُتِحَ عَلَيْهِ...**».

[**البخاري في الجهاد (٣٠٦٣)**].

وفي رواية للبخاري أيضًا: «**حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ الله حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ**».

[**البخاري في فضائل الصحابة ﷺ (٣٧٥٧)، وفي المغازي (٤٢٦٢)**].

جاء في فتح الباري: «قَالَ اِبْنُ الْمُنَيِّرِ: يُؤْخَذُ مِنْ حَدِيثِ البَابِ أَنَّ مَنْ تَعَيَّنَ لِوِلَايَةٍ، وَتَعَذَّرَتْ مُرَاجَعَةُ الإِمَامِ أَنَّ الوِلَايَةَ تَثْبُتُ لِذَلِكَ الْمُعَيَّنِ شَرْعًا وَتَجِبُ طَاعَتُهُ حُكْمًا، كَذَا قَالَ، وَلَا يَخْفَى أَنَّ مَحَلَّهُ مَا إِذَا اتَّفَقَ الحَاضِرُونَ عَلَيْهِ». [**فتح الباري ٦/ ١٨٠**].

وجاء في المغني لابن قدامة: «فَإِنْ بَعَثَ الإِمَامُ جَيْشًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَمِيرًا، فَقُتِلَ أَوْ مَاتَ، فَلِلجَيْشِ أَنْ يُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ، كَمَا فَعَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَيْشِ (مُؤْتَةَ)، لَمَّا قُتِلَ أُمَرَاؤُهُمْ الَّذِينَ أَمَّرَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ أَمَّرُوا عَلَيْهِمْ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ ﷺ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَرَضِيَ أَمْرَهُمْ، وَصَوَّبَ رَأْيَهُمْ، وَسَمَّى خَالِدًا يَوْمَئِذٍ: «سَيْفَ الله»». [**المغني لابن قدامة ١٠/ ٣٧٤**].

ثالثًا: النصوص الشرعية والفقهية التي تبين حدود الطاعة الواجبة والطاعة المحظورة:

وردت نصوص شرعية كثيرة ترسم الإطار الذي يجب على المسلمين التقيد به فيما يطيعونه من الأنظمة والأوامر الصادرة إليهم من ولاة الأمور، فإذا خرجت تلك الأنظمة والأوامر عن ذلك الإطار الشرعي المرسوم ـ حَرُمت الطاعة، ووجبت المخالفة والعصيان.

ومن تلك النصوص الشرعية ما جاء في صحيح مسلم تحت عنوان: «باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية» كما جاء في صحيح البخاري أيضًا: عن عبد الله بن عمرو ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ**». [**البخاري في الأحكام (٧١٤٤)، ومسلم في الإمارة (١٨٣٩)**].

هذا، وقد يكون القائد أو الأمير الذي عُيِّن للقيادة أو الإمارة مكروهًا من قِبَل الخاضعين لسلطته، إما لانحراف في سلوكه الشخصي، وارتكابه للمحرمات، وإما لكونه غير مرموق المكانة لدى الناس لافتقاره إلى كرم الأصل أو شرف الجاه، بحسب ما تواضع عليه الناس من اعتبارات اجتماعية.

وإما لأنه يحمل مرؤوسيه على المكاره، ولكن في حدود المشروع من التكاليف، أقول: قد يكون القائد أو الأمير مكروهًا من قبل مَنْ هم تحت سلطته لبعض هذه الأسباب أو كلها.. ورغم ذلك، لا يجوز لهم مخالفة هذا القائد أو الأمير فيما يصدره إليهم من أنظمة وتعليمات وأوامر.. ما دامت لا تصادم الشرع، ولا يعتبر القيام بها من المعاصي.

وفي ذلك ما جاء في صحيح البخاري ومسلم: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَكَرِهَهُ فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَيَمُوتُ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**».
[البخاري في الأحكام (٧١٤٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٤٩)].

وجاء في صحيح مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**عَلَيْكَ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِي عُسْرِكَ، وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ**». [مسلم في الإمارة (١٨٣٦)].

جاء في شرح صحيح مسلم تعليقًا على ما تقدم من الأحاديث، ما نصه:

«قَالَ العُلَمَاء: مَعْنَاهُ (أي: الحديث الأخير) تَجِبُ طَاعَةُ وُلَاةِ الأُمُورِ فِيمَا يَشُقُّ، وَتَكْرَهُهُ النُّفُوس، وَغَيْرِهِ مِمَّا لَيْسَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ كَانَتْ لِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ، وَلَا طَاعَةَ، كَمَا صُرِّحَ بِهِ فِي الأَحَادِيث البَاقِيَة، فَتُحْمَلُ هَذِهِ الأَحَادِيثُ الْمُطْلَقَةُ لِوُجُوبِ طَاعَةِ وُلَاةِ الأُمُورِ عَلَى مُوَافَقَةِ تِلْكَ الأَحَادِيثِ الْمُصَرِّحَةِ بِأَنَّهُ لَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ فِي الْمَعْصِيَة.

وَ(الأَثَرَة):... وَهِيَ الِاسْتِئْثَارُ وَالِاخْتِصَاصُ بِأُمُورِ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، أَيْ: اِسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ اِخْتَصَّ الأُمَرَاءُ بِالدُّنْيَا، وَلَمْ يُوصِلُوكُمْ حَقَّكُمْ مِمَّا عِنْدهمْ.

وَهَذِهِ الأَحَادِيثُ فِي الحَثِّ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي جَمِيعِ الأَحْوَالِ، وَسَبَبُهَا اجْتِمَاعُ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ الخِلَافَ سَبَبٌ لِفَسَادِ أَحْوَالِهِمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ». [شرح صحيح مسلم ٨/ ٣٢].

وعَنْ يَحْيَى بْنِ حُصَيْنٍ عَنْ جَدَّتِهِ أُمِّ الحُصَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُهَا تَقُولُ: حَجَجْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ حَجَّةَ الوَدَاعِ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ قَوْلًا كَثِيرًا، ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**إِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ مُجَدَّعٌ - حَسِبْتُهَا قَالَتْ: أَسْوَدُ - يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ الله، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا**». [مسلم في الإمارة (١٨٣٨).

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: «**إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الأَطْرَافِ**».
[مسلم في الإمارة (١٨٣٧)].

يقول الإمام النووي: **مُجَدَّعَ الأَطْرَافِ**: يَعْنِي: مَقْطُوعُهَا، وَالْمُرَاد: أَخَسُّ العَبِيد، أَيْ: أَسْمَعُ وَأُطِيعُ لِلأَمِيرِ، وَإِنْ كَانَ دَنِيءَ النَّسَبِ، حَتَّى لَوْ كَانَ عَبْدًا أَسْوَدَ مَقْطُوعَ الأَطْرَافِ، فَطَاعَتُهُ وَاجِبَةٌ».
[شرح صحيح مسلم للنووي ٨/ ٣٤].

وجاء في المغني لابن قدامة: «فَإِنْ كَانَ القَائِدُ يُعْرَفُ بِشُرْبِ الخَمْرِ، وَالغُلُولِ، يُغْزَى مَعَهُ، إِنَّمَا ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ، وَيُرْوَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ**».

[البخاري في الجهاد (٣٠٦٢)، ومسلم في الإيمان (١١١)]. [المغني لابن قدامة ١٠/ ٣٧١].

هذا، وقد جاء في السنة النبوية بعض الوقائع التي تدل على إنكار الطاعة لما تصدره القيادة العسكرية من أوامر تخالف الإسلام، وإقرار الخاضعين لسلطة تلك القيادة عصيانهم لتلك الأوامر.

هذا، مع احتفاظ القيادة، بطبيعة الحال، بحقها في استمرار طاعة الخاضعين لها فيما هو خارج عن حدود الأوامر المخالفة للإسلام، وحصر المخالفة، فقط، فيما لا تجوز طاعته من تلك الأوامر.

ومما يُذكر في هذا ما جاء عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ الأَنْصَارِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، فَغَضِبَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُطِيعُونِي؟! قَالُوا: بَلَى، قَالَ: قَدْ عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ لَمَا جَمَعْتُمْ حَطَبًا، وَأَوْقَدْتُمْ نَارًا، ثُمَّ دَخَلتُمْ فِيهَا، فَجَمَعُوا حَطَبًا، فَأَوْقَدُوا نَارًا، فَلَـمَّا هَمُّوا بِالدُّخُولِ! فَقَامَ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا تَبِعْنَا النَّبِيَّ ﷺ فِرَارًا مِنْ النَّارِ، أَفَنَدْخُلُهَا؟! فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ خَمَدَتْ النَّارُ، وَسَكَنَ غَضَبُهُ، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا أَبَدًا، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**». [البخاري في الأحكام (٧١٤٥)].

وفي رواية مسلم عَنْ عَلِيٍّ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَ جَيْشًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا فَأَوْقَدَ نَارًا، وَقَالَ: ادْخُلُوهَا، فَأَرَادَ نَاسٌ أَنْ يَدْخُلُوهَا، وَقَالَ الآخَرُونَ: إِنَّا قَدْ فَرَرْنَا مِنْهَا، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ لِلَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا: «**لَوْ دَخَلتُمُوهَا لَمْ تَزَالُوا فِيهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**»، وَقَالَ لِلآخَرِينَ قَوْلًا حَسَنًا، وَقَالَ: «**لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ الله، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**». [مسلم في الإمارة (١٨٤٠)].

هذا، ومما جاء في بيان غاية الأمير في هذه الواقعة من أمر جماعته باقتحام النار: «أَنَّهُ لَمْ يَقْصِدْ دُخُولَهُمْ النَّارَ حَقِيقَةً، وَإِنَّمَا أَشَارَ لَهُمْ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ طَاعَةَ الأَمِيرِ وَاجِبَةٌ، وَمَنْ تَرَكَ الوَاجِبَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِذَا شَقَّ عَلَيْكُمْ دُخُولَ هَذِهِ النَّارِ، فَكَيْفَ بِالنَّارِ الكُبْرَى!، وَكَأَنَّ قَصْدَهُ أَنَّهُ لَوْ رَأَى مِنْهُمْ الجِدَّ فِي وُلُوجِهَا لَمَنَعَهُمْ».

[فتح الباري ١٣/ ١٢٣].

وفي الإنكار على مَنْ هَمَّ بطاعة هذا الأمر المخالف للإسلام جاء في فتح الباري تعليقًا على قول النبي ﷺ: «**لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا أَبَدًا**» جاء ما نصه: «يَعْنِي أَنَّ الدُّخُولَ فِيهَا مَعْصِيَةٌ، وَالعَاصِي يَسْتَحِقُّ النَّارَ.

وَيُحْتَمَلُ: أَنْ يَكُون المُرَادُ لَوْ دَخَلُوهَا مُسْتَحِلِّينَ لَمَا خَرَجُوا مِنْهَا أَبَدًا... [1]؛ لِأَنَّهُمْ اِرْتَكَبُوا مَا نُهُوا عَنْهُ مِنْ قَتْلِ أَنْفُسِهِمْ.

---

(١) «وعلى هذا، ففي العبارة نوع من أنواع البديع هو الاستخدام». فتح الباري: ٨/ ٦٠. يعني: أن الهاء في (دخلوها) ترجع إلى النار التي أوقدوها، والهاء في (لما خرجوا منها) ترجع إلى نار الآخرة ـ انظر في بيان فن الاستخدام كتاب «بديع القرآن» لابن أبي الإصبع: ص ١٠٤ – ١٠٥.

وَيُحْتَمَل: وَهُوَ الظَّاهِرُ أَنَّ الضَّمِيرَ لِلنَّارِ الَّتِي أُوقِدَتْ لَهُمْ (يعني: لما خرجوا منها، أي: من النار التي أوقدوها) أَيْ: ظَنُّوا أَنَّهُمْ إِذَا دَخَلُوا بِسَبَبِ طَاعَةِ أَمِيرهمْ لَا تَضُرُّهُمْ، فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُمْ لَوْ دَخَلُوا فِيهَا لَاحْتَرَقُوا، فَمَاتُوا، فَلَمْ يَخْرُجُوا...

وَفِيهِ: أَنَّ الأَمْرَ الْمُطْلَقَ لَا يَعُمُّ الأَحْوَالَ ؛ لِأَنَّهُ ﷺ أَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوا الأَمِيرَ، فَحَمَلُوا ذَلِكَ عَلَى عُمُومِ الأَحْوَالِ حَتَّى فِي حَالِ الغَضَبِ، وَفِي حَالِ الأَمْرِ بِالْمَعْصِيَةِ، فَبَيَّنَ لَهُمْ ﷺ أَنَّ الأَمْرَ بِطَاعَتِهِ مَقْصُورٌ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ». [فتح الباري ٨/ ٦٠].

أقول: يتجلى من هذه الواقعة، وما ذُكر بشأنها من تعليقات ألقت عليها الأضواء، وما علق به النبي ﷺ على هذه الواقعة ـ يتجلى من كل ذلك:

ـ **أن الإسلام يؤيد المخالفين لأوامر القيادة حين تكون تلك الأوامر مما لا تُقره الأحكام الشرعية** كما يدل عليه النص: «**وَقَالَ لِلآخَرِينَ قَوْلًا حَسَنًا**».

ـ وأن الإسلام ينكر الإقدام على الطاعة العمياء لتلك الأوامر المخالفة للشرع، ويهدد المُقدمين على ذلك بسوء المصير، كما يدل عليه النص: «**لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا أَبَدًا**».

ـ وأن الإسلام وضع قاعدة مطردة في الطاعة المشروعة، هي: «**لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ الله، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**». [الجهاد والقتال لخير هيكل ٢/ ١٠٩٦-١١٠٥].

٥ ـ حكم الفرار من الجيش في الحرب:

تقدم تفصيله في الدروس الفقهية من المرحلة الثالثة من غزوة بدر الكبرى تحت عنوان: «**حكم الفرار من المعارك**». وينظر لمزيد من التفصيل: الجهاد والقتال لخير هيكل ٢/ ١١٧١ -١١٩٥.

٦ ـ حكم اشتراك النساء في الجيش، ودورهن فيه (١):

أولاً: هل كانت النساء المسلمات في عهد النبوة والراشدين يخرجن مع الجيش الذاهب إلى القتال؟ وماذا كان دورهن في هذا الجيش؟

الجواب عن هذا السؤال نعرفه من خلال الروايات التي وردت في هذا الصدد وهذه هي بعض تلك الروايات:

عَنْ رُبَيِّعَ بِنْتِ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ رضي الله عنها قَالَتْ: كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ الله ﷺ نَسْقِي القَوْمَ، وَنَخْدُمُهُمْ، وَنَرُدُّ القَتْلَى وَالجَرْحَى إِلَى المَدِينَةِ. [البخاري في الجهاد (٢٨٨٢).

وقَالَ ثَعْلَبَةُ بْنُ أَبِي مَالِكٍ: إِنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه قَسَمَ مُرُوطًا (هي أكسيةٌ من صوف أو خزٍّ، كان يؤتزر بها) بَيْنَ نِسَاءٍ مِنْ نِسَاءِ المَدِينَةِ، فَبَقِيَ مِرْطٌ جَيِّدٌ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ عِنْدَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! أَعْطِ هَذَا ابْنَةَ

---

(١) الجهاد والقتال لهيكل ٢/ ١٠١٣-١٠٢٤، فقه الغزوات للعيساوي ٢٦٩-٢٧١، غزوة أحد لبامدحج ٢٢٨-٢٣٥.

رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّتِي عِنْدَكَ ـ يُرِيدُونَ أُمَّ كُلْثُوم بِنْتَ عَلِيٍّ رضي الله عنه [(١)] ـ فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: أُمُّ سَلِيطٍ أَحَقُّ ـ وَأُمُّ سَلِيطٍ مِنْ نِسَاءِ الأَنْصَارِ مِمَّنْ بَايَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ـ قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: فَإِنَّهَا كَانَتْ تَزْفِرُ (تحمل) لَنَا القِرَبَ يَوْمَ أُحُدٍ».

[**البخاري في الجهاد (٢٨٨١) فتح الباري٦/ ٧٩، وفي المغازي (٤٠٧١). وقال: تزفر: أي تحمل وزنًا ومعنى**].

وجاء في «فتح الباري» بصدد التعريف بأم سليط، ما يلي: «وقد ذكرها ابن سعد في طبقات النساء... وذكر أنها شهدت (خيبر) و(حنينًا) وغفل عن ذكر شهودها أُحُدًا، وهو ثابت بهذا الحديث... ثم استطرد صاحب الفتح فتحدث عن أم عمارة الأنصارية من النساء اللواتي حضرن معركة أُحد، فنقل عن ابن سعد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بحقها: «لَقَدْ سَمِعَتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا الْتَفَتُّ يَمِينًا وَلَا شَمَالًا يَوْمَ أُحُد إِلَّا وَأَنَا أَرَاهَا تُقَاتِل دُونِي**». [**فتح الباري ٦/ ٧٩**].

وفي صحيح البخاري أيضًا: «عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: لَـمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، وَأُمَّ سُلَيْم، وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ، أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا تَنْقُزَانِ[(٢)] القِرَبَ ـ وَقَالَ غَيْرُهُ: تَنْقُلَانِ القِرَبَ ـ عَلَى مُتُونِهِمَا، ثُمَّ تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلَآنِهَا، ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغَانِهَا فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ». [**البخاري في الجهاد والسير (٢٨٨٠)، وفي مناقب الأنصار رضي الله عنهم (٣٨١١)، وفي المغازي (٤٠٦٤)، ومسلم في الجهاد والسير (١٨١١)**].

وفي شرح النووي على صحيح مسلم تعليقًا على هذا الحديث، ما نصه: «وَهَذِهِ الرُّؤْيَة لِلخَدَم [أي: للخلاخيل في الأرجل] لَمْ يَكُنْ فِيهَا نَهْيٌ؛ لِأَنَّ هَذَا كَانَ يَوْم أُحُدٍ قَبْل أَمْر النِّسَاء بِالحِجَابِ، وَتَحْرِيم النَّظَر إِلَيْهِنَّ، وَلِأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ هُنَا أَنَّهُ تَعَمَّدَ النَّظَرَ إِلَى نَفْس السَّاقِ، فَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهُ حَصَلَتْ تِلكَ النَّظْرَةُ فَجْأَةً بِغَيْرِ قَصْدٍ وَلَمْ يَسْتَدِمْهَا». [**شرح النووي على مسلم ٧/ ٤٦٥**].

وقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: «رَأَيْتُ أُمَّ سُلَيْمٍ بِنْتَ مِلحَانَ وَعَائِشَةَ عَلَى ظُهُورِهِمَا القِرَبُ يَحْمِلانِهَا يَوْمَ أُحُدٍ، وَكَانَتْ حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ تَسْقِي العَطْشَى وَتُدَاوِي الجَرْحَى، وَكَانَتْ أُمُّ أَيْمَنَ تَسْقِي الجَرْحَى...».

[**المغازي للواقدي ١/ ٢٤٩**].

وجاء في صحيح البخاري: «عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ يَخْرُجُ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي فَخَرَجْتُ مَعَ

---

(١) كان عمر قد تزوج أم كلثوم بنت علي، وأمها فاطمة؛ ولهذا قالوا لها (بنت رسول الله ﷺ) وكانت قد وُلِدت في حياته ﷺ وهي أصغر بنات (فاطمة) عليها السلام. فتح الباري ٦/ ٧٩.

(٢) أي: تسرعان المشي كالهرولة ـ وعلى هذه الرواية: ضبط بعضهم (القِرَب) بالرفع على الابتداء ـ والجملة حالية. وبعضهم ضبطها بالنصب على نزع الحافظ . التقدير: تنقزان بالقرب .. والمتن: هو الظهر، وما يكتنف الصلب من يمين وشمال. الفتح ٦/ ٧٩)، وينظر: مختار الصحاح (م.ت.ن) والخدم: واحدها: خدمة، وهي الخلخال . والسوق: جمع ساق. شرح النووي على مسلم ٧/ ٤٦٥.

النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الحِجَابُ». [البخاري في الجهاد (٢٨٧٩) فتح الباري ٦/ ٧٧ وهنا جاء النص في هذا الموضع: «قبل أن ينزل الحجاب» ولكن الرواية نفسها في ٥/ ٢٧٠ رقم ٢٦٦١، جاء النص كما هو أعلاه، وكذا في البخاري بشرح القسطلاني ٥/ ٨٠. وهذا هو الصحيح لأن الحديث في معرض غزوة المصطلق. وكان الحجاب قد نزل به التشريع قبل ذلك].

وقد ذكر البخاري رحمه الله في كتاب الجهاد بابًا جعل عنوانه (باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال)، ولم يورد من الأحاديث ما يدل على اشتراك النساء في القتال مع الرجال، وأرى أنه يريد أن يبين دور النساء في القتال أثناء المعارك.

قال ابن حجر رحمه الله: «وَلَمْ أَرَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ التَّصْرِيحَ بِأَنَّهُنَّ قَاتَلنَ؛ وَلِأَجْلِ ذَلِكَ قَالَ ابْنُ الْمُنَيِّرِ: بَوَّبَ عَلَى قِتَالِهِنَّ وَلَيْسَ هُوَ فِي الحَدِيثِ، فَإِمَّا أَنْ يُرِيدَ أَنَّ إِعَانَتَهُنَّ لِلغُزَاةِ غَزْوٌ، وَإِمَّا أَنْ يُرِيدَ أَنَّهُنَّ مَا ثَبَتْنَ لَسَقْيِ الجَرْحَى وَنَحْوِ ذَلِكَ إِلَّا وَهُنَّ بِصَدَدِ أَنْ يُدَافِعْنَ عَنْ أَنْفُسِهِنَّ، وَهُوَ الغَالِبُ...». [فتح الباري ٦/ ٩٢].

وجاء في صحيح مسلم تحت عنوان: «باب: غزو النساء مع الرجال»: «عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ اتَّخَذَتْ يَوْمَ (حُنَيْنٍ) خِنْجَرًا، فَكَانَ مَعَهَا! فَرَآهَا أَبُو طَلحَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! هَذِهِ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَهَا خِنْجَرٌ! فَقَالَ لَهَا رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا هَذَا الخِنْجَرُ؟**»، قَالَتْ: اتَّخَذْتُهُ إِنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ، فَجَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَضْحَكُ...!». [مسلم في الجهاد والسير (١٨٠٩)].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَغْزُو بِأُمِّ سُلَيْمٍ، وَنِسْوَةٍ مِنْ الأَنْصَارِ مَعَهُ إِذَا غَزَا فَيَسْقِينَ المَاءَ، وَيُدَاوِينَ الجَرْحَى». [مسلم في الجهاد والسير (١٨١٠)، والترمذي في السير (١٥٧٥)].

وجاء في شرح النووي على صحيح مسلم: «فِيهِ خُرُوجُ النِّسَاءِ فِي الغَزْوَة، وَالِانْتِفَاعُ بِهِنَّ فِي السَّقْيِ وَالْمُدَاوَاة وَنَحْوهمَا، وَهَذِهِ الْمُدَاوَاةُ لِمَحَارِمِهِنَّ وَأَزْوَاجِهِنَّ، وَمَا كَانَ مِنْهَا لِغَيْرِهِمْ لَا يَكُون فِيهِ مَسُّ بَشْرَة إِلَّا فِي مَوْضِع الحَاجَة». [شرح النووي على صحيح مسلم ٧/ ٤٦٤].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَغْزُو بِأُمِّ سُلَيْمٍ وَنِسْوَةٍ مِنْ الأَنْصَارِ مَعَهُ إِذَا غَزَا، فَيَسْقِينَ المَاءَ، وَيُدَاوِينَ الجَرْحَى. [مسلم في الجهاد والسير (١٧٧٩)].

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «كَانَ يَغْزُو بِهِنَّ فَيُدَاوِينَ الجَرْحَى...». [مسلم في الجهاد (١٧٧٩)].

وأَخْرَجَ عَبْد الرَّزَّاق عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: «كَانَ النِّسَاء يَشْهَدْنَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ المَشَاهِدَ وَيَسْقِينَ المُقَاتِلَة وَيُدَاوِينَ الجَرْحَى». [البخاري في الجهاد والسير (٢٨٨٠)].

وعَنْ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ قَالَتْ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نَسْقِي القَوْمَ، وَنُدَاوِي الجَرْحَى، وَنَرُدُّ القَتْلَى إِلَى المَدِينَةِ.

وفي رواية: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَسْقِي القَوْمَ وَنَخْدُمُهُمْ، وَنَرُدُّ الجَرْحَى والقَتْلَى إِلَى المَدِينَةِ.

[البخاري في الجهاد والسير (٢٨٨٢، ٢٨٨٣)].

وَعَنْ أَبِي حَازِمٍ أَنَّهُ سَمِعَ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ ﷺ وَهُوَ يُسْأَلُ عَنْ جُرْحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَعْرِفُ مَنْ كَانَ يَغْسِلُ جُرْحَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَنْ كَانَ يَسْكُبُ المَاءَ، وَبِمَا دُووِيَ، قَالَ: كَانَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَغْسِلُهُ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ يَسْكُبُ المَاءَ بِالمِجَنِّ، فَلَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ أَنَّ المَاءَ لَا يَزِيدُ الدَّمَ إِلَّا كَثْرَةً، أَخَذَتْ قِطْعَةً مِنْ حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهَا وَأَلْصَقَتْهَا فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَئِذٍ، وَجُرِحَ وَجْهُهُ، وَكُسِرَتِ البَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ. [البخاري في المغازي (٤٠٧٥)].

وجاء في مصنف ابن أبي شيبة: «عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ الأَنْصَارِيَّةِ ﷺ قَالَتْ: غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ، أَخْلُفُهُمْ فِي رِحَالِهِمْ، فَأَصْنَعُ لَهُمُ الطَّعَامَ، وَأُدَاوِي لَهُمُ الجَرْحَى، وَأَقُومُ عَلَى المَرْضَى».

[مصنف ابن أبي شيبة ١٢ / ٥٢٥ رقم ١٥٤٩٧].

وفيه أيضًا: «عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: كُنَّ النِّسَاءُ يُجْزِنَ عَلَى الجَرْحَى يَوْمَ أُحُدٍ».

[مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٤٢٤- ٤٢٥ رقم ١٥١٢٧. وأجاز على الجريح، وأجهز عليه بمعنى. وينظر أيضًا ١٤/ ٣٩٨، ٤٠٢ رقم ١٨٦١٨، ١٨٦٣٠].

وجاء في الطبراني: «عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَخْرُجُ مَعَكَ إِلَى الغَزْوِ، قَالَ ﷺ: «**يَا أُمَّ سُلَيْمٍ! إِنَّهُ لَمْ يُكْتَبْ عَلَى النِّسَاءِ الجِهَادُ!**»، قَالَتْ: أُدَاوِي الجَرْحَى، وَأُعَالِجُ العَيْنَ، وَأَسْقِي المَاءَ، قَالَ ﷺ: «**فَنَعَمْ إِذًا**». [مجمع الزوائد ٦/ ٣٢٤، وقال الهيثمي: لأنس حديث في الصحيح وغيره بغير سياقه، رواه الطبراني عن شيخه جعفر بن سليمان بن حاجب ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات].

وفي سنن سعيد بن منصور: «أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ يَزِيد الأَنْصَارِيَّةَ شَهِدَتْ (اليَرْمُوكَ) مَعَ النَّاسِ، فَقَتَلَتْ سَبْعَةً مِنَ الرُّومِ بِعَمُودِ فُسْطَاطِ ظُلَّتِهَا». [سنن سعيد بن منصور ٢/ ٢٨٤ رقم ٢٧٨٧، وفي مجمع الزوائد ٦/ ٢١٣: «رواه الطبراني ورجاله ثقات» ورواية الطبراني: «تسعة»].

وفي تلك السنن أيضًا: «عن عبد الله بن قرط الأزدي، قال: «غَزَوْتُ الرُّومَ مَعَ خَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ، فَرَأَيْتُ **نِسَاءَ خَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ، وَنِسَاءَ أَصْحَابِهِ مُشَمِّرَاتٍ يَحْمِلنَ المَاءَ لِلمُهَاجِرِينَ يَرْتَجِزْنَ**».

[سنن سعيد بن منصور ٢/ ٢٨٤ رقم ٢٧٨٨. و(الرجز: ضرب من الشعر، وقد رجز الراجز.. وارتجز) أي: أنشد. ينظر: مختار الصحاح ص١٩٩].

وفي مصنف عبد الرزاق عن إبراهيم النخعي ـ وسئل عن جهاد النساء ـ فقال: كُنَّ يَشْهَدْنَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَيُدَاوِينَ الجَرْحَى، وَيَسْقِينَ المُقَاتِلَةَ، وَلَمْ أَسْمَعْ مَعَهُ بِامْرَأَةٍ قُتِلَتْ، وَقَدْ قَاتَلَتْ نِسَاءُ قُرَيْشٍ يَوْمَ اليَرْمُوكَ، حِينَ رَهَقَهُمْ جُمُوعُ الرُّومِ، حَتَّى خَالَطُوا عَسْكَرَ المُسْلِمِينَ، فَضَرَبَ النِّسَاءَ يَوْمَئِذٍ بِالسُّيُوفِ، فِي خِلَافَةِ عُمَرَ ﷺ. [مصنف عبد الرزاق ٥ / ٢٩٨ رقم ٩٦٧٣].

أقول: من الروايات المتقدمة نحصل على الحقائق التالية، بصدد اشتراك النساء مع الرجال في الخروج إلى القتال:

١ـ حجم العنصر النسائي في الجيش كان ضئيلًا جدًّا، بحيث إنه ربما خفي خروجهن مع المقاتلين على بعض المسلمين حتى احتاج الأمر إلى إثبات ذلك الخروج.

هذا ما يشعر به القارئ لتلك النصوص السابقة، ويتجلى ذلك بوضوح أكثر من المراسلة التي تمت بين (نجدة الحروري، وابن عباس) حول هذه المسألة، ومما جاء بصدد تلك المراسلة، كما في صحيح مسلم: «عَنْ يَزِيدَ بْنِ هُرْمُزَ أَنَّ نَجْدَةَ كَتَبَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما يَسْأَلُهُ:... أَمَّا بَعْدُ، فَأَخْبِرْنِي: هَل كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَغْزُو بِالنِّسَاءِ؟.... فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: كَتَبْتَ تَسْأَلُنِي: هَل كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَغْزُو بِالنِّسَاءِ؟ وَقَدْ كَانَ يَغْزُو بِهِنَّ، فَيُدَاوِينَ الجَرْحَى، وَيُحْذَيْنَ مِنْ الغَنِيمَةِ، وَأَمَّا بِسَهْمٍ فَلَمْ يَضْرِبْ لَهُنَّ...».

[مسلم في الجهاد والسير (١٨١٢)].

٢ ـ خروج النساء إلى القتال لم يكن على أساس أنه قيام بفرض قد كُلِّفن به كما كُلِّف به الرجال، وإنما كان على سبيل التطوع، يتضح ذلك من قول النبي ﷺ لأم سليم، وقد استأذنته في الخروج معه إلى الغزو: «**يَا أُمَّ سُلَيْمٍ! إِنَّهُ لَمْ يُكْتَبْ عَلَى النِّسَاءِ الجِهَادُ!**».

٣ ـ الدور الأكبر الذي كانت تقوم به النساء في الجيش هو: خدمة المقاتلين من حفظ للمتاع، وإعداد للطعام، وتقديم للشراب، وإسعاف للجرحى، ومداواة للمرضى، ونقل للجثث من منطقة العمليات... وما شاكل ذلك كما هو واضح من الروايات السابقة.

٤ ـ حَمْلُ المرأة للسلاح، وممارستها للقتال كان يحدث بالفعل حين يصبح القتال فرض عين عليها، وذلك للدفاع عن نفسها، كما في قتال النساء يوم اليرموك ـ بالسيوف ـ وقد هجم عليهن الروم، أو للدفاع عن النبي ﷺ... وذلك لأن الدفاع عن النبي ﷺ أولى من الدفاع عن النفس، عملًا بعموم قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[الأحزاب: ٦].

[ينظر: أحكام القرآن للجصاص ٥/ ٢٢٣، وأحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٤٩٥].

كما تجلى ذلك في خبر دفاع «أم عمارة الأنصارية» عن النبي ﷺ يوم أُحُد، وقد أشار حديث (مسلم) في خبر حمل (أم سليم) للخنجر يوم حُنين، إلى دفاع المرأة عن نفسها إذا تعرضت للهجوم من قِبَل العدو.

كما يشير خبر إجهاز النساء على جرحى المشركين في (أُحُد) ـ إلى أنهن كن يحملن السلاح، ويباشرن القتل بالفعل.

٥ ـ ومن الحقائق التي تدل عليها الروايات السابقة أنه لا علاقة بين حكم الحجاب الشرعي بحق المرأة وبين خروجها مع الجيش للخدمة، أو للقتال، أعني: أن حكم الحجاب لا يتنافى مع مشروعية ذلك الخروج؛ بدليل أن المرأة ظلت تخرج إلى الجهاد بعد نزول حكم الحجاب، فمعركة (حنين) التي حضرتها أم سليم، وهي تحمل خنجرها ـ كما في صحيح مسلم ـ كانت بعد نزول الحجاب الشرعي على

النساء؛ لأن حكم الحجاب ورد في (سورة النور) وهي نزلت بعد (غزوة المريسيع = المصطلق) سنة خمس للهجرة، بينما كانت معركة (حنين) بعيد فتح مكة سنة ثمان للهجرة.

[ينظر: تفسير القرطبي ١٢/ ١٩٧-١٩٨، وزاد المعاد لابن القيم ٣/ ٢٥٦ و ٣/ ٣٩٤].

ثانيًا: ماذا قال الفقهاء في حكم حمل المرأة للسلاح، ومباشرتها قتال الأعداء؟

والجواب: أن ههنا ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الجهاد بصفته فرض كفاية هل يشمل النساء؟ أم هو خاص بالرجال فقط؟

الجواب عن المسألة الأولى: الجهاد بصفته فرص كفاية ـ هل يشمل المرأة؟

إن نصوص الفقهاء ـ على اختلاف مذاهبهم ـ تدل على أن الجهاد الكفائي لا يشمل المرأة، بل هو خاص بالرجال فقط.

ـ **ففي الفقه الحنفي**، في السير الكبير ما نصه: «أما إذا لم يكن النفير عامًّا فلا ينبغي أن يشتغل النساء بالقتال... ـ ثم قال ـ ولا يعجبني أن يباشرن القتال؛ لأن بالرجال غُنية عن قتال النساء، فلا يشتغلن بذلك، من غير ضرورة». [شرح السير الكبير ١/ ٢٠٠-٢٠١].

وجاء في الدُّرِّ، في حكم الجهاد ما نصه: «هو فرض كفاية ابتداء، إن قام به البعض سقط عن الكل، وإلا أثموا، لا على صبي، وعبد، وامرأة». [حاشية ابن عابدين ٣/ ٣٣٧-٣٤١].

هذا، وفي الحاشية رد على القول الذي يفيد بدخول المرأة تحت التكليف بفرض الجهاد الكفائي، إذا أذن الزوج، أو لم تكن مزوجة، وذلك انطلاقًا من أن المانع من توجيه هذا الفرض عليها هو حق الزوج، فإذا لم يوجد، أو أذن، اتجهت عليها الفرضية... إلا أنه بعد رد هذا القول، جاء النص في الحاشية على: «عدم وجوبه عليها، أصلًا، إلا إذا هجم العدو». [حاشية ابن عابدين ٣/ ٣٤١].

ـ **وفي الفقه المالكي**: جاء في (قوانين الأحكام الشرعية) في شروط وجوب الجهاد ما نصه: «شروط وجوبه ستة: الإسلام، والبلوغ، والعقل، والحرية، والذكورية، والاستطاعة بالبدن والمال، فإن صدم العدو المسلمين وجب على العبد، والمرأة». [قوانين الأحكام الشرعية لابن جُزَي ص١٦٣].

واضح من هذا النص أن الجهاد في غير حالة الصدام، أي: في غير حالة هجوم العدو على المسلمين يكون فرض كفاية ـ ومن شروط وجوبه الذكورة... وبهذا لا تكون المرأة داخلة تحت التكليف في هذه الحال. أما في حالة الصدم، ومثلها حالة صدور أمر خاص بحقها يعين عليها الخروج إلى القتال ـ كما سيأتي ـ فإن الجهاد هنا، يكون فرض عين عليها.

ـ **وفي فقه الشافعية**: جاء في (المنهاج) وشرحه (مغني المحتاج) في معرض الحديث عن الجهاد، في حالة كون الكفار ببلادهم ـ لا في حالة هجوم على المسلمين. أي: في حال كونه فرض كفاية، لا فرض عين ـ جاء في هذا المعرض ما يلي: «ولا جهاد واجب على صبي، ومجنون، وامرأة، ومريض...».

[مغني المحتاج بشرح المنهاج ٤/ ٢١٦].

ـ **وفي فقه الحنابلة**: جاء في متن المقنع، في بيان حكم الجهاد ما نصه: «ولا يجب إلا على ذكر، حر، مكلف، مستطيع...». [الشرح الكبير للمقدسي على متن المقنع ١٠/ ٣٦٦].

وبهذا تكون المرأة خارجة عن أن يشملها وجوب الجهاد.

هذا ما قاله الفقهاء، على اختلاف مذاهبهم، في عدم دخول المرأة تحت التكليف بالجهاد في حالة كونه فرض كفاية.

أقول: والذي يبدو أن هذا الحكم غير معلل شرعًا بكون المرأة ضعيفة عن حمل السلاح، وممارسة القتال بحيث لو قَدَرَتْ على ذلك لتوجَّه عليها الخطاب بالوجوب كالرجال.

كما أن عدم تكليفها بوجوب الجهاد الكفائي غير معلل شرعًا لا بالضعف، ولا بمراعاة حق الزوج، وإن كان واقع المرأة بشكل عام أنه ليس من شأنها الدخول في الصراعات العسكرية، والحروب الدموية!

وهذا، أي: عدم التعليل بما ذُكر ـ واضح من قول النبي ﷺ لأم سليم ـ كما تقدم ـ «**يَا أُمَّ سُلَيْمٍ! إِنَّهُ لَمْ يُكْتَبْ عَلَى النِّسَاءِ الجِهَادُ!**».

وهذا يدل على أن قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ...﴾ [البقرة: ٢١٦] إنما هو خاص بالرجال فقط، وأن النساء خارجات عن الخطاب للأدلة الخاصة بعدم تكليفهن بالجهاد الذي هو فرض كفاية.

المسألة الثانية: هل يصبح الجهاد فرض عين على المرأة؟ ومتى؟

سنذكر ما قال الفقهاء بهذا الصدد:

ـ **في فقه الأحناف**، جاء في الدر المختار بشرح تنوير الأبصار، وحاشية ابن عابدين عليه، في معرض الحديث عن الجهاد ـ متى يكون فرض عين؟ ـ جاء ما نصه: «وفرض عين إن هجم العدو، فيخرج الكل، أي: كل من ذُكر من المرأة والعبد، والمديون، وغيرهم.. ولو بلا إذن، ويأثم الزوج، ونحوه، بالمنع».

[حاشية ابن عابدين ٣/ ٣٤١ -٣٤٢].

ـ **وفي فقه المالكية**، جاء في الشرح الكبير للدردير في هذا المعرض أيضًا: «وتعين أيضًا بتعيين الإمام شخصًا، ولو امرأة...!». [**الشرح الكبير للدردير، وحاشية الدسوقي عليه ٢/ ١٧٤ - ١٧٥**].

ـ **وفي الفقه الشافعي**، جاء في المنهاج، وشرحه مغني المحتاج، ما نصه، مع الإيجاز:

«الثاني من حالي الكفار: يدخلون بلدة لنا، فيلزم أهلها الدفع بالممكن منهم، ويكون الجهاد حينئذ فرض عين، وقيل كفاية، فإن أمكن تأهب، أي: استعداد لقتال ـ وجب على كل منهم (الممكن)، أي الدفع للكفار بحسب القدرة، (حتى على فقير) بما يقدر عليه، (وولد ومدين) وهو من عليه دين، (وعبد بلا إذن) من أبوين ورب دين ومن سيد، وفي معنى دخولهم البلدة ما لو أطلوا عليها، والنساء كالعبيد إن كان فيهن دفاع، وإلا فلا يحضرن.

قال: الرافعي: ويجوز أن لا تحتاج المرأة إلى إذن الزوج». [**مغني المحتاج ٤/ ٢١٩**].

هذا ما جاء في الفقه الشافعي بخصوص وجوب القتال على المرأة عينًا في حالة الدفاع، إذا كانت قادرة على ذلك.

ـ **وأما ما ورد في فقه الحنابلة**، في هذه المسألة ـ فقد جاء في مختصر الخرقي: «واجب على الناس إذا جاء العدو أن ينفروا ـ المقل منهم، والمكثر...».

وجاء في شرح هذا النص، لابن قدامة ما لفظه: «قوله: المقل منهم والمكثر يعني به ـ والله أعلم ـ الغني والفقير... ومعناه: أن النفير يعم جميع الناس ممن كان من أهل القتال حين الحاجة إلى نفيرهم لمجيء العدو إليهم، ولا يجوز لأحد التخلف إلا من يحتاج إلى تخلفه لحفظ المكان، والأهل، والمال، ومن يمنعه الأمير من الخروج، أو من لا قدرة له على الخروج، والقتال...». [**المغني لابن قدامة ١٠/ ٣٨٩**].

أقول: إن قوله: «وواجب على الناس إذا جاء العدو أن ينفروا...» ربما أفاد أن النساء داخلات في عموم (الناس). [**ينظر: (الكليات: معجم في المصطلحات، والفروق اللغوية) لأبي البقاء الكفوي ٤/ ٣٧٣**].

ولكن تقييد هذا العموم في الشرح، بقوله: «وممن كان من أهل القتال» يبدو أنه يُخرج النساء عن الدخول في ذلك العموم. وعلى هذا، فلا يصبح الجهاد فرض عين على النساء، ولو في حالة هجوم الكفار على بلاد المسلمين، فلا يدخلن تحت الإثم إذا لم يخرجن إلى القتال... وذلك حسب ما يعطيه النص المتقدم.

هذا، وكون النساء لسن من أهل القتال قد نص عليها «ابن قدامة» صراحة، في قوله: «يكره دخول النساء الشواب أرض العدو؛ لأنهن لسن من أهل القتال...». [**المغني لابن قدامة ١٠/ ٣٩١**].

والخلاصة: أن الجهاد بمعناه القتالي قد يصبح فرض عين على المرأة عند المذاهب الثلاثة، على نحو ما سبق، ولا يكون كذلك في مذهب الحنابلة.

المسألة الثالثة: إذا لم يكن الجهاد على المرأة فرض عين، ولا فرض كفاية، هل يجوز لها أن تحمل السلاح، وتباشر القتال؟

والجواب: نعم، يجوز لها ذلك، وقد تقدم النقل عن «فتح الباري» فيما يدل على هذا الجواز، تعليقًا على حديث: «**جِهَادُكُنَّ الحَجُّ**». [**البخاري في الجهاد (٢٨٧٥)**].

ونعيد، هنا، ما سبق لنا نقله، لمناسبته فيما نحن فيه، وهو: «قال ابن بطال: دل حديث عائشة على أن الجهاد غير واجب على النساء، ولكن ليس في قوله ﷺ: «**جِهَادُكُنَّ الحَجُّ**» أنه ليس لهن أن يتطوعن بالجهاد ...». [**فتح الباري ٦/ ٧٦**].

جاء في المغني لابن قدامة ما يفيد جواز مباشرة المرأة للقتال مع أن (ابن قدامة) يرى أن النساء لسن من أهل القتال ولا يكون الجهاد عليهن، لا فرض كفاية، ولا فرض عين... يقول ما نصه: «كانت أم سليم، ونسيبة بنت كعب تغزوان مع النبي ﷺ فأما نسيبة فكانت تقاتل! وقُطعت يدها يوم اليمامة...».

[المغني لابن قدامة ١٠/ ٣٩١].

وفي معرض إعطاء النساء شيئًا من الغنيمة لحضورهن المعركة يقول ما نصه: «ويُفضِّل ـ أي: الإمام أو القائد ـ المرأة المقاتلة، والتي تسقي الماء، وتداوي الجرحى، وتنفع ـ على غيرها».

[المغني لابن قدامة ١٠/ ٤٥٧].

ثالثًا: هل للمرأة مكان في الجيش النظامي؟ أم مكانها في الجيش الاحتياطي إذا لزم الأمر؟ وما هو الدور الطبيعي الذي تقوم به في الجيش؟:

والجواب ـ بإيجاز ـ عن هذه النقطة هو: الجيش النظامي ـ في الأصل ـ إنما هو للرجال المكلفين بالجهاد على سبيل الكفاية، إذ يكون أفراده تحت السلاح، وأصابعهم على الزناد، في حالة تأهب قصوى تحسبًا لأي طارئ يستدعي خوض الحرب، على الفور، للدفاع أو للهجوم.

وبهذا يُسقطون عن سائر المكلفين بالجهاد الكفائي هذا الواجب.. وما دامت المرأة لا يتجه عليها خطاب التكليف بوجوب الجهاد الكفائي أصلًا ـ فالجيش، إذًا، ليس هو مكانها الطبيعي.

ولكن، هذا لا يمنع من فتح باب الجيش النظامي لعناصر نسائية إذا دعت المصلحة إلى ذلك ـ حسب تقدير صاحب السلطة في هذا الشأن ـ ما دام الجهاد في الأصل، ليس ممنوعًا عن المرأة، وما الجيش النظامي ـ في واقعه ـ إلا أداة للقيام بالجهاد على الوجه الأفضل ـ فإذا أجزنا للمرأة الجهاد، فهذا يعني أن الدخول في الأداة التي تمكنها من القيام بالجهاد، وهي: الجيش النظامي ـ يكون جائزًا بطبيعة الحال.

ومع ذلك، فكما قلنا آنفًا، ليس هذا الجيش هو المكان الطبيعي للمرأة، وإن كان يجوز لأصحاب السلطة أن يفتحوا أبوابه لعناصر نسائية إذا دعت المصلحة إلى ذلك.

إذًا، أين المكان الطبيعي للمرأة، حين تنخرط في سلك الجاهدين، وحين يدعوها الداعي إلى الجهاد؟

الجواب: إن مكانها الطبيعي هو الجيش الاحتياطي الذي يُستنفر إلى الجهاد وقت الحاجة، أو الضرورة.

والدور الطبيعي ـ أيضًا ـ للمرأة في هذا الجيش، أو في الجيش النظامي إذا انخرطت فيه، لمصلحة دعت إلى ذلك ـ هو القيام بما يلائم طبيعتها مما ليس فيه مباشرة للقتال، كالمهمات التموينية، والطبية ـ وما إليها.

على أن هذا لا يمنع ـ إذا اقتضى الأمر ـ أن تحتل مواقع تباشر فيها أعمالًا قتالية، ما دامت تصلح للقتال.

بل إنه يجب عليها مباشرة القتال بالفعل، في الحالات التي يصبح فيها الجهاد بمعناه القتالي فرض عين عليها ـ على نحو ما سبق بيانه.

ومن هنا، فإننا نرى أنه يجب على الدولة الإسلامية أن تعد مراكز تدريب للنساء يتعلمن فيهـا اسـتعمال السلاح، وشؤون القتال، وذلك لأنه ما دام يمكن أن يصبح الجهاد فرض عين على المـرأة ـ فمـن الواجـب إعدادها لمثل هذه الحال، لكي تتمكن من القيام بهذا الفرض». [**الجهاد والقتال لخير هيكل ٢/ ١٠١٣-١٠٢٤**].

ويقول أ/ باشميل: «وقد كانت معركة أُحد أول معركة قاتلت فيها المرأة المسلمة المشركين في الإسلام.

ومن الثابت أن امرأة واحدة فقط اشتركت في هذه المعركة، فقاتلت بالسيف وقذفت بالنبل حتى أثخنتها الجراحة وهي تدافع عن رسول الله ﷺ.

كما أنه من الثابت أيضًا أن المرأة التي اشتركت في معركة أُحد، لم تخرج بقصد القتال، فهي لم تكن مجندة فيها كالرجال.

وإنما خرجت لتنظر ما يصنع الناس لتقوم بأية مساعدة يمكنها القيام بها للمسلمين كإغاثة الجرحى بالماء وما شابه ذلك.

يضاف إلى هذا أن هذه المرأة التي خاضت معركة أُحد، هي امرأة قد تخطت سن الشباب، كما أنها لم تخرج إلى المعركة إلا مع زوجها وابنيها الذين كانوا من الجند الذي قاتل في المعركة [(١)].

يضاف إلى هذا، الرصيد الهائل الذي لديها من المناعة الخلقية والتربية الدينية، فلا يُقاس على هذه الصحابية الجليلة مجندات هذا الزمان اللواتي يرتدين لباس الميدان، وعنصر الإغراء والفتنة هو أهم عنصر يتميزن به ويحرصن على إظهاره للرجال، فأين الثرى من الثريا؟؟.

كذلك رجال ذلك العصر لا يُقاس عليهم أحد من رجال هذا الزمان من ناحية الشهامة والاستقامة والعفة والرجولة.

فكل المحاربين التي اشتركت معهم المرأة في معركة أحد.. من هم؟ إنهم صفوة الأمة الإسلامية ورمز نبلها وشهامتها وعنوان رجولتها واستقامتها، صحابة محمد بن عبد الله النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار، الذين لا يرقى إليهم الشك، ولا يمكن مطلقًا أن يفكر واحد منهم في ريبة.

فلا يصح مطلقًا جعل اشتراك تلك المرأة في معركة أُحد قاعدة تُقاس عليها من الناحية الشرعية إباحة تجنيد المرأة في هذا العصر لتقاتل بجانب الرجل كعنصر أساس من عناصر الجيش، فالقياس في هذه الحالة قياس مع الفارق هو قياس باطل قطعًا». [**غزو أُحد لباشميل ١٥٠-١٥١**].

---

(١) الواقع أن القيام بالتمريض، ونقل الماء وإعداد الطعام وإعداد عدة الحرب من النساء يجعلهن في عداد المجاهدين أيضًا، فليس المجاهد هو الذي يقاتل فقط، وإنما الذين يؤمِّنون القضايا الإدارية في الحرب مجاهدون أيضًا .. إن هيئة تأمين القضايا الإدارية في الميدان لا تقل مطلقًا عن مباشرة القتال. (هكذا يقول اللواء خطاب).

ويقول أ/ باشميل أيضًا: «ولا شك أن حديث أم عمارة هذا يدل على أن اشتراكها في القتال يوم أُحد، إنما اضطراريًا، فهي لما رأت أن رسول الله ﷺ، أصبح في خطر لانهزام المسلمين عنه بعد غلطة الرماة، وأصبحت هي مهددة بالسبي لخلو المكان الذي كانت فيه، من عسكر المسلمين، صار لا مناص لها من حمل السلاح، للمشاركة في الدفاع عن القائد الأعلى النبي ﷺ الذي أحدق به الخطر بعد انكشاف الناس عنه واشتداد هجوم المشركين عليه، ولحماية نفسها أيضًا.

لاسيما أنها كانت موجودة ساعة الهزيمة في أخطر نقطة في المعركة، وهي النقطة القريبة من رسول الله ﷺ الذي صار هدفًا لموجات متتابعة من هجمات المشركين.

فأم عمارة إذن كانت في حالة، أصبح معها حمل السلاح واجبًا على مَنْ يقدر على حمله، رجلًا كان أم امرأة». [غزوة أُحد لباشميل ١٥٣].

ويقول أ/ عبَّاد: «ليس على المرأة قتال، ولا يصح إباحة تجنيد النساء، ولا يؤخذ ما فعلته نسيبة بنت كعب قياسًا؛ لأنه سيكون قياسًا باطلًا؛ لأن الثابت أنها لم تخرج بقصد القتال ولكنها خرجت لإغاثة الجرحى وعلاجهم، وإعداد الطعام وتوصيل النبال وما شابه ذلك».

[مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ١١٣-١١٤].

٧ ـ تحريم الخمر بعد غزوة أُحُد:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: اصْطَبَحَ [صَبَّحَ] نَاسٌ [أُنَاسٌ] الْخَمْرَ يَوْمَ [غَدَاةَ] أُحُدٍ، ثُمَّ قُتِلُوا شُهَدَاءَ [فَقُتِلُوا مِنْ يَوْمِهِمْ جَمِيعًا شُهَدَاءَ، وَذَلِكَ قَبْلَ تَحْرِيمِهَا].

[البخاري في الجهاد (٢٨١٥)، وفي المغازي (٤٠٤٤)، وفي التفسير (٤٦١٨)].

قال ابن كثير: «تَنْبِيهٌ: ذَكَرَ الْبَيْهَقِيُّ وَالْبُخَارِيُّ قَبْلَهُ خَبَرَ بَنِي النَّضِيرِ قَبْلَ وَقْعَةِ أُحُدٍ، وَالصَّوَابُ إِيرَادُهَا بَعْدَ ذَلِكَ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ مِنْ أَئِمَّةِ الْمَغَازِي.

وَبُرْهَانُهُ: أَنَّ الْخَمْرَ حُرِّمَتْ لَيَالِيَ حِصَارِ بَنِي النَّضِيرِ، وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ اصْطَبَحَ الْخَمْرَ جَمَاعَةٌ مِمَّنْ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْخَمْرَ كَانَتْ إِذْ ذَاكَ حَلَالًا، وَإِنَّمَا حُرِّمَتْ بَعْدَ ذَلِكَ، فَتَبَيَّنَ مَا قُلْنَاهُ مِنْ أَنَّ قِصَّةَ بَنِي النَّضِيرِ بَعْدَ وَقْعَةِ أُحُدٍ. وَاللهُ أَعْلَمُ». [السيرة النبوية لابن كثير ٣/ ١٦].

٨ ـ فيما اشتملت عليه هذه الغزوة من الأحكام بصفة إجمالية:

تحت هذا العنوان يقول الإمام ابن القيم فيما يتصل بالمرحلة الثانية من غزوة أحد:

١ ـ ومنها: جوازُ الغزوِ بالنساء، والاستعانةُ بِهِنَّ في الجهاد.

٢ ـ ومنها: جوازُ الانغماس في العدو، كما انغمسَ أنسُ بنُ النضر رضي الله عنه وغيرُه.

٣ ـ ومنها: أن الإمَامَ إذا أصابته جِراحة صلَّى بهم قاعدًا، وصلُّوا وراءه قعودًا، كما فَعَلَ رسولُ الله ﷺ في هذِهِ الغزوة، واستمرت على ذلك سُنَّته إلى حين وفاته.

٤ ـ ومنها: أن المسلِمَ إذا قَتل نفسه، فهو من أهل النار، لقوله ﷺ في قُزْمَانَ الذي أبلى يومَ أُحُدٍ بلاءً شديدًا، فلما اشتدَّت بِهِ الجِراحُ، نَحَرَ نفسه، فقال ﷺ: «**هُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**».

٥ ـ ومنها: أن المسلمين إذا قَتَلُوا واحدًا منهم في الجهاد يظنُّونه كافرًا، فعلى الإمام ديتُه مِن بيتِ المالِ، لأن رسولَ الله ﷺ أراد أن يَدِيَ اليمانَ أبا حُذيفة، فامتنع حُذيفَةُ من أخذ الدية، وتصدَّقَ بها على المسلمين.

[زاد المعاد لابن القيم ٣/ ١٨٩ - ١٩٠، ١٩٦].

المبحث الرابع
الدروس السياسية

١ ـ النعرات القبلية:

يقول أ/ عبَّاد: «ما فعله أبو عامر الفاسق نوع من النعرات القبلية التي تستخدم كوسيلة من وسائل تفرقة الأمة وتمزيق شمل المسلمين ، أما أبو سفيان بن حرب فقد استخدم أسلوب المصلحة للتفرقة ، بأن يقنع الأنصار أن يتخلوا عن الرسول ﷺ لمصلحتهم حيث إنهم غير مقصودين بالحرب، فلا مصلحة لهم بأن يضحوا بأنفسهم وأموالهم ومصالحهم من أجل قوم غير قومهم (أهل مكة).

وهذا ما يُفعل اليوم بالدول الإسلامية والعربية من قِبَل الدول الكبرى ليحافظوا على فُرقة تلك الدول، والأمة الإسلامية مدعوة إلى ترك الدعوات المضللة التي تكون بدعوى مصلحة الدولة وأمنها الداخلي والخارجي وأحيانًا باسم النعرات القبلية (كاللغة والجنس...)، وعليها أن تلتف حول العقيدة الإسلامية والشريعة الربانية، ويكون شعارهم قول الرسول ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ**». [البخاري في الصلاة (٤٨١)، وفي المظالم والغصب (٢٤٤٦)، وفي الأدب (٦٠٢٧)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٥)، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٨)، والنسائي في الزكاة (٢٥٦٠)، وأحمد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه (١٩١٢٧، ١٩١٢٨، ١٩١٦٨)].

«**مَنْ لَا يَهْتَمُّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ**». [أخرجه الطبراني في «الصغير» (ص ١٨٨) و«الأوسط» (٢/ ١٧١/ ١/ ٧٦٢٦)، وعنه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٢٥٢) وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ١/ ٤٨٣ حديث رقم ٣١٢].

[مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٨٠-٨١].

٢ ـ محاولة الأعداء لشق صف المسلمين ووحدتهم:

جاء في رواية الطبري من حديث محمد بن إسحاق قال: حدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عن رجل من الأنصار من بني سلمة قال: وقد أرسل أبو سفيان رسولًا فقال: **يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ ابْنِ عَمِّنَا نَنْصَرِفْ عَنْكُمْ، فَإِنَّهُ لَا حَاجَةَ لَنَا بِقِتَالِكُمْ**، فَرَدُّوهُ بِمَا يَكْرَهُ.

[تاريخ الطبري ٢/ ٥١١].

يقول د/ الحميدي: «وهكذا ظهر لون من ألوان خداع المشركين للمسلمين حيث أرادوا تفريق كلمتهم بمحاولة إقناع الأنصار بالتخلي عن رسول الله ﷺ، وقد كان الكفار في غاية السذاجة في التفكير حينما تقدموا بهذا الطلب؛ لأن من خَبَرَ حال المؤمنين في ارتباطهم برسول الله ﷺ علم أنهم جميعًا يفدونه بأرواحهم، وأنه من المستحيل أن يستجيبوا لهذا الطلب.

ولقد كان موقفًا جليلًا للأنصار رضي الله عنهم حينما ردوا على المشركين بما يكرهون، وأبانوا لهم قوة ارتباطهم برسول الله ﷺ، واهتمامهم بحماية دينهم.

وهذا الموقف يعتبر تبكيتًا للمشركين وتحطيمًا لمعنوياتهم حيث أظهر الأنصار تصلبهم في حماية الإسلام مع ما يكلفهم ذلك من حرب شعواء تظهر للمتأمل المتجرد من الإيمان بتغليب كفة المشركين لكونهم أكثر عَددًا وأقوى عُدة، ولكونهم موتورين جاؤوا لطلب الثأر، ولكون المدينة تشتمل على أعداء للمسلمين من اليهود والمنافقين». [**التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٠٧**].

ويقول د/ أبو فارس: «لا شك أن هذه الدعوة تجد آذانًا صاغية عند النفعيين الماديين الذين ينظرون للحياة نظرة تجارة مادية على أساس الربح والخسارة، أما عند الذين آمنوا بأن الحياة الدنيا هي دار ابتلاء، وأن الآخرة دار جزاء، وأن الفلاح يكون بمقدار البذل والتضحية لله ولرسوله، فلا يصغون لهذا الكلام، بل يسخرون منه، ولا يقيمون وزنًا له ولقائله، وهكذا كان موقف المسلمين من مهاجرين وأنصار، وهكذا استطاعوا إفشال خطة أبي سفيان التي كانت تهدف إلى تصديع جبهة المسلمين».

[**غزوة أُحد لأبي فارس ٧١-٧٢**].

«ومحاولة أبي عامر الفاسق لتصديع جبهة المسلمين وتفريق المؤمنين جاءت عن طريق آخر وبأسلوب غير أسلوب أبي سفيان، إنه طريق التعصب للقوم، فقد كان زعيمًا للأوس في الجاهلية، وظن أنه يستطيع أن يوجد صدعًا في جبهة المسلمين بإثارة النعرة القومية القبلية الضيقة النتنة.

ولكن هذا الأسلوب الرخيص لم يُجد فتيلًا؛ لأن القوم الذين آمنوا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا، نبذوا العصبية المنتنة وتآلفت قلوبهم وتجمعت نفوسهم على رابطة العقيدة والدين لا على رابطة التراب والطين، إنهم يرفضون أيه رابطة تتعارض مع الرابطة الأولى والوشيجة الهامة وهي وشيجة العقيدة، ومن هنا وقفوا بحزم من دعوة أبي عامر الفاسق فشجبوها، وردوا عليه بما يستحق.

والأمة الإسلامية اليوم مدعوة إلى ترك الدعوات المضللة واتباع الدعوة الإسلامية، والتجمع حول رابطة العقيدة، كما تآلفت قلوب الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ حول هذه الوشيجة».

[**غزوة أُحد لأبي فارس ٧٢-٧٣**].

ويقول د/ الحميدي: «في هذا الخبر موقف من مواقف الولاء والبراء، فقد ظهر ولاء الأنصار رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ والمؤمنين من المهاجرين، وبراءتهم من سيد من ساداتهم في الجاهلية كان موضع السمع والبصر في قومه الأوس حيث لم يبق من السادة الكبار بعد حرب بعاث إلا هو من الأوس وعبد الله بن أبي بن سلول من الخزرج، فكان لما له من شرف سابق فيهم يَعِدُ المشركين بأن قومه سيطيعونه وينضوون إليه إذا التقى الصفان، ولكن الله تعالى خيب أمله بهذا الرد القوي الذي لقيه من قومه».

[**التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١١٤**].

٣ ـ لا عصبية ولا قبلية ولا قومية:

يقول د/ الزيد: «عَنْ أَبِي عُقْبَةَ ـ وَكَانَ مَوْلًى مِنْ أَهْلِ فَارِسَ ـ قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ أُحُدًا فَضَرَبْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَقُلْتُ: **خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا الغُلَامُ الفَارِسِيُّ**، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «**فَهَلَّا قُلْتَ: خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا الغُلَامُ الأَنْصَارِيُّ؟ فَإِنَّ مَوْلَى القَوْمِ مِنْهُمْ**».

[مسند أحمد ٣٧/ ١٩٣ رقم ٢٢٥١٥، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده ضعيف، وأبو داود في الأدب (٥١٢٣)، وضعفه الألباني، وقال الهيثمي في المجمع ٦/ ١١٥: (رواه أبو يعلى ورجاله ثقات)، وينظر: صحيح السيرة النبوية للعلي ص ٣٠١، وقال: (وإسناده حسن). [قلت: وابن ماجه في الجهاد (٢٧٨٤) وضعفه الشيخ الألباني، والمطالب العالية لابن حجر ١٧/ ٣٧٠ كتاب المغازي والسير (٤٢٦٨)، وضعف محققه إسناده].

نأخذ منها تصحيح العبارات حتى في أحلك المواطن [صحيح السيرة النبوية للعلي ص٣٠١]، وأن الانتساب الحقيقي للمسلم إنما هو لأهل الإسلام، فلا عصبية ولا قبلية ولا قومية ينتمي إليها ويدع انتماءه الحقيقي إلى هذا الإسلام (ولذلك كره النبي ﷺ أن ينتسب ـ هذا الرجل ـ إلى فارس؛ لأنهم كانوا كفارًا، فأرشده ﷺ إلى الانتساب إلى مواليه الأنصار وترك الانتساب إلى الاسم الجاهلي) [بلوغ الأماني لأحمد البنا ٢٢/ ١٧٧، وينظر: عون المعبود شمس الحق العظيم آبادي ١٤/ ٢٨]». [فقه السيرة للزيد ٤٥١-٤٥٢].

٤ ـ أهمية طاعة الأمير:

يقول د/ الزيد: «في معصية أغلب الرماة لأميرهم عبد الله بن جبير ﵁ وتركهم للجبل، وما ترتب على ذلك من أضرار بالغة، نستفيد منها أهمية طاعة الأمير، ذلك أن طاعة ولي الأمر لها اعتبارها ومكانتها وعظيم أثرها، والله جل شأنه يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء].

ويقول الرسول ﷺ: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي**».

[البخاري في الجهاد (٢٩٥٧)، وفي الأحكام (٧١٣٧)، ومسلم في الإمارة (١٨٣٥)، والنسائي في البيعة (٤١٩٣)، وابن ماجه في الجهاد (٢٨٥٩)، وأحمد عن أبي هريرة ﵁ (٧٣٨٦، ٧٦٠٠، ٨٧٨٨، ٩٦٩٦، ٩٧٣٩، ١٠٢٥٩، ٢٧٣٥٠)].

فينبغي أن يدرك الجميع أهمية الطاعة لولي الأمر في غير معصية الله جل شأنه، وأن مصلحة المجتمع في الطاعة، وكم جَرَّت مخالفة بعض الرماة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ من أسى وضرر على المسلمين في أُحد بسبب عدم طاعتهم للرسول ﷺ وعدم طاعتهم لأميرهم عبد الله بن جبير ﵁ حينما أمرهم بالبقاء ونهاهم عن ترك الجبل وذكَّرهم بأمر رسول الله ﷺ، والله أعلم بالصواب». [فقه السيرة للزيد ٤٤٩-٤٥٠].

وفي مبحث الدروس الفقهية سبق تفصيل القول عن حكم طاعة ولي الأمر، أما هنا فيناقش د/ بامدحج: «**المواقف التي أطاع فيها الصحابة رضي الله عنهم الرسول ﷺ وانتصروا فيها، وكذلك الموقف الذي خالف فيه الصحابة رضي الله عنهم الرسول ﷺ وماذا ترتب على هذه المخالفة من خلال أحداث غزوة أُحُد**:

المواقف التي أطاع فيها الصحابة رضي الله عنهم الرسول ﷺ وانتصروا فيها كثيرة جدًّا نذكر منها:

أولاً: عند المشاورة: بعد أن تمت المشاورة بين الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم واستقر الرأي على الخروج للقاء قريش في أُحُد، عقد الرسول ﷺ العزم على الخروج فتردد بعض الصحابة في الخروج لكن الرسول ﷺ أبى إلا الخروج وتنفيذ ما تم الاتفاق عليه، قال ابن اسحاق: «فلم يزل الناس برسول الله ﷺ الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم، حتى دخل رسول الله ﷺ بيته، فلبس لأمته فتلاوم القوم فقالوا: عرض نبي الله ﷺ بأمر وعرضتم بغيره، فاذهب يا حمزة فقل لنبي الله ﷺ: «أمرنا لأمرك تبع»، فأتى حمزة رضي الله عنه فقال له: يا نبي الله إن القوم قد تلاوموا فقالوا: أمرنا لأمرك تبع، فقال رسول الله ﷺ: «**مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ**». [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦٣].

فالتزم الصحابة لأمر رسول الله ﷺ وخرج الجميع، وكان هذا الالتزام سببًا من أسباب النصر وهذا نوع من الطاعة.

ثانيًا: عند التخطيط: رسم رسول الله ﷺ خطته للتصدي لجيش كفار قريش، وكان من ذلك أن انتقى رسول الله ﷺ خمسين من الرماة تحت إمرة عبد الله بن جبير رضي الله عنه، ووضعهم فوق جبل عينين المقابل لجبل أُحُد؛ وذلك ليمنع التفاف جيش المشركين حول جيش المسلمين، وأصدر أوامره إليهم قائلًا: «**إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ، فَلا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا القَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ**».

[البخاري في الجهاد (٣٠٣٩)، وفي المغازي (٤٠٤٣)، فتح الباري ٦/ ١٨٨، ٧/ ٤٠٥].

ثم أصدر ﷺ أوامره للجيش قائلًا: «**لَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُوذِنَكُمْ**»، وقال: «**لَا يُقَاتِلَنَّ أَحَدٌ حَتَّى آمُرَهُ بِالقِتَالِ**».

فلما نفذ الجميع تعليمات الرسول ﷺ وأوامره انتصر المسلمون، وهذا من ثمار طاعة الأمير والسمع والطاعة لولي الأمر.

وهناك درس آخر نستفيده من هذا الحدث وهو ترتيب الرسول ﷺ للرماة رضي الله عنهم وذلك لكي يعلمنا ﷺ كيفية الطاعة وأهميتها في نجاح الخطة المرسومة، وفائدة ذلك في طاعة ولي الأمر.

ومن فوائد ذلك: أمره ﷺ بعدم بدء القتال إلا بأمره ﷺ فيه مظهر من مظاهر الطاعة؛ وذلك لكى يتم العمل بنظام معين، وتؤتى ثمار الجهد المبذول.

ومن غزوة أُحُد نتعلم هذا الدرس وهو أن الصحابة ﭫ عندما أَخَلُّوا بالطاعة كاد أن يُخلص إلى رسول الله ﷺ أو يُقتل، والسبب عدم الطاعة. [الإسلام والانضباط -د/ زيد بن عبد الكريم الزيد ص ٤٠ (ندوة أقيمت في مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض في ١٥/ ١٠/ ١٤١١هـ بعنوان: دور المواطن في المحافظة على مكتسبات التنمية)].

ثالثًا: ما ترتب على مخالفة أمر الرسول ﷺ: لما رأى الرماة ﭫ هزيمة المشركين ورأوا الغنائم في أرض المعركة جذبهم ذلك إلى ترك مواقعهم، ظنًا منهم أن المعركة انتهت فقالوا لأميرهم عبد الله بن جبير ﭬ: «**الغَنِيمَةَ أَيْ قَوْمِ الغَنِيمَةَ ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ فَمَا تَنْتَظِرُونَ**»، فَقَالَ عَبْدُ الله ابْنُ جُبَيْرٍ ﭬ: **أَنَسِيتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ الله** ﷺ، قَالُوا: **وَالله لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ، فَلَنُصِيبَنَّ مِنْ الغَنِيمَةِ.**

[البخاري في الجهاد (٣٠٣٩)، وينظر: فتح الباري ٦/ ١٨٨، ٧/ ٤٠٦].

ثم انطلقوا يجمعون الغنائم ولم يعبأوا بقول أميرهم ﭬ ووصف ابْنُ عَبَّاسٍ ﭭ حالة الرماة في ذلك الموقف، فقَالَ: «فَلَـمَّا غَنِمَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبَاحُوا عَسْكَرَ الْمُشْرِكِينَ، أَكَبَّ الرُّمَاةُ جَمِيعًا فَدَخَلُوا فِي العَسْكَرِ يَنْهَبُونَ، وَقَدْ التَقَتْ صُفُوفُ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ فَهُمْ كَذَا - وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدَيْهِ - وَالتَبَسُوا، فَلَـمَّا أَخَلَّ الرُّمَاةُ تِلكَ الخَلَّةَ الَّتِي كَانُوا فِيهَا، دَخَلَتْ الخَيْلُ مِنْ ذَلِكَ المَوْضِعِ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَضَرَبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَالتَبَسُوا وَقُتِلَ مِنْ المُسْلِمِينَ نَاسٌ كَثِيرٌ...». [مسند أحمد ١/ ٢٨٧، رقم ٢٦٠٨، ورواه الحاكم في المستدرك كتاب التفسير ٢/ ٢٩٦، ومجمع الزوائد للهيثمي ٦/ ١١٠-١١١].

ورأى خالد بن الوليد - وكان على خيالة المشركين - الفرصة سانحة ليقوم بالالتفاف حول المسلمين، ولما رأى المشركون ذلك عادوا إلى القتال من جديد وأحاطوا بالمسلمين من جهتين، وفقد المسلمون مواقعهم الأولى، وأخذوا يقاتلون بدون تخطيط، فأصبحوا يقاتلون مبعثرين متفرقين، فلا نظام يجمعهم، ولا وحدة تشملهم، بل لم يعودوا يميزون بعضهم، فقد قتلوا اليمان - والد حذيفة بن اليمان ﭭ - وهو شيخ كبير.

عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ ﭭ قَالَتْ: لَـمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ هُزِمَ المُشْرِكُونَ [هَزِيمَةً تُعْرَفُ فِيهِمْ]، فَصَاحَ إِبْلِيسُ [- لَعَنَةُ الله عَلَيْهِ -]: **أَيْ عِبَادَ الله أُخْرَاكُمْ**، فَرَجَعَتْ أُولَاهُمْ فَاجْتَلَدَتْ هِيَ وَأُخْرَاهُمْ، فَنَظَرَ حُذَيْفَةُ فَإِذَا هُوَ بِأَبِيهِ اليَمَانِ، فَقَالَ: **أَيْ عِبَادَ الله أَبِي أَبِي**، فَوَالله مَا احْتَجَزُوا [انْحَجَزُوا] حَتَّى قَتَلُوهُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: **غَفَرَ الله لَكُمْ**، قَالَ عُرْوَةُ: **فَمَا زَالَتْ فِي حُذَيْفَةَ مِنْهُ بَقِيَّةُ خَيْرٍ حَتَّى لَحِقَ بِالله** ﷻ.

قَالَ: وَقَدْ كَانَ انْهَزَمَ مِنْهُمْ قَوْمٌ حَتَّى لَحِقُوا بِالطَّائِفِ». [البخاري في بدء الخلق (٣٢٩٠)، وفي مناقب الأنصار (٣٨٢٤)، وفي المغازي (٤٠٦٥)، وفي الأيمان والنذور (٦٦٦٨)، وفي الديات (٦٨٨٣، ٦٨٩٠)].

وأخذ المسلمون يتساقطون شهداء في الميدان، وفقدوا اتصالهم بالرسول ﷺ، وشاع أنه قُتل ﷺ.

إن الخطأ الفظيع الذي وقع فيه الرماة والذي قَلَب الموازين، وأدى إلى الخسائر الفادحة التي لحقت بالمسلمين، كل ذلك بسبب مخالفة الرماة لأمر الرسول ﷺ، قَالَ البَرَاءُ بنُ عَازِبٍ ﭭ في وصف حال

المسلمين: «... فَلَمَّا لَقِينَا هَرَبُوا حَتَّى رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ فِي الجَبَلِ، رَفَعْنَ عَنْ سُوقِهِنَّ قَدْ بَدَتْ خَلَاخِلُهُنَّ، فَأَخَذُوا يَقُولُونَ: الغَنِيمَةَ الغَنِيمَةَ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ لَا تَبْرَحُوا، فَأَبَوْا، فَلَمَّا أَبَوْا صُرِفَ وُجُوهُهُمْ، فَأُصِيبَ سَبْعُونَ قَتِيلًا...». [البخاري في المغازي (٤٠٤٣)].

ولكي نعرف أهمية الطاعة لولي الأمر، نلحظ أن انخزال عبد الله بن أُبي ومَنْ معه من المنافقين لم يؤثر على المسلمين، بينما الخطأ الذي ارتكبه الرماة الذين أحسن الرسول ﷺ ترتيبهم وأسند لكل واحد منهم عملًا، ثم خالفوا أمره ﷺ كان ضرره على المسلمين عامة، حيث سلط الله عليهم عدوهم؛ وذلك بسبب عصيان الأوامر، ثم اختلطت أمورهم وتفرقت كلمتهم، وكاد أن يُقضى على الدعوة الإسلامية وهي في مهدها.

ومن هذا يتبين لنا أنه حينما أُطيع الأمير كانت النتيجة انتصار المسلمين، وحينما عُصي الأمير ترتب علي ذلك حصول الهزيمة والإصابات والخسائر الفادحة للمسلمين، ومن هذا يتبين لنا أثر طاعة ولي الأمر ـ في غير معصية الله ـ في حدوث الاستقرار والطمأنينة والأمن بجميع صوره سواء الأمن على الدين أو الأنفس أو الأموال أو غير ذلك، إضافة إلى حصول الإيمان لله ﷻ ولرسوله ﷺ وذلك من طاعة ولي الأمر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء].

وقال ﷺ: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ يُطِعْ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي، وَإِنَّمَا الإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللهِ وَعَدَلَ، فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا، وَإِنْ قَالَ بِغَيْرِهِ فَإِنَّ عَلَيْهِ مِنْهُ**». [البخاري في الجهاد (٢٩٥٧)].

آثار الطاعة من خلال غزوة أُحُد: بينا أهمية الطاعة لولي الأمر عمومًا، وأهميتها في غزوة أُحُد خاصة، وأن الحياة لا تنتظم ولا تستقر بدون طاعة ولي الأمر، وفي هذه الفقرة سوف نبين آثار الطاعة من خلال غزوة أحد، ومن ذلك:

(١) الامتثال لأمور الله ﷻ وأمر الرسول الكريم ﷺ.

(٢) ظهور الأمة بمظهر الهيبة والرهبة أمام الأعداء.

(٣) أنها سبب في النصر على الأعداء.

ولقد تبين لنا ذلك من خلال أحداث غزوة أُحُد، حيث انتصر المسلمون في أول الأمر حينما امتثلوا لأوامر الرسول ﷺ، وانقادوا لتعليمات قائدهم وأميرهم عبد الله بن جبير ﷺ، بينما انهزموا حينما خالفوا أمره ﷺ ونزل الرماة من الجبل لجمع الغنائم مع بقية الصحابة ﷺ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ

صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران].

ومن ظهور الأمة بمظهر الهيبة والرهبة أمام الأعداء أن خالد بن الوليد ﵁ حاول أن يسيطر على الجيش الإسلامي من خلف الجبل ولكنه لم يفلح في ذلك، بالرغم من كثرة جيش قريش؛ وذلك لامتثال الرماة لأمر الرسول ﷺ، فبدا له أن الجيش الإسلامي كتلة واحدة متماسكة، و قد أشار الله ﷻ إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال].

وأما أنها سبب في النصر على الأعداء فلعل ما حصل أثناء الغزوة أجلى دليل على ذلك، فالمسلمون قد انتصروا في أول الأمر حينما كانوا مطيعين لرسول الله ﷺ، ثم انهزموا حينما خالفوا أمره ﷺ، فنزل الرماة من الجبل لمشاركة الناس في جمع الغنائم بدون إذن رسول الله ﷺ.

[طاعة أولي الأمر ـ د/ عبد الله الطريقي ص ٦٢ ـ دار المسلم بالرياض ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م].

(ومن آثار عدم الطاعة ما حصل من معصية بعض الصحابة ﵃ والنبي ﷺ بين أظهرهم، وهم يجاهدون في سبيل الله؛ لإعلاء كلمة الله...، والذي حصل أنه لما كانت الغلبة للمؤمنين، ورأى بعض الرماة أن المشركين انهزموا، تركوا الموضع الذي أمرهم النبي ﷺ ألا يبرحوه، وذهبوا مع الناس، وبهذا كَرَّ العدو عليهم من الخلف، وحصل ما حصل من الابتلاء والتمحيص للمؤمنين، وقد أشار الله تعالى إلى هذه العلة بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ١٥٢] هذه المعصية التي فات بها نصر انعقدت أسبابه، وبدأت أوائله، هي معصية واحدة، والرسول ﷺ بين أظهرهم، فكيف بالمعاصي الكثيرة؟ و لهذا نقول: إن المعاصي من آثارها أن الله يسلط بعض الظالمين على بعض بما كانوا يكسبون، ويفوتهم من أسباب النصر والعزة بقدر ما ظلموا فيه أنفسهم).

[الطاعة والمعصية وأثرهما في المجتمع: غزوة أحد ـ الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين ـ دار المسلم ـ الرياض ١٤١٢هـ].

وكان إذا حصل خلل في الطاعة عاقب الله المسلمين ولو كان فيهم رسول الله ﷺ بسبب معصيتهم كما حصل في غزوة أحد، حيث قُتل من المسلمين سبعون، وجُرح رسول الله ﷺ بسبب معصية بعض الرماة الذين أمرهم بالبقاء في أماكنهم فاجتهدوا عندما رأوا المسلمين منتصرين على المشركين، وترك بعضهم الجبل، فأتى الله المسلمين بما لم يكونوا يحتسبون ليكون تربية لهم ولمن وراءهم كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ

﴿وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران].

وهذا العقاب قد حصل لأصحاب رسول الله ﷺ ولم يسلم من أثره الرسول ﷺ بسبب معصية لا تعد شيئًا بجانب معاصي المسلمين في العصور المتأخرة.

[الجهاد في سبيل الله: حقيقته وغايته ـ د/ عبد الله أحمد القادري ـ ط٢ دار المنارة ـ جدة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م].

إذًا مما سبق يتضح لنا أهمية طاعة ولي الأمر، وعظم مكانتها؛ لذا فعلى الدعاة إلى الله أن يكونوا قدوة في السمع والطاعة لولاة الأمر، وأن يقفوا بجانبهم وأن يساعدوهم على نوائب الحق، وأن يقفوا متحدين وراء ولي الأمر ويؤيدوه ويؤازروه ويكونوا عونًا له على إعلاء كلمة التوحيد بكل ما أتوا من متاع وما ملكوا من الدنيا». **[غزوة أحد لبامدحج ٢٠٤-٢١٢].**

٥ ـ مسؤولية القيادة:

يقول أ/ خلف الله: «يقاس تماسك الجماعات بمقدار اعتزاز الأفراد بالانتماء إليها، ويقوى الشعور بالانتماء إلى الجماعة كلما قويت الروابط التي تربط بين الأفراد، وتزداد هذه الروابط متانة كلما اتسع المجال الإنساني للعلاقات التي تربط بين أعضاء الجماعة، وتضعف بقدر ما يطرأ عليها أو يشوبها من عناصر لا إنسانية تهدد وجود الفرد وتجبره على أن يسلك سلوكًا لا إنسانيًّا إزاء الآخرين.

وتبلغ قوة الانتماء أوجها وتصل إلى مداها في الجماعات الإنسانية السوية السليمة: إذ تتربى في الأفراد أعلى ألوان الحساسية الاجتماعية، وحينئذ تكمل مسؤولية الفرد عن الجماعة ومسؤولية الجماعة عن الفرد، ويصبح كل فرد قائدًا وتابعًا في آن واحد، وتكون الجماعة كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

وقد صقلت التربية المحمدية الكاملة الصحب ـ رضوان الله عليهم ـ بأعلى مفهوم إنساني للقيادة فجعلت كل فرد منهم تابعًا صالحًا وقائدًا كفؤًا في مستواه المحدد له في الجماعة، ويوضح هذا المعنى قول المربي الأعظم صلوات الله وسلامه عليه: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ...**».

[رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وأحمد].

وقد كشف بعض الفلاسفة في القرن العشرين عن أهمية هذا القانون، ووضعوا ما وسعهم أن يضعوه من المناهج لتطبيقه تطبيقًا صحيحًا في النواحي السياسية والاجتماعية والتربوية.

درَّب رسول الله ﷺ الصحب رضي الله عنهم إذن على التبعية الصالحة والقيادة الرشيدة الإنسانية بحيث لم يصبح لأحد منهم أية عذر لو قصَّر في تحمل المسؤولية التي ستلقى على عاتقه بعد وفاته ﷺ، بل إن الواجب يقتضي أن يسير كل منهم قدُمًا في نشر الدعوة كما لو كان رسول الله ﷺ حيًّا.

إلا أنه قد يتطرق إلى أذهان البعض أن أحدًا لن يصلح للقيادة العظمى بعد وفاته ﷺ، فكان لا بد من تجربة تعد الصحب للصمود في ذلك اليوم العظيم: وقد مروا بهذه التجربة القاسية خلال غزوة أحد.

وقد مرَّ بنا ما حل بالصحب حينما سمعوا نبأ قتله ﷺ: إذ اضطرب حبلهم فما يدري كبارهم ماذا يصنعون، فبين الله سبحانه وتعالى لهم أن الواجب يقتضي منهم أن يستمر نظامهم كما هو؛ لأنهم لا يقاتلون من أجل مخلوق، وإنما يقاتلون في سبيل الله تعالى لتبليغ الدعوة الخالدة، وتعميم مبادئها الإنسانية العامة لإنقاذ البشرية من التردي في مهاوى الهلاك: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران]، والشاكرون هم الذين عرفوا ما يجب عليهم أن يفعلوه وتغلب شعورهم بالواجب على هول الموقف، فشكروا الله تعالى بثباتهم تقديرًا لنعمته عليهم». [غزوة أُحد لخلف الله ١٨٢-١٨٤].

المبحث الخامس
الدروس العسكرية

١ ـ أهمية معرفة أرض المعركة (تحليل ساحة الحركات):

يقول ف.ر/ سالم العلي: «تبعد المدينة المنورة عن مكة المكرمة مركز تجمع المشركين بحدود (٥٥٠كم)، ويربط المدينة المنورة بمكة الطريق الساحلي الذي يمر من منطقة ينبع وهذا هو الطريق الوحيد المُعَبَّد الذي تسلكه القوافل التجارية في طريقها إلى الشام، ويصلح للتنقل في جميع مواسم السنة، عدا في زمن هطول الأمطار.

وكانت وسائط النقل المستخدمة آنذاك الجمال والدواب؛ ولهذا لا يمكن لأي جيش أن يتحشد قرب المدينة لغرض مهاجمة المسلمين بين ليلة وضحاها، حيث لابد أن يقطع المسافة بين مكة والمدينة في عدة أيام؛ ولهذا سيكون تحرك جيش قريش من مكة إلى المدينة معلومًا لدى المسلمين قبل وصوله إلى المدينة، أي من الصعب جدًّا مباغتة المسلمين في عقر دراهم، كما كان يتوقع أبو سفيان.

تقع المدينة المنورة في منطقة تكثر فيها الأراضي البركانية وتحيط بها العوارض الأرضية المهمة تتخللها القنوات التي تسقي بساتين النخيل والحقول الزراعية المختلفة المحيطة بالمدينة المنورة والتي تعود أكثرها إلى ملكية المسلمين، وأهم العوارض المهمة في المنطقة هي:

أ ـ عارضة جبل أُحد: يقع هذا الجبل شمال شرق المدينة ويبعد عنها بمسافة ٤ كم ويمتد هذا الجبل من الشرق إلى الغرب ويبلغ طوله ٦ كم، وأقصى ارتفاعه (١٠٠٠) ألف قدم، وتكثر فيه القمم الكاذبة والتضاريس الأرضية الحادة والطنوف المختلفة الارتفاع والوديان، وتنتشر فيها بين طنوفه حفر تتجمع فيها مياه الأمطار تُسمى «المهاريس».

وفي الجزء الغربي من أحد يوجد طنف كبير يهبط بانحدار شديد نحو السهل في «وادي قناة»، كما يوجد إلى يمين هذا الطنف واد شديد الانحدار، وسفوح أحد الغربية شديدة الانحدار ويصعب تسلقها من قبل الخيل والمشاة.

وسُمي أحدٌ أحدًا لتوحده من بين تلك الجبال في المنطقة، وفي الصحيح جاء الحديث التالي «**أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**» [سبق تخريجه]، وبالحقيقة يشكل هذا الجبل عارضة تعبوية مهمة في المنطقة تصلح للرصد والاستطلاع ولغرض الدفاع والحماية.

ب ـ الوديان والقنوات: هناك العديد من الوديان والقنوات تقطع ساحة المعركة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب تجري فيها مياه الآبار والينابيع يُستفاد منها لسقي بساتين النخيل وزروع المسلمين في المدينة.

أهمها «وادي قناة» الذي يصب في منطقة «زغابة» ويمر من السفوح الغربية لجبل أُحد وبمحاذاة الحافة الشرقية «ربوة عينين»، وعلى ضفاف الوادي دارت معركة غزوة أُحد، واتخذت فيه الجيوش معسكراتها.

وهناك «وادي بطحان» يمر من غرب المدينة مباشرة و«وادي العقيق» الذي يمر من غرب «حرة الوبرة» ويلتقي مع «وادي قناة»، و«وادي بطحان» قرب «زغابة»، لا تشكل هذه الوديان والقنوات أي عائق تجاه الجيوش المتحاربة، وهي مصدر جيد للماء.

ج ـ **الأراضي الحيوية:** هناك بعض العوارض الأرضية المهمة في منطقة المعركة التي قد يصلح البعض منها أن يدعى بالأرض الحيوية منها جبل «سلع» الذي يقع شمال غرب المدينة، و«الشيخان» [تلان صغيران في ضواحي المدينة]، الذي يقع شمال المدينة بحوالي (٥ و١) كم، وهناك جبل «ربوة عينين» الذي يقع شمال المدينة وعلى الضفة الغربية لوادي قناة، ولهذا الجبل أهمية قصوى في غزوة أُحد.

ويبلغ ارتفاعه (١٥م) تقريبًا، وطوله (٥٠٠ م)، وهو على بُعد قليل من قبور شهداء أُحد وضريح سيدنا الحمزة ﷺ، وقد اندرست معظم معالم هذا الجبل نتيجة كثرة ما شيد عليه من الأبنية القديمة، وكذلك يصعب الاهتداء إلى «الشيخان».

د ـ **البساتين والزروع:** تكثر بساتين النخيل في أطراف المدينة المنورة والحقول الزراعية التي تعود أغلبها للمسلمين لكثرة توفر الماء في المنطقة، وهي تصلح للتعسكر والاختفاء وكعلف جيد للحيوانات، وفي تلك المزارع ترك المشركون إبلهم وخيولهم ترعى حين وصلوا إلى المدينة قبل بدء المعركة لغرض استفزاز المسلمين وهدر ممتلكاتهم؛ مما أذكى حماس المسلمين للخروج من المدينة وقتالهم.

هـ ـ **الأراضي البركانية:** تحيط ببساتين النخيل والزروع في أطراف المدينة مناطق مملوءة بالصخور البركانية الحادة التي لا تساعد على سير الخيل والجمال؛ لأنها تؤذي حوافر الخيل وخفوف الجمال، ولكنها تنعدم وتتلاشى قرب ضفاف وادي قناة.

و ـ **مصادر الماء:** الماء متوفر في الوديان والقنوات والينابيع المحيطة بالمدينة، كما أنه متوفر في «المهاريس» الكائنة في ما بين قمم أُحد والذي استخدمه المسلمون لإغاثة الجرحى والعطشى، والماء متوفر بشكل غزير في وادي قناة، ولكنه لم يسبب أي عائق أو مانع يُذكر لكلا الطرفين المتحاربين.

ز ـ **طُرُق المواصلات:** الطريق التجاري الذي يصل مكة بالمدينة ثم إلى الشام يمر من غرب المدينة، وهذا الطريق التجاري هو الذي سلكته قريش في مسيرة الاقتراب نحو الهدف، وهناك طريق آخر يتفرع من هذا الطريق قبل الوصول إلى المدينة ويتجه نحو الشرق باتجاه نجد وإلى العراق والشام، والذي سلكه صفوان بن أمية في قافلته التي أسرها زيد بن حارثة ﷺ، وهو أصعب من الطريق الساحلي ويحتاج إلى أدلاء.

ح ـ **ساحة المعركة (تضاريس ساحة المعركة)**: أما ساحة المعركة الفعلية التي جرى فيها القتال فهي تقع حول جبل الرماة، وهي منبسطة في أقسامها الجنوبية، وتبدأ بالارتفاع بعد وادي قناة باتجاه سفوح أُحد الغربية، وتكثر في المنطقة الأراضي السبخة (الأرض الكثيرة الملوحة)، وأهم عوارض ساحة جبل أُحد: وادي قناة، جبل الرماة، الشيخان.

إن الواقف على جبل الرماة ويجول بنظره على امتداد ساحة المعركة التي أمامه لا يكاد يصدق أن أهم معركة تاريخية في صدر الإسلام قد دارت في هذا الميدان؛ وذلك لصغر ساحة المعركة، فهي أوسع بقليل من ساحة كرة القدم.

وهذا ناتج طبعًا عن نوع وطبيعة وقدرات الأسلحة المستخدمة آنذاك وهي السيف والرمح والقوس والخنجر والفأس، وبالطبع أن المديات المؤثرة لهذه الأسلحة هي أقصر بكثير وبلا شك من مديات الأسلحة المستخدمة في الحروب التي تعاقبت إلى يومنا هذا». [معركة أُحد للعلي ١٧-٢١].

ويقول د/ الرشيد: «يُعَدُّ اختيار المكان المناسب في المعركة ذا أثرٍ كبيرٍ على نتائجها، وقد ذكر أهل الخبرة والدِّرَايَةِ بالحرب، أنه ينبغي لقائد الجيش، أن يجتهدَ في حمايةِ ظهور جنده من أعدائه.

فقد ذكر الماوردي رحمه الله أن من واجبات القائد لحماية جنده أن يتخير لهم موضع نزولهم لمحاربة عدوهم، وذلك أن يكونوا أَوْطَأَ الأرضِ مكانًا، وأكثرها مرعىً وماءً، وأحرسها أطرافًا وأَكْنَافًا وأطرافًا؛ ليكون أعون لهم على المنازلة، وأقوى لهم على المرابطة.

ويذكر الأنصاري أيضًا أنه يجب على قائد الجيش (أن يسند ظهور أصحابه إلى الجبال أو التِّلال أو الأنهار، وما أشبه ذلك مما يؤمِّنُ سرعةَ التَّطَرُّقِ والكمن والبيات من العدو... وذلك أن العدو إذا أتى مواجهةً وَاجَهَهُ أهل العسكر باللِّقاء بالسِّلاح، ودافعوه بما تصل إليه طاقتهم من الدفاع، وأما إذا أتى من جهة ظهر العسكر، فإن لم يكن هناك ما يحفظ ظهره ربما هجم العدو على العسكر على حين غفلةٍ منه».

[تفريج الكروب في تدبير الحروب ص٤٣].

وبذلك تحل الكارثة بالجند.

وقد كان الرسول ﷺ يحرص على اختيار المكان المناسب الذي ينزل فيه جنده، ففي غزوة أُحد عرف ﷺ بفراسته أهمية جبل أُحد واستفاد منه في حماية ظهور أصحابه من الخلف.

ومما يدل على أهمية هذا الموقع أن كفة المسلمين كانت راجحةً حينما كانوا مسيطرين على الجبل، وعندما ترك الرماة مواقعهم واحتلها المشركون، رجحت كفَّتُهم، وهذا ما أكده النبي ﷺ على الرُّمَاةِ، بقوله: «**لَا تَبْرَحُوا إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلَا تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا تُعِينُونَا**».

[البخاري في المغازي (٤٠٤٣)]. [القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ للرشيد ٤٢٤-٤٢٥].

ويقول أ/ عبَّاد: «أي قائد يدرس خطة النبي ﷺ يجدها خطة حكيمة ودقيقة جدًّا تتجلى فيها عبقريته العسكرية ﷺ، فقد احتل أفضل موضع في ميدان المعركة مع أنه نزل فيه بعد العدو، فقد حمى ظهره ويمينه بارتفاعات الجبل، وحمى مؤخرته وظهره بوضع الرماة على الجبل، واختار لمعسكره موضعًا مرتفعًا يحتمي به إذا نزلت الهزيمة بالمسلمين، ولا يلتجئ إلى الفرار فيتعرض للوقوع في قبضة الأعداء والأسر، وأيضًا يستطيع أن يلحق خسائر فادحة بالأعداء إن أرادوا احتلال معسكره وتقدموا إليه، وكذلك ألجأ أعداءه إلى قبول موضع منخفض يصعب عليهم أن يحصلوا على شيء من النصر إن كانت لهم الغلبة، ويصعب عليهم الإفلات من المسلمين المطاردين إن كانت الغلبة للمسلمين، وبذلك يعطي النبي ﷺ درسًا لكل قائد في كيفية الاستخدام الجيد للأرض، والاستفادة مما قد توفره بعض التضاريس من مميزات تكتيكية، وذلك يعد عاملًا رئيسًا في كسب المعركة». [**مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٧١**].

ويقول د/ الجريوي: «قال أحد كبار القادة العسكريين في إحدى الدول الإسلامية، والذي جاء بنفسه حتى وقف على موقع المعركة، ثم رأى وتفكر وتمعن ونظر، ثم قال: يستحيل أن يستطيع قائد عسكري أن يختار مثل هذا الموقع، ويتميز الموقع الذي اختاره الرسول ﷺ لجيشة بميزة عظيمة ونادرة، حيث يسمح لجيشه في حالة انتصاره بمطاردة عدوه، وفي الوقت نفسه لو حصل العكس وحصلت الهزيمة فسوف تكون محدودة ومقصورة، لا يستطيع العدو معها القضاء على الجيش قضاءً نهائيًّا، حيث لن يكون المجال أمامه مفتوحًا للمطاردة، بل يستطيع الجيش الإسلامي في حالة الهزيمة أن يخرج منتصرًا!! إذ إن صعودهم في الجبل يمكنهم من عدوهم، ولا يمكِّن عدوهم منهم، وقد برهنت الحوادث أن اختيار هذا المكان هو الذي جنَّب الجيش الإسلامي خطر الفناء الكامل».

[**السياسة العسكرية في غزوة أحد للجريوي ص ٦٩-٧٠**].

٢ ـ أهمية عنصر المفاجأة (١):

يقول د/ أبو فارس: «وفي غزوة أحد اختار رسول الله ﷺ موقعًا إستراتيجيًّا ممتازًا إذا جعل جبل أحد خلف جيشه ووضع عليه خمسين راميًا ليحمي ظهور المسلمين، ونتيجة لهذه المفاجأة في الموقع الأقوى كسب رسول الله ﷺ الجولة الأولى في المعركة، إلا أن المسلمين لم يجنوا ثمار الانتصار في النهاية لعدم التزام الرماة بالبقاء على الجبل، فنزلوا وكشفوا بنزولهم ظهور المسلمين فحرموا المسلمين من النصر».

[**المدرسة النبوية العسكرية لأبي فارس ١٧٣**].

---

(١) سبق تفصيله في الدروس العسكرية من المرحلة الثانية من غزوة بدر الكبرى.

٣ ـ خطط الطرفين وانتخاب أرض المعركة [(١)]:

(أ) **المشركون:** كانت خطة أبي سفيان عندما شرع بالحركة بجيشه الجرار من مكة إلى المدينة هي مفاجأة المسلمين في عقر دارهم قبل استعدادهم للقتال، ولكن وصول رسالة العباس رضي الله عنه إلى النبي ﷺ والحصول على المعلومات عن تحركات جيش المشركين من مصادره الأخرى، أفقد أبو سفيان عنصر المباغتة، وبصفته قائد محنك أدرك عن وعي وخبرة أن قتال المدن سيكون مريرًا وقاسيًا وسيسبب خسائر كبيرة في جيشه، وعندما وصل بجيشه إلى جنوب المدينة تابع سيره نحو الشمال؛ لأن الخيول والجِمال كانت تتعثر في سهول المدينة الجنوبية لكثرة ما فيها من أحجار بركانية حادة الأطراف يصعب على الخيل والجمال التنقل عليها، وهذا مما حدا بأبي سفيان لأن يعسكر في السبخة من وادي قناة غرب أُحد.

ولم يكن هدف المشركين ـ كما قلنا ـ محاربة المسلمين في العراء بل مهاجمتهم في مدينتهم واحتلالها عن طريق مساعدة المنافقين واليهود ومَنْ والاهم، وعندما عسكر أبو سفيان في وادي قناة لم يتوقع مطلقًا خروج المسلمين إليه؛ لأنه يعلم أن عددهم قليل جدًّا مقارنة مع جيشه، وكان يتوقع أن المسلمين سوف يتحصنون في منازلهم وعدم مغادرتهم المدينة.

ولقد سبَّب خروج المسلمين إلى العراء دهشة واستغراب أبي سفيان وجنوده، ومع ذلك كان ينتظر مساعدة المنافقين واليهود، وكما نعلم أن هاتين الطائفتين انسحبتا قبل بدء المعركة، ولم يبق أمام المشركين إلا سبعمائة مسلم فقط.

وتحرك المشركون إلى الأمام من معسكرهم في السبخة لاتخاذ تشكيل المعركة بالقرب من ربوة «عينين»، وبالرغم من أن أبا سفيان كان مجبرًا على خوض المعركة تحت ظروف غير مواتية بالنسبة له، ولكن ترتيب قواته كان سليمًا ووفق أحدث أساليب تشكيل المعركة آنذاك، فقد قسَّم جيشه إلى قوة رئيسة من المشاة في الوسط بنظام الصفوف وبقيادة صفوان بن أمية، وهذه أول مرة يُقاتِل فيها جيش مكة بنظام الصفوف، حيث كانوا يقاتلون سابقًا بأسلوب الجاهلية «الكَرِّ والفَرِّ»، وقد تعلموا ذلك من المسلمين في غزوة بدر، واتخذ أجنحة متحركة من الفرسان لغرض المناورة ضد مجنبات المسلمين ومؤخرتهم، حيث تمركز خالد بن الوليد مع سرية خيالة قوامها (١٠٠) مائة فارس على الجناح الأيمن لجيش المشركين، وعكرمة بن أبي جهل مع سرية خيالة قوامها (١٠٠) مائة فارس على الجناح الأيسر، وعين عمرو بن العاص مسؤولًا عن جميع الخيالة لغرض التنسيق والتعاون بين الجناحين، ووضع أبو سفيان مائة نبال على رأس الصف الأمامي من أجل الاشتباك الأول، وتمركز القائد العام أبو سفيان في القلب، وهذه أول مرة يُقاتِل جيشُ المشركين تحت قيادة موحدة، فقد كانت القيادة سابقًا مُتنازع عليها بين زعماء القبائل.

---

(١) معركة أُحد للفريق الركن سالم العلي ٣٠-٣٤.

وكان يحمل لواء قريش في مقدمة الصفوف طلحة بن أبي طلحة، وهكـذا اتخـذ المشــركون تشـكيل المعركة وظهرهم إلى المدينة ويواجهون جبل أُحد، ومنحت الأرض المفتوحة لأبي سفيان حريـة المنـاورة ضد أجنحة المسلمين بالفرسان.

(ب) **المسلمون**: كانت خطة القائد الرسـول القائـد ﷺ في بـادئ الأمـر هـي التحصـن في المدينـة ومنازلة المشركين فيها، ولكنه خـرج إلى العـراء بنـاء عـلى رأي الأكثريـة، وكـان خروجـه مفاجـأة لأبي سفيان، وفي أرض المعركة اتخذ الرسول ﷺ تشكيل المعركة كما يلي:

أ- عسكر الرسول ﷺ في سفوح أُحد والطنف المطل على وادي قناة مستقبلًا بجيشـه المدينـة وجـاعلًا ظهره إلي جبل أُحد، وهكذا أصبح جيش العدو حاجزًا بين جيش المسلمين وبين المدينـة التـي لم يبـق فيهـا من الرجال إلا المنافقون والعاجزون عن القتال من أمثال شاعر الرسول ﷺ حسان بن ثابـت رضي الله عنه والنسـاء والأطفال.

ب – في صباح يوم السبت ١٥ شوال يوم أُحد قام النبي ﷺ بدراسـة أرض المعركـة لغـرض اتخـاذ تشكيل المعركة، وخطب خطبته المشهورة يحثهم على الجهاد في سبيل الله، ويخـبرهم أن خطـتهم الحربيـة اليوم هي خطتهم في يوم بدر تمامًا، فعليهم أن يشكلوا الصفوف المتكاملة المتراصة...

وتوقع ﷺ ردود فعل العدو وخاصة الخيالة، وشخص الأرض الحيوية في ساحة المعركة حيـث أشـار بإصبعه نحو الجنوب قائلًا: «إن أراد خالد بن الوليد مهاجمتنا فسيأتينا من هـذه الناحيـة؛ لأن هـذا السـهل يسهل حركة جياده»؛ ولأجل منع خالد بـن الوليـد مـن الالتفـاف عـلى جنـاح المسـلمين الأيسـر يجـب التمسك بالأرض الحيوية ربوة عينـين «جبـل الرمـاة» وأن احتلالـه بقـوة جيـدة يمنـع حركـة الالتفـاف للخيالة؛ ولذا وضع على جبل الرماة خمسين من رماة النبـل المـاهرين تحـت قيـادة عبـد الله بـن جبـير رضي الله عنه، وأصدر أوامره المشددة إليهم بأن لا يتركوا مواقعهم في جبل الرماة مهما كانت الظروف والتطـورات قـائلًا لهم: «**احْمُوا لَنَا ظُهُورَنَا، لا يَأْتُونَا مِنْ خَلفِنَا، وَارْشُقُوا خَيْلَهُمْ بِالنَّبْلِ، فَإِنَّ الخَيْلَ لا تُقْدِمُ عَلَى النَّبْلِ، إِنَّـا لَا نَزَالُ غَالِبِينَ مَا ثَبَتُّمْ فِي مَكَانِكُمْ**»، وقال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ عَلَيْهِمْ!**».

ج – وبعد أن اطمأن رسول الله ﷺ من تمركز فصيلة الرماة في جبـل الرمـاة، أخـذ يهيـئ الصـفوف كصفوف الصلاة ويوزع المسؤوليات على القادة، وأكد على رص الصفوف والمحافظـة عـلى ذلـك؛ لأن هذا سيؤدي إلى النصر الأكيد لكثرة غلبة المشركين عليهم، وبذا تم تنظيم المسـلمين في تشـكيل المعركـة بشكل متلاحم تبلغ جبهته ألف ياردة، وأسند جناحه الأيسر على سفوح جبل الرمـاة وجناحـه الأيمـن على أُحد «طنوف جبل أحد»، وكانـت ميمنـة المسـلمين مؤمَّنـة تمامًـا بسـبب وعـورة الأرض، ولكـن

ميسرتهم يسهل الالتفاف عليها من شرق جبل الرماة، وفي هـذا أنـزل الله تعـالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ ٤﴾ [الصف].

د - اتخذ النبي ﷺ موقع قيادته مع الجناح الأيسر لجيشه، كما وضع الأشداء مـن الرجـال في طليعـة الصفوف وعلى رأسهم الحمزة وعلي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب والزبير بن العـوام ومصـعب بـن عمير وأبو دجانة رضي الله عنهم.

وأصدر أوامره بألا يقاتل أحد إلا بأمر منه، وأخذ يشجع أصحابه ويحـثهم عـلى الصـبر في القتـال، وقد أوكل الرسول ﷺ قيادة كتيبة من الجـيش بقيـادة الـزبير بـن العـوام والمقـداد بـن الأسـود رضي الله عنهما، وخصص لها واجب الصمود في وجه فرسان خالد بن الوليد، ووضعهم خلف الرمـاة في جبـل الرمـاة لغرض مساندتهم في صد أي هجوم يقوم به الفرسان في أول المعركة، كقوة هجوم مقابل.

وقد وقفت (١٤) أربعة عشرة امـرأة وراء المسـلمين في القتـال لغـرض رفـع المعنويـات، ولمـداواة الجرحى، وإسقاء العطشى، والاشتراك في القتال عند الحاجة.

هـ - لقد كان انفتاح المسلمين في تشكيل المعركة يهدف إلى الدخول في المعركة بجبهة ضيقة متراصـة مسندة الجناحين تمامًا، وقد منح هذا الترتيب المسلمين ميـزة اسـتثمار مصـادر قـوتهم، وهـي الشـجاعة والمهارة في القتال وفن استخدام الأرض والسلاح وتحديد مناورة خياله المشركين الذين يشـكلون ذراع المناورة المتحرك الذي يفقده المسلمون». [معركة أُحد للعلي ٣٠-٣٤].

٤ ـ لماذا لم يختر أبو سفيان الموقع الإستراتيجي من أرض المعركة؟:

يقول د/ أبو خليل: «سؤال يعرض لنا قبل البدء بأحداث أُحُد:

لماذا لم يختر أبو سفيان، وبالتالي قريش، الموقـع الإسـتراتيجي مـن أرض المعركـة، عـلى الـرغم مـن وصولهم إلى موقع أُحد قبل المسلمين؟!

إجابة من الإجابات الخمس التالية كافية جوابًا لهذا السؤال، وقد تكون مجتمعة الجواب الكامل:

(١) ضيق الأفق العسكري عند أبي سفيان وقريش، فالعرب في الجاهلية، لم يخوضـوا معـارك كبـيرة منظمة، فيها خطط حربية مدروسة.

(٢) ولعل قريشًا ما أرادت حصر نفسها في مسـاحة قليلـة صـغيرة ضـيِّقة، وهـم ثلاثـة آلاف مـع خيلهم وإبلهم ونسائهم.

(٣) ولعل القرشيين لم يُقدِّروا سير الأحداث القادمة، ولا أين من الممكن أن يتمركـز رسـول الله ﷺ، وما ظنوا أنه لن يمرَّ عليهم ليتجاوزهم إلى شِعْبٍ معين، فيجعـل ظهـره إلى الجبـل، ووجهـه قُبَالـة المدينـة المنورة.

(٤) ولعلهم فكَّروا بالفرار عند الحاجة، بعد أن ذاقوا مرارة الهزيمة المنكرة ببدر، فهم في منبسط من الأرض متصل بطريق القوافل العام الموصل إلى مكة.

(٥) لقد فرض رسول الله ﷺ موقع المعركة وميدانها على القرشيين، فاختار المكان الأنسب الذي يلائم قلة عدد جنده، مما يعطيه الفعالية، ويشل حركة جيش المشركين، وبخاصة فرسانهم، وتمَّ له ﷺ ذلك كما أراده». [غزوة أُحد لأبي خليل ٣٨-٣٩].

٥ ـ أهمية معرفة القيادة للنقاط الحرجة في سير المعركة:

يقول الشيخ عرجون: «ولا بد لنا من وقفة أمام هذه الوصايا الحكيمة الصريحة الحازمة القوية البالغة في قوتها مبلغ أعمق ما يمكن أن يوصي به قائدٌ جندَه وهو على نفس المعركة لكتيبة من جيشه، عقد بنواصيها النصر المؤزر إن هي وعت الوصية وصبرت وصابرت، ولم تهتز قناتها، أو الهزيمة المدمرة إن هي تخلخلت في موقفها فلم تقو على تحمل مرارة الصبر والمصابرة واستزلهم الشيطان بتزيين الدنيا لهم.

تلك هي طائفة الرماة وكتيبة حامية جيش المسلمين أن يؤتى من خلفه في هجوم خاطف يُفقده نظامه العسكري، ويفسد عليه خطته للمعركة، ويتبدد تدبيره الذي أحكم وضعه على أساس وضع الرماة وموقفهم في تنفيذ ما كُلِّفوه من الثبات في أماكنهم.

ونحن وإن كنا لسنا من أهل العلم الحربي، والسياسة العسكرية، ولا من ذوي الخبرة بخصائص المواقف الحربية وما ينبغي فيها من تحركات الجيوش وكتائب المحاربين، لكنا نقرأ ونحاول أن نفهم ما نقرأ، وقد نستعين بمباحثة أهل الدربة من فنيي الحرب ورسومها العسكرية.

وللحرب كتب ووثائق تتحدث بإفاضة عن الوقائع الحربية في القديم والحديث، والمتحدثون فيها من المتخصصين في فن القيادات الحربية الذين يرسمون خطط المعارك الحربية على مقتضى طبيعة الحياة والأرض والأسلحة والقوة البشرية وما وصلت أو ما يجب أن تصل إليه من تدريب وخبرة، ومعرفة موقف الأعداء من هذا كله وتقدير ما يجري من خداع في الخطط المعلنة وغير المعلنة..

وقد استفدنا مما قرأناه في هذه الكتب والوثائق التي سمحت بنشرها المواقف التاريخية أن سلاح الرمي ـ وهو في الاصطلاح الحديث للحروب سلاح الطيران في عمومه، وسلاح القاذفات في خصوصه ـ هو أهم أسلحة الحرب؛ لأن هذا السلاح قد يوجه ضربة قاضية تحت ستار خدعة مدبرة إلى جيش أعدائه فيشل بها حركته، بل قد يقضي عليه وعلى كثير من أسلحته الزاحفة، سواء أكانت هجومية أو دفاعية وتحل الهزيمة هنا، وتخفق ألوية النصر هناك..

ومن ثَمَّ كانت الأهمية البالغة للوصية التي خص بها النبي ﷺ ـ بوصفه قائدًا عسكريًّا ـ كتيبةَ الرماة في غزوة أُحد؛ لأن جو المعركة في هذه الغزوة كان يتطلب إعداد سلاح الرمي، وإعداد كتيبته من

المتخصصين في استعمال هذا السلاح، كما كان جو المعركة يتطلب التوجه إلى كتيبة سلاح الرمي بأوامر قياديَّة خاصة بالرماة، تُوجه إليهم في صور وأساليب منذرة محذِّرة.

فالنبي ﷺ إذا تحدَّث إلى فرقة الرماة ـ بعد أن وضعهم في مكان الحماية لظهر الجيش ـ إنما يتحدث بهذه الأوامر والوصايا الحكيمة الحازمة الصارمة إليهم بوصفه القائد الأعظم للمعركة.

وقد أعلمهم في وصاياه بصراحة لا تحتمل التأويل بما لا يكون للعلم الموثَّق والمعرفة المؤكدة سبيل وراء ما أوصاهم به، وحذَّرهم من مغبة مخالفته، مُلقيًا على استجابتهم أو عدم استجابتهم عبء المعركة، ومُحمِّلًا لهم نتائجها في النصر أو الهزيمة.

ولم يترك ﷺ تعبيرًا في أسلوب القيادات الحربية المحذِّرة إلا حدَّثهم به في أوامره ووصاياه، وأراهم منافع المحافظة على هذه الأوامر والوصايا، وبيَّن لهم مضار ووخامة التهاون والغفلة عنها، وعرَّفهم مكانتهم ووزنهم الخطير في موقفهم لحماية ظهر الجيش؛ لأن الجيش الذي تحمي ظهره قوة يثق بها، ويطمئن إلى يقظتها وحرصها عليه يجعل ثقله كله في حملته على بؤرة جيش أعدائه.

عبارات التحذير للرماة كانت واضحة في قوتها وصرامتها: ومن أجل هذه الأهمية العظمى لهذه الحماية أبرزها القائد الأعظم محمد ﷺ في أسلوب القيادة الحازمة والأوامر الحربية الصارمة، وصاغها في عبارات تكاد تكون معجزة في معانيها ومراميها، وإن كانت قد جاءت في سهولة بيانها وسماحة تعبيرها من قبيل الأحاديث المرسلة في معالم الحياة، خالية من الغموض والتعقيد حتى لا تترك مجالًا للتأويل والتحريف، ولو لم يكن فيها إلا قوله ﷺ: «**إِنَّا لَا نَزَالُ غَالِبِينَ مَا ثَبَتُّمْ فِي مَكَانِكُمْ**»، وقوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ عَلَيْهِمْ!**» لكفى لمن كان له قلب لا تستهويه الدنيا بزخارفها.

هذه الوصايا والأوامر نضعها بين يدي أهل الاختصاص من قادة الحروب وساسة المعارك؛ لأنهم هم أهلها وأحق الباحثين بالنظر فيها وبيان مقاصدها وأهدافها، حتى يتبين من دراستها فنيًّا مدى مبلغ رسول الله ﷺ من العلم في سياسة معاركه، فوق إنافته على المستوى القيادي في معرفة أقدار فئات الكتائب المحاربة وفرق الجيش، والأسلحة التي تتجهز بها كل فرقة في حدود اختصاصها في كل موقعة على مقتضى وضعها الجغرافي والسياسي والعسكري.

ونحن لا نستطيع أن نصدر أحكامًا في الأمور الفنية الاختصاصية التي يقصر إدراكنا الدراسي عن فهم مداخلها وأسرارها.

بيد أننا نبادر إلى القول بأننا لم نر في مطالعاتنا وقراءاتنا مَنْ زعم أن شيئًا من الإعجاز قاد زمام هذه المعركة، بل إنها كانت تدار بمحض القوة الفكرية التي أوتيها رسول الله ﷺ بوصفه قائدًا عسكريًّا وسياسيًّا حربيًّا، ومن هنا كانت هذه الواقعة بشرية في مباديها ونهاياتها».

[محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٣/ ٥٦٨-٥٧٠].

٦ ـ أهمية وجود القائد القدوة في الجاهزية والتخطيط:

يقول أ/ فتح الباب: «إن طريق النصر هو الإيمان والصبر.

ولقد ألح الرسول ﷺ على هذا المعنى، وهو حث المسلمين المحاربين على الصبر، إذ أَمَرَ أصحابه بالتهيؤ لعدوهم، وبدأ بنفسه ـ وهو النبي المصطفى من الله لخُلُقه العظيم وشجاعته وإيمانه ـ فلبس سيفه وتقدم متجهًا إلى أحد ومعه المؤمنون، وعدتهم سبعمائة ليقاتلوا ثلاثة آلاف قرشي موتور من أهل مكة.

فلما بلغوا الجبل اجتازوا مسالكه وجعلوه إلى ظهورهم، وجعل الرسول ﷺ يَصُفُّهم، وقد وضع منهم خمسين من الرماة على شِعْبٍ في الجبل، وشدد عليهم الالتزام بأوامره كما سبق بيانه.

ثم نهى غير الرماة أن يقاتل أحدٌ حتى يأمر هو بالقتال.

ويتبين من هذه الخطة التي رسمها الرسول ﷺ ما وهبه الله تعالى من قدرة على التنظيم، والتنظيم لا يقل أهمية عن التخطيط، ولو أنه أحد عناصره، وحتى لقد أصبح اليوم علمًا قائمًا بذاته بعد أن تأكد أنه ضرورة لا غنى عنها في إدارة الجماعة». [القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات لفتح الباب ٦٧].

ويقول د/ البوطي: «إذا تأملت حال الرسول ﷺ، وهو ينظم الصفوف ويرتب أجنحتهم، ويضع الحامية اللازمة في مؤخرة المسلمين، ويأمر الرماة ألا يغادروا أماكنهم مهما وجدوا من أمر إخوانهم المقاتلين حتى يتلقوا الأوامر منه ﷺ، نقول: إذا تأملت ذلك اتضحت حقيقة بارزة، ولاحت لك من ورائها ظاهرة هامة أخرى.

أما الحقيقة البارزة: فهي البراعة العسكرية التي كانت تتصف بها قيادته ﷺ في الحروب، فقد كان في مقدمة المخططين لفنون القتال وطرائقه، ولا ريب أن الله تعالى قد جهزه بعبقرية نادرة في هذا المجال.

ولكننا نقول: إن هذه العبقرية والبراعة إنما يأتي كل منهما من وراء نبوته ورسالته السماوية، فمركز النبوة والرسالة هو الذي اقتضاه أن يكون معصومًا بعيدًا عن كل انحراف وزلل.

وأما الظاهرة التي تلوح للمتأمل من خلال توصياته الدقيقة هذه لأصحابه عامة، وللرماة خاصة فهي ظاهرة ذات علاقة وثيقة بما قد تم بعد ذلك من خروج بعض أولئك الرماة على أوامره ﷺ، فكأن النبي ﷺ قد استشف بفراسة النبوة أو بوحي من الله تعالى هذا الذي قد حدث فيما بعد، فراح يؤكد التوصيات والأوامر، وكأنه في ذلك يُجري مناورة حية مع عدو لهم هو النفس وأهواؤها وما تنطوي عليه من طمع في المال والغنائم، والمناورة مهما كانت نتيجتها، تفيد فائدة عظيمة... وربما كانت النتائج السلبية أدعى للاستفادة من النتائج الإيجابية». [فقه السيرة للبوطي ١٩١].

٧ ـ الفن العسكري في تعبئة المسلمين:

يقول أ/ خلف الله: «كان المتحمسون من أنصار الخروج للقتال يتحرقون شوقًا إلى لقاء المشركين، وازدادوا غيظًا حينما رأوا المشركين قد أطلقوا سرحهم في زروع المدينة حتى قالوا: «أترعى زروع بني قيلة ـ أي الأوس والخزرج ـ ولما نضارب!»، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يُقَاتِلَنَّ أَحَدٌ حَتَّى نَأْمُرَ بِالقِتَالِ**».

وفي ذلك يقرر رسول الله ﷺ القاعدة الأساسية الأولى في قيادة الجيوش وهي محافظة الجيش على النظام العسكري وعدم الانقياد للعواطف، فلا يتحرك أحد للقتال إلا إذا أمر القائد العام، وما كانت العرب تراعي ذلك دائمًا لا سيما إذا حدث ما يثير حميتهم كما هو الحال هنا، ولو أنشب المتحمسون القتال قبل توزيع الجيش على المواقع الحربية لترتب على ذلك عواقب وخيمة، ثم إن القائد المحنك يقوم قبل القتال بدراسة أرض المعركة دراسة جيدة، وفي نفس الوقت يدرس تعبئة خصمه ليعبئ جيشه على طريقة تبطل تعبئة العدو وتكفل النصر عليه.

بعد دراسة تعبئة المشركين أمر رسولُ الله ﷺ الزبير بن العوام رضي الله عنه أن يستقبل خالد بن الوليد، وكان في الجبل ممر يوصل إلى ظهر المسلمين، فجمع رسول الله ﷺ خمسين من الرماة وأمَّر عليهم عبد الله بن جبير الأوسي رضي الله عنه، وهو ممن حضروا بيعة العقبة وغزوة بدر، فهو يمتاز بكل الصفات التي تؤهله للقيام بالمهمة الخطيرة التي أُسندت إليه وهي حماية ظهر الجيش وأهمها الخبرة في القتال والشجاعة في تنفيذ الأوامر، وأصدر ﷺ تعليماته للرماة قائلًا: «**انْضَحُوا الخَيْلَ عَنَّا بِالنَّبْلِ، لا يَأْتُونَا مِنْ خَلفِنَا**»، وشدد عليهم ﷺ في الاحتفاظ بأماكنهم بقوله: «**إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا القَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ**»، ثم بيَّن لهم ﷺ أن النصر مكفول ما دام الرماة في أماكنهم بقوله: «**وَارْشُقُوا خَيْلَهُمْ بِالنَّبْلِ، فَإِنَّ الخَيْلَ لا تُقْدِمُ عَلَى النَّبْلِ، إِنَّا لا نَزَالُ غَالِبِينَ مَا ثَبَتُّمْ مَكَانَكُمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُك عَلَيْهِمْ!**».

ولندرس الآن ما في تعليمات رسول الله ﷺ من فن عسكري [(١)]:

أولاً: أهمية دراسة شخصية العدو: من الأهمية بمكان في الحرب الحديثة أن يدرس القائد شخصية القائد أو القادة الذين يواجهونه، وهذه الدراسة تشمل الخصال التي يتبعونها في مختلف أدوار المعركة.

هذه الدراسة لازمة جدًّا للقائد الذي يريد أن يتغلب على خصمه لأنها سترشده إلى الطريقة المثلى للتغلب عليه، ورسولنا الكريم ﷺ نظر فوجد خالد بن الوليد على ميمنة الخيل، وهو يعرف أنه فارس

---

(١) من مقال للصاغ أركان حرب السيد محمد جمال الدين محفوظ نشر في مجلة الأزهر عدد رمضان سنة ١٣٧٣هـ.

ومقاتل من طراز فريد، فأراد أن يكون قبالته من المسلمين مَنْ يستطيع أن يقف أمامه وقفة الند للند فاختار الزبير رضي الله عنه وقال له: «**استقبل خالد بن الوليد وكن بإزائه**».

ثانيًا: حماية ظهر الجيش: إن الظهر أضعف نقطة في كل جيش دائمًا وتقضي مسؤولية القائد عن سلامة جيشه أن يحمي ظهره، فالنبي الكريم ﷺ فطن إلى ذلك فلم يترك ذلك الممر الخطير في جبل أُحد الذي يؤدي لظهر المسلمين دون أن يتخذ له سبيل الحيطة ودرء الخطر.

ولقد كانت تعليماته للخمسين رجلًا من الرماة المهرة الذين جعلهم على هذا الممر آية من آيات العبقرية العسكرية التي تدل على الدراية الدقيقة بالتكتيك الحربي:

أ ـ تعيين الرماة المهرة عند الممر: لقد كان الأمر حقًّا يحتاج إلى مهرة الرماة حتى تمكن إصابة كل من يفكر في عبور المضيق، وإذا لم تكن نسبة الإصابة ١٠٠٪ سهل على العدو العبور غير مكترث بالإصابات المضطربة؛ ولذلك فإن المهارة في الرمي هي الصفة التي يجب أن يكون لها المقام الأول عند اختيار من يكلفون بمثل هذا الواجب.

ولا يفطن لهذا الأمر إلا الخبير المجرب في الفن العسكري؛ ولذلك كان تعيين النبي ﷺ لمهرة الرماة لهذا الواجب عملًا في غاية البراعة العسكرية.

ب ـ التشديد على هؤلاء الرماة بالبقاء في مكانهم: إن في قوله ﷺ: «**فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ**»، وتأكيده عليهم بعدم مغادرته بالمرة سواء هُزم المسلمون أو انتصروا حكمة عسكرية بالغة هي ضمان الحذر الكافي، وأخذ الحيطة كاملة ضد المفاجأة، فهذا المضيق يؤدي إلى ظهر المسلمين وهو لهذا بالغ الخطر عليهم، فإذا لاحظ العدو أنه مفتوح ليس عليه من يذب عنه فهو لابد واجد في ذلك من الفرصة الطيبة ما يمكنه من التسلل فيه ومفاجأة المسلمين وطعنهم في أضعف مكان في كل جيش «الظهر» ومثل هذه الفرصة لا تفوت على قائد موهوب مثل خالد.

وقد تكون خطة قريش أن ترسل جيشًا يتظاهر بالهزيمة أمام المسلمين، حتى إذا أغرى هذا المنظر الرماة القائمين على الممر وتركوا أماكنهم اخترقت خيلهم الممر وهناك تكون الطامة الكبرى، وهذا هو الذي دعا الرسول ﷺ إلى التشديد في تعليماته على رجاله بألا يغادروا أماكنهم بأي حال من الأحوال.

ج ـ الدراية التامة بطبيعة الخيل وفنون قتالها: فإن قول رسولنا ﷺ: «**فَإِنَّ الْخَيْلَ لا تُقْدِمُ عَلَى النَّبْلِ**» يدل على إحاطته بطرق القتال بشتى نواحيها، وهو هنا يذكر لرجاله أن السهام هي الوسيلة الفعالة لقتال الخيل حيث إنها لا تقدم عليها، وإن القائد الخبير حقًّا هو الذي يعرف لكل سلاح من أسلحة عدوه الوسيلة الناجحة للوقوف أمامه أو القضاء عليه، وفي هذا ضمان للنصر وتوفير للوقت والجهد اللذين يضيعان في تجربة الكثير من وسائل المقاومة أو التدمير غير المجدية.

هذا وإذا نظرنا إلى تعليمات الرسول ﷺ بوجه عام وجدناها مثلًا كاملًا لمراعاة مبدأ الأمن والسلامة الذي يتخذه القائد لوقاية جيشه وهذا المبدأ هو: «**كل قائد مسؤول عن وقاية قوته**».

وفي التاريخ أمثلة كثيرة لجيوش دارت عليها الدائرة لعدم مراعاة هذا المبدأ الهام.

[غزوة أُحد لخلف الله ٦٥-٦٨].

٨ ـ ضرورة تعبئةِ الجند معنويًّا:

يقول د/ الرشيد: «إذا كان الجيش يحتاج إلى إعداد مادي من السلاح والعتاد، فإنه يحتاج كذلك إلى إعداد معنوي، وذلك بتعبئة أرواح الجند حتى يكونوا أقوياء على قتال أعدائهم.

ومما يبين منزلة التعبئة المعنوية للجيش ما قاله أهل الخبرة بالحرب: «**الرجال كالأشباح والتعابي كالأرواح، فإذا حَلَّتْ الأرواح الأشباح حَصُلَتْ الحياة**».

[العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة للشيخ صديق بن حسن بن علي الحسيني القنوجي البخاري ص ١٣، تحقيق الشيخ محمد السعيد بن بسيوني زغلول ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٥هـ].

وكان هَدْيُ الرسول ﷺ في الجهاد، أن يحرِّضَ أصحابه على قتال الأعداء، ويَحُثُّهم على التَحَلِّي بالصبر في ميادين القتال، لكي تتقَوَّى روحُهم المعنوية، وَيَصْمُدُوا عند ملاقاة أعدائهم، ومن ذلك ما فعله يوم أحد في خطبته الرائعة التي سبق ذكرها.

وتتلخص أهداف هذه الخطبة في ثلاثة أمور:

الأول: الحَثُّ على الجد والنشاط في ميدان الجهاد.

الثاني: الحَثُّ على الصبرِ عند قتال الأعداء.

الثالث: بيان مساوئ الاختلاف والتنازع.

ويُسْتَفَاد من تعبئة الرسول ﷺ الروحَ المعنوية لدى جنده أن الجيش وإن كان عظيمًا في تسليحه، دقيقًا في تنظيمه، فإن ذلك لا يغني شيئًا إلا إذا حملته نفوسٌ قويةٌ تحرص على الموت أَشَدَّ من حرصها على الحياة، ولن يَتَأَتَّى ذلك إلا إذا كانت قيادة الجيش تُعَبِّئُ أرواحَ جُنْدِها، كلَّما آنست منهم ضعفًا أو تَرَدُّدًا، وتغرس في نفوسهم ـ كذلك ـ حب الجهاد في سبيل الله..». [القيادة العسكرية للرشيد ٤٦٨-٤٦٩].

ويقول أ/ خلف الله: «لا تقل التعبئة المعنوية شأنًا عن التعبئة العسكرية حتى إن كبار القواد جعلوا نسبة القوة المعنوية إلى الكثرة العددية كنسبة ٣: ١ بشرط الاتفاق في نوع السلاح.

وكان رسول الله ﷺ لا يترك أمرًا فيه تقوية لروح المؤمنين المعنوية إلا فعله، وقد مرت بنا أمثلة كثيرة توضح ذلك، ونثبت هنا جدولًا يبين نسبة القوة المعنوية إلى الكثرة العددية في بعض الغزوات:

الغزوة	المؤمنون		المشركون	
	العدد	نسبة القوة المعنوية	العدد	نسبة القوة المعنوية
بدر	٣١٣	٣ ½	١٠٠٠	١
أُحد	٧٠٠	٤ ⅓	٣٠٠٠	١
الخندق	٣٠٠٠	٣ ½	١١٠٠٠	١

ولو راعينا في غزوة أُحد انخذال المنافقين بثلث الجيش، وهذا من عوامل انهيار القوة المعنوية، لوصلت قوة المسلمين المعنوية إلى ضعف نسبتها الأصلية، ولو راجعنا المعارك الحربية لوجدنا أنه من النادر انتصار جيش ينسحب ثلثه قبيل المعركة.

ونلاحظ من ناحية أخرى أن رسول الله ﷺ «كان يحارب عربًا بعرب، وقرشيين بقرشيين، وقبائل من السلالة العربية بقبائل من صميم تلك السلالة، فلا يُقال هنا إن الفضل لقوم على قوم في المزايا النفسية كما يمكن أن يقال هذا في جيوش نابليون، وكل فضل هنا فهو فضل العقيدة والإيمان».

[عبقرية محمد ﷺ للعقاد ص٦٤].

هذا وقد رأينا في المناقشة التي دارت حول الخروج لقتال المشركين مقدار شوق الصحب ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ إلى الشهادة في سبيل الله تعالى، ورأينا في استعراض جيش المسلمين مقدار شوق هؤلاء الذين ردهم رسول الله ﷺ لصغر سنهم، وكان الذين وضع الله تعالى عنهم الجهاد لسبب من الأسباب المانعة يتسابقون إلى الخروج مع جيش المسلمين طلبًا للشهادة.

كان لعمرو بن الجموح ؓ أربعة بنين يغزون مع رسول الله ﷺ فجمعهم وأخبرهم بعزمه على القتال مع المسلمين فقال له بنوه: «**إنَّ اللهَ ﷻ قَدْ عَذَرَكَ، جعلَ لَكَ رُخْصَةً، فَلَوْ قَعَدْتَ وَنَحْنُ نَكْفِيكَ، وَقَدْ وَضَعَ اللهُ عَنْكَ الجِهَادَ**»، وكان عمرو بن الجموح ؓ يشكو من عرج شديد، وأراد بنوه أن يجنبوه مشقة القتال؛ لأن ما به من العرج يعوقه عن سرعة الحركة في الميدان، ولكنه لم يرض عن موقف بنيه منه وشعر أنه لو تخلف عن القتال لزهقت روحه، فجمعهم وتوجه بهم إلى رسول الله ﷺ يشكوهم قائلًا: «**يا رسُولَ الله! إنَ بَنِيَّ هؤلاءِ يُرِيدُونَ أَنْ يَحْبِسُونِي عَنْ هَذَا الوَجْهِ، وَالخُرُوجِ مَعَكَ فِيهِ، فَوالله إِنِّي لأَرْجُو أن [أُسْتَشْهدَ] فأطأَ بعَرْجَتِي هذِهِ فِي الجَنَّةِ**»، فأجابه ﷺ: «**أَمَّا أَنْتَ، فَقَدْ وَضَعَ اللهُ عَنْكَ الجِهَادَ**»، وقال لبنيه: «**ومَا عَلَيْكُمْ أَلا تَمْنَعُوهُ، لَعَلَّ اللهَ ﷻ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ**» فكان من شهداء أُحد.

وجاء خيثمة بن الحارث بن مالك الأوسي ﷺ (هو أحد النقباء في بيعة العقبة، وقد استشهد في أُحد قتله هبيرة بن أبي وهب المخزومي) إلى رسول الله ﷺ يقول: **لَقَدْ أَخْطَأَتْنِي وَقْعَةُ بَدْرٍ، وَقَدْ كُنْتُ عَلَيْهَا حَرِيصًا، لَقَدْ بَلَغَ مِنْ حِرْصِي أَنْ سَاهَمْتُ ابْنِي فِي الْخُرُوجِ فَخَرَجَ سَهْمُهُ فَرُزِقَ الشَّهَادَةَ، وَقَدْ كُنْتُ حَرِيصًا عَلَى الشَّهَادَةِ.**

وَقَدْ رَأَيْتُ ابْنِي الْبَارِحَةَ فِي النَّوْمِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ يَسْرَحُ فِي ثِمَارِ الْجَنَّةِ وَأَنْهَارِهَا وَهُوَ يَقُولُ: الْحَقْ بِنَا تُرَافِقْنَا فِي الْجَنَّةِ، فَقَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا، وَقَدْ وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ! أَصْبَحْتُ مُشْتَاقًا إِلَى مُرَافَقَتِهِ فِي الْجَنَّةِ، وَقَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَرَقَّ عَظْمِي، وَأَحْبَبْتُ لِقَاءَ رَبِّي، فَادْعُ اللهَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ يَرْزُقَنِي الشَّهَادَةَ وَمُرَافَقَةَ سَعْدٍ(١) **فِي الْجَنَّةِ.**

فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذَلِكَ، فَقُتِلَ بِأُحُدٍ شَهِيدًا.

بهذا الأسلوب المؤثر يستأذن خيثمة ﷺ في الخروج للقتال وهو يحرص على الشهادة أشد من حرص الملوك على عروشهم، إنه يقدم نفسه قربانًا كي يسعد البشر بانتصار المبادئ الإنسانية العالية، ويحق للإنسانية أن تفخر بمثل هؤلاء الذين يضحون بأنفسهم في سبيل سعادة البشر جميعًا.

وكان من بين الذين تُركوا في المدينة لكبر السن حسيل بن جابر (اشتهر باليمان وهو والد حذيفة الصحابي) وثابت بن وقش، فالتقيا وقال أحدهما لصاحبه: «**لَا أَبَا لَكَ، مَا تَنْتَظِرُ؟، فَوَاللهِ لَا بَقِيَ لِوَاحِدٍ مِنَّا مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا ظِمْءُ حِمَارٍ [دَابَّةٍ]، إِنَّمَا نَحْنُ هَامَةُ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ، أَفَلَا نَأْخُذُ أَسْيَافَنَا، ثُمَّ نَلْحَقُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ لَعَلَّ اللهَ يَرْزُقُنَا شَهَادَةً مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟**»، فأخذا سلاحهما وخرجا وشهدا المعركة واستشهدا.

وكان عبد الله بن جحش ﷺ يدعو الله تعالى فيقول: **اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي غَدًا، رَجُلًا شَدِيدًا بَأْسُهُ، شَدِيدًا حَرْدُهُ، فَأُقَاتِلُهُ، وَيُقَاتِلُنِي، ثُمَّ يَأْخُذُنِي، فَيَجْدَعَ أَنْفِي وَأُذُنِي، فَإِذَا لَقِيتُكَ غَدًا قُلْتَ لِي: يَا عَبْدَ اللهِ! فِيمَ جُدِعَ أَنْفُكَ وَأُذُنَاكَ؟ فَأَقُولُ: فِيكَ وَفِي رَسُولِكَ، فَتَقُولَ: صَدَقْتَ.**

وها هو ذا حنظلة ﷺ(٢) الغسيل يترك زوجه ليلة عرسه وينطلق إلى المعركة ملبيًا دعوة رسول الله ﷺ؛ لأن الجهاد عنده أغلى وأطيب من العروس ليلة زفافها.

وبايع رسولُ الله ﷺ نفرًا من أصحابه على عدم الفرار يوم أُحد ومنهم أبو بكر الصديق، وعمر ابن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وسهل بن حنيف، وأبو دجانة رضي الله عنهم.

---

(١) هو سعد بن خيثمة، وكان أبوه قد استهم معه في غزوة بدر على القتال مع المسلمين، فلما خرج السهم على ابنه «سعد» قال له أبوه: «يا بني آثرني اليوم»، فقال: «و يا أبت لو كان غير الجنة لفعلت» يقصد الشهادة في سبيل الله.

(٢) كان قد بنى ليلة أحد بجميلة أخت عبد الله بن أبي بن سلول. ووالد حنظلة كان من كبار المحرضين على قتال المسلمين وهو أبو عامر الفاسق.

ولا نعلم حتى الآن هيئة عسكرية وضعت قواعد دقيقة للمحافظة على الروح المعنوية مثلما فعلت القيادة الإسلامية الأولى حتى أصبح كل فرد يمتاز بجميع الصفات التي تؤهل الإنسان لبذل كل تضحية في سبيل الدفاع عن المبدأ، ومن هذه القواعد:

١ـ بيان عظم أجر الجهاد: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾[التوبة].

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ لَهُ عِنْدَ الله خَيْرٌ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، إِلَّا الشَّهِيدَ؛ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ، فَإِنَّهُ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى**». [البخاري في الجهاد والسير (٢٧٩٥)].

وفي رواية: «**مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ؛ لِمَا يَرَى مِنَ الكَرَامَةِ**». [البخاري في الجهاد والسير (٢٨١٧)].

وفي رواية: «**مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ لَهَا عِنْدَ الله خَيْرٌ يَسُرُّهَا أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَا أَنَّ لَهَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، إِلَّا الشَّهِيدُ، فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ فَيُقْتَلَ فِي الدُّنْيَا؛ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ**». [مسلم في الإمارة (١٨٧٧)].

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ الله خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا (فِيهَا)، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنْ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا (فِيهَا)، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ فِي سَبِيلِ الله أَوْ الغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا (فِيهَا)**».

[البخاري في الجهاد والسير (٢٨٩٢)، والترمذي في فضائل الجهاد (١٦٦٤)، ومسند أحمد (٢٢٣٦٥)].

٢ ـ النهي عن الفرار في الميدان: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾[الأنفال].

٣ ـ النهي عن الأخذ بعوامل الضعف مثل:

أ ـ النزاع والمخاصمة: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾[الأنفال].

ب ـ الغرور والاستهتار والرياء والسمعة: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾[الأنفال].

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**الغَزْوُ غَزْوَانِ: فَأَمَّا مَنْ ابْتَغَى وَجْهَ الله، وَأَطَاعَ الإِمَامَ، وَأَنْفَقَ الكَرِيمَةَ، وَيَاسَرَ الشَّرِيكَ، وَاجْتَنَبَ الفَسَادَ، فَإِنَّ نَوْمَهُ وَنُبْهَهُ أَجْرٌ كُلُّهُ، وَأَمَّا مَنْ غَزَا فَخْرًا وَرِيَاءً وَسُمْعَةً، وَعَصَى الإِمَامَ، وَأَفْسَدَ فِي الأَرْضِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرْجِعْ بِالكَفَافِ**».

[رواه أحمد في مسنده وأبو داود في باب الجهاد عن حيوة بن شريح، والنسائي فيه أيضًا عن عمرو بن عثمان، والموطأ في نفس الباب عن يحيى بن سعيد موقوف على معاذ ﷺ].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَيْهِ: رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.**

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ القُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ القُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ العِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ».

[مسلم في الإمارة (١٩٠٥)، والنسائي في الجهاد (٣١٣٧)، وأحمد عن أبي هريرة ﷺ (٨٠٧٨)].

وقال ﷺ: «**إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ**». [رواه الحاكم مرفوعًا من حديث معاذ ﷺ، وقال: حديث صحيح الإسناد].

ج ـ أن ينزه المجاهد نفسه عن الأهداف الدنيوية كالغنيمة؛ لأن من شأنها دفع المقاتل إلى الهرب لينجو.

٤ ـ التحلي بالصفات الموجبة للنصر مثل:

أ ـ الثبات ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأنفال]؛ ذلك لأن قلوب المؤمنين تطمئن وتسكن بذكر الله تعالى فتستعذب الشهادة في سبيله.

ب ـ الصبر ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنفال]، ويكفي أن الله تعالى أثبت معيته للصابرين ﴿ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأنفال].

ج ـ عدم الرهبة من كثرة العدو إذ أن المدار في النصر على الصدق في الإيمان: ﴿ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأنفال].

﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦﴾ [الأنفال].

٥ ـ وعد الله تعالى المؤمنين بالنصر والظفر ما اتبعوا القواعد المقررة لذلك». [**غزوة أُحد لخلف الله ٦٨-٧٤**].

٩ ـ استثارة روح المنافسة الشريفة بين الجنود:

يقول د/ الرشيد: «من مسؤوليات القيادة استثارةُ هِمم الجنود، وبَثُّ روح المنافسة الشريفة بينهم حتى تقوى روحُهم المعنوية على قتال الأعداء.

وفي يوم أُحد استثار الرسول ﷺ هِمَمَ أصحابه قبل بدء القتال فأخرج سيفًا ورفعه قائلًا: «**مَنْ يأخذ هذا السيف**»؟، فاشرأبت إليه أنفس الصحابة، كلٌّ يُمَنِّي نَفْسَه بأخذ سيف رسول الله ﷺ، ولكن النبي ﷺ ما كان ليعطي هذا السيف إلا مَنْ هو أهله من حيث الكفاءة القتالية؛ لكي يكون ذلك دافعًا إلى استبسال الجنود وإقدامهم على قتال الأعداء. [**ينظر: غزوة أحد لأبي فارس ص ٦٦**].

وفي عصرنا الحاضر ينبغي أن يَعِيَ قادةُ الجيوش الإسلامية هذا الدرس، ويقتدوا برسول الله ﷺ في استثارة هِمَمِ جنودهم، وهذا بلا شك له آثاره النفسية لدى الجند، مما يجعلهم يتحمَّسون لقتال أعدائهم».

[**القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ للرشيد ٤٧٠**].

١٠ ـ أهمية الضبط والربط في نجاح المعركة:

يقول أ/ عبَّاد: «وهكذا ـ بغلطة الرماة وعصيانهم لرسول الله ﷺ ـ دارت دائرة الحرب وانتكست كفتها واتجهت وجهة أخرى، أما النصر الذي كاد أن يتحقق تحول إلى كارثة مروعة، حيث قُتل أكثر من ستين مسلمًا، وأصابت النبي ﷺ جراحات كثيرة، فما أبهظ أعباء النصر وما أسرع ما يتعرض للضياع بأدنى بادرة تهاون أو تفريط يستمرئ فيها المنتصر فرحته فيغفل عن موقعه تجاه عدوه ويتهاون في تقدير طاقة التحدي في المنهزم، فبخطأ الرماة تغير وجه المعركة وضاع النصر من المسلمين، وقد كان لهم دون ريب.

يقول د/ الحميدي: «ولقد ضرب ابن جبير وصحبه رضي الله عنهم في ذلك مثلًا عاليًا في طاعة رسول الله ﷺ والتضحية بالنفس في سبيل حماية المسلمين.

لقد استعمل رضي الله عنه كل ما في جعبته من سلاح فرماهم بالنبل حتى فنيت سهامه ثم طاعنهم بالرمح حتى انكسر ثم كسر جفن سيفه مُشْعرًا أعداءه بأنه سيستقتل هو وأصحابه حماية للمسلمين، وهذا يصور لنا قوة المقاومة التي شنها ابن جبير رضي الله عنه على الأعداء.

وقد يُقال: ما قيمة عشرة مشاة في مقابل جيش من الفرسان؟ أفلا انحازوا إلى جيش المسلمين ليحموا أنفسهم وليكثِّروا الجيش الإسلامي؟

فيقال: إن هؤلاء أولًا: من قوم لا يُلقون بالًا لحماية أنفسهم، بل إن أسمى أمانيهم أن يفوزوا بالشهادة في سبيل الله تعالى.

وثانيًا: هم يُنَفِّذون أمر النبي ﷺ، فهم لا يلتفتون إلى أي سلوك آخر يتعارض مع طاعة الأمر النبوي.

وثالثًا: فإن وقوفهم في وجه الأعداء يؤخر هجومهم بعض الوقت، وربما تنبه لهم المسلمون فيقومون بهجوم مضاد عليهم، فوقوف هؤلاء النفر في وجه الأعداء المهاجمين كان هو عين الحكمة لهذه الوجوه المذكورة وغيرها». [**التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٣٢-١٣٣**].

ومما سبق يتضح أهمية الضبط والربط في نجاح المعركة، والضبط والربط معناهما الصحيح هو حسن فهم الأوامر الصادرة من القيادة وتنفيذها بدقة وعدم محاولة لَيِّ الأمر أو تأويله ليناسب هوى الجندي.

هذا تقرير لحال الرماة، ولقد ضعف فريق منهم أمام إغراء الغنيمة ووقع النزاع بينهم وانتهى الأمر إلى العصيان فكانوا فريقين: فريق يريد غنيمة الدنيا، وفريق يريد ثواب الآخرة، فتوزعت القلوب ولم يعد الصف وحدة واحدة ولم يعد الهدف واحدًا، بل شابت المطامع الإخلاص والتجرد الذي لابد منه في معركة العقيدة؛ لأن معركة العقيدة معركة في الميدان ومعركة في الضمير، ولا انتصار في معركة الميدان دون الانتصار في معركة الضمير، إنها معركة لله فلا ينصر الله فيها إلا من خلصت نفوسهم له.

والقرآن يسلط الأضواء على خفايا القلوب التي ما كان المسلمون أنفسهم يعرفون وجودها في قلوبهم، فيقول عبد الله بن مسعود ﷺ: **ما كنت أرى أن أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتى نزل فينا:** ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾[آل عمران: ١٥٢].

بذلك يحدد الله للجماعة المسلمة من أين تأتي الهزيمة ليتقوها.

معركة بلاط الشهداء ونسيان الدرس الأُحدي: وحينما نسي المسلمون هذا الدرس تكررت الواقعة، ففي معركة بلاط الشهداء عام ١١٤ هـ والتي وقعت بين المسلمين والفرنج في سهول فرنسا على ضفاف نهر اللوار، حيث استولى الجيش الإسلامي بقيادة عبد الرحمن الغافقي على أجزاء كثيرة من فرنسا وغنم الجيش كثيرًا من الغنائم النفيسة حتى جعلوا لها معسكرًا خاصًّا بها، وقدر القائد عبد الرحمن الغافقي خطر هذه الغنائم على نظام الجيش وأهبته وخشي مما تثيره في نفوس الجند من الحرص والانشغال فحاول عبثًا أن يحملهم على ترك جزء منها، ولكنه لم يشدد في ذلك خشية التمرد، وفي أواخر شهر شعبان سنة ١١٤ هـ بدأ القتال بين الجيشين واستمر ثمانية أيام احتفظ خلالها كل جيش بمركزه حتى إذا اليوم التاسع نشبت معركة فاصلة فاقتتلوا بشدة حتى دخول الليل واستأنفوا القتال في اليوم التالي وبدأ الإعياء يدب في جيش الفرنج ولاح النصر للمسلمين، بالرغم من أن جيش الفرنج

يزيد عنهم أضعافًا، ولكن استطاع جيش الفرنج أن يفتح ثغرة بمعسكر الغنائم وخاف الجند على الغنائم فارتدت قوة كبيرة من الفرسان من قلب المعركة إلى ما وراء الصفوف لحماية الغنائم وتواثب كثير من الجند للدفاع عن الغنائم فدب الخلل في صفوف المسلمين، وعبثًا حاول الغافقي أن يعيد النظام، ولكن أصابه سهم أودى بحياته فسقط شهيدًا، فعم الذعر والاضطراب في الجيش الإسلامي واشتدت وطأة جيش الفرنج عليهم وكثر القتل في المسلمين، ثم انسحب الجيش الإسلامي تاركًا وراءه الغنائم والأسلاب، وهكذا استطاعت الغنائم أن تهزم المسلمين مرة ثانية، وسيُهزمون دائمًا ما لم يتجردوا من ذلك». [مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٩٨-١٠١].

١١ ـ خطورة مخالفة أوامر القائد:

يقول د/ الرشيد: «يُعَدُّ تنفيذ الأوامر في ميدان الحرب أمرًا مهمًّا إذ إنه ـ بمشيئة الله ـ سببٌ في حصول المصالح ودفع المفاسد.

ولما كان القائد وحدَه هو المسؤول عن سير العمليات وعن إصدار الأوامر ومراقبة تنفيذها، استقرَّ رأي العسكريين على أنه ينبغي أن تكونَ طاعةُ الجندِ لقائدهم طاعةً لا رَجْعَةَ فيها.

[ينظر: العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ ص ٤١٣].

وقد أَكَّدَ الرسول ﷺ على هذا الأمر في ثاني لقاء مع المشركين، لِيُعَلِّمَ المؤمنين من بعدُ قادةً وجنودًا أهميةَ العنايةِ بأمر الطاعة للأوامر؛ لأن لها أثرًا كبيرًا في سير المعارك ونتائجها.

ففي غزوة أحد وضع ﷺ على جبل أُحد جماعةً من الرُّماة، وجعل عليهم أميرًا، وذلك لحماية ظهور المسلمين من الخلف، وأَكَّدَ عليهم عدم مغادرة المكان مهما كانت الحالة، ولكنهم خالفوا أمره فَحَلَّتْ بهم المصائب.

وهذا أعظم دليل على سوء عاقبةِ مخالفةِ الجنودِ لأمر قائدهم، حيث عَمَّ ضرر هذه المعصية مَنْ لم تقع منه. [فتح الباري ٧/ ٣٥٣].

وقد نزل القرآن الكريم يصور حالة المؤمنين في ذلك اليوم، وذلك في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران].

ففي هذه الآية تقرير لحالة الرماة وقد ضعف فريق منهم أمام إغراء الغنيمة، ووقع النزاع بينهم وبين من يرى الطاعة التامة لرسول الله ﷺ، وقد انتهى الأمر بهم إلى العصيان، حينئذ عاقبهم الله بأن «صرف الله قوتهم وبأسهم وانتباههم عن المشركين، وصرف الرماة عن ثغرة الجبل، وصرف بعض المقاتلين عن الميدان، فلاذوا بالفرار». [ينظر: في ظلال القرآن ١/ ٤٩٤].

كما كانت مخالفة الرُّماة سببًا في عدم إمداد المؤمنين بالملائكة في ذلك اليوم وذلك لضعف أرواحهم.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[آل عمران].

فقال رحمه الله: «كان المؤمنون يوم بدرٍ في قلةٍ وذلةٍ من الضعف والحاجة، فلم يكن لهما اعتماد إلا على الله تعالى، وما وهبهم من قوة في أموالهم ونفوسهم، وما أمرهم به من الثبات والذكر، إذ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾[الأنفال].

فبذلوا كلَّ قُوَاهُم وامتَثَلُوا أمرَ ربهم، ولم يكن في نفوسهم استشرافٌ إلى شيءٍ غيرَ نصر الله وإقامةِ دينِه والذَّوْدِ عن نبيه، لا في أول القتال، ولا في أثنائه، فكانت أرواحهم بهذا الإيمان وهذا الصفاء قد عَلَتْ وارتفعت، حتى استعدت لقَبُولِ الإلهام من أرواح الملائكة، والتَّقَوِّي بنوعٍ ما من الاتصال بها.

وأما يوم أُحد فقد كان بعضهم في أول الأمر على مَقْرُبَةٍ من الافتتان بما كان من المنافقين؛ ولذلك همَّتْ طائفتان منهم أن تفشلا، ثم إنهم لما تَثَبَّتُوا وباشروا القتال انتصروا وهزموا المشركين الذين هم أكثر منهم، فكان بعد ذلك أن خرج بعضهم عن التقوى، وخالفوا أمر الرسول ﷺ وطمعوا في الغنيمة وفشلوا وتنازعوا في الأمر، فضَعُفَ استعداد أرواحهم فلم تَرْتَقِ إلى أهلية الاستمداد من أرواح الملائكة، فلم يكن منهم مدد لأن الإمداد لا يكون إلا على حسب الاستعداد». [تفسير المنار ٤/ ١١٥].

وقد كان النصر في أول المعركة للمؤمنين، ولكنهم حين خالفوا أمر قائدِهم ﷺ حَلَّتْ بهم تلك المصائب.

وما حدث للصحابة في ذلك اليوم، يَدُلُّنا على أهمية الطاعة في الحرب، وأنها أفضل من بعض القتال.

[ينظر: شرح السير الكبير ١/ ٦٠]». [القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ للرشيد ٤٦٦-٤٦٨].

ويقول د/ خير هيكل: «هذا، ولعله من المفيد أن ننقل، هنا، فقرات من كتاب «**السير الكبير وشرحه**» تجلي لنا بعض المواقف التي تعرض للجيش مما يتصل بشؤون الحرب، والقتال، ودخول بلاد العدو... وذلك حين تصدر القيادة، في هذا الصدد، بعض التعليمات والأوامر، فتختلف بشأنها وجهات النظر بين القيادة، وبين الخاضعين لها ـ فيما هو التصرف الشرعي إزاء هذه المواقف، والأوامر؟ متى تجب الطاعة؟ ومتى تجب المخالفة؟

ـ جاء في الكتاب المذكور ما يلي: «وإذا دخل العسكر دار الحرب للقتال، بتوفيق الله ﷻ، فأمرهم بشيء من أمر الحرب، فإن كان فيما أمرهم به منفعة لهم فعليهم أن يطيعوه.. وقد تكون طاعة الأمير في

الكفِّ عن القتال خيرًا من كثير من القتال، وقد يكون الظاهر الذي يعتمده الجند يدلهم على شيء، والأمر في الحقيقة بخلاف ذلك عند الأمير، ولا يرى الصواب في أن يُطْلِع على ما هو الحقيقة عامة الجند! فلهذا كان عليهم الطاعة ما لم يأمرهم بأمر يخافون منه الهلكة، وعلى ذلك أكثر رأي جماعتهم، لا يشكون في ذلك، فإذا كان هكذا فلا طاعة له عليهم... وإن كان الناس في ذلك الأمر مختلفين، فمنهم من يقول: فيه الهلكة، ومنهم من يقول: فيه النجاة، فليطيعوا الأمير في ذلك.. إلا أن يأمرهم بأمر ظاهر لا يكاد يخفى على أحد أنه هلكة، أو أمرهم بمعصية، فحينئذ لا طاعة عليهم في ذلك، ولكن ينبغي أن يصبروا، ولا يخرجوا على أميرهم... وإذا نادى الأمير أن يكون فلان وجنده في الميمنة، وفلان وجنده في المقدمة، وفلان وجنده في الميسرة، وفلان وجنده في الساقة، فلا ينبغي لأحد أن يترك الموضع الذي أمره بالكون فيه؛ لأن هذا من التدبير الحسن في أمر الحرب، فإنما تظهر فائدته بالطاعة... وإن أمرهم الإمام أن لا يبرحوا من مراكزهم، ونهى عن أن يعين بعضهم بعضًا فلا ينبغي لهم أن يعصوه، وإن أمنوا من ناحيتهم وخافوا على غيرهم؛ لأن طاعة الإمام فرض عليهم بدليل مقطوع به، وما يخافونه موهوم، على ما قيل: أكثر ما يُخاف ـ لا يكون! والأصل فيه ما رُوي أن النبي ﷺ أمر الرماة يوم «أُحُد» أن يقيموا بموضع، ولا يبرحوا من مراكزهم، فلما نظروا إلى المشركين، وقد انهزموا، ذهبوا يطلبون الغنيمة، فكانت هزيمة المسلمين في ناحيتهم. [**ينظر في ذلك صحيح البخاري (٤٠٤٣)، فتح الباري ٧/ ٣٤٩**].

كما قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران: ١٥٢]ـ ثم قال: ولا بأس بأن تخرج الجماعة الممتنعة إلى العلافة (**طلب العلف للدواب**)، بغير إذن الوالي، فيعتلفون، ثم يرجعون به، وجود دلالة الإذن، فإن الإمام جرَّهم إلى ذلك الموضع، مع علمه أنهم يحتاجون إلى العلف، وأنه يشق عليهم استصحاب العلف من دار الإسلام، ولا يجدون في دار الحرب من يشترونه منه.. وإذا نادى منادي الأمير بالنهي عن الخروج للعلافة، فلا ينبغي لأهل منعة، ولا لغيرهم أن يخرجوا؛ لأن دلالة الإذن تنعدم بصريح النهي، وربما يكون النظر (أي: رعاية المصلحة)، في هذا النهي، إلا أنه ينبغي للإمام أن يبعث لذلك قومًا.. وبعدما نهى الوالي الناس عن الخروج إذا أصابهم ضرورة من العلف، وخافوا على أنفسهم، أو على ظهورهم (دوابهم)، ولم يجدوا ما يشترون، فلا بأس بأن يخرجوا في طلب العلف؛ لأن موضع الضرورة مستثنى عن موجب الأمر، بدليل قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِۗ﴾ [الأنعام: ١١٩]... ولا أحب إذا انتهوا إلى القرى (أي: في طلب العلف) أن يدخل الرجل الواحد! لعل فيها قومًا مختفين فيقتلونه، ولكن يدخل عددٌ القرية متأهبين للقتال، فإن كان فيها أحدٌ أعلم بعضهم بعضًا، لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ (الثبة: الجماعة، والعصبة من الفرسان. القاموس

المحيط ٤/ ٣٠٩) ﴿أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ٧١﴾ [النساء] وإن نهى الأميرُ المسلمين أن يقطعوا الشجر، أو يهدموا الأبنية، فليس ينبغي لهم أن يعصوه في ذلك؛ لأن في هذا النهي احتمال معنى النظر للمسلمين، وهذا المنع من أمر الحرب، ولو نهاهم عن القتال، كان عليهم أن لا يعصوه ما لم يأت ضررًا، أو معصية، فكذلك إذا نهاهم عن هذه الخصال...». [شرح السير الكبير ١/ ١٦٥- ١٧٨. وينظر: المغني لابن قدامة ١٠/ ٣٩٣-٣٩٤].

أقول: كانت تلك صورًا من المواقف المختلفة التي تعرض للجيش في شؤونه العسكرية، والحربية مما كان يجري في القديم.

هذا، ومن الواضح أنه في العصور الحديثة رغم تغير كثير من الأمور المتعلقة بشؤون الجيش والقتال ـ كثيرًا ما تَعرض للمقاتلين مواقف تشابه تلك الصور القديمة أو ما يقرب منها...

ومن هنا، يكون النص الذي تقدم مفيدًا في إلقاء الأضواء حول معرفة ـ متى تجب الطاعة؟ ومتى يجب الخروج عليها؟ فيما يقاس من مواقف جديدة على الصور القديمة الآنفة الذكر، بدون حاجة إلى الدخول في تفصيلات ذلك». [الجهاد والقتال لخير هيكل ٢/ ١١٠٦-١١٠٨].

١٢ ـ صلاح العقيدة والأخذ بالأسباب:

يقول د/ أبو خليل: «ما الذي دفع الرماة إلى هذه المخالفة التي خرقت الخطة العسكرية، وأوقعتهم في الهزيمة؟

- ـ أهو الخروج على طاعة القائد؟
- ـ أم هو الحرص على اغتنام الغنائم وجمع الأسلاب؟
- ـ أم هو خطأ التقدير لظروف المعركة وملابساتها؟

إنهم تأولوا قول رسول الله ﷺ حين رأوا الأعداء منهزمين، وإخوانهم يجمعون الغنائم، فلا بأس من مغادرة المواقع والاشتراك في جمع الغنائم، فأراد الله أن يدرك المؤمنون سنة من سننه في خلقه، أن النصر ـ لا يكون إلا بأسبابه، وأن الهزيمة لها أسبابها أيضًا، حتى لو كان رسول الله ﷺ بين الصحابة في المعركة.

وهذا يدل بوضوح على أن صلاح العقيدة وحده غير كاف لتحقيق النصر، فللنصر نواميسه وأسبابه، وأن الأخذ بهذه الأسباب من صلاح هذه العقيدة.. إن منهج الله ثابت، وموازينه ثابتة.

«لقد ربى الله الجماعة الإسلامية في هزيمة أُحُد العسكرية، وهي في مطلع خطواتها لقيادة البشرية، رباها بالابتلاء بالشدة بعد الابتلاء بالرخاء، والابتلاء بالهزيمة المُرَّة بعد الابتلاء بالنصر، هذا وذاك وضعا وفق أسبابهما، ووفق سنن الله الجارية في النصر والهزيمة؛ لتتعلم هذه الجماعة أسباب النصر والهزيمة؛ ولتزيد طاعة لله، وتوكلًا عليه، والتصاقًا بركنه، وتطبيقًا لشرعه، ولتعرف طبيعة هذا المنهج وتكاليفه معرفة اليقين». [في ظلال القرآن ١/ ٤٨١]. [غزوة أُحد لأبي خليل ١٣٣-١٣٤].

١٣ ـ حسن اغتنام الفرص:

يقول الشيخ أبو خوات: «لقد بدأت الحرب لمصلحة المسلمين بشكل ملحوظ، سواء في ترتيب موقف الجيش أم في عدد القتلى من المشركين بادئ ذي بدء، حتى إنه ما حمل اللواء واحد منهم إلا قُتل، فكان شؤمًا على كل مَنْ حمله، وسقط دونه أحد عشر رجلًا على التوالي، وكانت نكبة آل أبي طلحة بهذا العَلَم كفيلة بإثارة الرعب في قلوب المشركين حيث قتل منهم سبعة على التوالي كلهم حَمَل العَلَم.

وتمكن المسلمون في أول ساعات المعركة من إزالة المشركين عن أماكنهم فانهزموا وولوا هاربين، وتبعهم المسلمون ينهبون المعسكر ويستولون على ما فيه من الغنائم، وهنا استولى على المسلمين اغتنام فرصة الاستيلاء على حطام المعركة قبل أن تنتهي، وكان يمكن أن تكون هذه الحالة نهاية المعركة، لولا أن خيالة المشركين اغتنموا فرصة أخرى:

مال المسلمون إلى المال فمالت بهم نتيجتها عن الغاية التي يرجونها، فكانت فرصتهم في تحقيق ما يرجون أبعد شيء عن التحقيق، وأما خالد ـ قائد خيالة المشركين ـ فقد قويت في نفسه إرادة النصر فانتهز فرصة وقوع المسلمين وبخاصة رماتهم على الغنيمة يجمعونها وكر عليهم كرته القاتلة التي تغيرت بعدها نتيجة المعركة من انتظار نصر كبير إلى وقوع هزيمة كبيرة، فما أبعد الفرق بين الفرصتين!

ولعل هذا الدرس يعطينا حقيقة النصر، فليس النصر بالاستيلاء على المال والسلاح، وإنما النصر يتحقق بإفقاد العدو إرادة المقاومة، ولا يفقد العدو هذه الإرادة إلا بعد شعوره بفقد كل شيء.

وفي هذا الموقف ينبغي أن نتساءل: هل كان القائد في غفلة عن التنبيه لهذا الموقف؟

والجواب يرويه الثقات من رواة السيرة فإن القائد النبي ﷺ قال للرماة: «**إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ، فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ**»، ثم يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ عَلَيْهِمْ!**» والسبب في هذا التنبيه الشديد، أن المسلمين لم يكن معهم سوى فرسين وكان مع المشركين مائتا فرس، فكانت القيادة الرشيدة تقضي بوقوف الرماة ثابتين في وجه خيل المشركين؛ لأن الخيل لا تُقبل على النبل، فكانت الحيلة الوحيدة لانعدام أثر التفوق في عدد الخيل إفساد جهدها بالثبات وسرعة الرمي وتتابعه، وذلك تخطيط غاية في الخبرة الحربية، وهو نفس التخطيط الذي نفذ في غزوة بدر حين وقف جماعة من المسلمين يرشقون خيل المشركين رشقًا عنيفًا في عيونها ومناخرها فولت الأدبار، وهو نفس التخطيط الذي نفذ في حرب فيلة الفرس حين كان المسلمون يدسون نبالهم لتدخل في عيون الفيلة دون أن تنكسر على ما تدرعت به من مضاعف الحديد، ولولا أن حربة الرسول ﷺ اغتنمت فرصة هي الأخرى لما أصابت عنق أبي بن خلف ليموت منها في طريق العودة، فقد كان يلبس البيضة والمغفر والدرع ولم يكن شيء من بدنه ظاهرًا حتى يضرب فيه بإصابة

قاتلة، ولما مال برأسه ليحسن التسديد إلى رسول الله ﷺ ليقتله ظهر جزء من أسفل عنقه بين المغفر والدرع، وفي سرعة سريعة كان هذا الجزء هدف الحربة القاتلة، وهكذا يعطينا الموقف دروسًا عدة لو استوعبناها في حياتنا لكان لها نفع عظيم.

نخرج من هذا بأن القائد الحذر الناجح هو الذي يخطط للنصر ويجعل للفرصة الطائرة مكانًا في خطته، فإذا لاحت درسها بما تستحق من سرعة ثم اغتنمها لتكون نصرًا غاليًا بأرخص الأثمان.

وبأن طاعة القائد وتنفيذ أوامره شأن لا يجوز العدول عنه مهما كانت الحال، فإن القائد عادة يرى الأمور من جميع زواياها، وربما يعرف من الأسرار ما ينبغي كتمانه عن بعض مساعديه، أما الجند وقادتهم النوعيون فإنهم إذا تصرفوا في المعركة من ذات أنفسهم فقد تختلط خطة كل منهم بخطة زميله أو تتعارض معها فتنهار خطة القيادة كلها ويضيع النصر رغم كثرة الضحايا، وهذا ما حدث في غزوة أُحد حين اختار الرماة الفرصة الدنيا فأكبوا على جمع الغنائم، واختار خيالة المشركين الفرصة العليا فكروا على المسلمين وخصوا الرماة أنفسهم بأشد أنواع التقتيل، فذاقوا - وهم سبب الهزيمة - أَمَرَّ كأس من كؤوسها المُرَّة». [دروس من غزوات الرسول ﷺ لأبي خوات ٤٠-٤٤].

١٤ - مهارة النبي ﷺ في فنون الحرب، ورباطَةُ جَأشِه في المعارك وقوة إيمانه:

يقول د/ فيض الله: «أما مهارته وخبرته ﷺ، فقد تجلَّتا في تنظيم صفوف الجيش، وتخَيُّر الصالحين للقتال والمبارزة، واستبعاد مَنْ سواهم، ووضع الدريئة التي تحمي ظهور المسلمين، وتوجيه أوامره إليهم بأن لا يروموا أماكنهم، مهما كانت البواعث.

ولا شك أن هذا كلَّه من أمر الوحي، ومن أمر الله الذي اصطفاه واصطنعه، وعلَّمه وحلَّاه بما أهَّله للرسالة، وقيادة الأمة، وإرساء قواعد الملَّة.

وأما رباطة جأشه في المعارك، فقد تجلَّت عندما انقلب وجه المعركة، وفوجئ المسلمون بالمشركين تهوي سيوفهم ونبالهم فوق الهام، وهم مشغولون بجمع الحطام، فطاشت الأحلام، وزاغت الأبصار، ووقعوا بين شِقَّي الرَّحَى، فتفرق أمرهم، وتبعثر شملهم: فاتجهت فئة إلى المدينة، ولاذت أخرى بالجبل، وأَقعدت الحيرةُ ثالثةً فما تدري ما تفعل...

(١) هنا انطلق النبي ﷺ يلُمُّ شمل المسلمين، ويصيح فيهم: **إليَّ عباد الله، إليَّ عباد الله!** محاولًا إعادة تنظيم المسلمين، فتجمَّعت حوله حفنة لا تزيد على الثلاثين، دافعت دفاعَ المستميتين، وصدَّت هجماتِ المشركين نحوه، وكسرت وقع نبالهم، وهي تتهاوى صوبَه.

(٢) رغم الجراح التي أصابته ﷺ والشدائد العظيمة التي قاساها، فقد تصدى لها بثبات لا مثيل له، لم تلن له قناة، ولم تضعف قوته، وغالَب الوقائع المُرة، وقاوم الأحداث التي ما مرَّ به مثلها.

(٣) ها هو ذا يواجه أُبي بن خلف الجَمَحِيَّ، أقبل نحوه، شاهرًا سيفه، يُقسم أن يقتله، فقد سنحت له الفرصة، فقال النبي ﷺ: بل أنا أقتله ـ إن شاء الله ـ، وتناول من فوره حربة الحارث بن الصمَّة ﷺ، فطعنه بها طعنة نَجلاء، فوقع على الأرض، يخور خوار الثور، فلم يلبث أن مات بعد قليل، وقال قبل أن يلفظ أنفاسه، يعترف لمحمد ﷺ بالصدق والقوة، أليس قال: لأقتلنَّك! فلو كانت تتجمَّع له ربيعة ومُضَر لقتلهم.

(٤) بل إنه ﷺ بعد أن جمع أصحابه، أمرهم بأن ينزلوا قريشًا من القمة التي احتلُّوها في الجبل، ورشقوهم منها بالنبال، وقال لهم ـ في عزَّة السيد الكريم غير آبه بهذا النصر الذي استرقته قريش في غلطة بعض الرُّماة، وفي غفلة من الرقب: «**ليس لهم أن يعلونا**»، فما زال المسلمون يحصبونهم بالحجارة، حتى أجلوهم عنها، واستردُّوها.

(٥) وليس ذلك فحسب، فقد بلغ من خبرة النبي ﷺ في شؤون المعارك: أنه أرسل عليًّا ﷺ في آثار المشركين، وقال له: «**اخْرُجْ فِي آثَارِ القَوْمِ فَانْظُرْ مَاذَا يَصْنَعُونَ وَمَاذَا يُرِيدُونَ، فَإِنْ هُمْ جَنَّبُوا الخَيْلَ وامْتَطَوُا الإِبِلَ، فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ مَكَّةَ، وَإِنْ رَكِبُوا الخَيْلَ وسَاقُوا الإِبِلَ، فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ المَدِينَةَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ أَرَادُوهَا، لأَسِيرَنَّ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ لأُنَاجِزَنَّهُم فِيهَا**».

وهذا كلام يحمل في طيَّاته الخبرة والحنكة، كما يحمل الكثير من معاني التصميم والمضيِّ في القتال، كما يشير إلى أن الرسول ﷺ كان يتمتع بقوة لا تني، وعزم لا ينثني، وجرأة نادرة على مصاولة الأبطال، وعمالقة الرجال، دون أن تجد شدائد الخطوب والأحداث، سبيلًا إلى إضعاف نفسه، أو تفتير هِمَّته واتِّقَاده في الحروب.

وسنرى، عما قليل كيف تَعقَّب ـ مع ذلك ـ قريشًا، يطاردها، ويقطع طمعها في الاعتداء في غزوة حمراء الأسد». [**صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة لفيض الله ١٢١-١٢٣**].

١٥ ـ ثبات القائد في ميدان القتال له أثر في كسب نتائج المعركة لصالح جيشه:

يقول د/ الرشيد: «اقتحام ميادين الحروب سبب في تعرض المرء لكثير من المصائب والآلام النفسية والبدنية؛ لذا فإن من الصفات التي ينبغي أن تتوافر لمن أراد الدخول في تلك الميادين: الثبات والصمود أمام ضربات السيوف وطعنات الرماح وتناثر الأشلاء والدماء.

ولـمَّا كان لثبات القائد في ميدان القتال أثر في نفوس جنوده، فإنه من المُلاحَظ أن الرسول ﷺ قد أعطى القدوة الحسنة لجنده يوم أُحد، حتى استطاع بثباته أن يخلص تسعة أعشار جيشه من هلاك محقَّق.

وقد ذكر القاضي عياض أن الثبات في ميادين الحروب، كان من صفاته ﷺ، فقال ﷺ: «...حضر المواقف الصعبة وفرَّ الكماة والأبطال عنه غير مرة، وهو ثابت لا يبرح، ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح، وما شجاع إلا وقد أُحصِيَتْ له فَرَّةٌ وحفظت عنه جولة سواه ﷺ». [**الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ ١/٦٦**].

كما ذكر المحدِّثون وأهل السِّير أمثلةً رائعةً من ثباته وصموده ﷺ في ذلك اليوم، وسوف أذكر في هذا المقام ثلاثة منها:

المثال الأول: عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: لـمَّا انْجَلَى النَّاسُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ نَظَرْتُ فِي القَتْلَى فَلَمْ أَرَ رَسُولَ الله ﷺ فَقُلْتُ: **وَالله مَا كَانَ لِيَفِرَّ، وَلا أَرَاهُ فِي القَتْلَى، وَلَكِنْ أَرَى اللهَ غَضِبَ عَلَيْنَا بِمَا صَنَعْنَا، فَرَفَعَ نَبِيَّهُ** ﷺ، **فَمَا لِي خَيْرٌ مِنْ أَنْ أُقَاتِلَ حَتَّى أُقْتَلَ**، فَكَسَرْتُ جَفْنَ سَيْفِي، ثُمَّ حَمَلْتُ عَلَى القَوْمِ، فَأَفْرَجُوا لِي، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ الله ﷺ بَيْنَهُمْ. [**مجمع الزوائد ٦/ ١٦٠ كتاب المغازي والسير (١٠٠٧٥)، وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى، وفيه محمد بن مروان العقيلي، وثَّقه أبو داود وابن حبان، وضعفه أبو زرعة وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح**].

المثال الثاني: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنْ الأَنْصَارِ، وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلـمَّا رَهِقُوهُ قَالَ: «**مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الجَنَّةُ، أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الجَنَّةِ**»، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا فَقَالَ: «**مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الجَنَّةُ، أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الجَنَّةِ**»، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَل كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِصَاحِبَيْهِ: «**مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا**». [**مسلم في الجهاد والسير (١٧٨٩)**].

المثال الثالث: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ: لـمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَوَلَّى النَّاسُ، كَانَ رَسُولُ الله ﷺ فِي نَاحِيَةٍ فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ الأَنْصَارِ، وَفِيهِمْ طَلحَةُ بْنُ عُبَيْدِ الله، فَأَدْرَكَهُمْ المُشْرِكُونَ، فَالتَفَتَ رَسُولُ الله ﷺ وَقَالَ: «**مَنْ لِلقَوْمِ؟**»، فَقَالَ طَلحَةُ: أَنَا، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كَمَا أَنْتَ**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ: أَنَا يَا رَسُولَ الله! فَقَالَ: «**أَنْتَ**»، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ التَفَتَ فَإِذَا المُشْرِكُونَ، فَقَالَ: «**مَنْ لِلقَوْمِ؟**» فَقَالَ طَلحَةُ: أَنَا، قَالَ: «**كَمَا أَنْتَ**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ: أَنَا، فَقَالَ: «**أَنْتَ**»، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ لَمْ يَزَل يَقُولُ ذَلِكَ وَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ، فَيُقَاتِلُ قِتَالَ مَنْ قَبْلَهُ حَتَّى يُقْتَلَ، حَتَّى بَقِيَ رَسُولُ الله ﷺ وَطَلحَةُ بْنُ عُبَيْدِ الله، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ لِلقَوْمِ؟**» فَقَالَ طَلحَةُ: أَنَا، فَقَاتَلَ طَلحَةُ قِتَالَ الأَحَدَ عَشَرَ حَتَّى ضُرِبَتْ يَدُهُ فَقُطِعَتْ أَصَابِعُهُ، فَقَالَ: **حَسِّ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَوْ قُلتَ بِسْمِ الله لَرَفَعَتْكَ المَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ**»، ثُمَّ رَدَّ اللهُ المُشْرِكِينَ». [**النسائي في الجهاد (٣١٤٩)، وقال الشيخ الألباني: حسن من قوله: (فقطعت أصابعه) وما قبله يحتمل التحسين، وهو على شرط مسلم**].

فهذه الأحاديث مجتمعةً دَلَّت على ثبات النبي ﷺ يوم أُحد». [**القيادة العسكرية للرشيد ٤٤١-٤٤٣**].

ويقول د/ أبو فارس: «وحين فوجئ المسلمون في غزوة أحد بهجمات سلاح فرسان المشركين الذين يقودهم خالد بن الوليد، فر عدد كبير منهم وأقبل أُبي بن خلف بفرسه التي رباها ـ وكان يقول لرسول الله ﷺ: **لأقتلنك عليها يا محمد**، فيقول رسول الله ﷺ: **بل أنا قاتلك إن شاء الله** ـ حتى إذا دنا من

رسول الله ﷺ اعترض ناس من المسلمين ليقتلوه، فقال رسول الله ﷺ: استأخروا عنه، وقام وحربته في يده، فرماه بها، فوقعت في عنقه، فوقع عن فرسه، وكُسر ضلع من أضلاعه، فاحتملوه فمات لما ولوا قافلين». [إمتاع الأسماع للمقريزي ١/ ١٣٩، وينظر: غزوة أحد ـ د/ أبو فارس ص٨٢].

أما ثباته في القتال في أحلك ساعات النزال فتحدثك كتب السيرة عن هذا الثبات في أكثر من موطن، ففي غزوة أحد حينما انكشف المسلمون عن رسول الله ﷺ ولم يبق معه إلا عدد قليل جدًّا، لقد امتشق رسول الله ﷺ حسامه، يضرب به وجوه المشركين حتى روَّاه من دمائهم، ولقد رمى بقوسه حتى تكسر، وانقطع وتره، وقذف بالحربة، وقَتَلَ أبي بن خلف.

لقد أُصيب في غزوة أحد إصابات كثيرة وبليغة، ولكنه لم يتراجع قيد أنملة، وقد تراجع كثير من الأبطال وولوا هاربين من حوله، لقد روى الإمام مسلم عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ وَيَقُولُ: «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الله**»، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾[آل عمران: ١٢٨].

[مسلم في الجهاد والسير(١٧٩١)، والترمذي في تفسير القرآن (٣٠٠٢)، وأحمد (١١٥٤٥)].

هذا وأصيبت ركبتا النبي ﷺ بجروح، لما وقع في حفرة من الحفر التي حفرها المشركون، وسال دمه الزكي من شجة في جبهته حتى أخضل الدم لحيته ﷺ، كما جُرحت شفة رسول الله ﷺ السفلى، وكُسر أنفه، ولقد أنهك جسم رسول الله ﷺ من شدة ما ألم به، حيث لم يستطع أن يصلى ﷺ واقفًا، فصلى جالسًا بالمسلمين، ولم يستطع أن ينهض فجلس طلحة بن عبيد الله ﷺ تحته ثم نهض.

لقد حدث كل هذا لرسول الله ﷺ وظل ثابتًا، وكان لثباته أثر في تلافي ضربة ساحقة لقواته.

إن ثبات النبي ﷺ في مكانه في أرض المعركة ـ وهو مكان القيادة ـ كان له أثر كبير في نجاح عملية التجمع، وإنقاذ ما يقارب من ٩٠٪ من قوات المسلمين، ولو تَرك مقر قيادته، لما تمكن الجيش الإسلامي من التجمع بعد حركة خالد بن الوليد المفاجئة». [الرسول العربي ﷺ ص١٧٢].

[المدرسة النبوية العسكرية لأبي فارس ٣١-٣٣].

١٦ ـ وضوح الغاية:

يقول د/ أبو فارس: «إن جميع الذين شاركوا في غزوة أُحُد من الصحابة قد قاتلوا قتال الأبطال، وجرح معظمهم جروحًا بليغة، واستشهد سبعون من أبطالهم.

إنهم قادة وجندًا يقاتلون من أجل رسالة سامية، وغاية نبيلة، فضحُّوا من أجل غايتهم ورسالتهم بأموالهم وأنفسهم وراحتهم، وهذه الرسالة تتخلص في توحيد الله تبارك وتعالى وعبادته، وتحرير البشر من العبودية لغير الله.

غايتهم رضوان الله ﷻ، بإسعاد البشرية وإخراجها من الظلمات إلى النور، وإحيائها بعد موات، فالمسلم من يحمل رسالة حية، تحيي القلوب والنفوس بنور الإسلام، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[الأنعام: ١٢٢].

وفي المقابل كان المشركون يدافعون عن رسالة الشرك، وعبادة الأوثان، وكان الزعماء يقاومون رسالة الإسلام؛ لأنها تدعو لتحرير الناس من الظلم والعسف الذي لحقهم من سادتهم وكبرائهم.

والمسلمون اليوم ومنهم العرب خاضوا حروبًا مع أعدائهم، وكانت هذه الحروب تسفر عن هزائم مخزية وذل في رقاب العباد، واحتلال بغيض للأوطان والمقدسات.

أليس من حقنا أن نتساءل لم كانت هذه الهزائم؟

أليس من حق كل رجل مخلص لزمنه ودينه ووطنه أن يتساءل: ما الرسالة التي نقاتل من أجلها؟

وما الغاية المنشودة في قتالنا وحروبنا مع أعدائنا؟

وإذا كان لنا غاية منشودة وأهداف محدودة، فما هذه الغاية المنشودة، وما هذه الأهداف المرسومة؟

وإذا كان لنا غاية ورسالة وأهداف فهل ربينا الجنود عليها وأرضعناهم لبانها؟

ولو سلمنا جدلًا أن للذين قاتلوا وجنوا الهزائم المتلاحقة رسالة وغاية، فهل كانت هذه الغاية إنسانية، وهل كانت هذه الرسالة رفيعة، تدفع الجندي لأن يضحي من أجلها ويبذل دمه الزكي في سبيلها؟

هل بقاء حزب من الأحزاب في دفة الحكم غاية تستحق من الجندي أن يقاتل من أجلها؟

هل بقاء نظام من أنظمة الحكم الفاشية المستبدة أو زعيم قد تسلط على رقاب الناس وسامهم العذاب، فداس شرفهم وكتم أنفاسهم، رسالة تستحق من الجندي أن يقاتل من أجلها؟

هل رُبي الجنود على العزة والكرامة وأبوة النفس وعلى الحياة الحرة الكريمة؟

هل رُبي الإنسان العربي على حب الموت وكراهية الحياة الذليلة والتمرد عليها أيًّا كانت ومن أي جهة جاءت، أم رُبي على التعلق بالدنيا والقصور الفارهة والسيارات الأنيقة الثمينة؟

هل رُبيت الشعوب على الجهاد ودربت على حمل السلاح وجندت لميادين القتال كما رَبى رسول الله ﷺ أصحابه رضوان الله عليهم؟

إننا نقول بكل صراحة ووضوح إن هذه الأمة قد جنت ما جنته من الهزائم بسبب بُعدها عن دينها، وأنه لا خلاص لها من هذا الواقع الآسن المختل إلا بالعودة إلى كتاب الله، وسنة نبيها، وأن تُربى التربية العسكرية وفق المدرسة النبوية العسكرية». [المدرسة النبوية العسكرية لأبي فارس ١٢٥-١٢٦].

١٧ ـ التوكل على الله في ميدان المعركة:

يقول د/ الرشيد: «جرت سُنَّةُ الله في الحياة أن تربط الأسباب بمُسَبَّبَاتها، فإذا تخلف السبب لم يوجد مقتضاه.

وحقيقة التوكل هي: بذل ما يمكن من الأسباب المادية، ثم تفويض الأمر إلى الله في جلب المنافع ودفع المضار.

أما التوكل بدون القيام بالأسباب المادية فهو من باب العجز، ولا ينبغي للمؤمن أن يجعلَ توكَّلَه عجزًا ولا عجزه توكلًا، بل يجعل توكله من جملة الأسباب التي لا يتمُّ مقصودُه إلا بها كلِّها.

لذا فإنه يُلاحظ أن النبي ﷺ ـ وهو أعظم المتوكلين على الله ـ قد أعطى القدوة الحسنة في هذا الشأن ليقتدي من بعده من المؤمنين.

ففي غزوة أُحُدٍ وبعد أن علم ﷺ بقدوم قريش إلى المدينة، أمر جنده بأن يأخذوا أسلحتهم وباتوا يحرسون المدينة، وحين جاء الحباب بن المنذر ﵁، وأخبره بعدة قريش قال ﷺ: «**لا تَذْكُرْ مِنْ شَأْنِهِمْ حَرْفًا، حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ**». [المغازي للواقدي ١/ ٢٠٨].

وعندما خرج ﷺ إلى حمراء الأسد، مَرَّ به ركبٌ من عبد القيس، فأخبروه بما عزم عليه أبو سفيان ومن معه من اسْتِئْصَالِ شَأْفَتِهِمْ، فقال رسول الله ﷺ: «**حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ**». [**تاريخ الطبري ٢/ ٥٣٦**].

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ ﵇ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران]. [**البخاري في التفسير (٤٥٦٣، ٤٥٦٤)، فتح الباري ٨/ ٢٢٩**].

وقد بيَّن الله عاقبة هؤلاء بقوله تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران]». [**القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ للرشيد ٤٧٢-٤٧٣**].

١٨ ـ حماية القائد من متطلبات النصر في المعركة:

وقد سبق تفصيله في الدروس العسكرية من المرحلة الأولى من غزوة بدر الكبرى.

١٩ ـ إخفاء مكان وشخصية القائد العام في الميدان:

يقول أ/ خلف الله: «وكان خبر قتل رسول الله ﷺ قد سرى في الميدان، وعَلِم المشركون فضعف حماسهم للقتال، واعتبروا ذلك أروع انتقام من المسلمين، وأخذت تخف حدة المعركة شيئًا فشيئًا، وبدأ المشركون ينشغلون بأنفسهم وإحصاء قتلاهم وجرحاهم.

وهنا يتبين لنا سر إشارة رسول الله ﷺ إلى كعب بن مالك ﵁ بالصمت حين أراد أن يعلن عن رسول الله ﷺ، فالإعلان معناه تجدد المعركة والمسلمون في حالة يستحسن معه إنهاء القتال حتى يتيسر

لهم لمَّ جماعتهم وتوحيد صفوفهم، ولا يمكن أن يلتئم شملهم إلا إذا تأكدوا من حياة رسول الله ﷺ ولا يمكن تعريفهم بذلك، إذ من المستحيل إيصال الخبر إلى جميع المسلمين في الميدان، وقد انفسح واتسع، كما أن فريقًا قد انهزم إلى قرب المدينة، فالإعلان إذن في هذه الحالة لا جدوى وراءه وهو يضر بالمسلمين؛ لأن الفريق الذي سيجتمع منهم سيكون قليلًا ولا يمكنه المقاومة وحده.

ومن ناحية أخرى لا يجوز الإعلان عن شخصية القائد العام في الميدان؛ لأنه مقصود دائمًا بالقتل، هذا وإن كان المشركون لا يقدرون [1] على رسول الله ﷺ لشدة بأسه وشجاعته وعظيم هيبته ـ وقد رأيناهم ينفردون به ﷺ خلال المعركة وكلهم حريص على قتله فلم يتمكنوا من ذلك، إلا أن قواعد القتال وأصوله تجب مراعاتها وهي تقضي بعدم إعلام العدو بمقر القائد العام، ويتأكد ذلك في مثل هذه الظروف؛ ولذا أشار ﷺ إلى كعب رضي الله عنه بالإنصات». [**غزوة أُحد لخلف الله ٩٠-٩١**].

٢٠ ـ علاقة القائد بجنوده [2]:

يقول د/ أبو فارس: «في غزوة أُحد ترى هذا الحب الذي يبعث على الفداء بالنفس والمال من أبي دجانة وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما، بعدما انكشف المسلمون عن رسول الله ﷺ.

ولقد أحب رسولَ الله ﷺ النساءُ والرجالُ، وكان مما يخفف المصاب على المرأة المسلمة التي استشهد أبوها وأخوها أو عزيزٌ عليها أن رسول الله ﷺ خرج من المعركة سليمًا معافى.

لقد كان صحابة رسول الله ﷺ جميعًا يحبونه ويؤثرونه على أنفسهم، فما ساروا في غزوة إلا قاتلوا دونه والتفوا حوله، وما وجدوا أمرًا يسر رسول الله ﷺ ويهيئ له الراحة إلا فعلوه، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حبهم إياه وإيثاره على أنفسهم». [**المدرسة النبوية العسكرية لأبي فارس ٤٤-٤٦**].

٢١ ـ لماذا لم يجرؤ أبو سفيان على التحرك نحو المدينة الخالية للاستيلاء عليها؟:

يقول الجنرال أ.أكرم: «ينبغي أن نلاحظ أن النبي ﷺ في اختياره ميدان المعركة قد ترك المدينة مفتوحة لهجوم القرشيين، وكانت المدينة قاعدة المسلمين، لكن الطريق المؤدي إلى تلك القاعدة ـ

(١) قال الفخر الرازي في تفسيره عند تأويل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] كيف يجمع بين ذلك وبين ما روي أنه ﷺ شج وجهه يوم أُحد وكُسرت رباعيته؟ والجواب من وجهين: أحدهما أن المراد يعصمه من القتل، وفيه التنبيه على أنه يجب عليه أن يحتمل كل ما دون النفس من أنواع البلاء، فما أشد تكليف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وثانيهما أنها نزلت بعد يوم أُحد، واعلم أن المراد من الناس هنا الكفار بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٦٧﴾ [المائدة] ا.هـ. ج ٣ ص٤٤٣.

(٢) سبق تفصيله في الدروس العسكرية المستفادة من المرحلة الأولى من غزوة بدر الكبرى.

والذي يمر جنوب موقع المسلمين ـ كان مفتوحاً لأبي سفيان، فلو أن أبا سفيان قرر التحرك إلى المدينة، فإن المسلمين لن يكونوا في طريق تقدُّمه، في هذا القرار توقع النبي ﷺ بشكل صحيح بأن أبا سفيان لن يجرؤ على التحرك نحو المدينة؛ لأنه لو فعل ذلك لعَرَّض مجنبته ومؤخرته للهجوم من قِبل المسلمين، وهذا ما حصل تمامًا، فأبو سفيان لم يتحرك إلى المدينة خوفاً من المسلمين الذين كانوا يقفون على جانب الطريق، وكان هذا مثالًا نموذجيًّا، تكرر عدة مرات في التاريخ العسكري، لقوةٍ تدافع عن قاعدتها، ليس بالتمركز فيها وخوض معركة جبهية، بل بتهديد أي تحرك معادٍ نحو تلك القاعدة من الجنب».

[سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه لأكرم ص ٦٧].

المبحث السادس
الدروس الدعوية

١ ـ أهمية التخطيط للدعوة:

يقول د/ بامدحج: «التخطيط سِمة من سِمات الدعوة الإسلامية منذ نشأتها، اهتم به الإسلام، ودعا إليه دعوة جادة وواعية، ولم يقتصر في دعوته هذه على الافتراضية والجوانب النظرية فقط، بل أبرز جانب التخطيط إبرازًا عمليًّا، واعتبره من الجوانب العملية التطبيقية؛ لأن التطلع إلى أفضل النتائج بطرق منظمة في الدعوة إلى الله تعالى لابد أن تعتمد ـ بعد توفيق الله ـ على تخطيط منظَّم؛ ليخرج العمل بعد ذلك في أحسن صورة، ويعطي أطيب الثمار.

والدعوة الإسلامية منذ نشأتها وهي دعوة منظمة، ليس للعشوائية فيها مجال، ولا للتخبط منها نصيب، ومن يدقق النظر في سيرة الرسول ﷺ يجدها أنموذجًا عاليًا للتخطيط، فليس هناك خطوة من خطوات الدعوة غير مدروسة، وليس هناك عمل من الأعمال التي حققت هدفًا من أهداف الدعوة غير مخطط له.

التخطيط الدعوي هو: بُعد النظر، والاستعداد للمستقبل باستخدام الطاقات والإمكانيات المتوفرة لتحقيق أهداف الدعوة في فترة زمنية محددة.

ولو تأملنا سيرة الرسول ﷺ قبل غزوة أُحد لوجدنا أنه كان يُعد لكل أمر عُدته ويهيئ له أسبابه، آخذًا حِذره، مُقدِّرًا كافة الاحتمالات، واضعًا ما أمكنه من الاحتياطات، مع أنه كان أقوى المتوكلين على الله تعالى.

ومن هنا ينبغي أن ننبه إلى أن التخطيط يتوافق مع الأخذ بالأسباب ولا ينافي التوكل على الله ﷻ؛ لأن المسلمين عامة والدعاة الى الله ﷻ خاصة مطلوب منهم ألا يعتمدوا على الأسباب فقط، بل يأتون بها مع الاعتماد والتوكل على الله ﷻ، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فقد كان يعتمد ويتوكل على الله ﷻ في جميع شؤونه مع بذل الأسباب، فلو كان فعل الأسباب يتنافى مع التوكل لكان تخطيطه ﷺ للدعوة منذ نشأتها منافيًا للتوكل، ولكن كان ﷺ يبذل كل الأسباب والطاقات مع الاعتماد على الله ﷻ.

وفي غزوة أُحد نرى بعض مظاهر تخطيطه ﷺ مع التوكل على الله ﷻ، والاعتماد عليه ﷻ في الدعوة الإسلامية في عدة مواطن من أحداثها سنحاول أن نستعرضها في هذا المبحث وفق الفقرات التالية:

تخطيط الرسول ﷺ في غزوة أُحد: لا شك أن أهم الاتجاهات التي خطط لها الرسول ﷺ مع قريش كان الاتجاه الساحلي الذي يقطع عنها خطوط الإمداد الرئيسة، ونجح في ذلك، ثم خطط للاتجاه

الشرقي الذي تحولت إليه قريش بعد قطع الأول، وتم له محاصرة عدوه من كل الاتجاهات، ونشبت معارك عديدة لفك الحصار، انتهت بالانتصار للمسلمين.

[فن الحرب الإسلامي في عهد الرسول ﷺ - د/ محمد ضاهر وتر ص ١١٧].

جمع المعلومات الكاملة عن جيش قريش: حصل الرسول ﷺ على المعلومات الكاملة عن استعداد قريش لغزو الرسول ﷺ والمسلمين في وقت مبكر قبل تحرك قريش لغزو الرسول ﷺ والمسلمين، فقد أرسل العباس رضي الله عنه رسالة إلى رسول الله ﷺ وضمَّن الرسالة معلومات كاملة عن جيش قريش وعدد القوات والتاريخ الذي خرجت فيه، وسُلِّمت الرسالة إلى النبي ﷺ وهو في مسجد قباء.

قرأ الرسالة على النبي ﷺ أُبي بن كعب رضي الله عنه، فأمره بالكتمان، وعاد مسرعًا إلى المدينة، وتبادل الرأي مع المهاجرين والأنصار في كيفية مواجهة الموقف، وكان ﷺ قد استدعى سيد الأنصار سعد بن الربيع رضي الله عنه وأطلعه على خبر رسالة العباس رضي الله عنه، فقال: **يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ خَيْرٌ**، فاستكتمه إياه، فلما خرج رسول الله ﷺ من عند سعد رضي الله عنه، قالت له امرأته: **مَا قَالَ لَكَ رَسُولُ اللهِ؟ فَقَالَ: مَا لَكِ وَلِذَلِكَ لا أُمَّ لَكِ؟ قَالَتْ: قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ عَلَيْكَ**، وَأَخْبَرَتْ سَعْدًا رضي الله عنه الخَبَرَ، فَاسْتَرْجَعَ سَعْدٌ رضي الله عنه، وَقَالَ: **لا أَرَاكِ تَسْتَمِعِينَ عَلَيْنَا وَأَنَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ تَكَلَّمْ بِحَاجَتِكَ**، ثُمَّ أَخَذَ يَجْمَعُ لَبَّتَهَا، ثُمَّ خَرَجَ يَعْدُو بِهَا حَتَّى أَدْرَكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِالجِسْرِ، وَقَدْ بَلَحَتْ (انقطعت من الإعياء فلم تقدر أن تتحرك)، فَقَالَ: **يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ امْرَأَتِي سَأَلَتْنِي عَمَّا قُلْتَ، فَكَتَمْتُهَا، فَقَالَتْ: قَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ، فَجَاءَتْ بِالحَدِيثِ كُلِّهِ، فَخَشِيتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ يَظْهَرَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ فَتَظُنَّ أَنِّي أَفْشَيْتُ سِرَّكَ**، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَلِّ سَبِيلَهَا**». [الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٣٧، والسيرة الحلبية ٢/ ٢١٧، والمغازي للواقدي ١/ ٢٠٣].

وهذا يدلنا على أن واجبات الداعية أن يعرف أخبار عدوه حتى يقف عليها، يتصفح أحواله حتى يخبرها، فيسلم من مكروه. [الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي ص ٩٢].

والرسول ﷺ عندما جعل لنفسه بعض العيون استطاع أن يعرف أخبار قريش منذ خروجها من مكة، واستطاع كذلك معرفة قوة الجيش وعدده فأخذ حِذره، وسلِم من مباغتة قريش له، واستعد لجيش العدو، ولو لم يفعل ذلك ويخطط لمعرفة المعلومات كافة لما استطاع أن يستعد لملاقاة كفار قريش.

توثيق المعلومات المجموعة بإرسال الرسل: أرسل النبي ﷺ أنسًا ومؤنسًا ابني فضالة رضي الله عنهما يتسنَّطان أخبار قريش، فألفياها قد قاربت المدينة، وأرسلت خيلها وإبلها ترعى زروع يثرب المحيطة بها، وأرسل بعدهما الحباب بن المنذر رضي الله عنه مستطلعًا، فجاءت الرسل تؤكد ما أخبر به العباس، وأن جيش قريش بمشارف المدينة. [المغازي للواقدي ١/ ٢٠٦، والسيرة النبوية لأبي شهبة ٢/ ١٨٧].

وهذا يدلنا على أن الرسول ﷺ قد اختار أشخاصًا لهذه المهمة تتوافر فيهم صفات معينة أهمها المحافظة على السر والكتمان إضافة إلى الثقة المتوافرة في الشخص.

الشورى جزء كبير من التخطيط: لا شك أن للشورى أهمية كبرى في أي عمل؛ وذلك لأن الشورى تعد جزءًا كبيرًا في التخطيط لأنه خلال انعقاد مجلس الشورى يتم تحديد المشكلة القائمة، ويتم تقديم أفضل السبل لمواجهة المشكلة، والتشاور في أنجع الوسائل والأساليب التى تتناسب مع الموقف، وبالتالي يتم التوصل إلى أجود الآراء والحلول، ويتم تطييب خواطر المشاركين في الأحداث لرص الصفوف وتقوية الجماعة، والرسول الكريم ﷺ حينما طلب من الصحابة رضي الله عنهم تقديم المشورة لمواجهة جيش قريش أراد ﷺ أن يبين للمسلمين عامة والدعاة خاصة، أهمية الشورى ومكانتها في أي عمل أو تخطيط، فقد كان رأي النبي ﷺ البقاء في المدينة وقال: «**رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ**».

[السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٩، تاريخ الطبري ٣/ ٥٠٢، المغازي للواقدي ١/ ٢٠٩].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «**فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُقِيمُوا بِالْمَدِينَةِ وَتَدْعُوهُمْ حَيْثُ نَزَلُوا، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مُقَامٍ، وَإِنْ هُمْ دَخَلُوا عَلَيْنَا قَاتَلْنَاهُمْ فِيهَا**»، وَكَانَ رَأْيُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ مَعَ رَأْيِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَرَى رَأْيَهُ فِي ذَلِكَ، وَأَلَّا يَخْرُجَ إِلَيْهِمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَكْرَهُ الْخُرُوجَ، فَقَالَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، مِمَّنْ أَكْرَمَ اللهُ بِالشَّهَادَةِ يَوْمَ أُحُدٍ وَغَيْرِهِ، مِمَّنْ كَانَ فَاتَهُ بَدْرٌ: **يَا رَسُولَ اللهِ، اُخْرُجْ بِنَا إِلَى أَعْدَائِنَا، لا يَرَوْنَ أَنَّا جَبُنَّا عَنْهُمْ وَضَعُفْنَا؟...**

فَلَمْ يَزَلْ النَّاسُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، الَّذِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ حُبُّ لِقَاءِ الْقَوْمِ، حَتَّى دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَبِسَ لأْمَتَهُ،... ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ نَدِمَ النَّاسُ، وَقَالُوا: اسْتَكْرَهْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَلَمْ يَكُنْ لَنَا ذَلِكَ، فَلَمَّا خَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ اسْتَكْرَهْنَاكَ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَنَا، فَإِنْ شِئْتَ فَاقْعُدْ صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ**».

[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦٣].

ومن هنا يتبين لنا أن أي تخطيط منظم لابد أن يبدأ بالشورى وينتهي بالعزم وعدم التردد لكي يُكتب له النجاح والتوفيق بإذن الله تعالى.

التخطيط للتركيز على الاتجاه المناسب: بعد أن تشاور الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم واستقر الرأي على الخروج لملاقاة قريش خارج المدينة، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى الْقَوْمِ مِنْ كَثَبٍ ـ أَيْ مِنْ قُرْبٍ ـ مِنْ طَرِيقٍ لا يَمُرُّ بِنَا عَلَيْهِمْ؟**»، فَقَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ أَخُو بَنِي حَارِثَةَ بْنِ الحَارِثِ رضي الله عنه: **أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ**، فَنَفَذَ بِهِ فِي حَرَّةِ بَنِي حَارِثَةَ، وَبَيْنَ أَمْوَالِهِمْ حَتَّى سَلَكَ فِي مَالٍ **لِمِرْبَعِ بْنِ**

قَيْظِيٍّ، وَكَانَ رَجُلًا مُنَافِقًا ضَرِيرَ البَصَرِ، فَلَـمَّا سَمِعَ حِسَّ رَسُولِ الله ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ المسْلِمِينَ قَامَ يَحْثِي فِي وُجُوهِهِمْ التُّرَابَ، وَيَقُولُ: **إنْ كُنْتَ رَسُولَ الله، فَإِنِّي لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ حَائِطِي**.

وَقَدْ ذُكِرَ لِي إنَّهُ أَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تُرَابٍ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: **وَالله لَوْ أَعْلَمُ إنِّي لَا أُصِيبُ بِهَا غَيْرَكَ يَا مُحَمَّدُ لَضَرَبْتُ بِهَا وَجْهَكَ**.

فَابْتَدَرَهُ القَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تَقْتُلُوهُ فَهَذَا الأَعْمَى أَعْمَى القَلْبِ، أَعْمَى البَصَرِ**».

إن قول الرسول ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم: **مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى القَوْمِ مِنْ كَثَبٍ - أَيْ مِنْ قُرْبٍ - مِنْ طَرِيقٍ لَا يَمُرُّ بِنَا عَلَيْهِمْ**؟ ثم سلك الرسول الكريم ﷺ في مال لمربع بن قيظي، حتى لا يشعر به جيش قريش، وهذا التخطيط له دوره في انتصار الدعوة الإسلامية، حيث خطط ﷺ لاختيار الوقت المناسب والطريق الأصلح.

اختيار الموقع المناسب: أدرك الرسول ﷺ أهمية جبل أُحد لحماية جيش المسلمين، فعندما وصل جيش المسلمين إلى جبل أُحد جعل الرسول ﷺ ظهره إلى الجبل ووجهه إلى المدينة، وانتقى خمسين من الرماة تحت إمرة عبد الله بن جبير رضي الله عنه، ووضعهم فوق جبل «عينين» المقابل لجبل أُحد، وذلك ليمنع التفاف جيش المشركين حول جيش المسلمين، وأصدر أوامره إليهم قائلًا: «**إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا القَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ**». [البخاري في الجهاد (٣٠٣٩)، وفي المغازي (٤٠٤٣)، فتح الباري ٦/ ١٨٨، ٧/ ٤٠٥].

سيطر المسلمون على المرتفعات وتركوا الوادي لجيش مكة ليواجه أُحد وظهره إلى المدينة، وهذا أيضًا من التخطيط؛ لأن اختيار الموقع المناسب للدعوة له دوره وأهميته في استمراريتها ونجاحها.

اختيار المكان المناسب من الناحية الجغرافية: يُعد اختيار المكان المناسب في المعركة ذا أثر كبير على نتائجها، فقد اختار الرسول ﷺ لمعسكره موضعًا مرتفعًا، فوضع الرماة فوق جبل عينين المقابل لجبل أُحد؛ وذلك ليمنع التفاف جيش المشركين حول جيش المسلمين؛ وليحتمي بهم إذا نزلت الهزيمة بالمسلمين، وقد استدل أهل الخبرة والدراية بالحرب من فِعْل الرسول ﷺ هذا على أنه ينبغي لقائد الجيش أن يجتهد في حماية ظهور جنده من أعدائه، فمن واجبات القائد لحماية جنده «أن يتخير لهم موضع نزولهم لمحاربة عدوهم، وذلك أن يكونوا أوطأ الأرض مكانًا وأكثرها مرعى وأحرسها أكنافًا وأطرافًا ليكون أعون لهم على المنازلة وأقوى لهم على المرابطة». [الأحكام السلطانية للماوردي ص ٩٢].

وكذلك يجب على قائد الجيش أن يسند ظهور أصحابه إلى التلال أو الأنهار وما أشبه ذلك مما يؤمن سرعة التطرق والكمن والبيات من العدو ... وذلك أن العدو إذا أتى مواجهة واجهه أهل المعسكر باللقاء بالسلاح ودافعوه بما تصل إليه طاقاتهم من الدفاع، وأما إذا أتى من جهة ظهر العسكر، فإن لم

يكن هناك ما يحفظ ظهره ربما هجم العدو على العسكر على حين غفلة منه.

[تفريج الكروب وتدبير الحروب للأنصاري ص ٥٩-٦٠].

اختيار الشخص الأصلح والمناسب للمهمة المناسبة: قام الرسول ﷺ باختيار الأشخاص المناسبين لكل مهمة، وذلك بوضع الشخص المناسب في المكان المناسب، فقد كان ﷺ يعرف أصحابه، فهو يعرفهم في الحرب والسلم معًا؛ لذا قام بإسناد كل مهمة إلى مَنْ يراه مناسبًا لها، و من ذلك:

١ ـ أعطى الألوية لأشخاص معينين.

٢ ـ وزع رسول الله ﷺ الرماة في الجبل، و أَمَّر عليهم عبد الله بن جبير ﵁.

٣ ـ عهد إلى أبي طلحة ﵁ برمي النبال، وكان ﵁ راميًا شديد النزع ماهرًا في تسديد الإصابة، فكان رسول الله ﷺ يقول لحامل النبال: **انثرها لأبي طلحة.**

[البخاري في المغازي (٤٠٦٤)، في مناقب الأنصار (٣٨١١)، ومسلم في الجهاد والسير (١٨١١)].

٤ ـ وأعطى الراية لعلي بن أبي طالب ﵁ (ثم لمصعب ﵁)، وأمرهم بعدم القتال إلا بأمر منه ﷺ.

وهذا جزء من التخطيط، فلو لم يفعل ذلك لما كان الجيش منظمًا، ولما استطاع مواجهة كفار قريش.

تنظيم الجيش وَصَفُّ أصحابه على هيئة صفوف الصلاة: انتقى رسول الله ﷺ خمسين من الرماة تحت إمرة عبد الله بن جبير ﵁ وأصدر أوامره إليهم بأن ينضحوا الخيل بالنبل وأن لا يبرحوا أماكنهم قائلًا: «**إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ**». [البخاري في الجهاد (٣٠٣٩)، وفي المغازي (٤٠٤٣)].

ثم قال رسول الله ﷺ للجيش: «**لَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُوذِنَكُمْ**»، وقال: «**لا يُقَاتِلَنَّ أَحَدٌ حَتَّى آمُرَهُ بِالقِتَالِ**».

وقال لأمير الرماة: «**انْضَحِ الخَيْلَ عَنَّا بِالنَّبْلِ، لا يَأْتُونَا مِنْ خَلفِنَا، إِنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا، فَاثْبُتْ مَكَانَكَ لا نُؤْتَيَنَّ مِنْ قِبَلَكَ**».

وقال للرماة: «**الزَمُوا مَكَانَكُمْ لا تَبْرَحُوا مِنْهُ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نَهْزِمُهُمْ حَتَّى نَدْخُلَ عَسْكَرَهُمْ فَلا تُفَارِقُوا مَكَانَكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ فَلا تُعِينُونَا وَلا تَدْفَعُوا عَنَّا، وَارْشُقُوهُمْ بِالنَّبْلِ؛ فَإِنَّ الخَيْلَ لا تُقْدِمُ عَلَى النَّبْلِ، إِنَّا لا نَزَالُ غَالِبِينَ مَا مَكَثْتُمْ مَكَانَكُمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ عَلَيْهِمْ!**». [السيرة الحلبية ٢/ ٤٩٦].

وذلك لكي يبين ﷺ أن «ترتيب الجيش في مصاف الحرب، والتعويل في كل جهة على من يراه كفؤًا لها، ويتفقد الصفوف من الخلل فيها، ويراعي كل جهة يميل العدو عليها بمدد يكون عونًا لها».

[الأحكام السلطانية للماوردي ص ٩٢].

وقد تقدم رسول الله ﷺ أصحابه في غزوة أُحد وصفَّهم على هيئة صفوف الصلاة «وجعل رسول الله ﷺ يمشي على رجليه يُسوِّي تلك الصفوف، ويبوئ أصحابه للقتال، يقول: تقدم يا فلان! وتأخر يا فلان!

فهو يقوِّمهم حتى استوت الصفوف» [المغازي للواقدي ١/ ٢١٩]، فوضع في مقدمة الصفوف الأشداء لكي يفتحوا الطريق لمن خلفهم؛ وقد أخذ الرسول ﷺ بهذا الأسلوب لأنه أبلغ في قتال الأعداء. [العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ لفرج ص ٣٥٥-٣٥٦، والقيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ للرشيد ص ١٣٠].

حقًّا لقد كان الرسول ﷺ أنموذجًا رائعًا للتخطيط المحكم، ينظم الجيش ويرص الصفوف، ويعيِّن القادة، ويعيِّن حَمَلَةَ الألوية، ويقول: يحمل الراية فلان، فإن استشهد ففلان، فإن استشهد ففلان، خطة محكمة من حلقات متماسكة، متقنة التدبير والإعداد، آخذة بعين الاعتبار كل الاحتياطات اللازمة.

حدد لحظة البداية بأن أمر ﷺ ألا يقاتل أحد إلا بأمره: وهذا الأساس في غاية الأهمية؛ لما فيه من توحيد لجهة القيادة والمسؤولية، وعدم العشوائية في قتال الأعداء، قال الرسول ﷺ للرماة: «**لَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُوذِنَكُمْ**»، وقال: «**لا يُقَاتِلَنَّ أَحَدٌ حَتَّى آمُرَهُ بِالقِتَالِ**».

«وبتعيين هذه الفصيلة في الجبل مع هذه الأوامر العسكرية الشديدة سد رسول الله ﷺ الثلمة الوحيدة التي كان يمكن لفرسان المشركين أن يتسللوا من ورائها إلى صفوف المسلمين، ويقوموا بحركات الالتفاف وعملية التطويق». [الرحيق المختوم ٢٩٩].

وكذلك وضع الرسول ﷺ بقية جنوده في الأماكن المناسبة، «فجعل على الميمنة المنذر بن عمرو، وجعل على الميسرة الزبير بن العوام، يسانده المقداد بن الأسود». [الرحيق المختوم ٢٩٩].

ويمكننا القول بأن التنظيم والتخطيط المتقن من أقوى عوامل نجاح الدعوة، فقد نجحت الدعوة بفضل الله ﷻ ثم بالتخطيط الواعي والتنظيم الدقيق، بينما كانت الفوضى والارتجالية سبب فشلها».

[مشكلات الدعوة والداعية ـ أ/ فتحي يكن ص٧٥ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م].

[غزوة أحد لبامدحج ١٣٧-١٤٧].

٢ ـ الحذر من مكائد الأعداء في إيقاع الفرقة بين أفراد الصف:

يقول د/ زيدان: «لقد حاول أبو سفيان إيقاع الفُرقة بين المسلمين بإرساله من يخبر الأنصار بأن لا خلاف بينهم وبين قريش، ويطلب منهم التخلية بينهم وبين محمد ﷺ، فردوا عليه بما يكره؛ لأن إيمانهم عصمهم من الوقوع فيما أراده أبو سفيان منهم، ومحاولة أخرى من أبي عامر الفاسق الذي ظهر في مواجهة جيش المسلمين وأخذ يناديهم: يا معشر الأوس ـ لأنه منهم نسبًا ـ أنا أبو عامر، يريد منهم متابعته والانصراف عن محمد ﷺ، ولكن إيمانهم عصمهم من ذلك فقالوا له: «**لا أَنْعَمَ اللهُ بِكَ عَيْنًا يا فَاسِقُ**».

فعلى الدعاة: أن يحذروا من مكائد العدو وسعيه الحثيث في إيقاع الفُرقة بينهم وبما يثيرونه فيهم من معاني العصبية القبيلة أو غيرها من العصبيات الأخرى، وليعلوا بإيمانهم على كل ما يناقضه مما يتشبث به العدو». [المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ١٩٦].

٣ ـ طاعة الأمير ما دامت هذه الطاعة في غير معصية:

يقول د/ زيدان: «ذكرنا من قبل أن النبي ﷺ أوقف خمسين رجلًا بإمرة عبد الله بن جبير رضي الله عنه على الجبل؛ لحماية ظهور المسلمين من أن يأتيهم العدو من خلفهم، وأمرهم ألا يتركوا أماكنهم مهما كانت الظروف والأحوال، ولكنهم خالفوا هذا الأمر إلا قليلًا منهم، فهجم العدو على من بقي من الرماة وقتلهم، ثم هجم على جيش المسلمين من الخلف، ورجع المشركون المنهزمون يقاتلون المسلمين الذين وقعوا في حصار المشركين من الأمام ومن الخلف، وهكذا حَلَّت بالمسلمين الهزيمة بعد أن كان النصر لهم في أول القتال، وكل ذلك كان شؤم مخالفة الرماة أمر رسول الله ﷺ بالبقاء في أماكنهم.

فعلى الدعاة: الاعتصام بطاعة أميرهم ما دامت هذه الطاعة في غير معصية، ولا يسوغ لهم مخالفة أوامره ما دامت في الأمور الاجتهادية؛ ولا تقع في دائرة معصية الله، إن التزامهم بهذه الطاعة أمر ضروري لنجاحهم في دعوتهم وقبول الناس منهم ما يدعون إليه، وليعلموا أن طاعتهم لأميرهم طاعة لشرع الله؛ لأنه أمر بطاعة الأمير في غير معصية الله، وإذا لم يلتزموا بهذه الطاعة وقعوا في الفوضى والفُرقة وتشتت الآراء، وكل هذه الأمور معوقات النصر». [**المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ١٩٦-١٩٧**].

ويقول أ/ عبَّاد: «إن انقلاب الموازين وانتكاس الكفة وتحول النصر إلى كارثة، كل هذا ترتب على عصيان الأوامر، فلعله يكون درسًا عميقًا يتعلم منه الفرد المسلم قيمة الطاعة؛ لأن الجماعة التي لا يحكمها أمر واحد أو التي يغلب على أفرادها وطوائفها النزعات الفردية النافرة لا تنجح في صدام مع أعداء دينها؛ لذلك تأسست وقامت الجندية على الطاعة التامة، وإحسان الجندية كإحسان القيادة».

[**مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ١٠٢**].

ويقول د/ بامدحج: «طاعة ولي الأمر في الإسلام وسيلة لا غاية، وسيلة إلى مقاصد معينة يستطيع ولي الأمر بما له من صلاحيات خاصة أن يحقق ويبلغ ما يعجز عن بلوغه آحاد المسلمين.

وجماع هذه المقاصد هو: إقامة أمر الله ﷻ في الأرض على الوجه الذي شرع؟ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الأمر بكل معروف ونشر الخير والرفع من قدره، والنهي عن كل منكر، والقضاء على كل فساد، والحط من شأنه وأهله، وهذا هو الهدف والمقصد الأساس من ولاية الأمر في الإسلام، وقد أوضح الله ﷻ هذا الهدف في كتابه الكريم حيث قال: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾[الحج].

فالمقصد الأساس والجامع لولاية الأمر هو: إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وجميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

[**الحسبة في الإسلام ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٤**].

بل إن طاعة ولي الأمر دليل على الإيمان قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء].

فناداهم ﷻ بصفة الإيمان الذي من مقتضاه طاعة ولي الأمر، بل وأمرهم به في الآية نفسها.

بل إن طاعة أولي الأمر في غير معصية الله من طاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ كما جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ يُطِعْ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي، وَإِنَّمَا الإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللهِ وَعَدَلَ، فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا، وَإِنْ قَالَ بِغَيْرِهِ فَإِنَّ عَلَيْهِ مِنْهُ**». [البخاري في الجهاد (٢٩٥٧)، ومسلم في الإمارة (٣٤١٧، ٣٤٢٨)].

(وإذا كانت الطاعة الواجبة هي طاعة الله ورسوله ﷺ، وطاعة أولي الأمر تابعة لطاعة الله ورسوله، فإنه لا يُطاع غير الله ﷻ ورسوله ﷺ إلا إذا لم يأمر بمعصيته، فإن أمر بمعصية فلا طاعة له كائنًا مَنْ كان؛ لأن المؤمن إنما يطيع الله ورسوله؛ لأن الله ﷻ يثيبه على ذلك وطاعته عبادة، فإذا أطاع غير الله في معصية الله فإنه معرض لعقاب الله تعالى: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور]. [الجهاد في سبيل الله: حقيقته وغايته ـ د/ عبد الله أحمد القادري ٢/ ٧٠].

وقد نهى الرسول ﷺ عن طاعة أحد في معصية الله ﷻ، كما في حديث ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ**». [البخاري في الأحكام (٧١٤٤)، ومسلم في الإمارة (١٨٣٩)].

وقد امتثل الصحابة ﷺ لهذا الأمر والتوجيه النبوي، فكانوا خير مَنْ طَبَّق ذلك عمليًا، وأقرهم ﷺ على ما فعلوه كما ثبت ذلك «عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ الأَنْصَارِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، فَغَضِبَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُطِيعُونِي؟! قَالُوا: بَلَى، قَالَ: قَدْ عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ لَمَا جَمَعْتُمْ حَطَبًا، وَأَوْقَدْتُمْ نَارًا، ثُمَّ دَخَلتُمْ فِيهَا، فَجَمَعُوا حَطَبًا، فَأَوْقَدُوا نَارًا، فَلَمَّا هَمُّوا بِالدُّخُولِ! فَقَامَ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا تَبِعْنَا النَّبِيَّ ﷺ فِرَارًا مِنْ النَّارِ، أَفَنَدْخُلُهَا؟! فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ خَمَدَتْ النَّارُ، وَسَكَنَ غَضَبُهُ، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا أَبَدًا، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**». [البخاري في الأحكام (٧١٤٥)].

ومن خلال غزوة أُحد ودراسة أهمية وأثر طاعة ولي الأمر في صلاح الفرد والمجتمع واستقامة الأمور، فإن مما يُذَكَّر به الدعاة إلى الله ﷻ أن يكونوا قدوة لغيرهم في السمع والطاعة لولاة أمرهم في غير معصية الله ﷻ، وأن يكونوا ممن يقوم بتوضيح هذا الواجب للناس لما في ذلك من المصالح الكثيرة التي من أبرزها:

(١) **حفظ الدين**: لأن وحدة كلمة المسلمين تحت إمرة ولي الأمر بالسمع والطاعة في غير معصية الله يؤدي إلى حفظ الدين؛ إذ المقصد الأول: إقامة الدين، أي: جعله قائم الشعار على الوجه المأمور به من إخلاص الطاعات وإحياء السنن وإماتة البدع؛ ليتوفر العباد على طاعة المولى سبحانه.

ويكون حفظ الدين بنشره والدعوة إليه، وقد حرص الرسول ﷺ على تحقيق هذا المقصد وبيانه للناس من خلال ما جرى أثناء أحداث غزوة أُحد، وذلك بتوضيح أثر التنازع والتنافر على المسلمين.

(٢) **جمع الكلمة وعدم الفُرقة**: كما أن من غايات طاعة ولي الأمر جمع الكلمة وعدم الفرقة وتوحيد صفوف المسلمين، ولا يكون هذا إلا تحت قيادة واحدة، وقد ورد الأمر بذلك في كتاب الله ﷻ، فقال ﷻ: ﴿ **إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ** ﴿٩٢﴾ ﴾ [الأنبياء].

وأمرهم بالاتحاد والالتفاف حول راية واحدة فقال ﷻ: ﴿ **وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟** ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وحرَّم التنازع بينهم، وبيَّن أنه يفضي إلى الإخفاق والضعف، فقال ﷻ: ﴿ **وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ** ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفال].

وحذرهم من أن يؤدي بهم الاختلاف إلى الفُرقة كما حدث في غزوة أُحد من الفئتين اللتين كادتا أن تفشلا ولكن الله عصمهما من ذلك، قال ﷻ: ﴿ **وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران] إلى غير ذلك من المصالح الكثيرة، والله الموفق».

[غزوة أحد لبامدحج ٢٥٢-٢٥٦].

٤ ـ القائد يشارك جنوده في مواجهة العدو:

يقول د/ زيدان: «ذكرنا أن الرسول ﷺ شارك أصحابه في معركة أحد، حتى إنه ﷺ أصابته الجراح في وجهه الشريف، وكسرت رباعيته، وكان ﷺ ثابتًا عندما حلت الهزيمة بجيش المسلمين، وكان لثباته أكبر الأثر في رجوع الفارين والعود إلى مقاتلة المشركين.

يفهم من ذلك أن على أمير الجماعة المسلمة، جماعة الدعاة، أن يشارك أفراد جماعته من الدعاة وأنصارهم في مواجهتهم لخصوم الدعوة كلما كانت هذه المشاركة ضرورية، ولكن تقدير ذلك يرجع إلى أمير الجماعة وأهل الشورى في الجماعة، ويدل على ذلك أن النبي ﷺ لم يشارك في جميع الغزوات التي خاضها وقام بها المسلمون، إلا أنه ﷺ شارك في معظمها وفي كل الغزوات المهمة الخطيرة.

فعلى الجماعة المسلمة ملاحظة ذلك واتخاذ القرار المناسب في مسألة مشاركة أميرهم لأعضائها في مواجهة أعداء الدعوة بصورة مباشرة وظاهرة، في ضوء المصالح والمفاسد التي يمكن أن تترتب على

هذه المشاركة، ومعنى ذلك أن ليس من الضروري دائمًا أن يشارك أمير جماعة الدعاة أعضاءها في مواجهاتهم لأعداء الدعوة، وإنما يشاركهم كلما رأى ضرورة أو مصلحة ظاهرة في هذه المشاركة، ويدل أيضًا على ما نقول إضافة إلى ما قلناه، أن أبا بكر ومن بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنهما لم يشاركا المسلمين في مواجهاتهم للكفار في حروب الردة وفي فتوحات العراق والشام». [**المستفاد لزيدان ٢/ ٢١٣-٢١٤**].

٥ ـ ثبات القائد وشجاعته من أعظم وسائل النصر:

ويقول أ/ عبَّاد: «ثبات النبي ﷺ في تلك المعمعة الشديدة وقتاله درس مهم نتعلم منه أن ثبات القيادة والقائد شيء في غاية الأهمية في الابتلاء والمحن في الدعوات، مهما كان نوع الابتلاء وقوته ودرجته سواء كان الابتلاء متعلقًا بقتال الأعداء في معارك ضارية أو كان الابتلاء في الأذى والتعذيب، وسواء كان الصف الإسلامي أو الجماعة المسلمة قوية أو كانت ضعيفة تتلقى الضربات وتوجه إليها الاعتداءات، حيث إن ثبات الجند مستمد من ثبات قائدهم، وقوة معنويات الجند مستمدة من قوة معنويات قائدهم ومن قوة عزيمتهم، فإذا فر القائد تخبط الجنود حيث فقدوا المخطِّط والموجِّه فيصبحون بلا هدف ولا غاية ولا خطة.. هذا كله في القتال أما في غير القتال فيبقى القائد قدوة يقتدي الناس به خاصة أتباعه، يصبرون إذا صبر ويثبتون إذا ثبت ويتحدون بمعنوياتهم العالية الطواغيت على قسوتهم ووحشيتهم.

وشتان بين قائد العقيدة وقائد الدنيا، فمثل الأول في العصر الحديث **الشهيد سيد قطب** عضو جماعة الإخوان المسلمين الذي طُلب منه أن يكتب اعتذارًا ـ بعد أن حُكم عليه بالإعدام ـ لكي لا يُعدم فقال: **عن أي شيء أعتذر، أأعتذر عن العمل مع الله، إن تلك الأنامل التي كتبت كتاب الله لا تكتب اعتذارًا لظالم،** ووُضعت له خُطة لكي يهرب من السجن وينجو بنفسه فرفضها حتى لا يفتن الشباب الصامد في سجنه.

ومثل الثاني **عبد الله أوجلان** الزعيم الكردي الذي ظل قائدًا لحزبه يقاتل به تركيا حتى أراق دماءً كثيرة من الشعب التركي ومن شعبه الكردي فلما وُضع في السجن وأحس بمواجهة الموت ـ الإعدام ـ ظل يعتذر لتركيا ويتوسل ألا يعدموه ويتركوه لكي يصلح ما أفسده.

وشتان بين طالب دنيا وطالب دين.

لذلك فعلى قادة الفئة المؤمنة في كل زمان ومكان أن يدركوا قيمة ثبات القائد وأثره في العمل الإسلامي وفي نفوس الشباب، وعليهم أن يوطنوا أنفسهم على ما سيلاقونه من تعذيب وفتنة وابتلاء، ويتقدموا الصفوف إذا حزب الأمر وادلهمت الخطوب، وعليهم أن يستعينوا بالله كي يمدهم بمدد من عنده ويثبتهم على الطريق حتى تستمر المسيرة وتصل إلى أهدافها، فإنه وحده مصرف القلوب ومثبتها على الخير والرشاد والهدى والسداد». [**مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ١٠٦-١٠٧**].

٦ ـ إيثار الدنيا على الآخرة يوقع في الخطيئة:

يقول د/ زيدان: «وذكرنا من قبل أن الرماة الذين أوقفهم النبي ﷺ على الجبل لحماية ظهور المسلمين من التفاف العدو عليهم، هؤلاء الرماة اختلفوا فيما بينهم، فأكثرهم أراد النزول واللحاق بالمسلمين طلبًا للغنيمة؛ لما ظنوا من انهزام المشركين أمام المسلمين، وقلة من الرماة رفضوا ترك أماكنهم تمسكًا بأمر رسول الله ﷺ، ثم كان ما كان من التفاف المشركين وضربهم من ورائهم.

إن في هذا الذي حدث لعبرة عظيمة للدعاة وتعليمًا لهم: بأن حب الدنيا قد يتسلل إلى قلوب المؤمنين، ويخفى عليهم، فيؤثرون الدنيا ومتاعها على الآخرة ومتطلبات الفوز بنعيمها، ويعصون أوامر الشرع الصريحة كما عصى الرماة أوامر رسول الله ﷺ الصريحة بتأويل ساقط، يرفعه هوى النفس وحب الدنيا، فيخالفون الشرع وينسون المحكم من أوامره، كل هذا يحدث ويقع من المؤمن وهو غافل عن دوافعه الخفية، وعلى رأسها حب الدنيا، وإيثارها على الآخرة ومتطلبات الإيمان، وهذا يستدعي من الدعاة التفتيش الدائم الدقيق في خبايا نفوسهم واقتلاع حب الدنيا منها؛ حتى لا تحول بينهم وبين أوامر الشرع، ولا توقعهم في مخالفته بتأويلات ملفوفة بهوى النفس، وتلفتها إلى الدنيا ومتاعها، عن عبد الله بن مسعود ﷺ كما يذكر ابن كثير في تفسيره، قال: ما كنت أرى أن أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتى نزل فينا ما نزل يوم أحد ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾[آل عمران: ١٥٢].

وحب الدنيا لا يقف عند حب متاعها المادي، وإنما يشمل متاعها المعنوي، وعلى رأس هذا المتاع حب السلطة والرياسة، فليحذر الدعاة من ذلك لئلا يقعوا في مخالفة أوامر جماعتهم المسلمة بحجة إرادة الخير والنصح لها ومصلحة الدعوة، والحقيقة أنهم يتحركون بدافع هوى النفس وحب الدنيا، والمقياس لمعرفة دوافعهم فيما يقولون ويفعلون، وهل هي دوافع الهوى وحب الدنيا؟ هذا المقياس هو: هل يسرهم أن يتولى الرياسة ـ أية رياسة ـ غيرهم ويكتفوا بأن يكونوا جنودًا مغمورين قانعين بعلم الله بهم وبالأجر والثواب من عنده؟ أم لا يقتنعون بذلك؛ بل يريدون الظهور والرياسة؟ وهل يحزنهم إعطاء الرياسة ـ في مجال الدعوة وأعمالها ـ لغيرهم أم يسرهم ذلك لتخلصهم من المسؤولية؟ وهل يستمرون في جهادهم واندفاعهم فيه إذا أعطيت الرياسة لغيرهم ولو رياسة أسرة أو حلقة من أسر وحلقات الدعاة؟ وأذكرهم بشيئين قد يفيدهم في اختبارهم لأنفسهم ومدى تعلقهم بالدنيا:

الشيء الأول: إن الحريص على أجر صلاة الجماعة لا يهمه مَنْ يكون الإمام في الصلاة ما دام هو يصلي مع الجماعة ويظفر بأجر الصلاة فيها.

الشيء الثاني: إن خالد بن الوليد ﵁ وهو في أوج انتصاراته وجهاده في سبيل الإسلام يأتيه أمر عزله من قيادة الجيش من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁، فلم يؤثر ذلك العزل في جهاده واندفاعه

فيه، بل قال قولته المشهورة: «**أنا لا أقاتل في سبيل أبي بكر ولا في سبيل عمر، وإنما أقاتل في سبيل الله**»، ورضي أن يصير جنديًّا لا قائدًا». [**المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ١٩٨**].

ويقول د/ السباعي: «الطمع المادي في المغانم وغيرها يؤدي إلى الفشل فالهزيمة، كما حصل في معركة أحد حينما ترك الرماة مواقفهم طمعًا في إحراز الغنائم، وكما حصل في معركة حنين حين انتصر المسلمون في أولها، فطمع بعضهم في الغنائم، وتركوا تتبع العدو، مما أدى إلى عودة العدو وهجومه على المسلمين، فانهزموا، ولولا ثبات الرسول ﷺ والمؤمنين الصادقين حوله، لما تحولت الهزيمة بعد ذلك إلى نصر مبين.

وكذلك الدعوات يفسدها ويفسد أثرها في النفوس طمع الداعين إليها في مغانم الدنيا، واستكثارهم من مالها وعقارها وأراضيها.

إن ذلك يحمل الناس على الشك في صدق الداعية، فيما يدعو إليه، واتهامه بأنه لا يقصد من دعوته وجه الله ﷻ، وإنما يقصد جمع حطام الدنيا باسم الدين والإصلاح، ومثل هذا الاعتقاد في أذهان الناس صد عن دين الله، وإساءة إلى كل من يدعو إلى الإصلاح عن صدق وإخلاص».

[**السيرة النبوية: دروس وعبر للسباعي ١١٥-١١٦**].

٧ ـ عدم تعلق الدعاة بالأشخاص:

يقول د/ بامدحج: «بعد أن انكشف ظهر المسلمين بترك أماكنهم من الجبل، فركبه المشركون، وأوقعوا بالمسلمين، وكُسرت رُباعية الرسول ﷺ وشُج وجهه، ونزفت جراحه، واختلطت الأمور، وتفرق المسلمون، لا يدري أحدهم مكان الآخر ... حينئذ نادى مناد: **أن محمدًا قد قُتل**، وكان لهذه الصيحة وقعها الشديد على المسلمين، فانقلب الكثيرون منهم عائدين إلى المدينة، مُصعدين في الجبل منهزمين، تاركين المعركة يائسين، لولا أن ثبتَ رسول الله ﷺ في تلك القلة من الرجال، قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[آل عمران]، بينت الآية الكريمة أن محمدًا ﷺ ليس إلا رسولًا، سبقته الرسل في الأمم الماضية، وإنما جاء محمد ﷺ لكي يبلغ ما أمره الله به، قال تعالى: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة]، جاء ليبلغ دين الله ﷻ الباقي وليقرر منهج الله في هذه الحياة؛ ليبقى على مدار التاريخ، كما جاء ليبين للناس أن هذه الدعوة باقية على مدار التاريخ إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها.

وما حدث في غزوة أُحُد كان تشريعًا من الله ﷻ لكي يبقى الناس موصولين بالمصدر الأول الذى أَرسل الرسلَ، وموصولين بالدعوة على مر الأجيال والقرون، فالذى حدث في هذه الغزوة بيَّن للناس

جميعًا أن الرسول ﷺ ما هو إلا بشر وسيموت كما مات مَنْ جاء من قبله من الرسل عليهم الصلاة والسلام، وما ينبغي لهم أن يتعلقوا بشخص الرسول ﷺ، وإنما يجعلوا تعلقهم بالدعوة الإسلامية مباشرة؛ لذا جاءت الآية الكريمة: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ مقررة منهجًا عامًّا للمسلمين وهو عدم الارتباط بالدعاة، وإنما ينبغي لهم أن يرتبطوا بالله ﷻ بلا وسيط، وأن يجعلوا الدعوة الإسلامية هي المتعلق به، وألا يتعلقوا بشخص من الأشخاص مهما كانت مكانته وارتفعت منزلته.

ولعل ما حدث أثناء أحداث الغزوة حينما أُشيع عن مقتل رسول الله ﷺ وما وقع للصحابة رضي الله عنهم واضطرابهم، واختلال الخطة التي رسمها لهم رسول الله ﷺ، وانشغالهم بجمع الغنائم ثم اضطراب صفوفهم، وتفرق المسلمون ودخل بعضهم المدينة، وانطلقت طائفة منهم فوق الجبل، واختلطت على الصحابة أحوالهم، فما يدرون كيف يفعلون من هول الفاجعة.

كل ذلك كان بسبب عدم التفريق بين الرسول والرسالة وبين الداعية والدعوة، بل بين المبلِّغ والمبلَّغ قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران]، فالرسول ﷺ هنا يأمر باتباعه على المنهج نفسه الذي يسير عليه: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾[الأعراف]، أي من عند الله لا من عند نفسي. [تفسير القرطبي ٧/ ٢٢٤].

قال ابن كثير رحمه الله: «لما انهزم مَن انهزم من المسلمين يوم أُحُد وقُتل مَنْ قُتل منهم، نادى الشيطان: ألا إن محمدًا قد قُتل ، ورجع ابن قميئة إلى المشركين، فقال لهم: قتلتُ محمدًا، وإنما كان قد ضرب رسول الله ﷺ فشجه في رأسه، فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس، واعتقدوا أن رسول الله ﷺ قد قُتل، وجَوَّزوا عليه ذلك، كما قد قص الله عن كثير من الأنبياء عليهم السلام، فحصل ضعف ووهن وتأخر عن القتال، ففي ذلك أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ أي له أسوة بهم في الرسالة وفي جواز القتل عليه، قال ابن أبي نجيح عن أبيه: أن رجلًا من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه فقال له: يا فلان، أشعرتَ أن محمدًا ﷺ قد قُتل، فقال الأنصاري: إن كان محمد قد قُتل فقد بلَّغ، فقاتلوا عن دينكم، فنزل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾. رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة [٣/ ٢٤٨].

ثم قال تعالى مُنكرًا على من حصل له ضعف: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ أي رجعتم القهقرى!». [تفسير ابن كثير ١/ ٤٤١].

لقد كان من أسباب البلاء والمصائب التي حدثت للمسلمين يوم أُحُد أنهم ربطوا إيمانهم وعقيدتهم ودعوتهم إلى الله تعالى لإعلاء كلمته بشخص رسول الله ﷺ ... فهذا الربط بين عقيدة الإيمان بالله ربًّا معبودًا وحده وبين بقاء شخص النبي ﷺ خالدًا فيهم خالطه الحب المغلوب بالعاطفة، الربط بين الرسالة الخالدة وبين الرسول ﷺ البشر الذي يلحقه الموت كان من أسباب ما نال الصحابة رضي الله عنهم من الفوضى والدهشة والاستغراب.

ومتابعة الرسول ﷺ أساس وجوب التأسي به في الصبر على المكاره، والعمل الدائب على نشر الرسالة، وتبليغ الدعوة ونصرة الحق، وهذا التأسي هو الجانب الأغر من جوانب منهج رسالة الإسلام؛ لأنه الدعامة الأولى في بناء مسيرة الدعوة لإعلاء كلمة الله ونشرها في آفاق الأرض، وعدم ربط بقاء الدين واستمرار الجهاد في سبيله ببقاء شخص النبي ﷺ في هذه الدنيا لا يلحقه فناء بموت أو قتل، وإيجاب متابعة الرسول ﷺ والتأسي به علمًا وعملًا هما الوشيجة العظمى لتماسك المجتمع المسلم ولا سيما الدعاة الى الله من أتباعه. [**ينظر: محمد رسول الله ﷺ للشيخ محمد الصادق عرجون ٣/ ٦١٦**].

قال ابن القيم رحمه الله: «إن وقعةَ أُحُدٍ كانت مُقَدِّمَةً وإرهاصًا بين يدي موتِ رسول الله ﷺ، فثبَّتهم، ووبَّخهم على انقلابهم على أعقابهم أَنْ ماتَ رسولُ الله ﷺ، أو قُتِلَ، بل الواجبُ له عليهم أن يثبتُوا على دِينه وتوحِيدِهِ ويموتوا عليه، أو يُقتلُوا، فإنهم إنما يعبدُون ربَّ محمد، وهو حيٌّ لا يموت، فلو ماتَ محمد أو قُتِلَ، لا ينبغي لهم أن يَصْرِفَهم ذلِكَ عن دينه، وما جاء به، فكلُّ نفسٍ ذائِقةُ الموت، وما بُعِثَ محمد ﷺ لِيخلَّد، لا هُوَ ولا هُم، بل لِيمُوتُوا على الإسلامِ والتَّوحيدِ، فإن الموت لا بُدَّ منه، سواء ماتَ رسول الله ﷺ أو بَقِيَ؛ ولهذا وبَّخَهُم على رجوع مَنْ رجع منهم عن دينه لما صرخ الشَّيْطَانُ: إنَّ محمدًا قد قُتِلَ، فقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران]، والشاكرون: هم الذين عرفوا قَدْر النعمة، فثبتوا عليها حتى ماتوا أو قُتِلُوا، فظهر أثرُ هذا العِتَابِ، وحكمُ هذا الخطاب يومَ مات رسولُ الله ﷺ، وارتدَّ مَن ارتدَّ على عقبيه، وثبت الشاكِرُون على دينهم، فنصرهم الله وأعزَّهم وظفَّرهم بأعدائهم، وجعل العاقبة لهم». [**زاد المعاد ٣/ ٢٢٤**].

وقال القرطبي: «فهذه الآية من تَتِمَّة العِتاب مع المنهزِمين، أي لم يكن لهم الانهزام وإن قتل محمدٌ، والنبوَّة لا تَدْرَأ الموت، والأديان لا تزول بموت الأنبياء. والله أعلم». [**تفسير القرطبي ٤/ ٢٢٢**].

وكلامه رحمه الله هذا نفيس جدًّا، فالذين ظنوا من قبل أن الإسلام قد انتهى بموت النبي ﷺ، والذين يظنون أن ظهور الإسلام ودعوته متوقف على شخص بعينه، فهؤلاء وأولئك قد أخطؤوا ولم يُقدِّروا هذا

الدين قدره، ولم يوفوه حقه؛ لأن ظهور هذا الدين وهيمنته على كل الأديان هو قَدَر الله ﷻ وسنته، ولن تجد لسنة الله تبديلًا، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة]، فسبب ظهور هذا الدين أنه حق وأنه هدى. [**مرض النبي ﷺ ووفاته وأثر ذلك على الأمة ـ دراسة تحليلية توثيقية ـ أ/ خالد أبو صالح ص ٢٠ ـ دار الوطن ـ الرياض ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م**].

في غزوة أُحُد نزل التشريع الإلهي بالعتاب على ما حدث منهم أثناء أحداث غزوة أُحُد، وعند موت الرسول ﷺ جاء التطبيق العملي حيث «إِنَّ أَبَا بَكْرٍ ﷺ أَقْبَلَ عَلَى فَرَسٍ مِنْ مَسْكَنِهِ بِالسُّنْحِ (العالية، وهو مسكن زوجة أبي بكر ﷺ، وهو منازل بني الحارث من الخزرج، وكان أبو بكر ﷺ متزوجًا فيهم. ينظر: فتح الباري ٣/ ١٣٨ شرح الحديث رقم ١٢٤١، ١٢٤٢، ٧/ ٢٣ شرح الحديث ٣٦٦٧) حَتَّى نَزَلَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَلَمْ يُكَلِّمْ النَّاسَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ ﷺ فَتَيَمَّمَ (قصد) رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ مُغَشًّى بِثَوْبِ حِبَرَةٍ (نوع من برود اليمن مخططة غالية الثمن) فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ وَبَكَى، ثُمَّ قَالَ: **بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، وَالله لَا يَجْمَعُ اللهُ عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ، أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مُتَّهَا.**

قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَحَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ ﷺ خَرَجَ وَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ يُكَلِّمُ النَّاسَ فَقَالَ: اجْلِسْ يَا عُمَرُ، فَأَبَى عُمَرُ ﷺ أَنْ يَجْلِسَ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَتَرَكُوا عُمَرَ ﷺ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَمَّا بَعْدُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَالَ اللهُ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران]، وَقَالَ: وَالله لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الآيَةَ حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ ﷺ، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَمَا أَسْمَعُ بَشَرًا مِنْ النَّاسِ إِلَّا يَتْلُوهَا، فَأَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ عُمَرَ ﷺ قَالَ: وَالله مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ ﷺ تَلَاهَا فَعَقِرْتُ (أي دهشت وتحيرت، ويُقال: سقطت، وأما بضم العين: أي هلكت. فتح الباري ٧/ ٧٥٣) حَتَّى مَا تُقِلُّنِي رِجْلَايَ، وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ حِينَ سَمِعْتُهُ تَلَاهَا، عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ مَاتَ». [**البخاري في المغازي (٤٤٥٢، ٤٤٥٣)**].

قال ابن رجب ﷺ: «ولما توفي ﷺ اضطرب المسلمون، فمنهم من دُهش فخربط، ومنهم من أقعد فلم يُطق القيام، ومنهم من اعتُقِل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم مَنْ أنكر بالكلية».

[**لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ـ الإمام ابن رجب الحنبلي ص ١٢٣ ـ ط المكتب الإسلامي ومؤسسة الريان ـ بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م**].

قال ابن عبد البر ﷺ : «ولم يصدق عمر ﷺ بموته، وأنكر على مَنْ قال: مات، وخرج إلى المسجد، فخطب وقال في خطبته: إن المنافقين يقولون: إن رسول الله ﷺ توفي، والله ما مات رسول الله ﷺ، ولكنه

ذهب إلى ربه كما ذهب موسى ﷺ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم، والله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى ﷺ، فليُقَطِّعَنَّ أيدي رجال وأرجلهم، زعموا أن رسول الله ﷺ مات».

[الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر ٣٣٠-٣٣١ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، وأخرج خطبة عمر ﷺ: الدارمي في السنن ١/ ٥٢، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٢/ ٢٦٦، وعبد الرزاق بن همام الصنعاني في المصنف ٥/ ٤٣٣ ط المكتب الإسلامي ـ بيروت ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٢م].

وقال القرطبي ﷺ: «فأَعْلَمَ اللهُ تعالى في هذه الآية أن الرسل ليست بباقيةٍ في قومها أبدًا، وأنه يجب التمسك بما أتت به الرسل، وإن فُقِد الرسول بموتٍ أو قتلٍ». [**تفسير القرطبي ٤/ ٢٢٢**].

وقال ابن العربي ﷺ: «بعد أن استأثر الله ﷻ بنبيه ﷺ وقد أكمل له ولنا دينه، وأتم عليه وعلينا نعمته، كما قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣]، وما من شيء في الدنيا يكمل إلا وجاءه النقصان؛ ليكون الكمال الذي يراد به وجه الله خاصة، وذلك العمل الصالح والدار الآخرة، فهي دار الله الكاملة، قال أنس ﷺ: ما نفضنا أيدينا من تراب قبر رسول الله ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا.

واضطربت الحال ثم تدارك الله الإسلام ببيعة أبي بكر ﷺ، فكان موت النبي ﷺ (قاصمة الظهر) ومصيبة العمر، فأما علي ﷺ فاستخفى في بيته مع فاطمة، وأما عثمان ﷺ فسكت، وأما عمر ﷺ فأهجر، وقال: ما مات رسول الله ﷺ وإنما واعده الله كما واعد موسى ﷺ، وليرجعن رسول الله ﷺ فليقطعن أيدي ناس وأرجلهم.

واضطرب أمر الأنصار يطلبون الأمر لأنفسهم أو الشركة فيه مع المهاجرين، وانقطعت قلوب الجيش الذي كان قد برز مع أسامة بن زيد ﷺ بالجرف.

[العواصم من القواصم في تحقيق موقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ ـ الإمام أبو بكر بن العربي المالكي (٥٤٣هـ) ـ تحقيق وتعليق أ/ محب الدين الخطيب ص ٣٧-٤٠ ـ دار الكتب العلمية ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م].

وقد بيَّن الحافظ ابنُ كثير عظيمَ الخطب، وشدة البلاء، واضطراب الأمر، فقال مصورًا حال المسلمين: فاشتدت الرزية بموته ﷺ وعظم الخطب، وجلَّ الأمر، وأُصيب المسلمون بنبيهم ﷺ، وأنكر عمر بن الخطاب ﷺ ذلك، وماج الناس وجاء الصديق المؤيد المنصور ﷺ أولًا وآخرًا وظاهرًا، فأقام الأود، وصدع بالحق وخطب الناس، وتلا عليهم قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [آل عمران]. **[الفصول في سيرة الرسول ﷺ ـ للحافظ أبي الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ـ تحقيق/ سيد بن عباس الجليمي ص ١٥٠ ـ مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م].**

وإن ما حدث في غزوة أُحُد من ابتلاء وتمحيص واختبار إنما هو درس للدعاة إلى الله تعالى؛ ليستفيدوا منه في مستقبل الدعوة الإسلامية، وليتخذوا نبراسًا لهم في دعوتهم، فلا يربطوا الدعوة بالداعية ويخلطوا بين شخص الداعية في الدعوة وبين ما يدعو إليه ذلك العالِم أو الداعية، فيعملوا ويجتهدوا لحفظ الدين، ونشر الدعوة في أرجاء الأرض، ويبتعدوا عن شر جائحات الفتن، ومزالق الأفكار التي تجرهم إلى الفُرقة والتمزق وبالتالى تقضي على مواهب الرجال، وتوهن عزائم الدهاة، وتخلخل إرادات أولي العزم من ذوى الجأش والقوة، وهذا هو ما يريده أعداء الدعوة في كل مكان وزمان، إن الربط بين بقاء محمد ﷺ وبين بقاء الدعوة إلى الله والجهاد في سبيلها يتعدى حقيقة بشرية محمد ﷺ فيخرجه في توهم الذين وقفوا موقف الهزة الإيمانية عن كونه بشرًا مثل سائر البشر، يلحقه ما يلحق البشر، ومنها الموت بعد استيفاء الأجل المكتوب له، كما لحق إخوانه المرسلين قبله.

[ينظر: محمد رسول الله ﷺ ـ الشيخ محمد الصادق عرجون ٣/ ٦١٣]». [غزوة أُحد لبامدحج ١٨٦-١٩٥].

٨ ـ موت القائد لا يوقف الجهاد والدعوة إلى الله:

يقول د/ زيدان: «وقد تُبتلى الجماعة المسلمة بموت قائدها أو بقتله، وهو ابتلاء شديد، لكن على شدته لا يجوز أن يوقف جهاد الجماعة المسلمة، وعليها أن تقابل هذا الابتلاء بالصبر الجميل وبالثبات على المعاني التي جاهد من أجلها أميرهم وقائدهم، فإنهم إذا فقدوا قائدهم وغيب الثرى جسده الطاهر عنهم فإن دعوته باقية لا تموت، إن جماعة المصلين في مسجد المحِلَّة لا توقف الصلاة ولا صلاة الجامعة إن مات إمام المسجد، وهكذا يجب أن يفعل الدعاة والجماعة المسلمة إذا فقدوا أميرهم فلا يوقفوا جهادهم، وقد حذر الشرع الصحابة الكرام من إيقاف الجهاد في سبيل الله لموت رسول الله ﷺ أو قتله فقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران].

وجاء في تفسيرها: إن الرسل ليست باقية في أقوامها أبدًا، فكل نفس ذائقة الموت، ومهمة الرسول تبليغ ما أُرسل به وقد فعل، وليس من لوازم رسالته البقاء دائمًا مع قومه، فلا خلود لأحد في هذه الدنيا، ثم قال تعالى منكرًا على مَنْ حصل له ضعف لموت النبي ﷺ أو قتله، فقال تعالى: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ﴾ أي: رجعتم القهقرى، وقعدتم عن الجهاد، والانقلاب على الأعقاب يعني الإدبار عما كان رسول الله ﷺ يقوم به من أمر الجهاد ومتطلباته ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ الذين لم ينقلبوا أو ظلوا ثابتين على دينهم متبعين رسوله حيًّا أو ميتًا».

[المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ١٩٩-٢٠٠].

٩ ـ تأسي الدعاة بمن لم يدهشهم موت النبي ﷺ أو قتله:

يقول د/ زيدان: «وإذا ابتليت جماعة الدعاة بموت أو قتل أميرهم فأصاب بعضهم الذهول واعترتهم الدهشة، وأفقدتهم توازنهم، فلتكن قدوتهم بمن ثبت بالرغم من سماعه خبر قتل النبي ﷺ، فقد ثبت بعض المسلمين في معركة أحد عندما نادى المنادي من المشركين بأن محمدًا قد قتل، وأثر هذا النداء في بعض المسلمين في معركة أحد عندما نادى المنادي من المشركين بأن محمدًا قد قتل، وأثر هذا النداء في بعض المسلمين أو في كثير منهم وفر من فر من المسلمين وثبت بعضهم، ومنم أنس بن النضر عم أنس بن مالك فقال: **يا قوم، إن كان قُتل محمد فإن رب محمد حي لا يموت، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله ﷺ فقاتلوا على ما قاتل عليه، وموتوا على ما مات عليه**، ثم شد بسيفه على الكفار فقاتل حتى قُتل.

وعن بعض المهاجرين: أنه مر بأنصاري وقد علاه دم جراحه، فقال: **يا فلان، أشعرت أن محمدًا قد قُتل؟** فقال: **إن كان قُتل فقد بلغ الرسالة، قاتلوا على دينكم.**

وعندما مات رسول الله ﷺ وأصاب المسلمين الذهول حضر أبو بكر رضي الله عنه والناس في هرج وهلع، فلم يكلم أحدًا، ودخل إلى بيت عائشة رضي الله عنها وكشف عن وجهه رسول الله ﷺ وقبَّله من وجهه الشريف وبكى، وعلِم أنه قد مات، فخرج إلى الناس في المسجد وخطب فيهم وقال فيما قاله: **من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت**، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[آل عمران]، فكان ذلك من أبي بكر رضي الله عنه موقفًا وثباتًا عظيمًا ثبت الله به المسلمين.

فعلى الدعاة أن يستحضروا في أنفسهم سيرة الصحابة الكرام رضي الله عنهم الذين ثبتوا عند سماعهم خبر قتل محمد ﷺ وهم في المعركة، وعمل أبي بكر رضي الله عنه عندما تيقن موت النبي ﷺ وليعلموا أو يستحضروا هذا المعلوم في أنفسهم، وهو أن البشر إلى فناء، وأن العقيدة إلى بقاء، ومنهج الله للحياة مستقل في ذاته عن الذين يحملونه ويؤدونه إلى الناس من الرسل والدعاة على مدار التاريخ.

إن الدعوة أقدم من الداعية، وهي أكبر من الداعية وأبقى من الداعية، فدعاتها يجيؤون ويذهبون وتبقى هي على الأجيال والقرون ويبقى أتباعها موصولين بمصدرها الأول وهو الله الحي القيوم الذي لا يموت. **[الظلال ١/ ٤٨٥]**». **[المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ٢٠٠-٢٠١]**.

١٠ ـ القيادات الإسلامية هدف للاغتيال:

يقول أ/ عبَّاد: «وهكذا صُرع الأسد حمزة رضي الله عنه، لا كما تُصرع الأبطال وجهًا لوجه في ميدان القتال، وإنما كما يُغتال الكرام في حالك الظلام، فقد كان شجعان العرب جميعًا يدركون أن مواجهة حمزة بن عبد

المطلب ﷺ ليست بالأمر الهين، فشهرته الحربية واستفاضة ضراوته في القتال جعلت فرائص هؤلاء الشجعان ترتعد لمجرد التفكير في ملاقاته؛ لهذا لجأوا إلى طريق الاغتيال، وما عسى أن تُغني الشجاعة حين يختبئ الاغتيال في ظلام الليل؟

وهكذا في كل العصور، حيث الاغتيال هو الوسيلة التي يستخدمها أصحاب المبادئ الدنيئة تجاه قيادات الجماعة المسلمة في الماضي والحاضر». [مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٨٧].

١١ ـ حب أفراد الصف لقيادتهم والحرص على حياته:

يقول د/ زيدان: «الدفاع عن قائد الجماعة المسلمة أمرٌ مطلوب شرعًا؛ لأنه يقوم بجماعته بحماية الدين ونصرته، فهو كرُبَّان السفينة، حمايته حماية للسفينة ولركابها، وقد ذكرنا دفاع المسلمين عن نبيهم وقائدهم ﷺ في معركة أحد، مما يشير إلى ضرورة حماية قائد الجماعة؛ لأن بحمايته حماية لجماعته ولاستمرارها في عملها المبرور في نُصرة الإسلام، وقد يكون من المفيد للدعاة ذكر بعض مظاهر دفاع الصحابة الكرام عن نبيهم وقائدهم ﷺ لما في ذكر هذه الوقائع من أمثلة لمحبتهم لنبيهم ﷺ، ومن إشارة إلى وجوب حماية إمام المسلمين ومن دونه ممن يتولَّوْن إمرة جماعة تنصر الإسلام وتدعو إليه، فمن وقائع دفاع المسلمين عن النبي ﷺ ما ذكرناه من قبل». [المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ١٩٩].

ويقول أ/ عبَّاد: «إن الرسول ﷺ لم يكلف أحدًا حراسته بصفة خاصة، ولكن الصحابة أدركوا أن من حقوق القيادة ما دامت تقود المسلمين بأوامر الله، وتحكمهم بكتاب الله، وتأخذ بأيديهم إلى الخير، وتهديهم إلى الرشد، فحينئذ تجب حمايتها ومناصرتها وتأييدها وبذل أقصى الجهد في مؤازرتها؛ لأن في تأييدها ومؤازرتها تأييدًا للحق ومؤازرة للخير، وتلك هي مهمة المسلمين وغايتهم في هذه الحياة.

وقد تأخذ المناصرة للقيادة صورًا شتى حسبما يقتضيه الموقف وتدعو إليه الضرورة، فتارة بالوقوف إلى جانبها، وتارة بالدفاع عنها باللسان مرة وبالسنان مرة، وتارة أخرى ببذل الأموال والأنفس في سبيل الحفاظ عليها، وكل هذا حق للقيادة الرشيدة لما قدمته من جهد وما بذلته من تضحيات».

[مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٢٨].

ويقول أ/ عبَّاد أيضًا: «استبدل الرسول ﷺ لأمته مع كعب ﷺ؛ لأن المشركين عرفوه ـ رغم المغفر ـ فقصد النبي ﷺ أن يعمي عليهم، وهذا من الأخذ بالأسباب، ولتعلم الجماعة المسلمة أن حفظ القيادات في المعارك وغيرها أمر مهم في الإسلام». [مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ١١٦].

١٢ ـ الدعاة يصيبهم الأذى:

يقول د/ زيدان: «وليكن معلومًا لدى الدعاة إلى الله أنه لا يلزم من كونهم على الحق ويدعون إلى الحق ألا يصيبهم أذى من أعداء الله، ويكفي للدلالة على ذلك أن رسول الله ﷺ وهو حامل الحق

ومبلغه للخلق أصابه من الأذى من المشركين في مكة قبل الهجرة وبعدها في معركة أحد التي نتكلم عليها الآن، حيث قد شُج وجهه الشريف وكسرت رباعيته وجرحت وجنته وشفته السفلى من باطنها، ووهِيَ منكبه من ضربة ابن قمئة وجحشت ركبته.

كما أصاب أصحابه الكرام من أذى المشركين في مكة قبل الهجرة وبعدها في معركة أحد التي نتكلم عليها الآن، فقُتل من قتل منهم، وجُرح من جرح، وهم خير خلق الله بعد رسله تعالى، فلا عجب ولا غرابة أن يَلْقى الدعاة في وقتنا الحاضر أنواع الأذى من أعداء الدعوة، سواء كان هذا الأذى بدنيًّا من القتل إلى ما دونه، أو كان هذا الأذى معنويًّا من إلصاق التهم بهم وتشويه سمعتهم إلى غير ذلك، فعلى الدعاة ألا تضعف عزائمهم في جهادهم وقيامهم بما تتطلبه الدعوة، بل ينبغي أن يحملهم ذلك على مضاعفة جهودهم في الدعوة إلى الله، وأن يعتبروا ما يَلْقونه من أذى من أعداء الدعوة علامة على إيمانهم؛ لحديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه الترمذي وغيره عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قَالَ: «**الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلبًا اشْتَدَّ بَلاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ البَلاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**». [الترمذي في الزهد (٢٣٩٨)، وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح، وابن ماجه في الفتن (٤٠٢٣)، والدارمي في الرقاق (٢٨٢٥)، وأحمد عن سعد بن أبي وقاص ﷺ (١٤٨٤، ١٤٩٧، ١٥٥٨، ١٦١٠) وقال الشيخان أسد والأرناؤوط: إسناده حسن].

وعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ حُذَيْفَةَ عَنْ عَمَّتِهِ فَاطِمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَتَيْنَا رَسُولَ الله ﷺ نَعُودُهُ فِي نِسَاءٍ، فَإِذَا سِقَاءٌ مُعَلَّقٌ نَحْوَهُ يَقْطُرُ مَاؤُهُ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ مَا يَجِدُ مِنْ حَرِّ الحُمَّى، قُلنَا: **يَا رَسُولَ الله، لَوْ دَعَوْتَ اللهَ فَشَفَاكَ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِيَاءَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**». [مسند أحمد عن فاطمة عمة أبي عبيدة وأخت حذيفة رقم ٢٦٥٣٩، والحاكم ـ صحيح الجامع الصغير: ١٥٦٢، وفي رواية الطبراني في المعجم الكبير: «إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِيَاءَ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ». صحيح الجامع الصغير ٩٩٤، ٩٩٦، وينظر: صحيح الجامع رقم ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٥].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَثَلُ المُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ لا تَزَالُ الرِّيحُ تُمِيلُهُ [تُفِيئُهُ]، وَلا يَزَالُ المُؤْمِنُ يُصِيبُهُ البَلاءُ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الأَرْزِ لا تَهْتَزُّ حَتَّى تَسْتَحْصِدَ**».

[مسلم في صفة القيامة والجنة والنار (٢٨٠٩)، والترمذي في الأمثال (٢٨٦٦)]. [المستفاد لزيدان ٢/ ٢١٣].

ويقول د/ السباعي: «وفي إصابة رسول الله ﷺ بالجراح يوم أحد عزاءٌ للدعاة فيما ينالهم في سبيل الله من أذى في أجسامهم، أو اضطهاد لحرياتهم بالسجن والاعتقال، أو قضاءٍ على حياتهم بالإعدام والاغتيال، وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا

يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت]».

[السيرة النبوية: دروس وعبر للسباعي ص ١١٦].

ويقول أ/ عبَّاد: «وليعلموا أن السابقين مروا بما يمر به اللاحقون، فخباب بن الأرت رضي الله عنه عُذب بالنار حتى أطفأوها بودك ـ أي لحم ودهن ـ ظهره، وعمار بن ياسر رضي الله عنه حُرق بالنار حتى كان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر به ويضع يده على رأسه ويقول: **يا نار كوني بردًا وسلامًا على عمار كما كنت على إبراهيم** [لم أجد هذا القول فيما بين يدي من المصادر. غريب]، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه ضُرب بالنعال حتى ما يُعرف وجهه من أنفه، والزبير بن العوام رضي الله عنه عُلق داخل حصير ودخن عليه بالنار، والإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه عُذب حتى خُلعت يداه، وجُلد بالسياط حتى ذهب عقله، وكُب على وجهه وطُرح على ظهره وديس عليه، وهو ثابت كالطود الأشم لا يتراجع أبدًا.

حتى النساء عُذبن، فسمية أم عمار عُذبت حتى قُتلت، وزنيرة فقدت بصرها، والنهدية وابنتها عذبتا، وعُذبت زينب الغزالي الجبيلي فكانت تُعلق وتُجلد في المرة الواحدة خمسمائة جلدة ويترك عليها الكلاب لتنهش لحمها، وحُكم عليها بالأشغال الشاقة المؤبدة ٢٥ عامًا مع مصادرة أموالها.

كل هذا من أنواع التعذيب التي لاقاها الدعاة من بني جلدتهم، ولكنهم كانوا كالذهب إذا أُدخل الكير يخرج ذهبًا أحمر لا خبث فيه». [مفاهيم تربوية لعبَّاد ١٢٨-١٢٩].

١٣ ـ مداومة تذكير العاملين للإسلام بما يثبتهم على الطريق:

يقول د/ زيدان: «وعلى جماعة الدعاة أن تذكرهم وتذكر سائر العاملين للإسلام، تذكرهم بما يثبتهم على الإسلام وعلى الدعوة إليه، وعلى متطلبات الدعوة والصمود أمام أعدائهم، وقد ذكرنا كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ ينادي الفارين المنهزمين من المسلمين بقوله صلى الله عليه وسلم: «**إليَّ عباد الله، إليَّ عباد الله، إني رسول الله، هلمَّ إليَّ**»، فكان لهذا النداء أثره في الفارين المنهزمين، جعلهم يرجعون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومما يثبت الدعاة وعموم العاملين للإسلام، بل ويثبت عموم المسلمين أمام الأعداء وهجمتهم الشرسة على الإسلام وأهله ودعاته أن يقوم الدعاة بتذكيرهم بقوله تعالى: ﴿**إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾**﴾ [آل عمران]، وبقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾ [النساء].

فإذا كان الكفار يتحملون الأذى والقتل في سبيل باطلهم فأنتم أيها المسلمون أولى منهم في تحمل الأذى في سبيل دعوتكم، وهي الحق، ثم أنتم أيها المسلمين ترجون من الله في جهادكم ثواب الله

ورضوانه، وهم لا يرجون ذلك، فأنتم أولى منهم بالجهاد والثبات على دعوتكم، ومن العار أن يغلبكم أهل الباطل في ثباتهم على باطلهم، إذا أنتم جبنتم عن الوفاء بحق دينكم عليكم، إن تذكير الدعاة والمسلمين بهذه المعاني وضرب الأمثال والقصص مما يثير حمية المسلمين ويدفعهم إلى الاستمساك بدينهم وبالعمل له والجهاد في سبيله.

ضرب المثل بالمجاهدين السابقين: ومما ينفع في تذكير الدعاة والعاملين للإسلام، لحملهم على الثبات عليه وعلى الدعوة إليه، ضرب المثل بإخوانهم المجاهدين السابقين، وهم جماعات كثيرة، ساروا وراء أنبيائهم في درب الجهاد في سبيل الله، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله، وما ضعفوا عن الجهاد بعد الذي أصابهم منه، وما استكانوا للعدو، بل ظلوا صابرين ثابتين في جهادهم، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾[آل عمران].

وفي هذا تعريض بالمسلمين الذي أصابهم الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله ﷺ، وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم، وضرب الله مثلًا للمؤمنين لتثبيتهم بأولئك الربانيين وبما قالوه: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾[آل عمران].

وهذا القول ـ وهو إضافة الذنوب والإسراف إلى نفوسهم مع كونهم ربانيين ـ هضمٌ لها واعترافٌ منهم بالتقصير، ودعاؤهم بالاستغفار من ذنوبهم مقدَّم على طلبهم تثبيت أقدامهم أمام العدو، ليكون طلبهم إلى ربهم النصرَ عن زكاة وطهارة وخضوع. **[الزمخشري ١/ ٤٢٤]**.

وهكذا يجب على الدعاة أن يفعلوا، يتوجهون إلى ربهم تعالى متضرعين مستغفرين تائبين، قبل أن يطلبوا منه الثبات والنصر على الأعداء: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آل عمران].

أي وبذلك نالوا ثواب الدارين: النصر والغنيمة في الدنيا، والثواب الحسن في الآخرة، جزاء إحسانهم في أدب الدعاء والتوجه إلى الله، وإحسانهم في موقف الجهاد، وكانوا بذلك مثلًا يضربه الله للمسلمين المجاهدين، وخصَّ الله تعالى الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه على ثواب الدنيا وأنه هو المعتمد عنده». **[الزمخشري ١/ ٤٢٤-٤٢٥، الظلال ١/ ٤٨٨]. [المستفاد لزيدان ٢/ ٢٠١-٢٠٢، ٢٠٣-٢٠٤]**.

ويقول د/ زيدان أيضًا: «الدعوة إلى الله بالكلمة الطيبة جهاد باللسان، فهو نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله، والجهاد من آثار الإيمان، وأعلى أنواع الجهاد بالسنان؛ لأن فيه بذل الأرواح في سبيل الله، والدعاة وهم يجاهدون بالقول، يحتاجون إلى ما يُبقي اندفاعهم في الدعوة، ويبقى حماسهم ونشاطهم

فيها، ومن سُبل ذلك استحضار صور الجهاد التي حفظها لنا التاريخ عن أولئك المجاهدين من السلف الصالح، وعلى رأسهم صحابة رسول الله ﷺ، فإن في استحضار بطولاتهم وجهادهم في سبيل الله ما ينعش نفوس الدعاة إلى الله، ويمدهم بطاقة هائلة من الإيمان والاندفاع في الدعوة؛ لأنهم مهما يقدموا من جهد في سبيلها فلن يبلغوا ما قدمه أولئك المجاهدون من أصحاب رسول الله ﷺ، وبالتالي فلن يستكثروا ما يقدمون من جهد في دعوتهم.

ومن جهاد الأولين من أصحاب رسول الله ﷺ في معركة أحد أن **خيثمة** رضي الله عنه ـ وكان ابنه قد استشهد يوم بدر ـ قال لرسول الله ﷺ: **وَقَدْ رَأَيْتُ ابْنِي البَارِحَةَ فِي النَّوْمِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ يَسْرَحُ فِي ثِمَارِ الجَنَّةِ وَأَنْهَارِهَا وَهُوَ يَقُولُ: الحَقْ بِنَا تُرَافِقْنَا فِي الجَنَّةِ، فَقَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا، وَقَدْ وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ أَصْبَحْتُ مُشْتَاقًا إِلَى مُرَافَقَتِهِ فِي الجَنَّةِ، وَقَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَرَقَّ عَظْمِي، وَأَحْبَبْتُ لِقَاءَ رَبِّي، فَادْعُ اللهَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ يَرْزُقَنِي الشَّهَادَةَ وَمُرَافَقَةَ سَعْدٍ فِي الجَنَّةِ.**

فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذَلِكَ، فَقُتِلَ بِأُحُدٍ شَهِيدًا.

وقصة أخرى من قصص المجاهدين، وهذا عَمْرُو بنُ الجَمُوحِ، وَكَانَ رَجُلًا أَعْرَجَ شَدِيدَ العَرَجِ، وكانَ له بَنُونَ أَربَعَة شَبَاب، مِثْلَ الأُسْدِ، يَشْهَدُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ المَشَاهِدَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أَرَادُوا حَبْسَهُ، وَقَالُوا لَهُ: **إِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ عَذَرَكَ، [جعلَ لَكَ رُخْصَةً، فَلَوْ قَعَدْتَ وَنَحْنُ نَكْفِيكَ، وَقَدْ وَضَعَ اللهُ عَنْكَ الجِهَادَ]**، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: **يا رسُولَ الله! إِنَ بَنِيَّ هؤلاءِ يُرِيدُونَ أَنْ يَحْبِسُونِي عَنْ هَذَا الوَجْهِ، وَالخُرُوجِ مَعَكَ فِيهِ، فَوَاللهِ إِنِّي لأَرْجُو أن [أُسْتَشْهَدَ] فأطأَ بعَرْجَتِي هذِهِ فِي الجَنَّةِ**، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **أَمَّا أَنْتَ، فَقَدْ عَذَرَكَ اللهُ فَلا جِهَادَ عَلَيْكَ [وَضَعَ اللهُ عَنْكَ الجِهَادَ]**، وقال لبنيه: **وَمَا عَلَيْكُم أَنْ لاَ تَمْنَعُوهُ، لَعَلَّ اللهَ ﷻ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ**»، فخرجَ مَعَ رسولِ الله ﷺ، فَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شهيدًا».

وبقي هذا الحماس والاندفاع إلى الجهاد يغشى المؤمنين الذين وضع الله عنهم الجهاد بالقتال، فقد جاء في أخبار معركة القادسية في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قول أنس بن مالك رضي الله عنه: رأيت يوم القادسية عبد الله بن أم مكتوم الأعمى رضي الله عنه ـ صاحب رسول الله ﷺ ـ وعليه درع يجر أطرافها وبيده راية سوداء، فقلت له: أليس قد أنزل الله عذرك؟ قال: بلى ولكني أكثر سواد المسلمين بنفسي. [تفسير القرطبي ٤/ ٢٦٦]».

[المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ٢٠٦-٢٠٧].

١٤ ـ الآجال مفروغ منها:

يقول د/ زيدان: «ومما ينفع لتثبيت الدعاة والعاملين للإسلام عمومًا تذكيرهم بأن الآجال قد فُرغ منها فلا يزيد في عمر الإنسان جبن ولا فرار من مواجهة الأعداء، ولا ينقص من عمر الإنسان إقدامه

ومجاهدته للأعداء، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾[آل عمران].

وفي هذه الآية تشجيع للجبناء وترغيب لهم في القتال، فإن الإقدام والإحجام لا ينقص من العمر ولا يزيد فيه، وبذلك تستقر حقيقة الأجل في النفس فتترك الاشتغال به ولا تجعله في حسابها وهي تفكر في أداء التكاليف والالتزامات الإيمانية، ومنها الجهاد في سبيل الله والقيام بمتطلبات الدعوة إلى الله، فلا يقعد بها عن ذلك خوف ولا فزع، وبذلك تستقيم على الطريق، طريق الدعوة إلى الله، بكل تكاليفه والتزاماته في صبر وطمأنينة وتوكل على الله الذي يملك الآجال وحده، وإذا كان الأمر كما ذكرنا من تحديد الأجل فلينظر المسلم ماذا يريد؟ هل يريد أن يقعد عن تكاليف الإيمان ويحصر همه في الدنيا أو لينال شيئًا من متاعها، وفي هذا تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد، أو يريد المسلم ما هو أعلى وأجل وأبقى من متاع الدنيا وهو ثواب الآخرة، وشتان بين المرادين، ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ الجزاء المبهم الذي تتطلع إليه نفوس المؤمنين الذين شكروا نعمة الله عليهم، نعمة الإسلام، فلم يشغلهم غيره عن الجهاد في سبيله». **[الزمخشري ١/ ٤٢٤، الظلال ١/ ٤٨٧ – ٤٨٨]. [المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ٢٠٢-٢٠٣].**

١٥ ـ النظر إلى الماضي للعبرة والاتعاظ:

يقول د/ زيدان: «وعلى الدعاة ألا يستبد بهم الهم والغم والحزن على ما فاتهم من فرص كان من الممكن فيها تحصيل خير للدعوة، وإنما عليهم النظر إلى الماضي للعبرة والاتعاظ فقط، لا للحزن والبكاء، والنظر للمستقبل ليعرفوا ما ينبغي لهم فعله في ضوء ما وقع في الماضي، وما هم عليه في الحاضر، وإن الحاضر مضى بما فيه، وما وقع فيه لا يمكن تعديله وإنما يمكن أخذ العبرة منه، فلا وجه للحزن عليه؛ لأن الحزن لا يرد مفقودًا ولا يعيد معدومًا، قال تعالى عما أصاب المسلمين في أحد: ﴿۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[آل عمران].

كما يجب على الدعاة ألا يقولوا: لو فعلنا كذا لكان كذا على وجه التفجع والحزن ورد الـمُقَدَّر، فإن «لو» تفتح عمل الشيطان، وإنما عليهم كما قلت التأملُ فيما صدر منهم من خطأ أو غفلة أو تقصير، كانت من أسباب ما وقع ليتقوا ذلك في المستقبل، فإن وقائع الحياة والتجارب تعلِّم الإنسان ما لا يعلِّمه الكتاب، وإن كان ثمن هذا التعليم باهظًا». **[المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ٢٠٤].**

١٦ ـ تحميل النفس وليس الغير سوء ما وقع ويقع:

يقول د/ زيدان: «على الدعاة أن يعلموا ويستحضروا هذا العلم في أنفسهم، ويعلموه غيرهم وهو أن ما أصابهم ويصيبهم هو بسبب من أنفسهم، فليحمِّلوها المسؤولية ولا يحملوا غيرهم المسؤولية،

قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَـٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾[آل عمران].

والمصيبة التي أصابتهم هي قتل سبعين منهم، وقد أصاب المسلمون مثليها يوم بدر، فإنهم قتلوا من المشركين سبعين وأسروا سبعين، ﴿قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَـٰذَا﴾ أي من أين جرى علينا هذا ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾ أي: بسبب عصيانكم لرسول الله ﷺ حين أمر الرماة ألا يبرحوا مكانهم الذي أنزلهم فيه رسول الله ﷺ فعصوا أمره وترك أكثرهم مكانه. [تفسير ابن كثير ١/ ٤٢٤ – ٤٢٥].

قلنا: إن سبب المصائب يرجع إلى فعل الإنسان وهو يتحمل مسؤولية ذلك، فعلى الدعاة أن يفقهوا ذلك، وما يحل بالإنسان يرجع إلى أحد شيئين:

الأول: معاصيه.

والثاني: مخالفته لسنة الله أو سننه التي وضعها الله لتجري عليها أمور الحياة، ومخالفة المسلم لسنن الله في الحياة نوع من مخالفته لشرع الله؛ لأن الله تعالى أمر بأن نلاحظ سننه فيما نأخذ ونترك، ولن تُخْرق هذه السنن للمسلم لكونه مسلمًا، وقد قَصَّر في مراعاتها وخالفَ الشرع في أمره بهذه المراعاة، فالمعاصي لشرع الله هي سبب ما يحل بالإنسان، وهي سبب ما حل بالمسلمين وما يحل بهم، وما يحل بالدعاة وبجماعتهم المسلمة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فمن المعلوم بما أرانا الله من آياته في الآفاق وفي أنفسنا، وبما شهد في كتابه أن المعاصي سبب المصائب، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾[الشورى]. [ينظر كتاب: **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية ـ د/ عبد الكريم زيدان ص ٢١٢ ـ ط ٣ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م**].

وقال المفسرون في هذه الآية: أي وما أصابكم أيها الناس، أي مصيبة من مصائب الدنيا كالمرض وسائر النكبات والأحوال المكروهة كالآلام والأسقام والقحط وأشباهها ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ أي بسبب معاصيكم التي اكتسبتموها ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ أي ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقبكم عليها عاجلًا، قيل: وآجلًا.

فعلى الدعاة أن يبينوا هذا للناس في خطبهم ومواعظهم؛ لأن مما ابتُلي به المسلمون أفرادًا وجماعات أنهم يلقون المسؤولية واللوم على غيرهم وينسون أنفسهم، فنراهم إذا وقعت عليهم مصيبة أو نكبة، راحوا يفتشون على من يحمِّلونه مسؤولية ما وقع عليهم من نكبات ومصائب، مثل فقد ديارهم واستيلاء العدو عليهم، وهزائمهم في الحروب، وينسون أنفسهم فلا يحمِّلونها شيئًا، وكذلك الحال في

الجماعات المسلمة التي تقع في مخالفات الشرع، ومخالفات سنن الله، وفي العمل الجماعي ومتطلباته، فتقع عليها النكبات والمصائب، فترمي المسؤولية على الغير فيما حل بها من مصائب.

إن القرآن الكريم حدد الجهة التي تلام وتقع عليها المسؤولية بالدرجة الأولى بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾، فالله تعالى حدد الجهة التي تُلام عند حلول النكبة والمصيبة وهي أنفسنا، فلا يجوز شرعًا أن نبرئ أنفسنا مما يقع علينا من النكبات والمصائب ونلقي اللوم والمسؤولية على غيرها.

وفائدة لوم النفس وتحميلها المسؤولية حث المسلم على السعي الجاد لإزالة ما قام في النفس أو ما صدر عنها من أسباب أدت إلى وقوع هذه النكبات والمصائب، والسعي لإزالة هذه الأسباب بالعمل الجاد والسريع لعدم وقوعها في المستقبل.

وهذا ما يخشاه أعداءُ الإسلام والمسلمونَ، فإنهم لا يخشون شتم المسلمين لهم وصراخهم بأن ما حل بهم هو من تدبير الكافر المستعمر ما داموا لا يحمِّلون أنفسهم مسؤولية ما حلَّ بهم، ويظلون جاهلين أنهم هم السبب لتقصيرهم وعدم قيامهم بمتطلبات دينهم، وعدم مراعاتهم لسنن الله في الأمم والجماعات والأفراد، فعلى الدعاة تبصير المسلمين بذلك وعدم إغفاله». [**المستفاد لزيدان ٢/ ٢٠٤-٢٠٦**].

١٧ ـ من جزاء السيئة السيئة بعدها:

يقول د/ زيدان: «وعلى الدعاة أن يحذروا من المعاصي وقوعًا أو اقترابًا منها؛ لأن المعصية تجر صاحبها إلى المعصية؛ ولذلك قال بعض السلف: إن من جزاء الحسنة الحسنة بعدها، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها، فإذا وقع الدعاة في معصية فعليهم الإسراع إلى الاستغفار والتوبة منها، فإن الله يقبل التوبة عن عباده، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٥٥﴾[آل عمران]، أي إن الذين تولوا عن القتال في معركة أحد ففروا وانهزموا إنما استزلهم الشيطان، أي حملهم على الزلل بالتولي عن القتال بسبب ما اكتسبوا من الذنوب، والتي منها مخالفة الرماة لأمر رسول الله ﷺ بالبقاء في أماكنهم، فلما خالفوا وتركوا أماكنهم ونزلوا في ساحة المعركة للغنيمة، ورجع المشركون يقاتلون المسلمين فروا مع الفارين، فالذنوب بالنسبة إلى مرتكبيها كالأمراض بالنسبة للمصاب بها، تضعف مقاومته وتفتح ثغره في بدنه تتسلل منها الجراثيم، أو تقوي فيه الموجود منها ﴿وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾، أي عما كان منهم من الفرار لندمهم عما فرط منهم، ولتوبتهم النصوح ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٥٥﴾ أي يغفر الذنوب ويحلم عن خلقه ويتجاوز عنهم». [**المستفاد لزيدان ٢/ ٢٠٨-٢٠٩**].

١٨ ـ فوائد الابتلاء الجماعي للفرد والصف:

يقول أ/ عبَّاد: «الابتلاء الجماعي نوع من أنواع الابتلاءات التي تصيب الجماعة المسلمة منذ ظهورها وإعلانها الحرب على أولياء الشيطان، فاصطدمت بالطواغيت وأعوانهم وأذنابهم ـ في كل العصور ـ سواء كانوا كبارًا أو صغارًا، وأصبح الابتلاء من الأمور المسلَّم بها، وضرورة من ضروريات التمكين، وسنة الله الأزلية في تمحيص المؤمنين وإعدادهم ليدخلوا الجنة ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة]، والطريق الذي لا يعفى منه أحد من المؤمنين ولا من الرسل عليهم السلام: ﴿۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَـٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَـٰلَهُمْ ﴿٣﴾﴾ [محمد ﷺ] ومن هنا كان للابتلاء الجماعي فوائد للفرد وللصف.

فبالنسبة للفرد يزداد في مرحلة البلاء تعلقًا بالعبادات وبالقرآن ويتوجه إلى الله تعالى، وتنقى نفسه من الشوائب ـ شوائب الشرك والرياء ـ وينقي قلبه من الهوى، وتزداد ثقته بالله تعالى، ويعلم أن في ذلك تكفيرًا لذنوبه، ويعلم منزلته عند الله تعالى لقول الرسول ﷺ حينما سأله سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: يَا رَسُولَ الله، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قَالَ: «**الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**». [الترمذي في الزهد (٢٣٩٨)، وقَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وابن ماجه في الفتن (٤٠٢٣)، والدارمي في الرقاق (٢٧٨٣)، وأحمد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (١٤٨٤، ١٤٩٧، ١٥٥٨، ١٦١٠)].

ومع كل هذا يعلم الفرد من نفسه صفات الشجاعة والصبر والزهد والتواضع والثبات والكرم، والشح والجبن والجشع والكبرياء... إلخ.

أما بالنسبة للصف فهي تنقيه من أعدائه الباطنيين الذين دخلوه وقت الرخاء وما زال بقلوبهم نفاق: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [آل عمران].

وأيضًا تعميق المحبة بين أفراده حيث إنه ـ الابتلاء ـ يؤلف بين قلوب المبتلين؛ لما يراه الأحبة من تعذيب وعنت يقع على إخوانهم.

وكذلك فيه ـ الابتلاء الجماعي ـ إغاظة للمشركين وسائر أعداء الإسلام حيث يرون الصف يخرج من الابتلاء أقوى عودًا، ثابتين ثبات الشم الرواسي ومتزايدين في تحدي الباطل وأهله.

لهذا كله كانت المحن بالنسبة للمسلمين منحًا من الله تعالى، فيها خيرهم وفيها صلاحهم ونصرهم وفوزهم في الدنيا والآخرة». [مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٢٠٤-٢٠٦].

١٩ ـ معرفة العقبات التي تعترض طريق الدعوة:

يقول د/ بامدحج: «لو تأملنا في غزوة أحد لاستطعنا أن نعرف الثغرات التي تسببت في وقوع البلبلة والارتباك الذي حدث في صفوف المسلمين أثناء مجريات الغزوة، وذلك بفضل الله ﷻ، ثم بفضل الخطة التي رسمها رسول الله ﷺ لمواجهة أعداء الدعوة في تلك الفترة، فقد استطاع إيجاد الحل المناسب والقضاء على تلك السلبية في الوقت المناسب وبالعلاج المناسب، دون تردد أو تفكير وبحث عن العقبة التي اعترضت سبيل تنفيذ الخطة المرسومة.

ومعرفة العقبات التي تعترض طريق الدعوة إلى الله في العصر الحديث أمر ضروري لا غنى عنه للمشرفين على توجيه الدعوة وإعداد الدعاة في الدول الإسلامية القادرة على حمل أمانة الدعوة إلى الله، والاضطلاع بهذه المهمة الجليلة، ولا غنى عن هذه المعرفة كذلك للدعاة الذين يعملون في ميدان الدعوة، حتى تكون دعوتهم على هدى وبصيرة، وهذا لن يتأتى إلا بالقيام بعمل تخطيط شامل للدعوة المراد القيام بها كي يتم تحديد العقبات والمعوقات التي تعترض طريق الدعوة». [غزوة أحد لبامدحج ٢٤٥-٢٤٦].

٢٠ ـ الإخلاص في الدعوة إلى الله:

يقول د/ بامدحج: «الكلام في موضوع الإخلاص طويل جدًّا؛ وذلك لأهمية الموضوع ومنزلته، حيث إنه من شروط قبول العمل كما هو معروف، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ أي ما كان موافقًا لشرع الله ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ وهو الذي يُراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذان ركنا العمل المتقبَّل، لابد أن يكون خالصًا لله، صوابًا على شريعة رسول الله ﷺ». [تفسير ابن كثير ٣/ ١٢٠].

ولعل ذلك يتضح لنا من قصة الصحابة رضي الله عنهم ومخيريق رضي الله عنه وقزمان الذي قاتل عن أحساب قومه، فكلٌّ منهم قاتل قتال الأبطال وكافح وناضل، ولكن نهاية كل منهم تختلف عن الآخر، فمَنْ قاتل لإعلاء كلمة الله ﷻ سينال ـ بإذن الله تعالى ـ الجنة، ومَنْ قاتل لغرض دنيوي أو لمقصد معين من شهرة ومنصب وجاه ومتاع، فبئس ما نوى، وسينال العقاب من الله ﷻ.

وعليه فكل عمل لابد له من نية، وإنما أجره وجزاؤه على حسب تلك النية، كما قال ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى...**». [البخاري في بدء الوحي (١)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧)].

ومن هذه الأعمال الفاضلة الدعوة إلى الله التي تحتاج إلى صدق النية، ويتأكد فيها الإخلاص.

وأما إذا تجرد الداعية من الإخلاص، وباتت غايةً يريدها، وغرضًا يبتغيه، وتوجَّه إلى الشهرة والسمعة، والمنصب والجاه والمال والمتاع، وترك ما هو أسمى وأجل، ترك ابتغاء وجه الله، وأعرض عن مقام المخلصين ومآل المتقين.

[خصائص الخطبة والخطيب ـ نذير محمد مكتبي ص١١١ ـ دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م].

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البيِّنة]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١﴾ [الزُّمَر]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤﴾[الزُّمَر].

الإخلاص خلق نفسي يحتاج إليه المسلم في عبادته، وطالب العلم في عمله، والداعية في دعوته، وكل صاحب عمل شريف، ومقتضى الإخلاص، التجرد التام في العمل من المصالح الشخصية، المرتبطة بالخلق وعدم إعلانه للناس إلا ما فيه مصلحة ظاهرة والتوجه إلى الله بالعبادة وعدم صرف شيء منها لغير الله.

وعمل الداعية من أدق الأعمال وأكثرها حساسية؛ لارتباطه بالنية وهي من أعمال القلوب؛ ولذلك فلابد أن يعد الداعية نفسه من هذه الناحية إعدادًا قويًّا، فلا يَقْدُم على عمله الدعوي إلا بعد تمحيص النية وتخليصها من الشوائب التي تعكرها، وتكدر صفوها.

فإذا عرف الداعية من نفسه الإخلاص لله ﷻ في أقواله وأفعاله، فإنه بعد ذلك لا يخشى في الله لومة لائم، ولا تقف في طرقه معوقات الطريق، وبذلك يصبح الإخلاص من أهم المقومات النفسية في عمله الدعوي قولًا وفعلًا.

ومن المعلوم أن الدعوة إلى الله من أشرف العبادات التي يؤديها المسلم طاعة لله وابتغاء مرضاته، وهذا أسمى هدف يسعى إليه المسلم.

وإذا كان هذا هو الهدف الذي يسعى إليه المسلم، والداعية بالذات، فعليه أن يحذر الوقوع في مزالق هذا العمل التي تؤدي إلى إحباط سعيه وهبوط عمله، ومن أخطرها على الداعية التعلق بالدنيا والعمل لها. [المرأة المسلمة المعاصرة: إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة ـ د/ أحمد بن محمد أبابطين ص ٢٠٠ ـ دار عالم الكتب ـ الرياض ١٤١١هـ/ ١٩٩١م].

وقد بيَّن الرسول ﷺ الفرق في النية، وتفضيل الإخلاص فيها لله ﷻ على من صرفها لأجل غرض دنيوي في قوله ﷺ في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب ﷺ قال ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى: فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**». [سبق تخريجه]. [غزوة أحد لبامدحج ٢٤٧ – ٢٤٩].

ويقول د/ بامدحج أيضًا: «يجب على الداعية أن يكون بعيدًا عن الانتماءات والحزبيات والتعلق بالأشخاص، وأن عليه أن يلتزم منهاج النبوة في الكتاب والسنة؟ علمًا، ودعوة، والتزم جماعة المسلمين من كان كذلك: «**على مثل ما أنا عليه وأصحابي**»، والتزم إمامهم المسلم في كل بلد ـ إن كان لهم إمام ـ بالسمع والطاعة في المعروف، ما لم ير كفرًا بواحًا عنده عليه من الله برهان، والعمل العمل، على الجهر بحكمة ودراية بإعادة الحياة الإسلامية في المسلمين صافية من شوائب الشبهات والشهوات بعمل إسلامي ظاهر، لا في السراديب المظلمة. [**حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية ـ د/ بكر بن عبد الله أبو زيد ص ١٦٦ ـ دار ابن الجوزي ـ الدمام ـ السعودية ١٤١٣هـ**].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصًا يدعو إلى طريقته، ويوالي ويعادي عليها، غير النبي ﷺ، ولا ينصب لهم كلامًا يوالي عليه ويعادي غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت عليه الأمة، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصًا أو كلامًا يفرقون به بين الأمة، يوالون به على ذلك الكلام، أو تلك النسبة، ويعادون». [**فتاوى ابن تيمية ٢٠/ ١٦٤**].

وقال رحمه الله: «من نصَّب شخصًا كائنًا مَنْ كان، فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل، فهو من الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعًا». [**الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٢/ ٢٣٩-٢٤٠**].

وهذه حال كثير من الجماعات والأحزاب الإسلامية اليوم، إنهم يُنصِّبون أشخاصًا قادة لهم، فيوالون أولياءهم، ويعادون أعداءهم، ويطيعونهم في كل ما يفتون لهم، دون الرجوع إلى الكتاب والسنة، ودون أن يسألوهم عن أدلتهم فيما يقولون أو يفتون.

[**حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية ـ د/ بكر بن عبد الله أبو زيد ص ١٢١**].

ومن مسلمات الاعتقاد عقد سلطان الولاء والبراء تحت اسم الإسلام، ورسم أحكامه، فلا يجوز بحال عقده على شعار بدعي، من اسم، أو رجل، أو طائفة، أو ما يُفضي إلى بدعة أو معصية، وهكذا.

وإن من أبغض الناس إلى الله مبتغيًا في الإسلام سنة الجاهلية، مطلقة أو مقيدة، يهودية، أو نصرانية، أو مجوسية، أو صابئة، أو وثنية، أو شركية، أو عصبية لرجل، أو لطائفة، أو لرسم دون آخر، وهكذا... فكل هذا جاهلية. [**المرجع السابق ص ١١٦**].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن، من نسب، أو بلد، أو جنس، أو مذهب، أو طريقة، فهو من عزاء الجاهلية، بل لما اختصم مهاجري وأنصاري، فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار، قال النبي ﷺ: «**أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟!**» وغضب لذلك غضبًا شديدًا. [**اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢١٠-٢٢٦ ـ تحقيق وتعليق د/ ناصر بن عبد الكريم العقل ب.ن ـ ١٤٠٤هـ**].

وقال ابن القيم رحمه الله: والدعاء بدعوى الجاهلية، كالدعاء إلى القبائل، والعصبية للإنسان، ومثله التعصب للمذاهب، والطوائف، والمشايخ، وتفضيل بعض على بعض في الهوى والعصبية، وكونه

منتسبًا إليه، يدعو إلى ذلك، ويوالي عليه ويعادي، ويزن الناس به، فكل هذا من دعوى الجاهلية».

[ابن القيم، نقلًا عن: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ـ سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب ص ٤٥٦ ـ مكتبة الرياض الحديثة بالرياض]. [غزوة أحد لبامدحج ٢٤٢-٢٥٠].

٢١ ـ إعداد النساء للدعوة إلى الله:

ويقول د/ السباعي: «وفي ثبات نسيبة أم عمارة رضي الله عنها، ووقوفها وزوجها وأولادها رضي الله عنهم حول رسول الله ﷺ حين انكشف المسلمون يوم أحد، دليل ـ من الأدلة المتعددة ـ على إسهام المرأة المسلمة بقسط كبير من الكفاح في سبيل دعوة الإسلام، وهو دليل على حاجتنا اليوم إلى أن تحمل المرأة المسلمة عبء الدعوة إلى الله من جديد، لتدعو إلى الله في أوساط الفتيات والزوجات والأمهات، ولتنشئ في أطفالها حب الله ورسوله، والاستمساك بالإسلام وتعاليمه، والعمل لخير المجتمع وصلاحه.

وما دام ميدان الدعوة شاغرًا من الفتاة المسلمة الداعية، أو غير ممتلئ بالعدد الكافي منهن، فستظل الدعوة مقصرة في خطاها، وستظل حركة الإصلاح عرجاء حتى يسمع نصف الأمة ـ وهن النساء ـ دعوة الخير، ويستيقظ في ضمائرهن وقلوبهن حب الخير والإقدام على الدين، والإسراع إلى الاستمساك بعروته الوثقى». [السيرة النبوية: دروس وعبر للسباعي ١١٦].

ويقول د/ زيدان: «ويجب على الدعاة أو على جماعتهم أن يحرصوا على إعداد المؤمنات للقيام بأعمال الدعوة إلى الله في أوساط النساء، فهن أقدر من الرجال في الدعوة في مجال النساء، كما يمكن أن يقمن ببعض متطلبات الدعوة وتبليغها، ومن شأن هذه المتطلبات السرية وعدم الظهور والانكشاف، ودليلنا على ما نقول أن النساء المؤمنات كن يشاركن في غزوات النبي ﷺ، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سُلَيم ونسوةٍ من الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى». [صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ١٨٨].

وعلى الدعاة أن يحاولوا أن يجعلوا نساءهم ـ كزوجاتهم أو أمهاتهم أو أخواتهم أو قريباتهم ـ داعيات معهم ليسهل على الدعاة ذوي العلاقة بهن تكليفهن بأعمال الدعوة التي تناسبهن، ويكونوا ـ أي الدعاة ـ على اتصال سهل ميسور معهن، وإنما نطلب من الدعاة أن يعُدوا المؤمنات ليكن داعيات؛ لأنه إذا جاز واستحب للنساء المسلمات أن يشاركن في حرب المسلمين مع الكفار، ويقمن بما يحتاجه المقاتلون ويناسب قدرات النساء، فمن باب أَوْلى أن يكون من المرغوب فيه شرعًا أن يساهمن في الدعوة إلى الله بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة في أوساط النساء، وأن يقمن بالأعمال الأخرى من أعمال الدعوة التي هنَّ أقدر عليها من الرجال كتبليغ خبر أو إيصال معونة إلى عوائل الشهداء من الدعاة ونحو ذلك». [المستفاد لزيدان ٢/ ٢٢٧].

٢٢ ـ دروس للدعاة:

يقول د/ أبو فارس: «وفي هذه الأحداث دروس ينبغي على الدعاة أن يستفيدوا منها:

(١) طاعة الأمير في الإسلام واجبة يحرم على الجندي أن يخالف أمر الأمير، قال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء:٥٩].

وقال ﷺ: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ يُطِعْ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي**». [صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ٢٢٣].

وقال رسول الله ﷺ: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**». رواه البخاري وابن ماجه والإمام أحمد. [مختصر شرح الجامع الصغير ١/ ٦٧].

(٢) عصيان الأمير يستوجب العقوبة في الدنيا والآخرة، وفي وقعة أُحد كانت العقوبة الدنيوية الحرمان من النصر، وفي الآخرة استحقاق الوزر، فإن شاء الله غفر وإن شاء عفا، وهو عَفُوٌّ كريم يحب العفو، ويعفو عن المؤمنين إن هم تابوا وأنابوا إليه بقلوب مخلصة.

(٣) عدم ترويج الإشاعة التي يطلقها الأعداء والتحدث بها إلى الناس، بل إن المطلوب من المسلم أن يردَّ كل ما يسمعه إلى ولي الأمر فقط، أما إن حَدَّثَ بها الناس فإنه يخدم أغراض المشركين من حيث لا يشعر.[١]

قال تعالى يرشد المؤمنين إلى موقفهم من الإشاعة: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾ [النساء].

---

(١) يظهر للقارئ الكريم أثر الإشاعة في خلخلة وحدة الصف المسلم، وانهيار المعنويات، والقعود عن القتال، ومن العجيب أن المؤمنين أنفسهم قد أسهموا في نشر هذه الإشاعة، فخدموا أغراض المشركين من حيث لا يعلمون، مع أنه من المُسَلَّم عند المُسْلِم أن الكافر ليس بثقة يتلقى عنه، وغير موثوق به، ويتأكد هذا في موطن القتال، فالمفروض أن يتوقع من عدوه الكذب والخداع والتلفيق؛ لأن الحرب خدعة، ولكن الذي جعله يغفل عن هذا ويسهو عنه هول الضربة ومفاجأتها.

ولعل في هذه الإشاعة فائدة في مستقبل الأيام، ذلك لتهيئة نفوس المؤمنين ـ المتعلقة برسول الله ﷺ وحبه أكثر من حب النفس والوالد والمال ـ بأن هذا الرسول سيفارقكم يومًا من الأيام، وسيموت وستبقى سنته من بعده وكتاب ربه، تستضيؤون بنورها وتتبعون ما فيها، فتعصمون من الزيغ والضلال والانحراف، ومع هذه التهيئة وغيرها فقد أصاب المسلمين ذهول شديد عند موته ﷺ لولا رباطة جأش أبي بكر ﷺ وإخبار الناس بالحقيقة: من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله لا يموت، فسكن الناس وفي مقدمتهم عمر بن الخطاب ﷺ.

(٤) ينبغي أن يحرص الجندي دائمًا على الاتصال بالقائد، وألا يقطع هذا الحبل تحت أي ظرف، فإن في بقاء الاتصال خيرًا كثيرًا، كذلك ينبغي على القائد أن تكون الخيوط بيده، وإذا انقطع خيط وصله.

ولقد ظهر هذا الموقف جليًا في هذه الغزوة، فما أن سمع الصحابة بنداء الرسول ﷺ إلا وطاروا نحوه، وتجمعوا حوله، وشدوا أزره، واستجابوا لأمره». [**غزوة أُحد لأبي فارس ٨٠-٨٢**].

٢٣ ـ أوجه تفيد الدعوة من غزوة أُحد:

يقول د/ بامدحج: «سنحاول حصر الفوائد الدعوية من غزوة أحد والمرتبطة بالدعوة في النقاط التالية:

(١) أن تكون الغاية من الدعوة إعلاء كلمة الله ورفع راية التوحيد والقضاء على الشرك والبدع والخرافات: فهذه هي غاية الدعوة وغاية الجهاد في سبيل الله ﷻ، والمشركون من قريش إنما خرجوا إلى أُحد نصرة لأوثانهم ومعتقداتهم الفاسدة وحربًا لله ﷻ ولرسوله ﷺ.

(٢) أن تكون الدعوة إلى الله في الوقت الحاضر قائمة على التخطيط المنظم بعيدة عن العاطفة والارتجال: من خلال ما تقدم نخلص إلى أن الرسول الكريم ﷺ قد بيَّن لنا أهمية التخطيط للعمل الدعوي في أي ظرف من الظروف سواء كان ذلك في السلم أم في الحرب.

وتبين لنا من خلال ما قام به الرسول ﷺ من تخطيط أن نجاح الدعوة يقوم على الجانب الكيفي لا الكمي، فلو كان التخطيط يعتمد على الجانب الكمي لاستطاعت قريش القضاء على الدعوة من أول اللقاء، فقد كان عدد جيش قريش يفوق عدد جيش المسلمين، ولكن بفضل الله ونصره وأن الله مع المؤمنين ثم بحسن التخطيط وكيفية الاستفادة من الطاقات المتوافرة استطاع الرسول ﷺ أن يسهم في تقليص الفارق العددي والكمي ويبرز الفارق الكيفي.

واتضح لنا كذلك أن رسول الله ﷺ أخذ التدابير اللازمة للمحافظة على الدعوة باتخاذ كافة الوسائل المعينة والاحتياطات اللازمة، ومن ذلك:

(أ) جمع المعلومات الكاملة عن أعداء الدعوة، وأهدافهم من مواجهة الدعوة.

(ب) توثيق المعلومات المجموعة، والتأكد من صحتها، وعدم التعجل بوضع خطة معينة بناءً على المعلومات المتوافرة عن أعداء الدعوة.

(ج) اختيار الموقع والمكان المناسبين من الناحية الجغرافية؛ لأن ذلك أدعى إلى: (تكوين فكرة عن السكان الذين تتعلق بهم الدعوة لوضع الخطط المناسبة بشكل واقعي صحيح؛ لأن التخطيط يسوق إلى حسن الاختيار). [**الدعوة: الوسائل، الخطط، المداخل ص ٣١٢ ـ الندوة العالمية للشباب الإسلامي ـ أبحاث اللقاء الخامس المنعقد في نيروبي بكينيا ـ الطبعة الأولى ـ الرياض ١٤٠٥هـ**].

يتضح لنا من ذلك أن (العمل الدعوي يحتاج إلى تنظيم وتخطيط، فالدعوة الإسلامية قامت على التخطيط المنظم البعيد عن العاطفة والارتجال، وقد أمر الله ﷻ بإعداد القوة لنصرة الدعوة، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾[الأنفال].

وهذه القوة ناتجة عن التخطيط المنظم، بل إن كل شيء في هذا الكون قائم ـ بأمر الله ـ على التنظيم والنظام، فالكواكب والمجرات السابحة في الفضاء، وتعاقب الليل والنهار، وتتابع الفصول، وتناسل المخلوقات، وسريان الحياة في الكائنات الحية، وتنظيم أجهزتها وخلاياها الدقيقة المعقدة، إلى ما لا نهاية من النواميس الإلهية في الكون والحياة، كلها قائمة على التنظيم الدقيق، وأي خلل في نظامها، يؤدي إلى اختلال عملها، وتعطيل أدوارها ووظائفها، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران].

وقال جل ثناؤه: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس].

فالفوضى والعفوية نقيض النواميس الكونية، والعمل ـ مهما كان صغيرًا ـ لا يمكن أن يُكتب له النجاح ما لم يكن منظمًا، وكثير من الطاقات تهدر وتضيع في غياب التخطيط. [**العلاقة بين الفقه والدعوة ـ مفيد خالد عيد أحمد عيد ص ١٥٩، مكتبة دار البيان ـ الكويت، ومكتبة ابن حزم ـ بيروت ١٤١٦هـ**].

والمنهج الإسلامي قائم على التنظيم والتناسق والتكامل، فالعبادات ـ كالصلاة والصوم والزكاة والحج ـ تقوم في كل جزئياتها وتفصيلاتها على أصول وقواعد تنظيمية، والنظام الاجتماعي، كأحكام الزواج، والمبادئ التي تحكم الأسرة المسلمة، كلها قائمة على أسس تنظيمية ثابتة، وهكذا كل النظم الإسلامية. [**أبجديات التصور الحركي ـ أ/ فتحي يكن ص ١١-٤٠ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م**].

وبالتالي على الداعية أن يحرص ألا يدخل في أي عمل من الأعمال ـ وإن كان بسيطًا ـ إلا بالتخطيط، فإن هذا من شأنه استغلال الوقت أحسن استغلال مع توفير الجهد، والتقليل من التكاليف، وسيرة النبي ﷺ غاصة بالنماذج الناطقة بحرصه ﷺ على التخطيط ولو لأبسط الأعمال، فمثلًا ما كان ينام في سفر أو حضر إلا ويكلف من يكلأ الوقت، ويراقبه، وما كان يأكل أو يشرب إلا بنظام أو ترتيب خاص، وما كان يغزو أو يسالم إلا وفق تخطيط وترتيب، وهكذا في سائر حياته وأعماله ﷺ. [**آفات على الطريق ـ د/ السيد محمد نوح ٣/ ١٢٤ ـ دار الوفاء ـ مصر ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م**]. [**غزوة أُحد لبامدحج ٢٤٢-٢٤٥**].

٢٤ ـ هوامش على غزوة أحد:

يقول أ/ حوى:

١ – يبدو لي أن غزوة أحد جمعت هزيمتين للطرفين بآن واحد، واستمرت الهزيمتان إلى آخر الغزوة، فلقد هرب المشركون ابتداء، ثم وجد خالد الفرصة فهاجم وهرب بعض المسلمين، واستمر الهروب عند الطرفين، فنحن لا نعثر بعد هجمة خالد على تجمع كبير للمسلمين، كما أننا لا نعثر على تجمع كبير للمشركين، وإنما بقيت مجموعات في أرض المعركة، حتى إن خالدًا نفسه وهو الذي أوقع الهزيمة بالمسلمين لا نسمع له حسًّا بعد ذلك، فكأنه تصرف هذا التصرف الخاطف وهو في موقع اليائس، والذين بقوا على أرض المعركة لم يكونوا متكافئين، ومع ذلك فالإدارة الحازمة الحكيمة الرائعة للمعركة من قبل رسول الله ﷺ أوقفت المشركين عند حدهم واكتفوا بما حققوا، ولولا أنهم شعروا بالعجز أو أن خسائرهم ستكون أكثر من أرباحهم ما انسحبوا وهم يرون رسول الله ﷺ ومجموعة قليلة من أصحابه حوله أمامهم؛ ولذلك فالمعركة في مجموعها كانت متعادلة من ناحية النصر والهزيمة، وإن كانت ضحايا المسلمين أكثر لأن عدد العدو أكبر.

٢ – لا أعرف في تاريخ العالم ملحمة هي أعظم في البطولة والشجاعة والكفاءة العسكرية والقيادية كملحمة أحد، فأي قائد في تاريخ العالم يبقى في أفراد من جنده يتابع القتال ويدير المعركة حتى يكف العدو يده، ثم أي قائد يصاب بما أصيب به رسول الله ﷺ يومذاك ويبقى على غاية من اليقظة في إدارة الأمور فيرسل من يستكشف له وجهة قريش، ويعلن عن تصميمه على المعركة إلى النهاية، ثم يغسل آثار هزيمة المشركين بعملية خاطفة هي عملية حمراء الأسد التي أرجعت إلى الصف الإسلامي روحه المعنوية وأعادت هيبة المسلمين إلى المجتمع الذي يعيشون فيه، وأعادت قريشاً إلى صوابها وقذفت في قلوب رجالها الرعب.

٣ – لقد تلافت قريش الكثير من نواقصها يوم بدر، فلقد كان ينقصها يوم بدر وحدة القيادة وجودة التعبئة والتصميم الشامل على القتال والدوافع القوية نحو النصر، أما في أحد فلقد توحدوا تحت إمرة أبي سفيان وكانت تعبئتهم جيدة، وكان لهم ثأر يحركهم ومصالح يفتقدونها، وكان تصميمهم على المعركة شاملًا وكفاءتهم القيادية والقتالية عالية جدًّا، يظهر ذلك من تصرفات أبي سفيان وخالد وبني عبد الدار حملة اللواء، ومع ذلك هُزموا ابتداء وتكافؤوا انتهاء، ولولا غلطة الرماة لم تكن إلا الهزيمة، هذا مع أن العدو أربعة أضعاف ونيف، والخيل كانت عندهم كلها على قول وكانت أربعة أضعاف على قول آخر وهكذا، ولقد عوض رسول الله ﷺ عن النقص في العدد والعدة بحسن التخطيط والاستفادة من الأرض، ولكنه في النهاية لا تعليل إلا الإيمان وإلا التأييد الرباني وفعل الله لرسوله ﷺ والمؤمنين.

٤ - بعد سنتين ونيف من قيام الدولة الإسلامية في المدينة تبين أن ثلث الجيش الإسلامي لا يزال خارجاً عن طاعة رسول الله ﷺ، وذلك في الحقيقة أكبر سبر لوضع المجتمع المدني، إذ به عرف بالضبط المؤمن من غيره والمحصلة كانت ضخمة، فأن يستطيع رسول الله ﷺ أن يستخلص من زعامة عبد الله بن أبي الأكثرية المطلقة فذلك وحده كبير، والذي حدث بعد ذلك أكبر، فلقد توفي رسول الله ﷺ والمنافقين قلة، فأن يستخلص رسول الله ﷺ أكثرية المنافقين من النفاق، والبقية الباقية لا تجرؤ إلا أن تعلن طاعتها فذلك نجاح ما بعده نجاح، وبمثل ذلك يقتدي المقتدون.

٥ - لقد كان عمر رسول الله ﷺ يوم أحد خمسة وخمسين عامًا ونيفًا، ولو أنك استعرضت الجهد الذي بذله ﷺ الجمعة والسبت والأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء من شوال ذاك لرأيت عجبًا، فأي جسم هذا الجسم؟ وأي عقل هذا العقل؟ وأي روح هذه الروح؟ وأي نفس هذه النفس؟ إنه لا تعليل لاستمرار رسول الله ﷺ على وتيرة واحدة دون عجز أو قصور أو تقصير أو وهن أو ضعف إلا أنها الرسالة عن الله رب العالمين، وإلا صنع الله لرسوله ﷺ على عينه.

٦ - لقد نزلت في أحد حوالي ستين آية من سورة آل عمران من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾ [آل عمران] إلى قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ﴾ [آل عمران:١٧٩]، ونزل فيها بعض آيات من سورة النساء منها قوله تعالى: ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ ﴾ [النساء:٨٨]، وإذ كان من البدهيات أن القرآن لا يتحدث إلا عن المعاني الخوالد التي تسع الزمان والمكان، ويحتاجها الإنسان في كل زمان ومكان ندرك كم في غزوة أحد من دروس تحتاجها الأمة الإسلامية.

٧ - من المعاني المهمة في الحياة ما ذكره بعضهم أن عليك أن تنظر إلى الأمور كلها بعين الشريعة وبعين الحقيقة، وأن تتعرف على الحكمة الربانية في كل حركة وسكون في هذا الكون، ولقد رأينا حكمًا كثيرة وراء ما حدث في أحد، ولكن حكمة ينبغي أن نضعها في حسابنا وهي: أن لقريش فضلها وستحمل الإسلام فيما بعد، فأن تكون أخذت ثأرها أدعى لأن تتعقل.

٨ - أهم دروس أحد أنها الدرس المقابل الذي لابد منه لبدر، فلو كانت بدر هي الدرس الوحيد للمسلمين لدفعهم ذلك إلى المغامرة دون حدود، وإلى اليأس إذا حدث فشل، ولكن أن تقع أحد بعد بدر فذلك هو الذي أوجد التوازن في التفكير الإسلامي العسكري على مدى العصور، فالله ينصر جنده، ولكن لهذا النصر شروطًا منه المادي ومنها المعنوي، وربنا يفعل ما يشاء.

بعبرة بدر وبعبرة أحد انطلق المسلمون ولا زالوا ينطلقون، وبروحانية بدر وبروحانية أحد يجب أن يتحرك المسلمون. [الأساس في السنة وفقهها ـ السيرة النبوية لحوى ٢/ ٦٠٤-٦٠٦].

الباب الثالث

المرحلة الثالثة من غزوة أحد
(بعد المعركة)

الفصل الأول: عرض المرحلة الثالثة من غزوة أُحد (بعد المعركة)

الفصل الثاني: الدروس والعبر المستفادة من المرحلة الثالثة من غزوة أُحد (بعد المعركة)

الفصل الأول
عرض المرحلة الثالثة من غزوة أُحُد (بعد المعركة)
المبحث الأول
انتهاء المعركة وانسحاب الجيش المكي

التمثيل بالقتلى:

«وبعد أن قرر أبو سفيان إنهاء القتال أخذ المشركون في التهيؤ للرحيل وانصرفوا إلى ساحة المعركة يتفقدون قتلاهم، كما انشغل فريق بإرواء ظمئهم الجاهلي وإشفاء حقدهم الوثني بالتمثيل بشهداء المسلمين وتشويه جثثهم تشويهًا فظيعًا.

حيث بقروا البطون وانتزعوا الأحشاء منها بأيديهم، وجدعوا الأنوف وقطعوا الآذان، بل لقد قطعوا الأعضاء الحساسة التناسلية من بعض الشهداء» [سمط النجوم العوالي ٢/ ٨٧]». [غزوة أُحد لباشميل ١٧١].

التمثيل بجثة سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه:

«وكان سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أكثر الشهداء تعرضًا لوحشية التشويه والتمثيل، وبربرية الانتقام؛ لأنه رضي الله عنه كان عنده أكثر من ثأر لسادات قريش، فقد قتل يوم بدر بالاشتراك مع ابن أخيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه سيدي قريش عتبة بن ربيعة وشيبة والوليد ابني عتبة ـ أخا هند بنت عتبة ـ وكلهم من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

ولهذا كانت هند بنت عتبة من أشد الناس غيظًا وحنقًا على حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وكانت قد حضرت مع زوجها القائد العام أبي سفيان فيمن حضر من نساء قادة مكة لتحريض الجيش على قتال المسلمين.

وكانت قد علمت هذه المرأة العنيدة أن جبير بن مطعم قد وعد عبده وحشيًّا العتق إن هو قتل حمزة رضي الله عنه، فكانت كلما مرت بهذا العبد الحبشي تشجعه ليفي بوعده لسيده جبير، وتوعده المكافأة السخية إن هو تمكن من قتل حمزة رضي الله عنه». [غزوة أُحد لباشميل ١٧١-١٧٢].

كبد حمزة رضي الله عنه تقضمها هند:

«فلما انتهت المعركة جاء العبد وحشي إلى هند بنت عتبة بعد اغتيال سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه وقال لها: ماذا لي إن قتلت قاتل أبيك؟ فقالت: سلبي.

فأكد لها بأنه قد اغتال حمزة رضي الله عنه.

فأعطته ثيابها وحليها، ووعدته أنها إذا وصلت مكة ستدفع له مكافأة نقدية ذهبية كبيرة، ثم قادها العبد القاتل المغتال، إلى حيث صُرع أسد الله وأسد رسوله، فعمدت في وحشية وقسوة إلى بطن حمزة رضي الله عنه

فبقرتها ثم انتزعت كبده، وأخذت تتشفى بالنظر إليها والدم ينساب من بين أصابعها التي أرعشها الغيظ الجاهلي والحنق الوثني، وكانت هند نذرت في الجاهلية إن قدرت على حمزة ﷺ لتأكلن من كبده؛ ولذلك قضمتها وأخذت تلوكها لتبتلعها ولكنها لم تستسغها فلفظتها. [السيرة الحلبية ٢/ ٣٧].

ويقول بعض المؤرخين: إن هندًا انتزعت أحشاء الشهيد حمزة ﷺ وجعلت منها إكليلًا، وقطعت أذنيه وجدعت أنفه، ثم جعلت ذلك كالسوار في يديها وقلائد في عنقها واستمرت كذلك حتى قدمت مكة. [السيرة الحلبية ٢/ ٣٧].

وهذا عمل يمثل أحط أنواع الوحشية والهمجية والقسوة، ولا يستبعد صدوره من امرأة موتورة كانت تدين دين الجاهلية.

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ:... فَنَظَرُوا فَإِذَا حَمْزَةُ ﷺ قَدْ بُقِرَ بَطْنُهُ، وَأَخَذَتْ هِنْدُ كَبِدَهُ فَلَاكَتْهَا، فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَأْكُلَهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَأَكَلَتْ مِنْهُ شَيْئًا؟**» قَالُوا: لَا، قَالَ: «**مَا كَانَ اللهُ لِيُدْخِلَ شَيْئًا مِنْ حَمْزَةَ النَّارَ**»، فَوَضَعَ رَسُولُ الله ﷺ، حَمْزَةَ، فَصَلَّى عَلَيْهِ، وَجِيءَ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَوُضِعَ إِلَى جَنْبِهِ، فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَرُفِعَ الْأَنْصَارِيُّ، وَتُرِكَ حَمْزَةُ، ثُمَّ جِيءَ بِآخَرَ فَوَضَعَهُ إِلَى جَنْبِ حَمْزَةَ فَصَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ رُفِعَ، وَتُرِكَ حَمْزَةُ حَتَّى صَلَّى عَلَيْهِ يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ صَلَاةً.

[مسند أحمد ٧/ ٤١٨-٤١٩ رقم ٤٤١٤، وقال الشيخ الأرناؤوط: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَوَقَعَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ، كَمَا حَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ، وَالنِّسْوَةُ اللَّاتِي مَعَهَا، يُمَثِّلْنَ بِالقَتْلَى مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ يَجْدَعْنَ الآذَانَ وَالأُنُفَ حَتَّى اتَّخَذَتْ هِنْدُ مِنْ آذَانِ الرِّجَالِ وَآنُفِهِمْ خَدَمًا (خلاخيل) وَقَلَائِدَ، وَأَعْطَتْ خَدَمَهَا وَقَلَائِدَهَا وَقِرَطَتَهَا وَحْشِيًّا، غُلَامَ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، وَبَقَرَتْ (شقَّت) عَنْ كَبِدِ حَمْزَةَ، فَلَاكَتْهَا (مضغتها)، فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُسِيغَهَا (تبتلعها)، فَلَفَظَتْهَا (طرحتها)، ثُمَّ عَلَتْ عَلَى صَخْرَةٍ مُشْرِفَةٍ فَصَرَخَتْ بِأَعْلَى صَوْتِهَا فَقَالَتْ:

نَحْنُ جَزَيْنَاكُمْ بِيَوْمِ بَدْرٍ ... وَالحَرْبُ بَعْدَ الحَرْبِ ذَاتِ سُعْرٍ (١)
مَا كَانَ عَنْ عُتْبَةَ لِي مِنْ صَبْرٍ ... وَلَا أَخِي وَعَمِّهِ وَبَكْرِي (٢)
شَفَيْتُ نَفْسِي وَقَضَيْتُ نَذْرِي ... شَفَيْتَ وَحْشِيُّ غَلِيلَ صَدْرِي (٣)
مَا كَانَ عَنْ عُتْبَةَ لِي مِنْ صَبْرِ ... حَتَّى تَرُمَّ أَعْظُمِي فِي قَبْرِي (٤)

---

(١) **السعر** (بضمتين وسكن للشعر): الالتهاب.
(٢) عتبة بن ربيعة هو والد هند، قتله حمزة ﷺ برازًا يوم بدر، وبكرها تعني به ابنها حنظلة بن أبي سفيان الذي قتله المسلمون يوم بدر.
(٣) **الغليل**: العطش، أو حرارة الجوف.
(٤) **ترم**: تبلى وتفتت.

فَأَجَابَتْهَا هِنْدُ بِنْتُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ المطَّلِبِ (١)، فَقَالَتْ:

خَزِيتِ فِي بَدْرٍ وَبَعْدَ بَدْرِ ... يَا بِنْتَ وَقَّاعٍ عَظِيمِ الكُفْرِ (٢)

صَبَّحَكِ اللهُ غَدَاةَ الفَجْرِ ... مَلهَاشِمَيِّيْنَ الطِّوَالِ الزُّهْرِ (٣)

بِكُلِّ قَطَّاعٍ حُسَامٍ يَفْرِي ... حَمْزَةُ لَيْثِيٌّ وَعَلِيٌّ صَقْرِي (٤)

إِذْ رَامَ شَيْبٌ وَأَبُوكِ غَدْرِي ... فَخَضَّبَا مِنْهُ ضَوَاحِي النَّحْرِ (٥)

وَنَذْرُكِ السُّوءَ فَشَرُّ نَذْرِ

[السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٩١-٩٢].

ويحك اكتمها عني:

وبينما كان بعض الرجال من المشركين يمثلون بالشهداء، كان القائد العام أبو سفيان يتجول في ميدان المعركة ومعه كبار قادة الجيش المكي، لمعرفة عدد القتلى من الفريقين والتعرف عليهم.

وبينما هو يتجول كذلك إذ مر بجثمان سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ﷺ، وكان أبو سفيان ـ كزوجه ـ موتورًا منه، فوضع زج الرمح في شدقه وأخذ يضربه.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ كَانَ الحُلَيْسُ بْنُ زَبَّانٍ أَخُو بَنُو الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدُ الأُحَابَيْشِ، قَدْ مَرَّ بِأَبِي سُفْيَانَ وَهُوَ يَضْرِبُ فِي شَدْقِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ المطَّلِبِ ﷺ بِزُجِّ الرُّمْحِ، وَيَقُولُ: **ذُقْ عُقَقُ** (أي عاق)، فَقَالَ الحُلَيْسُ: **يَا بَنِي كِنَانَةَ هَذَا سَيِّدُ قُرَيْشٍ** (يعني أبا سفيان) **يَصْنَعُ بِابْنِ عَمِّهِ** (وذلك أن أبا سفيان يلتقي بحمزة في عبد مناف الذي هو جد بني أمية وبني هاشم) **مَا تَرَوْنَ لَحَمًا؟** (**أي: ميتًا لا يقدر على الانتصار**)، فَقَالَ: **وَيْحَكَ اُكْتُمْهَا عَنِّي، فَإِنَّهَا كَانَتْ زَلَّةً**. [السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٩٣].

وكان التمثيل بالقتلى وتشويه جثث الأعداء حتى في الجاهلية أمرًا يعيبه العرب ويستهجنونه.

الفخر الجاهلي والعزة الإسلامية:

وبعد أن شفى المشركون غليلهم بالتمثيل بجثث شهداء الإسلام، وعرفوا مبلغ خسارة الفريقين من القتلى قرروا الانصراف، فأصدر القائد أبو سفيان أوامره بذلك إلى الجيش فتجهز.

---

(١) هي هند بنت أُثاثة بن عباد بن عبد المطلب بن عبد مناف، شاعرة قرشية اشتهرت في الجاهلية، أسلمت بعد غزوة بدر الكبرى، ولها أخبار في يوم خيبر، وقد تزوجت أبا جندب، وولدت له ابنته ريطة، وهند هذه هي أخت مسطح الذي جاء ذكره في حديث الإفك، توفيت هند هذه سنة ١٠ هـ. غزوة أحد لباشميل ص ١٧٣.

(٢) **الوقاع**: الكثير الوقوع في الدنيا.

(٣) **ملهاشميين**، أراد: من الهاشميين، فحذف النون من (من) لالتقاء الساكنين، ولا يجوز ذلك إلا في (من) وحدها لكثرة استعمالها، والزهر: البيض، الواحد: أزهر.

(٤) **الحسام**: السيف القاطع. **يفري**: يقطع.

(٥) **شيب**: أرادت شيبة، فرخمته في غير النداء. **ضواحي النحر**: ما ظهر من الصدر.

وكان أبو سفيان حتى أن وضعت الحرب أوزارها على غير علم تام بحقيقة مصير النبي ﷺ وكبار هيئة أركان حربه بعد الانتكاسة، وكان في شك من خبر مقتل النبي ﷺ الذي أشاعه ابن قمئة بين جند مكة.

وقبل أن ينصرف أبو سفيان بجيش مكة من أُحد صعد إلى جبل قريب من المسلمين وأشرف منه ليفتخر على المسلمين، ويبدي لهم اغتباطه بما أصابهم في المعركة.

عَنْ الْبَرَاءِ ﷺ قَالَ: «... وَأَشْرَفَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: **أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟** [ثَلَاثَ مَرَّاتٍ]، فَقَالَ ﷺ: «**لَا تُجِيبُوهُ**» [فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُجِيبُوهُ]، فَقَالَ: **أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟** [ثَلَاثَ مَرَّاتٍ]، قَالَ ﷺ: «**لَا تُجِيبُوهُ**»، فَقَالَ: **أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ؟** [ثَلَاثَ مَرَّاتٍ]، [ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ] فَقَالَ: **إِنَّ [أَمَّا] هَؤُلَاءِ [فَقَدْ] قُتِلُوا، فَلَوْ كَانُوا أَحْيَاءً لَأَجَابُوا**، فَلَمْ يَمْلِكْ [فَمَا مَلَكَ] عُمَرُ ﷺ نَفْسَهُ، فَقَالَ: **كَذَبْتَ [وَاللهِ] يَا عَدُوَّ اللهِ! [إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لَأَحْيَاءٌ كُلُّهُمْ]، أَبْقَى اللهُ عَلَيْكَ مَا يُخْزِيكَ [وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوؤُكَ]**، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: **اعْلُ هُبَلُ**، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَجِيبُوهُ**» [«**أَلَا تُجِيبُوا لَهُ**»]، قَالُوا: **[يَا رَسُولَ اللهِ] مَا نَقُولُ؟** قَالَ ﷺ: «**قُولُوا: اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ**»، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: **[إِنَّ] لَنَا الْعُزَّى وَلَا عُزَّى لَكُمْ**، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَجِيبُوهُ**»[«**أَلَا تُجِيبُوا لَهُ**»]، قَالُوا: **[يَا رَسُولَ اللهِ] مَا نَقُولُ؟** قَالَ ﷺ: «**قُولُوا: اللهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ**»، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: **يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ، وَتَجِدُونَ [إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ فِي الْقَوْمِ] مُثْلَةً لَمْ آمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسُؤْنِي**».

[البخاري في المغازي (٤٠٤٣)، وفي الجهاد والسير (٣٠٣٩)، وأبو داود في الجهاد (٢٦٦٢)، ومسند أحمد ٣٠/ ٥٥٤-٥٥٥ رقم ١٨٥٩٣].

وعَنْ ابنِ عَبَّاسٍ ﷺ: «... قَالَ: فَمَكَثَ سَاعَةً فَإِذَا أَبُو سُفْيَانَ يَصِيحُ فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ: **اعْلُ هُبَلُ!** مَرَّتَيْنِ -يَعْنِي آلِهَتَهُ- **أَيْنَ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ؟ أَيْنَ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ أَيْنَ ابْنُ الْخَطَّابِ؟** فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: **يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا أُجِيبُهُ؟** قَالَ: **بَلَى**، فَلَمَّا قَالَ: **اعْلُ هُبَلُ**، قَالَ عُمَرُ ﷺ: **اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ**، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: **يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنَّهُ قَدْ أَنْعَمَتْ عَيْنُهَا**[1]، **فَعَادِ عَنْهَا أَوْ فَعَالِ عَنْهَا** (تجاف عنها ولا تذكرها بسوء، يعني آلهتهم)، فَقَالَ: **أَيْنَ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ؟ أَيْنَ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ أَيْنَ ابْنُ الْخَطَّابِ؟** فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: **هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهَذَا أَبُو بَكْرٍ، وَهَا أَنَا ذَا عُمَرُ**، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: **يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، الْأَيَّامُ دُوَلٌ، وَإِنَّ الْحَرْبَ سِجَالٌ** (أي: نوب، والسجل: الدلو.. فكأنه شبه المتحاربين بالمستقيين، يستقي هذا دلوًا، وهذا دلوًا) [**وَحَنْظَلَةُ بِحَنْظَلَةَ** (يعني حنظلة بن أبي عامر بحنظلة بن أبي سفيان)]، فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: **لَا سَوَاءَ، قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ، وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ**، قَالَ: **إِنَّكُمْ لَتَزْعُمُونَ**

---

(١) قال ابن الأثير: «كَانَ الرَّجُلُ مِنْ قُرَيْشٍ إِذَا أرادَ ابْتِدَاء أمْرٍ عَمَد إِلَى سَهْمَين فكتب عَلَى أَحَدِهما: نَعَم، وَعَلَى الآخَر: لَا، ثُمَّ يتقدَّم إِلَى الصنَّمَ ويُجِيل سِهامَه، فإِنْ خرَج سَهْم نَعَم أقْدَم، وَإِنْ خرج سهْم لَا امْتَنَع، وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ لَـمَّا أرادَ الخُروج إِلَى أُحُدٍ استَفْتَى هبلَ، فخرَج لَهُ سَهْمُ الإنْعام، فَذَلِكَ قولُه لِعُمر: «انْعَمَتْ، فعَالِ عَنْهَا». النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٢٩٤.

ذَلِكَ! لَقَدْ خِبْنَا إِذَنْ وَخَسِرْنَا، ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: **أَمَا إِنَّكُمْ سَوْفَ تَجِدُونَ فِي قَتْلَاكُمْ [عَيْثًا (الإفساد)] ومُثْلًا، وَلَمْ يَكُنْ ذَاكَ عَنْ رَأْيِ سَرَاتِنَا**، قَالَ: **ثُمَّ أَدْرَكَتْهُ حَمِيَّةُ الجَاهِلِيَّةِ فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَانَ ذَاكَ، وَلَمْ نَكْرَهْهُ.**

[مسند أحمد ٤/ ٣٦٨ رقم ٢٦٠٩، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٢٤ كتاب تفسير القرآن رقم ٣١٦٣، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي، والمعجم الكبير للطبراني ١٠/ ٣٠١ رقم ١٠٧٣١، والمغازي للواقدي ١/ ٢٩٦-٢٩٧].

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ:... فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: **اعْلُ هُبَلُ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قُولُوا: اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ**»، فَقَالُوا: **اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ**، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: **لَنَا عُزَّى، وَلَا عُزَّى لَكُمْ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قُولُوا: اللهُ مَوْلَانَا، وَالْكَافِرُونَ لَا مَوْلَى لَهُمْ**»، ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: **يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ يَوْمٌ لَنَا، وَيَوْمٌ عَلَيْنَا، وَيَوْمٌ نُسَاءُ، وَيَوْمٌ نُسَرُّ، حَنْظَلَةُ بِحَنْظَلَةَ، وَفُلَانٌ بِفُلَانٍ، وَفُلَانٌ بِفُلَانٍ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا سَوَاءً، أَمَّا قَتْلَانَا فَأَحْيَاءٌ يُرْزَقُونَ، وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ يُعَذَّبُونَ**»، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: **قَدْ كَانَتْ فِي الْقَوْمِ مُثْلَةٌ، وَإِنْ كَانَتْ لَعَنْ غَيْرِ مَلَأٍ مِنَّا، مَا أَمَرْتُ وَلَا نَهَيْتُ، وَلَا أَحْبَبْتُ، وَلَا كَرِهْتُ، وَلَا سَاءَنِي، وَلَا سَرَّنِي.**

[مسند أحمد ٧/ ٤١٨-٤١٩ رقم ٤٤١٤، وقال الشيخ الأرناؤوط: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه].

«ثُمَّ قَالَ أبو سفيان: **قُمْ إِلَيَّ يَا بْنَ الخَطَّابِ أُكَلِّمْكَ**، فَقَامَ عُمَرُ ﷺ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: **أَنْشُدُكَ بِدِينِكَ، هَلْ قَتلنَا مُحَمَّدًا؟** قَالَ عُمَرُ ﷺ: **اللَّهُمَّ لا، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ كَلامَكَ الآنَ**، قَالَ: **أَنْتَ عِنْدِي أَصْدَقُ مِنْ ابْنِ قَمِيئَةَ** - وَكَانَ ابْنُ قَمِيئَةَ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ قَتَلَ النَّبِيَّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ، وَرَفَعَ صَوْتَهُ: **إِنَّكُمْ وَاجِدُونَ فِي قَتْلاكُمْ مَثْلًا، أَلا إِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ عَنْ رَأْيِ سَرَاتِنَا**، ثُمَّ أَدْرَكَتْهُ حَمِيَّةُ الجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: **أَمَّا إِذْ كَانَ ذَلِكَ فَلَمْ نَكْرَهْهُ**، ثُمَّ نَادَى: **أَلا إِنَّ مَوْعِدَكُمْ بَدْرٌ الصَّفْرَاءُ عَلَى رَأْسِ الحَوْلِ!** فَوَقَفَ عُمَرُ ﷺ وَقْفَةً يَنْتَظِرُ مَا يَقُولُ رَسُولُ الله ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قُلْ نَعَمْ**»، فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: **نَعَمْ!**».

[المغازي للواقدي ١/ ٢٩٦-٢٩٧، والسيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٩٣-٩٤].

وكان هذا التواعد آخر حديث يوجهه أبو سفيان إلى المسلمين من على رأس الجبل بعد معركة أُحد.

الجيش المكي ينسحب:

وبعد هذا مباشرة هبط أبو سفيان من الجبل وانسحب بجيشه إلى مكة.

وبهذا اختتم آخر فصل من فصول معركة أُحد الرهيبة الدامية التي امتحن الله فيها المسلمين وميزت شدائدها ونكباتها الطيب من الخبيث: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

مراقبة تحركات العدو:

وبعد أن تحرك جيش مكة وأخذ في الانسحاب من نقطة أُحد انتدب الرسول ﷺ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (١) ليقوم بعملية الاستكشاف، وأمره بأن يتعقب جيش مكة ويراقب حركاته وإلى أين يتجه.

أيتجه إلى المدينة التي لا تبعد عن مكان المعركة أكثر من ميلين لمهاجمتها أم يتجه إلى مكة؟

وقد أكد الرسول ﷺ كقائد خبير مطلع لهيئة أركان حربه، بأن المشركين، إن ركبوا الخيل وجنبوا الإبل فهم يريدون مهاجمة المدينة، وإن جنبوا الخيل وركبوا الجمال، فهم عازمون على الانسحاب إلى مكة رأسًا.

ثم أبلغ جيشه بأنه مصمم على منازلة الجيش المكي، والحيلولة بينه وبين احتلال المدينة إن هو اعتزم ذلك». [**غزوة أُحد لباشميل ١٨١**].

قال الواقدي: «ثُمَّ انْصَرَفَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَأَخَذُوا فِي الرَّحِيلِ، فَأَشْفَقَ رَسُولُ الله ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ، فَاشْتَدَّتْ شَفَقَتُهُمْ مِنْ أَنْ يُغِيرَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى الْمَدِينَةِ فَتَهْلِكَ الذَّرَارِيُّ وَالنِّسَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه: «**ائْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ إِنْ رَكِبُوا الإِبِلَ وَجَنَّبُوا الْخَيْلَ فَهُوَ الظَّعْنُ، وَإِنْ رَكِبُوا الْخَيْلَ وَجَنَّبُوا الإِبِلَ فَهِيَ الْغَارَةُ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ سَارُوا إِلَيْهَا لأَسِيرَنَّ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ لأُنَاجِزَنَّهُمْ**».

قَالَ سَعْدٌ رضي الله عنه: فَوَجَّهْتُ أَسْعَى، وَأَرْصَدْتُ فِي نَفْسِي إِنْ أَفْزَعَنِي شَيْءٌ رَجَعْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَنَا أَسْعَى، فَبَدَأْتُ بِالسَّعْيِ حِينَ ابْتَدَأْتُ، فَخَرَجْتُ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالعَقِيقِ، وَكُنْتُ حَيْثُ أَرَاهُمْ وَأَتَأَمَّلُهُمْ، فَإِذَا هُمْ قَدْ رَكِبُوا الإِبِلَ وَجَنَّبُوا الخَيْلَ، فَقُلْتُ: إِنَّهُ الظَّعْنُ إِلَى بِلادِهِمْ، فَوَقَفُوا وَقْفَةً بِالعَقِيقِ وَتَشَاوَرُوا فِي دُخُولِ المَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُمْ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ: **قَدْ أَصَبْتُمْ القَوْمَ فَانْصَرِفُوا، فَلا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ وَأَنْتُمْ كَالُّونَ وَلَكُمْ الظَّفَرُ، فَإِنَّكُمْ لا تَدْرُونَ مَا يَغْشَاكُمْ، قَدْ وَلَّيْتُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، وَاللهِ مَا تَبِعُوكُمْ وَالظَّفَرُ لَهُمْ،** فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**نَهَاهُمْ صَفْوَانُ**».

فَلَـمَّا رَآهُمْ سَعْدٌ رضي الله عنه عَلَى تِلكَ الحَالِ مُنْطَلِقِينَ قَدْ دَخَلُوا فِي الْمُكَيْمِنِ (تصغير مكمن، ويُقال: مكيمن الجماء، وهو الجبل المتصل بجماء تضارع ببطن العقيق) رَجَعَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ كَالْمُنْكَسِرِ، فَقَالَ: **وَجَّهَ**

(١) في السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٩٣ أن الذي انتدبه رسول الله ﷺ هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال الصالحي في سبل الهدى والرشاد ٤/ ٣٢٥: «وقال عروة، ومحمد بن عمر (الواقدي)، وابن عائذ: سعد بن أبي وقاص»، والحديث سيأتي برواية أخرى رواها البزار وأوردها الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢١٩ كتاب المناقب باب جامع في مناقب سعد رضي الله عنه رقم ١٤٨٥٨، وقال الهيثمي: رواه البزار وإسناده حسن، وهو ما اختاره ورجحه الدكتور الخالدي في كتابه عن سعد رضي الله عنه ص ١٤٩-١٥٢.

القَوْمُ يَا رَسُولَ الله إِلَى مَكَّةَ، امْتَطَوْا الإِبِلَ، وَجَنَّبُوا الخَيْلَ، فَقَالَ: «**مَا تَقُولُ؟**»، **فَقُلْتُ ذَلِكَ**، ثُمَّ خَلا بِي، فَقَالَ: «**حَقًّا مَا تَقُولُ؟**»، قُلْتُ: **نَعَمْ يَا رَسُولَ الله**، فَقَالَ: «**مَا لِي رَأَيْتُكَ مُنْكَسِرًا؟**»، قَالَ: فَقُلْتُ: **كَرِهْتُ أَنْ آتِيَ المُسْلِمِينَ فَرِحًا بِقُفُولِهِمْ إِلَى بِلادِهِمْ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ سَعْدًا لَـمُجَرِّبٌ**».

[المغازي للواقدي ١/ ٢٩٧-٢٩٩].

وعن سعدٍ ﵁ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ الله ﷺ أَسْتَخْبِرُ لَهُ خَبَرَ قَوْمٍ، فَذَهَبْتُ وَأَنَا أَسْعَى حَتَّى صِرْتُ إِلَى القَوْمِ، ثُمَّ جِئْتُ وَأَنَا أَمْشِي عَلَى هَيْئَتِي [هَيْنَتِي] حَتَّى صِرْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «**ذَهَبْتَ شَدِيدًا، ثُمَّ جِئْتَ عَلَى هَيْئَتِكَ [هَيْنَتِكَ]؟**» - أَوْ كَمَا قَالَ - فَقُلْتُ: **يَا رَسُولَ الله، إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَسْعَى فَيَظُنَّ بِي القَوْمُ أَنِّي قَدْ فَرِقْتُ (خِفْتُ)**، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ سَعْدًا لَـمُجَرِّبٌ**». [مجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ٢١٩ كتاب المناقب (١٤٨٥٨)، وقال الهيثمي: رواه البزار [مسند البزار ٣/ ٣١٢ رقم ١١٠٥]، وإسناده حسن].

المبحث الثاني

الرسول ﷺ في أرض المعركة بعد انسحاب المشركين

الرسول ﷺ يتفقد القتلى والجرحى:

وبعد أن تأكد الرسول ﷺ من إحجام المشركين عن مهاجمة المدينة، انصرف إلى التحقيق في نتائج المعركة والتعرف على من استشهد من أصحابه.

فخرج وخرج المسلمون معه من معتصمهم في الجبل للنظر في شؤون الضحايا من الشهداء، وإنقاذ مَنْ يمكن إنقاذه من الجرحى، وتجهيز الذين قضوا نحبهم وإيداعهم مقرهم الأخير».

[غزوة أُحد لباشميل ١٨٦].

سعد بن الربيع رضي الله عنه:

وعلى وجه الخصوص أمر النبي ﷺ بالتحقيق في مصير البطل سعد بن الربيع رضي الله عنه أحد قادة الأنصار المشهورين: أهو في الأحياء أم في الأموات؟

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: بَعَثَنِي رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ لِطَلَبِ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ رضي الله عنه، وَقَالَ لِي: «**إِنْ رَأَيْتَهُ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلامَ، وَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ رَسُولُ الله ﷺ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟**»، قَالَ: فَجَعَلتُ أَطُوفُ بَيْنَ القَتْلَى فَأَصَبْتُهُ وَهُوَ فِي آخِرِ رَمَقٍ (بقية الروح وآخر النفس)، وَبِهِ سَبْعُونَ ضَرْبَةٍ: مَا بَيْنَ طَعْنَةٍ بِرُمْحٍ، وضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ، وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا سَعْدُ، إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ، وَيَقُولُ لَكَ: «**خَبِّرْنِي كَيْفَ تَجِدُكَ؟**»، قَالَ: عَلَى رَسُولِ الله ﷺ السَّلامُ، وعليك السَّلامُ، **قُل لَهُ: يا رَسُولَ الله ﷺ، أَجِدُنِي أَجِدُ رِيحَ الجَنَّةِ، وَقُلْ لِقَوْمِي الأَنْصَارِ: لا عُذْرَ لَكُمْ عِنْدَ الله أَنْ يُخْلَصَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَفِيكُمْ شُفْرٌ** (منبت شعر الجفن، ومعنى العبارة: وفيكم جفن يطرف) **يَطْرِفُ!** قَالَ: وَفَاضَتْ نَفْسُهُ رَحِمَهُ اللهُ.

[المستدرك للحاكم في معرفة الصحابة رضي الله عنهم ٣/ ٢٢١ رقم ٤٩٠٦، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. ودلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٢٦٩، ٣٣٥. وأورد الشيخ العلي طرقه، ثم قال: وبهذه الطرق يكون الحديث صحيحًا. صحيح السيرة النبوية للعلي ص ٢١٨].

عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ؛ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ**»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، يَا رَسُولَ الله، فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَطُوفُ بَيْنَ الْقَتْلَى، فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: بَعَثَنِي رَسُولُ الله إِلَيْكَ، لِآتِيَهُ بِخَبَرِكَ، قَالَ: فَاذْهَبْ إِلَيْهِ، فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُ أَنِّي قَدْ طُعِنْتُ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ طَعْنَةً، وَأَنِّي قَدْ أُنْفِذَتْ مَقَاتِلِي (أي: فأنا في الأموات)، وَأَخْبِرْ قَوْمَكَ أَنَّهُ لاَ عُذْرَ لَهُمْ عِنْدَ الله، إِنْ قُتِلَ رَسُولُ الله ﷺ، وَوَاحِدٌ مِنْهُمْ حَيٌّ. **[موطأ مالك في الجهاد ت عبد الباقي ٢/ ٤٦٥ رقم ٤١، وقال الشيخ الشامي: إسناده معضل. وينظر: ١٨٦٢، ١٥٥٧١. جامع الأصول التسعة من السنة المطهرة ١٢/ ٢٨٧].**

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي مَازِنٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَامَ يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: «**أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَإِنَّ آخِرَ عَهْدِي بِهِ أَنِّي رَأَيْتُهُ بِمَلَاذِ الْجَبَلِ، وَقَدْ شُرِعَتْ إِلَيْهِ الرِّمَاحُ**» فَقَامَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَانْطَلَقَ فَوَجَدَهُ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: اقْرَأْ عَلَى رَسُولِ اللهِ السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُ أَنِّي قَدْ طُعِنْتُ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ طَعْنَةً، وَقَدْ أُنْفِذَتْ مَقَاتِلِي كُلُّهَا، وَاقْرَأْ عَلَى قَوْمِكَ السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُمْ إِنَّ سَعْدَ بْنَ الرَّبِيعِ يَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَا عُذْرَ لَكُمْ إِنْ قُتِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ أَحَدٌ، وَأُصِيبَ سَعْدٌ فَأَوْصَى إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ، فَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَبِنْتُ سَعْدٍ عَلَى بَطْنِهِ وَهُوَ يَشُمُّهَا فَقَالَ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ، ابْنَتُكَ هَذِهِ؟ قَالَ: لَا، بَلِ ابْنَةُ رَجُلٍ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، قَالَ الرَّجُلُ: مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ، كَانَ مِنَ النُّقَبَاءِ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ. [**سنن سعيد بن منصور ٢/ ٣٥١ رقم ٢٨٤٢**].

وقال الواقدي: «وَقَالُوا: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ سَعْدِ بْنِ رَبِيعٍ؟ فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُهُ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْ الْوَادِي - وَقَدْ شَرَعَ فِيهِ اثْنَا عَشَرَ سِنَانًا**».

قَالَ: فَخَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ - وَيُقَالُ: أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ - فَخَرَجَ نَحْوَ تِلْكَ النَّاحِيَةِ، قَالَ: وَأَنَا وَسْطَ الْقَتْلَى أَتَعَرَّفُهُمْ، إِذْ مَرَرْتُ بِهِ صَرِيعًا فِي الوَادِي، فَنَادَيْتُهُ فَلَمْ يُجِبْ، ثُمَّ قُلْتُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ! فَتَنَفَّسَ كَمَا يَتَنَفَّسُ الكِيرُ (زق ينفخ فيه الحداد)، ثُمَّ قَالَ: **وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ لَحَيٌّ**؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَقَدْ أَخْبَرَنَا أَنَّهُ شُرِعَ لَكَ اثْنَا عَشَرَ سِنَانًا، قَالَ: **طُعِنْتُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ طَعْنَةً كُلُّهَا أَجَافَتْنِي** (وصلت إلى جوفه)؛ **أَبْلِغْ قَوْمَكَ الأَنْصَارَ السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُمْ: اللهَ اللهَ! وَمَا عَاهَدْتُمْ عَلَيْهِ رَسُولَ اللهِ لَيْلَةَ العَقَبَةِ! وَاللهِ مَا لَكُمْ عُذْرٌ عِنْدَ اللهِ إِنْ خُلِصَ إِلَى نَبِيِّكُمْ وَمِنْكُمْ عَيْنٌ تَطْرِفُ**! وَلَمْ أَرِمْ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى مَاتَ.

قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ اسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ رَافِعًا يَدَيْهِ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ الْقَ سَعْدَ بْنَ الرَّبِيعِ وَأَنْتَ عَنْهُ رَاضٍ**». [المغازي للواقدي ١/ ٢٩٢-٢٩٣].

أغيظ موقف يقفه الرسول ﷺ في حياته:

وأثناء تفقد القتلى، بحث رسول الله ﷺ عن عمه حمزة بن عبد المطلب ﷺ فوجده ببطن وادي قناة قد مَثَّل به المشركون أشنع تمثيل، حيث فُتحت بطنه وانتزعت كبده من بين جنبيه للتشفي.

فكان منظرًا مريعًا لم يكن أوجع منه لقلب رسول الله ﷺ كما صرح هو بذلك.

فقد كان حمزة ﷺ عم النبي ﷺ وأخاه في الرضاعة، وكان فوق ذلك كله رجلًا يُعد بالآلاف في المعارك، وكان مثلًا عاليًا للشهامة والنجدة والنُّبل، وكان عضد رسول الله ﷺ عندما يستعر لهيب الحرب، فكان الإسلام يوم مقتل حمزة ﷺ في أمس الحاجة إلى أمثاله من القادة الشجعان؛ لأن الأخطار العسكرية كانت تكتنف الدعوة الإسلامية الناشئة من كل جانب.

فكان مصرع حمزة ﷺ - بحق - يوم ذاك خسارة عسكرية فادحة بالنسبة للمسلمين، ولم ينل رسول الله ﷺ من الحزن مثل ما ناله يوم أن وقف على جثمان عمه البطل الشهيد ﷺ». [غزوة أُحد لباشميل ١٨٩].

قال ابن حجر: وَذَكَرَ اِبْنُ إِسْحَاق قَالَ: «حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن جَعْفَر بْن الزُّبَيْر قَالَ: خَرَجَ رَسُول الله ﷺ يَلْتَمِس حَمْزَةَ ﷺ، فَوَجَدَهُ بِبَطْنِ الوَادِي قَدْ مُثِّل بِهِ، فَقَالَ: «**لَوْلَا أَنْ تَحْزَنَ صَفِيَّةُ - يَعْنِي بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِب - وَتَكُونُ سُنَّةً بَعْدِي لَتَرَكْتُهُ حَتَّى يُحْشَرَ مِنْ بُطُونِ السِّبَاعِ وَحَوَاصِلِ الطَّيْرِ**»، زَادَ اِبْن هِشَام قَالَ: «**وَقَالَ لَنْ أُصَابَ بِمِثْلِكَ أَبَدًا، مَا وَقَفْتُ مَوْقِفًا قَطُّ أَغْيَظَ إِلَيَّ مِنْ هَذَا**»، وَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ المطَّلِبِ مَكْتُوبٌ فِي أَهْلِ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المطَّلِب، أَسَدُ الله وَأَسَدُ رَسُولِه**».

وَرَوَى البَزَّارُ وَالطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ فِيهِ ضَعْفٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لـمَّا رَأَى حَمْزَةَ قَدْ مُثِّلَ بِهِ قَالَ: «**رَحْمَةُ الله عَلَيْكَ، لَقَدْ كُنْتَ وَصُولًا لِلرَّحِمِ، فَعُولًا لِلخَيْرِ، وَلَوْلَا حُزْنُ مَنْ بَعْدِكَ لَسَرَّنِي أَنْ أَدَعَكَ حَتَّى تُحْشَرَ مِنْ أَجْوَافٍ شَتَّى**»، ثُمَّ حَلَفَ وَهُوَ بِمَكَانِهِ «**لَأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ مِنْهُمْ**»، فَنَزَلَ القُرْآنُ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾[النحل: ١٢٦] الآيَة».

وَعِنْدَ عَبْدِ الله بْنِ أَحْمَد فِي زِيَادَاتِ الْمُسْنَدِ وَالطَّبَرَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ قَالَ: «مَثَّلَ الـمُشْرِكُونَ بِقَتْلَى الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ الأَنْصَارُ: «**لَئِنْ أَصَبْنَا مِنْهُمْ يَوْمًا مِنْ الدَّهْرِ لَنزِيدَنَّ عَلَيْهِمْ**»، فَلـمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ نَادَى رَجُلٌ: **لَا قُرَيْشَ بَعْدَ اليَوْمِ**، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النحل: ١٢٦] فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كُفُّوا عَنْ القَوْمِ**».

وَعِنْدَ اِبْن مَرْدُوَيْهِ مِنْ طَرِيقِ مُقْسِمٍ عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ ﷺ نَحْوُ حَدِيث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ بِاخْتِصَارٍ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ «فَقَالَ: **بَلْ نَصْبِر يَا رَبِّ**».

وَهَذِهِ طُرُقٌ يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضًا. [فتح الباري ٧/ ٤٣٠].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ [يَوْمَ أُحُدٍ] وَقَفَ عَلَى [نَظَرَ إِلَى] حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ حِينَ اسْتُشْهِدَ [وَقَدْ قُتِلَ وَمُثِّلَ بِهِ]، فَنظَرَ [فَرَأَى] إِلَى مَنْظَرٍ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى مَنْظَرٍ [قَطُّ] أَوْجعَ لِلقَلْبِ مِنْهُ، أَوْ أَوْجَعَ لِقَلْبِهِ مِنْهُ [وَلَا أَوْجَلَ]، وَنَظَرَ إِلَيْهِ وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ فَقَالَ: «**رَحْمَةُ الله عَلَيْكَ، إِنْ [فَقَدْ] كُنْتَ - مَا عَلِمْتُ - لَوَصُولًا لِلرَّحِمِ، فَعُولًا لِلخَيْرِ [لِلْخَيْرَاتِ]، وَالله لَوْلا حُزْنُ مَنْ بَعْدَكَ عَلَيْكَ لَسَرَّنِي أَنْ أَتْرُكَكَ [أَدَعَكَ] حَتَّى يَحْشُرَكَ اللهُ مِنْ بُطُونِ السِّبَاعِ - أَوْ كَلِمَةٌ نَحْوَهَا - [حَتَّى تَجِيءَ مِنْ أَفْوَاجٍ [أَفْوَاهٍ] شَتَّى]**، [ثُمَّ حَلَفَ وَهُوَ وَاقِفٌ مَكَانَهُ] **أَمَا وَالله عَلَى ذَلِكَ لأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ كمِثْلَتِكَ [مَكَانَكَ]**»، فَنزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ [الْقُرْآنُ] عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ [وَهُوَ وَاقِفٌ فِي مَكَانِهِ لَمْ يَبْرَحْ بَعْدُ] بِهَذِهِ السُّورَةِ، وَقَرَأَ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل]، [حَتَّى تُخْتَمَ السُّورَةُ]، فَكَفَّرَ رَسُولُ الله ﷺ،

وَأَمْسَكَ عَنْ ذَلِكَ [عَمَّا أَرَادَ]. [مجمع الزوائد ٦/ ١٧٣، كتاب المغازي والسير (١٠١٠٤)، وقال الهيثمي: رواه البزار [مسند البزار ١٧/ ٢١ رقم ٩٥٣٠] والطبراني [المعجم الكبير ٣/ ١٤٣ رقم ٢٩٣٧]، وفيه صالح بن بشير المري وهو ضعيف، المستدرك على الصحيحين في معرفة الصحابة رضي الله عنهم ٣/ ٢١٨ رقم ٤٨٩٤، وقال الذهبي: صالح واه، وسلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني ٢/ ٥٥٠، وقال: ضعيف].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: لـمَّا وَقَفَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى حَمْزَةَ رضي الله عنه فَنَظَرَ إِلَى مَا بِهِ، قَالَ: «**لَوْلا أَنْ تَحْزَنَ النِّسَاءُ مَا غَيَّبْتُهُ، وَلَتَرَكْتُهُ حَتَّى يَكُونَ فِي بُطُونِ السِّبَاعِ وَحَوَاصِلِ الطُّيُورِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِمَّا هُنَالِكَ**»، قَالَ: وَأَحْزَنَهُ مَا رَأَى بِهِ، فَقَالَ: «**لَئِنْ ظَفَرْتُ بِقُرَيْشٍ لأُمَثِّلَنَّ بِثَلاثِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ**»، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ فِي ذَلِكَ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [النحل]، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَهُيِّئَ إِلَى الْقِبْلَةِ، ثُمَّ كَبَّرَ عَلَيْهِ تِسْعًا، ثُمَّ جَمَعَ عَلَيْهِ الشُّهَدَاءَ كُلَّمَا أُتِيَ بِشَهِيدٍ وُضِعَ إِلَى حَمْزَةَ فَصَلَّى عَلَيْهِ، وَعَلَى الشُّهَدَاءِ مَعَهُ، حَتَّى صَلَّى عَلَيْهِ وَعَلَى الشُّهَدَاءِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ صَلاةً، ثُمَّ قَامَ عَلَى أَصْحَابِهِ حَتَّى وَارَاهُمْ، وَلـمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ عَفَا رَسُولُ الله ﷺ، وَتَجَاوَزَ وَتَرَكَ الْمُثْلَ. [مجمع الزوائد ٦/ ١٧٤، كتاب المغازي والسير (١٠١٠٧)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ١١/ ٦٢ رقم ١١٠٥١]، وفيه أحمد بن أيوب بن راشد وهو ضعيف. وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة رقم ٥٤٨ و ٥٤٩ (ضعيف)].

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن كَعْبِ بن مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَنْ رَأَى مَقْتَلَ حَمْزَةَ؟** (المقتل: الذي أصيب فيه الإنسان)»، قَالَ رَجُلٌ: أَعَزَّكَ اللهُ، أَنَا رَأَيْتُ مَقْتَلَهُ، فَانْطَلَقَ فَوَقَفَ عَلَى حَمْزَةَ رضي الله عنه فَرَآهُ قَدْ شُقَّ بَطْنُهُ، وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، مُثِّلَ بِهِ، فَكَرِهَ رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَوَقَفَ بَيْنَ ظَهْرَانَيِ الْقَتْلَى، وَقَالَ: «**أَنَا لَشَهِيدٌ عَلَى هَؤُلاءِ لُفُّوهُمْ فِي دِمَائِهِمْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مَجْرُوحٌ يُجْرَحُ فِي سَبِيلِ الله إِلا جَاءَ جُرْحُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدْمَى، لَوْنُهُ لَوْنُ الدَّمِ، وَرِيحُهُ رِيحُ الْمِسْكِ، قَدِّمُوا أَكْثَرَ الْقَوْمِ قُرْآنًا فَاجْعَلُوهُ فِي اللَّحْدِ**».

[مجمع الزوائد ٦/ ١٧٢، كتاب المغازي والسير (١٠١٠٣)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ١٩/ ٨٢-٨٣ رقم ١٦٧]، ورجاله رجال الصحيح].

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: لـمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أُصِيبَ مِنْ الأَنْصَارِ أَرْبَعَةٌ وَسِتُّونَ رَجُلًا، وَمِنَ الْمُهَاجِرِينَ سِتَّةٌ، فِيهِمْ حَمْزَةُ رضي الله عنه، فَمَثَّلُوا بِهِمْ [بِقَتْلَاهُمْ]، فَقَالَتْ الأَنْصَارُ: **لَئِنْ أَصَبْنَا مِنْهُمْ يَوْمًا [مِنَ الدَّهْرِ] مِثْلَ هَذَا لَنُرْبِيَنَّ** (لنزيدن) **عَلَيْهِمْ**، قَالَ: فَلَـمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل]، فَقَالَ رَجُلٌ: **لا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كُفُّوا عَنْ الْقَوْمِ إِلا أَرْبَعَةً**».

[الترمذي في تفسير القرآن (٣١٢٨، ٣١٢٩)، وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح الإسناد، وأخرجه أحمد ٣٥/ ١٥٢، ١٥٤ رقم ٢١٢٢٩، ٢١٢٣٠، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن، والحاكم ٢/ ٣٥٩، وابن حبان (١٦٩٥). والمعجم

الكبير للطبراني ٣/ ١٤٣ رقم ٢٩٣٨، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ١٣٥ وزاد نسبته إلى النسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل». وسيأتي تفصيل ذلك في «فتح مكة» من هذا الكتاب].

وبعد نزول هذه الآية عدل رسول الله ﷺ عن عزمه الذي اعتزم به للتمثيل بقتلى العدو، ثم عفا وصبر، بل نهى عن المثلة أيًا كانت وفي أي كان.

عَنْ الهَيَّاجِ بْنِ عِمْرَانَ أَنَّ عِمْرَانَ أَبَقَ لَهُ غُلَامٌ، فَجَعَلَ لله عَلَيْهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيْهِ لَيَقْطَعَنَّ يَدَهُ، فَأَرْسَلَنِي لِأَسْأَلَ لَهُ، فَأَتَيْتُ سَمُرَةَ بْنَ جُنْدُبٍ ﷺ فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: كَانَ نَبِيُّ الله ﷺ يَحُثُّنَا عَلَى الصَّدَقَةِ، وَيَنْهَانَا عَنْ المُثْلَةِ، فَأَتَيْتُ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ ﷺ فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: **كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَحُثُّنَا عَلَى الصَّدَقَةِ، وَيَنْهَانَا عَنْ المُثْلَةِ**». [أبو داود في الجهاد (٢٦٦٧)، وقال الشيخ الألباني: صحيح، ومسند أحمد ٣٣/ ٧٨، ٨٠ رقم ١٩٨٤٤، ١٩٨٤٦، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن].

وروى ابن إسحاق بسند متصل عَنْ سَمُرَةَ بْنَ جُنْدُبٍ ﷺ قَالَ: «**مَا قَامَ رَسُولُ الله ﷺ فِي مَقَامٍ قَطُّ فَفَارَقَهُ حَتَّى يَأْمُرَنَا بِالصَّدَقَةِ، وَيَنْهَانَا عَنِ المُثْلَةِ**». [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٩٧، وقال السهيلي في الروض الأنف، وهو مطبوع مع سيرة ابن هشام ٣/ ١٧٨: (وهو حديث صحيح في النهي عن المثلة)].

وقال ابنُ مَسْعُودٍ ﷺ: مَا رَأَيْنَا رَسُولَ الله ﷺ بَاكِيًا أَشَدَّ مِنْ بُكَائِهِ عَلَى حَمْزَةَ ﷺ، وَضَعَهُ فِي القِبْلَةِ ثُمَّ وَقَفَ عَلَى جَنَازَتِهِ وَانْتَحَبَ حَتَّى نَشِقَ «أَيْ: شَهَقَ» حَتَّى بَلَغَ بِهِ الغَشِيَّ. [السيرة الحلبية ٢/ ٣٣٥].

وعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: لَـمَّا بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ قَتْلُ حَمْزَةَ ﷺ، بَكَى، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ، شَهَقَ.

[مجمع الزوائد ٦/ ١٧١، كتاب المغازي والسير (١٠١٠١)، وقال الهيثمي: رواه البزار [كشف الأستار عن زوائد البزار ٢/ ٣٢٦ رقم ١٧٩٤]، وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل، وهو حسن الحديث على ضعفه].

الغضب لله ولرسوله:

قال الواقدي: «وَجَعَلَ أَبُو قَتَادَةَ ﷺ يُرِيدُ أَنْ يَنَالَ مِنْ قُرَيْشٍ، لِـمَا رَأَى مِنْ غَمِّ رَسُولِ الله ﷺ فِي قَتْلِ حَمْزَةَ ﷺ وَمَا مُثِّلَ بِهِ، كُلُّ ذَلِكَ يُشِيرُ إِلَيْهِ النَّبِي ﷺ أَنْ اجْلِسْ ثَلاثًا ـ وَكَانَ قَائِمًا ـ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَحْتَسِبُكَ عِنْدَ الله**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا أَبَا قَتَادَةَ، إِنَّ قُرَيْشًا أَهْلُ أَمَانَةٍ، مَنْ بَغَاهُمْ العَوَاثِرَ كَبَّهُ اللهُ لِفِيهِ، وَعَسَى إِنْ طَالَتْ بِكَ مُدَّةٌ أَنْ تَحْقِرَ عَمَلَكَ مَعَ أَعْمَالِهِمْ، وَفَعَالَكَ مَعَ فَعَالِهِمْ، لَوْلا أَنْ تَبْطَرَ قُرَيْشٌ لَأَخْبَرْتُهَا بِمَا لَهَا عِنْدَ الله**».

قَالَ أَبُو قَتَادَةَ ﷺ: **وَالله يَا رَسُولَ الله، مَا غَضِبْتُ إِلا لله وَلِرَسُولِهِ حِينَ نَالُوا مِنْهُ مَا نَالُوا!** قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**صَدَقْتَ، بِئْسَ القَوْمُ كَانُوا لِنَبِيِّهِمْ**». [المغازي للواقدي ١/ ٢٩٠-٢٩١، وسبل الهدى والرشاد ٤/ ٢٣٠].

إني أخاف على عقلها:

«وخرجت صفية بنت عبد المطلب ﷺ عمة رسول الله ﷺ وشقيقة حمزة الشهيد ﷺ تطلب أخاها، وقد بلغها ما نزل به، وكان رسول الله ﷺ يعلم حبها العظيم لشقيقها حمزة ﷺ؛ ولذلك خشي على عقلها

أن يزول إن هي رأت ما بجثة أخيها من التشويه الفظيع والمثلة الشنيعة، فطلب من ابنها الزبير بن العوام ﵁ أن يعمل على إرجاعها إلى المدينة، لئلا ترى ما حل بأخيها». **[غزوة أُحد لباشميل ١٩١]**.

وكان ابنها الزبير بن العوام ﵁ يحاول الحيلولة بينها وبين رؤية أخيها، رحمة بها؛ لأنها قد كبرت وأسنت ولكنها قالت: لا أرجع حتى أنظر إليه، فلما سمح لها النبي ﷺ بالنظر إلى جثمان أخيها حمزة ﵁، رأت منظرًا مريعًا تتفتت له الأكباد، رأت أخاها الشاب اليافع البطل معفرًا بالتراب قد فتحت يد الحقد الوثني بطنه وجدعت أنفه وأذنه، ففاضت عيناها بالدموع، فبكت وأبكت، واستغفرت لأخيها في هدوء المؤمن وثبات المسلم، ثم انصرفت، وكان ﷺ يبكي لبكائها.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ أَقْبَلَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ المطَّلِبِ لِتَنْظُرَ إِلَيْهِ (حمزة)، وَكَانَ أَخَاهَا لِأَبِيهَا وَأُمِّهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِابْنِهَا الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ: «**القَهَا فَأَرْجِعْهَا، لَا تَرَى مَا بِأَخِيهَا**»، فَقَالَ لَهَا: **يَا أُمَّهُ، إنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَأْمُرُك أَنْ تَرْجِعِي**، قَالَتْ: **وَلِمَ؟ وَقَدْ بَلَغَنِي أَنْ قَدْ مُثِّلَ بِأَخِي، وَذَلِك فِي الله، فَمَا أَرْضَانَا بِمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ، لَأَحْتَسِبَنَّ وَلَأَصْبِرَنَّ إنْ شَاءَ اللهُ**، فَلَـمَّا جَاءَ الزُّبَيْرُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ قَالَ: «**خَلِّ سَبِيلَهَا**»، فَأَتَتْهُ فَنَظَرَتْ إِلَيْهِ فَصَلَّتْ عَلَيْهِ وَاسْتَرْجَعَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ فَدُفِنَ. **[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٩٧]**.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ قَالَ: «لـمَّا قُتِلَ حَمْزَةُ ﵁ يَوْمَ أُحُدٍ أَقْبَلَتْ صَفِيَّةُ تَطْلُبُهُ لا تَدْرِي مَا صَنَعَ، فَلَقِيَتْ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ، فَقَالَ عَلِيٌّ لِلزُّبَيْرِ: اذْكُرْ لأُمِّكَ، وَقَالَ الزُّبَيْرُ لِعَلِيٍّ: اذْكُرْ أَنْتَ لِعَمَّتِكَ، فَقَالَتَ: مَا فَعَلَ حَمْزَةُ؟ فَأَرَيَاهَا أَنَّهُمَا لا يَدْرِيَانِ، فَجَاءَ [فَجَاءَتِ] النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «**إِنِّي أَخَافُ عَلَى عَقْلِهَا**»، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهَا، وَدَعَا لَهَا، فَاسْتَرْجَعَتْ وَبَكَتْ، ثُمَّ جَاءَ فَقَامَ عَلَيْهِ وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ، فَقَالَ: «**لَوْلا جَزَعُ النِّسَاءِ لَتَرَكْتُهُ حَتَّى يُحْشَرَ مِنْ حَوَاصِلِ الطَّيْرِ وَبُطُونِ السِّبَاعِ**»، ثُمَّ أَمَرَ [أُتِيَ] بِالْقَتْلَى، فَجَعَلَ يُصَلِّي عَلَيْهِمْ، فَيَضَعُ تِسْعَةً [سَبْعَةٌ] وَحَمْزَةَ، فَيُكَبِّرُ عَلَيْهِمْ سَبْعَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ يُرْفَعُونَ وَيُتْرَكُ حَمْزَةُ [مَكَانَهُ]، ثُمَّ دَعَا بِتِسْعَةٍ، فَكَبَّرَ عَلَيْهِمْ سَبْعَ تَكْبِيرَاتٍ، حَتَّى فَرَغَ مِنْهُمْ».

[مجمع الزوائد ٦/ ١٧١، كتاب المغازي والسير (١٠١٠٠)، وقال الهيثمي: رواه البزار [مسند البزار ١٧/ ٢١ رقم ٩٥٣٠عن أبي هريرة ﵁]، والطبراني [المعجم الكبير ٣/ ١٤٢ رقم٢٩٣٥]، وقد روى مسلم في مقدمة كتابه وابن ماجه قصة الصلاة عليهم فقط، وفي إسناد البزار والطبراني يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف. والمستدرك على الصحيحين في معرفة الصحابة ﵃ ٣/ ٢١٨ رقم ٤٨٩٥، وقال الذهبي: سمعه أبو بكر بن عياش من يزيد، قلت: ليسا بمعتمدين].

تكفين ودفن حمزة ﵁:

عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ السَّاعِدِيِّ ﵁، قَالَ: أَنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ عَلَى قَبْرِ حَمْزَةَ بن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﵁، فَجَعَلُوا يَجُرُّونَ النَّمِرَةَ (شملة فيها خطوط بِيضٌ وسُود، أو بُرْدة من صوف تَلْبَسُها الأعراب) عَلَى وَجْهِهِ، فَيَنْكَشِفُ

قَدَمَاهُ، ويَجُرُّونَهَا عَلَى قَدَمَيْهِ فَيَنْكَشِفُ وَجْهُهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اجْعَلُوهَا عَلَى وَجْهِهِ، وَاجْعَلُوا عَلَى قَدَمَيْهِ مِنْ هَذَا الشَّجَرِ**»، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ الله ﷺ رَأْسَهُ، فَإِذَا أَصْحَابُهُ يَبْكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّهُ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَخْرُجُونَ إِلَى الأَرْيَافِ، فَيُصِيبُونَ بِهَا مَطْعَمًا وَمَلْبَسًا وَمَرْكَبًا ـ أَوْ قَالَ: مَرَاكِبَ ـ فَيَكْتُبُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ: هَلُمَّ إِلَيْنَا فَإِنَّكُمْ بِأَرْضِ حِجَازٍ (ليست دار إقامة)، جَدُوبَةٍ (جدبة)، وَالمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، لا يَصْبِرُ عَلَى لأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ إلا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». [مجمع الزوائد في الحج ٣/ ٦٤٦ رقم ٥٧٨٨، وقال الهيثمي: رواه الطبراني الكبير [المعجم الكبير ٣/ ١٤٤ رقم ٢٩٤٠، ١٩/ ٢٦٥ رقم ٥٨٧]، وإسناده حسن. ومجمع الزوائد ٦/ ١٧٣، كتاب المغازي (١٠١٠٥)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني، ورجاله ثقات].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما «أَنَّ حَمْزَةَ كَانَتْ عَلَيْهِ نَمِرَةٌ، فَإِذَا غُطِّيَ بِهَا رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِذَا غُطِّيَتْ رِجْلَاهُ خَرَجَ رَأْسُهُ، فَأَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَغُطِّي رَأْسُهُ، وَجُعِلَ عَلَى رِجْلَيْهِ شَجَرَةٌ وَحِجَارَةٌ».

[المعجم الكبير للطبراني ٣/ ١٤٥ رقم ٢٩٤٢].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَتَى عَلَى حَمْزَةَ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ فَرَآهُ قَدْ مُثِّلَ بِهِ، فَقَالَ: «**لَوْلَا أَنْ تَجِدَ (تحزن وتجزع) صَفِيَّةُ فِي نَفْسِهَا، لَتَرَكْتُهُ حَتَّى تَأْكُلَهُ الْعَافِيَةُ** (كل طالب رزق من أنواع الحيوان، والمراد السباع والطيور التي تأكل الأموات، والجمع العوافي، وكأن ذلك ليتم به الأجر له ويكمل، ويكون كل البدن مصروفًا في سبيله تعالى) ـ وَقَالَ زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ: **تَأْكُلَهُ الْعَاهَةُ ـ حَتَّى يُحْشَرَ مِنْ بُطُونِهَا**»، ثُمَّ قَالَ: دَعَا بِنَمِرَةٍ فَكَفَّنَهُ فِيهَا، قَالَ: وَكَانَتْ إِذَا مُدَّتْ عَلَى رَأْسِهِ بَدَتْ قَدَمَاهُ، وَإِذَا مُدَّتْ عَلَى قَدَمَيْهِ بَدَا رَأْسُهُ.

قَالَ: فَكَثُرَ الْقَتْلَى، وَقَلَّتِ الثِّيَابُ، قَالَ: فَكَانَ يُكَفَّنُ، أَوْ يُكَفِّنُ الرَّجُلَيْنِ ـ شَكَّ صَفْوَانُ ـ، وَالثَّلَاثَةَ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ.

قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَسْأَلُ عَنْ أَكْثَرِهِمْ قُرْآنًا، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى الْقِبْلَةِ.

قَالَ: فَدَفَنَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِمْ.

وَقَالَ زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ: فَكَانَ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ وَالثَّلَاثَةُ يُكَفَّنُونَ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ. [مسند أحمد ١٩/ ٣١١-٣١٢ رقم ١٢٣٠٠، وقال الشيخ الأرناؤوط: حسن لغيره. والمعجم الكبير للطبراني ٣/ ١٤٤ رقم ٢٩٣٩].

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَرَّ بِحَمْزَةَ يَوْمَ أُحُدٍ وَقَدْ جُدِعَ وَمُثِّلَ بِهِ وَقَالَ: «**لَوْلَا أَنَّ صَفِيَّةَ تَجِدُ (تحزن) لَتَرَكْتُهُ حَتَّى يَحْشُرَهُ اللهُ مِنْ بُطُونِ الطَّيْرِ وَالسِّبَاعِ**»، فَكَفَّنَهُ فِي نَمِرَةٍ. [المستدرك على الصحيحين في معرفة الصحابة رضي الله عنهم ٣/ ٢١٦ رقم ٤٨٨٧، وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: كَفَّنَ رَسُولُ الله ﷺ حَمْزَةَ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، قَالَ جَابِرٌ: ذَلِكَ الثَّوْبُ نَمِرَةٌ. [مسند أحمد ٢٢/ ٣٩٧ رقم ١٤٥٢١، ٢٣/ ١٤٣ رقم ١٤٨٥٢ وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن. والمعجم الكبير للطبراني ٣/ ١٤٥ رقم ٢٩٤٣].

وعَنْ حَارِثَةَ بْنِ مُضَرِّبٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى خَبَّابٍ ﷺ، وَقَدْ اكْتَوَى سَبْعًا، فَقَالَ: لَوْلَا أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ المَوْتَ**»، لتَمَنَّيْتُهُ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي مَعَ رَسُولِ الله ﷺ مَا أَمْلِكُ دِرْهَمًا، وَإِنَّ فِي جَانِبِ بَيْتِي الْآنَ لَأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَم، قَالَ: ثُمَّ أُتِيَ بِكَفَنِهِ، فَلَمَّا رَآهُ بَكَى، وَقَالَ: **لَكِنَّ حَمْزَةَ لَمْ يُوجَدْ لَهُ كَفَنٌ إِلَّا بُرْدَةٌ مَلْحَاءُ، إِذَا جُعِلَتْ عَلَى رَأْسِهِ قَلَصَتْ عَنْ قَدَمَيْهِ، وَإِذَا جُعِلَتْ عَلَى قَدَمَيْهِ قَلَصَتْ عَنْ رَأْسِهِ، حَتَّى مُدَّتْ عَلَى رَأْسِهِ، وَجُعِلَ عَلَى قَدَمَيْهِ الْإِذْخِرُ**. [مسند أحمد ٣٤/ ٥٥٠-٥٥١ رقم ٢١٠٧٢، ٤٥/ ١٩٢-١٩٣ رقم ٢٧٢١٩، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده صحيح].

وعَنْ حَارِثَةَ بْنِ مُضَرِّبٍ، عَنْ خَبَّابٍ ﷺ قَالَ: «**لَقَدْ رَأَيْتُ حَمْزَةَ وَمَا وَجَدْنَا لَهُ ثَوْبًا نُكَفِّنُهُ فِيهِ غَيْرَ بُرْدَةٍ، إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رِجْلَيْهِ خَرَجَ رَأْسُهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلَاهُ، فَغَطَّيْنَا رَأْسَهُ، وَوَضَعْنَا عَلَى رِجْلَيْهِ مِنَ الْإِذْخِرِ**». [المعجم الكبير للطبراني ٣/ ١٤٥ رقم ٢٩٤١].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، وقُتِلَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ، فَجَاءَتْهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِثَوْبَيْنِ لِيُكَفَّنَ فِيهِمَا حَمْزَةُ، فَلَمْ يَكُنْ لِلأَنْصَارِيِّ كَفَنٌ، فَأَسْهَمَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ الثَّوْبَيْنِ، ثُمَّ كَفَّنَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي ثَوْبٍ. [مجمع الزوائد ٦/ ١٧٤، كتاب المغازي (١٠١٠٨)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ١١/ ٤٠٦ رقم ١٢١٥٢]، ورجاله ثقات].

وعن الزُّبَيْرِ ﷺ: أَنَّهُ لـمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ تَسْعَى، حَتَّى إِذَا كَادَتْ أَنْ تُشْرِفَ عَلَى القَتْلَى، قَالَ: فَكَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تَرَاهُمْ، فَقَالَ: «**المَرْأَةَ المَرْأَةَ**».

قَالَ الزُّبَيْرُ ﷺ: فَتَوَسَّمْتُ أَنَّهَا أُمِّي صَفِيَّةُ، قَالَ: فَخَرَجْتُ أَسْعَى إِلَيْهَا، فَأَدْرَكْتُهَا قَبْلَ أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى القَتْلَى، قَالَ: فَلَدَمَتْ (ضربت ودفعت) فِي صَدْرِي، وَكَانَتْ امْرَأَةً جَلدَةً (قوية)، قَالَتْ: **إِلَيْكَ عَنِّي لَا أَرْضَ لَكَ** (هي كما يُقال: لا أم لك)، قَالَ: فَقُلْتُ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ عَزَمَ عَلَيْكِ، قَالَ: فَوَقَفَتْ وَأَخْرَجَتْ ثَوْبَيْنِ مَعَهَا، فَقَالَتْ: **هَذَانِ ثَوْبَانِ جِئْتُ بِهِمَا لِأَخِي حَمْزَةَ، فَقَدْ بَلَغَنِي مَقْتَلُهُ، فَكَفِّنُوهُ فِيهِمَا**، قَالَ: فَجِئْنَا بِالثَّوْبَيْنِ لِنُكَفِّنَ فِيهِمَا حَمْزَةَ، فَإِذَا إِلَى جَنْبِهِ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ قَتِيلٌ، قَدْ فُعِلَ بِهِ كَمَا فُعِلَ بِحَمْزَةَ، قَالَ: فَوَجَدْنَا غَضَاضَةً وَحَيَاءً أَنْ نُكَفِّنَ حَمْزَةَ فِي ثَوْبَيْنِ وَالأَنْصَارِيُّ لَا كَفَنَ لَهُ، فَقُلْنَا: لِحَمْزَةَ ثَوْبٌ وَلِلأَنْصَارِيِّ ثَوْبٌ، فَقَدَرْنَاهُمَا فَكَانَ أَحَدُهُمَا أَكْبَرَ مِنْ الآخَرِ، فَأَقْرَعْنَا بَيْنَهُمَا، فَكَفَّنَّا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي الثَّوْبِ الَّذِي طَارَ لَهُ. [مجمع الزوائد ٦/ ١٧٠، كتاب المغازي (١٠٠٩٩)، وقال الهيثمي: رواه أحمد [المسند ٣/ ٣٤ رقم ١٤١٨]، وأبو يعلى [مسند أبي يعلى ٢/ ٤٥ رقم ٦٨٦، وقال الشيخان الأرناؤوط وأسد: إسناده حسن]، والبزار [مسند البزار ٣/ ١٩٤ رقم ٩٨٠]، وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد، وهو ضعيف، وقد وثق].

النبي ﷺ يأمر بإعادة القتلى من المدينة:

وقد بلغ الرسول ﷺ أن أناسًا احتملوا قتلاهم إلى المدينة لدفنهم فيها، فأصدر أمره بإعادة هؤلاء القتلى وأمر بأن يُدفنوا حيث قُتلوا.

عَنْ جَابِرِ بنِ عبدِ الله ﭭ قَالَ: لـمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ جَاءَتْ عَمَّتِي بِأَبِي لِتَدْفِنَهُ فِي مَقَابِرِنَا، فَنَادَى مُنَادِي رَسُولِ الله ﷺ: «**رُدُّوا الْقَتْلَى إِلَى مَضَاجِعِهِمْ**». [الترمذي في الجهاد (١٧١٧)، وقال الشيخ الألباني: صحيح].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﭭ قَالَ: كُنَّا حَمَلْنَا الْقَتْلَى يَوْمَ أُحُدٍ لِنَدْفِنَهُمْ، فَجَاءَ مُنَادِي النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَدْفِنُوا الْقَتْلَى فِي مَضَاجِعِهِمْ**» فَرَدَدْنَاهُمْ.

[أبو داود في الجنائز (٣١٦٥)، وقال الشيخ الألباني: صحيح].

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﭭ أَنَّ قَتْلَى أُحُدٍ حُمِلُوا مِنْ مَكَانِهِمْ، فَنَادَى مُنَادِي رَسُولِ الله ﷺ: **أَنْ رُدُّوا الْقَتْلَى إِلَى مَضَاجِعِهَا**. [مسند أحمد ٢٢/ ٧٧ رقم ١٤١٦٩، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده صحيح].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﭭ **أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِقَتْلَى أُحُدٍ أَنْ يُرَدُّوا إِلَى مَصَارِعِهِمْ، وَكَانُوا قَدْ نُقِلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ!**». [النسائي في الجنائز (٢٠٠٤)، وابن ماجه في الجنائز (١٥١٦)، ومسند أحمد ٢٢/ ٢٠٨ رقم ١٤٣٠٥، وقال الشيخان الألباني والأرناؤوط: صحيح].

وعَنْ جَابِرٍ ﭬ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**ادْفِنُوا الْقَتْلَى فِي مَصَارِعِهِمْ**».

[النسائي في الجنائز (٢٠٠٥)، وقال الشيخ الألباني: صحيح].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﭭ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ الْمَدِينَةِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ لِيُقَاتِلَهُمْ، وَقَالَ لِي أَبِي عَبْدُ الله: **يَا جَابِرُ، لا عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ فِي نَظَّارِي [نُظَّارِ] أَهْلِ الْمَدِينَةِ حَتَّى تَعْلَمَ إِلَى مَا يَصِيرُ أَمْرُنَا، فَإِنِّي وَالله لَوْلَا أَنِّي أَتْرُكُ بَنَاتٍ لِي بَعْدِي لَأَحْبَبْتُ أَنْ تُقْتَلَ بَيْنَ يَدَيَّ**، قَالَ: فَبَيْنَمَا أَنَا فِي النَّظَّارِينَ إِذْ جَاءَتْ عَمَّتِي بِأَبِي وَخَالِي عَادِلَتَهُمَا عَلَى نَاضِحٍ، فَدَخَلَتْ بِهِمَا الْمَدِينَةَ لِتَدْفِنَهُمَا فِي مَقَابِرِنَا، إِذْ لَحِقَ رَجُلٌ يُنَادِي: **أَلَا إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَرْجِعُوا بِالقَتْلَى فَتَدْفِنُوهَا فِي مَصَارِعِهَا حَيْثُ قُتِلَتْ**، فَرَجَعْنَا بِهِمَا فَدَفَنَّاهُمَا حَيْثُ قُتِلَا، فَبَيْنَمَا أَنَا فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ﭬ إِذْ جَاءَنِي رَجُلٌ فَقَالَ: يَا جَابِرُ بْنَ عَبْدِ الله، وَالله لَقَدْ أَثَارَ أَبَاكَ عَمَلُ مُعَاوِيَةَ، فَبَدَا فَخَرَجَ طَائِفَةٌ مِنْهُ، فَأَتَيْتُهُ فَوَجَدْتُهُ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي دَفَنْتُهُ لَمْ يَتَغَيَّرْ، إِلَّا مَا لَمْ يَدَعْ الْقَتْلُ أَوْ الْقَتِيلُ فَوَارَيْتُهُ...

[مسند أحمد ٢٣/ ٤١٩ رقم ١٥٢٨١، صحيح ابن حبان ٧/ ٤٥٧ رقم ٣١٨٤، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده صحيح].

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﭭ قَالَ: اسْتُشْهِدَ أَبِي بِأُحُدٍ، فَأَرْسَلَنِي أَخَوَاتِي إِلَيْهِ بِنَاضِحٍ لَهُنَّ، فَقُلْنَ: اذْهَبْ فَاحْتَمِلْ أَبَاكَ عَلَى هَذَا الجَمَلِ، فَادْفِنْهُ فِي مَقْبَرَةِ بَنِي سَلِمَةَ، قَالَ: فَجِئْتُهُ وَأَعْوَانٌ لِي، فَبَلَغَ ذَلِكَ نَبِيَّ الله ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ بِأُحُدٍ، فَدَعَانِي وَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُدْفَنُ إِلَّا مَعَ إِخْوَتِهِ**»، فَدُفِنَ مَعَ أَصْحَابِهِ بِأُحُدٍ. [مسند أحمد ٢٣/ ٤٠٧ رقم ١٥٢٥٨، وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف، وأورده الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٤/ ٤٤، وقال: تفرد به أحمد. وقال الشيخ الساعاتي: أخرجه الأربعة وغيرهم وصححه الترمذي. الفتح الرباني ٨/ ١٥٠. صحيح السيرة النبوية للعلي ص ٢٢٩].

الملائكة تظله بأجنحتها:

عَنْ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله ﭬ قَالَ: لَـمَّا قُتِلَ أَبِي جَعَلْتُ أَكْشِفُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ أَبْكِي، وَيَنْهَوْنِي عَنْهُ [فَجَعَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ يَنْهَوْنِي]، وَالنَّبِيُّ ﷺ لاَ يَنْهَانِي [لَمْ يَنْهَ]، فَجَعَلَتْ عَمَّتِي فَاطِمَةُ [بِنْتُ عَمْرٍو] تَبْكِي [تَبْكِيهِ]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**تَبْكِينَ [تَبْكِيهِ] أَوْ لاَ تَبْكِينَ [تَبْكِيهِ]، مَا زَالَتِ المَلاَئِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ [رُفِعَ]**». [البخاري في الجنائز (١٢٤٤)، وفي المغازي (٤٠٨٠)، ومسلم في فضائل الصحابة ﭫ (٢٤٧١)، ومسند أحمد ٢٢/ ٩٥-٩٦ رقم ١٤١٨٧].

وعَنْ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله ﭬ قَالَ: جِيءَ بِأَبِي يَوْمَ أُحُدٍ [إِلَى النَّبِيِّ ﷺ]، قَدْ مُثِّلَ بِهِ، [مُجَدَّعًا]، حَتَّى وُضِعَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ، وَقَدْ سُجِّيَ (غطي) ثَوْبًا، فَذَهَبْتُ أُرِيدُ أَنْ أَكْشِفَ عَنْهُ [فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْفَعَ الثَّوْبَ] [عَنْ وَجْهِهِ]، فَنَهَانِي قَوْمِي، ثُمَّ ذَهَبْتُ أَكْشِفُ عَنْهُ [فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْفَعَ الثَّوْبَ]، فَنَهَانِي قَوْمِي، فَأَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ فَرُفِعَ، فَسَمِعَ صَوْتَ [بَاكِيَةٍ أَوْ] صَائِحَةٍ، فَقَالَ: «**مَنْ هَذِهِ؟**» فَقَالُوا: ابْنَةُ عَمْرٍو ـ أَوْ أُخْتُ عَمْرٍو ـ قَالَ: «**فَلِمَ تَبْكِي؟ [أَتَبْكِينَ؟] أَوْ لاَ تَبْكِي، فَمَا زَالَتِ المَلاَئِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رُفِعَ [رُفِعَتْ]**».

[البخاري في الجنائز (١٢٩٣)، وفي الجهاد والسير (٢٨١٦)، ومسلم في فضائل الصحابة ﭫ (٢٤٧١) ومسند أحمد ٢٢/ ١٩٩ رقم ١٤٢٩٥].

دفن الشهداء دونما غسل أو صلاة:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﭬ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «**أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلقُرْآنِ؟**»، فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ، وَقَالَ: «**أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ، وَلَمْ يُغَسَّلُوا، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِمْ.

[البخاري في الجنائز (١٣٤٣، ١٣٤٨، ١٣٥٣)، وفي المغازي (٤٠٨٠)، وأبو داود في الجنائز (٣١٣٨)، والترمذي في الجنائز (١٠٣٦)، وابن ماجه في الجنائز (١٥١٤)].

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﭬ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي قَتْلَى أُحُدٍ: «**لَا تُغَسِّلُوهُمْ، فَإِنَّ كُلَّ جُرْحٍ ـ أَوْ كُلَّ دَمٍ ـ يَفُوحُ مِسْكًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِمْ.

[مسند أحمد ٢٢/ ٩٧ رقم ١٤١٨٩، وقال الشيخ الأرناؤوط: حديث صحيح].

وعَنْ جَابِرٍ ﭬ قَالَ: **رُمِيَ رَجُلٌ بِسَهْمٍ فِي صَدْرِهِ، أَوْ فِي حَلْقِهِ، فَمَاتَ، فَأُدْرِجَ فِي ثِيَابِهِ كَمَا هُوَ، قَالَ: وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ**». [أبو داود في الجنائز (٣١٣٣)، وقال الشيخ الألباني: حسن].

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﭬ قَالَ: **أَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِقَتْلَى أُحُدٍ أَنْ يُنْزَعَ عَنْهُمْ الحَدِيدُ، وَالجُلُودُ، وَأَنْ يُدْفَنُوا بِدِمَائِهِمْ وَثِيَابِهِمْ**». [أبو داود في الجنائز (٣١٣٤)، وابن ماجه في الجنائز (١٥١٥)، قال عنها الشيخ الألباني: ضعيف، وقال الشيخ الأرناؤوط: «هو حديث حسن». (جامع الأصول ١١/ ١٣٩ الحاشية)].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: أَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ، يَوْمَ أُحُدٍ بِالشُّهَدَاءِ أَنْ يُنْزَعَ عَنْهُمِ الْحَدِيدُ وَالْجُلُودُ، وَقَالَ: «**ادْفِنُوهُمْ بِدِمَائِهِمْ وَثِيَابِهِمْ**».

[مسند أحمد ٤/ ٩٢ رقم ٢٢١٧، وقال الشيخ الأرناؤوط: حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف].

وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: رُمِيَ رَجُلٌ بِسَهْمٍ فِي صَدْرِهِ ـ أَوْ قَالَ: فِي جَوْفِهِ [حَلْقِهِ] ـ فَمَاتَ، فَأُدْرِجَ فِي ثِيَابِهِ كَمَا هُوَ، وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ.

[مسند أحمد ٢٣/ ٢٠٩ رقم ١٤٩٥٢، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده على شرط مسلم].

دفن أكثر من شهيد في قبر واحد:

عَنْ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: لَـمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أَصَابَ النَّاسَ قَرْحٌ وَجَهْدٌ شَدِيدٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**احْفِرُوا وَأَوْسِعُوا وَادْفِنُوا الِاثْنَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ فِي الْقَبْرِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، مَنْ نُقَدِّمُ؟ قَالَ: «**أَكْثَرَهُمْ جَمْعًا وَأَخْذًا لِلْقُرْآنِ**».

[مسند أحمد (١٦٢٥١، ١٦٢٥٤، ١٦٢٥٥، ١٦٢٥٩)، وقال الشيخ الأرناؤوط: حديث صحيح].

وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: لَـمَّا حَضَرَ أُحُدٌ (حضر وقت الغزوة التي وقعت عند جبل أحد) دَعَانِي أَبِي مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: **مَا أُرَانِي إِلَّا مَقْتُولًا فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِنِّي لاَ أَتْرُكُ بَعْدِي أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ، غَيْرَ نَفْسِ رَسُولِ الله ﷺ، فَإِنَّ عَلَيَّ دَيْنًا فَاقْضِ، وَاسْتَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْرًا**، فَأَصْبَحْنَا، فَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ، وَدُفِنَ مَعَهُ آخَرُ (هو عمرو بن الجموح رضي الله عنه) فِي قَبْرٍ، ثُمَّ لَمْ تَطِبْ نَفْسِي (لم تكن نفسي مستريحة وما أحببت) أَنْ أَتْرُكَهُ مَعَ الآخَرِ، فَاسْتَخْرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، فَإِذَا هُوَ كَيَوْمِ وَضَعْتُهُ هُنَيَّةً (تصغير هنا أي قريبًا) غَيْرَ أُذُنِهِ (فيها تغير بسبب التصاقها بالأرض). [البخاري في الجنائز (١٣٥١)].

وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: دُفِنَ مَعَ أَبِي رَجُلٌ، فَلَمْ تَطِبْ نَفْسِي حَتَّى أَخْرَجْتُهُ، فَجَعَلْتُهُ فِي قَبْرٍ عَلَى حِدَةٍ.

[البخاري في الجنائز (١٣٥٢)].

وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: «دُفِنَ مَعَ أَبِي رَجُلٌ، فَكَانَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ حَاجَةٌ، فَأَخْرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، فَمَا أَنْكَرْتُ مِنْهُ شَيْئًا، إِلَّا شُعَيْرَاتٍ كُنَّ فِي لِحْيَتِهِ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ».

[أبو داود في الجنائز (٣٢٣٢)، وقال الشيخ الألباني: صحيح الإسناد].

وعَن جابِر بن عَبد الله رضي الله عنهما: أَنَّ أَباهُ قَالَ لَهُ: **إِنِّي أَرجو أَنْ أَكونَ في أَوَّل مَن يُصابُ غَدًا، فَأَوصيكَ بِبَناتِ عَبدِ الله خَيرًا**، فَأُصيبَ، فَجَعَلنا الاِثنَين في قَبرٍ واحِدٍ، فَدَفَنتُهُ مَعَ آخَرَ في قَبرٍ، فَلَبِثنا سِتَّةَ أَشهُرٍ، ثُمَّ أَنَّ نَفسي لَم تَدَعني حَتى أَدفِنَهُ وحدَهُ، فاستَخرَجتُهُ مِنَ القَبر، فَإِذا الأَرضُ لَم تَأكُل شَيئًا مِنهُ إِلاَّ قَليلاً مِن شَحمَةِ أُذُنِه. [الطبقات الكبير لابن سعد ٣/ ٥٢٢ رقم ٤٥٩٦].

عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما يَقُولُ: لَـمَّا أَرَادَ مُعَاوِيَةُ أَنْ يُجْرِيَ الْكِظَامَةَ قَالَ: مَنْ كَانَ لَهُ قَتِيلٌ فَلْيَأْتِ قَتِيلَهُ ـ يَعْنِي قَتْلَى أُحُدٍ ـ قَالَ: فَأَخْرَجَهُمْ رِطَابًا يَتَثَنَّوْنَ، قَالَ: «فَأَصَابَتِ الْمِسْحَاةُ رِجْلَ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَانْفَطَرَتْ دَمًا»، فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: «لَا يُنْكِرْ بَعْدَ هَذَا مُنْكِرٌ أَبَدًا».

[المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ٣/ ٥٤٧ رقم ٦٦٥٦، ٥/ ٢٧٧ رقم ٩٦٠٢، وقال الشيخ الصوياني: سنده صحيح. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص ٢٨٨].

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَشْيَاخٍ مِنَ الأَنْصَارِ، قَالُوا: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ، وَعَمْرِو بْنِ جَمُوحٍ قَتِيلَيْنِ، فَقَالَ: **ادْفِنُوهُمَا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ، فَإِنَّهُمَا كَانَا مُتَصَافِيَيْنِ فِي الدُّنْيَا**.

[المصنف لابن أبي شيبة ٧/ ٣٢١ رقم ١١٧٧، ٢٠/ ٣٤٨ رقم ٣٧٩١٢].

وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي أَبِي إِسْحَاقُ بْنُ يَسَارٍ، عَنْ أَشْيَاخٍ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ يَوْمَئِذٍ، حِينَ أَمَرَ بِدَفْنِ الْقَتْلَى: «**انْظُرُوا إِلَى عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ، فَإِنَّهُمَا كَانَا مُتَصَافِيَيْنِ فِي الدُّنْيَا، فَاجْعَلُوهُمَا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ**». [والسيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٩٨].

وقال ابن سعد: قالوا: وكانَ عَبدُ الله بن عَمرِو بنِ حَرامٍ أَوَّلَ قَتيلٍ قُتِلَ مِنَ المُسلِمينَ يومَ أُحُدٍ، قَتَلَهُ سُفيانُ بن عَبد شَمسٍ أَبو أَبي الأَعوَر السُّلَميُّ، فَصَلَّى عَلَيه رَسولُ الله ﷺ قَبلَ الهَزيمَةِ، وقالَ رَسولُ الله ﷺ: «**ادفِنوا عَبدَ الله بنَ عَمرٍو، وعَمرَو بنَ الجَموح في قَبرٍ واحِدٍ، لِما كانَ بَينَهُما مِنَ الصَّفاءِ، وقالَ: ادفِنوا هَذَين المُتَحابَّين في الدُّنيا في قَبرٍ واحِدٍ**».

قالَ: وكانَ عَبدُ الله بن عَمرٍو رَجُلاً أَحمَرَ، أَصلَعَ، لَيسَ بِالطَّويلِ، وكانَ عَمرو بنُ الجَموحِ رَجُلاً طَويلاً، فَعُرِفا، فَدُفِنا في قَبرٍ واحِدٍ، وكانَ قَبرُهُما مِمَّا يَلي المَسيلَ، فَدَخَلَهُ السَّيلُ، فَحُفِرَ عَنهُما، وعَلَيهِما نَمِرَتان، وعَبدُ الله قَد أَصابَهُ جُرحٌ في وجهه، فَيَدُهُ عَلَى جُرحِه، فَأُميطَت يَدُهُ عَن جُرحِه فانبَعَثَ الدَّمُ، فَرُدَّت يَدُهُ إِلَى مَكانِها، فَسَكَنَ الدَّمُ.

قالَ جابِرٌ رضي الله عنه: فَرَأَيتُ أَبي في حُفرَتِه كَأَنَّهُ نائِمٌ وما تَغَيَّرَ مِن حالِه قَليلٌ ولاَ كَثيرٌ، فَقيلَ لَهُ: فَرَأَيت أَكفانَهُ؟ قالَ: إِنَّما كُفِّنَ في نَمِرَةٍ خُمِّرَ بِها وجهُهُ، وجُعِلَ عَلَى رِجلَيه الحَرمَلُ، فَوَجَدنا النَّمِرَةَ كَما هيَ، والحَرمَلَ عَلَى رِجلَيه عَلَى هَيئَتِه، وبَينَ ذَلِكَ سِتٌّ وأَربَعونَ سَنَةً، فَشاوَرَهُم جابِرٌ في أَن يُطَيَّبَ بِمِسكٍ، فَأَبَى ذَلِكَ أَصحابُ رَسول الله ﷺ وقالوا: لاَ تُحدِثُوا فِيهِمْ شَيْئًا، وحَوَّلا مِن ذَلِكَ المَكان إِلَى آخَرَ، وذَلِكَ أَنَّ القَناةَ كانَت تَمُرُّ عَلَيهِما، وأُخرِجُوا رِطابًا يَتَثَنَّونَ. [الطبقات الكبير ٣/ ٥٢١ رقم ٤٥٩٣].

وقال الواقدي: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ: «**ادْفِنُوا عَبدَ اللهِ بنَ عَمرِو بنِ حَرامٍ وعَمرو بْنَ الجَمُوحِ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ**».

وَيُقَالُ: إِنَّهُمَا وُجِدَا وَقَدْ مُثِّلَ بِهِمَا كُلَّ الْمَثْلِ، قُطِعَتْ آرَابُهُمَا - يَعْنِي عُضْوًا عُضْوًا - فَلَا تُعْرَفُ أَبْدَانُهُمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**ادْفِنُوهُمَا جَمِيعًا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ**».

وَيُقَالُ: إِنَّمَا أَمَرَ بِدَفْنِهِمَا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ لِـمَا كَانَ بَيْنَهُمَا مِنَ الصَّفَاءِ، فَقَالَ: «**ادْفِنُوا هَذَيْنِ الْمُتَحَابَّيْنِ فِي الدُّنْيَا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ**». [المغازي للواقدي ١/ ٢٦٦-٢٦٧].

دعاء الرسول ﷺ بعد المعركة:

قال الواقدي: «قَالُوا: فَلَـمَّا فَرَغَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ دَفْنِ أَصْحَابِهِ، دَعَا بِفَرَسِهِ فَرَكِبَهُ، وَخَرَجَ الـمُسْلِمُونَ حَوْلَهُ عَامَّتُهُمْ جَرْحَى، وَلا مِثْلَ لِبَنِي سَلِمَةَ وَبَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، وَمَعَهُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ امْرَأَةً، فَلَـمَّا كَانُوا بِأَصْلِ الحَرَّةِ، قَالَ: «**اصْطَفُّوا، فَنُثْنِيَ عَلَى الله**»، فَاصْطَفَّ النَّاسُ صَفَّيْنِ خَلفَهُمْ النِّسَاءُ، ثُمَّ دَعَا...».

[المغازي للواقدي ١/ ٣١٤].

وعَنْ عَبْدِ الله الزُّرَقِيِّ ﷺ قَالَ: لَـمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، وَانْكَفَأَ (صُرف وكُب) الْمُشْرِكُونَ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي** ﷻ»، فَصَارُوا خَلفَهُ صُفُوفًا، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لا قَابِضَ** (ممسك ومانع) **لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِيَ لِمَا أَضْلَلتَ، وَلا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ، اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ [وَعَافِيَتِكَ]، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الذِي لا يَحُولُ** (يتغير وينتقل) **وَلا يَزُولُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ العَيْلَةِ، وَالأَمْنَ يَوْمَ الخَوْفِ، [وَالغِنَاءَ يَوْمَ الفَاقَةِ]، اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنا، وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ [مِنَّا]، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الإِيمَانَ، زَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ، وَاجْعَلنَا مِنْ الرَّاشِدِينَ، اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ، غَيْرَ خَزَايَا** (مهانين) **وَلَا مَفْتُونِينَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الكَفَرَةَ، الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَل عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ** (العذابُ والإثمُ والذَّنْبُ) **وَعَذَابَكَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الكَفَرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ، إِلَهَ الـحَقِّ**».

[مسند أحمد ٢٤/ ٢٤٦-٢٤٨ رقم ١٥٤٩٢، وقال الشيخ الأرناؤوط: رجاله ثقات، والبخاري في الأدب المفرد باب دعوات النبي ﷺ رقم ٦٩٩، وقال الشيخ الألباني: صحيح، والحاكم في المستدرك كتاب الدعاء والتكبير (١٨٢١)، وكتاب المغازي والسرايا رقم ٤٢٧٦، وقال عنهما: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، ومجمع الزوائد ٦/ ١٧٦ كتاب المغازي (١٠١١٤)، وقال الهيثمي: رواه أحمد والبزار [مسند البزار ٥/ ٢١٩ رقم ٣٧٢٤]، واقتصر على عبيد بن رفاعة عن أبيه وهو الصحيح. وقال: «اللهم قاتل كفرة أهل الكتاب»، ورجال أحمد رجال الصحيح، وسنن النسائي الكبرى ٦/ ١٥٦ رقم ١٠٤٤٥، والمعجم الكبير للطبراني ٥/ ٤٧ رقم ٤٥٤٩، والمغازي للواقدي ١/ ٣١٤-٣١٥].

أبو بكر رضي الله عنه يفسر رؤيا أمام الرسول ﷺ:

عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ الله بْنِ عَبْدِ الله، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَوْ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ الله ﷺ، ح وحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التُّجِيبِيُّ ـ وَاللَّفْظُ لَهُ ـ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ عُبَيْدَ الله بْنَ عَبْدِ الله بْنِ عُتْبَةَ أَخْبَرَهُ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما كَانَ يُحَدِّثُ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ الله ﷺ [مُنْصَرَفَهُ مِنْ أُحُدٍ]، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي أَرَى [رَأَيْتُ هَذِهِ] اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ ظُلَّةً (أي سحابة لها ظل) تَنْطِفُ (أي تمطر أو تقطر) السَّمْنَ وَالْعَسَلَ [سَمْنًا وَعَسَلًا]، فَأَرَى النَّاسَ يَتَكَفَّفُونَ (يأخذون بأكفهم) مِنْهَا بِأَيْدِيهِمْ، فَالْمُسْتَكْثِرُ (من يأخذ الكثير) وَالْمُسْتَقِلُّ (من يأخذ القليل)، وَأَرَى سَبَبًا (حبلًا) وَاصِلًا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَرَاكَ [رَأَيْتُكَ] أَخَذْتَ بِهِ فَعَلَوْتَ [بِهِ]، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِكَ فَعَلَا [بِهِ]، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا [بِهِ]، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَانْقَطَعَ بِهِ، ثُمَّ وُصِلَ لَهُ فَعَلَا [بِهِ].

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ الله بِأَبِي أَنْتَ، وَالله لَتَدَعَنِّي فَلَأَعْبُرَنَّهَا، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اعْبُرْهَا**».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمَّا الظُّلَّةُ فَظُلَّةُ الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا الَّذِي يَنْطِفُ مِنَ السَّمْنِ وَالْعَسَلِ فَالْقُرْآنُ حَلَاوَتُهُ وَلِينُهُ، وَأَمَّا مَا يَتَكَفَّفُ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ فَالْمُسْتَكْثِرُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْمُسْتَقِلُّ، وَأَمَّا السَّبَبُ الْوَاصِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فَالْحَقُّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، تَأْخُذُ [أَخَذْتَ] بِهِ فَيُعْلِيكَ اللهُ بِهِ [فَعَلَا بِكَ]، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِكَ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَنْقَطِعُ بِهِ ثُمَّ يُوصَلُ لَهُ فَيَعْلُو بِهِ، فَأَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ الله بِأَبِي أَنْتَ، أَصَبْتُ أَمْ أَخْطَأْتُ؟ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَصَبْتَ بَعْضًا وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا**» قَالَ: فَوَالله [أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ] يَا رَسُولَ الله لَتُحَدِّثَنِّي [لَتُخْبِرَنِّي] مَا الَّذِي أَخْطَأْتُ؟ قَالَ [النَّبِيُّ ﷺ]: «لَا تُقْسِمْ [يَا أَبَا بَكْرٍ]». [**مسلم في الرؤيا (٢٢٦٩)، وابن ماجه في تعبير الرؤيا (٣٩١٨)، والسنن الكبرى للنسائي ٧/ ١١١ رقم ٧٥٩٣، ٧٥٩٤**].

المبحث الثالث
عودة الجيش الإسلامي من أُحُد

عودة الجيش الإسلامي إلى المدينة:

«وبعد أن فرغ المسلمون من دفن قتلاهم في منطقة أُحد، أمر الرسول ﷺ جيشه بأن يتحرك نحو المدينة فاحتمل المسلمون جرحاهم، ثم تحرك الجيش النبوي يقدمه الرسول ﷺ بينما أحاطه من كل جانب كبار قادة المهاجرين والأنصار.

كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَهُ جَلَلٌ:

وفي طريق عودة النبي ﷺ من المعركة إلى المدينة حدثت حادثة تجلى فيها حب المسلمين الصادق لرسول الله ﷺ ذلك الحب الذي يقصر دونه حب الزوج والابن والأب والأخ.

خرج الناس من المدينة للاستفسار عن نبيهم وذويهم المشتركين في المعركة.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَبِي عَوْنٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، قَالَ: مَرَّ رَسُولُ الله ﷺ بِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي دِينَارٍ، وَقَدْ أُصِيبَ زَوْجُهَا وَأَخُوهَا وَأَبُوهَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بِأُحُدٍ، فَلَمَّا نُعُوا لَهَا، قَالَتْ: فَمَا فَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ؟ قَالُوا: **خَيْرًا يَا أُمَّ فُلَانٍ، هُوَ بِحَمْدِ اللهِ كَمَا تُحِبِّينَ**، قَالَتْ: **أَرُونِيهِ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ**؟ قَالَ: فَأُشِيرَ لَهَا إِلَيْهِ، حَتَّى إِذَا رَأَتْهُ، قَالَتْ: **كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ!** تُرِيدُ صَغِيرَةً.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْجَلَلُ: يَكُونُ مِنْ الْقَلِيلِ، وَمِنْ الْكَثِيرِ، وَهُوَ هَا هُنَا مِنْ الْقَلِيلِ.

قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ فِي الْجَلَلِ الْقَلِيلِ:

لَقَتْلُ بَنِي أَسَدٍ رَبَّهُمْ [1] **أَلَا كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلُ**

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَأَمَّا قَوْلُ الشَّاعِرِ، وَهُوَ الْحَارِثُ بْنُ وَعْلَةَ الْجَرْمِيُّ:

وَلَئِنْ عَفَوْتُ لَأَعْفُوَنَّ جَلَلًا **وَلَئِنْ سَطَوْتُ لَأُوْهِنَنْ عَظْمِي**

فَهُوَ مِنْ الْكَثِيرِ. [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٩٩-١٠٠، وقال الشيخ العلي: ورواه البيهقي في الدلائل ٣/ ٣٠٢، والطبري في تاريخه ٢/ ٥٣٣، بسند ابن إسحاق إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وسنده حسن، وقد صرح بالتحديث فزالت شبهة تدليسه. صحيح السيرة النبوية للعلي ص ٢٣٥].

وقال الواقدي: «وَكَانَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ خَرَجَتْ فِي نِسْوَةٍ تَسْتَرْوِحُ الْخَبَرَ - وَلَمْ يُضْرَبْ الْحِجَابُ يَوْمَئِذٍ - حَتَّى إِذَا كَانَتْ بِمُنْقَطَعِ الْحَرَّةِ وَهِيَ هَابِطَةٌ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ إِلَى الْوَادِي، لَقِيَتْ **هِنْدَ بِنْتَ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ**، أُخْتَ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ تَسُوقُ بَعِيرًا لَهَا، عَلَيْهِ زَوْجُهَا عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ، وَابْنُهَا خَلَّادُ بْنُ عَمْرٍو، وَأَخُوهَا عَبْدُ الله بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ أَبُو جَابِرٍ.

---

(١) ربهم: أَي ملكهم، ويعني بِهِ وَالِده حجرًا؛ لِأَنَّهُ كَانَ ملكًا على بني أَسد فَقَتَلُوهُ.

فَقَالَتْ عَائِشَةُ ﵂: **عِنْدَكِ الخَبَرُ، فَمَا وَرَاءَكِ؟** فَقَالَتْ هِنْدٌ: **خَيْرًا، أَمَّا رَسُولُ الله فَصَالِحٌ وَكُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَهُ جَلَلٌ، وَاتَّخَذَ اللهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ شُهَدَاءَ، وَرَدَّ اللهُ الذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا، وَكَفي اللهُ الْمُؤْمِنِينَ القِتَالَ، وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا.**

قَالَتْ: مَنْ هَؤُلاءِ؟ قَالَتْ: أَخِي، وَابْنِي خَلَّادٌ، وَزَوْجِي عَمْرُو بْنُ الجَمُوحِ، قَالَتْ: فَأَيْنَ تَذْهَبِينَ بِهِمْ؟ قَالَتْ: إِلَى المَدِينَةِ أَقْبُرُهُمْ فِيهَا ـ حَلْ! تَزْجُرُ بَعِيرَهَا، ثُمَّ بَرَكَ بَعِيرُهَا، فَقُلْتُ: لِـمَا عَلَيْهِ، قَالَتْ: مَا ذَاكَ بِهِ لَرُبَّمَا حَمَلَ مَا يَحْمِلُ البَعِيرَانِ وَلَكِنِّي أَرَاهُ لِغَيْرِ ذَلِكَ، فَزَجَرَتْهُ فَقَامَ، فَلَـمَّا وَجَّهَتْ بِهِ إِلَى المَدِينَةِ بَرَكَ، فَوَجَّهَتْهُ رَاجِعَةً إِلَى أُحُدٍ فَأَسْرَعَ، فَرَجَعَتْ إِلَى النَّبِي ﷺ فَأَخْبَرَتْهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**فَإِنَّ الجَمَلَ مَأْمُورٌ، هَلْ قَالَ شَيْئًا؟**»، قَالَتْ: إِنَّ عَمْرًا لـمَّا وُجِّهَ إِلَى أُحُدٍ اسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ، وَقَالَ: **اللَّهُمَّ لا تَرُدَّنِي إِلَى أَهْلِي خِزْيًا، وَارْزُقْنِي الشَّهَادَةَ.**

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**فَلِذَلِكَ الجَمَلُ لا يَمْضِي، إِنَّ مِنْكُمْ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لأَبَرَّهُ مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ الجَمُوحِ، يَا هِنْدُ، مَا زَالَتْ المَلائِكَةُ مُظِلَّةً عَلَى أَخِيكِ مِنْ لَدُنْ قُتِلَ إِلَى السَّاعَةِ يَنْظُرُونَ أَيْنَ يُدْفَنُ**»، ثُمَّ مَكَثَ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى قَبَرَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا هِنْدُ، قَدْ تَرَافَقُوا فِي الجَنَّةِ جَمِيعًا، عَمْرُو بْنُ الجَمُوحِ، وَابْنُكِ خَلَّادٌ، وَأَخُوكِ عَبْدُ الله**»، قَالَتْ هِنْدٌ: **يَا رَسُولَ الله اُدْعُ اللهَ عَسَى أَنْ يَجْعَلَنِي مَعَهُمْ**».

[المغازي للواقدي ١/ ٢٦٥-٢٦٦].

«وَخَرَجَتْ **السُّمَيْرَاءُ بِنْتُ قَيْسٍ** إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي دِينَارٍ، وَقَدْ أُصِيبَ ابْنَاهَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِأُحُدٍ: النُّعْمَانُ بْنُ عَبْدِ عَمْرٍو، وَسُلَيْمُ بْنُ الحَارِثِ، فَلَـمَّا نُعِيَا لَهَا قَالَتْ: **مَا فَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ؟ قَالُوا: خَيْرًا، هُوَ بِحَمْدِ الله صَالِحٌ عَلَى مَا تُحِبِّينَ، قَالَتْ: أَرُونِيهِ أَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَأَشَارُوا لَهَا إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ يَا رَسُولَ الله جَلَلٌ.**

وَخَرَجَتْ تَسُوقُ بِابْنَيْهَا بَعِيرًا تَرُدُّهُمَا إِلَى الـمَدِينَةِ، فَلَقِيَتْهَا عَائِشَةُ ﵂ فَقَالَتْ: **مَا وَرَاءَكِ؟ قَالَتْ: أَمَّا رَسُولُ الله بِحَمْدِ الله، فَبِخَيْرٍ لَمْ يَمُتْ، وَاتَّخَذَ اللهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ شُهَدَاءَ، وَرَدَّ اللهُ الذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا، وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ القِتَالَ،** قَالَتْ: **مَنْ هَؤُلاءِ مَعَكِ؟** قَالَتْ: **ابْنَايَ، حَلْ! حَلْ!**».

[المغازي للواقدي ١/ ٢٩٢].

«فَخَرَجَ النِّسَاءُ يَنْظُرْنَ إِلَى سَلَامَةِ رَسُولِ الله ﷺ فَكَانَتْ أُمُّ عَامِرٍ الأَشْهَلِيَّةُ تَقُولُ: قِيلَ لَنَا: قَدْ أَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَنَحْنُ فِي النَّوْحِ عَلَى قَتلانَا، فَخَرَجْنَا فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا عَلَيْهِ الدِّرْعُ كَمَا هِيَ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: **كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ**». [المغازي للواقدي ١/ ٣١٥].

وَعَنْ أَنَسِ بنِ مَالَكٍ ﵁ قَالَ: لَـمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ حَاصَ (انحرف وحاد وفرَّ) أَهْلُ المَدِينَةِ حَيْصَةً (الجولة من جولات الفرار)، وَقَالُوا: قُتِلَ مُحَمَّدٌ؟ حَتَّى كَثُرَتْ الصَّوَارِخُ فِي نَاحِيَةِ المَدِينَةِ، فَخَرَجَتْ امْرَأَةٌ

مِنَ الأَنْصَارِ مُتَحَزِّمَةٌ، فَاسْتُقْبِلَتْ بِأَبِيهَا وَابْنِهَا وَزَوْجِهَا وَأَخِيهَا، لَا أَدْرِي أَيُّهُمُ اسْتُقْبِلَتْ بِهِ أَوَّلَ، فَلَمَّا مَرَّتْ عَلَى آخِرِهِمْ، قَالَتْ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: أَبُوكِ، أَخُوكِ، زَوْجُكِ، ابْنُكِ، تَقُولُ: مَا فَعَلَ رَسُولُ الله؟ يَقُولُونَ: أَمَامَكِ، حَتَّى دُفِعَتْ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَأَخَذَتْ بِنَاحِيَةِ ثَوْبِهِ، ثُمَّ قَالَتْ: **بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله، لَا أُبَالِي** (المبالاة: الاهتمام والاحتفال بالأمر) **إِذْ سَلِمْتَ مِنْ عَطِبَ** (هلك أو قارب الهلاك).

[مجمع الزوائد ٦/ ١٦٥ كتاب المغازي والسير (١٠٠٨٧)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط [٧/ ٢٨٠ رقم ٧٤٩٩] عن شيخه محمد بن شعيب ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات].

قال الواقدي: «وَخَرَجَتْ أُمُّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ـ وَهِيَ كَبْشَةُ بِنْتُ عُبَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَلحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ ـ تَعْدُو نَحْوَ رَسُولِ الله ﷺ، وَرَسُولُ الله ﷺ وَاقِفٌ عَلَى فَرَسِهِ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ آخِذٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ، فَقَالَ سَعْدٌ: **يَا رَسُولَ الله أُمِّي**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَرْحَبًا بِهَا**»، فَدَنَتْ حَتَّى تَأَمَّلَتْ رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالَتْ: **أَمَّا إِذْ رَأَيْتُكَ سَالِمًا، فَقَدْ أَشْوَتْ المُصِيبَةُ** (رمى فأشوى إذا لم يصب المقتل)، فَعَزَّاهَا رَسُولُ الله ﷺ بِعَمْرِو بْنِ مُعَاذٍ ابْنِهَا، ثُمَّ قَالَ: «**يَا أُمَّ سَعْدٍ أَبْشِرِي، وَبَشِّرِي أَهْلِيهِمْ أَنَّ قَتلاهُمْ قَدْ تَرَافَقُوا فِي الجَنَّةِ جَمِيعًا ـ وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا ـ وَقَدْ شَفَعُوا فِي أَهْلِيهِمْ**»، قَالَتْ: **رَضِينَا يَا رَسُولَ الله، وَمَنْ يَبْكِي عَلَيْهِمْ بَعْدَ هَذَا**؟ ثُمَّ قَالَتْ: **ادْعُ يَا رَسُولَ الله لِمَنْ خُلِّفُوا**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَذْهِبْ حُزْنَ قُلُوبِهِمْ، وَاجْبُرْ مُصِيبَتَهُمْ، وَأَحْسِنْ الخَلَفَ عَلَى مَنْ خُلِّفُوا**». **[المغازي للواقدي ١/ ٣١٥-٣١٦].**

«إِنَّ زَوْجَ المَرْأَةِ مِنْهَا لَبِمَكَانٍ»:

عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ جَحْشٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ حَمْنَةَ بِنْتِ جَحْشٍ أَنَّهُ قِيلَ لَهَا: **قُتِلَ أَخُوكِ**، فَقَالَتْ: **رَحِمَهُ اللهُ، وَإِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**، فَقِيلَ لَهَا: **قُتِلَ خَالُكِ حَمْزَةُ**، فَقَالَتْ: **رَحِمَهُ اللهُ، وَإِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**، قَالُوا: **قُتِلَ زَوْجُكِ**، قَالَتْ: **وَاحُزْنَاهُ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ لِلزَّوْجِ مِنْ المَرْأَةِ لَشُعْبَةً** (غصن الشجرة وقطعة من الشيء، والمراد النوع من المحبة والتعلق) **مَا هِيَ لِشَيْءٍ**».

[سنن ابن ماجه في ما جاء في الجنائز (١٥٩٠)، وقال الشيخ الألباني: ضعيف، وسنن البيهقي كتاب الجنائز، باب الرغبة في أن يتعزى بما أمر الله تعالى به من الصبر والاسترجاع ٤/ ٦٦، والمستدرك للحاكم كتاب معرفة الصحابة ﭭ، باب ذكر أم حبيبة بنت جحش ﵂ ٤/ ٦٢، والبداية والنهاية لابن كثير ٤/ ٤٧].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ رَاجِعًا إِلَى المَدِينَةِ، فَلَقِيَتْهُ حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ ﵂، كَمَا ذُكِرَ لِي، فَلَمَّا لَقِيَتْ النَّاسَ نُعِيَ إِلَيْهَا أَخُوهَا عَبْدُ الله بْنُ جَحْشٍ ﵁، فَاسْتَرْجَعَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ، ثُمَّ نُعِيَ لَهَا خَالُهَا حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ ﵁، فَاسْتَرْجَعَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ، ثُمَّ نُعِيَ لَهَا زَوْجُهَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ﵁، فَصَاحَتْ وَوَلْوَلَتْ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ زَوْجَ المَرْأَةِ مِنْهَا لَبِمَكَانٍ**»؛ لِمَا رَأَى مِنْ تَثَبُّتِهَا عِنْدَ أَخِيهَا وَخَالِهَا، وَصِيَاحِهَا عَلَى زَوْجِهَا. **[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٩٨].**

وقال الواقدي: «وَأَقْبَلَتْ حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ رضي الله عنها ـ بنت عمة النبي ﷺ ـ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا حَمْنُ احْتَسِبِي**»، قَالَتْ: مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**خَالُكِ حَمْزَةُ**»، قَالَتْ: **إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، غَفَرَ اللهُ لَهُ وَرَحِمَهُ، هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ!** ثُمَّ قَالَ لَهَا: «**احْتَسِبِي**»، قَالَتْ: مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَخُوكِ**»، قَالَتْ: **إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، غَفَرَ اللهُ لَهُ وَرَحِمَهُ، هَنِيئًا لَهُ الْجَنَّةُ!** ثُمَّ قَالَ لَهَا: «**احْتَسِبِي**»، قَالَتْ: مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مُصْعَبُ بْنَ عُمَيْرٍ**»، قَالَتْ: **وَاحُزْنَاهُ**، وَيُقَالُ إِنَّهَا قَالَتْ: **وَاعَقْرَاهُ!** فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ لِلزَّوْجِ مِنْ الْمَرْأَةِ مَكَانًا مَا هُوَ لأَحَدٍ**»، ثُمَّ قَالَ لَهَا رَسُولُ الله ﷺ: «**لِمَ قُلْتِ هَذَا؟**» قَالَتْ: **يَا رَسُولَ الله، ذَكَرْتُ يُتْمَ بَنِيهِ فَرَاعَنِي**، فَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ لِوَلَدِهِ أَنْ يُحْسَنَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْخَلَفِ، فَتَزَوَّجَتْ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ رضي الله عنه ـ كان من كبار أغنياء الصحابة ـ، فَوَلَدَتْ لَهُ مُحَمَّدَ بْنَ طَلْحَةَ، وَكَانَ أَوْصَلَ النَّاسِ لِوَلَدِهِ، وَكَانَتْ حَمْنَةُ خَرَجَتْ يَوْمَئِذٍ إِلَى أُحُدٍ مَعَ النِّسَاءِ يَسْقِينَ الْمَاءَ». [**المغازي للواقدي ١/ ٢٩١-٢٩٢**].

جيش النبي ﷺ يدخل المدينة:

«وفي مساء ذلك اليوم، يوم معركة أُحد، وهو اليوم الخامس عشر من شهر شوال عام ثلاثة من الهجرة، دخل الرسول ﷺ المدينة عائدًا بجيشه من أُحد، تحيط به هيئة أركانه وعامة جيشه.

يظهر أن ألم الجراح التي أصيب بها الرسول ﷺ في معركة أُحد قد اشتد عليه بعد وصوله إلى المدينة، يدل على ذلك أن الرسول ﷺ عندما وصل إلى بيته، سارع إليه السعدان «سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضي الله عنهما»، فاحتملاه ثم أنزلاه من على فرسه، ثم سار متكئًا عليهما حتى دخل بيته».

[**غزوة أُحد لباشميل ٢١٠**].

فيمن أحسن القتال يوم أحد:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «دَخَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه عَلَى فَاطِمَةَ رضي الله عنها يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: **خُذِي هَذَا السَّيْفَ غَيْرَ ذَمِيمٍ**، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَئِنْ كُنْتَ أَحْسَنْتَ الْقِتَالَ لَقَدْ أَحْسَنَهُ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَأَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ**». [**مجمع الزوائد ٦/ ١٧٩ كتاب المغازي والسير (١٠١١٨)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص ٢٨٩**].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: جَاءَ عَلِيٌّ رضي الله عنه بِسَيْفِهِ يَوْمَ أُحُدٍ قَدِ انْحَنَى، فَقَالَ لِفَاطِمَةَ رضي الله عنها: **هَاكِي السَّيْفَ حَمِيْدًا، فَإِنَّهَا قَدْ شَفَتْنِي**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَئِنْ كُنْتَ أَجَدْتَ الضَّرْبَ بِسَيْفِكَ لَقَدْ أَجَادَهُ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَأَبُو دُجَانَةَ، وَعَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَفْلَحُ، وَالْحَارِثُ بْنُ الصِّمَّةِ**». [**المستدرك على الصحيحين في المغازي والسرايا ٣/ ٢٦ رقم ٤٣٠٩، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري، ووافقه الذهبي**].

وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ الله ﷺ إِلَى أَهْلِهِ نَاوَلَ سَيْفَهُ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ، فَقَالَ: «**اغْسِلِي عَنْ هَذَا دَمَهُ يَا بُنَيَّةَ، فَوَاللهِ لَقَدْ صَدَقَنِي الْيَوْمَ**»، وَنَاوَلَهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه سَيْفَهُ فَقَالَ: **وَهَذَا أَيْضًا،**

فَاغْسِلِي عَنْهُ دَمَهُ، فَوَاللهِ لَقَدْ صَدَقَنِي الْيَوْمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَئِنْ كُنْتَ صَدَقْتَ الْقِتَالَ لَقَدْ صَدَقَ مَعَكَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَأَبُو دُجَانَةَ**». [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٠٠].

وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: «دَخَلَ عَلِيٌّ رضي الله عنه عَلَى فَاطِمَةَ ـ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهَا ـ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ:

أَفَاطِمُ هَاكِ السَّيْفَ غَيْرَ ذَمِيمٍ فَلَسْتُ بِرِعْدِيدٍ وَلا بِلَئِيمِ

لَعَمْرِي لَقَدْ أَبْلَيْتُ فِي نَصْرِ أَحْمَدَ وَمَرْضَاةِ رَبٍّ بِالعِبَادِ عَلِيمِ

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنْ كُنْتَ أَحْسَنْتَ الْقِتَالَ فَقَدْ أَحْسَنَهُ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَابْنُ الصِّمَّةِ**»، وَذَكَرَ آخَرَ فَنَسِيَهُ مُعَلَّى، فَقَالَ جِبْرِيلُ عليه السلام: **يَا مُحَمَّدُ، هَذَا وَأَبِيكَ الْمُوَاسَاةُ**، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا جِبْرِيلُ، إِنَّهُ مِنِّي**»، فَقَالَ جِبْرِيلُ عليه السلام: **وَأَنَا مِنْكُمَا**». [مجمع الزوائد ٦/ ١٧٨ كتاب المغازي والسير (١٠١١٦)، وقال الهيثمي: رواه البزار، وفيه معلى بن عبد الرحمن الواسطي، وهو ضعيف جدًّا، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به].

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ رضي الله عنه قَالَ: «جَاءَ عَلِيٌّ رضي الله عنه إِلَى فَاطِمَةَ رضي الله عنها يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: **أَمْسِكِي سَيْفِي هَذَا فَقَدْ أَحْسَنْتُ بِهِ الضَّرْبَ الْيَوْمَ**، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنْ كُنْتَ أَحْسَنْتَ الْقِتَالَ، فَقَدْ أَحْسَنَهُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ، وَسَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ الصِّمَّةِ**». [مجمع الزوائد ٦/ ١٧٨ كتاب المغازي والسير (١٠١١٧)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه أيوب بن أبي أمامة، قال الأزدي: منكر الحديث].

كيف تلقت المدينة نبأ الكارثة؟:

«قبل سنة تمامًا من معركة أحد كانت مكة تخيم عليها سحابة من الحزن العميق، فقد تلقت على أيدي المسلمين (في معركة بدر) ضربة موجعة مذهلة مزلزلة، حيث فقدت يوم ذاك سبعين قتيلًا فيهم الكثير من قادتها وأشرافها، كما أصاب الذل والهوان سبعين محاربًا من أبناء مكة وقعوا في أسر المسلمين يوم بدر، فكان (يوم ذاك) أول فاجعة من نوعها تصاب بها مكة في تاريخها.

ويشاء الله أن يمتحن المسلمين بعد سنة من هزيمة المشركين في بدر، وكان الامتحان والاختبار هو ما أصابهم في معركة أُحد.

ومن عجائب صنع الله أن عدد القتلى الذين خسرهم المسلمون في معركة أحد هو نفس العدد الذي خسره المشركون (قبل سنة في معركة بدر)، إلا أنه لم يقع أحد من المسلمين في أسر المشركين يوم أحد، بينما وقع سبعون أسيرًا من أهل مكة في أيدي المسلمين يوم بدر، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا بقوله: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ﴾ يعني سبعين قتيلًا في أحد: ﴿قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا﴾ يعني قتل سبعين مشركًا وأسر سبعين في بدر: ﴿قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وقد كانت كارثة المدينة كارثة كبيرة موجعة دونما شك، إلا أن الفرق كان شاسعًا بين مكة والمدينة في تلقي كل منهما خبر كارثته.

فإن مشركي مكة إذا كانوا قد تلقوا نبأ كارثتهم في بدر بشيء من الانهيار والاضطراب والهلع، فإن المدينة قد تلقت نبأ كارثتها في أُحد بصبر وإيمان وثبات وشجاعة منقطعة النظير.

فلم يظهر على أَحد من أهلها أي أثر للهلع أو الاضطراب والانهيار والتخاذل، لما أصاب جيشها في أُحد.

ولا أدل على ذلك من أن امرأة مسلمة فقدت ابنها وزوجها وأخاها وأباها في معركة أُحد، فلم تذهل ولم يخرجها وقع المصيبة العظيمة عن حدود الاعتدال، وهي الدينارية التي ذهبت إلى مكان المعركة فرأت ابنها وزوجها وأخاها وأباها قتلى مضرجين بدمائهم فلم تكترث (فضلًا عن أن تفقد توازنها)، وإنما ظلت تسأل عن مصير إنسان أحب إليها من هؤلاء الأربعة مهما عظمت تهون بجانب سلامته.

إنه الإيمان إذن، ولا شيء أعظم من الإيمان». [غزوة أُحد لباشميل ٢١٢-٢١٣].

منع النياحة على القتلى:

«غير أن أهل المدينة ـ كما هي عادة العرب قبل الإسلام ـ ناحوا على قتلاهم، فارتجت المدينة بأصوات الباكيات يندبن الشهداء، ولكن الرسول ﷺ نهى في تلك الليلة عن النياحة على الموتى، فصارت النياحة محرمة في الإسلام تحريمًا قاطعًا إلى الأبد.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَمَرَّ رَسُولُ الله ﷺ بِدَارٍ مِنْ دُورِ الأَنْصَارِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ وَظَفَرٍ فَسَمِعَ الْبُكَاءَ وَالنَّوَائِحَ عَلَى قَتْلَاهُمْ، فَذَرَفَتْ عَيْنَا رَسُولِ الله ﷺ فَبَكَى، ثُمَّ قَالَ: «**لَكِنَّ حَمْزَةَ لَا بَوَاكِيَ لَهُ**»، فَلَمَّا رَجَعَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ رضي الله عنهما إِلَى دَارِ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ أَمَرَا نِسَاءَهُمْ أَنْ يَتَحَزَّمْنَ ثُمَّ يَذْهَبْنَ فَيَبْكِينَ عَلَى عَمِّ رَسُولِ الله ﷺ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي حَكِيمُ بْنُ حَكِيمٍ عَنْ عَبَّادِ بْنِ حُنَيْفٍ عَنْ بَعْضِ رِجَالِ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ قَالَ: لَـمَّا سَمِعَ رَسُولُ الله ﷺ بُكَاءَهُنَّ عَلَى حَمْزَةَ خَرَجَ عَلَيْهِنَّ وَهُنَّ عَلَى بَابِ مَسْجِدِهِ يَبْكِينَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «**ارْجِعْنَ يَرْحَمْكُنَّ اللهُ، فَقَدْ آسَيْتُنَّ** (عزيتن وعاونتن، وأكثر ما يُقال في المعونة) **بِأَنْفُسِكُنَّ**».

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَنُهِيَ يَوْمَئِذٍ عَنْ النَّوْحِ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَحَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَـمَّا سَمِعَ بُكَاءَهُنَّ قَالَ: «**رَحِمَ اللهُ الأَنْصَارَ، فَإِنَّ الْمُوَاسَاةَ مِنْهُمْ مَا عَلِمْتُ لَقَدِيمَةٌ، مُرُوهُنَّ فَلْيَنْصَرِفْنَ**». [السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٩٩].

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَـمَّا رَجَعَ مِنْ أُحُدٍ سَمِعَ نِسَاءَ الأَنْصَارِ يَبْكِينَ عَلَى [مَنْ قُتِلَ مِنْ] أَزْوَاجِهِنَّ [مَرَّ بِنِسَاءِ عَبْدِ الأَشْهَلِ يَبْكِينَ هَلْكَاهُنَّ يَوْمَ أُحُدٍ]، فَقَالَ: «**لَكِنْ حَمْزَةُ لَا بَوَاكِيَ لَهُ**»، فَبَلَغَ ذَلِكَ نِسَاءَ الأَنْصَارِ، فَجِئْنَ يَبْكِينَ عَلَى حَمْزَةَ رضي الله عنه [عِنْدَهُ]، قَالَ: [وَرَقَدَ] فَانْتَبَهَ [فَاسْتَيْقَظَ] رَسُولُ الله ﷺ مِنْ اللَّيْلِ فَسَمِعَهُنَّ [ثُمَّ نَامَ فَاسْتَنْبَهَ] وَهُنَّ يَبْكِينَ، فَقَالَ: «**وَيْحَهُنَّ لَمْ يَزَلْنَ يَبْكِينَ بَعْدُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ!**

[وَيْحَهُنَّ، مَا انْقَلَبْنَ بَعْدُ؟] [يَا وَيْحَهُنَّ، أَنْتُنَّ هَاهُنَا تَبْكِينَ حَتَّى الْآنَ][يَا وَيْلَهُنَّ إِنَّهُنَّ لَهَا هُنَا حَتَّى الْآنَ]، مُرُوهُنَّ فَلْيَرْجِعْنَ [فَلْيَنْقَلِبْنَ]، وَلَا يَبْكِينَ عَلَى هَالِكٍ بَعْدَ الْيَوْمِ، [قَالَ: فَهُنَّ الْيَوْمَ إِذًا يَبْكِينَ يَنْدُبْنَ بِحَمْزَةَ]». [مسند أحمد ٩/ ٣٩٨، ٤٧٧، ٣٨ رقم ٥٥٦٣، ٥٦٦٦، ٤٩٨٤، وابن ماجه في الجنائز (١٥٩١)، وقال الشيخان الأرناؤوط والألباني: إسناده حسن، ومجمع الزوائد ٦/ ١٧٤ كتاب المغازي والسير (١٠١٠٩)، وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى بإسنادين، رجال أحدهما رجال الصحيح. والمستدرك على الصحيحين في معرفة الصحابة رضي الله عنهم ٣/ ٢١٥، ٢١٧ رقم ٤٨٨٣، ٤٨٩١، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والمعجم الكبير للطبراني ٣/ ١٤٦ رقم ٢٩٤٤].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: لَـمَّا رَجَعَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ أُحُدٍ سَمِعَ نِسَاءَ الْأَنْصَارِ يَبْكِينَ فَقَالَ: «لَكِنَّ حَمْزَةَ لَا بَوَاكِيَ»، فَبَلَغَ ذَلِكَ نِسَاءَ الْأَنْصَارِ فَبَكَيْنَ لِحَمْزَةَ، فَنَامَ رَسُولُ الله ﷺ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُنَّ يَبْكِينَ، فَقَالَ: «يَا وَيْحَهُنَّ مَا زِلْنَ يَبْكِينَ مُنْذُ الْيَوْمِ، فَلْيَسْكُتْنَ وَلَا يَبْكِينَ عَلَى هَالِكٍ بَعْدَ الْيَوْمِ».

[المستدرك على الصحيحين في الجنائز ١/ ٥٣٧ رقم ١٤٠٧، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، «وَهُوَ أَشْهَرُ حَدِيثٍ بِالْمَدِينَةِ، فَإِنَّ نِسَاءَ الْمَدِينَةِ لَا يَنْدُبْنَ مَوْتَاهُنَّ حَتَّى يَنْدُبْنَ حَمْزَةَ، وَإِلَى يَوْمِنَا هَذَا»، ووافقه الذهبي].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَـمَّا رَجَعَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ أُحُدٍ بَكَتْ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ عَلَى شُهَدَائِهِمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «لَكِنْ حَمْزَةُ لَا بَوَاكِيَ لَهُ»، فَرَجَعَتِ الْأَنْصَارُ فَقَالَتْ لِنسائِهِنَّ: لَا تَبْكِينَ أَحَدًا حَتَّى تَنْدُبْنَ حَمْزَةَ، قَالَ: فَقَالَ فِيهِمْ إِلَى الْيَوْمِ: لَا تَبْكِينَ إِلَّا بَدَيْنَ [بَدَأْنَ] بِحَمْزَةَ.

[مجمع الزوائد في المغازي والسير ٦/ ١٧٥ رقم ١٠١١٠، وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ١١/ ٣٩١ رقم ١٢٠٩٦]، وفيه يحيى بن مطيع الشيباني، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات].

وَعَنْ عَطَاءِ بنِ يَسَارَ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَرَّ عَلَى نِسَاءِ بَنِي الأَشْهَلِ لَـمَّا فَرِغَ مِنْ أُحُدٍ فَسَمِعَهُنَّ يَبْكِينَ عَلَى مَنِ اسْتُشْهِدَ مِنْهُنَّ بِأُحُدٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَلَكِنْ حَمْزَةُ لَيْسَ لَهُ بَوَاكِيَ!»، فَسَمِعَهُ مِنْهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رضي الله عنه، فَذَهَبَ إِلَى نِسَاءِ بَنِي الأَشْهَلِ، فَأَمَرَهُنَّ أَنْ يَذْهَبْنَ إِلَى بَيْتِ حَمْزَةَ رضي الله عنه فَلْيَبْكِينَ عَلَيْهِ، فَذَهَبْنَ يَبْكِينَ عَلَيْهِ، فَسَمِعَ رَسُولُ الله ﷺ بُكَاءَهُنَّ، فَقَالَ: «مَنْ هَؤُلَاءِ؟» فقيل: نِسَاءُ الْأَنْصَارِ يَبْكِينَ عَلَى حَمْزَةَ! فَخَرَجَ إِلَيْهِنَّ رَسُولُ الله ﷺ وَقَالَ: «لا بُكَاءَ، رَضِيَ اللهُ عَنْكُنَّ، وَعَنْ أَوْلَادِكُنَّ، وأَوْلَادِ أَوْلَادِكُنَّ!».

[سنن سعيد بن منصور ٢/ ٣٧٧ رقم ٢٩١٠].

وَعَنِ الشُّعْبِيِّ، قَالَ: لـمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ إِذَا هُوَ بِنِسَاءِ الأَنْصَارِ يَبْكِينَ قَتْلاهُنَّ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَكِنَّ حَمْزَةَ لَا بَوَاكِيَ لَهُ»، فَسَمِعَ ذَلِكَ سَيِّدُ الأَنْصَارِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رضي الله عنه، فَأَتَى نِسَاءَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: عَزَمْتُ عَلَيْكُنَّ أَنْ لَا تَبْكِيَنَّ امْرَأَةٌ مِنْكُنَّ شَجْوًا حَتَّى تَبْدَأَ بِشَجْوِ رَسُولِ الله ﷺ، فَجَعَلْنَ يَبْكِينَ عَلَى حَمْزَةَ رضي الله عنه، فَسَمِعَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «ما هَذَا؟»، فَأَخْبَرُوهُ بِمَا كَانَ مِنْ سَعْدٍ رضي الله عنه، فَقَالَ: «مَا أَرَدْتُ ذَلِكَ»، وَنُهِيَ عَنِ النَّوْحِ. [سنن سعيد بن منصور ٢/ ٣٧٧-٣٧٨ رقم ٢٩١١].

حالة الطوارئ في المدينة:

«ولما كانت تلك الليلة (التي عاد فيها الجيش الإسلامي من أُحد) أشبه بحالة الطوارئ، فقد باتت المدينة متيقظة ساهرة، على رجالها السلاح يحرسون مداخلها لاحتمال أن يحمل زهو الانتصار أبا سفيان على العودة لمهاجمتها.

وأنشأ الأوس والخزرج (من أنصار رسول الله ﷺ) من وجوههم وأبطالهم الأسداء مفرزة، وأوكلوا إليها القيام بحراسة الرسول ﷺ، فبات رجال تلك المفرزة واقفين في كامل سلاحهم، على باب النبي ﷺ خوفًا عليه من كرة العدو، الذي ليس من المستبعد أن يقوم بهجوم مفاجئ على المدينة لاسيما في تلك الليلة التي فيها عامة الجيش الإسلامي الذي شهد معركة أُحد مثقلًا بالجراح قد أنهكه التعب».

[غزوة أُحد لباشميل٢١٤].

شماتة المنافقين واليهود:

قال الواقدي: «وَصَلَّى رَسُولُ الله ﷺ المَغْرِبَ بِالمَدِينَةِ، وَرَجَعَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى المَدِينَةِ عِنْدَ نَكْبَةٍ قَدْ أَصَابَتْ أَصْحَابَهُ، وَأُصِيبَ رَسُولُ الله ﷺ فِي نَفْسِهِ، فَجَعَلَ ابْنُ أُبَيٍّ وَالمُنَافِقُونَ مَعَهُ يَشْمَتُونَ وَيُسَرُّونَ بِمَا أَصَابَهُمْ وَيُظْهِرُونَ أَقْبَحَ القَوْلِ.

وَرَجَعَ مَنْ رَجَعَ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَعَامَّتُهُمْ جَرِيحٌ، وَرَجَعَ عَبْدُ الله بْنُ عَبْدِ الله بْنِ أُبَيٍّ، وَهُوَ جَرِيحٌ، فَبَاتَ يَكْوِي الجِرَاحَةَ بِالنَّارِ، حَتَّى ذَهَبَ اللَّيْلُ، وَجَعَلَ أَبُوهُ يَقُولُ: **مَا كَانَ خُرُوجُكَ مَعَهُ إِلَى هَذَا الوَجْهِ بِرَأْيٍ، عَصَانِي مُحَمَّدٌ، وَأَطَاعَ الوِلْدَانَ، وَالله لَكَأَنِّي كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى هَذَا**، فَقَالَ ابْنُهُ: **الذِي صَنَعَ اللهُ لِرَسُولِهِ وَلِلمُسْلِمِينَ خَيْرٌ**.

وَأَظْهَرَتِ اليَهُودُ القَوْلَ السَّيِّءَ، فَقَالُوا: **مَا مُحَمَّدٌ إلا طَالِبُ مُلْكٍ، مَا أُصِيبَ هَكَذَا نَبِيٌّ قَطُّ، أُصِيبَ فِي بَدَنِهِ، وَأُصِيبَ فِي أَصْحَابِهِ**.

وَجَعَلَ المُنَافِقُونَ يُخَذِّلُونَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَصْحَابَهُ، وَيَأْمُرُونَهُمْ بِالتَّفَرُّقِ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، وَجَعَلَ الـمُنَافِقُونَ يَقُولُونَ لأَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ: **لَوْ كَانَ مَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ عِنْدَنَا مَا قُتِلَ**، حَتَّى سَمِعَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه ذَلِكَ فِي أَمَاكِنَ، فَمَشَى إِلَى رَسُولِ الله ﷺ لِيَسْتَأْذِنَهُ فِي قَتْلِ مَنْ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْهُ مِنَ اليَهُودِ وَالمُنَافِقِينَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا عُمَرُ، إِنَّ اللهَ مُظْهِرٌ دِينَهُ وَمُعِزٌّ نَبِيَّهُ، وَلِليَهُودِ ذِمَّةٌ فَلا أَقْتُلُهُمْ**»، قَالَ: فَهَؤُلاءِ المُنَافِقُونَ يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَلَيْسَ يُظْهِرُونَ شَهَادَةَ أَنَّ لا إِلَهَ إلا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ؟**»، قَالَ: **بَلَى يَا رَسُولَ الله، وَإِنَّمَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ تَعَوُّذًا مِنَ السَّيْفِ، فَقَدْ بَانَ لَهُمْ أَمْرُهُمْ، وَأَبْدَى**

اللهُ أَضْغَانَهُمْ عِنْدَ هَذِهِ النَّكْبَةِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «نُهِيتُ عَنْ قَتْلِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، يَا بْنَ الـخَطَّابِ، إِنَّ قُرَيْشًا لَنْ يَنَالُوا مِنَّا مِثْلَ هَذَا اليَوْمِ حَتَّى نَسْتَلِمَ الرُّكْنَ».

[المغازي للواقدي ١/ ٣١٧-٣١٨].

التحدث عن غزوة أحد:

عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: صَحِبْتُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ الله، وَسَعْدًا، وَالمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ رضي الله عنهم، فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ الله [النَّبِيِّ] ﷺ، إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُ طَلْحَةَ يُحَدِّثُ عَنْ يَوْمِ أُحُدٍ». [البخاري في الجهاد والسير (٢٨٢٤)، وفي المغازي (٤٠٦٢)].

شرف شهداء أحد من بين الشهداء:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ ـ إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابُ أُحُدٍ ـ: «أَمَا وَالله لَوَدِدْتُ أَنِّي غُودِرْتُ [(١)] مَعَ أَصْحَابِ نُحْصِ الجَبَلِ»، يَعْنِي: سَفْحَ الجَبَلِ، يَقُولُ: «قُتِلْتُ مَعَهُمْ».

[مسند أحمد ٢٣/ ٢٦٩-٢٧٠ رقم ١٥٠٢٥، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن، ومجمع الزوائد رقم ١٠١١٩، وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع. وقال الشيخ العلي: فالحديث بذلك صحيح. صحيح السيرة النبوية للعلي ص ٢٣٤، و المستدرك في الجهاد (٢٤٠٧)، وفي المغازي والسرايا (٤٣١٨)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي]

نقل عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَمَةَ والْمِجْذَرِ بْنِ زِيَادٍ رضي الله عنهما:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ عُثْمَانَ الْبَلَوِيِّ، عَنْ جَدَّتِهِ أُنَيْسَةَ بِنْتَ عَدِيٍّ، أَنَّهَا جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، ابْنِي عَبْدُ الله بْنُ سَلَمَةَ ـ وَكَانَ بَدْرِيًّا ـ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ أَحْبَبْتُ أَنْ أَنْقُلَهُ فَآنَسُ بِقُرْبِهِ، فَأَذِنَ لَهَا رَسُولُ الله ﷺ، فَعَدَلَتْهُ بِالْمُجْذَرِ بْنِ زِيَادٍ عَلَى نَاضِحٍ لَهُ فِي عَبَاءَةٍ، فَمَرَّتْ بِهِمَا فَعَجِبَ لَهُمَا النَّاسُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «سَوَّى بَيْنَهُمَا عَمَلُهُمَا»، وَكَانَ عَبْدُ الله رَجُلًا جَسِيمًا ثَقِيلًا، وَكَانَ الْمُجْذَرُ قَلِيلَ اللَّحْمِ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ:

أَنَا الَّذِي أُصَلِّي مِنْ بَلَى ... أَطْعَنُ بِالصَّعْدَةِ حَتَّى تَنْثَنِي

وَلَا تَرَى مُجْذَرًا يَفْرِي فَرِيَّ

[مجمع الزوائد في المغازي والسير ٦/ ١٥٠ رقم ١٠٠٤٩، وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ٢٤/ ١٩٢ رقم ٤٨٣]، ورجاله ثقات].

---

(١) أني غودرت: من المغادرة، وهي الترك، أي: ليتني تُركت مع قتلى أحد، وأُبقيت فيهم، أي: ليتني استشهدت معهم، وفي النهاية٣/ ٣٤٣: المراد قتلى أحد أو غيرهم. وهو خلاف ظاهر الرواية كما لا يخفى. وفيه دلالة على زيادة شرف شهداء أحد من بين الشهداء، والله تعالى أعلم. مسند أحمد ٢٣/ ٢٧٠.

المبحث الرابع
ذِكْرُ مَنْ اسْتُشْهِدَ بِأُحُدٍ مِنْ الـمُسْلِمِينَ، ومَنْ قُتِلَ مِنَ الـمُشْرِكِينَ (١)

ذِكْرُ مَنْ اسْتُشْهِدَ مِنْ الـمُسْلِمِينَ:

قال الهيثمي: قُلْتُ: وَقَدْ سَمَّى ابْنُ شِهَابٍ جَمَاعَةً اسْتُشْهِدُوا يَوْمَ أُحُدٍ بِإِسْنَادٍ وَاحِدٍ، تَقَدَّمَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فِيمَنْ شَهِدَ بَدْرًا، وَأَذْكُرُ مَنْ بَقِيَ، وَرِجَالُهُ إِلَى ابْنِ شِهَابٍ رِجَالُ الصَّحِيحِ...

قُلْتُ: وَقَدْ ذَكَرَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ فِيمَنِ اسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٌ جَمَاعَةً، مِنْهُمْ مَنْ تَقَدَّمَ فِيمَنْ شَهِدَ بَدْرًا، وَأَذْكُرُ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ. [**مجمع الزوائد ٦/ ١٨٠ رقم ١٠١٢٣، صحيح السيرة النبوية للعلي ص ٢٣٤**].

ثم ذكر ستًّا وعشرين من شهداء أُحُد، وهم ما ذكرهم الواقدي وابن إسحاق ما عدا واحد منهم، وسيأتي.

قَالَ الوَاقِدِيُّ: «حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ ابْنُ بِلالٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الـمُسَيَّبِ، قَالَ: قُتِلَ مِنَ الأَنْصَارِ بِأُحُدٍ سَبْعُونَ.

وَحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ، عَنْ رُبَيْحِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ مِثْلَهُ.

وَحَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ عُثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الـمَلِكِ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ، أَرْبَعَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَسَائِرُهُمْ مِنَ الأَنْصَارِ ـ الـمُزَنِيُّ، وَابْنُ أَخِيهِ وَابْنَا الهَبِيتِ ـ أَرْبَعَةٌ وَسَبْعُونَ، هَذَا الـمُجْتَمَعُ عَلَيْهِ.

١- **وَمِنْ بَنِي هَاشِمٍ**: حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الـمُطَّلِبِ، قَتَلَهُ وَحْشِيٌّ، هَذَا الأَصَحُّ لا اخْتِلافَ فِيهِ عِنْدَنَا.

٢- **وَمِنْ بَنِي أُمَيَّةَ**: عَبْدُ الله بْنُ جَحْشِ بْنِ رِئَابٍ، قَتَلَهُ أَبُو الحَكَمِ بْنُ الأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ.

وَيُقَالُ: خَمْسَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ:

٣- **مِنْ بَنِي أَسَدٍ**: سَعْدٌ (بن خولي الكلبي) مَوْلَى حَاطِبِ (بن أبي بلتعة).

٤- **وَمِنْ بَنِي مَخْزُومٍ**: شَمَّاسُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ الشَّرِيدِ، قَتَلَهُ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ.

٥- وَيُقَالُ: إِنَّ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الأَسَدِ أَصَابَهُ جُرْحٌ بِأُحُدٍ، فَلَمْ يَزَل جَرِيحًا حَتَّى مَاتَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَغُسِلَ بِبَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ بِالعَالِيَةِ بَيْنَ قَرْنَي البِئْرِ (**القرنان**: منارتان تبنيان على رأس البئر، ويوضع فوقهما خشبة فتعلق البكرة فيها) التِي صَارَتْ لِعَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَلِيٍّ اليَوْمَ.

٦- **وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ**: مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، قَتَلَهُ ابْنُ قَمِيئَةَ.

٧-٨- **وَمِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ لَيْثٍ**: عَبْدُ الله وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنَا الهَبِيتِ [الهُبَيِّبِ].

٩-١٠- **وَمِنْ مُزَيْنَةَ**: رَجُلانِ: وَهْبُ بْنُ قَابُوسٍ، وَابْنُ أَخِيهِ الحَارِثُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ قَابُوسٍ.

---

(١) السيرة لابن هشام ٢/ ١٢٢- ١٢٦، المغازي للواقدي ١/ ٣٠٠-٣٠٧، غزوة أحد لخلف الله ص ١١٤-١٤٧.

١١-٢١- وَمِنْ الأَنْصَارِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا: عَمْرُو بْنُ مُعَاذِ بْنِ النُّعْمَانِ، قَتَلَهُ ضِرَارُ بْنُ الخَطَّابِ، وَالحَارِثُ بْنُ أَنَسِ بْنِ رَافِعٍ، وَعِمَارَةُ بْنُ زِيَادِ بْنِ السَّكَنِ، وَسَلَمَةُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ وَقْشٍ، قَتَلَهُ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَعَمْرُو بْنُ ثَابِتِ بْنِ وَقْشٍ، قَتَلَهُ ضِرَارُ بْنُ الخَطَّابِ. [قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ زَعَمَ لِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ: أَنّ أَبَاهُمَا ثَابِتًا قُتِلَ يَوْمَئِذٍ]، وَرِفَاعَةُ بْنُ وَقْشٍ [رِفَاعَةُ بْنُ أَوْسِ بْنِ زَعْوَرَا بْنِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ]، قَتَلَهُ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ، وَاليَمَانُ أَبُو حُذَيْفَةَ (واسمه حُسيل بن جابر)، قَتَلَهُ الـمُسْلِمُونَ خَطًا، وَيُقَالُ: عُتْبَةُ بْنُ مَسْعُودٍ قَتَلَهُ خَطًا، وَصَيْفِي بْنُ قَيْظِيٍّ، قَتَلَهُ ضِرَارُ بْنُ الخَطَّابِ، وَالحَبَابُ بْنُ قَيْظِيٍّ، وَعَبَّادُ بْنُ سَهْلٍ، قَتَلَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ. [وَالْحَارِثُ بْنُ أَوْسِ بْنِ مُعَاذٍ].

٢٢-٢٤- وَمِنْ أَهْلِ رَاتِجَ، وَهُمْ إِلَى عَبْدِ الأَشْهَلِ: إِيَاسُ بْنُ أَوْسِ بْنِ عَتِيكِ بْنِ عَبْدِ الأَعْلَمِ بْنِ زَعُورَاءَ بْنِ جُشَمٍ، قَتَلَهُ ضِرَارُ بْنُ الخَطَّابِ، وَعُبَيْدُ بْنُ التَّيِّهَانِ، قَتَلَهُ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَحَبِيبُ بْنُ قَيِّمٍ [تَيْمٍ].

٢٥- [وَمِنْ بَنِي ظَفَرٍ: يَزِيدُ بْنُ حَاطِبِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ رَافِعٍ. رَجُلٌ].

٢٦- وَمِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِي ضُبَيْعَةَ بْنِ زَيْدٍ: أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الحَارِثِ بْنِ قَيْسِ بْنِ زَيْدِ بْنِ ضُبَيْعَةَ، وَهُوَ أَبُو البَنَاتِ الذِي قَالَ لِرَسُولِ الله ﷺ: أُقَاتِلُ ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى بَنَاتِي، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**صَدَقَ الله ﷻ**».

٢٧- وَمِنْ بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ضُبَيْعَةَ: حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ، قَتَلَهُ الأَسْوَدُ بْنُ شَعُوبٍ.

٢٨-٢٩- وَمِنْ بَنِي عُبَيْدِ بْنِ زَيْدٍ: أَنِيسُ بْنُ قَتَادَةَ، قَتَلَهُ أَبُو الحَكَمِ بْنُ الأَخْنَسِ بْنُ شَرِيقٍ، وَعَبْدُ الله بْنُ جُبَيْرِ بْنِ النُّعْمَانِ أَمِيرُ النَّبِي ﷺ عَلَى الرُّمَاةِ، قَتَلَهُ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ.

٣٠- [**وَمِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ:** أَبُو حَيَّةَ، وَهُوَ أَخُو سَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ لِأُمِّهِ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَبُو حَيَّةَ: ابْنُ عَمْرِو بْنِ ثَابِتٍ].

٣١- وَمِنْ بَنِي غَنْمِ بْنِ السَّلَمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ أَوْسٍ: خَيْثُمَةُ (بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب الأنصاري) أَبُو سَعْدٍ، قَتَلَهُ هُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهْبٍ.

٣٢- وَمِنْ بَنِي العَجْلَانِ: عَبْدُ الله بْنُ سَلَمَةَ، قَتَلَهُ ابْنُ الزِّبَعْرَى.

٣٣- وَمِنْ بَنِي مُعَاوِيَةَ: سُبَيْقُ [سُبَيعُ] بْنُ حَاطِبِ بْنِ الحَارِثِ بْنِ هَيْشَةَ، قَتَلَهُ ضِرَارُ بْنُ الخَطَّابِ ـ ثَمَانِيَةٌ.

٣٤-٣٥- وَمِنْ بَلحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ: خَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ، قَتَلَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، وَسَعْدُ بْنُ رَبِيعٍ، دُفِنَا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ.

٣٦- وَأَوْسُ بْنُ أَرْقَمَ بْنِ زَيْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ كَعْبٍ ـ أَرْبَعَةٌ.

٣٧- ٣٩- **وَمِنْ بَنِي الأَبْجَرِ، وَهُمْ بَنُو خَدِرَةَ:** مَالِكُ بْنُ سِنَانِ بْنِ الأَبْجَرِ، وَهُوَ أَبُو أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَتَلَهُ غُرَابُ بْنُ سُفْيَانَ، وَسَعْدُ [سَعِيدُ] بْنُ سُوَيْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ الأَبْجَرِ، وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعِ بْنِ رَافِعِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ـ ثَلاثَةٌ.

٤٠-٤١- **وَمِنْ بَنِي سَاعِدَةَ:** ثَعْلَبَةُ بْنُ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ خَالِدِ [بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْخَزْرَجِ بْنِ سَاعِدَةَ] بْنِ نُمَيْلَةَ، وَحَارِثَةُ بْنُ عَمْرٍو.

٤٢- وَنَفْثُ [ثَقْفُ] بْنُ فَرْوَةَ بْنِ البَدِيِّ ـ ثَلاثَةٌ.

٤٣-٤٦- **وَمِنْ بَنِي طَرِيفٍ** [رَهْطُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ]: عَبْدُ اللهِ [بْنُ عَمْرِو بْنِ وَهْبِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ وَقْشِ] ابْنُ ثَعْلَبَةَ، وَقَيْسُ بْنُ ثَعْلَبَةَ، وَطَرِيفٌ، وَضَمْرَةُ (بن عمرو بن كعب الجهني) حَلِيفَانِ لَهُمْ مِنْ جُهَيْنَةَ.

٤٧-٥١- **وَمِنْ بَنِي عَوْفِ بْنِ الخَزْرَجِ، مِنْ بَنِي سَالِمٍ ثُمَّ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ العَجْلانِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ غَنْمِ بْنِ سَالِمٍ:** نَوْفَلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، قَتَلَهُ سُفْيَانُ بْنُ عُوَيْفٍ، وَالعَبَّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنُ نَضْلَةَ، قَتَلَهُ سُفْيَانُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ السُّلَمِيُّ، وَالنُّعْمَانُ بْنُ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ غَنْمٍ، قَتَلَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، وَعَبَدَةُ بْنُ الحِسْحَاسِ [عبادة بن الخشخاش]، دُفِنَا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ، وَمُجَذَّرُ بْنُ ذِيَادٍ، قَتَلَهُ الحَارِثُ بْنُ سُوَيْدٍ غِيلَةً.

٥٢- **وَمِنْ بَنِي سَلِمَةَ:** عَنْتَرَةُ مَوْلَى بَنِي سَلِمَةَ، قَتَلَهُ نَوْفَلُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الدِّيلِيُّ.

٥٣- ٥٥- [**وَمِنْ بَنِي سَوَادِ بْنِ غَنْمٍ:** سُلَيْمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَدِيدَةَ؛ وَمَوْلَاهُ عَنْتَرَةُ؛ وَسَهْلُ [سَعْدُ] بْنُ قَيْسِ بْنِ أَبِي كَعْبِ بْنِ الْقَيْنِ. ثَلاثَةُ نَفَرٍ].

٥٦- **وَمِنْ بَلحُبْلَى:** رِفَاعَةُ بْنُ عَمْرٍو.

٥٧- ٦٠- **وَمِنْ بَنِي حَرَامٍ:** عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ، قَتَلَهُ سُفْيَانُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ، وَعَمْرُو بْنُ الجَمُوحِ، وَخَلَّادُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ، قَتَلَهُ الأَسْوَدُ بْنُ جَعُونَةَ ـ ثَلاثَةٌ. [وَأَبُو أَيْمَنَ مَوْلَى عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ].

٦١- **وَمِنْ بَنِي حَبِيبِ بْنِ عَبْدِ حَارِثَةَ:** الْمُعَلَّى بْنُ لَوْذَانَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ رُسْتُمَ بْنِ ثَعْلَبَةَ، قَتَلَهُ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ.

٦٢- ٦٣- **وَمِنْ بَنِي زُرَيْقٍ:** ذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ، قَتَلَهُ أَبُو الحَكَمِ بْنُ الأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ. [وَعُبَيْدُ بْنُ الْمُعَلَّى ابْنِ لَوْذَانَ. رَجُلَانِ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: عُبَيْدُ بْنُ الْمُعَلَّى، مِنْ بَنِي حَبِيبٍ].

٦٤- ٦٧- **وَمِنْ بَنِي النَّجَّارِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي سَوَادٍ:** عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ، قَتَلَهُ نَوْفَلُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الدِّيلِيُّ، وَابْنُهُ قَيْسُ بْنُ عَمْرٍو، وَسَلِيطُ [ثَابِتُ] بْنُ عَمْرٍو، وَعَامِرُ بْنُ مُخَلَّدٍ.

٦٨-٦٩- **وَمِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ مَبْذُولٍ:** أَبُو أُسَيْرَةَ [هُبَيْرَةَ] بْنُ الحَارِثِ بْنِ عَلقَمَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ، قَتَلَهُ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ، وَعَمْرُو بْنُ مُطَرِّفِ بْنِ عَلقَمَةَ بْنِ عَمْرٍو.

٧٠- **وَمِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ، وَهُمْ بَنُو مُغَالَةَ**: أَوْسُ بْنُ حَرَامٍ.

٧١- [**وَمِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ**: أَوْسُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ الْمُنْذِرِ. رَجُلٌ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَوْسُ بْنُ ثَابِتٍ أَخُو حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ].

٧٢- **وَمِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ**: أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ بْنِ ضَمْضَمَ [بْنِ زَيْدِ بْنِ حَرَامِ بْنِ جُنْدُبِ بْنِ عَامِرِ بْنِ غَنْمِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ النّجَّارِ. رَجُلٌ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَنَسُ بْنُ النّضْرِ، عَمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: خَادِمُ رَسُولِ اللهِ ﷺ]، قَتَلَهُ سُفْيَانُ بْنُ عُوَيْفٍ.

٧٣- ٧٤- **وَمِنْ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ**: قَيْسُ بْنُ مُخَلَّدٍ، وَكَيْسَانُ مَوْلاهُمْ، وَيُقَالُ: عَبْدٌ لَهُمْ لَمْ يَعْتِقْ.

٧٥- ٧٦- **وَمِنْ بَنِي دِينَارٍ**: سُلَيْمُ بْنُ الحَارِثِ، وَالنُّعْمَانُ بْنُ عَمْرٍو، وَهُمَا ابْنَا السُّمَيْرَاءِ بِنْتِ قَيْسٍ.

اُسْتُشْهِدَ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ اثْنَا عَشَرَ». **[المغازي للواقدي ١/ ٣٠٠-٣٠٧، السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٢٢-١٢٦، غزوة أحد لخلف الله ص ١١٤-١٤٧]**.

عَدَدُ الشُّهَدَاءِ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَجَمِيعُ مَنْ اُسْتُشْهِدَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ الْـمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ. خَمْسَةٌ وَسِتُّونَ رَجُلًا.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَمِمّنْ لَمْ يَذْكُرِ ابْنُ إِسْحَاقَ مِنْ السَّبْعِينَ الشّهَدَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْنَا:

٧٧- **مِنْ الْأَوْسِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي مُعَاوِيَةَ بْنِ مَالِكٍ**: مَالِكُ بْنُ نُمَيْلَةَ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ مُزَيْنَةَ.

٧٨- **وَمِنْ بَنِي خَطْمَةَ ـ وَاسْمُ خَطْمَةَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جُشَمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ**: الْحَارِثِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ خَرَشَةَ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ خَطْمَةَ.

٧٩- **وَمِنْ الْـخَزْرَجِ، ثُمّ مِنْ بَنِي سَوَادِ بْنِ مَالِكٍ**: مَالِكُ بْنُ إِيَاسٍ.

٨٠- **وَمِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ**: إِيَاسُ بْنُ عَدِيٍّ.

٨١- **وَمِنْ بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ**: عَمْرُو بْنُ إِيَاسٍ. **[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٢٦-١٢٧]**.

٨٢- **وَمِنَ الْأَنْصَارِ ثُمَّ مِنْ بَنِي مُعَاوِيَةَ بْنِ عَوْفٍ**: رَبِيعَةُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ تَمِيمٍ. **[مجمع الزوائد ٦/ ٨٠]**.

٨٣- ثَابِتُ بْنُ الدَّحْدَاحَةِ. **[الواقدي ١/ ٢٨١]**.

٨٤- ثَعْلَبَةُ بْنُ سَاعِدَةَ بْنِ مَالِكٍ الْخَزْرَجِي. **[المعجم الكبير للطبراني ٢/ ٨٢]**.

٨٥- ثقيف بن عمرو الأسلمي. **[الاستيعاب ١/ ٢٠٩، فتح الباري ٧/ ٣٧٥]**.

٨٦- عبيدة بن مسعود الساعدي. **[الإصابة ٢/ ٤٤٦]**.

٨٧- مالك بن خلف بن عمرو. **[الإصابة ٣/ ٣٤٣]**.

٨٨- مخيريق. [المغازي للواقدي ١/ ٢٦٢-٢٦٣].

[ينظر في شهداء أحد: غزوة أحد دراسة تحليلية من خلال السيرة النبوية ص ١٧٥-١٨٩، وغزوة أحد للعوفي ص ١٤٥-١٨٣، وشهداء أحد الذين ذكرهم ابن إسحاق في مغازيه ـ د/ محمد بن عبد الله بن عبد القادر غبان الصبحي ـ مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـ السنة السادسة والثلاثون، العدد ١٢٤ - ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م ص ٣٦١-٥٠٨].

ذِكْرُ مَنْ قُتِلَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقُتِلَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ:

١-٢- **مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ مِنْ أَصْحَابِ اللِّوَاءِ**: طَلْحَةُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، وَاسْمُ أَبِي طَلْحَةَ: عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَبُو سَعِيدِ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، قَتَلَهُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

٣- ٧- قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، قَتَلَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَمُسَافِعُ بْنُ طَلْحَةَ، وَالْجُلَّاسُ بْنُ طَلْحَةَ، قَتَلَهُمَا عَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَقْلَحِ، وَكِلَابُ بْنُ طَلْحَةَ، وَالْحَارِثُ بْنُ طَلْحَةَ، قَتَلَهُمَا قُزْمَانُ، حَلِيفٌ لِبَنِي ظَفَرٍ، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ قَتَلَ كِلَابًا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ.

٨- ١٠- قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَأَرْطَاةُ بْنُ عَبْدِ شُرَحْبِيلَ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ، قَتَلَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبُو يَزِيدَ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ، قَتَلَهُ قُزْمَانُ، وَصُؤَابُ غُلَامٌ لَهُ حَبَشِيٌّ، قَتَلَهُ قُزْمَانُ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَيُقَالُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَيُقَالُ أَبُو دُجَانَةَ.

١١- قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَالْقَاسِطُ بْنُ شُرَيْحِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ قَتَلَهُ قُزْمَانُ. أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا.

١٢- **وَمِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ**: عَبْدُ اللهِ بْنُ حُمَيْدِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. رَجُلٌ.

١٣- ١٤- **وَمِنْ بَنِي زُهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ**: أَبُو الْحَكَمِ بْنُ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقِ بْنِ عَمْرِو بْنِ وَهْبٍ الثَّقَفِيُّ، حَلِيفٌ لَهُمْ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَسِبَاعُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى ـ وَاسْمُ عَبْدِ الْعُزَّى: عَمْرُو بْنُ نَضْلَةَ بْنِ غُبْشَانَ بْنِ سُلَيْمِ ابْنِ مَلَكَانِ بْنِ أَفْصَى ـ حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ خُزَاعَةَ، قَتَلَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. رَجُلَانِ.

١٥- ١٨- **وَمِنْ بَنِي مَخْزُومِ بْنِ يَقَظَةَ**: هِشَامُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، قَتَلَهُ قُزْمَانُ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْعَاصِ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، قَتَلَهُ قُزْمَانُ، وَأَبُو أُمَيَّةَ بْنُ أَبِي حُذَيْفَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَخَالِدُ بْنُ الْأَعْلَمِ حَلِيفٌ لَهُمْ، قَتَلَهُ قُزْمَانُ. أَرْبَعَةُ نَفَرٍ.

١٩- ٢٠- **وَمِنْ بَنِي جُمَحَ بْنِ عَمْرٍو**: عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَيْرِ بْنِ وَهْبِ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ جُمَحَ، وَهُوَ أَبُو عَزَّةَ، قَتَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَبْرًا، وَأُبَيُّ بْنُ خَلَفِ بْنِ وَهْبِ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ جُمَحَ، قَتَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ. رَجُلَانِ.

٢١- ٢٢- **وَمِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ**: عُبَيْدَةُ بْنُ جَابِرٍ، وَشَيْبَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ الْمُضَرِّبِ، قَتَلَهُمَا قُزْمَانُ. رَجُلَانِ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: قَتَلَ عُبَيْدَةَ بْنَ جَابِرٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ.

عَدَدُ قَتْلَى الْمُشْرِكِينَ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَجَمِيعُ مَنْ قَتَلَ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ يَوْمَ أُحُدٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ رَجُلًا.
[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٢٧-١٢٩].

يقول الشيخ المباركفوري: «وأما قتلى المشركين فقد ذكر ابن إسحاق أنهم اثنان وعشرون قتيلًا، ولكن الإحصاء الدقيق ـ بعد تعميق النظر في جميع تفاصيل المعركة التي ذكرها أهل المغازي والسير، والتي تتضمن ذكر قتلى المشركين في مختلف مراحل القتال ـ يفيد أن عدد قتلى المشركين سبعة وثلاثون، لا اثنان وعشرون. والله أعلم». **[الرحيق المختوم ص ٢٥٢ ط دار الوفاء]**.

وقد جمعهم د/ السعيدي، فكان عددهم ٣٦، ولكنه كرر أبو الأخنس بن شريق، فزاد على ما ذُكر:

٢٣- الحارث بن سويد بن صامت. **[السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٣٤-٣٥]**.

٢٤- الحارث بن طلحة بن أبي طلحة. **[ابن هشام ٣/ ٦٢، والواقدي ١/ ٣٠٧]**.

٢٥- حبان بن العرقة. **[الرحيق المختوم ص ٢٧٢]**.

٢٦- خالد بن سفيان بن عويف الكناني. **[الواقدي ١/ ٣٠٩]**.

٢٧- شريح بن قارظ. **[ابن سعد ٢/ ٤١، الرحيق المختوم ص ٢٤٨]**.

٢٨- عبد الله بن جابر، قتله أبو دجانة. **[الرحيق المختوم ص ٢٦٣]**.

٢٩- عتبة بن أبي وقاص، أخو سعد بن أبي وقاص، قتله حاطب بن أبي بلتعة. **[الرحيق المختوم ٢٦٠]**.

٣٠- غراب بن سفيان بن عويف الكناني. **[الواقدي ١/ ٣٠٩]**.

٣١- معاوية بن المغيرة، كان قد تخلف يتجسس للمشركين، فقتل بعد حمراء الأسد. **[ابن هشام ٣/ ٤٦]**.

٣٢- أبو الحمراء بن سفيان بن عويف الكناني. **[الواقدي ١/ ٣٠٩]**.

٣٣- أبو الشفاء بن سفيان. **[الواقدي ١/ ٣٠٩]**.

٣٤- أبو عزيز بن عمير. **[الواقدي ١/ ٣٠٨، وابن سعد ٢/ ٤٣]**.

٣٥- ولد شرحبيل بن هاشم العبدري. **[الرحيق المختوم ص ٢٤٨]**.

[غزوة أحد دراسة تحليلية من خلال السيرة النبوية للسعيدي ص ١٩١-١٩٤].

المبحث الخامس
غزوة حمراء الأسد (١)

سبب الغزوة:

اختلفوا في سببها، فقال ابن إسحاق ومتابعوه: إنما خرج رسول الله ﷺ مرهبًا (مخيفًا) للعدو، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة، وأن الذي أصابهم لم يُوهِنُهم (يضعفهم) عن عدوهم.

وقال موسى بن عقبة ومحمد بن عمر الأسلمي: السبب أن رسول الله ﷺ بلغه أن أبا سفيان وأكثرَ مَنْ معه يريدون أن يرجعوا ليستأصلوا (**استأصله**: قلعه بأصوله) مَنْ بقي من أصحاب رسول الله ﷺ، فحينئذ حث رسول الله ﷺ الناس على الخروج في طلب العدو. [**سبل الهدى والرشاد للصالحي ٤/ ٤٣٨**].

ويؤيد هذا ما جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، وَقَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً أُخْرَى: أَخْبَرَنِي عِكْرِمَةُ، قَالَ: لَـمَّا انْصَرَفَ أَبُو سُفْيَانَ وَالْمُشْرِكُونَ عَنْ أَحَدٍ، وَبَلَغُوا الرَّوْحَاءَ (تبعد عن المدينة جنوبًا حوالي أربعين ميلًا)، قَالُوا: **لَا مُحَمَّدًا قَتَلْتُمْ [قَتَلْتُمُوهُ]، وَلَا الْكواعبَ** (جمع كاعب، وهي المرأة حين يبدو ثَديها للنُّهود) **أَرْدَفْتُمْ** (أركبتم وراءكم على الإبل والمعنى أسرتم)، **شَرٌّ [وَبِئْسَ] مَا صَنَعْتُمْ [ارْجِعُوا]**، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ الله ﷺ فَنَدَبَ (دعا) النَّاسَ فَانْتَدَبُوا (فخرجوا) حَتَّى بَلَغُوا حَمْرَاءَ الْأَسَدِ أَوْ بِئْرَ أَبِي عُيَيْنَةَ [عِنَبَةَ]، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُ﴾، وَقَدْ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: **مَوْعِدُكَ مَوْسِمُ بَدْرٍ حَيْثُ قَتَلْتُمْ أَصْحَابَنَا**، فَأَمَّا الْجَبَانُ فَرَجَعَ، وَأَمَّا الشُّجَاعُ فَأَخَذَ أُهْبَةَ الْقِتَالِ وَالتِّجَارَةِ فَأَتَوْهُ، فَلَمْ يَجِدُوا بِهِ أَحَدًا وتَسَوَّقُوا، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤﴾[آل عمران].

[مجمع الزوائد ٦/ ١٧٦ كتاب المغازي والسير (١٠١١٣)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ١١/ ٢٤٧ رقم ١١٦٣٢]، ورجاله رجال الصحيح، غير محمد بن منصور الجواز وهو ثقة. السنن الكبرى للنسائي في التفسير ١٠/ ٥٥ رقم ١١٠١٧. وقال السيوطي في لباب النقول ص ٦١: إن سنده صحيح، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/ ٢٢٨: أخرجه النسائي وابن مردويه، ورجاله رجال الصحيح، إلا أن المحفوظ إرساله عن عكرمة ليس فيه عن ابن عباس، ومن الطريق المرسلة أخرجه ابن أبي حاتم وغيره. صحيح السيرة النبوية للعلي ٢٣٧، ٢٤٥].

إلى حمراء الأسد:

«لقد كان للنجاح المفاجئ الذي حصل عليه الجيش المكي في معركة أُحُد، أثر في زعزعة سلطان المسلمين وإضعاف هيبتهم في نفوس خصومهم المتربصين بهم داخل المدينة وخارجها، فقد أخذ البعض من هؤلاء يحدثون أنفسهم ويفكرون في القيام ضد المسلمين ببعض الاضطرابات والقلاقل، بل صار البعض منهم ـ وخاصة اليهود والمنافقين ـ يتفوهون مساء يوم المعركة مباشرة، بما أشعر

---

(١) حمراء الأسد موضع على بعد ثمانية أميال من المدينة.

المسلمين بأن ما أصابهم في أُحد من نكسات قد أوهم هؤلاء الأعداء الألداء المتربصين بأن ما أصابهم في هذه المعركة قد أوهن من روحهم المعنوية وأَضعف من قوتهم العسكرية، وأنهم لذلك لم يعودوا قادرين كما كانوا على الاحتفاظ بسلطانهم وفرض هيبتهم على من يريد بهم سوءًا؛ ولهذا شعر قادة الجيش الإسلامي بأن هؤلاء الأعداء ـ سواء كانوا في الداخل أم الخارج ـ سيظلون على ظنهم ما لم يُثبت لهم المسلمون (عمليًّا) خطأ هذا الظن وفساده». [غزوة أُحد لباشميل٢١٥].

نصر مزيف:

«كذلك النصر الذي أحرزه جيش مكة في معركة أُحد، لم يعرف إلا النزر اليسير من سكان الجزيرة بأنه نصر مزيف لم يأت نتيجة بسالة الجيش المكي وبطولته، وإنما نتيجة غلطة شنيعة ارتكبها المسلمون أنفسهم في تنفيذ الخطة الحربية للمعركة، أعطت هذه الغلطة جند مكة نصرًا تعبويًّا أعادهم هذا النصر المفاجئ وهم يركضون في دروب الهزيمة إلى ساحة القتال؛ ليعودوا إلى مكة وهم في هيئة الجيش الظافر المنتصر، الذي لم يكن في حقيقته كذلك.

لهذا كان لابد من إقامة الدليل عمليًّا لسكان الجزيرة العربية أولًا بأن النصر الذي أحرزه جيش أبي سفيان في ملحمة أحد، لم يكن إلا نصرًا مزيفًا، وأن الجيش الذي أُشيع بأنه قد أحرزه عن بطولة، هو أضعف من أن يثبت للمسلمين في معركة جديدة، وأن قادة هذا الجيش ـ وعلى رأسهم أبو سفيان ـ لا يمكن أن يقبلوا التحدي ويوافقوا على خوض معركة جديدة ضد المسلمين في هذا الظرف بالذات، وإن هذا الجيش من الانهيار والخوف والهلع بحيث لا يقوى على الدخول في معركة حتى مع جيش أُحد الذي يقال إنه قد هزمه هناك وتغلب عليه، وذلك للحفاظ على انتصارهم العفوي الذي لم يكونوا يحلمون به.

كما أنه كان لابد للمسلمين في هذا الظرف الحرج من أن يثبتوا عمليًّا أيضًا لخصومهم من اليهود والمنافقين والأعراب، المجاورين للمدينة بأنهم مخطؤون في ظنهم بأنهم غُلبوا على أمرهم، وأن ما حدث للمسلمين في معركة أُحدُ لم يكن له أي أثر على معنوياتهم.

وإن لديهم من القوة ما يجعل كلمتهم كما كانت هي العليا ويمكنهم من سحق أية حركة يفكر أحد من هؤلاء الخصوم في القيام بها ضد المسلمين». [أُحد لباشميل٢١٥-٢١٦].

جيش المدينة يطارد جيش مكة:

«وكان لابد لتحقيق هذين الهدفين من عمل عسكري جريء سريع.

لذلك اتخذ القائد الأعلى للمسلمين ﷺ قرارًا في غاية في الجرأة والسرعة والإقدام، قرارًا قد يعتبره بعض العسكريين اليوم مغامرة عسكرية خطيرة أو عملًا انتحاريًّا خطيرًا.

فبالرغم من أن الجيش الإسلامي الذي خاض معركة أُحد لا تزال جراحه تنضح دمًا، فقد صدرت أوامر القائد الأعلى الرسول ﷺ بأن يتحرك وعلى جناح السرعة لمطاردة جيش مكة الذي يُقال إنه المنتصر.

ومتى صدرت هذه الأوامر إلى الجيش الإسلامي؟

لقد صدرت إليه الأوامر النبوية بعد مرور أقل من خمس عشرة ساعة على انتهاء المعركة الرهيبة التي خاضها هذا الجيش في أحد، والتي ناله فيها ما ناله من اندحار تعبوي.

وحرصًا من النبي القائد المحنك الحكيم ﷺ، على إظهار المسلمين أمام أعدائهم المتربصين بهم والظانين بهم ظن الضعف والانهيار بمظهر القوة والنجدة والتماسك والثبات، وعدم الاكتراث بما أصابهم في معركة أُحد، أمر ﷺ بأن لا يشترك في حملة مطاردة الجيش المكي إلا الجند الذين خاضوا معركة أحد فقط». [غزوة أُحد لباشميل ٢١٧].

قال الواقدي: «قَالُوا: لـمَّا صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ الصُّبْحَ يَوْمَ الأَحَدِ وَمَعَهُ وُجُوهُ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ، وَكَانُوا بَاتُوا فِي المَسْجِدِ عَلَى بَابِهِ ـ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَحُبَابُ بْنُ المُنْذِرِ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَأَوْسُ بْنُ خَوْلِيٍّ، وَقَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ، وَعُبَيْدُ بْنُ أَوْسٍ فِي عِدَّةٍ مِنْهُمْ.

فَلَـمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ الصُّبْحِ أَمَرَ بِلالًا ﷺ أَنْ يُنَادِيَ: **إِنَّ رَسُولَ الله يَأْمُرُكُمْ بِطَلَبِ عَدُوِّكُمْ، وَلا يَخْرُجُ مَعَنَا إِلَّا مَنْ شَهِدَ القِتَالَ بِالأَمْسِ.**

قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ﷺ رَاجِعًا إِلَى دَارِهِ يَأْمُرُ قَوْمَهُ بِالمَسِيرِ، قَالَ: وَالجِرَاحُ فِي النَّاسِ فَاشِيَةٌ، عَامَّةُ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ جَرِيحٌ بَلْ كُلُّهَا، فَجَاءَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ﷺ، فَقَالَ: **إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَطْلُبُوا عَدُوَّكُمْ.**

قَالَ: يَقُولُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ ﷺ، وَبِهِ سَبْعُ جِرَاحَاتٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُدَاوِيَهَا: **سَمْعًا وَطَاعَةً للهِ وَلِرَسُولِهِ،** فَأَخَذَ سِلاحَهُ وَلَمْ يُعَرِّجْ عَلَى دَوَاءِ جِرَاحِهِ، وَلَحِقَ بِرَسُولِ الله ﷺ.

وَجَاءَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ﷺ قَوْمَهُ بَنِي سَاعِدَةَ فَأَمَرَهُمْ بِالمَسِيرِ فَتَلَبَّسُوا وَلَحِقُوا.

وَجَاءَ أَبُو قَتَادَةَ ﷺ أَهْلَ خُرْبَى، وَهُمْ يُدَاوُونَ الجِرَاحَ فَقَالَ: هَذَا مُنَادِي رَسُولِ الله ﷺ يَأْمُرُكُمْ بِطَلَبِ عَدُوِّكُمْ، فَوَثَبُوا إِلَى سِلاحِهِمْ وَمَا عَرَّجُوا عَلَى جِرَاحَاتِهِمْ.

فَخَرَجَ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ أَرْبَعُونَ جَرِيحًا، بِالطُّفَيْلِ بْنِ النُّعْمَانِ ﷺ ثَلاثَةَ عَشَرَ جُرْحًا، وَبِخِرَاشِ بْنِ الصِّمَّةِ ﷺ عَشْرُ جِرَاحَاتٍ، وَبِكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ بَضْعَةَ عَشَرَ جُرْحًا، وَبِقُطْبَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ حَدِيدَةٍ ﷺ تِسْعُ جِرَاحَاتٍ، حَتَّى وَافَوْا النَّبِيَّ ﷺ بِبِئْرِ أَبِي عِنَبَةَ إِلَى رَأْسِ الثَّنِيَّةِ ـ الطَّرِيقُ الأُولَى يَوْمَئِذٍ ـ عَلَيْهِمْ السِّلاحُ قَدْ صَفُّوا لِرَسُولِ الله ﷺ، فَلَـمَّا نَظَرَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَيْهِمْ وَالجِرَاحُ فِيهِمْ فَاشِيَةٌ قَالَ: «**اللَّهُمَّ ارْحَمْ بَنِي سَلِمَةَ**».

قَالَ الوَاقِدِيُّ: وَحَدَّثَنِي عُتْبَةُ بْنُ جَبِيرَةَ، عَنْ رِجَالٍ مِنْ قَوْمِهِ قَالُوا: إِنَّ عَبْدَ الله بْنَ سَهْلٍ، وَرَافِعَ ابْنَ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ الأَشْهَلِ رَجَعَا مِنْ أُحُدٍ وَبِهِمَا جِرَاحٌ كَثِيرَةٌ، وَعَبْدُ الله أَثْقَلُهُمَا مِنْ الجِرَاحِ، فَلَـمَّا أَصْبَحُوا

وَجَاءَهُمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ﷺ يُخْبِرُهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُهُمْ بِطَلَبِ عَدُوِّهِمْ، قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: **وَاللهِ إِنَّ تَرْكَنَا غَزْوَةً مَعَ رَسُولِ اللهِ لَغَبْنٌ، وَاللهِ مَا عِنْدَنَا دَابَّةٌ نَرْكَبُهَا، وَمَا نَدْرِي كَيْفَ نَصْنَعُ؟** قَالَ عَبْدُ اللهِ: **انْطَلِقْ بِنَا**، قَالَ رَافِعٌ: **لا وَاللهِ مَا بِي مَشْيٌ**، قَالَ أَخُوهُ: **انْطَلِقْ بِنَا، نَتَجَارَّ وَنَقْصِدْ**، فَخَرَجَا يَزْحَفَانِ فَضَعُفَ رَافِعٌ فَكَانَ عَبْدُ اللهِ ﷺ يَحْمِلُهُ عَلَى ظَهْرِهِ عُقْبَةً (نوبة) وَيَمْشِي الآخَرُ عُقْبَةً، حَتَّى أَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ عِنْدَ الْعِشَاءِ وَهُمْ يُوقِدُونَ النِّيرَانَ، فَأُتِيَ بِهِمَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ - وَعَلَى حَرَسِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ - فَقَالَ: «**مَا حَبَسَكُمَا؟**» فَأَخْبَرَاهُ بِعِلَّتِهِمَا، فَدَعَا لَهُمَا بِخَيْرٍ، وَقَالَ: «**إِنْ طَالَتْ لَكُمْ مُدَّةٌ كَانَتْ لَكُمْ مَرَاكِبُ مِنْ خَيْلٍ وَبِغَالٍ وَإِبِلٍ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِخَيْرٍ لَكُمْ!**».

حَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، قَالَ: هَذَانِ أَنَسٌ وَمُؤْنِسٌ وَهَذِهِ قِصَّتُهُمَا». [**المغازي للواقدي ١/ ٣٣٤-٣٣٦، السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ١٠١**].

استثناء جابر بن عبد الله ﷺ:

«لم يسمح الرسول ﷺ لأحد من غير عسكر أُحُد بالاشتراك في حملة حمراء الأسد إلا لرجل واحد هو جابر بن عبد الله ﷺ، الذي قَدَّم التماسًا خاصًّا إلى القائد الأعلى الرسول ﷺ ليسمح له في هذه الحملة، وكان من الأسباب الوجيهة التي تذرع بها هذا الشاب ليسمح له الرسول ﷺ بالاشتراك في الحملة، هو أنه كان قد فاته شرف الاشتراك في معركة أحد مع حرصه الشديد على ذلك؛ لأن أباه عبد الله بن عمرو بن حرام ﷺ لم يسمح له بالاشتراك فيها وأمره بالبقاء في المدينة إلى جانب أخواته السبع اللاتي لم يبق بينهن رجل سواه». [**غزوة أُحد لباشميل٢١٨**].

قال الواقدي: «وَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ﷺ: **يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ مُنَادِيًا نَادَى أَلَّا يَخْرُجَ مَعَنَا إِلَّا مَنْ حَضَرَ الْقِتَالَ بِالأَمْسِ، وَقَدْ كُنْتُ حَرِيصًا عَلَى الْحُضُورِ وَلَكِنَّ أَبِي خَلَّفَنِي عَلَى أَخَوَاتٍ لِي وَقَالَ: يَا بُنَيَّ، لا يَنْبَغِي لِي وَلَكَ أَنْ نَدَعَهُنَّ وَلا رَجُلَ عِنْدَهُنَّ، وَأَخَافُ عَلَيْهِنَّ وَهُنَّ نُسَيَّاتٌ ضِعَافٌ، وَأَنَا خَارِجٌ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَعَلَّ اللهَ يَرْزُقَنِي الشَّهَادَةَ، فَتَخَلَّفْتُ عَلَيْهِنَّ، فَاسْتَأْثَرَهُ اللهُ عَلَيَّ بِالشَّهَادَةِ وَكُنْتُ رَجَوْتُهَا، فَأْذَنْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ أَسِيرَ مَعَك**، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

قَالَ جَابِرٌ: فَلَمْ يَخْرُجْ مَعَهُ أَحَدٌ لَمْ يَشْهَدْ الْقِتَالَ بِالأَمْسِ غَيْرِي، وَاسْتَأْذَنَهُ رِجَالٌ لَمْ يَحْضُرُوا الْقِتَالَ فَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ». [**المغازي للواقدي ١/ ٣٣٦، والسيرة النبوية لابن هشام ٣/ ١٠١**].

الحملة تتحرك:

قال الواقدي: «وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ مَجْرُوحٌ، فِي وَجْهِهِ أَثَرُ الْحَلَقَتَيْنِ، وَمَشْجُوجٌ فِي جَبْهَتِهِ فِي أُصُولِ الشَّعَرِ وَرَبَاعِيَتُهُ قَدْ شَظِيَتْ، وَشَفَتُهُ قَدْ كُلِمَتْ مِنْ بَاطِنِهَا، وَهُوَ مُتَوَهِّنٌ مَنْكِبِهِ الأَيْمَنِ بِضَرْبَةِ ابْنِ قَمِيئَةٍ، وَرُكْبَتَاهُ مَجْحُوشَتَانِ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَسْجِدَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ وَالنَّاسُ قَدْ حُشِدُوا، وَنَزَلَ أَهْلُ

العَوَالِي حَيْثُ جَاءَهُمْ الصَّرِيخُ، ثُمَّ رَكَعَ رَسُولُ الله ﷺ رَكْعَتَيْنِ فَدَعَا بِفَرَسِهِ عَلَى بَابِ المَسْجِدِ، وَتَلَقَّاهُ طَلحَةُ ﷺ وَقَدْ سَمِعَ المُنَادِيَ فَخَرَجَ يَنْظُرُ مَتَى يَسِيرُ رَسُولُ الله ﷺ، فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ عَلَيْهِ الدِّرْعُ وَالمِغْفَرُ وَمَا يُرَى مِنْهُ إلا عَيْنَاهُ، فَقَالَ: «**يَا طَلحَةُ، سِلاحَكَ**»، فَقُلْتُ: قَرِيبًا، قَالَ طَلحَةُ: **فَأَخْرُجُ أَعْدُو فَأَلبَسُ دِرْعِي، وَآخُذُ سَيْفِي، وَأَطْرَحُ دَرَقَتِي فِي صَدْرِي، وَإِنَّ بِي لَتِسْعَ جِرَاحَاتٍ وَلأَنَا أَهَمُّ بِجِرَاحِ رَسُولِ الله ﷺ مِنِّي بِجِرَاحِي**، ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى طَلحَةَ، فَقَالَ: «**تُرَى القَوْمَ الآنَ؟**»، قَالَ: **هُمْ بِالسَّيَّالَةِ**، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ذَلِكَ الذِي ظَنَنْتُ، أَمَا إِنَّهُمْ يَا طَلحَةُ لَنْ يَنَالُوا مِنَّا مِثْلَ أَمْسِ حَتَّى يَفْتَحَ اللهُ مَكَّةَ عَلَيْنَا**». [**المغازي للواقدي ١/ ٣٣٦-٣٣٧**].

تحركت قوة المدينة المطاردة وغادرت المدينة بعد صلاة الفجر بقيادة النبي ﷺ، وهو أيضًا ممن أثخنتهم الجراح في معركة أُحد، وقد استخلف الرسول ﷺ أميرًا على المدينة ابن أم مكتوم ﷺ.

ركب الرسول ﷺ فرسه المسمى بالسكب وقد تدجج بسلاحه وتقدم يقود الجيش في اتجاه الجنوب مسرعًا لمطاردة أبي سفيان.

وقد أعطى لواء هذه الحملة إلى علي بن أبي طالب ﷺ، وهو اللواء الذي قاتل المسلمون في ظله يوم أحد، والذي بقي معقودًا لم يحل من ساريته حتى رجع المسلمون من هذه الحملة ظافرين.

وسارت هذه القوة مسرعة في طلب أبي سفيان حتى أدركها المساء في مكان يقال له (حمراء الأسد)، وكان دليل الجيش الإسلامي في هذه الحملة ثابت بن الضحاك، وقد عسكر الرسول ﷺ، بجيشه في حمراء الأسد». [**غزوة أُحد لباشميل ٢١٩-٢٢١**].

﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُ﴾:

عَنْ عَائِشَةَ ﷺ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢﴾ [آل عمران]، قَالَتْ لِعُرْوَةَ: يَا ابْنَ أُخْتِي، كَانَ أَبَوَاكَ مِنْهُمْ الزُّبَيْرُ وَأَبُو بَكْرٍ، لَـمَّا أَصَابَ رَسُولَ الله ﷺ مَا أَصَابَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَانْصَرَفَ عَنْهُ المُشْرِكُونَ، خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا، قَالَ: «**مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ**»، فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا، قَالَ: كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ». [**البخاري في المغازي (٤٠٧٧)**].

قال ابن كثير: «وَهَذَا السِّيَاقُ غَرِيبٌ جِدًّا، فَإِنَّ المَشْهُورَ عِنْدَ أَصْحَابِ المَغَازِي أَنَّ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إِلَى حَمْرَاءِ الأَسَدِ كُلُّ مَنْ شَهِدَ أُحُدًا، وَكَانُوا سَبْعَمِائَةٍ، كَمَا تَقَدَّمَ.

قُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ وَبَقِيَ الْبَاقُونَ». [**السيرة النبوية لابن كثير ٣/ ١٠١**].

وقال الصالحي: «قلت: الظاهر ـ والله أعلم ـ أنه لا تخالف بين قول عائشة ﵂، وما ذكره أصحاب المغازي؛ لأن معنى قولها: «فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ» أنهم سبقوا غيرهم، ثم تلاحق الباقون».

[سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالحي ٤/ ٤٤٧].

وعَنْ عُرْوَةَ قَالَ: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ ﵂: «أَبَوَاكَ وَالله مِنَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لله وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ (هو ألم الجرح، ثم استعمل في الجرح)، تَعْنِي أَبَا بَكْرٍ وَالزُّبَيْرَ».

[مسلم في فضائل الصحابة ﵃ (٢٤١٨)].

استطلاعات النبي ﷺ:

قال الواقدي: «وَبَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ ثَلاثَةَ نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ طَلِيعَةً فِي آثَارِ الْقَوْمِ سَلِيطًا، وَنُعْمَانَ ابْنَيْ سُفْيَانَ بْنِ خَالِدِ بْنِ عَوْفِ بْنِ دَارِمٍ، مِنْ بَنِي سَهْمٍ، وَمَعَهُمَا ثَالِثٌ مِنْ أَسْلَمَ مِنْ بَنِي عُوَيْرٍ لَمْ يُسَمَّ لَنَا، فَأَبْطَأَ الثَّالِثُ عَنْهُمَا وَهُمَا يَجْمِزَانِ (يسرعان)، وَقَدْ انْقَطَعَ قِبَالُ نَعْلٍ (الزمام الذي يكون بين الإصبع الوسطى والتي تليها) أَحَدِهِمَا، فَقَالَ: أَعْطِنِي نَعْلَك، قَالَ: لا وَالله، لا أَفْعَلُ! فَضَرَبَ أَحَدُهُمَا بِرِجْلِهِ فِي صَدْرِهِ، فَوَقَعَ لِظَهْرِهِ وَأَخَذَ نَعْلَيْهِ، وَلَحِقَ الْقَوْمُ بِحَمْرَاءِ الأَسَدِ، وَلَهُمْ زَجَلٌ وَهُمْ يَأْتَمِرُونَ بِالرُّجُوعِ وَصَفْوَانُ يَنْهَاهُمْ عَنْ الرُّجُوعِ فَبَصُرُوا بِالرَّجُلَيْنِ فَعَطَفُوا عَلَيْهِمَا فَأَصَابُوهُمَا، فَانْتَهَى الْمُسْلِمُونَ إِلَى مَصْرَعِهِمَا بِحَمْرَاءِ الأَسَدِ فَعَسْكَرُوا، وَقَبَرُوهُمَا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ.

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﵄: هَذَا قَبْرُهُمَا وَهُمَا الْقَرِينَانِ». **[المغازي للواقدي ١/ ٣٣٧-٣٣٨].**

الجيش الإسلامي في حمراء الأسد:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى انْتَهَى إِلَى حَمْرَاءِ الأَسَدِ وَهِيَ مِنَ المَدِينَةِ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَمْيَالٍ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى المَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ ﵁، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَأَقَامَ بِهَا الاِثْنَيْنِ وَالثُّلَاثَاءَ وَالأَرْبِعَاءَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى المَدِينَةِ.

[السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ١٠١-١٠٢].

وقال الواقدي: «وَمَضَى رَسُولُ الله ﷺ فِي أَصْحَابِهِ حَتَّى عَسْكَرُوا بِحَمْرَاءِ الأَسَدِ.

قَالَ جَابِرٌ ﵁: وَكَانَ عَامَّةُ زَادِنَا التَّمْرَ، وَحَمَلَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ﵁ ثَلاثِينَ جَمَلًا حَتَّى وَافَتْ الحَمْرَاءَ، وَسَاقَ جُزُرًا فَنَحَرُوا فِي يَوْمِ اثْنَيْنِ وَفِي يَوْمِ ثَلاثًا، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَأْمُرُهُمْ فِي النَّهَارِ بِجَمْعِ الحَطْبِ، فَإِذَا أَمْسَوْا أَمَرَنَا أَنْ نُوقِدَ النِّيرَانَ، فَيُوقِدُ كُلُّ رَجُلٍ نَارًا، فَلَقَدْ كُنَّا تِلْكَ اللَّيَالِيَ نُوقِدُ خَمْسَمِائَةِ نَارٍ حَتَّى تُرَى مِنْ المَكَانِ البَعِيدِ، وَذَهَبَ ذِكْرُ مُعَسْكَرِنَا، وَنِيرَانِنَا فِي كُلِّ وَجْهٍ حَتَّى كَانَ مِمَّا كَبَتَ اللهُ تَعَالَى عَدُوَّنَا».

[المغازي للواقدي ١/ ٣٣٨].

مقتل أبي عزة الجمحي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ أَبُو عَزَّةَ يَوْمَ بَدْرٍ: **يَا رَسُولَ الله، أَنْتَ أَعْرَفُ النَّاسِ بِفَاقَتِي وَعِيَالِي، وَإِنِّي ذُو بَنَاتٍ**، قَالَ: فَرَقَّ لَهُ وَمَنَّ عَلَيْهِ وَعَفَا عَنْهُ، وَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ بِلَا فِدَاءٍ، فَلَمَّا أَتَى مَكَّةَ هَجَا النَّبِيَّ ﷺ وَحَرَّضَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَأُسِرَ يَوْمَ أُحُدٍ، أُتِيَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ، قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: «**لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ**». [السنن الكبرى للبيهقي ـ كتاب قسم الفيء والغنيمة ٦/ ٥٢٠ رقم ١٢٨٣٩، وقال البيهقي: هذا إسنادٌ فيه ضعفٌ، وهو مشهورٌ عند أهل المغازي].

وعَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: أَمَّنَ رَسُولُ الله ﷺ مِنَ الْأُسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ أَبَا عَزَّةَ عَبْدَ الله بْنَ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْجُمَحِيَّ، وَكَانَ شَاعِرًا، وَكَانَ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: **يَا مُحَمَّدُ إِنَّ لِي خَمْسَ بَنَاتٍ لَيْسَ لَهُنَّ شَيْءٌ فَتَصَدَّقْ بِي عَلَيْهِنَّ**، فَفَعَلَ، وَقَالَ أَبُو عَزَّةَ: **أُعْطِيكَ مَوْثِقًا أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ وَلَا أُكْثِرَ عَلَيْكَ أَبَدًا**، فَأَرْسَلَهُ رَسُولُ الله ﷺ، فَلَمَّا خَرَجَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أُحُدٍ جَاءَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، فَقَالَ: اخْرُجْ مَعَنَا، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُ مُحَمَّدًا مَوْثِقًا أَنْ لَا أُقَاتِلَهُ، فَضَمِنَ صَفْوَانُ أَنْ يَجْعَلَ بَنَاتِهِ مَعَ بَنَاتِهِ إِنْ قُتِلَ، وَإِنْ عَاشَ أَعْطَاهُ مَالًا كَثِيرًا، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى خَرَجَ مَعَ قُرَيْشٍ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأُسِرَ وَلَمْ يُؤْسَرْ غَيْرُهُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: **يَا مُحَمَّدُ إِنَّمَا أُخْرِجْتُ كَرْهًا وَلِي بَنَاتٌ فَامْنُنْ عَلَيَّ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَيْنَ مَا أَعْطَيْتَنِي مِنَ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ؟ لَا، وَالله لَا تَمْسَحُ عَارِضَيْكَ** (تثنية عارض، وهو صفحة الخد) **بِمَكَّةَ تَقُولُ: سَخِرْتُ بِمُحَمَّدٍ مَرَّتَيْنِ**».

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُلْدَغُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ، يَا عَاصِمُ بْنَ ثَابِتٍ قَدِّمْهُ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ**»، فَقَدَّمَهُ فَضَرَبَ عُنُقَهُ. [السنن الكبرى للبيهقي كتاب السير ٩/ ١١١ رقم ١٨٠٢٩].

وذكر الواقدي في المغازي (تَسْمِيَةُ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ): «عَمْرُو بْنُ عَبْدِ الله بْنِ عُمَيْرِ بْنِ وَهْبِ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ جُمَحٍ، وَهُوَ أَبُو عَزَّةَ أَخَذَهُ رَسُولُ الله ﷺ أَسِيرًا يَوْمَ أُحُدٍ وَلَمْ يَأْخُذْ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ أَسِيرًا غَيْرَهُ، فَقَالَ: **يَا مُحَمَّدُ، مُنَّ عَلَيَّ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لا يُلْدَغُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ، وَلا تَرْجِعْ إِلَى مَكَّةَ تَمْسَحْ عَارِضَيْكَ تَقُولُ: سَخِرْتُ بِمُحَمَّدٍ مَرَّتَيْنِ!**»، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ ﷺ فَضَرَبَ عُنُقَهُ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ الله الْوَاقِدِيُّ: وَسَمِعْنَا فِي أَسْرِهِ غَيْرَ ذَلِكَ.

حَدَّثَنَا بُكَيْرُ بْنُ مِسْمَارٍ، قَالَ: لَمَّا انْصَرَفَ الْمُشْرِكُونَ عَنْ أُحُدٍ نَزَلُوا بِحَمْرَاءِ الْأَسَدِ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ سَاعَةً، ثُمَّ رَحَلُوا وَتَرَكُوا أَبَا عَزَّةَ نَائِمًا مَكَانَهُ حَتَّى ارْتَفَعَ النَّهَارُ وَلَحِقَهُ الْمُسْلِمُونَ، وَهُوَ مُسْتَنْبِهٌ يَتَلَدَّدُ (تلفت يمينًا وشمالًا)، وَكَانَ الَّذِي أَخَذَهُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ ﷺ، فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَضَرَبَ عُنُقَهُ».

[المغازي للواقدي ١/ ٣٠٨-٣٠٩، السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ١٠٤].

قَتْلُ جاسوس قريش:

قال الواقدي: «وَكَانَ مُعَاوِيَةُ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ قَدْ انْهَزَمَ يَوْمَئِذٍ، فَمَضَى عَلَى وَجْهِهِ، فَنَامَ قَرِيبًا مِنْ الْمَدِينَةِ، فَلَـمَّا أَصْبَحَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَأَتَى مَنْزِلَ عُثْمَانَ بْنَ عفَّانَ ﷺ، فَضَرَبَ بَابَهُ فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ رَسُولِ الله ﷺ: لَيْسَ هُوَ هَاهُنَا، هُوَ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: فَأَرْسِلِي إِلَيْهِ فَإِنَّ لَهُ عِنْدِي ثَمَنَ بَعِيرٍ اشْتَرَيْتُهُ عَامَ أَوَّلٍ فَجِئْتُهُ بِثَمَنِهِ وَإِلا ذَهَبْتُ، قَالَ: فَأَرْسَلَتْ إِلَى عُثْمَانَ ﷺ فَجَاءَ، فَلَـمَّا رَآهُ قَالَ: وَيْحَكَ، أَهْلَكْتَنِي وَأَهْلَكْتَ نَفْسَكَ، مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: يَا ابْنَ عَمٍّ، لَمْ يَكُنْ لِي أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَيَّ مِنْكَ وَلا أَحَقَّ، فَأَدْخَلَهُ عُثْمَانُ ﷺ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يُرِيدُ أَنْ يَأْخُذَ لَهُ أَمَانًا، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ عُثْمَانُ ﷺ: «**إِنَّ مُعَاوِيَةَ قَدْ أَصْبَحَ بِالْمَدِينَةِ فَاطْلُبُوهُ**»، فَطَلَبُوهُ، فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اطْلُبُوهُ فِي بَيْتِ عُثْمَانَ بْنِ عفَّانَ، فَدَخَلُوا بَيْتَ عُثْمَانَ ﷺ، فَسَأَلُوا أُمَّ كُلْثُومٍ، فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ فَاسْتَخْرَجُوهُ مِنْ تَحْتِ حِمَارَةٍ (ثلاثة أعواد يشد بعض أطرافها إلى بعض ويخالف بين أرجلها، وتعلق عليها الإداوة ليبرد الماء) لَهُمْ، فَانْطَلَقُوا بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَعُثْمَانُ ﷺ جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ، فَلَـمَّا رَآهُ عُثْمَانُ ﷺ قَدْ أُتِيَ بِهِ قَالَ: **وَالذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا جِئْتُكَ إِلا أَنْ أَسْأَلَكَ أَنْ تُؤَمِّنَهُ فَهَبْهُ لِي يَا رَسُولَ الله!** فَوَهَبَهُ لَهُ وَأَمَّنَهُ وَأَجَّلَهُ ثَلاثًا، فَإِنْ وُجِدَ بَعْدَهُنَّ قُتِلَ، قَالَ: فَخَرَجَ عُثْمَانُ فَاشْتَرَى لَهُ بَعِيرًا وَجَهَّزَهُ، ثُمَّ قَالَ: ارْتَحِلْ، فَارْتَحَلَ.

وَسَارَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى حَمْرَاءِ الأَسَدِ، وَخَرَجَ عُثْمَانُ ﷺ مَعَ الـمُسْلِمِينَ إِلَى حَمْرَاءِ الأَسَدِ، وَأَقَامَ مُعَاوِيَةُ حَتَّى كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ فَجَلَسَ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَخَرَجَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِصُدُورِ الْعَقِيقِ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ مُعَاوِيَةَ قَدْ أَصْبَحَ قَرِيبًا فَاطْلُبُوهُ**»، فَخَرَجَ النَّاسُ فِي طَلَبِهِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ أَخْطَأَ الطَّرِيقَ، فَخَرَجُوا فِي أَثَرِهِ حَتَّى يُدْرِكُوهُ فِي يَوْمِ الرَّابِعِ، وَكَانَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ أَسْرَعَا فِي طَلَبِهِ، فَأَدْرَكَاهُ بِالْجَمَّاءِ، فَضَرَبَهُ زَيْدُ ابْنُ حَارِثَةَ، وَقَالَ عَمَّارٌ: إِنَّ لِي فِيهِ حَقًّا، فَرَمَاهُ عَمَّارٌ بِسَهْمٍ فَقَتَلاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَاهُ.

وَيُقَالُ: أُدْرِكَ بِثَنِيَّةِ الشَّرِيدِ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَمْيَالٍ مِنْ الْمَدِينَةِ، وَذَلِكَ حَيْثُ أَخْطَأَ الطَّرِيقَ، فَأَدْرَكَاهُ فَلَمْ يَزَالا يَرْمِيَانِهِ بِالنَّبْلِ وَاتَّخَذَاهُ غَرَضًا حَتَّى مَاتَ». [**المغازي للواقدي ١/ ٣٣٣-٣٣٤، السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٠٥**].

مؤتمر الروحاء:

«وكان أبو سفيان قد توقف بجيشه وعسكر به في الروحاء، وهو مكان لا يبعد كثيرًا عن حمراء الأسد، ويظهر أن بعض القادة في جيش مكة وجهوا اللوم إلى القائد العام أبي سفيان بن حرب لعدم هجومه على المدينة ساعة انسحابه من أحد، ومسارعته بالانسحاب من الميدان قبل أن يقضي على جيش المدينة ويستأصل شأفته، وطلبوا منه في إلحاح بأن يسارع بالعودة لمهاجمة المسلمين في المدينة، حتى إن بعضهم قال موجهًا اللوم لأبي سفيان: **لا مُحَمَّدًا قَتَلتُمْ، وَلا الكَوَاعِب أَرْدَفْتُمْ!** (يعني السبايا) **بِئْسَ مَا صَنَعْتُمْ، إِنَّكُمْ قَتَلْتُمُوهُمْ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا الشَّرِيدُ تَرَكْتُمُوهُمْ، ارْجِعُوا فَاسْتَأْصِلُوهُمْ، قَبْلَ أَنْ يَجِدُوا قُوَّةً وَشَوْكَةً، فَقَذَفَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ.** [السيرة الحلبية ٢/ ٣٤٩].

هذا الكلام وجهه البعض إلى أبي سفيان في المؤتمر الذي عقده قادة جيش مكة في فج الروحاء لمناقشة اقتراح بعض القادة الذين دعوا إلى أن يعود جيش مكة من الروحاء لمهاجمة المدينة.

وبالرغم من أن أكثر القادة في الجيش المكي كانوا يحبذون هذا الرأي فإن الزعيم صفوان بن أمية الجمحي قد خالفهم في هذا الرأي ونصحهم بأن يمضوا في انسحابهم وأن لا يفكروا في العودة بجيشهم لمقاتلة الجيش المدني؛ لأنه يخشى عليهم أن يصابوا بنكسة كبيرة». [غزوة أُحد لباشميل **٢٢٣**].

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ: أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ لَـمَّا انْصَرَفَ يَوْمَ أُحُدٍ، أَرَادَ الرُّجُوعَ إلَى الْمَدِينَةِ، لِيَسْتَأْصِلَ بَقِيَّةَ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ: **لَا تَفْعَلُوا، فَإِنَّ الْقَوْمَ قَدْ حَرِبُوا** (غضبوا)، **وَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَكُونَ لَـهُمْ قِتَالٌ غَيْرُ الَّذِي كَانَ، فَارْجِعُوا، فَرَجَعُوا**.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ، وَهُوَ بِحَمْرَاءِ الْأَسَدِ، حِينَ بَلَغَهُ أَنَّهُمْ هَمُّوا بِالرَّجْعَةِ: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ سُوِّمَتْ** (أعلمت، أي جعلت لها علامة يُعرف بها أنها من عند الله تعالى) **لَـهُمْ حِجَارَةٌ، لَوْ صُبِّحُوا بِهَا لَكَانُوا كَأَمْسِ الذَّاهِبِ**. [سيرة ابن هشام ٢/ ١٠٤].

قال الواقدي: «وَكَانَ مِمَّا رَدَّ اللهُ تَعَالَى أَبَا سُفْيَانَ وَأَصْحَابَهُ كَلامُ صَفْوَانِ بْنِ أُمَيَّةَ قَبْلَ أَنْ يَطْلُعَ مَعْبَدٌ، وَهُوَ يَقُولُ: **يَا قَوْمِ، لا تَفْعَلُوا! فَإِنَّ القَوْمَ قَدْ حَزِنُوا وَأَخْشَى أَنْ يَجْمَعُوا عَلَيْكُمْ مَنْ تَخَلَّفَ مِنْ الخَزْرَجِ، فَارْجِعُوا وَالدَّوْلَةُ لَكُمْ، فَإِنِّي لا آمَنُ إنْ رَجَعْتُمْ أَنْ تَكُونَ الدَّوْلَةُ عَلَيْكُمْ**.

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَرْشَدُهُمْ صَفْوَانُ، وَمَا كَانَ بِرَشِيدٍ، وَالَذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ سُوِّمَتْ لَهُمْ الحِجَارَةُ وَلَوْ رَجَعُوا لَكَانُوا كَأَمْسِ الذَّاهِبِ**»، فَانْصَرَفَ القَوْمُ سِرَاعًا خَائِفِينَ مِنْ الطَّلَبِ لَـهُمْ».

[المغازي للواقدي ١/ ٣٣٩].

ويظهر أن القائد العام أبا سفيان كان يشاطر صفوان بن أمية رأيه، إلا أنه مال أخيرًا إلى رأي القادة الذين أصروا على العودة بالجيش لمهاجمة المسلمين في المدينة.

المفاجأة المذهلة:

«وبينما قادة الجيش المكي يتداولون الرأي في مؤتمرهم بالروحاء، إذا باستخباراتهم العسكرية تنقل إليهم خبر خروج الجيش المدني لمطاردتهم بقيادة النبي ﷺ، وأن هذا الجيش قد عسكر بالقرب منهم في حمراء الأسد في تحد سافر.

فأُسقط في أيديهم وخارت عزائمهم وامتلأت نفوسهم رعبًا من المسلمين، وتأكد لديهم أنهم أجبن من أن يخوضوا المعركة مع المسلمين في العراء، فضلًا عن أن يهاجموهم في المدينة.

فاستصوبوا رأي صفوان بن أمية.

وبدلًا من أن يرسموا الخطط لمهاجمة المسلمين كما تقرر في المؤتمر أخذوا يفكرون في الطريقة التي بها ينسحبون من الروحاء، مع محافظتهم على قيمة النصر الأسمى الذي حصلوا عليه في معركة أُحد، هذه

القيمة التي ستضيع في نظر سكان الجزيرة العربية إذا ما علموا أن جيش مكة قد نكل عن الحرب التي خرج ليخوضها معه جيش المدينة الذي عسكر في تحد على مقربة منهم.

فقد وقع في روع قادة الجيش المكي أن النبي ﷺ قد جاء من المدينة بمدد جديد لمقاتلتهم، فخافوا من المسلمين خوفًا شديدًا». [غزوة أُحد لباشميل ٢٢٣-٢٢٤].

حليف مشرك يُخلص للمسلمين:

«وزاد أبا سفيان رُعبًا وفزعًا من المسلمين حرب أعصاب دعائية عنيفة شنَّها عليه وعلى جنده أحد حلفاء المسلمين من مشركي خزاعة وهو معبد بن أبي معبد الخزاعي.

فقد مر معبد هذا برسول الله ﷺ وهو معسكر بحمراء الأسد، فأبلغه استياء خزاعة لما أصاب المسلمين». [غزوة أُحد لباشميل ٢٢٤].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ مَرَّ بِهِ - كَمَا حَدَّثَنِي عَبْدُ الله بْنُ أَبِي بَكْرٍ - مَعْبَدُ بْنُ أَبِي مَعْبَدٍ الْخُزَاعِيُّ، وَكَانَتْ خُزَاعَةُ، مُسْلِمُهُمْ وَمُشْرِكُهُمْ عَيْبَةَ (أي موضع سره وأمانته، كعَيْبَة الثياب التي يوضع فيها المتاع) نُصْحٍ لِرَسُولِ الله ﷺ بِتِهَامَةَ (اسم لكل ما نَزَل عن نجد من بلاد الحجاز، ومكة من تهامة) صَفْقَتُهُمْ مَعَهُ (أي: اتفاقهم) لَا يُخْفُونَ عَنْهُ شَيْئًا كَانَ بِهَا، وَمَعْبَدٌ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ، فَقَالَ: **يَا مُحَمَّد، أَمَا وَالله لَقَدْ عَزَّ عَلَيْنَا مَا أَصَابَكَ، وَلَوَدِدْنَا أَنَّ اللهَ عَافَاكَ فِيهِمْ**.

وفي رواية: **يَا مُحَمَّدُ، لَقَدْ عَزَّ عَلَيْنَا مَا أَصَابَكَ فِي أَصْحَابِكَ، وَلَوَدِدْنَا أَنَّ اللهَ أَعْلَى كَعْبَكَ** (الكعب هنا الشرف)، **وَأَنَّ الْمُصِيبَةَ كَانَتْ بِغَيْرِكَ**». [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٠٢، المغازي للواقدي ١/ ٣٣٨].

ثم غادر حمراء الأسد وقد أضمر القيام بعمل نبيل في صالح جيش حليفه محمد ﷺ.

وفعلًا، تعمد معبد أن يمر في طريقه بجيش أبي سفيان المعسكر في الروحاء.

ويحك ما تقول؟!:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ خَرَجَ وَرَسُولُ الله ﷺ بِحَمْرَاءِ الأَسَدِ حَتَّى لَقِيَ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْب وَمَنْ مَعَهُ بِالرَّوْحَاءِ، وَقَدْ أَجْمَعُوا الرَّجْعَةَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَقَالُوا: **أَصَبْنَا حَدَّ أَصْحَابِهِ وَأَشْرَافَهُمْ وَقَادَتَهُمْ، ثُمَّ نَرْجِعُ قَبْلَ أَنْ نَسْتَأْصِلَهُمْ، لنكُرَنَّ عَلَى بَقِيَّتِهِمْ فَلَنَفْرُغَنَّ مِنْهُمْ**.

فَلَـمَّا رَأَى أَبُو سُفْيَانَ مَعْبَدًا، قَالَ: مَا وَرَاءَك يَا مَعْبَدُ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قَدْ خَرَجَ فِي أَصْحَابِهِ يَطْلُبُكُمْ فِي جَمْعٍ لَمْ أَرَ مِثْلَهُ قَطُّ، يَتَحَرَّقُونَ عَلَيْكُمْ تَحَرُّقًا، قَدْ اجْتَمَعَ مَعَهُ مَنْ كَانَ تَخَلَّفَ عَنْهُ فِي يَوْمِكُمْ، وَنَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا، فِيهِمْ مِنْ الْحَنَقِ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ لَمْ أَرَ مِثْلَهُ قَطُّ، قَالَ: وَيْحك مَا تَقُولُ؟ قَالَ: وَالله مَا أَرَى أَنْ تَرْتَحِلَ حَتَّى أَرَى نَوَاصِيَ الْخَيْلِ، قَالَ: فَوَالله لَقَدْ أَجْمَعْنَا الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ لِنَسْتَأْصِلَ بَقِيَّتَهُمْ، قَالَ: فَإِنِّي أَنْهَاكَ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ: وَالله لَقَدْ حَمَلَنِي مَا رَأَيْتُ عَلَى أَنْ قُلْتُ فِيهِمْ أَبْيَاتًا مِنْ شِعْرٍ، قَالَ: وَمَا قُلْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ:

كَادَتْ تُهَدُّ مِنْ الأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي ... إِذْ سَالَتْ الأَرْضُ بِالجُرْدِ الأَبَابِيلِ (١)

تَرْدِي بِأُسْدٍ كِرَامِ لا تَنَابِلَةٍ ... عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلا مِيلٍ مَعَازِيلِ (٢)

فَظَلْتُ عَدْوًا أَظُنُّ الأَرْضَ مَائِلَةً ... لَمَّا سَمَوْا بِرَئِيسٍ غَيْرِ مَخْذُولِ (٣)

فَقُلْتُ وَيْلَ ابْنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِهِمُ ... إِذَا تَغَطْمَطَتْ البَطْحَاءُ بِالجِيلِ (٤)

إِنِّي نَذِيرٌ لِأَهْلِ البَسْلِ ضَاحِيَةً ... لِكُلِّ ذِي إِرْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَعْقُولِ (٥)

مِنْ جَيْشِ أَحْمَدَ لَا وَخَشٍ تَنَابِلَةٍ ... وَلَيْسَ يُوصَفُ مَا أَنْذَرْتُ بِالقِيلِ (٦)

فَثَنَى ذَلِكَ أَبَا سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ. [السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ١٠٣، المغازي للواقدي ١/ ٣٣٨-٣٣٩].

حراجة موقف جيش مكة:

«فكان لهذا العمل الدعائي المركز، الذي قام به معبد لمصلحة المسلمين أكبر الأثر في تهديم عزائم قادة الجيش المكي وإشاعة الذعر والفزع في نفوس الجيش القرشي، فقد أدخل هذا النبأ الذي نقله معبد الخزاعي في رَوع المشركين أن النبي ﷺ قد جاء بمدد جديد، وأنه لو لم يكن كذلك لما أقدم على هذه الحركة السريعة وبهذا التحدي السافر المكشوف.

ولهذا قرر قادة جيش المشركين مواصلة الانسحاب إلى مكة وتحاشي الاصطدام بالمسلمين في هذا الظرف، ولكن خروج المسلمين على هذا الشكل من التحدي أوقع قائد عام المشركين أبا سفيان في مركز حرج، فانسحابه إلى مكة وقد علم العرب بخروج النبي ﷺ لمطاردته يكشف لسكان الجزيرة أن أبا سفيان لم يكن حقًّا منتصرًا في معركة أُحد.

إذ أنه لو كان كذلك لما نكل عن الحرب وجبن عن ملاقاة جيش المسلمين الذي خرج في طلبه، وعسكر في تحد مكشوف على مقربة من جيش مكة الذي يظنه الناس قد انتصر وحطم الجيش الإسلامي في أُحد.

فكان منطق الأحداث ـ لا سيما في ذلك الظرف الذي ظهر فيه الجيش المكي أمام العرب بمظهر

---

(١) **تُهَدُّ**: تسقط لهول ما رأت من أصوات الجيش وكثرته. **الجُرْد**: الخيل العتاق. **الأَبَابِيل**: الجماعات.

(٢) تَرْدِي في الواقدي: تَعْدُو. **التَّنَابِلَة**: القصار. **المِيل**: جمع أميل وهو الذي لا رمح معه، وقيل: هو الذي لا ترس معه، وقيل: هو الذي لا يثبت على السرج. **المعازيل**: جمع مِعزال، وهم الذين لا سلاح معهم.

(٣) **العَدْو**: المشي السريع. **سَمَوْا**: علوا وارتفعوا.

(٤) **تَغَطْمَطَتْ**: اهتزت وارتجت. **البطحاء**: السهل من الأرض. **الجِيل**: الصنف من الناس.

(٥) **البَسْل**: الحَرام، وأراد بأهله قريشًا لأنهم أهل مكة، ومكة حرام. **الضاحية**: البارزة للشمس. **الإربة**: هي هنا العقل.

(٦) **الوَخْش**: رُذالة الناس وأخساؤهم. **القِيل**: والقول واحد، وقال بعضهم: القول: المصدر، والقيل: الاسم.

الغالب المنتصر ـ يقضي على أبي سفيان أن يخوض المعركة من جديد ضد جيش محمد ﷺ الذي خرج يطلب حربه في عزم وتصميم.

وهذا أقل ما يفرض منطق الأحداث في ذلك الظرف على أبي سفيان أن يفعله؛ لأن الواعين من الخبراء المحاربين قد تساءلوا في استغراب: كيف لم يهاجم أبو سفيان المدينة عند انسحابه من أُحد بجيشه المنتصر، مع أن المدينة كانت مفتوحة تمامًا وليس بها من حَملة السلاح القادرين على القتال من المسلمين أَحد؟

فكيف بهؤلاء إذن إذا علموا أن أبا سفيان قد نكل عن الحرب وفر أمام الجيش الإسلامي الذي زعم للعرب وطيَّر الأخبار بينهم بأنه قد حطمه وأخضد شوكته وانتصر عليه؟». [غزوة أُحد لباشميل ٢٢٥].

أبو سفيان ينحني للعاصفة:

«وهكذا كان منطق الأحداث يقضي على أبي سفيان أن يقبل التحدي ويخوض المعركة من جديد مع الجيش المدني، الذي خرج دون تردد ولا إبطاء يطلبه ويتحداه أن يخوض الحرب ضده.

ولكن أبا سفيان كقائد محارب خبير كان يعرف أكثر من غيره أن الانتصار التعبوي لجيشه في معركة أحد ـ إن جاز تسميته انتصارًا ـ إنما جاء نتيجة غلطة، والغلطات لا تتكرر.

وكان لذلك يهاب ملاقاة المسلمين وخاصة في ذلك الظرف؛ لأنه يخشى إن اصطدم معهم في الروحاء أو حمراء الأسد أن ينزلوا بجيشه هزيمة لا تنجيه منها غلطة مثل غلطة الرماة التي سحبت رؤوس جنده يوم أحد من تحت مطارق هزيمة كادت تكون ساحقة، فيضيع عليه النصر الذي حصل عليه بسبب غلطة الرماة غفر الله لهم.

ولا شك أن أبا سفيان كان لديه ما يشبه اليقين بأن جيش مكة لو اصطدم ضد الجيش النبوي المطارِد الحانق المغيظ المتوثب سيكون نصيبه من هذا الاصطدام هزيمة أفظع وأشد أثرًا من هزيمته في معركة بدر الشهيرة.

لذلك قرر بالاتفاق مع زعماء الجيش المكي النكول عن الحرب وتحاشي الاصطدام ضد الجيش النبوي المطارد». [غزوة أُحد لباشميل ٢٢٧-٢٢٨].

مناورة أبي سفيان لتغطية انسحابه:

«ولكن أبا سفيان قبل تنفيذ هذا الانسحاب لجأ إلى حيلة لعله يستر بها فضيحة ما اعتزم عليه من الفرار، أمام الجيش النبوي الذي خرج لمطاردته.

فقرر أن يقوم بمناورة لإرهاب الجيش المدني بإيهامه بأنه عازم على مهاجمته وإبادته في حمراء الأسد؛ لعله أن يخاف ويعود أدراجه إلى المدينة، قبل أن يتحرك الجيش المكي من مكانه بالروحاء في اتجاه مكة، وبذا يُفهِم أبو سفيان العرب الذين علموا في ذهول واستغراب خروج المسلمين لمطاردة جيش مكة

الذي شاع أنه هَزم الجيش الإسلامي وحطمه في معركة أُحد أنه ـ أي: أبا سفيان ـ قد أرهب الجيش النبوي وأجبره على الارتداد إلى المدينة، وبهذا تبقى للجيش المكي صبغة الجيش المنتصر».
[غزوة أُحد لباشميل ٢٢٨].

رسالة التهديد:

وَمَرَّ بِأَبِي سُفْيَانَ رَكْبٌ مِنْ عَبْدِ القَيْسِ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ المدِينَةَ؟ قَالَ: وَلِمَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ الميرَةَ، قَالَ: فَهَلْ أَنْتُمْ مُبَلِّغُونَ عَنِّي مُحَمَّدًا رِسَالَةً أُرْسِلُكُمْ بِهَا إلَيْهِ، وَأُحَمِّلُ لَكُمْ هَذِهِ غَدًا زَبِيبًا بِعُكَاظٍ إذَا وَافَيْتُمُوهَا؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: **فَإِذَا وَافَيْتُمُوهُ فَأَخْبِرُوهُ أَنَّا قَدْ أَجْمَعْنَا السَّيْرَ إلَيْهِ وَإِلَى أَصْحَابِهِ لِنَسْتَأْصِلَ بَقِيَّتَهُمْ [وَأَنَّا آثَارَكُمْ]**، فَمَرَّ الرَّكْبُ بِرَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ بِحَمْرَاءِ الأَسَدِ، فَأَخْبَرُوهُ بِالَّذِي قَالَ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: «**حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ**».

وَفِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾[آل عمران]». **[السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ١٠٣، المغازي للواقدي ١/ ٣٣٩-٣٤٠].**

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾.
[البخاري في تفسير القرآن (٤٥٦٣)].

لقد أبلغ ركب عبد القيس رسالة أبي سفيان التهديدية إلى النبي ﷺ، ولكن الرسول ﷺ تجاهل هذا التهديد، فلم يتضعضع عزمه بل ظل مكانه في حمراء الأسد معسكرًا بجيشه ثلاثة أيام يوقد النيران طيلة لياليها؛ ليدل قريشًا في تحد على مكانه وأنه على عزمه مستعد لخوض المعركة الفاصلة ضدهم.

ولما لم تفد هذه المناورة القرشية في زعزعة عزائم المسلمين، وتأكد لدى أبي سفيان ثبات الجيش الإسلامي وإصراره على اللقاء، انحنى للعاصفة ـ كما يقولون ـ وولى الأدبار، مفضلًا عار الانسحاب ـ أمام تحدي المسلمين ـ على الدخول بجيشه في مغامرة عسكرية قد تكون سببًا في القضاء على سُمعة قريش إلى الأبد، فتراجع إلى مكة، بينما كان النبي ﷺ لا يزال معسكرًا بجيشه في حمراء الأسد.

انسحب أبو سفيان بالجيش المكي هاربًا به من الروحاء، بالرغم من أن هذا الجيش يبلغ عدده أكثر من أربعة أضعاف الجيش الإسلامي الذي خرج لمطاردته من المدينة». **[غزوة أُحد لباشميل ٢٢٨-٢٢٩].**

عودة الجيش الإسلامي إلى المدينة:

«وبعد انسحاب أبي سفيان بعسكره من الروحاء إلى مكة، عاد النبي ﷺ بجيشه الباسل إلى المدينة مرفوع الرأس وقد سجل بهذه الحركة العسكرية الجريئة السريعة نصرًا سياسيًّا وعسكريًّا باهرًا.

فقد كانت حملة حمراء الأسد الناجحة هذه سببًا في استعادة هيبة المسلمين ومكانتهم في النفوس، حيث أثبتوا بهذه الحملة الجريئة للمتربصين ـ من المنافقين واليهود والأعراب ـ فساد ظنهم وخطأ تفكيرهم، وأن المسلمين أعظم وأشد وأقوى مما كانوا يظنون.

كما أثبت الرسول القائد العظيم ﷺ، بهذه الحركة السريعة للعرب أجمعين أن أبا سفيان لم يكن منتصرًا انتصارًا حقيقيًّا في معركة أُحد، وأن نصره لم يكن إلا نصرًا مزيفًا، جاء نتيجة غلطة فحسب.

وقد أقر كبار القادة العسكريين ـ في السابق والحاضر ـ بأن حركة المطاردة التي قام بها النبي ﷺ إلى حمراء الأسد، كانت مناورة عسكرية رائعة، حيث حفظ بها النبي ﷺ سُمعة جيشه واستعاد بها هيبتهم ومكانتهم التي كادوا يفقدونها على أثر ما أصابهم في معركة أُحُد». [غزوة أُحد لباشميل ٢٢٩].

فضح نفاق ابن أُبَيٍّ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَـمَّا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ المدِينَةَ، وَكَانَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولَ ـ كَمَا حَدَّثَنِي ابْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ ـ لَهُ مَقَامٌ يَقُومُهُ كُلَّ جُمُعَةٍ لَا يُنْكَرُ شَرَفًا لَهُ فِي نَفْسِهِ وَفِي قَوْمِهِ [لَا يُرِيدُ تَرْكَهُ]، وَكَانَ فِيهِمْ شَرِيفًا، إِذَا جَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ قَامَ فَقَالَ: **أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ أَكْرَمَكُمْ اللهُ وَأَعَزَّكُمْ بِهِ، فَانْصُرُوهُ، وَعَزِّرُوهُ وَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا**، ثُمَّ يَجْلِسُ، حَتَّى إِذَا صَنَعَ يَوْمَ أُحُدٍ مَا صَنَعَ وَرَجَعَ بِالنَّاسِ، قَامَ يَفْعَلُ ذَلِكَ كَمَا كَانَ يَفْعَلُهُ، فَأَخَذَ المسْلِمُونَ بِثِيَابِهِ مِنْ نَوَاحِيهِ، وَقَالُوا: اجْلِسْ أَيْ عَدُوَّ الله لَسْتَ لِذَلِكَ بِأَهْلٍ، وَقَدْ صَنَعْتَ مَا صَنَعْتَ، [وَقَامَ إِلَيْهِ أَبُو أَيُّوبَ وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، وَكَانَا أَشَدَّ مَنْ كَانَ عَلَيْهِ مِمَّنْ حَضَرَ وَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ، فَجَعَلَ أَبُو أَيُّوبَ يَأْخُذُ بِلِحْيَتِهِ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ يَدْفَعُ فِي رَقَبَتِهِ، وَيَقُولَانِ لَهُ: **لَسْتَ لِهَذَا المَقَامِ بِأَهْلٍ**، فَخَرَجَ بَعْدَ مَا أَرْسَلَاهُ] يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ وَهُوَ يَقُولُ: **وَالله لَكَأَنَّمَا قُلْتُ بَجْرًا** [هُجْرًا] (أي قبيحًا من الكلام) **أَنْ قُمْتُ أُشَدِّدُ أَمْرَهُ**، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ [مُعَوِّذ بن عَفْرَاء ﵁] بِبَابِ المَسْجِدِ فَقَالَ: **مَا لَكَ؟ وَيْلَكَ**، قَالَ: **قُمْتُ أُشَدِّدُ أَمْرَهُ، فَوَثَبَ عَلَيَّ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِهِ** [مِنْ قَوْمِي] **يَجْذِبُونَنِي وَيُعَنِّفُونَنِي** [كَانَ أَشَدَّهُمْ عَلَيَّ عُبَادَةُ وَخَالِدُ بْنُ زَيْدٍ (أَبُو أَيُّوبَ)]، **لَكَأَنَّمَا قُلْتُ بَجْرًا أَنْ قُمْتُ أُشَدِّدُ أَمْرَهُ**، قَالَ: **وَيْلَكَ، ارْجِعْ يَسْتَغْفِرْ لَكَ رَسُولُ الله ﷺ**، قَالَ: **وَالله مَا أَبْتَغِي أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي**.

قَالَ: وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ابْنِهِ (عبد الله بن عبد الله ﵁) جَالِسٌ فِي النَّاسِ مَا يَشُدُّ الطَّرْفَ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ يَقُولُ: **أَخْرَجَنِي مُحَمَّدٌ مِنْ مِرْبَدِ سَهْلٍ وَسُهَيْلٍ**. (لم يقل: من المسجد؛ لأنه لا يعترف بالمسجد ويتمنى زواله ليعود مكانه مربدًا كما كان).

فنزلت هذه الآية: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ** ۝٥﴾ [المنافقون]. [السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ١٠٥، المغازي للواقدي ١/ ٣١٨].

خرائط غزوة حمراء الأسد

(١)

غزوة حمراء الأَسَد

١٦ شوال ٣ هـ

أطلس السيرة النبوية لأبي خليل ص ١٢٣.

(٢)

غزوة حمراء الأسد في السادس عشرة من شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة المباركة

الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ للمغلوث ص ١٦٨.

المبحث السادس
ذكر ما قيل من الشعر يوم أحد [١]

شعر هبيرة:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ مِمَّا قِيلَ مِنْ الشِّعْرِ فِي يَوْمِ أُحُدٍ، قَوْلُ هُبَيْرَةَ بْنِ أَبِي وَهْبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَائِذِ بْنِ عَبْدِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ مَخْزُومٍ ـ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: عَائِذٌ: ابْنُ عِمْرَانَ بْنُ مَخْزُومٍ [٢]:

مَا بَالُ هَمٍّ عَمِيدٍ بَاتَ يَطْرُقُنِي ... بِالوُدِّ مِنْ هِنْـدَ إِذْ تَعْدُو عَوَادِيهَا [٣]

بَاتَتْ تُعَاتِبُنِي هِنْدٌ وَتَعْذُلُنِي ... وَالحَرْبُ قَدْ شُغِلَتْ عَنِّي مَوَالِيهَا

مَهْلًا فَلَا تَعْذُلِينِي إِنَّ مِنْ خُلُقِي ... مَا قَدْ عَلِمْتِ وَمَا إِنْ لَسْتُ أُخْفِيهَا

مُسَاعِفٌ لِبَنِي كَعْبٍ بِمَا كَلِفُوا ... حَمَّـــالُ عِبْءٍ وَأَثْقَـالٌ أُعَانِيهَا [٤]

وَقَدْ حَمَلتُ سِلَاحِي فَوْقَ مُشْتَرَفٍ ... سَاطٍ سَبُوحٍ إِذَا تَجْـــرِي يُبَارِيهَا [٥]

كَأَنَّهُ إِذْ جَـــرَى عَيْرٌ بِفَدْفَدَةٍ ... مُكَدَّمٌ لَاحِقٌ بِالعُـــونِ يَحْمِيهَا [٦]

مِنْ آلِ أَعْوَجَ يَرْتَاحُ النَّــدِيُّ لَهُ ... كَجِذْعِ شَعْرَاءَ مُسْتَعْلٍ مَرَاقِيهَا [٧]

أَعْدَدْتُهُ وَرِقَـــاقَ الحَدِّ مُنْتَخَلًا ... وَمَـــارِنًا لِخُطُوبٍ قَدْ أُلَاقِيهَا [٨]

---

(١) جمعت هذه النصوص من: سيرة ابن هشام، البداية والنهاية لابن كثير، سبل الهدى والرشاد للصالحي، ونقلت شروح الألفاظ من الروض الأنف للسهيلي، وسبل الهدى للصالحي، وشرح السيرة للخشني، وشرح الأستاذ السقا وزميليه لغريب مفردات السيرة لابن هشام.

(٢) السيرة لابن هشام ٢/ ١٢٩-١٣١، البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٤٦٥-٤٦٨.

(٣) **العَمِيد**: المؤلم الموجع. **العوادي**: الشواغل.

(٤) **مُساعِفٌ**: مطيع موات. **بما كلفوا**: أي بما أولعوا به وأحبوه. **العبء**: الحمل الثقيل، فاستعاره هنا لما يكلفونه من الأمور الشاقة العظام.

(٥) **مُشْتَرَف** (بفتح الراء) أي: فرس يستشرفه الناس، أي ينظرون إليه لحسنه. (وبكسر الراء) أي: مشرف. **والساطي**: البعيد الخطو إذا مشى. **السبوح**: الذي يسبح في جريه كأنه يعوم. **يباريها**: يعارضها. وأعاد (الهاء) على الخيل، وإن لم يتقدم لها ذكر؛ لأن الكلام يدل عليها.

(٦) **العَيْر**: الحمار الوحشي. **الفدفدة**: الفلاوة. **المكدم**: المعضض، عضته: أتته. **العون**: جمع عانة من حمر الوحش.

(٧) **أعوج**: اسم فرس مشهور في العرب. **يرتاح**: يستبشر ويهتز. **الندي**: المجلس من القوم. **الجذع**: الفرع. **وشَعراء**: نخلة كثيرة الأغصان. **مراقيها**: معاليها.

(٨) **رِقاقَ الحَدِّ**: يريد سيفًا. **منتخلًا**: متخيرًا. **المارن**: الرمح اللين عند الهز. **الخطوب**: حوادث الدهر.

هَذَا وَبَيْضَاءَ مِثْـلُ النِّهْيِ مُحْكَمَةٌ ... نِيطَتْ عَلَيَّ فَمَا تَبْـدُو مَسَاوِيهَا (١)
سُقْنَا كِنَانَةَ مِنْ أَطْرَافِ ذِي يَمَنٍ ... عُرْضُ البِلَادِ عَلَى مَا كَانَ يُزْجِيهَا (٢)
قَالَتْ كِنَـانَةُ: أَنَّى تَذْهَبُونَنَا؟ ... قُلْنَا: النُّخَيلَ فَأَمُّوهَا وَمَنْ فِيهَا (٣)
نَحْنُ الفَوَارِسُ يَوْمَ الجَـرِّ مِنْ أُحُدٍ ... هَابَتْ مَعَدٌّ فَقُلْنَا نَحْنُ نَأْتِيهَا (٤)
هَابُوا ضِرَابًا وَطَعْنًا صَادِقًا خَذِمًا ... مِمَّا يَرَوْنَ وَقَدْ ضُمَّتْ قَوَاصِيهَا (٥)
ثُمَّتْ رُحْنَـا كَأَنَّا عَارِضٌ بَرِدٌ ... وَقَامَ هَامُ بَنِي النَّجَّارِ يَبْكِيهَا (٦)
كَأَنَّ هَامَهُمْ عِنْدَ الوَغَى فِلَقٌ ... مِنْ قَيْضِ رُبْدٍ نَفَتْهُ عَنْ أَدَاحِيهَا (٧)
أَوْ حَنْظَلَ ذَعْذَعَتْهُ الرِّيحُ فِي غُصُنٍ ... بَالٍ تَعَاوَرَهُ مِنْهَا سَوَافِيهَا (٨)
قَدْ نَبْذُلُ المَالَ سَحًّا لَا حِسَابَ لَهُ ... وَنَطْعَنُ الخَيْلَ شَزْرًا فِي مَآقِيهَا (٩)
وَلَيْلَةً يَصْطَلِي بِالفَرْثِ جَازِرُهَا ... يَخْتَصُّ بِالنَّقَرَى المُثْرِينَ دَاعِيهَا (١٠)
وَلَيْلَةً مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أَنْدِيَةٍ ... جَرْبَا جُمَادِيَّةٍ قَدْ بِتُّ أَسْرِيهَا (١١)

---

(١) يريد «**بالبَيْضَاءَ**»: الدرع. **النهي** (بفتح النون وكسرها): الغدير من الماء. **نيطت**: علقت وهي رواية أبي ذر. ورواية الأصول: «لظت» أي لصقت. **مساويها**: عيوبها.

(٢) **عُرْضُ البِلاد**: سعتها. **يزجيها**: يسوقها.

(٣) يريد بالنُّخيل (كزبير): مدينة الرسول ﷺ، وهي اسم لِعَيْنٍ قرب المدينة. **أموها**: قصدوها.

(٤) **الجر**: أصل الجبل.

(٥) **الخَذِم** (بالخاء والذال المعجمتين): الذي يقطع اللحم سريعًا. **قواصيها**: ما تفرق منها وبعد.

(٦) **العارِضُ**: السحاب. **البرد**: الذي فيه برد. **الهام**: جمع هامة، وهي الطائر الذي تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل.

(٧) **الهام**: جمع هامة، وهي الرأس. **الوغى**: الحرب. **الفلق**: جمع فلقة، وهي القطعة من الشيء. **القيض**: قشر البيض الأعلى. **الربد**: النعام؛ لأن ألوانها بين البياض والسواد، وهو اللون الأربد. **الأداحي**: جمع أدحى، وهو الموضع الذي تبيض فيه النعام.

(٨) **ذَعْذَعَتْه**: حركته. **تعاوره**: تتداوله. **السوافي**: الرياح التي تقلع التراب والرمل من الأرض.

(٩) **سَحًّا**: صبًّا، يريد أنه عطاء كثير. **الشزر**: الطعن عن يمين وشمال. **المآقي**: مجاري الدموع من العين. والمآقي (أيضًا): المقدمات. وكلا المعنيين يستقيم به الكلام.

(١٠) **يَصْطلي**: يستدفئ من شدة البرد. **النقري**: أن تدعو قومًا دون قوم، يُقال: هو يدعو الجفلى: إذا عم، وهو يدعو إذا خص. **المثرين**: الأغنياء.

(١١) **الأَنْدية**: جمع ندى (على غير قياس) وقد قيل: إنه جمع الجمع، كأنه جمع ندى على نداء (مثل جمل وجمال) ثم جمع الجمع على أفعلة، وهذا بعيد في القياس؛ لأن الجمع الكثير لا يُجمع، وفعال من أبنية الجمع الكثير، وقد قيل هو جمع ندي،= =

لَا يَنْبَحُ الكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ ... مِنْ القَرِيسِ وَلَا تَسْرِي أَفَاعِيهَا [(١)]

أَوْقَدَتْ فِيهَا لِذِي الضَّرَّاءِ جَاحِمَةً ... كَالبَرْقِ ذَاكِيَةَ الأَرْكَانِ أَحْمِيهَا [(٢)]

أَوْرَثَنِي ذَاكُمْ عَمْــرٌو وَوَالِدُهُ ... مِنْ قَبْلِهِ كَانَ بِالمَثْنَى يُغَالِيهَا [(٣)]

كَانُوا يُبَارُونَ أَنْوَاءَ النُّجُومِ فَمَا ... دَنَّتْ عَنْ السَّورَةِ العُلْيَا مَسَاعِيهَا[(٤)]

ما أجابه به حسَّان ﷺ: قال ابن إسحاق: فأجابه حسَّان بن ثابت ﷺ، فقال [(٥)]:

سُقْتُمْ كِنَانَةَ جَهْلًا مِنْ سَفَاهَتِكُمْ ... إِلَى الرَّسُــولِ فَجُنْــدُ الله مُخْزِيهَــا

أَوْرَدْتُمُوهَا حَيَاضَ المَوْتِ ضَاحِيَةً ... فَالنَّارُ مَوْعِدُهَا، وَالقَتْلُ لَاقِيهَا [(٦)]

جَمَّعْتُمُوهُمْ أَحَابِيشًا بِلا حَسَبٍ ... أَئِمَّةَ الكُفْرِ غَرَّتْكُمْ طَوَاغِيهَا [(٧)]

أَلا اعْتَبَرْتُمْ بِخَيْلِ الله إِذْ قَتَلَتْ ... أَهْلَ القَلِيبِ ومَنْ القَيْنَةُ فِيهَا؟! [(٨)]

كَمْ مِنْ أَسِيرٍ فَكَكْنَاهُ بِلا ثَمَنٍ ... وَجَزِّ نَاصِيَةٍ كُنَّا مَوَالِيهَا [(٩)]

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَنْشَدَنِيهَا أَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ لِكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ:

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَيْتُ هُبَيْرَةَ بْنِ أَبِي وَهْبٍ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ:

وَلَيْلَةٍ يَصْطَلِي بالفَرْث جازِرُها ... يَخْتَصُّ بالنَّقَرَي المُثْرِين داعيها

يُرْوَى لِجَنُوبٍ، أُخْتِ عَمْرٍو ذِي الْكَلْبِ الْهُذَلِيِّ، فِي أَبْيَاتٍ لَهَا فِي غَيْرِ يَوْمِ أُحُدٍ.

== والندي: المجلس، وهذا لا يشبه معنى البيت، ولكنه جمع جاء على أمثال أفعلة؛ لأنه في معنى الأهوية والأشتية، ونحو ذلك، وأقرب من ذلك أنه في معنى الرذاذ والرشاش، وهما يجمعان على أفعلة. (راجع الروض الأنف). **جربًا**: شديدة البرد مؤلمة أو قحطة لا مطر فيها، ويريد بجمادية نسبة إلى شهر جُمادى. وكان هذا الاسم قد وقع على هذا الشهر في زمن جمود الماء ثم انتقل بالأهلة، وبقي الاسم عليه وإن كان في الصيف والقيظ. وكذلك أكثر هذه الشهور العربية سميت بأسماء مأخوذة من أحوال السنة الشمسية، ثم لزمتها وإن خرجت من تلك الأوقات.(راجع الروض).

(١) **القَرِيس**: البرد مع الصقيع.

(٢) **لذي الضراء**: أي لذي الحاجة والعوز. **الجاحمة**: الملتهبة. **ذاكيةَ**: مضيئة.

(٣) **بالمَثْنَى**: أي مرة بعد مرة.

(٤) **يبُارون**: يعارضون. **دنت**: قصرت. **السورة**: الرفعة والمنزلة. **المساعي**: ما يُسعى إليه من المكارم.

(٥) السيرة لابن هشام ٢/ ١٣١-١٣٢، البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٤٦٨، سبل الهدى للصالحي ٤/ ٣٣٩-٣٤٠.

(٦) **الحِياض**: جمع حوض. **الضاحية**: البارزة للشمس.

(٧) **الحَسَب**: الشرف. **الطواغي**: جمع طاغية، وهو المتكبر المتمرد.

(٨) **أهل القَليب**: من قُتل ببدر من المشركين.

(٩) **مَوَالِيها**: أهل النعمة عليها.

شعر كعب بن مالك رضي الله عنه في الرد على هبيرة:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه يُجِيبُ هُبَيْرَةَ بْنَ أَبِي وَهْبٍ أَيْضًا [(١)]:

أَلَا هَـل أَتَـى غَسَّـانَ عَنَّـا وَدُونَهُـمْ ... مِـنْ الأَرْضِ خَـرْقٌ سَـيْرُهُ مُتَنَعْنِـعُ [(٢)]

صَـحَارٍ وَأَعْـلَامٌ كَـأَنَّ قَتَامَهَـا ... مِـنْ البُعْـدِ نَقْـعٌ هَامِـدٌ مُتَقَطِّـعُ [(٣)]

تَظَـلُّ بِـهِ البُـزْلُ العَـرَامِيسُ رُزَّحًـا ... وَيَخْلُـو بِـهِ غَيْـثُ السِّـنِينَ فَيُمْـرِعُ [(٤)]

بِهِ جِيَـفُ الحَسْـرَى يَلُـوحُ صَـلِيبُهَا ... كَـمَا لَاحَ كَتَّـانُ التِّجَـارِ المُوَضَّـعُ [(٥)]

بِـهِ العِـينُ وَالآرَامُ يَمْشِـينَ خِلفَـةً ... وَبَـيْضُ نَعَـامٍ قَيْضُـهُ يَتَقَلَّـعُ [(٦)]

مُجَالِـدُنَا عَـنْ دِينِنَـا كُـلُّ فَخْمَـةٍ ... مُذَرَّبَـةٍ فِيهَـا القَـوَانِسُ تَلمَـعُ [(٧)]

وَكُـلُّ صَـمُوتٍ فِي الصِّـوَانِ كَأَنَّهَـا ... إِذَا لُبِسَـتْ نَهْـيٌ مِـنْ المَـاءِ مُـتْرَعُ [(٨)]

وَلَكِـنْ بِبَـدْرٍ سَـائِلُوا مَـنْ لَقِيـتُمُ ... مِـنْ النَّـاسِ وَالأَنْبَـاءِ بِالغَيْـبِ تَنْفَـعُ

وَإِنَّا بِأَرْضِ الخَـوْفِ لَـوْ كَـانَ أَهْلُهَـا ... سِـوَانَا لَقَـدْ أَجْلَـوْا بِلَيْـلٍ فَأَقْشَـعُوا [(٩)]

إِذَا جَـاءَ مِنَّـا رَاكِـبٌ كَـانَ قَوْلُـهُ ... أَعِدُّوا لِمَا يُزْجِي ابْنُ حَـرْبٍ وَيَجْمَـعُ [(١٠)]

فَمَهْـمَا يُهِـمُّ النَّـاسَ مِمَّـا يَكِيـدُنَا ... فَـنَحْنُ لَـهُ مِـنْ سَـائِرِ النَّـاسِ أَوْسَـعُ

فَلَوْ غَيْرُنَا كَانَـتْ جَمِيعًـا تَكِيـدُهُ الـبَرِ ... رِيَّـةُ قَـدْ أَعْطَـوْا يَـدًا وَتَوَزَّعُـوا [(١١)]

---

(١) السيرة لابن هشام٢/ ١٣٢-١٣٥، البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٤٦٨-٤٧٤، سبل الهدى للصالحي ٤/ ٣٤٠.

(٢) **الخَرْق**: الفلاة الواسعة، التي تنخرق فيها الريح. **متنعنع**، أي مضطرب، وروى «متتعتع» بالتاء أي متردد.

(٣) **الأَعْلامُ**: الجبال المرتفعة. **القتام**: ما مال لونه إلى السواد. **النقع**: الغبار. **الهامد**: المتلبد الساكن.

(٤) **البزل**: الإبل القوية، واحدها: بازل. **العراميس**: الشديدة. **الرزح**: المعيبة. **يُمرع**: أي يُخصب ويكثر فيه النبات.

(٥) **صَلِيبُها**: الودك. **الموضع**: المبسوط المنقوش.

(٦) **العينُ**: بقر الوحش. **الآرام**: البيض البطون السمر الظهور. **خِلفة**: أي يمشين قطعة خلف قطعة. **القيض**: قشر البيض الأعلى. **يتقلع**: يتشقق.

(٧) **الفخمة**: الكتيبة العظيمة. **المدربة**: المتعودة القتال الماهرة فيه، وتروى «مذربة» بالذل المعجمة، أي محددة. **القوانس**: رؤوس بيض السلاح.

(٨) **الصموت**: الدرع أُحكم نسجها وتقارب حلقها فلا يسمع لها صوت. **الصوان**: كل ما يُصان فيه الشيء، درعًا كان أو ثوبًا أو غيرهما. **النهي**: الغدير. **مترع**: مملوء.

(٩) **فأَقْشَعُوا**: فروا وزالوا.

(١٠) **يُزْجِي**: يسوق.

(١١) **توزعوا**: تقسموا، وفي رواية «تورعوا»: ذلوا.

نُجَالِدُ لَا تَبْقَى عَلَيْنَا قَبِيلَةٌ ... مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يَهَابُوا وَيَفْظَعُوا (١)

وَلَمَّا ابْتَنَوْا بِالعَرْضِ قَالَ سُرَاتُنَا: ... عَلَامَ إِذَا لَمْ تَمْنَعْ العِرْضَ نَزْرَعُ؟ (٢)

وَفِينَا رَسُولُ اللهِ نَتْبَعُ أَمْرَهُ ... إِذَا قَالَ فِينَا القَوْلَ لَا نَتَطَلَّعُ (٣)

تَدَلَّى عَلَيْهِ الرُّوحُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ ... يُنَزَّلُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ وَيُرْفَعُ (٤)

نُشَاوِرُهُ فِيمَا نُرِيدُ وَقَصْرُنَا ... إِذَا مَا اشْتَهَى أَنَّا نُطِيعُ وَنَسْمَعُ (٥)

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ لَمَّا بَدَوْا لَنَا ... ذَرُوا عَنْكُمْ هَوْلَ المَنِيَّاتِ وَاطْمَعُوا

وَكُونُوا كَمَنْ يَشْرِي الحَيَاةَ تَقَرُّبًا ... إِلَى مَلِكٍ يُحْيَا لَدَيْهِ وَيُرْجَعُ (٦)

وَلَكِنْ خُذُوا أَسْيَافَكُمْ وَتَوَكَّلُوا ... عَلَى اللهِ إِنَّ الأَمْرَ للهِ أَجْمَعُ

فَسِرْنَا إِلَيْهِمْ جَهْرَةً فِي رِحَالِهِمْ ... ضُحَيًّا عَلَيْنَا البِيضُ لَا نَتَخَشَّعُ (٧)

بِمَلْمُومَةٍ فِيهَا السَّنَوَّرُ وَالقَنَا ... إِذَا ضَرَبُوا أَقْدَامَهَا لَا تَوَرَّعُ (٨)

فَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنْ البَحْرِ وَسْطَهُ ... أَحَابِيشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقَنَّعُ (٩)

ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَنَحْنُ نَصِيَّةٌ ... ثَلَاثُ مِئِينٍ إِنْ كَثُرْنَا وَأَرْبَعُ (١٠)

نُغَاوِرُهُمْ تَجْرِي المَنِيَّةُ بَيْنَنَا ... نُشَارِعُهُمْ حَوْضَ المَنَايَا وَنَشْرَعُ (١١)

تَهَادَى قَسِيُّ النَّبْعِ فِينَا وَفِيهِمْ ... وَمَا هُوَ إِلَّا اليَثْرِبِيُّ المُقَطَّعُ (١٢)

وَمَنْجُوفَةٌ حِرْمِيَّةٌ صَاعِدِيَّةٌ ... يُذَرُّ عَلَيْهَا السَّمُّ سَاعَةَ تُصْنَعُ (١٣)

---

(١) **يَفْظَعُوا**: يهابوا ويفزعوا.

(٢) **ابْتَنَوْا**: ضربوا أبنيتهم. **العرض**: واحد أعراض المدينة، وهي قراها التي في أوديتها. **سراتنا**: خيارنا.

(٣) لا **نتطلَّع**: لا ننظر إليه إجلالًا وهيبة له، ويروى: «لا نتظلع» أي لا نميل عنه.

(٤) **الرُّوحُ**: جبريل عليه السلام.

(٥) **قَصْرُنَا**: غايتنا.

(٦) **يَشْرِي**: يبيع.

(٧) **البِيضُ**: السيوف.

(٨) **المَلْمُومَة**: الكتيبة المجتمعة. **السنور**: السلاح. **لا تورع**: لا تكف. ويروى: لا توزع: إي لا تتفرق.

(٩) **الحاسر**: الذي لا درع عليه ولا مغفر. **المقنع**: الذي لبس المغفر على رأسه، وهو القناع.

(١٠) **نَصِيَّة**: الخيار من القوم.

(١١) **نُغاورهم**: نداولهم. **نشارعهم**: نشاربهم. **نشرع**: نشرب.

(١٢) **النَّبْع**: شجر تصنع منه القسي. **اليثربي**: الأوتار، نسبة إلى يثرب.

(١٣) **المَنْجوفَةُ**: السهام. **الحرمية**: نسبة إلى أهل الحرم، يُقال: رجل حرمي: إذا كان من أهل الحرم. **الصاعدية**: نسبة إلى صاعد، صانع معروف.

تَصُـوبُ بِأَبْـدَانِ الرِّجَـالِ وَتَـارَةً ... تَمُـرُّ بِـأَعْرَاضِ البِصَـارِ تَقَعْقَـعُ (١)
وَخَيْـلٌ تَرَاهَـا بِالفَضَـاءِ كَأَنَّهَـا ... جَـرَادُ صَـبًا فِي قَـرَّةٍ يَتَرَيَّـعُ (٢)
فَلَـمَّا تَلَاقَيْنَـا وَدَارَتْ بِنَـا الرَّحَـى ... وَلَـيْسَ لِأَمْـرٍ حَمَّـهُ اللهُ مَـدْفَعُ (٣)
ضَرَبْنَـاهُمْ حَتَّـى تَرَكْنَـا سَرَاتَهُـمْ ... كَـأَنَّهُمْ بِالقَـاعِ خُشُـبٌ مُصَـرَّعُ (٤)
لَـدُنْ غُـدْوَةً حَتَّـى اسْـتَفَقْنَا عَشِـيَّةً ... كَـأَنَّ ذَكَانَـا حَـرُّ نَـارٍ تَلَفَّـعُ (٥)
وَرَاحُـوا سِرَاعًـا مُـوجِفِينَ كَـأَنَّهُمْ ... جِهَـامٌ هَرَاقَـتْ مَـاءَهُ الـرِّيحُ مُقَلَّـعُ (٦)
وَرُحْنَـا وَأُخْرَانَـا بِطَـاءٌ كَأَنَّنَـا ... أُسُـودٌ عَـلَى لَـحْمٍ بِبِيشَـةِ ظُلَّـعُ (٧)
فَنِلْنَـا وَنَـالَ القَـوْمُ مِنَّـا وَرُبَّـمَا ... فَعَلْنَـا وَلَكِـنْ مَـا لَـدَى اللهِ أَوْسَـعُ
وَدَارَتْ رَحَانَـا وَاسْـتَدَارَتْ رَحَـاهُمْ ... وَقَـدْ جُعِلُـوا كُـلٌّ مِـنَ الشَّـرِّ يَشْـبَعُ
وَنَحْـنُ أُنَـاسٌ لَا نَـرَى القَتْـلَ سُـبَّةً ... عَلَى كُلِّ مَـنْ يَحْمِـي الـذِّمَارَ وَيَمْنَـعُ (٨)
جِلَادٌ عَـلَى رَيْـبِ الحَـوَادِثِ لَا نَـرَى ... عَـلَى هَالِـكٍ عَيْنًـا لَنَـا الـدَّهْرَ تَـدْمَعُ (٩)
بَنُـو الحَـرْبِ لَا نَعْيَـا بِشَـيْءٍ نَقُولُـهُ ... وَلَا نَحْـنُ بِـمَا جَـرَّتْ الـحَرْبُ نَجْـزَعُ
بَنُو الحَرْبِ إِنْ نَظْفَـرْ فَلَسْـنَا بِفُحَّـشٍ ... وَلَا نَحْـنُ مِـنْ أَظْفَارِهَـا نَتَوَجَّـعُ
وَكُنَّـا شِـهَابًا يَتَّقِـي النَّـاسُ حَـرَّهُ ... وَيَفْـرُجُ عَنْـهُ مَـنْ يَلِيـهِ وَيَسْـفَعُ (١٠)
فَخَرْتَ عَلَيَّ ابْنَ الزِّبَعْرَى وَقَـدْ سَرَى ... لَكُـمْ طَلَـبٌ مِـنْ آخِـرِ اللَّيْـلِ مُتْبَـعُ
فَسَـلْ عَنْـكَ فِي عُلْيَـا مَعَـدٍّ وَغَيْرِهَـا ... مِـنَ النَّـاسِ مَـنْ أَخْـزَى مَقَامًـا وَأَشْـنَعَ
وَمَنْ هُوَ لَمْ تَتْرُكْ لَـهُ الحَـرْبُ مَفْخَـرًا ... وَمَـنْ خَـدُّهُ يَـوْمَ الكَرِيهَـةِ أَضْرَعُ (١١)

---

(١) **تصوب**: تقع. **البصار**: حجارة لينة. **تقعقع**: تصوت.

(٢) **الصبا**: ريح شرقية. **القرة**: البرد. **يتربع**: يجيء ويذهب.

(٣) **رَحى الحرب**: معظم موضع القتال فيها. **حمه الله**: قدره.

(٤) **سَرَاتَهم**: خيارهم. **القاع**: المنخفض من الأرض.

(٥) **ذكانا**: أي التهابنا في الحرب. **تلفع**: يشتمل حرها من دنا منها.

(٦) **مُوجِفين**: مسرعين. **الجهام**: السحاب الرقيق الذي ليس فيه ماء.

(٧) **بيشة**: موضع تنسب إليه الأسود.

(٨) **الذِّمار**: ما يجب على الرجل أن يحميه.

(٩) **جِلادُ**: جمع جليد، وهو الصبور.

(١٠) **شِهابا**: القطعة من النار. **يسفع**: يحرق.

(١١) **أضْرَع**: ذليل.

شَـدَدْنَا بِحَـوْلِ اللهِ وَالنَّصْـرِ شَـدَّةً ... عَلَـيْكُمْ وَأَطْـرَافُ الأَسِـنَّةِ سُرَّعُ
تَكُـرُّ القَنَـا فِـيكُمْ كَـأَنَّ فُرُوغَهَـا ... عَـزَالَى مَـزَادٍ مَاؤُهَـا يَتَهَـزَّعُ (١)
عَمَـدْنَا إِلَى أَهْـلِ اللِّـوَاءِ وَمَـنْ يَطِـرْ ... بِـذِكْرِ اللِّـوَاءِ فَهُـوَ فِي الـحَمْدِ أَسْرَعُ
فَخَـانُوا وَقَـدْ أَعْطَـوْا يَـدًا وَتَخَـاذَلُو ... أَبَـى اللهُ إِلَّا أَمْـرَهُ وَهُـوَ أَصْـنَعُ

قَالَ ابْنُ هِشَام: وَكَانَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ قَدْ قَالَ: **مُجَالَدُنَا عَنْ جِذْمِنَا** (٢) **كُلُّ فَخْمَةٍ**.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيَصْلُحُ أَنْ تَقُولَ مُجَالَدُنَا عَنْ دِينِنَا؟**».

فَقَالَ كَعْبٌ ﷺ: **نَعَمْ**، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَهُوَ أَحْسَنُ**».

فَقَالَ كَعْبٌ: **مُجَالَدُنَا عَنْ دِينِنَا**.

ما قاله ابن الزِّبَعْرَى: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزِّبَعْرَى فِي يَوْمِ أُحُدٍ (٣):

يَا غُرَابَ البَيْنِ أَسَمِعْتَ فَقُلْ ... إِنَّـمَا تَنْطِـقُ شَـيْئًا قَـدْ فُعِـلْ
إِنَّ لِلخَـيْرِ وَلِلشَّـرِّ مَـدىً ... وَكِـلا ذَلِـكَ وَجْـهٌ وَقَبَـلْ (٤)
وَالعَطِيَّاتُ خِسَـاسٌ بَيْـنَهُمْ ... وَسَـوَاءٌ قَـبْرُ مُثْـرٍ وَمُقِـلْ (٥)
كُـلُّ عَـيْشٍ وَنَعِـيمٍ زَائِـلٌ ... وَبَنَـاتُ الـدَّهْرِ يَلعَـبْنَ بِكُـلْ (٦)
أَبْلِغَـنْ حَسَّـانَ عَنِّـي آيَـةً ... فَقَرِيضُ الشِّعْرِ يَشْفِي ذَا الغُلَلْ (٧)
كَمْ تَرَى بِالـجَرِّ مِنْ جُمْجُمَةٍ ... وَأَكُـفٍّ قَـدْ أُتِـرَّتْ وَرِجِـلْ (٨)
وَسَرَابِيـلَ حِسَـانٍ سُرِيَـتْ ... عَـنْ كُـمَاةٍ أُهْلِكُـوا فِي الـمُنْتَزَلْ (٩)
كَـمْ قَتَلْنَـا مِـنْ كَـرِيمٍ سَـيِّدٍ ... مَاجِـدِ الـجَدَّيْنِ مِقْـدَامٍ بَطَـلْ
صَـادِقِ النَّجْـدَةِ قَـرْمٍ بَـارِعٍ ... غَيْرِ مُلتَـاثٍ لَـدَى وَقْـعِ الأَسَـلْ (١٠)

(١) **الفُروغ**: الطعنات المتسعة. **عزالى**: جمع عزلاء، وهي فم المزادة. **يتهزع**: يتقطع، ويروى «يتهرع» أي يتفرغ ويسرع سيلانه.

(٢) **الجذم**: الأصل.

(٣) السيرة لابن هشام ٢/ ١٣٦-١٣٧، البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٤٧٤-٤٧٦.

(٤) **المدى**: الغاية. **القبل**: المواجهة والمقابلة، يريد أن كل ذلك ملاقيه الإنسان في مستقبل أيامه.

(٥) **خِساسُ**: حقيرة. **المثري**: الغني. **المقل**: الفقير.

(٦) **بناتُ الدَّهر**: حوادثه.

(٧) **الآيَة**: العلامة. **الغلل**: جمع غلة وهي حرارة العطش.

(٨) **الجَر**: أصل الجبل. **أترت**: قطعت. **الرجل**: الأرجل.

(٩) **وسَرَابيل**: الدروع. **سريت**: جردت. **الكماة**: الشجعان. **المنتزل**: موضع الحرب والنزال.

(١٠) **النَّجْدة**: القوة والشجاعة. **القرم**: الفحل الكريم. **البارع**: المبرز على غيره. **الملتاث**: الضعيف. **الأسل**: الرماح.

فَسَل المِهْرَاسَ مَنْ سَاكِنُهُ؟ ... بَيْنَ أَقْحَافٍ وَهَامٍ كَالحَجَل [1]
لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرٍ شَهِدُوا ... جَزَعَ الخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الأَسَل
حِينَ حَكَّتْ بِقُبَاءٍ بَرْكَهَا ... وَاسْتَحَرَّ القَتْلَ فِي عَبْدِ الأَشَل [2]
ثُمَّ خُفُّوا عِنْدَ ذَاكُمْ رُقَّصًا ... رَقَصَ الحَفَّانِ يَعْلُو فِي الجَبَل [3]
فَقَتَلْنَا الضَّعْفَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ ... وَعَدَلْنَا مَيْلَ بَدْرٍ فَاعْتَدَل
لَا أَلُومُ النَّفْسَ إِلَّا أَنَّنَا ... لَوْ كَرَّرْنَا لَفَعَلْنَا المُفْتَعَل
بِسُيُوفِ الهِنْدِ تَعْلُو هَامَهُمْ ... عِلَلًا تَعْلُوهُمْ بَعْدَ نَهَل [4]

إجابة حسَّان رضي الله عنه **له:** فأجابه حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه قَالَ [5]:

ذَهَبَتْ يَا ابْنَ الزِّبَعْرَى وَقْعَةٌ ... كَانَ مِنَّا الفَضْلُ فِيهَا لَوْ عَدَل
وَلَقَدْ نِلْتُمْ وَنِلْنَا مِنْكُمُ ... وَكَذَاكَ الحَرْبُ أَحْيَانًا دُوَل
نَضَعُ الأَسْيَافَ فِي أَكْتَافِكُمْ ... حَيْثُ نَهْوِي عِلَلًا بَعْدَ نَهَل [6]
نُخْرِجُ الأضياحَ مِنْ أَسْتَاهِكُمْ ... كَسُلَاحِ النِّيبِ يَأْكُلْنَ العَصَل [7]
إِذْ تُوَلُّونَ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ... هَرَبًا مِنْ الشِّعْبِ أَشْبَاهَ الرَّسَل [8]
إِذْ شَدَدْنَا شَدَّةً صَادِقَةً ... فَأَجَأْنَاكُمْ إِلَى سَفْحِ الجَبَل [9]
بِخَنَاطِيلَ كَأَشْرَافِ المَلَا ... مَنْ يُلَاقُوهُ مِنْ النَّاسِ يُهَل [10]
ضَاقَ عَنَّا الشِّعْبُ إِذْ نَجْزَعُهُ ... وَمَلَأْنَا الفَرْطَ مِنْهُ وَالرِّجَل [11]

---

(١) **الأَقْحاف**: جمع قحف. **الهام**: الرءوس.
(٢) **البَرْك**: الصدر. **بنو عبد الأشل**: يريد بني عبد الأشهل، فحذف الهاء.
(٣) **الرَّقص**: مشي سريع. **الحفان**: صغار النعام.
(٤) **العلل**: الشرب الثاني. **النهل**: الشرب الأول، يريد الضرب بعد الضرب.
(٥) السيرة لابن هشام ٢/ ١٣٧-١٣٨، البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٤٦٨-٤٧٦، سبل الهدى للصالحي ٤/ ٣٤٤.
(٦) في شرح السيرة: «**الخطي**» في موضع الأسياف، والخطي: الرماح، نسبة إلى الخط، وهو موضع.
(٧) **الأضياح**: جمع ضيح، وهو اللبن المخلوط بالماء. **الأستاه**: جمع إستٍ، وهو الدبر. **النيب**: جمع ناب، وهي الناقة المسنة. **العصل**: نبات تأكله الإبل فيخرج منها أحمر.
(٨) **الرَّسَل**: الإبل المرسلة بعضها في إثر بعض.
(٩) **فأجأناكم**: أي ألجأناكم.
(١٠) **الخناطيل**: الجماعات من كل شيء. **الملا**: المتسع من الأرض. **يهل**: يرتاع، من الهول، وهو الفزع.
(١١) **نَجْزَعَه**: نقطعه عرضًا. **الفرط**: ما علا الأرض. **الرجل**: جمع رجلة، وهو المطمئن من الأرض.

بِرِجَالٍ لَسْتُمْ أَمْثَالَهُمْ ... أُيِّدُوا جِبْرِيلَ نَصْرًا فَنَزَلْ
وَعَلَوْنَا يَوْمَ بَدْرٍ بِالتُّقَى ... طَاعَةِ اللهِ وَتَصْدِيقِ الرُّسُلْ
وَقَتَلْنَا كُلَّ رَأْسٍ مِنْهُمْ ... وَقَتَلْنَا كُلَّ جَحْجَاحٍ رِفَلْ (١)
وَتَرَكْنَا فِي قُرَيْشٍ عَوْرَةً ... يَوْمَ بَدْرٍ وَأَحَادِيثَ الْمَثَلْ
وَرَسُولُ اللهِ حَقًّا شَاهِدٌ ... يَوْمَ بَدْرٍ وَالتَّنَابِيلُ الْهُبُلْ (٢)
فِي قُرَيْشٍ مِنْ جُمُوعٍ جُمِّعُوا ... مِثْلَ مَا يُجْمَعُ فِي الْخِصْبِ الْهَمَلْ (٣)
نَحْنُ لَا أَمْثَالُكُمْ وُلْدَ اسْتِهَا ... نَحْضُرُ النَّاسَ إِذَا الْبَأْسُ نَزَلْ (٤)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَأَنْشَدَنِي أَبُو زَيْدٍ الأَنْصَارِيُّ: «**وَأَحَادِيثُ الْمِثْلِ**» وَالبَيْتُ الذِي قَبْلَهُ. وَقَوْلُهُ: «**فِي قُرَيْشٍ مِنْ جُمُوعٍ جَمَّعُوا**» عَنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ.

شِعْرُ ابْنِ الزِّبَعْرَى فِي يَوْمِ أُحُدٍ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزِّبَعْرَى فِي يَوْمِ أُحُدٍ، يَبْكِي القَتْلَى [السيرة لابن هشام ٢/ ١٤١-١٤٢]:

أَلَا ذَرَفَتْ مِنْ مُقْلَتَيْكَ دُمُوعُ ... وَقَدْ بَانَ مِنْ حَبْلِ الشَّبَابِ قُطُوعُ (٥)
وَشَطَّ بِمَنْ تَهْوَى الْمَزَارُ وَفَرَّقَتْ ... نَوَى الْحَيِّ دَارٌ بِالْحَبِيبِ فَجُوعُ (٦)
وَلَيْسَ لِمَا وَلَّى عَلَى ذِي حَرَارَةٍ ... وَإِنْ طَالَ تَذْرَافُ الدُّمُوعِ رُجُوعُ
فَذَرْ ذَا وَلَكِنْ هَلْ أَتَى أُمَّ مَالِكٍ ... أَحَادِيثُ قَوْمِي وَالْحَدِيثُ يَشِيعُ
وَمُجْنَبُنَا جُرْدًا إِلَى أَهْلِ يَثْرِبَ ... عَنَاجِيجَ مِنْهَا مُتْلَدٌ وَنَزِيعُ (٧)
عَشِيَّةَ سِرْنَا فِي لُهَامٍ يَقُودُنَا ... ضَرُورُ الأَعَادِي لِلصَّدِيقِ نَفُوعُ (٨)

---

(١) **الجحجاح**: السيد. **الرفل**: الذي يجر ثوبه خيلاء.

(٢) **التنابيل**: القصار اللئام، ويروى: القنابل، يريد الخيل، الواحدة قنبلة، وهي القطعة من الخيل. **الهبل**: قال أبو ذر: من رواه بضم الهاء والباء، فمعناه الذين ثقلوا لكثرة اللحم عليهم، ومنه يُقال: رجل مهبل: إذا كثر لحمه، ومن رواه بفتح الهاء والباء، أو بضم الهاء وفتح الباء، فهو من الثكل، يُقال: هبلته أمه: إذا ثكلته.

(٣) **الهمل**: الإبل المهملة، وهي التي ترسل في المرعى دون راع.

(٤) **وُلد**: جمع وَلَد، كما يُقال: أَسد وأُسد.

(٥) **ذَرَفَت**: سالت.

(٦) **شَطَّ**: بعُد. **النوى**: البُعد والفُرقة.

(٧) **مجنبًا**: أي قودنا، يقال: جنبت الخيل: إذا قدتها ولم تركبها. **العناجيج**: الطوال الحسان. **المتلد**: الذي ولد عندك. **النزيع**: الغريب.

(٨) **اللهام**: الجيش الكثير.

نَشُـدُّ عَلَيْنَـا كُـلَّ زَغْـفٍ كَأَنَّهَـا ... غَـدِيرٌ بِضَـوْجِ الـوَادِيَيْنِ نَقِيـعُ [(١)]
فَلَـمَّا رَأَوْنَـا خَـالَطَتْهُمْ مَهَابَـةٌ ... وَعَـايَنَهُمْ أَمْـرٌ هُنَـاكَ فَظِيـعُ
وَوَدُّوا لَوْ أَنَّ الأَرْضَ يَنْشَقُّ ظُهْرُهَا ... بِهِـمْ وَصَـبُورُ القَـوْمِ ثَـمَّ جَـزُوعُ
وَقَدْ عُرِّيَتْ بِيضٌ كَأَنَّ وَمِيضَـهَا ... حَرِيـقٌ تَرَقَّـى فِي الأَبَـاءِ سَرِيـعُ [(٢)]
بِأَيْمَانِنَـا نَعْلُـو بِهَـا كُـلَّ هَامَـةٍ ... وَمِنْهَـا سِـهَامٌ لِلعَـدُوِّ ذَرِيـعُ [(٣)]
فَغَادَرْنَ قَتْلَى الأَوْسِ غَاصِبَةً بِهِـمْ ... ضِـبَاعٌ وَطَـيْرٌ يَعْتَفِـينَ وُقُـوعُ [(٤)]
وَجَمْـعُ بَنِـي النَّجَّـارِ فِي كُـلِّ تَلعَـةٍ ... بِأَبْـدَانِهِمْ مِـنْ وَقْعِهِـنَّ نَجِيـعُ [(٥)]
وَلَوْلَا عُلُوُّ الشِّعْبِ غَـادَرْنَ أَحْمَـدًا ... وَلَكِـنْ عَـلَا وَالسَّـمْهَرِيُّ شُرُوعُ [(٦)]
كَمَا غَـادَرَتْ فِي الكَـرِّ حَمْـزَةَ ثَاوِيًـا ... وَفِي صَـدْرِهِ مَـاضِي الشَّـبَاةِ وَقِيـعُ [(٧)]
وَنُعْـمَانُ قَـدْ غَـادَرْنَ تَحْـتَ لِوَائِـهِ ... عَـلَى لَحْمِـهِ طَـيْرٌ يَجُفْـنَ وُقُـوعُ [(٨)]
بِأُحُـدٍ وَأَرْمَـاحُ الكُـمَاةِ يُـرِدْنَهُمْ ... كَـمَا غَـالَ أَشْـطَانَ الـدِّلَاءِ نُـزُوعُ [(٩)]

شِعْرُ حَسَّانَ ﷺ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ الزِّبَعْرَى: فَأَجَابَهُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ﷺ، فَقَالَ [(١٠)]:

أَشَـاقَّكَ مِـنْ أَمِّ الوَلِيـدِ رُبُـوعٌ ... بَلَاقِـعُ مَـا مِـنْ أَهْلِهِـنَّ جَمِيـعُ [(١١)]
عَفَـاهُنَّ صَـيْفِيُّ الرِّيَـاحِ وَوَاكِـفٌ ... مِنْ الدَّلوِ رَجَّافُ السَّحَابِ هَمُـوعُ [(١٢)]

---

(١) **الزَّغْف**: الدروع اللينة، **الضوج**: جانب الوادي. **نقيع**: مملوء بالماء.
(٢) **الوَميِض**: الضوء. **الأباء**: الأجمة الملتفة الأغصان.
(٣) **الذَّرِيع**: الذي يقتل سريعًا.
(٤) **يَعتَفين**: يطلبن الرزق.
(٥) **النَّجيع**: الدم.
(٦) **الشِّعْب**: الطريق في الجبل. **السمهري**: الرماح. **شروع**: مائلة للطعن.
(٧) **شَباة كل شيء**: حده. **وقيع**: أي محدد.
(٨) **يجفن**: يدخلن جوفه، أو يطالبن ما في جوفه. وفي رواية: «يحفن»، أي يقعن على لحمه. ويروي: «يحمن»، أي يستدرن.
(٩) **الكماة**: الشجعان. **غال**: أهلك. **الأشطان**: الحبال. **الدلاء**: جمع دلو. **النزوع** (بضم النون): جذب الدلو وإخراجها من البئر. **النزع** (بفتحها): المستقي.
(١٠) السيرة لابن هشام ٢/ ١٤٢-١٤٣.
(١١) **البلقع**: القفر الخالي.
(١٢) **عَفاهُن**: غيرهن ودرسهن. **الواكف**: المطر السائل. **من الدلو**: يعني برجًا في السماء. **رجاف**: أي متحرك مصوت. **وهموع**: أي سائل

فَلَـمْ يَبْـقَ إِلَّا مَوْقِـدُ النَّـارِ حَوْلَـهُ ... رَوَاكِـدُ أَمْثَـالِ الـحَمَامِ كُنُـوع [١]
فَدَعْ ذِكْـرَ دَارٍ بَـدَّدَتْ بَـيْنَ أَهْلِهَـا ... نَـوًى لِـمَتِينَاتِ الحِبَـالِ قَطُـوعُ [٢]
وَقُـلْ إِنْ يَكُـنْ يَـوْمٌ بِأُحُـدٍ يَعُـدُّ ... سَـفِيهٌ فَـإِنَّ الـحَقَّ سَـوْفَ يَشِـيعُ
فَقَدْ صَابَرَتْ فِيهِ بَنُو الأَوْسِ كُلُّهُمْ ... وَكَـانَ لَـهُمْ ذِكْـرٌ هُنَـاكَ رَفِيـعُ
وَحَامَى بَنُو النَّجَّارِ فِيـهِ وَصَـابَرُوا ... وَمَـا كَـانَ مِـنْهُمْ فِي اللِّقَـاءِ جَـزُوعُ
أَمَـامَ رَسُـولِ اللهِ لَا يَخْذُلُونَـهُ ... لَهُـمْ نَـاصِرٌ مِـنْ رَبِّهِـمْ وَشَـفِيعُ
وَفُوا إِذْ كَفَرْتُمْ يَـا سَـخِينَ بِـرَبِّكُمْ ... وَلَا يَسْـتَوِي عَبْـدٌ وَفَى وَمُضِـيعُ [٣]
بِأَيْـدِيهِمُ بِـيضٌ إِذَا حَمِـشَ الـوَغَى ... فَـلَا بُـدَّ أَنْ يَـرْدَى لَـهُنَّ صَرِيـعُ [٤]
كَمَا غَـادَرَتْ فِي النَّقْـعِ عُتْبَـةُ ثَاوِيًـا ... وَسَـعْدًا صَرِيعًـا وَالوَشِـيجُ شُرُوعُ [٥]
وَقَدْ غَادَرَتْ تَحْتَ العَنَاجَةِ مُسْـنَدًا ... أُبَيًّـا وَقَـدْ بَـلَّ القَمِـيصَ نَجِيـعُ [٦]
يَكُفُّ رَسُـولُ اللهِ حَيْـثُ تَنَصَّـبَتْ ... عَـلَى القَـوْمِ مِمَّـا قَـدْ يُثِـرْنَ نُقُـوعُ [٧]
أُولَئِكَ قَـوْمٌ سَـادَةٌ مِـنْ فُـرُوعِكُمْ ... وَفِي كُـلِّ قَـوْمٍ سَـادَةٌ وَفُـرُوعُ
بِهِـنَّ نُعِـزُّ اللهَ حَتَّـى يُعِزَّنَـا ... وَإِنْ كَـانَ أَمْـرٌ يَـا سَـخِينَ فَظِيـعُ
فَـلَا تَـذْكُرُوا قَـتْلَى وَحَمْـزَةُ فِـيهِمْ ... قَتِيـلٌ ثَـوَى للهِ وَهُـوَ مُطِيـعُ
فَـإِنَّ جِنَـانَ الـخُلدِ مَنْزِلَـةٌ لَـهُ ... وَأَمْـرُ الَّـذِي يَقْضِـي الأُمُـورَ سَرِيـعُ
وَقَتَلَاكُمْ فِي النَّـارِ أَفْضَـلُ رِزْقُهُـمْ ... حَمِـيمٌ مَعًـا فِي جَوْفِهَـا وَضَرِيـعُ [٨]

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَعْضُ أَهْلِ العِلمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُهُمَا لِـحَسَّانَ وَابْنِ الزِّبَعْرَى وَقَوْلُهُ: «**مَاضِي الشَّبَاةِ وَطَيْرٌ يُجْفَنُ**» عَنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ.

---

(١) **الرواكِد**: الثوابت. يعني الأثافي. **كنوع**: أي لاصقة بالأرض.

(٢) **النوى**: البُعد. **والمتينات**: الغليظات الشديدات.

(٣) **يا سَخِينَ**: أراد يا سخينة، فرخم. وكانت قريش في الجاهلية تلقب سخينة لمداومتهم على أكل السخينة، وهي دقيق أغلظ من الحساء، وأرق من العصيدة، وإنما تؤكل في الجدب وشدة الدهر.

(٤) **حَمِش**: اشتد. **والوغى**: الحرب. **ويردي**: يهلك.

(٥) **النَّقع**: الغبار. **وعتبة**: يعني عثمان بن أبي طلحة. **والوشيج**: الرماح. **وشروع**: مائلة للطعن.

(٦) **العَجاجة**: الغبرة. **والنجيع**: الدم.

(٧) **نُقُوع**: جمع نقع، وهو التراب.

(٨) **الضَريع**: نبات أخضر يرميه البحر.

قال ابن كثير: وقد أورد الأموي في مغازيه من الأشعار أكثر مما ذكره ابن إسحاق كما جرت عادته، ولا سيما ها هنا. [البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٤٩١-٤٩٢].

فمن ذلك ما ذكره لحسان بن ثابت رضي الله عنه أنه قال في غزوة أحد:

طَاوَعُوا الشَّيْطَانَ إِذْ أَخْزَاهُمُ ... فَاسْتَبَانَ الخِزْيُ فِيهِمْ وَالفَشَل

حِينَ صَاحُوا صَيْحَةً وَاحِدَةً ... مَعْ أَبِي سُفْيَانَ قَالُوا: اعْلُ هُبَل

فَأَجَبْنَاهُمْ جَمِيعًا كُلُّنَا ... رَبُّنَا الرَّحْمَنُ أَعْلَى وَأَجَل

اثْبُتُوا تَسْتَعْمِلُوهَا مَرَّةً ... مِنْ حِيَاضِ المَوْتِ وَالمَوْتُ نَهَل

وَاعْلَمُوا أَنَّا إِذَا مَا نَضَحَتْ ... عَنْ خَيَالِ المَوْتِ قِدْرٌ تَشْتَعِل

وكأن هذه الأبيات قطعة من جوابه لعبد الله بن الزبعرى.

شعر لكعب رضي الله عنه يبكي به حمزة رضي الله عنه و قتلى أحد: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه يَبْكِي حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه وَقَتْلَى أُحُدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ [(١)]:

نَشَجْتَ وَهَلْ لَكَ مِنْ مَنْشِجِ ... وَكُنْتَ مَتَى تَذَّكِرْ تَلجَجِ [(٢)]

تَذَكُّرُ قَوْمٍ أَتَانِي لَهُمْ ... أَحَادِيثُ فِي الزَّمَنِ الأَعْوَجِ

فَقَلْبُكَ مِنْ ذِكْرِهِمْ خَافِقٌ ... مِنَ الشَّوْقِ وَالحَزَنِ المُنْضِجِ

وَقَتْلَاهُمْ فِي جِنَانِ النَّعِيمِ ... كِرَامُ المَدَاخِلِ وَالمَخْرَجِ

بِمَا صَبَرُوا تَحْتَ ظِلِّ اللِّوَاءِ ... لِوَاءِ الرَّسُولِ بِذِي الأَضْوُجِ [(٣)]

غَدَاةَ أَجَابَتْ بِأَسْيَافِهَا ... جَمِيعًا بَنُو الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ

وَأَشْيَاعُ أَحْمَدَ إِذْ شَايَعُوا ... عَلَى الحَقِّ ذِي النُّورِ وَالمَنْهَجِ [(٤)]

فَمَا بَرِحُوا يَضْرِبُونَ الكُمَاةَ ... وَيَمْضُونَ فِي القَسْطَلِ المُرْهَجِ [(٥)]

كَذَلِكَ حَتَّى دَعَاهُمْ مَلِيكٌ ... إِلَى جَنَّةٍ دَوْحَةِ المَوْلِجِ [(٦)]

فَكُلُّهُمْ مَاتَ حُرَّ البَلَاءِ ... عَلَى مِلَّةِ اللهِ لَمْ يَحْرَجِ [(٧)]

---

(١) السيرة لابن هشام ٢/ ١٣٨-١٣٩، البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٤٦٨-٤٨٠.

(٢) **نَشَجْتَ**: بكيت. **تلجج**: من اللجج، وهو الإقامة على الشيء والتمادي فيه.

(٣) **الأَضْوُج**: (بضم الواو): جمع ضوج، وهو جانب الوادي، والأضوج (بفتح الواو) اسم مكان.

(٤) **شايَعوا**: تابعوا. **المنهج**: الطريق الواضح.

(٥) **الكُماة**: الشجعان: **القسطل**: الغبار. **المرهج**: الذي علا في الجو.

(٦) **الدَّوْحَة**: الشجرة الكثيرة الأغصان. **المولج**: المدخل.

(٧) **البَلاء**: خالص الاختبار.

كَحَمْـزَةٍ لـمَّا وَفَّى صَـادِقًا ... بِـذِي هَبَّـةٍ صَـارِمٍ سَـلجَجِ [(١)]

فَلَاقَـاهُ عَبْـدُ بَنِـي نَوْفَـلٍ ... يُبَرْبِـرُ كَالـجَمَلِ الأَدْعَـجِ [(٢)]

فَـأَوْجَرَهُ حَرْبَـةً كَالشِّـهَابِ ... تَلَهَّـبُ فِي اللَّهَـبِ الـمُوهَجِ [(٣)]

وَنُعْـمَانُ أَوْفَى بِمِيثَاقِـهِ ... وَحَنْظَلَـةُ الخَـيْرُ لَمْ يُحْـنَجِ [(٤)]

عَنْ الحَقِّ حَتَّى غَدَتْ رُوحُهُ ... إِلَى مَنْـزِلٍ فَـاخِرِ الزِّبْـرِجِ [(٥)]

أُولَئِكَ لَا مَنْ ثَوَى مِنْكُمْ ... مِـنْ النَّـارِ فِي الـدَّرَكِ الـمُرْتَجِ [(٦)]

شِعْرُ ضِرَارٍ فِي الرَّدِّ عَلَى كَعْبٍ رضي الله عنه: فَأَجَابَه ضِرَارُ بْنُ الخَطَّابِ الفِهْرِي، فَقَالَ [(٧)]:

أَيَجْـزَعُ كَعْـبٌ لِأَشْـيَاعِهِ ... وَيَبْكِـي مِـنْ الـزَّمَنِ الأَعْـوَجِ [(٨)]

عَجِـيجَ المُـذَكِّي رَأَى الفَـهُ ... تَـرَوَّحُ فِي صَـادِرٍ مُحْـنَجِ [(٩)]

فَـرَاحَ الرَّوَايَـا وَغَادَرْنَـهُ ... يُعَجْعَـجُ قَسْـرًا وَلَمْ يُحْـدَجِ [(١٠)]

فَقُولَا لِكَعْـبٍ يُثْنِي البُكَـا ... وَلِلنَّـيءِ مِـنْ لَـحْمِهِ يَنْضَـجِ

لِـمَصْرَعِ إِخْوَانِـهِ فِي مَكَـرٍّ ... مِـنْ الـخَيْلِ ذِي قَسْـطَلٍ مُـرْهَجِ [(١١)]

فَيَـا لَيْـتَ عَمْـرًا وَأَشْيَاعَهُ ... وَعُتْبَـةَ فِي جَمْعَنَـا السَّـوْرَجِ [(١٢)]

فَيَشْفُوا النُّفُـوسَ بِأَوْتَارِهَـا ... بِقَـتْلَى أُصِـيبَتْ مِـنْ الـخَزْرَجِ [(١٣)]

---

(١) **بذي هَبَّةٍ**: يعني سيفًا، وهبة السيف: وقوعه بالعظم. **الصارم**: القاطع. **سلجج**: مرهف.

(٢) **عَبدُ بَني نَوْفَل**: هو وحشي قاتل حمزة. **يبربر**: يصيح. **الجمل الأدعج**: الأسود.

(٣) **أوْجَره**: طعنه في صدره. **الشهاب**: القطعة من النار. **الموهج**: الموقد.

(٤) **لم يحنج**: لم يصرف عن وجهه الذي أراده من الحق.

(٥) **الزِّبْرج**: الوشي.

(٦) **الدَّرَك**: ما كان إلى أسفل. **الدرج**: ما كان إلى فوق.

(٧) السيرة لابن هشام ٢/ ١٣٩-١٤٠.

(٨) **الأشْياع**: الأتباع.

(٩) **العجيج**: الصياح. **المذكي** (هنا): المسن من الإبل، وأكثر ما يقال في الخيل. **الصادر**: الجماعة الصادرة عن الماء. **محنج**: أي مصروف عن وجهه.

(١٠) **الرَّوايا**: الإبل التي تحمل الماء. **غادرته**: تركته. **يعجعج**: يصوت، **وقسرًا**: قهرًا. **لم يحدج**: لم يجعل عليه الحدج، وهو مركب من مراكب.

(١١) **القَسْطل**: الغبار. **المرهج**: المرتفع.

(١٢) **السورج**: المتقد.

(١٣) **الأوْتار**: جمع وتر، وهو طلب الثأر.

وَقَتْلَى مِنْ الأَوْسِ فِي مَعْرَكٍ ... أَصِيبُوا جَمِيعًا بِذِي الأَضْوُجِ [(١)]
وَمَقْتَلُ حَمْزَةَ تَحْتَ اللِّوَاءِ ... بِمُطَّرِدٍ، مَارِنٍ، مُخْلَجِ [(٢)]
وَحَيْثُ انْثَنَى مُصْعَبٌ ثَاوِيًا ... بِضَرْبَةِ ذِي هَبَّةٍ سَلجَجِ [(٣)]
بِأُحُدٍ وَأَسْيَافُنَا فِيهِمْ ... تَلَهَّبُ كَاللَّهَبِ الْمُوهَجِ
غَدَاةَ لَقِينَاكُمُ فِي الحَدِيدِ ... كَأُسْدِ البَرَاحِ فَلَمْ تُعْنَجِ [(٤)]
بِكُلِّ مُجَلِّحَةٍ كَالعُقَابِ ... وَأَجْرَدَ ذِي مَيْعَةٍ مُسْرَجِ [(٥)]
فَدُسْنَاهُمْ ثَمَّ حَتَّى انْثَنَوْا ... سِوَى زَاهِقِ النَّفْسِ أَوْ مُحْرَجِ [(٦)]

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَعْضُ أَهْلِ العِلمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُهَا لِضِرَارٍ، وَقَوْلُ كَعْبٍ «**ذِي النُّورِ وَالمَنْهَجِ**» عَنْ أَبِي زَيْدٍ الأَنْصَارِيِّ.

ما قاله ابن الزِّبَعْرى يوم أحُدُ: وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزِّبَعْرَى يَوْمَ أُحُدٍ [السيرة لابن هشام ٢/ ١٦٦]:

قَتَلنَا ابْنَ جَحْشٍ فَاغْتَبَطْنَا بِقَتْلِهِ ... وَحَمْزَةَ فِي فُرْسَانِهِ وَابْنُ قَوْقَلِ
وَأَفْلَتَنَا مِنْهُمْ رِجَالٌ فَأَسْرَعُوا ... فَلَيْتَهُمْ عَاجُوا وَلَمْ نَتَعَجَّلِ [(٧)]
أَقَامُوا لَنَا حَتَّى تَعَضَّ سُيُوفُنَا ... سَرَاتَهُمْ وَكُلُّنَا غَيْرُ عُزَّلِ [(٨)]
وَحَتَّى يَكُونَ القَتْلُ فِينَا وَفِيهِمْ ... وَيَلقُوا صَبُوحًا شَرُّهُ غَيْرَ مُنْجَلِي [(٩)]

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَقَوْلُهُ «وَكُلُّنَا» وَقَوْلُهُ «وَيَلقُوا صَبُوحًا»: عَنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ.

شِعْرُ عَمْرِو بْنِ العَاصِ فِي يَوْمِ أُحُدٍ:

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ عَمْرُو بْنُ العَاصِي فِي يَوْمِ أُحُدٍ [السيرة لابن هشام ٢/ ١٤٣-١٤٤]:

---

(١) **المَعْرَك**: موضع الحرب.

(٢) **المُطَّرِد**: الذي يهتز، ويعني به رمحًا. **المارن**: اللين. **المخلج**: الذي يطعن بسرعة.

(٣) **سَلجَجَ**: الذي يطعن بسرعة.

(٤) **لم تُعْنَج**: لم تكف ولم تصرف.

(٥) **المجَلِّحَة**: الماضية المتقدمة. ويعني بها فرسًا، ومن رواه «محجلة» فهو من التحجيل في الخيل. **الأجرد**: الفرس العتيق. **الميعة**: النشاط.

(٦) **دُسْناهُم**: وطئناهم. **المحرج**: المضيق عليه.

(٧) **عاجُوا**: عطفوا وأقاموا.

(٨) **سَراتَهم**: خيارهم. **العزل**: الذين لا سلاح لهم، جمع أعزل.

(٩) **الصبوح**: شرب الغداة، يعني أنهم يسقونهم كأس المنية. **منجلي**: منكشف.

خَرَجْنَا مِنْ الفَيْفَا عَلَـيْهِمْ كَأَنَّنَـا ... مَعَ الصُّبْحِ مِنْ رَضْوَى الـحَبِيكِ الـمُنَطَّقِ [(١)]

تَمَنَّتْ بَنُو النَّجَّـارِ جَهْـلًا لِقَاءَنَـا ... لَـدَى جَنْـبَ سَـلعٍ وَالأَمَـانِيُّ تَصْـدُقُ [(٢)]

فَـمَا رَاعَهُـمْ بِالشَّـرِّ إِلَّا فُجَـاءَةً ... كَـرَادِيسُ خَيْـلٍ فِي الأَزِقَّـةِ تَمْـرُقُ [(٣)]

أَرَادُوا لِكَـيْما يَسْـتَبِيحُوا قِبَابَنَـا ... وَدُونَ القِبَـابِ اليَـوْمَ ضَرْبٌ مُحَـرَّقُ

وَكَانَتْ قِبَابًا أُومِنَتْ قَبْلَ مَا تَرَى ... إِذْ رَامَهَـا قَـوْمٌ أُبِيحُـوا وَأُحْنِقُـوا [(٤)]

كَأَنَّ رُؤُوسَ الخَـزْرَجِيِّينَ غَـدْوَةً ... وَأَيْمَانُهُـمْ بِالْمَشْـرِقِيَّةِ بَـرْوَقُ [(٥)]

شِعْرُ كَعْبٍ ﷺ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ العَاصِي:

فَأَجَابَهُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ، فِيمَا ذَكَرَ ابْنُ هِشَامٍ، فَقَالَ [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٤٤]:

أَلَا أَبْلِغَا فِهْرًا عَـلَى نَـأْيِ دَارِهَـا ... وَعِنْـدَهُمْ مِـنْ عِلمِنَـا اليَـوْمَ مَصْـدَقُ

بِأَنَّا غَدَاةَ السَّفْحِ مِنْ بَطْنِ يَثْرِبَ ... صَـبَرْنَا وَرَايَـاتُ المَنِيَّـةِ تَخْفِـقُ [(٦)]

صَبَرْنَا لَهُمْ وَالصَّبْرُ مِنَّـا سَـجِيَّةٌ ... إِذَا طَـارَتْ الأَبْـرَامُ نَسْـمُوا وَنَرْتُـقُ [(٧)]

عَلَى عَادَةٍ تِلكُمْ جَرَيْنَـا بِصَـبْرِنَا ... وَقِدْمًا لَـدَى الغَايَـاتِ نَجْـرِي فَنَسْـتَبِقْ

لَهَا حَوْمَـةٌ لَا تُسْـتَطَاعُ يَقُودُهَـا ... نَبِـيٌّ أَتَـى بِالـحَقِّ عَـفٌّ مُصَـدَّقُ [(٨)]

أَلَا هَل أَتَى أَفْنَاءَ فِهرِ بْنِ مَالِـكٍ ... مُقَطَّـعُ أَطْـرَافٍ وَهَـامٌ مُفَلَّـقُ [(٩)]

شِعْرُ ضِرَارِ بْنِ الخَطَّابِ فِي يَوْمِ أُحُدٍ: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ ضِرَارُ بْنُ الخَطَّابِ [(١٠)]:

إِنِّي وَجَـدِّكَ لَـوْلَا مُقْـدَمِي فَـرَسِي ... إِذْ جَالَتْ الخَيْـلُ بَـيْنَ الجِـزْعِ وَالقَـاعِ [(١١)]

---

(١) **الفَيْفَا**: القفر الذي لا ينبت شيئًا، وقصره هنا للشعر. **رضوى**: اسم جبل. **الحبيك**: الذي فيه طرائف. **والمنطق**: المحزم.

(٢) **سَلع**: اسم جبل في ظاهر المدينة.

(٣) **الكَراديسُ**: جماعات الخيل. **تمرق**: تخرج.

(٤) **أُحْنِقوا**: أي أغضبوا وزادت بعض النسخ بعد هذا البيت:

كَأَنَّ رُؤُوسَ الخَزْرَجِيِّينَ غَدْوَةً ... لَدَى جَنْبِ سَلعٍ حَنْظَلٌ مُتَفَلِّقُ

(٥) **البروق**: نبات له أصول تشبه البصل.

(٦) **السَّفْح**: جانب الجبل. **تخفق**: تضطرب وتتحول.

(٧) **السَجيَّة**: العادة. **الأبرام**: اللئام، الواحد: برم. وأصله الذي لا يدخله مع القوم في الميسر للؤمه. **نرتُق**: نسد ونصلح.

(٨) **حَوْمَةُ**: الجمة. **العف**: العفيف.

(٩) **أفْناءَ القبائل**: المختلط منها. **الهام**: جمع هامة، وهي الرأس.

(١٠) السيرة لابن هشام ٢/ ١٤٥.

(١١) **الجِزْع**: متعطف الوادي. **القاع**: المنخفض من الأرض.

مَا زَالَ مِنْكُمْ بِجَنْبِ الجَزْعِ مِنْ أُحُدٍ ... أَصْوَاتُ هَامٍ تَزَاقَى أَمْرُهَا شَاعِي (١)

وَفَارِسٌ قَدْ أَصَابَ السَّيْفُ مَفْرِقَهُ ... أَفْلَاقُ هَامَتِهِ كَفَرْوَةِ الرَّاعِي (٢)

إِنِّي وَجَدِّكَ لَا أَنْفَكُّ مُنْتَطِقًا ... بِصَارِمٍ مِثْلِ لَوْنِ المِلحِ قَطَّاعِ (٣)

عَلَى رِحَالَةِ مِلْوَاحٍ مُثَابَرَةٍ ... نَحْوَ الصَّرِيخِ إِذَا مَا ثَوَّبَ الدَّاعِي (٤)

وَمَا انْتَمَيْتُ إِلَى خُورٍ وَلَا كُشُفٍ ... وَلَا لِئَامٍ غَدَاةَ البَأْسِ أَوْرَاعِ (٥)

بَل ضَارِبِينَ حَبِيكَ البِيضِ إِذْ لَحِقُوا ... شُمَّ العَرَانِينَ عِنْدَ المَوْتِ لُذَّاعِ (٦)

شُمٌّ بَهَالِيلُ مُسْتَرْخٍ حَمَائِلُهُمْ ... يَسْعَوْنَ لِلمَوْتِ سَعْيًا غَيْرَ دَعْدَاعِ (٧)

وَقَالَ ضِرَارُ بْنُ الخَطَّابِ أَيْضًا [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٤٥-١٤٦]:

لَـمَّا أَتَتْ مِنْ بَنِي كَعْبٍ مُزَيَّنَةً ... وَالخَزْرَجِيَّةُ فِيهَا البِيضُ تَأْتَلِقُ (٨)

وَجَرَّدُوا مَشْرَفِيَّاتٍ مُهَنَّدَةً ... وَرَايَةً كَجَنَاحِ النَّسْرِ تَخْتَفِقُ (٩)

فَقُلْتُ يَوْمٌ بِأَيَّامٍ وَمَعْرَكَةٌ ... تُنْبِي لِمَا خَلفَهَا مَا هُزْهُزَ الوَرَقِ (١٠)

قَدْ عُوِّدُوا كُلَّ يَوْمٍ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ ... رِيحُ القِتَالِ وَأَسْلَابُ الَّذِينَ لَقَوْا (١١)

خَيَّرْتُ نَفْسِي عَلَى مَا كَانَ مِنْ وَجَلٍ ... مِنْهَا وَأَيْقَنْتُ أَنَّ المَجْدَ مُسْتَبَقُ (١٢)

---

(١) **الهام**: جمع هامة: وهي الطائر الذي يزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل فيصيح. **تزاقي**: تصيح. **شاعي**: أراد شائع، فقلب.

(٢) **المفرق**: حيث تفرق الشعر فوق الجبهة. **الفروة** بالفاء: معروفة، وتروى: كقروة «بالقاف» والقروة: إناء من خشب يحمله الراعي معه.

(٣) **منتطق**: محتزم. **الصارم**: السيف القاطع.

(٤) **الرحالة**: السرج. **الملواح**: الفرس الشديدة التي ضمر لحمها. **مثابرة**: متابعة. **الصريخ**: المستغيث. **ثوب**: كرر الدعاء.

(٥) **الخور**: الضعفاء. **الكشف**: جمع أكشف، وهو الذي لا ترس له في الحرب. **الأوراع**: جمع ورع، وهو الجبان. ويروى: أوزاع: «بالزاي» أي متفرقون.

(٦) **الحبيك**: الأبيض طرائقه. **شم**: مرتفعة. **العرانين**: الأنوف، يصفهم بالعزة.

(٧) **البهاليل**: السادة، الواحد: بهلول. **مسترخ حمائلهم**: يعني: حمائل سيوفهم، وفيه إشارة إلى طولهم. **الدعداع**: الضعيف البطيء.

(٨) **مزينة**: يعني كتيبة فيها ألوان من السلاح. **تأتلق**: تضيء وتلمع.

(٩) **المشرفيات**: سيوف منسوبة إلى المشارف، وهي قرى بالشام.

(١٠) **تنبي**: يريد تنبئ، فخفف وحذف الهمزة، ويروى ثنيا، أي ثانية على أولى. **هزهز** (بالبناء للمجهول) أي حرك، ويروى هزهز (بفتح الهاء) أي تحرك.

(١١) **الأسلاب**: جمع سلب.

(١٢) **الوجل**: الفزع.

أَكْرَهْتُ مُهْرِي حَتَّى خَاضَ غَمْرَتَهُمْ ... وَبَلَّـهُ مِـنْ نَجِيـعِ عَانِـكٍ عَلَـقُ (١)
فَظَـلَّ مُهْـرِي وَسِرْبَـالِي جَسِـيدُهُمَا ... نَفَخَ العُرُوقَ رِشَاشُ الطَّعْـنِ وَالـوَرَقُ (٢)
أَيْقَنْـتُ أَنِّي مُقِـيمٌ فِي دِيَـارِهِمْ ... حَتَّـى يُفَـارِقَ مَـا فِي جَوْفِـهِ الحَـدَقُ (٣)
لَا تَجْزَعُـوا يَـا بَنِـي مَخْـزُومٍ إِنَّ لَكُـمْ ... مِثْـلَ الـمُغِيرَةِ فِـيكُمْ مَـا بِـهِ زَهَـقُ (٤)
صَبْرًا فَدَى لَكُـمْ أُمِّـي وَمَـا وَلَـدَتْ ... تَعَاوَرُوا الضَّرْبَ حَتَّـى يُـدْبِرَ الشَّـفَقُ (٥)

شِعْرُ عَمْرِو بْنِ العَاصِي فِي يَوْمِ أُحُدٍ: وَقَالَ عَمْرُو بْنُ العَاصِي [السيرة لابن هشام ٢/ ١٤٦-١٤٧]:

لَـمَّا رَأَيْتُ الـحَرْبَ يَنْـ ... زُو شَرُّهَـا بِالرَّضْـفِ نَـزْرَا (٦)
وَتَنَاوَلَتْ شَهْبَاءُ تَلْـحُ ... والنَّـاسَ بِالضَّـرَّاءِ لَحْـوا (٧)
أَيْقَنْتُ أَنَّ المَوْتَ حَـقٌّ ... وَالحَيَـاةُ تَكُـونُ لَغْـوا
حَمَّلْـتُ أَثْـوَابِي عَـلَى ... عَتَـدٍ يَبُـذُّ الـخَيْلَ رَهْـوَا (٨)
سَلِسٍ إِذَا نُكِبْنَ فِي الـ ... بَيْـدَاءِ يَعْلُـو الطَّـرَفَ عُلْـوَا
وَإِذَا تَنَـزَّلَ مَـاؤُهُ ... مِـنْ عِطْفِـهِ يَـزْدَادُ زَهْـوَا (٩)
رَبِذٍ كَيَعْفُـورِ الصَّرِيـ ... ـمَةِ رَاعَـهُ الرَّامُـونَ دَحْـوَا (١٠)
شَـنِجٍ نَسَـاهُ ضَـابِطٍ ... لِلخَيْـلِ إِرْخَـاءً وَعَـدْوَا (١١)
فَفِدَىً لـهُمْ أُمِّي غَـدَا ... ةَ الـرَّوْعِ إِذْ يَمْشُـونَ قَطْـوَا (١٢)
سَيْرًا إِلَى كَبْشِ الكَتِيـ ... ـبَةِ إِذْ جَلَتْهُ الشَّـمْسُ جَلـوَا (١٣)

(١) **غمرتهم**: جماعتهم. **النجيع**: الدم. **عانك**: أحمر، ويروى: عاند، أي لا ينقطع. **العلق**: من أسماء الدم.
(٢) **جسيدهما**: لونهما أو صبغهما. **نفخ العروق**: ما ترمي به من الدم. **الورق**: الدم ويروى: العرق.
(٣) **الحدق**: جمع حدقة، وهي سواد العين.
(٤) **الزهق**: العيب.
(٥) **تعاوروا**: تداولوا.
(٦) **ينزو**: يرتفع ويثب. **الرضف**: الحجارة المحماة بالنار.
(٧) **شهباء**: أي كتيبة كثيرة السلاح. **تلحو**: تقشر وتضعف، تقول: لحوت العود: إذا قشرته.
(٨) **العتد**: الفرس الشديد. **يبذ**: يسبق. **الرهو**: الساكن اللين.
(٩) **ماؤه**: أي عرفه. **العطف**: الجانب. **الزهو**: الإعجاب والتكبر.
(١٠) **ربذ**: سريع. **اليعفور**: ولد الظبية. **الصريمة**: الرملة المنقطعة. **راعه**: أفزعه. **الدحو**: الانبساط.
(١١) **شنج**: منقبض. **النسا**: عرق مستبطن الفخذين. **ضابط**: ممسك. **الإرخاء والعدو**: ضربان من السير.
(١٢) **القطو**: مشي فيه تبختر كمشي القطاة.
(١٣) **كبش الكتيبة**: رئيسها. **جلته**: أبرزته.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَعْضُ أَهْلِ العِلمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُهَا لِعَمْرٍو.

شِعْرُ كَعْبٍ ﷺ فِي الرَّدِّ عَلَى عَمْرِو بْنِ العَاصِي وضرار: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَأَجَابَهُمَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ، فَقَالَ: [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٤٧-١٤٩، سبل الهدى والرشاد للصالحي ٤/ ٣٤٣]

أَبْلِغْ قُرَيْشًا وَخَيْرُ القَوْلِ أَصْدَقُهُ ... وَالصِّدْقُ عِنْدَ ذَوِي الأَلْبَابِ مَقْبُولُ (١)

أَنْ قَدْ قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا سَرَاتَكُمْ ... أَهْلَ اللِّوَاءِ فَفِيمَا يَكْثُرُ القِيلُ (٢)

وَيَوْمَ بَدْرٍ لَقِينَاكُمْ لَنَا مَدَدٌ ... فِيهِ مَعَ النَّصْرِ مِيكَالٌ وَجِبْرِيلُ

إِنْ تَقْتُلُونَا فَدِينُ الحَقِّ فِطْرَتُنَا ... وَالقَتْلُ فِي الحَقِّ عِنْدَ اللهِ تَفضِيلُ

وَإِنْ تَرَوْا أَمْرَنَا فِي رَأْيِكُمْ سَفَهًا ... فَرَأْيُ مَنْ خَالَفَ الإِسْلَامَ تَضْلِيلُ

فَلَا تَمَنَّوْا لِقَاحَ الحَرْبِ وَاقْتَعِدُوا ... إِنَّ أَخَا الحَرْبِ أَصْدَى اللَّوْنِ مَشْغُولُ (٣)

إِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا ضَرْبًا تَرَاحُ لَهُ ... عُرْجُ الضِّبَاعِ لَهُ خَذْمٌ رَعَابِيلُ (٤)

إِنَّا بَنُو الحَرْبِ نَمْرِيهَا وَنَنْتُجُهَا ... وَعِنْدَنَا لِذَوِي الأَضْغَانِ تَنْكِيلُ (٥)

إِنْ يَنْجُ مِنْهَا ابْنُ حَرْبٍ بَعْدَمَا بَلَغَتْ ... مِنْهُ التَّرَاقِي، وَأَمْرُ اللهِ مَفْعُولُ (٦)

فَقَدْ أَفَادَتْ لَهُ حِلْمًا وَمَوْعِظَةً ... لِمَنْ يَكُونُ لَهُ لُبٌّ وَمَعْقُولُ

وَلَوْ هَبَطْتُمْ بِبَطْنِ السَّيْلِ كَافَحَكُمْ ... ضَرْبٌ بِشَاكِلَةِ البَطْحَاءِ تَرْعِيلُ (٧)

تَلقَاكُمْ عُصَبٌ حَوْلَ النَّبِيِّ لَهُمْ ... مِمَّا يُعِدُّونَ لِلهَيْجَا سَرَابِيلُ (٨)

مِنْ جِذْمِ غَسَّانَ مُسْتَرْخٍ حَمَائِلُهُمْ ... لَا جُبَنَاءُ وَلَا مِيلٌ مَعَازِيلُ (٩)

يَمْشُونَ تَحْتَ عَمَايَاتِ القِتَالِ كَمَا ... تَمْشِي المَصَاعِبَةُ الأُدْمُ المَرَاسِيلُ (١٠)

---

(١) **الألباب**: العقول.

(٢) **سراة القوم**: خيارهم. **القيل**: القول.

(٣) **لقاح الحرب**: زيادتها ونموها. **أصدى اللون**: لونه بين السواد والحمرة. **مشغول**: من الشغل. ويروي: «مشعول» بالعين المهملة، أي متقد ملتهب.

(٤) **تراح**: تفرح وتهتز. (بضم الخاء): قطع اللحم، (وبفتحها) المصدر. **الرعابيل**: المنقطعة.

(٥) **نمريها**: نستدرها. **ننتجها**: من النتاج. **الأضغان**: العداوات. **التنكيل**: الزجر المؤلم.

(٦) **التراقي**: عظام الصدر.

(٧) **كافحكم**: واجهكم. **بشاكلة**: أي بطرف. **البطحاء**: الأرض السهلة. **الترعيل**: الضرب السريع.

(٨) **الهيجاء**: الحرب.

(٩) **الجذم**: الأصل. **حمائلهم**: أي حمائل سيوفهم. **الميل**: جمع أميل، وهو الذي لا ترس له. **المعازيل**: الذين لا رماح معهم، مفرده: معزال.

(١٠) **عمايات القتال**: ظلماته، ويروى: غيابات، أي سحابات. **المصاعبة**: الفحول من الإبل، واحدها: مصعب. **الأدم**: الإبل البيض. **المراسيل**: التي يمشي بعضها إثر بعض.

أَوْ مِثْلَ مَشْيِ أُسُودِ الظَّلِّ أَلْثَقَهَا ... يَوْمَ رَذَاذٍ مِنَ الْجَوْزَاءِ مَشْمُولُ (١)

فِي كُلِّ سَابِغَةٍ كَالنِّهْيِ مُحْكَمَةٍ ... قِيَامُهَا فَلَجٌ كَالسَّيْفِ بُهْلُولُ (٢)

تَرُدُّ حَدَّ قِرَامِ النَّبْلِ خَاسِئَةً ... وَيَرْجِعُ السَّيْفُ عَنْهَا وَهُوَ مَفْلُولُ (٣)

وَلَوْ قَذَفْتُمْ بِسَلعٍ عَنْ ظُهُورِكُمْ ... وَلِلحَيَاةِ وَدُفْعُ الْمَوْتِ تَأْجِيلُ (٤)

مَا زَالَ فِي القَوْمِ وِتْرٌ مِنْكُمُ أَبَدًا ... تَعْفُو السَّلَامَ عَلَيْهِ وَهُوَ مَطْلُولُ (٥)

عَبْدٌ وَحُرٌّ كَرِيمٌ مُوثِقٌ قَنَصًا ... شَطْرَ الْمَدِينَةِ مَأْسُورٌ وَمَقْتُولُ (٦)

كُنَّا نُؤَمِّلُ أُخْرَاكُمْ فَأَعْجَلَكُمْ ... مِنَّا فَوَارِسُ لَا عُزْلٌ وَلَا مِيلُ (٧)

إِذَا جَنَى فِيهِمْ الجَانِي فَقَدْ عَلِمُوا ... حَقًّا بِأَنَّ الَّذِي قَدْ جَرَّ مَحْمُولُ

مَا نَحْنُ لَا نَحْنُ مِنْ إِثْمٍ مُجَاهَرَةً ... وَلَا مَلُومٌ وَلَا فِي الغُرْمِ مَخْذُولُ

شِعْرُ حَسَّانَ رضي الله عنه فِي أَصْحَابِ اللِّوَاءِ:

وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رضي الله عنه، يَذْكُرُ عِدَّةَ أَصْحَابِ اللِّوَاءِ يَوْمَ أُحُدٍ [السيرة لابن هشام ٢/ ١٤٩-١٥١]:

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: هَذِهِ أَحْسَنُ مَا قِيلَ.

مَنَعَ النَّوْمَ بِالعِشَاءِ الْهُمُومُ ... وَخَيَالٌ إِذَا تَغُورُ النُّجُومُ

مِنْ حَبِيبٍ أَضَافَ قَلْبَك مِنْهُ ... سَقَمٌ فَهُوَ دَاخِلٌ مَكْتُومُ (٨)

يَا لَقَوْمِي هَل يَقْتُلُ الْمَرْءَ مِثْلِي ... وَاهِنُ البَطْشِ وَالعِظَامِ سَؤُومُ (٩)

لَوْ يَدِبُّ الحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذَّ ... رِّ عَلَيْهَا لَأَنْدَبَتْهَا الكُلُومُ (١٠)

شَأْنُهَا العِطْرُ وَالفِرَاشُ وَيَعْلُو ... هَا لُجَيْنٌ وَلُؤْلُؤٌ مَنْظُومُ (١١)

لَمْ تَفُتْهَا شَمْسُ النَّهَارِ بِشَيْءٍ ... غَيْرَ أَنَّ الشَّبَابَ لَيْسَ يَدُومُ

---

(١) **ألثقها**: بلها. **الرذاذ**: المطر الضعيف. **الجوزاء**: اسم لنجم معروف. **المشمول**: الذي هبت فيه ريح الشمال.

(٢) **السابغة**: الدرع الكاملة. **النهي**: الغدير من الماء. وقيامها، أي القائم بأمرها ومعظمها. **فلج**: نهر. **البهلول**: الأبيض.

(٣) **خاسئة**: ذليلة.

(٤) **سلع**: جبل.

(٥) **يعفو**: يدرس ويتغير. **السلام**: الحجارة. **مطلول**: أي لم يؤخذ بثأره.

(٦) **القنص**: الصيد. **شطر المدينة**: نحوها وقصدها.

(٧) **الميل**: الذي لا تراس معهم.

(٨) **أضاف**: نزل وزار.

(٩) **الوهن**: الضعيف. **السئوم**: الملول.

(١٠) **الحولي**: الصغير. **أندبتها**: أثرت فيها، من الندب، وهو أثر الجرح. **الكلوم**: الجراحات.

(١١) **اللجين**: الفضة.

إِنَّ خَـالِي خَطِيـبُ جَابِيَـةِ الجَـوْ ... لَانِ عِنْـدَ الـنُّعْمَانِ حِـينَ يَقُـومُ (١)

وَأَنَا الصَّقْرُ عِنْدَ بَابِ ابْنِ سَلمَى ... يَـوْمَ نُعْـمَانَ فِي الكُبُـولِ سَـقِيمُ

وَأُبَيٌّ وَوَاقِــــدٌ أُطْلِقَــــا لِي ... يَـوْمَ رَاحَـا وَكَـبْلُهُمْ مَخْطُـومُ (٢)

وَرَهَنْـتُ اليَـدَيْنِ عَـنْهُمْ جَمِيعًـا ... كُـلُّ كَـفٍّ جُـزْءٌ لَهَـا مَقْسُـومُ

وَسَطَتْ نِسْبَتِي الذَّوَائِبَ مِـنْهُمْ ... كُـلُّ دَارٍ فِيهَـا أَبٌ لِي عَظِـيمُ (٣)

وَأُبَيٌّ فِي سُـمَيْحَةِ القَائِـلِ الفَـا ... صِلِ يَوْمَ التَقَـتْ عَلَيْـهِ الخُصُـومُ (٤)

تِلْـكَ أَفْعَالُنَـا وَفِعْـلُ الزِّبَعْـرَى ... خَامِـــلٌ فِي صَـــدِيقِهِ مَـــذْمُومُ

رُبَّ حِلـمٍ أَضَـاعَهُ عَـدَمُ المَـالِ ... وَجَهْـــلٌ غَطَـــا عَلَيْـــهِ النَّعِـــيمُ

إِنَّ دَهْـرًا يَبُـورُ فِيـهِ ذَوُو العِــ ... ــلمِ لَـدَهْرٌ هُـوَ العَتُـوُّ الـزَّنِيمُ

لَا تَسُـبَّنَّنِي فَلَسْـتَ بِسَـبِّي ... إِنَّ سَـبِّي مِـنْ الرِّجَـالِ الكَـرِيمُ (٥)

مَـا أُبَـالِي أَنَـبَّ بِـالحَزْنِ تَـيْسٌ ... أَمْ لَحَـانِي بِظَهْـرِ غَيْـبٍ لَئِـيمُ (٦)

وَلِيَ البَـأْسَ مِـنْكُمْ إِذْ رَحَلـتُمْ ... أَسِرَّةٌ مِـنْ بَنِـي قُصَـيٍّ صَـمِيمُ (٧)

تِسْـعَةٌ تَحْمِـلُ اللِّـوَاءَ وَطَـارَتْ ... فِي رَعَـاعٍ مِـنْ القَنَـا مَخْـزُومُ (٨)

وَأَقَـامُوا حَتَّـى أُبِيحُـوا جَمِيعًـا ... فِي مَقَـــامٍ وَكُلُّهُـــمْ مَـــذْمُومُ

بِـــدَمٍ عَانِـــكٍ وَكَـــانَ حِفَاظًـــا ... أَنْ يُقِيمُـوا إِنَّ الكَـرِيمَ كَـرِيمُ (٩)

وَأَقَـامُوا حَتَّـى أُزِيـرُوا شُـعُوبًا ... وَالقَنَـا فِي نُحُـورِهِمْ مَخْطُـومُ (١٠)

وَقُـــرَيْشٌ تَفِـــرُّ مِنَّـــا لِـــوَاذًا ... أَنْ يُقِيمُوا وَخَفَّ مِنْهَا الـحُلُومُ (١١)

---

(١) **خالي**: يريد به مسلمة بن مخلد بن الصامت. **الجابية**: الحوض الصغير. **الجولان**: موضع بالشام.

(٢) **مخطوم**: مكسور.

(٣) **وسطت**: توسطت. **الذوائب**: الأعالي.

(٤) **سميحة**: بئر بالمدينة، كان عندها احتكام الأوس والخزرج في حروبهم إلى ثابت بن المنذر والد حسان بن ثابت.

(٥) **السب**: هو الذي يقاوم الرجل في السب، ويكون شرفه مثل شرفه.

(٦) **نب**: صاح. **لحاني**: ذكرني عائبًا.

(٧) **الصميم**: الخالص النسب.

(٨) **الرعاع**: الضعفاء.

(٩) **العانك**: الأحمر.

(١٠) **شعوب**: اسم للمنية.

(١١) **لواذا**: مستترين. **الحلوم**: العقول.

لَمْ تَطُقْ حَمْلَهُ العَوَاتِقُ مِنْهُمْ ... إِنَّمَا يَحْمِلُ اللِّوَاءَ النُّجُومُ (١)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: قَالَ حَسَّانُ ﷺ هَذِهِ القَصِيدَةَ: «مَنَعَ النَّوْمَ بِالعِشَاءِ الهُمُومُ» لَيْلًا، فَدَعَا قَوْمَهُ فَقَالَ لَهُمْ: خَشِيت أَنْ يُدْرِكَنِي أَجَلِي قَبْلَ أَنْ أُصْبِحَ فَلَا تَرْوُوهَا عَنِّي.

ما قاله الحجاج بن علاط: قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَنْشَدَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ لِلحَجَّاجِ بْنِ عِلَاطٍ السُّلَمِي يَمْدَحُ (أَبَا الحَسَنِ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ) عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، وَيَذْكُرُ قَتْلَهُ طَلحَةَ بْنَ أَبِي طَلحَةَ ابْنِ عَبْدِ العُزَّى بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ صَاحِبِ لِوَاءِ المُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ [سيرة ابن هشام ٢/ ١٥١]:

للهِ أَيُّ مُذَبَّبٍ عَنْ حُرْمَةٍ ... أَعْنِي ابْنَ فَاطِمَةَ المُعَمَّ المُخْوِلَا (٢)

سَبَقَتْ يَدَاكَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ ... تَرَكَتْ طُلَيْحَةَ لِلجَبِينِ مُجَدَّلَا (٣)

وَشَدَدْتَ شَدَّةَ بَاسِلٍ فَكَشَفْتهمْ ... بِالجَرِّ إِذْ يَهْوُونَ أَخْوَلَ أَخْوَلَا (٤)

شِعْرُ حَسَّانَ ﷺ يَبْكِي حَمْزَةَ ﷺ: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ﷺ يَبْكِي حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ ﷺ وَمَنْ أُصِيبَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ: [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٥١-١٥٥، البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٤٨٠-٤٨٥، سبل الهدى والرشاد للصالحي ٤/ ٣٤٦-٣٤٧].

يَا مَيُّ قَوْمِي فَانْدُبَنْ ... بِسُحَيْرَةٍ شَجْوَ النَّوَائِحْ (٥)

كَالحَامِلَاتِ الوِقْرَ بِالـ ... ـثِّقْلِ المُلِحَّاتِ الدَّوَالِحْ (٦)

المُعْوِلَاتُ الخَامِشَاتُ ... وُجُوهَ حُرَّاتٍ صَحَائِحْ (٧)

وَكَأَنَّ سَيْلَ دُمُوعِهَا الـ ... أَنْصَابُ تُخْضَبُ بِالذَّبَائِحْ (٨)

يَنْقُضْنَ أَشْعَارًا لَهُنَّ ... هُنَاكَ بَادِيَةَ المَسَائِحْ (٩)

---

(١) **العواتق**: جمع عاتق، وهو ما بين الكتف والعنق. **النجوم**: المشاهير من الناس.

(٢) **المذبب**: الدافع: يقال: ذبب عن حرمه: إذا دفع عنها. **ابن فاطمة**: يريد علي بن أبي طالب ﷺ. **المعم**: الكريم الأعمام. **المخول**: الكريم الأخوال.

(٣) المجدل: اللاصق بالأرض.

(٤) **الباسل**: الشجاع. **الحر**: أصل الجبل. **يهوون**: يسقطون. **أخول أخولًا**: أي واحدًا بعد واحد.

(٥) **الشجو**: الحزن.

(٦) **الملحات**: الثابتات التي لا تبرح. **الدوالح**: التي تحمل الثقل.

(٧) **المعولات**: الباكيات بصوت. **الخامشات**: الخادشات.

(٨) الأنصاب: حجارة كانوا يذبحون لها ويطلونها بالدم.

(٩) **المسائح**: ذوائب الشعر، الواحدة: مسيحة.

وَكَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْـ ـلٍ بِالضُّحَى شُمْسٍ رَوُامِـحْ [(١)]
مِنْ بَيْنَ مَشْزُورٍ وَمَجْـ ـزُورٍ يُذَعْـذَعُ بِـالبَوَارِحْ [(٢)]
يَبْكِينَ شَجْوًا مُسْلَبَا تٍ كَـدَّحَتْهُنَّ الكَـوَادِحْ [(٣)]
وَلَقَدْ أَصَابَ قُلُوبَهَا مَجْـلٌ لَـهُ جَلَـبٌ قَـوَارِحْ [(٤)]
إِذْ أَقْصَدَ الحِدْثَانَ مَنْ كُنَّـا نُرَجِّـي إِذْ نُشَـايِحُ [(٥)]
أَصْحَابَ أُحُدٍ غَالَهُمْ دَهْـرٌ أَلَمَّ لَـهُ جَـوَارِحُ [(٦)]
مَنْ كَانَ فَارِسَنَا وَحَا مِينَـا إِذَا بُعِـثَ الـمَسَالِحُ [(٧)]
يَا حَمْزَ! لَا وَاللهِ لَا أَنْسَـاكَ مَـاصُرَّ اللَّقَـائِحُ [(٨)]
لِمُنَاخِ أَيْتَامٍ وَأَضْـ ـيَافٍ وَأَرْمَلَـةٍ تُلَامِـحُ [(٩)]
وَلِـمَّا يَنُوبُ الدَّهْرُ فِي حَـرْبٍ لِحَـرْبٍ وَهْـيَ لَاقِـحُ [(١٠)]
يَا فَارِسًا يَا مِدْرَهًا يَا حَمْزُ قَـدْ كُنْـتَ الـمُصَامِحَ [(١١)]
عَنَّا شَدِيدَاتِ الخُطُو بِ إِذَا يَنُـوبُ لَـهُنَّ فَـادِحْ
ذَكَّرْتنِي أَسَدَ الرَّسُو لِ وَذَاكَ مِـدْرَهُنَا الـمُنَافِحْ [(١٢)]
عَنَّا وَكَانَ يُعَدُّ إِذْ عُدَّ الشَّـرِيفُونَ الـجَحَاجِحْ [(١٣)]

---

(١) **الشمس**: النوافر، وهي جمع شموس. **الروامح**: التي ترمح بأرجلها، أي تدفع عنها.

(٢) **يذعذع**: يغرق (بالبناء للمجهول) فيها. **البوارح**: الرياح الشديدة.

(٣) **مسلبات** (بفتح اللام وكسرها) اللائي يلبسن السلاب، ثياب الحزن، ومن رواه بالتخفيف فهو بذلك المعنى. **كدحتهن**: أثرت فيهن. **الكوادح**: نوائب الدهر.

(٤) **مجل**: أي جرح ندى. **جلب**: جمع جلبة، وهي قشرة الجرح التي تكون عند البرء. **قوارح**: موجعة.

(٥) **أقصد**: أصاب. **الحدثان**: حادث الدهر. **نشايح**: نحذر.

(٦) **غالهم**: أهلكهم. **ألم**: نزل. في شرح السيرة: بوارح (بالباء). **البوارح**: الأحزان الشديدة.

(٧) **المسالح**: القوم الذين يحملون السلاح، ويحمون المراقب لئلا يرقهم العدو على غفلة، وهو مشتق من لفظ السلاح.

(٨) صر: ربط. **اللقاح**: جمع لقحة بالكسر، وهي الناقة لها لبن.

(٩) **المناخ**: المنزل. **تلامح**: أي تنظر بعينها نظرًا سريعًا ثم تغضها.

(١٠) **اللاقح من الحروب**: التي يتزيد شرها.

(١١) **المدره**: المدافع عن القوم بلسانه ويده. **المصامح**: الشديد الدفاع. ويروى: المصافح (بالفاء) والمصافح: الراد للشيء، تقول: أتاني فلان فصفحته عن حاجته، أي رددته عنها.

(١٢) **المنافح**: المدافع عن القوم، وكان حمزة ﷺ ينافح عن رسول الله ﷺ.

(١٣) **الجحاجح**: جمع جحجاح، وهو السيد.

يَعْلُو القَمَاقِمَ جَهْرَةً ... سَبْطَ اليَدَيْنِ أَغَرَّ وَاضِحْ [(١)]

لَا طَائِشٌ رَعِشٌ وَلَا ... ذُو عِلَّةٍ بِالحِمْلِ آنِحْ [(٢)]

بَحْرٌ فَلَيْسَ يُغِبُّ جَا ... رًا مِنْهُ سَيْبٌ أَوْ مَنَادِحْ [(٣)]

أَوْدَى شَبَابُ أُولِي الحَفَا ... ئِظِ وَالثَّقِيلُونَ المَرَاجِحْ [(٤)]

المُطْعِمُونَ إِذَا المَشَا ... تِي مَا يُصَفِّفُهُنَّ نَاضِحْ [(٥)]

لَحْمَ الجِلَادِ وَفَوْقَهُ ... مِنْ شَحْمِهِ شُطَبٌ شَرَائِحْ [(٦)]

لِيُدَافِعُوا عَنْ جَارِهِمْ ... مَا رَامَ ذُو الضِّغْنِ المُكَاشِحْ [(٧)]

لَهْفِي لِشُبَّانٍ رُزِئْـ ... ـنَاهُمْ كَأَنَّهُمْ المَصَابِحْ

شُمٌّ، بَطَارِقَةٌ، غَطَا ... رِفَةٌ، خَضَارِمَةٌ مَسَامِحْ [(٨)]

المُشْتَرُونَ الحَمْدَ بِال ... أَمْوَالِ إِنَّ الحَمْدَ رَابِحْ

وَالجَامِزُونَ بِلُجْمِهِمْ ... يَوْمًا إِذَا مَا صَاحَ صَائِحْ [(٩)]

مَنْ كَانَ يُرْمَى بِالنَّوَا ... قِرْ مِنْ زَمَانٍ غَيْرِ صَالِحْ

مَا إِنْ تَزَالُ رِكَابُهُ ... يَرْسِمْنَ فِي غُبْرٍ صَحَاصِحْ [(١٠)]

رَاحَتْ تَبَارَى وَهْوَ فِي ... رَكْبٍ صُدُورُهُمْ رَوَاشِحْ [(١١)]

حَتَّى تَؤُوبَ لَهُ المَعَا ... لِي لَيْسَ مِنْ فَوْزِ السَّفَائِحْ [(١٢)]

---

(١) **القماقم**: السادة. **سبط اليدين**: جواد. ويقال للبخيل: جعد اليدين. **أغر**: أبيض. **واضح**: مضيء مشرق.

(٢) **الطائش**: الخفيف الذي ليس له وقار. **الآنح**: البعير الذي إذا حمل الثقل أخرج من صدره.

(٣) **السيب**: العطاء. **المنادح**: جمع مندحة، وهي السعة، ويروي: منائح، والمنائح: العطايا.

(٤) **أودى**: هلك. **الحفائظ**: جمع حفيظة وهي الغضب. **المراجح**: الذين يزيدون على غيرهم في الحلم.

(٥) ما **يصففهن**: ما يحلبهن. **الناضح**: الذي يشرب دون الري.

(٦) **الشطب**: الطرائق في السيف.

(٧) **ذو الضغن**: ذو العداوة. **المكاشح**: المعادي.

(٨) **شم**: أعزاء. بطارقة: رؤساء. **غطارفة**: سادة. **الخضارمة**: الذين يكثرون العطاء. **المسامح**: الأجواد.

(٩) **الجامزون**: الواثبون. **لجم**: جمع لجام، وهو بضم الجيم، وسكن للشعر.

(١٠) **الركاب**: الإبل. ويرسمن، من الرسم، وهو ضرب من السير. **الصحاصح**: جمع صحصح، وهو الأرض المستوية الملساء.

(١١) **تبارى**: تتبارى أي تتعارض. **رواشح**: أي أنها ترشح بالعرق.

(١٢) قال أبو ذر: **تئوب**: ترجع. **السفائح**، جمع سفيح، وهو من قداح الميسر، لا نصيب له، أو السفائح، جمع سفيحة، وهي كالجوالق ونحوه، كما في الروض الأنف.

يَا حَمْزُ قَدْ أَوْحَدْتَنِي كَالعُودِ شَذَّ بِهِ الكَوَافِحُ (١)
أَشْكُو إِلَيْك وَفَوْقَك التّـ ـتُرْبُ الـمُكَوَّرُ وَالصَّفَائِحُ (٢)
مِنْ جَنْدَلٍ نُلقِيهِ فَوْ قَك إِذْ أَجَادَ الضَّـرْحُ ضَارِحُ (٣)
فِي وَاسِعٍ يَحْشُونَهُ بِالتُّرْبِ سَوَّتْهُ الـمَمَاسِحُ (٤)
فَعَزَاؤُنَا أَنَّا نَقُو لُ وَقَوْلُنَا بَرْحٌ بَوَارِحُ (٥)
مَنْ كَانَ أَمْسَى وَهُوَ عَمَّـ ـا أَوْقَعَ الـحِدْثَانُ جَانِحُ (٦)
فَليَأْتِنَا فَلتَبْكِ عَيْـ ـنَاهُ لِـهَلكَانَا النَّوَافِحُ (٧)
القَائِلِينَ الفَاعِلِينَ ذَوِي السَّمَاحَةِ وَالـمَمَادِحِ
مَنْ لَا يَزَالُ نَدَى يَدَيْهِ لَهُ طَوَالَ الدَّهْرِ مَائِحُ (٨)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَأَكْثَرُ أَهْلِ العِلمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُهَا لِحَسَّانَ وَبَيْتُهُ «الـمُطْعِمُونَ إِذَا الـمَشَاتِي» وَبَيْتُهُ «الجَامِزُونَ بِلُجُمِهِمْ» وَبَيْتُهُ «مَنْ كَانَ يَرْمِي بِالنَّوَاقِرِ» عَنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ.

شِعْرُ حَسَّانَ ﵁ فِي بُكَاءِ حَمْزَةَ ﵁:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ﵁ أَيْضًا يَبْكِي حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الـمُطَّلِبِ ﵁ (٩):

أَتَعْـرِفُ الـدَّارَ عَفَـا رَسْـمُهَا بَعْـدَكَ صَـوْبُ الــمُسْبِلِ الــهَاطِلِ (١٠)
بَـيْنَ السَّــرَادِيحِ فَأُدْمَانَــةٍ فَمَــدْفَعُ الرَّوْحَــاءِ فِي حَائِـــلِ (١١)

---

(١) **شدته**: أزال أغصانه وشوكه. **الكوافح**: الذين يتناولونه بالقطع.
(٢) **المكور**: الذي بعضه فوق بعض. **الصفائح**: الحجارة العريضة.
(٣) **الضرح**: الشق ، ويعني به شق القبر.
(٤) **يحشونه**: يملئونه. **المماسح**: ما يمسح به التراب ويسوى.
(٥) **البرح**: الأمر الشاق.
(٦) **الجانح**: المائل إلى جهة.
(٧) **النوافح**: الذين كانوا ينفحون بالمعروف، ويوسعون به.
(٨) **المائح**: الذي ينزل في البئر فيملأ الدلو إذا كان ماؤها قليلًا، ويروى: الماتح «بالتاء» أي الذي يجذب الدلو عليه، فضربها مثلًا للقاصدين له، الذين ينتجعون معروفه.
(٩) السيرة ابن هشام ٢/ ١٥٥-١٥٦، سبل الهدى والرشاد للصالحي ٤/ ٣٤٩-٣٥٠.
(١٠) **عفا**: درس وتغير. **الرسم**: الأثر. **الصوب**: المطر. **المسبل**: المطر السائل. **الهاطل**: الكثير السيلان.
(١١) **سراديح**: جمع سرداح ، وهو الوادي، أو المكان المتسع. **أدمانة**: موضع. **والمدفع**: حيث مندفع السيل. **الروحاء**: من عمل الفرع على نحو من أربعين ميلًا. **وحائل**: واد في جبل طيء.

سَاءَلْتُهَا عَنْ ذَاكَ فَاسْتَعْجَمَتْ ... لَمْ تَــدْرِ مَــا مَرْجُوعَــةُ السَّــائِلِ؟ [١]
دَعْ عَنْك دَارًا قَدْ عَفَا رَسْمُهَا ... وَابْــكِ عَــلَى حَمْــزَةَ ذِي النَّائِــلِ [٢]
الـمَالِئِ الشَّيزَى إِذَا أَعْصَـفَتْ ... غَــبْرَاءُ فِي ذِي الشَّــبِمِ المَاحِــلِ [٣]
وَالتَّـارِكِ القِـرْنَ لَـدَى لِبْـدَةٍ ... يَعْثُــرُ فِي ذِي الــخُرُصِ الــذَّابِلِ [٤]
وَاللَّابِسِ الـخَيْلَ إِذْ أَجْحَمَتْ ... كَاللَّيْــثِ فِي غَابَتِــهِ البَاسِــلِ [٥]
أَبْيَضُ فِي الـذُّرْوَةِ مِـنْ هَاشِـمٍ ... لَمْ يَمُــرُّ دُونَ الــحَقِّ بِالبَاطِــلِ [٦]
مَـالَ شَـهِيدًا بَـيْنَ أَسْـيَافِكُمْ ... شُــلَّتْ يَــدَا وَحْشِــيَّ مِــنْ قَاتِــلِ [٧]
أَيَّ امْــرِئٍ غَــادَرَ فِي أَلَّــةٍ ... مَطْــرُورَةٍ مَارِنَــةِ العَامِــلِ [٨]
أَظْلَمَــتْ الأَرْضُ لِفِقْدَانِــهِ ... وَاسْــوَدَّ نُــورُ القَمَــرِ النَّاصِــلِ [٩]
صَــلَّى عَلَيْــهِ اللهُ فِي جَنَّــةٍ ... عَالِيَــةٍ مُكْرَمَــةِ الــدَّاخِلِ
كُنَّـا نَـرَى حَمْـزَةَ حِـرْزًا لَنَـا ... فِي كُــلِّ أَمْــرٍ نَابَنَــا نَــازِلِ
وَكَـانَ فِي الإِسْـلَامِ ذَا تُـدْرَأٍ ... يَكْفِيــك فَقْــدَ القَاعِــدِ الــخَاذِلِ [١٠]
لَا تَفْرَحِي يَا هِنْدُ وَاسْتَحْلِبِي ... دَمْعًــا وَأَذْرِي عَــبْرَةَ الثَّاكِــلِ
وَابْكِـي عَـلَى عُتْبَـةَ إِذْ قَطَّـهُ ... بِالسَّــيْفِ تَحْـتَ الـرَّهْجِ الــجَائِلِ [١١]
إِذَا خَـرَّ فِي مَشْـيَخَةٍ مِـنْكُمْ ... مِــنْ كُــلِّ عَــاتٍ قَلْبُــهُ جَاهِــلِ [١٢]

---

(١) **استعجمت**: أي لم ترد جوابًا. **مرجوعة السائل**: رجع الجواب.

(٢) **النائل**: العطاء.

(٣) **الشيزي**: جفان من خشب. **أعصفت**: اشتدت. **الغبراء**: الريح التي تثير الغبار. **الشبم**: الماء البارد، ويريد بذي الشبم: زمن اشتداد البرد والقحط. **الماحل**: من المحل، وهو الجدب.

(٤) **القرن**: المنازل في القتال. **ذو الخرص**: الرمح. **الخرص**: سنانه، وجمعه: خرصان. **الذابل**: الرقيق.

(٥) كذا في شرح السيرة. وفي بعض النسخ: أحجمت «بتقديم الحاء» وهما بمعنى.

(٦) **لم يمر**: من المراء، وهو الجدل.

(٧) حذف التنوين من وحشي للضرورة؛ لأنه علم، والعلم قد يترك صرفه كثيرًا.

(٨) **غادر**: ترك. **الألة**: الحربة لها سنان طويل. **المطرورة**: المحددة. **ومارنة**، أي لينة. **العامل**: أعلى الرمح.

(٩) **الناصل**: الخارج من السحاب، ويقال: نصل القمر من السحاب: إذا خرج منه.

(١٠) **ذا تدرأ**: أي ذا مدافعة.

(١١) **قطه**: قطعه. **الرهج**: الغبار. **الجائل**: المتحرك ذاهبًا راجعًا.

(١٢) **خر**: سقط.

أَرْدَاهُــــمْ حَمْــــزَةُ فِي أَسْرَةٍ   يَمْشُــونَ تَحْتَ الحَلَــقِ الفَاضِــلِ (١)
غَــدَاةَ جِبْرِيــلَ وَزِيــرٌ لَــهُ   نِعْــمَ وَزِيــرُ الفَــارِسِ الحَامِــلِ

شِعْرُ كَعْبٍ رضي الله عنه فِي بُكَاءِ حَمْزَةَ رضي الله عنه:

وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه يَبْكِي حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ رضي الله عنه: **[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٥٧-١٥٨، البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٤٨٥-٤٨٧، سبل الهدى والرشاد للصالحي ٤/ ٣٥٠-٣٥١].**

طَرَقَتْ هُمُومُك فَالرُّقَادُ مُسَهَّدُ   وَجَزِعْتَ أَنْ سُلِخَ الشَّبَابُ الأَغْيَدُ (٢)
وَدَعَتْ فُؤَادَكَ لِلهَوَى ضَمْرِيَّةٌ   فَهَوَاكَ غَوْرِيٌّ وَصَحْوُكَ مُنْجِدُ (٣)
فَدَعْ التَّمَادِيَ فِي الغَوَايَةِ سَادِرًا   قَدْ كُنْتَ فِي طَلَبِ الغَوَايَةِ تُفْنَدُ (٤)
وَلَقَدْ أَنَى لَكَ أَنْ تَنَاهَى طَائِعًا   أَوْ تَسْتَفِيقَ إِذَا نَهَاكَ المُرْشِدُ (٥)
وَلَقَدْ هُدِدْتُ لِفَقْدِ حَمْزَةَ هَدَّةً   ظَلَّتْ بَنَاتُ الجَوْفِ مِنْهَا تَرْعَدُ (٦)
وَلَوْ أَنَّهُ فُجِعَتْ حِرَاءٌ بِمِثْلِهِ   لَرَأَيْتُ رَأْسِي صَخْرُهَا يَتَبَدَّدُ (٧)
قَرْمٌ تَمَكَّنَ فِي ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ   حَيْثُ النُّبُوَّةُ وَالنَّدَى وَالسُّودَدُ (٨)
وَالعَاقِرُ الكُومَ الجِلَادَ إِذَا غَدَتْ   رِيحٌ يَكَادُ المَاءُ مِنْهَا يَجْمُدُ (٩)
وَالتَّارِكُ القِرْنَ الكَمِيَّ مُجَدَّلًا   يَوْمَ الكَرِيهَةِ وَالقَنَا يَتَقَصَّدُ (١٠)
وَتَرَاهُ يَرْفُلُ فِي الحَدِيدِ كَأَنَّهُ   ذُو لِبْدَةٍ شَثْنُ البَرَاثِنِ أَرْبَدُ (١١)

---

(١) **أرداهم**: أهلكهم. **أسرة**: أي قرابة. **الحلق**: الدروع. **الفاضل**: الذي يفضل منه وينجر على الأرض.

(٢) **مسهد**: قليل النوم. وأراد: فالرقاد رقاد مسهد، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، ويجوز أن يكون وصف الرقاد بأنه مسهد من المجاز. **سلخ**: أزيل (بالبناء للمجهول فيهما). **الأغيد**: الناعم.

(٣) **ضمرية**: نسبة إلى ضمرة، وهي قبيلة. **غوري**: نسبة إلى الغور، وهو المنخفض من الأرض وفي رواية: «وصحبك» بدل: «وصحوك».

(٤) **تفند**: تلام وتكذب.

(٥) **أنى**: حان.

(٦) **بنات الجوف**: يعني قلبه، وما اتصل به من كبده وأمعائه، وسماها بنات الجوف؛ لأن الجوف يشتمل عليها.

(٧) **حراء**: جبل، وأنَّثه هنا حملًا على البقعة. **الراسي**: الثابت.

(٨) **القرم**: السيد الشريف. **ذؤابة هاشم**: أعاليها.

(٩) **الكوم**: جمع كوماء، وهي العظيمة السنام من الإبل. **الجلاد**: القوية.

(١٠) **الكمي**: الشجاع. **مجدلًا**: مطروحًا على الجدالة، وهي الأرض. **يتقصد**: ينكسر.

(١١) **ذو لبدة**: يعني أسدًا. **اللبدة**: الشعر الذي على كتفي الأسد. **شثن**: غليظ. **البراثن للسباع**: بمنزلة الأصابع للناس. **الأربد**: الأغبر يخالطه سواد.

عَمُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَصَفِيُّهُ ... وَرَدَ الحِمَامَ فَطَابَ ذَاكَ المَوْرِدُ

وَأَتَى المَنِيَّةَ مُعْلِمًا فِي أُسْرَةٍ ... نَصَرُوا النَّبِيَّ وَمِنْهُمْ المُسْتَشْهَدُ (١)

وَلَقَدْ إخَالُ بِذَاكَ هِنْدًا بُشِّرَتْ ... لَتُمِيتُ دَاخِلَ غُصَّةٍ لَا تَبْرُدُ (٢)

مِمَّا صَبَّحْنَا بِالعَقَنْقَلِ قَوْمَهَا ... يَوْمًا تَغَيَّبَ فِيهِ عَنْهَا الأَسْعَدُ (٣)

وَبِبِئْرِ بَدْرٍ إذْ يَرُدُّ وُجُوهَهُمْ ... جِبْرِيلُ تَحْتَ لِوَائِنَا وَمُحَمَّدُ

حَتَّى رَأَيْتُ لَدَى النَّبِيِّ سَرَاتَهُمْ ... قِسْمَيْنِ: يَقْتُلُ مَنْ نَشَاءُ وَيَطْرُدُ (٤)

فَأَقَامَ بِالعَطَنِ الـمُعَطَّنِ مِنْهُمُ ... سَبْعُونَ: عُتْبَةُ مِنْهُمْ وَالأَسْوَدُ (٥)

وَابْنُ الـمُغِيرَةِ قَدْ ضَرَبْنَا ضَرْبَةً ... فَوْقَ الوَرِيدِ لَهَا رَشَاشٌ مُزْبِدُ (٦)

وَأُمَيَّةُ الـجُمَحِيُّ قَوَّمَ مَيْلَهُ ... عَضْبٌ بِأَيْدِي الـمُؤْمِنِينَ مُهَنَّدُ

فَأَتَاك فَلُّ الـمُشْرِكِينَ كَأَنَّهُمْ ... وَالـخَيْلُ تَثْفِنُهُمْ نَعَامٌ شُرَّدُ (٧)

شَتَّانَ مَنْ هُوَ فِي جَهَنَّمَ ثَاوِيًا ... أَبَدًا وَمَنْ هُوَ فِي الجِنَانِ مُخَلَّدُ

وَقَالَ كَعْبٌ رضي الله عنه **أَيْضًا يَبْكِي حَمْزَةَ** رضي الله عنه [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٥٨]:

صَفِيَّةُ قَوْمِي وَلَا تَعْجِزِي ... وَبَكِّي النِّسَاءَ عَلَى حَمْزَةِ

وَلَا تَسْأَمِي أَنْ تُطِيلِي البُكَا ... عَلَى أَسَدِ اللهِ فِي الهِزَّةِ (٨)

فَقَدْ كَانَ عِزًّا لِأَيْتَامِنَا ... وَلَيْثَ الـمَلَاحِمِ فِي البِزَّةِ (٩)

يُرِيدُ بِذَاكَ رِضَا أَحْمَدَ ... وَرِضْوَانَ ذِي العَرْشِ وَالعِزَّةِ

شِعْرُ كَعْبٍ رضي الله عنه **فِي أُحُدٍ أيضًا**: وَقَالَ كَعْبٌ أَيْضًا فِي أُحُدٍ [السيرة لابن هشام ٣/ ١٥٨-١٦١]:

إنَّكَ عَمْرَ أَبِيك الكَرِيـ ... ـمِ أَنْ تَسْأَلِي عَنْك مَنْ يَجْتَدِينَا (١٠)

---

(١) **معلمًا**: مشهرًا نفسه بعلامة يُعرف بها في الحرب. **الأسرة**: الرهط.

(٢) **إخال**: أظن (وكسر الهمزة لغة تميم). **الغصة**: ما يعترض في الحلق فيشرق.

(٣) **العقنقل**: الكثيب من الرمل.

(٤) **سراتهم**: خيارهم.

(٥) **العطن**: مبرك الإبل حول الماء. **المعطن**: الذي قد عود أن يتخذ عطنًا.

(٦) **الوريد**: عرق في صفحة العنق. **الرشاش المزبد**: الدم تعلوه رغوة.

(٧) **الفل**: القوم المنهزمون. **تثفنهم**: تطردهم وتتبع آثارهم.

(٨) **الهزة**: الاهتزاز والاختلاط في الحرب.

(٩) **الملاحم**: جمع ملحمة، وهي الحرب التي يكثر القتل فيها. **البزة**: السلاح.

(١٠) **عمر أبيك**: يجوز فيه الرفع والنصب، وإن أدخلت عليه اللام فقيل: لعمر أبيك لم يجز فيه إلا الرفع. **يجتدينا**: يطلب معونتنا.

فَإِنْ تَسْأَلِي ثَمَّ لَا تَكْذِبِي ... يُخْبِرُكَ مَنْ قَدْ سَالتِ اليَقِينَا

بِأَنَّا لَيَالِيَ ذَاتِ العِظَا ... مِ كُنَّا ثِمَالًا لِـمَنْ يَعْتَرِينَا [(١)]

تَلُوذُ البُجُودُ بِأَذْرَائِنَا ... مِنْ الضُّـرِّ فِي أَزَمَاتِ السِّنِينَا [(٢)]

بِجَدْوَى فُضُولِ أُولِي وَجْدِنَا ... وَبِالصَّبْرِ وَالبَذْلِ فِي الـمُعْدِمِينَا [(٣)]

وَأَبْقَتْ لَنَا جَلَمَاتُ الحُرُو ... بِ مِمَّنْ نُوَازِي لَدُنْ أَنْ بُرِينَا [(٤)]

مَعَاطِنَ تَهْوِي إِلَيْهَا الـحُقُو ... قُ يَحْسَبُهَا مَنْ رَآهَا الفَتِينَا [(٥)]

نُخَيِّسُ فِيهَا عِتَاقُ الـجِمَا ... لِ صُحْمًا دَوَاجِنَ حُمْرًا وُجُونَا [(٦)]

وَدُفَّاعُ رَجْلٍ كَمَوْجِ الفُرَا ... تَ يَقْدَمُ جَأْوَاءَ جَوْلًا طَحُونَا [(٧)]

تَرَى لَوْنَهَا مِثْلَ لَوْنِ النُّجُو ... مِ رَجْرَاجَةً تُبْرِقُ النَّاظِرِينَا [(٨)]

فَإِنْ كُنْتَ عَنْ شَأْنِنَا جَاهِلًا ... فَسَل عَنْهُ ذَا العِلمِ مِـمَّنْ يَلِينَا

بِنَا كَيْفَ نَفْعَلُ إِنْ قَلَّصَتْ ... عَوَانًا ضَرُوسًا عَضُوضًا جَحُونَا [(٩)]

أَلَسْنَا نَشُدُّ عَلَيْهَا العِصَا ... بَ حَتَّى تَدُرَّ وَحَتَّى تَلِينَا [(١٠)]

---

(١) **ليال ذات العظام**: ليال الجوع التي تجمع فيها العظام فتطبخ، فيستخرج ودكها، فيؤتدم به وذلك الودك سمى الصليب، قال الشاعر: **وبات شيخ العيال يصطلب. الثمال**: الغياث. **يعترينا**: يزورنا.

(٢) **البجود**: جماعات الناس، الواحد: بجد. وفي ديوان كعب: «النجود» بفتح النون، وهي المرأة المكروبة. **والأذراء**: الأكناف، الواحد: ذراي. **الأزمات**: الشدائد.

(٣) **الجدوى**: العطية. **الوجد** (بضم الواو): سعة المال.

(٤) **جلمات الحروب**: من الجلم، وهو القطع، ويروى: جلباب (بالباء). **نوازي**: نساوي. **برينا**: خلقنا، وأصله الهمز، فسهل.

(٥) **المعاطن**: مواضع الإبل حول الماء، وأراد بها هنا الإبل بعينها. **الفتين**: الحرار، وهي الأراضي فيها حجارة سود، سميت بذلك لأنها تشبه ما فتن بالنار، أي أُحرق.

(٦) **تخيس**: تذلل. **الصحم**: السود، ويروى: (طحمًا) بالطاء والحاء المهملتين، والطحم: الكثيرة به، كما يروى: طخما (بالخاء المعجمة)، وهي التي بها سواد. **الدواجن**: المقيمة. **الجون**: السود، وقد تكون البيض أيضًا، وهي من الأضداد.

(٧) **الدفاع**: ما يندفع من السيل، شبه كثرة الرجل به. **الرجل**: الرجالة. **الفرات**: اسم نهر. **جأواء**: كتيبة لونها السواد والحمرة من كثرة السلاح. **الجول**: الكتيبة الضخمة، ويروى: جونًا أي سوداء. **الطحون**: التي تهلك ما مرت به.

(٨) **الرجراجة**: التي يموج بعضها في بعض. **تبرق**: تحير وتبهت.

(٩) **قلصت**: ارتفعت وانقبضت، والتقليص: كناية عن الشدة في الحرب. **العوان**: الحرب التي قوتل فيها مرة بعد مرة. **الضروس**: الشديدة. **العضوض**: الكثيرة العض. **الحجون**: المعوجة الأسنان.

(١٠) **العصاب**: ما يعصب الضرع.

وَيَوْمٌ لَهُ وَهَجٌ دَائِمٌ ... شَدِيدُ التَّهَاوُلِ حَامِي الأَرِينَا (١)

طَوِيلٌ شَدِيدُ أُوَارِ القِتَا ... لِ تَنْفِي قَوَاحِزُهُ الـمُقْرِفِينَا (٢)

تَخَالُ الكُمَاةَ بِأَعْرَاضِهِ ... ثِمَالًا عَلَى لَذَّةٍ مُنْزِفِينَا (٣)

تَعَاوَرُ أَيْمَانُهُمْ بَيْنَهُمْ ... كُؤُوسَ المَنَايَا بِحَدِّ الظُّبِينَا (٤)

شَهِدْنَا كَكُنَّا أُولِي بَأْسِهِ ... وَتَحْتَ العَمَايَةِ وَالـمُعْلِمِينَا (٥)

بِخُرْسِ الحَسِيسِ حِسَانٍ رِوَاءٍ ... وَبُصْـرِيَّةٍ قَدْ أَجْمَنَ الـجُفُونَا (٦)

فَمَا يَنْفَلِلنَ وَمَا يَنْحَنِينَ ... وَمَا يَنْتَهِينَ إِذَا مَا نُهِينَا

كَبَرْقِ الخَرِيفِ بِأَيْدِي الكُمَاةِ ... يُفَجِّعَن بِالظِّلِّ هَامًا سُكُونَا (٧)

وَعَلَّمَنَا الضَّرْبَ آبَاؤُنَا ... وَسَوْفَ نُعَلِّمُ أَيْضًا بَنِينَا

جِلَادَ الكُمَاةِ وَبَذْلَ التِّلَا ... دِ، عَنْ جُلِّ أَحْسَابِنَا مَا بَقِينَا (٨)

إِذَا مَرَّ قَرْنٌ كَفَى نَسْلُهُ ... وَأَوْرَثَهُ بَعْدَهُ آخَرِينَا (٩)

نَشِبُّ وَتَهْلِكُ آبَاؤُنَا ... وَبِينَا نُرَبِّي بَنِينَا فَنِينَا

سَالتُ بِكَ ابْنَ الزِّبَعْرَى فَلَمْ ... أُنَبَّأْكَ فِي القَوْمِ إِلَّا هَجِينَا

خَبِيثًا تُطِيفُ بِكَ الْمُنْدِيَاتُ ... مُقِيمًا عَلَى اللُّؤْمِ حَيْنًا فَحِينَا (١٠)

---

(١) **الوهج**: الحرب ويروى: الرهج، وهو الغبار. **التهاول**: الهول والشدة. **الأرين**: جمع إرة، وهي مستوقد النار. وقد جمع كجمع المذكر السالم؛ لأنه مؤنث محذوف اللام.

(٢) **الأوار**: الحر. **القواحز**: من القحز، وهو القلق وعدم التثبيت. **المقرفون**: اللئام.

(٣) **الكماة**: الشجعان. **بأعراضه**: أي بنواحيه. **ثمالا**: سكارى، ويروى: ثمالى. **منزفينا**: قد ذهبت الخمر بعقولهم، ويروى: مترفينا، والمترفون، جمع مترف، المسرف في التنعم.

(٤) **تعاور**: تداول. **الظبين**: جمع ظبة، وهي حد السيف.

(٥) **العَماية**: السحابة. **المعلمون**: من يعلمون أنفسهم بعلامة في الحرب يعرفون بها.

(٦) **الخُرْس**: التي لا صوت لها، ويعني بها السيوف، أي ورواء، أي ممتلئة من الدم. وبصرية: سيوف منسوبة إلى بصرى، وهي مدينة بالشام. **أجمن**: مللن وكرهن. **الجفون**: الأغماد.

(٧) **الكماة**: الشجعان. **بالظل**: أي ظلال السيوف، ويروى: «بالطل» بالطاء المهملة يريد ما طل من دمهم ولم يؤخذ له بثأر. **الهام**: جمع هامة، وهي الرأس. **السكون**: المقيم الثابت.

(٨) **الجلاد**: المضاربة بالسيوف. **التلاد**: المال القديم. **جل الشيء**: معظمه.

(٩) **القرن** (بفتح القاف): الأمة من الناس، (وبكسر القاف): الذي يقاوم في شدة أو قتال أو علم.

(١٠) **المنديات**: المخزيات يندي منها الجبين والأمور الشنيعة.

تبَجَّسْتَ تَهْجُو رَسُولَ المَلِيـ ـكِ قَاتَلَكَ اللهُ جِلفًا لَعِينَا [(١)]
تَقُولُ الخَنَا ثُمَّ تَرْمِي بِهِ نَقِيَّ الثِّيَابِ تَقِيًّا أَمِينَا [(٢)]

قَالَ ابْنُ هِشَام: أَنْشَدَنِي بَيْتَهُ «بِنَا كَيْفَ نَفْعَلُ»، وَالبَيْتَ الَّذِي يَلِيهِ وَالبَيْتَ الثَّالِثَ مِنْهُ، وَصَدْرَ الرَّابِعَ مِنْهُ وَقَوْلَهُ: نَشِبٌّ وَتَهْلِكُ آبَاؤُنَا وَالبَيْتَ الَّذِي يَلِيهِ، وَالبَيْتَ الثَّالِثَ مِنْهُ أَبُو زَيْدٍ الأَنْصَارِيُّ.

شِعْرُ كَعْبٍ ﷺ فِي أُحُدٍ أيضًا:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ أَيْضًا، فِي يَوْمِ أُحُدٍ [(٣)]:

سَائِلْ قُرَيْشًا غَدَاةَ السَّفْحِ مِنْ أُحُدٍ مَــاذَا لَقِينَــا وَمَــا لَاقُــوا مِــنَ الهَــرَبِ [(٤)]
كُنَّا الأُسُودَ وَكَانُوا النُّمْرَ إِذ زَحَفُوا مَــا إِنْ نُرَاقِــبُ مِــنْ آلٍ وَلَا نَسَــبِ [(٥)]
فَكَـمْ تَرَكْنَـا بِهَـا مِـنْ سَـيِّدٍ بَطَـلٍ حَامِي الذِّمَارِ كَرِيمِ الـجَدِّ وَالـحَسَبِ [(٦)]
فِينَـا الرَّسُـولُ شِـهَابٌ ثُـمَّ يَتْبَعُـهُ نُـورٌ مُضِـيءٌ لَـهُ فَضْـلٌ عَـلَى الشُّـهُبِ
الـحَقُّ مَنْطِقُـهُ وَالعَـدْلُ سِـيرَتُهُ فَمَــنْ يُجِبْــهُ إِلَيْــهِ يَــنْجُ مِــنْ تَبَــبِ [(٧)]
نَجْدُ الـمُقَدَّمِ، مَاضِي الهَمِّ، مُعْتَـزَمٌ حِينَ القُلُوبِ عَـلَى رَجْـفٍ مِـنَ الرُّعُـبِ [(٨)]
يَمْضِي وَيَذْمُرُنَا عَـنْ غَـيْرِ مَعْصِـيَةٍ كَأَنَّــهُ البَــدْرُ لَمْ يُطْبَــعْ عَــلَى الكَــذِبِ [(٩)]
بَــدَا لَنَــا فَاتَّبَعْنَــاهُ نُصَــدِّقُهُ وَكَــذَّبُوهُ فَكُنَّــا أَسْــعَدَ العَــرَبِ
جَالُوا وَجُلنَا فَمَا فَاؤُوا وَمَا رَجَعُوا وَنَحْــنُ نَثْفِــنُهُمْ لَمْ نَــأْلُ فِي الطَّلَــبِ [(١٠)]
لَـيْسَ سَـوَاءً وَشَـتَّى بَـيْنَ أَمْرِهِمَـا حِزْبُ الإِلَهِ وَأَهْلُ الشِّـرْكِ وَالنُّصُـبِ [(١١)]

---

(١) **تبجست**: نطقت وأكثرت، كما يتبجس الماء، إذا تفجر وسال، ويروى: تنجست (بالنون) أي دخلت في أهل النجس والخبث. **الجلف**: الجافي.

(٢) **الخنا**: الكلام الذي فيه فحش.

(٣) السيرة لابن هشام ٢/ ١٦١-١٦٢، سبل الهدى والرشاد للصالحي ٤/ ٣٤٧-٣٤٨.

(٤) **السَّفْح**: جانب الجبل مما يلي أصله.

(٥) **النُّمْر**: جمع نمر، وهو معروف.

(٦) **حامي الذِّمار**: أي يحمي ما تجب حمايته.

(٧) **التَّبَب**: الخسران.

(٨) **الرجْف**: التحرك. **الرعب**: الفزع.

(٩) **لم يُطْبع**: لم يخلق.

(١٠) **جالُوا**: تحركوا. **فاءوا**: رجعوا. **نثفنهم**: نتبعهم. **لم نأل**: لم نقصر.

(١١) **النُّصُب**: حجارة كانوا يذبحون لها ويعظمونها.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَنْشَدَنِي مِنْ قَوْلِهِ: «يَمْضِي وَيَذْمُرُنَا» إِلَى آخِرِهَا، أَبُو زَيْدٍ الأَنْصَارِيُّ.

شِعْرُ ابْنِ رَوَاحَةَ رضي الله عنه فِي بُكَاءِ حَمْزَةَ رضي الله عنه:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ رضي الله عنه يَبْكِي حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه: [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٦٢-١٦٣، البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٤٨٨-٤٨٩، سبل الهدى والرشاد للصالحي ٤/ ٣٤٨-٣٤٩].

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَنْشَدَنِيهَا أَبُو زَيْدٍ الأَنْصَارِيُّ لِكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه:

بَكَتْ عَيْنِي وَحُقَّ لَهَا بُكَاهَا ... وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلَا العَوِيلُ

عَلَى أَسَدِ الإِلَهِ غَدَاةَ قَالُوا ... أَحَمْزَةَ ذَاكُمُ الرَّجُلُ القَتِيلُ

أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ جَمِيعًا ... هُنَاكَ وَقَدْ أُصِيبَ بِهِ الرَّسُولُ

أَبَا يَعْلَى لَك الأَرْكَانُ هُدَّتْ ... وَأَنْتَ المَاجِدُ البَرُّ الوَصُولُ [(١)]

عَلَيْك سَلَامُ رَبِّكَ فِي جِنَانٍ ... مُخَالِطُهَا نَعِيمٌ لَا يَزُولُ

أَلَا يَا هَاشِمَ الأَخْيَارِ صَبْرًا ... فَكُلُّ فِعَالِكُمْ حَسَنٌ جَمِيلُ

رَسُولُ اللهِ مُصْطَبِرٌ كَرِيمٌ ... بِأَمْرِ اللهِ يَنْطِقُ إِذْ يَقُولُ

أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي لُؤَيًّا ... فَبَعْدَ اليَوْمِ دَائِلَةٌ تَدُولُ [(٢)]

وَقَبْلَ اليَوْمِ مَا عَرَفُوا وَذَاقُوا ... وَقَائِعَنَا بِهَا يُشْفَى الغَلِيلُ [(٣)]

نَسِيتُمْ ضَرْبَنَا بِقَلِيبِ بَدْرٍ ... غَدَاةَ أَتَاكُمْ المَوْتُ العَجِيلُ

غَدَاةَ ثَوَى أَبُو جَهْلٍ صَرِيعًا ... عَلَيْهِ الطَّيْرُ حَائِمَةٌ تَجُولُ [(٤)]

وَعُتْبَةُ وَابْنُهُ خَرَّا جَمِيعًا ... وَشَيْبَةُ عَضَّهُ السَّيْفُ الصَّقِيلُ [(٥)]

وَمَتْرَكُنَا أُمَيَّةَ مُجْلَعِبًّا ... وَفِي حَيْزُومِهِ لَدْنٌ نَبِيلُ [(٦)]

وَهَامَ بَنِي رَبِيعَةَ سَائِلُوهَا ... فَفِي أَسْيَافِنَا مِنْهَا فُلُولُ

أَلَا يَا هِنْدُ فَابْكِي لَا تَمَلِّي ... فَأَنْتِ الوَالِهُ العَبْرَى الهَبُولُ [(٧)]

---

(١) **أبو يعلى**: كنية حمزة رضي الله عنه. **الماجد**: الشريف.

(٢) **الدائلة**: الحرب.

(٣) **الغَلِيل**: حرارة العطش والحزن.

(٤) **حائمة**: مستديرة، يقال: حام الطائر حول الماء، إذا استدار حوله. **تجول**: تجيء وتذهب.

(٥) **خَرا**: سقطًا.

(٦) **مُجْلَعِبًّا**: ممتدًا مع الأرض. **الحيزوم**: أسفل الصدر. **اللدن**: الرمح اللين. **النبيل**: العظيم.

(٧) **الوَاله**: الفاقدة. **العبرى**: الكثيرة الدمع. **الهبول**: الفاقدة (أيضًا).

أَلَا يَا هِنْدُ لَا تُبْدِي شِمَاتًا بِحَمْزَةِ إِنْ عِزَّكُمْ ذَلِيلُ

شِعْرُ كَعْبٍ رضي الله عنه **فِي أُحُدٍ**: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: [السيرة لابن هشام ٢/ ١٦٣].

أَبْلِغْ قُرَيْشًا عَلَى نَأْيِهَا أَتَفْخَرُ مِنَّا بِمَا لَمْ تَلِي [١]
فَخَرْتُمْ بِقَتْلَى أَصَابَتْهُمْ فَوَاضِلُ مِنْ نِعَمِ الْمُفْضِلِ
فَحَلُّوا جِنَانًا وَأَبْقَوْا لَكُمْ أُسُودًا تُحَامِي عَنِ الْأَشْبُلِ [٢]
تُقَاتِلُ عَنْ دِينِهَا وَسْطَهَا نَبِيٌّ عَنِ الْحَقِّ لَمْ يَنْكُلِ [٣]
رَمَتْهُ مَعَدٌّ بِعُورِ الْكَلَامِ وَنَبْلِ الْعَدَاوَةِ لَا تَأْتَلِي [٤]

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَنْشَدَنِي قَوْلَهُ «لَمْ تَلِي»، وَقَوْلَهُ «مِنْ نِعَمِ الْمُفْضِلِ» أَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ.

شِعْرُ ضِرَارٍ فِي أُحُدٍ: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ ضِرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي يَوْمِ أُحُدٍ [٥]:

مَا بَالُ عَيْنِكَ قَدْ أَزْرَى بِهَا السُّهُدُ كَأَنَّمَا جَالَ فِي أَجْفَانِهَا الرَّمَدُ [٦]
أَمِنْ فِرَاقِ حَبِيبٍ كُنْتَ تَأْلَفُهُ قَدْ حَالَ مِنْ دُونِهِ الْأَعْدَاءُ وَالْبُعْدُ
أَمْ ذَاكَ مِنْ شَغْبِ قَوْمٍ لَا جَدَاءَ بِهِمْ إِذْ الْحُرُوبُ تَلَظَّتْ نَارُهَا تَقِدُ [٧]
مَا يَنْتَهُونَ عَنِ الْغَيِّ الَّذِي رَكِبُوا وَمَا لَهُمْ مِنْ لُؤَيٍّ وَيْحَهُمْ عَضُدُ
وَقَدْ نَشَدْنَاهُمْ بِاللهِ قَاطِبَةً فَمَا تَرُدُّهُمُ الْأَرْحَامُ وَالنِّشَدُ [٨]
حَتَّى إِذَا مَا أَبَوْا إِلَّا مُحَارَبَةً وَاسْتَحْصَدَتْ بَيْنَنَا الْأَضْغَانُ وَالْحِقِدُ [٩]
سِرْنَا إِلَيْهِمْ بِجَيْشٍ فِي جَوَانِبِهِ قَوَانِسُ الْبِيضِ وَالْمَحْبُوكَةُ السُّرُدُ [١٠]

---

(١) **النَّأْي**: البُعد.

(٢) **تُحامي**: تمنع. **الأشبل**: جمع شبل، وهو ولد الأسد.

(٣) **لم يَنْكُل**: لم ينقص.

(٤) **عُور الكَلام**: قبيحه والفاحش منه، واحده: عوراء. **لا تأتلي**: لا تقصر.

(٥) السيرة لابن هشام ٢/ ١٦٤-١٦٥.

(٦) **أزرى**: قصر: يقال: أزريت بالرجل، إذا قصرت به، وزريت على الرجل، إذا عبت عليه فعله. **السهد**: عدم النوم. **الرمد**: وجع العين.

(٧) **لا جَداء**: لا منفعة ولا قوة. **تلظت**: التهبت.

(٨) **قاطبةً**: جميعًا. **النشد**: جمع نشدة، وهي اليمين.

(٩) **واستَحْصدت**: تقوت واستحكمت، مأخوذ من قولك: حبل محصد، إذا كان شديد الفتل محكمه. **الحقد**: أصله بسكون القاف، وحركه بالكسر للضرورة.

(١٠) **قَوانِسُ**: أعالي بيض السلاح. **المحبوكة**: الشديدة. **السرد**: المنسوجة، يريد: الأدرع.

وَالجُرْدُ تَرْفُلُ بِالأَبْطَالِ شَازِبَةً كَأَنَّهَا حِدَأٌ فِي سَيْرِهَا تُؤَدُ (١)

جَيْشٌ يَقُودُهُمْ صَخْرٌ وَيَرْأَسُهُمْ كَأَنَّهُ لَيْثُ غَابٍ هَاصِرٌ حَرِدُ (٢)

فَأَبْرَزَ الحَيْنَ قَوْمًا مِنْ مَنَازِلِهِمْ فَكَانَ مِنَّا وَمِنْهُمْ مُلتَقَى أُحُدِ

فَغُودِرَتْ مِنْهُمُ قَتْلَى، مُجَدَّلَة كَالمَعْزِ أَصْرَدَهُ بِالصَّرْدَحِ البَرْدِ (٣)

قَتْلَى كِرَامٌ بَنُو النَّجَّارِ وَسْطَهُمْ وَمُصْعَبٌ مِنْ قَنَانَا حَوْلَهُ قِصَدُ (٤)

وَحَمْزَةُ القَرْمُ مَصْرُوعٌ تُطِيفُ بِهِ ثَكْلَى وَقَدْ حُزَّ مِنْهُ الأَنْفُ وَالكَبِدُ (٥)

كَأَنَّهُ حِينَ يَكْبُو فِي جَدِيَّتِهِ تَحْتَ العِجَاجِ وَفِيهِ ثَعْلَبٌ جَسِدُ (٦)

حُوَارُ نَابٍ وَقَدْ وَلَّى صَحَابَتُهُ كَمَا تَوَلَّى النَّعَامُ الهَارِبُ الشُّرُدُ (٧)

مُجَلِّحِينَ وَلَا يَلْوُونَ قَدْ مُلِؤُوا رُعْبًا، فَنَجَّتْهُمْ العَوْصَاءُ وَالكُؤُدُ (٨)

تَبْكِي عَلَيْهِمْ نِسَاءٌ لَا يَعُولُ لَهَا مِنْ كُلِّ سَالِبَةٍ أَثْوَابُهَا قِدَدُ (٩)

وَقَدْ تَرَكْنَاهُمْ لِلطَّيْرِ مَلحَمَةً وَلِلضِّبَاعِ إِلَى أَجْسَادِهِمْ تَفِدُ (١٠)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَعْضُ أَهْلِ العِلمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُهَا لِضِرَارٍ.

رَجَزُ أَبِي زَعْنَةَ يَوْمَ أُحُدٍ: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ أَبُو زَعْنَةَ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُتْبَةَ أَخُو بَنِي جُشَمِ بْنِ الخَزْرَجِ، يَوْمَ أُحُدٍ **[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٦٥]**:

---

(١) **الجُرْدُ**: الخيل العتاق. **شازبة**: ضامرة شديدة اللحم. **الحدأ**: جمع حدأة. **تؤد**: ترفق وتمهل.

(٢) **صَخْر**: اسم أبي سفيان. **غاب**: جمع غابة وهي موضع الأسد. **هاصر**: كاسر، أي يكسر فريسته إذا أخذها. **وحرد**: غاضب.

(٣) **مُجَدَّلة**: صرعى على الأرض، واسم الأرض الجدالة. **أصرده**: بالغ في برده. **الصرد**: البرد. **الصردح**: المكان الصلب الغليظ.

(٤) **قِصَد**: قطع متكسرة.

(٥) **القَرْم**: السيد. **ثكلى**: حزينة فاقدة. **حز**: قطع (بالبناء للمجهول فيهما).

(٦) **يكْبُو**: يسقط. **الجدية**: طريقة الدم. **العجاج**: الغبار. **الثعلب** (هنا): ما دخل من الرمح في السنان. **جسد**: قد يبس عليه الدم.

(٧) **الحُوارُ**: ولد الناقة. **الناب**: المسنة من الإبل. **الشرد**: النافرة.

(٨) **مجَلِّحين**: مصممين لا يردهم شيء. **العوصاء**: عقبة صعبة تعتاص على سالكها. **الكؤد**: جمع كؤود وهي عقبة صعبة المرتقي.

(٩) **السالِبة** (هنا): التي لبست السلاب، وهو ثياب الحزن. **قدد**: قطع، يعني أنها مزقت ثيابها.

(١٠) **الملحمة**: الموضع الذي تقع فيه القتلى في الحرب. **تفد**: تقدم وتزور.

أَنَا أَبُو زَعْنَةَ يَعْدُو بِي الهُزَمْ لَمْ تُمْنَـعْ الـمَخْزَاةُ إِلَّا بِـالأَلَمْ (١)

يَحْمِي الذِّمَارَ خَزْرَجِيٌّ مِنْ جُشَمْ (٢)

رَجَزٌ يُنْسَبُ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه فِي يَوْمِ أُحُدٍ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٦٦]:

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: قَالَهَا رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ غَيْرُ عَلِيٍّ فِيمَا ذَكَرَ لِي بَعْضُ أَهْلِ العِلمِ بِالشِّعْرِ وَلَمْ أَرَ أَحَدًا مِنْهُمْ يَعْرِفُهَا لِعَلِيٍّ رضي الله عنه.

لَا هُمَّ إِنَّ الحَارِثَ بْنَ الصُّمَّةْ كَـانَ وَفِيًّـا وَبِنَـا ذَا ذِمَّـةْ (٣)

أَقْبَـلَ فِي مَهَامِـهِ مُهِمَّـهْ كَلَيْلَـةٍ ظَلْـمَاءَ مُدْلَهِمَّـهْ (٤)

بَـيْنَ سُـيُوفٍ وَرِمَـاحٍ جَمَّـهْ يَبْغِي رَسُولَ اللهِ فِـيمَا ثَمَّـهْ (٥)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: قَوْلُهُ «كَلَيْلَةٍ» عَنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ.

رَجَزُ عِكْرِمَةَ فِي يَوْمِ أُحُدٍ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ فِي يَوْمِ أُحُدٍ [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٦٦]:

كُلُّهُمْ يَزْجُرُهُ أَرْحِبْ هَلَّا وَلَـنْ يَـرَوْهُ اليَـوْمَ إِلَّا مُقْـبِلَا (٦)

يَحْمِلُ رُمْحًا وَرَئِيسًا جَحْفَلَا (٧)

شِعْرُ الأَعْشَى التَّمِيمِيِّ فِي بُكَاءِ قَتْلَى بَنِي عَبْدِ الدَّارِ يَوْمَ أُحُدٍ:

وَقَالَ الأَعْشَى ابْنُ زُرَارَةَ بْنِ النَّبَّاشِ التَّمِيمِيُّ ـ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: ثُمَّ أَحَدُ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ ـ يَبْكِي قَتْلَى بَنِي عَبْدِ الدَّارِ يَوْمَ أُحُدٍ [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٦٦]:

حُيِّـيَ مِـنْ حَـيٍّ عَـلَيَّ نَـأْيُهُمْ بَنُـو أَبِي طَلحَـةَ لَا تُصْـرَفُ (٨)

يَمُـرُّ سَـاقِيهِمْ عَلَـيْهِمْ بِهَـا وَكُـلُّ سَـاقٍ لَهُـمْ يَعْـرِفُ

---

(١) **يعدو**: يسرع. **الهُزَم** (بضم الهاء وفتح الزاي): اسم فرس، ويروى: الهَزِم (بفتح الهاء وكسر الزاي) وهو الكثير الجري.

(٢) **الذّمار**: ما يجب على المرء أن يحميه.

(٣) **الذِّمّة**: العهد.

(٤) **المَهامِهِ**: جمع مهمه، وهو القفر. **المدلهمة**: الشديدة السواد.

(٥) **جَمَّة**: كثيرة.

(٦) **أرْحِبْ هَلا**: كلمتان لزجر الخيل.

(٧) **الجَحْفَل**: العظيم.

(٨) **النأي**: البعد. **لا تصرف**: لا ترد، ويريد التحتية، ودل على ذلك قوله «حي».

لَا جَارُهُمْ يَشْكُو وَلَا ضَيْفُهُمْ ... مِنْ دُونِهِ بَابٌ لَهُمْ يَصْرِفُ (١)

شِعْرُ صَفِيَّةَ فِي بُكَاءِ حَمْزَةَ ؓ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الـمُطَّلِبِ تَبْكِي أَخَاهَا حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؓ (٢):

أَسَائِلَةٌ أَصْحَابَ أَحْدٍ مَخَافَةً ... بَنَاتُ أَبِي مِنْ أَعْجَمَ وَخَبِيرِ (٣)

فَقَالَ الخَبِيرُ إِنَّ حَمْزَةَ قَدْ ثَوَى ... وَزِيرُ رَسُولِ الله خَيْرُ وَزِيرِ

دَعَاهُ إِلَهُ الحَقِّ ذُو العَرْشِ دَعْوَةً ... إِلَى جَنَّةٍ يَحْيَا بِهَا وَسُرُورُ

فَذَلِكَ مَا كُنَّا نُرَجِّي وَنَرْتَجِي ... لِحَمْزَةِ يَوْمَ الحَشْرِ خَيْرُ مَصِيرِ

فَوَاللهِ لَا أَنْسَاكَ مَا هَبَّتِ الصَّبَا ... بُكَاءً وَحُزْنًا مَحْضَرِي وَمَسِيرِي (٤)

عَلَى أَسَدِ الله الَّذِي كَانَ مِدْرَهَا ... يَذُودُ عَنْ الإِسْلَامِ كُلَّ كَفُورِ (٥)

فَيَا لَيْتَ شِلوِي عِنْدَ ذَاكَ وَأَعْظُمِي ... لَدَى أَضْبُعٍ تَعْتَادُنِي وَنُسُورِ (٦)

أَقُولُ وَقَدْ أَعْلَى النَّعِيُّ عَشِيرَتِي ... جَزَى اللهُ خَيْرًا مِنْ أَخٍ وَنَصِيرِ (٧)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَأَنْشَدَنِي بَعْضُ أَهْلِ العِلمِ بِالشِّعْرِ قَوْلَهَا: بُكَاءً وَحُزْنًا مَحْضَرِي وَمَسِيرِي.

شِعْرُ نُعْمَ فِي بُكَاءِ شَمَّاسٍ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَتْ نُعْمُ امْرَأَةُ شَمَّاسِ بْنِ عُثْمَانَ، تَبْكِي شَمَّاسًا، وَأُصِيبَ يَوْمَ أُحُدٍ (٨):

يَا عَيْنُ جُودِي بِفَيْضٍ غَيْرِ إِبْسَاسِ ... عَلَى كَرِيمٍ مِنْ الفِتْيَانِ أَبَّاسِ (٩)

صَعْبِ البَدِيهَةِ مَيْمُونٍ نَقِيبَتُهُ ... حَمَّالِ أَلوِيَةٍ رَكَّابِ أَفْرَاسِ (١٠)

---

(١) **يَصرِف**: يغلق فسمع له صوت.

(٢) السيرة لابن هشام٢/ ١٦٧، البداية والنهاية لابن كثير٥/ ٤٨٩-٤٩٠، سبل الهدى والرشاد للصالحي ٤/ ٣٥١.

(٣) **الأعجم**: الذي لا يفصح.

(٤) **الصَّبا**: ريح شرقية. **مسيري**: أي غيابي.

(٥) **المِدْرَه**: الذي يدفع عن القوم. **يذود**: يمنع.

(٦) **الشلو**: البقية. **تعتادني**: تتعاهدني.

(٧) **النَّعِي**: يروى: بالرفع على أنه فاعل، ومعناه الذي يأتي بخبر الميت، كما يروى بالنصب على أنه مفعول، ومعناه النوح والبكاء بصوت.

(٨) السيرة لابن هشام ٢/ ١٦٨، البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٤٩٠.

(٩) **الإِبْساس**: أن تمسح ضرع الناقة لتدر، وتقول لها: بس بس، وقد استعارت هذا المعنى للدمع الفائض بغير تكلف. **الأباس**: الشديد الذي يغلب غيره. وفي بعض النسخ: «لباس» وهو صيغة مبالغة للذي يلبس أداة الحرب.

(١٠) **البَديهة**: أول الرأي والأمر. **ميمون النقيبة**: مسعود الفعال. **الألوية**: جمع لواء، وهو العلم.

أَقُولُ لَـمَّا أَتَـى النَّـاعِي لَـهُ جَزَعًـا ... أَوْدَى الجُـوَادُ وَأَوْدَى المُطْعِـمُ الكَـاسِي [1]

وَقُلْـت لَـمَّا خَلَـتْ مِنْـهُ مَجَالِسُـهُ ... لَا يَبْعُـدُ اللهُ عَنَّـا قُـرْبَ شَـمَّاسِ

شِعْرُ أَبِي الحكَمِ فِي تَعْزِيَةِ نُعْمَ:

فَأَجَابَهَا أَخُوهَا، وَهُوَ أَبُو الحَكَمِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ يَرْبُوعٍ يُعَزِّيهَا، فَقَالَ [2]:

اقْنَي حَيَـاءَكِ فِي سِـتْرٍ وَفِي كَـرْمٍ ... فَـإِنَّمَا كَـانَ شَـمَّاسٌ مِـنْ النَّـاسِ [3]

لَا تَقْتُلِي النَّفْسَ إِذْ حَانَـتْ مَنِيَّتُـهُ ... فِي طَاعَـةِ اللهِ يَـوْمَ الـرَّوْعِ وَالبَـاسِ [4]

قَدْ كَانَ حَمْزَةُ لَيْثَ اللهِ فَاصْطَبِرِي ... فَـذَاقَ يَوْمَئِـذٍ مِـنْ كَـأْسِ شَـمَّاسِ

شِعْرُ هِنْدٍ بَعْدَ عَوْدَتِهَا مِنْ أُحُدٍ: وَقَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ، حِينَ انْصَرَفَ الْمُشْرِكُونَ عَنْ أُحُدٍ [5]:

رَجَعْـتُ وَفِي نَفْسِـي بَلَابِـلُ جَمَّـةٌ ... وَقَدْ فَاتَنِي بَعْضُ الَّـذِي كَـانَ مَطْلَبِـي [6]

مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ ... بَنِـي هَاشِـم مِـنْهُمْ وَمِـنْ أَهْـلِ يَثْـرِبِ

وَلَكِنَّنِـي قَـدْ نِلـتُ شَـيْئًا وَلَمْ يَكُـنْ ... كَـمَا كُنْـتُ أَرْجُـو فِي مَسِـيرِي وَمَرْكَبِـي

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَأَنْشَدَنِي بَعْضُ أَهْلِ العِلمِ بِالشِّعْرِ قَوْلَهَا: وَقَدْ فَاتَنِي بَعْضُ الَّذِي كَانَ مَطْلَبِي، وَبَعْضُهُمْ يُنْكِرُهَا لِهِنْدٍ وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) **أَوْدى**: هلك. **المطعم الكاسي**: الجواد الذي يطعم الناس ويكسوهم.

(٢) السيرة لابن هشام ٢/ ١٦٨، البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٤٩٠-٤٩١.

(٣) **اقْني حياءَك**: الزمي حياءك.

(٤) **يومَ الرَّوْع**: يوم الفزع، وهو يوم البأس والقتال.

(٥) السيرة لابن هشام ٢/ ١٦٨، البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٤٩١.

(٦) **البَلابلُ**: الأحزان. **جمة**: كثيرة.

الفصل الثاني

الدروس والعبر المستفادة من المرحلة الثالثة من غزوة أُحُد

(بعد المعركة)

المبحث الأول

الدروس العقائدية

١ ـ تحقيق عقيدة التوحيد:

يقول الشيخ عرجون: «كانت غزوة أحد تمحيصًا للمؤمنين، وامتحانًا لقوة إيمانهم، وتحقيقًا للعقيدة التوحيدية في أكمل معانيها، وأرفع مراتبها، وأصفى معالمها، وأصدق مراميها وأهدافها، وأحكم منازلها، وأخلص صورها، وأضوأ منائرها، وأهدى سبلها، وأرشد مراشدها، وأزكى غاياتها ومقاصدها.

إن العقيدة التوحيدية هي محور رسالات جميع الأنبياء والمرسلين، ولم يرسل الله تعالى رسولًا إلا كان قوله لقومه: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[المؤمنون: ٣٢]، وعبادة الله تشمل كل طاعة لا ينبغي أن تكون إلا لله جل شأنه، وهذا هو معنى إسلام الوجه لله تعالى، وإخلاص الدين كله له وحده عز شأنه، وهو يقتضي اختصاص رسل الله ـ صلوات الله عليهم ـ بأعظم درجات الحب والاتباع والتسليم لجميع ما يبلِّغونه عن الله من الوحي، تسليمًا لا يُداخله حرج في النفس ولا يُخالجه شيء من حزازات النفوس وأهوائها ورغائبها؛ لأنهم رسل الله المبلِّغون عنه شرائعه التي تعبَّد بها عباده؛ ولأنهم هم الوسيلة الموصلة إلى رضاء الله تعالى لمتابعتهم في جميع ما جاؤوا به من عند الله، وهم الباب الوحيد الذي يدخل عن طريقه جميع الخلق إلى منازل الإيمان بالله إلهًا واحدًا لا شريك له في تدبير ملكه وملكوته.

وهم الذين يقفون بالمؤمنين على مشارف العبودية لله وحده، يأخذون بحُجَزهم أن يتقذفوا إلى مهاوي الضلالات والهوى، فتتحكم فيهم عواطفهم التي قد تجمح، فتجعل من الرسول أكثر من عبد اصطفاه الله لرسالته وكلفه تبليغها إلى خلقه و﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[الأنعام: ١٢٤].

هذا هو المنهج الإلهي الذي جعله الله تعالى طريقًا لمهبط رسالاته وتبليغها، والرسل بعد ذلك وقبل ذلك بَشَرٌ، يعتريهم ما يعتري سائر البشر، وهم معصومون عن الإتيان بأي عمل لا يتفق مع طبيعة رسالاتهم، وهم ـ صلوات الله عليهم ـ متفاضلون في إطار هذا المنهج الرباني، وخيرهم أعمهم رسالة، وأدومهم هداية، وأشملهم شرائع، وأكثرهم يوم القيامة تابعًا، وأقربهم إلى منازل الشهود منزلة، وهي منزلة خاتمهم نبينا محمد ﷺ». [**محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٣/ ٦٠٤-٦٠٥**].

٢ ـ إدراك طبيعة الدين الإسلامي:

يقول صاحب الظلال: «لقد تمخضت المعركة (معركة أُحُد) والتعقيب عليها عن حقيقة أساسية كبيرة في طبيعة هذا الدين الذي هو المنهج الإلهي للحياة البشرية، وفي طريقته في العمل في حياة البشر، وهي حقيقة أولية بسيطة، ولكنها كثيرًا ما تُنسى، أو لا تُدرك ابتداء، فينشأ عن نسيانها أو عدم إدراكها خطأ جسيم في النظر إلى هذا الدين: في حقيقته وفي واقعه التاريخي في حياة الإنسانية، وفي دوره أمس واليوم وغدًا.

إن بعضنا ينتظر من هذا الدين ـ ما دام هو المنهج الإلهي للحياة البشرية ـ أن يعمل في حياة البشر بطريقة سحرية خارقة! دون اعتبار لطبيعة البشر، ولطاقتهم الفطرية، ولواقعهم المادي، في أية مرحلة من مراحل نموهم، وفي أية بيئة من بيئاتهم!

وحين يرون أنه لا يعمل بهذه الطريقة، وإنما هو يعمل في حدود الطاقة البشرية، وحدود الواقع المادي للبشر، وأن هذه الطاقة وهذا الواقع يتفاعلان معه، فيتأثران به في فترات تأثرًا واضحًا، أو يؤثران في مدى استجابة الناس له، وقد يكون تأثيرهما مضادًّا في فترات أخرى فتقعد بالناس ثقلة الطين، وجاذبية المطامع والشهوات، دون تلبية هتاف الدين أو الاتجاه معه في طريقه اتجاهًا كاملًا، حين يرون هذه الظواهر فإنهم يصابون بخيبة أمل لم يكونوا يتوقعونها! ـ ما دام هذا الدين من عند الله ـ أو يصابون بخلخلة في ثقتهم بجدية المنهج الديني للحياة وواقعيته! أو يصابون بالشك في الدين إطلاقًا!

وهذه السلسلة من الأخطاء تنشأ كلها من خطأ واحد، هو عدم إدراك طبيعة هذا الدين، وطريقته، أو نسيان هذه الحقيقة الأولية البسيطة.

إن هذا الدين منهج للحياة البشرية، يتم تحقيقه في حياة البشر بجهد بشري، في حدود الطاقة البشرية، ويبدأ في العمل من النقطة التي يكون البشر عندها بالفعل من واقعهم المادي، ويسير بهم إلى نهاية الطريق، في حدود جهدهم البشري وطاقتهم البشرية، ويبلغ بهم أقصى ما تمكنهم طاقتهم وجهدهم من بلوغه.

وميزته الأساسية أنه لا يغفل لحظة، في أية خطة، وفي أية خطوة، عن طبيعة فطرة الإنسان، وحدود طاقته، وواقعه المادي أيضًا، وأنه في الوقت ذاته يبلغ به ـ كما تحقق ذلك فعلًا في بعض الفترات، وكما يمكن أن يتحقق دائمًا كلما بُذلت محاولة جادة ـ ما لم يبلغه وما لا يبلغه أي منهج آخر من صنع البشر على الإطلاق.

ولكن الخطأ كله ـ كما تقدم ـ ينشأ من عدم الإدراك لطبيعة هذا الدين أو نسيانها، ومن انتظار الخوارق التي لا ترتكن على الواقع البشري، والتي تبدل فطرة الإنسان، وتنشئه نشأة أخرى، لا علاقة لها بفطرته وميوله واستعداده وطاقاته، وواقعه المادي كله!

أليس هو من عند الله؟ أليس دينًا من عند القوة القادرة التي لا يعجزها شيء؟ فلماذا إذن يعمل فقط في حدود الطاقة البشرية؟ ولماذا يحتاج إلى الجهد البشري ليعمل؟ ثم لماذا لا ينتصر دائمًا؟ ولا ينتصر أصحابه دائمًا؟ لماذا تغلب عليه ثقلة الطبع والشهوات والواقع المادي أحيانًا؟ ولماذا يغلب أهل الباطل على أصحابه وهم أهل الحق أحيانًا؟

وكلها ـ كما نرى ـ أسئلة وشبهات تنبع من عدم إدراك الحقيقة الأولية البسيطة لطبيعة هذا الدين وطريقته أو نسيانها!

إن الله قادر ـ طبعًا ـ على تبديل فطرة الإنسان ـ عن طريق هذا الدين أو من غير طريقه ـ وكان قادرًا على أن يخلقه منذ البدء بفطرة أخرى، ولكنه شاء أن يخلق الإنسان بهذه الفطرة، وشاء أن يجعل لهذا الإنسان إرادة واستجابة، وشاء أن يجعل الهدى ثمرة للجهد والتلقي والاستجابة، وشاء أن تعمل فطرة الإنسان دائمًا، ولا تُمحى، ولا تُبدل، ولا تُعطل، وشاء أن يتم تحقيق منهجه للحياة في حياة البشر عن طريق الجهد البشري، وفي حدود الطاقة البشرية، وشاء أن يبلغ «الإنسان» من هذا كله بقدر ما يبذل من الجهد في حدود ملابسات حياته الواقعة.

وليس لأحد من خلقه أن يسأله: لماذا شاء هذا؟ ما دام أن أحدًا من خلقه ليس إلهًا! وليس لديه العلم، ولا إمكان العلم، بالنظام الكلي للكون، وبمقتضيات هذا النظام في طبيعة كل كائن في هذا الوجود، وبالحكمة المغيبة وراء خلق كل كائن بهذا «التصميم» الخاص!

و«**لماذا؟**» ـ في هذا المقام ـ سؤال لا يسأله مؤمن جاد، ولا يسأله كذلك ملحد جاد، المؤمن لا يسأله؛ لأنه أكثر أدبًا مع الله ـ الذي يعرفه قلبه بحقيقته وصفاته ـ وأكثر معرفة بأن الإدراك البشري لم يُهيأ للعمل في هذا المجال، والكافر لا يسأله؛ لأنه لا يعترف بالله ابتداء، فإن اعترف بألوهيته عرف معها أن هذا شأنه ـ سبحانه ـ ومقتضى ألوهيته!

ولكنه سؤال قد يسأله هازل مائع، لا هو مؤمن جاد، ولا هو ملحد جاد، ومن ثم لا ينبغي الاحتفال به ولا الجد في أخذه!

وقد يسأله جاهل بحقيقة الألوهية، فالسبيل لإجابة هذا الجاهل ليس هو الجواب المباشر، إنما هو تعريفه بحقيقة الألوهية ـ حتى يعرفها فهو مؤمن، أو ينكرها فهو ملحد، وبهذا ينتهي الجدل إلا أن يكون مراء!

ليس لأحد من خلق الله إذن أن يسأله ـ سبحانه ـ لماذا شاء أن يخلق الكائن الإنساني بهذه الفطرة؟ ولماذا شاء أن تبقى فطرته هذه عاملة، لا تُمحى، ولا تُعدل، ولا تُعطل! ولماذا شاء أن يجعل المنهج الإلهي يتحقق في حياته عن طريق الجهد البشري، وفي حدود الطاقة البشرية؟

ولكن لكل أحد من خلقه أن يدرك هذه الحقيقة، ويراها وهي تعمل في واقع البشرية، ويفسر التاريخ البشري على ضوئها؛ فيفقه خط سير التاريخ من ناحية، ويعرف كيف يوجه هذا الخط من ناحية أخرى.

هذا المنهج الإلهي الذي يمثله الإسلام ـ كما جاء به محمد ﷺ لا يتحقق في الأرض في دنيا الناس، بمجرد تنزله من عند الله، ولا يتحقق بمجرد إبلاغه للناس وبيانه، ولا يتحقق بالقهر الإلهي على نحو ما يمضي الله ناموسه في دورة الفلك وسير الكواكب، وترتب النتائج على أسبابها الطبيعية، إنما يتحقق بأن تحمله مجموعة من البشر، تؤمن به إيمانًا كاملًا، وتستقيم عليه ـ بقدر طاقتها ـ وتجعله وظيفة حياتها وغاية آمالها، وتجهد لتحقيقه في قلوب الآخرين وفي حياتهم العملية كذلك، وتجاهد لهذه الغاية بحيث لا تستبقي جهدًا ولا طاقة، تجاهد الضعف البشري، والهوى البشري، والجهل البشري في أنفسها وأنفس الآخرين، وتجاهد الذين يدفعهم الضعف والهوى والجهل للوقوف في وجه هذا المنهج، وتبلغ ـ بعد ذلك كله ـ من تحقيق هذا المنهج الإلهي إلى الحد والمستوى الذي تطيقه فطرة البشر، على أن تبدأ بالبشر من النقطة التي هم فيها فعلًا، ولا تغفل واقعهم، ومقتضيات هذا الواقع، في سير مراحل هذا المنهج وتتابعها، ثم تنتصر هذه المجموعة على نفسها وعلى نفوس الناس معها تارة، وتنهزم في المعركة مع نفسها أو مع نفوس الناس تارة، بقدر ما تبذل من الجهد، وبقدر ما تتخذ من الأساليب العملية، وبقدر ما توفق في اختيار هذه الأساليب، وقبل كل شيء، وقبل كل جهد، وقبل كل وسيلة، هنالك عنصر آخر: هو مدى تجرد هذه المجموعة لهذا الغرض، ومدى تمثيلها لحقيقة هذا المنهج في ذات نفسها، ومدى ارتباطها بالله صاحب هذا المنهج، وثقتها به، وتوكلها عليه.

هذه هي حقيقة هذا الدين وطريقته، وهذه هي خطته الحركية ووسيلته.

وهذه هي الحقيقة التي شاء الله أن يُعلِّمها للجماعة المسلمة، وهو يربيها بأحداث معركة أُحد، وبالتعقيب على هذه الأحداث.

حينما قصرت في تمثيل حقيقة هذا الدين في ذات نفسها في بعض مواقف المعركة، وحينما قصرت في اتخاذ الوسائل العملية في بعض مواقفها، وحينما غفلت عن تلك الحقيقة الأولية أو نسيتها، وفهمت أنه من مقتضى كونها مسلمة أن تنتصر حتمًا بغض النظر عن تصورها وتصرفها ـ حينئذ تركها الله تلاقي الهزيمة، وتعاني آلامها المريرة، ثم جاء التعقيب القرآني يردها إلى تلك الحقيقة: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾[آل عمران].

ولكنه ـ كما قلنا في سياق الاستعراض للنصوص ـ لا يترك المسلمين عند هذه النقطة، بل يصلهم بقدر الله من وراء الأسباب والنتائج، ويكشف لهم عن إرادة الخير بهم من وراء الابتلاء، الذي وقع بأسبابه الظاهرة من تصرفاتهم الواقعة.

إن ترك المنهج الإلهي يعمل ويتحقق عن طريق الجهد البشري، ويتأثر بتصرف البشر إزاءه، هو خير في عمومه، فهو يصلح الحياة البشرية ولا يفسدها أو يعطلها، ويصلح الفطرة البشرية ويوقظها ويردها إلى سوائها، ذلك أن حقيقة الإيمان لا يتم تمامها في قلب حتى يتعرض لمجاهدة الناس في أمر هذا الإيمان، مجاهدتهم باللسان بالتبليغ والبيان، ومجاهدتهم باليد لدفعهم من طريق الهدى حين يعترضونه بالقوة الباغية، وحتى يتعرض في هذه المجاهدة للابتلاء والصبر على الجهد، والصبر على الأذى، والصبر على الهزيمة، والصبر على النصر أيضًا ـ فالصبر على النصر أشق من الصبر على الهزيمة ـ وحتى يتمحص القلب، ويتميز الصف، وتستقيم الجماعة على الطريق، وتمضي فيه راشدة صاعدة، متوكلة على الله.

حقيقة الإيمان لا يتم تمامها في قلب حتى يتعرض لمجاهدة الناس في أمر هذا الإيمان؛ لأنه يجاهد نفسه أولًا في أثناء مجاهدته للناس، وتتفتح له في الإيمان آفاق لم تكن لتتفتح له أبدًا، وهو قاعد آمن سالم، وتتبين له حقائق في الناس، وفي الحياة، لم تكن لتتبين له أبدًا بغير هذه الوسيلة، ويبلغ هو بنفسه وبمشاعره وتصوراته، وبعاداته وطباعه، وبانفعالاته واستجاباته، ما لم يكن ليبلغه أبدًا، بدون هذه التجربة الشاقة المريرة.

وحقيقة الإيمان لا يتم تمامها في جماعة، حتى تتعرض للتجربة والامتحان والابتلاء، وحتى يتعرف كل فرد فيها على حقيقة طاقته، وعلى حقيقة غايته، ثم تتعرف هي على حقيقة اللبنات التي تتألف منها: مدى احتمال كل لبنة، ثم مدى تماسك هذه اللبنات في ساعة الصدام.

وهذا ما أراد الله ـ سبحانه ـ أن يُعلِّمه للجماعة المسلمة، وهو يربيها بالأحداث في «أُحد» وبالتعقيب على هذه الأحداث في هذه السورة، وهو يقول لها، بعد بيان السبب الظاهر في ما أصابها: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ [آل عمران]، وهو يقول: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾[آل عمران: ١٧٩].

ثم، وهو يردهم إلى قَدَر الله وحِكمته من وراء الأسباب والوقائع جميعًا، فيردهم إلى حقيقة الإيمان الكبرى التي لا يتم إلا باستقرارها في النفس المؤمنة: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾[آل عمران].

وإذن فهو ـ في النهاية ـ قدر الله وتدبيره وحكمته، من وراء الأسباب والأحداث والأشخاص والحركات، وهو التصور الإسلامي الشامل الكامل، يستقر في النفس من وراء الأحداث، والتعقيب المنير على هذه الأحداث». [**في ظلال القرآن ١/ ٥٢٦-٥٢٩**].

٣ ـ إدراك طبيعة النفس البشرية:

يقول صاحب الظلال: «وتمخضت المعركة والتعقيب عليها عن حقيقة أساسية كبيرة عن طبيعة النفس البشرية وطبيعة الفطرة الإنسانية، وطبيعة الجهد البشري، ومدى ما يمكن أن يبلغه في تحقيق المنهج الإلهي:

إن النفس البشرية ليست كاملة ـ في واقعها ـ ولكنها في الوقت ذاته قابلة للنمو والارتقاء، حتى تبلغ أقصى الكمال المُقَدَّر لها في هذه الأرض.

وها نحن أولاء نرى قطاعًا من قطاعات البشرية ـ كما هو وعلى الطبيعة ـ ممثلًا في الجماعة التي تمثل قمة الأمة التي يقول الله عنها: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران: ١١٠]، وهم أصحاب محمد ﷺ المثل الكامل للنفس البشرية على الإطلاق، فماذا نرى؟ نرى مجموعة من البشر، فيهم الضعف وفيهم النقص، وفيهم من يبلغ أن يقول الله عنهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، ومن يبلغ أن يقول الله عنهم: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾[آل عمران: ١٥٢]، وفيهم من يقول الله عنهم: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[آل عمران]، وفيهم من ينهزم وينكشف، وتبلغ منهم الهزيمة ما وصفه الله سبحانه بقوله: ﴿۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِيٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمَّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾[آل عمران: ١٥٣].

وكل هؤلاء مؤمنون مسلمون، ولكنهم كانوا في أوائل الطريق، كانوا في دور التربية والتكوين، ولكنهم كانوا جادين في أخذ هذا الأمر، مسلمين أمرهم لله، مرتضين قيادته، ومستسلمين لمنهجه، ومن ثم لم يطردهم الله من كنفه، بل رحمهم وعفا عنهم، وأمر نبيه ﷺ أن يعفو عنهم، ويستغفر لهم، وأمره أن يشاورهم في الأمر، بعد كل ما وقع منهم، وبعد كل ما وقع من جراء المشورة! نعم إنه ـ سبحانه ـ تركهم يذوقون عاقبة تصرفاتهم تلك، وابتلاهم ذلك الابتلاء الشاق المرير، ولكنه لم يطردهم خارج الصف، ولم يقل لهم: إنكم لا تصلحون لشيء من هذا الأمر، بعد ما بدا منكم في التجربة من النقص والضعف، لقد قَبِل ضعفهم هذا ونقصهم، ورباهم بالابتلاء، ثم رباهم بالتعقيب على الابتلاء، والتوجيه إلى ما فيه من عبر وعظات، في رحمة وفي عفو وفي سماحة، كما يَرْبُتُ الكبير على الصغار، وهم يكتوون بالنار؛ ليعرفوا ويدركوا وينضجوا، وكشف لهم ضعفهم، ومخبآت نفوسهم، لا ليفضحهم بها،

ويرذلهم، ويحقرهم، ولا ليرهقهم ويحملهم ما لا يطيقون له حملًا، ولكن ليأخذ بأيديهم، ويوحي إليهم أن يثقوا بأنفسهم ولا يحتقروها ولا ييأسوا من الوصول ما داموا موصولين بحبل الله المتين.

ثم وصلوا، وصلوا في النهاية، وغلبت فيهم النماذج التي كانت في أول المعركة معدودة، وإذا هم في اليوم التالي للهزيمة والقرح، يخرجون مع رسول الله ﷺ غير هيابين ولا مترددين ولا وجلين من تخويف الناس لهم حتى استحقوا تنويه الله بهم: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران].

ولما كبروا بعد ذلك شيئًا فشيئًا، تغيرت معاملتهم، وحوسبوا كما يحاسب الرجال الكبار، بعد ما كانوا يربتون هنا كما يربت الأطفال! والذي يراجع غزوة تبوك في سورة براءة، ومؤاخذة الله ورسوله للنفر القلائل المتخلفين، تلك المؤاخذة العسيرة، يجد الفرق واضحًا في المعاملة، ويجد الفرق واضحًا في مراحل التربية الإلهية العجيبة، كما يجد الفارق بين القوم يوم أُحد، والقوم يوم تبوك، وهم هم، ولكن بلغت بهم التربية الإلهية هذا المستوى السامق، ولكنهم مع هذا ظلوا بشرًا، وظل فيهم الضعف، والنقص، والخطأ، ولكن ظل فيهم كذلك الاستغفار والتوبة والرجوع إلى الله.

إنها الطبيعة البشرية التي يحافظ عليها هذا المنهج، ولا يبدلها أو يعطلها، ولا يُحملها ما لا تطيق، وإن بلغ بها أقصى الكمال المقدر لها في هذه الأرض.

وهذه الحقيقة ذات قيمة كبيرة في إعطاء الأمل الدائم للبشرية، لتحاول وتبلغ، في ظل هذا المنهج الفريد، فهذه القمة السامقة التي بلغتها تلك الجماعة، إنما بدأت تنهد إليها من السفح الذي التقطها منه، وهذه الخطى المتعثرة في الطريق الشاق زاولتها جماعة بشرية متخلفة في الجاهلية، متخلفة في كل شيء، على النحو الذي عرضنا نماذج منه في سياق هذا الدرس، وكل ذلك يعطي البشرية أملًا كبيرًا في إمكان الوصول إلى ذلك المرتقى السامي، مهما تكن قابعة في السفح، ولا يعزل هذه الجماعة الصاعدة، فيجعلها وليدة معجزة خارقة لا تتكرر، فهي ليست وليدة خارقة عابرة، إنما هي وليدة المنهج الإلهي، الذي يتحقق بالجهد البشري، في حدود الطاقة البشرية ـ والطاقة البشرية كما نرى قابلة للكثير!

هذا المنهج يبدأ بكل جماعة من النقطة التي هي فيها، ومن الواقع المادي الذي هي فيه، ثم يمضي بها صعدًا كما بدأ بتلك الجماعة من الجاهلية العربية الساذجة، من السفح، ثم انتهى بها في فترة وجيزة لم تبلغ ربع قرن من الزمان، إلى ذلك الأوج السامق.

شرط واحد لا بد أن يتحقق، أن تُسلم الجماعات البشرية قيادها لهذا المنهج، أن تؤمن به، وأن تستسلم له، وأن تتخذه قاعدة حياتها، وشعار حركتها، وحادي خطاها في الطريق الشاق الطويل».

[في ظلال القرآن ١/ ٥٢٩-٥٣٠].

٤ ـ حقيقة الارتباط بين النفس المسلمة والجماعة المسلمة:

يقول صاحب الظلال: «وحقيقة ثالثة تمخضت عنها المعركة والتعقيب عليها، حقيقة الارتباط الوثيق في منهج الله بين واقع النفس المسلمة والجماعة المسلمة، وبين كل معركة تخوضها مع أعدائها في أي ميدان، الارتباط بين العقيدة والتصور والخُلق والسلوك والتنظيم السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وبين النصر أو الهزيمة في كل معركة، فكل هذه عوامل أساسية فيما يصيبها من نصر أو هزيمة.

والمنهج الإلهي ـ من ثم ـ يعمل في مساحة هائلة في النفس الإنسانية وفي الحياة البشرية، مساحة متداخلة الساحات والنقط والخطوط والخيوط، متكاملة في الوقت ذاته وشاملة، والخطة يصيبها الخلل والفشل حين يختل الترابط والتناسق بين هذه الساحات كلها والنقط والخطوط والخيوط، وهذه ميزة ذلك المنهج الكلي الشامل، الذي يأخذ الحياة جملة، ولا يأخذها مزقًا وتفاريق، والذي يتناول النفس والحياة من أقطارها جميعًا، ويلم خيوطها المتشابكة المتباعدة، في قبضته، فيحركها كلها حركة واحدة متناسقة، لا تصيب النفس بالفصام، ولا تصيب الحياة بالتمزق والانقسام.

ومن نماذج هذا التجميع، وهذه الارتباطات المتداخلة الكثيرة حديثه ـ في التعقيب القرآني ـ عن الخطيئة، وأثرها في النصر والهزيمة، فهو يقرر أن الهزيمة كانت موصولة بالشيطان الذي استغل ضعف الذين تولوا بسبب مما كسبوا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ﴾[آل عمران: ١٥٥]، كما يقرر أن الذين قاتلوا مع الأنبياء ووفوا ـ وهم النموذج الذي يُطلب إلى المؤمنين الاقتداء به ـ بدأوا المعركة بالاستغفار من الذنوب: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤٧ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤٨﴾ [آل عمران].

وفي توجيهاته للجماعة المسلمة يسبق نهيه لها عن الوهن والحزن في المعركة، توجيهها للتطهر والاستغفار: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾[آل عمران].

ومن قبل يذكر عن سبب ذلة أهل الكتاب وانكسارهم: الاعتداء والمعصية: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ١١٢﴾ [آل عمران].

وكذلك نجد الحديث عن الخطيئة والتوبة، يتخلل التعقيب على أحداث الغزوة، كما نجد الكلام عن «التقوى» وتصوير حالات المتقين، يتخلل سياق السورة كلها بوفرة ملحوظة، ويربط بين جو السورة كلها ـ على اختلاف موضوعاتها ـ وجو المعركة، كما نجد الدعوة إلى ترك الربا، وإلى طاعة الله والرسول، وإلى العفو عن الناس، وكظم الغيظ، والإحسان، وكلها تطهير للنفس وللحياة وللأوضاع الاجتماعية، والسورة كلها وحدة متماسكة في التوجيه إلى هذا الهدف الأساسي الهام». [في ظلال القرآن ١/ ٥٣٠-٥٣١].

٥ ـ طبيعة منهج التربية الإسلامي:

يقول صاحب الظلال: «وحقيقة رابعة عن طبيعة منهج التربية الإسلامي، فهو يأخذ الجماعة المسلمة بالأحداث، وما تنشئه في النفوس من مشاعر وانفعالات واستجابات، ثم يأخذهم بالتعقيب على الأحداث، على النحو الذي يمثله التعقيب القرآني على غزوة أحد، وهو في التعقيب يتلمس كل جانب من جوانب النفس البشرية تأثر بالحادثة؛ ليصحح تأثره، ويرسب فيه الحقيقة التي يريد لها أن تستقر وتستريح! وهو لا يدع جانبًا من الجوانب، ولا خاطرة من الخواطر، ولا تصورًا من التصورات، ولا استجابة من الاستجابات، حتى يوجه إليها الأنظار، ويسلط عليها الأنوار، ويكشف عن المخبوء منها في دروب النفس البشرية ومنحنياتها الكثيرة، ويقف النفس تجاهها مكشوفة عارية؛ وبذلك يُمحص الدخائل، وينظفها ويطهرها في وضح النور؛ ويصحح المشاعر والتصورات والقيم؛ ويقر المبادئ التي يريد أن يقوم عليها التصور الإسلامي المتين، وأن تقوم عليها الحياة الإسلامية المستقرة، مما يلهم وجوب اتخاذ الأحداث التي تقع للجماعة المسلمة في كل مكان وسيلة للتنوير والتربية على أوسع نطاق.

وننظر في التعقيب على غزوة أحد، فنجد الدقة والعمق والشمول، الدقة في تناول كل موقف، وكل حركة، وكل خالجة، والعمق في التدسس إلى أغوار النفس ومشاعرها الدفينة، والشمول لجوانب النفس وجوانب الحادث، ونجد التحليل الدقيق العميق الشامل للأسباب والنتائج، والعوامل المتعددة الفاعلة في الموقف، المسيِّرة للحادث، كما نجد الحيوية في التصوير والإيقاع والإيحاء، بحيث تتماوج المشاعر مع التعبير والتصوير تماوجًا عميقًا عنيفًا، ولا تملك أن تقف جامدة أمام الوصف، والتعقيب، فهو وصف حي، يستحضر المشاهد ـ كما لو كانت تتحرك ـ ويشيع حولها النشاط المؤثر والإشعاع النافذ، والإيحاء المثير». [في ظلال القرآن ١/ ٥٣١- ٥٣٢].

٦ ـ واقعية المنهج الإلهي:

يقول صاحب الظلال: «وحقيقة خامسة كذلك عن واقعية المنهج الإلهي، فمن وسائل هذا المنهج لإنشاء آثاره في عالم الواقع، مزاولته بالفعل، فهو لا يقدم مبادئ نظرية، ولا توجيهات مجردة، ولكنه يطبق ويزاول نظرياته وتوجيهاته، وأظهر مثل على واقعية المنهج في هذه الغزوة، هو موقفه إزاء مبدأ الشورى.

لقد كان في استطاعة رسول الله ﷺ أن يجنب الجماعة المسلمة تلك التجربة المريرة، التي تعرضت لها ـ وهي بعد ناشئة ومُحاطة بالأعداء من كل جانب، والعدو رابض في داخل أسوارها ذاتها ـ نقول: كان في استطاعة رسول الله ﷺ أن يجنب الجماعة المسلمة تلك التجربة المريرة التي تعرضت لها، لو أنه قضى برأيه في خطة المعركة، مستندًا إلى رؤياه الصادقة، وفيها ما يشير إلى أن المدينة درع حصينة، ولم يستشر أصحابه، أو لم يأخذ بالرأي الذي انجلت المشورة عن رجحانه في تقدير الجماعة! أو لو أنه رجع عن الرأي عندما سنحت له فرصة الرجوع، وقد خرج من بيته، فرأى أصحاب هذا الرأي نادمين أن يكونوا قد استكرهوه على غير ما يريد!

ولكنه ـ وهو يُقدر النتائج كلها ـ أنفذ الشورى، وأنفذ ما استقرت عليه، ذلك كي تجابه الجماعة المسلمة نتائج التبعة الجماعية، وتتعلم كيف تحتمل تبعة الرأي، وتبعة العمل؛ لأن هذا في تقديره ﷺ وفي تقدير المنهج الإسلامي الذي ينفذه، أهم من اتقاء الخسائر الجسيمة، ومن تجنيب الجماعة تلك التجربة المريرة، فتجنيب الجماعة التجربة معناه حرمانها الخبرة، وحرمانها المعرفة، وحرمانها التربية!

ثم يجيء الأمر الإلهي له بالشورى ـ بعد المعركة كذلك ـ تثبيتًا للمبدأ في مواجهة نتائجه المريرة، فيكون هذا أقوى وأعمق في إقراره من ناحية، وفي إيضاح قواعد المنهج من ناحية.

إن الإسلام لا يؤجل مزاولة المبدأ حتى تستعد الأمة لمزاولته! فهو يعلم أنها لن تستعد أبدًا لمزاولته إلا إذا زاولته فعلًا، وأن حرمانها من مزاولة مبادئ حياتها الأساسية ـ كمبدأ الشورى ـ شر من النتائج المريرة التي تتعرض لها في بدء استعماله، وأن الأخطاء في مزاولته ـ مهما بلغت من الجسامة ـ لا تبرر إلغاءه، بل لا تبرر وقفه فترة من الوقت؛ لأنه إلغاء أو وقف لنموها الذاتي، ونمو خبرتها بالحياة والتكاليف، بل هو إلغاء لوجودها كأمة إطلاقًا!

وهذا هو الإيحاء المستفاد من قوله تعالى ـ بعد كل ما كان من نتائج الشورى في المعركة: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾[آل عمران: ١٥٩].

كما أن المزاولة العملية للمبادئ النظرية تتجلى في تصرف الرسول ﷺ عندما رفض أن يعود إلى الشورى بعد العزم على الرأي المعين، واعتباره هذا ترددًا وأرجحة؛ وذلك لصيانة مبدأ الشورى ذاته، من أن يصبح وسيلة للتأرجح الدائم، والشلل الحركي، فقال قولته التربوية المأثورة: «**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ لَهُ**»، ثم جاء التوجيه الإلهي الأخير: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾[آل عمران: ١٥٩]، فتطابق ـ في المنهج ـ التوجيه والتنفيذ». [في **ظلال القرآن ١/ ٥٣٢-٥٣٣**].

٧ ـ موقف أكرم رجال هذه الأمة على الله:

يقول صاحب الظلال: «وهناك حقيقة أخيرة نتعلمها من التعقيب القرآني على مواقف الجماعة المسلمة التي صاحبت رسول الله ﷺ والتي تمثل أكرم رجال هذه الأمة على الله، وهي حقيقة نافعة لنا في طريقنا إلى استئناف حياة إسلامية بعون الله.

إن منهج الله ثابت، وقِيمه وموازينه ثابتة، والبشر يبعدون أو يقربون من هذا المنهج، ويخطؤون ويصيبون في قواعد التصور وقواعد السلوك، ولكن ليس شيء من أخطائهم محسوبًا على المنهج، ولا مغيرًا لقيمه وموازينه الثابتة.

وحين يخطئ البشر في التصور أو السلوك، فإنه يصفهم بالخطأ، وحين ينحرفون عنه فإنه يصفهم بالانحراف، ولا يتغاضى عن خطئهم وانحرافهم ـ مهما تكن منازلهم وأقدارهم ـ ولا ينحرف هو ليجاري انحرافهم!

ونتعلم نحن من هذا، أن تبرئة الأشخاص لا تساوي تشويه المنهج! وأنه من الخير للأمة المسلمة أن تبقى مبادئ منهجها سليمة ناصعة قاطعة، وأن يوصف المخطؤون والمنحرفون عنها بالوصف الذي يستحقونه ـ أيًّا كانوا ـ وألا تبرر أخطاؤهم وانحرافاتهم أبدًا، بتحريف المنهج، وتبديل قيمه وموازينه، فهذا التحريف والتبديل أخطر على الإسلام من وصف كبار الشخصيات المسلمة بالخطأ أو الانحراف، فالمنهج أكبر وأبقى من الأشخاص، والواقع التاريخي للإسلام ليس هو كل فعل وكل وضع صنعه المسلمون في تاريخهم، وإنما هو كل فعل وكل وضع صنعوه موافقًا تمام الموافقة للمنهج ومبادئه وقيمه الثابتة، وإلا فهو خطأ أو انحراف لا يُحسب على الإسلام، وعلى تاريخ الإسلام؛ إنما يُحسب على أصحابه وحدهم، ويوصف أصحابه بالوصف الذي يستحقونه: من خطأ أو انحراف أو خروج على الإسلام.. إن تاريخ «الإسلام» ليس هو تاريخ «المسلمين» ولو كانوا مسلمين بالاسم أو باللسان! إن تاريخ «الإسلام» هو تاريخ التطبيق الحقيقي للإسلام، في تصورات الناس وسلوكهم، وفي أوضاع حياتهم، ونظام مجتمعاتهم، فالإسلام محور ثابت، تدور حوله حياة الناس في إطار ثابت، فإذا هم خرجوا عن هذا الإطار، أو إذا هم تركوا ذلك المحور بتاتًا، فما للإسلام وما لهم يومئذ؟ وما لتصرفاتهم وأعمالهم هذه تُحسب على الإسلام، أو يُفسر بها الإسلام؟ بل ما لهم هم يُوصفون بأنهم مسلمون إذا خرجوا على منهج الإسلام، وأبوا تطبيقه في حياتهم، وهم إنما كانوا مسلمين لأنهم يطبقون هذا المنهج في حياتهم، لا لأن أسماءهم أسماء مسلمين، ولا لأنهم يقولون بأفواههم: إنهم مسلمون؟!

وهذا ما أراد الله ـ سبحانه ـ أن يُعلمه للأمة المسلمة، وهو يكشف أخطاء الجماعة المسلمة، ويسجل عليها النقص والضعف، ثم يرحمها بعد ذلك ويعفو عنها، ويعفيها من جرائر النقص والضعف في حسابه، وإن يكن أذاقها جرائر هذا النقص والضعف في ساحة الابتلاء!». [في ظلال القرآن ١/ ٥٣٣].

٨ ـ تعظيم التوحيد:

لم نهى الرسول ﷺ المسلمين أن يجيبوا أبا سفيان حين سأل: أفي القوم محمد؟ أفي القوم أبوبكر، وأمر المسلمين أن يجيبوا أبا سفيان حين قال: أعل هبل؟

يقول ابن قيم الجوزية في الإجابة على هذا السؤال: «فأمرهم بجوابه عند افتخاره بآلهته، وبِشْرْكِهِ تعظيمًا للتوحيد، وإعلامًا بعزة مَنْ عبده المسلمون، وقوةِ جانبه، وأنه لا يُغلب، ونحن حزبُه وجُنده».
[زاد المعاد ٣/ ١٨١] [غزوة أحد لأبي فارس ٩٣].

ويقول أ/ خلف الله: «وصعد أبو سفيان ومعه جماعة من المشركين في الجبل، فقال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَعْلُونَا**»، كلمة لا يمكن أن تصدر إلا عن رسول الله ﷺ، فقد جمعت عدة معان سامية...

فالشرك دائمًا يكون في الدرك الأسفل، فلا ينبغي أن يعلو أهله على المؤمنين الصادقين حسًّا ومعنى».
[غزوة أحد لخلف الله ٩٣].

٩ ـ حقد الأعداء على الإسلام والمسلمين:

يقول د/ السباعي: «وفيما فعله المشركون يوم أحد من التمثيل بقتلى المسلمين، وبخاصة حمزة رضي الله عنه عم الرسول ﷺ، دليل واضح على خلوِّ أعداء الإسلام من كل إنسانية وضمير، فالتمثيل بالقتيل لا يؤلم القتيل نفسه، إذ الشاة المذبوحة لا تتألم من السلخ، ولكنه دليل على الحقد الأسود الذي يملأ نفوسهم، فيتجلى في تلك الأعمال الوحشية التي يتألم منها كل ذي وجدان حي، وضمير إنساني.

كذلك رأينا المشركين يفعلون بقتلى المسلمين يوم أحد، وكذلك رأينا اليهود يفعلون بقتلانا في معارك فلسطين، وكلا الفريقين يصدرون عن وِرْدٍ واحد نابعٍ من حنايا نفوسهم التي لا تؤمن بالله واليوم الآخر، ذلك هو الحقد على المستقيمين في هذه الحياة من المؤمنين إيمانًا صحيحًا صادقًا بالله ورسله واليوم الآخر». **[السيرة النبوية: دروس وعبر للسباعي ص ١١٧].**

«وفي كل عصر يظهر هذا الحقد؛ لأن الكفر ملة واحدة، وما حدث بالبوسنة والهرسك، وما حدث في كوسوفا للمسلمين على أيدي الصرب، وما تم بالشيشان على يد الروس، وما يحدث بفلسطين على يد اليهود، وما يتم بكشمير على يد الهندوس، وغير ذلك من المجازر التي تُنصب للمسلمين والمذابح الجماعية التي تتم على مرأى ومسمع من العالم كله ـ لهو أكبر دليل على ما نقول».
[مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ١٤١].

١٠ ـ التمييز والتمحيص ضرورة للفرقان بين الخبيث والطيب:

يقول أ/ النجيري: «لابد أن يهيئ الله ﷻ من الوقائع والأحداث ما يتميز به أهل الإيمان من أهل الكفر، وما يتمحص به ما في قلوبهم من قوة أو ضعف، فالحق ـ جل شأنه ـ لا يمكن أن يترك الصفوف معمية

يختلط فيها الحق بالباطل، ولكن الفصال بين الحق والباطل مطلب إلهي، وقد ختم الله تعالى الآيات في سورة آل عمران في بيان غزوة أُحد بالمقصد الأكبر من المحنة الكبيرة التي تعرض لها الجيش الإسلامي، فقال ﷻ في تلخيص جامع: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [آل عمران].

ومقصد التمييز بين أهل الإيمان وأهل الشرك كان واضحًا في بدر، وقد عبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنفال]، ولكن التمييز يمتد ويتسع في أُحد ليشمل تمييز المؤمن من الكافر من المنافق؛ وليمحص الله ﷻ ما في صدور المؤمنين؛ وليظهر مخبوء صدور الذين كفروا من أهل الكتاب، فيتميز بذلك أولياؤه من أعدائه، وجنده ممن يتربصون بأهل الإيمان الدوائر، فتثبت الحجة الدامغة على الكافرين والمنافقين أنهم أصحاب الجحيم؛ وليرفع الله تعالى في درجات أهل الإيمان ويطهرهم من أخلاطهم؛ وليعلم من ينصره ورسله بالغيب، وتبقى بعد ذلك لنا عبرًا نتدبرها في كل وقت وحين.

فأما التمييز الذي تم في بدر فقد تم في أُحد أيضًا، وهو أول نوع من التمييز، وبه يتحقق مراد الله تعالى من الفرقان بين الحق والباطل، والإيمان والكفر، كما يقول تعالى: ﴿... وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [آل عمران].

ثم تعرَّض معسكر الإيمان بعد ذلك لنوعين من التمحيص: أولهما يتميز فيه المؤمن حقًّا ممن في قلبه مرض النفاق، والآخر يتميز به ما في قلب المؤمن من إرادة الآخرة أو الدنيا بعمله.

وقد جرى التمييز بين المؤمنين والمنافقين في أُحد بصورة مثالية بيَّنها القرآن الكريم بقوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [آل عمران].

وهذه الطائفة التي تفضحها الآية هي التي رجعت من الطريق وعلى رأسها عبد الله بن أُبي بن سلول، أما الطائفة التي زلزلتها أحداث المعركة، فقد كشفها الله تعالى بقوله: ﴿... وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ [آل عمران].

ونرى في هذه الآية العناصر المخلخلة اليقين والضعيفة الإيمان التي تتحول مع الحوادث، وتظن أن الله ﷻ يمكن أن يترك أولياءه للهلاك التام والاستئصال على يد أعدائهم، وهؤلاء ينبغي أن يطهر منهم الصف المسلم لأنهم من عوامل الفشل، فالواجب ألا يدخل في صفوف المسلمين في القتال من لم يعد إعدادًا إيمانيًّا عاليًا بجانب الإعداد البدني والفني.

وبالإضافة إلى ما بينته الآيات السابقة في هذا الجانب نعرض لموقفين يوضحان عمل طائفة المنافقين الخسيس لنخر الصف من داخله:

أولهما لرأس المنافقين بالمدينة عبد الله بن أُبي بن سلول، وقد كان له مقام يقومه كل جُمعة من تلقاء نفسه ليقول كلامًا حسنًا يخادع به المؤمنين عما في نفسه، وكان يحركه إلى ذلك شرفه ومنزلته في قومه.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَـمَّا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ المدِينَةَ، وَكَانَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولَ - كَمَا حَدَّثَنِي ابْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ - لَهُ مَقَامٌ يَقُومُهُ كُلَّ جُمُعَةٍ لَا يُنْكِرُ شَرَفًا لَهُ فِي نَفْسِهِ وَفِي قَوْمِهِ، وَكَانَ فِيهِمْ شَرِيفًا، إِذَا جَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ قَامَ فَقَالَ: **أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ أَكْرَمَكُمْ اللهُ وَأَعَزَّكُمْ بِهِ، فَانْصُرُوهُ، وَعَزِّرُوهُ وَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا**، ثُمَّ يَجْلِسُ، حَتَّى إِذَا صَنَعَ يَوْمَ أُحُدٍ مَا صَنَعَ وَرَجَعَ بِالنَّاسِ، قَامَ يَفْعَلُ ذَلِكَ كَمَا كَانَ يَفْعَلُهُ، فَأَخَذَ المسْلِمُونَ بِثِيَابِهِ مِنْ نَوَاحِيهِ، وَقَالُوا: **اجْلِسْ أَيْ عَدُوَّ الله لَسْتَ لِذَلِكَ بِأَهْلٍ، وَقَدْ صَنَعْتَ مَا صَنَعْتَ**، فَخَرَجَ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ وَهُوَ يَقُولُ: **وَالله لَكَأَنَّمَا قُلْتُ بَجْرًا أَنْ قُمْتُ أُشَدِّدُ أَمْرَهُ**، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ بِبَابِ المسْجِدِ فَقَالَ: **مَا لَكَ؟ وَيْلَكَ**، قَالَ: **قُمْتُ أُشَدِّدُ أَمْرَهُ، فَوَثَبَ عَلَيَّ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَجْذِبُونَنِي وَيُعَنِّفُونَنِي، لَكَأَنَّمَا قُلْتُ بَجْرًا أَنْ قُمْتُ أُشَدِّدُ أَمْرَهُ**، قَالَ: **وَيْلَكَ، ارْجِعْ يَسْتَغْفِرْ لَكَ رَسُولُ الله ﷺ**، قَالَ: **وَالله مَا أَبْتَغِي أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي**.

[ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ١٠٥، والبداية والنهاية ٤/ ٥٣].

والموقف الآخر كان في استشهاد يزيد بن حاطب بن أمية بن رافع ؓ يوم أُحد وبروز نفاق أبيه.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ: إِنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ كَانَ يُدْعَى حَاطِبَ بْنَ أُمَيَّةَ ابْنِ رَافِعٍ، وَكَانَ لَهُ ابْنٌ يُقَال لَهُ: يَزِيدُ بْنُ حَاطِبٍ أَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأُتِيَ بِهِ إِلَى دَارِ قَوْمِهِ وَهُوَ بِالموْتِ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَهْلُ الدَّارِ فَجَعَلَ المسْلِمُونَ يَقُولُونَ لَهُ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ: **أَبْشِرْ يَا ابْنَ حَاطِبٍ بِالجَنَّةِ**، قَالَ: وَكَانَ حَاطِبٌ شَيْخًا قَدْ عَسَا فِي الجَاهِلِيَّةِ فَنَجَمَ يَوْمَئِذٍ نِفَاقُهُ، فَقَالَ: **بِأَيِّ شَيْءٍ تُبَشِّرُونَهُ؟ بِجَنَّةٍ مِنْ حَرْمَلٍ** (يريد الأرض التي بها المدفن، وكانت تنبت الحرمل)، **غَرَرْتُمْ وَالله هَذَا الغُلَامَ مِنْ نَفْسِهِ**.

[ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٨٧، المغازي للواقدي ١/ ٢٦٣، تاريخ الطبري ٢/ ٥٣٠-٥٣١].

أما تمحيص ما في صدور المؤمنين لاختبار صدق التضحية والصبر وبذل النفس في سبيل الله تعالى دون خوف من الموت، وتمكن اليقين بأن المحيا والممات بيد الله ﷻ وتقديره، وأن خيري الدنيا والآخرة بحوله

وتدبيره، ويبين الحق ـ جل شأنه ـ ذلك بقوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ ﴾[آل عمران].

كما يبين الحق سبحانه أن من أسباب تحول النصر إلى محنة ونكسة هو ما في بعض القلوب من تعلق بالدنيا وحب لها، وهذا الحب والتعلق اقتضى الابتلاء الذي هو فضل من الله ﷻ يطهر به قلوب المؤمنين، كما يقول تعالى: ﴿... مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾[آل عمران].

ويتضح لنا هنا أن المحنة والابتلاء قد تكون تأديبًا للمؤمنين وعظة ورحمة بهم أن ينزل عليهم عقاب آخر بذنوبهم أشد وأقسى.

وكانت المحنة في أحد كافية بلا شك ليظهر حقيقة ما في القلوب، وهذا واضح جدًّا في سردنا لأحداث الغزوة وسير مراحل القتال، ولكن نريد أن نقف هنا مع موقف رجل خرج مع المسلمين وقاتل قتالًا شديدًا حتى قَتل ثلاثة من حملة اللواء الشركي، ولكنه مع ذلك لم تكن نيته من القتال إعلاء كلمة الله تعالى ورفع راية التوحيد، ولكن كانت نيته الدفاع عن أحساب قومه؛ لذا لم يتشرف بالشهادة، فالقتال تحت نية جاهلية أو عمية (غير صريحة في انتمائها لله ورسوله) ليس كالقتال في سبيل الله ﷻ، والرسولُ ﷺ وضح ذلك، فعَنْ أَبِي مُوسَى ؓ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: **الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلمَغْنَم، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ**، (وفي رواية: **الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً**) **فَمَنْ فِي سَبِيلِ الله؟** قَالَ ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله**». [**البخاري في العلم (١٢٣)، وفي الجهاد والسير (٢٨١٠)، وفي فرض الخمس (٣١٢٦)، وفي التوحيد (٧٤٥٨)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٤)، وأبو داود في الجهاد (٢٥١٧)، والترمذي في فضائل الجهاد (١٦٤٦)، والنسائي في الجهاد (٣١٣٦)، وابن ماجه في الجهاد (٢٧٨٣)، ومسند أحمد عن أبي موسى الأشعري ؓ (١٨٩٩٩، ١٩٠٩٩، ١٩١٣٤، ١٩٢٤٠، ١٩٢٤١)**].

وذلك الرجل هو قزمان الذي أبلى يوم أحد بلاء شديدًا، وقيل: إنه قتل سبعة من وجوه المشركين وكثرت عليه الجراح حتى أثبتته، فأُخبر رسول الله ﷺ بأمره فقال: «**هو من أهل النار**»، وكان بعض المسلمين قد بشره بالشهادة والجنة، فقال: **بماذا أبشر؟ والله ما قاتلت إلا عن أحساب قومي**، ثم لما اشتد عليه الألم أخرج سهمًا من كنانته، فقطع به بعض عروقه، فجرى دمه حتى مات.

ويصدق في قزمان قول الحق: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ ﴾ [محمد ﷺ]، فما في القلوب يظهر عند الموت، ويختم للإنسان بما يكنه قلبه من خير أو شر، وربما يظل الإنسان على عمل الخير ثم تكون نهايته بالسوء كما أخبر ﷺ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى لَا يَكُونُ بَيْنَهَا**

وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا».

[البخاري في التوحيد (٧٤٥٤)، ومسلم في القدر (٢٦٤٣)، والترمذي في القدر (٢١٣٧) وغيرهم].

فالنية الصحيحة لابد أن تتوافر للمسلم عند القتال، فلا يقاتل إلا دفاعًا عن دينه، ولا يقف إلا تحت راية إسلامية صريحة في انتمائها، وهنا تسقط في النار دعاوى القتال في سبيل الأمة أو الوطن أو العصبة القومية أو التراب أو الأجيال أو حتى ما يسمى «**الشرعية الدولية**»، فليس للمسلمين إلا شرعية واحدة وهي «**الشرعية الإسلامية**».

وعلى الطرف المقابل لقزمان نجد الأصيرم، وهو عمرو بن ثابت بن وقش ﷺ: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ يَقُولُ: **حَدِّثُونِي عَنْ رَجُلٍ دَخَلَ الجَنَّةَ لَمْ يُصَلِّ قَطُّ؟** فَإِذَا لَمْ يَعْرِفْهُ النَّاسُ سَأَلُوهُ: مَنْ هُوَ؟ فَيَقُولُ: **أُصَيْرِمُ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، عَمْرُو بْنُ ثَابِتِ بْنِ وَقْشٍ**، قَالَ الحُصَيْنُ: فَقُلْتُ لِمَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ: كَيْفَ كَانَ شَأْنُ الأُصَيْرِمِ؟ قَالَ: كَانَ يَأْبَى الإِسْلَامَ عَلَى قَوْمِهِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى أُحُدٍ، بَدَا لَهُ الإِسْلَامُ فَأَسْلَمَ، فَأَخَذَ سَيْفَهُ فَغَدَا حَتَّى أَتَى القَوْمَ، فَدَخَلَ فِي عُرْضِ النَّاسِ، فَقَاتَلَ حَتَّى أَثْبَتَتْهُ الجِرَاحَةُ، قَالَ: فَبَيْنَمَا رِجَالُ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ يَلْتَمِسُونَ قَتْلَاهُمْ فِي المَعْرَكَةِ إِذَا هُمْ بِهِ، فَقَالُوا: **وَالله إِنَّ هَذَا لَلأُصَيْرِمُ وَمَا جَاءَ، لَقَدْ تَرَكْنَاهُ وَإِنَّهُ لَمُنْكِرٌ هَذَا الحَدِيثَ**، فَسَأَلُوهُ مَا جَاءَ بِهِ، قَالُوا: **مَا جَاءَ بِكَ يَا عَمْرُو؟ أَحَرْبًا عَلَى قَوْمِكَ أَوْ رَغْبَةً فِي الإِسْلَامِ؟** قَالَ: **بَلْ رَغْبَةً فِي الإِسْلَامِ، آمَنْتُ بِالله وَرَسُولِهِ وَأَسْلَمْتُ، ثُمَّ أَخَذْتُ سَيْفِي فَغَدَوْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فَقَاتَلْتُ حَتَّى أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي**، قَالَ: ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ فِي أَيْدِيهِمْ، فَذَكَرُوهُ لِرَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**».

[مسند أحمد ٣٩/ ٤١-٤٢ رقم ٢٣٦٣٤، في مسند محمود بن لبيد ﷺ من طريق الحصين بن عبد الرحمن عن أبي سفيان عن أبي هريرة ﷺ به... ورجاله ثقات. وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن].

لقد قذف الله تعالى في قلبه الإسلام لما يعلم فيه من الخير وللذي أراد به من السعادة».

[البلاء الإلهي للنجيري ١٢٤-١٣٤].

١١ ـ حمد الله وتمجيده حق على العباد في كل حال:

يقول د/ فيض الله: «لما وضعت المعركة أوزارها، ورجع المشركون بالنصر الذي استخفَّهم، والمسلمون بالمصاب الذي استأثر بصفوة من كبار الصحابة، الصابرين والمصابرين، الذين تجرَّدوا للدعوة وأعبائها في رضًا وإيمان ـ وقف النبي ﷺ يواسي أصحابه، ويسكب في قلوبهم الرضا بقضاء الله وقدره، والتسليم المطلق لأمره، في غير عتاب، ولا تشكيل محكمة، ولا تقريع ولا تعزير، فحسب الذين خالفوا عن أمره، هذه النتائج المؤسفة المريرة، التي اصطلى بها العامة، وحسبهم ما نزل فيهم من الوحي، حسبهم من العتاب تقريع الإيمان، وتأنيب قلوبهم المؤمنة.

فلما أتمَّ المواساة، قال لأصحابه: «**اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي** ﷻ»، فَصَارُوا خَلفَهُ صُفُوفًا، فَقَالَ ﷺ: «**اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِيَ لِمَا أَضْلَلتَ، وَلا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ**».

في أعقاب المعركة، المعركة الضارية الخاسرة، يتخذ النبي ﷺ أُهْبَتَه، وينظم المسلمين صفوفًا؛ لكي يُثنِي على ربه ﷻ.

إنه لموقف عظيم، يُجلِّي إيمانًا عميقًا، ويكشف عن العبودية المطلقة لرب العالمين، الفعَّالِ لما يريد... هو القابض والباسط، والمعطي والمانع، لا رادَّ ولا مُعَقِّبَ لحُكْمِه، زَوَى عنهم النصر، وأحرزه عدوهم، وأرجعهم بخسارة فادحة، لكنه ربهم ورب العالمين، هو الذي بيده ملكوت كل شيء، وليس لهم من الملك ولا من الأمر شيء، وهو الحكيم العليم، والغفور الرحيم، وهو المعبود الحق، وهم العابدون، فليكونوا في مقام العبادة، والتسليم، فذلك هو الإيمان، وسر اليقين.

والمادة والنصر والغنائم تغدو وتروح، فلا النصر بمستمر، ولا الغنائم والأموال مستقرة، ولا يقيم في هذه الدنيا مقيم، ولا أمنها موفور، كل ما فيها غادٍ ورائح، فليسأله: «**النَّعِيمَ المُقِيمَ، الَّذِي لا يَحُولُ وَلا يَزُولُ**».

لقد منحهم الله تعالى أولًا النصر والغنائم، فكانت فتنة لبعضهم جَرَّت إلى شر مستطير، وبلاء كبير، فلما منعهم آخرًا من الأمرين، كلَّفهم ذلك الدماء البريئة، والشهداء الأبرار، والجروح والقروح، وعذاب الروح، فلا يتعلَّقَنَّ المؤمن بنصر أو مادة، ولا يتعلَّقَنَّ إلا برب العالمين، وَلِيَسْتَعِذْ به من شر ما أعطاه ومن شر ما منعه: «**اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنا، وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ**».

لا يحفَل المؤمن إلا بالإيمان، وترسيخه في القلب، وإبراز آثاره في صالح العمل، وتجميل الأعمال به، ولا يتقي المؤمن إلا الكفر الذي يحبط العمل كله، والفسق والمعصية، وهما من رواسب الكفر، وذرائع الخروج عن الهُدى والرشاد.

«**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الإِيمَانَ، زَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ، وَاجْعَلنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ**».

ولئن سبق الشهداء إلى رحمة الله، وَوُوْرُوا في ثرى أُحُد الأشَمِّ، راضين مَرْضيين، فإنَّا على إِثرِهم، والموت قافية كل حيٍّ، وهو تحفة المؤمن، فلا يميتنا الله إلا أعزَّة في غير محنة ولا بلاء ولا فتنة: «**اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ، غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ**».

أما أولئك الكفرة، الذين يصدون عن سبيل الله، ويبغونها عوجًا، ويكذِّبون الرسل، ويقاتلون أتباعهم، ويقيمون السدود والحواجز دون دعواتهم، فالله هو المسؤول أن يقاتلهم بعد قتالنا، وأن يُنزل

بهم بأسه وعذابه، إنه إله الحق، وناصر الدين: «**اللَّهُمَّ قَاتِلِ الكَفَرَةَ، الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَل عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الكَفَرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ، إِلَهَ الحَقِّ**».

للعبودية مظاهر ومواقف، وهذا الموقف من أعظم المواقف التي تسمو بالعابدين، وتُجِلُّ المعبود، كأعظم ما يكون الإجلال والإكبار، وأبرز ما يكون الحمد والثناء الجميل.

وإنا لا نكاد نجد لمثل هذا الدعاء ومضمونه الأمثل نظيرًا، لا في أعقاب المعارك الرابحة، ولا في أعقاب المعارك الخاسرة، عبر التاريخ.

إنه يصور العبودية في أعلى أشواقها، إنه يصور الموقف الثابت الراسخ الذي يَهِبُه الإيمان أهل العقيدة، الموقف الذي لا تستهويه نشوة ولا نزوة، ولا تنال منه زلة ولا عثرة، وكل شيء في الدنيا إلى زوال، إلا العقيدة ومعطياتها النفسية الرفيعة، فقد تزول الجبال ولا تزول.

إن العقيدة لتربط العابد بالمعبود، وتعلق النفس بالله، وتُوثق قلب المؤمن بربه، وبها يرتبط المؤمن بالعروة الوثقى الدائمة الباقية، التي تنفي عنه تقلبات النفس، وشرود الفكر، وتنقذه من تلاطم الأمواج، وظلمات الحيرة، وتنقله إلى ساحل السلم والأمن والإسلام». [**صور وعبر لفيض الله ١٣١-١٣٣**].

ويقول الشيخ أبو خوات: «وهكذا يرجع النبي ﷺ من أُحد راكبًا فرسًا وهو وأصحابه جرحى مكلومون، ولكنه ـ في هذه المحنة الشديدة ـ لم ينس ربَّه فأمرهم بأن يصطفوا، وجعلوا يحمدون الله بما هو أهله، معترفين بأن الأمر كله لله يفعل ما يشاء، راضين بقضائه، فقضاء الله خير».

[**دروس من غزوات الرسول ﷺ لأبي خوات ٦٠**].

١٢ ـ إسلام كثير ممن حضر الوقعة من المشركين من الرجال والنساء:

يقول الشيخ العوفي: «وقد أسلم أكثر الذين حضروا مع المشركين غزوة أحد من الرجال والنساء، فأسلمت هند بنت عتبة هي وزوجها أبو سفيان قائد المشركين في هذه الغزوة، أسلما عام الفتح.

[**الإصابة لابن حجر ١٣/ ١٦٥**].

وأسلمت أم حكيم بنت الحارث زوجة عكرمة بن أبي جهل، عام الفتح، وفر زوجها عكرمة إلى اليمن، فاستأذنت النبي ﷺ في اللحوق به ودعوته إلى الإسلام، فأذن لها، وأمَّنه، فجاء في صحبتها وأسلم، ثم شهدت فتوح الشام مع زوجها، وشاركت فيها. [**الإصابة لابن حجر ١٣/ ١٩٧**].

وفاطمة بنت الوليد أسلمت مع زوجها الحارث بن هشام، وهي أخت خالد بن الوليد، عام الفتح، وبايعت، وخرجت مع زوجها إلى الشام. [**الإصابة لابن حجر ١٣/ ٨٧**].

وبرزة بنت مسعود الثقفي زوجة صفوان بن أمية، أسلمت مع زوجها بعد غزوة حنين.

[**الإصابة لابن حجر ١٢/ ١٥٣**].

وريطة بنت منبه بن الحجاج السهمية، جاءت مع زوجها عمرو بن العاص، وهي أم ابنه عبد الله بن عمرو، أسلمت أيضًا عام الفتح، فأتت رسول الله ﷺ فبايعته.

[الإصابة لابن حجر ١٢/ ٢٧٠، وأعلام النساء ١/ ٤٨١].

وسلافة بنت سعد الأنصارية الأوسية، أسلمت عام الفتح، وهي أم عثمان بن طلحة الذي أعطاه الرسول ﷺ مفتاح الكعبة، وقد قُتل أبوه طلحة وعمه عثمان بن أبي طلحة بأحد مشركان.

وأسلم أبان بن سعيد الذي قتل ابن قوقل في غزوة أحد.

وقد ذكرتُ إسلام هؤلاء النسوة وغيرهم حتى لا يستعجل أحدٌ فيأخذ في سب أحدٍ من الصحابة أو الصحابيات؛ لأنه كان مع المشركين في هذه الغزوة، فقد أسلم خالد بن الوليد، ووحشي بن حرب الحبشي، وأسلم عمرو بن العاص، وأسلم غير هؤلاء أناس كثير ممن كان مع المشركين في غزوة أحد.

قال ابن تيمية ﵀: «وقد تاب قادة الأحزاب [وأحد]: مثل أبي سفيان بن حرب، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وصفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وغيرهم، بعد أن قُتل على الكفر بدعائهم من قُتل، وكانوا من أحسن الناس إسلامًا وغفر الله لهم، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، وعمرو بن العاص كان من أعظم الدعاة إلى الكفر والإيذاء للمسلمين، وقد قال له النبي ﷺ لما أسلم: «**يا عمرو أما علمت أن الإسلام يجب ما كان قبله**». [مجموع الفتاوى ١٦/ ٢٤].

[غزوة أحد للعوفي ص ٤٦-٤٧، وينظر درس مشابه في غزوة بدر الكبرى بعنوان: من شهد بدرًا من المشركين ثم أسلم].

المبحث الثاني
الدروس التربوية والأخلاقية

١ ـ خطورة التعامل بالربا:

يقول أ/ شقرة: «ولعل سؤالًا يثور في الذهن: ما الحكمة من الحديث عن الربا في خلال هذه الآيات التي تُفصل لنا أحداث غزوة أُحد؟! وهو سؤال حري بالنظر لنعرف الحكمة من ذلك.

إن الجهاد في سبيل الله يحتاج إلى المال الذي به تظل راية الجهاد مرتفعة تخفق فوق رؤوس المجاهدين، وكما يجب أن تكون نفوس المجاهدين نقية من الشوائب التي تُبطل الجهاد، يجب أن يكون المال المبذول للجهاد أيضًا نقيًّا من الشوائب، وأوخمُ شائبة تذهب بنقاء جوهر المال هي الربا، فإذا نزل الربا بساحة المال زال رونقه ومُحيت بركته، فلا ينفع الجهاد صفاءُ نفوس المجاهدين حينئذ وحده، وحينئذ إما أن تقف عجلة الجهاد عن الاندفاع، وإما أن تعود إلى الوراء؛ لذا ناسب أن يذكر اللهُ حُكم الربا، فلا يظل للقلوب متعلق أبدًا بما قد يرد إليهم من ربا المال، ثم إن في ذكر حكم الربا تحريضًا للمجاهدين أن يعقِروا الربا حيثما لقوه؛ لئلا يكون له سلطان.

فمطلوب منهم حينئذ أن يُحكموا الضربة للإطاحة بمراكز القوى الاقتصادية التي ترقص نشوى بالمكاسب السُّحت؛ لتدفع بها إلى قوى البغي المنطلقة لمداهمة الأمن المراد له أن يدخل كل بيت على وجه الأرض؛ لتقويها وتمدها بأسباب الصمود والاستمرار، وما دام أن الحرب واقعة فلتضع في حسابها شيئًا آخر تستهدفه فتفعله لا يقل في خطره وأثره عن خطر الشرك، وهو الربا.

ونذكِّر هنا بما سلف من ذكر غزوة أُحد أثناء الحديث عن غزوة بدر حيث قلنا: ويمتزج الحديث في هذه الآيات (من ١٢١ وحتى ١٢٩) عن غزوة بدر وأُحد معًا، مقارنةً، وتذكيرًا، وتبصيرًا وحضًّا؛ فيولد من هذه جميعًا الاقتدار على الوقوف في وجه القوة المتمردة الباغية، بعد التوكل على الله سبحانه، فلا يكون الفشل الذي يدبر له أهل الباطل لإيقاع أهل الحق في حبائله، ووقع في بعضه المسلمون في أُحد». [السيرة العطرة لشقرة ٣٥٨-٣٦٠].

ويقول صاحب الظلال: «وقبل أن يدخل السياق في صميم الاستعراض للمعركة ـ معركة أحد ـ والتعقيبات على وقائعها وأحداثها، تجيء التوجيهات المتعلقة بالمعركة الكبرى، التي ألمعنا في مقدمة الحديث إليها، المعركة في أعماق النفس وفي محيط الحياة، يجيء الحديث عن الربا والمعاملات الربوية، وعن تقوى الله وطاعته وطاعة رسوله، وعن الإنفاق في السراء والضراء، والنظام التعاوني الكريم المقابل للنظام الربوي الملعون، وعن كظم الغيظ والعفو عن الناس وإشاعة الحسنى في الجماعة، وعن الاستغفار

من الذنب والرجوع إلى الله وعدم الإصرار على الخطيئة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ ﴾[آل عمران].

تجيء هذه التوجيهات كلها قبل الدخول في سياق المعركة الحربية؛ لتشير إلى خاصية من خواص هذه العقيدة: الوحدة والشمول في مواجهة هذه العقيدة للكينونة البشرية ونشاطها كله، ورده كله إلى محور واحد: **محور العبادة لله والعبودية له، والتوجه إليه بالأمر كله.**

والوحدة والشمول في منهج الله وهيمنته على الكينونة البشرية في كل حال من أحوالها، وفي كل شأن من شؤونها، وفي كل جانب من جوانب نشاطها.

ثم تشير تلك التوجيهات بتجمعها هذا إلى الترابط بين كل ألوان النشاط الإنساني، وتأثير هذا الترابط في النتائج الأخيرة لسعي الإنسان كله، كلما أسلفنا.

والمنهج الإسلامي يأخذ النفس من أقطارها، وينظم حياة الجماعة جملة لا تفاريق، ومن ثم هذا الجَمْع بين الإعداد والاستعداد للمعركة الحربية، وبين تطهير النفوس ونظافة القلوب، والسيطرة على الأهواء والشهوات، وإشاعة الود والسماحة في الجماعة، فكلها قريب من قريب، وحين نستعرض بالتفصيل كل سمة من هذه السمات، وكل توجيه من هذه التوجيهات، يتبين لنا ارتباطها الوثيق بحياة الجماعة المسلمة، وبكل مقدراتها في ميدان المعركة وفي سائر ميادين الحياة!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢ ﴾.

ولقد سبق الحديث عن الربا والنظام الربوي بالتفصيل في الجزء الثالث من هذه الظلال [١/ ٣١٧ وما بعدها]، فلا نكرر الحديث عنه هنا، ولكن نقف عند الأضعاف المضاعفة، فإن قومًا يريدون في هذا الزمان أن يتواروا خلف هذا النص، ويتداروا به، ليقولوا: إن المحرم هو الأضعاف المضاعفة، أما الأربعة في المائة والخمسة في المائة والسبعة والتسعة، فليست أضعافًا مضاعفة، وليست داخلة في نطاق التحريم!

ونبدأ فنحسم القول بأن الأضعاف المضاعفة وصف لواقع، وليست شرطًا يتعلق به الحكم، والنص الذي في سورة البقرة قاطع في حرمة أصل الربا ـ بلا تحديد ولا تقييد: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ [البقرة: ٢٧٨] أيًّا كان!

فإذا انتهينا من تقرير المبدأ فرغنا لهذا الوصف، لنقول: إنه في الحقيقة ليس وصفًا تاريخيًّا فقط للعمليات الربوية التي كانت واقعة في الجزيرة، والتي قصد إليها النهي هنا بالذات، إنما هو وصف ملازم للنظام الربوي المقيت، أيًّا كان سعر الفائدة.

إن النظام الربوي معناه إقامة دورة المال كلها على هذه القاعدة، ومعنى هذا أن العمليات الربوية ليست عمليات مفردة ولا بسيطة، فهي عمليات متكررة من ناحية، ومركبة من ناحية أخرى، فهي تنشئ مع الزمن والتكرار والتركيب أضعافًا مضاعفة بلا جدال.

إن النظام الربوي يحقق بطبيعته دائمًا هذا الوصف، فليس هو مقصورًا على العمليات التي كانت متبعة في جزيرة العرب، إنما هو وصف ملازم للنظام في كل زمان.

ومن شأن هذا النظام أن يُفسد الحياة النفسية والخلقية ـ كما فصلنا ذلك في الجزء الثالث ـ كما أن من شأنه أن يُفسد الحياة الاقتصادية والسياسية ـ كما فصلنا ذلك أيضًا ـ ومن ثم تتبين علاقته بحياة الأمة كلها، وتأثيره في مصائرها جميعًا.

والإسلام ـ وهو ينشئ الأمة المسلمة ـ كان يريد لها نظافة الحياة النفسية والخلقية، كما كان يريد لها سلامة الحياة الاقتصادية والسياسية، وأثر هذا وذاك في نتائج المعارك التي تخوضها الأمة معروف، فالنهي عن أكل الربا في سياق التعقيب على المعركة الحربية أمر يبدو إذن مفهومًا في هذا المنهج الشامل البصير.

أما التعقيب على هذا النهي بالأمر بتقوى الله رجاء الفلاح، واتقاء النار التي أعدت للكافرين، أما التعقيب بهاتين اللمستين فمفهوم كذلك، وهو أنسب تعقيب:

إنه لا يأكل الربا إنسان يتقي الله ويخاف النار التي أعدت للكافرين، ولا يأكل الربا إنسان يؤمن بالله، ويعزل نفسه من صفوف الكافرين، والإيمان ليس كلمة تُقال باللسان، إنما هو اتباع للمنهج الذي جعله الله ترجمة عملية واقعية لهذا الإيمان، وجعل الإيمان مقدمة لتحقيقه في الحياة الواقعية، وتكييف حياة المجتمع وفق مقتضياته.

ومحال أن يجتمع إيمان ونظام ربوي في مكان، وحيثما قام النظام الربوي فهناك الخروج من هذا الدين جملة، وهناك النار التي أُعدت للكافرين! والمماحكة في هذا الأمر لا تخرج عن كونها مماحكة، والجَمْع في هذه الآيات بين النهي عن أكل الربا والدعوة إلى تقوى الله، وإلى اتقاء النار التي أُعدت للكافرين، ليس عبثًا ولا مصادفة، إنما هو لتقرير هذه الحقيقة وتعميقها في تصورات المسلمين.

وكذلك رجاء الفلاح بترك الربا وبتقوى الله، فالفلاح هو الثمرة الطبيعية للتقوى؛ ولتحقيق منهج الله في حياة الناس، ولقد سبق الحديث في الجزء الثالث عن فعل الربا بالمجتمعات البشرية، وويلاته البشعة في حياة الإنسانية، فلنرجع إلى هذا البيان هناك، لندرك معنى الفلاح هنا، واقترانه بترك النظام الربوي المقيت!

ثم يجيء التوكيد الأخير: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾.

وهو أمر عام بالطاعة لله والرسول، وتعليق الرحمة بهذه الطاعة العامة، ولكن للتعقيب به على النهي عن الربا دلالة خاصة، هي أنه لا طاعة لله وللرسول في مجتمع يقوم على النظام الربوي، ولا طاعة لله وللرسول في قلب يأكل الربا في صورة من صوره، وهكذا يكون ذلك التعقيب توكيدًا بعد توكيد.

وذلك فوق العلاقة الخاصة بين أحداث المعركة التي خولف فيها أمر رسول الله ﷺ وبين الأمر بالطاعة لله وللرسول، بوصفها وسيلة الفلاح، وموضع الرجاء فيه.

ثم لقد سبق في سورة البقرة ـ في الجزء الثالث ـ أن رأينا السياق هناك يجمع بين الحديث عن الربا، والحديث عن الصدقة، بوصفهما الوجهين المتقابلين للعلاقات الاجتماعية في النظام الاقتصادي، وبوصفهما السمتين البارزتين لنوعين متباينين من النظم: النظام الربوي، والنظام التعاوني، فهنا كذلك نجد هذا الجَمْع في الحديث عن الربا والحديث عن الإنفاق في السراء والضراء».

[في ظلال القرآن ١/ ٤٧٢-٤٧٤].

٢ ـ «لا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَعْلُونَا»:

يقول أ/ خلف الله: «وصعد أبو سفيان ومعه جماعة من المشركين في الجبل، فقال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَـهُمْ أَنْ يَعْلُونَا**»، كلمة لا يمكن أن تصدر إلا عن رسول الله ﷺ، فقد جمعت عدة معان سامية:

(أ) فالشرك دائمًا يكون في الدرك الأسفل، فلا ينبغي أن يعلو أهله على المؤمنين الصادقين حسًّا ومعنى.

(ب) وعلى المؤمنين أن يؤدوا واجبهم كاملًا؛ لأنهم لا يعرفون الهزيمة، فيجب أن يمنعوا المشركين من السير كما شاؤوا في الميدان حتى لا تعتقد أذهانهم القاصرة أن المسلمين ملُّوا القتال أو وهنوا.

(ج) ثم إن المشركين بصعودهم فوق الجبل يتمكنون من رؤية الميدان كله، ويكتشفون قلة مَنْ بقي من المسلمين، وحينئذ قد تثب إلى أذهانهم فكرة الإجهاز عليهم فيتجمعون فوق الجبل ويتجدد القتال».

[غزوة أُحد لخلف الله ٩٣].

٣ ـ الغيرة على الإسلام:

يقول ابن القيم: «فأمرهم بجوابه عند افتخاره بآلهته، وبِشرْكِهِ تعظيمًا للتوحيد، وإعلامًا بعزة مَنْ عبده المسلمون، وقوةِ جانبه، وأنه لا يُغلب، ونحن حزبُه وجُنده.

ولم يأمرهم ﷺ بإجابته حين قال: **أفيكم محمد؟ أفيكم ابنُ أبي قُحافة؟ أفيكم عمر**؟ بل قد رُوي أنه نهاهم عن إجابته، وقال: «**لا تُجيبوه**»؛ لأن كَلمَهُمْ (أي: جرحهم) لم يكن بَرَدَ بَعْدُ في طلب القوم، ونارُ غيظهم بعد متوقِّدة، فلما قال لأصحابه: **أما هؤلاء فقد كُفيتموهم**، حميَ عمر بنُ الخطاب ﷺ، واشتد غضبُه وقال: **كذبْت يا عدوَّ الله**، فكان في هذا الإعلام من الإذلال، والشجاعة، وعدمِ الجُبن، والتعرفِ إلى العدو في تلك الحال، ما يُوذِنُهم بقوة القوم وبَسالتهم، وأنهم لم يَهِنُوا ولم يَضْعُفُوا، وأنه وقومَه جديرون بعدم الخوفِ منهم، وقد أبقى اللهُ لهم ما يسوؤُهم منهم، وكان في الإعلام ببقاء هؤلاء الثلاثة وهلة بعد ظَنِّهِ وظنِّ قومه أنهم قد أُصيبوا من المصلحة، وغيظ العدو وحِزبِهِ، والفتِّ في عَضُدِهِ ما ليس في جوابه حين سأل عنهم واحدًا واحدًا، فكان سؤالُه عنهم، ونعيُهم لِقومه آخِر سهام العدو وكيده، فصبر له النبيُّ ﷺ حتى استوفى كيده، ثم انتدب له عُمَرُ ﷺ، فرد سِهَام كيدِهِ عليه، وكان تركُ الجوابِ أولًا عليه أحسن، وذكره ثانيًا أحسن، وأيضًا فإن في ترك إجابته حين سأل عنهم إهانةً له، وتصغيرًا لشأنه، فلما منَّته نفسُه موتَهم، وظنَّ أنهم قد قُتِلُوا، وحصل بذلك من الكِبرِ والأشر ما حصل، كان في جوابه إهانةٌ له، وتحقيرٌ، وإذلالٌ، ولم يكن هذا مخالفًا لقول النبي ﷺ: «لا تُجِيبُوه»، فإنه إنما نهى عن إجابته حين سأل: أفيكم محمَّدٌ؟ أفيكم فلانٌ؟ أفيكم فلانٌ؟ ولم ينه عن إجابته حين قال: أما هؤلاء، فقَد قُتِلُوا، وبكل حال، فلا أحسنَ من ترك إجابته أولًا، ولا أحسنَ من إجابته ثانيًا». [زاد المعاد ٣/ ١٨١].

٤ ـ تقدير أهل العلم:

يقول د/ الزيد: «لما قال أبو سفيان بعد المعركة: «أُعْلُ هُبَلُ، قال الرسول ﷺ: «**أجيبوه**»، قالوا: **ما نقول**؟، نأخذ من هذا الرجوع إلى أهل العلم فيما يشكل، وهذا الذي ينبغي أن يُنَشَّأ عليه الناس، وهو الرجوع إلى أهل العلم وسؤالهم فيما يعترضهم من الأمور، وأن لا يعتمد الفرد على رأيه في مسائل العلم، أو يفتي نفسه، والله ﷻ يقول: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧].

ويقول الشيخ السعدي: «وعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم، وأن أعلى أنواعه العلمُ بكتاب الله المنزل، فإن الله أمر مَنْ لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث».

[تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ السعدي ٣/ ٦٢]. [فقه السيرة للزيد ٤٥٥].

٥ ـ بيان مكانة الخليفتين أبي بكر وعمر ﭫ:

يقول د/ الزيد: «من قول أبي سفيان بعد انتهاء المعركة: «**أَفِي القَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ أَفِي القَوْمِ ابْنُ الخَطَّابِ؟**)، فلم يسأل عن أحد من الصحابة سوى عن هذين الصحابيين الجليلين مما يدل على اشتهار وظهور مكانتهما المتميزة حتى عند الأعداء، فهما صاحبا الرسول ﷺ ووزيراه ومستشاراه، وهما أولى الناس بخلافته بعد وفاته ﷺ حيث خلفه أبو بكر ﷺ، ثم عمر ﷺ». [فقه السيرة للزيد ٤٥٤-٤٥٥].

ويقول د/ أبو فارس: «يخطر في خلد القارئ ويتساءل: لم سأل أبو سفيان عن مصير رسول الله ﷺ، ومصير أبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ولِمَ لَمْ يسأل عن غيرهم من سائر المسلمين؟

لاشك أن هذا يدل على اهتمام أبي سفيان بهم؛ لأنه في علمه وعلم قومه أنهم أهل الإسلام، وبهم قام صرح الإسلام، فهم أركان الدولة وأعمدة النظام. كيف لا؟

فأبو بكر رضي الله عنه أول من أسلم من الرجال وأنفق أمواله في سبيل نشر هذا الإسلام، ورفيق رسول الله ﷺ في الغار، وخليفة رسول الله ﷺ ومطهر الجزيرة العربية من الشرك، وقاهر المرتدين.

وعمر بن الخطاب الفاروق رضي الله عنه الذي فرق الله به بين الحق والباطل، وسُر المسلمون بإسلامه سرورًا عظيمًا، وقويت روحهم المعنوية، وأظهروا إسلامهم، وكان أشد الناس على المشركين في مواقفه الكثيرة، في الهجرة، في أسرى بدر إذ رأى أن يَقتل كل قريب قريبه حتى يعلم الله أنَّه ليس في قلوب المسلمين على المشركين هوادة». [غزوة أحد لأبي فارس ٩٢].

٦ ـ التسامي برغائب النفس إلى المستوى الإنساني الكريم:

يقول د/ أبو فارس: «ولقد ارتكب المشركون صورًا من الوحشية تدل على انعدام الآدمية والإنسانية عندهم، حيث قاموا بالتمثيل في قتلى المسلمين فبقروا بطون كثير من القتلى وجدعوا أنوفهم، وقطعوا الآذان، ومذاكير بعضهم.

إن هذه الأفعال التي تنبو عن الذوق الإنساني لا تدل على جرأة فاعليها أو شجاعتهم أو بلائهم في القتال؛ لأن الرجولة الحقة، والشجاعة الصادقة، تكونان بملاقاة الأحياء ومبارزتهم في ساحات الوغى وميادين القتال، أما الأموات فلا رجولة عليهم، والجرأة عليهم تكون من أهل الخسة والنذالة.

إن الإسلام ـ وهو المبدأ الرباني ـ يحرم على أتباعه أن يمثلوا بجثث القتلى، ويعتبر مقترفها آثمًا يستحق العذاب.

ولهذا نقرأ في وصايا النبي ﷺ ووصايا الخلفاء الراشدين من بعدهم النهي الصريح عن المثلة والخيانة.

عَنْ الهَيَّاجِ بْنِ عِمْرَانَ أَنَّ عِمْرَانَ أَبَقَ لَهُ غُلَامٌ، فَجَعَلَ لله عَلَيْهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيْهِ لَيَقْطَعَنَّ يَدَهُ، فَأَرْسَلَنِي لِأَسْأَلَ لَهُ، فَأَتَيْتُ سَمُرَةَ بْنَ جُنْدُبٍ رضي الله عنه فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: كَانَ نَبِيُّ الله ﷺ يَحُثُّنَا عَلَى الصَّدَقَةِ، وَيَنْهَانَا عَنْ الْمُثْلَةِ، فَأَتَيْتُ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رضي الله عنه فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: **كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَحُثُّنَا عَلَى الصَّدَقَةِ، وَيَنْهَانَا عَنْ الْمُثْلَةِ.**

[أبو داود في الجهاد (٢٦٦٧)، وقال الشيخ الألباني: صحيح، وأحمد عن عمران بن حصين رضي الله عنه (١٩٨٤٤، ١٩٨٤٦)، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن].

وروى ابن إسحاق بسند متصل عَنْ سَمُرَةَ بْنَ جُنْدُبٍ رضي الله عنه قَالَ: **مَا قَامَ رَسُولُ الله ﷺ فِي مَقَامٍ قَطُّ فَفَارَقَهُ حَتَّى يَأْمُرَنَا بِالصَّدَقَةِ، وَيَنْهَانَا عَنْ الْمُثْلَةِ.** [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٩٧، وقال السهيلي في الروض الأنف ٣/ ١٧٨: «وهو حديث صحيح في النهي عن المثلة»]. [غزوة أُحد لأبي فارس ١٠٤].

ويقول الشيخ أبو خوات: «ومما لابد أن نعرض له في هذا المقام التمثيل بالقتلى، فقد حدَّث صالح بن كيسان كما روى ابن إسحاق أن هندًا بنت عتبة زوج أبي سفيان وأم ولده معاوية هي ونسوة معها وقعن يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ، يجدعن الآذان والأنوف، حتى اتخذت هند منها خدمًا وقلائد، وأعطت قلائدها وقرطتها وخدمها الذهبية هدية إلى وحشي غلام جبير بن مطعم مكافأة له على قتله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، ولم تكتف بذلك بل بقرت بطن حمزة وأخرجت كبده ولاكتها، ولما لم تستطع إساغتها لفظتها، وفعلت النساء وبعض الرجال بالقتلى من المسلمين قريبًا مما فعل بحمزة رضي الله عنه عدا قصة الكبد.

ولما التمس رسول الله ﷺ عمه ووجده مُمثلًا به هكذا ساءه ذلك وقال: «**وَلَئِنْ أَظْهَرنِي اللهُ عَلَى قُرَيْشٍ فِي مَوْطِنٍ مِنْ المَوَاطِنِ لَأُمَثِّلَنَّ بِثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ**»، ولما علم الصحابة رضي الله عنهم بقول رسول الله ﷺ قالوا مثل قوله وأشد، وتلك كانت عادة العرب في جاهليتهم، إذا بلغ منهم الغيظ من عدوهم مبلغه انتقموا منهم بالتمثيل بالقتلى، فما موقف الإسلام من هذه العادة التي تكاد تكون نزعة طبيعية يغذيها حب الانتقام المسيطر على كثير من النفوس؟

لقد حرم الإسلام المُثلة وأنزل في التحريم قرآنا يُتلى، وأمر الرسول ﷺ بالإحسان في الذبحة والقتلة حتى مع الحيوان والطيور: قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي مَنْ لَا أَتَّهِمُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: إنَّ اللهَ عز وجل أَنْزَلَ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ وَقَوْلِ أَصْحَابِهِ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾[النحل] فَعَفَا رَسُولُ الله ﷺ وَصَبَرَ وَنَهَى عَنْ الْمُثْلَةِ، وقال: «**أَصْبِرُ وَأَحْتَسِبُ**».

[الروض الأنف ٣/ ١٧٠، وينظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣/ ١٩٦- ١٩٧، حيث أورد حديث التمثيل بحمزة رضي الله عنه، وقول النبي ﷺ: لولا أن تحزن صفية... ثم قال: (صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه)].

هذا موقف الدين الإسلامي الحنيف، غاية في التسامح والتسامي برغائب النفس وميولها إلى المستوى الإنساني الكريم، ولكنه ـ كما يحلو لأعدائه أن يصفوه ـ في نظر أعدائه دين الهمجية والوحشية، ألا فليكتب التاريخ وليشهد العدول من الناس.

على أن العرب لم يكونوا يمثلون بالقتلى إلا عند الغيظ الشديد حبًّا للانتقام في مواقف معينة، مما دفع أبا سفيان إلى إعلان براءته مما فعل بالقتلى، فينادي: **إنه كان في قتلاكم مُثُل**، ويقسم: **والله ما رضيت وما سخطت وما نهيت وما أمرت**، أي أن موقفه كان سلبيًّا فيما حدث من تمثيل بالقتلى».

[دروس من غزوات الرسول ﷺ لأبي خوات ٥٧-٥٩].

ويقول ل/ فرج: «من أهم العلامات البارزة في موقعة أُحد أن المسلمين ـ وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ ـ قد ارتفعوا بأحداث الحرب إلى مستوى الإنسانية والرحمة، وهذه نقطة إشراق في تاريخ الإسلام،

فكيف تتحكم في الإنسان إنسانيته وسط السيوف؟ وكيف يستجيب المقاتِل إلى دواعي الرحمة حيث تُستباح النفوس؟

لقد جاء الإسلام ليضع دستورًا للحياة البشرية، ينظم أمورها ويقرر أحكامها، فإذا كانت الحرب في نظام الوجود الإنساني، فلابد أن تُهذَّب هذه الحرب، حتى لا تخرج عن حدود الإنسانية ولا تخلو من الرحمة، وإذا كان الباعث على الحرب هو الدفاع عن الحق والخير والفضيلة، فلابد من أن تلتزم الحرب بإنسانية الإنسان، وأن تكون رحيمة به، فلا تُنتهك الحرمات، ولا تُهتك الأعراض، ولا يُمَثَّل بالقتلى، ولا يُضار مجاهد في سبيل الله.

ولقد كانت كل مظاهر الإنسانية والرحمة رداء لكل فعل إسلامي في معركة أُحد، لقد قَتل المشركون حمزة بن عبد المطلب ﷺ عم الرسول ﷺ وحبيبه وأدنى قرابته إليه وسيد الشهداء وأسد الله، ولم يكتف أبو سفيان بقتله، بل عمد إلى جثمانه الطاهر فأخذ يضرب بالرمح في شدقه، ويقول: «**ذُقْ عُقَقُ**»، وأغضب هذا التصرف سيد الأحابيش فقال: «**هَذَا سَيِّدُ قُرَيْشٍ يَصْنَعُ بِابْنِ عَمِّهِ مَا تَرَوْنَ لَحًما؟**»، ولو كان حمزة ﷺ حيًّا ما استطاع أبو سفيان أن يقترب منه ولولَّى الأدبار إذ رآه، أي تصرف هذا الذي فعله أبو سفيان برجل مقتول؟ وأين هي الرحمة في قلبه؟ بل وأين هي إنسانيته؟

وها هي ذي هند بنت عتبة تأتي جثمان حمزة ﷺ، فتبقر بطنه وتُخرج كبده وتلوكها وتجدع أنفه وأذنيه وتجعل منها قلائد في عنقها، هل هذا هو منطق الرحمة؟ وهل هذه هي مرتبة الإنسانية لدى قريش؟

لقد اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا له: «**لَئِنْ أَظْفَرَنَا اللهُ تَعَالَى بِهِمْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ لَنُمَثِّلَنَّ بِهِمْ مُثْلَةً لَمْ يُمَثِّلْهَا أَحَدٌ مِنَ العَرَبِ**»، ويستجيب رسول الله ﷺ لمنطق العاطفة التي كانت تربطه بحمزة ﷺ، فيقول: «**لَئِنْ أَظْفَرَنِي اللهُ تَعَالَى بِقُرَيْشَ فِي مَوْطِنٍ مِنَ المَوَاطِنَ لَأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ مِنْهُمْ مَكَانَكَ**»، إلا أن الله ـ تبارك وتعالى ـ أبى أن يهبط المسلمون إلى مستوى أعدائهم، فيتعاملون مثلهم بروح لا إنسانية فيها، خالية من العطف والرحمة، فأنزل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [النحل]، فدعا رسول الله ﷺ أصحابه إلى العفو عن سوء ما فعل القوم والصبر على ما ارتكبوه ونهى عن المثلة: «**إِيَّاكُمْ وَالْمُثْلَةَ**». [**تاريخ الطبري ٥/ ١٤٨**].

قَتل أبو الحكم بن الأخنس بن شريق وهو من كفار قريش عبدَ الله بن جحش ﷺ بعد قتال عنيف، انقطع فيه سيف عبد الله ﷺ، فلما تمكن منه مَثَّل به، ولما رأى أبو قتادة الأنصاري ﷺ انتشار المُثلة بالمسلمين، أراد أن يُمَثِّل بقتلى قريش، فقال له رسول الله ﷺ: «**يَا أَبَا قَتَادَةَ، إِنَّ قُرَيْشًا أَهْلُ أَمَانَةٍ، مَنْ**

بَغَاهُمُ العَوَاثِرَ كَبَّهُ اللهُ لِفِيهِ، وَعَسَى إِنْ طَالَتْ بِكَ مُدَّةٌ أَنْ تَحْقِرَ عَمَلَكَ مَعَ أَعْمَالِهِمْ، وَفَعَالَكَ مَعَ فَعَالِهِمْ، لَوْلَا أَنْ تَبْطَرَ قُرَيْشٌ لَأَخْبَرْتُهَا بِمَا لَهَا عِنْدَ الله»، قَالَ أَبُو قَتَادَةَ ﷺ: **وَالله يَا رَسُولَ الله! مَا غَضِبْتُ إِلَّا لله وَلِرَسُولِهِ حِينَ نَالُوا مِنْهُ مَا نَالُوا**، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**صَدَقْتَ، بِئْسَ القَوْمُ كَانُوا لِنَبِيِّهِمْ**».

[المغازي للواقدي ١/ ٢٩٠-٢٩١، وسبل الهدى والرشاد للصالحي ٤/ ٢٣٠].

والتعرض للنساء خلال القتال أمر لا يتفق مع الإنسانية والرحمة، فالمرأة لم تُخلق لقتال ولا تتحمل طبيعتها المبارزة والنزال، ولا تملك قدرة على المحاورة والمناورة، وهى حين خرجت مع الخارجين إنما خرجت لتحمس ولتثير الحمية ولتدفع الرجال إلى غمار المعركة بقوة، ولتقدم العون التمويني للمقاتلين؛ ولهذا لا يجوز أن تتعرض لهجوم الرجال وأن تكون هدفًا لسيوفهم.

ولكن كفار قريش كان الكفر قد أعمى بصيرتهم، وحجر قلوبهم، وأنساهم إنسانية الإنسان ونزع منهم الرحمة، فلم يفرقوا بين رجل يملك القدرة وامرأة لا تملكها، وجعل الرجل منهم نفسه صنوًا للمرأة يقاتلها ويقتلها، فها هو ذا **ابن قمئة** يلتقي **بأم عمارة** فيضربها بسيفه ويصيبها بجرح أجوف له غور، بينما يحتمي هو داخل درعين، فلا تملك أن تصيبه لترد عن نفسها عدوانه، وها هو ذا **حبان بن العرقة** يلقى **أم أيمن** أثناء القتال، وكانت تسقي الجرحى، فرماها بسهم وأصابها، فوقعت على الأرض وانكشفت عورتها، فضحك وأغرق في الضحك، وشق ذلك على رسول الله ﷺ فدفع إلى سعد ﷺ سهمًا وقال له: «**ارْمِهِ بِهِ**»، فوقع السهم في نحره فوقع مستلقيًا وبدت عورته، فضحك رسول الله ﷺ وقال: «**اسْتَقَادَ لَهَا سَعْدٌ**».

وفارق كبير بين الصورتين، بين رجل يعبث بكرامة امرأة ويكشف عورتها، وبين رجل ينتقم لها، ولكن انتقامه من رجل مثله.

وإذا كان هذا هو تصرف كفار قريش فكيف كان تصرف المسلمين؟

ها هو ذا أبو دجانة ﷺ حَمَلَ بالسيف على رجل، ثم اكتشف أنه امرأة فرفض أن يطعنها وقال في ذلك: «رَأَيْتُ إِنْسَانًا يَخْمُشُ النَّاسَ خَمْشًا شَدِيدًا (أي يحرضهم على القتال)، فَصَمَدْتُ لَهُ فَلَـمَّا حَمَلتُ عَلَيْهِ السَّيْفَ وَلوَلَ (أي صاح فزعًا)، فَإِذَا امْرَأَةٌ، فَأَكْرَمْتُ سَيْفَ رَسُولِ الله ﷺ أَنْ أَضْرِبَ بِهِ امْرَأَةً»، وكانت هذه المرأة هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان.

ولم يكن مقتل أبي عزة الجمحي خروجًا على القاعدة الإنسانية أو مبادئ الرحمة التي أرساها الإسلام، فالثابت تاريخيًّا أن أبا عزة وقع أسيرًا في يد المسلمين يوم بدر، وطلب من رسول الله ﷺ أن يَمُنَّ عليه من أجل بناتِه، فمَنَّ عليه رسول الله ﷺ، وكان هذا دليل رحمة به وبأولاده، وكان قد عاهد ألا يُحرض على المسلمين، ولكنه حين رأى قريشًا تتجهز للخروج إلى أُحد، سار بين القبائل يُحرضها

على الخروج ويثيرها على الرسول ﷺ؛ ولهذا رأى رسول الله ﷺ ألا يَمن عليه حين وقع في الأسر مرة ثانية قائلًا: «**وَالله لَا تَمْسَحُ عَارِضَيْكَ بِمَكَّةَ بَعْدَهَا، وَتَقُول: خَدَعْتُ مُحَمَّدًا مَرَّتَيْنِ**».

وقد رفض رسول الله ﷺ أن يأذن لأصحابه بقتل **مربع بن قيظي** الذي أخذ حفنة من تراب وقال له: **وَالله لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي لَا أُصِيبُ بِهَا غَيْرَكَ يَا مُحَمَّدُ لَضَرَبْتُ بِهَا وَجْهَكَ.**

فَابْتَدَرَهُ القَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تَقْتُلُوهُ، فَهَذَا الأَعْمَى أَعْمَى القَلبِ، أَعْمَى البَصَرِ**».

وهكذا التزم المسلمون وهم جند الرحمن دعاة دينه وحملة رسالته وحماة دينه، بالخلق الإسلامي الرفيع، وبالرحمة التي دعا إليها الإسلام، وبالتعامل مع الأعداء تعاملًا إنسانيًّا، لا يهبط إلى مستوى تعاملهم الحيواني البربري الرخيص». [**العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ لفرج ٢٥٦-٢٥٨**].

٧ ـ إرساء أصول العدالة:

يقول د/ فيض الله: «رأينا كيف أن النبي ﷺ بعد أن انقضت المعركة، اتجه إلى مصارع الشهداء الذين قُتلوا في سبيل الله، يواسي فيهم نفسه، وأصحابه، ويفرغ في ضمائرهم التسليم لأمر الله، والرضا بقضائه، والصبر على بلائه.

فماذا قال ﷺ حيال مشهد عمه حمزة ﷺ، وهو مبقور البطن، مَلوك الكبد، مجدوع الأنف، مصلوم الأذن؟!

قال ابن حجر: وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاق قَالَ: «حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن جَعْفَر بْن الزُّبَيْر قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ يَلتَمِسُ حَمْزَةَ ﷺ، فَوَجَدَهُ بِبَطْنِ الوَادِي قَدْ مُثِّلَ بِهِ، فَقَالَ: «**لَوْلَا أَنْ تَحْزَنَ صَفِيَّةُ ـ يَعْنِي بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ـ وَتَكُونَ سُنَّةً بَعْدِي لَتَرَكْتُهُ حَتَّى يُحْشَرَ مِنْ بُطُونِ السِّبَاعِ وَحَوَاصِلِ الطَّيْرِ**»، زَادَ ابْن هِشَام قَالَ: وَقَالَ: «**لَنْ أُصَابَ بِمِثْلِك أَبَدًا، مَا وَقَفْتُ مَوْقِفًا قَطُّ أَغْيَظَ إِلَيَّ مِنْ هَذَا**»، وَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ المطَّلِبِ مَكْتُوبٌ فِي أَهْلِ السَّمَوَاتِ السَّبْعُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المطَّلِب، أَسَدُ الله وَأَسَدُ رَسُولِهِ**».

وَرَوَى البَزَّارُ وَالطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ فِيهِ ضَعْفٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَـمَّا رَأَى حَمْزَةَ قَدْ مُثِّلَ بِهِ قَالَ: «**رَحْمَةُ الله عَلَيْكَ، لَقَدْ كُنْتَ وَصُولًا لِلرَّحِمِ، فَعُولًا لِلخَيْرِ، وَلَوْلَا حُزْنُ مَنْ بَعْدِكَ لَسَرَّنِي أَنْ أَدَعَكَ حَتَّى تُحْشَرَ مِنْ أَجْوَافٍ شَتَّى**»، ثُمَّ حَلَفَ وَهُوَ بِمَكَانِهِ «**لَأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ مِنْهُمْ**»، فَنَزَلَ القُرْآنُ: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ﴾ الآيَة».

وَعِنْدَ عَبْدِ الله بْنِ أَحْمَد فِي زِيَادَاتِ الْمُسْنَدِ وَالطَّبَرَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ قَالَ: مَثَّلَ الْمُشْرِكُونَ بِقَتْلَى الـمُسْلِمِينَ، فَقَالَ الأَنْصَارُ: «**لَئِنْ أَصَبْنَا مِنْهُمْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ لَنَزِيدَنَّ عَلَيْهِمْ**»، فَلَـمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ نَادَى رَجُلٌ: **لَا قُرَيْشَ بَعْدَ اليَوْمِ**، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ﴾ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كُفُّوا عَنْ القَوْمِ**».

وَعِنْدَ اِبْن مَرْدُوَيْهِ مِنْ طَرِيقِ مُقْسِمٍ عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما نَحْوُ حَدِيث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه بِاخْتِصَارٍ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ «فَقَالَ: **بَلْ نَصْبِر يَا رَبِّ**». وَهَذِهِ طُرُق يُقَوِّي بَعْضهَا بَعْضًا». [فتح الباري ٧/ ٤٣٠].

النفس البشرية قد تخضع في بعض أوقاتها للعاطفة، والموقف فظيع، والممثَّل به عزيز غالٍ مكين، ويد الإثم تفتك بأطهر الأصحاب، وأفضل الأرحام والأعمام، لكن ذلك كله لا يغير من المبدأ الراسخ في الإسلام، ولا من الحقيقة المقررة في شرع الله، وهي المماثلة في العقاب، وحظر التجاوز، بل التوجيه إلى التغاضي عن جرائم الآخرين، والتذرع بالصبر، والتحلي بالعفو، والترفع عن مطالب النفس، والارتفاع إلى مرضاة رب العالمين: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾[النحل].

إن مبدأ المعاقبة بالمثل، يرفع الظلم، ويُرسِي أصول العدل، حيث تستشرف النفس البشرية للانتقام، وعلى التخصيص في الحروب، وجرائم الدمار والأرواح، لكن الشريعة جاءت لصيانة النفس، وهذا من مقاصدها الأُولى، التي استهدفت بها مصالح الناس؛ لذلك قطعت كل الوسائل التي من شأنها أن تزعزع هذا المبدأ، أو تهزه، أو تقلِّل من سلطانه، حتى بالنسبة إلى أعداء الدين من الكفرة والمشركين، فمثل هؤلاء يجب إنصافُهم إذا ظلموا، وذلك بالمعاملة بالمثل، والظالم لا يُظلم بسبب ظلمه، ولكن يُنتَصَف منه بالحق والعدل.

إنَّ هذه المبادئ التي يطبقها الإسلام تطبيقًا سليمًا، حتى في أحلك الظروف، وأسوأ الأحوال، تُزيد ـ بطبيعتها ـ المؤمنَ إيمانًا، وتُزيل شكوك الكافر، وتُخضِعُه للرضا بحكمه، إنها تجر الكافرين إلى الإسلام تلقائيًّا، دون أن يشعروا بانجذابهم نحوه، إنها هي التي تقرر حتمية النصر في المعارك المصيرية للإسلام، إنها تجعل الإسلام ـ كما هو في الواقع ـ فوق مستوى الشبهات والأهواء والمطامع.

إن الإسلام لا يأمر بالمعاقبة بالمثل، وينهى عن الاعتداء فحسب، بل يأمر مع ذلك، وفي الوقت نفسه، بالتجرد لله، والاحتساب بالصبر ابتغاء الخير عنده؛ لأنه يُقدِّر ما في هذا المخلوق من تَسلُّط الضعف النفسي أحيانًا، فيرده إلى الحق المقرر، ويرتفع به إلى مراقي الصعود، ومراتب الآفاق، وعوالم الأشواق، حيث تموت حظوظ النفس، ويعده إعدادًا خاصًّا، لمركزه المرموق في جنة النعيم: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل]، ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى:٤٠]، ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾[الشورى]». [صور وعبر لفيض الله ١٢٧-١٢٨].

ويقول أ/ خالد: «ولكن الله ﷻ الذي أكرم حمزة رضي الله عنه بالشهادة، يكرِّمه مرة أخرى بأن يجعل من مصرعه فرصة لدرس عظيم يحمي العدالة إلى الأبد، ويجعل الرحمة حتى في العقوبة والقصاص واجبًا وفرضًا.

وهكذا لم يكد الرسول ﷺ يفرغ من إلقاء وعيده السالف حتى جاءه الوحي وهو في مكانه لم يبرحه بهذه الآية الكريمة، فعفا رسول الله ﷺ، وصبر ونهى عن المُثلة.

وكان نزول هذه الآيات، في هذا الموطن، خير تكريم لحمزة ﷺ الذي وقع أجره على الله.

كان رسول الله ﷺ يحبه أعظم الحب، فهو كما ذكرنا من قبل لم يكن عمَّه الحبيب فحسب، بل كان أخاه من الرضاعة، وتِرْبه في الطفولة، وصديق العمر كله». [رجال حول الرسول ﷺ لخالد ١٧٣-١٧٤].

٨ ـ الإسلام يُهذِّب الأخلاق، ويستأصل الأحقاد:

يقول د/ فيض الله: «رأينا كيف مثَّلت قريش بقتلى المسلمين، وكيف دفعها الحقد الدفين إلى ارتكاب ألوان من التمثيل بهم، تَتقزَّز منها النفوس، وتقشعِرُّ لها الأبدان: فَفَقَأت الأعين، وجَدَعَت الأُنوف، وصَلمت الآذان، وبقرت البطون، وأفرطت هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان في التشفِّي وإرواء الحقد، فاتخذت عقدًا لها من الآذان والأنوف، ولم تكتفِ بذلك، بل أهوت على جثمان حمزة ﷺ، فبَقَرَت بطنه، وسحبت كبده، فقَضَمَتها ومضَغَتها، ثم لَفِظَتها لـمَّا لم تَستَسِغْها.

وكَمَّل زوجها أبو سفيان، زعيم قريش وقتئذ، وقائد الحملة، فشَقَّ برمحه شدق رحمه حمزة ﷺ، وهو يقول: «**ذُقْ عُقَقُ**».

هذه صور من أخلاق قريش قبل الإسلام، وإلى هؤلاء ومن هؤلاء بُعثَ الرسول ﷺ ليُقَوِّم هذه الأخلاق، ويذيب هذه الأحقاد، ويزرع محلها الأخوة، والتضحية والبذل، والإيثار، واستطاعت دعوة محمد ﷺ أن تستأصل الكثير السيِّء من هذه الرواسب الجاهلية، وأن تستبدله بحميد الخصال، وجميل الآداب، ومحاسن الأخلاق ومكارمها، ومن هؤلاء أخرجت الدعوة الإسلامية خيرَ أمة أُخرِجت للناس: في الأخلاق، والسلوك، والعقيدة، والتزام الإحسان في كل شيء.

فما أعظم فضل الإسلام على العرب والإنسانية؟ وماذا عسى أن يكتب التاريخ عن العرب، وهذه صور من فظائعهم وخصالهم، لو لم يشرق الإسلام في ربوعهم، ولو لم يُصقِل نفوسَهم، ويطهر قلوبهم من عفن الشرك، ولوث الكفر؟

لقد تأخر إسلام أبي سفيان هذا، وإسلام زوجته، واستمرت مقاومتها للإسلام، كما تأخَّر إسلام وحشيٍّ قاتل حمزة ﷺ، حتى كان الفتح، فدخلوا في الإسلام، وجاهدوا مع المسلمين، واصطبغوا بصبغة الإسلام، أدبِه وخُلقِه.

فوحشي شارك بعد إسلامه في حروب الردة، وفي حرب اليرموك.

وأبو سفيان أسلم عام الفتح، وحارب مع المسلمين، فشهد حُنَينًا والطائف، وفُقِئَت فيها عينه.

وهند بنت عتبة أسلمت أيضًا يوم الفتح، وبايعت النبي ﷺ فيمن بايعه من النسوة، وكسرت صنمها بالقدوم، وحسن إسلامها ـ كما يقول رواة الحديث ـ وشكت زوجها إلى النبي ﷺ وهي منتقبة.

حتى هؤلاء الذين اقترفوا أبشع أنواع التمثيل بشهداء المسلمين، بسط لهم الإسلام جناحيه، فدخلوا فيه عن قناعة ويقين، وحسن إسلامهم، واستقاموا على طريقته، وتخلقوا بأخلاقه».

[صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة لفيض الله ١٢٨-١٣٠].

٩ ـ العفو عند المقدرة:

يقول أ/ عبَّاد: «ما أعظمها تربية وما أحلاه توجيهًا من الله لأمة الإسلام وبخاصة الدعاة منهم، فحملُ الدعوة ونشرها بين الناس بالحكمة والموعظة الحسنة وبالجدل بالتي هي أحسن، بلا تحامل على المخالف، ولا ترذيل له، ولا تقبيح ـ سيعرضهم بطبيعة الحال للاعتداء من قِبَل أصحاب المصالح والأحقاد، إما بالقتل أو الضرب أو السب، فإذا وقع هذا الاعتداء عليهم فإن الموقف سوف يتغير؛ لأن الاعتداء عمل مادي يُدفع بمثله، إعزازًا لكرامة الحق الذي تحمله الأمة ودفعًا للباطل، على ألا يتجاوز الرد على الاعتداء حدود المثل دون زيادة كتمثيل أو تقطيع؛ لأن الزيادة ظلم، والظلم لا يحبه الله ولا يرضى به؛ ولأن الإسلام دين العدل والاعتدال، ودين السلم، وإنما يدفع عن نفسه البغي والظلم ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النحل: ١٢٦]، وبهذا القصاص العادل لا تهون الدعوة في نفوس معتنقيها؛ لأن الدعوة المهينة لا يثق أحد أنها دعوة الله، والمؤمنون بالله الذين يريدون قيادة البشرية لا يرضون الضيم، ولابد من تأديب أولئك السفهاء، وإلا ما استطاعوا إقامة الحق في الأرض وتحقيق العدل بين الناس، ومع أن الله يوجههم ويقرر لهم قاعدة القصاص بالمثل فإنه سبحانه يدعوهم إلى العفو والصفح: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ١٢٦﴾ [النحل]، فما أعظم التوجيه بأن يكونوا قادرين على دفع الشر ووقف العدوان مع حب العفو والصفح، ففي الحالات التي قد يكون العفو فيها والصبر أعمق أثرًا أو أكثر فائدة للدعوة، فأشخاصهم ـ ساعتها ـ لا وزن لها إذا كانت مصلحة الدعوة تؤثر العفو والصدق، أما إذا كان العفو والصبر يهينان دعوة الله ويرخصانها فقاعدة القصاص هي الأولى.

وقد عدل النبي ﷺ عن عزمه على التمثيل بقتلى العدو بعد نزول هذه الآية، ثم عفا وصبر، بل ونهى عن المثلة أيًّا كانت وفي أي مكان». [مفاهيم تربوية من غزوة أحد لعبَّاد ١٥٤-١٥٥].

١٠ ـ لا يُلدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ:

يقول د/ فيض الله: «لـمَّا انصرف المسلمون من حمراء الأسد، أسروا في طريقهم أبا عزة عمرو بن عبد الله الجمحي، الشاعر، وكان ممن أُسر يوم بدر من المشركين، واستغاث بالنبي ليمنَّ عليه، من أجل بناته، فمنَّ عليه بلا فدية، وشرط عليه أن لا يقاتله إذا قاتله المشركون، فوعده بذلك.

لكن نكث عهده، وقاتل مع المشركين يوم أحد، فلما أُسر وجيء به إلى النبي ﷺ قال يا محمد: امنن عليَّ لبناتي، وأعاهدك أن لا أقاتلك، فقال النبي ﷺ : «**وَاللهِ لَا تَمْسَحْ عَارِضَيْكَ** (تثنية عارض، وهو

صفحة الخد) **بِمَكَّةَ بَعْدَهَا، وَتَقُولُ: خَدَعْتَ مُحَمَّدًا مَرَّتَيْنِ، لَا يُلْدَغُ** (ما يكون من ذوات السموم) **الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ**» [الجزء الأخير صحيح: (حم خ م د هـ) عن أبي هريرة ﷺ ـ صحيح الجامع الصغير: ٧٧٧٩].

ثم أُمر به فضُربت عنقه.

وتقرر هذه الحادثة الجزئية مبدأين هامين:

١ـ أن الإسلام في طبيعته السماحة، وحب العفو، والرفق بالآخرين، وعلى التخصيص المستضعفين من الناس، كالبنات والصغار ومَنْ إليهم، وظهر ذلك جليًا في هذه الحادثة، عندما أطلق النبي ﷺ أبا عزة هذا، ومَنَّ عليه بلا فداء بعد أسره، وذلك من أجل بناته الصغيرات، وفي هذا الاستثناء، لهذا المعنى، من حكم فداء الأسرى بمقابل مال جَمٍّ يُدفع عن كل فرد، من الدلالة على سماحة الإسلام، وأخذه أحوال الضعفاء بعين الاعتبار، شيء كثير، فإذا ضُمَّ إليه أن المسلمين وقتئذ كانوا في فقر وفاقة، وحاجة ملحة ـ كما رأينا في خروجهم جياعًا عراةً حفاةً إلى بدر ـ كانت الدلالة على سماحة الإسلام، وإيثاره العفو، والصفح الجميل أكثر.

٢ـ أن للعفو أبعادًا محدودةً، وفواصل مُقَدَّرَة، إذا تُجُووِزَتْ، أدت إلى مضمون مضاد، ومعنى غير حميد في مجالات السياسة والإدارة، كالغباء والخديعة، والغفلة والبساطة؛ والمؤمن في معزل عنها، فضلًا عن صاحب الرسالة، النبي الأعظم ﷺ.

لهذا لما منَّ عليه أولًا إِثْر بدر، كان متسقًا مع المبدأ الأول، في غاية الاتساق؛ فلما نكث بعهده، وظاهَرَ المشركين على المسلمين في أُحُد، وأُسر بعد حمراء الأسد، لم يكن في المقدور أن يعفو عنه أو يَمُنَّ عليه؛ فتكرار الأذى، ونقض العهد، يدل على خُبث في الباطن، وفساد في الجبلة، كما سيُستغل في التبجح بخديعة المسلمين، والاتجار بها في محافل أهل الشرك، فكان الاعتذار عن المن بلا فداء ـ رغم وجود البنات الصغيرات ـ؛ لأن سُمعة الإسلام، ومصلحة الدعوة العامة، تَرْبُو رعاية الصغار، وتعهد البنات، وكان توجيه الاعتذار بهذه الحكمة النبوية الأصيلة: «**لا يُلدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ**» دعمًا لموقف النبوة، الذي تتمثل به العزيمة الماضية، والتربية الصارمة، والشدة في موضعها المناسب؛ كما يتمثل فيه العقاب على النكث بالعهود، كيلا تكون نهبة أهل اللعب والعبث من قليلي المروءة؛ ويتمثل فيه أيضًا الحفاظ على مستوى الإسلام الرفيع، بعيدًا عن الشغب والدس بالمكر والخديعة.

وقد ذهبت هذه الحكمة النبوية العظيمة مثلًا عربيًّا سائرًا سائغًا، وتناولتها كتب الحديث بالشرح والتعليق، وتناقلها المحدثون والرواة والكاتبون، وتُعتبر من جوامع الكلم النبوية.

وتفيدنا في هذا المقام أن المؤمن ينبغي أن يكون يقظًا فَطِنًا، فهو لا يعود إلى معصية أو ذنب بعد أن يقارفه، ولا ينبغي أن ينخدع بكلام الغادرين المتمردين مرةً بعد أخرى، وإذا اقتضى المقام العفو والحلم، فإن للغضب لله مقامًا يأبى التحلم والعفو؛ وفي هذا المعنى يقول النابغة:

وَلا خَيْرَ فِي حُلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرا

[صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة لفيض الله ١٥٩-١٦١].

ويقول أبو الطيب المتنبي:

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الكَرِيْمَ مَلَكْتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا

وَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالعُلا مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

ويقول الآخر:

وَالعَفْوُ عِنْدَ لَئِيمِ الطَّبْعِ مَفْسَدَةٌ تُطْغِي، وَلَكِنَّهُ عِنْدَ الكَرِيْمِ يَدَا

[موارد الظمآن لدروس الزمان للسلمان ٤/ ٢١٧].

١١ ـ الاستهانة بكل تضحية في سبيل العقيدة:

يقول أ/ خلف الله: «لا أدل على درجة الروح المعنوية عند قوم من دراسة نفسيتهم عقب المعركة: فإن سمعنا الولولة واللطم والدعاء بالويل والثبور والجزع على القتلى: فالروح المعنوية ضعيفة، وضعفها جاء من عدم الإيمان بالمبدأ الذي يقاتل القوم عليه، أما إذا صبر كلٌّ على ما أصابه فلم يجزع ولم يستسلم لآلام الحزن وفقد الأحباب والأصحاب فهذا دليل على قوة الروح المعنوية، ودليل على أن القوم يستهينون بكل تضحية في سبيل العقيدة التي يؤمنون بها ويدافعون عنها ويقاتلون عليها، وللروح المعنوية درجات تختلف باختلاف الإيمان وهي تتناسب معه تناسبًا طرديًّا، فتقوى إذا كان قويًّا وتضعف إن كان ضعيفًا، وتصل الروح المعنوية إلى درجة من القوة تجعل الشخص لا يشعر بما أصابه ولا بما أصاب أعز الناس لديه، بل قد يشعر بالألم يحز في نفسه ـ أكثر من مصابه ـ على أمور فاتته كان يجب عليه أن يفعلها ليكون أداؤه لواجبه على وجه أتم وأكمل مما قام به، وهذا كان شعور المسلمين الذين ثبتوا أولم يثبتوا في غزوة أُحد، بل وفي كل غزوة، ونعرض هنا صورًا مختلفة لهذه الروح العالية:

قبل أن يتمكن المسلمون من التعرف على الشهداء، بعث رسول الله ﷺ يبحث عن سَعْدِ بْنِ الرَّبِيع ﷺ، قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ﷺ: بَعَثَنِي رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ أَطْلُبُ سَعْدَ بْنَ الرَّبِيع، فَقَالَ لِي: «**إِنْ رَأَيْتَهُ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ رَسُولُ الله: كَيْفَ تَجِدُكَ؟**»، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَطُوفُ بَيْنَ القَتْلَى، فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ بِآخِرِ رَمَقٍ، وَفِيهِ سَبْعُونَ ضَرْبَةً، مَا بَيْنَ طَعْنَةٍ بِرُمْحٍ، وَضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ، وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ، فَقُلْتُ: **يَا سَعْدُ إِنَّ**

رَسُولَ الله ﷺ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَك: أَخْبِرْنِي كَيْفَ تَجِدُكَ؟ فَقَالَ: **وَعَلَى رَسُولِ الله ﷺ السَّلَامُ، قُلْ لَهُ: يَا رَسُولَ الله أَجِدُ رِيحَ الجَنَّةِ، وَقُلْ لِقَوْمِيَ الأَنْصَارِ: لَا عُذْرَ لَكُمْ عِنْدَ الله إِنْ خُلِصَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَفِيكُمْ عَيْنٌ تَطْرِفُ**، وَفَاضَتْ نَفْسُهُ مِنْ وَقْتِهِ. [زاد المعاد لابن القيم ٣/ ١٩٠-١٩١].

بهذه الروح العالية ـ التي لا توجد إلا عند ذوي النفوس الصافية القوية المفعمة إيمانًا ـ استقبل سعد بن الربيع ﷺ الموت، وهو يوصي أهله ولا يبكي على نفسه، بل يحث قومه على التفاني في نصرة رسول الله ﷺ.

«وَمَرَّ **مَالِكُ بْنُ الدُّخْشُم** ﷺ عَلَى **خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ** ﷺ، وَهُوَ قَاعِدٌ فِي حَشْوَتِهِ بِهِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ جُرْحًا، كُلُّهَا قَدْ خَلَصَتْ إِلَى مَقْتَلٍ، فَقَالَ: **أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ؟** قَالَ خَارِجَةُ ﷺ: **فَإِنْ كَانَ قَدْ قُتِلَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، فَقَدْ بَلَّغَ مُحَمَّدٌ، فَقَاتِلْ عَنْ دِينِكَ**». [المغازي للواقدي ١/ ٢٨٠].

لقد كان **ابْنُ الدُّخْشُمِ** ﷺ المهاجري مذهولًا، ونسي أنه يسأل رجلًا يحتضر، ولكنه يريد أن يتحقق من الخبر بأي وجه.

وإن هذا الأنصاري الجليل وهو على وشك مفارقة الحياة ينصح المهاجري بالطريقة المثلى التي يجب اتباعها، وبترك الجزع في ذلك الموقف.

وفي قصة زوجة عمرو بن الجموح ﷺ ما يجعلنا نلمس الروح العالية التي تجيش بها نفس هذه الصحابية الجليلة: لم تولول، ولم تفقد صوابها، بل شاهدناها ثابتة في حديثها متزنة في كلامها، وما ذلك إلا لأن إيمانها أكبر بكثير من مصابها». [غزوة أُحد لخلف الله ١٠٠-١٠٢].

١٢ ـ بيان مكانة الزوج عند زوجه:

يظهر هذا في موقف حمنة بنت جحش ﷺ، حين نعى لها الناس أخاها عبد الله بن جحش ﷺ، فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعي لها خالها حمزة بن عبد المطلب ﷺ، فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعي لها زوجها مصعب بن عمير ﷺ، فصاحت وولولت، فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ زَوْجَ المَرْأَةِ مِنْهَا لَبِمَكَانٍ**»، لما رأى من صبرها عند أخيها وخالها، وصياحها على زوجها. [غزوة أحد لبامدحج ٢٣٦].

١٣ ـ هول المُصاب لا يطغَى على الحق ولا يُنسِي الأدب:

يقول د/ فيض الله: «كثر الشهداء في أُحد، وبلغوا السبعين، وكان من هدي الإسلام أن يَلَفَّ الشهداء بثيابهم الدامية، دون أن يُغَسَّلوا، ويُدفَنوا حيث قُتِلوا، ودون أن يُنقَلوا إلى مقابر ذويهم في بلدهم.

عَنْ جَابِرِ بنِ عبدِ الله ﷺ قَالَ: لَـمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ جَاءَتْ عَمَّتِي بِأَبِي لِتَدْفِنَهُ فِي مَقَابِرِنَا، فَنَادَى مُنَادِي رَسُولِ الله ﷺ: «**رُدُّوا القَتْلَى إِلَى مَضَاجِعِهِمْ**». [الترمذي في الجهاد (١٧١٧)، وقال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وصححه الشيخ الألباني، وأحمد عن جابر ﷺ (١٣٧٥٥)، ولفظه: «أَنَّ قَتْلَى أُحُدٍ حُمِلُوا مِنْ مَكَانِهِمْ، فَنَادَى مُنَادِي رَسُولِ الله ﷺ أَنْ رُدُّوا القَتْلَى إِلَى مَضَاجِعِهَا»].

أي ادفنوهم في مصارعهم ولا تنقلوهم.

وتشير الروايات الصحيحة إلى أن رسول الله ﷺ أشرف بنفسه على دفن الشهداء، وكان يَجْمَع ـ للكثرة ورفع الحرج ـ بين الشهيدين في قبر واحد، وكان يراعي في اللحد تقديم الأقرأ لكتاب الله، والأكثر حفظًا وتحصيلًا، فيقدمه في اللحد، ثم يُتبَعِه بصاحبه الشهيد الذي هو دونه في ذلك، ثم يقول بعد أن يواريهم في أجداثهم: «**أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ**». [البخاري في الجنائز (١٣٤٣)].

وقَالَ ﷺ: «**مَا مِنْ مَجْرُوحٍ يُجْرَحُ فِي سَبِيلِ الله ـ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجْرَحُ فِي سَبِيلِهِ ـ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَجُرْحُهُ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ جُرِحَ، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ**».

[ابن ماجه في الجهاد (٢٧٩٥)، وصححه الشيخ الألباني، والدارمي في الجهاد (٢٤٠٦)، ولفظ البخاري: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ الله ـ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ ـ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ المِسْكِ» كتاب الجهاد والسير باب من يجرح في سبيل الله ﷻ رقم ٢٨٠٣].

فانظر إلى أدب الإسلام في دفن الشهداء، ورعاية حقوقهم، وتكريمهم في مُواراة أجسادهم، وإكبارهم واحترامهم، وإعلام إخوانهم الأحياء بمقامهم ومنازلهم في القيامة، وأحوال الحشر، وأهوال يوم الفزع الأكبر.

وقد يكون من الميسور ملاحظة ذلك في عواقب النصر، والغزوات الموفقة، أما في إثر أُحد، والهزيمة الشنيعة التي مُنِيَ بها المسلمون، فقد يبدو ذلك من الأمور الهينة، التي يمكن التغاضي عنها في تلك الظروف.

لكن الإسلام، لا يُغْفِل حقوق الإنسان، ولا يقصر في واجب تكريمه في كل حال، والحق حق في كل ظرف، والأدب لا يكون أدبًا إلا إذا اطرد واستمر.

وأبرز ما يكون الأدب، حِيَال حَمَلَة القرآن، الآخذين بذكره في البكور والآصال، المتعلقين به في سائر الأحوال، تلاوةً وعملًا والتزامًا.

والأدب الإسلامي بصددهم، أنهم حينما يُدفَنون مَثنَى في قبورهم، يقدم الأقرأ في اللحد، تكريمًا لحَمَلَة الكتاب، وتطويقهم وتجميلهم به، كما يقدم الأقرأ في إمامة الصلاة، والإمامة العامة.

يا الله! لا الحروب ولا الأهوال، ولا الكوارث المدلهمة، ولا الأحداث العصيبة، تعذر أو تغني عن التمسك بالآداب الإسلامية، وعلى التخصيص ما يتصل منها بتكريم الآخرين من الناس، ولو كانوا في عِدَاد الأموات، كلما كان تطبيق الأدب ممكنًا في ذاته.

إن في ذلك لدرسًا بليغًا، يُعلِّم الناس مبلغ حرص الإسلام على تكريم الناس وتوفية حقوقهم، وإنه لدرس يُشْعِر الأحياءَ بكرامة الأموات ـ وعلى التخصيص الشهداء ـ عند ربهم، وإنه لدرس عظيم يُنَبِّئ بأن هذه الحياة لا تنتهي بالموت، بل تبدأ في إثرها حياة برزخية خاصة، يستشعر فيها الميت بضرب من

النعيم أو العذاب، والتكريم أو الإذلال، فليكن من أول ما يستشعر به في مثواه الأخير، تكريمه فيه بحمله القرآن». [صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة لفيض الله ١٣٣-١٣٥].

١٤ ـ بيان ميزان التفاضل بين الناس:

يقول د/ الزيد: «كان رسول الله ﷺ عند دفن الشهداء يُقَدِّمُ في القبر أكثرهم أخذًا للقرآن، وهذا يدلنا على أمور:

١ ـ عظمة هذا القرآن الكريم ورِفعة وشرف حامله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴿٣٠﴾ ﴾[فاطر].

قال ابن كثير: «أي يرجون ثوابًا عند الله لا بد من حصوله، كما قدمنا في أول التفسير عند فضائل القرآن أنه يقول لصاحبه: إن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓ ﴾، أي ليوفيهم ثواب ما عملوه ويضاعفه لهم بزيادات لم تخطر لهم ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٞ ﴾ أي لذنوبهم، ﴿شَكُورٞ ﴾ للقليل من أعمالهم، قال قتادة: كان مطرف رحمه الله إذا قرأ هذه الآية يقول: هذه آية القُرَّاء». [تفسير ابن كثير ٣/ ٥٥٤].

٢ ـ إن ميزان التفاضل بين المسلمين هو التمسك بالإسلام، فأفضلهم أكثرهم تمسكًا بالإسلام، وفي مقدمة ذلك المحافظة على كتاب الله ﷻ، وليس ميزان التفاضل قَبَليًّا أو ماليًّا أو وظيفيًّا، وإنما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾[الحُجُرات: ١٣]، فالتُّقى هو ميزان التفاضل، يقول الشيخ السعدي رحمه الله: «فأكرمهم عند الله أتقاهم، وهو أكثرهم طاعة وانكفافًا عن المعاصي، لا أكثرهم قرابة وقومًا، ولا أشرفهم نسبًا». [تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ السعدي ٥/ ٧٤].

٣ ـ من حكمة الله ﷻ أن جَعَلَ التفاضل بين الناس في أمور كسبية للإنسان لا قهرية، فالشعوب والقبائل ونحوها للتعارف ﴿ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ [الحُجُرات: ١٣]، أما التفاضل المعتبر بين الناس فهو بالتُّقى والصلاح وطاعة الله ﷻ، وهو أمر كسبي، ومثل هذا قوله ﷺ: «**لا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ**». [البخاري في فرض الخمس (٣٠٩٣) ومواضع أخرى، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٥٧)].

وقوله ﷺ: «**وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ**». [أبو داود في العلم (٣٠٩٦)، وقال الشيخ الألباني: صحيح].

ومعنى الحديثين ـ والله أعلم: نحن لا نُورَثُ بالانتساب ولكننا نُورَثُ بالاكتساب، فالتأسي بالنبي ﷺ لا يسبق إليه ذو النسب، وإنما يكون بفعل السبب بطلب العلم والعمل، وقد قال ﷺ في بقية الحديث: «**وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا العِلمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**».

فهم لم يورثوا لقرابتهم شيئًا، وإنما تركوا العلم يتنافس الناس فيه، وبطلبه وبالعمل به يتفاضلون». [فقه السيرة للزيد ٤٥٦-٤٥٨].

١٥ ـ التحلي بخلق الصبر:

يقول د/ أبو فارس: «إن عقيدة الإسلام التي تتركز في الإيمان بالله ﷻ والرضا بما قدره سبحانه، تسكب في قلب المؤمن الطمأنينة والسكينة، وهو يواجه الصعاب والآلام.

فالمسلم يؤمن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن أهل الدنيا لو اجتمعوا على أن يضروه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، قال ﷻ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[التوبة].

وإذا كان الأمر كذلك فإن المسلم إذا ألمت به مصيبة تَجَمَّل بالصبر؛ لأن جزعه لا يُغير من واقع الحال شيئًا؛ ولأن الله سبحانه يجزي الصابرين بالنصر في العاقبة، قال سبحانه: ﴿فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾[هود].

ولقد بشر الله عباده المؤمنين الصابرين بالمغفرة والرحمة على صبرهم فقال ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة].

وفي غزوة أحد تجسد الصبر في أروع صوره عند المسلمين، وقد استعرضنا بعضًا من صور الصابرات: صفية بنت عبد المطلب، وحمنة بنت جحش، والمرأة الدينارية، وزوجة عمرو بن الجموح رضي الله عنهن. [غزوة أُحد لأبي فارس ١٠٧-١١٠].

١٦ ـ الإيثار والبعد عن الأنانية:

يقول د/ الحميدي: «في هذا الخبر موقف أخلاقي نبيل، وذلك حينما واسى آل حمزة أخاه الأنصاري المقتول بجانبه في الكفن، فجعلوا لكل واحد منهما ثوبًا، ويبلغ هؤلاء العظماء منتهى النبل في المعاملة حينما لجأوا إلى القرعة في توزيع الثوبين على الشهيدين ولم يفضِّلوا حمزة بأكبرهما.

إن هذا المشهد يكشف لنا صورة من أخلاق الصحابة ﭫ العالية في المعاملة بينهم من الإيثار والمواساة والبعد عن الأثرة والأنانية». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٤٤].

١٧ ـ أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ:

قال ابن كثير: «سُمِّيَ أُحُدٌ أُحَدًا لِتَوَحُّدِهِ مِنْ بَيْنِ تِلْكَ الْجِبَالِ، وَفِي الصَّحِيحِ: «**أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**». [البخاري في الزكاة (١٤٨٢)، وفي الجهاد والسير (٢٨٨٩، ٢٨٩٣)، وفي أحاديث الأنبياء (٣٣٦٧)، وفي

المغازي (٤٠٨٣، ٤٠٨٤، ٤٤٢٢)، وفي الأطعمة (٥٤٢٥)، وفي الدعوات (٦٣٦٣)، وفي الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٣٣٣)، ومسلم في الحج (١٣٦٥، ١٣٩٢ و١٣٩٣)، والترمذي في المناقب (٣٩٢٢)، وابن ماجه في المناسك (٣١١٥)، وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه (٨٢٤٥)، وعن أنس رضي الله عنه (١٢٠١٣، ١٢١٠١، ١٢٢٠٥، ١٣١١٣، ١٣١٣٦)، وعن سويد الأنصاري رضي الله عنه (١٥٢٣٢)، وعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه (٢٣٠٩٣)، والموطأ باب ما جاء في تحريم المدينة رقم ١٦٤٥].

قِيلَ: مَعْنَاهُ أَهْلُهُ، وَقِيلَ: لِأَنَّهُ كَانَ يُبَشِّرُهُ بِقُرْبِ أَهْلِهِ إِذَا رَجَعَ مِنْ سَفَرِهِ، كَمَا يَفْعَلُ الْمُحِبُّ.

وَقِيلَ: عَلَى ظَاهِرِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ٧٤]. [الروض الأنف تح الوكيل ٥/ ٤٤٨].

وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ أَبِي عَبْسِ بْنِ جَبْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أُحُدٌ هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهَذَا عَيْرٌ جَبَلٌ يُبْغِضُنَا وَنُبْغِضُهُ، وَإِنَّهُ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ**». [مجمع الزوائد ٣/ ٦٨٧ رقم ٥٩١٢، وقال الهيثمي: رواه البزار [كشف الأستار عن زوائد البزار ٢/ ٥٨ رقم ١١٩٩]، والطبراني في الكبير والأوسط [٦/ ٣١٥ رقم ٦٥٠٥]، وفيه عبد المجيد بن أبي عبس، لينه أبو حاتم، وفيه من لم أعرفه].

قَالَ السُّهَيْلِيُّ: مُقَوِّيًا لِهَذَا الْحَدِيثِ: وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**».

وَهَذَا مِنْ غَرِيبِ صُنْعِ السُّهَيْلِيِّ، فَإِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ إِنَّمَا يُرَادُ بِهِ النَّاسُ، وَلَا يُسَمَّى الْجَبَلُ امْرَأً». [البداية والنهاية ط هجر ٥/ ٣٣٧-٣٣٨].

وقال ابن حجر: «قَوْلُهُ: «**هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**» ظَهَرَ مِنَ الرِّوَايَةِ الَّتِي بَعْدَهَا أَنَّهُ ﷺ قَالَ ذَلِكَ لَـمَّا رَآهُ فِي حَالِ رُجُوعِهِ مِنَ الْحَجِّ.

وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَبِي حُمَيْدٍ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ ذَلِكَ لَـمَّا رَجَعَ مِنْ تَبُوكَ وَأَشْرَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ، قَالَ: «**هَذِهِ طَابَةُ**»، فَلَمَّا رَأَى أُحُدًا قَالَ: «**هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**»، فَكَأَنَّهُ ﷺ تَكَرَّرَ مِنْهُ ذَلِكَ الْقَوْلُ.

وَلِلْعُلَمَاءِ فِي مَعْنَى ذَلِكَ أَقْوَالٌ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، وَالتَّقْدِيرُ: أَهْلُ أُحُدٍ، وَالْمُرَادُ بِهِمُ الْأَنْصَارُ؛ لِأَنَّهُمْ جِيرَانُهُ.

ثَانِيهَا: أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ لِلْمَسَرَّةِ بِلِسَانِ الْحَالِ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ؛ لِقُرْبِهِ مِنْ أَهْلِهِ وَلُقْيَاهُمْ، وَذَلِكَ فِعْلُ مَنْ يُحِبُّ بِمَنْ يُحِبُّ.

ثَالِثُهَا: أَنَّ الْحُبَّ مِنَ الْجَانِبَيْنِ عَلَى حَقِيقَتِهِ وَظَاهِرِهِ؛ لِكَوْنِ أُحُدٍ مِنْ جِبَالِ الْجَنَّةِ كَمَا ثَبَتَ فِي حَدِيثِ أَبِي عَبْسِ بْنِ جَبْرٍ مَرْفُوعًا: «**جَبَلُ أُحُدٍ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، وَهُوَ مِنْ جِبَالِ الْجَنَّةِ**» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَلَا مَانِعَ فِي جَانِبِ الْبَلَدِ مِنْ إِمْكَانِ الْمَحَبَّةِ مِنْهُ، كَمَا جَازَ التَّسْبِيحُ مِنْهَا، وَقَدْ خَاطَبَهُ ﷺ مُخَاطَبَةَ مَنْ يَعْقِلُ، فَقَالَ لَـمَّا اضْطَرَبَ: «**اسْكُنْ أُحُدُ**» الْحَدِيثَ.

وَقَالَ السُّهَيْلِيُّ: كَانَ ﷺ يُحِبُّ الْفَأْلَ الْحَسَنَ وَالِاسْمَ الْحَسَنَ، وَلَا اسْمَ أَحْسَنُ مِنِ اسْمٍ مُشْتَقٍّ مِنَ الْأَحَدِيَّةِ، قَالَ: وَمَعَ كَوْنِهِ مُشْتَقًّا مِنَ الْأَحَدِيَّةِ فَحَرَكَاتُ حُرُوفِهِ الرَّفْعُ وَذَلِكَ يُشْعِرُ بِارْتِفَاعِ دِينِ الْأَحَدِ وَعُلُوِّهِ، فَتَعَلَّقُ الْحُبِّ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِهِ لَفْظًا وَمَعْنًى فَخُصَّ مِنْ بَيْنِ الْجِبَالِ بِذَلِكَ. وَاللهُ أَعْلَمُ. **[فتح الباري لابن حجر ٧/ ٣٧٨، وينظر للتفصيل: أحد: الآثار، المعركة، التحقيقات للصاعدي والمحمدي ص١٢-١٥]**.

ومن الحكم في ذكر محبة رسول الله ﷺ لجبل أحد نفي التشاؤم بأحد بعد ما حدث عنده ما حدث. **[الأساس في السنة وفقهها ٢/ ٥٤٠-٥٤١]**.

ويقول أ/ كولن: «في أُحد تميز المؤمن عن المنافق، والوفي عن الجاحد، والشجاع عن اللئيم وعن الجبان، والمرتبطون بالنبي ﷺ ارتباطًا حقيقيًّا عن الذين في قلوبهم مرض، معركة أُحد هذه سيتم ذكرها على الدوام بنوع من الأسى.

في أَحد الأيام وبينما النبي ﷺ يمر من سفح جبل أُحد ألقى إليه نظرة طويلة ثم قال: «**أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**». **[سبق تخريجه قريباً]**.

وكأن هذا القول ـ دفاعًا عن جبل أُحد ـ يهب علينا من وراء أربعة عشر قرنًا لمن يحمل في قلبه أي شعور بالأسى نحو جبل أُحد، فرسول الله ﷺ لا يريد منا إسناد الشؤم أو عدم الوفاء لجبل أُحد؛ لذا قال هذا القول ليكون بردًا وسلامًا للقلوب التي يحيط بها الحزن للجرح الذي أصاب كرامة المسلمين في هذه المعركة، وهو يريد منا البحث عن أسباب أخرى لتلك النتيجة.

أجل، لم تجرح كرامة المسلمين في العهد النبوي في أي معركة مثلما جُرحت في تلك المعركة، هذا صحيح ولكن السبب في هذا لم يكن جبل أُحد، بل إن جبل أُحد حفظ المسلمين وحماهم عندما أحاط بهم الذهول والاضطراب، احتمى المسلمون بجبل أُحد وتخلصوا بذلك من هزيمة تامة، هذا من زاوية الأسباب.

لقد كان السبب الحقيقي للهزة المؤقتة التي أصابت المسلمين يكمن في انسحاب بعض المنافقين من الجيش منذ البداية وما أدى إليه هذا الانسحاب من أثر سيء في الروح المعنوية للمسلمين، ثم عدم قيام بعض الصحابة بإطاعة الأوامر بالمستوى اللائق بهم، وظهور ميل عندهم إلى جَمْع الغنائم حتى وإن كان هذا الميل مشروعًا.

ومهما يكن فلا شك أن هزة أصابت المسلمين يوم أُحد، ولكن رَبْطَ هذه الهزة بجبل أُحد لم يكن صحيحًا؛ لذا عبَّر الرسول ﷺ عن حبه لجبل أُحد لكي يزيل هذا الوهم من الأذهان».

[النور الخالد محمد ﷺ لكولن ٦٦-٦٧].

ويقول د/ فيض الله: «كما وارى قَلِيب بدر جثث المشركين، ضَمَّ أُحُد ـ في ثراه الندي، وتربته الداكنة، في سفحه الناعم ـ شهداء الدعوة، ممن هاجر، وممن آوى ونصر، ذلك الرعيل الأول في درب الدعوة والجهاد، الرعيل الصابر المحتسب، المضحي بالمال والنفس، في تجرد مطلق، ومثالية فريدة، وكان في طليعتهم حمزة عم النبي ﷺ وسيد الشهداء ﷺ، وخيثمة، وعمرو بن الجموح، والنعمان بن مالك، وسعد بن الربيع ﷺ.

تركت غزوة أُحُد، وشهداء أُحُد، رواسب في قلب النبي ﷺ وأحزانًا، وموجدة، كما تركت أكلة خيبر آثارها في صحته، فلما دنا الأجل، وأزف الترحل للحاق بالرفيق الأعلى، زار قتلى أُحُد، مودعًا الدنيا في أشخاصهم، ذاكرًا جهادهم، داعيًا لهم، واعظًا بهم جماعة المسلمين، من الصحابة، في خير القرون.

ففي الصحيح: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ كَالْمُوَدِّعِ لِلأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ المِنْبَرَ فَقَالَ: «**إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الحَوْضُ، وَإِنِّي لأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، أَنْ تَنَافَسُوهَا**».

قَالَ عُقْبَةُ ﷺ: فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ». [البخاري في المغازي (٤٠٤٢، ٤٠٨٥)، وفي الجنائز (١٣٤٤)، وفي المناقب (٣٥٩٦)، وفي الرقاق (٦٤٢٦، ٦٥٩٠)، ومسلم في الفضائل (٢٢٩٦)].

[صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة لفيض الله ١٤٣].

١٨ ـ دقة شعور النبي ﷺ:

يقول الشيخ المدري: «عن أنس بن مالك ﷺ قال: إن النبي ﷺ طَلَع له أُحدٌ فقال: «**هذا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**».

وهذا يدل على دقة شعور النبي ﷺ حيث قارن بين ما كسبه المسلمون من منعة التحصن والاحتماء بذلك الجبل، وما أودعه الله تعالى فيه من قابلية لذلك، فعبر عن ذلك بأرقى وشائج الصلة وهي المحبة، أفلا يعتبر هذا الوجدان الحي والإحساس المرهف مثلًا أعلى على التخلق بخلق الوفاء؟ ألا إن الذي يعترف بفضل الحجارة الصماء، ويفضي عليها من الأخلاق السامية ما لا يتصف به إلا أفاضل العقلاء لجدير به أن يعترف بأدنى فضل يكون من بني الإنسان، وإن كان وفاؤه ﷺ للجماد قد سما حتى حاز أرقى العبارات وأرقها، فأخلق ببني الإنسان الأوفياء أن ينالوا منه أعظم من ذلك، فضلًا عمن تجمعه بهم الأخوة في الله تعالى». [غزوة أحد للمدري ٥٦].

١٩ ـ اختيار المواقف:

يقول د/ الخالدي: «لما خلا ميدان أحد من المشركين خشي الرسول ﷺ أن يتوجهوا إلى المدينة؛ ليحتلوها ويفسدوا فيها! وأصحابه على أرض المعركة، منهم الشهيد ومنهم الجريح ومنهم المصدوم!

وأحب أن يستطلع الأمر، ويعرف ماذا يريد المشركون أن يفعلوا، فانتدب لذلك سعد بن أبي وقاص ﷺ قال له: «**ائْتِنَا بِخَبَرِ القَوْمِ، إنْ رَكِبُوا الإِبِلَ وَجَنَّبُوا الخَيْلَ فَهُوَ الظَّعْنُ، وَإِنْ رَكِبُوا الخَيْلَ وَجَنَّبُوا الإِبِلَ فَهِيَ الغَارَةُ عَلَى المَدِينَةِ! وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ سَارُوا إِلَيْهَا لأَسِيرَنَّ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ لأُنَاجِزَنَّهُمْ**».

قام سعد ﷺ مسرعًا منفِّذًا ما كلَّفه به رسول الله ﷺ، ولحق وحده بخيل المشركين المنسحبين، وراقبهم بحكمة وفطنة، وكان حريصًا على أن يراهم ويسمع ما يقولون، على أن لا يروه! ولذلك كان يجيد الاختفاء مع الاقتراب! والجمع بين الاقتراب والاختفاء فنٌّ لا يتقنه كثير من الناس!

قطعوا مسافة طويلة، وسعدٌ ﷺ خلفهم يعدو على قدميه، وهو المتمتع باللياقة البدنية العالية، التي تمكنه من الجري لمسافات طويلة، وقد مر معنا أنه ذهب إلى بدر وعاد منها إلى المدينة مشيًا على قدميه!

وقف المشركون في (العقيق) يتشاورون في الخطوة التالية: هل يُغِيرون على المدينة أم يعودون إلى مكة؟ ووقف سعد ﷺ المتخفي قريبًا منهم، بحيث يسمعهم وهم يتكلمون، وهم لا يرونه!

أشار أحدهم عليهم بركوب الخيل والإغارة على المدينة!

ولكن صفوان بن أمية رد هذا الرأي، وقال لهم: **قَدْ أَصَبْتُمْ القَوْمَ، وَأَوْقَعْتُمْ فِيهِمْ القَتْلَى وَالجَرْحَى، وَأَرَى أَنْ تنْصَرِفُوا إِلَى مَكَّةَ، فَلا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ وَأَنْتُمْ كَالُّونَ مُتْعَبُونَ، وَاكْتَفُوا بِهَذَا الظَّفَرِ الَّذِي حَقَّقْتُمُوهُ عَلَيْهِمْ، فَإِنْ أَغَرْتُمْ عَلَى المَدِينَةِ فَإِنَّكُمْ لا تَدْرُونَ مَا يَغْشَاكُمْ! ويَوْمَ بَدْرٍ قَدْ وَلَّيْتُمْ وَانْتَصَرُوا عَلَيْكُمْ، وَلَمْ يَتَّبِعُوكُمْ بَعْدَمَا ظَفَرُوا بِكُمْ، فَافْعَلُوا بِهِمْ مَا فَعَلُوا بِكُمْ!**

استجابوا لرأي صفوان بن أمية، وقرروا العودة إلى مكة، فركبوا الإبل، وجَنَّبوا الخيل، وانصرفوا إلى مكة!

«**إن سعدًا لمجرب**»: ورجع سعد ﷺ إلى رسول الله ﷺ ؛ ليقدِّم له تقريره، وكان منكسرًا متأثرًا.

ولما اقترب من المسلمين صار يمشي متمهلًا، حتى وصل إلى النبي ﷺ، ثم قال له: يَا رَسُولَ الله، لقد توجه القومُ إِلَى مَكَّةَ، امْتَطَوْا الإِبِلَ، وَجَنَّبُوا الخَيْلَ!

ورأى رسول الله ﷺ آثار الانكسار والحزن على وجه سعد ﷺ، فقال له: «**مَا لِي رَأَيْتُكَ مُنْكَسِرًا؟**»، قَالَ سعد ﷺ: **يَا رَسُولَ الله، كَرِهْت أَنْ آتِيَ المُسْلِمِينَ فَرِحًا بِقُفُولِهِمْ إِلَى بِلادِهِمْ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ سَعْدًا لَمُجَرِّبٌ**». [الواقدي١/ ٢٩٨-٢٩٩].

وعن سعد ﷺ قال: بَعَثَنِي رَسُولُ الله ﷺ أَسْتَخْبِرُ لَهُ خَبَرَ قَوْم، فَذَهَبْتُ وَأَنَا أَسْعَى حَتَّى صِرْتُ إِلَى القَوْمِ، ثُمَّ جِئْتُ وَأَنَا أَمْشِي عَلَى هَيْئَتِي حَتَّى صِرْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «**ذَهَبْتَ شَدِيدًا، ثُمَّ جِئْتَ عَلَى هَيْئَتِكَ؟**» ـ أَوْ كَمَا قَالَ ـ فَقُلْتُ: **يَا رَسُولَ الله، إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَسْعَى فَيَظُنَّ بِي القَوْمُ**

أَنِّي قَدْ فَرَقْتُ (خِفْتُ)، فَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ سَعْدًا لَمُجَرِّبٌ».

[مجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ٢١٩ كتاب المناقب (١٤٨٥٨)، وقال الهيثمي: رواه البزار وإسناده حسن].

إن مجيء سعد ﷺ لرسول الله ﷺ حزينًا منكسرًا بسبب انسحاب المشركين، يدل على شخصيته المجاهدة، وهمته العالية، ورغبته في قتال المشركين والقضاء عليهم؛ لذلك لم يفرح بانسحاب المشركين وتخليص المسلمين منهم، وكان يتمنى لو قاتلهم المسلمون، وانتقموا منهم، وأوقعوا فيهم القتلى والجرحى! بينما يفرح كثيرون بانسحاب الأعداء، وإراحة المسلمين من خطرهم، فالذي يُفرح الآخرين من المجاهدين يُحزن سعدًا المجاهد ﷺ.

ومن عِزة سعد ﷺ وشجاعته أنه لا يريد أن يُؤخذ عليه مأخذ ذُل، أو يُظن به ظن الجبن والخوف، فلما كلفه رسول الله ﷺ بمتابعة أخبار جيش المشركين ذهب خلفهم مسرعًا حذرًا، لكنه عندما عاد إلى المسلمين، ولم يَجر مسرعًا، وإنما كان يمشي على هينته وتمهله! فلماذا لم يسرع؟

إنه خشي أن يراه المسلمون عائدًا وهو يجري، فيظنوا أنه خائف هارب!

وهو لا يريد أن يُظن به هذا الظن!

نفسه الأبية العزيزة تأبى اتهامها بالجبن والخوف والفَرَق؛ لأنها نفسٌ مجاهدة شجاعة، وهو حساس تجاه هذا الأمر، وحريص على أن يَظهر بالمظهر الجهادي الكريم؛ ولذلك جاء يمشي على مَهْلِه، رابطَ الجأش، ثابتَ القلب!

وأُعجب رسول الله ﷺ بموقفه، وبحسن تعليله لتصرفه، فأعطاه شهادة عزيزة، بأنه إنسان مُجَرِّبٌ، حيث قال: «**إِنَّ سَعْدًا لَمُجَرِّبٌ**».

إنه موقف عظيم يدعو إلى الفخر، وحقَّ لسعد ﷺ أن يفخر بهذه الشهادة العالية له من رسول الله ﷺ.

وهو ﷺ مُجَرِّبٌ ذكي فطن، جَرَّب الحياة، وعرف ما يناسبه من مظاهرها، واختار المواقف الرجولية الجهادية التي تتفق مع طبيعته الجادة». [**سعد ﷺ للخالدي ١٤٩-١٥٢**].

٢٠ ـ تحمل الصعاب في سبيل الغاية:

ويقول أ/ عبَّاد: «لم يعرف التاريخ قوة، وبطولة، وشجاعة، وكفاءة عسكرية، وقيادة قوية ـ كقيادة النبي ﷺ في ملحمة أحد، فالنبي ﷺ بقي في أفراد من جنده يتابع القتال ويدير المعركة حتى كف العدو يده، وبالرغم مما أصابه من إصابات تجعل الأبطال الأفذاذ يفرون أو يعجزون ـ نراه ﷺ في غاية اليقظة في إدارة الأمور، فيرسل من يستكشف له جيش المشركين، ويعلن عن تصميمه على مواصلة المعركة حتى النهاية، ثم يغسل آثار ما أصابه من المشركين بعملية خاطفة هي عملية (حمراء الأسد) التي أعادت

إلى الجيش الإسلامي روحه المعنوية العالية، وأعادت إلى المسلمين هيبتهم، وأعادت قريشًا إلى صوابها وقذفت في قلوب رجالها الرعب.

ولو علمنا أن عُمْرَ النبي ﷺ يوم أُحد كان خمسة وخمسين عامًا، ولو استعرضنا الجهد الذي بذله ﷺ أيام الجمعة، السبت، الأحد، الاثنين، الثلاثاء، الأربعاء، من شوال لرأينا عجبًا، فأي جسم هذا الجسم؟ وأي عقل هذا العقل؟ وأي قوة تلك القوة؟ إنه لا تعليل لاستمرار النبي ﷺ على وتيرة واحدة دون عجز أو وهن أو ضعف، إلا أنها الرسالة عن الله رب العالمين، وإلا أنه صُنع الله رسوله على عينه، كما كان النبي ﷺ صاحب قوة بدنية عالية.

فقد روى أبو داود عن سعيد بن جبير: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ بِالبَطْحَاءِ فَأَتَى عَلَيْهِ يَزِيدُ بنُ رُكَانَةَ بنُ يَزِيدَ ـ وَكَانَ رَجُلًا قَوِيًّا شَدِيدًا ـ وَمَعَهُ أَعْنُزٌ لَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! هَل لَكَ أَنْ تُصَارِعَنِي؟ فَقَالَ: «**مَا تَسْبِقُنِي**؟» فَقَالَ: شَاةٌ مِنْ غَنَم، فَصَارَعَهُ فَصَرَعَهُ، فَأَخَذَ شَاةً، فَقَالَ رُكَانَةُ: فَهَل لَكَ فِي العَوْدَةِ؟ فَقَالَ: «**مَا تَسْبِقُنِي**؟»، قَالَ: أُخْرَى، ذَكَرَ ذَلِكَ مِرَارًا، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، وَالله مَا وَضَعَ أَحَدٌ جَنْبِي إِلَى الأَرْضِ، وَمَا أَنْتَ بِالَّذِي تَصْرَعُنِي، فَأَسْلَمَ، وَرَدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ غَنَمَهُ».

[قلت: رواه أبو داود في المراسيل، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ١٨ باب ما جاء في المصارعة، وقال ابن كثير: وقد روى أبو بكر الشافعي بإسناد جيد، ثم ذكره. البداية والنهاية ٣/ ٢٥٥ ط تح التركي، وقال: الأثر ذكره الحافظ في الإصابة ٦/ ٦٥٦. (غريب)]. [مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٢٠٢-٢٠٣].

٢١ ـ رحمة القيادة بالجند:

يقول الشيخ أبو زهرة: «إن القائد الذي يسير وراء الجيش، ويقدم روحه بين يديه ويَقْدُمُ معه على مواقع الردى غير هَيَّاب ولا وَجِل، هو القائد الرحيم الذي يحمي الجنْد من ورائه بأن يحنو عليهم كما يحنو الأب على أبنائه، فإذا قدمهم للاستشهاد فلمقصد أسمى، يقدِّم نفسه فيه أمامهم.

وليس القائد المظفر هو الذي يقدم جيشه إلى الميدان، كما يقدم أدوات الحرب، ومعدات القتال، من غير قلب يرحم، وينسى أن الجيوش قلوب تقدم، وأرواح تتقدم فداء للهدف السامي والمعنى الإنساني العالي الذي تقاتل من أجله، وتخوض له مشتجر السيوف، وتلقى بالحتوف نصرًا له، وتأييدًا لكلمة الحق، إن هذا النوع من القواد الجامدين الذين يحسبون الحرب تخطيطًا وليست رحمة، أو تلابسها رحمة لا ينتصر، وإن انتصر مرة، لا يعاوده النصر مرة أخرى؛ لأنه لا يجد جندًا ينصرونه، ولقد رأينا ممن يحسبون أنفسهم قواد الحرب من يرى صرعى جيشه في الصحراء، ولحومهم تنهشها ذئابها، ويقول غير حزين: **هكذا الحرب**؛ ولذلك توالت هزائمه.

ولقد كان بونابرت قائدًا مظفرًا حتى عاد إلى فرنسا، وترك جنده في روسيا يأكلهم الثلج، وقد أذاقهم لباس الجوع، فكان ذلك مفتاح هزيمته، وما انتصر من بعد ذلك انتصارًا حاسمًا.

وإن محمدًا ﷺ كان المثل السامي لرحمة القائد بجنده، كأنهم قطعٌ من نفسه، ولقد زكى الله ﷻ هذه الرحمة المحمدية النبوية، فقال ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[آل عمران].

وقد بدت رحمة النبي ﷺ بجنده في أُحد، وعقب الجروح التي أصابت الجيش الإسلامي، فما وجَّه لومًا لأحد، وما جال بخاطره أن يُحاكم المقاتلين لأخطاء وقعت، بل كان كل همه في الميدان أن يسترد الموقف لأصحابه، وأن يقفوا، ولا يخروا صرعى أمام أعدائهم، بل ارتقى بهم إلى الهضبة، وأعطى الراية من يحملها بحقها، وناضل، وقاوم، حتى أيأس المشركين من أن يستأصلوا المؤمنين، بل خافوا منهم، وأنهوا القتال وإن لم يكونوا مدحورين، خشية أن يندحروا، إذ رأوا جند رسول الله ﷺ قد اشتد بأسهم في القتال مع هذه الجراح التي جُرحوها، ويئس المشركون وانصرفوا.

وعفا عنهم؛ ليستبقي نخوتهم، وبأسهم لما يأتي، وإن لم يكن ما وقع لا يسر، بل كان يضر، ولم يكتف ﷺ بالعفو، بل استغفر لهم بأمر ربه.

ولعل شوراهم هي التي جعلتهم يواجهون المشركين، وقد كانوا بمنجاة عن ذلك، لو أخذوا برأي الرسول ﷺ، ولكن الشورى لم تكن سبب الجراح، إنما عصيان القائد، والخروج عما رسم من نظام كان هو السبب المباشر؛ ولذلك أمره الله ﷻ أن يستمر في الشورى، فخطأ الشورى دائمًا إلى صواب؛ لأنه يقوي إرادة الأمة، وصواب الاستبداد دائمًا إلى خطأ؛ لأنه يُضعف إرادة الأمة، وضعف الإرادة يضعف العزيمة ويفسد النفس، وذلك في ذاته خطأ.

ولقد أخذت الرحمة رسول الله ﷺ بالشهداء من الصحابة، فأمر بأن يُدفنوا بدلًا من أن يرسلوا إلى أهليهم، ومن أخذه أهله رده إلى الموطن الذي استشهد فيه؛ وذلك لكيلا تتبعثر أبدانهم الطاهرة، ولكيلا تثير رؤية ذويهم لهم ألمًا وحزنًا، ولكيلا يتصايح أهلوهم بالندب والنواح، فكانت رحمة الله تعالى بهم أن يُدفنوا حيث هم؛ ليعرف الناس فضلهم، ولقد كان رسول الله ﷺ من بعد يزور مصارعهم، وسلك ذلك أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، رضي الله عنهم جميعًا، وعلي رضي الله عنه كان يكرم ذرية أهل بدر وأهل أُحد، فيزيد في الصلاة عليهم تكبيرات في صلاة جنازتهم.

ولقد كان رسول الله ﷺ يدفن الشهداء، ويجمع في القبر أكثر من واحد، ويختار مَنْ كانوا ذوي صحبة بينهم، فيدفنهم في قبر واحد، وكان يقدم في الدفن الأقرأ فالأقرأ، وكلهم شهداء ذوو فضل عظيم ومقام كريم في الإسلام.

وقد كان ﷺ لا يمنع أن يبكي أهل الشهيد من بكاء عليه حزنًا، وإن كان قد فاز بالشهادة، وكان يقول ﷺ: «**ابْكِينَ وَإِيَّاكُنَّ وَنَعِيقَ الشَّيْطَانِ، إِنَّهُ مَهْمَا كَانَ مِنَ العَيْنِ وَالقَلْبِ فَمِنَ اللهِ ﷻ وَمِنْ الرَّحْمَةِ، وَمَا كَانَ مِنْ اليَدِ وَاللِّسَانِ فَمِنْ الشَّيْطَانِ**».

[مسند أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما (٢١٢٧، ٣١٠٣)، وقال عنهما الشيخ الأرناؤوط: إسناده ضعيف].

وكان يبكي بكاء شديدًا على عمه حمزة رضي الله عنه أسد الله تعالى، حتى إنه رأى نساء الأنصار يبكين قتلاهم فقال ﷺ حزينًا باكيًا: «**وَلَكِنْ حَمْزَةُ لَا بَوَاكِيَ لَهُ**».

ومن رحمته ﷺ بأهل الميت أنه منع السيدة العظيمة عمته صفية رضي الله عنها من أن ترى أخاها حمزة رضي الله عنه مقتولًا، وقد عبثت العابثات من نساء المشركين بجثمانه الطاهر، ومثَّلوا به.

ولقد دَفن رسول الله ﷺ عمه سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه مع ابن أخته عبد الله بن جحش رضي الله عنه، وقد مُثل به، كما مُثل بخاله حمزة.

وهكذا كان النبي ﷺ القائد الرحيم يعيش بعد الجراح مع الأسر المجروحة يواسيها، ولكن مواساة النبوة، والحقيقة أن قتلاهم شهداء، وأنهم أحياء يُرزقون، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[آل عمران].

وأنهم قد نالوا خير الحسنيين، وأنهم يتمنون لو يعودون ليقتلوا في سبيل الله شهداء كما قُتلوا، ولكن كتب الله أن الذين يموتون لا يرجعون، ولكن يُبعثون في يوم الميقات المعلوم».

[خاتم النبيين ﷺ لأبي زهرة ٢/ ٧٢١-٧٢٣].

٢٢ ـ حرص القيادة على رفع الروح المعنوية للأفراد:

يقول أ/ فتح الباب: «ويخرج محمد رسول الله ﷺ من بيته، ويعطي سيفه لابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها فتغسله مما علق به من دماء، ويتوجه القائد العظيم ﷺ إلى المسجد، ويجتمع حوله المسلمون وقد تشبثت به عيونهم وقلوبهم تنتظر الكلمة الحاسمة في الموقف العصيب، فماذا يقول رسول الله ﷺ فيما كان وما سوف يكون؟

ولأن الإسلام دين الحياة، ولا حياة مع اليأس؛ ولأنه دين القوة، ولا قوة بغير صمود في مواجهة المحن.

ولأنه دين التقدم، ولا تقدم إلا باطراح الماضي بعد استخلاص العبرة منه والإفادة من التجارب لبناء رصيد يُنتفع به في المستقبل.

ولأنه دين الصبر والمقاومة، ولا مقاومة بغير تربية للنفس على قوة التحمل.

ولأن الإسلام دين الكفاح الدائب بلا هوادة في محاربة العدو؛ ولأن الإسلام دين الحق والإيمان الثابت، فلقد كانت كلمة القائد العظيم ﷺ في هذا الموقف الجلل أن أصدر قرارًا باستئناف القتال ومطاردة العدو.

فها هو الإقدام يغمر قلوب المهاجرين والأنصار، وها هي يثرب قلعة مضيئة لم تدنسها قدم مشرك، وها هم أولاء الأعداء يعودون أدراجهم إلى مكة لم يجنوا شيئًا إلا الثأر لقتلاهم في بدر، ولكن المؤمنين أقوى منهم، فما زال الإيمان بالله ﷻ في صدورهم لم يتزعزع، وما زال رسول الله ﷺ في مقدمتهم يحمل المشعل، وما زالت السيوف في أيديهم ماضية لم تفل.

وترتفع الروح المعنوية، ويعود كل رجل مسلم أقوى من عشرة، بل مائة من القوم الضالين، ويندفع الفرسان إلى الصحراء ولما يمض غير نهار وليلة على أحد، يتعقبون جيش الباطل.

ويكون أمر الرسول ﷺ ألا يخرج إلى الجهاد إلا من اشترك في الغزوة، فما يجدر بالمسلم أن يخشى عدوًّا من أعداء الله ﷻ، وما ينبغي للحق أن يستسلم للباطل مهما كان شأنه.

ويملأ الهلع فؤاد أبي سفيان ـ زعيم قريش ـ إذ يقع في رَوْعه أن المسلمين قد عادوا إلى القتال بعد إمدادهم بجيش كثيف من المدينة جاء يطلب الموت أو الثأر، ويتقدم محمد ﷺ على رأس جيشه، ويؤكد مخاوف قائد الشرك ما قاله معبد الخزاعي ـ ولم يكن قد أسلم بعد ـ حين التقى به».

[القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات لفتح الباب ٨٠].

وهكذا وجدنا «المسلمين قد دفنوا موجدتهم في أفئدتهم، ولم يستسلموا لأحزان المصاب الذي حل بهم، وكان تكاثر خصومهم حولهم سببًا في أن يقاوموا عوامل الخور، وأن يبدوا للناس بقية من قوة ترد عنهم كيد المتربصين، على نحو ما قال الشاعر:

وَتَجَلُّدِي لِلشَّامِتِينَ أُرِيهُمُ أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لا أَتَضَعْضَعُ

[فقه السيرة للغزالي ٢٨٢].

٢٣ ـ النفوس المؤمنة ترتفع فوق الألم:

يقول أ/ عبَّاد: «كم يومًا تحتاج إليها هذه الجراحات حتى تندمل؟ وكم يومًا تكفي لتلتئم جراح النفوس وتجف دموع العيون وتنفض مآتم الشهداء، وتسكن أعين اليتامى المنطلقة باحثة عن آباء غَيَّبتهم القبور؟ ومتى يستطيع المسلمون أن يخوضوا معركة ثانية بعد أحد؟ هل كما واعدتهم قريش بعد عام؟ ولكن لم يمض من هذا العام إلا ليلة واحدة قضاها المجاهدون في دورهم يداوون جراحهم، وفي البيوت مآتم ودموع وآلام، ولكن كان في النفوس إيمان يرتفع فوق الألم ويستعصي على كيد المنافقين والمشركين.

وهذا هو المطلوب من الفئة المؤمنة: الصبر والثبات على أهوال المحن، فالنبي ﷺ بعد مرور خمس عشرة ساعة يعلن الخروج للحرب، ومع ذلك ما ألانت الجراح قناتهم، ولم يتخلف جندي واحد عن تلبية الأمر النبوي، بل كانت صفة الالتزام والطاعة والبيعة التي أعطاها كل منهم لربه ولنبيه هي السمة الأساسية الواضحة في قلب هذه المحنة.

وهذه صورة الإيمان الصلب الذي لا يعرف الهرب أو الاعتذار، وإنما يرتفع فوق مستوى الألم إلى مستوى المسؤولية ولا يرجون بها إلا وجه الله تعالى». [**مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ١٧٩-١٨٠**].

٢٤ ـ النصر مع الصبر والطاعة:

يقول د/ البوطي: «وإذا تأملنا فيما أقدم عليه رسول الله ﷺ مع أصحابه فَوْرَ عودتهم إلى المدينة من الخروج ثانية للحاق بالمشركين ـ اتضح لنا درس معركة أحد اتضاحًا كاملًا، وتبين لنا كل من نتائجها: السلبية والإيجابية، وظهر لنا بما لا يدع مجالًا للتوهم أن النصر إنما يكون مع الصبر وإطاعة أوامر القائد الصالح واستهدف القصد الديني المجرد.

فقد رأينا أن النبي ﷺ لم يكد يؤذِّن في الناس للخروج مرة أخرى لطلب العدو، حتى تجمع أولئك الذين كانوا معه بالأمس، من بعد ما أصابهم القرح، وأنهكتهم الجروح والآلام، ولم يسترح أحد منهم بعد في بيته أو يفرغ للنظر في حاله وجسمه، وانطلقوا خلف رسول الله ﷺ يبتغون المشركين الذين لم تخمد بعد في رؤوسهم جذوة النشوة بالنصر، ولم يكن فيهم هذه المرة من يطمع في غنيمة أو غرض دنيوي، وإنما هو التطلع إلى النصر أو الاستشهاد في سبيل الله، وهم يسوقون بين يدي ذلك جراحاتهم الدامية وقروحهم المؤلمة.

فما الذي كان من نتيجة ذلك؟

لا نشوة الظفر ولا لذة الانتصار ربطت على قلوب المشركين ليتمموا نصرهم والتغلب على خصومهم، ولا وَقْع الهزيمة وآلام الجروح الكثيفة في المسلمين حال شيء من ذلك دون إقدامهم وانتصارهم.

وكيف كان السبيل؟ لقد كان السبيل إلى ذلك آية إلهية خارقة لتتمم الدرس والموعظة للمسلمين: وقع الرعب فجأة في قلوب المشركين، وتصوروا كما أخبرهم صاحبهم الذي كان قد لمح المسلمين عن بعد، أن محمدًا وأصحابه قد جاؤوا هذه المرة ومعهم الموت المؤكد لينثروه فيما بينهم، فارتدوا على أعقابهم بعد أن كانوا متجهين صوب المدينة، وانطلقوا سراعًا إلى مكة لا يلوون على شيء.

أما كيف داخلهم هذا الرعب الغريب من المسلمين، وهم الذين كسروا شوكتهم ووضعوا السيف فيهم قبل ساعات فقط من الزمن، فمردُّ ذلك إلى الإرادة الإلهية التي جعلت من هذه الموقعة كلها درسًا بليغًا للمسلمين جمع بين كلا مظهريه الإيجابي والسلبي في آن واحد.

وفي هذا الختام الأخير المتمم لموعظة أحد نزل قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران]. [فقه السيرة للبوطي ١٩٦].

٢٥ ـ لا نكسة بعد الآن:

يقول أ/ فتح الباب: «وثمة قيمة عليا ثبتتها النكسة في أحد كانت سلاحًا لما بعد أحد من مواقع، تلك هي قيمة الوحدة في الصف تدعم الوحدة في الهدف، وتجعل أهلها أكثر قدرة على إصابته، فلا تخيب لهم ضربة أبدًا، فلا خروج بعد اليوم على رأي الجماعة، ولا عصيان لأمر القائد إذ يحدد المسؤوليات، ولا تهافت على الغنائم، ومن ثم فلا نكسة بعد الآن، ولا هزيمة للأحرار، بل زحف دائم إلى الأمام في كل وقت وكل مكان؛ حتى يسقط دعاة الباطل وحماة الطاغوت وأرباب العدوان.

لقد استمد المسلمون من محنتهم تلك قوة وصلابة في النضال، وازدادوا بها ثباتًا ومُضاء وإباء وإيمانًا يرتفع بالنفس الإنسانية فوق كل شك في امتلاك النصر النهائي بإذن الله ﷻ.

وكانت الدعوة الإسلامية حين وقعت غزوة أحد مُحاصَرة بالمشركين، ولم يزل المستقبل يحمل في طياته مخاطر على الدعوة من هؤلاء ومن غيرهم من القوة المستبدة خارج الجزيرة العربية، وشاء الله أن يمهد بغزوة أحد لما بعدها من مغازي وفتوحات تفتح السبيل لكلمة الحق في العالم كله.

وكان هذا التمهيد يتمثل في تلقين المؤمنين درسًا لا يُنسى في الصبر والمقاومة وتفادي الأخطاء حتى لا تتكرر النكسة أبدًا.

كانت المواقع المرتقبة أشد هولًا من موقعة أحد؛ لأنها معارك مصيرية بالنسبة للمسلمين وأعدائهم على السواء، ومن ثَمَّ كانت تتطلب دروسًا في الثبات على رغم الأحداث العاصفة، وتقتضي تجارب في حتمية النضال حتى الموت دفاعًا عن العقيدة، وتمكينًا لمبادئها، ونشرًا لدعوتها: دعوة الحرية والأمن والعزة والسلام، فمهما تكن تلك الدروس والتجارب مريرة فهي دواء لا مفر منه لاستئصال الداء.

لقد كان انتصار قريش في أحد نصرًا مؤقتًا، مثله كمثل السراب أو الشهب البراقة التي سرعان ما تتهاوى، ولقد ملأ الزهو قريشًا إذ رأت المسلمين ينسحبون وقد أنهكتهم الموقعة، وأثخنتهم الجراح، وأصيب بينهم رسول الله ﷺ فعاد يتحامل على بعض أصحابه، والمسلمون من حوله يتحاملون على أنفسهم من شدة الجهد والإعياء.

ولكن العبرة بالنصر الأخير، ولقد تم هذا النصر موقعة بعد موقعة بفضل الإيمان والثقة والمحبة والصبر والمقاومة والفداء». [القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات لفتح الباب ٨٢ - ٨٤].

٢٦ ـ في تأخير النصر عبرة:

يقول الشيخ المدري: «إن في تأخير النصر في بعض المواطن هضمًا للنفس وكسرًا لشموخها وجماحها؛ لأن النفس إذا أنعم عليها جمحت وشمخت إلا من رحم الله، فلو أن الرسول ﷺ انتصر في كل معركة، وانتصر في كل موقف هو وأصحابه لدخل بعض الصحابة شيء من العجب والتيه، وشيء من الزهو، لكن أراد الله أن يربيهم بالمعارك، مرة نصر ومرة هزيمة، وفي الخاتمة نصر لا هزيمة بعده للإسلام؛ لذلك لما أتت في معركة حنين قال بعض الصحابة: **لن نغلب اليوم من قلة**، فانهزموا في أول المعركة ثم انتصروا بعد أن تلقوا تأديبًا، وأنت إذا بقي جسمك معافى بلا أمراض ولا ابتلاءات دخلك من العجب ما الله به عليم، والله ﷻ يعرف النفوس فيداويها.

لعَلَّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ وَرُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ

ربما يكون في صحة جسمك المرض، وفي صحة قلبك الفقر والابتلاء، فالله ﷻ أعلم».

[غزوة أحد للمدري ٧٠].

٢٧ ـ طريقة التعامل مع المنافقين:

وفي عدم سماح الرسول ﷺ لغير الذين شاركوا في أحد، وفي رده خروج ابن سلول معه يقول د/ الغضبان: «وهكذا يتجلى الخط التربوي الحاسم في طريقة التعامل مع المنافقين، فصحيح أنهم لم تُنفذ بهم عقوبة الإعدام على الخيانة العظمى التي أقدموا عليها في أحد، وفروا من المعركة، وأعلنوا ولاءهم لليهود، لكن نُفِّذَتْ فيهم عقوبة الفصل من الجسم الإسلامي، ولابد لكل فرد منهم أن يُعاد النظر به بشكل شخصي بحيث يصبح مؤهلًا للانضمام للصف الإسلامي أو غير مؤهل لذلك».

[التربية القيادية للغضبان ٣/ ٢٠٠].

٢٨ ـ أهمية الإرادة القوية لأفراد الصف:

يقول أ/ فتح الباب: «كانت هزيمة المسلمين في أحد وما أعقبها ـ برغم مرارتها ـ من انتصارات متتابعة لهم انتهت بسقوط دولة الطغيان في مكة ـ درسًا تاريخيًّا للبشرية كلها، وللمناضلين في سبيل الحق بصفة خاصة، فقد أثبت محمد ﷺ وأصحابه أن الحرب المصيرية ليست معركة واحدة، بل سلسلة متصلة الحلقات من الصراع، وإن كسب العدو إحدى المعارك لا يعني بالضرورة انتصاره النهائي، وإنما يكون هذا الانتصار إذا استطاع أن يفرض إرادته ويجبر خصمه على الاستسلام والرضوخ لشروطه.

ولقد انتصرت قريش في تلك المعركة، ولكنها عجزت عن جني ثمار عدوانها، وفشلت في تحقيق هدفها الأساسي، وهو القضاء على الدعوة الإسلامية.

وأثبتت هذه الدعوة أن النصر الأخير للإرادة الأقوى، وأن هذه الإرادة ملك المكافحين والصامدين مهما قلوا عددًا وعتادًا، وأنها وليدة الإيمان الحق، والإسلام هو دين الحق وشريعة الثبات والإصرار وعقيدة الإرادة المنتصرة.

ولبث رأس الشرك في مكانه بالروحاء فريسة القلق والتردد، ثم استقر رأيه على إيثار أهون الشرين، ولجأ ـ كدأبه ـ إلى المكر والخداع، فلقن بعض الأعراب المسافرين إلى المدينة أن يقولوا للنبي ﷺ وأصحابه: إن قريشاً قد عبأت قواها وتهيأت للرجوع إلى المدينة بغية القضاء عليهم، ولم يكن لهذه المزاعم حين وصلت للنبي ﷺ أدنى أثر لديه، وظلت عزيمته صُلبة لا تلين.

وكان من الطبيعي أن تكون الغلبة في الصراع لأقوى الإرادتين، وكانت إرادة النبي ﷺ وأصحابه إرادة الحق والعزة، فلم يلبث المشركون أن استبد بهم الخوف واستكانوا في مواجهة ما أبداه المؤمنون من صمود وإصرار، فرجعوا يجرون أذيال الخيبة إلى مكة، هنالك قفل النبي ﷺ وجنوده عائدين إلى المدينة بعد أن حققوا غايتهم وأدركوا قصدهم، وأثبتوا أن الحق المؤيد بالقوة لن يغلبه غالب، وأن النصر من عند الله.

وكان مُقام النبي ﷺ وجنوده في حمراء الأسد ثلاثة أيام بلياليها، وفي هذه الغزوة نزلت الآيات الكريمة: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران]».

[القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات لفتح الباب ٨٥، ٩٠ – ٩١].

٢٩ ـ الثقة والصمود:

يقول أ/ فتح الباب: «وبفضل هذا الإيمان الصامد والثقة بانتصار الحق استطاع الرسول ﷺ أن ينظم صفوف رجاله التي أوشكت على الاضطراب بعد الصدمة المفاجئة في أحد، وكان شعاره المعلن بينهم رفض الهزيمة، والإصرار على المقاومة، وأن يكون للحرب الأولوية والسبق على كل ما عداها من أمور؛ وليعبئ المسلمون كل جهودهم للمعركة دفاعًا عن حريتهم وعقيدتهم، وإنهم ليملكون الجرأة والقدرة على مجابهة الحقيقة متسلحين بالوعي والمسؤولية، مؤمنين بالقيم التي بثها القرآن الكريم في نفوسهم، فلا قلق، ولا تصدع، بل يقين ثابت بالحق وبالنصر.

إن الجبهة الإسلامية في خطر، والسبيل الوحيد لدرء هذا الخطر الداهم هو استمرار المقاومة، وأن المكاسب التي حققها الإسلام لأهله من إيمان وحرية وعدالة توشك أن تضيع، ويذهب هباء كل ما بُذل في سبيلها من جهود ما لم يُبذل مزيد من التضحيات للحفاظ عليها، وها هم اليهود والمشركون والمنافقون في المدينة يبدون فرحتهم بنكسة المسلمين، ويكشرون عن أنيابهم إعلانًا لعداوتهم بعد أن كانوا يتوارون قانعين خاضعين لسلطان محمد ﷺ وأصحابه». [القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات لفتح الباب ٨٧].

٣٠ ـ ليس لمؤمن أن يستكين:

يقول أ/ فتح الباب: «وحزم النبي ﷺ أمره فأمر بالتجهز للقتال ولما يكد المسلمون يستريحون مما ألم بهم من هول الصدام في أحد، ذلك أنه ﷺ بما أوتي من بصيرة ملهمة نافذة، وما وُهب من عبقرية عسكرية كان يدرك أن حسن التوقيت من أهم عوامل الانتصار، وأن مفاجأة الخصم في مأمنه وقبل أن يتأهب للعدوان أفضل وسيلة لدحره.

ولا ريب أن قريشًا كانت في شُغل عن الإعداد للحرب بالانغماس في سكرة الانتصار الذي أحرزته في جولتها الثانية مع المسلمين، ولم يكن يجول في خلدهم أن المسلمين قادرون ـ بعد ما أصابهم ـ على استئناف القتال، بل كانت تتوقع أن تتصدع جبهتهم، وأن يمضي وقت طويل قبل أن يستردوا أنفاسهم». [القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات لفتح الباب ٨٨].

٣١ ـ بث الحماس في النفوس:

يقول أ/ فتح الباب: «كذلك فإن رسول الله ﷺ كان يدرك أن خير وسيلة للقضاء على عوامل اليأس والاضطراب التي أسفرت عنها الهزيمة هو بث الحماس في النفوس، والدعوة للحرب التي لم يكن لها بديل، وأن الممارسة الفعلية العاجلة للجهاد هي الطريقة المثلى لإثارة هذا الحماس، أما مرور الوقت دون حرب فمن شأنه أن يُخفت صوت الجهاد، ويترك فراغًا يتزرع فيه جراثيم القنوط، وتضعف الروح المعنوية، ويضطرب حبل الإيمان.

كما أنه يزيد من غلواء المشركين واليهود واستهانة المنافقين بالمسلمين، فلا مفر من استرداد مكانة الإسلام بالقوة، فلا يفل السلاح إلا السلاح، وما يؤخذ بالقوة لا يسترد بغيرها».

[القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات لفتح الباب ٨٨-٨٩].

٣٢ ـ إصرار على المقاومة:

يقول أ/ فتح الباب: «ويتردد أبو سفيان بين الفرار وما يستجلبه من عار، وبين قبول التحدي وما قد يستتبعه من قضاء مبرم على دولة قريش، فيلجأ إلى الحيلة، ويلقن بعض الأعراب القاصدين إلى المدينة أن يخبروا محمدًا ﷺ وصحبه أن قريشًا قد اعتزمت العودة إلى القتال، ويبلغ ذلك النبي ﷺ

فيزداد إصرارًا على المقاومة، وتشتد عزيمته، ولا يضعف ولا يستكين، بل يظل مع المسلمين في موقعهم الذي نزلوا به من الصحراء صامدين متحدين مصممين على الجهاد ثلاثة أيام متتابعة حتى تيأس قريش وتخشى عقبى الاشتباك مع المسلمين، فتؤثر العودة إلى مكة، وحينذاك يعود المسلمون وقد استردوا كثيرًا من مكانتهم في نفوس الأحباب، وهيبتهم في نفوس الأعداء، وتمحى آثار الهزيمة، وتؤسي الجراح، وترقأ الدموع في الجفون.

ولا شك أن قوة الإيمان كانت الحافز الأكبر على مواصلة الكفاح، وكان التحام النبي ﷺ برجاله دافعًا إلى ثقتهم بأنفسهم وإدراكهم أن المعركة الفاصلة لم تكن في أحد، بل سيكون موقعها في مكة حيث يتم النصر للمؤمنين، وإنهم لقادرون على تحقيق ذلك النصر.

فلتدرج غزوة أحد في عداد الأحداث الماضية، ولتكن تجربة تضيء الطريق إلى المستقبل، وليبدأ المسلمون من جديد حتى يعوضهم الله ﷻ نصرًا قريبًا وهم أشد عزمًا، وأكثر تماسكًا وأمضى إرادة.

إن إرادة المؤمنين أقوى من إرادة المشركين؛ لأن يد الله مع جماعة المؤمنين، وهو مؤيدهم وناصرهم بقوة من لدنه؛ لأنهم جنوده وشيعته، وهو معهم طالما كانوا معه أملًا في القلوب وضياء للعقول وهدى في الصدور، وسوف يحيل هزيمتهم انتصارًا فلا حُزن على ما فات، وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم، ولقد صهرتهم نيران التجربة القاسية وأنضجتهم حقًّا، فلن يقعوا فيما كان من أخطاء.

تلك كانت المعاني التي انبلجت في صدور المسلمين، فأيقنوا أن أحدًا كانت اختبارًا يمحص النفوس، ويطهر القلوب، ويوجه البصائر إلى مواطن الخطأ ومواطن الصواب؛ حتى يصفو جوهر الإيمان، ويدرك الذين ظلموا أن لدى المؤمنين سلاحًا يفوق قوتهم وعتادهم، ويكفل لأصحابه النصر المبين، ولقد كان الرسول ﷺ حريصًا على تثبيت قيمة الإيمان بالله ﷻ في قلوب رجاله، وما يقوم عليه هذا الإيمان من رجاء يبدد اليأس، وخوف من الله يجعل صاحبه يستعذب الصعاب، ولا يبالي بالموت».

[القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات لفتح الباب ٨١-٨٢].

٣٣ ـ جبن المشركين رغم انتصارهم:

يقول أ/ فتح الباب: «وشاهدَ جمعَ المسلمين في مسيرته عبر الصحراء معبدُ بن أبي معبد الخزاعي وهو في طريقه إلى مكة ـ ولم يكن قد أسلم بعد ـ وتلقفه في الطريق أبو سفيان وقد علم بحشد محمد ﷺ وأصحابه، فتوجس شرًّا، وخشي عاقبة القتال، وسأل معبدًا عن أخبارهم فقال: «**إن مُحَمَّدًا قَدْ خَرَجَ فِي أَصْحَابِهِ يَطْلُبُكُمْ فِي جَمْعٍ لَمْ أَرَ مِثْلَهُ قَطُّ، يَتَحَرَّقُونَ عَلَيْكُمْ تَحَرُّقًا، قَدْ اجْتَمَعَ مَعَهُ مَنْ كَانَ تَخَلَّفَ عَنْهُ فِي يَوْمِكُمْ، وَكُلُّهُمْ أَشَدُّ مَا يَكُونُونَ حَنَقًا، وَمِنْكُمْ لِلثَّأْرِ طَلَبًا**».

وكان الموقف عصيبًا، والاختيار صعبًا، فإما أن يعود أبو سفيان إلى الاشتباك فيخسر المعركة؛ لما بلغه من قوة المسلمين، ويذهب بذلك أثر انتصاره في أحد، ويصبح معرة بين العرب، وتكون الكلمة العليا في الجزيرة لمحمد ﷺ وأتباعه، وإما أن يتقاعس عن القتال فيلحقه من ذلك عار الجبن».

[القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات لفتح الباب ٨٩-٩٠].

٣٤ ـ الشدائد اختبار لصدق الانتماء:

يقول الشيخ عرجون: «والشدائد دائمًا هي مظاهر صدق الوفاء الذي لا يقف عند وحدة العقيدة، بل الوفاء الذي يتجاوز ذلك إلى وفاء الإخلاص ومودة العهود والمحافظة عليها، ولو لم تكن معها وحدة الدين.

وقصة معبد الخزاعي تمثل أكمل تمثيل هذا اللون من الوفاء، فمعبد بمجرد أنه خزاعي يعرف ما بين رسول الله ﷺ وبين قومه من عهود مودة، وأنهم عَيْبة (أي موضع سره وأمانته، كعَيْبَة الثياب التي يوضع فيها المتاع) رسول الله ﷺ وذوو صفقته، وأنهم لا يكتمونه شيئًا يبلغهم عن أعدائه، وقد زاد الإسلام عهد رسول الله ﷺ مع خزاعة قوة وثباتًا، تصرَّف إذ رأى رسول الله ﷺ بحمراء الأسد هذا التصرف النبيل في وفائه وصدق إخلاصه، فبدأ بمواساة النبي ﷺ فيما أصاب أصحابه في (أُحد) مواساة مودة ووفاء وإخلاص بكلمات معدودات، ولكنها تنطوي على كثير من معاني النبل والوفاء والإخلاص الحميم.

كان وفاء معبد الخزاعي عملاً إيجابيًّا خذل أعداء الإسلام: ولم يكتف معبد بهذه المواساة الوفية الصادقة، بل عمد إلى عمل إيجابي يدفع به عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه غائلة الكرَّة عليهم من هؤلاء الفجرة من المشركين، ويناصرهم بكل ما يستطيع من قول وعمل.

وكان معبد قد رأى المشركين بزعامة قائدهم أبي سفيان بن حرب قد أجمعوا الرجعة إلى محمد ﷺ وأصحابه ليفرغوا من القضاء على بقيتهم، فقام معبد مقامًا اشتدت فيه وطأته على المشركين وقائدهم فأرعبهم وأفزع قلوبهم، وأرهبهم بما صوره لهم من تأهب محمد ﷺ وأصحابه للكرة عليهم بما لم يكن يدخل في خيالهم، حتى ثناهم عن الرجعة إلى المجتمع المسلم في عقر داره، ولم يجد أبو سفيان حيلة يغطِّي بها ما أصابه من الفزع إلا أن يتشبث بركب يمر عليه من عبد القيس وهم يتيممون المدينة المنورة للميرة، فعاقدهم على أن يبلِّغوا محمدًا ﷺ أكذوبة من نسيج دهائه الذي لم يسعفه في هذا الموقف المتأزم في رسالة يبلغها رسول الله ﷺ ليصدَّه عن ملاحقتهم». [محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٣/ ٦٣٥-٦٣٦].

٣٥ ـ تخذيل العدو:

يقول د/ زيدان: «ولا بأس بأسلوب تخذيل العدو لحمله على عدم المضي في شره، وفي تنفيذ ما هو عازم عليه، وأن تستعين جماعة الدعاة وأميرهم بالقادرين على مهمة تخذيل العدو، كالذي قام بتخذيل أبي

سفيان وحَمْلِه على عدم الرجوع إلى المدينة، بعلم ورضا من رسول الله ﷺ، ويستحسن لهذه المهمة اختيار المخلصين للدعوة؛ غير المعروفين لدى المؤمنين مع اطمئنان العدو بهم، وبما يشيرونه عليهم، وهذا ما كان متحققًا في مَعْبد الخزاعي الذي أسلم ولم يعلم بإسلامه المسلمون ولا أبو سفيان؛ وأذن له النبي ﷺ بتخذيل أبي سفيان؛ وحَمْله على عدم الرجوع إلى المدينة». [**المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ٢٣٥**].

ويقول د/ الحميدي: «ما جرى من معبد الخزاعي من تخذيل المشركين عن رسول الله ﷺ فيه عبرة عظيمة فقد قيَّضه الله تعالى ليقوم بدور مهم في نصر المسلمين حيث ضخَّم جيشهم في عين أبي سفيان وصده عن العودة إلى المدينة بأسلوب قوي مؤثر، ولقد صَدَّقه أبو سفيان لكونه ما يزال مشركًا.

وهكذا ينصر الله تعالى أولياءه بجنود كثيرة منها المعتدلون من الكفار الذين كانوا معجبين بسلوك المسلمين في السلم والحرب.

والحقيقة أن أبا سفيان وقومه كانوا مترددين في أمر العودة إلى المدينة، يدفعهم حب القضاء على الإسلام وأهله، ويَرْدَعُهم خشية الوقوع في الهزيمة والأسر على يد المسلمين، خصوصًا وأنهم يدركون بأن ما أصاب المسلمين لم يكن عن ضعف ولا جبن، وإنما هو بسبب خطأ ارتكبه بعض جنود الإسلام، وهم يعلمون جيدًا أن الأخطاء لا تتكرر غالبًا خاصة من المسلمين الذين جربوا تفوقهم في التخطيط الحربي وفي القتال في بدر وفي أول النهار يوم أحد؛ ولذلك ما أن حذرهم معبد الخزاعي من جيش المسلمين حتى غَلَّبوا جانب السلامة والحفاظ على النصر الذي توهموه».

[**التاريخ الإسلامي للحميدي ٦/ ١٥ -١٦**].

٣٦ ـ الحرب النفسية لإرهاب أعداء الله:

يقول د/ الحميدي: «إن اهتمام النبي ﷺ بالخروج لملاحقة العدو بعد المعركة بيوم واحد مع ما به وبأصحابه من جراح بليغة يدل على بعد نظر وحكمة في وضع الخطط الحربية وإدراك عميق لأثر الحرب النفسية، فإن الهدف من خروجه إرهاب أعدائه من أهل مكة وجميع الأعداء المحيطين بالمدينة مَنْ قُرب أو بَعُد؛ وذلك لأن إصابة المسلمين في معركة أحد قد حطت من سمعتهم الحربية لدى قريش والقبائل الأخرى، وتعالت احتمالات الطمع بغزو المدينة، فأراد النبي ﷺ أن يُظهر للأعداء جميعًا أن إصابة أُحد لم تكن نتيجة ضعف في المسلمين ولا تخاذل، وإنما هي نتيجة خطأ حربي ارتكبه بعض الجنود، وقد عاد جنود الإسلام بقيادة نبيهم ﷺ إلى ملاحقة الجيش الذي أصابهم على ضخامته فكيف الحال بجيوش القبائل الصغيرة لو فكرت بغزو المدينة؟!

ولقد حدث ما فكَّر به النبي ﷺ وخطَّط لتفاديه، حيث إن جيش قريش قد ندموا على اكتفائهم بإصابة المسلمين وعدم قيامهم باستئصالهم، ففكروا بالعودة إلى المدينة واستئناف الحرب مرة أخرى كما جاء في هذه الروايات، لولا ما بلغهم من خروج النبي ﷺ بجيشه إلى حمراء الأسد لملاحقتهم، فعلموا بذلك أن قوة المسلمين ما تزال حية، وأن الجراح لم تكن عائقًا لهم عن الخروج.

إن أي فكر بشري يتصور موقف المسلمين آنذاك وقد أحاط بهم الأعداء من الداخل والخارج سيصيبه الهلع والرعب والخوف على مستقبل هذه الفئة المؤمنة، ولن يستطيع أي فرد مهما كان في قوته ودهائه أن يتحمل مسؤولية تلك الفئة المحاربة من كل جانب، أما الرسول ﷺ فإنه لم يَهُنْ في مواجهة تلك الظروف القاهرة، ولم تلن له قناة أمامها؛ لأنه مؤيد بنصر الله ﷻ، وقد وعده الله بإتمام هذا الأمر مهما تكالب عليه الأعداء، ولن يخلف الله ﷻ وعده، والرسول ﷺ على ثقة من أن الله تعالى سينجز له ما وعد، فلم يضعف أمام تلك الظروف القاسية، بل واجهها جميعًا بقوة وحزم، حيث قام بإرهاب أعدائه جميعًا من أهل المدينة ومن حولها والبعيدين منها حينما مضى يتعقب جيش الكفار حتى بلغ حمراء الأسد.

وقد قامت هذه الحملة بدورها المؤثر في إرهاب أعداء الإسلام من أهل المدينة ومن حولها، حيث عرفوا أنه ليس من السهل القضاء على المؤمنين، ولا تفريقهم عن رسول الله ﷺ وقد استجابوا لدعوته إلى الجهاد مع ما بهم من الجراح المؤلمة.

أما أثر هذه الحملة على كفار قريش فقد ظهر في تصرفات أبي سفيان قائد جيشهم حيث استأجر جماعة ليخذِّلوا رسول الله ﷺ عنه لما علم بخروجه كما جاء في هذا الخبر». [**التاريخ الإسلامي للحميدي٦/ ١٣-١٤**].

٣٧ ـ حرص الصحابة رضي الله عنهم على الجهاد في سبيل الله:

يقول د/ الحميدي: «في غزوة حمراء الأسد مثل من حرص الصحابة رضي الله عنهم على الجهاد وسعيهم الجاد في تذليل الصعوبات التي تعوقهم عن الخروج، فمن ذلك خبر الأنصاري الأشهلي وأخيه اللذين خرجا مع شدة ما أصابهما من الجراح حتى كان أحدهما وهو جريح يحمل أخاه الذي كان أشد مصابًا منه، ولم يعتبر تلك الجراح مسوغًا للقعود، وعلى شاكلتهما كثير من الصحابة، وقد أثنى الله سبحانه عليهم بذلك بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢﴾ [آل عمران]».

[**التاريخ الإسلامي للحميدي ٦/ ١٥**].

٣٨ ـ قصة حمراء الأسد تمثل لونًا من الشجاعة ورسوخ الإيمان:

يقول الشيخ عرجون: «هذه الروايات والأحاديث والوقائع التي وردت في قصة المسير إلى حمراء الأسد في عقبة أُحد مباشرة تمثل في إطارها الذي ذكرناه وصورتها التي رسمناها من واقع ما كان لونًا

من الشجاعة التي انطوت عليها عزيمة رسول الله ﷺ وعزائم أصحابه، وهم يقاسون آلام جراحاتهم ـ لم يعرفه التاريخ لغيرهم قط.

فملاحقة العدو وهو منصرف من المعركة، مزهو بانتصاره فيها، يوحي إليه من التصورات والظنون التي لابد أن يكون منها في نظر هذا العدو أن جيش المسلمين لا يزال سليمًا في قوته، أو أنه قد جاءه مددٌ ماديٌّ من الرجال والأسلحة، فتكون تلك التصورات والظنون مدخلًا للرعب إلى قلوب أولئك الأعداء، ولا سيما أنَّ هذه الملاحقة كانت من الذين أصابتهم القروح والجراحات، وهم لا يزالون يكمدون جراحاتهم ويعالجون قروحهم، ويكتمون آلامهم.

وقد حظر رسول الله ﷺ على كل من لم يشهد (أُحدًا) أن يخرج مع الذاهبين لملاحقة العدو وإرهابه وإشعاره بقوة جيش المسلمين الذي كان إلى الأمس يواقفهم في ميدان المعركة، وأن ما نالوه منه من الجراحات لم يبلغ أن يكون انتصارًا يقعد هذا الجيش المسلم عن ملاحقتهم للالتحام بهم كرة أخرى، قبل أن يتركوهم منصرفين بما يعتقدونه نصرًا لهم؛ لأنه لابد أن يكون من بين تلك الوجوه التي واقفتهم في ميدان المعركة بالأمس وجوهًا تلاحقهم لمواقفتهم كرَّة أخرى.

وذلك مما يفتُّ في أعضادهم ويزعزع عزائمهم، ويوحي إليهم أنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئًا مما توهمونه نصرًا لهم؛ لأن قوة محمد ﷺ وأصحابه ما زالت سليمة تستطيع أن تقف في وجههم محاربة منتصرة كما انتصرت في (بدر).

وقد مهَّد رسول الله ﷺ لذلك بإرسال علي ﷺ ليعرف وِجهة المشركين في سيرهم، وأقسم ﷺ ليناجزنهم إن ساروا إلى المدينة، ولم ير رسول الله ﷺ أن يقعد عن ملاحقة أعدائه ليستريح من آلام جراحاته ويريح أصحابه ليداووا قروحهم، بل أمر ﷺ بملاحقة القوم وهم منصرفون إلى مكة، وأرسل بين يديه الرسل ليعرفوا له أخبار القوم، ومضى في أثرهم ومعه أصحابه في جراحاتهم وآلامهم التي تمثلها أروع تمثيل قصة الأخوين الأشهليين». [**محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٣/ ٦٣٤-٦٣٥**].

٣٩ ـ عتاب المخطئ برقة ورأفة أنفع له:

يقول د/ فيض الله: «سَرَت في الآيات المُعَقِّبَة على غزوة أُحُد، مسحة من العتاب الرقيق الرفيق، أشارت إلى الأحداث، ووَجَّهت إلى الدروس التي ينبغي أن يُفيد منها المخطئ في حياته.

١ـ فعتاب المخطئين هادئ رفيق، لا يُشْعِر بالقنوط، ولا ينزع الأمل، ولا يخدش الطمأنينة: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران].

أما عتاب المنتصرين، يوم بدر، فقد بدت فيه الشِّدة اللاذعة: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾[الأنفال].

وفي هذا حكمة عملية، وتربية قرآنية، يَحسُن أن يلتزمها أهل التربية، والقائمون على التوجيه.

٢ ـ إنه ليس المؤمن الحصيف الذي لا يخطئ، بل هو الذي ينتفع بخطيئته، ويَعتَبر بها، وليست الخطيئة بالتي تَهُدُّ الكيان، وتدك البنيان، وتَذَر الديار بلاقع، فكل بني آدم خَطَّاء، وسنة الله أن يُعَاقَب المخطئ، على أن تكون العاقبة له، ما دام مؤمنًا: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾[آل عمران].

وكفى بهذا طَمأنة ورتبًا لينًا، ورد اعتبار، وثقة بالله.

٣ ـ وهذه الجروح والقروح التي مَسَّت المؤمنين، قد مَسَّ مثلُها الكافرين يوم بدر، ويوم أُحُد، حين كان النصر أولًا للمسلمين، فلما طمعوا في الغنائم والأسلاب هبطوا عن مستوى الجهاد المتجرِّد المحتسب، الذي لا مطمع فيه ولا غرض، ودارت الدائرة عليهم، لكن في هذا ـ مع تطبيق سنن الله ـ حكمة عظيمة، وهي مداولة النصر والحكم والسلطان بين الناس؛ لِيُتَبَيَّن المؤمن من المنافق، والمُلتَزِم لمنهج الإسلام وحكمه، من المُتقلِّب والمُتغيِّر: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾[آل عمران: ١٤٠].

٤ ـ وإنه ليست نتائج المعركة المريرة، قاصرة على التمييز بين الفريقين المذكورين، بل منها أيضًا أن يختار الله من المجاهدين الذين سقطوا في المعركة، شهداء على الحق والرسالة والبلاغ؛ لأنهم لُقِّنوا الدعوة، وتَمَثَّلوها، وجاهدوا فيها بأموالهم وأنفسهم حتى ماتوا فيها، ولا مركز ينتظره الشهداء أعظم من هذا عند ربهم: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

٥ ـ وليس دخول الجنة بالأماني والأحلام المحلقة، ما لم يُمهَّد له بالجهاد في واقع الحياة العملية، وذلك بالصبر الدائب المستمر في كل الميادين، في الطاعة لأمر الله، وفي مجانبة معصية الله، ومعاداة أعداء الله، وفي معاناة المكابرين والمضللين، وفي مصاولة الباطل، ومقاومة داعي الهوى ونزوات النفس: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾[آل عمران].

٦ ـ ضرب الله تعالى مثلًا للمؤمنين، بالذين سبقوهم بإيمان وإحسان، في موكب الدعوة إلى الله، ومواكب الرسل الدعاة، لقد كانوا حشودًا في درب الإيمان الطويل، درب الجهاد والنضال في سبيل الله، وأُصيبوا في أموالهم وذواتِ أنفسهم، وتقَرَّحَت جُسُومُهم، وشُجَّت رؤوسُهم، وقُطِعَت أطرافهم، ونُكِّل بهم تنكيلًا، لكنهم لم يَستَيئِسُوا، ولم ينهاروا، وآمنوا أن ذلك من ثمن الدعوة إلى الحق، وبسبب أخطاء اقترفوها، فاستغفروا منها الله، واستغفروا لإسرافهم في أمرهم، ورَغِبُوا إليه في أن يُثَبِّتَهم في المعارك،

وينصرهم على أعدائهم، فاستجاب لهم، وكتب لهم النصر في الدنيا، والعِزَّة في الآخرة: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤٧ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤٨﴾ [آل عمران].

فكم في هذه الآي من لطف من رب العالمين، بالصحابة الذين ألـمَّت بهم هذه الكبوة العارضة! وكم فيها من عظات بالغة، ودروس، سَمَت على حطام النصر، وغنائم الفوز!

لو أن المرء وازن بينها وبين الأسلاب يوم بدر، لوجد فيها رُجْحَانًا ظاهرًا، وخيرًا وبركات، وعناية ورعاية، حانيتين أثيرتين من رب العالمين، ورُبَّ ضارةٍ نافعة». [**صور وعبر لفيض الله ١٣٧-١٣٩**].

٤٠ ـ دروس وأحكام من حمراء الأسد:

يقول د/ أبو فارس: «ويستفاد من غزوة حمراء الأسد دروس وأحكام منها:

(١) **يقظة النبي ﷺ الدائمة، وحذره المستمر**: فقد كان رسول الله ﷺ يرصد تحركات قريش بالسؤال عن أخبارهم وعن تحركاتهم، واتخاذ ما يلزم من قرارات على ضوء ما لديه من أخبار، وفي هذه الغزوة استطاع أن يعرف ما تريده قريش بعد غزوة أحد، فاتخذ قراره بسرعة.

(٢) **قوة الروح المعنوية التي كان يتمتع بها القائد، وهو رسول الله ﷺ**، وكذلك الروح المعنوية العالية التي كان يتمتع بها الصحابة في هذه الغزوة، إذ لم يتخلف واحد عن هذه الغزوة رغم ما بهم من جراحات وآلام.

(٣) لقد انقدح في نفسي ـ والله أعلم ـ أن هذه الاستجابة الكلية والفورية كانت تطبيقًا لدرس الطاعة الذي نسوه، أو لم يكترثوا به في أحد، فكان ما كان من العقوبة لهم بحرمانهم من نعمة النصر على عدوهم.

(٤) نحسب ـ والله أعلم ـ أن النبي ﷺ أراد بهذا الخروج أن يحقق عدة أهداف:

الهدف الأول: أن يقوي الروح المعنوية عند المسلمين وإن كانت قوية، وأن يجرئهم على قتال المشركين.

الهدف الثاني: أن يرد للمسلمين سمعتهم عند الآخرين، لا سيما القبائل في الجزيرة العربية، إذ ستسمع القبائل بخروج الرسول ﷺ وأصحابه، وعدم جرأة قريش على مجابهته وقتاله.

الهدف الثالث: تأديب المنافقين واليهود في المدينة، وإرهابهم بإرهاب المشركين؛ لأن العدو الداخلي إذا شعر بقوة المسلمين أُرهب وسكت، وتوقف عن الفتنة، ولم يتجرأ على التفكير في أذى المسلمين، وإذا شعر بضعف الجبهة الداخلية، وعدم قدرتها على مجابهة العدو الخارجي طغى وبغى، وعاث في الأرض الفساد.

(٥) الحزم مع رأس المنافقين وعدم السماح له بمشاركة المسلمين شرف الجهاد في سبيل الله؛ لأنه عدو كافر بقلبه ضرره أكثر من نفعه، بل كله فساد وإفساد.

(٦) اتخاذ القرار السريع الحازم الحاسم في مواجهة قريش وخطرها الذي يهدد المسلمين، ومواجهة القوة بالقوة؛ ذلك لأن القوة أضمن طريق لإحقاق الحق، وهي الحارس الأمين القوي الذي يحافظ على بقاء الحق لأهله وهكذا ينبغي أن يعلم المسلمون شعوبًا وحكومات ويطبقوا ذلك.

(٧) الهمة العالية التي تحمل صاحبها على تناسي الآلام، والهدف الأسمى الذي يجعل صاحبه يتجشم الصعاب والمخاطر، فلا يتهيب صعود الجبال حتى لا يعيش بين الحفر.

هذا ما نستفيده من موقف الرجلين الجريحين من بني عبد الأشهل.

(٨) تصرف أبي سفيان قبل انسحابه من الروحاء إلى مكة بإرسال رسالة شفوية إلى رسول الله ﷺ، وهو في حمراء الأسد، تصرف عسكري ناجح؛ يقوم على مبدأ الحرب النفسية، وشنها ضد العدو في وقت الحرب والسلم، وهذه الحرب لها أثرها الذي لا يخفى على كيس فطن أبدًا.

(٩) إن موقف النبي ﷺ من هذه الحرب النفسية كان موقفًا في غاية التوفيق والسداد والصواب، إذ لم يؤثر فيه هذا التهديد، ولم يعبأ بهذه الحرب النفسية، بل ثبت كالطود الأشم يتحدى أبا سفيان وكل المشركين، فلم ينسحب من حمراء الأسد، واستمر فيها ثلاثة أيام.

لقد فشل أبو سفيان في شن الحرب النفسية ضد المسلمين، ولم تؤت أكلها، بل كانت نتيجة هذه الحرب عكسية بالنسبة لقريش، إذ أدرك الناس في الداخل والخارج، وفي مقدمتهم المسلمون أن هذا التهديد كان جعجعة فارغة، وهذيانًا لم يصغ الناس إليه، وفي المقابل فقد أدرك الناس صدق المسلمين في خروجهم وفي تحديهم، وفي الوقوف عند كلمتهم، إنهم أصحاب مروءة وشرف ورجولة، شهد لهم الأعداء قبل الأصدقاء.

(١٠) في قول النبي ﷺ حين سمع تهديد أبي سفيان: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ درس لكل مسلم في كل زمان ومكان، وهو وجوب الاعتماد على الله وطلب النصر منه سبحانه بعد الأخذ بالأسباب المادية، إذ لا بد أن يحسب لهذا الجانب حسابًا.

(١١) كان في أمر النبي ﷺ بإشعال النيران في الليل درس؛ وهو إرهاب العدو، إذ كان المسلمون يشعلون في كل ليلة خمسمائة نار فتحيل الليل إلى نهار، فيكشف كل تحرك للعدو من بعيد، وفي نفس الوقت أن هذه النيران الكثيرة تدل على كثرة الجيش الإسلامي واستعداده ويقظته واستمرار أهبته للقتال، فلا يجرؤ أحد على التصدي له.

(١٢) أن قتل الرسول ﷺ لأبي عزة الشاعر كان في غاية الحكمة والحزم، فهو أمر مقبول ومعقول، فهو يستحق هذه العقوبة؛ لأنه نال عفو المسلمين شريطة ألا يساعد عليهم عدوًا، وإذا به يخون العهد وينطلق ليؤلب الناس على قتال من عفا عنه.

وفي القانون الدولي يحظر على الأسير أن يعود للقتال مرة ثانية، فإذا عاد للقتال مرة ثانية وأسر فإنه يقتل.

إن قتل الرسول ﷺ للأسير الخائن قد سبق هذا القانون الدولي بقرون عديدة».

[غزوة أُحد لأبي فارس ١٤٧-١٥١].

٤١ ـ صورة من صور النفاق:

يقول د/ الحميدي: «وفيما فعله ابن سلول عندما جلس الرسول ﷺ على المنبر صورة من صور النفاق التي كان عبد الله بن أبي وجماعته من المنافقين يجيدونها ويتظاهرون بها.

وقد كانوا جميعًا يؤدون تكاليف الإسلام الظاهرة كالصلاة، ويحرصون على أدائها في المسجد أحيانًا ليراهم المؤمنون، ولقد كان هذا الأمر محتملًا منهم؛ لأن تلك الأمور واجبات ظاهرة لابد أن يؤدوها وإلا اتهموا في دينهم، أما أن يتحولوا من مرحلة الالتزام الشخصي إلى مرحلة الدعوة إلى الإسلام فهذا ما أنكره بشدة على ابن أبي جماعته من الأنصار وقد حصل منه ما حصل يوم أحد.

ولقد كان موقفًا مشكورًا من أبي أيوب خالد بن زيد وعبادة بن الصامت الأنصاريين رضي الله عنهما ومَنْ كان معهما من الأنصار حيث أسكتوا ابن أبي وجروه وأخرجوه من المسجد بقوة، وأبانوا له بأنه ليس بأهل أن يصل إلى مرتبة الدعاة وقد جرى منه ما جرى.

وهذا يدل على براءة الأنصار رضي الله عنهم من الولاء لأعداء الإسلام وإن كانوا من قبائلهم، وهذا من كمال إيمانهم ورسوخ يقينهم رضي الله عنهم.

ونجد في نهاية الخبر مثلًا من حقد المنافقين على الإسلام ومشاعره العظيمة حيث يقول ابن أبي: «**أخرجني محمد من مِرْبَدِ سَهْلٍ وَسُهَيْلٍ**»، ولم يقل من المسجد لأنه لا يعترف بالمسجد ويتمنى زواله ليعود مكانه مربدًا كما كان». **[التاريخ الإسلامي للحميدي ٦/ ١٨]**.

٤٢ ـ الاغتباط بيوم أحد أضعاف الاغتباط بيوم بدر:

تحت عنوان «**مواطن العبرة من غزوة أحد**» يقول الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله في شأن غزوة أحد: «ستون آية من سورة آل عمران، من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾ [آل عمران: ١٢١-١٨٠]، نزلت كلها بعد غزوة أحد تسجيلًا لوقائعها وتفسيرًا لأسبابها ونتائجها.

وغزوة أحد ثاني الغزوتين المشهورتين في صدر الجهاد الإسلامي، والمسلمون حين يذكرون الغزوة الأولى ـ غزوة بدر ـ تغمر قلوبهم عند ذكراها موجة من البهجة والغبطة؛ لأنها كانت أول ضربة كسروا بها قيود ذلهم واستضعافهم، وسجلوا بها معجزة النصر على أعدائهم، نصر القلة على الكثرة، ونصر الضعف على القوة بل نصر قوة الحق والإيمان، على قوة الجبروت والطغيان.

ولكنهم حين يذكرون الغزوة الأخرى ـ غزوة أحد ـ يكادون يستقبلون ذكراها بملء قلوبهم حزنًا وأسفًا لما أصابهم فيها من قرح، ولما وقع لهم فيها من محنة وبلاء.

ولو فقه الناس، لكان اغتباطهم بيوم أحد أضعاف اغتباطهم بيوم بدر، ذلك أن يوم بدر كان لونًا واحدًا من النصر، وكانت منه عبرة واحدة من معجزة النصر، أما يوم أحد فقد تطور الموقف فيه أطوارًا ثلاثة، وكان لكل طور منها سره وعبرته.

لقد كان أوله نصرًا ظاهرًا كيوم بدر، بل كان النصر فيه أظهر وأبهر، كان المشركون يوم بدر ألفًا وكان المسلمون يومئذ ثلاثمائة ونيفًا، أي أنهم كانوا نحو الثلث من عدة أعدائهم.

أما في يوم أحد فكان المشركون ثلاثة آلاف، وكان المسلمون عند خروجهم ألفًا، ولكن نقص عددهم في الطريق، حيث تخلف عنهم عبد الله بن أُبي في ثلاثمائة من المنافقين، بل همت طائفتان من المؤمنين أن تتخلفا أيضًا ولكن الله ثبتهما، فأصبح جيش المسلمين سبعمائة فقط، أي أقل من الربع، ومع ذلك فقد اكتسحوا أمامهم الآلاف الثلاثة وأثخنوهم تجريحًا وتقتيلًا.

هذه هي الجولة الأولى أشارت الآية العزيزة إليها: ﴿ **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ** ﴾ أي تحشونهم حش الأعشاب، وتحصدونهم حصد الهشيم، وتستأصلونهم بإذن الله وتيسيره، فلننظر الآن كيف تحول الموقف؟

لقد كان الرسول الأعظم والقائد الملهم ـ صلوات الله عليه ـ قد بوأ المؤمنين مقاعد للقتال، وخصص لكل طائفة منهم مجالًا لا تتخطاه، جعل فريقًا من الرماة فوق الجبل، يحمون ظهر الجيش ويشغلون العدو عنه، وأصدر أمره إلى هذا الفريق بأن يثبتوا في مراكزهم مهما تكن النتيجة قائلًا لهم: «**إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ، فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ**». [البخاري في الجهاد والسير (٣٠٣٩)، وفي المغازي (٤٠٤٣)، وأبو داود في الجهاد (٢٦٦٢)، ومسند أحمد ٣٠/ ٥٥٤-٥٥٥ رقم ١٨٥٩٣].

ولكن الذي حدث هو أنه لما فر المشركون منهزمين حتى وصلوا إلى رحال نسائهم، واندفعت كتلة جيش المسلمين تجمع الغنائم والأسلاب، ظنت فرقة الرماة أنه قد وضعت الحرب أوزارها وأنه لن يكون للمشركين رجعة فتحولت عن مراكزها واتجهت بدورها إلى جمع الغنائم.

وهكذا تركت في ظهر الجيش ثغرة فطن لها فرسان المشركين، فتسللوا منها، وتتابع القوم وراءهم، هنالك أُخذ المسلمون على غِرة من خلفهم، فأصابهم الاضطراب والخور، وفر أكثرهم مصعدين في الوادي، أي منحدرين فيه لا يلوون على شيء، ولم يثبت إلا رسول الله ﷺ وقليل من أصحابه التفوا

حوله، وقد أخذتهم كلهم الجراح واستشهد منهم العشرات حتى نادى مناد أن محمدًا كان من بين القتلى فتراكمت بذلك ضروب الهم والغم على المسلمين: غم على ما فاتهم من النصر، بعد إحرازه، وغم على ما أصابهم من التقتيل والتمثيل، وغم على تركهم الرسول ﷺ خلفهم ورغبتهم بأنفسهم عن نفسه.

وتلك هي الجولة الثانية التي يقول الله تعالى في شأنها: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ﴾، ويقول: ﴿۞إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٥٣﴾.

أكثر الناس لا يعرفون عن غزوة أحد إلا هاتين المرحلتين وهذا هو ما يفسر شعور الحزن والأسى الذي يقترن في نفوسهم بذكرى هذه الموقعة؛ لأنها في نظرهم قد انتهت بكارثة، هؤلاء الناس يُسقطون من حسابهم جولة ثالثة لها خطرها وهي جولة لا يُقدِّرها حق قدرها إلا من عرف ما للشدائد والمحن من الفضل، في صهر النفوس، وشحذ العزائم، ورفع الروح المعنوية، في الجيوش القوية الإيمان السليمة الكيان، ولعمري لقد كان للوحي القرآني أكبر نصيب في إعلاء هذه الروح.

نعم لقد حزن المسلمون في أول الأمر لما أصابهم، ولكنهم لم يهنوا ولم يستكينوا، إن حرارة الحزن عندهم لم تكن نارًا تحرق القلوب، ولكنها كانت نورًا يضيء الطريق، لقد كانت نارًا وحسرات في قلوب المنافقين وضعاف النفوس، أولئك الذين ﴿أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ فجعلوا: ﴿يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ﴾، ولكنها عادت بردًا وسلامًا في قلوب المؤمنين، إذ مسح الله على ناصيتهم بكف الهجوع والنوم: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ﴾ وما إن استيقظوا هانئين آمنين حتى أخذوا يتعرفون أسباب مصابهم، ويوازنون مغتبطين بين خسائرهم وأرباحهم، ويتأهبون في الوقت نفسه بالكر على أعدائهم، لئن كان قد جُرح منهم كثير لقد جَرحوا هم أيضًا كثيرًا ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ﴾، ولئن كان استشهد منهم اليوم سبعون، لقد قتلوا في الغزوة السابقة سبعين وأسروا سبعين: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وفي الحق لقد عرفوا الآن أن ما أصابهم كان من كسب أيديهم، وأنه كان بسبب معصية بعضهم لأمر القائد، وتطلُّع بعضهم إلى عرض الدنيا، ولكن ها هم أولاء يضمدون الآن جراحهم، ويستعدون في عزم وحزم لملاقاة عدوهم، لا يزلزلهم التهديد بالجموع المحشودة لهم، ولقد كان من بركات هذا التأهب والعزم المصمم، أَنْ وَلَّى الأعداء راجعين إلى ديارهم، وتلك هي الجولة الثالثة التي أشارت إليها الآيات

الكريمة: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾.

[في رحاب التفسير لكشك ١/ ٦٧١، وخطب مختارة ٥٢٢، ولم يذكرا مصدر كلام د/ دراز].

٤٣ ـ من أين يأتينا البلاء؟ ولماذا؟:

يقول أ/ النجيري: «رأينا من خلال غزوة أُحد أن البلاء الإلهي قد نزل وعمت محنة شديدة بالمسلمين لأسباب محددة صدرت من الجماعة المسلمة أو من بعض أفرادها، ولم يمنع نزول البلاء أن المسلمين كانوا في موقف جهادي وأنهم خرجوا بنية الجهاد في سبيل الله تعالى وإن اختلفت نيات البعض.

كما لم يمنع نزول البلاء أن فيهم رسول الله ﷺ، وقد قال الله تعالى فيه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنفال].

كما لم يمنع المحنة أن تنزل بأطهر الناس قلوبًا وأرقها أحلامًا وأكثرها تقى وورعًا من أصحاب النبي ﷺ بل إن البلاء حين نزل لم يسلم منه النبي ﷺ نفسه، فجرح وأدمي وجهه الشريف.

وهكذا نجد الموقف كالآتي: قوم مؤمنون صالحون، خرجوا للجهاد في سبيل الله ﷻ، وفيهم رسول الله ﷺ استطاعوا أن يحرزوا نصرًا أول المعركة، ولكن ببعض العناصر المريضة والمنافقة داخل الصف، وببعض الذنوب والمخالفات والتشاحن، بسبب حب الدنيا والحرص عليها انقلبت إلى محنة وابتلاء شديد عمت نتيجته القائد الرسول ﷺ والجيش بكل فئاته والنتيجة النهائية للمعركة.

فماذا لو قارنا بين هذا الموقف وما يعيشه المسلمون الآن؟

ويتوجب علينا أن نفعل ذلك ـ فيما نرى ـ لأن كثيرًا من المسلمين ما زالوا يتطلعون إلى الإسلام كمفتاح سحري، وكلمة ينطقونها ـ مجرد كلمة ـ فتفتح لهم الدنيا ليسودوها ولينالهم الوعد الإلهي بالتمكين في الأرض، وهذا الخاطر الذي يتحول إلى عقيدة عند البعض، ينطوي على خدعة كبرى، وليس أدل على ذلك من أننا نرى النبي ﷺ بشخصه وأصحابه الأطهار معه ينالهم مثل هذا البلاء والانكسار بسبب ذنوب البعض ومخالفتهم وانصراف نيتهم إلى الدنيا دون الآخرة.

فكيف بنا وأين نحن من هذه التربية التي كان عليها هؤلاء النفر من أصحاب محمد ﷺ، إن خروجهم للجهاد في سبيل الله تعالى هو شيء نسيناه تمامًا اليوم ومات بيننا، وتعلقت القلوب بالدنيا وأخلدت إلى الأرض، والنبي ﷺ يبين تلك الحال التي نحن عليها بقوله: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ البَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**».

[صحيح: أخرجه أبو داود في البيوع (٣٤٦٢)، والطبراني في الكبير رقم ١٣٥٨٣، والبيهقي في السنن ٥/ ٣١٦، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٣١٣-٣١٤ من طرق عن ابن عمر ﵄ بلفظ: «أتى علينا زمان...» الحديث].

وفي حديث آخر يوضح النبي ﷺ ما ستكون عليه أمته من بعده بين غيرها من الأمم وسبب ذلك، وهو ما نحن فيه، يقول ﷺ: «**يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا**»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ **قَالَ**: «**بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ المَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ الوَهْنَ**»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ الله! وَمَا الوَهْنُ؟ **قَالَ**: «**حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ المَوْتِ**». [أبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وقال الشيخ الألباني: صحيح، ومسند أحمد ٣٧/ ٨٢ رقم ٢٢٣٩٧، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن. ينظر: صحيح الجامع الصغير رقم ٨١٨٣].

إن ترك الجهاد سبب أكيد للمذلة ونزول البلاء من السماء، وحب الدنيا وزخرفها وإيثارها على الآخرة سبب آخر لخذلان الله ﷻ الذي لا يقبل شريكًا في قلب عبده المؤمن، ولكن حال الأمة الراهنة المستوجبة لنزول البلاء أكبر من ذلك، فالمجتمعات في بلاد المسلمين حال وجهها عن طريقة الحياة الإسلامية، وكادت الشعائر الإسلامية تنطمس وتزول، وحتى على المستوى الرسمي لا ترى أنظمة الإسلام السياسية والاقتصادية، فلا حكم بشريعة الإسلام وقوانينه الإلهية، إضافة إلى نظام اقتصادي ربوي، وأكثر من ذلك انتشار كبير للفواحش وارتكاب معلن للكبائر وتضييع للفرائض وأصول الدين وحدوده، وتنازع وفرقة وتدابر... وبعد كل ذلك نسأل:

من أين يأتينا البلاء؟ ولماذا؟». [البلاء الإلهي للنجيري ١٨٦-١٩٠].

٤٤ ـ غزوة أحد جولة من المفاهيم:

يقول م/ أبو راس: «نعم لقد كان المصاب عظيمًا، ولكنَّ المسلمين ـ كما قلنا ـ كانوا منتصرين على الرغم من هذا المصاب العظيم، فالذي حدث ليس أكثر من خلخلة في الصفوف، حسبته قريش انتصارًا، طارت به مخافة أن يُسلب منها لو استمرت الجولة، وليس أدل على ذلك من رفض المشركين العودة للقتال حيث عسكر رسول الله ﷺ وصحابته بـ «حمراء الأسد» وظلوا يوقدون النار في معسكرهم طيلة ثلاث ليال في انتظار قريش، التي حاولت أن تشن حربًا باردة على المسلمين المنتظرين، الذين ردوا على الشائعة بإيمانهم الراسخ، ويقينهم القوي الشامخ: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾، وأنزل الحق فيهم وفي موقفهم الشجاع آيات تُتلى إلى يوم القيامة، يعلن فيها الحق ﷻ أن المسلمين لم يمسسهم سوء: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران].

نعم لقد كان المسلمون هم المنتصرين على الرغم مما حدث، وكيف لا؟ والحق ﷻ يقر ويعلن أنهم ـ أي الذين حضروا المعركة وكل من يأتي بعدهم من المسلمين ـ هم الأعلون: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ

ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾[آل عمران]، وهؤلاء الذين سطروا بدمائهم أرفع سجلات الرجولة والفداء، ليسوا مؤمنين فحسب ولكنهم خير القرون، ويقودهم خير الناس، سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ.

ولكن الحق ﷻ مع هذا كله عاتب المسلمين عتابًا رقيقًا، وضع به أيديهم على أسباب ما حدث من خلخلة في الصف؛ ليضع الأجيال المسلمة كلها جيلًا بعد جيل على أسباب الخور والضعف و«الهزيمة».

فقال الحق ﷻ معاتبًا المسلمين: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾[آل عمران].

ثم حتى لا يكونوا أسرى ما حدث، يشد الحق ﷻ على أيديهم ويرفع من معنوياتهم: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران].

ثم تلطف الله ﷻ مع عباده المؤمنين، وطيب من خواطرهم وذكَّرهم بأن طريق الحق بحاجة إلى المزيد من التضحيات: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[آل عمران].

ويخبرهم بأن سلعة الله الجنة سلعة غالية الثمن، وأن الأماني وحدها لا تقود إلى الجنة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾[آل عمران].

ثم عاتب الحق ﷻ أولئك الذين سُقط في أيديهم عندما وصل إلى مسامعهم بأن رسول الله ﷺ قد قُتل، فالرسول ﷺ مذ صدع بما أمره الله ﷻ به لم يَدَّعِ لنفسه ربوبية ولا ألوهية، ولكنه ﷺ أعلنها عالية مدوية واضحة، بأنه عبدُ الله ورسوله، جاء برسالة ربه ليُخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام، جاء ليقود الناس إلى الحق والعدل، جاء ليعرفهم على ربهم الحق الذي أضلتهم عنه شياطين الجن والإنس.

فكيف يعقل أن يهن رجال تربوا على مثل هذه المعاني، وأن يسقط في أيديهم ويقعدوا عن الجهاد والفداء، فهم لا يجاهدون من أجل شخص محمد ﷺ، ولكن من أجل الله رب محمد ﷺ حتى وهم يسقطون واحدًا تلو الآخر تحت أقدام محمد ﷺ مخافة أن يصيبه العدو، إنهم أصحاب عقائد، أتباع مبادئ، وليسوا عبيد أشخاص مهما كانوا، ولا أتباع رجال مهما عظموا! فإذا ما مات القائد المرشد الذي أنار بإذن الله دياجير الظلام، فإن الصلة الكبرى بالحي الذي لا يموت الذي أرسل محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق لا بد أن تظل باقية ما بقي ليل ونهار، حتى يرث الحق ﷻ الأرض وما عليها؛ لذا جاء اللوم والعتاب: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[آل عمران].

ثم بعد هذه الجولة من المفاهيم يضع الحق ﷻ يد الجماعة المؤمنة على الجرح، فما الذي حدث إلا بسبب المسلمين أنفسهم فما أخلفهم الله موعدًا ولا ظلمهم حقًّا: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾[آل عمران].

ألا كم هو جدير بمسلمي هذه الأيام أن يقفوا طويلًا طويلًا أمام هذه الدروس العظيمة علهم ـ بعون الله ـ ينهضون من هذه الوهدة التي وقعوا فيها، علهم ينهضون بواجبهم تجاه ربهم، تجاه رسولهم ﷺ، تجاه أنفسهم، تجاه العالم والعصر الذي يعيشون فيه، والذي أخذ يغوص في أوحال الخطيئة والرذيلة، وهو يتخبط في الظلام الدامس، جدير بالمسلمين أن ينثني كلٌّ على مكنون نفسه، وهو يردد إذ يرى أمته تتردى في الهزائم المتوالية المتتالية: أنى هذا؟ جدير به أن ينظر إلى نفسه ليرى أين هو من الله ﷻ؟! أفي المطيعين الممتثلين لأوامر الحق ﷻ؟! أم في العاصين، المنحرفين عن طريق الحق ﷻ؟!

كم هو جدير بالأمة الإسلامية أن تنظر إلى نفسها نظرة صادقة؛ لتعلم أن غياب شمسها واضمحلال قوتها لم يكن إلا بعد أن غرقت هذه الأمة في المعصية ـ لا من باب الاجتهاد ـ ولكن من باب الإصرار على المعصية!

كم هو جدير بالأمة الإسلامية أن تعود إلى الملك الحق الذي له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى.

كم هو جدير بالأمة الإسلامية وقد عرفت أن الركون إلى ظلم الشرق وبغي الغرب، لم يزدهم إلا ذلًّا على ذلهم، وغيابًا على غيابهم، وضعفًا على ضعفهم.

كم هو جدير بهم أن يرددوا ترديدة الواثق بالله ﷻ لا ترديدة العاجز الخائر: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾، فالشعور بمعية الله ﷻ هو النصر الحقيقي، وإن طالت ظُلمة الهزيمة، وكثر المتكالبون الحاقدون، ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ هو الناصر القاهر، هو المقدم وهو المؤخر، هو الذي يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، هو القادر على انتشالنا من وهدة ما نحن فيه، بشرط أن ننصره ﷻ، أن ينثني كل فرد على نفسه يُطيعها لأوامر الله ﷻ صغيرها وكبيرها، فنكون كما أراد لنا رسولنا ﷺ أن نكون وهو يضرب لنا المثل بنفسه «**كان قرآنا يمشي على الأرض**».

عندها تكون الأشياء كل الأشياء بحجمها الطبيعي، فلا تأخذنا الدنيا كل مأخذ، فما نحن في هذه الدنيا إلا كعابر سبيل، ولا يخيفنا الموت المحتوم فيقعدنا عن القيام بواجبنا تجاه ديننا ورسالتنا، فالموت حق فلا نامت أعين الجبناء، ويا حبذا موت الشهداء.

ولا يخيفنا فوات الرزق عن قول كلمة الحق، فإن الرزق من الأمور التي قَدَّرها الله لعبده مذ كان في بطن أمه، فلن يزيده السكوت، ولن تنقصه منافحة الباطل وأهل الباطل!

ألا كم هو جدير بنا أن نحني أضلاعنا على قرآن ربنا، علنا نتحسس الطريق إلى العزة والكرامة في الدنيا والآخرة؛ لينقلنا ربنا من نصر إلى نصر وما ذلك على الله بعزيز.

وكم هو جدير بالذين يتصدرون لدعوة الحق ﷻ أن يربطوا من استجابوا إليهم أن يربطوهم بالله ﷻ وبالإسلام وبالقرآن، لا أن يكون الربط بأشخاصهم الفانية فذلك أولى بالقدرة على التصحيح إن وقع الخطأ، وبالاستمرار على النهج الصحيح إن وهنت بعض العزائم وفترت.

أما تربية البيادق والإمعات، تربية العبيد والأتباع على غير بصيرة فإنها خسارة في الدنيا، وخسارة في الآخرة، خسارة في الدنيا؛ إذ متى كان للعبيد دَوْرٌ في بناء الأمم وتشييد صرح الحضارات.

وخسارة في الآخرة للتابع والمتبوع، يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا والأمر يومئذ لله».

[تأملات حركية في سيرة المصطفى ﷺ لأبي راس ٢١١-٢١٥].

٤٥ ـ مناط النصر:

يقول أ/ فتح الباب: «أثبتت أحداث الجزيرة العربية بعد أحد وغلبة الإسلام في نهاية الصراع أن مناط النصر قائد يملك هذه الطاقات الروحية العميقة، ويستطيع أن يُشعها على أنصاره، ويهزم بها أعداءه، قائد يمثل القيم العليا في أسمى غاياتها: قيمة الإيمان، وقيمة الصمود، وقيمة التضحية، قائد يملك الثقة بالله والقدرة على بث الثقة في نفوس الجماعة التي ينتمي إليها، وعلى تفجيرها في أرواحهم قوة لا تعدلها قوة، ونورًا يضيء السبيل إلى الهدف المنشود.

كذلك كان القائد الأعظم للأمة الإسلامية ﷺ أسوة حسنة للمؤمنين في قوله وفعله في ساعات الأمن، وفي أوقات المحن، في حله وترحاله، قوة وشجاعة لا تقف في طريقها الجبال، ولا يرهبها شبح الموت في ساحة النضال، قوة بدت منذ أُمِرَ أن يصدع بالدعوة في مكة، فلما ساومه عليها قومه قال: «**والله لو جعلوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته أو أهلك دونه**»، فلا وعد يُجدي، ولا وعيد يفيد، وليس غير أداء الرسالة هدف، ولا دون الكفاح وسيلة، ولقد اختاره الله للنهوض لمسؤوليات الدعوة، ووعده بالنصر، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨﴾ [الصف]».

[القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات لفتح الباب ٨٦].

٤٦ ـ العبرة فيما أصاب المسلمين:

يقول الشيخ أبو زهرة: «ولكن مع ذلك دروس، ففي أُحد عبر وأغلاط، هي التي جعلت المسلمين يمسهم قرح، كما مس المشركين قرح أولًا، وقرحهم أشد لأنه صحبته هزيمة.

وأن الجرح الذي أصاب المسلمين له أسباب:

أولها: أن جيش المسلمين كان فيه من يطلب الغنيمة؛ لأنه حسب أن النصر مفروغ منه بالقياس على ما كان في بدر، وقد ظهرت نيات هؤلاء قبل المعركة، إذ همت طائفتان أن تفشلا والله وليهما، وظهرت في أثناء المعركة، فقال ﷻ: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، والذين يريدون الدنيا سارعوا إلى الغنائم، وعصوا أمر الرسول ﷺ.

وظهر الذين يريدون الدنيا بعد المعركة، فقد أهمتهم أنفسهم، وندموا على الخروج؛ لأنهم لم يصيبوا مالًا وأصابتهم جراح، ولم يعرفوا أن شأن القتال اتباع مناهجه، فإن خرجوا عنها وخالفوا أمر القائد، ينالهم الثبور، وأنهم إن أطاعوا، وسلكوا المنهج المستقيم نصرهم الله تعالى بتوفيقه.

ولقد كان هؤلاء يثيرون التردد في الجهاد في قلوب أهل الإيمان، وقال الله ﷻ فيهم: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [آل عمران].

وثانيها: أن بعض الجيش الإسلامي ـ بتأثير الذين يريدون الدنيا ـ قد شُغلوا بالغنائم، ولم يطاردوا المشركين بعد أن اضطربت صفوفهم بضربات المؤمنين الصادقين أولي البأس من أصحاب محمد ﷺ، ولم يتبعوا المشركين حتى يثخنوهم، ويعجزوهم عن أن يحيطوا بهم، ويضربوا فيهم.

وثالثها: عصيان القائد، وذلك من الذين يريدون الدنيا، وقد عارضهم الذين يريدون الآخرة، ولكنَّ الأولين كشفوا ظهر المسلمين.

ولقد كانت نتيجة هذه الجراح عبرة ولم تكن هزيمة، وهي أن الله تعالى مَحَّصَ الذين آمنوا بالله وطلبوا الآخرة من الذين يريدون الدنيا، ولا يفكرون فيما عند الله تعالى في الآخرة.

فإنه في الوقت الذي كان يجري هؤلاء وراء الغنائم ـ التي كانت وبالًا ـ كان المخلصون الذين يريدون الآخرة قد أحاطوا بالرسول ﷺ يتلقون عنه ضربات السيوف وينضحون النبل، ويرمون، ويأتمرون بأمر القائد الأعظم بأمر الرسول ﷺ، وقد باعوا أنفسهم لله تعالى يقاتلون، فيَقْتلون ويُقتلون حتى شقوا الطريق، وعلوا إلى الهضبة وأخذوا يكيلون الضربات، حتى أيئسوهم من نصر، وأن يُلحقوا بالمسلمين هزيمة، ولقد قال الله ﷻ وقد تبين المجاهدون الذين أشرنا إليهم، والذين استردوا الموقف، بعد أن خرج بعمل الذين يريدون الحياة الدنيا: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران].

وقد تبين المجاهدون الصابرون، وكان منهم مَنْ قضى نحبه، ومنهم مَنْ ينتظر، وما بدلوا تبديلًا.

وإن غزوة أُحد مهما تكن نتيجتها قرر النبي ﷺ أنها جرح أصيب به المسلمون من الشرك، فقد قال: «**لَنْ يَنَالُوا مِنَّا مِثْلَ هَذَا اليَوْمِ حَتَّى نَسْتَلِمَ الرُّكْنَ** - وفي رواية - **حَتَّى يَفْتَحَ اللهُ عَلَيْنَا**».

[خاتم النبيين ﷺ لأبي زهرة ٢/ ٧٢٥-٧٢٦].

٤٧ - أحب الأسماء إلى رسول الله ﷺ:

يقول أ/ الصوياني: «وتمر الأيام ويتبقى لأُحدٍ وشهدائها ذكريات وعطر يفوح في أجواء المدينة وأحاديث أهلها.

وتمر الأيام فيولد لأحد الأنصار غلام فيحتار في تسميته، فتتجه به الحيرة إلى أحب الناس إليه، إلى رسول الله ﷺ، فيبحر به ﷺ إلى أبهج الذكريات وأقساها، يبحر به إلى أحب الأسماء إلى رسول الله ﷺ.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: وُلِدَ لِرَجُلٍ مِنَّا غُلَامٌ فَقَالُوا: مَا نُسَمِّيهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**سَمُّوهُ بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ إِلَيَّ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ**». [المستدرك على الصحيحين ٣/ ٢١٦ رقم ٤٨٨٨، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وقال الذهبي: يعقوب بن كاسب ضعيف، وقال الشيخ الألباني: ضعيف. ضعيف الجامع الصغير (٣٢٨٤)، وقال أ/ الصوياني: سنده حسن. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص ٢٦٦].

فحمزة رضي الله عنه ما زال عالقًا في الذاكرة، متجذرًا في القلب النبوي الكريم، لكن الله سبحانه ينزل على نبيه ﷺ فيما بعد أحب الأسماء إليه، فيقولها ﷺ لمن حوله: «**إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى اللهِ: عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ**».

[مسلم في الأدب (٢١٣٢)].

ولما رزق أحد الأنصار بغلام سماه محمدًا، فاحتج الأنصار على هذا الاسم، وبخلوا به عليه إكرامًا لرسول الله ﷺ، فكان جواب رسول الله ﷺ على ما حدث، ما نقله جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، قَالَ: وُلِدَ لِرَجُلٍ مِنَّا غُلَامٌ فَسَمَّاهُ مُحَمَّدًا، فَقَالَ لَهُ قَوْمُهُ: لَا نَدَعُكَ تُسَمِّي بِاسْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَانْطَلَقَ بِابْنِهِ حَامِلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ فَأَتَى بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وُلِدَ لِي غُلَامٌ فَسَمَّيْتُهُ مُحَمَّدًا فَقَالَ لِي قَوْمِي: لَا نَدَعُكَ تُسَمِّي بِاسْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَسَمَّوْا بِاسْمِي وَلَا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي، فَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ**». [مسلم في الأدب (٢١٣٣)].

إذًا فاسم محمَّد اسم محبب إلى رسول الله ﷺ، ومحبب إلى الله سبحانه، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وُلِدَ لَهُ غُلَامٌ، فَأَرَادَ أَنْ يُسَمِّيَهُ مُحَمَّدًا، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: «**أَحْسَنَتِ الْأَنْصَارُ سَمُّوا بِاسْمِي، وَلَا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي**». [مسلم في الأدب (٢١٣٣)].

فما هي هذه الكنية التي نهاهم ﷺ عن التكني بها.

جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أيضًا، يحدِّثنا عن ذلك فَيَقُولُ: وُلِدَ لِرَجُلٍ مِنَّا غُلَامٌ فَسَمَّاهُ الْقَاسِمَ، فَقُلْنَا: لَا نَكْنِيكَ أَبَا الْقَاسِمِ، وَلَا نُنْعِمُكَ عَيْنًا (أي لا نكرمك ولا نقر عينك بذلك)، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «**أَسْمِ ابْنَكَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ**». [مسلم في الأدب (٢١٣٣)].

وعندما (نَادَى رَجُلٌ رَجُلًا بِالْبَقِيعِ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي لَمْ أَعْنِكَ، إِنَّمَا دَعَوْتُ فُلَانًا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**تَسَمَّوْا بِاسْمِي وَلَا تَكَنَّوْا بِكُنْيَتِي**».

[مسلم في الأدب (٢١٣١)]. [السيرة النبوية للصوياني ٢/ ٢٦١- ٢٦٣].

٤٨ ـ من أخذ مال سعد بن الربيع رضي الله عنه؟:

يقول أ/ الصوياني: «وفي بيت سعد بن الربيع رضي الله عنه الشهيد الكريم، الذي ناصف عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ماله وأهله، في بيت هذا الربيع الممتد كالبصر حلَّ الجفاف والفقر، لقد ذهب مال سعد بن الربيع رضي الله عنه وثروته مع الريح والجشع، سعد بن الربيع رضي الله عنه لم يترك سوى زوجته وابنتيه وثروته، ولا أدري هل طلق زوجته الثانية أم توفيت؟ لكن الذي أعرفه أن ماله قد ذهب، فمن أخذ مال سعد بن الربيع؟

ها هي أم الفتاتين زوجة سعد بن الربيع رضي الله عنه وبعد مرور أيام وشهور تخرج حزينة على زوجها وبناتها، تتجه نحو النبي ﷺ تسأله حلًّا، تسأل الله فرجًا، فلا سعد ولا بناته يستحقون كل هذه المعاناة، تقف تلك الحزينة أمام الرحمة المهداة.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةُ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ بِابْنَتَيْهَا مِنْ سَعْدٍ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَتْ: **يَا رَسُولَ الله، هَاتَانِ ابْنَتَا سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، قُتِلَ أَبُوهُمَا مَعَكَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا، وَإِنَّ عَمَّهُمَا أَخَذَ مَالَهُمَا، فَلَمْ يَدَعْ لَهُمَا مَالًا، وَلَا تُنْكَحَانِ إِلَّا وَلَهُمَا مَالٌ** (أي انه لن يرغب أحد فيهما وهما معدمتان)، قَالَ: «**يَقْضِي اللهُ فِي ذَلِكَ**»، فَنَزَلَتْ: آيَةُ الْمِيرَاثِ، فَبَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى عَمِّهِمَا، فَقَالَ: «**أَعْطِ ابْنَتَيْ سَعْدٍ الثُّلُثَيْنِ، وَأَعْطِ أُمَّهُمَا الثُّمُنَ، وَمَا بَقِيَ فَهُوَ لَكَ**». [أبو داود في الفرائض (٢٨٩١، ٢٨٩٢)، والترمذي في الفرائض (٢٠٩٢) واللفظ له، وابن ماجه في الفرائض (٢٧٢٠)، ومسند أحمد ٢٣/ ١٠٨ رقم ١٤٧٩٨، وقال الشيخان الألباني والأرناؤوط: حسن، والمستدرك للحاكم ٤/ ٣٧٠ رقم ٧٩٥٤، وقال الحاكم: صحيح، ووافقه الذهبي].

إنها قسمة الله، لا قسمة الجاهلية والعادات والتقاليد، آية تغسل قلب سامعها من الجشع، تغسله بأنهار العطف والرأفة.

تجعله في مكان المفجوع بنفسه، تجعله يشعر بمرارة اليتم، بليل اليتم يخيم على أبنائه، فإذا لم يكن صاحب قلب رقيق ومرهف، فالآية التي بعدها تصدع قلبه المتحجر، وتملأ بطنه الجشع بالجمر والنار، وتقذف به في الجحيم والسعير الذي لا ينطفئ، أما الآية الثالثة فهي رحمة من الله الرحيم بالأولاد أكثر من رحمة الآباء بأولادهم، والأبناء بآبائهم، إن الله يوصي الآباء بأبنائهم، والموصي أرحم من الموصى.

وقد جعل الله نصيب الذكر أكثر من نصيب الأنثى في الميراث مرتين؛ لأن عليه مسؤوليات تجاه الأنثى عديدة، فالرجل يجب عليه الإنفاق على أمه وأخته وزوجته وابنته، وهو الذي يدفع المهر لزوجته، بل يجب عليه أن يكسو زوجته، وأن يقدم لها الطعام جاهزًا للأكل.

عَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: مَا حَقُّ الْمَرْأَةِ عَلَى الزَّوْجِ؟ قَالَ ﷺ: **«أَنْ يُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمَ، وَأَنْ يَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَى، وَلَا يَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلَا يُقَبِّحْ، وَلَا يَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ»**.

[ابن ماجه في النكاح (١٨٥٠)، وقال الشيخ الألباني: صحيح].

إنها فريضة من الله، وهو الذي خلق هذا الإنسان المعجزة، وهو أعلم به وأحكم وأدرى بما يجعل حياته سعيدة مشرقةً دائمًا، وقد بيَّن ﷺ أن الفتاتين لهما حكم ما فوق الاثنتين، عندما خاطب شقيق سعد بن الربيع.

أخبرنا بذلك جابر بن عبد الله رضي الله عنهما الذي تراكمت عليه المسؤوليات، وربما كانت هي سبب مرضه الآن.

إنه يعاني من وعكةٍ ألزمته الفراش بين أخواته يمرضنه ويخفن أن يغادرهن كوالدهن رضي الله عنه، لقد اشتد به المرض فلم يعد يعقل شيئًا، وانتقل خبر مرضه إلى رسول الله ﷺ، فاتجه هو وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه إلى حي بني سلمة لزيارته، يقول جابر رضي الله عنه: مَرِضْتُ فَجَاءَنِي رَسُولُ الله ﷺ يَعُودُنِي، وَأَبُو بَكْرٍ، وَهُمَا مَاشِيَانِ [فِي بَنِي سَلِمَةَ]، فَأَتَانِي وَقَدْ أُغْمِيَ عَلَيَّ [فَوَجَدَنِي النَّبِيُّ ﷺ لَا أَعْقِلُ شَيْئًا، فَدَعَا بِمَاءٍ]، فَتَوَضَّأَ رَسُولُ الله ﷺ، ثُمَّ صَبَّ [رَشَّ، نَضَحَ] وَضُوءَهُ عَلَيَّ، فَأَفَقْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ فَقُلْتُ: أَيْ رَسُولَ الله، كَيْفَ أَقْضِي [مَا تَأْمُرُنِي أَنْ أَصْنَعَ] فِي مَالِي؟ ـ كَيْفَ أَصْنَعُ فِي مَالِي؟ ـ قَالَ: فَمَا أَجَابَنِي بِشَيْءٍ حَتَّى نَزَلَتْ: «آيَةُ الْمِيرَاثِ [﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ ﴾ [النساء:١١]، **[يَا رَسُولَ الله، إِنَّمَا لِي أَخَوَاتٌ** [لَا يَرِثُنِي إِلَّا كَلَالَةٌ، فَكَيْفَ الْمِيرَاثُ؟]، **فَنَزَلَتْ آيَةُ الْفَرَائِضِ**]. [البخاري في الاعتصام بالكتاب (٧٣٠٩)، وفي تفسير القرآن (٤٥٧٧)، وفي الفرائض (٦٧٤٣)، وفي المرضى (٥٦٧٦)].

وهي الآية التي بعد الآية السابقة، وهي قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ١٢ ﴾ [النساء].

فهو أعلم بخلقه وأدرى بما يجعلهم سعداء في الدنيا والآخرة، إنه يكرمهم بآيات الميراث ويحفظ حقوق الأيتام والورثة، وفي ذلك تكريم للكريم سعد بن الربيع رضي الله عنه، وتكريم لعبد الله بن حرام رضي الله عنه.

[السيرة النبوية للصوياني ٢/ ٢٦٨- ٢٧٠].

المبحث الثالث
الدروس الفقهية

١ ـ حكم التمثيل بجثث الأعداء [(١)]:

أولاً: المراد بالتمثيل بالجثث: جاء في المصباح المنير: «مَثَلْتُ بالقتيل مَثْلًا من باب قَتَل وضَرَب ـ إذا جَدَعْتَه، وظهرتْ آثارُ فِعْلِكَ عليه، تنكيلًا، والتشديد مبالغة (أي: مثَّلتُ تمثيلًا). والاسم: المُثْلَة، وِزان: غُرفَة». [المصباح المنير ص٢١٥].

وجاء فيه أيضًا: «جدعتُ: الأنف جَدْعًا، من باب نَفَع: قطعْتُه، وكذا الأُذن، واليد، والشفة». [المصباح المنير ص٣٦].

وعلى هذا، فالمُثلة أو التمثيل بالجُثة يعني في اللغة: فَصْل أي عضو عنها، وتشويهها.

وبهذا جاء تعريف المُثلة، أو التمثيل عند الفقهاء، والمحدِّثين.. ومن ذلك قولهم: «المُثلة:.. أن يُجْدَع المقتول، أو يُسْمَل (سملت عينه سملًا، من باب قَتَل: فقأتها)، أو يُقطع عضوٌ منه». [طلبة الطلبة للنسفي ص١٦٧].

«يقال: مَثَّلَ بالقتيل: إذا قطع أنفه، أو أذنه، أو مذاكيره، أو شيئًا من أطرافه». [سبل السلام للصنعاني ٤/ ٤٦].

«مَثَّل بالقتيل: إذا جَدَعه، وشوَّه خِلقَتَه». [جامع الأصول، لابن الأثير٢/ ٢١٠].

هذا، ويدخل في هذا الباب ـ بطبيعة الحال ـ ما كان يجري أحيانًا، من قطع رؤوس بعض القتلى، وإرسالها إلى هنا، وهناك، لبعض الأغراض...

جاء في السير الكبير وشرحه: «**وإبانة الرأس مُثْلَة**». [شرح السير الكبير ١/ ١١٠].

ثانيًا: النصوص الشرعية الواردة في هذا الخصوص: وردت عدة أخبار تتصل بالتمثيل بالجثث ـ كيف يكون؟ وما هو حُكْمه؟ وهذا بعض ما ورد في ذلك:

ـ من أخبار غزوة «أُحُد» التي أُصيب فيها المسلمون، ومُثِّل فيها بقتلاهم.

جاء في صحيح البخاري ما يلي: «قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: **يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَالحَرْبُ سِجَالٌ** (أي: نوب، والسجل: الدلو.. فكأنه شبه المتحاربين بالمستقيين، يستقي هذا دلوًا، وهذا دلوًا)، **إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ فِي القَوْمِ مُثْلَةً، لَمْ آمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسُؤْنِي**». [البخاري في المغازي (٤٠٤٣)، فتح الباري ٧/ ٣٥٠].

وفي بيان تلك المُثلة التي شوه بها المشركون جُثث المسلمين في «أُحُد» جاء في فتح الباري ما نصه: «قَالَ اِبْن إِسْحَاق: حَدَّثَنِي صَالِح بْن كَيْسَانَ قَالَ: «خَرَجَتْ هِنْدُ وَالنِّسْوَةُ مِنْهَا يُمَثِّلنَ بِالقَتْلَى، يَجْدَعْنَ

---

(١) الجهاد والقتال لخير هيكل ٢/ ١٣٠١-١٣١٠ بتصرف يسير.

الآذَانَ وَالأُنُفَ، حَتَّى اتَّخَذَتْ هِنْدُ مِنْ ذَلِكَ خُزُمًا وَقَلَائِدَ، وَأَعْطَتْ خُزُمَهَا وَقَلَائِدَهَا ـ أَيْ اللَّائِي كُنَّ عَلَيْهَا ـ لِوَحْشِيٍّ جَزَاءً لَهُ عَلَى قَتْلِ حَمْزَةَ، وَبَقَرَتْ عَنْ كَبِدِ حَمْزَةَ فَلَاكَتْهَا، فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُسِيغَهَا فَلَفَظَتْهَا».

[فتح الباري ٧/ ٣٥٢].

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ قَالَ: لـَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أُصِيبَ مِنَ الأَنْصَارِ أَرْبَعَةٌ وَسِتُّونَ رَجُلًا، وَمِنْ الْمُهَاجِرِينَ سِتَّةٌ، فِيهِمْ حَمْزَةُ ﷺ، فَمَثَّلُوا بِهِمْ، فَقَالَتْ الأَنْصَارُ: **لَئِنْ أَصَبْنَا مِنْهُمْ يَوْمًا مِثْلَ هَذَا لَنُرْبِيَنَّ** [أي: لنزيدن] **عَلَيْهِمْ**، قَالَ: فَلـَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل]، فَقَالَ رَجُلٌ: **لا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ**، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُفُّوا عَنْ الْقَوْمِ إِلا أَرْبَعَةً**». [الترمذي في تفسير القرآن (٣١٢٨، ٣١٢٩)، وقال الترمذي: هذا حديث حسنٌ غريبٌ من حديث أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح الإسناد، وأخرجه أحمد ٣٥/ ١٥٢، ١٥٤ رقم ٢١٢٢٩، ٢١٢٣٠ وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن، والحاكم ٢/ ٣٥٩ وابن حبان (١٦٩٥). وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ١٣٥ وزاد نسبته إلى النسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل»].

وفي سيرة ابن هشام: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ حِينَ رَأَى مَا رَأَى: «**لَوْلَا أَنْ تَحْزَنَ صَفِيَّةُ، وَيَكُونُ سُنَّةً مِنْ بَعْدِي لَتَرَكْتُهُ، حَتَّى يَكُونَ فِي بِطُونِ السِّبَاعِ وَحَوَاصِلِ الطَّيْرِ، وَلَئِنْ أَظْهَرَنِي اللهُ عَلَى قُرَيْشٍ فِي مَوْطِنٍ مِنْ الْمَوَاطِنِ لَأُمَثِّلَنَّ بِثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ**» (وفي رواية: «**لَأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ**». أسباب النزول ـ للواحدي ص١٩٢)، فَلـَمَّا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حُزْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَغَيْظَهُ عَلَى مَنْ فَعَلَ بِعَمِّهِ مَا فَعَلَ قَالُوا: **وَاللهِ لَئِنْ أَظْفَرَنَا اللهُ بِهِمْ يَوْمًا مِنْ الدَّهْرِ لَنُمَثِّلَنَّ بِهِمْ مُثْلَةً لَمْ يُمَثِّلْهَا أَحَدٌ مِنْ الْعَرَبِ**...

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي مَنْ لَا أَتَّهِمُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ: إِنَّ اللهَ ﷻ أَنْزَلَ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَوْلِ أَصْحَابِهِ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [النحل] فَعَفَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَبَرَ وَنَهَى عَنْ الْمُثْلَةِ.

[سيرة ابن هشام (الروض الأنف ٣/ ١٧٠) وينظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣/ ١٩٦-١٩٧، حيث أورد حديث التمثيل بحمزة ﷺ، وقول النبي ﷺ: لولا أن تحزن صفية... ثم قال: (صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه)].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَزِيدَ الأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ: «**نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ النُّهْبَى وَالـمُثْلَةِ**».

[البخاري في المظالم والغصب (٢٤٧٤)].

جاء في شرح هذا النص ما يلي: «النُّهْبَى:... من النَّهْب، وهو أخذ المرء ما ليس له جهارًا».

[فتح الباري ٥/ ١٢٠].

«المثلة: تشويه خِلقة القتيل، كجدع أطرافه، وجَبِّ مذاكِره، ونحو ذلك.

[جامع الأصول لابن الأثير ١٠/ ٢٧٣].

وعن بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى الله وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ لهم: «**اغْزُوا بِاسْمِ الله فِي سَبِيلِ الله، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِالله، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا** (لا تخونوا في الغنيمة)، **وَلَا تَغْدِرُوا** (لا تنقضوا العهد)، **وَلَا تَمْثُلُوا** (لا تشوهوا القتلى بقطع الأنوف والآذان)، **وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا...**». [**مسلم في الجهاد والسير (١٧٣١)، وأبو داود في الجهاد (٢٦١٢، ٢٦١٣)، والترمذي في السير (١٦١٧)، وابن ماجه في الجهاد (٢٨٥٨)، ومالك في الموطأ كتاب الجهاد باب النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو، والدارمي في السير (٢٤٤٢)، وأحمد عن بريدة الأسلمي ﷺ (٢٢٤٦٩، ٢٢٥٢١)**].

هذه النصوص السابقة، تدل على المراد بالتمثيل في الجثث، كيف يكون؟ كما تشير إلى الحُكم الشرعي في هذا التمثيل، وهو ما سنتحدث عنه في الأمر الثالث من هذا المطلب.

ثالثًا: آراء العلماء في التمثيل بجثث العدو:

الرأي الأول: هو أن التمثيل بجُثث العدو كان جائزًا في الإسلام، بشرط المعاملة بالمثل، وشرط المساواة في تلك المعاملة، ثم نُسخ هذا الجواز، فصار التمثيل حرامًا، حتى ولو مَثَّل العدو بجثث المسلمين.

يقول الطبري في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ الآية: قال بعضهم: نزلت من أجل أن رسول الله ﷺ وأصحابه أقسموا حين فعل المُشركون يوم أُحد ما فعلوا بقتلى المسلمين من التمثيل بهم، أن يجاوزوا فعلهم في الـمُثْلة بهم، إن رزقوا الظفر عليهم يومًا، فنهاهم الله عن ذلك بهذه الآية، وأمرهم أن يقتصروا في التمثيل بهم إن هم ظفروا على مثل الذي كان منهم، ثم أمرهم بعد ذلك بترك التمثيل، وإيثار الصبر عنه بقوله: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ فنسخ بذلك عندهم «أي: عند هذا البعض من العلماء» ما كان أذن لهم فيه من الـمُثْلة». [**جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ١٤/ ١٣١**].

وفي هذا الاتجاه القائل بتحريم التمثيل بجثث العدو ـ جاء في «قوانين الأحكام الشرعية» من كتب المالكية: «ولا يجوز حمل رؤوس الكفار من بلد إلى بلد، ولا حَمْلها إلى الكفار».

[**قوانين الأحكام الشرعية: لابن جُزي ص١٦٥**].

هذا ويبدو أن ذلك لما فيه من التمثيل بجثث العدو؛ لأن فصل رأس الجثة بعد القتل من أجل إرسالها إلى هنا وهناك ـ هو من المُثلة.. والمُثلة عند المالكية حرام ـ يقول «ابن رشد» المالكي: «وصح النهي عن المثلة». [**بداية المجتهد «الهداية بتخريج أحاديث البداية» ٦/ ٢٥**].

ـ وفي هذا الاتجاه أيضًا، أي: الاتجاه القائل بتحريم التمثيل بجثث العدو، يقول الصنعاني ـ بصدد ما ينبغي على «الإمام» أن يُوصي به قائد الجيش، أو السرية، حين يُوجهه نحو العدو ـ يقول: «ثم يخبره بتحريم الغلول من الغنيمة، وتحريم الغدر، وتحريم المُثلة، وتحريم قتل صبيان المشركين، وهذه محرمات بالإجماع». [**سبل السلام للصنعاني ٤/ ٤٦**].

وقبل الصنعاني، ذكر الزمخشري ما يفيد الإجماع على تحريم التمثيل، قال في تفسيره: «لا خلاف في تحريم المثلة». [تفسير الكشاف للزمخشري ٢/ ٥٠٣].

ـ ويقول الشوكاني في ذلك أيضًا: «قوله: «ولا تمثلوا» فيه دليل على تحريم المثلة». [نيل الأوطار٨/ ٢٦٣].

الرأي الثاني: هو أن التمثيل بجثث العدو ـ حُكمه الكراهة التنزيهية فقط، أي: هو جائز وليس بحرام، وإن كان الأفضل ترك التمثيل.

أقول: وهذا الرأي، على إطلاقه يفيد جواز التمثيل مع الكراهة، وسواء مَثَّل العدو بجثث المسلمين أم امتنعوا عن ذلك.

يقول الإمام النووي: «قال بعضهم: النهي عن المثلة نهي تنزيه، وليس بحرام».

[شرح النووي على صحيح مسلم ٧/ ١٧٧].

ويبدو أن النووي ـ وهو من المرجحين في المذهب الشافعي ـ يميل إلى هذا الرأي؛ ولذلك قال في شرحه لحديث بريدة السابق: «في هذه الكلمات من الحديث فوائد مجمع عليها، وهي: تحريم الغدر، وتحريم الغلول، وتحريم قتل الصبيان إذا لم يقاتلوا، وكراهة المثلة»!. [شرح النووي على مسلم ٧/ ٣١١].

هذا، وظاهر مما تقدم أنه لا إجماع في هذه المسألة، لا على تحريم التمثيل، ولا على كونه مكروهًا كراهة تنزيهية فقط بلا تحريم.

والذي يبدو لي أن «النووي» يقصد بالكراهة المُجمع عليها ـ ذلك القدر المشترك بين الكراهة التنزيهية، والكراهة التحريمية، وذلك القدر المشترك هو طلب الترك مطلقًا، بصرف النظر عن كونه جازمًا، أو غير جازم، وطلب الترك هذا ـ يصدق عليه بأنه مكروه، وأنه مجمع عليه أيضًا، كما قال الإمام النووي، ولكن بالمعنى الذي بيناه.

الرأي الثالث: هو جواز التمثيل بجثث العدو إذا اقتضت المصلحة ذلك والجواز هنا، بمعنى الإباحة بدليل أن الأصل في حكم التمثيل حسب هذا الرأي هو الكراهة فقط، لا التحريم.

جاء في المغني لابن قدامة ـ من الحنابلة ـ ما نصه: «يُكْرَهُ نَقْل رُؤُوسِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ بَلَدٍ إلَى بَلَدٍ، وَالْمُثْلَةُ بِقَتْلَاهُمْ وَتَعْذِيبُهُمْ... وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: لَمْ يُحْمَلْ إلَى النَّبِيِّ ﷺ رَأْسٌ قَطُّ، وَحُمِلَ إلَى أَبِي بَكْرٍ ﷺ رَأْسٌ فَأَنْكَرَ... وَيُكْرَهُ رَمْيُهَا فِي الْمَنْجَنِيقِ، نَصَّ عَلَيْهِ أَحْمَدُ، **وَإِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ لِمَصْلَحَةٍ جَازَ**، لِمَا رَوَيْنَا، أَنَّ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ ﷺ حِينَ حَاصَرَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ، ظَفِرَ بِرَجُلٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، فَأَخَذُوا رَأْسَهُ، فَجَاءَ قَوْمُهُ عَمْرًا ﷺ مُغْضَبِينَ، فَقَالَ لَهُمْ عَمْرٌو ﷺ: خُذُوا رَجُلًا مِنْهُمْ فَاقْطَعُوا رَأْسَهُ، فَارْمُوا بِهِ إلَيْهِمْ فِي الْمَنْجَنِيقِ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، فَرَمَى أَهْلُ الْإِسْكَنْدَرِيَّة رَأْسَ الْمُسْلِمِ إلَى قَوْمِهِ!».

[المغني لابن قدامة ١٠/ ٥٦٥- ٥٦٦، وينظر: الشرح الكبير للمقدسي ١٠/ ٤٥٩-٤٦٠].

وجاء في السير الكبير وشرحه ـ من كتب الأحناف: «ذكر عن عقبة بن عامر الجهني ﷺ أنه قدم على أبي بكر الصديق ﷺ برأس يناق البطريق فأنكر ذلك، فقيل له: يا خليفة رسول الله! إنهم يفعلون ذلك بنا، قال: **فاستنان بفارس والروم؟ لا يُحمل إليّ رأس، إنما يكفي الكتاب والخبر**. [ينظر: سنن البيهقي ٩/ ١٣٢].

فبظاهر الحديث «أي: قول أبي بكر ﷺ» أخذ بعض العلماء، وقال: لا يحل حمل الرؤوس إلى الولاة؛ لأنها جيفة، فالسبيل دفنها لإماطة الأذى؛ ولأن إبانة الرأس مثلة، ونهى رسول الله ﷺ عن المثلة ولو بالكلب العقور... [مجمع الزوائد ٦/ ٢٤٩، وقال الهيثمي: رواه الطبراني، وإسناده منقطع]

وأكثر مشايخنا (أي: من الأحناف) ـ رحمهم الله ـ على أنه إذا كان في ذلك كبت وغيظ للمشركين، أو فراغ قلب للمسلمين، بأن كان المقتول من قواد المشركين، أو عظماء المبارزين، فلا بأس بذلك...».
[شرح السير الكبير ١/ ١١٠].

هذا موجز ما لدى الفقهاء حول مسألة التمثيل بجثث العدو.. وخلاصة ما تقدم أن الآراء الفقهية في هذه المسألة تنوعت ما بين:

ـ التحريم، كما قال البعض ـ والكراهة، كما قال بعض آخر ـ والإباحة لمصلحة مشروعة، كما قال غيرهم.

رابعًا: الرأي الذي نرجحه في هذه المسألة: إننا نرجح الرأي الذي نقله الطبري في تفسيره عن بعض العلماء، وقالوا عنه، بأنه رأي منسوخ! وخلاصته: أن التمثيل بجثث الأعداء جائز بشرط المعاملة بالمثل، ونرى أن هذا الحكم باق، وليس بمنسوخ، كما قال أولئك البعض.

ولتوضيح ذلك نقول: تقدم أن حديث الترمذي في شأن التمثيل بقتلى المسلمين في «أُحُد» ـ هو حديث صحيح، وأنه في هذا الشأن ـ نزلت الآية: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل]، وعليه، فإنه يجوز للمسلمين أن يُمثِّلوا بقتلى العدو، ولكن بشرط المعاملة بالمثل مع المساواة في تلك المعاملة ـ كما تدل عليه الآية بصراحة ـ بمعنى أن العدو إذا امتنع عن التمثيل بقتلى المسلمين فإنه يحرم على المسلمين أن يمثلوا بقتلاه أيضًا، أما إذا تجرأ العدو على التمثيل بقتلى المسلمين فإنه يجوز للمسلمين في المقابل أن يمثلوا بجثث العدو، ويحرم عليهم أن يمثلوا بأكثر من العدد الذي مثل به العدو، ولكن مع ذلك فإن الأفضل للمسلمين أن لا يعاملوا الأعداء بالمثل، أي: ينـدب تـرك التمثيل بجثث العدو، ولو مَثَّل هو بجثث المسلمين، ودليل هذا الندب هو قوله تعالى: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل]، فمثل هذا الأسلوب يدل على الندب إلى الصبر في هذا الموضوع، بمعنى: حبس المسلمين أنفسهم عن معاملة الأعداء بالمثل، وإن كانت تلك المعاملة بالمثل جائزة، وليست بحرام.

هذا، ويبدو لي أن هذا الحكم أي: جواز المعاملة بالمثل مع الندب إلى العفو، هو حكم خاص بالمسلمين فقط، دون النبي ﷺ؛ لأن الخطاب في الآية يخصهم وحدهم: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾، أما بالنسبة إلى النبي ﷺ ـ فإن معاملته للكفار بالمثل، جزاء على ما فعلوه بعمه حمزة ؓ ليس مجرد أمر مندوب إلى تركه، بل هو أمر لازم بحقه ﷺ، أي: يجب عليه الصبر، وعدم التفكير بالانتقام، ويدل على هذا ـ الآية اللاحقة مباشرة للآية السابقة، وهي قوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [النحل]، ففي الآية السابقة توجه الخطاب فيها للمسلمين ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾وهو يدل على الندب، وأما في الآية التالية فقد توجه الخطاب فيها للنبي ﷺ خاصة، بصيغة الأمر، ﴿ وَٱصْبِرْ﴾؛ مما يدل على مطالبته بأكثر مما طولب به المسلمون من مجرد الندب إلى الصبر، وترك التمثيل.

ولعل مما يؤيد هذا ـ ما ورد من أنه بعد نزول هذه الآية: قال النبي ﷺ: «**بلى، نصبر**»، وأمسك عما أراد، وكفَّر عن يمينه». [**أسباب النزول للواحدي ص١٩٢**].

وعلى هذا، فالقول بالنسخ، الذي نقله الطبري عن بعض العلماء لهذا الحكم ـ إنما يرد على حكم التمثيل إذا أراد النبي ﷺ أن يقوم به انتقامًا لعمه حمزة ؓ كما يُفهم من قوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ﴾، وذلك إذا ثبت أن هذه الآية متأخرة في النزول عما قبلها، فيكون الرسول ﷺ مشمولًا، أولًا، بالندب إلى الصبر، وترك التمثيل، ثم نزل حكم آخر ـ في حقه ـ يخصه بالأمر بالصبر، وترك الانتقام، هذا، وما دام ذلك لم يثبت ـ أعني: تأخر نزول ﴿ وَٱصْبِرْ﴾ عما قبلها ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾ ـ فيكون الحكم بالتمثيل ابتداء هو جواز قيام المسلمين به معاملة بالمثل، وعدم جواز ذلك في حق النبي ﷺ.

وعلى هذا، فإن الأحاديث الواردة في النهي عن التمثيل، إنما تدل على تحريم التمثيل في غير الحالة السابقة ـ أي: في غير المعاملة بالمثل.

وهكذا يُجمع بين الآية التي تدل على جواز المعاملة بالمثل في هذه المسألة، وبين الأحاديث التي تدل على النهي عن التمثيل، والجمع بين الدليلين ـ كما هو معروف ـ أولى من القول بأن أحدهما ناسخ للآخر، سواء ما حكم به الله في القرآن من جواز التمثيل، كما تقدم، أو ما حكم به النبي ﷺ من النهي عن التمثيل، ما دام لا وجود لخبر عن رسول الله ﷺ، ولا دليل على أن أحدهما ناسخ للآخر..

وفي مثل هذا يقول الإمام الشافعي ما نصه: «ولا يجوز أن يُقال: واحد منهما ناسخ، إلا بخبر عن رسول الله ﷺ، ويمضيان جميعًا على وجوههما، ما كان إلى إمضائهما سبيل.. إمضاء حكم الله ﷻ، وحكم رسوله ﷺ معًا!». [**كتاب الأم للشافعي ٤/ ٢٤١**].

وبعد، فهذا ما نرجحه في حكم هذه المسألة.

بقيت ملاحظة أخيرة على ما تقدم، وهي أن ما ذكرناه ـ فيما سبق ـ هو الحكم الذي نراه بعد نزول آية ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾، ثم إن كانت هذه الآية قد نزلت مباشرة بعد إعلان المسلمين عن عزمهم على الانتقام بالتمثيل في جثث قتلى المشركين، في معركة قادمة إن ظفروا بهم ـ فالحكم هو ما ذُكر، وهذا ما تشير إليه الرواية في سيرة ابن هشام، وكذلك الأمر إن كانت الآية المذكورة قد نزلت في مكة قبل الهجرة، شأنها شأن السورة كلها، كما ذكر بعض المفسرين. [**ينظر تفسير القرطبي ١٠/ ٢٠١، وتفسير الآلوسي ١٤/ ٢٥٧**].

وعلى هذا، يكون ما ورد من أنها نزلت بصدد التمثيل إنما هو مجرد إعادة التذكير بها للدلالة على أن الحكم في التمثيل يخضع لمفهوم الآية المذكورة.

ـ وأما إن كانت الآية ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ قد نزلت في فتح مكة، ابتداءً، كما تشير إلى ذلك رواية الترمذي، فمعنى هذا، أنه خلال المدة ما بين معركة «أُحُد» و«فتح مكة» كان حكم التمثيل بجثث العدو جائزًا على سبيل الرد على ما فعل المشركون في «أُحُد» وبدون التقيد بالمساواة في المعاملة بالمثل، بمعنى أنه كان يجوز للمسلمين أن يزيدوا في عدد من يمثلون بهم من جثث الأعداء، على العدد الذي مثل به الكفار من جثث المسلمين.

والدليل على هذه الزيادة أن النبي ﷺ قد أعلن عن تلك الزيادة، وقوله تشريع، وحتى لو لم يعلن هو ﷺ عن تلك الزيادة، وإنما أعلن عنها المسلمون، وسكت الرسول ﷺ عن ذلك، ولم ينكره ـ كما في حديث الترمذي الصحيح ـ فسكوته إقرار، وهو من التشريع أيضًا.

ولا يلغي هذا الحكم الشرعي أن المسلمين في عهد النبي ﷺ لم يثبت أنهم قد عملوا به، فلم يمثلوا بأية جثة للكفار، لا في الزيادة على مثل ما فعل المشركون في «أُحُد»، ولا في حدود المساواة في المعاملة بالمثل.

أقول: لا يُلغِي حكم جواز التمثيل بجثث الكفار، في الإطار المذكور، أن المسلمين لم يعملوا به؛ لأن هذا الحكم يعطيهم الحق في التمثيل، وليس يعني وجوب القيام بهذا العمل.

وعلى كل حال، فقد استقر التشريع أخيرًا ـ كما ترجح لدينا ـ على جواز المعاملة بالمثل، وفي إطار المساواة في تلك المعاملة بلا زيادة، على نحو ما سبق تفصيله.

وخلاصة ما نراه في هذه المسألة ـ على ضوء ما تقدم ـ هو ما يلي:

١ـ الأصل أن التمثيل بجثث الأعداء حرام، للأحاديث السابقة التي تنهى عن المثلة.

٢ ـ إذا مَثَّل الأعداء بجثث المسلمين ـ جائز للمسلمين معاملتهم بالمثل، للآية التي رخَّصت في ذلك، وتحرم الزيادة على المثل، كما يحرم التمثيل أصلًا إذا امتنع عنه العدو.

٣ـ يجب على الرسول ﷺ، الصبر، والكف عن التمثيل بقصد الانتقام لعمه «حمزة» رضي الله عنه.

٤ـ يندب للمسلمين الصبر، والكف عن التمثيل بقصد الانتقام لمن مُثِّل بهم من المسلمين.

هذه هي خلاصة ما نراه في هذه المسألة». [هذا، وقد رجح أستاذنا الدكتور وهبة الزحيلي تحريم التمثيل مطلقًا، وإن مثل العدو بجثث المسلمين. ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته ٦/ ٧٢٠ ـ وآثار الحرب ص٤٦٠].

[الجهاد والقتال لخير هيكل ٢/ ١٣٠١-١٣١٠].

٢ ـ ما حكم البكاء على الميت؟:

يقول أ/ عبَّاد: «يجوز البكاء على الميت ولو بصوت مرتفع إذا لم يصحبه صراخ أو لطم للخدود أو شق للجيوب أو دعاء بالويل والثبور ونحو ذلك مما حرمته الشريعة الغراء، فنحن بأُحد نرى النبي ﷺ يبكي والصحابة يبكون والنساء تبكي.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: دَخَلنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ القَيْنِ، وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام، فَأَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ الله ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه: **وَأَنْتَ يَا رَسُولَ الله؟!** فَقَالَ: «**يَا بْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ**»، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا [يَرْضَى رَبُّنَا]، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**». [البخاري في الجنائز (١٣٠٣)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٥)، وأبو داود في الجنائز (٣١٢٦)، وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه (١٢٦٠٢)].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ:... لـمَّا مَاتَتْ زَيْنَبُ ابْنَةُ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الحَقِي بِسَلَفِنَا الصَّالِحِ الخَيْرِ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ**»، فَبَكَتْ النِّسَاءُ، فَجَعَلَ عُمَرُ رضي الله عنه يَضْرِبُهُنَّ بِسَوْطِهِ، فَأَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ بِيَدِهِ وَقَالَ: «**مَهْلًا يَا عُمَرُ**»، ثُمَّ قَالَ: «**ابْكِينَ وَإِيَّاكُنَّ وَنَعِيقَ الشَّيْطَانِ**»، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّهُ مَهْمَا كَانَ مِنْ العَيْنِ وَالقَلبِ فَمِنْ الله عز وجل وَمِنْ الرَّحْمَةِ، وَمَا كَانَ مِنْ اليَدِ وَاللِّسَانِ فَمِنْ الشَّيْطَانِ**». [مسند أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما (٢١٢٧، ٣١٠٣)، وقال عنهما الشيخ الأرناؤوط: إسناده ضعيف]. [مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ١٦٧-١٦٨].

٣ ـ تحريم النياحة على الميت:

يقول الشيخ الصوياني: «إنها بعض عادات الجاهلية التي لا زال التمسك بها مباحًا حتى الآن، لكنها عادة لا تعبر عن الحزن العميق فقط، إنها تتجاوز الحزن إلى شيء خطير جدًّا، شيء جاء الإسلام ليمحوه من أعماق كل مؤمن ومؤمنة، وهذا الشيء هو الجزع من أقدار الله والاحتجاج على قضائه، وهذا قد يؤدي إلى هدم أحد أركان الإيمان الستة التي جاء بها الإسلام، وهو الركن السادس.

فأركان الإيمان هي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله صلى الله عليهم جميعًا، والإيمان باليوم الآخر والبعث والنشور، والإيمان بقضاء الله وقدره.

ولهذا نزل الأمر من الله بتحريم النياحة على الميت، فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَـمَّا رَجَعَ مِنْ أُحُدٍ سَمِعَ نِسَاءَ الأَنْصَارِ يَبْكِينَ عَلَى [مَنْ قُتِلَ مِنْ] أَزْوَاجِهِنَّ [مَرَّ بِنِسَاءِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ يَبْكِينَ هَلْكَاهُنَّ يَوْمَ أُحُدٍ]، فَقَالَ: «**لَكِنْ حَمْزَةُ لَا بَوَاكِيَ لَهُ**»، فَبَلَغَ ذَلِكَ نِسَاءَ الأَنْصَارِ، فَجِئْنَ يَبْكِينَ عَلَى حَمْزَةَ ﷺ [عِنْدَهُ]، قَالَ: [وَرَقَدَ] فَانْتَبَهَ [فَاسْتَيْقَظَ] رَسُولُ الله ﷺ مِنْ اللَّيْلِ فَسَمِعَهُنَّ [ثُمَّ نَامَ فَاسْتَنْبَهَ] وَهُنَّ يَبْكِينَ، فَقَالَ: «**وَيْحَهُنَّ لَمْ يَزَلْنَ يَبْكِينَ بَعْدُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ! [وَيْحَهُنَّ، مَا انْقَلَبْنَ بَعْدُ؟] [يَا وَيْحَهُنَّ، أَنْتُنَّ هَاهُنَا تَبْكِينَ حَتَّى الْآنَ][يَا وَيْلَهُنَّ إِنَّهُنَّ لَهَا هُنَا حَتَّى الْآنَ]، مُرُوهُنَّ فَلْيَرْجِعْنَ [فَلْيَنْقَلِبْنَ]، وَلَا يَبْكِينَ عَلَى هَالِكٍ بَعْدَ الْيَوْمِ**»، [قَالَ: فَهُنَّ الْيَوْمَ إِذَا يَبْكِينَ يَنْدُبْنَ بِحَمْزَةَ]». [مسند أحمد عن ابن عمر ﷺ ٩/ ٣٩٨، ٤٧٧، ٣٨ رقم ٥٥٦٣، ٥٦٦٦، ٤٩٨٤، وابن ماجه في الجنائز (١٥٩١)، وقال الشيخان الأرناؤوط والألباني: إسناده حسن، ومجمع الزوائد ٦/ ١٧٤ كتاب المغازي والسير (١٠١٠٩)، وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى بإسنادين، رجال أحدهما رجال الصحيح. والمستدرك على الصحيحين في معرفة الصحابة ﷺ ٣/ ٢١٥، ٢١٧ رقم ٤٨٨٣، ٤٨٩١، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والمعجم الكبير للطبراني ٣/ ١٤٦ رقم ٢٩٤٤].

ولم يقف الأمر عند التحريم فقط، فبعد فترة من الزمن نزل الوحي يشدد تحريم النياحة على الميت، يجعلها من كبائر الذنوب، وهو بذلك يتغلغل داخل أعماق المؤمنين والمؤمنات، يتتبع آثار الجاهلية، يمحوها ويغرس مزيدًا من الإيمان مكانها.

يقول ﷺ: «**النِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ، مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّ النَّائِحَةَ إِنْ لَمْ تَتُبْ قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ، فَإِنَّهَا تُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهَا سَرَابِيلُ** (جمع سربال بمعنى القميص) **مِنْ قَطِرَانٍ، ثُمَّ يُعْلَى** (من العلو، أي ويجعل فوق ذلك القميص قميص من نار) **عَلَيْهَا، بِدِرْعٍ مِنْ لَهَبِ النَّارِ**». [ابن ماجه في الجنائز (١٥٨٢)، وقال الألباني: صحيح].

وسرابيل القطران تعني ثيابًا من نحاس مذاب أعاذنا الله من ذلك.

النياحة من أمر الجاهلية، وهي ليست ـ أبدًا ـ مقياسًا لمدى الشعور بالحزن وفقدان الحبيب، إنها نوع من التطرف والغلو في إظهار المشاعر.

ولذلك نزل الوحي مرة أخرى مذكرًا، وواصفًا تلك الممارسات بشيء خطير جدًّا، فقد قال ﷺ: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ**».

[مسلم في الإيمان (١٢١)، مسند أحمد ١٦/ ٢٧٠ رقم ١٠٤٣٤]. [السيرة النبوية للصوياني ٢/ ٢٦٠-٢٦١].

٤ ـ قتل القائد بعض الأسرى إذا كان في ذلك مصلحة عامة [(١)]:

يقول د/ الرشيد: «تَمَكَّن المسلمون يوم أُحد من أسر اثنين من المشركين كانا يناصبان المسلمين العداءَ؛ أما أحدهما: فشاعر كان يحرِّض القبائل على حرب المسلمين، أما الثاني: فجاسوس على المسلمين لمصلحة قريش.

---

(١) سبق تفصيله في الدروس الفقهية المستفادة من المرحلة الثالثة من غزوة بدر الكبرى.

وحيث إنهما مجرما حرب؛ فإن من الحكمة أن ينالا جزاءهما المناسب زجرًا لهما وردعًا لأمثالهما ممَّن تسوِّل له نفسه الكيد للإسلام وأهله.

أما الأول: فهو الشاعر «أبو عزَّة الجُمَحيُّ»، وقد أسره النبي ﷺ يوم بدر، فأظهر أنه ذو عيال وطلب منه أن يمنَّ عليه، فَرَقَّ الرسول ﷺ لحاله وأطلق سراحه؛ ولكنه عاد إلى التحريض ضد المسلمين مرةً أخرى، فوقع أسيرًا في أيديهم يوم أُحد، وجيء به إلى الرسول ﷺ فطلب منه أن يمنَّ عليه واشترط ألا يعود لمثلها، ولكن النبي ﷺ رفض التماسه وأمر بضرب عنقه.

ويُعَدُّ هذا الفعل من قبيل السياسة الشرعية؛ لأن هذا الشاعر من المفسدين في الأرض، الداعين إلى الفتنة؛ ولأن في المنِّ عليه تمكينًا له من أن يعود حربًا على المسلمين.

وأما الثاني: فهو معاوية بن المغيرة بن أبي العاص، وقد كان يتجسس على المسلمين لصالح قريش، كما رأينا في عرض الغزوة.

ولا شك في أن ما ارتكبه معاوية من التجسُّس يعدُّ جرمًا خطيرًا يهدد أمن الدولة الإسلامية؛ لذا فإنه ينبغي أن تكون عقوبة هذا المجرم مناسبة للعمل الذي قام به، ولا أنسب حينئذٍ من القتل.

ويُعَدُّ تنفيذ الرسول ﷺ حكم الإعدام في ذلك المجرم من باب «السياسة الشرعية» التي تراعي مصالح الناس في كل زمان ومكان». [**القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ للرشيد ٤٣٨-٤٤٠**].

٥ ـ جواز الكذب على الأعداء [(١)]:

وفي هذا الموقف من معبد وكذبه على الكفار بشعر لم يقله: جواز الكذب على الأعداء، كما جاء في حديث رسول الله ﷺ، فعن أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ~~رضي الله عنها~~ وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الأُوَلِ اللاتِي بَايَعْنَ النَّبِيَّ ﷺ ـ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «**لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ وَيَقُولُ خَيْرًا وَيَنْمِي خَيْرًا**».

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: **وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخَّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: «الْحَرْبُ، وَالإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا»**.

[البخاري في الصلح (٢٦٩٢)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٦٠٥) واللفظ له، والترمذي في البر والصلة (١٩٣٩)، وأحمد عن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها (٢٧٢٧٢، ٢٧٢٧٣، ٢٧٢٧٧)].

وفي رواية أبي داود عَنْ أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ عُقْبَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: **مَا سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ** مِنْ الكَذِبِ إِلا فِي ثَلاثٍ، كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: «**لا أَعُدُّهُ كَاذِبًا الرَّجُلُ يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ يَقُولُ**

---

(١) سبق تفصيله في الدروس والعبر المستفادة من سرية محمد بن مسلمة رضي الله عنه لقتل كعب بن الأشرف اليهودي ٣هـ تحت عنوان «الحرب خدعة».

الْقَوْلَ وَلا يُرِيدُ بِهِ إِلا الإِصْلاحَ، وَالرَّجُلُ يَقُولُ فِي الحَرْبِ، وَالرَّجُلُ يُحَدِّثُ امْرَأَتَهُ، وَالْمَرْأَةُ تُحَدِّثُ زَوْجَهَا». [أبو داود في الأدب (٤٩٢١)، وقال الشيخ الألباني: صحيح].

وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رضي الله عنها أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ الله ﷺ يَخْطُبُ يَقُولُ: «أَيُّهَا النَّاسُ مَا يَحْمِلُكُمْ عَلَى أَنْ تَتَابَعُوا فِي الكَذِبِ كَمَا يَتَتَابَعُ الفَرَاشُ فِي النَّارِ، كُلُّ الكَذِبِ يُكْتَبُ عَلَى ابْنِ آدَمَ إِلا ثَلاثَ خِصَالٍ: رَجُلٌ كَذَبَ عَلَى امْرَأَتِهِ لِيُرْضِيَهَا، أَوْ رَجُلٌ كَذَبَ فِي خَدِيعَةِ حَرْبٍ [فَإِنَّ الحَرْبَ خَدْعَةٌ]، أَوْ رَجُلٌ كَذَبَ بَيْنَ امْرَأَيْنِ مُسْلِمَيْنِ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا». [مسند أحمد ٤٥/ ٥٥٠، ٥٧٤ رقم ٢٧٥٧٠، ٢٧٥٩٧، وقال الشيخ الأرناؤوط عنهما: إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب. ومجمع الزوائد ٦/ ٣٠٨ كتاب المغازي والسير، وقال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه شهر بن حوشب وقد وثق وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات].

وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رضي الله عنها عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَصْلُحُ الْكَذِبُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: كَذِبُ الرَّجُلِ مَعَ امْرَأَتِهِ لِتَرْضَى عَنْهُ، أَوْ كَذِبٌ فِي الحَرْبِ، فَإِنَّ الحَرْبَ خَدْعَةٌ، أَوْ كَذِبٌ فِي إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ». [مسند أحمد ٤٥/ ٥٧٤، ٥٨٢ رقم ٢٧٥٩٧، ٢٧٦٠٨، وقال الشيخ الأرناؤوط عنهما: إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب].

٦ ـ فيما اشتملت عليه هذه الغزوة من الأحكام بصفة إجمالية:

تحت هذا العنوان يقول الإمام ابن القيم فيما يتصل بالمرحلة الثالثة من غزوة أحد:

١ ـ وَمِنْهَا: أَنَّ السُّنَّةَ فِي الشَّهِيدِ أَنَّهُ لَا يُغَسَّلُ، وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَلَا يُكَفَّنُ فِي غَيْرِ ثِيَابِهِ، بَلْ يُدْفَنُ فِيهَا بِدَمِهِ وَكُلُومِهِ، إِلَّا أَنْ يُسْلَبَهَا، فَيُكَفَّنَ فِي غَيْرِهَا.

٢ ـ وَمِنْهَا: أَنَّهُ إِذَا كَانَ جُنُبًا غُسِّلَ كَمَا غَسَّلَتِ المَلَائِكَةُ حَنْظَلَةَ بنَ أَبِي عَامِرٍ رضي الله عنه.

٣ ـ وَمِنْهَا: أَنَّ السُّنَّةَ فِي الشُّهَدَاءِ أَنْ يُدْفَنُوا فِي مَصَارِعِهِمْ، وَلَا يُنْقَلُوا إِلَى مَكَانٍ آخَرَ، فَإِنَّ قَوْمًا مِنَ الصَّحَابَةِ نَقَلُوا قَتْلَاهُمْ إِلَى المَدِينَةِ، فَنَادَى مُنَادِي رَسُولِ الله ﷺ بِالْأَمْرِ بِرَدِّ الْقَتْلَى إِلَى مَصَارِعِهِمْ، قَالَ جابر رضي الله عنه: بَيْنَا أَنَا فِي النَّظَّارَةِ إِذْ جَاءَتْ عَمَّتِي بِأَبِي وَخَالِي عَادَلَتْهُمَا عَلَى نَاضِحٍ، فَدَخَلَتْ بِهِمَا الْمَدِينَةَ لِنَدْفِنَهُمَا فِي مَقَابِرِنَا، وَجَاءَ رَجُلٌ يُنَادِي: أَلَا إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَرْجِعُوا بِالْقَتْلَى، فَتَدْفِنُوهَا فِي مَصَارِعِهَا حَيْثُ قُتِلَتْ.

قَالَ: فَرَجَعْنَا بِهِمَا، فَدَفَنَّاهُمَا فِي الْقَتْلَى حَيْثُ قُتِلَا، فَبَيْنَا أَنَا فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ إِذْ جَاءَنِي رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا جابِرُ، وَالله لَقَدْ أَثَارَ أَبَاكَ عُمَّالُ معاوية، فَبَدَا، فَخَرَجَ طَائِفَةٌ مِنْهُ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ، فَوَجَدْتُهُ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي تَرَكْتُهُ لَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْهُ شَيْءٌ، قَالَ: فَوَارَيْتُهُ، فَصَارَتْ سُنَّةً فِي الشُّهَدَاءِ أَنْ يُدْفَنُوا فِي مَصَارِعِهِمْ».

٤ ـ وَمِنْهَا: جَوَازُ دَفْنِ الرَّجُلَيْنِ أَوِ الثَّلَاثَةِ فِي الْقَبْرِ الْوَاحِدِ، فَإِنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَدْفِنُ الرَّجُلَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ فِي الْقَبْرِ، وَيَقُولُ: «أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ»، فَإِذَا أَشَارُوا إِلَى رَجُلٍ قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ.

وَدَفَنَ عَبْدَ الله بْنَ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ، وَعَمْرَو بْنَ الجَمُوحِ رضي الله عنهما فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ لِـمَا كَانَ بَيْنَهُمَا مِنَ المَحَبَّةِ فَقَالَ ﷺ: «ادْفِنُوا هَذَيْنِ الْمُتَحَابَّيْنِ فِي الدُّنْيَا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ».

ثُمَّ حُفِرَ عَنْهُمَا بَعْدَ زَمَنٍ طَوِيلٍ، وَيَدُ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ عَلَى جُرْحِهِ كَمَا وَضَعَهَا حِينَ جُرِحَ، فَأُمِيطَتْ يَدُهُ عَنْ جُرْحِهِ، فَانْبَعَثَ الدَّمُ فَرُدَّتْ إِلَى مَكَانِهَا، فَسَكَنَ الدَّمُ.

وَقَالَ جابر ﷺ: رَأَيْتُ أَبِي فِي حُفْرَتِهِ حِينَ حُفِرَ عَلَيْهِ كَأَنَّهُ نَائِمٌ، وَمَا تَغَيَّرَ مِنْ حَالِهِ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ.

وَقِيلَ لَهُ: أَفَرَأَيْتَ أَكْفَانَهُ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا دُفِنَ فِي نَمِرَةٍ، خُمِّرَ وَجْهُهُ، وَعَلَى رِجْلَيْهِ الْحَرْمَلُ، فَوَجَدْنَا النَّمِرَةَ كَمَا هِيَ، وَالْحَرْمَلُ عَلَى رِجْلَيْهِ عَلَى هَيْئَتِهِ، وَبَيْنَ ذَلِكَ سِتٌّ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً.

وَقَدِ اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يُدْفَنَ شُهَدَاءُ أُحُدٍ فِي ثِيَابِهِمْ، هَلْ هُوَ عَلَى وَجْهِ الِاسْتِحْبَابِ وَالْأَوْلَوِيَّةِ، أَوْ عَلَى وَجْهِ الْوُجُوبِ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ:

الثَّانِي: أَظْهَرُهُمَا وَهُوَ المَعْرُوفُ عَنْ أَبي حَنِيفَةَ.

وَالْأَوَّلُ هُوَ المَعْرُوفُ عَنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ وأحمد.

فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ رَوَى يَعْقُوبُ بْنُ شَيْبَةَ وَغَيْرُهُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ، أَنَّ صَفِيَّةَ ﷺ أَرْسَلَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ثَوْبَيْنِ لِيُكَفِّنَ فِيهِمَا حمزة، فَكَفَّنَهُ فِي أَحَدِهِمَا، وَكَفَّنَ فِي الْآخَرِ رَجُلًا آخَرَ.

قِيلَ: حمزة كَانَ الْكُفَّارُ قَدْ سَلَبُوهُ، وَمَثَّلُوا بِهِ، وَبَقَرُوا عَنْ بَطْنِهِ، وَاسْتَخْرَجُوا كَبِدَهُ؛ فَلِذَلِكَ كُفِّنَ فِي كَفَنٍ آخَرَ، وَهَذَا الْقَوْلُ فِي الضَّعْفِ نَظِيرُ قَوْلِ مَنْ قَالَ: يُغَسَّلُ الشَّهِيدُ، وَسُنَّةُ رَسُولِ الله ﷺ أَوْلَى بِالِاتِّبَاعِ.

٥ ـ وَمِنْهَا: أَنَّ شَهِيدَ المَعْرَكَةِ لَا يُصَلَّى عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمْ يُصَلِّ عَلَى شُهَدَاءِ أُحُدٍ، وَلَمْ يُعْرَفْ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى عَلَى أَحَدٍ مِمَّنِ اسْتُشْهِدَ مَعَهُ فِي مَغَازِيهِ، وَكَذَلِكَ خُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ، وَنُوَّابُهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ.

فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا، فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى المَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى المِنْبَرِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ: صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ.

قِيلَ: أَمَّا صَلَاتُهُ عَلَيْهِمْ، فَكَانَتْ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ مِنْ قَتْلِهِمْ قُرْبَ مَوْتِهِ، كَالمُوَدِّعِ لَهُمْ، وَيُشْبِهُ هَذَا خُرُوجُهُ إِلَى الْبَقِيعِ قَبْلَ مَوْتِهِ يَسْتَغْفِرُ لَهُمْ، كَالمُوَدِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، فَهَذِهِ كَانَتْ تَوْدِيعًا مِنْهُ لَهُمْ، لَا أَنَّهَا سُنَّةُ الصّلَاةِ عَلَى المَيِّتِ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَمْ يُؤَخِّرْهَا ثَمَانِيَ سِنِينَ، لَا سِيَّمَا عِنْدَ مَنْ يَقُولُ: لَا يُصَلَّى عَلَى الْقَبْرِ أَوْ يُصَلَّى عَلَيْهِ إِلَى شَهْرٍ. [زاد المعاد لابن القيم ٣/ ١٩١ - ١٩٦].

المبحث الرابع
الشهيد وأحكامه، وأسرته من بعده

١ ـ الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون:

يقول د/ فيض الله: «غيرت الآيات النازلة إثر أُحُد، من مفهوم الحياة والموت عند الناس، فلم يمت الشهداء كما نتصور، ولم تنقطع صلاتهم بنا، بل هم عند الله في أعالي الجنان، يتمتعون بحياة خاصة، لا نستطيع أن ندرك كنهها، لكن الخبر الصادق أثبتها.

وإنهم في هذه الحياة يأتيهم رزقهم من عند الله، فيستقبلونه بحفاوة وارتياح بالغين، وإنهم يفرحون بما يؤتيهم الله؛ لأنه من فضله، ومن أنعُمِه.

وإنهم موصولون بإخوانهم الذين لم تُكتَب لهم الشهادة، كما كُتِبَت لهم، فيتمنونها لهم، فما فيها خوف بل فيها الأمن كله، ولا فيها حزن بل فيها السرور كله، فيها مرضاة الله، وهي عين السعادة.

كم أخطأ الذين حسبوا هذا الموت نهاية! إنه بِدْء حياة سعيدة أبدية، إن لا نتصورها، فقد صورتها النصوص البَيِّنة الصادقة: «**أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ تَسْرَحُ مِنْ الجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ القَنَادِيلِ...**». [سيأتي نصه وتخريجه قريبًا].

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾[آل عمران]. [صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة لفيض الله ١٣٩-١٤٠].

٢ ـ الشهادة أسمى ما طلب المؤمن:

يقول أ/ محمود النجيري: «يوجه الله ﷻ المؤمنين للتعلق بالآخرة والسعي لها والارتباط بالجنة ونعيمها، وتحويل الفكر بعيدًا عن الدنيا ومتاعها القليل، والإعداد والاستعداد للبذل والفداء بالروح والدم لإعلاء كلمة الله ﷻ، فالشهادة كرامة من الله تعالى يكرم بها من يشاء من عباده؛ لأنها دليل صدق إيمان وثبات يقين في الله ﷻ.

ولكثرة الشهداء في أُحد يعزي الله تعالى المؤمنين، ويبشرهم بفضله المقيم كما يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾[آل عمران: ١٦٩].

وقد وصف النبي ﷺ لأصحابه المشهد، «عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ الله بنِ مَسْعُودٍ ﷺ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ ﷺ: «**أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنْ الجَنَّةِ حَيْثُ**

شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلكَ القَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اطِّلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ [تَسْتَزِيدُونَ] شَيْئًا [فَأَزِيدُكُمْ]، قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي [رَبَّنَا وَمَا نَسْتَزِيدُ] وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنْ الجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَـمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا قَالُوا: يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَـمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا».

وفي رواية عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ مِثْلَهُ وَزَادَ فِيهِ: «**وَتُقْرِئُ نَبِيَّنَا السَّلَامَ، وَتُخْبِرُهُ عَنَّا أَنَّا قَدْ رَضِينَا وَرُضِيَ عَنَّا**». [مسلم في الإمارة (١٨٨٧)، والترمذي في تفسير القرآن (٣٠١١)، والدارمي في الجهاد (٢٤١٠)].

وكان للنبي ﷺ طريقته في تعزية أصحابه، فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ: [لَـمَّا قُتِلَ عَبْدُ الله بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ يَوْمَ أُحُدٍ] لَقِيَنِي رَسُولُ الله ﷺ، فَقَالَ لِي: «**يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟**»، قُلتُ: **يَا رَسُولَ الله، اسْتُشْهِدَ أَبِي قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا**، قَالَ: «**أَفَلاَ أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللهُ بِهِ أَبَاكَ؟**»، قَالَ: قُلتُ: **بَلَى يَا رَسُولَ الله**، قَالَ: «**مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا قَطُّ إِلاَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا** (مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول)، **فَقَالَ: يَا عَبْدِي، تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ، تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً**، قَالَ الرَّبُّ ﷻ: «**إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ**»، [قَالَ: **يَا رَبِّ فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي**]، قَالَ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾[آل عمران: ١٦٩]».

[الترمذي في التفسير (٣٠١٠)، وابن ماجه في المقدمة (١٩٠)، وفي الجهاد (٢٨٠٠)، وقال الشيخ الألباني: حسن].

وعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا جَابِرُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللهَ ﷻ أَحْيَا أَبَاكَ، فَقَالَ لَهُ: تَمَنَّ عَلَيَّ، فَقَالَ: أُرَدُّ إِلَى الدُّنْيَا، فَأُقْتَلُ مَرَّةً أُخْرَى، فَقَالَ: إِنِّي قَضَيْتُ، أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لا يُرْجَعُونَ**». [مسند أحمد ٢٣/ ١٦٣ رقم ١٤٨٨١، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن]. [البلاء الإلهي للنجيري ١٤١-١٤٣].

ويقول د/ أبو فرحة: «لقد تمنى الكثير من الصحب ومن تبعهم بإحسان الشهادة في سبيل الله كما تمناها سيدنا رسول الله ﷺ، تمنوها كما تمنوا النصر سواء بسواء، فكانت الشهادة غاية مرجوة لذاتها.

روى البخاري ـ وغيره ـ بسنده أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا أَنَّ رِجَالًا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَلَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ الله، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ الله ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ**». [البخاري في الجهاد والسير (٢٧٩٧)، وفي التمني (٧٢٢٦)، والنسائي في الجهاد (٣٠٩٨، ٣١٥٢)، وبنحوه في البخاري في الإيمان (٣٦)، ومسلم في الإمارة (١٨٧٦)، والنسائي في الجهاد (٣١٣٢)، وأحمد (٩١٩٦)].

فهذا الحبيب الذي يعلم من شدة القتل ما يعلم يتمناه لما يعلم من فضل الشهادة فوق ما نعلم.

ويروي البخاري بسنده أيضًا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: (أي يوم مؤتة) «**أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا**

خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ عَنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ فَفُتِحَ لَهُ، وَقَالَ: مَا يَسُرُّنَا أَنَّهُمْ عِنْدَنَا، قَالَ أَيُّوبُ: أَوْ قَالَ: مَا يَسُرُّهُمْ أَنَّهُمْ عِنْدَنَا، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ». [البخاري في الجهاد والسير (٢٧٩٨، ٣٠٦٣)، وأحمد عن أنس ﷺ (١١٧٠٤، ١١٧٦٢)].

صدق سيدنا رسول الله ﷺ فهم لا يسرهم أنهم عندنا لما يرون من الكرامة، ونحن نحب لهم ما يحبون، فلا يسرنا أن يُحرموا من كرامة أُكرموا بها، ولكن ما بال عيني رسول الله تزرفان؟ ذلك ألم الفراق الحبيب إلى النفس، فالبكاء من حيث هو ألم وعدم مسرتنا ببقائهم عندنا من حيث إن الخيرة لهم في الشهادة، كما أن عدم مسرتهم ببقائهم عندنا لما يرونه من الكرامة، لم يمنعهم من تمني الرجوع إلى الدنيا لا للبقاء فيها والاستمتاع بزخارفها، فقد كشف لهم عن حقيقتها وزيف بهرجها، كما أنهم قد تذوقوا من نعيم الجنة ما حبب إليهم البقاء فيها، ولكنهم تمنوا الرجوع إلى الدنيا ليُقتلوا في سبيل الله تعالى، نعم ليُقتلوا لا مرة واحدة أو مرتين بل عشر مرات.

يا لله للمسلمين لقد وضح الصبح لذي عينين إن قومًا ذاقوا مرارة الاستشهاد مرة فطلبوها مرارًا، ما بالهم يفعلون هذا؟ لقد فعلوه لأنهم وقد ذاقوا مرارة الاستشهاد فقد ذاقوا أيضًا ثمرته، وإن لها في نفوسهم لحلاوة غلابة مشتهاة، فذهبت حلاوة الاستشهاد بمرارته.

يروي البخاري بسنده عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنْ الكَرَامَةِ**». [البخاري في الجهاد والسير (٢٨١٧)، وأحمد عن أنس ﷺ (١٢٣٦٠، ١٣٥١٤)].

وهؤلاء رجال من الصحب الكرام يستبطؤون الشهادة فيسارعون إليها، حتى لتعجلهم عن تناول تمرات قليلات كانت بأيديهم يستعينون بها على لقاء عدوهم.

روى البخاري بسنده عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ: «**قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلتُ فَأَيْنَ أَنَا؟ قَالَ: فِي الجَنَّةِ، فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ** [وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو: تَخَلَّى مِنْ طَعَامِ الدُّنْيَا]». [البخاري في المغازي (٤٠٤٦)، ومسلم في الإمارة (١٨٩٩)، ومسند أحمد ٢٢/ ٢١٦ رقم ١٤٣١٤].

وروى مسلم بسنده من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: «... فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ**»، قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ ﷺ: **يَا رَسُولَ الله جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ؟!** قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: **بَخٍ بَخٍ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟**»، قَالَ: **لَا وَالله يَا رَسُولَ الله، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا**، قَالَ: «**فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا**»، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: **لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ**، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ. [مسلم في الإمارة (١٩٠١)].

والقصتان مختلفتان قد وقعتا لرجلين مختلفين، حيث وقع التصريح في حديث أنس ﷺ أن ذلك كان يوم بدر، كما صرح في حديث جابر ﷺ أن ذلك كان يوم أُحد.

وهذان شيخان كبيران من الصحب الكرام رخص لهما سيدنا رسول الله ﷺ في التخلف لسنهما، غير أن الرغبة في الشهادة قد دفعتهما إلى اللحاق بالمسلمين ليحرزاها، يروي ذلك ابن إسحاق بسنده قائلًا: كان اليمان والد حذيفة وثابت بن وقش شيخين كبيرين، فتركهما رسول الله ﷺ مع النساء والصبيان، فتذاكرا بينهما، ورغبا في الشهادة فأخذ سيفيهما ولحقا بالمسلمين بعد الهزيمة، فلم يعرفوا بهما، فأما ثابت فقتله المشركون، وأما اليمان فاختلف عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه. [فتح الباري ٨/ ٣٦٦].

وهذا هو المقوقس عظيم القبط بمصر يُخوف عبادة بن الصامت رضي الله عنه عند فتح مصر بالروم، ويتهدده بهم قائلًا: «**قد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يُحصى عدده، قوم معروفون بالنجدة والشهامة، ممن لا يبالي أحدهم من لقي ولا من قاتل**». [النجوم الزاهرة ١/ ١٣].

فيقول له عبادة رضي الله عنه: «**يا هذا لا تغرن نفسك ولا أصحابك، أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم، وأنَّا لا نقوى عليهم، فلعمري ما هذا الذي تخوفنا به، ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه، إن كان ما قلتم حقًّا، فذلك والله أرغب ما يكون لنا في قتالهم، وأشد لحرصنا عليهم؛ لأن ذلك أعذر لنا عند الله إذا قدمنا عليه، إن قُتلنا عن آخرنا كان أمكن لنا من رضوانه وجنته، وما من شيء أقر لأعيننا، ولا أحب إلينا من ذلك، وإنا منكم حينئذ على إحدى الحسنيين: إما أن تَعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا، وإنها لأحب الخصلتين إلينا، بعد الاجتهاد منا، وإن الله عز وجل قال لنا في كتابه:** ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٢٤٩﴾ [البقرة]، **وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحًا ومساء أن يرزقه الشهادة، وألا يرده إلى بلده ولا إلى أرضه ولا أهله وولده، وليس لأحد منا هَمٌّ فيما خلفه، وقد استودع كل واحد منا ربه وأهله وولده، وإنما هَمُّنا ما أمامنا**». [النجوم الزاهرة ١/ ١٤].

فعبادة رضي الله عنه يحكي بلسان القوم أمنيتهم في طلب الشهادة قائلًا: «**إن قُتلنا عن آخرنا كان أمكن لنا من رضوانه وجنته، وما من شيء أقر لأعيننا ولا أحب إلينا من ذلك**»، ويؤكد عدم خوف المسلمين من لقاء الروم، بأن المسلمين بين حسنيين: حسنى الغنيمة الدنيوية أو الغنيمة الأخروية، ويسارع فيؤكد أن الأخيرة هي أحب الخصلتين إلى قلوب المسلمين، ويلح في تأكيد ذلك المعنى ـ معنى حب الشهادة ـ بأكثر من وجه فيقول: «**وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحًا ومساء أن يرزقه الشهادة، وألا يرده إلى بلده ولا إلى أرضه، ولا إلى أهله وولده**»، وقد صدق الخُبْرُ الخَبَرَ في الكثير من معارك المسلمين الذين فقهوا دينهم، وشروه بعَرَض هذي الحياة الفانية.

هذا قليل من كثير مما يصرح بتمني الرسول الكريم ﷺ وصحبه رضي الله عنهم ومَنْ تبعهم بإحسان الشهادة في سبيل الله.

وفضلًا عن تمنيهم لها، فقد طلبها أقوام منهم محفوفة بالبلاء المضاعف لما علموه من مزيد المثوبة عليه، هذا عبد الله بن جحش ﷺ يدعو قبيل غزوة أحد ربه قائلًا: «**اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي غَدًا، رَجُلًا شَدِيدًا بَأْسُهُ، شَدِيدًا حَرَدُهُ، فَأُقَاتِلُهُ، وَيُقَاتِلُنِي، ثُمَّ يَأْخُذُنِي، فَيَجْدَعَ أَنْفِي وَأُذُنِي، فَإِذَا لَقِيتُكَ غَدًا قُلْتَ لِي: يَا عَبْدَ اللهِ! فِيمَ جُدِعَ أَنْفُكَ وَأُذُنَاكَ؟ فَأَقُولُ: فِيكَ وَفِي رَسُولِكَ، فَتَقُولَ: صَدَقْتَ.**

قَال سَعْدٌ ﷺ: **كَانَتْ دَعْوَتُهُ خَيْرًا مِنْ دَعْوَتِي، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ آخِرَ النَّهَارِ، وَإِنَّ أَنْفَهُ وَأُذُنَهُ لَـمُعَلَّقٌ فِي خَيْطٍ**». [رواه الطبراني وأبو نعيم بسند جيد عن سعد بن أبي وقاص ﷺ. زرقاني ٢/ ٦١].

وسُرُّوا بها حين حلت بساحتهم، سرور صاحب الهوى هواه، روى البخاري بسنده عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: «بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَقْوَامًا مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ إِلَى بَنِي عَامِرٍ فِي سَبْعِينَ، فَلَـمَّا قَدِمُوا قَالَ لَهُمْ خَالِي: أَتَقَدَّمُكُمْ، فَإِنْ أَمَّنُونِي حَتَّى أُبَلِّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ وَإِلَّا كُنْتُمْ مِنِّي قَرِيبًا، فَتَقَدَّمَ فَأَمَّنُوهُ، فَبَيْنَمَا يُحَدِّثُهُمْ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَوْمَؤُوا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ فَطَعَنَهُ فَأَنْفَذَهُ، فَقَالَ: **اللهُ أَكْبَرُ، فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ**».

[البخاري في الجهاد والسير (٢٨٠١)، وفي المغازي (٤٠٩١)، وأحمد عن أنس ﷺ (١٢٧٨٣، ١٣٦٦٠)].

وما أعجبه من قول أدهش سامعيه، فأي فوز فازه قتيل بقتله؟

وغاب عنهم أنه وقد غلب شعوره الديني على هوى نفسه وشعوره الإنساني لم يستشعر ألم الطعنة بل سُرَّ بها، ويحكي الله تعالى لنا سرورهم بالشهادة، واستبشارهم بها لأنفسهم ولإخوانهم من بعدهم، فيقول تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١﴾ [آل عمران].

وقد تحدث الرسول ﷺ عن مقام الشهداء الذين يسقطون صرعى في سبيل الله، ودرجتهم العظيمة عند الله، ويوضح لنا سيدنا رسول الله ﷺ ما أنعم به عليهم، فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَـمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الجَنَّةِ، تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ العَرْشِ، فَلَـمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ، وَمَشْرَبِهِمْ، وَمَقِيلِهِمْ [وَحُسْنَ مُنْقَلَبِهِمْ]، قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الجَنَّةِ نُرْزَقُ؛ [يَا لَيْتَ إِخْوَانَنَا يَعْلَمُونَ بِمَا صَنَعَ اللهُ لَنَا] لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الجِهَادِ، وَلَا يَنْكُلُوا عِنْدَ الحَرْبِ، فَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ**: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١﴾ [آل عمران]». [أبو داود في الجهاد (٢٥٢٠)،

ومسند أحمد ٤/ ٢١٨ رقم ٢٣٨٨، وحسنه الشيخان الألباني والأرناؤوط، والمستدرك على الصحيحين في الجهاد ٢/ ٩٧ رقم ٢٤٤٤، وفي التفسير ٢/ ٣٢٥ رقم ٣١٦٥، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٢٠٥].

وما لهم لا يفرحون بالشهادة ويستبشرون بها، والمولى يحدثنا عنهم بأنهم أحياء في رحاب فضله وكرمه، ومستقر رحمته، وواسع جناته، ينعمون بالنعيم الدائم في خير جوار قد أبيحت لهم أنهار الجنة وثمارها، طعام لا كالطعام، وشراب لا كالشراب، فشتان بين طعام الأرض وطعامهم، وشراب الأرض وشرابهم، وهيئت لهم مساكن لا في جبال الأرض وهجيرها وزمهريرها، ولكن في ساق العرش، قناديل من ذهب، فطاب المثوى وكرم المأوى: «فجمع الله لهم بذلك إلى الحياة الدائمةِ، منزلةَ القُربِ منه، وأنهم عنده، وجريان الرزق المستمر عليهم، وفرحَهم بما آتاهم من فضله، وهو فوق الرضا، بل هو كمال الرضا، واستبشارهم بإخوانهم الذين باجتماعهم بهم يَتمُّ سُرورُهم ونعيمُهم، واستبشارهم بما يُجدِّدُ لهم كُلَّ وقت مِن نعمته وكرامته». **[زاد المعاد ٢/ ١٠٥].**

شهداء أحد وفوا بعهدهم والله شهيد عليهم ورسوله، هذا ومما امتاز به شهداء أحد أنهم وفوا بعدهم، والله شهيد عليهم ورسوله.

عَنْ أَنَسٍ ﵁ أَنَّ عَمَّهُ غَابَ عَنْ بَدْرٍ، فَقَالَ: **غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالِ النَّبِيِّ ﷺ، لَئِنْ أَشْهَدَنِي اللهُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيَرَيَنَّ اللهُ مَا أُجِدُّ، فَلَقِيَ يَوْمَ أُحُدٍ فَهُزِمَ النَّاسُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ ـ يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ ـ وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَتَقَدَّمَ بِسَيْفِهِ فَلَقِيَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ ﵁ فَقَالَ: أَيْنَ يَا سَعْدُ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَ الجَنَّةِ دُونَ أُحُدٍ، فَمَضَى فَقُتِلَ، فَمَا عُرِفَ حَتَّى عَرَفَتْهُ أُخْتُهُ بِشَامَةٍ أَوْ بِبَنَانِهِ، وَبِهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ. [البخاري في المغازي (٤٠٤٨)].**

فأنس ﵁ قد عاهد الرسول ﷺ على الدفاع عن بيضة هذا الدين بالنفس والنفيس، شأنه شأن باقي الأنصار يوم العقبة.

أَخْرَجَ اِبْنُ إِسْحَاق ـ وَصَحَّحَهُ اِبْن حِبَّانٍ ـ مِنْ حَدِيثِ كَعْبِ بْن مَالِكٍ ﵁ ـ وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ العَقَبَة وَبَايَعَ بِهَا ـ قَالَ: فَجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ وَمَعَهُ العَبَّاس فَتكَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا مِنْ حَيْثُ عَلِمْتُمْ، وَقَدْ مَنَعْنَاهُ وَهُوَ فِي عِزٍّ، فَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنَّكُمْ وَافُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْهِ وَمَانِعُوهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ فَأَنْتُمْ وَذَاكَ، وَإِلَّا فَمِنَ الآن.

قَالَ: فَقُلْنَا: تَكَلَّمْ يَا رَسُول الله، فَخُذْ لِنَفْسِكَ مَا أَحْبَبْتَ، فَتكَلَّمَ، فَدَعَا إِلَى الله وَقَرَأَ القُرْآنَ، وَرَغَّبَ فِي الإِسْلَام، ثُمَّ قَالَ: أُبَايِعكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ، قَالَ: فَأَخَذَ البَرَاء بْن مَعْرُور بِيَدِهِ فَقَالَ: نَعَمْ ...». **[فتح الباري ٨/ ٢٢١].**

وها هو ذا أنس ﷺ قد وفَّى بعهده، بعد إذ جدده بقوله: «**لَئِنْ أَشْهَدَنِي اللهُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيَرَيَنَّ اللهُ مَا أُجِدُّ**» وفَّى به وفاء كاملًا، فقد انغمس في العدو وقد مالت كفة المسلمين، فهو بذلك يستقبل موتًا محققًا لا نجاة منه يبتغي به نصرة دينه ووفاء عهده.

وما أنس ﷺ إلا رمز لأصحابه الذين استشهدوا يوم أُحد، فيهم قال الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: نُرَى هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَنَسِ بْنِ النَّضْرِ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾. [**البخاري في تفسير القرآن (٤٧٨٣)**].

وفي رواية أخرى للبخاري: قَالَ أَنَسٌ ﷺ: كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ).

[**البخاري في الجهاد والسير (٢٨٠٥)**].

وكما شهد الله تعالى لشهداء أحد بالوفاء بعهدهم، فقد شهد الرسول ﷺ لهم أيضًا بذلك.

روى البخاري بسنده عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «**أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلقُرْآنِ؟**»، فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ، وَقَالَ: «**أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ، وَلَمْ يُغَسَّلُوا، وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِمْ».

[**البخاري في الجنائز (١٣٤٣، ١٣٤٨، ١٣٥٣)، وفي المغازي (٤٠٨٠)، وأبو داود في الجنائز (٣١٣٨)، والترمذي في الجنائز (١٠٣٦)، وابن ماجه في الجنائز (١٥١٤)**].

كما خصهم الرسول ﷺ من بين سائر الشهداء بالدعاء لهم والاستغفار لهم حين علم قرب أجله.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ كَالمُوَدِّعِ لِلأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ الـمِنْبَرَ فَقَالَ: «**إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الحَوْضُ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا، أَنْ تَنَافَسُوهَا**».

قَالَ عُقْبَةُ ﷺ: فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ». [**البخاري في المغازي (٤٠٤٢، ٤٠٨٥)، وفي الجنائز (١٣٤٤)، وفي المناقب (٣٥٩٦)، وفي الرقاق (٦٤٢٦، ٦٥٩٠)، ومسلم في الفضائل (٢٢٩٦)**].

٣ ـ شهداء أحد قد ذهبوا بأجرهم كاملاً:

يقول د/ أبو فرحة: «وكما وفَّى شهداء أحد بعهدهم وشهد الله لهم ورسوله بذلك، فقد شهد لهم الصحب الكرام أيضًا بأنهم ذهبوا ولم يأكلوا من أجورهم شيئًا، فذهبوا بأجرهم كاملًا.

عن خَبَّابِ بنِ الأَرَتِّ ﷺ قَالَ: «هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نُرِيدُ [نَلتَمِسُ] وَجْهَ الله، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى الله، فَمِنَّا مَنْ مَضَى [مَاتَ] لَمْ يَأْخُذْ [يَأْكُل] مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا [1]، مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ﷺ، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ نَمِرَةً [فَلَمْ نَجِدْ مَا نُكَفِّنُهُ إِلَّا بُرْدَةً]، فَكُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ بَدَتْ [خَرَجَتْ] رِجْلَاهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ بَدَا [خَرَجَ] رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا رَسُولُ الله ﷺ أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ، وَنَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ شَيْئًا مِنْ إِذْخِرٍ [الإِذْخِرِ] (نبات معروف زكي الريح، وإذا جف ابيض)، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ (أينع الثمر: إذا نضج وأدرك)، فَهُوَ يَهْدِبُهَا (يقطعها ويجتنيها)». [البخاري في المناقب (٣٨٩٧، ٣٩١٤)، وفي المغازي (٤٠٤٧، ٤٠٨٢)، وفي الجنائز (١٢٧٦)، وفي الرقاق (٦٤٣٢، ٦٤٤٨)، ومسلم في الجنائز (٩٤٠)، وأبو داود في الوصايا (٢٨٧٦)، وفي الجنائز (٣١٥٥)، والترمذي في المناقب (٣٨٥٣)، والنسائي في الجنائز (١٩٠٣)، وأحمد عن خباب ﷺ (٢٠٥٥٤)].

[أشار الحديث إلى عظم أجر من لم يحصل شيئًا من الدنيا مع عظيم جهاده، وبمناسبة الحديث تحدث صاحب الفتح عن الصحابة فقال: «مِنْهُمْ مَنْ مَاتَ قَبْلَ الْفُتُوحِ كَمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ ﷺ، وَمِنْهُمْ مَنْ عَاشَ إِلَى أَنْ فُتِحَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ انْقَسَمُوا فَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ وَوَاسَى بِهِ المَحَاوِيجَ أَوَّلًا فَأَوَّلًا، بِحَيْثُ بَقِيَ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ الْأُولَى وَهُمْ قَلِيلٌ مِنْهُمْ أَبُو ذَرٍّ ﷺ، وَهَؤُلَاءِ مُلْتَحِقُونَ بِالْقِسْمِ الْأَوَّلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَبَسَّطَ فِي بَعْضِ الْمُبَاحِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِكَثْرَةِ النِّسَاءِ وَالسَّرَارِيِّ أَوِ الْخَدَمِ وَالْمَلَابِسِ وَنَحْوِ ذَلِك وَلَمْ يَسْتَكْثِرْ، وهم كثير، وَمِنْهُم ابن عُمَرَ ﷺ، وَمِنْهُمْ مَنْ زَادَ فَاسْتَكْثَرَ بِالتِّجَارَةِ وَغَيْرِهَا مَعَ الْقِيَامِ بِالْحُقُوقِ الْوَاجِبَةِ وَالْمَنْدُوبَةِ وَهُمْ كَثِيرٌ أَيْضًا، مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ، وَإِلَى هَذَيْنَ الْقِسْمَيْنِ أَشَارَ خَبَّابٌ ﷺ، فَالْقِسْمُ الْأَوَّلُ وَمَا الْتَحَقَ بِهِ تَوَفَّرَ لَهُ أَجْرُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَالْقِسْمُ الثَّانِي مُقْتَضَى الْخَبَرِ أَنَّهُ يُحْسَبُ عَلَيْهِمْ مَا وَصَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَالِ الدُّنْيَا مِنْ ثَوَابِهِمْ فِي الْآخِرَةِ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو ﷺ رَفَعَهُ: «مَا مِنْ غَازِيَةٍ تَغْزُو فَتَغْنَمُ وَتَسْلَمُ إِلَّا تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أَجْرِهِمْ» الْحَدِيثَ، وَمِنْ ثَمَّ آثَرَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ قِلَّةَ الْمَالِ، وَقَنِعُوا بِهِ، إِمَّا لِيَتَوَفَّرَ لَهُمْ ثَوَابُهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا لِيَكُونَ أَقَلَّ لِحِسَابِهِمْ عَلَيْهِ». [فتح الباري لابن حجر ١١/ ٩٦].

وعَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ ﷺ أُتِيَ بِطَعَامٍ وَكَانَ صَائِمًا، فَقَالَ: قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ، وَأُرَاهُ قَالَ: وَقُتِلَ حَمْزَةُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ، أَوْ قَالَ: أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ».

[البخاري في الجنائز (١٢٧٥، ١٢٧٥)، وفي المغازي (٤٠٤٥)].

---

(١) كناية عن الغنائم التي تناولها من أدرك زمن الفتوح، وكأن المراد بالأجر ـ ثمرته، فليس مقصورًا على أجر الآخرة. فتح الباري ٣/ ١٤٢.

وحق للصحب الكرام: خباب بن الأرت، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما أن يغبطوا شهداء أحد على ما خصوا به من الكرامة، كرامة تعجيل استشهادهم وخشونة حياتهم ومماتهم، تلك التي بدت في أوضح صورة في رجلين من خيار الصحابة، ومن عظماء قريش، في حمزة بن عبد المطلب بن سيد قريش، ومصعب بن عمير فتى قريش المترف المدل بترفه قبل إسلامه، يستشهدان ولم تسعدهما الظروف بكفن مناسب حتى ليُستعان بالإذخر في تكفينهما، لقد ضاقت الدنيا عن أن تَسعهما وأضرابهما بما وسعت به الشريد الطريد عن رحمة الله من كل ملحد كافر.

كما حق لهم أن يتخوفوا نعيمًا مُنحوه في هذه الدار، وحياة مُدَّ لهم فيها، أن ينقص ذلك من أجورهم شيئًا.

إلى هذا الحد صنعت العقيدة الدينية فكر الصحابة وشعورهم، يفرح أحدهم بالبلاء، ويستشعر الخوف من الرخاء، ذلك أنه يرى أن البلاء سحابة صيف عن قليل تقشع عن صفو النعيم، فلم يعد البلاء بلاء، والألم ألمًا، والشر شرًّا، ما دام الجميع من يد الحبيب وألطافه وقضائه وقدره.

وعلى هذا النحو نرى أن ابتلاء المسلمين يوم أحد لم يكن ضربًا من الشر المحض، تُتلمس له الأسباب والعلل والمعاذير، وتضيق به النفس، ويحرج به الصدر، بل هو لون من الخير مقنَّع مغلَّف، وكأني بالخير في هذه الدار قد خيف عليه، فغلف بما يحفظه ويستره، شأن كل غال فيها.

كما أنه درس من أعظم الدروس في تاريخ الإنسانية وأدومها تلقاه المسلمون على الطبيعة بعيدًا عن مكاتب الدرس». [غزوة أحد لأبي فرحة ٢٥٧-٢٦٨].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ حِينَ انْصَرَفَ مِنْ أُحُدٍ مَرَّ عَلَى مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ رضي الله عنه وَهُوَ مَقْتُولٌ عَلَى طَرِيقِهِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ وَدَعَا لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب]، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«أَشْهَدُ أَنَّ هَؤُلَاءِ شُهَدَاءُ عِنْدَ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأْتُوهُمْ وَزُورُوهُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا رُدُّوا عَلَيْهِ»**. [المستدرك على الصحيحين في التفسير ٢/ ٢٧١ رقم ٢٩٧٧، وفي معرفة الصحابة رضي الله عنهم ٣/ ٢٢١ رقم ٤٩٠٥، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم الشيخين، ووافقه الذهبي. وقال الشيخ الصوياني: سنده حسن. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص ٢٧٨].

وعَنْ أَبِي النَّضْرِ، مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ الله، أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لِشُهَدَاءِ أُحُدٍ: **«هؤُلاَءِ أَشْهَدُ عَلَيْهِمْ»**، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه: **أَلَسْنَا، يَا رَسُولَ الله، بِإِخْوَانِهِمْ؟ أَسْلَمْنَا، كَمَا أَسْلَمُوا؟ وَجَاهَدْنَا، كَمَا جَاهَدُوا؟**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«بَلَى، وَلَكِنْ لاَ أَدْرِي مَا تُحْدِثُونَ بَعْدِي»**، قَالَ: فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، ثُمَّ بَكَى، ثُمَّ قَالَ: **أَئِنَّا لَكَائِنُونَ بَعْدَكَ؟**

[موطأ مالك ت عبد الباقي ٢/ ٤٦١ رقم ٣٢، وإسناده منقطع كما قال الشامي في جامع الأصول التسعة ١٢/ ٢٩٠].

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ: وَقَفَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ فَقَالَ: «**اشْهَدُوا لِهَؤُلَاءِ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ الله عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأْتُوهُمْ وَزُورُوهُمْ وَسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا رَجَوْتُ لَهُ، أَوْ قَالَ: إِلَّا رَدُّوا عَلَيْهِ**». [مسند ابن الجعد ص ٤٣٢ رقم ٢٩٤٥].

وعن الْعَطَّافِ بْنِ خَالِدٍ المَخْزُومِيُّ قال: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي فَرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ زَارَ قُبُورَ الشُّهَدَاءِ بِأُحُدٍ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنَّ عَبْدَكَ وَنَبِيَّكَ يَشْهَدُ أَنَّ هَؤُلَاءِ شُهَدَاءُ، وَأَنَّهُ مَنْ زَارَهُمْ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ رَدُّوا عَلَيْهِ**» قَالَ الْعَطَّافُ: وَحَدَّثَتْنِي خَالَتِي، أَنَّهَا زَارَتْ قُبُورَ الشُّهَدَاءِ، قَالَتْ: وَلَيْسَ مَعِي إِلَّا غُلَامَانِ يَحْفَظَانِ عَلَيَّ الدَّابَّةَ، قَالَتْ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمْ فَسَمِعْتُ رَدَّ السَّلَامِ، قَالُوا: وَالله إِنَّا نَعْرِفُكُمْ كَمَا يَعْرِفُ بَعْضُنَا بَعْضًا، قَالَتْ: فَاقْشَعْرَرْتُ، فَقُلْتُ: يَا غُلَامُ ادْنُ بَغْلَتِي فَرَكِبْتُ. [المستدرك على الصحيحين في المغازي والسرايا ٣/ ٣١ رقم ٤٣٢٠، وقال الحاكم: «هذا إسنادٌ مَدَنِيٌّ صحيحٌ، ولم يخرجاه»، وقال الذهبي: مرسل].

«وقف ﷺ أمام هؤلاء الأبرار وبشَّرهم، هؤلاء الأبرار الذين سافروا إلى جناتهم، التي لا تعرف مللًا ولا شقاءً ولا رتابة، جناتهم التي علت كل طموح وفاقت كل تصور». [السيرة النبوية للصوياني ٢/ ٢٤٧].

٤ ـ التعريف بالشهيد:

يقول د/ خير هيكل: «للمذاهب الفقهية تعريفات متعددة للشهيد، وعلى أساسها يدخل بعض مَنْ يُقتل، أو يموت من المسلمين في قائمة الشهداء، الذين نحن بصدد الحديث عنهم، أو يخرج عن تلك القائمة، إلا أنه ليس من غرضنا، هنا، أن نأتي على كل التعريفات التي ذُكرت للشهيد، مما يشمل غير ما يخص بحثنا الذي نعالجه، ولا أن نبحث مسألة الشهادة، والشهداء بجميع تفصيلاتها؛ وذلك لأننا محكومون بما يتصل بموضوع البحث الذي بين أيدينا، أي: محكومون بما يتصل بأمرين اثنين:

الأمر الأول: مَنْ يُقتل أو يموت في الحرب مع الأعداء من الكفار.

الأمر الثاني: من تجب في حقه أحكام خاصة تتعلق بأمر تجهيزه بعد استشهاده، أي: مما له صلة بغَسْله، وتكفينه، والصلاة عليه، ودفنه.

أما بالنسبة للأمر الأول: أي: مَنْ يُقتل أو يموت في الحرب مع الأعداء من الكفار خاصة ـ فلأن مما يتصل بالجهاد ضد الكفار ـ ترغيب المقاتلين بالاستشهاد، وبذل النفس في سبيل الله، وبيان ما لهم من الكرامة عند الله، والنعيم المقيم الذي هم مقبلون عليه، فالذي يموت في هذا السبيل يكون من الشهداء، وسواء جرت عليه الأحكام الخاصة بالشهداء، في تجهيزه بعد الموت، أو جرت عليه الأحكام العامة لموتى المسلمين، وفي مثل ذلك يقول الشوكاني: «لا ملازمة بين إثبات اسم الشهادة وترك الغسل...» [السيل الجرار ١١/ ٣٤٢]، أي: قد يثبت لبعضهم اسم الشهادة، فيُسمى شهيدًا، ولكنه يُعامل في أحكام تجهيزه من غَسْل، وغيره معاملة غير الشهداء من المسلمين.

هذا بالنسبة للأمر الأول الذي يَحْكُمُنا في مسألة التعريف بالشهيد، إذ يبين لنا من هم المعنيون بالشهداء في هذا البحث.

أما بالنسبة للأمر الثاني الذي يحكم مسألة التعريف بالشهيد ـ فهو من له أحكام خاصة من الشهداء، في تجهيزه بعد استشهاده؛ وذلك لأن الإدارة المختصة بشؤون القتلى والموتى، من الدوائر التابعة للجيش ـ لابد أن تُراعي الأحكام الشرعية الخاصة في تجهيز من ينطبق عليه اسم الشهيد في الحرب الدائرة مع الأعداء من الكفار، سواء كان هذا الشهيد الذي يستحق تلك المعاملة الخاصة شهيدًا عند الله، يستحق الكرامة الخاصة بالشهداء، أو كان شهيدًا في أحكام الدنيا فقط، وليس شهيدًا في الآخرة، بسبب فَقْدِه لبعض الشروط المطلوبة للفوز بشرف الشهادة عند الله ﷻ ـ كما سيأتي بيانه.

أقول: وبناءً على هذين الأمرين، أي: مَنْ يُقتل أو يموت في الحرب مع الكفار، ومَنْ يعامل معاملة خاصة في تجهيزه للدفن بعد استشهاده في الحرب، أو بسببها ـ فإن المراد بالشهيد في هذا البحث ليس هو كل من يثبت له اسم الشهادة عند مختلف المذاهب الفقهية، ولو جرت بحقه الأحكام الاستثنائية فيما يخص تجهيزه بعد الموت، وإنما المراد بالشهيد هنا، هو كل مَنْ يُقتل أو يموت في الحرب ضد الكفار، أو بسببها ومن أجل هذا، فإننا سنجتزئ من التعريفات التي وردت بحق الشهيد مما ذكره الفقهاء ـ على ما يخص الشهيد الذي يتصل بما نحن فيه فقط، وقد يجري التعرض لغيره لضرورة وضوح الفكرة، أو النص الذي نورده.

في مذهب الأحناف: جاء في (تحفة الفقهاء): «الشهيد نوعان: نوع يُغَسَّل، ونوع لا يُغَسَّل، أما الذي لا يُغَسَّل فهو الذي في معنى شهداء أُحُد...». [**تحفة الفقهاء ١/ ٢١٠**].

ـ وفي (البداية، وشرحها العناية): «الشهيد: من قتله المشركون، أو وُجِد في المعركة، وبه أثر، أي: جراحة ظاهرة، أو باطنة، كخروج الدم من العين، أو نحوها». [**العناية شرح الهداية ٢/ ١٤٢**].

ـ وفي فتح القدير تعليقًا على ما تقدم: «هذا تعريفٌ للشهيد الملزوم للحكم المذكور، أعني: عدم تغسيله ونزع ثيابه، لا لمطلقه، فإنه أعم من ذلك، على ما سنذكر من أن المرتث، وغيره شهيد... ـ ثم يقول: ومن ارتُثَّ (١) غُسِّل... والارتثاث: أن يأكل، أو يشرب، أو ينام، أو يداوى، أو يُنقل من المعركة حيًّا؛ لأنه نال بعض مرافق الحياة، وشهداء أُحُد ماتوا عطاشًا...». [**فتح القدير ٢/ ١٤٢-١٤٣**].

---

(١) «بالبناء للمجهول، وتشديد المثلثة آخره». حاشية ابن عابدين ١/ ٩٤٩. هذا، والكلمة مأخوذة من (رث، يرث، رثاثة) بمعنى: البلى. و«أرث الثوب: أخلق، وارتث فلان:.. حُمل من المعركة رثيثًا، أي: جريحًا، وبه رمق» مختار الصحاح ص١٩٨.

ـ وفي (التحفة) أيضًا: «ولهذا غَسَّل رسول الله ﷺ سعد بن معاذ ﵁، وإن كان شهيدًا لما ارتُث».
[تحفة الفقهاء ١/ ٢١١، وينظر في موت (سعد بن معاذ ﵁) الروض الأنف ٣/ ٢٦٩، ٢٧٤].

ـ وفي السير الكبير: «وإن صار مرتثًّا ـ فهو شهيد في أحكام الآخرة، ولكن يُصنع به ما يُصنع بالموتى من الغسل والتكفين». [**شرح السير الكبير ١/ ٢٣٢**].

وخلاصة القول: إن الشهيد الذي تقدم تعريفه مما يخص بحثنا، في الحرب مع الكفار هو: مَنْ يُقتل في المعركة من المسلمين، ولا يكون مرتثًّا، أي: جريحًا، أو نحوه، يعيش إلى ما بعد انتهاء الحرب، ثم يستشهد .. على تفصيل في ذلك، وتعدد في آراء الفقهاء ـ ذكرتها المراجع الفقهية ... (١)

في مذهب المالكية: جاء في تعريف الشهيد الذي نحن بصدده: «هو مَنْ قُتل في قتال الحربيين فقط، ولو قُتل ببلد الإسلام، بأن غزا الحربيون المسلمين، أو لم يُقاتل، بأن كان غافلًا، أو نائمًا، أو قتله مسلم يظنه كافرًا (٢)، أو داسته الخيل، أو رجع عليه سيفه (٣)، أو سهمه، أو تردَّى في بئر، أو سقط من شاهق، حال القتال، وإن كان أجنب ـ أي: جنبًا (٤) ـ أو حائضًا تَعَيَّن عليها القتال بفَجْءِ عَدُوٍّ على الأحسن (٥)، لا إن رُفع حيًّا من المعركة، ثم مات، وإن أنفذت مقاتله (٦)... إلا المغمور(٧)، وهو: من لم يأكل، ولم يشرب، ولم يتكلم إلى أن مات». [**الشرح الكبير للدردير ١/ ٤٢٥- ٤٢٦**].

---

(١) في (بدائع الصنائع ١/ ٣٢٠- ٣٢٤) سبعة شروط للشهادة في حكم الدنيا، وهي: «١ـ أن يكون مقتولًا. ٢ـ أن يكون مظلومًا. ٣ـ أن لا يُخلف عن نفسه بدلًا، هو مال... حتى لو كان مقتولًا خطأً، أو شبه عمد.. لا يكون شهيدًا. ٤ـ أن لا يكون مرتثًّا. ٥ـ كون المقتول مسلمًا. ٦ـ كون المقتول مكلفًا، وهو شرط في صحة الشهادة في قول أبي حنيفة، فلا يكون الصبي والمجنون شهيدين عنده. وعند أبي يوسف ومحمد ليس بشرط. ٧ـ الطهارة عن الجنابة، شرط في قول أبي حنيفة. وعندهما: ليس بشرط. حتى لو قتل جنبًا لم يكن شهيدًا عنده، خلافًا لهما».
وفي تحفة الفقهاء ١/ ٢١٠: «من قُتل في المعركة، أو نحوها، وهو يقاتل عدوًّا من الكفار المحاربين، أو قُطاع الطرق، أو البُغاة، أو قُتل بسبب دفع القتل عن نفسه أو عن أهله، أو عن المسلمين، أو أهل الذمة، فإنه يكون شهيدًا، في معنى شهداء أُحُد، لوجود القتل ظلمًا، ولا يوجد في قتلهم عوض دنيوي».

(٢) كما قُتل والد (حذيفة بن اليمان ﵄) في معركة أُحُد. تنظر قصته في صحيح البخاري رقم (٣٢٩٠) فتح الباري ٦/ ٣٣٨.

(٣) كما قُتل (عامر بن الأكوع ﵁) في غزوة خيبر. تنظر قصته في صحيح مسلم ٣/ ١٤٤٠-١٤٤١ رقم ١٨٠٧.

(٤) من لزمه غسل لاتصال جنسي ونحوه.

(٥) في حاشية الدسوقي: «وصوابه لو قال: ولو أجنب على الأظهر» ١/ ٤٢٦.

(٦) في شرح الدردير: «المعتمد: أن منفوذ المقاتل لا يُغسل، ولو رُفع غير مغمور». لكن نسب هذا القول بعدم غسله، في الحاشية، لسحنون. وقال: «المعول عليه ـ الأول [أي: غسل منفوذ المقاتل إلا إذا كان مغمورًا] وقول سحنون ضعيف» حاشية الدسوقي ١/ ٤٢٦.

(٧) في مختار الصحاح ص٤١٢. «الغمرة: الشدة... وغمرات الموت: شدائده» والمراد هنا، من يعاني شدائد الموت، بحسب الظاهر.

في مذهب الشافعية: يقول (الشيرازي) في بيان مَنْ هو الشهيد، ما نصه: «ومن مات من المسلمين في جهاد الكفار بسبب من أسباب قتالهم، قبل انقضاء الحرب، فهو شهيد». [**المهذب للشيرازي ١/ ١٣٥**].

ويشرح الإمام النووي ما تقدم في تعريف الشهيد، فيقول: «الشهيد الذي لا يُغَسَّل ولا يُصلَّى عليه ـ هو: مَنْ مات بسبب قتال الكفار، حال قيام القتال، سواء الذي قتله كافرٌ، أو أصابه سلاحُ مسلم خطأً[(١)]، أو عاد إليه سلاح نفسه، أو سقط عن فرسه، أو رَمَحَتْه دابة فمات، أو وطئته دواب المسلمين، أو غيرهم، أو أصابه سهم لا يُعرف ـ هل رَمَى[(٢)] به مسلم، أم كافر، أو وُجد قتيلًا عند انكشاف الحرب، ولم يُعلم سبب موته، سواء كان عليه أثر دمٍ أم لا، وسواء مات في الحال، أم بقي زمنًا ثم مات بذلك السبب قبل انقضاء الحرب، وسواء أكل وشرب، ووصَّى، أم لم يفعل شيئًا من ذلك، وهذا كله متفق عليه عندنا..».

[**المجموع للنووي ٥/ ٢٦١**].

في مذهب الحنابلة: جاء عند الحنابلة أن الشهيد الذي يستحق الأحكام الخاصة بالشهداء فيما يتعلق بتجهيزه بعد الاستشهاد في حربه مع الكفار ـ ما مُفاده: أنه من يموت في المُعترك مع الكفار، رجلًا أو امرأة، بالغًا أو غير بالغ، سواء قتله الكفار، أو عاد عليه سلاحه فقتله، ويكون شهيدًا في حكم الآخرة فقط، في حكم الدنيا ـ ممن يموت في حرب الكفار ـ مَنْ حُمِل من المعركة وبه رمق. أي: حياة مستقرة، أو سقط عن دابته فمات[(٣)]، أو وجد ميتًا، ولا أثر به[(٤)]، أو استشهد، وهو جنب، على تفصيل في حق المرأة التي تستشهد في دمها، أو بعد انقطاعه[(٥)].

وبعد، فكما قلنا: إن الشهيد هو الذي يُقتل أو يموت من المسلمين في الحرب ضد الكفار، سواء أكان من شهداء الدنيا والآخرة معًا، أم كان من شهداء الآخرة فقط، أم كان من شهداء الدنيا فقط... على ما سيأتي بيانه». [**الجهاد والقتال لخير هيكل ٢/ ١١٩٧-١٢٠٣**].

---

(١) زاد في مغني المحتاج ١/ ٣٥٠ «أم قتله مسلم باغ استعان به أهل الحرب، كما شمله قتال الكفار».

(٢) كما في مقتل: «حارثة بن سراقة» ـ أمه: الربيع بنت النضر، عمة أنس بن مالك ـ إذ أصابه «سهم غرب» في معركة بدر، فمات، انظر خبره في صحيح البخاري رقم (٢٨٠٩) فتح الباري ٦/ ٢٥ ـ ٢٦ و«سهم غرب»: «إذا لم يعلم من رمى به» هدي الساري ص١٦٢.

(٣) وقد ثبت له اسم الشهادة ـ أي: في حكم الثواب، والآخرة ـ كما في حديث: «... **والخارُّ عن دابته في سبيل الله شهيد**». مسند أحمد بن حنبل ٢/ ٤٤١.

(٤) ويثبت لهذا حكم الشهادة في الثواب والآخرة لحديث: «**ومن مات في سبيل الله فهو شهيد**». صحيح مسلم رقم (١٩١٥)، ومسند أحمد بن حنبل ٢/ ٥٢٢.

(٥) المغني لابن قدامة ٢/ ٤٠١ – ٤٠٥، هذا، وعند الحنابلة: يثبت اسم الشهادة في حكم الدنيا لمن يقتل من أهل العدل في حرب البغاة، وأما من قُتل ظلمًا، أو قُتل دون ماله، أو دون نفسه، وأهله ـ ففيه روايتان (المغني ٢/ ٤٠٤-٤٠٥).

٥ ـ لم سُمي الشهيد بهذا الاسم؟: [(١)]

يقول د/ خير هيكل: «ذكر الإمام النووي سبعة أوجه[(٢)] لتسمية الشهيد بهذا الاسم، وهي على النحو التالي:

١ـ لأن الله تعالى، ورسوله ﷺ شَهِدا له بالجنة. ٢ـ لأنه حَيٌّ عند ربه.

٣ ـ لأن ملائكة الرحمة تشهده، فتقبض روحه. ٤ ـ لأنه ممن يشهد يوم القيامة على الأمم.

٥ ـ لأنه شُهد له بالإيمان، وخاتمة الخير بظاهر حاله. ٦ ـ لأن له شاهدًا بقتله، وهو دمه.

٧ ـ لأن روحه تشهد دار السلام (أي: الجنة) وروح غيره لا تشهدها إلا يوم القيامة [(٣)].

وقال ابن الأثير: «الشهادة: القتل في سبيل الله، وإنما سُمي القتيل شهيدًا؛ لأن الله وملائكته شهودٌ له بالجنة». [**جامع الأصول ٢/ ٥٨٥**].

وقال السهيلي: «وأَوْلى هذه الوجوه كلها بالصحة أن يكون (فعيلًا) بمعنى (مفعول) ويكون معناه: مشهودًا له بالجنة». [**الروض الأنف ٣/ ١٩٥**]. [**الجهاد والقتال لخير هيكل ٢/ ١٢٠٣-١٢٠٤**].

٦ ـ في فضل الشهادة، وتكريم الشهداء:

يقول د/ خير هيكل: «الشهادة في سبيل الله من القيم التي جاء بها الإسلام، ورفع من قدرها، وقدر أصحابها:

ـ بها يُطوى عن أهلها كل تفريط اقترفوه في حق الله، فلا عقاب، ولا عتاب!

ـ وبها يُمنحون الحياة، والخلود، فلا يموتون كما يموت الناس!

---

(١) كلمة (شهيد) يمكن أن تكون على وزن (فعيل) بمعنى (مفعول) وعلى هذا: قد تكون من (الشهود) أي: الحضور، بمعنى أن الملائكة تشهده حين موته إكرامًا له، وقد تكون من (الشهادة) أي: الحضور مع المشاهدة، بالبصر أو البصيرة، وهنا: تكون بمعنى (مشهود له) بالجنة «من باب الحذف، والإيصال، حذف اللام فاستتر الضمير».
هذا، ويمكن أن تكون كلمة الشهيد على وزن (فعيل) بمعنى (فاعل) وهنا: ـ قد تكون بمعنى (الشهود) أي: الحضور، أي: هو حاضر لأنه حي عند ربه، وقد تكون بمعنى (الشهادة) لأنه شاهد على من قتله بالكفر أو لأنه يأتي يوم القيامة، ومعه شاهد يشهد له، وهو دمه، وجرحه، وما شاكل. ينظر: حاشية ابن عابدين ١/ ٩٤٧.
أقول: بناء على كون لفظ (شهيد) بمعنى (الفاعل) يُقال في حق المرأة: هي شهيدة، كما تقول: عليمة بمعنى عالمة، وإذا كان اللفظ بمعنى (مفعول) يقال في حقها: هي شهيد، كما تقول: هي قتيل، بمعنى: مقتولة... وقد جاءت الأحاديث بكلا اللفظين.

(٢) أوصلها ابن حجر إلى أربعة عشر وجهًا: ثم قال: «وبعض هذه يختص بمن قتل في سبيل الله، وبعضها يعم غيره، وبعضها قد ينازع فيه». فتح الباري ٦/ ٤٣.

(٣) المجموع للنووي ١/ ٢٧٧، وشرح مسلم له ١/ ٥١٥، ٨/ ٨١- ٨٢.

ـ وبها تُفتح لهم أبواب الجنة ـ والأحياء على الأرض لا يزالون ـ بينما الشهداء في نعيم الجنة يتقلبون!

هذا، ومهما مضينا في تعداد بركات الشهادة على أصحابها ـ فما أعد الله لهم يفوق كل تعداد.

ومهما حاولت البلاغة البشرية أن تخلع على الشهداء أبهى ما تملكه من حُلل التمجيد ـ فلن تبلغ شعاعًا واحدًا من أشعة ذلك التمجيد الذي كستهم به بلاغة القرآن، وطوقتهم به بلاغة النبوة.

ومهما اندفع بنا الوفاء وهزتنا الأريحية، فسعيُنا في إقامة الاحتفالات تكريمًا لذكرى الشهداء، أو مشيُنا في أعمال البر والإحسان رعاية لمن خلَّفهم الشهداء وراءهم، من أهل وأبناء ـ فإن تكريم الله لهم أعظم من كل تكريم، والبر والإحسان مما يدخره الله لمن يخلِّفونه من أهل وأبناء، هو أبقى من كل بر، وأنفع من كل إحسان، ذلك أن الشهيد يُعطي لله حياته، فيعطيه الله الجنة والرضوان، كما يعطيه الشفاعة في أهل بيته ـ في اليوم الذي هم أحوج ما يكونون فيه إلى لفتة حنان، تفتح لهم أبواب الجنان... وتصرف عنهم كل مكروه.

ـ فهل هناك تكريم على الأرض يسمو إلى ذلك التكريم الذي في السماء؟

ـ وهل هناك بر أو إحسان يبلغ شأو ذلك البر، وذلك الإحسان؟

ألا، كم نبخس الشهيد حقه حين نغفل عن هذا التكريم الحقيقي، فلا نشير إليه بكلمة، ويكون جُل ما نقدمه إليه لحظات من الصمت نقفها، وكلمات من بعد الصمت نتلفظها ـ لا تبشره بثواب الله، ولا تصله بالملأ الأعلى، ولا تفتح له أبواب الفردوس... وكأن تلك اللحظات من الوقوف، وتلك الكلمات والحروف، هي حسب الشهيد من عِوَض عن حياته الغالية التي بذلها، ثم نُسمي هذا الذي نفعل تكريمًا للشهداء، وتقديرًا عاليًا للشهادة، إذًا، كيف يكون التهوين من شأنهم، والبخس من قيمتها، يا تُرى؟

وبعد، فلنول وجوهنا شطر القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة ـ لنرى كيف يكون التكريم الحق، والتقدير العالي للشهادة والشهداء، ولن نستطيع الإتيان على كل ما ورد في هذا الصدد.

[كنز العمال: الأحاديث في الشهادة الحقيقية من رقم ١١٠٩٨ إلى ١١١٧١ والأحاديث في الشهادة الحُكمية أي: الشهادة في حكم الثواب والآخرة فقط من رقم ١١١٧٢ إلى ١١٢٤٨ ج٤/ ٣٩٧- ٤٢٧].

وسنكتفي بخيوط من أشعة الكتاب والسنة، تضيء لنا ما للشهادة من فضائل، وما للشهداء عند الله من كرامة.

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾[آل عمران].

وعَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ الله بنِ مَسْعُودٍ ﷺ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾، فَقَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ ﷺ: «**أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ**

طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ(١)**، تَسْرَحُ مِنْ الجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ القَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اطِّلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ [تَسْتَزِيدُونَ] شَيْئًا [فَأَزِيدُكُمْ]، قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي [رَبَّنَا وَمَا نَسْتَزِيدُ] وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنْ الجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا قَالُوا: يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا».**

وفي رواية عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ مِثْلَهُ وَزَادَ فِيهِ: **«وَتُقْرِئُ نَبِيَّنَا السَّلَامَ، وَتُخْبِرُهُ عَنَّا أَنَّا قَدْ رَضِينَا وَرُضِيَ عَنَّا»**.. [مسلم في الإمارة (١٨٨٧)، والترمذي في التفسير (٣٠١١)].

قال النووي: «قَوْله ﷺ: **(فَقَالَ لَهُمْ اللهُ تَعَالَى: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا...)**... هَذَا مُبَالَغَةٌ فِي إِكْرَامِهِمْ وَتَنْعِيمِهِمْ إِذْ قَدْ أَعْطَاهُمْ اللهُ مَا لَا يَخْطُرُ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ثُمَّ رَغَّبَهُمْ فِي سُؤَالِ الزِّيَادَةِ، فَلَمْ يَجِدُوا مَزِيدًا عَلَى مَا أَعْطَاهُمْ، فَسَأَلُوهُ حِين رَأَوْا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ سُؤَالٍ أَنْ يُرْجِعَ أَرْوَاحَهُمْ إِلَى أَجْسَادِهِمْ لِيُجَاهِدُوا، أَوْ يَبْذُلُوا أَنْفُسَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى، وَيَسْتَلِذُّوا بِالقَتْلِ فِي سَبِيلِ الله. وَاللهُ أَعْلَم». [شرح صحيح مسلم للنووي ٨/ ٩٣].

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنْ الكَرَامَةِ»**.

[البخاري في الجهاد والسير (٢٨١٧)، ومسلم في الإمارة (١٨٧٧)، وأحمد عن أنس ﷺ (١٢٣٦٠، ١٣٥١٤)].

يقول النووي: «هَذَا مِنْ صَرَائِحِ الأَدِلَّةِ فِي عَظِيمِ فَضْلِ الشَّهَادَة، وَاللهُ المَحْمُودُ المَشْكُورُ».

[شرح مسلم للنووي ٨/ ٨١].

وفي فتح الباري: «قَالَ اِبْنُ بَطَّالٍ: هَذَا الحَدِيثُ أَجَلُّ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الشَّهَادَة، قَالَ: وَلَيْسَ فِي أَعْمَالِ البِرِّ مَا تُبْذَلُ فِيهِ النَّفْسُ غَيْرُ الجِهَادِ؛ فَلِذَلِكَ عَظُمَ فِيهِ الثَّوَابُ». [فتح الباري ٦/ ٣٣].

وعَنْ المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«لِلشَّهِيدِ عِنْدَ الله سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنْ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، [وَيُحَلَّى حُلَّةَ الإِيمَانِ]، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنْ الحُورِ العِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ»**. [الترمذي (١٦٦٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وابن ماجه (٢٧٩٩)، وما بين المعكوفتين له. وقال الشيخ الألباني: صحيح].(٢)

---

(١) أي: «يخلق الله لأرواحهم بعدما فارقت أبدانهم هياكل على تلك الهيئة، تتعلق بها، وتكون خلفًا عن أبدانهم، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ فيتوسلون بها إلى نيل ما يشتهون من اللذائذ الحسية، والقناديل بمنزلة أوكار الطير» تحفة الأحوذي، شرح الترمذي ٨/ ٣٦١.

(٢) أقول [د/ هيكل]: والحديث هنا بلفظ ابن ماجه، والخصال هي: سبع لا ست، وفي رواية الترمذي «**ويوضع على**==

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ القَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ القَرْصَةِ**». [الترمذي (١٦٦٨)، وقال: هذا حديث صحيح غريب، والنسائي (٣١٦١)، وابن ماجه (٢٨٠٢)، كلهم في الجهاد. وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح].

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ**»[(١)]، وفي رواية له بلفظ: «**القَتْلُ فِي سَبِيلِ الله يُكَفِّرُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الدَّيْنَ**»، وفي رواية أخرى له أيضًا: «**وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ**». [مسلم في الإمارة (١٨٨٦)].

جاء في شرح مسلم للنووي: «وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: (**إِلَّا الدَّيْنُ**)، فَفِيهِ تَنْبِيهٌ عَلَى جَمِيعِ حُقُوقِ الآدَمِيِّينَ، وَأَنَّ الجِهَادَ وَالشَّهَادَةَ وَغَيْرَهُمَا مِنْ أَعْمَالِ البِرِّ لَا يُكَفِّرُ حُقُوقَ الآدَمِيِّينَ، وَإِنَّمَا يُكَفِّرُ حُقُوقَ الله تَعَالَى».
[شرح مسلم للنووي ٨/ ٨٨].

هذا، ونكتفي بهذا القدر من الأحاديث الصحيحة التي تنوه بفضل الشهادة، وترفع من قدر الشهداء، وذلك لتعريف طُلاب الثواب، وعشاق الجنة، والطامحين إلى الخلود ـ أين هو الطريق لما يريدون..؟

ومما يجدر التنبيه عليه أن الإسلام مع أنه ثمَّن عاليًا قيمة الشهادة إلا أنه منعها من أن تكون وسيلة لظلم أحد! كما أفاده حديث: «**القَتْلُ فِي سَبِيلِ الله يُكَفِّرُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الدَّيْنَ**».
[الجهاد والقتال لخير هيكل ٢/ ١٢٠٤-١٢٠٨].

== **رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها**» بدل «**ويحلى حلة الإيمان**»، وعلى هذا تكون الخصال في مجموع الروايتين ثماني خصال، جاء في (إتحاف النبلاء) لعبد الله الغماري: «إن المحدث أبا بكر أحمد النجاد أسنده من حديث المقدام بن معد يكرب، قال: قال رسول الله ﷺ: «للشهيد عند الله ثماني خصال...» ص١٨.

أقول: والنجاد هذا، «هو أحمد بن سليمان.. الفقيه الحنبلي المشهور، وهو صدوق، روى عنه الدارقطني».

لسان الميزان لابن حجر ١/ ١٨٠. وفي الرسالة المستطرفة، للكتاني ص٣٦: «أبو بكر أحمد بن سليمان النجاد البغدادي الحنبلي الحافظ المتوفى سنة ٣٤٨ هـ. وكتابه في السنن كتاب كبير».

(١) في (إتحاف النبلاء): «إنْ تَرَكَ الشهيد ما يقضي منه دينه، أو أوصى بأن يقضي عنه، كما أوصى (عبد الله) ابنه (جابرًا) حين خرج في غزوة أُحُد، أو قضاه عنه أحد أقاربه، أو بعض المسلمين ـ فإن الله يغفر له، ولا يعاقبه» ص٢٤.

وفي حاشية ابن عابدين ٣/ ٣٣٥: «فيه: بيان شدة الأمر في مظالم العباد. وقيل: كان هذا في الابتداء، حين نهى ﷺ عن الاستدانة لقلة ذات يدهم، وعجزهم عن قضائه، ولهذا كان لا يصلي على مديون لم يخلف مالًا، ثم نُسخ ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام: «**من ترك مالًا فلورثته، ومن ترك كلًّا أو عيالًا فهو عليَّ**».

وفي جامع الأصول ٤/ ٤٦٧: «الكل: العيال والثقل». أقول: والحديث الذي أشار إليه ابن عابدين هو في صحيح البخاري: رقم (٥٣٧١) فتح الباري ٩/ ٥١٥، وصحيح مسلم رقم (١٦١٩)، ونصه: «أن رسول الله ﷺ كان يؤتي بالرجل المتوفى، عليه الدين، فيسأل: هل ترك لدينه فضلًا؟ فإن حُدِّث أنه ترك وفاء صلى، وإلا قال للمسلمين: صلوا على صاحبكم، فلما فتح الله عليه الفتوح، قال: **أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفي من المؤمنين فترك دينًا فعليَّ قضاؤه، ومن ترك مالًا فلورثته**».

٧ ـ أنواع الشهداء:

يقول د/ خير هيكل: «جاء في شرح صحيح مسلم: وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّهِيدَ ثَلَاثَةُ أَقْسَام:

أَحَدُهَا: الْمَقْتُولُ فِي حَرْبٍ بِسَبَبٍ مِنْ أَسْبَابِ الْقِتَالِ، فَهَذَا لَهُ حُكْمُ الشُّهَدَاءِ فِي ثَوَابِ الآخِرَةِ وَفِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا، وَهُوَ أَنَّهُ لَا يُغَسَّلُ، وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ.

وَالثَّانِي: شَهِيدٌ فِي الثَّوَابِ دُونَ أَحْكَامِ الدُّنْيَا، وَهُوَ الْمَبْطُونُ («هو الذي يشكو بطنه». جامع الأصول ٢/ ٧٤٠)، وَالْمَطْعُونُ («الذي عرض له الطاعون، وهو الداء المعروف». جامع الأصول ٢/ ٧٤٠. وفي القاموس ٤/ ٢٤٦: «الطاعون: الوباء»)، وَصَاحِبُ الهَدْمِ («هو الذي يقع عليه بناء أو حائط فيموت تحته» جامع الأصول ٢/ ٧٤٠)، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ، وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ جَاءَتْ الأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ بِتَسْمِيَتِهِ شَهِيدًا، فَهَذَا يُغَسَّلُ وَيُصَلَّى عَلَيْهِ، وَلَهُ فِي الآخِرَةِ ثَوَابُ الشُّهَدَاءِ، وَلَا يَلزَمُ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ ثَوَابِ الأَوَّلِ.

وَالثَّالِثُ: مَنْ غَلَّ فِي الغَنِيمَةِ وَشِبْهُهُ («ومن قُتل مُدْبرًا، أو قاتل رياء، ونحوه». المجموع للنووي ٥/ ٢٦٤) مِمَّنْ وَرَدَتْ الآثَارُ بِنَفْيِ تَسْمِيَتِهِ شَهِيدًا إِذَا قُتِلَ فِي حَرْبِ الكُفَّارِ، فَهَذَا لَهُ حُكْمُ الشُّهَدَاءِ فِي الدُّنْيَا فَلَا يُغَسَّلُ، وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَلَيْسَ لَهُ ثَوَابُهُمْ الكَامِلُ فِي الآخِرَةِ. وَاللهُ أَعْلَمُ. [**شرح مسلم للنووي ١/ ٥١٥. وينظر: المجموع له ٥/ ٢٦٤، ومغني المحتاج ١/ ٣٥٠، والفوائه العديدة في المسائل المفيدة للشيخ العلامة أحمد بن محمد المنقور التميمي النجدي ١/ ١٥١**].

هذا، وقد وردت عدة أحاديث تتعلق بتعداد الشهداء في الثواب فقط، دون أحكام الدنيا، وهم من يُسمون «شهداء الآخرة»، واختلفت تلك الأحاديث في عدد هؤلاء الشهداء.

يقول ابن حجر: «والذي يظهر أنه ﷺ أُعلم بالأقل، ثم أُعلم زيادة على ذلك، فذكرها في وقت آخر، ولم يقصد الحصر في شيء من ذلك، وقد اجتمع لنا من الطرق الجيدة أكثر من عشرين خصلة». [**فتح الباري ٦/ ٤٣**].

وسنورد هنا بعض ما صح من تلك الأحاديث التي تثبت الشهادة في الثواب فقط لفئات معينة من الناس بسبب خصال محددة اتصفوا بها.

١ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «... **الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: المَطْعُونُ، وَالمَبْطُونُ، وَالغَرِقُ، وَصَاحِبُ الهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ الله**». [**البخاري (٢٨٢٩)، ومسلم (١٩١٤)**].

٢ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟**» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ الله فَهُوَ شَهِيدٌ، قَالَ: «**إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ**»، قَالُوا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ الله فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ الله فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي البَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ**». [مسلم (١٩١٥)].

٣ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا أُعْطِيَهَا وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ**». [مسلم (١٩٠٨)].

٤ ـ عَنْ جَابِرِ بْنَ عَتِيكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**الشَّهَادَةُ سَبْعٌ سِوَى القَتْلِ فِي سَبِيلِ الله: المَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالغَرِقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الجَنْبِ**(١) **شَهِيدٌ، وَالـمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الـحَرِيقِ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالـمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ**(٢) **شَهِيدٌ**». [أبو داود (٣١١١). وقال الألباني: صحيح].

٥ ـ وروى الطبراني: «عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ صُرِعَ عَنْ دَابَّتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**». [مجمع الزوائد ٥/ ٣٠١ وقال الهيثمي: (رجاله ثقات)].

٦ ـ وروى الطبراني أيضًا، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: «**مَنْ تَرَدَّى مِنْ رُؤُوسِ الجِبَالِ، وَتَأْكُلُهُ السِّبَاعُ، وَيَغْرِقُ فِي البِحَارِ لَشَهِيدٌ عِنْدَ الله**». [مجمع الزوائد ٥/ ٣٠٢، وقال: (رجاله رجال الصحيح)].

٧ ـ عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ، أَوْ دُونَ دَمِهِ، أَوْ دُونَ دِينِهِ، فَهُوَ شَهِيدٌ**»(٣).

٨ ـ عَنْ سُوَيْدِ بْنِ مُقَرِّنٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**».

[النسائي في تحريم الدم (٤٠٩٣)، وقال الشيخ الألباني: صحيح].

٩ ـ وقال ابن حجر: وَصَحَّحَ الدَّارَقُطْنِيُّ مِنْ حَدِيثِ اِبْنِ عُمَرَ ﷺ: «**مَوْتُ الغَرِيبِ شَهَادَةٌ**»(٤).

وقال ابن حجر أيضًا: «وَوَرَدَتْ أَحَادِيثُ أُخْرَى فِي أُمُورٍ أُخْرَى لَمْ أُعَرِّجْ عَلَيْهَا لِضَعْفِهَا، قَالَ اِبْنُ التِّينَ: هَذِهِ كُلُّهَا مِيتَاتٌ فِيهَا شِدَّةٌ تَفَضَّلَ اللهُ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّد ﷺ بِأَنْ جَعَلَهَا تَمْحِيصًا لِذُنُوبِهِمْ، وَزِيَادَةً فِي أُجُورِهِمْ يُبَلِّغُهُمْ بِهَا مَرَاتِبَ الشُّهَدَاءِ، قُلتُ: وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ المَذْكُورِينَ لَيْسُوا فِي المَرْتَبَةِ سَوَاءٌ... ثم يقول:

---

(١) «دُمَّل، أو قرحة، تعرض في جوف الإنسان تنفجر من داخل، فيموت صاحبها، وقد تنفجر إلى الخارج». جامع الأصول ٢/ ٧٤٢.

(٢) «ماتت المرأة بجُمْع: إذا ماتت وولدها في بطنها، وقد تكون المرأة التي لم يمسها رجل» جامع الأصول ٢/ ٧٤٢. وفي فتح الباري ٦/ ٤٣: «وهي النفساء، وقيل: التي يموت ولدها في بطنها، ثم تموت بسبب ذلك.. وقيل: التي تموت عذراء. والأول: أشهر».

(٣) أبو داود (٤٧٨٢)، وقال الشيخ الألباني: (صحيح)، وفي رواية للنسائي بلفظ: «**ومن قاتل دون ماله فقُتل فهو شهيد**... الحديث» (صحيح سنن النسائي للألباني برقم (٣٨١٦) جـ٣/ ٨٥٨).

هذا، والذي في صحيح البخاري ومسلم هو: «**ومن قاتل دون ماله فقُتل فهو شهيد**» فقط. (رقم البخاري ٢٤٨٠) فتح الباري ٥/ ١٢٣، ورقم مسلم (١٤١).

(٤) فتح الباري ٦/ ٤٣. والحديث أخرجه (ابن ماجه) رقم (١٦١٣)، ولكن الشيخ الألباني تجاوزه في (صحيح سنن ابن ماجه) له انظر كتاب الألباني ١/ ٢٦٩. هذا وما صححه الدارقطني هو من حديث ابن عمر ﷺ ـ كما تقدم، وأما الذي عند ابن ماجه فهو من حديث ابن عباس ﷺ.

وَيَتَحَصَّلُ مِمَّا ذُكِرَ فِي هَذِهِ الأَحَادِيثَ أَنَّ الشُّهَدَاءَ قِسْمَانِ: **شَهِيدُ الدُّنْيَا، وَشَهِيدُ الآخِرَة**، وَهُوَ مَنْ يُقْتَلُ فِي حَرْبِ الكُفَّارِ مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ مُخْلِصًا. **وَشَهِيدُ الآخِرَة** وَهُوَ مَنْ ذُكِرَ، بِمَعْنَى أَنَّهُمْ يُعْطَوْنَ مِنْ جِنْسِ أَجْرِ الشُّهَدَاءِ، وَلَا تَجْرِي عَلَيْهِمْ أَحْكَامهمْ فِي الدُّنْيَا... ثم يقول: وَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ فَيَكُونُ إِطْلَاقُ الشُّهَدَاءِ عَلَى غَيْرِ المَقْتُولِ فِي سَبِيلِ الله مَجَازًا». [فتح الباري ٦/ ٤٤]. [الجهاد والقتال لخير هيكل ٢/ ١٢٠٨-١٢١١].

٨ ـ حُكم من قُتل خطأ من المسلمين في المعركة:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:... وَأَمَّا حُسَيْلُ بْنُ جَابِرٍ رضي الله عنه، فَاخْتَلَفَتْ [فَالتَقَتْ] عَلَيْهِ أَسْيَافُ الْمُسْلِمِينَ، فَقَتَلُوهُ وَلَا يَعْرِفُونَهُ حِينَ اخْتَلَطُوا. [السيرة النبوية لابن هشام ٨٧-٨٨، والمغازي للواقدي ١/ ٢٣٣].

يقول د/ بربر: «اختلف العلماء فيمن قتل في المعركة خطأً، هل يكون شهيدًا؟ إلى قولين:

القول الأول: قول جماهير العلماء من: المالكية، والشافعية، وهو قول عند الحنفية: أنه يعتبر شهيد معركة، وتطبق عليه أحكام الشهيد الدنيوية.

[ينظر: المدونة الكبرى لمالك ١/ ١٨٣، والشرح الكبير للدردير ١/ ٤٢٦، وبدائع الصنائع للكاساني ١/ ٣٢٣، والهداية شرح البداية للمرغياني ١/ ٩٤، وبداية المبتدي لبرهان الدين الفرغاني ١/ ٣١، والمجموع للنووي ٥/ ٢١٦، والمهذب للشيرازي ١/ ١٣٥، والوسيط في المذهب لأبي حامد الغزالي ٢/ ٣٧٧، وروضة الطالبين للنووي ٢/ ١١٩].

القول الثاني: قول الحنفية، والحنابلة، وابن حزم، وهو قول عند أصحاب مالك والشافعي: لا يعتبر شهيد معركة، ولا تطبق عليه أحكام الشهيد الدنيوية.

[ينظر: تبيين الحقائق للزيلعي ١/ ٢٤٧، والمبدع في شرح المقنع لابن مفلح الحنبلي ٢/ ٢٣٨، وشرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى للبهوتي ١/ ٣٤٤، والتاج والإكليل لمختصر خليل للعبدري ٢/ ٢٤٧، والمجموع للنووي ٥/ ٢١٦، وحاشية إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين لشرح قرة العين بمهمات الدين لأبي بكر بن شطا الدمياطي ٢/ ١٣٨، وحاشية الجمل على شرح المنهج لسليمان الجمل ٢/ ١٩٢].

أدلة القول الأول: استدل من قال بأن من قتل في المعركة خطأً يعتبر شهيد معركة بالأدلة التالية:

١- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ الْبَرَاءِ ـ وَهْيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ ـ أَتَتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَتْ: **يَا نَبِيَّ الله، أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ** ـ وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ، أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ (الذى لا يعرف راميه) ـ **فَإِنْ كَانَ فِي الجَنَّةِ، صَبَرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ**، قَالَ صلى الله عليه وسلم: «**يَا أُمَّ حَارِثَةَ، إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الأَعْلَى**». [البخاري في الجهاد (٢٨٠٩)].

وجه الدلالة في الحديث: أن حارثة رضي الله عنه قُتل بسهم من المسلمين، وقد عده النبي صلى الله عليه وسلم في الشهداء، ولم يثبت أن النبي عامله على غير ما عامل عليه شهداء بدر.

٢- عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «**الشُّهَدَاءُ أَرْبَعَةٌ: رَجُلٌ مُؤْمِنٌ جَيِّدُ الإِيمَانِ، لَقِيَ العَدُوَّ، فَصَدَقَ اللهَ حَتَّى قُتِلَ، فَذَلِكَ الَّذِي يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ أَعْيُنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ هَكَذَا**»،

وَرَفَعَ رَأْسَهُ حَتَّى وَقَعَتْ قَلَنْسُوَتُهُ، قَالَ: فَمَا أَدْرِي أَقَلَنْسُوَةَ عُمَرَ أَرَادَ أَمْ قَلَنْسُوَةَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَالَ: «**وَرَجُلٌ مُؤْمِنٌ جَيِّدُ الإِيمَانِ لَقِيَ العَدُوَّ فَكَأَنَّمَا ضُرِبَ جِلْدُهُ بِشَوْكِ طَلْحٍ مِنَ الجُبْنِ أَتَاهُ سَهْمٌ غَرْبٌ فَقَتَلَهُ، فَهُوَ فِي الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ، وَرَجُلٌ مُؤْمِنٌ خَلَطَ عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، لَقِيَ العَدُوَّ فَصَدَقَ اللهَ حَتَّى قُتِلَ، فَذَلِكَ فِي الدَّرَجَةِ الثَّالِثَةِ، وَرَجُلٌ مُؤْمِنٌ أَسْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ [إِسْرَافًا كَثِيرًا،] لَقِيَ العَدُوَّ فَصَدَقَ اللهَ حَتَّى قُتِلَ، فَذَلِكَ فِي الدَّرَجَةِ الرَّابِعَةِ**». [الترمذي في فضائل الجهاد (١٦٤٤)، ومسند أحمد ١/ ٢٩٤ رقم ١٥٠، ١٤٦، وقال الشيخان الألباني والأرناؤوط: ضعيف].

وجه الدلالة في الحديث: جعل النبي ﷺ من قتل بسهم غرب شهيدًا. [فيض القدير للمناوي ٤/ ١٨٠].

٣- كَعْبُ بْنُ زَيْدٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ ثُمَّ مِنْ بَنِي دِينَارٍ، أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٍ فَقَتَلَهُ.[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٥٣]، ولم يفرده النبي ﷺ عن الشهداء بحكم، فدل على أنه شهيد.

٤- قياسًا على مَنْ قَتل نفسه خطأً، فقد روى سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ ﷺ، عن أخيه عامر ﷺ في غزوة خيبر قَالَ: فَلَمَّا تَصَافَّ الْقَوْمُ كَانَ سَيْفُ عَامِرٍ ﷺ فِيهِ قِصَرٌ، فَتَنَاوَلَ بِهِ [سَاقَ] يَهُودِيًّا لِيَضْرِبَهُ، وَيَرْجِعُ ذُبَابُ (طرف السيف الأعلى الذى يضرب به) سَيْفِهِ، فَأَصَابَ رُكْبَةَ عَامِرٍ ﷺ، فَمَاتَ مِنْهُ، فَلَمَّا قَفَلُوا (رجعوا) قَالَ سَلَمَةُ: رَآنِي رَسُولُ الله ﷺ [وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِي] شَاحِبًا [سَاكِتًا]، فَقَالَ لِي: « **مَا لَكَ؟** »، فَقُلْتُ [لَهُ]: فِدًى لَكَ أَبِي وَأُمِّي! [فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي] زَعَمُوا أَنَّ عَامِرًا حَبِطَ عَمَلُهُ، قَالَ: « **مَنْ قَالَهُ** »، قُلْتُ: قَالَهُ فُلَانٌ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ وَأُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كَذَبَ مَنْ قَالَهُ، إِنَّ لَهُ لَأَجْرَيْنِ** ـ وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ ـ **إِنَّهُ لَجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ، قَلَّ عَرَبِيٌّ نَشَأَ [مَشَى** (معناه مشى بالأرض أو في الحرب)] **بِهَا مِثْلَهُ**».

[البخاري في الأدب (٦١٤٨)، وفي المغازي (٤١٩٦)، ومسلم في الجهاد والسير (١٨٠٢)، وفي النكاح (١٤٠٧)].

فعامر بن الأكوع ﷺ قتل نفسه خطأً، ومع ذلك عُد شهيدًا، ولم يفرد عن الشهداء بحكم، ومن قتله غيره من المسلمين خطأً في المعركة فهو شهيد من باب أولى.

[الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل للمقدسي ١/ ٢٥٤، والمبدع ٢/ ٢٣٧].

أدلة القول الثاني: استدل من قال بأن من قتل في المعركة خطأً، لا يعتبر شهيد معركة، ولا تطبق عليه أحكام الشهيد الدنيوية بالأدلة التالية:

١- أن من قتل خطأً مات بغير أيدي المشركين، فأشبه ما لو أصابه ذلك في غير المعترك.

[ينظر: المغني لابن قدامة ٢/ ٢٠٦].

٢- الموجب لأحكام الشهيد الدنيوية هي الشهادة على أيدي الكفار، وليس من قتل في المعركة.

[ينظر: بداية المجتهد لابن رشد ١/ ١٦٥].

الترجيح: الراجح ـ والله أعلم ـ هو قول جماهير العلماء: أن مَنْ قُتل خطأ من المسلمين في المعركة فهو شهيد، ويعامل معاملة الشهداء في الأحكام الدنيوية؛ لتظافر الأدلة على ذلك، وعدم وجود ما يعارضها؛ ولأنه وإن لم يقتله العدو مباشرة فإن قتالهم سبب في قتله؛ ولأنه قُتل في أرض المعركة مع الكفار، فلا يختلف عن غيره من قتلى المعركة من المسلمين ».

[الأحكام الفقهية المستفادة من غزوتي الأحزاب وبني قريظة لبربر ٤٤-٤٧].

٩ ـ حُكم من مات بعد المعركة متأثرًا بجراحه:

يقول د/ بربر:

«**أولًا: من مات عن قرب:**

اختلف العلماء في الجريح إذا حُمل من أرض المعركة، ثم مات عن قرب، هل يكون شهيدًا في أحكام الدنيا؟ إلى قولين:

القول الأول: ذهب جماهير العلماء من: الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة: إلى أن من حُمل من أرض المعركة، وليس فيه إلا رمق من حياة، ثم مات عن قرب، أنه شهيد في أحكام الدنيا، وتطبق عليه أحكام الشهيد الدنيوية. **[ينظر: بدائع الصنائع للكاساني ١/ ٣٢٢، المدونة الكبرى لمالك ١/ ١٨٣، والاستذكار لابن عبد البر ٥/ ١٢١، وروضة الطالبين للنووي ٢/ ١١٩، والمجموع للنووي ٥/ ٢١٦، وحاشية إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين لشرح قرة العين بمهمات الدين لا بن شطا الدمياطي ٢/ ١٣٧، والمغني لابن قدامة ٢/ ٢٠٦، والمحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل لعبد السلام بن تيمية ١/ ١٨٩، والكافي في فقه ابن حنبل لابن قدامة ١/ ٢٥٤].**

القول الثاني: ذهب ابن حزم: إلى أن من حُمل من أرض المعركة حيًّا،، ثم مات عن قرب لا يكون شهيدًا في أحكام الدنيا. **[ينظر: المحلى لابن حزم ٥/ ١١٥].**

استدل الجمهور على قولهم أن من حمل من أرض المعركة، وليس فيه إلا رمق من حياة، ثم مات عن قرب، أنه شهيد في أحكام الدنيا بالأدلة التالية:

١ – عن زيد بن ثابت ﷺ قال: بَعَثَنِي رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ لِطَلَبِ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ ﷺ، وَقَالَ لِي: «**إِنْ رَأَيْتَهُ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلامَ، وَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ رَسُولُ الله ﷺ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟**»، قَالَ: فَجَعَلتُ أَطُوفُ بَيْنَ القَتْلَى فَأَصَبْتُهُ وَهُوَ فِي آخِرِ رَمَقٍ (بقية الروح وآخر النفس)، وَبِهِ سَبْعُونَ ضَرْبَةٍ: مَا بَيْنَ طَعْنَةٍ بِرُمْحٍ، وضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ، وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا سَعْدُ، إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ، وَيَقُولُ لَكَ: «**خَبِّرْنِي كَيْفَ تَجِدُكَ؟**»، قَالَ: عَلَى رَسُولِ الله ﷺ السَّلامُ، وعليك السَّلامُ، **قُل لَهُ: يا رَسُولَ الله ﷺ،**

أَجِدُنِي أَجِدُ رِيحَ الجَنَّةِ، وَقُلْ لِقَوْمِي الأَنْصَارِ: لا عُذْرَ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَنْ يُخْلَصَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفِيكُمْ شُفْرٌ (منبت شعر الجفن، ومعنى العبارة: وفيكم جفن يطرف) **يَطْرِفُ!** قَالَ: وَفَاضَتْ نَفْسُهُ رَحِمَهُ اللهُ.

[المستدرك للحاكم في معرفة الصحابة رضي الله عنهم ٣/ ٢٢١ رقم ٤٩٠٦، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، ودلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٢٦٩، ٣/ ٣٣٥. وأورد العلي طرقه، ثم قال: وبهذه الطرق يكون الحديث صحيحًا. صحيح السيرة النبوية للعلي ص ٢١٨].

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه كَانَ يَقُولُ: **حَدِّثُونِي عَنْ رَجُلٍ دَخَلَ الجَنَّةَ لَمْ يُصَلِّ قَطُّ؟** فَإِذَا لَمْ يَعْرِفْهُ النَّاسُ سَأَلُوهُ: مَنْ هُوَ؟ فَيَقُولُ: **أُصَيْرِمُ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ عَمْرُو بْنُ ثَابِتِ بْنِ وَقْشٍ**، قَالَ الحُصَيْنُ (أحد رواة الحديث) فَقُلْتُ لِمَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رضي الله عنه: كَيْفَ كَانَ شَأْنُ الأُصَيْرِمِ؟ قَالَ: كَانَ يَأْبَى الإِسْلَامَ عَلَى قَوْمِهِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أُحُدٍ بَدَا لَهُ الإِسْلَامُ فَأَسْلَمَ، فَأَخَذَ سَيْفَهُ فَغَدَا حَتَّى أَتَى القَوْمَ، فَدَخَلَ فِي عُرْضِ النَّاسِ (معظمهم)، فَقَاتَلَ حَتَّى أَثْبَتَتْهُ (حبسته وأسكنته) الجِرَاحَةُ، قَالَ: فَبَيْنَمَا رِجَالُ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ يَلتَمِسُونَ قَتْلَاهُمْ فِي المَعْرَكَةِ إِذَا هُمْ بِهِ، فَقَالُوا: **وَاللهِ إِنَّ هَذَا لَلأُصَيْرِمُ! وَمَا جَاءَ؟! لَقَدْ تَرَكْنَاهُ وَإِنَّهُ لَمُنْكِرٌ هَذَا الحَدِيثَ، فَاسْأَلُوهُ مَا جَاءَ بِهِ؟** قَالُوا: **مَا جَاءَ بِكَ يَا عَمْرُو، أَحَدَبًا** (الحدب: العطف والحنو) **عَلَى قَوْمِكَ، أَوْ رَغْبَةً فِي الإِسْلَامِ؟** قَالَ: **بَل رَغْبَةً فِي الإِسْلَام، آمَنْتُ بِالله وَرَسُولِهِ، وَأَسْلَمْتُ، ثُمَّ أَخَذْتُ سَيْفِي فَغَدَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَاتَلتُ حَتَّى أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي**، قَالَ: ثُمَّ لَمْ يَلبَثْ أَنْ مَاتَ فِي أَيْدِيهِمْ، فَذَكَرُوهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**إِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**». [مسند أحمد ٣٩/ ٤١-٤٢ رقم ٢٣٦٣٤، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن، ومجمع الزوائد في المناقب ٩/ ٦٠٦ رقم ١٥٩٥٩، وقال الهيثمي: رواه أحمد، ورجاله ثقات].

وجه الدلالة في الحديثين السابقين: أن النبي ﷺ عاملهما مثل شهداء أحد، دُفنا بدمائهما وثيابهما، ولم يغسلهما، ولم يصل عليهما، وقد تكلما وماتا بعد انقضاء الحرب. [ينظر: المغني لابن قدامة ٢/ ٢٠٦].

٣- وقالوا: لأنه في هذه الحالة في حكم الميت. [المجموع للنووي ٥/ ٢١٦].

أدلة القول الثاني: أما من قال أن من حمل من أرض المعركة حيًّا،، ثم مات عن قرب لا يكون شهيدًا في أحكام الدنيا: فاستدل بقوله ﷺ في سعد بن معاذ رضي الله عنه: «**إِنِّي أَخْشَى أَنْ تَسْبِقَنَا إِلَيْهِ الـمَلَائِكَةُ كَمَا سَبَقَتْنَا إِلَى حَنْظَلَةَ**». [المصنف لابن أبي شيبة ٢٠/ ٣٧١ -٣٧٦ في المغازي (٣٧٩٥٢)، وقال الشيخ عوامة: «هذا إسناد مرسل حسن من أجل محمد بن عمرو بن علقمة»].

وجه الدلالة: الشهيد في أحكام الدنيا لا يُغسل، فدل على أنه شهيد في أحكام الدنيا لا في أحكام الأخرة.

وقد نوقش أن سعد بن معاذ رضي الله عنه استقرت حياته بعد إصابته في المعركة فأكل وشرب، وحكم على بني قريظة، ولم يمت عن قرب.

الترجيح: الراجح ـ والله أعلم ـ أن من حمل من المعركة، وليس فيه إلا رمق من حياة، ثم مات عن قرب، أنه شهيد في أحكام الدنيا؛ لثبوت الأدلة على ذلك.

ثانيًا: من استقرت حياته بعد المعركة وأكل وشرب ثم مات:

اختلف العلماء فيمن جرح في المعركة، ثم استقرت حياته بعد المعركة وأكل وشرب ثم مات بعد المعركة، هل يكون شهيدًا في أحكام الدنيا؟ إلى قولين:

القول الأول: ذهب جماهير العلماء من: الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، والظاهرية: إلى أن من جرح في المعركة، ثم استقرت حياته بعد المعركة وأكل وشرب ثم مات بعد المعركة، لا يكون شهيدًا في أحكام الدنيا. [**ينظر: بدائع الصنائع للكاساني ١/ ٣٢٢، والاستذكار لابن عبد البر ٥/ ١٢١، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر ٢٤/ ٢٤١، والمدونة الكبرى لمالك ١/ ١٨٣، والمجموع للنووي ٥/ ٢١٦، وحاشية إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين لشرح قرة العين بمهمات الدين لأبي بكر بن شطا الدمياطي ٢/ ١٣٧، وروضة الطالبين للنووي ٢/ ١١٩، والمغني لابن قدامة ٢/ ٢٠٦، والكافي في فقه ابن حنبل لابن قدامة ١/ ٢٥٤، والمحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل لعبد السلام بن تيمية ١/ ١٨٩، والمحلى لابن حزم ٥/ ١١٥**].

القول الثاني: نقل النووي عن بعض الشافعية قولهم: من جرح في المعركة ثم استقرت حياته وأكل وشرب ثم مات بعد المعركة، يكون شهيدًا في أحكام الدنيا. [**ينظر: المجموع للنووي ٥/ ٢١٦**].

أدلة القول الأول: استدل الجمهور على مذهبهم أن من جرح في المعركة ثم استقرت حياته وأكل وشرب ثم مات بعد المعركة، لا يكون شهيدًا في أحكام الدنيا بالأدلة التالية:

١- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: أُصِيبَ سَعْدٌ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فِي الأَكْحَلِ (عرق في اليد يفصد)، فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْمَةً فِي الْمَسْجِدِ لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ، فَلَمْ يَرُعْهُمْ (يفزعهم) ـ وَفِي الْمَسْجِدِ خَيْمَةٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ ـ إِلَّا الدَّمُ يَسِيلُ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا أَهْلَ الْخَيْمَةِ، مَا هَذَا الَّذِى يَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكُمْ، فَإِذَا سَعْدٌ يَغْذُو (يسيل) جُرْحُهُ دَمًا، فَمَاتَ فِيهَا. [**البخاري في الصلاة (٤٦٣)**].

وجاء في بعض الروايات: «**إِنِّي أَخْشَى أَنْ تَسْبِقَنَا إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ كَمَا سَبَقَتْنَا إِلَى حَنْظَلَةَ**». [سبق تخريجه].

وجه الدلالة في الحديث: الشهيد في أحكام الدنيا لا يُغسل، فدل على أنه شهيد في أحكام الأخرة لا في أحكام الدنيا.

٢- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه «غُسِّلَ وَكُفِّنَ وَصُلِّيَ عَلَيْهِ، وَكَانَ شَهِيدًا يَرْحَمُهُ اللهُ». [**موطأ مالك في الجهاد (٣٦)، والسنن الكبرى للبيهقي ٤/ ٢٥ رقم ٦٨١٩**].

٣- قالوا: ولأنه عاش بعد انقضاء الحرب، فأشبه ما لو مات بسبب آخر.

[**ينظر: مغني المحتاج للشربيني ١/ ٣٥٠**].

٤ – قالوا: ولأنه ذاق الحياة بعدها، فأكل وشرب، والأكل لا يكون إلا من ذي حياة مستقرة.

[ينظر: المغني لابن قدامة ٢/ ٢٠٦].

أدلة القول الثاني: أما من ذهب إلى أنه شهيد في أحكام الدنيا، فقال: كان الكفار سببًا في قتله، فهو شهيد. [ينظر: المجموع للنووي ٥/ ٢١٦].

الترجيح: الراجح ـ والله أعلم ـ هو أن من جرح في المعركة، ثم استقرت حياته بعد المعركة وأكل وشرب ثم مات بعد المعركة، لا يكون شهيدًا في أحكام الدنيا للأدلة السابقة ».

[الأحكام الفقهية المستفادة من غزوتي الأحزاب وبني قريظة لبربر ٤٨-٥٢].

١٠ ـ التصرف الواجب حيال الشهيد، بشأن تجهيزه للدفن، وتكفينه، والصلاة عليه، ونقله [(١)]:

أولاً: ما حكم غَسْل الشهيد؟

أ ـ حكم غَسْل الشهيد إذا لم يكن جنبًا:

رأي الجمهور: يرى الجمهور من فقهاء المذاهب وغيرهم أن الشهيد لا يُغَسَّل.

ـ في (بدائع الصنائع ١/ ٣٢٤) في حق الشهيد، قال: «لا يُغَسَّل عند عامة العلماء».

ـ وفي الشرح الكبير للدردير ١/ ٤٢٥: «ولا يُغَسَّل شهيد معترك: أي يحرم تغسيله».

ـ وفي المجموع للنووي: «الشهيد لا يجوز غَسْله». [المجموع للنووي ٥/ ٢٦٠].

وفي المغني لابن قدامة: «إِذَا مَاتَ الشَّهِيدُ فِي المَعْرَكَةِ لَمْ يُغَسَّل... فَيَحْتَمِلُ أَنَّ تَرْكَ الغَسْلِ لِمَا يَتَضَمَّنَهُ الغُسْلُ مِنْ إِزَالَةِ أَثَرِ العِبَادَةِ الْمُسْتَحْسَنَةِ شَرْعًا، فَإِنَّهُ جَاءَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُكْلَمُ** (يُجرح) **أَحَدٌ فِي سَبِيلِ الله، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَاللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ**». [البخاري في الجهاد والسير (٢٨٠٣)، فتح الباري ٦/ ٢٠].

... وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الغُسْلَ لَا يَجِبُ إِلَّا مِنْ أَجْلِ الصَّلَاةِ، إِلَّا أَنَّ المَيِّتَ لَا فِعْلَ لَهُ، فَأُمِرْنَا بِغُسْلِهِ لِنُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَمَنْ لَمْ تَجِبْ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ لَمْ يَجِبْ غُسْلُهُ، كَالحَيِّ.

وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الشُّهَدَاءَ فِي المَعْرَكَةِ يَكْثُرُونَ، فَيَشُقُّ غُسْلُهُمْ، وَرُبَّمَا يَكُونُ فِيهِمْ الجِرَاحُ فَيَتَضَرَّرُونَ، فَعُفِيَ عَنْ غُسْلِهِمْ لِذَلِكَ». [المغني لابن قدامة ٢/ ٣٣٣].

هذا، والمعوَّل عليه في ترك غَسْل الشهيد ورود النص الشرعي بذلك... وما يُذكر بعد هذا، من آثار ملموسة، أو حِكَم وردت عن الشارع نتيجة للحكم الشرعي ـ ليست هي من باب التعليل الذي يدور الحكم معه وجودًا، وعدمًا ...

(١) الجهاد والقتال لخير هيكل ٢/ ١٢١١- ١٢٣١.

يقول النووي: «والطريقة السديدة عندنا في ترك الغسل أنه غير معلل». [**المجموع ٥/ ٢٦٦**].

ومن الأدلة على ترك غسل الشهيد ـ ما جاء في صحيح البخاري، في حق شهداء (أُحُد): عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**ادْفِنُوهُمْ فِي دِمَائِهِمْ، يَعْنِي: يَوْمَ أُحُدٍ**، ولم يُغَسِّلهم».

[**البخاري في الجنائز (١٣٤٦). فتح الباري ٣/ ٢١٢**].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: أَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ بِالشُّهَدَاءِ أَنْ يُنْزَعَ عَنْهُمْ الحَدِيدُ وَالجُلُودُ، وَقَالَ: «**ادْفِنُوهُمْ بِدِمَائِهِمْ وَثِيَابِهِمْ**». [**مسند أحمد ٤/ ٩٢ رقم ٢٢١٧، وقال الأرناؤوط: حسن لغيره**].

هذا ما يُقال في رأي الجمهور باختصار.

رأي سعيد بن المسيب، والحسن البصري [(١)]: قال هذان العالِمان، من أفاضل التابعين، أن الشهيد يُغَسَّل.

ـ جاء في (المجموع) في بحث الشهيد: «قال سعيد بن المسيب والحسن البصري: يُغَسَّل».

[**المجموع للنووي ٥/ ٢٦٤**].

ـ ومما جاء في تعليل هذا الرأي ـ كما في البدائع ـ «أن الغَسْل كرامة لبني آدم، والشهيد يستحق الكرامة حسبما يستحقه غيره، بل أشد، فكان الغَسْل في حقه أوجب!.. وإنما لم تُغَسَّل شهداء (أُحُد) تخفيفًا على الأحياء لكون أكثر الناس كان مجروحًا، لما أن ذلك اليوم كان يوم بلاء، وتمحيص فلم يقدروا على غَسْلهم». [**بدائع الصنائع ١/ ٣٢٤**].

وقد رد صاحب البدائع على هذا الرأي بعدة ردود، منها: أنه لو كان ترك غسل الشهداء في (أُحُد) بسبب ما ذُكر من التعذر، والمشقة، حينئذ، لما تُرك غسل الشهداء في جميع الحروب والحالات التي لم يتعذر فيها غسلهم...

قال ما نصه: «كما لم تُغَسَّل الشهداء في (أُحُد) لم تغسل شهداء (بدر) و(الخندق) و(خيبر)، وما ذُكر من التعذر لم يكن يومئذ». [**بدائع الصنائع ١/ ٣٢٤**].

ب ـ وأما حكم غَسْل الشهيد إذا كان جُنُبًا:

فيرى (أبو حنيفة) خلافًا لصاحبيه، كما يرى الحنابلة، وبعض الشافعية أن الشهيد الجنب يُغَسَّل.

وفي المقابل: يرى المالكية، خلافًا لسحنون، كما يرى الجمهور من الشافعية وأبو يوسف ومحمد من الأحناف: أن الشهيد لا يُغَسَّل، ولو كان جنبًا. [**تحفة الفقهاء ١/ ٢١١، المجموع ٥/ ٢٦٣، الشرح الكبير للدردير وحاشية الدسوقي ١/ ٤٢٦، المغني لابن قدامة ٢/ ٤٠٢**].

---

(١) «وحكي عن ابن سُريج من الشافعية، وعن غيره» فتح الباري ٣/ ٢١٢، وينظر: بدائع الصنائع ١/ ٣٢٤، والمجموع للنووي ٥/ ٢٦٤، والمغني لابن قدامة ٢/ ٣٣٣.

هذا، والدليل من النصوص الشرعية في إخراج الشهيد الجنب من الدليل العام القاضي بعدم غسل الشهيد هو ما جاء في مستدرك الحاكم وغيره، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير بن العوام، عن أبيه، عن جده ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ عِنْدَ قَتْلِ حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي عَامِرٍ ﷺ [ينظر: (سيرة ابن هشام) الروض الأنف ٣/ ١٥٤] بَعْدَ أَنْ التَقَى هُوَ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الحَارِثِ [1]، حِينَ عَلَاهُ شَدَّادُ بْنُ الأَسْوَدَ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ صَاحِبَكُمْ تَغْسِلُهُ المَلَائِكَةُ**»، فَسَأَلُوا صَاحِبَتَهُ (يعني امرأته، وهي جميلة بنت أبي بن أبي بن سلول، أخت (عبد الله بن أبي) وكان ابتنى بها تلك، فكانت عروسًا عنده». الروض الأنف ٣/ ١٦٤)، فَقَالَتْ: إِنَّهُ خَرَجَ لَـمَّا سَمِعَ الهَائِعَةَ (الهَيْعة والهائعة: الصوت تفزع منه، وتخافه من عدو ورجل) وَهُوَ جَنُبٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لِذَلِكَ غَسَّلَتْهُ المَلَائِكَةُ**».

[المستدرك ٣/ ٢٠٤- ٢٠٥، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وفي المجموع للنووي ٥/ ٢٦٠: «رواه البيهقي [٤/ ١٥] بسند جيد من رواية عبد الله بن الزبير متصلًا»، ثم يذكر أن (عبد الله بن الزبير) وُلد قبل ستين فقط من غزو أُحُد، وعلى هذا يكون حديثه من قبيل مرسل الصحابي ـ ويقول بهذا الصدد: ومرسل الصحابي حجة على الصحيح. والله أعلم»، وقال عنه الشيخ عبد القادر الأرناؤوط: «وسنده جيد». زاد المعاد، الحاشية ٣/ ٢٠٠].

هذا، وبناء على غَسْل الملائكة لحنظلة بعدما استُشهد وكان جُنُبًا ـ صار الدليل العام بعدم غَسْل الشهيد مخصوصًا بهذا الدليل الخاص، والخاص مقدم على العام، كما هو مقرر في الأصول.

[تحفة الفقهاء ١/ ٢١١، المغني لابن قدامة ٢/ ٤٠٢].

والجواب على هذا الدليل عند القائلين بعدم غَسْل الشهيد، ولو كان جنبًا هو ما ورد في (المجموع) قال: «لو ثبت ـ أي: حديث حنظلة ـ فالجواب عنه أن الغسل لو كان واجبًا لما سقط بفعل الملائكة، ولأمر النبي ﷺ بغسله». **[المجموع للنووي ٥/ ٢٦٣].**

ثم يذكر (النووي) عن القاضي أبي الطيب، أن المطلوب من الغسل هو تعبد الآدمي به.. أي: وفِعل الملائكة لا يُسقط الطلب عن الإنسان فيما طُلب إليه فعله.

أقول: وهذا هو الأظهر، فعدم غَسْل الشهيد الجنب هو الأرجح.

[ينظر للتفصيل: أحكام الجنائز للشيخ الألباني ص ٥٤- ٥٦].

ج ـ حُكم غَسْل المرأة إذا استُشهدت على غير طُهْر:

أي: في زمن حيضها أو نفاسها، أو كان قد انقطع ذلك، ولم تغتسل بعد.

ـ عند المالكية والشافعية: هي كالشهيد إذا كان جنبًا، وذكرنا أن هذا لا يُغَسَّل كما هو الأصح عندهم وكذلك المرأة الشهيدة على غير طهر ـ لا تُغَسَّل. **[الشرح الكبير للدردير ١/ ٤٢٦، المجموع للنووي ٥/ ٢٦٣].**

---

(١) في سيرة ابن هشام: (أبو سفيان بن حرب) بدل (أبي سفيان بن الحارث) وهذا الأخير هو ابن عم النبي ﷺ، وأخوه من الرضاعة، أسلم عام الفتح (الروض الأنف ٣/ ١٥٤).

ـ وأما عند القائلين بغسل الشهيد الجنب ـ فيقولون:

ـ إن كانت الشهيدة قد انقطع دمها من حيض أو نفاس، ولم تغتسل قبل أن تفوز بالشهادة ـ يجب في هذه الحال، غَسْلها؛ «لأن الغسل وجب قبل الموت، كما وَجَبَ بالجنابة». [**تحفة الفقهاء لعلاء الدين السمرقندي ١/ ٢١١. وينظر: البدائع للكاساني، والمغني لابن قدامة ٢/ ٤٠٢، والشرح الكبير للمقدسي ٢/ ٣٣٣**].

وهذا ما ذهب إليه الأحناف والحنابلة.

ـ وأما إن كانت المرأة الشهيدة قد فازت بالشهادة، وهي في أيام دمها من حيض أو نفاس ـ فعند الحنابلة: «لم يجب الغسل؛ لأن الطُّهر شرط في الغسل، أو في السبب الموجب [1]، فلا يثبت الحكم بدونه».

[**المغني لابن قدامة ٢/ ٤٠٢، والشرح الكبير للمقدسي ٢/ ٣٣٣**].

وهذا الحكم أيضًا هو إحدى الروايتين عن أبي حنيفة.

ـ والرواية الأخرى، عن أبي حنيفة، هي: أن هذه الشهيدة كالجنب. أي: يجب غَسْلها إذا استُشهدت قبل انقطاع دمها من حيض، أو نفاس. [**تحفة الفقهاء ١/ ٢١١، وبدائع الصنائع ١/ ٣٢٢-٣٢٣**].

هذا، وما دمنا قد رجحنا عدم غسل الشهيد إذا كان جُنُبًا، فإن هذا الحكم ينسحب على الشهيدة أيضًا إذا أكرمها الله بالشهادة قبل أن تطهر من دمها، على أية حال.

د ـ حكم غسل الشهيد من الصبيان: الجمهور من المالكية والشافعية والحنابلة، وأبو يوسف ومحمد من الأحناف، وغيرهم ـ يقولون: الشهيد من الصبيان هو مثل الشهيد البالغ في تَرْكِ غَسْلِه.

ـ وقال أبو حنيفة: الشهيد من الصبيان يُغَسَّل، ووجه قوله هذا: «أن السيف كفى عن الغسل في حق شهداء (أُحُد) بوصف كونه طُهرة عن الذنب، ولا ذنب للصبي، فلا يكون في معناهم، ومن لم يكن في معناهم غسل».

[**العناية شرح الهداية ٢١٤٨، منح الجليل، شرح على مختصر سيدي خليل ١/ ٥١٨، المجموع للنووي ٥/ ٢٢٦**].

هذا، وفي معرض ذكر دليل الجمهور، والجواب على ما احتج به (أبو حنيفة) قال في (المجموع) ما نصه: «دليلنا: أنه [أي: الصبي الشهيد] مسلم قُتل في معترك المشركين بسبب قتالهم، فأشبه البالغ، والمرأة، واحتج [أي: أبو حنيفة] بأنه لا ذنب له. قلنا: يُغَسَّل، ويُصلَّى عليه في غير المعترك وإن لم يكن من أهل الذنب». [**المجموع للنووي ٥/ ٢٢٦**].

ويضيف ابن قدامة في الاستدلال على رأي الجمهور أيضًا ـ قوله: «وقد كان في شهداء (بدر) حارثة ابن النعمان، وعمير بن أبي وقاص، أخو سعد، وهما صغيران، والحديث عام». [**المغني لابن قدامة ٢/ ٤٠٣**].

---

(١) يقصد أن السبب الموجب للغسل هو: فِعل الصلاة. وما دامت الحائض أو النفساء أيام الدم ـ لا تجب عليها الصلاة، فلم يجب عليها الغسل تبعًا لذلك.

أي: حديث رفع الغسل عن الشهداء عام في كل شهيد، ولم يأت نص خاص يخرج الصبي منه.

أقول: وهذا ما نرجحه في هذه المسألة نظرًا لقوة الدليل.

ثانيًا: بم يُكَفَّنُ الشهداء؟:

يقول ابن القيم: «وقد اختلف الفقهاء في أمرِ النبيِّ ﷺ أن يُدفن شهداءُ أُحُد في ثيابهم، هل هو على وجه الاستحبابِ والأولويَّة، أو على وجه الوجوب؟ على قولين:

الثاني: أظهرُهما وهو المعروفُ عن أبي حنيفة.

والأول: هو المعروف عن أصحاب الشافعي وأحمد، فإن قيل: فقد روى يعقوبُ بن شيبة وغيرُه بإسناد جيد، أن صفيَّةَ أرسلت إلى النبي ﷺ ثوبَيْنِ لِيكفِّن فيهما حمزة، فكفَّنه في أحدهما، وكفَّن في الآخر رجلًا آخر. [مسند أحمد ١/ ١٦٥، قال الشيخ الأرناؤوط: «وسنده حسن». زاد المعاد: الحاشية ٣/ ٢١٧].

قيل: حمزةُ، كان الكفارُ قد سلبوه، ومثَّلُوا به، وبقَرُوا عن بَطنِه، واستخرجوا كَبدَه، فَلِذلِكَ كُفِّنَ في كَفَنٍ آخر». [زاد المعاد لابن القيم ٣/ ٢١٦-٢١٧. وينظر في الآراء الفقهية المنسوبة للفقهاء: بدائع الصنائع ١/ ٣٢٤، والمجموع للنووي ٥/ ٢٦٣، والمغني لابن قدامة ٢/ ٤٠٣ .. وأغفل (ابن القيم) رأي المالكية، ورأيهم: هو وجوب الدفن في الثياب التي مات فيها الشهيد. ينظر: المدونة لمالك ١/ ١٨٣، ومنح الجليل ١/ ٥٢١].

أقول: ما أشار إليه ابن القيم من أمر النبي ﷺ أن يُدفن الشهداء في ثيابهم، جاء في سنن أبي داود: «عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: **أَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِقَتْلَى أُحُدٍ أَنْ يُنْزَعَ عَنْهُمْ الحَدِيدُ، وَالجُلُودُ، وَأَنْ يُدْفَنُوا بِدِمَائِهِمْ وَثِيَابِهِمْ**». [أبو داود في الجنائز (٣١٣٤)، وابن ماجه في الجنائز (١٥١٥)، قال عنهما الشيخ الألباني: ضعيف، وقال الشيخ الأرناؤوط: «هو حديث حسن». (جامع الأصول ١١/ ١٣٩ الحاشية)].

كما جاء في سنن أبي داود: «عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: **رُمِيَ رَجُلٌ بِسَهْمٍ فِي صَدْرِهِ، أَوْ فِي حَلْقِهِ، فَمَاتَ، فَأُدْرِجَ فِي ثِيَابِهِ كَمَا هُوَ، قَالَ: وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ**». [أبو داود في الجنائز (٣١٣٣)، وقال الشيخ الألباني: حسن].

هذا، وههنا أمران:

- ماذا لو قصرت ثياب الشهيد عن تغطية جسمه؟

- وهل ننزع عن الشهيد ما عليه من سلاح، وغيره.. ما ليس من جنس الكَفَن من الثياب كالجلود والفرو؟

أما بالنسبة لقصور ثياب الشهيد عن تغطية جسمه، ففي هذه الحال ينبغي إتمام التغطية المطلوبة بما تيسر.

عن خَبَّابِ بنِ الأَرَتِّ رضي الله عنه قَالَ: «**هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نُرِيدُ [نَلتَمِسُ] وَجْهَ الله، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى الله، فَمِنَّا مَنْ مَضَى [مَاتَ] لَمْ يَأْخُذْ [يَأْكُل] مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا** [1]**، مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ** رضي الله عنه**، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ**

---

(١) كناية عن الغنائم التي تناولها من أدرك زمن الفتوح، وكأن المراد بالأجر - ثمرته، فليس مقصورًا على أجر الآخرة. فتح الباري ٣/ ١٤٢.

وَتَرَكَ نَمِرَةً [فَلَمْ نَجِدْ مَا نُكَفِّنُهُ إِلَّا بُرْدَةً]، فَكُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ بَدَتْ [خَرَجَتْ] رِجْلَاهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ بَدَا [خَرَجَ] رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا رَسُولُ الله ﷺ أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ، وَنَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ شَيْئًا مِنْ إِذْخِرٍ [الإِذْخِرِ] (نبات معروف زكي الريح، وإذا جَف ابيض)، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ (أينع الثمر: إذا نضج وأدرك)، فَهُوَ يَهْدِبُهَا (يقطعها ويجتنيها)». [البخاري في المناقب (٣٨٩٧، ٣٩١٤)، وفي المغازي (٤٠٤٧، ٤٠٨٢)، وفي الجنائز (١٢٧٦)، وفي الرقاق (٦٤٣٢، ٦٤٤٨)، ومسلم في الجنائز (٩٤٠)، وأبو داود في الوصايا (٢٨٧٦)، وفي الجنائز (٣١٥٥)، والترمذي في المناقب (٣٨٥٣)، والنسائي في الجنائز (١٩٠٣)، وأحمد عن خباب ﷺ (٢٠٥٥٤)].

هذا فيما يتصل بستر جسم الشهيد.

ـ وأما هل نَنزع عن الشهيد ما عليه من سلاح، وغيره؟ فإن حديث (ابن عباس ﷺ) الذي تقدم، عند أبي داود ينص على نزع الحديد والجلود عن شهداء (أُحُد)، وبما أن هذا الحديث قد اختُلف في قبوله فقد تعددت، بناء على ذلك، أقوال الفقهاء في هذه المسألة.

ـ جاء في مذهب الأحناف: «ويُنزع عنه [أي: الشهيد] السلاح، والفرو، والجلود، وما لا يصلح للكفن». [تحفة الفقهاء ١/ ٢٠٩].

ـ وفي مذهب المالكية: «ودُفن.. أي: الشهيد بثيابه التي مات فيها وجوبًا إن سترته... وإلا زيد عليها ما يستره.. ونُدب دفنه بخُفٍّ في رجليه حال قتله فلا يُنزع، وبقلنسوة على رأسه حال قتله من طُرْبوش، ونحوه، فلا يُنزع، وبمنطقةٍ.. أي: ما يُحتزم به في وسطه حال قتله فلا تُنزع، قَلَّ ثمنها.. وبخاتم من فضة... فإن كان الخاتم منهيًّا عنه، أو كثرت قيمة فصه، أو المنطَقَة، نُزع.. ـ ثم قال ـ لا يُدفن الشهيد بآله حرب، وهي معه كدرع.. وسلاح..». [منح الجليل ١/ ٥٢١، وينظر: الشرح الكبير للدردير ١/ ٤٢٦].

ـ وفي مذهب الشافعية: «يُنزع عن الشهيد ما ليس من غالب لباس الناس، كالجلود، والفراء، والخفاف، والدرع.. وأما باقي الثياب المعتاد لبسها التي قُتل فيها ـ فوليُّه بالخيار: إن شاء تركها، وكفَّنه بغيرها، وإن شاء تركها عليه.. والدفن فيها أفضل، والثياب الملطخة بدم الشهادة أفضل».

[المجموع للنووي ٥/ ٢٦٣].

ـ وفي مذهب الحنابلة: «يُنزع عنه [أي: الشهيد] من لباسه ما لم يكن من عامة لباس الناس من الجلود، والفرار، والحديد». [المغني لابن قدامة ٢/ ٤٠٣].

ـ وفي مذهب الظاهرية: «يُدفن [أي: الشهيد] بدمه، وثيابه، إلا أنه يُنزع عنه السلاح فقط».

[المحلى لابن حزم ٥/ ١١٥].

وبعد، والذي يبدو مما تقدم أن دفن الشهداء بثيابهم قد ثبت في السنة من حديث (جابر ﷺ) عن أبي داود، وأن الأمر بنزع ما عليهم من جلود، وحديد، من حديث ابن عباس ﷺ ـ قد اختلفت في ثبوته، وبناء على ما ثبت في السنة: فإنني أرجح أن كل ما يصدق عليه بأنه من الثياب ـ يُترك على الشهيد،

عملًا بالحديث المتقدم (**فأدرج في ثيابه، كما هو**)، وما لا يصدق عليه بأنه من الثياب كالسَّاعة في مِعْصَمِه، والخاتم في إصبعه.. والسلاح الذي عليه ـ فإنه يُنزع عنه.

ثالثًا: هل يُصَلَّى على الشهيد صلاة الجنازة؟:

أ ـ أبرز النصوص الشرعية في الصلاة على الشهيد:

١ـ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «**أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلقُرْآنِ**»، فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ، وَقَالَ: «**أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ، وَلَمْ يُغَسَّلُوا، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِمْ. [**البخاري في الجنائز (١٣٤٣)، والترمذي في الجنائز (١٠٣٦)، والنسائي في الجنائز (١٩٥٥)، وابن ماجه في الجنائز (١٥١٤)**].

٢ ـ وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا، فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى المَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى المِنْبَرِ فَقَالَ: «**إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَالله لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ، وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ، أَوْ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ، وَإِنِّي وَالله مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا**».

[**البخاري في الجنائز (١٣٤٤)، وفي المناقب (٣٥٩٦)، وفي المغازي (٤٠٨٥)، وفي الرقاق (٦٤٢٦، ٦٥٩٠)، ومسلم في الفضائل (٢٢٩٦)، وأبو داود في الجنائز (٣٢٢٣)، وأحمد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه (١٦٨٩٣، ١٦٩٤٦)**].

٣ ـ وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ كَالمُوَدِّعِ لِلأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ المِنْبَرَ فَقَالَ: «**إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الحَوْضُ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا**». قَالَ: فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ. [**البخاري في المغازي (٤٠٤٢، ٤٠٨٥)، وفي الجنائز (١٣٤٤)، وفي المناقب (٣٥٩٦)، وفي الرقاق (٦٤٢٦، ٦٥٩٠)، ومسلم في الفضائل (٢٢٩٦)**].

٤ ـ وعن أنس رضي الله عنه قال: لـمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ مَرَّ رَسُولُ الله ﷺ بِحَمْزَةَ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ رضي الله عنه وَقَدْ جُدِعَ، وَمُثِّلَ بِهِ، فَقَالَ: «**لَوْلا أَنْ تَجِدَ** (تحزن) **صَفِيَّةُ** (عمة النبي ﷺ) **تَرَكْتُهُ حَتَّى يَحْشُرَهُ اللهُ مِنْ بُطُونِ الطَّيْرِ وَالسِّبَاعِ**»، فَكَفَّنَهُ فِي نَمِرَةٍ (بردة من صوف أو غيره مخططة) إِذَا خُمِّرَ (غطي) رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلاهُ، وَإِذَا خُمِّرَتْ رِجْلاهُ بَدَا رَأْسُهُ، فَخُمِّرَ رَأْسُهُ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الشُّهَدَاءِ غَيْرِهِ[1]، وَقَالَ: «**أَنَا شَاهِدٌ عَلَيْكُمْ اليَوْمَ**»، وَكَانَ يَجْمَعُ الثَّلاثَةَ وَالاثْنَيْنِ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ، وَيَسْأَلُ: «**أَيُّهُمْ أَكْثَرُ قُرْآنًا؟**» فَيُقَدِّمُهُ فِي اللَّحْدِ، وَكَفَّنَ الرَّجُلَيْنِ

---

(١) «المراد، والله أعلم، أنه لم يصل على غيره استقلالًا، فلا ينافي الصلاة على غيره مقرونًا به». زاد المعاد: الحاشية ٣/ ٢١٤.

والثَّلاثَةَ فِي الثَّوْبِ [(١)] الوَاحِدِ. [المستدرك ١/ ٣٦٥، وقال الأرناؤوط: وسنده حسن. حاشية زاد المعاد ٣/ ٢١٤].

٥ ـ وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: أُتِيَ بِهِمْ رَسُولَ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، فَجَعَلَ يُصَلِّي عَلَى عَشَرَةٍ عَشَرَةٍ، وَحَمْزَةُ هُوَ كَمَا هُوَ، يُرْفَعُونَ وَهُوَ كَمَا هُوَ مَوْضُوعٌ». [ابن ماجه في الجنائز (١٥١٣)، وقال الألباني: صحيح].

٦ ـ وعَنْ شَدَّادِ بْنِ الهَادِ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا مِنْ الأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: أُهَاجِرُ مَعَكَ، فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فَلَـمَّا كَانَتْ غَزْوَةٌ غَنِمَ النَّبِيُّ ﷺ سَبْيًا فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ، فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ، وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ، فَلَـمَّا جَاءَ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: قِسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: قَسَمْتُهُ لَكَ، قَالَ: **مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى إِلَى هَاهُنَا ـ وَأَشَارَ إِلَى حَلقِهِ ـ بِسَهْمٍ، فَأَمُوتَ، فَأَدْخُلَ الجَنَّةَ**، فَقَالَ: **إِنْ تَصْدُقْ اللهَ يَصْدُقْكَ**، فَلَبِثُوا قَلِيلًا، ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ العَدُوِّ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَهُوَ هُوَ؟!**» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**صَدَقَ اللهَ فَصَدَقَهُ**»، ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي جُبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَكَانَ فِيمَا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ: «**اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ، خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ، فَقُتِلَ شَهِيدًا، أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ**». [النسائي في الجنائز (١٩٥٣)، وقال الشيخ الألباني: صحيح].

وبعد، فهذه أبرز الأحاديث التي ترد في موضوع الصلاة على الشهيد، أو عدم الصلاة عليه.

ب ـ أقوال المذاهب، والفقهاء في مسألة الصلاة على الشهيد، وأدلتها من النصوص الشرعية:

ـ الجمهور من المالكية، والشافعية، والحنابلة: لا يقولون بالصلاة على الشهيد، صلاة الجنازة.

ـ والأحناف وبعض الشافعية، ورواية عن الإمام أحمد: يقولون بالصلاة على الشهيد...

وهذه هي أقوالهم في ذلك، وأدلتهم:

ـ في مذهب الأحناف: قال في تحفة الفقهاء: «فأما الصلاة على الشهيد ـ فواجبة عندنا، خلافًا للشافعي، والصحيح قولنا: لأن النبي ﷺ صلى على شهداء أُحُد». [تحفة الفقهاء ١/ ٢١].

ـ وفي مذهب المالكية: جاء في المدونة: «وقال مالك في الشهداء: من مات في المعترك، فلا يُغَسَّل، ولا يُكفَّن ولا يُصَلَّى عليه، ويُدفن بثيابه... ثم أورد حديث جابر رضي الله عنه، الذي يقول فيه: «**وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ، وَلَمْ يُغَسَّلُوا، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِمْ**».

[المدونة للإمام مالك ١/ ١٨٣، وانظر حاشية الدسوقي ١/ ٤٢٦، وقوانين الأحكام الشرعية ص١١٠].

---

(١) في حاشية السندي على البخاري ١/ ١٤٨: «ما معنى ذلك، والشهيد يدفن في ثيابه..؟ فكان هذا فيمن قطع ثوبه، ولم يبق على بدنه، أو بقي منه قليل لكثرة الجروح، وعلى تقدير بقاء شيء من الثوب السابق، لا إشكال لكونه فاصلًا عن ملاقاة بشرتهما. وأيضًا قد اعتذر بعضهم عنه بالضرورة. وقال بعضهم: جمعهما في ثوب واحد، وهو أن يقطع الثوب الواحد بينهما...». وينظر: حاشية السندي على النسائي ٤/ ٦٢-٦٣، وفتح الباري ٣/ ٢١٠.

ـ **وفي مذهب الشافعية**: جاء في المجموع: «الشهيد لا يجوز غَسْله، ولا الصلاة عليه، وقال المزني رحمه الله: يصلَّى عليه، وحكى إمام الحرمين، والبغوي، وغيرهما وجهًا: أنه تجوز الصلاة عليه، ولا تجب... ـ ثم يقول النووي: والمذهب ما سبق من الجزم بتحريم الصلاة والغسل جميعًا. ودليله حديث جابر رضي الله عنه».

[المجموع للنووي ٢٦٠-٢٦١].

ـ **وفي مذهب الحنابلة**: جاء في المغني لابن قدامة: «أما الصلاة عليه، فالصحيح أنه لا يُصلى عليه، وهذا قول مالك والشافعي وإسحاق، وعن أحمد رواية أخرى أنه يُصلى عليه، اختارها الخلال، وهو قول الثوري، وأبي حنيفة، إلا أن كلام أحمد في هذه الرواية يشير إلى أن الصلاة عليه مستحبة غير واجبة،... ـ ثم استدل لهذه الرواية، فقال ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على قتلى أحد... ولنا ما روى جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بدفن شهداء أُحد في دمائهم، ولم يُغسلهم، ولم يصل عليهم. متفق عليه.

[المغني لابن قدامة ٢/ ٤٠١: أقول: حديث جابر هو في البخاري والسنن، وليس في مسلم، وسبق تخريجه].

هذا، ما جاء في المذاهب الفقهية حول الصلاة على الشهيد.

ج. الرأي الذي نرجحه في مسألة الصلاة على الشهيد، بناء على قوة الدليل:

للفقهاء كلام طويل في مناقشة الآراء، والأحاديث الواردة في هذا الصدد، وسنوجز ذلك في النقاط التالية:

(أ) حديث (جابر) في صحيح البخاري بنفي الصلاة على شهداء (أُحُد) هو أقوى حديث في المسألة من حيث الثبوت، ومثله حديث (عقبة بن عامر) في صحيح البخاري ومسلم، في الصلاة على شهداء (أُحُد) بعد ثماني سنوات من وفاتهم.

ـ أما حديث (عقبة) فواضح فيه أنه في غير موضوع الصلاة على الجنازة قبل دفنها؛ لأن هذه الصلاة المذكورة وقعت بعد ثماني سنوات من دفن الشهداء، وفي بيان المراد من هذه الصلاة قال النووي: «المراد من الصلاة هنا: الدعاء، وقوله: صلاته على الميت: أي: دعا لهم كدعاء صلاة الميت».

[المجموع للنووي ٥/ ٢٦٥].

وقال الطحاوي، من الأحناف في المراد بحديث (عقبة) أيضًا: «معنى صلاته صلى الله عليه وسلم، عليهم: لا يخلو من ثلاثة معان ـ إما أن يكون ناسخًا لما تقدم من ترك الصلاة عليهم، أو يكون من سنتهم أن لا يُصَلَّى عليهم إلا بعد المدة المذكورة، أو تكون الصلاة عليهم جائزة بخلاف غيرهم فإنها واجبة، وأيها كان فقد ثبت بصلاته عليهم، الصلاة على الشهداء...

ـ ثم يقول ابن حجر، وهو من الشافعية، معلقًا على ما قال الطحاوي من الأحناف ـ إن صلاته عليهم تحتمل أمورًا أُخَر، منها: «أن تكون من خصائصه، ومنها: أن تكون بمعنى الدعاء، كما تقدم».

[فتح الباري ٣/ ٢١١].

وقال ابن قدامة: «وحديث (عقبة) مخصوص بشهداء أُحُد، فإنه صلى عليهم في القبور بعد ثماني سنين». [المغني لابن قدامة ٢/ ٤٠١].

أقول: على أية حال، ليس حديث (عقبة) في مسألة الصلاة على الشهيد قبل دفنه، وهي المسألة التي نحن بصددها... بقي معنا في هذه النقطة حديث (جابر) الصحيح في نفي الصلاة على شهداء أُحُد.

(ب) لدينا بعض الأحاديث في هذه المسألة مما حَكَم عليها بالصحة بعض المشتغلين بعلم الحديث في هذا العصر... وهي تفيد بأن النبي ﷺ صلى على الشهداء.. ومن ذلك حديث (شداد بن الهاد) الذي ورد فيه أن النبي ﷺ صلى على الأعرابي الشهيد، وحديث (ابن عباس) في الصلاة على شهداء أحد عشرة، عشرة.

ـ أما حديث (شداد بن الهاد) فقد جاء في (المجموع) للنووي الإشارة إلى أنه من أقرب ما رُوي في الصلاة على الشهداء.. ولكن علته أن الراوي للحديث (شداد بن الهادي) تابعي، وليس بصحابي.. ومعنى هذا أنه حديث مرسل. أي: لا يُحتج به. [ينظر: المجموع للنووي ٥/ ٢٦٥].

أقول: الذي يبدو أن (شداد بن الهاد) صحابي، وليس بتابعي، وترجمته في الصحابة، في كتابي (الاستيعاب) و(الإصابة) [1]، وعلى هذا، فهو حديث متصل، راويه صحابي، وليس هو بحديث مرسل؛ ولذا فإنه يصلح للاحتجاج به.

ـ وأما حديث (ابن عباس) في الصلاة على شهداء أُحُد عشرة، عشرة... فهو على القول بصحته يعارض حديث البخاري الذي ينفي الصلاة على الشهداء، كما في حديث جابر، وعلى هذا، فما دامت الواقعة واحدة، والحديثان صحيحين، على القول بصحة حديث الصلاة عليهم كما تقدم ـ فإن الأمر يحتاج إلى تفسير لإزالة الإشكال.

ـ يقول الإمام الكاساني، من الأحناف، في تفسير هذا التناقض: «قيل: إنه [أي: جابر الذي ينفي الصلاة على شهداء أحد] كان يومئذ مشغولًا، فإنه قُتل أبوه، وأخوه وخاله، فرجع إلى المدينة ليدبر كيف يحملهم إلى المدينة، فلم يكن حاضرًا حين صلى النبي ﷺ عليهم؛ فلهذا روى ما روى، ومن

---

(١) الاستيعاب، لابن عبد البر ٢/ ١٣٤ - ١٣٥. (والإصابة لابن حجر ٢/ ١٤٠ رقم الترجمة ٣٨٥٧) وقال في الإصابة: «قال البخاري: له صحبة، وقال ابن سعد: شهد الخندق، وسكن المدينة، وتحول إلى الكوفة، وله رواية عن النبي ﷺ، وعن ابن مسعود، وروى عنه ابنه (عبد الله) وله رؤية.. وكانت تحته (سلمى بنت عميس) أخت أسماء بنت عميس، فكان من أسلاف النبي ﷺ؛ لأن سلمى أخت ميمونة لأمها، وفي شرح مسلم للنووي ٧/ ٤٢٧: «شداد ابن الهادي، والمشهور للمحدثين حذف الياء. والصحيح: إثباتها».

شاهد النبي ﷺ قد روى أنه صلى عليهم، ثم سمع جابر منادي رسول الله ﷺ أن تُدفن القتلى في مصارعهم، فرجع فدفنهم فيها». [بدائع الصنائع ١/ ٣٢٥].

هذا وبناء على هذا التفسير، يقال: شهادة الإثبات، أي: إثبات أن النبي ﷺ قد صَلَّى على الشهداء ـ تُقدَّم على شهادة النفي؛ لاحتمال وجود عارض عند من ينفي الخبر جعله لا يطلع على ما اطلع عليه غيره.

إلا أن الإمام النووي، يعالج هذه القاعدة، على النحو التالي: «أجاب أصحابنا بأن شهادة النفي إنما تُرَدُّ إذا لم يحط بها علم الشاهد، ولم تكن محصورة، أما ما أحاط به علمه، وكان محصورًا فيُقبل بالاتفاق، وهذه قصة معينة، أحاط بها (جابر) وغيره علمًا، وأما رواية الإثبات فضعيفة، فوجودها كالعدم».

[المجموع النووي ٥/ ٢٦٥].

أقول: الذي يبدو أن (جابرًا ﷺ) لم يكن على إحاطة تامة بما يتصل بأمر شهداء (أُحُد)، كما أشار إلى ذلك الإمام الكاساني.. بل تشير بعض الروايات إلى أنه لم يحضر ساحة القتال في أُحُد، حين أخذ المسلمون يشتغلون بتجهيز الشهداء، بعد المعركة.. ففي مصنف ابن أبي شيبة: «عن جابر ﷺ قال: قال لي أبي (عبد الله): أي بُنَي! لولا بُنيات أخلفهن من بعدي من أخوات وبنات لأحببت أن أقدمك أمامي! ولكن كُن في نظاري المدينة، قال: فلم ألبث أن جاءت بهما عمتي قتيلين، يعني: أباه وعمه، قد عرضتهما على بعير». [مصنف ابن أبي شيبة ١٤/ ٢٩٤ رقم ١٨٦٠٦].

هذا، وخلاصة القول:... بناء على ما تقدم من القول بصحة حديث (شداد بن الهاد) في الصلاة على الأعرابي الشهيد، في غير معركة أحد، وعلى القول بصحة وقوع الصلاة على شهداء أحد.

وبناء على عدم استفاضة الأخبار بالصلاة على الشهداء بصورة مستمرة في كل المعارك والحروب، في عهد النبوة، أو عهد الخلفاء الراشدين ـ ومثل هذا الموضوع يُنقل عادة بالتواتر أو الاستفاضة؛ لأنه من الأمور التي لا تخفى على كل أفراد الجيش، وإن كان من الممكن أن يخفى على البعض.

أقول: بناء على ما تقدم من الأدلة، فإنه يترجح لديَّ القول بجواز الصلاة على الشهداء، كما يجوز ترك الصلاة عليهم.. وهذا ما رجحه الإمام (ابن حزم) ولكنه اعتمد في جواز الصلاة على الشهداء ـ على حديث (عقبة) في الصلاة على شهداء أُحُد بعد ثماني سنين من دفنهم، وقد تقدم القول بأن هذا الحديث هو في غير موضوع الصلاة على الشهيد قبل دفنه.

يقول ابن حزم: «وإن صُلِّي عليه [أي: الشهيد] فحسن، وإن لم يُصَلَّ عليه فحسن..».

[المحلى لابن حزم ٥/ ١٥٥].

[وينظر: السيرة النبوية للصوياني ٢/ ٢٤٩- ٢٥١، والصحيح من أحاديث السيرة النبوية للصوياني ص ٢٦٣-٢٦٤، وصحيح السيرة النبوية للعلي ص ٢٣٠-٢٣١].

رابعًا: ما حُكم نَقْل الشهيد لدفنه في غير الجهة التي استشهد فيها؟

أ. أين يُدفن الشهيد كما ورد في السنة النبوية؟

١ ـ عَنْ جَابِرِ بن عبدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: لَـمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ جَاءَتْ عَمَّتِي بِأَبِي لِتَدْفِنَهُ فِي مَقَابِرِنَا، فَنَادَى مُنَادِي رَسُولِ الله ﷺ: «**رُدُّوا القَتْلَى إِلَى مَضَاجِعِهِمْ**». [أبو داود في الجنائز (٣١٦٥)، والترمذي في الجهاد (١٧١٧)، وقَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وصححه الألباني، وأحمد عن جابر رضي الله عنه (١٣٧٥٥)، ولفظه: عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه: «أَنَّ قَتْلَى أُحُدٍ حُمِلُوا مِنْ مَكَانِهِمْ، فَنَادَى مُنَادِي رَسُولِ الله ﷺ أَنْ رُدُّوا القَتْلَى إِلَى مَضَاجِعِهَا»].

٢ ـ وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما **أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِقَتْلَى أُحُدٍ أَنْ يُرَدُّوا إِلَى مَصَارِعِهِمْ، وَكَانُوا قَدْ نُقِلُوا إِلَى المَدِينَةِ!**». [النسائي في الجنائز (٢٠٠٤)، وابن ماجه في الجنائز (١٥١٦)، وصححه الشيخ الألباني].

وفي رواية للنسائي عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**ادْفِنُوا القَتْلَى فِي مَصَارِعِهِمْ**».

[النسائي في الجنائز (٢٠٠٥)، وصححه الألباني].

٣ ـ وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ:... فَبَيْنَمَا أَنَا فِي النَّظَّارِينَ إِذْ جَاءَتْ عَمَّتِي بِأَبِي وَخَالِي عَادِلَتَهُمَا عَلَى نَاضِحٍ، فَدَخَلَتْ بِهِمَا المَدِينَةَ لِتَدْفِنَهُمَا فِي مَقَابِرِنَا، إِذْ لَحِقَ رَجُلٌ يُنَادِي: «**أَلَا إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَرْجِعُوا بِالقَتْلَى فَتَدْفِنُوهَا فِي مَصَارِعِهَا حَيْثُ قُتِلَتْ**»، فَرَجَعْنَا بِهِمَا فَدَفَنَّاهُمَا حَيْثُ قُتِلَا...

[مسند أحمد (١٥٢٨١)، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده صحيح].

٤ ـ وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا حَمَلْنَا الْقَتْلَى يَوْمَ أُحُدٍ لِنَدْفِنَهُمْ، فَجَاءَ مُنَادِي النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَدْفِنُوا الْقَتْلَى فِي مَضَاجِعِهِمْ» فَرَدَدْنَاهُمْ.

[أبو داود في الجنائز (٣١٦٥)، وقال الشيخ الألباني: صحيح].

هذا بعض ما ورد في السنة النبوية بخصوص: أين يدفن الشهداء؟ ومن هنا يقرر ابن القيم: «أن السنة في الشهداء أن يدفنوا في مصارعهم، ولا ينقلوا إلى مكان آخر». [زاد المعاد ٣/ ٢١٤].

هذا، والذي يبدو أن المراد من كلمة «مصارع» الشهداء، أو «مضاجعهم» التي ينبغي دفنهم فيها ـ هو ساحة الحرب، بصورة عامة إذا كانت تصلح لدفنهم، وليس المراد أن يُدفن كل شهيد في المكان الذي سقط فيه شهيدًا بالتحديد، بدليل أنه كان يُدفَن الشهيدان، والثلاثة من شهداء أُحُد في قبر واحد، ومعلوم أنه قد تكون مصارع هؤلاء الشهداء متباعدة عن بعضها، فيُنقل بعضهم إلى بعض لدفنهم في مكان واحد، هذا إذا كانت ساحة الحرب والقتال تصلح لدفن الشهداء.

ـ أما إذا كان المكان الذي سقط فيه الشهداء لا يصلح للدفن، كما لو استشهدوا وهم يقاتِلون على أسطحة المنازل، وشُرُفاتها، أو في شوارع المدن، مثلًا، حين تكون ساحة حرب، وكما في المقاتلين في البحر حين يستشهدون ـ ففي هذه الحال، من الطبيعي أن يُنقلوا إلى أقرب مكان يصلح لدفنهم فيه، إلا

إذا خيف على الجثث من أن يصيبها الفساد بالنسبة لشهداء القوات البحرية، في حالة صعوبة الوصول بها إلى البر لدفنها ـ فإنها تُلقى في البحر بحيث تغوص في الأعماق. (١)

ب. آراء الفقهاء في حُكْم نقل الميت أو الشهيد إلى غير الجهة التي مات فيها:

سنورد آراء المذاهب الفقهية في هذه المسألة ـ بإيجاز ـ مقتصرين على ما يهمنا في هذا البحث ـ لبيان الحكم فيما جرت به العادة من نَقْل الشهداء، أو بعضهم من المكان الذي استشهدوا فيه، إلى بلادهم، وما إلى ذلك.

وما سنورده يتلخص في أن الجمهور من الفقهاء يتساهلون في نقل الميت ـ بصفة عامة من جهة موته لجهة أخرى لدفنه فيها.. والشافعية يحرمون ذلك في الراجح عندهم.

على تفصيل في المسألة هنا وهناك، يتضح من عبارات الفقهاء التالية:

ـ **في مذهب الأحناف:** ـ بصدد نقل الميت ـ بصورة عامة ـ إلى بلد آخر ـ جاء ما يلي:

«ولا بأس بنقله قبل دفنه، قيل: مطلقًا، وقيل: إلى ما دون مدة السفر، وقيده (محمد) [ابن الحسن] بقدر ميل أو ميلين؛ لأن مقابر البلد ربما بلغت هذه المسألة، فيُكره فيما زاد». [**حاشية ابن عابدين ١/ ٩٣٩**].

ـ وفي السير الكبير وشرحه، بصدد أمر النبي ﷺ بدفن القتلى في مضاجعهم ـ قال: «وهذا حسن ليس بواجب، وإنما صنع هذا رسول الله ﷺ لأنه كره المشقة عليهم... قال: ولو نُقل ميلًا، أو ميلين، أو نحو ذلك فلا بأس به...». [**شرح السير الكبير ١/ ٢٣٤**].

في مذهب المالكية: جاء في حكم عام بشأن نقل الميت ما نصه: «ولا بأس أن يُنقل الميت من بلد إلى آخر إن كان لم يدفن». [**قوانين الأحكام الشرعية ص١١٢**].

ـ **وفي مذهب الشافعية:** جاء في المنهاج وشرحه مغني المحتاج: «يَحْرُم نقل الميت إلى بلد آخر، وقيل: يكره، إلا أن يكون مكة، أو المدينة، أو بيت المقدس، نص عليه الشافعي ﷺ...

قال الزركشي: وينبغي استثناء الشهيد [أي: في عدم نقله إلى الأماكن المقدسة المذكورة، ولو استشهد بالقرب منها] لخبر جابر..» [**مغني المحتاج ١/ ٣٣٦**]، أي: في دفن القتلى في مصارعهم، كما تقدم.

---

(١) فتح القدير شرح الهداية على البداية ٢/ ١٤١، قوانين الأحكام الشرعية ص١١٣، مغني المحتاج ١/ ٣٦١، المغني لابن قدامة ٢/ ٣٨١، هذا وحول نقل الشهيد إلى أقرب مكان يصلح للدفن ـ ينظر الحديث رقم (١٨٧٨) في «المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية» لابن حجر العسقلاني ٢/ ١٤٣ – ١٤٤ عن (مسند محمد بن أبي عمر) وفيه «أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ قُتلا عند باب (بني سالم) فذُكر ذلك للنبي ﷺ فأمر أن يدفنا حيث قتلًا، فاحتملا من حيث أصيبا، فوافقهم ذلك مقبرة عند (بني هلال)، فدفنا هنالك». وذكره النسائي مختصرًا، وأن ذلك كان يوم الطائف. ينظر: سنن النسائي ٤/ ٧٩.

وفي مذهب الحنابلة: يقول ابن قدامة: «يُسْتَحَبُّ دَفْنُ الشَّهِيدِ حَيْثُ قُتِلَ، قَالَ أَحْمَدُ: أَمَّا القَتْلَى فَعَلَى حَدِيثِ جَابِرٍ... فَأَمَّا غَيْرُهُمْ فَلا يُنْقَلُ المَيِّتُ مِنْ بَلَدِهِ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ إلا لِغَرَضٍ صَحِيحٍ، وَقَالَ أَحْمَدُ: مَا أَعْلَمُ بِنَقْلِ الرَّجُلِ يَمُوتُ فِي بَلَدِهِ إِلَى بَلَدٍ أُخْرَى بَأْسًا».

[المغني لابن قدامة ٢/ ٣٨٩-٣٩٠، والشرح الكبير للمقدسي على متن المقنع ٢/ ٣٨٩-٣٩٠].

أقول: الذي يبدو من كلام الفقهاء أنهم حملوا أمر النبي ﷺ بدفن الشهداء في مصارعهم على الاستحباب، وأن الجمهور لا يرى تحريم نقل الميت ـ بصورة عامة ـ قبل دفنه ليدفن في بلد آخر؛ لغرض صحيح، كأن يكون بالقرب من ذويه ليزوروا قبره، أو لجعله في مقبرة للصالحين... وما إلى ذلك.

هذا، والذي أراه في هذه المسألة أنه لم يرد نص شرعي يأمر بدفنه في الجهة التي مات فيها، وقد ثبت أن الصحابة لم يُنكروا على نقل (سعد بن أبي وقاص) و(سعيد بن زيد) من العقيق [1]، وقد ماتا فيه ـ وهما من العشرة المبشرين بالجنة ـ ليدفنا بالمدينة. **[الموطأ لمالك (تنوير الحوالك ١/ ١٨٠) وقال الشيخ الأرناؤوط في حاشية جامع الأصول ١١/ ١٤٨: حديث صحيح].**

فهذا كله يدل على أن مثل فهذا النقل لا حرج فيه ـ ما دام لا يترتب على ذلك مخالفة شرعية، أو يؤدي إلى مفسدة، وإن كان من الأفضل أن يُدفن في الجهة التي مات فيها كما هو مُقتضى الأصل في التعجيل بدفن الميت **[ينظر: سنن أبي داود حديث رقم ٣١٥٩]**، ولما قد يُفهم من بعض الأحاديث التي تغبط من يموت في غير بلده. **[في سنن ابن ماجه رقم ١٦٦٤: «عن عبد الله بن عمرو، قال: توفي رجل بالمدينة ممن ولد بالمدينة، فصلى عليه النبي ﷺ: فقال: «يا ليته مات في غير مولده»، فقال رجل من الناس: ولم؟ يا رسول الله! قال: «إن الرجل إذا مات في غير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة». قال عنه الشيخ الألباني: حسن].**

ولكن هذا في الميت بشكل عام.

أما بالنسبة إلى الشهيد فقد صدر أمر النبي ﷺ بدفن شهداء (أُحُد) في مصارعهم على نحو ما تقدم، ولم يكن الأمر معللًا بدفع المشقة عن المجاهدين في نقلهم إلى بلدهم، بدليل أن بعض الشهداء كانوا قد نُقلوا بالفعل إلى المدينة ليُدفنوا فيها ظنًا من ذويهم بأن لا حرج في ذلك، على ما يبدو، ورغم هذا فقد أمر النبي ﷺ بإعادتهم من المدينة إلى حيث استشهدوا ليدفنوا هناك، ومثل هذا الأمر مع هذه القرائن التي لابست ذلك الأمر يدل على الجزم في الطلب غالبًا، وهو إن لم يدل على وجوب دفن الشهيد حيث استشهد فلا أقل من أن هذا الأمر مندوب في الإسلام ندبًا مؤكدًا، ولا يحسن ترك هذه السنة ما أمكن ذلك.

---

(١) يبدو أن المراد به (عقيق المدينة) الذي فيه العيون والنخيل، وهو شمال المدينة إلى جهة الغرب من جبل (أُحُد)، وفوقه إلى الشمال بقليل تقع منطقة (الغابة)، وهي من أموال عوالي المدينة. انظر: مراصد الاطلاع ٢/ ٩٥٢، وأطلس تاريخ الإسلام خريطة رقم (٤٢) ص٦٦.

خامسًا: هل يُدفن عددٌ من الشهداء في قبر واحد؟

لا حاجة بنا في الجواب على هذا السؤال بأكثر من أن نأتي بالنصوص الشرعية التي تتصل بهذه المسألة.

جاء في السنن: «عَنْ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله! الحَفْرُ عَلَيْنَا لِكُلِّ إِنْسَانٍ شَدِيدٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**احْفِرُوا، وَأَعْمِقُوا، وَأَحْسِنُوا، وَادْفِنُوا الِاثْنَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ**»، قَالُوا: فَمَنْ نُقَدِّمُ يَا رَسُولَ الله! قَالَ: «**قَدِّمُوا أَكْثَرَهُمْ قُرْآنًا**»، قَالَ: فَكَانَ أَبِي ثَالِثَ ثَلَاثَةٍ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ. [**أبو داود في الجنائز (٣٢١٥)، والترمذي في الجهاد (١٧١٣)، والنسائي في الجنائز (٢٠١٠، ٢٠١١، ٢٠١٥-٢٠١٨)، وقال الشيخ الألباني: (صحيح)**].

وفي رواية عن ابن ماجه: «**احْفِرُوا، وَأَوْسِعُوا، وَأَحْسِنُوا**».

[**ابن ماجه في الجنائز (١٥٦٠)، وقال الألباني: (صحيح)**].

هذا، وعملًا بهذا الحديث في الدفن الجماعي عند الضرورة، فقد ورد أن قادة معركة «مؤتة» من المسلمين الذين استشهدوا فيها ـ دفنوا في حفرة واحدة، وهم زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة ﷺ. [**سنن سعيد بن منصور ٢/ ٢٩٨ رقم ٢٨٣٥**].

وفي إبان الفتوح الإسلامية كان الشهداء يكثرون في دار الحرب، وقد سُئل الإمام أحمد بن حنبل، كيف يُصنع في دفنهم فقال: «يُحفر شبه النهر، رأس هذا عند رِجْل هذا، ويَجعل بينهما حاجزًا لا يلتزق واحدٌ بالآخر...». [**المغني لابن قدامة ٢/ ٤٢٢**]. [**الجهاد والقتال لخير هيكل ٢/ ١٢١١ - ١٢٣١**].

١١ ـ التصرف الواجب حيال أسرة الشهيد من بعده:

يقول د/ خير هيكل: «لم أقصد من هذه المسألة أن أطرحها على بساط البحث الفقهي، وإنما تَرُوجُ في بعض الدول اليوم مظاهر من الاهتمام بالشهيد، وأسرَته من بعده، وربما جعل ذلك من المنجزات التي لم تُسبق إليها تلك الدول؛ ولذا، أردتُ إفراد هذا الموضوع في مسألة مستقلة لنرى: هل الإسلام على صعيد وصاياه، وأمته، ودولته ـ قد أَوْلَى أسرة الشهيد من بعده، التكريم والرعاية في الحياة الواقعية ـ إنْ في الجانب المعنوي، أو في الجانب المادي، أم أنَّ ذلك حقًّا من مَكرمات الزمن الأخير؟

هذا، وبعد أن عرفنا فيما سبق كيف كرَّم الإسلام الشهيد فسنعرف الآن كيف يكرم أسرته من بعده.

وفي الحقيقة لا انفصال بين هذا التكريم وذاك، فمن تكريم الشهيد أن نُكرِّم أسرته من بعده، ومن تكريم هذه الأسرة أن يكون لشهيدها نفسه حضور دائم على صعيد الأمة، وعلى صعيد المسؤولين في الدولة، أي: أن يحسوا جميعًا بأن شخصًا عزيزًا عليهم قد فقدوه، ولم يكن مصرعه مجرد حدث عابر مر دون أن يشعر به أحد.

في هذه الحال، تشعر أسرة الشهيد بأنه قد قدمت بشهيدها الذي فقدته شيئًا قيِّمًا للأمة والدولة ـ هو محل التقدير والاهتمام، وأن الأمة والمسؤولين فيها لم يجحدوا لهم هذا الذي قدموه.

هذا في الجانب المعنوي من التكريم، وهناك جانب من التكريم يأخذ الناحية المادية.

فقد يكون للشهيد أب وأم يخشى عليهما من بعده.

وقد تكون له زوجة تحتاج إلى من يُطمْئنها في مواجهة الحياة ومسؤولياتها بعد غياب زوجها، ولا سيما إذا كان لها أطفال قد أصبحوا أيتامًا، كما أصبحت هي أرملة وهم ـ جميعًا ـ بحاجة إلى من يكفلهم، ويقدِّم لهم كل ما يلزمهم من متطلبات العيش الكريم.

هذا، ولن ندخل في مظاهر التكريم المعنوي لأسر الشهداء كيف يكون في الإسلام، وفي الدولة الإسلامية؟ هل تشبه تلك المظاهر التي تتخذها الدول الحديثة كتعيين يوم في السنة للاحتفال بذكرى شهداء تلك الأسر، أو بتقديم أفراد تلك الأسر على غيرهم في الدعوات الرسمية، وما شاكل ذلك..؟

كما لن ندخل في تفاصيل التكريم المادي، والرعاية الاقتصادية لتلك الأسر ـ هل يكون بأن يَجري عليها ما كان يجري على شهدائها من رواتب وأرزاق، تقوم بكفايتهم دون نقصان، كما لو كان الشهيد حاضرًا لم يَغِب عن الأنظار؟ أم تفتح لهم الدولة خزانتها في باب الزكاة، فيأخذون كل ما يحتاجون إليه، إذا كانوا من ذوي الحاجة؟ [**ينظر: الأم للشافعي ٤/ ١٥٤-١٥٦، وحاشية ابن عابدين ٣/ ٤٣٤**].

أقول: لن ندخل في الكلام على هذه المسألة ـ لا في الحديث عن مظاهر التكريم المعنوي لأسر الشهداء، كيف يكون؟ ولا في الحديث عن تفاصيل التكريم المادي، والرعاية الاقتصادية لهذه الأسر ـ كيف يجري تنظيمها؟ وإنما سنورد هنا، مقتطفات من النصوص التي وردت في كتب السنة، ومراجع الفقه الإسلامي، مما يتجلى فيها كيف كان يجري ذلك التكريم بنوعيه على عهد النبوة، والخلافة الراشدة، وإبَّان كان الإسلام هو الذي بيده مقاليد سياسة الدولة، ورعاية شؤون الأمة في مختلف المجالات.

هذا، ولنتقدم نحو تلك النصوص التي أشرنا إليها؛ لنعيش في أجوائها التي تعبق بأريج التكريم الحق للشهيد، والرعاية الصادقة لأسرته من بعده.

١ـ في الإشارة إلى الأمة لكي تُحس بفقد كل شهيد فيها، وأن لا تَنسى الأسرة المفجوعة في غمرة حزنها على شهيدها ـ أن هناك شهداء آخرين لهم من حق الإحساس بفقدهم مثل ما يحسون بفقد شهيدهم، ولأقرباء أولئك الشهداء من الحاجة إلى المواساة مثلما يحتاجون هم.

حول هذا المعنى جاء ما يلي: «عَنْ عَطَاءِ بنِ يَسَارَ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَرَّ عَلَى نِسَاءِ بَنِي الأَشْهَلِ لـمَّا فَرِغَ مِنْ أُحُدٍ فَسَمِعَهُنَّ يَبْكِينَ عَلَى مَنِ اسْتُشْهِدَ مِنْهُنَّ بِأُحُدٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**وَلَكِنْ حَمْزَةُ لَيْسَ لَهُ**

بَوَاكِيَ!»، فَسَمِعَهُ مِنْهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ﵁، فَذَهَبَ إِلَى نِسَاءِ بَنِي الأَشْهَلِ، فَأَمَرَهُنَّ أَنْ يَذْهَبْنَ إِلَى بَيْتِ حَمْزَةَ ﵁ فَلْيَبْكِينَ عَلَيْهِ، فَذَهِبْنَ يَبْكِينَ عَلَيْهِ، فَسَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بُكَاءَهُنَّ، فَقَالَ: «**مَنْ هَؤُلاءِ؟**» فَقِيلَ: نِسَاءُ الأَنْصَارِ يَبْكِينَ عَلَى حَمْزَةَ! فَخَرَجَ إِلَيْهِنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «**لا بُكَاءَ، رَضِيَ اللهُ عَنْكُنَّ، وَعَنْ أَوْلادِكُنَّ، وأَوْلادِ أَوْلادِكُنَّ!**». [سنن سعيد بن منصور ٢/ ٣٧٧ رقم ٢٩١٠].

وفي رواية: «**مَا أَرَدْتُ ذَلِكَ**»، وَنُهِيَ عَنِ النَّوْحِ. [سنن سعيد بن منصور ٢/ ٣٧٧-٣٧٨ رقم ٢٩١١].

٢ـ وفي تقديم التعزية لأسرة الشهيد، والتنويه بما قدمت الأسرة، وشهيدُها من بلاء حسن في الإسلام ـ جاء ما يلي: عن الشعبي قال: لـمَّا أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ قَتْلُ جَعْفَرَ بنِ أَبِي طَالِبٍ ﵁ تَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ امْرَأَتَهُ أَسْمَاءَ بِنْتَ عُمَيْسٍ حَتَّى أَفَاضَتْ عَبْرَتُهَا، فَذَهَبَ بَعْضُ حُزْنِهَا، ثُمَّ أَتَاهَا فَعَزَّاهَا وَدَعَا بَنِي جَعْفَرَ فَدَعَا لَهُمْ، وَدَعَا لِعَبْدِ اللهِ بنِ جَعْفَرَ أَنْ يُبَارِكَ لَهُ فِي صَفْقَةِ يَدِهِ، فَكَانَ لا يَشْتَرِي إِلا رَبِحَ فِيهِ، فَقَالَتْ لَهُ أَسْمَاءُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَؤُلاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّا لَسْنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ[1]، فَقَالَ: «**كَذَبُوا، لَكُمُ الهِجْرَةُ مَرَّتَيْنِ، هَاجَرْتُمْ إِلَى النَّجَاشِيِّ، وهَاجَرْتُمْ إِلَيَّ**». [مصنف ابن أبي شيبة ١٤/ ٥٢٠-٥٢١ رقم ١٨٨٢٧، وفي البخاري منه: «لكم أنتم يا أهل السفينة هجرتان» رقم ٣٨٧٦. فتح الباري ٧/ ١٨٨].

٣ ـ وفي حضور الشهيد الدائم لدى المسؤولين، ولدى الأمة، في كل مناسبة، والإشادة به، لدى أفراد أسرته ـ ورد أن (واقد بن عمرو بن سعد) وهو حفيد (سعد بن معاذ ﵁) الذي استُشهد على إثر إصابته بسهم في غزوة الخندق، وكان (واقدٌ) كجده له جَمَالٌ وطُولٌ بين الرجال ـ وَرَدَ أنه قال: دَخَلتُ عَلَى أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ﵁، قَالَ: فَقَالَ لِي: مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَا وَاقِدُ بنُ عَمْرُو بنِ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ، قَالَ: يَرْحَمُ اللهُ سَعْدًا! إِنَّكَ بِسَعْدٍ لَشَبِيهٌ، ثُمَّ قَالَ: يَرْحَمُ اللهُ سَعْدًا! كَانَ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ وَأَطْوَلِهِمْ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أُكَيْدَرَ دُومَةٍ (ملك دومة الجندل ـ بعث إليه الرسول ﷺ يدعوه إلى الإسلام)، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِجُبَّةِ دِيبَاجٍ مَنْسُوجٍ فِيهَا ذَهَبٌ! فَلَبِسَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَامَ عَلَى المِنْبَرِ فَجَلَسَ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَلمَسُونَ الجُبَّةَ وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا؟ فَقَالَ: «**أَتَعْجَبُونَ مِنهَا؟**»، قَالُوا: يا رَسُولَ اللهِ! مَا رَأَيْنَا ثَوْبًا أَحْسَنَ مِنْهُ! قَالَ: «**فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لـمَنَادِيلُ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ فِي الجَنَّةِ أَحْسَنُ مِمَّا تَرَوْنَ**». [المصنف لابن أبي شيبة ١٤/ ٤١٣ رقم ١٨٦٤٤].

٤ ـ وفي أن يَخْلُف المسلم أهل الشهيد بخير، فيتعهد من خلف من أسرته بالعطف الصادق، والحُنُو البالغ، والزيارة المتكرِّرة لتفقد حاجاتهم، مما يَمْسَح عن المصابين أثَرَ الفجيعة.

---

(١) لأنها مع زوجها ممن هاجروا من مكة إلى الحبشة... وبقوا هناك، حتى قدموا على النبي ﷺ، وهو في خيبر وقد افتتحها. انظر: سيرة ابن هشام (الروض الأنف ٤/ ٥٢) حول مقدم من بقي من المسلمين في الحبشة، بطلب من الرسول ﷺ ـ فجاؤوا على سفينتين!

أقول: في هذا السلوك النبيل، جاء في صحيح البخاري ومسلم: عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ بَيْتًا بِالمَدِينَةِ غَيْرَ بَيْتِ أُمِّ سُلَيْمٍ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِ، فَقِيلَ لَهُ فَقَالَ: «**إِنِّي أَرْحَمُهَا، قُتِلَ أَخُوهَا مَعِي** [(١)]».

[**البخاري في الجهاد والسير (٢٨٤٤)، ومسلم في فضائل الصحابة** ﷺ **(٢٤٥٥)، وينظر في فقه هذا الحديث ونحوه: شرح صحيح مسلم للنووي ٩/ ٣٦٥. وفتح الباري ١١/ ٧٨**].

جاء في فتح الباري: «والنَّبِيُّ ﷺ كَانَ يَجْبُرُ قَلْبَ أُمِّ سَلِيم بِزِيَارَتِهَا؛ وَيُعَلِّلُ ذَلِكَ بِأَنَّ أَخَاهَا قُتِلَ مَعَهُ، فَفِيهِ أَنَّهُ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَذَلِكَ مِنْ حُسْنِ عَهْدِهِ ﷺ». [**فتح الباري ٦/ ٥١**].

٥- هذا، وفي الاهتمام بأسرة الشهيد، وطمأنة زوجته من بعده في حَمْل الدولة لهمومها المادية، ورعاية أبنائها ـ في هذا الصدد ـ وَرَدَ في قصة أسرة الشهيد جعفر بن أبي طالب التي تقدمت، طرفٌ آخر من هذه القصة، يقول بأن النبي ﷺ صلى بعد أن أتى زوجة (جعفر) فعزاها، وقال: ادْعِي لِي بَنِي أَخِي، قَالَ: فَجَاءَتْ بِثَلاثَةِ بَنِينَ كَأَنَّهُمْ أَفْرَاخٌ! وَقَالَتْ: فَدَعَا الحَلَّاقَ فَحَلَقَ رُؤُوسَهُمْ، فَقَالَ: «**أَمَّا مُحَمَّدٌ، فَشَبِيهُ عَمِّنَا أَبِي طَالِبٍ، وأَمَّا عَوْنٌ، فَشَبِيهُ خَلْقِي وَخُلُقِي، وَأَمَّا عَبْدُ الله، فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَشَالَهَا، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ**»، **قَالَ**: فَجَعَلَتْ أُمُّهُمْ تَفْرَحُ لَهُمْ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ الله ﷺ: «**أَتَخْشَيْنَ عَلَيْهِمْ الضَّيْعَةَ، وَأَنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**». [**المصنف لابن أبي شيبة ١٤/ ٥١٨ رقم ١٨٨٢٠**].

٦ ـ وفي قبول أصحاب الجاه والمكانة العالية في الأمة والدولة؛ لكفالة الصغار من أبناء الشهداء وتربيتهم في بيوتهم، ومعاملتهم كأبنائهم، أو أكثر، وفي مداعبتهم، وإغداق الحب عليهم ـ في إطار هذه المعاني الحميمة الجميلة، جاء في قصة «سعد بن الربيع الأنصاري ﷺ» الذي استُشهد في معركة أُحُد، أنه جعل الوصاية على أهله من بعده لأبي بكر الصديق ﷺ.

هذا، وفي عهد خلافة أبي بكر الصديق ﷺ جاء في الخبر أنه: «دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى أَبِي بَكْرٍ ﷺ، وَبِنْتُ «سَعْدٍ» عَلَى بَطْنِهِ، وَهُوَ يَشُمُّهَا، فَقَالَ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ الله! ابْنَتُكَ هَذِهِ؟ قَالَ: لا، بَل ابْنَةُ رَجُلٍ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي! قَالَ الرَّجُلُ: مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ؟ قَالَ: سَعْدُ بنُ الرَّبِيعِ، كَانَ مِنَ النُّقَبَاءِ يَوْمَ العَقَبَةِ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ. [**سنن سعيد بن منصور ٢/ ٣٠٣ رقم ٢٨٤٢**].

٧ ـ هذا، وقد تواردت المراجع الفقهية من كتب التراث الإسلامي على التأكيد على جانب الرعاية المادية، والوفاء بالحاجات المعيشية لأسر الشهداء والمجاهدين عمومًا.

هذه الأُسر التي ينتظم أصحابها أو أفراد منها في سلك الجيش، والقوات المسلحة، من أجل الجهاد في سبيل الله، والمرابطة على الثغور والحدود لحماية المسلمين، وبلادهم من أي عدوان.

---

(١) قُتل أخوها (حرام بن ملحان) في بئر معونة. «والمراد بقوله: معي، أي مع عسكري، أو على أمري وفي طاعتي» فتح الباري ٦/ ٥١.

وهنا، لن نُطيل في نقل النصوص الفقهية من كتب المذاهب، في هذه المسألة، فكلها تدور حول أفكار وأحكام متطابقة، أو متقاربة ـ فيما نحن فيه ـ وسنكتفي بمقتطفات مما ورد في «المهذَّب» للشيرازي، و«المغني» لابن قدامه؛ لتوضيح أبعاد الرعاية المادية لأسر المجاهدين والشهداء.

ـ جاء في المهذَّب: «وينبغي للإمام أن يضع ديوانًا (هو دفتر فيه أسماء الديوان، وذكر أعطياتهم) يُثبت فيه أسماء المُقاتلة، وقدر أرزاقهم... ويُستحب أن يجعل على كل طائفة عَرِّيفًا؛ لأن النبي ﷺ جعل عام خيبر على كل عشرة عريفًا؛ ولأن في ذلك مصلحة، وهو أن يقوم بأمورهم، ويجمعهم في وقت العطاء، وفي وقت الغزو، ويجعل العطاء في كل عام مرة، أو مرتين... ـ ثم قال ـ: ويقسم بينهم على قدر كفايتهم؛ لأنهم كَفَوا المسلمين أمر الجهاد فوجب أن يُكْفَوْا أمر النفقة، ويتعاهد الإمام في وقت العطاء عدد عيالهم؛ لأنه قد يزيد وينقص، ويتعرف الأسعار، وما يحتاجون إليه من الطعام والكسوة؛ لأنه قد يغلو، ويرخص؛ ليكون عطيتهم على قدر حاجتهم...». [المهذب للشيرازي ٢/ ٢٤٨- ٢٤٩].

هذا، وجاء في المغني في الموضوع نفسه: «قَالَ القَاضِي: وَيَعْرِفُ قَدْرَ حَاجَتِهِمْ ـ يَعْنِي أَهْلَ العَطَاءِ ـ وَكِفَايَتِهِمْ، وَيَزْدَادُ ذُو الوَلَدِ مِنْ أَجْلِ وَلَدِهِ، وَذُو الفَرَسِ مِنْ أَجْلِ فَرَسِهِ... وَيَنْظُرُ فِي أَسْعَارِهِمْ فِي بُلْدَانِهِمْ؛ لِأَنَّ أَسْعَارَ البُلْدَانِ تَخْتَلِفُ، وَالغَرَضُ الكِفَايَةُ... وَمَنْ مَاتَ مِنْ أَجْنَادِ المُسْلِمِينَ، دُفِعَ إِلَى زَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ الصِّغَارِ قَدْرُ كِفَايَتِهِمْ؛ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ تُعْطَ ذُرِّيَّتُهُ بَعْدَهُ، لَمْ يُجَرِّدْ نَفْسَهُ لِلقِتَالِ؛ لِأَنَّهُ يَخَافُ عَلَى ذُرِّيَّتِهِ الضَّيَاعَ، فَإِذَا عَلِمَ أَنَّهُمْ يُكْفَوْنَ بَعْد مَوْتِهِ، سَهُلَ عَلَيْهِ ذَلِكَ؛ وَلِهَذَا قَالَ أَبُو خَالِدٍ القَنَانِيُّ:

لَقَدْ زَادَ الحَيَاةَ إِلَيَّ حُبًّا ... بَنَاتِي؛ إِنَّهُنَّ مِنَ الضِّعَافِ
مَخَافَةَ أَنْ يَرَيْنَ الفَقْرَ بَعْدِي ... وَأَنْ يَشْرَبْنَ رَنْقًا بَعْدَ صَافِ [(١)]
وَأَنْ يَعْرَيْنَ إِنْ كُسِيَ الجَوَارِي ... فَتَنْبُو العَيْنُ عَنْ كَرَمٍ عِجَافِ [(٢)]
وَلَوْلَا ذَاكَ قَدْ سَوَّمْت مُهْرِي ... وَفِي الرَّحْمَنِ لِلضُّعَفَاءِ كَافِ [(٣)]

وَإِذَا بَلَغَ ذُكُورُ أَوْلَادِهِمْ [يعني: المقاتلين الشهداء]، وَاخْتَارُوا أَنْ يَكُونُوا فِي الْمُقَاتِلَةِ، فُرِضَ لَهُمْ [أي:

---

(١) «ماءٌ رَنْق: أي: كَدِر». مختار الصحاح: ص٢٢٠. والمراد: صعوبة الحياة، ومشقتها لوفاة الأب، بعد الهناءة في العيش حال حياته، لما يقوم به من توفير احتياجاتهم.

(٢) في الأصل «فتثنو» وما ذكرناه هو من الشرح الكبير وهو أنسب. الشرح الكبير للمقدسي ١٠/ ٥٥٤.

(٣) «المهر: ولد الفرس». مختار الصحاح ص٥٤٨ و«السومة: العلامة تُجعل على الشاة، وفي الحرب.. والخيل المسومة: المرعية. والمسومة أيضًا المعلمة...». مختار الصحاح: ص٢٧٥. والمراد: تهيأت للحرب، وأعددت لها عدتها. وهذه الأبيات هي لأبي خالد القناني، وليس الهنائي، ينظر: الكامل للمبرد ٢/ ١٢٤ ـ مكتبة المعارف ـ بيروت.

نصيب كافٍ من العطاء]، وَإِنْ لَمْ يَخْتَارُوا، تُرِكُوا، وَمَنْ خَرَجَ مِنْ الْمُقَاتِلَةِ(١)، سَقَطَ حَقُّهُ مِنْ العَطَاءِ. [المغني لابن قدامة ٧/ ٣١٠- ٣١١. وانظر: في هذا الموضوع من كتب الأحناف: (فتح القدير) ٦/ ٦٧ ومن كتب المالكية: (منح الجليل) ٣/ ١٨٥. والمراد بالعطاء: «ما يكتب للغزاة في الديوان، ولكل من قام بأمر من أمور الدين». العناية ٦/ ٦٧].

وبعد، فهذا طرف مما يتصل بالرعاية اللازمة، والتصرف الواجب حيال أسرة الشهيد من بعده...». [الجهاد والقتال لخير هيكل ٢/ ١٢٣١-١٢٣٧].

١٢ ـ مواساة أسر الشهداء:

يقول الشيخ الصوياني: «حدثنا جابر ﷺ عن أشياء كثيرة حدثت بعد غزوة أُحد، فماذا عن جابر نفسه؟ ماذا عنه؟ ماذا عن أخواته الصغيرات؟ ماذا عن دين والده الذي رحل وتركه أمانةً يثقل كاهله؟ والدَّيْن لصاحبه همٌّ بالليل وذلٌّ في النهار.

إلى أي شيء تحولت أحوال جابر الذي وجد نفسه وحيدًا، مسؤولًا عن تسع بنات، مسؤولًا عن دين ضخم لا يستطيع أداءه وهو شاب صغير لم يتعرض من قبل لمثل هذه المسؤوليات، إنه شاب صغير أعزب أفاق على أمانة كالجبال تحاصره، فإلى أين يتجه وإلى أين تتجه الهموم بجابر ﷺ.

ليس هناك أرحب من رحمة الله لجابر ﷺ، والنبي ﷺ مساحة من هذه الرحابة والرحمة فهو «**رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**». [المستدرك على الصحيحين ١/ ٩١ رقم ١٠٠، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرطهما فقد احتجا جميعًا بمالك بن سُعَيْرٍ، والتفرُّدُ من الثقات مقبول»، ووافقه الذهبي].

من الله لهذه الأمة، ولكل فرد منها، لم يكن بينه وبين أصحابه حواجز ولا حرس، «**كَانَ ﷺ لَا يَدْفَعُ عَنْهُ النَّاسَ وَلَا يُضْرَبُوا عَنْهُ**». [المعجم الكبير للطبراني ١٠/ ٢٦٨ رقم ١٠٦٢٨، وقال الشيخ الألباني: صحيح. السلسلة الصحيحة ٢١٠٧، صحيح الجامع الصغير (٤٨٥٠)].

ومن رحمته وتواضعه أن جاءه رجل فشعر ذلك الرجل بخوف ورعدة من لقائه ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «**هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ**».

[ابن ماجه في الأطعمة (٣٣١٢)، وقال الشيخ الألباني: صحيح].

ذلك اللحم المملح المجفَّف في الهواء والشمس، إذًا فلا داعي للخوف ولا للرعدة والانتفاض.

وعلى عكس هذا الرجل كان هناك من الناس من يملك جرأة أكثر مما هو مطلوب مع هذا النبي المتواضع ﷺ، فقد «**كَانَ لِرَجُلٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سِنٌّ مِنَ الإِبِلِ** (ذو سن معين منها)، **فَجَاءَهُ يَتَقَاضَاهُ** (يعني أن النبي استلف بعيرًا)». [البخاري في الوكالة (٢٣٠٥)]، «**فَأَغْلَظَ** (شدد في المطالبة وأثقل بالقول) **فَهَمَّ بِهِ** (قصدوه ليؤذوه باللسان أو باليد) **أَصْحَابُهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالًا** (صولة الطلب وقوة

(١) أي: كما يقال اليوم: استقال من الجيش، وخرج عن التفرغ للحياة العسكرية.

الحجة)»، **ثُمَّ قَالَ** ﷺ: «**أَعْطُوهُ سِنًّا مِثْلَ سِنِّهِ**». [البخاري في الوكالة (٢٣٠٦)]، «**فَطَلَبُوا سِنَّهُ، فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ إِلَّا سِنًّا فَوْقَهَا** (أي أكبر منها في السن وأغلى في الثمن)، فَقَالَ: «**أَعْطُوهُ**»، **فَقَالَ: أَوْفَيْتَنِي** (أعطيتني حقي وافيًا) **أَوْفَى اللهُ بِكَ**، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً** (وفاء للحق الذي عليه)». [البخاري في الوكالة (٢٣٠٥)].

رضي الرجل وذهب مسرورًا بما حصل عليه، وتعلَّم الصحابة منه ﷺ حسن الوفاء، وحسن الأخلاق.

لكن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما لا يملك ما يقضي به كل دينه، فاتّجه إلى الرحمة المهداة يسأله العون وتفريج هذا الكرب الشديد، فكان ﷺ له في المكان المطلوب والزمان المناسب.

وعلى باب رسول الله ﷺ كان جابر رضي الله عنه يتعلم أدبًا.

يقول جابر رضي الله عنه: «**إِنَّ أَبِي قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ تِسْعَ بَنَاتٍ كُنَّ لِي تِسْعَ أَخَوَاتٍ**». [البخاري في المغازي (٤٠٥٢)]، «**وَتَرَكَ عَلَيْهِ** (أي والده الشهيد عبد الله بن عمرو بن حرام رضي الله عنه) **ثَلَاثِينَ وَسْقًا** (الوسق يساوي ستين صاعًا) **لِرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَاسْتَنْظَرَهُ جَابِرٌ، فَأَبَى أَنْ يُنْظِرَهُ**». [البخاري في الاستقراض (٢٣٩٦)].

ولم يكن هذا اليهودي هو الوحيد الذي له حق عند جابر رضي الله عنه، فوالده «**تَرَكَ عَلَيْهِ دَيْنًا**».
[البخاري في المغازي (٤٠٥٣)].

غير هذا، يقول جابر رضي الله عنه: «**تَرَكَ عَلَيْهِ دَيْنًا وَلَيْسَ عِنْدِي إِلَّا مَا يُخْرِجُ نَخْلُهُ، وَلاَ يَبْلُغُ مَا يُخْرِجُ سِنِينَ مَا عَلَيْهِ**» من دين. [البخاري في المناقب (٣٥٨٠)]، «**فَطَلَبْتُ إِلَى أَصْحَابِ الدَّيْنِ أَنْ يَضَعُوا بَعْضًا مِنْ دَيْنِهِ فَأَبَوْا**». [البخاري في الاستقراض (٢٤٠٥)]، ورفضوا التنازل عن أي شيء «**فَعَرَضْتُ عَلَى غُرَمَائِهِ أَنْ يَأْخُذُوا التَّمْرَ بِمَا عَلَيْهِ، فَأَبَوْا وَلَمْ يَرَوْا أَنَّ فِيهِ وَفَاءً، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ**». [البخاري في الصلح (٢٧٠٩)]، «**فَدَقَقْتُ الْبَابَ، فَقَالَ: «مَنْ ذَا؟»، فَقُلْتُ: أَنَا، فَقَالَ: «أَنَا أَنَا». كَأَنَّهُ كَرِهَهَا**). [البخاري في الاستئذان (٦٢٥٠)].

لأن كلمة: (أنا) ليست إجابة ولا تعريفًا بالطارق، بل هي استدعاء لمزيد من الاستفسار والتساؤل، ولو قال جابر رضي الله عنه: (أنا جابر) لما كره ﷺ ذلك ولكان أفضل.

تعلَّم جابر رضي الله عنه أدبًا رفيعًا من نبيه ﷺ، ثم بثَّ للنبي ﷺ شكواه وديونه وتعنُّت الدائنين، فوجده رحيمًا معينًا على النوائب والشدائد، قال جابر للنبي ﷺ: «**قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ وَالِدِي قَدِ اسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ دَيْنًا كَثِيرًا، وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَرَاكَ الْغُرَمَاءُ**». [البخاري في المغازي (٤٠٥٣)]، «**فَانْطَلِقْ مَعِي لِكَيْ لاَ يُفْحِشَ عَلَيَّ الْغُرَمَاءُ**». [البخاري في المناقب (٣٥٨٠)].

يقول جابر رضي الله عنه: «**فَاسْتَشْفَعْتُ بِهِ عَلَيْهِمْ فَأَبَوْا**». [البخاري في الاستقراض (٢٤٠٥).

و«**اسْتَعَنْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى غُرَمَائِهِ أَنْ يَضَعُوا مِنْ دَيْنِهِ، فَطَلَبَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يَفْعَلُوا**». [البخاري في البيوع (٢١٢٧)]، «**فَاشْتَدَّ الغُرَمَاءُ فِي حُقُوقِهِمْ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَكَلَّمْتُهُ، فَسَأَلَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا ثَمَرَ حَائِطِي، وَيُحَلِّلُوا أَبِي، فَأَبَوْا، فَلَمْ يُعْطِهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَائِطِي وَلَمْ يَكْسِرْهُ لَهُمْ، وَلَكِنْ قَالَ: «سَأَغْدُو عَلَيْكَ إِنْ شَاءَ**

اللهُ»، فَغَدَا عَلَيْنَا حِينَ أَصْبَحَ، فَطَافَ فِي النَّخْلِ وَدَعَا فِي ثَمَرِهِ بِالْبَرَكَةِ، فَجَدَدْتُهَا» [البخاري في الهبة (٢٦٠١)]، فقال ﷺ: «إِذَا جَدَدْتَهُ فَوَضَعْتَهُ فِي المِرْبَدِ (هو مكان يجفف فيه الثمر)» [البخاري في الصلح (٢٧٠٩)]، «فَبَيْدِرْ كُلَّ تَمْرٍ عَلَى نَاحِيَتِهِ». [البخاري في الوصايا (٢٧٨١)]، «فَصَنِّفْ تَمْرَكَ أَصْنَافًا، العَجْوَةَ عَلَى حِدَةٍ، وَعَذْقَ زَيْدٍ عَلَى حِدَةٍ، ثُمَّ أَرْسِلْ إِلَيَّ، فَفَعَلْتُ، ثُمَّ أَرْسَلْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَجَاءَ». [البخاري في البيوع (٢١٢٧)].

وجاءت المعجزة: ثُمَّ قَالَ: «ادْعُ غُرَمَاءَكَ». [البخاري في الصلح (٢٧٠٩)]، «فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ أُغْرُوا بِي (هيجوا بي، أي أثاروا) تِلْكَ السَّاعَةَ، فَلَمَّا رَأَى مَا يَصْنَعُونَ أَطَافَ حَوْلَ أَعْظَمِهَا بَيْدَرًا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهِ». [البخاري في الوصايا (٢٧٨١)]، «فَدَعَا، ثَمَّ آخَرَ». [البخاري في المناقب (٣٥٨٠)]، ثُمَّ قَالَ: «ادْعُ أَصْحَابَكَ»، فَمَا زَالَ يَكِيلُ لَهُمْ حَتَّى أَدَّى اللهُ أَمَانَةَ وَالِدِي، وَأَنَا وَاللهِ رَاضٍ أَنْ يُؤَدِّيَ اللهُ أَمَانَةَ وَالِدِي، وَلَا أَرْجِعَ إِلَى أَخَوَاتِي بِتَمْرَةٍ، فَسَلِمَ وَاللهِ البَيَادِرُ كُلُّهَا حَتَّى أَنِّي أَنْظُرُ إِلَى البَيْدَرِ الَّذِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، كَأَنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ تَمْرَةً وَاحِدَةً». [البخاري في الوصايا (٢٧٨١)]، «فَأَوْفَاهُمُ الَّذِي لَهُمْ وَبَقِيَ مِثْلُ مَا أَعْطَاهُمْ». [البخاري في المناقب (٣٥٨٠)]، «فَمَا تَرَكْتُ أَحَدًا لَهُ عَلَى أَبِي دَيْنٌ إِلَّا قَضَيْتُهُ، وَفَضَلَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ، وَسْقًا سَبْعَةٌ عَجْوَةٌ، وَسِتَّةٌ لَوْنٌ، أَوْ سِتَّةٌ عَجْوَةٌ، وَسَبْعَةٌ لَوْنٌ، فَوَافَيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ المَغْرِبَ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَضَحِكَ، فَقَالَ: «ائْتِ أَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، فَأَخْبِرْهُمَا»، فَقَالَا: لَقَدْ عَلِمْنَا إِذْ صَنَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا صَنَعَ أَنْ سَيَكُونُ ذَلِكَ». [البخاري في الصلح (٢٧٠٩)]، «ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ، فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعُمَرَ رضي الله عنه: «اسْمَعْ، وَهُوَ جَالِسٌ، يَا عُمَرُ»، فَقَالَ: أَلَّا يَكُونُ؟ قَدْ عَلِمْنَا أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، وَاللهِ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ». [البخاري في الهبة (٢٦٠١)، وينظر في تفاصيل القصة أيضًا: مسند أحمد ٢٣/ ٤٢٠-٤٢٣ رقم ١٥٢٨١، وسنن الدارمي في دلائل النبوة رقم ٤٦].

وانصرف جابر رضي الله عنه إلى أخواته مبشِّرًا بكرامة الله لوالدهن في حياته وبعد مماته، فقضاء الدين بهذه الطريقة لا يمكن إلَّا أن يكون إكرامًا من الله لذلك الشيخ الراحل، ذلك الشيخ الذي عانى الكثير، الكثير من أجل لقاء الله، وهو إكرام لهذا الشاب الذي رضي بقضاء الله وقدره، وحمل وهو صغير أمانة ضخمة وثقيلة، وهل هناك أثقل من إعالة أسرة كبيرة كهذه، وهل هناك أثقل من دين يطالبك به يهودي؟!». [السيرة النبوية للصوياني ٢/ ٢٦٣-٢٦٨].

مراجع للاستزادة في أحكام الشهادة والشهداء:

(١) **أبواب السعادة في أسباب الشهادة** ـ الإمام جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن السيوطي (٩١١هـ) ـ ط لاهور ١٨٩١م، وط حققه وعلق عليه أ/ نجم عبد الرحمن خلف ـ المكتبة القيمة ـ القاهرة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ـ ٦٤ ص، وط تح أ/ مصطفى عبد القادر عطا ـ ط٢ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ـ ٧١ ص.

(٢) **إتحاف النبلاء بفضل الشهادة وأنواع الشهداء** ـ الشيخ عبد الله بن محمد الصديق بن أحمد الغماري ـ ط٢ عالم الكتب ـ بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ـ ٧٩ص.

(٣) **آثار الحرب في الفقه الإسلامي: دراسة مقارنة** ـ د/ وهبة الزحيلي ـ ط٣ دار الفكر ـ دمشق ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م ـ ٨٨٥ ص.

(٤) **أحاديث الشهادة والشهيد: جمع وتصنيف وتخريج ودراسة لما يتعلق بالشهيد** (ماجستير) ـ د/ نزار عبد القادر محمد ريان ـ إشراف د/ محمد عبد الله عويضة ـ كلية الدراسات العليا ـ الجامعة الأردنية ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م ـ ٤٤٢ ص.

(٥) **أحكام الشهيد في الفقه الإسلامي** ـ د/ عبد الرحمن بن غرمان بن عبد الله الكريمي العمري ـ رسالة ماجستير ـ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة ١٤٢١ هـ ـ ٣٧٤ ص، وط مكتبة دار البيان الحديثة ـ الطائف ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م ـ ٣٧٤ ص، وط دار الجبهة للنشر والتوزيع ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٨م ـ ١٩٨ ص.

(٦) **أحكام المجاهد بالنفس في سبيل الله ﷻ في الفقه الإسلامي** (دكتوراه) ـ د/ مرعي بن عبد الله بن مرعي الشهري ـ إشراف د/ عبد الرحمن بن عبد الله الدرويش ـ المعهد العالي للقضاء ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض ١٤٢٢هـ ـ ط مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة، ودار العلوم والحكم ـ دمشق ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م ـ ٢مج ٧١٣ص.

(٧) **أربعون حديثًا في فضل الشهيد والشهادة** ـ أ/ محمد عبد الرحيم ـ دار الحكمة ـ دمشق ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م ـ ١٢٦ ص.

(٨) **أصح الأنباء عن فضل الشهداء** ـ أ/ عبد الله بن أحمد العلاف الغامدي ـ ط٢ دار الطرفين ـ الطائف ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م ـ ٤٦ ص.

(٩) **تفريج الكرب بفضائل شهيد المعارك والحرب** ـ د/ باسم فيصل أحمد الجوابرة ـ دار الراية ـ الرياض ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ـ ١١٥ ص.

(١٠) **الشهادة وأجر الشهيد في ضوء الكتاب والسنة** (ماجستير) ـ د/ صالحة محمد زين أحمد فطاني ـ إشراف د/ محمد شوقي خضر ـ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ـ ٣٧٨ ص.

(١١) **الشهيد في الإسلام** ـ د/ محيي هلال السرحان، أ/ أحمد حسوني جاسم ـ منشورات المؤتمر الإسلامي الشعبي بالعراق ـ طبع الدار العربية ببغداد ـ د.ت ـ ٩٦ ص.

(١٢) **الشهيد في السنة النبوية من واقع الكتب الستة** (ماجستير) ـ د/ عادل جاسم صالح المسبحي ـ إشراف د/ محمد الأحمدي أبو النور ـ كلية الشريعة الإسلامية ـ جامعة الكويت ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م ـ ٣١٥ص، ط راجعه وعلق عليه الشيخ محمد بن حمود النجدي ـ مكتبة الإمام الذهبي ـ الكويت ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م ـ ٤٤٧ ص.

(١٣) **الشهيد في تراث السنة والشيعة نموذج الحسين بن علي** رضي الله عنهما (ماجستير) ـ د/ سلوى العمد ـ مركز الدراسات العربية ودراسات الشرق الأوسط ـ الجامعة الأمريكية ـ بيروت ١٩٨٧م ـ ٢٥٢ص.

(١٤) **الشهيد والشهادة في السنة النبوية** (ماجستير) ـ د/ محمد مشرف حسين بن محمد نور الحق ـ إشراف د/ عاطف أحمد أمان ـ جامعة الأزهر ـ القاهرة ٢٠١٢م ـ ٤٢٢ص.

(١٥) **العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة** ـ الشيخ صديق بن حسن بن علي الحسيني القنوجي البخاري ـ تح أ/ محمد السعيد بن بسيوني زغلول ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٢ سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ـ ٢٦٢ص.

(١٦) **مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق في فضائل الجهاد** ـ الإمام أبو زكريا أحمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي ثم الدمياطي المشهور بابن النحاس (٨١٤ هـ) ـ هذبه وانتقاه د/ صلاح عبد الفتاح الخالدي ـ دار النفائس ـ عمان ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م ـ ٤٠٧ ص.

(١٧) **مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام (في الجهاد وفضائله)** ـ الإمام أبو زكريا أحمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي ثم الدمياطي المشهور بابن النحاس (٨١٤هـ) ـ تحقيق ودراسة د/ إدريس محمد علي ود/ محمد خالد إسطنبولي ـ ط٣ دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م ـ ٢مج ١٢٢٧ص.

المبحث الخامس
الدروس السياسية

١ ـ ممالأة الطواغيت:

يقول الشيخ كشك: «إن الذين وصفوا غزوة أحد بأنها كانت هزيمة كذبوا، فلو هُزم الرسول ﷺ وأصحابه، فمن الذين ينتصرون، والله تعالى يقول: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم]، ويقول: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر]، ويقول: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة]، فهل هناك أدنى شك أن الرسول ﷺ وأصحابه أقوى الناس إيمانًا، لقد اطلع الله على قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاختاره لرسالته، ثم اطلع على قلوب العباد بعده، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فاختارهم لصحبته.

سيدي أبا القاسم يا رسول الله:

أَنْتَ الَّذِي قَادَ الْجُيُوشَ مُحَطِّمًا ... عَهْدَ الضَّلالِ وَأَدَّبَ السُّفَهَاءَ

وَسَمَوْتَ بِالبَشَرِ الَّذِين تَعَلَّمُوا ... سُنَنَ الشَّرِيعَةِ فَارْتَقُوا سُعَدَاءَ

إذًا فما الذي حدث يوم أُحد؟ كل الذي حدث خلل في النظام لا أكثر، عبَّر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم﴾ [آل عمران: ١٥٢]، فإن شئت فسم هذه الغزوة: «**مدرسة التمحيص**» وإن شئت فسمها: «**يوم حمزة** رضي الله عنه» وإن شئت فسمها: «**ساعات شدة**»، أما أن تقول إنها هزيمة، وتبلغ بنا الجرأة على الله، أن أحدهم أراد أن يتملق طاغية من طغاة العصر، فشبه هزيمته يوم النكسة بيوم أُحُد.!

سبحانك هذا بهتان عظيم! إنها جرأة على الله ونفاق رخيص، وتزلف ممقوت، وإن أردت دليلًا على ذلك، فاقرأ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَـٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ [النساء]، أفي سبيل المناصب الزائلة نبيع ديننا وننسى مبادئنا: ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ [الأنعام: ٧١]، إنني ما زلت أؤكد: أن غزوة أحد كانت نصرًا مبينًا مؤزرًا، وأقوى ما في النصر نصر الإنسان على نفسه، ولم يكن فيها لون من ألوان الهزيمة، فإن الهزيمة تتحقق بإحدى ثلاثة أشياء: إما بسلب الأرض!! ولم يحدث هذا يوم أحد، فما أخذ المشركون من المسلمين أرضًا، كما حدث في نكسة يونيو، وإما بالقضاء على الجيش، وذلك لم يحدث يوم أحد، لقد

صمدوا وأعادوا النظام، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران]، وإما أن تكون الهزيمة بتغيير عقيدة القوم، ولقد عاد القوم مع رسول الله ﷺ وهم أشد إيمانًا وأصلب عودًا، وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [آل عمران]، فأي شيء من هذه الثلاثة وقع يوم أحد!؟ لا شيء، فكيف تصف تطهير الصفوف بأنه هزيمة، لا يقول هذا إلا مفترٍ كذاب، يجري وراء منصب وزاري، ويسعى وراء المغنم أينما كان، وحيثما حل، ويبيع دينه بعرَض من الدنيا، وحساب هؤلاء عند الله يفصل بينهم، وهو خير الفاصلين». [في رحاب التفسير لكشك ٤/ ٦٧٠-٦٧١].

ويقول م/ أبو راس: «إن الذين يحاولون ممالأة طواغيت عالمنا وعصرنا، وذلك بمقارنتهم بالرسول ﷺ وبالقول عند كل هزيمة ـ مخطط لها يمنى بها طاغوت عالمنا وعصرنا أمام أعداء الأمة العربية والإسلامية ـ بأن رسول الله ﷺ هُزم في أحد، إن هؤلاء الذين يُسَخِّرون الدين ليأكلوا به عَرَضًا من الدنيا الفانية البالية، إن لهؤلاء ـ إن لم يسارعوا في التوبة الصادقة النصوح ـ موقف هم واقفوه غدًا بين يدي الجبار المتكبر، بين يدي من يعلم السر وما هو أخفى من السر.

وهم في الدنيا في نفوس شعوبهم أحقر من أن يضللوا الأمة، إذ أن الأمة تعلم بأن هزيمة حرب الأيام الستة (هزيمة الخامس من يونيو/ حزيران) هزيمة على كل مستوى من المستويات (اللاءات) صارت (نعمات)!

احتل العدو أضعافًا مضاعفة مما كان يحتله في السابق! ضاع جيش القاهر والظافر، جيش الحديد والنار في صحاري سيناء!

والحقيقة التي لابد من تسليط الأضواء عليها أننا لا نتوقع انتصار الأمة الإسلامية في القريب العاجل، إذ كيف تنتصر وهي تحاد الله ورسوله، وتحارب المؤمنين الصادقين.

اجتهاد خاطئ ـ لا إصرار على الذنب والمعصية والفجور ـ غيَّر سير المعركة، فما هو الحال بأمة تصر على تنحية كتاب الله وشرعه؟! وما هو الحال بأمة تصر على العهر والانحلال حتى يكون من أحد أهم مقومات اقتصادها، شوارع تُدار فيها الرذيلة وتُمتهن فيه القيم والأخلاق؟

وما هو الحال بأمة تصر على الخبث والخبائث، على التعامل بالربا.. على.. على.. مما يعرفه المسلمون؟ ما بال أمة تنتظر النصر ولم تتأهب لهذا النصر، ولم تأخذ له عدته، تنتظر النصر وهي تتسابق لدفع

«البدلات» ـ مبلغ من المال يدفعه أبناء المسلمين لحكومات بلادهم حتى يعفوا من الخدمة العسكرية ـ حتى لا يدخل أبناؤهم الجيوش؛ لتظل الجيوش ساحة خالية في ظل العلمانية لأبناء النصارى والفرق الضالة والمنحرفة؟!

ما بال أمة تنتظر النصر وهي تتسابق للركود إلى الحياة الدنيا، حتى لترى الأب يعمد إلى تزويج ابنه ليس ليصونه عن الحرام ولكن ليقيده فلا يتحرك في سبيل نصرة دينه وإسلامه وأمته.

إن الواقع الذي نعيشه نحن المسلمين واقع مأساوي بحاجة إلى تمحيص وتدقيق وإعادة نظر من جديد، فهل يفيق المسلمون، وهل يتعرفون على عناصر الفوز والغلبة؟ نسأل الله ذلك».

[تأملات حركية في سيرة المصطفى ﷺ لأبي راس ٢٠٨-٢٠٩].

ويقول د/ أبو فارس: «إن مواقف الرسول ﷺ وأصحابه في غزوة أُحد وحمراء الأسد وما عقبهما من أحداث رد على العلماء الأدعياء، وفقهاء السلطان الذين يبررون للمنهزمين هزائمهم، وللجبناء جبنهم، وللمتخاذلين تخاذلهم، وللمتقاعسين تقاعسهم، وللخوارين خورهم.

إنهم يبررون للذين قادوا الأمة من هزيمة إلى هزيمة، ومن عار إلى عار، ومن اندحار إلى اندحار، ومن استسلام إلى استسلام أذل وأخزى من الأول.

يقول هؤلاء دون خجل، أو حياء من الله، ولا من رسوله ولا من أبناء جلدتهم، وهم يبررون للطواغيت جولاتهم الفاشلة مع أعدائهم: إن الرسول ﷺ والمسلمين هُزموا يوم أحد، وفي هذا عزاء للمنهزمين، وتخدير للأمة المنكوبة عن المطالبة بحقوقها، ومحاسبة مَنْ أساء إليها فأطمع فيها عدوها، فداس مقدساتها، واحتل بلادها وانتهك أعراضها، ودنس شرفها، ومرغ سمعتها في الوحل، وألحق بها العار والشنار الذي لا يغسله الماء ولكن تغسله الدماء.

ونحن نقول لهؤلاء ونحضهم على التأمل والتدبر في أحداث غزوة أحد وما تبعها من أحداث، ثم ليخلصوا بعد ذلك بموضوعية إلى الحق، دون أن يجاملوا أحدًا من أجل لعاعة من لعاعات الدنيا.

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نذكِّر بما يلي:

١ـ أن النبي ﷺ لم يتراجع خطوة واحدة إلى الوراء، ولم يتزحزح قيد أنملة، بل وقف ثابتًا، وظل كذلك ثابتًا طودًا أشمًّا يقاتل عن دين الله، ولقي ما لقي من العنت والمشقة والأذى، ولم تلن له قناة، ولم تهن له عزيمة.

٢ـ أن المسلمين في هذه الغزوة أبلوا بلاء حسنًا في القتال، فمرغوا لواء المشركين بالتراب، ولطخوه بالدماء، وصرعوا حملته، ولم يجرؤ فارس من فرسانهم أن يتقدم ليتناول اللواء، فتقدمت امرأة منه

فحملته؛ لأن المسلمين يكرمون سيوفهم عن قتل النساء في هذه الغزوة، فالسيف يمتشقونه لقطع أعناق الرجال في ساحات النزال.

٣ ـ أن الرسول ﷺ لم يخسر في أُحد شبرًا واحدًا من أرض المسلمين، ولم يتنازل عن شيء من حقوقهم، ولم يغنم المشركون في هذه الغزوة غنيمة، ولم يأسروا أسيرًا واحدًا يفاوضون عليه المسلمين، فهل كانت الحروب مع أعداء هذه الأمة خالية من الخسائر، إنها كانت خسائر فادحة في الأموال والأنفس والثمرات، وفي البلاد والعباد، فما من حرب إلا وقد نقصت من أرضنا وكرامتنا وشرفنا الشيء الكثير.

٤ ـ لقد انتصر الرسول ﷺ على أعدائه في معارك شتى على قلة عدد قواته وعُدتهم، وضعف حالهم، فهم ـ كما وصفهم رسول الله ﷺ ـ جياع، عراة، عالة فقراء، فهل رأيتم ونحن معكم انتصارًا واحدًا تحقق على أرضنا، واستعدنا بعض ما في أيدي عدونا من مقدساتنا وبلادنا.

٥ ـ أن جميع الذين شاركوا في غزوة أحد من الصحابة قد قاتلوا قتال الأبطال، وجُرح معظمهم جروحًا بليغة، واستشهد عدد لا بأس به منهم ، بينما جيوش عربية مدججة بالسلاح، وتملك الأسلحة المتقدمة لم تطلق منها طلقة واحدة، وتركت هذه الأسلحة وراءها غنيمة سهلة للعدو.

٦ ـ أن كثيرًا من القادة في بعض الجيوش قد هرب قبل الجندي من المعركة، ووصل سالمًا غانمًا إلى أهله! ولم يُسأل سؤالًا واحدًا عن جبنه وتخاذله، بل كوفئ مكافأة مادية ومعنوية، فزيد راتبه ورقي مركزه، وزين صدره بالنياشين والأوسمة مكافأة له على فراره، وربما أصبح زعيمًا يُشار له بالبنان، ويدير شؤون الأمة، ويتصرف في مقدراتها.

ورأينا رسول الله ﷺ يثبت في المعركة، يجالد بسيفه، فيرويه من دماء الكفار، ويطعن بالسنان، ويقذف بالحربة فيجندل بها أعتى رؤوس الكفر أُبي بن خلف، ويرمي سهامًا كثيرة بقوسه حتى تكسر القوس من كثرة الرمي به، ويثبت في مكانه، وينادي الذين أصابتهم المفاجأة بالذهول والشرود مجمِّعًا إياهم: **إليَّ أيها الناس،** فجاء إليه الناس من كل حدب وصوب، قائلين: **لبيك يا رسول الله،** وتجمعوا تحت رايته ﷺ، يدافعون عن مجد الإسلام وحوزة المسلمين.

ولو كان في الحروب التي خاضها المسلمون في العصر الحديث القائد الحر، القائد الشجاع، القائد الثابت لتجمع الجنود حوله، واستبسلوا في قتالهم تحت رايته، وصنعوا الأهوال، وتحدثت بشجاعتهم الركبان.

فجنودنا محاربون أشداء أصحاب رجولة وشهامة ومروءة، لا تنقصهم الشجاعة، بل تنقصهم القيادة الشجاعة المخلصة الحكيمة.

٧ ـ أن المسلمين بقيادة رسول الله ﷺ كانوا يقاتلون من أجل رسالة سامية، وغاية نبيلة، فضحوا من أجل غايتهم ورسالتهم بأموالهم وأنفسهم وراحتهم وكل غال ورخيص لديهم، وهذه الرسالة

تتلخص في توحيد الله ﷻ وعبادته، وإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

غايتهم رضوان الله ﷻ بإسعاد البشرية، وإخراجها من الظلمات إلى النور، وإحيائها من بعد موت، فالمسلم حي يحيي النفوس الميتة بالتوحيد، هذه هي رسالته، وهذه هي غايته.

قال ﷻ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام].

أليس من حقنا، وحق كل رجل حر مخلص لأمته أن يتساءل معنا: ما الرسالة التي نقاتل من أجلها؟ ما الغاية من قتالنا؟ ألنا أهداف في قتالنا وما هي؟

وإذا كان لنا غاية ورسالة فهل ربينا الجنود عليها؟

وإذا سلمنا جدلًا أن للذين قاتلوا رسالة وغاية، فهل كانت هذه الغاية إنسانية، وهل كانت هذه الرسالة رفيعة تدفع الجندي لأن يضحي من أجلها، ويسفك دمه في سبيلها؟

هل بقاء حزب من الأحزاب في دفة الحكم غاية تستحق من الجندي أن يقاتل من أجلها؟

وهل بقاء نظام من الأنظمة أو زعيم من الزعماء قد استبد بشعبه وانتهك أعراضه، وداس شرفه، وكتم أنفاسه؟ هل هذه رسالة تستحق من الجندي أن يقاتل من أجلها؟

وهل رُبي الجندي على الحياة الحرة الكريمة؟

وهل رُبي الإنسان العربي على حب الموت وكراهية الحياة الذليلة؟

أم رُبي على التعلق بالدنيا والقصور الفارهة؟

هل عُبئ الشعب ودُرب على حمل السلاح كما رُبي أصحاب رسول الله ﷺ على الجرأة والشجاعة؟ يقول أحدهم:

أَنَا يَوْمَ آمَنْتُ بِالله أَحَدْ　　　لَنْ أَذِلَّ النَّفْسَ يَوْمًا لأَحَدْ

٨ ـ لقد انسحبت قريش من أرض المعركة، وبقي الرسول ﷺ والمسلمون في أرض المعركة، يَقبلون التحدي، وحينما خطر بخلد رسول الله ﷺ بعد انسحاب قريش من أرض المعركة احتمال مهاجمة قريش للمدينة صمم بكل قوة وعزيمة أن يقاتلهم، وأرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه في أثرهم ليأتيه بالخبر اليقين.

٩ ـ وحين بلغ الرسول ﷺ أن قريشًا تريد العودة إلى المدينة من الروحاء لتهاجم المسلمين، لم يتقاعس عن لقاء عدوه، ولم تنهر قواه، بل هب على الفور يحرض المؤمنين على القتال، وسار بالمسلمين يقودهم رغم ما أصابهم من نصب وتعب وعنت وجراح، حتى وصل إلى حمراء الأسد وأقام بها ثلاثة أيام يتحدى

كل المشركين ويشعل النيران، وكأنه يقول: ها أنا ذا هنا أتحدى وأتصدى لكل من تسول له نفسه بحربي، ولما رأى أهل مكة أن الأمر جد وليس بالهزل، فلم يجرؤوا على لقاء المسلمين وولوا مدبرين.

وأخيرًا وليس آخرًا نقول بكل صراحة ووضوح: إن هذه الأمة لا خلاص لها من الواقع الآسن المتخلف النكد إلا بالعودة إلى كتاب ربها واتخاذ الإسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة، ولا نجاة لها إلا باتباع هدي المصطفى ﷺ في غزواته وسائر شؤون حياته، ولا عزة لها إلا بأن تعلن الجهاد في سبيل الله بكل ميادينه وصوره، وأن تعمل على تطبيق شريعة الله في واقع حياة الناس.

وبغير هذا فإن ما حدث للأمة من الهزائم بالنسبة لما سيأتي قليل، وما حدث من الآلام والشرور والآثام أقل مما سيقع، فالعاقبة وخيمة، والمصير قاتم أسود، أحلك من الليالي الحوالك، والسعيد من اتعظ بغيره، والشقي من اتعظ بنفسه.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه]».

[**غزوة أُحد لأبي فارس ١٦٥-١٧٠**].

٢ ـ الوفاء للقيادة:

يقول أ/ باشميل: «وهكذا تصنع العقائد الأبطال والعظماء، والعظيم في الأمر أن آلام النزع لم تنس **سعد بن الربيع** رضي الله عنه الاهتمام برسول الله ﷺ والتفكير فيما قد يتعرض له من مكروه.

فإنه وهو في تلك اللحظات التي يودع فيها الدنيا لم يفكر في زوجه ولا في أولاده، وإنما ظل فكره مشغولًا بمصير الرسول ﷺ، فقد أنساه حبه العظيم لنبيه ﷺ كل شيء حتى نفسه، وظل حتى فارق الدنيا، وهو شديد الخوف على النبي ﷺ، وشديد الحرص على أن لا يُمس بسوء.

ولا أدل على ذلك من أنه قبل أن تصعد روحه إلى باريها، حَمَّل محمد بن مسلمة رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ رسالة ملؤها المحبة والإخلاص والوفاء، كما حَمَّله أيضًا رسالة إلى قومه الأنصار ضَمَّنَها التحذير من التهاون في واجب الذَّب عن رسول الله ﷺ، وأبلغهم بأن الله لن يقبل لهم عذرًا إذا ما تعرض نبيهم ﷺ لمكروه وفيهم رجل على قيد الحياة، وبعد أن أملى هاتين الرسالتين فاضت روحه الطاهرة إلى باريها.

والحقيقة أن جيشًا يكون رجاله على مستوى يقين وإيمان وبسالة سعد بن الربيع رضي الله عنه، لا يستبعد أن يصنعوا في المعارك ما يشبه المعجزات، ويسجلوا من الانتصارات ما يعتبره الجاهلون بأقدار هؤلاء الرجال، ضربًا من الأساطير التي لا تصدق». [**غزوة أُحد لباشميل ١٨٧-١٨٨، مفاهيم تربوية لعبّاد ١٤٧**].

٣ ـ الحرص على حياة القيادة:

خرج النساء ينظرن إلى سلامة رسول الله ﷺ، فقالت أم عامر الأشهلية: **كل مصيبة بعدك جلل!**
ومر رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار، وقد أُصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأُحد، فلما نُعوا لها، قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيرًا يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه؟ قال: فأشير لها إليه، حتى إذا رأته قالت: **كل مصيبة بعدك جلل!** تريد صغيرة.
[السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٩٩].

يقول أ/ فتح الباب: «لما أبطأ عن النساء الخبر وهن يترقبن عودة آبائهن وأبنائهن وأزواجهن وإخوتهن وأقاربهن سالمين غانمين، خرجن يستخبرن، فإذا رجلان مقبلان على بعير، فقالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟، قالا: «حي»، قالت: **فلا أبالي... يتخذ الله من عباده الشهداء**.

وفي إجابة هذه المرأة المسلمة دلالة بينة على ما وصلت إليه من وعي عميق بأهمية دور القائد في الجماعة فضلًا عن محبتها السامية للرسول ﷺ، واقتران عبارتها «لا أبالي» بعبارة «**يتخذ الله من عباده الشهداء**» يدل على إدراكها الثاقب لحتمية الفداء، وأنه من نواميس الحياة البشرية التي لا يقوم الخير، ولا تتطور الحياة إلا بها، فطالما أن الصراع بين الحق والباطل أمر طبيعي سرمدي فسوف يظل استشهاد بعض المناضلين في سبيل الحق مرتهنًا بهذا الصراع الأبدي.

لقد أدركت هذه المرأة المسلمة ـ بفضل توجيه رسول الله ﷺ ـ أن: الجهاد فريضة في الإسلام، وأنه لا مفر من استشهاد بعض المسلمين.

وأدركت في نفس الوقت أن حاجة الجماعة إلى بقاء القائد حيًّا يُتم رسالته أهم من بقاء بعض أفراد الجماعة.

كما أدركت ـ بنفاذ بصيرتها ـ أن الاستشهاد شرف لصاحبه يكبر من قدره ويعلي منزلته بين عباد الله، فهو نعمة من الله ﷻ يختص بها بعض جنوده، ويضاعف لهم الجزاء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران]، ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [البقرة].

فللشهيد أجره العظيم عند الله ﷻ، أجر لا يُقاس به ما يَلقى سواه من الصالحين من أجر، وليس أكبر من هذا التقدير حافز لأصحاب النفوس المؤمنة إلى الجهاد والتضحية.

فالجماعة في حاجة إلى مناضلين يفتدونها بأرواحهم، وهؤلاء المناضلون ملاقون جزاءهم الأوفى إذا كُتبت لهم الحياة أو قضوا نحبهم.

وهي في حاجة كذلك إلى حفز بقية المناضلين إلى مواصلة الجهاد حتى يتم النصر مهما كان الثمن، وليس كمنظر الدماء الزكية المُراقة بيد المعتدين أشد إثارة للنفوس الحرة.

ويفضي بنا إدراك المسلمين لأهمية دور القائد وما ينشأ عن غيبته من خطر يهدد الجماعة إلى التنويه باهتمامهم بتربية الشباب وتدريبهم على ممارسة مهام القيادة فكرًا وإرادة وسلوكًا، وما استقر في تاريخ النبي ﷺ والخلفاء من بعده من تعيين قائد ثان ـ سواء كان ذلك في المعارك الحربية أم في المناصب المدنية الكبيرة ـ حتى لا يختل النظام، وتتفشى الفوضى إذا غاب القائد الأول عن موقعه، ومن ثم كان هذا الاحتياط من أهم الدعائم التي استندت إليها وحدة الكلمة في صفوف المسلمين الأوائل».

[القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات لفتح الباب ٧٨ – ٧٩].

٤ ـ الحرص على هيبة الإسلام والدولة الإسلامية:

يقول أ/ باشميل: «ولقد استولى الدهش والذهول على اليهود والمنافقين (فعلًا) عندما رأوا هذا الجيش الصغير الذي ظنوه قد هُزم وتحطم يتسابق أفراده في عزم وتصميم وثبات إلى حمل السلاح؛ لمطاردة العدو الذي يظنون أنه قد انتصر على المسلمين وأخضد شوكتهم.

ولقد هالهم أكثر وأدار رؤوسهم وأثبت لهم خطأ ظنهم الفاسد، أن رأوا الجرحى من الجيش الإسلامي يتسابقون، هم أيضًا إلى حمل السلاح؛ للاشتراك في الحملة استجابة لنداء الرسول القائد ﷺ، حيث لم يتخلف من هؤلاء الجرحى عن الخروج مع رسول الله ﷺ في هذه الحملة، ولا رجل واحد، حتى الذين كانت جراحهم غائرة مثقلة، تحاملوا على أنفسهم وخرجوا مع رسول الله ﷺ، ومن هؤلاء رجلان من بني عبد الأشهل جرحا جراحات بليغة في معركة أُحدُ». **[غزوة أُحد لباشميل ٢٢٠].**

ويقول الشيخ الغزالي: «وقد كانت الهزيمة في «أحد» فرصة انتهزها المنافقون واليهود، وكل ذي غَمْر على محمد ﷺ ودينه وأصحابه، ففارت المدينة كالمرجل المتقد، وكشف عن عداوته من كان قبلًا يواريها، وتحدث الكافرون بالإسلام عن خذلان السماء للنبيِّ المرسل من عند الله.

فرأى الرسول ﷺ أن يُعيد تنظيم رجاله على عجل، وأن يتحامل الجريح مع السليم على تكوين جيش جديد، يخرج في أعقاب قريش ليطاردها ويمنع ما قد يجد من تكرار عدوانها!». **[فقه السيرة للغزالي ٢٨٢].**

ويقول أ/ فتح الباب: «وإذا كان استمرار القتال أمرًا لا بديل له، فإن اشتراك نفس المقاتلين في أحد ـ على ما بهم من الجهد والقرح ـ ضمان لتحقيق الهدف، وهو استعادة هيبة الإسلام، إذ يؤكد لأعدائه أن جنوده لا يخشون حربهم، ولا يستسلمون لإرادتهم وأن هزيمة معركة أمر عارض قد يرجع النصر النهائي لجند الحق، ولكنه لن يقف حائلًا دونه، وأن هذا النصر محتوم؛ لأن الخير يغلب الشر مهما طال

المدى؛ ولأن ثقة المسلمين بالله ﷻ وبما وعدهم لا تتزعزع؛ وتحقيقًا لهذا الهدف قاد الرسول ﷺ بنفسه قواته المحاربة ـ على الرغم من جراحه ـ وكان لواء جيشه في أُحد لا يزال معقودًا، فدفعه إلى علي رضي الله عنه، وقيل: بل إلى أبي بكر رضي الله عنه.

وكذلك التأم الشمل، وجفت الجراح، وعادت الروح، فسارت كتائب النبي ﷺ من المدينة في زحفها المقدس إلى الصحراء غداة يوم أحد في السادس عشر من شوال من السنة الثالثة للهجرة، وبلغت موقعًا على مسيرة ثمانية أميال من المدينة يُطلق عليها «حمراء الأسد» حيث أقامت معسكرها، مستهدفة إرهاب العدو وإثبات أن بهم قوة، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عنه، موقدين نيرانًا كثيرة حتى يذهب صوت معسكرهم في كل وجه». [القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات لفتح الباب ٨٩-٩٠].

ويقول د/ الدقس: «ولقد استطاع الرسول القائد والسياسي الملهم استعادة هيبة الدولة الإسلامية بعد هزيمة أُحد، وأن يحيل تلك الهزيمة نصرًا، رفع به الروح المعنوية لجيشه، وأرهب به الدولة القرشية، وأفقدها نشوة النصر في (أُحد).

بتلك الغزوة التي جنبت المسلمين ودولتهم خطر الاستئصال والفناء، أعني (غزوة حمراء الأسد)، حيث شعرت قريش بأنها لم تثأر لغزوة بدر، إذ نجت قيادة الدولة الإسلامية كلها من القتل (رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما) وغيرهم، في حين فقدت قريش جميع رموز قيادتها وصناديدها في بدر، فقد كان الهدف الرئيس لموقعة (أُحد) هو قتل القيادة الإسلامية، وهو ما اتضح في حوار أبي سفيان بعد الموقعة، وسؤاله عن رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وقد علم رسول الله ﷺ أن قريشًا بعد أن انسحبت من أحد، وتوجهت نحو مكة، أعادت النظر في عودتها إلى مكة قبل استئصال محمد ﷺ، ورموز قيادة الدولة والدعوة الإسلامية؛ لذلك قرروا العودة إلى المدينة لاستئصال شأفة المسلمين، وقتل رجال القيادة الإسلامية.

لقد خرج الرسول القائد ﷺ في إثر العدو ليرهبه، ويرهب المتربصين له وبدولته من اليهود والمنافقين والقبائل المحيطة بالمدينة، «فَلَـمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ الصُّبْحِ أَمَرَ بِلالًا رضي الله عنه أَنْ يُنَادِيَ: **إِنَّ رَسُولَ الله يَأْمُرُكُمْ بِطَلَبِ عَدُوِّكُمْ، وَلا يَخْرُجُ مَعَنَا إلا مَنْ شَهِدَ القِتَالَ بِالأَمْسِ**».

وإنما خرج رسول الله ﷺ مرهبًا للعدو، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم...

لقد حقق الرسول القائد والسياسي الملهم أعظم نصر سياسي حوَّل ذل الهزيمة إلى العزة والأنفة والإباء، بما كان من غزوة حمراء الأسد، فتلك المطاردة السريعة بمن حضر معه موقعة أحد فقط، رفع للروح المعنوية، وجبر للنفوس المنكسرة، بسبب ما لحق بالمسلمين من الخسارة الفادحة، نتيجة مخالفة

أمر الرسول القائد ﷺ، ونتيجة الفوضى والاضطراب الذي حدث في الصفوف حين سمعوا بمقتل رسول الله ﷺ، حتى تركوا معظمهم المعركة دون قتال.

لقد أعاد الرسول القائد ﷺ بتلك المطاردة العسكرية الهيبة إلى دولته، والثقة في نفوس رجاله، بأنهم لا زالوا أقوياء، وأهل لتحقيق النصر، على ما بهم من جراح، وهَمٍّ وغَمٍّ، فهم أهل بدر، وهم تلاميذ المدرسة المحمدية، مدرسة القادة الأفذاذ.

لقد أفهمت تلك المظاهرة العسكرية الأعداء المتربصين بالدولة الإسلامية أن تلك الدولة قوية، ولن تنال منها تلك الجولة العسكرية، فالأيام دول، والحرب سجال، ورجال تلك الدولة نموذج فريد، لا تلين له قناة، ولا يستسلم لهزيمة عابرة، أو إصابة فادحة.

ولقد نجح الرسول القائد والسياسي المحنك في تسخير صداقته القديمة لقبيلة خزاعة في تخذيل المشركين، وبث الرعب والخوف في نفوسهم، وتجسيد قوة المسلمين، وتصويرها بصورة مرهبة مرعبة، فبعد تلاوم القرشيين على انسحابهم من أُحد قبل استئصال شأفة المسلمين، وقالوا: «**لَمْ تَصْنَعُوا شَيْئًا! أَصَبْتُمْ شَوْكَةَ القَوْمِ ثُمَّ تَرَكْتُمُوهُمْ وَلَمْ تَبْتُرُوهُمْ، وَقَدْ بَقِيَتْ مِنْهُمْ رُؤُوسٌ يَجْمَعُونَ لَكُمْ، فَلا مُحَمَّدًا أَصَبْتُمْ، وَلا الكَوَاعِبَ أَرْدَفْتُمْ، فَبِئْسَ مَا صَنَعْتُمْ؟**».

إن هذا التفكير قد تزلزل عندما خوفهم (معبد الخزاعي) بقوة المسلمين الجديدة، وعزيمتهم الأكيدة على مطاردة المشركين والانتقام منهم، والثأر لما حدث، فلم تتمالك قريش وقادتها أنفسهم، فولوا هاربين بعد أن فقدوا ثمار النصر الذي أحرزوه في يومهم (أُحد).

وحينئذ انهارت عزائم الجيش المكي، وأخذ الرعب والفزع منه كل مأخذ، وخشي سوء العاقبة، ولم ير قادته وسيلة للنجاة غير الإسراع في الانسحاب، والهرب إلى مكة، واللجوء إلى حرب أعصاب دعائية تخذيلية لكف الجيش الإسلامي عن مواصلة المطاردة، إذ وعد أبو سفيان ركبًا من عبد القيس المتوجه إلى المدينة بمكافأة كبيرة إن هم نجحوا في تخذيل الرسول القائد ﷺ عن مطاردتهم.

قَالَ: فَهَلْ أَنْتُمْ مُبَلِّغُونَ عَنِّي مُحَمَّدًا رِسَالَةً أُرْسِلُكُمْ بِهَا إِلَيْهِ، وَأُحَمِّلُ لَكُمْ هَذِهِ غَدًا زَبِيبًا بِعُكَاظٍ إِذَا وَافَيْتُمُوهَا؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: **فَإِذَا وَافَيْتُمُوهُ فَأَخْبِرُوهُ أَنَّا قَدْ أَجْمَعْنَا السَّيْرَ إِلَيْهِ وَإِلَى أَصْحَابِهِ لِنَسْتَأْصِلَ بَقِيَّتَهُمْ [وَأَنَّا آثَارَكُمْ]**، فَمَرَّ الرَّكْبُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِحَمْرَاءِ الأَسَدِ، فَأَخْبَرُوهُ بِالَّذِي قَالَ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: «**حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ**».

وَفِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران]».

وهكذا استطاعت القيادة الإسلامية حرمان المكيين من ثمرة النصر الذي حققوه على حين غرة من المسلمين، فأين ثمرات انتصار المسلمين على المشركين في بدر من انتصار المشركين في أُحد، وقد حاول قائد المشركين أن يوهم نفسه وقومه بالثأر ليوم بدر، إذ قال أبو سفيان في نهاية يوم أُحد: **أَنْعَمَتْ فَعَالِ عَنْهَا، يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، إِنَّ الحَرْبَ سِجَالٌ**.

والحق أنهما ليسا سواء، فقد كان النصر للمسلمين في أول المعركة حتى قتلوا من المشركين أكثر من سبعة وثلاثين رجلًا، ولكنهم انتهزوا فرصة مخالفة الرماة لأوامر رسول الله ﷺ، وترك مواقعهم، والنزول من الجبل لجمع الغنائم، فكانت الخسارة سبعين شهيدًا، ولم يأسروا أسيرًا واحدًا، ولم ينالوا شيئًا من الغنائم، ولم يستطيعوا دخول المدينة، والاستيلاء على النساء والأطفال، بل فقدوا الثقة بقوتهم، وولوا هاربين حين سمعوا بمطاردة الرسول ﷺ لهم في اليوم التالي خشية المعرة والهزيمة لو أُعيد القتال من جديد في حمراء الأسد، وقد تحداهم الجيش الإسلامي وأقام ثلاثة أيام في أرض المعركة، فتعادلت كفة الفريقين في معركة أُحد، لكن لم تحقق قريش ثأر بدر، ويشير القرآن إلى تعادل الفريقين في النصر والهزيمة، والإحساس بالألم والحسرة بقوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾[النساء]، وقوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾[آل عمران]». [**دولة الرسول ﷺ في المدينة للدقس ص ٥٤١-٥٤٤**].

٥ ـ التحالف السياسي في الإسلام[(١)]:

يقول د/ أبو فارس: «يجوز التحالف السياسي في الإسلام: وهذا ثابت في السنة النبوية الشريفة في أكثر من موطن.

فلقد اتخذ النبي ﷺ قبيلة خزاعة حليفًا سياسيًّا له، وهذا الحليف كان يرتبط مع الرسول ﷺ بحلف لكل طرف فيه حقوق وعلى كل طرف واجبات، وهذا الحلف كان قديمًا قبل الإسلام، فجاء الإسلام ولم يلغه بل أقره وأكده، ففي الحديبية أكد النبي ﷺ هذا الحلف.

ويظهر هذا للذي يقرأ نص العهد وبنود الحلف بين النبي ﷺ وبين خزاعة، ويظهر أيضًا للقارئ الكريم إذا تأمل شعر عمرو بن سالم حينما جاء يخبر النبي ﷺ أن قريشًا قد نقضت العهد ومالأت بني بكر وساعدتها على قتال خزاعة، فنراه يقول:

---

(١) سبق تفصيله في الدروس المستفادة من غزوة الأبواء ٢ هـ، وغزوة بواط ٢ هـ، وغزوة العشيرة ٢هـ.

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدٌ مُحَمَّدًا   حِلفَ أَبِيهِ وَأَبِينَا الأَتْلَدَا

[السيرة النبوية لابن كثير ٣/ ٥٢٧].

والأتلد معناه القديم.

ولقد استفاد النبي ﷺ من هذا التحالف السياسي في هذه الغزوة أكثر من فائدة:

(أ) تعاطف خزاعة مع النبي ﷺ والمسلمين ومواساتهم، وهذا يخفف عنهم بعض ما أصابهم، ويجبر خاطرهم، ويقوي معنوياتهم.

(ب) تزويد الرسول ﷺ بأخبار قريش وتحركاتهم السرية المعادية.

(ج) التخذيل عن المسلمين، فقد اقتنع أبو سفيان بعدم العودة إلى المدينة لمهاجمة المسلمين وقتالهم، وقد يؤثر هذا عليهم.

(د) إضعاف معنويات المشركين وإرهابهم، وهذا له أثر فعال في نفوس المقاتلين قيادة وقاعدة، وفي نتيجة المعركة.

(هـ) الناحية الإعلامية: لقد قامت قبيلة خزاعة بدعاية للمسلمين عند أعدائهم، وعند غيرهم، فها هي ذي تمدح المسلمين بقيادة رسول الله ﷺ بأشعارها، والشعر في ذلك الوقت هو المنبر الإعلامي الأول؛ لأنه ينتشر بسرعة عند الناس، فيحفظونه ويتداولونه». [غزوة أُحد لأبي فارس ١٤٩-١٥٠].

٦ ـ القادة والعفو العام:

يقول أ/ النجيري: «في موقعة أحد درس عظيم للقيادة حين يتميز الجند ويتفرقون عنها ويهربون من ساحة المعركة أو يستسلمون ويتسببون في ضياع النصر، حتى إن القيادة نفسها كادت أن تقع في يد الأعداء بعد أن قاربوا الخلوص إليها، فحينئذ ليس على القيادة أن تلجأ إلى المعاقبة والتعزير، فلقد انقضى الأمر والمطلوب الآن رحمة ولينًا لجمع القلوب وتأليفها، كما قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران].

ولقد فر عثمان بن عفان ﷺ وجماعة من الصحابة ﷺ حتى بلغوا مشارف المدينة، كما أن الكثيرين ألقوا أسلحتهم واستسلموا للهزيمة حين أشيع أن النبي ﷺ قُتل، واضطربت لذلك الصفوف، وبرغم ذلك لم يثبت أن النبي ﷺ قد عنفهم أو عاقبهم، فلم يكن من هديه ﷺ التلاوم أو التعاتب.

فالفرار عارض ثم سرعان ما تعود شجاعة المؤمن ويتذكر ما أنساه الشيطان ببعض الذنوب، ويكفي ما يصيب الفار من غم وهم، وليس من كبير بأس أن يخسر الجيش جولة، ولكن يجب ألا يدع

المصيبة تذهله عن دوره أو تصرفه عن عدوه أو تكسر إرادته، وتلك حكمة القيادة أن تخفف وقع المحنة على الجند حتى لا تتحطم معنوياتهم وتهزم نفوسهم لأن ذلك طريق إلى السقوط المستديم.

وليس بعد عفو النبي ﷺ الذي يعطف إليه القلوب ويحول الأعداء إلى أولياء، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت].

وأبرز ما كان في هذا الصدد، ما كان من وحشي قاتل حمزة عم النبي ﷺ، كما سبق أن رأينا من حكاية وحشي لتفاصيل القصة.

ورأينا كيف لم يمتنع النبي ﷺ أن يعفو عن وحشي أنه قاتل عمه حمزة أسد الله ﷺ.

[بل ورد أن النبي ﷺ قال له:: «**اُخْرُجْ فَقَاتِلِ فِي سَبِيلِ الله، كَمَا قَاتَلْتَ لِتَصُدَّ عَنْ سَبِيلِ الله**»].

[مجمع الزوائد ٦/ ١٧٥ كتاب المغازي (١٠١١٢)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني [في الكبير والأوسط بنحوه]، وإسناده حسن].

فكيف لا يكون العفو للمؤمنين؟!

ومن خيرٍ أن وحشيًّا هذا كان له بعد ذلك بلاء في الإسلام عظيم ربما يكفر قتله حمزة ﷺ، وهو أنه قتل مسيلمة الكذاب في موقعة اليمامة». [**البلاء الإلهي للنجيري ١٤٣-١٤٧**].

المبحث السادس

الدروس العسكرية

١ ـ العناصر الأساسية للقيادة وأسس نجاح القائد:

يقول د/ زين السيد: «وقبل أن تتم سورة آل عمران حديثها عن أحداث غزوة أُحد، وما دار فيها من نصر وهزيمة وعن الأسباب الظاهرة والخفية لذلك، أخذت في بيان حال النبي ﷺ وما كان عليه من قيادة حكيمة وأخلاق كريمة، وأنه ﷺ لم يقابل المخالفين لأمره والفارين عنه بالانتقام منهم، وإنزال العقوبة بهم، وإنما قابل ذلك بالحلم واللين والسياسة الرشيدة، فقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران].

الخطاب في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ ... إلخ، موجه إلى الرسول ﷺ بعد أن تحدث مع المؤمنين شارحًا الغزوة وربطها بالقوانين الاجتماعية فنجد الأمر موجهًا إلى القائد الرسول ﷺ ليحدد علاقته بالمؤمنين بعد النكسة للتعاون والتشاور من أجل العقيدة، فبالرحمة العظيمة التي منحها لك في قلبك حبًّا للمؤمنين كنت لينًا مع أتباعك في كل أحوالك بدون إفراط أو تفريط، لقد رأيتَهم يفرون ولكنهم عادوا بعدها، لقد وقعت منهم أخطاء وقفت منها موقف القائد الحكيم، فلم تعنفهم على ما وقع منهم، وقد استغرقهم الهم والحزن وتحولت أفراح الغنيمة إلى أحزان على الشهداء، بل كنت لينًا رفيقًا معهم، فبرحمة وضعها الله في قلبك لنت لهم، وبغير هذه الرحمة لو كنت فظًّا غليظ القلب لانفضوا من حولك، لقد أوحى الله إليك في القرآن دعوة إلى المسارعة إلى الله والإنفاق في السراء والضراء وكظم الغيظ والعفو عن الناس، وهذه صفات مثالية للمؤمنين المسارعين إلى الله ﷻ، وأما أنت رسول الله مأمور بكل ذلك.

﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ وإن الشدة في غير موضعها تُفرِّق ولا تُجمِّع، وتُضعف ولا تُقوِّي، فالقرآن الكريم ينفي عن الرسول ﷺ القسوة والغلظة في الظاهر والباطن؛ لأنه ﷺ كان مبرأً من كل ذلك. **[ينظر: تفسير الآلوسي ٤/ ١٠٥-١٠٦، وتفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا ٤/ ١٦٣]**.

وقد جاء وصفه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة].

عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رضي الله عنهما فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ، فَقَالَ: أَجَل وَاللهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِصِفَتِهِ فِي القُرْآنِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب]، **وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، وَأَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المُتَوَكِّلَ، لَسْتَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ ـ قَالَ يُونُسُ: وَلَا صَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ ـ وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا»**. [مسند أحمد ١١/ ١٩٣ رقم ٦٦٣٣، وقال الشيخ الأرناؤوط: صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير موسى بن داود فمن رجال مسلم].

والعفو قد يكون باللسان ويكفى فيه أن يقول: قد عفوت، ولكنك رسول الله لسانك يعفو وقلبك يستغفر لهم، فرسول الله ﷺ مأمور بأن يعفو بلسانه، وقلبه مشغول بالاستغفار لهم، فتألف قلوب أصحابك: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].

كن معهم ـ بعد أن رجعوا في قلوبهم ونفوسهم ـ طبيبًا مداويًا فاعف عنهم، واستغفر لهم، فإذا ما وصل إلى هذه الدرجة أمره الله تعالى بالمشاورة في الأمر؛ لأنهم قد أصبحوا أهلًا لهذه المشورة: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[آل عمران: ١٥٩]، فليس معنى النكسة أن يفقدوا حقهم في إبداء الرأي، بل كان يستشير أصحابه بغاية اللطف ويصغى إلى كل قول، ويرجع عن رأيه إلى رأيهم، وقد استشار ﷺ أصحابه في غزوة بدر، وغزوة أُحد، وغزوة الأحزاب، وأخذ برأي أصحابه في تلك الغزوات كما يروي ذلك أصحاب السير والتواريخ.

وقال الإمام القرطبي في معنى الشورى: «واختَلَف أهل التأويل في المعنى الذي أمَرَ الله نبيَّهُ ﷺ أن يُشَاورَ فيه أصحابَه: فقالت طائفة: ذلك في مكائد الحُروب، وعند لِقَاء العَدُو؛ تطييبًا لِنُفُوسهم، ورَفْعًا لأقدارِهم، وتألُّفًا على دينهم، وإنْ كان الله تعالى قد أغناه عن رأيهم بوَحْيه...

وقال آخرون: ذلك فيما لم يأته فيه وَحْيٌّ، رُوي ذلك عن الحسن البصري والضحاك قالا: ما أمَرَ الله تعالى نبيه بالمُشَاوَرة لحاجةٍ منه إلى رأيهم، وإنما أراد أن يُعلِّمَهُم ما في المُشَاوَرةِ من الفضل، ولِتَقْتَدي به أمته من بعده.

قال ابنُ عَطِية: والشُّورَى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، ومَنْ لا يَسْتشِيرُ أهلَ العِلم والدِّين فَعزْلُهُ واجبٌ.

وقد استشار النبي ﷺ أصحابه في كثير من الأمور، وقال: «**مَا خَابَ مَن اسْتَخَار**[1]**، وَلا نَدِمَ مَنِ اسْتَشَارَ**». [**حكم الشيخ الألباني على هذا الأثر بأنه: موضوع ـ ضعيف الجامع رقم ٥٠٥٦، والسلسلة الضعيفة رقم ٦١١**].

وقال البخاري: وكانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستَشِيرون الأمناء من أهل العلم في الأُمور المباحة ليأخذوا بأسهلها. [**تفسير القرطبي ٤/ ٢٤٩ ملخصًا**].

وقال الفخر الرازي: «اتفقوا على أن كل ما نزل فيه وحي من عند الله لم يجز للرسول ﷺ أن يشاور فيه الأمة؛ لأنه إذا جاء النص بطل الرأي والقياس، فأما ما لا نص فيه فهل تجوز المشاورة فيه في جميع الأشياء أم لا؟

وقال بعضهم: هذا الأمر مخصوص بالمشاورة في الحرب؛ لأن الألف واللام في لفظ: ﴿**ٱلْأَمْرِ**﴾ تعود على المعهود السابق، وهو ما يتعلق بالحروب إذ الكلام في غزوة أُحد.

وقال آخرون: اللفظ عام خُص منه ما نزل فيه وحي فتبقى حجته في الباقي، وظاهر الأمر في قوله: ﴿**وَشَاوِرْهُمْ**﴾ للوجوب، وحمله الشافعي على الندب». [**تفسير الفخر الرازي ملخصًا ٩/ ٦٧**].

هذا وبعد أن أمر الله ﷻ رسوله ﷺ بالشورى وتمت على أحسن الوجوه وأصلحها واستقرت الأمور على وجه معين، أعطاه حقه الكامل في القيادة فقال تعالى: ﴿**فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾**﴾، فإذا عقدت النية على إتمام الأمر بعد المشورة وبعد تبين وجه السداد لك فبادر بتنفيذ ما عقدت العزم على تنفيذه معتمدًا على الله في الوصول إلى غايتك، فإن الله تعالى يحب المعتمدين عليه المفوضين أمورهم إليه مع الأخذ بالأسباب التي شرعها لهم حتى يصلوا إلى مطلوبهم، فلن يخذل الله قومًا اتخذوا هذا السبيل إلى النصر: ﴿**إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾**﴾[آل عمران].

هذا القول الكريم موجه من الله تعالى إلى النبي ﷺ وإلى كل من يأتي له الخطاب مع حسن الاستعداد والاعتماد على الله تعالى مُظهرًا العجز أمام قدرة الله تعالى». [**دور الحرب النفسية لزين السيد ١٣٦-١٤٠**].

---

(١) روى البخاري وأصحاب السنن، وأحمد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: «**إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ، قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ**». أي بدل كلمة: هذا الأمر.

٢ ـ أهمية الاستخبارات العسكرية [(١)]:

يقول د/ أبو فارس: «وبناء على المعلومات التي جاءته ﷺ عن نية المشركين بالعودة للمدينة لاستئصال شأفة المسلمين، فقد قرر رسول الله ﷺ المسير إلى أبي سفيان وقتاله على الأرض التي يقيم فيها، فأمر المسلمين الذين شاركوا في أحد بالاستعداد لقتال المشركين والمسير بقيادته لمصادمة قريش وقتالها، وسار المسلمون وجراحاتهم تنزف وقروحهم تنز، قد أعياهم التعب، وأنهكهم النصب، وأسهرتهم آلامهم، وأبى رسول الله ﷺ أن يشارك أهل أحد غيرهم هذا الشرف والمجد فلم يأذن لغيرهم من الصحابة ممن لم يشتركوا في أحد إلا لواحد هو جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وسميت هذه الغزوة **غزوة حمراء الأسد**، إذ وصل رسول الله ﷺ بجيشه إلى حمراء الأسد وأقام فيها ثلاثة أيام يتحدى المشركين، فلم يجرؤ أحد على لقائه ونزاله، وأنزل الله تبارك وتعالى في هؤلاء الذين استجابوا لأمر رسول الله ﷺ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾[آل عمران].

وبعد غزوة أحد وحمراء الأسد شمت المنافقون واليهود بما حدث للمسلمين وطمعت قبيلة بني أسد في المدينة، واعتبروا الساعة مواتية للانقضاض عليها ونهبها وسلبها، فقام طليحة بن خويلد الأسدي وأخوه سلمة بتجميع بني أسد لمهاجمة المدينة، فجاء رجل من بني أسد يخبر رسول الله ﷺ بما أجمعوا عليه، فقرر رسول الله ﷺ غزوهم بسرية يقودها أبو سلمة بن عبد الأسد رضي الله عنه».

[ينظر: السيرة النبوية لابن كثير ٣/ ١٢١-١٢٢]. [المدرسة النبوية العسكرية لأبي فارس ٧٤].

٣ ـ تمتع القيادة بالخبرات العسكرية:

ويقول ل/ فرج: «كانت القيادة الإسلامية في أُحد علامة بارزة في المعركة، فقد تولى الرسول ﷺ قيادة الجيش الإسلامي بأسلوب قيادي متحضر وبفكر عسكري متطور، ووجد المسلمون فيه ﷺ قائدًا فاهمًا مدركًا مقدرًا لمسؤوليته، فتمثلوا به، فكانوا خير الجند، وكانوا أبطال المعركة.

قَدَّر رسول الله ﷺ مشاعر رجاله خير تقدير، حين رأى أن الأغلبية تريد الخروج رغم معارضة ذلك لرأيه، فلم يشأ أن يفرض رأيه ويلزمهم بخطة لا يرضونها ويجبرهم على عمل لا يتفق ورغبتهم، فلما عرضوا عليه عدم الخروج بعد أن تهيأ له ولبس لأمته: «**يَا رَسُولَ الله مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُخَالِفَكَ فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ**» أبى أن ينفذ رغبتهم، امتثالًا للشورى التي جعلها أساس تعامله مع أصحابه، ولقد فرض هذا التنازل من جانبه ﷺ التزامًا لدى أصحابه لنصرته، وبذل أقصى ما يملكون حتى تكون لهم الغلبة،

---

(١) انظره أيضًا في الدروس العسكرية المستفادة من المرحلة الأولى من غزوة بدر الكبرى تحت عنوان «**اهتمام إدارة الرسول ﷺ العسكرية بالعيون**».

ولقد كان تصميمه ﷺ تأكيدًا لمعنى عدم التردد، ذلك أن التردد مرض خطير إذا أُصيب به قائد أفقده ثقة الجند فيه، وجعل صورته مهزوزة في نظرهم؛ لأن فساد الرأي من التردد، وعلى المرء أن يستشير ويفكر ويقلِّب أوجه الرأي فإذا ما اختار واعتزم فلا سبيل إلى التردد فإن ذلك ضعف.

ومن أولى مسؤوليات القائد **إثارة روح القتال** لدى الجند وتحريضهم وتشجيعهم، وتحرص كافة القيادات على أداء هذه المهمة قبل بدء القتال وفي أثنائه وتتنوع وسائل الأداء، ولقد حرص رسول الله ﷺ على أداء هذه المهمة، وقد تنوعت وسائله في ذلك، فهو مثلًا قبل بدء القتال أخرج سيفًا وعَرَضَه على أصحابه قائلًا: «**مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟**»، وأسرع أصحابه كلٌّ يُمنِّي نفسه بسيف رسول الله ﷺ، وكان السيف من نصيب **أبي دجانة** رضي الله عنه، فسعى إلى تأكيد ثقة رسول الله ﷺ فيه، وأخرج عصابة حمراء وعصب بها رأسه دليلًا على أنه سوف يقاتل بكل قوة وعنف، وارتفعت معنوياته حتى أنه جعل يتبختر بين الصفوف، فقال له الرسول ﷺ: «**إِنَّهَا لَمِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ**»، وكانت هند ومعها نساء قريش ينشدن الأناشيد ويضربن بالدفوف كأسلوب لإثارة حماسة رجالهن، فكان رسول الله ﷺ يردد: «**اللَّهُمَّ بِكَ أُصَاوِلُ وَبِكَ أُحَاوِلُ**»، فكانت كلماته ﷺ تثير حماس رجاله وتقاوم تأثير كلمات هند والنسوة.

وعندما دارت الدائرة على المسلمين وتفرقت بهم السبل وأحاطت بهم قوات قريش، فر مَن استطاع الفرار، وارتبك الآخرون، إلا أن رسول الله ﷺ ظل في موقعه لم يهرب ولم يَخَف، بل ثبت، وأخذ يدعو الناس إلى التماسك، وظل يقاتل العدو قتالًا شديدًا، ويرمي بالنبل، واندقت سية قوسه، وانقطع وتره، ومع هذا ظل يرمي بالحجارة.

هذا الموقف البطولي من جانب رسول الله ﷺ في وقت محنة، كان له أثره في نفسية باقي المحاربين، فقد التف حوله بعض نفر من رجاله وأحاطوا به وبايعوه على الموت وظلوا يقاتلون معه وعنه حتى تفرق عنهم كفار قريش.

وعندما انطلقت إشاعة مقتل الرسول ﷺ، تداعى أصحابه وتملكهم اليأس وضاقت بهم السبل واسودت أمامهم الحياة، وكيف لهم أن يباشروا القتال وقد فقدوا القائد الذي يُشرف ويوجه ويقود ويخطط؟ ومر بهم وهم في ناحية من الجبل **أنس بن النضر** رضي الله عنه فقال لهم: «**قُومُوا فَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ**»، وظل الناس على ما هم فيه من غم ونكد لفقد رسول الله ﷺ حتى جاءتهم صيحة **كعب بن مالك** رضي الله عنه: «**يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ! أَبْشِرُوا هَذَا رَسُولُ اللهِ**»، فاندفعوا جميعًا في حماس بالغ إلى حيث قائدهم فالتفوا حوله.

لقد ظل رسول الله ﷺ بين أصحابه خلا فترة التمزق يقودهم ويوجههم ويعاونهم، وكان ﷺ يمد **سعد بن أبي وقاص** رضي الله عنه بالنَّبْل، ويوصيه بالرمي ويشجعه عليه ويقول له مع كل رمية: «**ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**»، قيل: إنه ﷺ فداه في ذلك اليوم ألف مرة.

وإن تماسكه ﷺ في لحظات الحرج دليل على ما كان يتميز به من شجاعة القلب ورباطه الجأش وقوة اليقين، وهذه كلها مقومات القيادة السليمة الواعية.

وعندما هاجم أُبي بن خلف موقع رسول الله ﷺ قائلًا: «**أَيْنَ مُحَمَّدٌ؟! لا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا؟**» ظل رسول الله ﷺ رابط الجأش وأمر أصحابه أن يخلو طريق أُبي، فلما أصبح قريبًا منه تناول ﷺ حربة من **الحارث بن الصمة** رضي الله عنه، وخدشه بها في عنقه، فكانت إصابة الموت، إذ مات وهو عائد إلى مكة، ولقد أثبت رسول الله ﷺ في هذا الموقف ما كان عليه من ثبات وصبر على لقاء العدو، وعدم تضعضعه أو تخاذله حين اشتد البأس وحمي الوطيس، وهذه أيضًا من مقومات القيادة السليمة الواعية.

وكان رسول الله ﷺ يرقب جنده خلال القتال، ويعيش معهم لحظات القتال بكل مشاعره وأحاسيسه، فقد لاحظ ﷺ أن سيف **عبد الله بن جحش** رضي الله عنه قد انقطع، فأعطاه عرجون نخلة، فصار في يده سيفًا وكان يسمى العرجون، وظل يقاتل به حتى قُتل.

لقد كانت قيادة الرسول ﷺ لأصحابه في أُحد مثلًا رائعًا لحسن القيادة، فالقائد دائمًا مرآة لجنده يرون فيها أنفسهم، وكان رسول الله ﷺ شجاعًا فتمثل به جنده، وملأوا الميدان بضروب الشجاعة، وكان رسول الله ﷺ محاربًا ممتازًا فكان جنده صورة له ساروا على دربه.

ولننتقل البصر إلى الجانب الآخر لنرى كيف كان مستوى القيادة فيه.

كان أبو سفيان هو قائد المشركين، ولم تظهر شخصيته كقائد خلال المعركة، وكانت سيطرته على قواته ضعيفة، حتى إن نساء قريش مَثَّلنَ بالجرحى دون أن يدري، فلما علم بذلك كان يعتذر قائلًا: «**وَاللهِ مَا رَضِيتُ، وَمَا سَخِطْتُ، وَمَا أَمَرْتُ، وَمَا نَهَيْتُ**».

ولو كانت لدى أبي سفيان كفاءة في القيادة، لاستطاع أن يقضي على قوات المسلمين، وأن يحرز نصرًا كبيرًا، حين كانت قواته تطوقهم وتحيط بهم، وهم في حالة فزع نتيجة للهجوم المضاد الذي قامت به قواته.

ولو كانت لدى أبي سفيان كفاءة في القيادة، لما أنهى المعركة وهو قاب قوسين أو أدنى من النصر، ولاستغل الموقف لصالحه، ولتابع هجومه وهاجم المدينة ذاتها.

وحتى خروجه إلى الروحاء كان على ما يبدو نوعًا من الحماس دون التقدير والدراسة، فلما بلغه أن المسلمين قد استعدوا وخرجوا، وأنهم قادمون إليه بما لا قِبل له به، انسحب على الفور إلى مكة، وهذا يعني أنه خرج دون أن تكون لديه خطة محددة مرسومة.

واضح إذن الفارق الكبير بين القيادتين:

قيادة تعرف دورها وتدرك مسؤولياتها، لها كل مقومات القيادة، وجمعت كل الصفات الواجبة اللازمة، كاحترام الشورى وصدق العزيمة وثبات القلب وإمكانية الصمود في الساعات الحرجة، والقدرة على التخطيط والتوجيه، وتوافر الثقة وتبادلها بين القائد والجند.

وقيادة تسعى إلى مجرد الحصول على نصر رخيص، فإذا ما حققته من وجهة نظرها، تصورته نصرًا عظيمًا، فلم تدرك حقيقة ما يجرى في مسرح العمليات، وأنهت المعركة في وقت يجب أن تشتد فيه، وانسحبت من الميدان في وقت كان لابد من أن تبقى لتستكمل النصر الذي لاح أمامها».

[العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ لفرج ٢٥٨-٢٦١].

ويقول د/ أبو فارس: «في قول رسول الله ﷺ: «**فَإِنْ كَانُوا قَدْ جَنَّبُوا الخَيْلَ وَامْتَطَوْا الإِبِلَ فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ مَكَّةَ، وَإِنْ رَكِبُوا الخَيْلَ وَسَاقُوا الإِبِلَ فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ المدِينَةَ**».

درس للعسكريين مفاده: ركوب الإبل يدل على أن الجيش عازم على قطع مسافات طويلة، وركوب الخيل يدل على أن الجيش عازم على قطع مسافة قصيرة، وقد اقترب من هدفه، ومن ثم فإن الجيش جاهز للإغارة والمباغتة، فالخيل معروفة بالإغارة، قال تعالى يصفها: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾ [العاديات].

فالآية تذكر لنا أن الخيل عنصر الإغارة في المعارك القديمة.

ويمكن أن يقاس على ما تقدم تحركات الجيوش في الوقت الحاضر، فحين تستخدم وسائل النقل البطيئة يكون للسير هدف يغاير السير بوسائل النقل السريعة، يستطيع أصحاب الاختصاص والخبرة تحديده، والاستفادة منه في رسم الخطط المضادة لحرب العدو ومواجهته».

[غزوة أُحد لأبي فارس ٩٥، المدرسة النبوية العسكرية لأبي فارس ٨٢].

٤ ـ ضرورة يَقَظَةِ القائدِ لتحرُّكات عدوه:

يقول د/ الرشيد: «القيادةُ المُحَنَّكَةُ هي التي تكون دائمًا يَقِظَةً لتحركات أعدائها؛ لأن العدو يحرص على الفتك بخصمه كلما وجد الفرصة المناسبة.

وقد ذكر بعض العلماء أن شدة الحذر واليقظة لتحركات العدو، هي أقوى مَكِيدَةٍ يُدَبِّرُها المحارب للوقوف على مقاصد عدوه. **[ينظر: مختصر سياسة الحروب ص ١٩].**

وبعد انتهاء غزوة أُحد كان الرسول ﷺ على حذرٍ من تحركات قريش، حيث أخذ يتتبع أخبارهم.

قال ابن إسحاق رحمه الله: «بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: «**أُخْرُجْ فِي آثَارِ القَوْمِ، فَانْظُرْ مَاذَا يَصْنَعُونَ وَمَا يُرِيدُونَ، فَإِنْ كَانُوا قَدْ جَنَّبُوا الخَيْلَ وَامْتَطَوْا الإِبِلَ فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ مَكَّةَ، وَإِنْ رَكِبُوا الخَيْلَ وَسَاقُوا الإِبِلَ فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ المدِينَةَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ أَرَادُوهَا لَأَسِيرَنَّ إِلَيْهِمْ فِيهَا، ثُمَّ لَأُنَاجِزَنَّهُمْ**».

قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: فَخَرَجْتُ فِي آثَارِهِمْ أَنْظُرُ مَاذَا يَصْنَعُونَ، فَجَنَّبُوا الخَيْلَ وَامْتَطَوْا الإِبِلَ، وَوَجَّهُوا إِلَى مَكَّةَ». [السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٩٤].

ففي هذا التتبع من الرسول ﷺ لتحركات قريش بعد معركة أُحد إرشادٌ للقادة من بعده، فقد كان بإمكان الرسول ﷺ أن يُعْلَمَ عن مراد قريشٍ عن طريق الوحي، ولكن شاء الله ﷻ أن يسلك ﷺ الطريقَ المألوف لكي يقتدي به القادة من بعده في هذا الأمر.

وفي هذه القصة دِلالةٌ أخرى، فقد كان مما جرى عليه العرف والعادة عند العرب، في ذلك الوقت أن يركبوا الخيل وقت الحرب، أما في وقت السِّلِمِ فإنهم يُرِيحُونَها ويستخدمون الإبل؛ لذا فإن الرسول ﷺ قد أعطى عليًّا رضي الله عنه أَمَارَةً يَسْتَدِلُّ بها على وِجْهَةِ قريش، وهذا يدلنا على أن ما جرت عليه عادة أي جيش في استخدام وسائل النقل ينبغي أن يُؤْخَذَ قرينةً يُسْتَدَلُّ بها على مراد العدو».

[القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ للرشيد ٤٧٣-٤٧٤].

٥ ـ أهمية معنويات الجند في إحراز النصر:

يقول ل/ فرج: «لقد كانت موقعة أُحد مثلًا حيًّا للبطولات الإسلامية ولقدرات المسلمين على الحرب والنزال، فقد ظهرت خلال المعركة نماذج وأمثال لم يكن لها نظير في جانب المشركين، وكان الرجل المسلم بقوته وشجاعته وفتوته يعدل جيش قريش بأجمعه، والسر في هذا أن أصحاب الرسول ﷺ آمنوا عن عقيدة وامتلأت قلوبهم بحب دينهم وهدي نبيهم، وتأصلت فيهم العقيدة السليمة واليقين المكين، فكانوا أكثر الناس استبسالًا في القتال وطلبًا للشهادة، وكانوا أجزل الرجال عطاء وأعظمهم بطولة، كانوا يقتحمون الخطوب بقلوب ثابتة وشجاعة بالغة، وبأس لا مزيد عليه، وحنكة في حُميا القتال، وعزم لا يلين، وحزم لا تردد فيه، وإقدام من غير تقاعس، وطلب للشهادة دون الحياة.

لقد حشدت قريش كل قواتها في أُحد يداعبها أمل الثأر والفوز، وكانت تملك فعلًا العَدد الوفير والسلاح الغزير، ولكن الحرب لا تعتمد أساسًا على هذه الكثرة، فإن كثرة دون عقيدة تصبح قلة، وإن قوة دون إيمان تصير ضعفًا، وقريش لم يكن لديها معنويات تدفع للقتال وتشجع عليه، ومن أين لها هذه المعنويات وهى تحارب معركة خاسرة، فليس في قلوب رجالها إيمان يشجع أو عقيدة تدفع أو إحساس يحث أو إدراك يحمس، لقد كانت تدافع عن قضية باطلة، وتواجه جند الرحمن الذين كانوا يحاربون لهدف أسمى وغاية أنبل، ويقاتلون في سبيل الله والحق والإنسانية، ولم يكن قتالهم من أجل هذه الغايات تزجره قوة أو تضعضعه كثرة أو يقهره باطل أو يتغلب عليه غي؛ ولذلك تمزقت قريش عند بدء القتال في ثلاثة آلاف من فرسانها أمام هجمات ستمائة مسلم، وفقدت خيرة رجالها عند أول لقاء،

وفرت نسوتها قبل أن يؤخذن أسرى ذليلات، وسقط لواؤهم ليمرغ في التراب وتطؤه الأقدام، والمسلمون يضعون السلاح فيهم حيث شاؤوا، يطيحون الرؤوس، ويقطعون الرقاب ويذلون الرجال، وحتى في لحظات الحرج لم تنل قريش من المسلمين وهم على ما هم فيه من هلع وتشتت مأربها، ولم تحقق هدفها، فقد مرت اللحظات العصيبة ـ وما أكثرها في ميدان القتال ـ وعاد المسلمون إلى تماسكهم واجتمعوا يذودون عن نبيهم وعن رسالتهم وعن هدفهم، واكتفت قريش بقتل عدد يسير منهم لم يصل في مجموعه إلى عشرة في المائة، ورأت أن تنسحب من المعركة وأن تُنهى القتال خشية أن تدور عليهم الدائرة فيلقون ما لا يحبون.

ولعل أحداث غزوة أحد تعطينا أكثر من برهان على مدى ما كان يتمتع به المسلمون من معنويات كانت السلاح الأوفى والعامل الأمضى.

فعندما أخذ المسلمون يتشاورون في الخروج لمواجهة جيش قريش أو القعود انتظارًا لقدومهم، ثارت حمية الناس ورفضوا الأخذ بمبدأ الدفاع، وآثروا أن تكون المبادأة في أيديهم، وكبر على **إياس بن أوس** ﵁ أن يُحاصر المسلمون في مدينتهم فقال: «**لا أُحِبُّ أَنْ تَرْجِعَ قُرَيْشٌ إِلَى قَوْمِهَا فَيَقُولُونَ: حَصَرْنَا مُحَمَّدًا فِي صَيَاصِيِّ يَثْرِبَ وَآطَامِهَا! فَيَكُونُ هَذَا جُرْأَةً لِقُرَيْشٍ**»، وخشي كثيرون أن تتصور قريش أن بقاء المسلمين في المدينة دليل خوف أو ضعف أو عجز؛ ولهذا أصروا على الخروج، فهم قوم لا يوجد بينهم خائف أو ضعيف أو عاجز: «**إِنَّا نَخْشَى يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ يَظُنَّ عَدُوُّنَا أَنَّا كَرِهْنَا الْخُرُوجَ إِلَيْهِمْ جُبْنًا عَنْ لِقَائِهِمْ**»، وتمنى كثيرون الخروج أملًا في الجنة وسعيًا إليها وجهادًا من أجلها، وهذا هو ما أشار إليه النعمان بن مالك ﵁ حين سأل رسول الله ﷺ: «**لِمَ تَحْرِمْنَا الجَنَّةَ؟**»، وهذا هو ما دفع بخيثمة ﵁ أن يقول لرسول الله ﷺ: «**والله يَا رَسُولَ اللهِ أَصْبَحْتُ مُشْتَاقًا إِلَى مُرَافَقَتِهِ** (يقصد ابنه وقد نال الشهادة في بدر) **فِي الجَنَّةِ**»، ولا يمكن أبدًا أن تختفي من صفحات تاريخ موقعة أُحد، صورة هذا الفتى اليافع الجريء القوى في إيمانه المتحمس إلى القتال، سمرة بن جندب ﵁، الذي رأى الرسول ﷺ منعه من الخروج لصغر سنه، فبكى وأشاد بقوته وقدرته على المصارعة وظل يرجو ويلح في الرجاء حتى قَبِل الرسول ﷺ رجاءه وأذن له.

ثم هل يمكن للتاريخ الحربي أن ينكر هذه الصورة الرائعة لأسد الله حمزة بن عبد المطلب ﵁ الذي خاض المعركة كما يخوض الجمل الأورق الذي كان يُعرف بالقوة، يهد الناس بالسيف هدًّا ويجندل الأبطال ويقتل وحده عددًا من أعدائه فيصيب قريشًا في رجالها الذين كانوا منها موضع الأمل والرجاء.

وأبو دجانة ﵁ البطل الواثق من نفسه، القادر المعتز بقوته وشجاعته، الذي أخذ سيف رسول الله ﷺ ومؤكدًا أنه يأخذه بحقه، فيضرب به العدو حتى ينحني، لقد خاض المعركة فأبلى فيها أحسن البلاء، ودافع عن رسول الله ﷺ أحسن الدفع، وكان مثلًا رائعًا في البذل والتضحية والفداء.

وهذا المثل الحي للمؤمن الصادق أنس بن النضر ﷺ الذي يلقى المسلمين قعودًا قد ألقوا سلاحهم وغلب عليهم اليأس حين سمعوا بمقتل رسول الله ﷺ فيصيح فيهم: «**فَمَاذَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ؟ (قُومُوا) فَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ**»، ثم ظل يقاتل عدوه حتى قُتل، فوجدوا فيه بضعة وثمانين جرحًا ما بين ضربة سيف وطعنة رمح ورمية سهم، لقد قال قبل أن ينال الشهادة لسعد بن معاذ ﷺ: «**هَذِهِ الْجَنَّةُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، أَجِدُ رِيحَهَا**».

وعلي بن أبي طالب ﷺ الذي قيل فيه: إن الناس انهزموا عن رسول الله ﷺ إلا علي ﷺ، والذي ذكره جبريل ﷺ لبطولته وشجاعته: «**لا فتى إلا علي**»، لقد قال ﷺ: «**أصابني يوم أحد ست عشرة ضربة سقطت إلى الأرض في أربع منهن، فجاءني رجل حسن الوجه حسن اللحية طيب الريح فأقامني ثم قال: أَقبل عليهم فقاتِل في طاعة الله وطاعة رسول الله، فإنهما عنك راضيان**».

وحتى المرأة المسلمة لم تفتقدها المعركة، فقد خاضتها دون خوف أو رهبة، وها هي ذي **أم عمارة الأنصارية** ﷺ تستل سيفها، وتباشر القتال، وتذب عن رسول الله ﷺ بالسيف، وترمي بالقوس حتى خلصت إليها الجراح.

بهذه المعنويات انتصر المسلمون في أول اللقاء، وبها أيضًا سيطروا على أنفسهم حين أصابتهم المحنة، وواجهوا أحداثها بصبر وصمود تحطم عليه عزم قريش، فلم تجد بُدًّا من إنهاء المعركة والانسحاب من ميدانها.

ترى هل كانت قريش تملك مثل هذه المعنويات ؟: إن واقع الأحداث يجيب بالنفي، ودليل ذلك أن اللواء حمله عشرة من رجالهم فسقط كل منهم، ولم يجدوا في النهاية بطلًا يرفعه، حتى إنه حين تمت هجمة خالد على الجبل وعادت فلول قريش الهاربة مرة أخرى إلى المعركة لم يرفع اللواء سوى امرأة هي عمرة بنت علقمة.

لو أن قريشًا كانت تملك قليلًا من المعنويات لاستطاعت أن تصبر على القتال، وأن تنال نصرًا مؤكدًا، ولتمكنت من أن تسير إلى المدينة فتدخلها وتُغَيِّرَ بذلك مجرى التاريخ كله، ولكن كيف يتم لها ذلك وقومها لا يحركهم إلا غرور قاتل وزهو كاذب.

إن أبا سفيان تجهز بعد وصوله إلى الرَّوْحَاءَ بعد أن واجهه قومه وقالوا له: «**لا مُحَمَّدًا قَتَلْتُمْ، وَلا الكَوَاعِبِ** (جمع كاعب، وهي المرأة حين يبدو ثَديها للنُّهود) **أَرْدَفْتُمْ! بِئْسَ مَا صَنَعْتُمْ**»، وسار أبو سفيان إلى الروحاء حيث التقى بمعبد الخزاعي، فلما سمع منه خبر تجهيز الرسول ﷺ واستعداده، ملأه الرعب والخوف وآثر السلامة، وانصرف إلى مكة..

لقد خرج يستكمل نصرًا زعمه، فلما أدرك أن المسلمين على ما هم عليه من قوة، وأنهم قد خرجوا إليه، أدرك الحقيقة التي كان يجهلها، وهي أنه لا قِبل لهم بالمسلمين الذين ما زالوا يملكون زمام الموقف ومقومات القوة، وأن الكثرة العددية لا تفيد ولا تجدي أمام إيمانهم العميق وعقيدتهم الراسخة، والأساس القوي المتين لقدراتهم القتالية وإمكاناتهم المعنوية، التي تتمثل في قول رسول الله ﷺ لجابر بن عبد الله رضي الله عنهما وكان أبوه قد قُتل يوم أُحد: «**إِنَّ أَبَاكَ حَيْثُ أُصِيبَ بِأُحُدٍ أَحْيَاهُ اللهُ ﷻ ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا تُحِبُّ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو أَنْ أَفْعَلَ بِكَ؟ قَالَ: أَيْ رَبِّ أُحِبُّ أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا فَأُقَاتِلَ فِيكَ، فَأُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى**». [الترمذي في التفسير (٣٠١٠)، وابن ماجه في المقدمة (١٩٠)، وقال الشيخ الألباني: حسن].

[العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ لفرج ٢٥٣-٢٥٦].

٦ ـ أهمية الضربة الأولى في رعب الأعداء:

يقول أ/ باشميل: «كانت المدينة عند انسحاب الجيش المكي من مكان المعركة مفتوحة تمامًا؛ لأنها خالية من الجيش الإسلامي الذي لا زال في تلك الساعة في مكان المعركة، لم يكن بالمدينة سوى النساء والأطفال ومن لا قُدرة لهم على القتال من العجزة ساعة انسحاب المشركين.

فكانت الفرصة مواتية لأن يهاجم أبو سفيان بجيشه المنتصر المدينة لاحتلالها، ولأخذ بعض الغنائم منها واقتياد بعض الأسرى حيث فاته ذلك في معركة أُحد..

ولا شك أن أبا سفيان وقادة جيشه قد فكروا في اغتنام هذه الفرصة ومهاجمة المدينة فيها لاسيما وأنها كانت مكشوفة تمامًا وخالية من الجيش الإسلامي، ولكن الذي حدث خلاف ذلك، وهو أن جيش مكة قد سارع بالانسحاب من مكان المعركة صوب مكة رأسًا، دون أن يوانس في نفسه الشجاعة لاحتلال المدينة أو حتى مجرد التعرض لها مع أنها كانت على قيد خطوات منه، فما هو السر في جعل قيادة الجيش المكي تجبن عن مهاجمة المدينة وتقرر الانسحاب رأسًا إلى مكة، مع سنوح تلك الفرصة الذهبية لها؟

السبب الحقيقي: والحقيقة أن المشركين من الناحية الواقعية محقون كل الحق في عدم توريط جيشهم بالهجوم على المدينة، وأن القائد العام أبا سفيان لم يرتكب أي خطأ من الناحية العسكرية، ولم يجانب الصواب عندما صرف النظر عن مهاجمة المدينة، كما يتراءى للبعض من الوجهة العسكرية.

بل إن أبا سفيان بعمله هذا، قد أثبت بأنه من القادة العسكريين البعيدين عن السطحية، الذين لا يستجيبون لداعي الغرور، ولا تستفزهم نشوة الانتصارات العابرة، ومن القادة الذين يُقَدِّرون نتائج الأعمال قبل القدوم عليها.

فأبو سفيان عند انسحابه من منطقة أُحد يدرك تمامًا أنه لا يوجد في تلك اللحظة ما يَحُول بينه وبين مهاجمة المدينة أو حتى احتلالها؛ لأن جيشه في تلك اللحظة كان يفصل بين المدينة وبين جيشها الذي كان لا يزال في مكان المعركة بأُحد مشغولًا بدفن قتلاه وإسعاف جرحاه.

ولكن أبا سفيان مع إدراكه لهذه الحقيقة يعلم في قرارة نفسه كقائد مسؤول ما في مهاجمته المدينة من مغامرة قد تكون سببًا في إهلاك جيش مكة أو تضييع قيمة النصر الاسمي الذي حصل عليه في آخر المعركة بسبب عصيان الرماة لقائدهم.

ذلك أن قائد جيش مكة موقن تمامًا بأن النصر الذي سجله المشركون على المسلمين في الصفحة الأخيرة من المعركة، لم يكن نتيجة بسالة رجال الجيش المكي وصبرهم وثباتهم، وإنما كان نتيجة غلطة تعبوية جاءت من جانب خصومهم، غلطة لم يكن لهم ـ أي المشركون ـ أي يد في إحداثها، سببت هذه الغلطة الشنيعة ـ وهي غلطة الرماة ـ تخريبًا خطيرًا في الخطة الحكيمة الدقيقة التي أدار المسلمون بموجبها دفة القتال.

مما أدى إلى ذلك التحول المفاجئ المذهل في سير القتال الذي يسَّر للمشركين:

١ـ إيقاف سيل الهزيمة النازل بهم.

٢ـ التمكن من تكبيد المسلمين خسائر فادحة في الأرواح.

٣ ـ إضاعة النصر الحاسم الذي سجله المسلمون في الصفحة الأولى من المعركة.

٤ ـ جعل المشركين (ظاهريًّا) في موقف الغالب المنتصر.

فأبو سفيان يعلم أن شيئًا من هذه الأمور الأربعة ما كان ليحدث لولا الغلطة الشنيعة التي ارتكبتها فصيلة الرماة التي انسحبت من مواقعها في الجبل قبل الوقت المحدد.

فالذي منع أبا سفيان من مهاجمة المدينة في تلك اللحظة، وجعله لم يغتر بالنصر الذي حصل عليه جيشه في الساعات الأخيرة من المعركة، هو يقينه بأن عناصر تحقيق مثل هذا النصر لم تكن موجودة أصلًا في جيش مكة.

وذلك أن هذا النصر إنما جاء نتيجة غلطة ارتكبها بعض الجيش الإسلامي، ومثل هذه الغلطة غير مضمون تكرارها ليحصل الجيش المكي على مثلها إذا ما غامر بالهجوم على المدينة، ولا سيما أن حال هذا الجيش ليس بأحسن من حال جيش المدينة من ناحية الإنهاك والتعب.

إن شبح الهزيمة المرعبة التي أنزلها جيش المسلمين ـ على صغره ـ بجيش المشركين ـ على ضخامته ـ لا يزال ماثلًا أمام عين أبي سفيان القائد، وهو يعلم علم اليقين أن الرعب والخوف من المسلمين لا

يزالان يملآن قلوب جند المشركين بالرغم من النصر التعبوي المفاجئ غير المتوقع الذي أعطته لهم غلطة رماة المسلمين، بعد تلك الهزيمة التي أنزلها المسلمون بهم، والتي ما كانت تنتهي حتى مكة لولا غلطة الرماة غفر الله لهم.

ولهذا كان أبو سفيان على ما يشبه اليقين بأنه لو غامر بمهاجمة المدينة فإن نتيجة هذه المغامرة لن تكون إلا الهزيمة الساحقة؛ لأن الجيش المدني سيتصدى للمشركين وسيضربهم داخل المدينة ضربة قد تكون القاضية على سمعة قريش حتى النهاية.

إضافة إلى الخشية من أن ينضم المنافقون ـ جماعة عبد الله بن أُبي ـ بجانب الرسول ﷺ نادمين ويدافعون عن مدينتهم.

وكذلك اختلاف قادة المشركين فيما بينهم بصدد مهاجمة المدينة من عدمه.

وهكذا فإن أبا سفيان لم يصرف النظر عن مهاجمة المدينة فحسب بل انسحب بطريقة تشبه الفرار، حيث اجتاز بجيشه الضخم الثقيل أكثر من أربعين ميلًا في يوم واحد وكأنه خاف إن هو تباطأ في انسحابه، أو عسكر في مكان قريب من المدينة أن يجمع المسلمون هؤلاء أشتاتهم ويجبروه على خوض معركة قد يكون النصر فيها حليف هؤلاء المسلمين، الذين بالرغم من انتكاسهم في معركة أُحد قد أوجدوا في نفوس جند مكة عُقَدَ خوف مستعصية، للضراوة المفزعة التي لمسوها منهم في المرحلة الأولى من المعركة، عندما أبادوا فصيلة كاملة من حملة لواء المشركين، ثم أنزلوا بهم الهزيمة الساحقة وبطريقة مذهلة في أول القتال.

وفعلًا، فإن ما كان قد قدَّره أبو سفيان وخشي منه قد حدث، حيث تمكن المشركون من أسر كشافين من المسلمين الذين أفادوا بأن المسلمين في حالة تأهب للمطاردة، فبعد أقل من خمس عشرة ساعة من انتهاء القتال في معركة أُحد صدرت الأوامر النبوية إلى الجيش الإسلامي ـ الذي خاض المعركة خاصة ـ بأن يتحرك لمطاردة جيش مكة الغازي، كما ظهر ذلك عند حديثنا عن غزوة حمراء الأسد؛ ولذا فقد أمر أبو سفيان جنده بالتحرك فورًا إلى مكة». [**غزوة أُحد لباشميل** ١٨٢-١٨٦].

٧ ـ تفادي أسباب خسائر المسلمين وهزيمتهم في أُحد:

يقول ل/ خطاب: «إن أسباب خسائر المسلمين في معركة (أُحد) هي ما يلي:

أ ـ عدم المطاردة [١]: لم يقم المسلمون بالمطاردة في الصفحة الأولى من المعركة بعد انهزام المشركين بعيدًا عن معسكرهم، بل انشغلوا بالغنائم.

---

(١) **المطاردة**: تعبير عسكري يُقصد به تعقب القوات المعادية المنسحبة لإحداث الخسائر فيها ومحاولة قلب انسحابها إلى هزيمة.

ولو أنهم طاردوا قريشًا فورًا بعد هزيمتها؛ لقضوا على قواتها بسهولة، ومن بعد ذلك يعودون لجمع الغنائم.

ب ـ مخالفة الأوامر: تنفيذ الأوامر هو الضبط العسكري الذي يُعتبر روح الجندية والسبب المباشر المؤدي لكل انتصار في كل معركة، ومخالفة الرماة في ترك مواقعهم والإسراع لجمع الغنائم خطأ كبير وقع فيه المسلمون حينذاك، إذ كشف للعدو ظهورهم فاستفاد خالد بن الوليد من هذه الفرصة السانحة لتطويقهم من الخلف، مما أدى إلى الإطباق عليهم من كل الجهات.

ج ـ المباغتة: المباغتة مبدأ من أهم مبادئ الحرب، ومعناها ضرب العدو من مكان أو في زمان أو بأسلوب لا يتوقعه، بحيث يمكن تحطيم قوى العدو المادية والمعنوية.

وكان قيام خالد بن الوليد بالالتفاف وراء قوات المسلمين، في الوقت الذي انهزم فيه المشركون مباغتة تامة للمسلمين، فارتبكت صفوفهم بدرجة لم يفرقوا معها بين قوات عدوهم وبين قواتهم، كما تحطمت معنويات الكثير منهم وأصبحوا لا يعرفون ما يصنعون.

إن هذه المباغتة أتاحت الفرصة لقريش للقضاء على المسلمين وإبادة قواتهم، ولكنهم لم يستطيعوا الاستفادة من موقفهم المتميز هذا، فضيَّعوا هذه الفرصة السانحة لجعل معركة (أُحد) حاسمة في نتائجها». [**الرسول القائد ﷺ لخطاب ١٨٨-١٨٩**].

وتحت عنوان «أسباب الهزيمة في أُحد» يقول ل/ فرج: «بدأت معركة أحد وقَتل أبطالُ الإسلام حَمَلة لواء قريش في مرحلة القتال الأولى، ثم بدأت مرحلة الاشتباك الفعلي ونجحت قوات المسلمين في هزيمة المشركين، وفجأة تبدل الأمر، واختلت موازين المعركة، وقد أدى إلى هذا الموقف:

ـ ترك الرماة الذين وضعهم رسول الله ﷺ فوق الجبل أماكنهم.

ـ أدرك خالد بن الوليد ـ وهو قائد فرسان المشركين ـ أهمية الجبل فظلت عينه عليه، حتى وهو ينسحب من المعركة، فلما رأى رماة المسلمين يتركون مواضعهم، قام بحركة التفاف سريعة وهاجمهم من الخلف.

ـ شَغل المسلمون أنفسهم بالغنائم، وتناسوا للحظات أن القتال في سبيل الله وليس في سبيل الحصول على مطمع أو مغنم، وكانت هذه اللحظات هي بداية ما تعرضوا له من محنة قاسية.

ـ لم يستغل المسلمون فرار قريش بعد أول لقاء لمصلحتهم، فقد كان من الواجب مطاردتهم أملًا في زيادة خسائرهم، واطمئنانًا إلى أنهم بعدوا عن الميدان بُعدًا يضمن عدم عودتهم أو قيامهم بهجوم مضاد مفاجئ كهذا الذي حدث.

لقد كانت كل أسباب النجاح متوافرة للمسلمين، وكان في الإمكان إنهاء المعركة في صالحهم بعد أن هرب المشركون وولوا الأدبار، ولكن عاملًا واحدًا لم يخطر ببال أحد دخل المعركة فأفسد كل نجاح أحرزه المسلمون، هذا العامل هو عامل الطاعة، أعني طاعة الجند لأوامر القائد، وضرورة تنفيذ هذه الأوامر بالصورة التي يريدها القائد، لا التي يريدها الجند، وإذا كانت الطاعة واجبة في مجالات الحياة كلها، وعلى مختلف مستوياتها، فإنها في ميدان الحرب دستور ملزم ومقدس، والإخلال به إخلال بكل مقومات المعركة، ذلك أن القائد هو وحده المسؤول عن سير العمليات وعن إصدار الأوامر وعن مراقبة تنفيذها؛ ولهذا استقر الأمر على أن تكون طاعة القائد في المعركة طاعة عمياء.

ورسول الله ﷺ حين حدد الرماة وعين لهم قائدًا مباشرًا مسؤولًا عن قيادتهم وعن تنفيذ الواجب المسند إليهم، أوضح لهم مهمتهم وأكد عليها تأكيدًا واضحًا وصريحًا، قال لهم: «**احْمُوا لَنَا ظُهُورَنَا، لا يَأْتُونَا مِنْ خَلفِنَا، وَارْشُقُوا خَيْلَهُمْ بِالنَّبْلِ، فَإِنَّ الخَيْلَ لا تُقْدِمُ عَلَى النَّبْلِ، إِنَّا لَا نَزَالُ غَالِبِينَ مَا ثَبَتُّمْ فِي مَكَانِكُمْ**».

وجاء في رواية أخرى أنه قال تأكيدًا وتوضيحًا لمهمتهم حتى لا يكون لدى أحد منهم غموض أو لبس: «**إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا القَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ**».

أوامر الرسول ﷺ إليهم توضح أن الحكمة من بقائهم في موقعهم هو سد الطريق على قوات قريش، فلا تقوم بهجوم من الخلف، وتحدد لهم مهمتهم في حالة الهجوم عليهم وهي رشق الفرسان بالنبل فيصدونها لأنها لا تقدم على النبل، ثم تؤكد لهم ألا ينصرفوا من مواقعهم إلا بتعليمات صادرة من القائد المسؤول عن العملية، وهو رسول الله ﷺ شخصيًّا، ليس لهم أن ينصرفوا في حالة انتصار المسلمين أو في حالة انهزامهم إلا بإذن من رسول الله ﷺ.. تعليمات واضحة صريحة، ولكنها لم تُوضع موضع التنفيذ... لماذا؟ لأنهم طمعوا في الغنيمة، فلم يستمعوا لأوامر رسول الله ﷺ، ولم يستجيبوا لدعوة قائدهم عبد الله رضي الله عنه بالبقاء في موقعهم.

كانت هذه الغزوة امتحانًا لإيمانهم، فثبت أنهم ليسوا على مرتبة من الإيمان تجعلهم ينظرون إلى الدنيا نظرة عابرة ويرون في الآخرة الحياة الأبقى والأعز؛ لهذا دفعهم طمعهم إلى الخروج عن مهمتهم، فنشأ عن مطمع دنيوي حقير موقف عصيب، كاد يهدد الدعوة الإسلامية، لولا فضل من الله، ولم يكن التقصير من جانب الرماة فقط، بل امتد إلى هؤلاء الذين كان لهم فضل كسب الجولة الأولى، فهؤلاء ما أن رأوا المشركين يفرون حتى اتجهوا إلى جمع الأسلاب والغنائم، وما كانت هذه أو تلك هدفًا من أهداف المعركة، فقد صرفتهم عن استكمال أسباب النصر، إذ أنه كان من الواجب استغلال فرار المشركين،

ووجود حالة ذعر في صفوفهم، للقيام بعملية مطاردة، فإن كل عملية هجوم ناجح تستتبع عملية مطاردة للقضاء على العدو، ولقد أخطأ المسلمون في عدم مطاردتهم المشركين والتفاتهم إلى جمع الغنائم.

واستغل خالد بن الوليد ـ وهو القائد الداهية ـ خلو الجبل، وكان يرى فيه مفتاح الموقف، فدار بفرسانه ثم هاجمه واحتله، وأصبحت قواته مسيطرة على مسرح العمليات، وعادت القوات الفارة تباشر من جديد هجومًا مضادًّا ضد المسلمين.

إذن الخطأ هنا بدأ أساسًا بعدم إطاعة الأوامر وهو خطأ عسكري لا يُغتفر».

[**العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ لفرج ٢٦١-٢٦٣**].

وتحت عنوان «**أسباب الهزة المؤقتة في أُحد**» يقول أ/ كولن: «يجب الاعتراف بأن شروخًا حصلت في الفترة بين لَوْحَتَيْ النصر في أُحد، ونستطيع ذكر أسبابها:

السبب الأول: فضَّل الرسول ﷺ منذ بداية الأمر البقاء في المدينة وتطبيق خطة دفاعية، ولكن حماسة الصحابة منعتهم من إدراك السر الدقيق في إطاعة هذا الأمر، بينما كان المفروض عليهم الطاعة لأوامر الرسول ﷺ.

ويمكن ذكر الشيء نفسه بالنسبة للرماة في أثناء المعركة، وهذه المعارضة لأوامره ﷺ ـ وإن كانت مؤقتة ـ كوَّنت هذه الهزة.

السبب الثاني: دخل هؤلاء الناس في تناقض مع عالمهم الداخلي ومع فطرتهم، فالميل إلى الدنيا لم يكن من شيمتهم، وقد أثبتوا هذا عندما تركوا كل ما يملكون في مكة وهاجروا إلى المدينة، ولما كان الانشغال بالغنيمة وبأموال الدنيا في تلك الساعة التي كانوا في أقرب موقع للآخرة يُعد غفلة بالنسبة للمقربين، فإن الله تعالى أراد أن يعاقب هؤلاء المقربين ـ بل أقرب المقربين ـ عقابًا بدنيًّا، وكان هذا عقابًا خاصًّا لأناس وصلوا إلى مستوى الصحابة، أجل، فما يمكن أن يُعد حسنة وثوابًا بالنسبة لأمثالنا يُعد ذنبًا بالنسبة إليهم، وذلك على قاعدة: «**حسنات الأبرار سيئات المقربين**».

السبب الثالث: ويمكن أن نعد وجود عبقرية عسكرية كخالد بن الوليد في الصف المقابِل من أهم أسباب تلك الهزة، فالله تعالى حافظ على صفة الانتصار الدائم لخالد بن الوليد، الذي قَدَّم فيما بعد خدمات جليلة للإسلام، وهذا كان يعني مكافأة عاجلة لحسناته الآجلة؛ ذلك لأن الشجاعة والإقدام الذي كان ينفثه هذا العنوان أو هذه الصفة ـ عنوان سيف الله أو صفة الانتصار الدائم ـ سينقض فيما بعد على رؤوس الروم والفرس انقضاض المطرقة، فلو هُزم خالد في هذه المعركة، لكان من الممكن ألا يستطيع خدمة الإسلام بتلك الروح العالية. [**اللمعات لبديع الزمان سعيد النورسي (اللمعة السابعة) ص٤١**].

السبب الرابع: كانت هناك دعوات حارة وملتهبة من قِبل الذين لم يستطيعوا الاشتراك في معركة بدر، كانوا يدعون الله على الدوام أن يمنحهم الشهادة، وقد قَبِل الله تعالى هذه الأدعية واستجاب لها، ومنحهم هذا الوسام الرفيع.

ففي أثناء الهزة التي حدثت في أُحد عندما شاهد أنس بن النضر ﷺ الذين هزتهم شائعة وفاة الرسول ﷺ واضطرابهم قال: «**يَا قَوْمِ، إنْ كَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ قُتِلَ فَإِنَّ رَبَّ مُحَمَّدٍ ﷺ لَمْ يُقْتَل، فَقَاتِلُوا عَلَى مَا قَاتَلَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا يَقُولُ هَؤُلاء، وأَبْرَأُ إِلَيْك مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلاءِ**»، ثم شد بسيفه فقاتل حتى قُتل؛ لأنه كان يستعجل لقاء الرسول ﷺ الذي ظن أنه استشهد.

[السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٨٨، البداية والنهاية لابن كثير ٤/ ٣٥، ٣٦، البخاري، الجهاد، ١٢].

أجل لقد استجيبت أدعية جميع من طلب الشهادة تقريبًا، ثم من طلب الشهادة بحق وحُرم منها؟ إذ بعد عصور عديدة دعا **السلطان مراد الأول** ربه قبيل معركة «كوسوفو»: «**اللهم اجعل أمة محمد عزيزة الجانب، واجعلني شهيدًا**»، واستجاب الله لدعائه، إذ حصل المسلمون على نصر ساحق حيث استشهد السلطان وهو يجول بين القتلى في ساحة المعركة بعد انتهائها بخنجر الصِّربي «ميلوش» [1]، أي تحقق الشق الثاني من دعاء ذلك الإنسان العظيم، فاستشهد وذهب إلى رحمة ربه، فالله تعالى يتقبل هذه الأدعية الصادرة من أعماق القلوب؛ لذا استجاب الله تعالى في موقعة أُحد لكل هذه الأدعية المتكررة من قِبل الصحابة بالاستشهاد، وظهر من استشهاد كل هذا الجمع منهم وكأنه انكسار لجيش المسلمين.

السبب الخامس: كانت معركة أُحد معركة بين صحابة الحاضر وصحابة المستقبل، أي كانت معركة بين رجال أسلموا وأصبحوا صحابة الرسول ﷺ وبين رجال سيصبحون في المستقبل من الصحابة، وسيلعبون أدوارًا مهمة في الفتوحات الإسلامية في المستقبل، من أمثال خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة وابن هشام؛ فلكي يتحول هؤلاء الذين ما كانت فطرتهم وطبيعتهم تتحمل الهزيمة إلى الإسلام دون أن تُجرح كرامتهم كان لا بد من وقوع انكسار مؤقت في معركة أُحد.

السبب السادس: كان هنالك درس في التوحيد في الهزة التي حدثت في أُحد، فالانتصار في معركة بدر كان من الممكن أن يزيد من حصة الأسباب الظاهرية لدى بعضهم، صحيح أن الإحساس بالفخر والعزة أمام الأعداء إحساس بريء، ولكن مثل هذا الإحساس وإن خطر ببالهم لحظة واحدة يُعد بالنسبة للمقربين من أمثالهم سيئة كما قلنا هذا سابقًا، فالهزيمة أو النصر مرتبطان بمشيئة الله تعالى، وهو

(١) كان «ميلوش» أميرًا صربيًّا وجُرح في المعركة جُرحًا خفيفًا، وقال: إنه يريد مقابلة السلطان لكي يعلن إسلامه أمامه، وكان يخفي في ملابسه خنجرًا أغمده في صدر السلطان عندما اقترب منه.

الذي أهدى لهم النصر في بدر، فإذا قام بعضهم بإسناد النصر إلى أنفسهم دون الالتفات إلى قضاء الله ومشيئته عُدَّ ذلك شركًا خفيًّا، بينما كان هؤلاء بعيدين عن أخف شرك فراسخ عديدة، ومع أن الجميع كانوا مؤمنين بهذا ويتقبلونه على المستوى الفكري، إلا أن الله تعالى أحب أن يصل بالصحابة في هذا الموضوع إلى مستوى حق اليقين، فأحدث هزة عنيفة في صفوف المسلمين وهم في أوج النصر في معركة أُحد، وجعلهم في موقف المغلوبين، ثم أهدى لهم النصر في وقت لم يكونوا يتوقعونه أبدًا، مذكِّرًا إياهم بأن المشيئة والحكم له وحده: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾ [آل عمران].

لقد ظهرت لهم معاني هذه الآيات بأجلى شكلها أمامهم في أُحد، إذ عاش المسلمون هذه المعاني عمليًّا، ورأوا مشيئة الله وإرادته وهي تُطَبَّق أمام أعينهم، صحيح أنه قد جرى وحصل لهم بعض الأضرار البسيطة ظاهريًّا، إلا أن ما تم اكتسابه في ذلك اليوم من زاوية الإيمان، ومن زاوية نور التوحيد الذي يضم في ثناياه سر الأحدية، ما تم اكتسابه في هذا الموضوع خفف وأزال تلك الأضرار الظاهرية.

لا يُنكر أحد أن للسيف حقه، وللتعبئة الصحيحة حقها، وأنها من الأسباب المؤدية إلى النصر، إلا أن الأساس هو إرادة الله ومشيئته؛ ذلك لأنه هو وحده القادر على كل شيء.

أجل، فكأن الله تعالى كان يريد أن يقول للمؤمنين في أثناء تلك الهزة المؤقتة: لن تستطيعوا الوصول إلى شيء إن لم تأخذوا في حسبانكم قدرة الله تعالى وقوته، فها أنتم ترون أنه من الممكن أن ينقلب النصر إلى هزيمة، إذًا فكما أن قطف النصر محال إن لم يشأ الله تعالى ذلك، كذلك لا يمكن الخلاص من الهزيمة إلا بمشيئته.

كل مؤمن يحتاج إلى أخذ مثل هذا الدرس العملي في التوحيد، ومن المحتمل أن الصحابة أصبحوا لنا ممثلين لمثل هذا الدرس الكبير، ثم إن مثل هذا العقاب المؤقت الذي أُعطي للمؤمنين جزاء مخالفتهم للرسول ﷺ، قد نبه المؤمنين وجعلهم أكثر حذرًا وحساسية عند طرحهم لآرائهم في حضرة الرسول ﷺ، ومثل هذا الأدب الرفيع الذي اكتسبه المؤمنون لم يكن ربحًا وكسبًا بسيطًا أو هينًا: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠﴾[آل عمران].

ولكن الأيام التي داولها الله تعالى كانت في الأغلب في مصلحة المؤمنين، وستكون كذلك في المستقبل؛ لأن القرآن الكريم يقول: ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨﴾ [الأعراف]، أي أن القرآن الكريم يبشرنا ونحن نعيش هذه الفوضى الشاملة بمستقبل مُشرق، وقد حدث هذا في أُحد أيضًا، ولكن النتيجة والعاقبة كانت نصرًا للمؤمنين.

أجل، لقد كانت هناك هزة في أُحد، هزة كانت لها حِكمها العديدة، ولم تكن هزيمة على الإطلاق، كلا فقد كانت معركة أُحد معركة انتصار وذات جوانب عديدة». [النور الخالد محمد ﷺ لكولن ٢/ ٨٧-٨٩].

٨ ـ الإستراتيجية المتغيرة في القتال:

يقول أ/ كولن: «سأحاول عرض الموقف في بدر وفي أُحد الذي كانت بدايته ونهايته نصرًا، وكان وسطه هزة، وذلك بشكل موجز.

استعمل الرسول ﷺ تكتيكًا في بدر، وتكتيكًا آخر في أُحد، وآخر في معركة الخندق، وفي كل معركة خاضها كان له فيها تكتيك خاص، وهذا الأمر كان يقلب توقعات الأعداء ويجعلهم في حيرة من أمرهم، كما أدى هذا إلى تقليل خسائر المسلمين، فمجموع عدد الشهداء المسلمين في المعارك التي خاضها الرسول ﷺ كان مائة ونيفًا فقط.

لقد كان ﷺ زعيمًا لا مثيل له، عاش المسلمون في عهده في عهد سعادة حقيقية لا يمكن أن تتكرر.

تصوروا أنه أعلن الحرب على الجميع بدءًا من عمه إلى العرب وإلى العجم، وأنه على الرغم من قيامه بكل تلك الحروب، وبإنجاز كل تلك الأعمال المهمة فإنه لم يعط إلا خسارة ضئيلة جدًّا.

أجل، لقد استعمل تكتيكًا آخر غير الذي استعمله في بدر، فقد اختار في أُحد فدائيين معينين أعطى لهم مهمات خاصة، وعيَّن موضعًا خاصًّا للرماة ليمنع هجوم العدو من الوراء، ونظَّم بنفسه وبيده الكريمة الصفوف، وأثار فيهم الحماسة وشعور المنافسة، أي تَصَرَّفَ تصرفًا أثار به شعور الغبطة في نفوس الصحابة نحو بعضهم، فمثلًا أعطى أبا دجانة ﷺ سيفًا ليستعمله بحقه، وعندما بدأ أبو دجانة ﷺ يتبختر بين الصفين بعد أن اعتصب بعصابته الحمراء قال الرسول ﷺ: «**إِنَّهَا لَمِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ**». [السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٧١، البداية والنهاية لابن كثير ٤/ ١٧-١٨].

وانطلاقًا من هذا قال بعض الفقهاء: إن من المستحب أن يربي الجنودُ المقاتلون شواربهم؛ لكي يكونوا أشد رهبة في قلوب الأعداء، وقالوا: إنه كلما أظهر الجنود عدم اكتراثهم بالموت في جبهة القتال، وكلما تفاخروا بذلك أو تبختروا كلما كان ذلك أفضل.

لم يستعمل الرسول ﷺ هذا التكتيك في بدر، ولكنه استعمله في أُحد، ودفع الصحابة للمنافسة والتسابق، كان الجميع يتمنون أن يعطي الرسول ﷺ لهم ذلك السيف الذي أمسكه بيده، ولكنه أعطى هذا السيف إلى أبي دجانة ﷺ، وهذا جعل الفدائيين الآخرين يستقتلون في الحرب، وأصبح كل منهم مثل أبي دجانة ﷺ.

والشيء الآخر الذي طبقه ﷺ في أُحد ولم يطبقه في بدر هو وجود النساء في أُحد، وقد ذكَرنا البطولة التي أبدتها الصحابية نسيبة ﵂، ولا نعرف على وجه اليقين عما إذا كانت فاطمة ﵂ قد

اشتركت في القتال، ولكننا نعلم من المصادر التاريخية الموثوقة أنها قامت بمسح الدماء عن وجه أبيها، وعندما رأت أن مسح وجهه بالماء يزيد من تدفق الدم أخذت قطعة من حصير فأحرقتها ووضعتها على الجرح فاستمسك الدم. [البخاري في الوضوء (٧٢)، وفي الجهاد (٨٠)].

إذن فقد أحضر الرسول ﷺ بعض النساء إلى أُحد لمساعدة الجرحى ولرفع الروح المعنوية عندهم». [النور الخالد محمد ﷺ لكولن ٢/ ٨٤-٨٦].

٩ ـ دروس عسكرية من غزوة أُحُد:

يقول ل/ خطاب:

(١) **الحصول على المعلومات:** حصل المسلمون على المعلومات الكافية عن نيات قريش وقوتها وحركتها من رسالة العباس عم النبي ﷺ قبل وقت مناسب من حركة قوات قريش باتجاه المدينة لغزو المسلمين.

كما أرسل المسلمون دوريات استطلاعية قبل معركة (أُحد)، فعرفوا مواضع قوات قريش، وأرسلوا دوريات بعد المعركة، لمعرفة اتجاه حركة عودة المشركين.

لقد كان عمل المسلمين في الحصول على المعلومات مفيدًا في منع المشركين من مباغتتهم في المدينة.

(٢) **القيادة:** كان لقريش في معركة (أُحد) قائد عام هو أبو سفيان بن حرب، ولم تظهر أية حِنْكَة لهذا القائد في المعركة، كما كانت سيطرته ضعيفة على ما يظهر بدرجة أن نساء المشركين مثَّلوا بشهداء المسلمين دون رغبته، فلم يستطع أن يفعل شيئًا.

ولو كانت قيادة أبي سفيان على شيء من الكفاية لاستطاع الإيقاع بالمسلمين بعد تطويقهم التام.

أما قيادة النبي ﷺ، فقد ظهرت بشكل ظاهر في هذه المعركة.

انتخب الموضع المناسب للمعركة، وأجبر قريشًا على قبول المعركة فيه، ونظَّم خُطَّةَ القتال، فانتخب مواضع الرماة لحماية ظهور المسلمين، وخصَّص لهذه المواضع قوة كافية للدفاع عنها بإمرة قائد مسؤول.

إنَّ كل ذلك على أهميته لا يعتبر شيئًا بالنسبة إلى ظهور عبقرية قيادته ﷺ في أثناء القتال خلال الصفحة الثانية من معركة (أُحد) حين طوَّق المشركون المتفوقون بالعدد إلى خمسة أمثال المسلمين، قوةَ المسلمين القليلة، بعد أن انهارت معنويات الكثيرين منهم لما سمعوا خبر مقتل الرسول ﷺ في المعركة، فلجأوا إلى الهضاب بعيدًا عن ساحة المعركة، وبقي مع الرسول ﷺ شرذمة قليلة من المسلمين يقاومون وحدهم زخم هجوم قريش في أوج قوته وعنفوانه وفي قمة انتصار قريش.

لقد استطاع الرسول ﷺ بهذا الموقف الصعب للغاية بالنسبة للمسلمين الموفق للغاية بالنسبة للمشركين، أن يسيطر على الموقف في معركة يائسة جدًّا، ويقود الباقين من المسلمين لشق طريقهم من

بين القوات المعادية المتفوقة المحيطة بهم، ثم يحتل موضعًا مشرِفًا، ويقوم بإعادة تنظيم قواته الباقية ويعيد إليها معنوياتها وبأسها وقوتها، ويصد بها هجمات مضادة شديدة للمشركين، فيحيل الهزيمة المتوقعة إلى نصر؛ لأنه اضطر قريشًا إلى اليأس من القضاء على المسلمين بعد أن كان فناء المسلمين أمرًا (حتميًّا)، ثم اضطرهم إلى الانسحاب من المعركة بعد اليأس من إبادة المسلمين.

ولم يكتف بذلك بل خرج في اليوم الثاني من المعركة، لمطاردة قوات المشركين، حتى اضطرهم إلى استعمال الحيلة بإرسال المعلومات الكاذبة للمسلمين عن اعتزامهم إعادة الكرَّة على قوات الرسول ﷺ، فلم يكترث بهذا التهديد وإنما أعدَّ العُدَّة وقرَّر لقاء المشركين مهما تكن الظروف والأحوال.

هذه قيادة عبقرية، ظهرت للرسول ﷺ بهذه المعركة بشكل واضح كل الوضوح، كان من بعض نتائجها أنها جعلت النصر إلى جانب المسلمين المغلوبين.

وأشهد أنني لم أقرأ في تاريخ الحرب لكل الأمم، موقفًا صعبًا بائسًا كالذي كان فيه المسلمون يوم (أُحد)، فاستطاع الرسول القائد ﷺ، بقيادته الفذة أن يتخلص من هذا الموقف العصيب، وينقذ قواته من فناء أكيد، ثم يعيد إليها ثقتها بنفسها ويعيد إليها قوتها المادية والمعنوية بشكل لم يسبق له نظير، وخلال فترة زمنية محدودة جدًّا.

إن بروز قيادة النبي ﷺ في معركة (أُحد) كان باهرًا فذًّا.

(٣) القضايا التعبوية:

(أ) **مخالفة الأوامر:** أخطأ رماة المسلمين في مخالفتهم أوامر النبي ﷺ وانسحابهم من مواضعهم الأصلية لجمع الغنائم؛ ولولا انسحابهم لما استطاع خالد بن الوليد ضرب مؤخرتهم، ولما استطاعت قريش تطويق المسلمين.

إن مخالفة الأوامر في (أُحد)، درس في نتائج كل مخالفة عسكرية للأوامر في الحرب، وإن نتائجها المعروفة كافية لغرس هذا الدرس في النفوس لكي لا يعود أحد لمثلها أبدًا.

(ب) **عدم المطاردة:** بعد كل هجوم ناجح لا بد من أن يتوج بمطاردة عنيفة للقضاء على العدو.

وقد أخطأ المسلمون في عدم مطاردتهم للمشركين بعد فرار المشركين من مواضعهم وابتعادهم من معسكرهم والتفاف المسلمين حول نساء المشركين ومواشيهم وإبلهم في الصفحة الأولى من يوم (أُحد)، ولو طارد المسلمون قوات المشركين إلى مسافة عشرة أميال على الأقل لأوقعوا بالمشركين خسائر فادحة، ولانتهت معركة (أُحد) بنتائج في مصلحة المسلمين.

(ج) **أسلوب القتال:** لقد جرى القتال بين الطرفين بأسلوب (الصفوف)، وبذلك استطاعت قريش أن تسيطر على المعركة بشكل أفضل من سيطرتها على المعركة التي تجري بأسلوب الكرِّ والفرِّ.

(٤) القضايا الإدارية:

(أ) **الإدامة** [١] **والنقلية**: كان المشركون متفوقين على المسلمين بإدامة قواتهم وإعاشتها وتسليحها وفي نقليتها فواقًا محسوسًا على المسلمين، مما كان له أثر طيِّب على سير القتال لصالح المشركين.

(ب) **الدفن**: دفن المشركون قتلاهم وتركوا قتلى المسلمين، ولم يكتفوا بذلك بل مثَّلُوا بهم أشنع تمثيل، فقد انطلقت هند بنت عُتبة والنسوة اللائي معها يمثلن بالشهداء: يجدعن الآذان والأنوف...إلخ».

[الرسول القائد ﷺ لخطاب ١٨٩-١٩٢].

١٠ ـ اتخاذ القرار الحاسم والإصرار على بلوغ الهدف النهائي:

يقول ع. ر/ كاخيا: «إن اتخاذ القرار الحاسم في الخروج لملاقاة العدو خارج المدينة المنورة من قِبل الرسول الأعظم ﷺ كان بعد عملية الشورى التي أجراها مع أصحابه حول الموقف القتالي الصعب وتحشد المشركين على مشارف المدينة بجيش ضخم ومتفوق بالعدد والعُدة؛ لذا حرص النبي ﷺ على تنفيذ القرار الجريء وأصر على تنفيذه مع أن الذين أشاروا عليه بالخروج ظنوا أن الرسول الكريم ﷺ قد استُكره على الخروج؛ لذلك عرضوا عليه أن يرجع عن قراره بعد أن لبس لأمة الحرب، فرفض ذلك وقال ﷺ: «**مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ**».

[الغزوات النبوية لكاخيا ٤٤].

١١ ـ انتهاج الأسلوب الهجومي لتدمير القوى المعادية:

«رجَّح النبي ﷺ كفة الهجوم على الدفاع حين خرج إلى أُحد لملاقاة العدو المتحشد، مع أنه كان يميل في بادئ الأمر ـ وقبل اتخاذ قرار المسير ـ أن يقاتل العدو في أزقة المدينة ومن فوق سطوحها، ومع قلة عدد جيش المسلمين وانسلاخ المنافقين عنه قُبيل نشوب المعركة، فقد فضَّل ﷺ الأعمال الهجومية النشيطة بدلًا من اللجوء إلى الدفاع الثابت، حيث يعتبر الطابع الهجومي للأعمال القتالية أحد العوامل الكفيلة بسحق العدو وتدميره، وهذا ما تحقق له في المرحلة الأولى من معركة أُحد، وعند مطاردة العدو المنسحب في غزوة (حمراء الأسد) التي أعقبت معركة أُحد رغم ما أصاب المسلمين من جراح وتعب شديدين». [**الغزوات النبوية لكاخيا ٤٥**].

١٢ ـ استخدام الحجم الأكبر من القوى والوسائط المتوفرة في اللحظة الحاسمة وعلى الاتجاه الحاسم أيضًا:

«حيث ركَّز الرسول الأعظم ﷺ في بدء يوم أُحد، قواه الرئيسة من الفرسان والشجعان كأبي دجانة وحمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير رضي الله عنهم في الهجوم على وسط الترتيب القتالي لجيش قريش

---

(١) **الإدامة**: اصطلاح عسكري، معناه: تزويد القوات بكل ما تحتاج إليه من القضايا الإدارية تسليحًا وتجهيزًا وإعاشة ونقلية و... إلخ.

المتفوق بهدف تدمير وإبادة حَمَلَة راية المشركين وتشتيت شملهم، وقد أدى نجاح الضربة الرئيسة للمسلمين في أول النهار إلى انهزام المشركين ووصول فرسان المسلمين وأبطالهم الأشاوس حتى مصاف النساء في مؤخرة جيش الشرك وفرارهن إلى الجبل مخذولات مشمرات الأذيال».

[الغزوات النبوية لكاخيا ٤٥].

١٣ ـ تأمين الأعمال القتالية بواسطة الرماة:

«لقد كانت أوامر الرسول القائد ﷺ لقائد رماة المسلمين (عبد الله بن جبير رضي الله عنه) واضحة وصريحة ودقيقة، أن يلزم الرماة مصافهم وأمكنة تمركزهم مهما كانت نتيجة المعركة من أجل تقديم الدعم برمي النبل الكثيف ومساعدة قوات المسلمين بالتقدم في عمق الترتيب القتالي المعادي، بالإضافة إلى حماية مؤخرة المسلمين من المباغتة، ووصول خيالة المشركين إليها، فكان عنصر الرماة كقاعدة نيران في العُرف المعاصر، وحماية جوانب ومؤخرة المسلمين وما يُطلق عليه في فن الحرب المعاصر: التأمين القتالي للأعمال القتالية كحماية الجنب والمؤخرة، وبقائهم كاحتياط عام بيد القائد.

وحين عصى الرماة أوامر قائدهم، كانت النتيجة كما توقعها الرسول القائد ﷺ لغير صالح المسلمين».

[الغزوات النبوية لكاخيا ٤٥].

١٤ ـ وحدة القيادة واستمرارها:

«المقصود بوحدة القيادة توجيه جهود كافة القوات عن طريق تنسيق أعمالها بهدف تنفيذ المهمة النهائية للقتال، وقد كان ذلك محققًا بشخصية الرسول الأعظم ﷺ سواء في مرحلة الهجوم الذي شنه جيش المسلمين في صبيحة يوم أُحد، أو عند صد الهجوم المعاكس الذي شنته قوات الفرسان القرشية بقيادة خالد بن الوليد، ورغم الموقف القتالي الصعب والمعقد الذي عانته قوات المسلمين خلال المرحلة الأخيرة، فقد تمكنت من الخروج من التطويق وإعادة تنظيم نفسها، وقد خفف ذلك من الخسائر والأضرار المتوقعة». [الغزوات النبوية لكاخيا ٤٦].

١٥ ـ طاعة المرؤوسين ومحبتهم للقائد الرسول ﷺ وتفانيهم في الدفاع عنه:

«كان ذلك واضحًا وجليًّا عندما حاول المشركون الوصول إلى الرسول الكريم ﷺ وقَتْله وبث الذعر والإشاعة المغرضة الكاذبة في صفوف المسلمين بأن الرسول الكريم ﷺ قد قُتل أو مات، فظهرت بطولات خارقة وتضحيات لا مثيل لها في تاريخ فن الحرب عند العرب وغيرهم، فلقد مات دونه ﷺ عشرة من الأنصار رضي الله عنهم، وتَرَّس عليه أبو دجانة رضي الله عنه ودافع عنه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، وأم عمارة بنت كعب المازنية رضي الله عنها، وتحلَّق حوله كرام الصحابة وأكابرهم كأبي بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم دفاعًا عن رسول الله ﷺ، واستشهد دونه أنس بن النضر ومصعب بن عمير رضوان الله عليهم أجمعين، فراحوا يقدمون أرواحهم رخيصة دون رسول الله ﷺ حتى قُتل معظمهم». [الغزوات النبوية لكاخيا ٤٧].

١٦ ـ مطاردة المسلمين للعدو المنسحب رغم ما حل بهم من الجراحات والتعب:

«وكان ذلك في فجر يوم الأحد وهو اليوم التالي لمعركة أُحد ووصولهم حتى (حمراء الأسد) على بُعد ثمانية أميال من المدينة المنورة، ومكوثهم فيها متأهبين يقظين مدة أربعة أيام». [**الغزوات النبوية لكاخيا ٤٧**].

١٧ ـ تعلَّم المسلمون من أخطائهم في أُحد دروسًا أخرى:

(أ) إطاعة القائد واجبة مهما كانت الظروف والأحوال في القتال ومهما تعقد الموقف القتالي أو تغير مساره، فلقد عادت خطيئة رماة المسلمين وانسياقهم وراء الغنائم ومخالفتهم لأوامر رسول الله ﷺ عادت بالوبال على المسلمين جميعًا بحيث لم ينج حتى رسول الله ﷺ من نتائجها ـ كما رأينا ـ وتلك سنة الله في الكون لم يمنعها من الاستمرار أن رسول الله ﷺ موجود في ذلك الجيش وأنه أحب الخلق إلى ربه جل جلاله.

(ب) وجوب إتمام المهمة القتالية المسندة، وعدم الالتهاء بأمور غير قتالية كجمع الغنائم والأسلاب، أو الوقوف مشلولي الإرادة والتفكير في حال استشهاد القائد، والقاعدة القتالية تقول: (اقصد هدفك) فقط ولا تَتَلَهَّ عنه بأمور أو مشكلات طارئة لا تخدم التنفيذ العام للمهمة القتالية أو الواجب العملياتي النهائي.

(ج) عدم قبول الشائعات المغرضة والأقاويل الهدَّامة التي يبثها العدو، كالمقولة التي زعمها المشركون يوم أُحد بأن الرسول الكريم ﷺ قد مات، وقد أجاب القرآن الكريم على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[آل عمران].

(د) تجديد القدرة القتالية في حال وقوع خسائر جسيمة أو تحول خطير في الموقف القتالي، وهذا ما سعى إليه الرسول الكريم ﷺ عندما تحولت الغلبة للمشركين ولاذ بعض المسلمين بالفرار، فقد كان يحرض الناس على القتال ويحضهم على الشهادة ويثير فيهم الحمية والغيرة الإيمانية؛ كي يستعيدوا ثباتهم ويعمدوا لقتال العدو ويمنعوه من الوصول إلى أغراضه وليُفشلوا مخططاته الدنيئة».

[**الغزوات النبوية لكاخيا ٤٧**].

١٨ ـ أخلاقيات الحرب كما تجلت في غزوة أُحُد:

يقول د/ عبد السلام: «إن غزوة أحد من الغزوات المثيرة للجدل بالفعل، لقد نصر الله ﷻ المسلمين نصرًا قويًّا منذ عام واحد في غزوة بدر، وعاد المشركون إلى المدينة ليعتدوا مرة ثانية على المسلمين وينتقموا لهزيمتهم في غزوة بدر، ولعل ذلك ما أكده أبو سفيان في آخر المعركة إذ قال: «**يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ**،

الأَيَّامُ دُوَلٌ، وَإِنَّ الحَرْبَ سِجَالٌ»، فهنا يُظهر أبو سفيان استمرار المعركة بين معسكر الشرك الذي يقوده، ومعسكر التوحيد الذي يقوده النبي محمد ﷺ، ولم يرد الرسول ﷺ على هذا القول، كما لم تبدر منه أية استفزازات لقريش طوال هذه المدة.

أقول: مثيرة للجدل؛ لأن الله مع المسلمين، وهو الذي يحقق لهم النصر على عدوهم دائمًا، فلماذا الخذلان هذه المرة؟

إن القرآن الكريم أعرب عن أسباب الهزيمة في هذه الغزوة، وهو يعطي دروسًا للمسلمين في أخلاقيات الحرب وأسباب النصر والهزيمة، لقد كان هناك تحقيق لوعد الله ﷻ لرسوله ﷺ بالنصر على أعداء الله في بداية المعركة، يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، لكن لماذا كانت الهزيمة؟ تجيب على هذا السؤال بقية الآية: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾[آل عمران].

فالدنيا كلها تسير على الأسباب، ولا يوجد استثناء من ذلك، وهذه قاعدة مهمة، لقد كان الموقف في بدر مختلفًا، حيث كان المسلمون قلة، ولكنهم تآلفوا واتحدوا والتفوا حول رسولهم ﷺ، وبذلوا أكثر جهد ممكن لينتصروا جهادًا في سبيل الله، ولكن هذه المرة اختلفوا، والقرآن وصف ما حدث منهم بأنه فشل وتنازع، وعصيان للرسول ﷺ، بل إن بعضهم كان قلبه معلق بالدنيا ويريد غنائم الحرب: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا ﴾، ويصف القرآن الكريم عصيان الرسول ﷺ في نفس السورة، سورة آل عمران: ﴿ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

لقد تسببوا بالانصراف إلى الغنائم وعصيان أوامر الرسول ﷺ في الهزيمة، وفي إصابة الرسول ﷺ، وفي غمه وحزنه، فأصابهم الله بالهزيمة.

ثم هناك مسألة أخرى مهمة، وهي: تعليم المسلمين أن النصر والهزيمة هما من خصائص وسمات هذه الدنيا، فلا يوجد نصر دائم ولا هزيمة دائمة، ورغم أنه درس ورد في غزوة أُحُد، فإنه واضح لنا الآن، ومن ثم ينبغي ألا نقنط من رحمة الله ﷻ إذا هُزمنا في إحدى المرات، خاصة إذا كان الإنسان هو المتسبب في تلك الهزيمة، ونجد أكثر من آية في هذا المعنى، يقول تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [آل عمران]، وقوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾[آل عمران].

وسبب ثالث هو: تمحيص المسلمين وإيضاح قدراتهم، وإن كان ذلك لا يكون إلا باجتياز الهزيمة والصبر عليها، والاستفادة منها: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [آل عمران].

والقرآن الكريم ينبهنا هنا إلى أن الأيام دُول، ولا يجب أن نيأس من الهزيمة، وإنما نعرف الأسباب ونتجنبها.

إن المهام المُلقاة على المسلمين كثيرة وصعبة، ولابد أن يتهيأوا لها، ولن تكون هذه التهيئة إلا بالمرور بالنصر والهزيمة أيضًا، وعادة ما يأتي النجاح من الفشل، والقوة من استيعاب أسباب الضعف، والتغلب عليها.

وفي غزوة أحد كان كفار قريش يريدون الانتقام من هزيمتهم المنكرة في غزوة بدر، ومن ثَم كانت حربًا مشوبة بدوافع الانتقام والأخذ بالثأر من المسلمين، ومرة ثانية كانت الحرب من قِبل المسلمين حربًا دفاعية، ولا يدل على ذلك من أن الكفار جاؤوا إلى أبواب المدينة دولة الرسول ﷺ والمسلمين.

وهنا تتبلور القاعدة الأساسية لأسباب الحرب في الإسلام، وهي: الدفاع، الدفاع عن النفس، والدفاع عن الدعوة.

وتسجل الآيات الأخيرة من سورة آل عمران أخلاقيات الحرب، ودروس النصر والهزيمة؛ ليأخذ المسلمون عبرًا من الحياة؛ وليأخذوا بالأسباب، فأسباب النصر في الحروب معروفة، والله قادر على أن ينصر عباده دائمًا، ولكن طالما أن الإنسان يعيش على الأرض فإنه يخضع لقانون الأسباب، وإذا خالف أسباب النصر هُزم.

من هنا تثبت آيات القرآن الكريم أن النصر في الجولة الأولى كانت للمسلمين، ولكن عندما تنازعوا وعصوا أوامر الرسول ﷺ، وغرتهم الحياة الدنيا، كانت الهزيمة، يقول ﷻ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾[آل عمران]».

[أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية لعبد السلام ١٧٠-١٧٢].

١٩ ـ أهداف عسكرية لغزوة حمراء الأسد:

يقول أ/ خلف الله: «حقق الزحف إلى حمراء الأسد عدة أهداف عسكرية هامة:

(أ) فهو قد أعاد الثقة والطمأنينة والشعور بالنصر إلى نفوس المسلمين الذين خرجوا لمنازلة قريش ولبثوا في انتظارها ثلاثة أيام، فلم تلو عليهم وخشيت نزالهم، وفي هذا ولا شك نصر للمسلمين يعوض

مرارة الهزيمة بالأمس، ويقرر علم النفس الحربي أن الروح المعنوية للجنود لا تزال عالية ما شعر الجنود بالنصر، فلو ترك الجيش الإسلامي وشأنه عقب معركة أحد لهبطت الروح المعنوية ولظن البعض أن لا طاقة للمسلمين بالمشركين.

(ب) وقد قطعت هذه الغزوة ألسن المنافقين الذين كانوا يتحرقون للفت من عضد المسلمين.

(ج) هذا وقد ثبت للمشركين أن المسلمين على عهدهم في الجلاد والكفاح إذ يستحيل على جيش ضعيف أن يتبع جيشًا يفوقه أضعافًا مضاعفة ليلتحم معه.

(د) كما رد للمسلمين هيبتهم في نفوس العرب». [غزوة أُحد لخلف الله ١١٠-١١١].

المبحث السابع
الدروس الدعوية

١ ـ الأماني غير الأفعال:

يقول د/ زيدان: «وعلى الدعاة وجماعتهم المسلمة: أن يَعلموا أن الأماني الطيبة والرغبات الحميدة التي يُفصح عنها أعضاء الجماعة لا تعني أن أفعالهم بقدر أمانيهم ورغباتهم، فكثيرًا ما تقل الأماني وتضعف الرغبات عند مَحَكِّ الواقع ومواجهة الأحداث، فلا يقدمون إلا القليل من الأفعال المطلوبة، وربما لا يقدمون شيئًا، ويفرون من المعركة، وإن هذه المعاني التي أذكرها وأُذكِّر الدعاة والجماعة المسلمة بها هي بعض ما نستفيده من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ١٤٣﴾[آل عمران].

فلا يجوز للقيادة الرشيدة للجماعة المسلمة أن تضع خططها على أساس ما تسمعه من الرغبات والأماني من أعضائها الدعاة أو الأنصار والمؤيدين، فالرغبة في الشيء شيء والقيام به وبمتطلباته شيء آخر، إن الفرق بينهما كالفرق بين كلمة «أقاتل» تقولها وبين «تقاتل» فعلًا، إن الكلمة التي يقولها قائلها مبينًا بها رغبته في عمل ما، لا تُصدَّق في الواقع ويتحقق مضمونها إلا بشيئين:

الأول: رصيد وراء هذه الكلمة.

والثاني: إرادة جازمة لتنفيذ مضمونها بناء على هذا الرصيد، فكلمة: «أبذل كذا من المال» لا يمكن تحقيقها إلا برصيد مالي عند القائل، وإرادة جازمة لتنفيذ مضمون ما قاله.

فعلى الدعاة وأنصار الإسلام وأعوان الجماعة المسلمة: أن يتأكدوا مما عندهم من رصيد إيماني، يمكِّنهم من تحقيق ما تجيش به نفوسهم الطيبة من رغبات طيبة حتى إذا رأوا أن ما عندهم من رصيد إيماني لا يمكِّنهم من تنفيذ رغباتهم انكفؤوا إلى نفوسهم يحثونها بمعاني الإسلام والإيمان حتى تصير حاضرة وجاهزة لتنفيذ أمانيهم ورغباتهم». [المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ١٩٨-١٩٩].

٢ ـ الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل على الله:

يقول د/ زيدان: «وجاء في أخبار معركة أحد أن النبي ﷺ ظاهر بين درعين، وعبأ جيشه فأعطى اللواء مصعب بن عمير رضي الله عنه، وجعل على إحدى المجنبتين من الجيش الزبير بن العوام رضي الله عنه وعلى الأخرى المنذر بن عمرو رضي الله عنه، واختار خمسين من الرماة وأجلسهم خلف الجيش على الجبل، وأمرهم أن لا يفارقوا مكانهم ولو رأوا الطير تتخطف العسكر، وأمرهم أن ينضحوا المشركين بالنبل لئلا يأتوا المسلمين من ورائهم، وكل هذه الأمور تدل على أخذ رسول الله ﷺ بالأسباب: بالأسباب المادية مثل اتخاذه درعين، أو بالأسباب التنظيمية مثل: تعبئته للجيش ووضع الرماة لحراسة الجيش من ورائهم.

وكذلك جاء في أخبار معركة أحد أنه لما حلت الهزيمة بالمسلمين وثبت رسول الله ﷺ وأشاع المشركون أن رسول الله ﷺ قد قُتل، توجه رسول الله ﷺ إلى جهة المسلمين، وكان أول من عرفه كعب بن مالك رضي الله عنه، فصاح بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أبشروا هذا رسول الله ﷺ، فأشار ﷺ بيده: أن اسكت، وإشارته ﷺ لكعب بالسكوت لئلا يعرف المشركون مكانه فيصيبوه بمكروه، فكان من الحذر المحمود أن يسكت كعب، والأخذ بالحذر أخذ بالأسباب، فعلى الدعاة أن لا يغفلوا عن الأسباب التي يرونها ضرورية لنجاح دعوتهم أو ضرورية لدفع الشر عنها وعنهم، أو ضرورية لصرف عيون الأعداء عن نشاطهم وجهادهم» [(١)]. [**المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ٢٠٧-٢٠٨**].

٣ ـ التمييز بين المؤمنين والمنافقين:

يقول د/ زيدان: «قد يندس في تجمع المؤمنين مَنْ ليس منهم، فقد يندس فيه المنافق، والراغب في الحصول على مغنم دنيوي، كما قد يلحق بهذا التجمع ضعيف الإيمان، وقد جرت سنة الله أن يُحدث في هذا المجتمع ما يميز به المؤمن الصادق في إيمانه، من المنافق المبطن لنفاقه، ومن المؤمن الضعيف الإيمان، ومَنْ جاء لهذا التجمع الإيماني لمغانم دنيوية، والغالب في أداة الفرز والتمييز بين أفراد هذا التجمع هي أداة المحن والشدائد، هكذا حصل التمييز والفرز في تجمع المؤمنين في زمن رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾[آل عمران].

وقد بينا دلالة هذه الآية الكريمة على ما نقوله.

فعلى جماعة الدعاة أن يفقهوا ذلك، وليعلموا أن جماعتهم قد يكون فيها من ليس منهم، أو من جاء لينال مغنمًا دنيويًّا عن طريقهم وبواسطتهم، أو هو مسلم ضعيف الإيمان لا يثبت في شدة فيخرج من الصف عند أول محنة فيحدث فيه خللًا واضطرابًا؛ ولهذا فقد كان من فضل الله على تجمع المؤمنين أن يجري فيهم سنته فيحدث لهم بعض المحن والشدائد مما يحصل به التمييز والفرز، إذ ليس من شأن الله تعالى ولا من سننه في خلقه أن يدع الصف المسلم، صف المؤمنين الدعاة إلى الله، غير مُمَيَّز، يتوارى المنافقون فيه وراء دعوى الإيمان، ومظهر الإسلام، بينما قلوبهم خاوية من بشاشة الإيمان، وكل هذا يقتضي أن يُصْهَر الصف ليخرج منه الخبث، وأن يُضْغَط لتتهاوى اللبنات الضعيفة، وأن تُسلط عليه الأضواء لتنكشف الدخائل والضمائر؛ ومن ثَمَّ كان من شأنه تعالى أن يميز الخبيث من الطيب. [**الظلال ١/ ٥٢٥**].

---

(١) ينظر كتاب: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية ـ د/ عبد الكريم زيدان، فصل الأسباب والمسببات ـ ط ٣ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م. غريب.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ١٦٧﴾[آل عمران].

فما أصاب المؤمنين في معركة أحد من جرح وقتل فبعلم الله وقضائه وقدره، وبموجب سنته في الأسباب والمسببات، وله الحكمة في ذلك كله، ومن هذه الحكمة يتميز المؤمنون ويُعرفون، ويتميز المنافقون ويُعرفون، فيحصل الفرز والتمييز بين الفريقين، فلا ينخدع المؤمنون بالمنافقين الذين كشفتهم أحداث معركة أحد.

وما حصل للمؤمنين من تمييز فيما بينهم وبين المندسين فيهم من المنافقين؛ يحصل أيضًا بين جماعة الدعاة إلى الله تعالى بما تحدث لهم من محن وشدائد لا يثبت فيها إلا المؤمنون الصادقون، وتنكشف فيها حقيقة المنافقين بما يتقولونه على جماعة الدعاة، وبما يظهرونه من شماتة بهم، وفرح بما أصابهم من ضرر وأذى، وبما يدعونه من أن قيادة الجماعة بسياستها وتصرفاتها أوقعت الجماعة بهذا الضرر والأذى، فعلى جماعة الدعاة أن يفقهوا ذلك، وأن يحمدوا الله على ما هيأه من محن، وإن كانت شديدة فقد عرَّفتهم المنافقين المندسين في صفوفهم». [المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ٢٠٩-٢١٠].

٤ ـ التمحيص بعد التمييز:

يقول د/ زيدان: «قال تعالى: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠﴾[آل عمران].

والمراد بالأيام وتداولها بين الناس: أوقات الظفر والغلبة، وصرفها بين الناس مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء، والقرح: الجرح والقتل، والتمحيص: التطهير والتصفية.

والآية تبين أن ما أصاب المسلمين في أحد من قتل وجرح أصاب المشركين مثله من قتل وجرح، هكذا تكون الغلبة والنصر فيما بينهم.

وتبين الآية أيضًا أن من حكمة من أصاب المسلمين في أحد إظهار التمايز بين المؤمنين والمنافقين؛ لأن مداولة الأيام وتعاقب الشدة محك لا يخطئ، وبه تنكشف أحوال أهل الإيمان وأحوال أهل النفاق، «والله سبحانه يعلم المؤمنين والمنافقين، والله سبحانه يعلم ما تنطوي عليه الصدور، ولكن الأحداث ومداولة الأيام بين الناس تكشف المخبوء، وتجعله واقعًا في حياة الناس، وتحول الإيمان إلى عمل ظاهر [يُعرف به أهل الإيمان]، وتحول النفاق كذلك إلى تصرف ظاهر [يُعرف به أهل النفاق]، ومن ثَمَّ يتعلق به الحساب والجزاء، فالله سبحانه لا يحاسب الناس على ما يعلمه من أمرهم ولكن يحاسبهم على وقوعه منهم.

فعلى الدعاة وجماعتهم أن يعرفوا ذلك، ويعرفوا أن من حكمة الله أن يُحدث للجماعة المسلمة، جماعة الدعاة، من المحن والشدائد، وما يتخلل ذلك من أوقات السعة والرخاء، ما تنكشف به حقائق أهل النفاق، فيستطيع المؤمنون الدعاة وجماعتهم التحرز من هؤلاء المنافقين، وكما يحصل بهذه المحن والشدائد تمييز المؤمنين من المنافقين، يحصل أيضًا تمحيص المؤمنين.

«والتمحيص درجة بعد الفرز والتمييز، [يكون بها تطهير النفس وتصفيتها من الشوائب]، التمحيص عملية تتم في داخل النفس، وفي مكنون الضمير، إنها عملية كشف لمكنونات الشخصية، وتسليط الضوء على هذه المكنونات، تمهيدًا لإخراج الدخل والدغل والأوشاب، وتركها نقية واضحة مستقرة على الحق، بلا غبش ولا ضباب.

وكثيرًا ما يجهل الإنسان نفسه، ومخابئها ودروبها ومنحنياتها، وكثيرًا ما يجهل حقيقة ضعفها وقوتها، وحقيقة ما استكن فيها من رواسب، لا تظهر إلا بمثير!

وفي هذا التمحيص الذي يتولاه الله ﷻ بمداولة الأيام بين الناس بين الشدة والرخاء، [وبين السراء والضراء] يعلم المؤمنون من أنفسهم ما لم يكونوا يعلمونه قبل هذا المحك المرير: محك الأحداث والتجارب [والمحن والشدائد] والمواقف العملية الواقعية [الصعبة].

ولقد يظن الإنسان في نفسه القدرة والشجاعة والتجرد والخلاص من الشح والحرص [والانقياد للحق]، ثم إذا هو يكشف ـ على ضوء التجربة العملية، وفي مواجهة الأحداث الواقعية ـ أن في نفسه عقابيل [وكُدُورات وشوائب] لم تُمحَّص، وأنه لم يتهيأ لمثل هذا المستوى من الضغوط! ومن الخير أن يعلم هذا من نفسه، ليعاود المحاولة في سبكها من جديد، على مستوى الضغوط التي تقتضيها طبيعة هذه الدعوة، وعلى مستوى التكاليف التي تقتضيها هذه العقيدة»!. [**الظلال ١/ ٤٨١ – ٤٨٢**].

وفي ضوء ما ذكرناه: على الدعاة أن يتفحصوا نفوسهم في ضوء الأحداث والصعاب والشدائد التي تواجههم ليتبين لهم مدى ما فيها من قوة وضعف وتماسك وتخلخل، وثبات على مقتضيات الدعوة، كما أن على قيادة جماعة الدعاة أن تراقبهم في مختلف الأحداث؛ لتعرف مدى ثباتهم وقوة إيمانهم وجوانب الضعف فيهم، فتعالج ذلك وتضع خططها على أساس سليم من الواقع المحسوس، ولا مانع أن تجري لهم اختبارات عملية لتعرف ما تريد معرفته منهم من قوة أو ضعف في الإيمان، ومن شجاعة أو خور، ومن تحمل للشدائد، وغير ذلك مما يجب أن تعرفه الجماعة؛ حتى لا تخطئ في إسناد المسؤوليات والأعمال الدعوية إلى منتسبيها من الدعاة». [**المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ٢١٠-٢١٢**].

٥ ـ إحساس الدعاة إلى الله بأنهم الأعلون:

يقول د/ زيدان: «من توجيهات الله ﷻ للمؤمنين بعد أن حصل لهم ما حصل في معركة أحد نهيه لهم أن يحسوا بهوان نفوسهم وانحطاطهم عن المستوى الذي يريده الله لهم، وأن عليهم الإحساس الغامر لكيانهم بأنهم هم الأعلون على غيرهم بسبب ما يحملونه من الإيمان، فبإيمانهم يكونون هم الأعلون على كل الفاقدين هذا الإيمان، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾[آل عمران].

وجاء في تفسيرها: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ تسلية من الله ﷻ لرسوله ﷺ وللمؤمنين عما أصابهم في معركة أحد، أي لا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم، أي: لا يورثنكم ذلك وهنًا وجبنًا، ولا تبالوا بما أصابكم، ولا تحزنوا على مَنْ قُتل منكم أو جُرح ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ وحالكم أنكم أعلى منهم وأغلب؛ لأنكم أصبتم منهم في بدر أكثر مما أصابوا منكم في أحد، وأنتم أعلى شأنًا منهم؛ لأنكم على الحق، وتدعون إلى الحق وتقاتلون لله لإعلاء كلمة الحق، وهم يقاتلون للشيطان، ولإعلاء كلمة الكفر، ومن أجل هذا فإن قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار، وأيضًا فأنتم الأعلون في العاقبة؛ لأنكم جند الله، والله يقول عن جنده: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾ [الصافات].

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾ بمعنى: ولا تهنوا إن صح إيمانكم، على أن صحة الإيمان توجب قوة القلب والثقة بتأييد الله ونصره، وقلة المبالاة بأعدائه. [الزمخشري ١/ ٤١٨].

فعلى الدعاة وجماعتهم المسلمة أن يحسوا بمعاني هذه الآية، فلا يضعف عزائمهم مهما كانت الظروف والأحوال، وأن يحسوا الإحساس الكامل بأنهم الأعلون على غيرهم مهما بلغت قوة أعدائهم المادية، ومهما بلغ عليهم التضييق والحبس، فإن الأسد يبقى أسدًا في شكله ومظهره وإحساسه وإن كان مقيدًا حبيسًا...». [المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ٢١٢].

٦ ـ أهمية الولاء والبراء في حياة الداعية:

يقول د/ زيدان: «إن الذين تَقَاتَلوا في أحد وقبل أحد في بدر كانوا كلهم من العرب تجمعهم رابطة النسب القريب أو البعيد، ولم يكن بينهم أعاجم أو غيرهم من الأجناس والقوميات الأخرى، وهذا يعني بكل بساطة ولكن بجلاء ووضوح أن الذي فرَّق بينهم إلى حدِّ القتال فيما بينهم هو اختلافهم في العقيدة وما يؤمن به كل فريق.

هذا الإيمان هو الذي جعلهم فريقين متمايزين، فريق المسلمين وفريق المشركين، ولم يكن هذا التمايز فيما بينهم تمايزًا ظاهريًّا لا أثر له في الواقع، أو لا أثر له في نوع العلاقات فيما بينهم، أو لا أثر له في طبيعة الولاء أو البراء الذي يحمله كل فريق ـ فالواقع أن التمايز الذي ذكرناه والذي قام على أساس إيمان كل

فريق بما يؤمن به كان له أكبر الأثر، إلى درجة أن جعل ولاء كل منهما وكذا براؤه يعلو على رابطة النسب والعصبية الجاهلية، فصار ولاء المسلمين للإسلام ولمن يؤمن به، وبراء المسلمين مِمَّن يكفر بالإسلام ولا يؤمن به، وإن كان هذا الكافر قريبًا للمسلمين من حيث النسب، وكذلك الحال بالنسبة للكافرين صار ولاؤهم لمن يشاركهم في عقيدتهم وإن اختلفوا في النسب إذ آل الأمر إلى مواجهة المسلمين وإن كانوا مشتركين معهم في النسب، وهذا الولاء والبراء وما قام عليه كل منهما أدى إلى القتال بين المسلمين والكافرين في بدر وأحد، وما تلا هاتين المعركتين من معارك بين الفريقين.

فعلى الدعاة أن يفقهوا ذلك فقهًا عميقًا يتغلغل في كيانهم، فيكون ولاؤهم لله ورسوله وللمؤمنين وإن كانوا أجانب منهم من حيث النسب القريب والبعيد، ويكون براؤهم من الكفر وأهله وإن كانوا أقرباءهم الأقربين من الآباء والأبناء والأخوة؛ لأن رابطة الإيمان أقوى من أي اختلاف في الروابط الأخرى كرابطة النسب، وإن رابطة النسب ونحوها أضعف من أن تعلو على رابطة العقيدة.

ويكون مُحصِّل القول في الولاء والبراء أنهما يقومان على أساس العقيدة وما يؤمن به كل شخص وليس على أي أساس آخر يُراد الاستعاضة به عن أساس العقيدة، كرابطة القومية أو الوطنية أو الحرفة أو المهنة أو اللغة أو غيرها من الروابط.

ما يترتب على الولاء والبراء في حكم الإسلام: ويترتب على الولاء والبراء في حكم الإسلام أن ولاء المؤمن صار للمؤمنين، وولاء الكافر صار للكافرين.

وبراء المؤمن صار من كل كافر وإن كان قريبًا له، وبراء الكافر صار من المسلم ومن كل من لا يدين بكفره وإن كان قريبًا له.

ومن مظاهر هذا الولاء والبراء الجديدين وما قام عليه كل منهم، أن تَقاتل العرب فيما بينهم في بدر وأحد بالرغم من رابطة النسب لاختلافهم في الولاء والبراء إلى حد أن كلًّا من الفريقين كان حريصًا على قتل الآخر من الفريق الآخر ولو كان قريبًا له من النسب، ومن ذلك أن **أبا عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح** رضي الله عنه قتل أباه في معركة بدر، **ومصعب بن عمير** رضي الله عنه قتل أخاه عبيد بن عمير في معركة أحد، **وعمر بن الخطاب** رضي الله عنه قتل خاله العاص بن هشام في معركة بدر، **وعلي بن أبي طالب وحمزة وعبيدة بن الحارث** رضي الله عنهم قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة في معركة بدر على وجه المبارزة الفردية.

[تفسير الزمخشري ٤/ ٤٩٧، تفسير ابن كثير ٤/ ٣٢٩، السيرة النبوية لأبي شهبة ٢/ ١٣٨ - ١٣٩].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ سَعْد بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: وَاللهِ مَا حَرَصْت عَلَى قَتْلِ رَجُلٍ قَطُّ كَحِرْصِي عَلَى قَتْلِ عُتْبَة بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَإِنْ كَانَ مَا عَلِمْتُ لِسَيِّئ

الخَلقِ مُبْغَضًا فِي قَوْمِهِ، وَلَقَدْ كَفَانِي مِنْهُ قَوْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى مَنْ دَمَّى وَجْهَ رَسُولِهِ**». [السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٨٥، وفتح الباري ١١/ ٤٠١].

فعلى الدعاة الالتزام بمعاني الولاء والبراء في الإسلام وعدم الخروج عليهما».

[المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ٢١٤-٢٢٤ باختصار].

٧ ـ الاستثناء من موالاة الكفار:

يقول د/ زيدان: «قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران].

والآية صريحة في النهي عن موالاة الكافرين، واستثنت من ذلك الحالة التي يُرخَّص فيها بالتقية، فما المقصود بها وما مدى هذا الاستثناء وشروطه وما يتعلق به؟

ذهب جمهور المفسرين إلى أن معنى آية ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ﴾ إلا أن تخافوا منهم خوفًا، وهذا هو معنى التقية، واختلف العلماء في التقية ممن تكون؟ وبأي شيء تكون؟ وأي شيء تبيح؟

فأما الذي تكون منه التقية فكل قادر غالب يُخشى شره وضره، فيدخل في ذلك الكفار إذا غلبوا، وحكام الجور والظلم، ونحوهم.

وأما بأي شيء تكون التقية ويترتب حكمها؟ فذلك بخوف القتل وبالخوف على الجوارح وبالضرب بالسوط وبسائر التعذيب فإذا فُعِل بالإنسان شيء من هذا أو خافه خوفًا متمكنًا، فهو مُكْرَه وله حكم التقية، والسجن والتقييد والتهديد والوعيد وعداوة أصحاب السلطة والنفوذ كل هذه الأشياء تدخل في نطاق التقية وما تبيحه، إلا أنها بحسب حال الذي يتعرض إلى هذه الأشياء وبحسب الذي يُكره عليه أو يخاف وقوعه عليه، فكم من الناس السجن لا يرهبه ويستطيع تحمله فلا يسري عليه حكم التقية.

وأما أي شيء يبيح التقية؟ فقد اتفق العلماء على إباحتها للأقوال باللسان من الكفر وما دونه ممَّا يريده الكفار من المسلم فيقوله لينجو من شرهم، ويدخل في ذلك المداراة والمصانعة، وقال ابن مسعود: ما من كلام يدرأ عني سوطين من ذي سلطان إلا كنت متكلمًا به.

وأما ما تبيحه التقية من الأفعال فقال جماعة من أهل العلم: تبيحُ كل ما حرم الله فعله وينجي نفسه بذلك، كما لو أُكره على شرب الخمر وهُدد بالقتل إن لم يفعل.

وقال جمع كثير من العلماء: التقية إنما هي مبيحة للأقوال، فأما الأفعال فلا.

[تفسير ابن عطية ٣/ ٧٤ـ٧٦].

وقال الإمام ابن كثير في تفسير الآية والاستثناء الذي فيها: نهى الله عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين وأن يتخذوهم أولياء يُسرون إليهم بالمودة من دون المؤمنين ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ﴾ أي إلا من خاف في

بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته، وعن ابن عباس ﷺ: التقية باللسان. [تفسير ابن كثير ١/ ٣٥٧].

وفي تفسير الآلوسي: وعدَّ قوم من باب التقية مداراة الكفار والفسقة والظلمة وإلانة الكلام لهم والتبسم في وجوههم والانبساط معهم، وإعطاءهم لكف أذاهم وقطع لسانهم وصيانة الأعراض منهم، ولا يُعد ذلك من باب الموالاة المنهي عنها. [تفسير الآلوسي ٣/ ١٢٢].

ويلاحظ هنا أن النهي عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين إنما هو فيما يظهره المرء، فأما أن يتخذه بقلبه مودةً لهم ورضًا بهم فهذا لا يفعله مؤمن، فالنهي هنا إنما هو عبارة عن إظهار اللطف للكفار والميل لهم. [تفسير ابن عطية ٣/ ٧١].

وهذا القدر الظاهري هو الذي يمكن أن يأتيه المؤمن على سبيل التقية إذا تعين ذلك وسيلة لدفع الشر والضر عنه.

وفي تفسير القاسمي في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ أي إلا أن تخافوا منهم محذورًا فأظهروا معهم الموالاة باللسان دون القلب لدفعه. [تفسير القاسمي ٤/ ٧٩].

وفي تفسير سيد قطب يرحمه الله تعالى: ويرخص فقط بالتقية لمن خاف في بعض البلدان والأوقات، ولكنها تقية اللسان لا ولاء القلب والعمل.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «**ليس التقية بالعمل إنما التقية باللسان**»، فليس من التقية المرخص فيها أن تقوم المودة بين المؤمن وبين الكافر، ولا أن يعاون المؤمن الكافر، بالعمل في صورة من الصور باسم التقية. [تفسير الظلال لسيد قطب ١/ ٣٨٦].

وقال الفقيه ابن العربي المالكي: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ إلا أن تخافوا منهم، فإن خفتم منهم فساعدوهم ووالوهم وقولوا ما يصرف عنكم من شرهم وأذاهم بظاهر منكم لا باعتقاد، يبين ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]. [أحكام القرآن لابن العربي المالكي ١/ ٢٦].

الخلاصة في هذا الاستثناء: والخلاصة في المراد بالاستثناء من موالاة المسلمين للكفار أن المسلم إذا رأى أن لا سبيل لوقاية نفسه من أذى وضرر الكفار ونحوهم إلا بأن يُظهر لهم بعض مظاهر الولاء لهم بلسانه فله أن يفعل ذلك على وجه الرخصة، وكذلك في الإتيان ببعض الأفعال المحرمة كشرب الخمر، ولا تجوز التقية إلا مع خوف القتل أو القطع أو الإيذاء العظيم، ولكن لا يجوز للمسلم المودة بقلبه للكافر ولا الرضا بكفره ولا أي معنى من معاني الولاء القلبية؛ لأن الأخذ بالتقية للضرورة ولا ضرورة لعقد الولاء القلبي للكافر».[المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ٢٢٤-٢٢٦].

٨ ـ أخذ الدعاة بالتقية:

يقول د/ زيدان: «الأصل في عمل الدعاة الصراحة والوضوح وعقد الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، وعقدُ البراء من الكفار والفسقة وحكام الجَوْر ومن أعمال هؤلاء: الكفر والفسق والجور، ولكن يجوز لهم على وجه الرخصة أن يأخذوا بالتقية في نطاق ضيق جدًّا؛ لأن التقية استثناء والاستثناء لا يتوسع به؛ ولأن التقية حالة ضرورة، والضرورات تُقَدَّر بقدرها؛ ولأن الأخذ بالتقية يلاحظ فيه المصالح الشرعية والمفاسد الشرعية؛ لأن الظاهر من أعمال التقية إظهار بعض معاني الولاء والموافقة لمن يريد الشرع البراءَ منه، وليس كل الناس يفقه أن عمل الدعاة الموافق لأعداء الإسلام أو لأعداء الدعوة إنما هو عمل صدر على وجه التقية، فيكون أخذ الدعاة بالتقية مُنَفِّرًا للناس منهم ويجعلهم يظنون السوء بالدعاة، وهذا ضرر جسيم بالدعوة وبجماعة الدعاة؛ ولهذا أرى أن يأخذ الدعاة بالسكوت عمن يستحقون البراء منهم وعدم مهاجمتهم بالقول إذا كان نقدهم ومهاجمتهم بالقول يلحق ضررًا بهم وبجماعتهم». [المستفاد لزيدان ٢/ ٢٢٦].

٩ ـ العدو لا يفهم غير لغة القوة:

يقول د/ زيدان: «عندما بلغ النبي ﷺ خبر عزم أبي سفيان على الرجوع بجيشه إلى المدينة، أو أن النبي ﷺ قدَّر في نفسه الشريفة هذا الرجوع، وأمر مناديه باستدعاء أولئك الذين شاركوا في قتال العدو في معركة أُحد، دعا منادي رسول الله ﷺ هؤلاء للخروج لتتبع العدو، ولإظهار قوة المسلمين؛ وإعلام المشركين بأن ما أصاب المسلمين يوم أحد لم يُضعفهم، ولم يوهن عزيمتهم، وأن لرسول الله ﷺ من القوة ما يمكِّنه من ملاحقتهم.

إن الأعداء؛ أعداء الإسلام وأعداء الدعوة إليه، وأعداء دعاته، لا يفهمون غير لغة القوة؛ لأن الضلال بلغ بهم مبلغًا حملهم على عداوة المسلمين لعقيدتهم لا لشيء آخر: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٨﴾ [البروج].

فلا ينفع معهم إلا القوة، وإظهار القوة وإرهابهم بالقوة، وهذا ما فعله رسول الله ﷺ.

وعلى هذا فيجب على الدعاة وجماعتهم المسلمة أن يبذلوا كل ما يستطيعون لإعداد القوة بأنواعها: قوة الإيمان في نفوس منتسبيها، وفي نفوس المسلمين عمومًا، وقوة العلم، وقوة العدد من الدعاة والأنصار، وقوة النظام والتنظيم، وقوة العزيمة، وقوة الصبر على المكاره، وكل هذه القوى بأنواعها يُراد بها مواجهة أعداء الدعوة لكشف شرهم». [المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ٢٣٣].

١٠ ـ الأعمال الصعبة تُناط بالقادرين عليها:

يقول د/ زيدان: «لم يأذن رسول الله ﷺ بالخروج لملاحقة العدو إلا لمَنْ اشترك في معركة أُحد؛ لأن هؤلاء المشتركين فيها قد جُرِّبوا وامتُحنوا وتلقوا درسًا قاسيًا وعبرة وموعظة مما وقع لهم في تلك المعركة.

فهم، إذًا، وحدهم لا غيرهم، المؤهلون للقيام بهذه المهمة الخطيرة، مهمة ملاحقة العدو، فلا يخرج لها إلا المؤمنون الثابتون الذين يعلون بإيمانهم على جراحاتهم.

فعلى الدعاة وجماعتهم المسلمة أن يعتبروا بذلك، ولا يتجاوزوا الذين جُرِّبوا وامتُحنوا، أو ثبتوا في مختلف الظروف والأحوال، وأن تُناط أعمال الجماعة المهمة بهذا النوع من الدعاة لا بغيرهم، وألا يُقَدَّم عليهم غيرهم مِمَّنْ لم يُمتحنوا بعد». [المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ٢٣٤].

١١ ـ الصمود في وجه الابتلاءات [فوائد الابتلاء]:

يقول أ/ النجيري: «لو استعرضنا السيرة النبوية الشريفة لوجدنا المحن والأحزان والجراح لا تنقطع عن المسلمين، وكان الهدف من ذلك هو تربية الجماعة المسلمة على تحمل الابتلاء والتضحية في سبيل دينها والبذل المستمر دون انتظار ثمار دنيوية أو سريعة، فما خرج المسلمون إلا من ابتلاء إلى ابتلاء، ولكن عناية الله تعالى كانت تؤيدهم في النهاية وتخرجهم من الأزمات التي لا قِبَل لهم بها، وحين يستنفدون قدراتهم على الجهاد والصبر والمرابطة، فنصر الله ﷻ وفرجه يأتي بعد بلوغ ذروة المحنة، كما بين سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾[يوسف].

وقد ظهر ذلك جليًّا في ابتلاء أُحد الذي أصاب الله تعالى فيه المسلمين بالغم والقرح والانكسار، ثم ما أتبعه من فتن ومحن تجرأ فيها الأعداء، وبرزت رؤوس النفاق، وانطلقت الألسنة الحداد تنال من المسلمين، ودبرت المكائد والمخادعات التي قُتل فيها أكثر من سبعين من خيرة الصحابة غيلة في حادث الرجيع وحادث بئر معونة، ثم ما كان من اجتماع فصائل الشرك كلها لتطويق المسلمين بالمدينة رغبة في إبادتهم واستئصالهم كما عبر الله تعالى: ﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ١١﴾[الأحزاب].

ومن هنا نفهم أن الدعاة ينبغي أن يتربوا على الصمود في وجه الابتلاءات المتتابعة، وأن يكون لديهم البصيرة بأن سنة الله تعالى تجري بتمحيصهم بابتلاء بعد آخر حتى لا ينتظرون إلا ورود المصائب فيستعدوا لها، لا أن يتشكل جوهرهم وفكرهم على انتظار نصر قريب وعَرَضٍ حاضر ونصرات غيبية يركنون إليها بلا كفاح، فتكون النتيجة تعجل النصر واستبطاؤه أو اليأس والوهن والانهيار بعد أول محنة.

إن انتظار النصر والتمكين في زمن محدد وقريب، يجعل الدعاة غير مهيئين للاحتمال الصعب، وغير مستعدين للصبر الطويل مما يؤدي بهم إلى الهزيمة أو الارتكاس.

ولماذا لا نلتزم بنظرات فاحصة في سيرة النبي ﷺ وصحابته لنرى أننا لسنا بأقل حاجة للتمحيص منهم؟ ولنرى أن عمل النبي ﷺ لفترة طويلة كان هو الإعداد والتربية وتكوين النواة الأولى التي تحتمل

الأمانة وتصبر وترابط بلا حدود، وتؤثر ولا تتأثر، وتغير ولا تتغير، وتبدل الباطل ولا تتبدل عن الحق، ولا تتذمر للمحن المتتالية، ولا تيأس لفرط البلاء وكثرة الجهد، ولا تنخدع بصولة الباطل مرة أو مرات.

إن هذه القاعدة الصلبة التي ترى واجبًا عليها نصرة الدين لآخر رمق واحتمال المصاعب والمحن المتتابعة هي المطلب الأول لنصر الدعوة، فليس الأمر نزهة أو جولة، ولكن صراع مستمر وأشلاء ودماء وأحزان متصلة كما أخبر الحق سبحانه: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾[العنكبوت].

ويحدد فوائد الابتلاء محمد قطب في قوله: «في فترة الابتلاء والتمحيص تتم جوانب كثيرة من التربية المطلوبة لحملة الأمانة الذين يواجهون الجاهلية في أول جولة، والذين تلزمهم صفات وأحوال غير التي تلزم للأفواج الداخلة فيما بعد، ويحتاجون إلى عناية خاصة تختلف عن العناية المطلوبة للقادمين فيما بعد، بمقدار ما تختلف إقامة الأعمدة الراسية في الأرض التي تحمل البناء كله عن إقامة الأحجار في أماكنها بين هذه العمدان.

إن هذه الأعمدة تحتاج إلى صناعة خاصة، ومكونات خاصة، ومقومات خاصة، وزمن معين لاستكمال تلك المقومات، فإن لم تستوف كل مقومات صناعتها، فإنها تُعَرِّض البناء كله بعد للتشقق أو الانهيار، وحقيقة إن الأعمدة وحدها لا تشكل بناء، ولا تحقق الهدف الذي من أجله أنشئ البناء، فلابد من الأحجار الكثيرة التي تشكل الجدران، وتعطي البناء شكله النهائي، وتحقق الهدف الذي أقيم من أجله، ولكنك لو بدأت برص الأحجار قبل دكِّ الأساس، وقبل إقامة الأعمدة الراسية، أو قبل إتمام ذلك كله على المستوى المطلوب، فإن البناء كلما علا ينهار، وتكون الأحجار حملًا ثقيلًا أكثر مما هي عون وتأييد!

وحين يتم ـ في فترة التربية ـ إعداد الصفوة التي تواجه الجاهلية أول مرة ذلك الإعداد الخاص المطلوب لها، فإن أمورًا كثيرة تتم في الحقيقة في آن واحد.

إن هذه الصفوة ـ كما قلنا ـ هي التي تستطيع بحكم متانة تأسيسها أن تصمد لكيد الجاهلية التي تحاول بكل جهدها أن تقضي على الدعوة الجديدة قبل أن تمد لها جذورًا في التربة؛ لأنها تعلم جيدًا أنها إن لم تبذل كل طاقتها في ذلك فسيفلت الأمر من يدها، ولا تستطيع أن تسيطر عليه؛ لذلك يكون البطش في أقصى عنفوانه في جولته الأولى، ولا يصمد له إلا تلك الصفوة المختارة من المؤمنين الذين يتلقون الشحنة الكاملة عن قائدهم الذي تعهدهم بتربيته ورعايته.

ثم إن نجاح هذه الصفوة في الصمود للكيد هو الذي يشكل في الحقيقة نقطة التحول في خط سير الدعوة؛ لأنه يعطف القلوب نحو أولئك المؤمنين الذين يتلقون هذا القدر الهائل من البطش والتعذيب

دون أن يتحولوا عن الحق الذي يؤمنون به، فيكون صمودهم شهادة لهذا الحق، تجتذب نفوسًا جديدة، تؤمن به وتجاهد في سبيله، فتتسع القاعدة وعلى ذات القدر من المتانة وقوة التأسيس.

ثم إن هذه الصفوة تشكل جنودًا فائقين لقائد الدعوة، ولكنهم في الوقت نفسه يُربُّون ليكونوا خلفًا للقائد من بعده.

انظر إلى أصحاب رسول الله ﷺ، لقد كانوا جنودًا فائقين للدعوة، ولقائدهم ﷺ على الصورة التي يعرفها التاريخ، ولكن رسول الله ﷺ رباهم في الوقت نفسه بحيث يكون كل واحد منهم ركنًا في الموقع الذي يكون فيه، فقاموا بالمهام التي وكلها إليهم على المستوى الفائق الذي يعرفه التاريخ، وكانوا هم القدوة للناس في تربيتهم على هذا الدين، كما كان رسول الله ﷺ قدوتهم في هذه التربية الفريدة، ثم كانوا هم حملة الأمانة من بعده، والقادة الذين قادوا الأمة بعده في الخلافة الراشدة التي يعرفها التاريخ». [واقعنا المعاصر ـ محمد قطب ـ مؤسسة المدينة المنورة، السعودية، ١٤٠٦ هـ ص ٤١٥ - ٤١٦].

[البلاء الإلهي للنجيري ١٣٤-١٤٠].

١٢ـ على الدعاة تشجيع الداعيات:

يقول د/ زيدان: «وعلى الدعاة وهم يعدون المسلمات ليكنَّ داعيات، أن يُذكِّروا المسلمات بأن الدعوة إلى الله تعالى من وجائب الإسلام عليهن، كما أنها من وجائب الإسلام على الرجال المسلمين، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف]، كما أن على الدعاة أن يُذكِّروا المسلمات والداعيات منهن بمواقف المسلمات السابقات في عصر النبي ﷺ من الفواجع التي تصيب أهلهن في سبيل الله، ومن تعلقهن برسول الله ﷺ وبالحرص على سلامته؛ لتكون هذه القصص عنهن مشجعات للداعيات على أعمال الدعوة والاندفاع فيها.

فمن هذه القصص أن **حمنة بنت جحش** لما أُخبرت باستشهاد **أخيها عبد الله بن جحش وخالها حمزة بن عبد المطلب** في معركة أحد، استرجعت واستغفرت، ولما مرَّ رسول الله ﷺ **بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها** مع رسول الله ﷺ في معركة أحد، فلما نعوا لها ذلك ـ أي أُخبرت بقتلهم ـ قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: **خيرًا يا أم فلان فهو بحمد الله كما تحبين**، قال: **أرونيهِ حتى أنظر إليه**، فلما رأته قالت: **كل مصيبة بعدك جلل ـ تعني صغيرة ـ**».

[السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم العمري ٢/ ٣٩٥]. [المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ٢٢٨].

١٣ ـ تقدير الموقف في نهاية السنة الثالثة:

يقول أ/ حوى: «في الأصل كانت عواطف العرب مع قريش ومع مكة، لأسباب متعددة:

لأن ذلك يمثل الاستمرار، وللاستمرار قوته، ولأن دين قريش هو دين العرب، وأكثر العرب لم يستوعبوا الرسالة الجديدة، وكان من عوامل التلاحم مع قريش أسواق العرب وحجها، وقد تجمدت المواقف بالحركة النبوية العسكرية والسياسية حتى غزوة أحد، وغلب على أكثر العرب التربص حتى يروا إلى أي شيء تصير الأمور، هذا مع استقرار الوضع الداخلي في المجتمع الإسلامي فهيبة الدولة أخذت مداها، ولكن حادثة أحد مع كل ما فعله رسول الله ﷺ لتلافي آثارها قد أعادت بعض الأمور إلى أصولها، وأوجدت موازنات خطرة، فقد شعر العرب أن قريشًا لا زال بيدها زمام الأمور وأنها قادرة على التعبئة والحشد المتفوقين، وأنها قادرة على تحقيق النصر وكل ذلك ترك آثاره وبصماته على التفكير داخل المجتمع المكي وداخل المجتمع المدني وفي المحيط العربي كله، فما انتقاض بني النضير في السنة الرابعة ومأساة بئر معونة وكارثة الرجيع إلا أثرًا عن أحد بل إن غزوة الأحزاب كانت أثرًا عن أحد، ولذلك فلقد كان على رسول الله ﷺ في السنتين الرابعة والخامسة أن يعفي على آثار أحد وأن يعيد الانطلاقة إلى ما كانت عليه وسنرى ما فعله عليه الصلاة والسلام من أجل هذا وغيره».

[الأساس في السنة وفقهها – السيرة النبوية ٢ / ٦٠٥-٦٠٦].

المبحث الثامن
دور الحرب النفسية في غزوة أُحد

تمهيد:

يقول د/ فهمي النجار: «تجتاز الأمة الإسلامية في هذه الفترة التاريخية مرحلة خطيرة في حياتها لم تشهدها أمة من أمم الأرض، فقد تداعى عليها الأعداء من كل جانب، وتناهبوا أرضها وشعبها وفكرها ومقدساتها، وفرَّقوا شملها، وداسوا كرامتها، وسلَّطوا عليها شُذَّاذ الآفاق، بعد أن صنعوا منهم دولة، وزودوهم بأفتك الأسلحة لينهشوا من لحمها، كلما شعروا بالجوع، دون أن يجرأ أحد من هذه الأمة على رد العدوان، واسترداد المقدسات، واسترجاع الكرامات.

وما هو أشد وأدهى، تعرُّض هذه الأمة إلى حرب نفسية رهيبة من قِبل أعدائها العريقين في عداوتهم، والذي يمثلهم الثالوث اليهودي والصليبي والشيوعي، مستخدمين وسائل الإعلام كافة، وبكافة أنواع الأسلحة من دعاية كاذبة، أو شائعة مُغرضة، أو ضغط اقتصادي، أو تخويف وإرهاب، حتى عمليات غسيل الدماغ لم ينسها هذا العدو البغيض، وهدفه الأول والأخير تحطيم عقيدة هذه الأمة، وقَطْع العُرى التي تربطها بدينها وقيمها وأخلاقها، ومن ثم تمزيق شملها ووحدتها وإضعافها وضمان تبعيتها له في كل أمر من الأمور السياسية أو الاقتصادية أو الفكرية.

لذا فنحن أبناء هذه الأمة في أشد الحاجة إلى فهم طبيعة هذه الحرب النفسية ومعرفة أساليبها وأسلحتها، وتقويم خطرها تقويمًا صحيحًا لنستطيع ـ بإذن الله ـ أن نفوِّت على العدو أهدافه، ونحبط مخططاته، وشن عليه حربًا نفسية مضادة لرد كيده في نحره». [**الحرب النفسية للنجار ٣-٤**].

١ ـ مفهوم الحرب النفسية:

يقول د/ زين السيد: «**الحرب النفسية هي**: استخدام مخططًا من جانب دولة أو مجموعة من الدول في وقت الحرب أو وقت السلم لإجراءات إعلامية بقصد التأثير في آراء وعواطف ومواقف سلوك جماعات أجنبية معادية أو محايدة أو صديقة بطريقة تساعد على تحقيق سياسة وأهداف الدولة أو الدول».

[**علم النفس الاجتماعي ـ د/ حامد زهران ص٣٩٥، عالم الكتب ط الخامسة، الرأي العام والحرب النفسية ص١١٣ ـ د/ مختار التهامي ـ دار المعارف**].

ومعنى ذلك أن الحرب النفسية أسلوب يُمارس في السلم وفي الحرب، وفي كل مجال من هذين المجالين يتبع فيه ما يناسبه، وهي جزء أساسي من الحرب الشاملة؛ ولذلك فهي تشب قبل الحرب، وفي أثنائها، وفي أعقابها.

وتُطلق الحرب النفسية ويُراد منها هذا المعنى، بينما تطلق كلمة الحرب فقط على عملية تشابك القوات بالأسلحة المختلفة.

يقول د/ عبد الرحمن محمد عيسوي: «والواقع أن كل حرب مهما كان نوعها هي حرب نفسية، الهدف من الحرب هو هزيمة الخصم، والهزيمة حالة نفسية هدفها الاقتناع بعدم جدوى المقاومة أي الاستسلام، والتوقف عن الحرب». [دراسات في علم النفس الاجتماعي ـ د/ عبد الرحمن محمد عيسوي ص٩ ـ دار المعرفة الجامعية ـ الإسكندرية ١٩٨٥م].

لأن الشخص إنما يقاتل ليحقق هدفًا مقتنعًا بشرعيته، وبإمكان تحققه، فإذا فقد المقاتِل هذا الاقتناع فَقَدَ الدافع الذي يدفعه نحو الكفاح، والحرب كأي أسلوب آخر لابد له من الدافع الذي يدفعه، فإذا انعدم الدافع انعدمت قدرة الفرد على استمراره في المقاومة، وإذا أمكن اقتناع الخصم بالهزيمة بوسيلة غير الحرب المسلحة لم يكن هناك داع لها.

وقريب من هذا التعريف الذي سبق ذكره تعريف البعض من أن الحرب النفسية: «هي الاستخدام المخطط للدعاية أو ما ينتمي إليها من الإجراءات الموجَّهة إلى الدول المعادية أو المحايدة أو الصديقة بهدف التأثير على عواطف وأفكار وسلوك شعوب هذه الدول بما يحقق للدولة الموجِّهة أهدافها». [السابق ص٧].

ويتضح لنا من هذا التعريف أن حرب الدعاية هي حرب نفسية معنوية، ولها تأثير في نفسية الدول؛ لأنها تؤدي دورها دونما استعانة بأي شيء آخر بحكم أنها تنساب إلى الأنفس والعقول فلا يتنبه إليها الناس ولا يحذرونها، ومن ثم كان الخطر، حيث إن الدعاية من الممكن أن تتسرب إلى تيار الحياة اليومية، وأن تتغلغل بين الناس، وأن تغير وتبدل في آرائهم، وأن تتحول بهم إلى الجانب الذي تريده، فتدفع بالخصوم إلى الهزيمة النفسية، وتقف بقومها في قلعة الصمود والنصر النفسيين.

فالحرب النفسية في أي شكل من أشكالها إنما تستهدف النفس أولًا وأخيرًا، وتتجه إلى ترجيح الطاقة والصمود النفسيين في جانب، على اليأس والانهيار في الجانب الآخر؛ وبذلك يتحقق النصر للجانب الأول، وتتحقق الهزيمة للجانب الثاني، وتلك كلها عناصر نفسية بحتة، ومجال حركتها هي النفس البشرية، فهي التي تتأثر، وهي التي تؤثر، وهي التي تقرر للجسد ماذا يفعل في كل موقف، هي تقرر، وهو يخضع وينفذ.

والبشر يتفاوتون في القدرة على الصمود النفسي في الحرب، فالبعض ينهار عندما يواجه أقل نسبة من الخسائر، والبعض يصمد في مواجهة خسائر عالية، ومعنى ذلك هو أن النصر يتحقق للجانب الذي يستطيع أن يصبر ويصابر، وأن يتابع المعركة وأن يبادل عدوه الضربة بالضربة، بل بضربتين وأكثر حتى يصل به إلى الحد الذي لا يستطيع أن يتحمل فيه من الخسائر أكثر مما تحمَّل، فيعلن الهزيمة ويلقي السلاح.

وينبغي ألا تكون حرب العدو النفسية سلاحًا مؤثرًا، والذي يساعد على ذلك هو الدراسة الواعية لأساليب العدو وأغراضه، وكافة طرق الحرب النفسية الدفاعية.

فالحرب النفسية التي هي أحدث أسلحة الحرب باعتبار شدة الاهتمام بها، علمًا بأنها من قديم الزمن توجه ضد الفكر والعقيدة والشجاعة والثقة، وضد الرغبة في القتال، وهي حرب دفاعية هجومية؛ ذلك لأنها تحاول أن تبني معنويات الشعب والجنود، بينما تحطم في الوقت نفسه معنويات العدو». [ينظر للتفصيل في تاريخ هذه التعريفات: الحرب النفسية ـ د/ فهمي النجار ص ٦٦-٧٢]. [دور الحرب النفسية للسيد ٧-٨].

٢ ـ أسلحة الحرب النفسية (١):

يقول د/ زين السيد: «وللحرب النفسية أسلحة عدة، منها:

١ـ الخداع عن طريق الحيل والإيهام؛ لأن الحيلة هي أساس فن الحرب، قال الله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾[الأنفال].

٢ ـ ثم التهذيب بواسطة القوة والإرهاب وبث الذعر والتخويف من الموت والفقر وإطلاق الشائعات.

٣ ـ ثم الإغراء والتضليل والوعد والوعيد، ومحاولة كسب العناصر المحايدة.

٤ ـ ثم نشر التخاذل وتثبيط المعنويات، والعمل على تحطيم الدوافع والبواعث للقتال».

[ينظر: دراسات في علم النفس الاجتماعي ـ د/ عبد الرحمن محمد عيسوي ص ٤٣-٦٠، والرأي العام والحرب النفسية ـ د/ مختار التهامي ص ١٦٤-١٦٩، وعلم النفس الاجتماعي ـ د/ حامد زهران ص ٣٩٦].

ومن ذلك يتضح لنا جليًّا أن الجهاد بهذه الأسلحة لا يقل أهمية ولا أثرًا عن الجهاد بالنفس والمال، بل قد يكون أشد أثرًا على الأعداء من القتال؛ ولذلك يروي الإمام أحمد بسنده عَنْ كَعْبِ ابْنِ مَالِكٍ ﵁ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ أَنْزَلَ فِي الشِّعْرِ مَا أَنْزَلَ؟! فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُجَاهِدُ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَكَأَنَّ مَا تَرْمُونَهُمْ بِهِ نَضْحُ النَّبْلِ**». [مسند الإمام أحمد ٤٥/ ١٤٧ رقم ٢٧١٧٤، مجمع الزوائد ٨/ ١٢٣، وقال الهيثمي: رواه كله أحمد بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح، وروى الطبراني في الأوسط والكبير نحوه. الجامع الصغير للسيوطي ١/ ٨٤ دار الكتب العلمية ـ بيروت، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٨٠٢ ومواضع أخرى].

«**نَضْحُ النَّبْلِ**» يعني: الرمي بالسهام، «يُقال: نَضَحُوهم بالنَّبْل إذا رمَوْهم».

[النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ـ تحقيق د/ محمود محمد الطناحي ٥/ ٧٠ ـ المكتبة الإسلامية].

وعَنْ أَنَسٍ ﵁ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ ﵁ بَيْنَ يَدَيْهِ يَمْشِي وَهُوَ يَقُولُ:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ ... الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ

ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ ... وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

---

(١) ينظر للتفصيل في أسلحة الحرب النفسية: الحرب النفسية ـ د/ فهمي النجار ص ١٥٥ – ١٩٧.

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ ﷺ: يَا ابْنَ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَفِي حَرَمِ اللهِ تَقُولُ الشِّعْرَ؟! فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**خَلِّ عَنْهُ يَا عُمَرُ، فَلَهِيَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ**».

[سنن الترمذي ٢٧٧٤، وقَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ، وَقَدْ رَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ هَذَا الحَدِيثَ أَيْضًا عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَنَسٍ نَحْوَ هَذَا، وَرُوِيَ فِي غَيْرِ هَذَا الحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ القَضَاءِ وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهَذَا أَصَحُّ عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ الحَدِيثِ؛ لِأَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ رَوَاحَةَ قُتِلَ يَوْمَ مُؤْتَةَ وَإِنَّمَا كَانَتْ عُمْرَةُ القَضَاءِ بَعْدَ ذَلِكَ. وسنن الترمذي (٢٨٧٣)، وقال الشيخ الألباني: صحيح].

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَأَيْدِيكُمْ، وَأَلْسِنَتِكُمْ**».

[سنن النسائي (٣٠٩٦)، وقال الشيخ الألباني: صحيح].

ومن أجل ذلك كله يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ [التوبة:١٢٠].

فالجهاد باللسان أحد أساليب المسلمين للأعداء، وهو لا يقل أهمية عن الجهاد بالنفس والمال، وقد يكون أسرع وأشد تأثيرًا على الأعداء من القتال بتغيير فكره واتجاهه وقِيمه ومعتقداته وسلوكه تغييرًا من شأنه أن يحقق الكسب لنا والخسارة للعدو.

ومهمة الحرب النفسية تغيير الحالة الذهنية من إرادة المقاومة والقتال لدى الأعداء إلى التخلي عن إصراره وعزمه، وإلى الاقتناع بأن هزيمته واقعة لا محالة إذا قرر أنه يواجه قوة المسلمين التي لا قِبل له بها، وهكذا ينشأ لدى العدو اتجاه نفسي يسيطر على أفراده فيجعلهم يمتنعون عن استخدام قوتهم أو عن العدوان». [دور الحرب النفسية في غزوتي أُحد والأحزاب للسيد ١١-١٢].

٣ ـ دور اليهود في الحرب النفسية بعد غزوة بدر الكبرى:

يقول أ/ خلف الله: «لما انتصر المسلمون في بدر ازداد حنق اليهود ولم يستطيعوا كتمان حقدهم فأخذوا يجاهرون بالعداوة والبغضاء، وأول من جاهر بها هم يهود بني قينقاع إذ كانوا يقيمون داخل المدينة نفسها ويظهر تبجحهم من خطابهم لرسول الله ﷺ بقولهم: «**يَا مُحَمَّدُ، لَا يَغُرَّنَّكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنَّكَ قَتَلتَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ، كَانُوا أَغْمَارًا لَا يَعْرِفُونَ القِتَالَ، إِنَّكَ وَاللهِ لَوْ قَاتَلْتَنَا لَعَرَفْتَ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ، وَأَنَّكَ لَمْ تَلْقَ مِثْلَنَا**»، واتضح من تصرفاتهم وسلوكهم أنهم لا يطيقون وجود المسلمين بالمدينة فكان لابد من إجلائهم عنها، وقد تم ذلك في شوال سنة ٢هـ». [غزوة أُحد لخلف الله ٢٤].

ويقول د/ زين السيد: «لقد كان من شأن هذا القول الذي أثاره اليهود يهونون فيه من شأن المسلمين وانتصاراتهم أن يؤثر في نفسياتهم، وأن يهونهم عند أنفسهم حتى لا يجرؤوا على مقابلة أعدائهم مرة أخرى.

وهذا ما كان يرمي إليه اليهود، ولكن المسلمين ـ وعلى رأسهم رسول الله ﷺ ـ كانوا متيقظين لتلك السبل ولم يكترثوا، بل أظهروا قوتهم في طردهم ليهود بني قينقاع وأجلوهم عن المدينة.

وحينئذ أدرك اليهود أن سياسة الإسلام أقوى من سياستهم، وأن رابطتهم أقوى من أن يؤثر فيها أي كلمة أو فتنة أو دعاية أو وشاية، ولاشك أن الإسلام ورسول الإسلام ﷺ ساس الأمة ورفع هامتها عالية ضد أي حرب أيًّا كان نوعها: نفسية، أو فعلية، ورفع روحها المعنوية بانضمامها تحت لوائه». [دور الحرب النفسية في غزوتي أُحد والأحزاب للسيد ٢٨].

٤ ـ دور المنافقين في الحرب النفسية بعد غزوة بدر الكبرى:

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَـٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [آل عمران].

يقول أ/ خلف الله: «والمنافقون قوم أبناء عمومة الأنصار أبطنوا الكفر وأضمروا العداء ثم أعلنوا الإسلام وتظاهروا بالمحبة الصافية وانتحلوا الإخاء المصفَّق (الصافي)، واصطفوا الود المتحول، وإن قلوبهم لتنطوي على المرض والحقد والغدر والمكر، زعموا أن سيوفهم مع المسلمين، صدقوا، ولكن قلوبهم كانت مع الكفار، وزعموا أنهم خالصون خيِّرون كذبوا، هم جبناء أخساء أشرار: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[البقرة]، لم يقولوا كلمة الإسلام في صدق فينتظمون في عقد الأنصار، ولم يعلنوا الكفر واضحًا فيُجري عليهم الرسول ﷺ حُكم الكفار: مذبذبين بين ذلك: لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء؛ ولهذا كانوا أشد ضررًا وأبلغ في الأذى أثرًا، إذ أن رسول الله ﷺ ما كان في استطاعته إلا أن يكتفي بظاهرهم ويكل إلى الله ما في سرائرهم، وكان ظاهرهم السلم والإسلام وباطنهم الكفر والكفران، وظلوا على هذا شوكة في جنب المسلمين وقذى في العيون وقرحة في الأكباد. [قصص القرآن: محمد أحمد جاد المولى. محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون ص٣٥٣ – ٣٥٧].

ولما كان المنافق يمتاز بخسة النفس والحقد والجبن الذي يمنعه من التصريح بدخيلته؛ لذا دأب المنافقون على محاربة المسلمين ويغرون الأعداء بهم، وكان على رأسهم عبد الله بن أُبي بن سلول الخزرجي الذي كان يطمع في الوصول إلى زعامة الأوس والخزرج، ولا يمكنه أن يحقق أطماعه الخبيثة ما دامت

الدعوة الإسلامية قائمة، فكان يتربص بالمسلمين الدوائر، وكانت كلما ازدادت القوة الإسلامية شوكة ازداد ابن أُبي نفاقًا، وقد نزل عليه وعلى أتباعه نصر بدر نزول الصواعق.

وكان ابن أُبي يعتد ويعتز باليهود ويدخرهم لنصرته؛ يتضح ذلك من موقفه في حادث بني قينقاع إذ أدخل يده في جيب رسول الله ﷺ وهو يقول: «**لَا وَالله لَا أُرْسِلكَ حَتَّى تُحْسِنَ فِي مُوَالِيَّ، أَرْبَعَ مِئَةِ حَاسِرٍ وَثَلَاثُمِائَةِ دَارِعٍ قَدْ مَنَعُونِي مِنْ الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ تَحْصُدُهُمْ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ، إِنِّي وَالله امْرُؤٌ أَخْشَى الدَّوَائِرَ**»، ولم يمنعه من نصرة اليهود وقتال المسلمين سوى جبنه وعدم ثقته في نفسه وفي قوة أتباعه» (١).

[غزوة أُحد لخلف الله ٢٠-٢١].

«حقًّا إنها الحرب النفسية الباغية من العدو المتمثل في المنافقين، وعلى رأسهم المنافق الأكبر عبد الله بن أُبي ابن سلول، لا يقول إلا ما هو في صالحه، ولا يفعل إلا ما هو ضد الإسلام ونبي الإسلام، ومن مصلحته ألا تتماسك الهمم والعزائم، ولا يجوز للنبي ﷺ وأصحابه شرعًا وعقلًا ومنطقًا أن يحقق للعدو غرضه الذي يريده، ومن هنا وجدنا الإسلام ونبي الإسلام يقود الرعيل الأول الذي تربى على مائدة الإسلام، وفي المدرسة المحمدية يقودهم إلى سحق محاولات الحرب النفسية الباغية أيًّا كان نوعها، سواء أكانت كلمة تُقال، أو شائعة تُنشر، أو ادعاءات كاذبة، أو مجادلات رديئة، أو ما إلى ذلك من أساليب الحرب النفسية التي يريدونها ويقصدون إليها». [دور الحرب النفسية في غزوتي أُحد والأحزاب للسيد ٣٩].

٥ ـ أثر الحرب النفسية في نفوس المسلمين وموقفهم منها:

يقول د/ زين السيد: «وقف المسلمون موقفًا بطوليًّا من الحرب النفسية وقاوموها مقاومة عنيفة بشتى الأسلحة: بالصبر حينًا، وبأسلوب الدعاية الحقيقية التي لا مراء فيها ولا التواء أحيانًا أخرى، نعم تلك الدعاية لهذا الدين الجديد بواسطة الحجة والإقناع والدعوة بالتي هي أحسن، وضرب أروع الأمثلة وأسماها من خلال التصرفات السلوكية.

ومن أساليب مقاومة المسلمين للحرب النفسية التي شنها أعداء الحق عليهم سد طرق القوافل التجارية وحصارهم اقتصاديًّا، وضيَّقوا عليهم الخناق في جميع الاتجاهات، وكانت النهاية الوصول إلى عقد الهدنة بين الطرفين، وفُتحت مكة، وكان فيها ما فيها من المواقف الإسلامية في الحرب النفسية، فغزا عقول أعدائه ومعنوياتهم وقضى على إرادة القتال لديهم مجرِّدًا إياهم من كل سلاح في المقاومة، فدخل مكة، وطاف بالكعبة مكسرًا الأصنام، ناطقًا قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء]». [دور الحرب النفسية في غزوتي أُحد والأحزاب للسيد ٤٢-٤٣].

---

(١) افتضح أمره في غزوة بني المصطلق كما سيأتي تفصيله في الحديث عن هذه الغزوة.

٦ ـ أثر الشائعات على المعنويات:

ويقول أ/ عبَّاد: «أما قول الرسول ﷺ للحباب ﵁: «**لا تُخْبِرْنِي بَيْنَ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إلا أَنْ تَرَى قِلَّةً**»، ففيه بيان بأهمية المحافظة على القوة المعنوية لجيش المسلمين، والنبي ﷺ دائمًا يحافظ على معنويات جيشه ففي غزوة الخندق ـ في العام الخامس الهجري من شهر شوال ـ عندما أرسل أصحابه لمعرفة موقف بني قريظة طلب منهم إذا صح خبر نقضهم للعهد أن يخبروه بأسلوب من الكلام لا يفهمه غيره ﷺ حتى لا يؤثر الخبر على معنويات المسلمين فوضع لهم كلمة السر (عضل والقارة).

واستخدم الصحابة هذا الأسلوب أيضًا، ففي معركة الجسر في ٢٣ شعبان سنة ١٣ هـ حينما هُزم المسلمون من الفرس هزيمة شديدة فقُتل ستة آلاف مسلم وغرق بالفرات أربعة آلاف، كُلِّف عبد الله بن زيد بالذهاب إلى المدينة ليخبر عمر بن الخطاب ﵁ ـ أمير المؤمنين ـ فجاء عبد الله وعمر على المنبر فقال عمر: ما وراءك يا عبد الله؟، قال: أتاك الخبر اليقين، ثم صعد إليه على المنبر وأخبره سرًّا.

لقد عرف المسلمون أثر الإشاعة في المعنويات قبل أربعة عشر قرنًا.

وقول الرسول ﷺ: «**حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، اللَّهُمَّ بِكَ أَجُولُ وَبِكَ أَصُولُ**» يدل على قوة التوكل على الله حيث لم يذكر في ذلك الموقف الرهيب غير الله ﷻ، وهذا من أهم عوامل النصر».

[مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٢٩-٣٠].

٧ ـ أثر الشائعات في المجتمع وبخاصة في أوقات الحروب [(١)]:

ويقول الشيخ أبو خوات: «للكلمة في الإسلام خطرها ووزنها وشرفها وكرامتها، نجد ذلك فيما يتصل بالوجود كله ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس]، ونجده فيما يتعلق بخَلقِ الإنسان ذاته كما يقول تعالى تأكيدًا لقدرته على أن يخلق عيسى ﵇ من غير أب، ولفتًا للعقول إلى أن ما تؤمن به دون مناقشة أكبر إعجاز مما تلح في المناقشة والجدل فيه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عمران]، ونجده في دليل الإيمان ذاته، فقول المشرك أو المجوسي أو النصراني أو اليهودي أو غيرهم: آمنت بالله ربًّا واحدًا وبمحمد نبيًّا ورسولًا إلى الناس كافة ينقل هؤلاء كلهم بهذه الكلمة أو مثلها من الكفر إلى الإيمان ومن الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، والكلمة الطيبة الصادقة كالشجرة الطيبة السامقة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، والكلمة الكاذبة الخبيثة كالشجرة الخبيثة الرديئة لا فرع لها يرتفع، وليس لجذورها من قرار، وقد تُعرَّى الكلمة عن القسم، وقد تؤكد به، وقد تُقال في صيغة عهد أو ميثاق، فالصدق والوفاء بالعهد نتيجة الكلمة

---

(١) ينظر للتفصيل في أثر الشائعات: الحرب النفسية ـ د/ فهمي النجار ص ١٦٥ - ١٧٨.

الطيبة والعهد الصادق، والكذب وإخلاف الوعد ونقض العهد والميثاق نتيجة الكلمة الخبيثة والنفاق المرذول، وتلك كلها ألوان في علاقات الناس بعضهم ببعض، وقد تكون على المستوى الفردي أو الجماعي الضيق، أما إذا أريد للكلمة أن تذيع وتشيع لغرض في النفس فإن الكلمة تُقال لتصير شائعة بين الناس تُحدث بينهم أثرها الكبير، وقد يتورط كثير من الناس في الإسهام في ترويج هذه الشائعات دون قصد، وهؤلاء هم المعنيون بقوله ﷺ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**».

[**البخاري في الرقاق (٦٤٧٨)، وأحمد عن أبي هريرة ﷺ (٨٢٠٦)**].

ومن هنا نستطيع أن نحكم بأن الشائعات الكاذبة هي قمة الكلم الخبيث الذي ينبغي للمسلم أن يطهر منه لسانه.

ومن أجل خطر الكلمة الكاذبة أيًّا كان مجال قولها ـ في حديث عادي، في شهادة زور، في افتراء على الله ورسوله، في وقيعة وسعاية بين الناس بالسوء ـ حذرت الآثار وأنذرت:

«**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحَيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ**». [**البخاري في الرقاق (٦٤٧٤)**].

«**وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلسِنَتِهِمْ**».

[**الترمذي في الإيمان (٢٦١٦)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٣)، وأحمد عن معاذ بن جبل ﷺ (٢١٥١١)**].

وقد حدث في غزوة أُحد حين انكفأ المسلمون على الغنائم يجمعونها وانكفأ معهم الرماة المحذَّرون من رسول الله ﷺ نفسه في أول المعركة ومن قائدهم عبد الله بن جبير ﷺ أثناءها... حدث حينئذ أن أقبل رجل اسمه ابن قميئة الليثي على النبي ﷺ وكان أمامه الصحابي الحافظ القارئ الجليل مصعب بن عمير ﷺ، فجعل مصعب يدافع عن النبي ﷺ حتى تمكن ابن قميئة من قتله شهيدًا بين يدي رسول الله ﷺ، فانطلق يصرخ بأنه قتل رسول الله ﷺ.

ويكفي أن نتصور مدى ما تفعله هذه الكلمات في محيط قوم مرت بهم الخطوات السابقة عليها: خلاف على البقاء في المدينة أو الخروج منها، انخذال ثلث الجيش مع عبد الله بن أُبَيٍّ، غلبة وقتال لصالح المسلمين، ثم شعور بتغير ريح النصر مع تعليق ما بقي من أمل برسول الله وحده، ارتباك في الصفوف بسبب ترك الرماة لأماكنهم، قضاء الخيالة على من بقي ثابتًا منهم في مكانه، ومنهم القائد نفسه عبد الله بن جبير ﷺ، ثم أخيرًا صرخة الصرخات تقول: إن محمدًا قتل بيد ابن قميئة الليثي... يكفي أن نتصور هذا الشريط من الأحداث لندرك مدى تأثير هذه الشائعة في صفوف المسلمين، وإذا تصورنا هذا كله لا نستبعد ما يرويه الثقات من ذهول المسلمين حتى ضرب بعضهم بعضًا خطأ، ومن رجوع أكثرهم في طريق المدينة، وكما يقول الحافظ ابن حجر: إنهم صاروا بعد هذه الشائعة الكاذبة ثلاث فرق:

١ـ فِرْقَةٌ اِسْتَمَرُّوا فِي الهَزِيمَةِ إِلَى قُرْبِ المَدِينَةِ، فَمَا رَجَعُوا حَتَّى اِنْفَضَّ القِتَالُ، وَهُمْ قَلِيلٌ، وَهُم الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمْ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٥٥﴾﴾[آل عمران].

٢ ـ وَفِرْقَةٌ صَارُوا حَيَارَى لـمَّا سَمِعُوا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قُتِلَ، فَصَارَ غَايَةُ الوَاحِدِ مِنْهُمْ أَنْ يَذُبَّ عَنْ نَفْسِهِ، أَوْ يَسْتَمِرَّ عَلَى بَصِيرَتِهِ فِي القِتَالِ إِلَى أَنْ يُقْتَلَ، وَهُمْ أَكْثَرُ الصَّحَابَةِ.

٣ ـ وَفِرْقَةٌ ثَبَتَتْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ تَرَاجَعَ إِلَيْهِ القِسْمُ الثَّانِي شَيْئًا فَشَيْئًا لـمَّا عَرَفُوا أَنَّهُ حَيٌّ.

[فتح الباري ٧/ ٤١٩ كتاب المغازي باب غزوة أحد حديث رقم ٤٠٦٤].

من هنا نرى كيف تبلغ الكلمة الكاذبة إذا اتخذت لون الشائعة الذائعة، ومن هنا نأخذ الدروس فنتعلم احترام الكلمة، ومن احترام الكلمة ألا نقولها ولا نصدقها ممن يقولها إلا بعد اليقين بصدقها، حتى إذا أحدثت أثرها الضخم في المجتمع، كان الصدق لحمتها وسُداها، وتلاقى بها السبب والغاية، لكنَّ ناسًا من الناس في كل مجتمع تتلمذوا على اليهود الذين افتروا على الأنبياء وقتلوهم، وكانوا مع المنافقين وراء كل شائعة كاذبة مغرضة ضد الإسلام.

لكن ناسًا ما زالوا يأبون إلا الكلمة الشائعة التي تقوض بناء المجتمع، وتشكك في قياداته ومبادئه، وتهز من إيمان الشعوب بالقدر الذي يسمح بإيجاد فتنة في صفوفها، وهؤلاء هم العدو الخفي الأشد خطرًا من العدو الظاهر.

فيما حدث في غزوة أحد من إطلاق شائعة قَتْل الرسول ﷺ لنا عبرة ودرس كبير وعلينا أن نعيه، وبوعيه نستطيع أن ننقد كل قول يُقال، فنقبل الحق وننفي الباطل متخذين شعارنا في هذا المقام: ﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾﴾[الإسراء]». **[دروس من غزوات الرسول ﷺ لأبي خوات ٤٤-٤٩].**

٨ ـ طريق التعامل مع شائعات العدو في وسائل الإعلام الخارجية:

يقول د/ الزيد: «كانت لإشاعة مقتل النبي ﷺ أثرها السلبي على بعض المسلمين، فألقى بعضهم السلاح وقال: ما الفائدة من القتال؟ وبعضهم ذهب إلى المدينة، وبعضهم أراد البحث عن عبد الله بن أُبي بن سلول؛ ليستأمن لهم من أبي سفيان، نأخذ من هذا الحذر من تصديق الإشاعات وأن العدو يبث الإشاعات، وخاصة في وقتنا الحاضر عن طريق وسائل الإعلام الخارجية، والإسلام أرشدنا إلى المنهج في التعامل مع الأخبار في الآيات التالية:

١ـ أن نطلب من المتحدث الدليل لما يقول، فلا نقبل الخبر المجرد، والله ﷻ يقول: ﴿ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾[النمل]، فلا يُقبل قول أحد إلا ببرهان.

٢ ـ أن يتثبت المسلم ويتبين، فلا يتأثر ويبني أحكامه على عجلة، والله جل شأنه يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٩٤﴾ [النساء]، فالمسلم مطلوب منه التبين وعدم تصديق أي خبر يصل إلى مسامعه.

٣- يقول الله جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [الحُجُرات]، فالمستعجل يقبل الخبر ويصدِّقه في أول سماع؛ ولذلك تجده كثير الندم لكثرة أخطائه كما تشير إلى ذلك الآية الأخيرة في خاتمتها.

وإذا كنا أخذنا من فعل بعض الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ درسًا، فإننا نأخذ درسًا مهمًّا من فعل البعض الآخر، أولئك الذين أحسنوا التعامل مع الإشاعة، فلم يصدقوها ولم يتأثروا بها، بل على العكس من ذلك حولوها إلى خلاف ما يريد العدو حينما جعلوها دافعًا لمزيد العمل والجهاد والبذل، يقول أنس بن النضر رضي الله عنه لما أُشيع مقتل رسول الله ﷺ: «**مَا يُقْعِدُكُمْ؟ قَالُوا: قُتِلَ رَسُولُ الله، قَالَ: فَمَا تَصْنَعُونَ بِالحَيَاةِ بَعْدَهُ؟ قُومُوا فَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ، ثُمّ جَالَدَ بِسَيْفِهِ حَتَّى قُتِلَ**».

فالعدو يريد من خلال الإشاعة أن يفت في عضد المسلمين، ولكن أنسًا رضي الله عنه يقلب الأمر ويحاول أن يجعل من هذه الإشاعة ـ على فرض صحتها ـ دافعًا للعمل ودافعًا للجهاد، دافعًا للمزيد من الذود عن هذا الدين ومقاتلة الأعداء لا إلقاء السلاح والاستسلام، ومثل هذه إشاعة مقتل عثمان رضي الله عنه في صلح الحديبية كانت سببًا في عكس ما يريد الأعداء حيث أدت إلى بيعة الرضوان، وهو عكس ما يريده العدو».

[فقه السيرة للزيد ٤٥٢-٤٥٤].

٩ ـ القضاء على الحرب النفسية بالحقائق الدامغة:

ويقول د/ الرشيد: «تؤثر الحرب النفسية في الإنسان تأثيرًا سيئًا، وهذا ما يقرره خبراء الحرب النفسية؛ لذا فإن كل خصم في ميدان القتال يستغل هذا النوع من الحرب لصالح جيشه، وهذه الحربُ لا تُؤْتِي ثمارَها المرجُوَّة إلا عند غيبة الحقائق الدامغة التي هي السَّبيل الوحيد للقضاء على الشائعات والأكاذيب.

وفي غزوة أُحد انتهز المشركون فرصةَ هزيمة المسلمين فأطلقوا الإشاعات حول مقتل الرسول ﷺ بقصد تحطيم الروح المعنوية لدى جيش النبي ﷺ، وقد كان لهذه الإشاعة أثر سيء على المسلمين، حيث انهزموا أمام المشركين في آخر المعركة.

روى الزبير بن العوام رضي الله عنه خبر هذه الإشاعة وأثرها بين صفوف الجيش فقال: «... فَصَرَخَ صَارِخٌ يَرَوْنَ أَنَّهُ الشّيْطَانُ: **أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ**، فَأَعْظَمَ النَّاسُ، وَرَكَبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَصَارُوا أَثْلاثًا: ثُلُثًا

جَرِيحًا، وثُلُثًا مَقْتُولًا، وثُلُثًا مُنْهَزِمًا...». [المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر ٤/ ٢١٧، ثم قال رحمه الله: وهذا إسناد صحيح، وله شاهد في الصحيح من حديث البراء. ينظر: فتح الباري حديث رقم ٤٠٤٣، ٧/ ٣٤٩].

وقد ردَّ الرسولُ ﷺ على هذه الإشاعة المُغْرِضَة بالحقيقة الدامغة حيث نادى بصوت مرتفع قائلًا: «**إليَّ يا فُلانُ، إليَّ يا فُلانُ، أَنَا رَسُولُ الله**».

[ينظر: إمتاع الأسماع ١/ ١٣٠، والسيرة الحلبية ٢/ ٥٠٥، والمدخل إلى العقيدة والإستراتيجية العسكرية الإسلامية ص ١٣٧، والنظرية الإسلامية في الحرب النفسية ص ٦٤-٦٥، واقتباس النظام العسكري في عهد النبوة ص ١٥٥].

وقد كان لظهور هذه الحقيقة في ذلك الظرف الحَرِجِ الذي يمر به المسلمون ما يأتي:

أولًا: دفع مفسدة عظيمة وهي: القضاء على الآثار المعنوية لتلك الإشاعة التي استهدفت هزيمة المسلمين.

ثانيًا: حصول مصلحة عظيمة وهي: تجميع قُوَى المسلمين المبعثرة، ورد الثقة إلى أنفسهم».

[القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ للرشيد ٤٧١-٤٧٢].

١٠ ـ الحكمة من إشاعة مقتل النبي ﷺ:

يقول د/ البوطي: «لقد رأينا أن النبي ﷺ أوذيَ كثيرًا في هذه الغزوة فوقع لشقه، وشُج رأسه، وكُسرت رباعيته، وساح الدم غزيرًا من وجهه، وكل ذلك جزء من مظهر نتائج تلك الخطيئة، خطيئة أولئك المسلمين في الخروج على أوامر الرسول القائد ﷺ.

ولكن ما الحكمة في أن يشيع خبر مقتل رسول الله ﷺ في صفوف المسلمين؟!

والجواب: أن ارتباط المسلمين برسول الله ﷺ ووجوده فيما بينهم كان من القوة بحيث لم يكونوا يتصورون فراقه ولم يكونوا يتخيلون قدرة لهم على التماسك من بعده، فكان أمر وفاة رسول الله ﷺ شيئًا لم يخطر لهم على بال، وكأنهم كانوا يُسقطون حساب ذلك من أذهانهم، ولا ريب أنهم لو استيقظوا من غفلتهم هذه على خبر وفاة الرسول ﷺ الحقيقية، لصدع الخبر أفئدتهم، ولزعزع كيانهم الإيماني بل لقوضه في نفوس كثير منهم.

فكان من الحكمة الباهرة أن تشيع هذه الشائعة تجربة درسيَّة بين تلك الدروس العسكرية العظيمة، كي يستفيق المسلمون من ورائها إلى الحقيقة التي ينبغي أن يوطنوا أنفسهم لها منذ الساعة، وأن لا يرتدُّوا على أعقابهم إذا وجدوا أن رسول الله ﷺ قد اختفى من بينهم.

ومن أجل بيان هذا الدرس الجليل نزلت الآية تعليقًا على ما أصاب كثيرًا من المسلمين من ضعف وتراجع لدى سماعهم نبأ قتل رسول الله ﷺ، وذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [آل عمران].

ولقد اتضح الأثر الإيجابي لهذا الدرس، يوم أن لحق رسول الله ﷺ فعلًا بالرفيق الأعلى، فقد كانت شائعة أُحد هذه مع ما نزل بسببها من القرآن هي التي أيقظت المسلمين ونبهتهم إلى الحقيقة، فودعوا رسول الله ﷺ بقلوبهم الحزينة، ثم رجعوا إلى الأمانة التي تركها بين أيديهم، أمانة الدعوة والجهاد في سبيل الله، فنهضوا بها أقوياء بإيمانهم أشداء في عقيدتهم وتوكلهم على الله تعالى». [فقه السيرة للبوطي ١٩٣].

١١ ـ الحرب النفسية في الحوار بين أبي سفيان والمسلمين:

«وَقَالُوا: لـمَّا تَحَاجَزُوا أَرَادَ أَبُو سُفْيَانَ الانْصِرَافَ، وَأَقْبَلَ يَسِيرُ عَلَى فَرَسٍ لَهُ حَوَّاءُ (حُمرة تضرب إلى السواد) أُنْثَى، فَأَشْرَفَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ في عُرْضِ الجَبَلِ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أُعْلُ هُبَلُ! ثُمَّ يَصِيحُ: **أَيْنَ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ؟ أَيْنَ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ أَيْنَ ابْنُ الخَطَّابِ؟ يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، أَلا إِنَّ الأَيَّامَ دُوَلٌ، وَإِنَّ الحَرْبَ سِجَالٌ، وَحَنْظَلَةُ بِحَنْظَلَةَ** (يعني حنظلة بن أبي عامر بحنظلة بن أبي سفيان).

فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: **يَا رَسُولَ الله أُجِيبُهُ؟** فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**بَلَى، فَأَجِبْهُ!**»، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: **أُعْلُ هُبَلُ!** فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: «**اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ** سبحانه وتعالى» قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: **إِنَّهَا قَدْ أَنْعَمَتْ فَعَالِ عَنْهَا** (تجاف عنها ولا تذكرها بسوء، يعني آلهتهم)، ثُمَّ قَالَ: **أَيْنَ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ؟ أَيْنَ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ أَيْنَ ابْنُ الخَطَّابِ؟**

فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: **هَذَا رَسُولُ الله، وَهَذَا أَبُو بَكْرٍ، وَهَذَا عُمَرُ**، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: **يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، أَلا إِنَّ الأَيَّامَ دُوَلٌ وَإِنَّ الحَرْبَ سِجَالٌ**.

فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: **لا سَوَاءَ قَتْلانَا في الجَنَّةِ، وَقَتْلاكُمْ في النَّارِ**، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: **إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ ذَلِكَ! لَقَدْ خِبْنَا إِذَنْ وَخَسِرْنَا**، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: **لَنَا العُزَّى، وَلا عُزَّى لَكُمْ**، فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: **اللهُ مَوْلانَا وَلا مَوْلَى لَكُمْ**».

[المغازي للواقدي ١/ ٢٩٦-٢٩٧، ابن هشام ٣/ ٩٣-٩٤، إمتاع الأسماع للمقريزي ١/ ١٥٨].

يقول د/ زين السيد: «وبهذه الكلمات كان الرسول ﷺ يهدف إلى دعم نفسية الجند المحارِب وتأكيد عزيمته في القتال حتى النصر، وفي الوقت ذاته يهدف أيضًا إلى تخريب نفسية العدو وإقناعه بعدم مشروعية أهدافه، وإقناعه بعجزه عن تحقيق هذه الأهداف.

ولذا خرج النبي ﷺ بمن كانوا معه في أُحد من المسلمين في اليوم التالي إلى **غزوة حمراء الأسد**؛ ليثبت لقريش ومَنْ معها ولكل العرب أن محمدًا ﷺ وأصحابه لم يزالوا أقوياء، وأن قريشًا في أُحد لم تجن شيئًا مما أرادته.

وعلى الرغم من النهاية التي انتهت إليها أُحد فإن سيرنا مع المعركة من بدايتها إلى نهايتها كشف لنا عن أمر خطير ومهم، وهو مدى تأثر النفوس بما يقع من أحداث، وأن الحرب ليست بالسيف والرمح فقط، أو بأدوات الحرب الحديثة فحسب، وإنما للكلمة أثر كبير في مختلف المعارك قديمها وحديثها، وهو ما يُسمى بالحرب النفسية». [دور الحرب النفسية في غزوتي أُحد والأحزاب للسيد ٨٣].

١٢ ـ الحرب النفسية في غزوة أُحد وأثرها:

يقول أ/ شقرة: «كانت غزوة أُحد ساحةً راجت فيها الشائعات وأعظمُها شائعة موت الرسول ﷺ؛ إمعانًا من المشركين في السخرية من المسلمين، وتوهينًا لقوتهم، وزعزعة لصفهم.

والشائعات من أقوى الأسلحة التي تستخدمها الجيوش في الحروب، وحين تنجح الشائعة في المعركة تُضعف معنويات الجند، وتُوهن عزيمتهم وتخذِّلهم.

ومما يساعد على تتابع الشائعات قبولُ الناس للأولى منها، فإذا وجدت مستقرًّا لها في أسماع الناس وقلوبهم جاءت التي بعدها امتدادًا لها، حتى يجتمع منها الجم الكثير، فلا يعود للناس قدرة على رد واحدة منها، وإن كانوا من قبلُ قد كانوا يقدرون على ردها؛ لأنها باجتماعها تصبح ذات قوة منيعة لا يغلبها الناس حتى العقلاء، فإنها تجوزُ عليهم، وتفلت من عقولهم، ولا يجدون لهم سبيلًا عليها، وهذا هو الخطر الحقيقي الذي يقبع بكل ثقله وعرامته وسوأته حتى على أهل التقوى والذكاء من الناس، فلا ينفعهم شيء من ذكاء أو من تقوى.

ومن ذلك ما وقع للمسلمين يوم أُحد، فقد نفذ سهم الشائعة الأولى فيهم، فلما ظهر للأعين سوء افترائهم، وتعرى للناس كذبهم، وأيقن المسلمون بحياة نبيهم ﷺ، اتبعه المشركون والمنافقون بسهم آخر هو أشد من الأول، فقالوا: غَلَّ النبي ﷺ الوحي، وامتدت يده إلى غنيمة.

ولم يتطرق لأذهان المسلمين يومًا شك في صدق نبيهم ﷺ، وأنه لا يُخفي عليهم ـ مما يُوحى إليه ـ شيئًا، فهل يُعقل أن يصدقوا مقالة أعداء الله في نبيهم ﷺ؟!

لئن صدَّق المسلمون الشائعة الأولى، فإنهم لن يصدقوا الثانية، فإن الموت حق، والمنية تخترم الناس جميعًا فما لهم لا يصدقون؟ أما الغُلول في الوحي أو في الغنيمة، فهذا شيء لا يدنو من قريب أو بعيد من أذهانهم، فإنهم لا يصدِّقون مثل هذا في بعضهم البعض، فكيف يصدِّقونه في نبيهم ﷺ؟! فما من صحابي ممن لازموا الرسول ﷺ سفرًا وحضرًا إلا وقد روى عنه شيئًا، وقد سمعوا منه تحذيرًا شديدًا في كتمان شيء مما علِموا ونقلوا عنه، وقد علموا جميعًا من أنفسهم الزهد والورع اللذين تعلموهما من سلوك نبيهم ﷺ، فأيقنوا أنهم فوق الشبهات، وأنهم أكبر من كل الدنيا، فهي عرضٌ يزول ولا يبقى منه شيء، فكيف يقعون تحت تأثيره، وقد أنبأهم نبيهم ﷺ بأن من رَغِبَ عن الدنيا أحبه الله، ورأوا فيه ﷺ المرآة الصادقة الصافية لكل ما أدراهم وأخبرهم به، ورأوا أنفسهم في هذه المرآة على الصورة التي رسمها لهم الرسول ﷺ بقلم الوحي». [**السيرة النبوية العطرة في الآيات القرآنية المسطرة لشقرة ٣٨١-٣٨٢**].

ويقول د/ السيد: «إن العدو أيًّا كان يستعمل شتى وسائل القتال في الهجوم أو الدفاع من أجل أن يقضي على عدوه أو يدافع عن نفسه، والعالَم الآن يجعل من الحرب الباردة وسيلة فعَّالة في الإعداد للمعارك، والحقيقة أن هذا الجانب في القتال ليس وليد العصر الحاضر، وإنما هو موجود منذ زمن قديم، ولئن كانت أُحد إحدى المعارك الإسلامية الشهيرة، وقد مضى عليها الآن أكثر من ألف وأربعمائة عام، فقد كانت الحرب النفسية فيها ذات خطر وأهمية بالغين، ونحن إذ نهتم بكشف هذا الجانب؛ لأنه موضوع بحثنا، وكان سردي لمعركة أُحد التي أشرت إليها في الفصل السابق سبيلًا إلى أن أنبه إلى الجوانب النفسية في هذه المعركة وسأتتبع بعض المواقف التي ذكرتُها في عرض مراحل الغزوة وأستخلص منها مدى تأثر النفوس بالكلمة أو الإشاعة، موضحًا بعض النتائج التي تنجم عنها تلك الأمور:

(أ) كان السبب الرئيس لغزوة أُحد هو انتقامهم من محمد ﷺ وأصحابه وتأثرهم لقتلى بدر، ولا يستطيع أَحد أن ينكر عداوة قريش لمحمد ﷺ من أول يوم جاءت فيه الدعوة، فقد جاءهم ﷺ بما لا يتفق وميولهم حيث دعاهم إلى تكاليف ربما تكون شديدة على النفوس، ونهاهم عن شيء ألفته أنفسهم، وعاب آلهتهم وسفَّه أحلامهم، هذا وغيره كان من شأنه أن يشعل نار العداء بين قريش ومحمد ﷺ، ثم كانت المواقف الأخرى بعد ذلك تزيد نفوس المشركين عداء لرسول الله ﷺ، وما كان في بدر قد غاظ المشركين وهم في نظرهم ونظر مَنْ حولهم أقوياء كثيرو العَدد والعُدة وأصحاب مكانة ومنزلة لهم السيادة على معظم الجزيرة العربية، كانوا يظنون أنهم سينتهون من محمد ﷺ وأصحابه في وقت وجيز ففوجؤوا بالهزيمة المنكرة، ممن كانوا يعتبرونهم ضعفاء، قُتل منهم مَن قُتل وأُسر مَنْ أُسر وولَّى الباقون هاربين، كان من شأن هذا أن يزرع في نفوس قريش حقدًا وعداوة وبغضاء ضد الإسلام والمسلمين، فلم يستريحوا، ولم يستقر لهم بال، ولم تطمئن لهم نفس، كان الأثر النفسي الذي خلَّفته هزيمة المشركين في بدر من الأسباب القوية التي جعلت قريشًا تخرج إلى أُحد من أجل الانتقام وغسل العار، وحدت بقريش أنها أوقفت من أموالها الكثير من أجل هذا للغزوة فكانت النفسيات مشحونة بالانتقام في أدنى التحام، وتسبب كذلك عن هذا الغيظ الدفين في قلوب قريش أنها استعانت في أُحد ببعض القبائل المجاورة والأحابيش والعبيد عن طريق الإغراء، وبعد عِلم الرسول ﷺ وصحابته بنبأ قدوم قريش تأثرت نفسياتهم، فالمنافقون وضعاف الإيمان كان تأثرهم سلبيًّا حيث جعلهم يفزعون ولا يستريح لهم بال من شدة الهول، بل كان ما هو أشد من ذلك حيث رجع عبد الله بن أُبي بن سلول بثلث الجيش وهم في الطريق إلى أُحد يقول: **أيعصيني ويطيع الغلمان، ويشيع أنها ليست حربًا ولا قتالًا**؛ لتوهين الصف المجاهد في سبيل الله بأسلوب من أساليب الحرب النفسية التي يستخدمها المنافقون في هذا المجال.

وقد يكون التأثر إيجابيًّا من أقوياء الإيمان حيث يدفعهم ذلك إلى شدة الحماس وحب الدفاع عن الدين، فقد ظهر التأثر واضحًا حين صمم الكثيرون من أهل المدينة على الخروج للقاء الأعداء وهم ينتظرون إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة، فقد تسابقوا في الخروج حتى الغلمان منهم، وكان انتصارهم في بدر من أشد العوامل النفسية التي دفعتهم إلى الخروج إلى أُحد، ولا ننسى فريق المؤمنين الثاني الذي كان يفضل الانتظار بالمدينة لا عن ضعف ولا تخاذل ولا ذلة، وإنما كانوا يرون هذا لخدمة المعركة حيث يشترك الجميع في الدفاع عن القاعدة الصلبة التي لا يعرف العدو تفاصيل ميدان المعركة فيها.

(ب) في سير قريش إلى أُحد ووصول الخبر إلى رسول الله ﷺ عن طريق العباس ﷺ، ورعي إبل قريش لزروع المدينة، وما جاءت به عيون النبي ﷺ التي أرسلها تخبر بمقدم قريش مؤكدة ذلك، كان له أثره النفسي أن النبي ﷺ وهو القائد الملهم أدرى بطبيعة النفس البشرية وأعرف بظروفها رأى ﷺ بثاقب فكره أن وصول خبرٍ مثل هذا إلى ناس المدينة من شأنه أن يجعل فيها نوعًا من الاضطراب والخوف، وربما يؤثر ذلك في نفوس الجند فحاول أن يستكتم الخبر حتى تظل قوة المسلمين متماسكة.

(ج) من خلال عرضنا لبعض البطولات من بعض المسلمين نستطيع أن نستخلص منها أثر تلك البطولات بعد أن علمنا سبيلها وقوة الإيمان وسلامة العقيدة فيها، أما أثرها فهو رفع الروح المعنوية في نفوس القائد والجند حيث يرى الجميع هذه البطولات أمام أعينهم فترتفع الروح المعنوية ويكون حرصهم على الموت سببًا في إقدامهم وصمودهم، فأبو دجانة ﷺ مثلًا من المسلمين الأبطال الذين خدموا المعركة بروح إيمانية عالية، وكان في قتله لبعض المشركين ما جعل المسلمين يثقون بأنفسهم وثوقًا تامًّا، وأما أنس بن النضر ﷺ فقد كان مؤثِّرًا في المسلمين الفارين والذين ألقوا السلاح حتى رجعوا إلى المعركة مرة أخرى بعد أن ارتفعت عندهم الروح المعنوية.

(د) وذكرنا أثناء عرضنا لغزوة أُحد أن ابن أُبي عاد من الطريق بأصحابه تاركًا المسلمين وحدهم أمام الأعداء بالحجة الكاذبة التي ادعاها وهي ما حكاها القرآن بقوله: ﴿لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ﴾[آل عمران: ١٦٧]، وكان أتباع ابن أُبي -كما حكت الروايات- يصل إلى ثلث الجيش تقريبًا؛ ولهذه الفعلة من ابن أُبي أثرها الشديد على نفوس المؤمنين، وقد كان ذلك الشقي مخادعًا لهم حيث أغراهم أولًا بالخروج معهم، وفي رجوعه من الطريق كانت مفاجأة للمسلمين، وكان هذا العمل من شأنه أن يفت في أعضاد المسلمين وأن يؤثر فيهم نفسيًّا، فقد حاول بعض المسلمين أن يثنيه عن عزمه هذا فأبى، ولو استطعنا أن نصور نفوس المسلمين وهم في حالتهم تلك وقد فقدوا ثلث الجيش في مواجهة عدو عاتٍ متجبر، إن النفوس حينئذ تضعف، وكأن رسول الله ﷺ أحس بما يؤثره موقف ابن أُبي في نفوس المسلمين فسارع إلى طمأنينتهم.

والحق أن رجوع ابن أُبي في نظرنا كان في خدمة المسلمين، فلو حضر المعركة ثم تخلى عنهم وهم فيها لكان لذلك ردٌّ فعلٍ شديد، وربما لِضَعْف إيمانه وسوء نيته أن يفعل فعلًا في أثناء معركة يقضي به على المسلمين، فكان رجوعه من الطريق يجعل المسلمين يستعدون للقاء عدوهم بأنفسهم، وإذا أضفنا إلى موقف ابن أُبي موقف أبي سفيان وهو يحاول أن يخذل بين صفوف المسلمين حينما طالب الأنصار أن يتخلوا عن المهاجرين، ولو نجحت هذه الفكرة اللئيمة لتركت أثرًا غير محمود، ولكن الله ﷻ ألهم الأنصار أن يردوا على أبي سفيان بما يخيب أمله ويبدد أمانيه.

(هـ) حاول المشركون أن يُميتوا الحماس من نفوس المسلمين فنادوا فيما بينهم بتلك الإشاعة المغرضة أن محمدًا ﷺ قد قُتل، ويا لها من إشاعة حينما يحس الجنود بفقد قائدهم في ميدان المعركة، إن العِقد ينفرط والآمال في النصر تتبدد والجموع تتفرق؛ ولذلك رأينا شدة وَقْع الخبر على المسلمين، فسارع بعضهم بالفرار إلى أن وصل إلى حيطان المدينة، وبعضهم لجأ إلى أُحد، وفريق ثالث ألقى السلاح وهو يقول: ماذا نفعل بالحياة بعد رسول الله ﷺ.

لقد أدت الإشاعة دورها أول الأمر لولا ما كان من أنس بن النضر رضي الله عنه الذي صرخ في الناس يحثهم على الجهاد، ويوضح لهم أن المسلمين يقاتلون من أجل العقيدة والإيمان لا من أجل محمد ﷺ، ووجد لندائه ملبيًا، ولدعوته مجيبًا، فرجع الفارون ووثب القاعدون، وأخذ كلٌّ بسلاحه مدافعًا ومنافحًا.

يقول الصاغ محمد فرج: «عندما أذاعت قريش أن رسول الله ﷺ قد مات أحس المسلمون بأنهم قد فقدوا قائدهم، وبالتالي فقدوا السيطرة على أنفسهم، ثم على المعركة وتولاهم الخوف والهلع، وأسرعوا يختفون من أرض المعركة بينما ألقى البعض السلاح، وعزفوا عن القتال، ولا شك في أن قريشًا كسبت كثيرًا من وراء هذه الإشاعة التي أذاعتها لتهز بها قلوب المسلمين، وتقضي على بعض حماستهم في الحرب، وتقلل من عزيمتهم في القتال».

[العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ للصاغ محمد فرج ص ١٦١-١٦٣ ط دار الفكر العربي].

لقد وجدت هذه الإشاعة أُذنًا صاغية من ضعفاء الإيمان حتى تمنوا أن لم يكونوا حضروا هذه المعركة.

يقول أمين دويدار: «لما انهزم المسلمون انتهز الشيطان هذه الفرصة فجعل يوسوس في القلوب الواهنة ويستذل النفوس الضعيفة حتى قال بعض المسلمين: «**علام نقاتل؟ إذا كان محمد قد قُتل؟ فارجعوا إلى قومكم يؤمِّنوكم**»، حتى ظن آخرون أنها النهاية، وأنها الساعة الفاصلة بين الإسلام والكفر، وقالوا كما أخبر عنهم القرآن ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾[آل عمران: ١٥٤]».

[صور من حياة الرسول ﷺ لأمين دويدار ص ٣٦٠].

(و) رأت قريش أنها أصابت فرصة للنَّيْل من محمد ﷺ وأصحابه، فأخذ أبو سفيان ينادي متباهيًا، ينادي رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما، وكانت خطة النبي ﷺ أولًا ألا يجيبه أحد حتى لا يعاود المشركون الكرة، حينئذ أخذ الزهو من أبي سفيان مأخذه فادعى أن من ناداهم قد ماتوا، وظن بذلك باطلًا أن الإسلام قد انتهى بانتهاء هؤلاء، حينئذ أمر النبي ﷺ عمر رضي الله عنه أن يرد عليه لينزع من نفسه الفرحة العابرة، وكان أبو سفيان كلما قال مقالة أمر النبيُّ ﷺ عمرَ رضي الله عنه أن يرد عليه، وكان أخيرًا التواعد بين الفريقين ببدر القادمة، قالها أبو سفيان أولًا ليخيف المسلمين في زعمه ويُضعف من عزيمتهم، فرد عليه عمر رضي الله عنه فيؤكد له أن قوة الإسلام لا تزال باقية.

كذا كان اهتمام قريش بإماتة الروح المعنوية في نفوس المؤمنين، وكذا كانت إرادة الله ﷻ لتخييب آمال المشركين: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠].

(ز) رجعت قريش من أُحد لتشيع أثناء عودتها بين العرب أنها تركت محمدًا ﷺ وأصحابه في جراح لا تبرأ وضعف لا يقوى وهزيمة منكرة؛ وكان لهذه الإشاعة بين القبائل دورها، لكن النبي ﷺ رد على تلك الإشاعة بشيء عملي حيث أمر كل مَنْ حضر أُحدًا ممن بقي واستطاعت رجلاه أن تحملاه بالخروج إلى **غزوة حمراء الأسد**، وهناك مكث النبي ﷺ بضعه أيام؛ ليُظهر أن الإسلام لا يزال بخير، وأن أهله لا يزالون أقوياء، وأن قريشًا لم ولن تصل إلى ما تهدف إليه في زعمها القضاء على الإسلام والمسلمين.

لما وقع بالمسلمين ما وقع في غزوة أُحد خشي النبي ﷺ أن يدفع الطمع قريشًا إلى الكرة عليهم وهم في هذه الحالة من الزعزعة والاضطراب، ومن قله الناصرين من الأولياء وكثرة المتربصين من الأعداء، ورأى النبي ﷺ أنه لابد من عمل سريع يزيل أثر الوهن من قلوب أصحابه، ومن علاج حاسم حازم يعيد إلى المسلمين ثقتهم، ويستردون به ما فقدوا من الهيبة في نفوس أعدائهم، ويوقعون الرعب في قلوبهم، فعزم على أن يخرج بأصحابه في أثرهم على رغم ما أصابهم من القَرْح وما كان بهم من الإعياء والجهد.

وكان النبي ﷺ يرمي بذلك إلى غرضين: أن يقطع الطريق على المرجفين، فلا يدع فرصة لأراجيفهم حتى تعمل في نفوس أصحابه، وأن يُشعر قريشًا ومَنْ والاها أن المسلمين لم يضعفوا، وأنهم على رغم ما أصابهم لا تزال بهم قوة يستطيعون بها أن يُرهبوا عدو الله وعدوهم، ورسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**لا يُصِيبُ الْمُشْرِكُونَ مِنَّا مِثْلَهَا حَتَّى يَفْتَحَ اللهُ عَلَيْنَا**». [سيرة ابن هشام ٣/ ٦١٥].

فالنبي ﷺ لم يضع منهجًا جامدًا محددًا، ولو كان ذلك كذلك لفضَّل الدفاع عن المدينة على أساس خطته الأولى والثانية، ولكنه ﷺ سرعان ما تركها وابتكر خطة ثالثة، ومهمة القائد الرئيسة اختيار بين احتمالات متعددة، رأى النبي ﷺ أن الخروج إلى مكان بعيد يمكن أن يُوقع الرعب في قلوب الأعداء فلا يفكروا في الهجوم على القاعدة الأمينة، ولولا القوة ما استطاع الخروج إلى هذا المكان البعيد.

لذلك أذَّن مؤذن رسول الله ﷺ في اليوم التالي لأُحد في الناس بطلب العدو.

واستجاب الصحابة رضي الله عنهم، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [آل عمران].

ثم جاء دور الحرب النفسية بين الرسول ﷺ والمشركين حيث قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾[آل عمران].

لما وصل النبي ﷺ وأصحابه **حمراء الأسد** أمرهم في النهار بجمع الحطب، فإذا جاء الليل أمر أن يوقِد كلُّ رجل منهم نارًا، فكانت النيران تُرى من البعد البعيد وقد ملأت الأرجاء بأضوائها، وخدعت العدو بلألائها حتى خُيِّل لأي شخص أن المسلمين ألوف مؤلفة، وأعداد لا تُحصى ولا تُعد، فذهب ذِكْر معسكرهم ونيرانهم في كل وجه، فكان ذلك مما كبت الله به عدوهم.

[صور من حياة الرسول ﷺ لدويدار ص ٣٨٠].

وكان مما قيض الله للمسلمين أن قبيلة «**خزاعة**» كانت مسالمة للنبي ﷺ ومصالحة له، فمر به معبد الخزاعي فقال: «**يَا مُحَمَّدُ، لَقَدْ عَزَّ عَلَيْنَا مَا أَصَابَكَ فِي نَفْسِكَ وفِي أَصْحَابِكَ، وَلَوَدِدْنَا أَنَّ اللهَ أَعْلَى كَعْبَكَ، وَأَنَّ الْمُصِيبَةَ كَانَتْ بِغَيْرِكَ، وَلَوَدِدْنَا أَنَّ اللهَ عَافَاكَ فِيهِمْ**»، ثم خرج ورسول الله ﷺ بحمراء الأسد، حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء ـ موضع على بعد ستة وثلاثين ميلًا من المدينة ـ وقد ندموا على أنهم لم يستأصلوا محمدًا ﷺ وأصحابه وجعلوا يتلاومون، ويقول بعضهم لبعض: لم تصنعوا شيئًا**!** أصبتم شوكة القوم ثم تركتموهم ولم تبتروهم، وقد بقيت منهم رؤوس يجمعون لكم، فلا محمدًا أصبتم ولا الكواكب أردفتم، أي أنكم لم تأسروا أحدًا من النساء، فبئس ما صنعتم، وأجمعوا أمرهم على الرجوع ليستأصلوا بقية القوم. **[صور من حياة الرسول ﷺ لدويدار ص ٣٨١]**.

وكان ما كان من أمر معبد الخزاعي، فأراد أبو سفيان أن يُرهب المسلمين ويثنيهم عن ملاحقته فانتهز فرصة ركب من التجار مروا به قاصدين إلى المدينة فأوعز إليهم أن يردوا عنه محمدًا ويخوفونه كرة قريش عليه وعلى أصحابه لتستأصلهم ووعدهم أجرًا على ذلك، فلما مر هؤلاء الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد أخبروه بما قال لهم أبو سفيان، قال لهم: إذا وافيتم محمدًا فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم، فلم يأبه رسول الله ﷺ بذلك وقال: «**حسبنا الله ونعم الوكيل**»، وظل النبي ﷺ وأصحابه في معسكرهم ثلاث ليال حتى علموا أن قريشًا قد انصرفت إلى مكة، فعادوا إلى المدينة ليدخلوا مرة أخرى أرفع رؤوسًا وأعز جانبًا».

[صور من حياة الرسول ﷺ لدويدار ص ٣٨١، وسيرة ابن هشام ٣/ ٦١٦].

وهكذا تزعزعت همة أبي سفيان وقريش وآثروا أن يُبقوا على نصرهم بأُحد وعادوا أدراجهم ميممين مكة، ورجع محمد ﷺ إلى المدينة وقد استرد كثيرًا من مكانة تزعزعت على أثر أُحد.

[حياة محمد ﷺ لمحمد حسين هيكل ص ٣١٣].

(ح) انتهت المعركة وعاد المسلمون إلى المدينة مثخنين بالجراح، يرون أنفسهم قد قصرت في الاستجابة لأمر رسول الله ﷺ حين ذهب بعضهم إلى جمع الغنائم، وسارع بعضهم بالفرار من أول المعركة، ولجأ فريق منهم إلى أُحد ليحتمي به، ووجد المنافقون واليهود جوًّا ملائمًا لنفث سمومهم وبث إشاعتهم، فأخذوا يلومون المسلمين على خروجهم مع رسول الله ﷺ ويزكون أنفسهم بالقعود.

قال أمين دويدار: «رجع المسلمون إلى المدينة.... وكان من الطبيعي أن يشمت بالمسلمين أعداؤهم في المدينة وفيما حولها، وأن تمتلئ بالفرح قلوبهم وهم يرون المسلمين يدخلون المدينة واهنين مكدودين، يسودهم الفتور والصمت، وتغشاهم الكآبة والوجوم، ويملؤهم الغيظ والغم من سوء ما صنعوا بأنفسهم.

ولم يشأ اليهود والمنافقون أن يخفوا شماتتهم وفرحهم فيما أصاب المسلمين، فجعلوا يعالنون بها ويجاهرون، بل انتهزوا فرصة سانحة للنَّيْل من الإسلام وأهله، فأطلقوا ألسنتهم بالسوء في رسول الله ﷺ وفي دعوته وفي أصحابه، فأخذ اليهود يشككون في رسول الله ﷺ وفي دعوته قائلين: **لو كان نبيًّا ما ظُهر عليه ولا أُصيب منه ما أُصيب، ولكنه طالبُ مُلك تكون الدولة له وعليه.**

وَجَدَّ المنافقون في التفريق عن رسول الله ﷺ، وفي تحزين المسلمين على من مات منهم من شهدائهم، وبالغوا في اللوم والنكير عليهم متظاهرين بأنهم كانوا أحزم وأحكم حين رجعوا من الطريق ولم يحضروا القتال، وأن المسلمين لو أطاعوهم فرجعوا كما رجعوا ما أصابهم الذي أصابهم: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾[آل عمران].

[صور من حياة الرسول ﷺ لدويدار ص ٣٧٨].

ولم يقف التشكيك عند هذا الحد بل أخذوا يشككونهم في النعيم الذي أعده الله لهم.

كما رأينا في قول حاطب بن أمية بن رافع: **بأي شيء تبشرونه؟ بجنة من حرمل! غررتم والله هذا الغلام من نفسه.** [**السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦٠٤**].

والحرمل نبات حبه كالسمسم، وقول حاطب المنافق «جنة من حرمل»، يريد الأرض التي دُفن فيها وكانت تنبت الحرمل، أي ليس له جنة إلا ذاك». [**الروض الأنف ٢/ ١٣٩**].

وبعد: فهذا ما يمكن أن نستخلصه من التأثيرات النفسية التي كانت في غزوة أحد، أرأينا كيف أن المشركين حاولوا أن يثأروا لأنفسهم بشتى الوسائل والأسلحة، ورأينا إلى جانب ذلك تماسك المسلمين وتعاضدهم أمام الشائعات المغرضة والأكاذيب المضللة، والأخبار الكاذبة.

والحقيقة التي يعترف بها الجميع أن للقيادة الحكيمة أثرًا في تماسك الجند وقوتهم، وأن قيادة رسول الله ﷺ لمن أعظم القيادات وأمهرها على الإطلاق، وإنما يصدر في كل تصرف من تصرفاته عن وحي من الله ﷻ الذي وعد بعصمته ووعد بحفظ القرآن الكريم.

والحقيقة أن الذي يستعرض مواقف غزوة أُحد ويتأمل ما كان فيها من الحوادث والصور يعتقد أنها كانت شيئًا لابد وأن يكون، ودرسًا لابد وأن يتلقاه المسلمون وهم في أول عهدهم بالقتال في سبيل الله، فقد كانت الهزيمة في أُحد أول هزيمة تصدم المسلمين الذين نصرهم الله ببدر وهم قليل، فكأنما وقر في نفوسهم أن النصر في كل موقعة هو الأمر الطبيعي الذي لا يتخلف أيًّا كانت الأحوال والظروف ومهما يكن تصرفهم وبُعدهم عن أسباب النصر الحقيقية من استعداد وطاعة وتغلب على شهوات النفس ومطامعها وثبات للشدة واتجاه إلى الله، فأراد الله ﷻ أن يُعلِّم عباده المسلمين أن النصر لا يكون إلا لمن أخذ بأسباب النصر، وأن الهزيمة لا تكون إلا على من يتعرض لأسباب الهزيمة، وأن الله لن يتخلى عن المؤمنين ما داموا يخلصون له النية والعمل، فإذا ما شغلهم عنه شاغل من أعراض الحياة الدنيا فإنه يتخلى عنهم بمقدار ما يشغلهم، ولا يكون معهم حتى يكونوا معه بقلوبهم وحواسهم وظاهرهم وباطنهم.

لقد بلغ الأمر بالمؤمنين في هذه الغزوة مبلغه حيث كانت الصدمة العنيفة التي استولت على نفوس الكثيرين منهم حينما حلت بهم الهزيمة بعد النصر الذي أصبح في قبضة أيديهم، وقد كانت نفوسهم متشبعة بانتصارهم الكبير في غزوة بدر، وكأنهم أحسوا في أنفسهم أن النصر حليفهم في كل المواقف؛ لذا رأينا كيف أنهم أجبروا النبي ﷺ على الخروج في غزوة أُحد، وبخاصة الشباب منهم، وقد تملكهم الفرح الشديد حينما كانت الدولة لهم في أول الأمر قبل أن يترك الرماة أماكنهم بحثًا عن الغنيمة، فانتهزها المشركون فرصة واتخذوا من ترك الرماة لأماكنهم سببًا لأن يُلحقوا الهزيمة بالمسلمين، وهنا كانت الطامة الكبرى، وبدأ التأثير النفسي الشديد بصورة عكسية يتملك المسلمين حتى ألقى بعضهم السلاح وفر البعض منهم إلى المدينة لم يرده سوى حيطانها، وكانت البقية الباقية تكافح عن رسول الله ﷺ، فكان لابد وأن تتنزل هذه الآيات لتوقظ المسلمين من غفوتهم، وتدفعهم إلى الثقة في أنفسهم وترفع من معنوياتهم بضرب المثل بالأمم السالفة حينًا، وبيان أن الحرب دول حينًا آخر، وترشدهم أن الجنة لا تُنال إلا بارتكاب المصاعب، ولابد أن يختبر الناس ليميز الله الخبيث من الطيب، فكانت هذه الآيات بمثابة العلاج النفسي بالنسبة للمسلمين وإنقاذًا لهم من الهوة التي سقطوا فيها؛ ونتيجة لذلك تجمع المسلمون حول رسول الله ﷺ وخرجوا معه إلى غزوة حمراء الأسد في اليوم التالي للمعركة وجراحهم لازالت تنزف من ضربات الأمس». [**دور الحرب النفسية في غزوتي أُحد والأحزاب للسيد ٨٤-٩٥**].

١٣ ـ شن الحرب النفسية على الأعداء إذا دعت الحاجة إلى ذلك:

يقول د/ الرشيد: «المرء بطبيعته البشرية يتأثر ـ غالبًا ـ بما يسمع أو يرى؛ ولذا جرت عادة المتحاربين أن يعمد كل خصم للتأثير على خصمه، بوسائل شتى تعتمد على الخداع وذلك لإضعاف معنوياته.

وقد أدرك الرسول ﷺ نفسية المقاتل، وأن لها أثرًا كبيرًا في حالة الاشتباك مع الخصم، كما تتوقف عليها نتيجة الحرب.

كما أدرك ﷺ أن الروح المعنوية لدى المقاتل، تُعَدُّ سلاحًا فَتَّاكًا في المعركة، يفوق الأسلحة المادية؛ لأن لها أثرًا واضحًا في كسب النصر أو خسرانه. [**ينظر: العبقرية العسكرية لفرج ص ٥٦٤**].

ولهذا أخذ الرسول ﷺ بهذا الأسلوب في بعض غزواته، وذلك لما في تطبيقه من تحقيق المصلحة لجيش المؤمنين ودفع المفسدة عنه.

وقد قرَّرَ ﷺ هذا الأسلوب بقوله وفعله، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**الحَرْبُ خَدْعَةٌ**». [**البخاري في الجهاد والسير (٣٠٣٠)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٣٩، ١٧٤٠)، وأبو داود في الجهاد (٢٦٣٦، ٢٦٣٧)، والترمذي في الجهاد (١٦٧٥)، وابن ماجه في الجهاد (٢٨٣٣، ٢٨٣٤)، وأحمد عن علي رضي الله عنه (٦٩٩، ١٠٣٧)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه (٨٠٥٠، ٢٧٣٧٠)، وعن أنس رضي الله عنه (١٢٩٢٩،١٢٩٢٨)، وعن جابر رضي الله عنه (١٣٧٦٥، ١٣٨٩٦)، وعن كعب بن مالك رضي الله عنه (٢٦٦٣٤)، وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها (٢٧٠٥٠)**].

ففي هذا الحديث إشارة إلى استعمال الرأي في الحرب، بل الاحتياج إليه آكد من الشجاعة.

[**ينظر: فتح الباري ٦/ ١٥٨**].

قال النووي رحمه الله: «واتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب وكيف أمكن الخداع، إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يحل». [**صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ٤٥**].

وقد دل العقل ـ أيضًا ـ على جواز الخداع في الحرب، وفي ذلك يقول الأنصاري رحمه الله: «وأما العقل فلا خلاف بين العقلاء أن ما حصل من الظَّفَرِ بحسن الحيلة، ولطف المكيدة مع سلامة النفس، وحفظ الجنود والراحة من التعب، أحسن وأجمل وأعلى في الفضل وأرفع في الرتبة؛ لأن الخارج للقاء العدو ومبارزة الفرسان، وإن ساعده الظَّفَرُ وحَفَّهُ النصر، ففي مخاطره من مكروه المصايب وعضاض السيوف وألم الجراح ومضاض الحروب ومغاورة الأبطال، غاية المشقة ونهاية المخاطرة».

[**تفريج الكروب في تدبير الحروب ص ٢٧**].

وأما من الناحية الفعلية، فإنه يُلاحظ أن الرسول ﷺ قد شَنَّ الحرب النفسية ـ وهي نوع من المخادعة ـ بعد غزوة أحد للتأثير على معنويات قريش، حيث خرج ﷺ بالمسلمين إلى حمراء الأسد،

ومكث فيها ثلاثة أيام، وأمر بإيقاد النيران، فكانت تُشَاهَدُ من مكان بعيد، وملأت الأرجاء بأنوارها، حتى خُيِّلَ لقريش أن جيش المسلمين ذو عددٍ كبير لا قِبَلَ لهم به، فانصرفوا وقد ملأ الرعبُ أفئدتَهم.

[ينظر: تاريخ الطبري ٢/ ٥٣٥، وعيون الأثر ٢/ ٣٧، والسيرة الحلبية ٢/ ٢٥٧، والعبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ ص ٣٧٩، وغزوة أحد للدكتور محمد أبي فارس ص ٥١].

قال ابن سعدٍ رحمه الله: «ومضى رسول الله ﷺ بأصحابه حتى عسكروا بحمراء الأسد... وكان المسلمون يُوقِدون تلك الليالي خمسمائة نار حتى تُرى من المكان البعيد، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه، فكبت الله تبارك وتعالى بذلك عدوهم». **[الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٤٩، وينظر: المغازي للواقدي ١/ ٣٣٨، وعيون الأثر ٢/ ٣٨]. [القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ للرشيد ٤١٨-٤٢٠].**

١٤ ـ الحرب النفسية وحرب الدعايات في حمراء الأسد:

يقول د/ زيدان: «رأينا كيف حَمَّلَ أبو سفيان بعض المشركين المتوجهين إلى المدينة رسالة لإبلاغها إلى رسول الله ﷺ، خلاصتها أنه وجيشه عازمون على الرجوع إلى المدينة لإبادة المسلمين جميعًا، وأراد أبو سفيان برسالته تلك إرهاب المسلمين وإحداث الخلاف فيما بينهم فيما يجب أن يفعلوه.

وقد فَطِن النبي ﷺ لهذا الغرض ـ غرض أبي سفيان ـ فقال وقال معه أصحابه الكرام: ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾.

كلمة قالها إبراهيم الخليل عليه السلام عندما أُلقي في النار فَكَفَتْه، وقالها محمد ﷺ وأصحابه فَكَفَتْهم، ثم نهض النبي ﷺ لملاحقة أبي سفيان وجنده.

وهكذا جمع بين الأمرين: توكل كامل على الله، وأَخْذٌ بالأسباب بملاحقة العدو، فعلى جميع الدعاة وجماعتهم المسلمة أن لا تخيفهم دعايات العدو؛ ولا تزلزل أقدامهم ولا تُهن عزائمهم، وإنما عليهم أن يتذكروا عناية الله بهم، وكفايته لهم فهو خير مَنْ تُوكَلُ إليه الأمور، وبالتالي فليقولوا بألسنتهم وبقلوبهم: حسبنا الله ونعم الوكيل مع أَخْذٍ بالأسباب المادية.

إن أهل الحق، أهل الدعوة إلى الله، لا يمكن أن تحولهم عن دعوتهم ومسيرتهم فيها دعايات أعداء الدعوة، ولا قوتهم؛ لأن قوة الله أكبر من قوتهم، ولأنهم يقومون بما يفرضه الله عليهم من واجب الدعوة إليه.

أما النتائج، أما ما قد عسى أن يحدث، أو ما يصيبهم، فهذا كله موكول إلى الله يحكم فيه وهو خير الحاكمين». **[المستفاد من قصص القرآن لزيدان ٢/ ٢٣٤].**

ويقول د/ الحميدي: «إن هذا الجواب من النبي ﷺ يدل على صدق التوكل وعمق اليقين ورسوخ الإيمان وقد عبر النبي ﷺ بهذا الجواب عن شعور الصحابة رضي الله عنهم الذين لم يخرجوا وهم على تلك

الحال إلا ثقة بالله تعالى وتوكلًا عليه، وقد أثنى الله تعالى على رسوله ﷺ والمؤمنين في هذا الموقف بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران]». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٦/ ١٦].

ويقول أ/ حوى: «والملاحظ أن الحرب النفسية كانت جزءًا من مخططات الرسول ﷺ ومخططات المشركين، فليست إذن هي وليدة الفكر المعاصر، بل نقول: إن كثيرًا مما يظن أنه وليد الفكر المعاصر ليس هو كذلك، فهناك منطق البداهة والغريزة ينطلق الناس عنه دائمًا أبدًا، وإنما التعقيد والتنظيم يتضخمان على مدى العصور.

والملاحظ أن الحرب النفسية لم تؤثر في رسول الله ﷺ وأصحابه ﭫ، وإنما أثرت بالمشركين فقط، وذلك هو الوضع الطبيعي الذي ينبغي أن يكون عليه الحال، فإذا ما حدث غير ذلك فالسبب المرض عند المسلمين.

بل نقول: إن قوله ﷺ: «**نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَة شَهْرٍ**» [**البخاري في التيمم (٣٣٥)، وفي الصلاة (٤٣٨)، وفي الجهاد والسير (٢٩٧٧)، والنسائي في الغسل والتيمم (٤٣٢)**].

يدل على أن الغلبة في الحرب النفسية هي الأساس وهي النصر، ولكن ذلك لا يكون للمسلمين إلا إذا تأسوا برسول الله ﷺ وأصحابه في طلب الموت وإحسان الحركة السياسية والعسكرية».

[**الأساس في السنة لحوى ٢/ ٦٠١**].

١٥- ما يجب على المسلمين تجاه الأراجيف والأكاذيب المضللة:

يقول د/ زين السيد: «بعد نكسة المسلمين في أُحد عادوا إلى المدينة بجراحهم وآلامهم تاركين وراءهم شهداءهم في قبور المعركة ليجدوا أمامهم أراجيف المنافقين، وعلى رأسهم عبد الله بن أُبي بن سلول، ومن الممكن أن يصلوا إلى التشكيك في وضع المدينة كله.

فوجه القرآن النداء إلى المؤمنين نهاهم فيه عن طاعة أعداء الله وأعدائهم مبينًا لهم نتيجة ذلك، وأمرهم بالتمسك بتعاليم دينهم، كما بشرهم بسوء عاقبة أعدائهم، فقال الحق تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾[آل عمران].

قال الآلوسي: «قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ شروع في زجر المؤمنين عن متابعة الكفار ببيان مضارها إثر ترغيبهم في الاقتداء بأنصار الأنبياء عليهم السلام ببيان فضائله.

وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لإظهار الاعتناء بما في حيزه، ووصفهم بالإيمان لتذكيرهم بحال ينافي تلك الطاعة، فيكون الزجر على أكمل وجه.

والمراد من ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: إما المنافقون؛ لأن الآية نزلت ـ كما روي عن علي كرم الله تعالى وجهه ـ حين قالوا للمؤمنين عند الهزيمة: **ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم**، والتعبير عنهم بذلك قصدًا إلى مزيد التنفير عنهم والتحذير عن طاعتهم.

وإما أبو سفيان وأصحابه، وحينئذ فالمراد بإطاعتهم الاستكانة لهم وطلب الأمان منهم، وإلى ذلك ذهب السدي.

وإما اليهود والنصارى، فالمراد حينئذ لا تنتصحوا اليهود والنصارى على دينكم ولا تصدقوهم بشيء في ذلك، وإليه ذهب ابن جريج.

وحكي أنهم كانوا يلقون إليهم الشبه في الدين ويقولون: **لو كان محمد ﷺ نبيًّا حقًّا لما غُلب ولما أصابه وأصحابه ما أصابهم، وإنما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يومًا عليه ويومًا له**، فنهوا عن الالتفات إليها.

وإما سائر الكفار، وذهب إلى جواز ذلك بعض المتأخرين. [تفسير الآلوسي ٤/ ٨٧].

والرأي الأخير للآلوسي والذي يرى فيه أن المراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ «سائر الكفار» هو أولى بالقبول، وإن كانت الآية التي معنا تتحدث عن غزوة أُحد وكان للمنافقين واليهود ضلع كبير في المحاولة لتثبيطهم المؤمنين إلا أن لفظة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ تنبئ بالعموم، وأن جميع تلك الفرق التي عادت الإسلام كانت تهدف إلى النَّيْل منه.

وهذا النداء وإن كان موجهًا للمؤمنين الذين حضروا غزوة أُحد، وسمعوا ما كان من أراجيف المنافقين في المدينة إلا أن ذلك يندرج تحته كل مؤمن في كل زمان ومكان؛ لأن الكافرين في كل العصور لا يريدون المؤمنين إلا خبالًا، ولا يتمنون لهم إلا الشرور والمصائب، وبعض الجرحى قد سمعوا من أهليهم المنافقين بعد المعركة ما يسوء، فعبد الله بن أُبي بن سلول لم يرحم ولده من هذا القول المسموم وقد عاد إليه جريحًا، فالأب المنافق يحاول تشكيك ابنه المؤمن في الرسول ﷺ وفي خطة المعركة كلها.

وماذا يريد العدو غير الهزيمة نفسيًّا وعسكريًّا؟ والله تعالى يبين أن في هذا خسران الدنيا والآخرة فقال: ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ١٤٩﴾ في الدنيا بالخضوع للعدو وحرمانكم من ثمرات الكفاح، وفي الآخرة بالحرمان من ثواب الله الذي أعده للعاملين الصابرين المتقين بمخالفتكم لأمر الخالق ﷻ وتوجيهات النبي ﷺ، فلا تفكروا في ولاية أبي سفيان، ولا ولاية عبد الله بن أُبي، ولا تصغوا لأعدائكم يحدثونكم وسط الجراح والألم، بل استمدوا العون والتأييد من الله وحده، واستعيدوا ثقتكم في أنفسكم على طريق الجهاد ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ ١٥٠﴾ [آل عمران].

ثم يتابع المولى ﷻ حديثه لأصحاب الرسول ﷺ مبشرًا لهم بأنه سبحانه سيلقي الرعب والفزع في قلوب أعدائهم ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ۝١٥١﴾ [آل عمران].

فالآية الكريمة بشَّرت المؤمنين بأن الله تعالى سيلقي الرعب والفزع في قلوب الأعداء، وتجلى هذا واضحًا في مواطن كثيرة من أبرزها الأحداث الأولى في الصدام بين المؤمنين والمشركين في غزوة أُحد، ذلك أن طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين «قام فقال: **يا معشر أصحاب محمد إنكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيوفكم إلى النار، ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة، فهل منكم أحد يعجله الله بسيفي إلى الجنة، أو يعجلني بسيفه إلى النار؟**»، فقام إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: **والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى يعجلك الله بسيفي إلى النار، أو يعجلني بسيفك إلى الجنة،** فضربه علي رضي الله عنه فقطع رجله فسقط فانكشفت عورته فقال: **أنشدك الله والرحم ابن عم،** فتركه، فكبَّر رسول الله ﷺ، وقال أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه: **ما منعك أن تُجهز عليه؟** قال: **ابن عمي ناشدني حين انكشفت عورته فاستحييت منه**».

[تفسير الطبري ٧/ ٦٨٢ تحقيق محمود محمد شاكر، ط دار المعارف].

وقال الفخر الرازي: قوله ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾: اختلفوا في أن هذا الوعد هل هو مختص بيوم أُحد أو هو عام في جميع الأوقات؟

قال كثير من المفسرين: إنه مختص بهذا اليوم؛ وذلك لأن جميع الآيات المتقدمة إنما وردت في هذه الواقعة، ثم القائلون بهذا القول ذكروا في كيفية إلقاء الرعب في قلوب المشركين في هذا اليوم وجهين:

الأول: أن الكفار لما استولوا على المسلمين وهزموهم أوقع الله الرعب في قلوبهم فتركوهم وفروا منهم من غير سبب.

والثاني: أن الكفار لما ذهبوا إلى مكة فلما كانوا في بعض الطريق قالوا: ما صنعنا شيئًا، قتلنا الأكثر منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون، ارجعوا حتى نستأصلهم بالكلية، فلما عزموا على ذلك ألقى الله الرعب في قلوبهم.

والقول الثاني: أن هذا الوعد غير مختص بيوم أُحد بل هو عام، وكأنه قيل: وإن وقعت لكم هذه الواقعة في يوم أُحد إلا أن الله تعالى سيلقي الرعب منكم بعد ذلك في قلوب الكافرين حتى يقهر الكفار ويظهر دينكم على سائر الأديان، وقد فعل الله ذلك حتى صار دين الإسلام قاهرًا لجميع الأديان والملل».

[تفسير الفخر الرازي ٩/ ٣١-٣٢، وينظر: تفسير القرآن الكريم للإمام الأكبر محمود شلتوت ص ١٥٥-١٥٦ مع اختلاف في الألفاظ].

ونظير هذه الآية قوله ﷺ: «... **نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ**...». [البخاري في التيمم (٣٣٥)، وفي الصلاة (٤٣٨)، وفي الجهاد والسير (٢٩٧٧)، والنسائي في الغسل والتيمم (٤٣٢)].

وفي لفظ لأحمد: «**نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، فَيُرْعَبُ مِنِّي العَدُوُّ عَنْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ**».

[مسند أحمد ٣٥/ ٢٢٤ رقم ٢١٢٩٩، وقال الشيخ الأرناؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن من أجل محمد بن إسحاق، وقد توبع، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين].

وفي لفظ لمسلم: «**نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ عَلَى العَدُوِّ**». [مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٣)].

قال صاحب كتاب «فتح المنعم»: «وأما خصوصية النصر بالرعب ففي رواية أحمد زيادة: «**يقذف في قلوب أعدائي**»، قال الحافظ ابن حجر: في رواية: «**نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ**» أنه لم يوجد لغيره النصر بالرعب في هذه المدة ولا في أكثر منها، أما دونها فلا، لكن رواية: «**وَنُصِرْتُ عَلَى العَدُوِّ بِالرُّعْبِ وَلَوْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ مَسِيرَةُ شَهْرٍ**» ظاهرها اختصاصه به مطلقًا، وإنما جعل الغاية شهرًا؛ لأنه لم يكن بين بلده وبين أَحد من أعدائه أكثر منه، وهذه الخصوصية حاصلة له على الإطلاق حتى ولو كان وحده بغير عسكر، ثم قال: هل هي حاصلة لأمته من بعده؟ فيه احتمال ا.هـ.

وهذا الاحتمال إنما يحتمل إذا كانت أمته قائمة على شريعته وسنته، والله أعلم».

[فتح المنعم بشرح صحيح مسلم ٥/ ١٦ للأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين، ط دار الفجر الجديد].

والذي نراه أن الجندي المؤمن إذا دخل المعركة بعقيدة راسخة وإيمان بالله لا يتزعزع ودفاع عن هدف وهو إعلاء كلمة الله تعالى وتحرير الأوطان المغتصبة مع الأخذ بالأسباب بالثقة في الله ثم بالنفس وبروح عالية والاستعداد التام بقوة السلاح، فإن الله تعالى سيلقي الرعب في قلوب الأعداء لا محالة، ويتم النصر للجندي المؤمن بالله ﷻ، ومن هنا تأتي القدوة العملية للإيمان بالله ـ تبارك وتعالى ـ في السمو الإنساني في ميدان القتال، وحينئذ يملأ الرعب قلوب المشركين.

وقول الله يسجل شدة المؤمنين في القتال، ورعب المشركين: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾.

مع هذا النص الكريم بالفهم والإدراك لبعض معانيه يتبين لنا أهمية الثبات النفسي في المعركة، فهذه الآية وما قبلها تضرب لنا الأمثال بينة لا خفاء فيها، فنهيُ الله تعالى المؤمنين عن طاعة الكافرين وبيان نتيجة طاعتهم تعطينا أنه إذا حدثت شائعة ضد المسلمين يقصد بها إضعاف الروح المعنوية وإهدارها يكون حينئذ الفشل الذريع إذ لا ثبات للقوى المادية مع ضعف القوى المعنوية، ثم ما امتن الله به بعد ذلك على المؤمنين بإلقائه الرعب في قلوب أعدائهم حتى أحجموا عن مواصلة قتال المؤمنين أو عن الرجوع إلى المدينة بعد أن فكروا في ذلك، أو أنه وعدٌ لجميع المسلمين في كل زمان ومكان يعطينا أهمية هذه النعمة التي بها قوَّى جانب المؤمنين وأضعف قلوب أعدائه؛ ولهذا الفهم بموضوعنا صلة قوية فدراستنا مهتمة ببيان أثر الحرب النفسية في بعض المواقف العسكرية». [دور الحرب النفسية في غزوتي أُحد والأحزاب للسيد ١٢٥-١٢٩].

مراجع للاستزادة في الحرب النفسية:

(١) **الإشاعة في ضوء السنة النبوية: دراسة موضوعية** (ماجستير) ـ د/ حسين بن أحمد حمد ـ إشراف د/ نعيم أسعد الصفدي ـ كلية أصول الدين ـ الجامعة الإسلامية ـ غزة ـ فلسطين ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م ـ ٢٠٦ص.

(٢) **الحرب النفسية** ـ د/ حميدة مهدي سميسم ـ الدار الثقافية للنشر ـ القاهرة ٢٠٠٤م ـ ٣٨٧ ص.

(٣) **الحرب النفسية ضد الإسلام في عهد الرسول ﷺ في مكة** (ماجستير) ـ د/ عبد الوهاب أحمد كحيل ـ جامعة أسيوط ـ مصر ١٤٠٠ هـ، ط عالم الكتب ـ القاهرة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، وط مكتبة القدسي ـ القاهرة ١٩٩٦م.

(٤) **الحرب النفسية في صدر الإسلام (العهد المدني)** (دكتوراه) ـ د/ محمد بن مخلف بن صالح المخلف ـ إشراف د/ محمد منير حجاب، ود/ جعفر شيخ إدريس ـ كلية الدعوة والإعلام ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض ١٤٠٩هـ/ ١٩٩٠م ـ ٦٥٨ص، ط ٣ دار عالم الكتب ـ الرياض ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ـ ٦٥٦ ص.

(٥) **الحرب النفسية في عصر النبوة** (ماجستير) ـ د/ عبد الرحمن ناصر الهزاع ـ إشراف د/ جلال عبد الحميد موسى ـ كلية الدعوة والإعلام ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م ـ ١٠٧ص.

(٦) **الحرب النفسية كما تحدث عنها القرآن** (ماجستير) ـ د/ هانم محمد عبده عوض ـ إشراف د/ عزت محمد حسن ـ كلية الدراسات الإسلامية والعربية (بنات) ـ جامعة الأزهر ـ المنصورة ـ مصر ٢٠٠٠م.

(٧) **الحرب النفسية من منظور إسلامي** ـ د/ أحمد نوفل ـ دار الفرقان ـ عمان، الأردن ١٩٩٠م ـ ٢٢٤ص.

(٨) **الحرب النفسية منذ بداية الدعوة الإسلامية حتى نهاية العصر الأموي** ـ د/ حسين عدَّاي ـ دار النوادر ـ سورية، لبنان، الكويت ١٤٣٠م / ٢٠٠٩م.

(٩) **الحرب النفسية: أضواء إسلامية** ـ د/ فهمي النجار ـ دار الفضيلة ـ الرياض ـ السعودية ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م ـ ٣٨٦ ص.

(١٠) **الدعاية والحرب النفسية في القرآن الكريم** (دكتوراه) ـ د/ عبد الرحمن غازي محمد إبراهيم ـ إشراف د/ أحمد خالد يوسف شكري، ود/ هاشم أحمد نغيمش ـ كلية الدراسات العليا ـ جامعة العلوم الإسلامية العالمية ـ عمان ـ الأردن ٢٠١٥م ـ ١٦٩ص.

(١١) **دور الحرب النفسية في غزوتي أحد والأحزاب في ضوء القرآن والسنة** (ماجستير) ـ د/ زين علي حسن السيد ـ إشراف د/ عبد الله عبد الحي محمد، ود/ هاشم عبد الظاهر ـ كلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر ـ القاهرة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م ـ ٢٢٣ ص.

(١٢) **الرسول ﷺ والحرب النفسية** ـ الشيخ منصور محمد محمد عويس ـ مكتبة النجاح ـ طرابلس ـ ليبيا ١٩٧٥م ـ ٣٢٠ ص.

(١٣) **الرسول ﷺ والحرب النفسية** ـ د/ علي حسني الخربوطلي ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٧٢م.

(١٤) **سياسة الحرب النفسية في الفقه الإسلامي والقانون في السلم والحرب** (دكتوراه) ـ د/ معن بن عبد الحق بن عارف خوتاني ـ إشراف د/ عثمان حيدر أبو زيد ـ كلية الشريعة والقانون ـ جامعة أم درمان الإسلامية ـ أم درمان ـ السودان ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م ـ ٥٤٨ص.

(١٥) **الشائعات وأثرها على الروح المعنوية للجند: دراسة مقارنة** (ماجستير) ـ د/ فهد بن سعيد بن حميد المخلفي الحربي ـ إشراف د/ محمد بن محمد شتا أبو سعد ـ المعهد العالي للقضاء ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م ـ ٢٩٦ص.

(١٦) **موقف الشريعة الإسلامية من الإشاعة في السلم والحرب: دراسة مقارنة** (ماجستير) ـ د/ عبد الله بن متعب الحربي ـ إشراف د/ عبد القادر الشيخلي ـ كلية الدراسات العليا ـ جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ـ الرياض ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م ـ ٢٣٩ص.

(١٧) **النظرية الإسلامية في الحرب النفسية** ـ ل.أ.ح/ محمد جمال الدين علي محفوظ ـ دار الاعتصام ـ القاهرة ـ د.ت.

المبحث التاسع
غزوة أُحُد بين النصر والهزيمة

١ ـ أنصر أم اندحار؟:

يقول ل/ خطاب: «لقد أجمع المؤرخون على اعتبار نتيجة (أُحد) نصرًا للمشركين على المسلمين.

ولكن الحقائق العسكرية لا تتفق مع ما أجمع عليه المؤرخون.

ولذا لا أتفق مع المؤرخين في اعتبار نتيجة (أُحد) نصرًا للمشركين واندحارًا للمسلمين؛ لأن مناقشة المعركة عسكريًّا، تُظهر انتصار المسلمين على الرغم من خسائرهم الفادحة في هذه المعركة.

ونبدأ المناقشة من الوجهة العسكرية البحتة، لإظهار حقيقة نتائج (أُحد).

لقد انتصر المسلمون في ابتداء المعركة حتى استطاعوا طرد المشركين من معسكرهم والإحاطة بنسائهم وأموالهم وتعفير لوائهم بالتراب، ولكن التفاف خالد بن الوليد وراء المسلمين وهجوم المشركين من الأمام، جعل قوات المشركين تُطْبِق على قوات المسلمين.

هذا الموقف في المعركة جعل خسائر المسلمين تتكاثر، ولكن بقي النصر بجانبهم إلى الأخير.

ذلك لأن نتيجة كل معركة لا تُقاس من الناحية العسكرية بعدد الخسائر بالأرواح فقط، بل تُقاس بالحصول على هدف القتال الحيوي، وهو القضاء المبرم على العدو ماديًّا ومعنويًّا.

فهل استطاع المشركون القضاء على المسلمين ماديًّا ومعنويًّا؟

إن حركة خالد بن الوليد كانت مباغتة للمسلمين بلا شك، وقيام المشركين بالهجوم المضاد وإطباقهم على قوات المسلمين وهم متفوقون بالعدد بنسبة خمسة أمثال المسلمين، كل ذلك كان يجب أن تكون نتائجه القضاء المبرم على كل قوات المسلمين، ولا يمكن أن يُعد التفاف قوة متفوقة فواقًا ساحقًا على قوة صغيرة أخرى من جميع جوانبها، ثم نجاة تلك القوة الصغيرة بعد إعطاء خسائر عشرة بالمائة فقط من موجودها، إلا انتصارًا لتلك القوة الصغيرة بدون أدنى شك.

ولا يمكن اعتبار إخفاق القوة الكبيرة في القضاء على الصغيرة ماديًّا ومعنويًّا في مثل ذلك الموقف الحرج للغاية، نصرًا لتلك القوة الكبيرة على القوة الصغيرة.

لقد كان بإمكان المشركين القضاء على قوات المسلمين في معركة (أُحد)، بعد أن استطاعوا إحاطتهم من كل الجوانب بقوات متفوقة عليهم فواقًا ساحقًا.

ومع ذلك استطاع محمد ﷺ أن يشق طريقه بين القوات المحيطة به، ويخلِّص تسعة أعشار قواته من فناء أكيد.

إنَّ فشل المشركين في القضاء على قوات المسلمين بعد إحاطتهم بقواتهم المتفوقة يعتبر إخفاقًا لهم.

وإن نجاح المسلمين في الخروج من تطويق المشركين بخسائر نسبتها عشرة بالمائة من قواتهم القليلة يعتبر نصرًا لهم.

ولم تستطع قريش أن تؤثر على معنويات المسلمين أيضًا وإلا لما استطاع المسلمون الخروج من المدينة لمطاردة قريش بعد يوم واحد فقط من يوم (أُحد)، دون أن تجرأ قريش على لقاء المسلمين بعيدًا عن المدينة، خاصة وأن الرسول ﷺ خرج للقاء قريش بقوته التي اشتركت (فعلًا) بمعركة (أُحد)، دون أن يستعين بغيرهم من الناس.

إن نجاة المسلمين من موقفهم الحرج الذي كانوا فيه (بأُحد)، نصر عظيم لهم؛ لأن أول نتائج إطباق المشركين عليهم من كل الجهات كان الفناء التام.

ثم إن معركة (أُحد) أتاحت للمسلمين معرفة المنافقين الذين كانوا بين صفوفهم بصورة لا تقبل الشك والمماراة، وهذا مكسب عظيم لا يُقدَّر بثمن ولا تُعدُّ خسائرهم بالأرواح إلى جانبه شيئًا مذكورًا.

فقد نجحوا في معرفة المنافقين بين صفوفهم قبل المعركة وبعدها، مما أتاح لهم القيام بالتطهير العام في صفوفهم بعد (أُحد) على هدى وبصيرة.

وبذلك تظهر الفائدة العظيمة لغزوة (أُحد) للمسلمين.

إنَّ نتيجة معركة (أُحد) نصر (تعبوي) للمشركين على المسلمين، ولكنها فشل (سَوقي) للمشركين.

ولا يُعد النصر التعبوي شيئًا يُذكر إلى جانب الفشل السوقي [1]، وصدق الله العظيم: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران]». [**الرسول القائد ﷺ لخطاب ١٨٦-١٨٧، ١٩٢-١٩٣**].

---

(١) **التعبية**: الأعمال العسكرية في المعركة، أو هي الأعمال العسكرية التي تؤثر على سير معركة واحدة.

والسوق: هو الاستفادة من المعارك للحصول على الغرض من الحرب، أو هو الأعمال العسكرية التي تؤثر على سير الحرب كلها.

ذلك هو تعريف السوق والتعبية بصورة موجزة للغاية تعطي (فكرة) للمدنيين فقط، إذ إن لكل من هذين الاصطلاحين تعريفات كثيرة طويلة تستغرق كثيرًا من كتب فن الحرب، ومن ذلك يتضح أن السوق يعني نتائج الحرب كلها، بينما التعبية تعني نتائج معركة واحدة محلية.

٢ـ لمن كان النصر في أُحد؟ هل كان للمسلمين أم كان لقريش؟:

ويقول ل/ فرج: «سؤال يقفز إلى الأذهان ويفرض نفسه في هذا المكان.

والإجابة على هذا التساؤل تستوجب دراسة أحداث المعركة وتطوراتها من وجهة النظر العسكرية، ولا بد لهذه الدراسة من أن تقوم على أسس الفن العسكري دون تعصب أو ميل مع الهوى.

إن كثيرًا من المؤرخين قد اتفقوا على أن غزوة أُحد كانت نصرًا للمشركين وهزيمة للمسلمين، ولعلهم قد انتهوا إلى هذا الرأي بعد أن تابعوا أحداث المعركة من حيث هي أحداث بدأت بانتصار أَوَّلي للمسلمين ثم انتهت بكرَّة لقريش أوقعت الخسائر العديدة بصفوف المسلمين، ولعلهم لم ينظروا في متابعتهم للأحداث نظرة رجل الحرب التي يمكن أن تُقَيِّم نتيجةَ المعركة بغير ما اتفقوا عليه؛ ذلك أن نتيجة أية معركة عسكرية لا تُقاس بحجم الخسائر في الأرواح وإنما تقاس بمدى تحقيق الهدف.

كانت خطة قريش في القتال تقوم على ثلاثة أمور هي [(١)]:

١ـ تحقيق المفاجأة ومباغتة المسلمين في مواقعهم.

٢ ـ التخذيل والتفريق بين صفوف المسلمين.

٣ ـ قتل الرسول ﷺ والفتك بكبار أصحابه.

وخاضت قريش غمار المعركة مستهدفة تحقيق هذه الأهداف، فإذا كانت هذه الأهداف قد تحققت تكون قريش قد انتصرت في المعركة، وإذا لم يثبت تحقيقها تكون قد خسرت المعركة.

أما عن المفاجأة فقد انكشف أمر الجيش وعلم به رسول الله ﷺ، وعلم به عن طريق الرسالة التي بعثها له العباس رضي الله عنه، والعيون التي بعثها الرسول ﷺ للاستطلاع.

واتخذ على الفور الإجراءات التي يواجه بها جيش عدوه... وبذلك تكون المفاجأة قد تلاشت في تفكير قريش نهائيًّا، حتى إن أبا سفيان قال: «**أَحْلِفُ بِالله أَنَّهُمْ جَاؤُوا مُحَمَّدًا فَخَبَّرُوهُ بِمَسِيرِنَا، وَحَذَّرُوهُ وَأَخْبَرُوهُ بِعَدَدِنَا فَهُمْ الآنَ يَلزَمُونَ صَيَاصِيَهُمْ، فَمَا أَرَانَا نُصِيبُ مِنْهُمْ شَيْئًا فِي وَجْهِنَا**».

[المغازي للواقدي١/ ٢٠٥].

وهذا اعتراف صريح من قائد قريش بأن دعامة من دعامات خطته قد تهاوت.

وأما عن التخذيل والتفريق بين صفوف المسلمين فقد فشل أيضًا ولم تنجح قريش في إيجاد تفكك أو تخاذل في جيش محمد ﷺ، حيث حاول أبو سفيان أن يُوجد في بداية القتال شرخًا وتصدعًا في جبهة المسلمين المتماسكة، فأرسل إلى الأنصار وعرض عليهم أن يتخلوا عن الرسول ﷺ حتى ينصرف هو ورجاله فقال: «**خلوا بيننا وبين ابن عمنا، فننصرف عنكم، فلا حاجة بنا إلى قتالكم**»، فردوا عليه بما يكره.

---

(١) قد أشرنا إلى ذلك عند الحديث عن خطة المعركة.

ولقد كانوا يأملون في أن يكون لأبي عامر الأوسي تأثير على أهله من أوس المدينة فيستمعوا إلى نصحه ويخرجوا من صفوف المسلمين إلى صفوفهم، قال لهم أبو عامر: «**إِنِّي لَوْ قَدِمْتُ عَلَى قَوْمِي لَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ رَجُلانِ**»، فماذا فعل أبو عامر؟!

وهل كان لوجوده أدنى أثر بالنسبة للأوس؟، لقد قرب من أصحاب محمد ﷺ ودعا قومه قائلًا لهم: «**يَا آلَ أَوْسٍ أَنَا أَبُو عَامِرٍ إِلَيَّ إِلَيَّ**»، فما كان جوابهم إلا اللعن والطرد إذ أجابوه: «**لا أَنْعَمَ اللهُ بِكَ عَيْنًا يَا فَاسِقُ**».

وإذا كان عبد الله بن أُبَيٍّ قد انشق بقومه عن المسلمين، فإن انسحابه لم يكن لقريش دخل فيه، وإنما هو رجل منافق، وكان الرسول ﷺ والمسلمون يعرفون فيه ذلك حتى أنهم سموه رأس المنافقين وإمامهم، ولم يكن ورجاله موضع ثقة المسلمين، ولم يكن أحد من رجال رسول الله ﷺ يطمئن إليه، وبالتالي فلم يكن أحد من المسلمين يرحب به كجندي في معركة تتطلب إيمانًا عميقًا وعقيدة راسخة ورغبة أكيدة في نصر دين الله والاستشهاد في سبيله، من الواضح أن انسحابه كان له تأثير على نفسية المقاتلين، ولكنه كان تأثيرًا مؤقتًا؛ ذلك أن الله عصم المؤمنين بإيمانهم وأذهب عنهم الخوف وملأ قلوبهم سكينة، فعادوا إلى حالتهم التي كانوا عليها، إيمان قوي راسخ كالرواسي وحب في الشهادة وإرادة ما عند الله، هذا فوق أن رسول الله ﷺ لم يكن يهتم بالكثرة العددية اعتمادًا على روح رجاله وكفاءتهم القتالية التي كانت اليد القوية التي تبطش والسيف البتار الذي يقتل، ودليل ذلك أنه ﷺ ردَّ كتيبة كبيرة من يهود قائلًا: «**إِنَّا لا نَنْتَصِرُ بِأَهْلِ الشِّرْكِ عَلَى أَهْلِ الشِّرْكِ**»، ولعل في قول عبد الله بن عمرو بن حرام ﵁ لعبد الله بن أُبي وصحبه: «**سَيُغْنِي اللهُ تَعَالَى عَنْكُمْ نَبِيَّهُ**» تأكيدًا إلى أن المسلمين كانوا يثقون في نصر الله، وإلى أنهم لم يتأثروا أصلًا بخروج هؤلاء.

إذن فقريش لم تستطع أن تحقق الأمر الثاني من خطتها، فإذا ما تابعنا أحداث المعركة وسيرها لوجدنا أن قريشًا في مرحلة القتال الأولى خسرت خيرة شبابها وكلهم كانوا حملة الراية، تناولوها الواحد بعد الآخر، حتى سقطت في النهاية فوق أرض المعركة تدوسها الأقدام وتطؤها النعال.

ومع بدء القتال حاولت خيل المشركين أن تحمل على المسلمين يقودها رجلان من أقوى الرجال وأكثرهم حنكة ودراية، وهما خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل، فهاجمت مواقع المسلمين ثلاث مرات ولم تنل منهم شيئًا، بل كانت الهجمات تُرد سريعًا أمام سيل لا ينقطع من نَبْل المسلمين.

لقد أمعن المسلمون في الناس وهدوهم ونهكوهم، فها هو ذا أبو دجانة ﵁ يضرب في الناس بسيف رسول الله ﷺ ويأخذ له بحقه فلا يجد أحدًا إلا قتله، ولم يزل يضرب بالسيف حتى انحنى وصار كأنه

منجل، وها هو ذا حمزة ﷺ يقاتل قتالًا شديدًا حتى أنه قَتَل في مرحلة القتال الأولى عددًا كبيرًا من رجال قريش.

لقد انهزم المشركون وولَّوا الأدبار، والنسوة اللاتي خرجن يحرضن على القتال أسرعن بالفرار وهن كاشفات سيقانهن رافعات ثيابهن يصرخن ويولولن.

إن الرأي المنصف يؤكد أن مرحلة القتال الأولى كانت في جانب المسلمين، هذا أمر أثبتته أحداث القتال، ولا ينكره إنسان ولا يختلف فيه اثنان.

ولما ترك الرماة مواقعهم وأدرك خالد بن الوليد أهمية الجبل وهاجم القلة التي بقيت هناك وعاد الفارون إلى أرض المعركة وقاموا بهجومهم المضاد، اجتمع أربعة منهم ليقتلوا رسول الله ﷺ، ورغم ما كان فيه المسلمون من تمزق، فإن أحدًا لم يستطع أن يصل إلى موقعه ﷺ، ولم يستطع أحد أن يصيبه في مقتل رغم أنه لم يهرب حين تفرق أصحابه، ولم يجزع حين اشتد الهجوم عليهم، بل ظل في موقعه متماسكًا قويًّا عزيزًا يقاوم المهاجمين ويصدهم ويدعو قومه للصمود والتقارب استعدادًا لصد الهجوم والكر على أعدائهم بهجمة جديدة مضادة.

وحتى مقتل حمزة ﷺ لم يقع نتيجة بطولة قرشي واحد، وإنما تم بواسطة وحشيٍّ الذي لم يكن له دور محدد في القتال سوى قتل حمزة ﷺ، فلما حانت له الفرصة وقتله خرج من المعركة ولم يباشر فيها قتالًا قبل قتله ولا بعده، فكأنه قد خرج للاغتيال وليس للقتال، ورغم أن حمزة ﷺ قد نال الشهادة فإنه قد هدَّ الناس بسيفه قبل أن يلقى مصرعه، وكان في المعركة كالأسد الهصور، ووصف وحشيٌّ قاتلُه فعلَه في القتال بقوله: «**وَاللهِ إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى حَمْزَةَ يَهُدُّ بِسَيْفِهِ مَا يُلِيقُ بِهِ شَيْئًا، مِثْلَ الجَمَلِ الأَوْرَقِ**».

هذا بالنسبة للهدف الثالث من القتال، فقد فشلت قريش في قتل رسول الله ﷺ، أما أنها قد قتلت سبعين رجلًا من المسلمين، فإن هذا العدد يتضاءل أمام ما كان يجب أن يكون عليه عدد القتلى في موقف كهذا الموقف، فالمسلمون في تفكك واضطراب وتمزق حتى أن الواحد منهم كان يقتل أخاه المسلم دون أن يدري ماذا يفعل، كانوا قد زُلزلوا زلزالًا شديدًا يجعلهم صيدًا ثمينًا سهلًا لعدوهم الذي كان يملك القدرة على المواجهة والتصرف، ولقد قتلوا حمزة ﷺ ولكن بقي حيًّا عليٌّ والزبير وسعد وأبو عبيدة وأبو بكر وعمر وغيرهم من صناديد المؤمنين.

ثم هناك نقطة هامة: مَنِ الذي أنهى المعركة؟... أليس هم المشركون؟ أنهوها في وقت كان الزمام في أيديهم، وقد أحاطوا بالمسلمين من كل جانب على ما هم فيه من تفرق وفزع، وكان لديهم التفوق العددي رجالًا وسلاحًا.

لماذا إذن ـ وهم في موقف المتفوق والقادر ـ أنهوا المعركة وانسحبوا من مسرحها وعادوا إلى مكة قبل أن يتم القضاء على قوة المسلمين الصغيرة ماديًّا ومعنويًّا والتي كانت تجتاز فترة حرجة للغاية؟

إن الإجابة على هذا السؤال تكمن في أن قريشًا كانت ترهب قوة المسلمين رغم قلتها، وكانت تدرك أنهم رجال المعارك وأبطال الحرب، وتكمن أيضًا في أن المسلمين ـ وهم في موضع المحنة ـ قد استطاعوا لَمَّ الشمل، وشاهد المشركون السيوف تبرق في أيديهم، والصدق يبدو في ملامحهم، والخوف قد زال عنهم، فأحسوا بأن الأمر قد يفلت، وأن الميزان قد يتحول، فآثروا إنهاء المعركة اكتفاء بما تصوروه نصرًا وما هو بنصر.

إن إرادة جند الله كانت أقوى من إرادة المشركين، فقد استمد المسلمون من محنتهم قوة وصلابة وازدادوا بها ثباتًا ومضاء، وليس أدل على ذلك من أن رسول الله ﷺ دعا بعد عودته إلى المدينة بيوم واحد للخروج، فخرج أصحابه يوم أُحد دون غيرهم إلى **حمراء الأسد** لمواجهة قوات أبي سفيان التي خرجت من مكة وقد أدركت فشلها في أُحد، لتستعيد نصرًا، فقدته عبَّر عنه بعضهم بقولهم وهم يتلاومون: «**لَمْ تَصْنَعُوا شَيْئًا! أَصَبْتُمْ شَوْكَةَ القَوْمِ ثُمَّ تَرَكْتُمُوهُمْ وَلَمْ تَبْتُرُوهُمْ، وَقَدْ بَقِيَتْ مِنْهُمْ رُؤُوسٌ يَجْمَعُونَ لَكُمْ، فَلا مُحَمَّدًا أَصَبْتُمْ، وَلا الكَوَاعِبَ أَرْدَفْتُمْ، فَبِئْسَ مَا صَنَعْتُمْ؟**».

اعتراف صريح بأنهم لم ينتصروا في أُحد، فلما تنبهوا إلى هذه الحقيقة عادوا أدراجهم يبغون المدينة، فيتصدى لهم واحد من رجالهم هو **صفوان بن أمية** فيحذرهم ويدعوهم إلى الرجوع ويقول لهم في وضوح: «**لا تَفْعَلُوا فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَجْمَعَ عَلَيْكُمْ مَنْ تَخَلَّفَ عَنِ الخُرُوجِ، فَارْجِعُوا وَالدَّولَةُ لَكُمْ، فَإِنِّي لا آمَنُ إِنْ رَجَعْتُمْ أَنْ تَكُونَ الدَّولَةُ عَلَيْكُمْ**».

وعندما سمع أبو سفيان قول **معبد الخزاعي**: «**مُحَمَّدٌ قَدْ خَرَجَ فِي أَصْحَابِهِ يَطْلُبُكُمْ فِي جَمْعٍ لَمْ أَرَ مِثْلَهُ قَطُّ، يَتَحَرَّقُونَ عَلَيْكُمْ تَحَرُّقًا**»، خاف من اللقاء وآثر العودة واكتفى من الغنيمة بالإياب.

أين إذن هو النصر الذي حققه المشركون؟

ولا نود أن يفهم أننا نرجع النصر إلى المسلمين.

حقيقة أن المسلمين لم ينهزموا ولم يفروا كما فر المشركون في بدر، ولم يولوا مدبرين، وحقيقة أيضًا أنهم لم ينتصروا على عدوهم كما انتصروا في بدر.

إننا **نرى أن غزوة أحد لم يكن فيها منتصر أو مهزوم،** فالمشركون لم يحققوا أهدافهم، وبذلك يصعب وصفهم بالمنتصرين، والمسلمون لم يستسلموا ولم يفروا، وبذلك يصعب نعتهم بالمنهزمين.

إن أُحدًا بالنسبة للمشركين كانت فرصة متاحة يحققون بها ثأرهم وينالون فيها نصرًا كبيرًا؛ تكون له آثاره الخطيرة، ولكنهم لم يستغلوا الفرصة.

وأن أُحدًا بالنسبة للمسلمين كانت جرحًا مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وكانت محنة أراد الله بها تمحيص المؤمنين المخلصين وكَشْفَ النقاب عن المنافقين المخادعين، وتنبيه المسلمين إلى أن الجهاد يجب أن يكون خالصًا لله وحده، وألا يكون مطمعًا في غنيمة أو طلبًا لسلب، ولقد استفاد المسلمون من هذه المحنة فعرفوا مواضع الضعف، وأدركوا ما يجب أن يتميز به المجاهدون من صدق الإيمان ورسوخ العقيدة والإخلاص لله والثبات عند اللقاء، والصبر عند النزال وعدم الانخذال عند اليأس، والصمود عندما يحمى الوطيس».

[العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ لفرج ٢٤٤-٢٤٨].

وباختصار فإن علامات النصر والهزيمة تمثلت في غزوة أحد فيما يلي:

أولًا: الأهداف والغايات التي جاؤوا من أجلها: لم تستطع قريش من تحقيق شيء من هذه الأهداف التي خرجت من أجلها وبالتالي لم تحقق نصرًا ولم تصل إلى غاية.

ثانيًا: نهاية المعركة: كانت قريش هى المُنهية للمعركة، فقد انسحبت قريش من أرض المعركة فكانوا أول من فر من أرض المعركة كما فروا من غزوة بدر منهزمين.

ثالثًا: الباقي في أرض المعركة: إن الباقي في أرض المعركة دائمًا هو المنتصر والفار منها هو المنهزم، والذي فر من أرض المعركة هم كفار قريش قبل أن تنتهي، أما الرسول ﷺ فقد بقي في أرض المعركة، وأقام فيها، ودفن الشهداء، وهو آخر مَنْ ذهب من أرض المعركة، بينما فر المشركون.

رابعًا: دليل من قولهم على هزيمتهم: حيث إنهم تلاوموا فيما بينهم؛ لأنهم لم يحققوا انتصارًا حاسمًا، فقد قال المشركون بعضهم لبعض: (**لم تصنعُوا شيئًا، أصبتُم شوكتَهم وحدَّهم، ثم تركتُموهم، وقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم، فارجِعُوا حتى نستأصِل شأفَتَهم**).

خامسًا: قول ابن عباس رضي الله عنه: عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: مَا نُصِرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَوْطِنٍ كَمَا نُصِرَ يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ: فَأَنْكَرْنَا ذَلِكَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ فِي يَوْمِ أُحُدٍ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: وَالْحَسُّ الْقَتْلُ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾[آل عمران]، وَإِنَّمَا عَنَى بِهَذَا الرُّمَاةَ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَقَامَهُمْ فِي مَوْضِعٍ ثُمَّ قَالَ: «**احْمُوا ظُهُورَنَا فَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ، فَلَا تَنْصُرُونَا، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ غَنِمْنَا، فَلَا تَشْرَكُونَا**»...

[مسند أحمد ٤/ ٣٦٨-٣٦٨٩ رقم ٢٦٠٩، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن، والمستدرك ٢/ ٣٢٤ كتاب تفسير القرآن رقم ٣١٦٣، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، والمعجم الكبير للطبراني ١٠/ ٣٠١ رقم ١٠٧٣١، والمغازي للواقدي ١/ ٢٩٦-٢٩٧، وتفسير القرطبي ٤/ ١٥٢].

سادسًا: أيهما الأكثر خسارة: المؤرخون يقوِّمون النصر والهزيمة أيضًا بناء على ضوء ما لَحِقَ الجيشين من الخسائر، فمَنْ كانت خسارته أكثر فهو المهزوم، ومن كانت خسارته أقل فهو المنتصر، وقد انجلت المعركة عن قتل سبعين من المسلمين واثنين وعشرين من المشركين.

وبعد أن استعرضنا علامات النصر والهزيمة نلاحظ أن الجيش الإسلامي قد حصل على خمسة أدلة تدل على انتصاره، بينما حصل كفار قريش على دليل واحد فقط، أي بنسبة خمسة إلى واحد، فمن يا ترى يكون المنتصر؟». [غزوة أحد لبامدحج ١٢٨-١٣٢].

٣ ـ العدد والحساب بين بدر وأُحد:

يقول الشيخ أبو زهرة: «وقف أبو سفيان بن حرب الذي كان قائد الشرك مفاخرًا قائلًا: «**يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَإِنَّ الحَرْبَ سِجَالٌ**» زاعمًا أنهما يومان متقابلان تساويا في الخسارة، فخسارة المسلمين يوم أُحد كخسارة المشركين يوم بدر، فهل هما متساويان؟!

العدد والحساب فيهما الحكم والإجابة، لقد كان القتلى من المشركين في بدر سبعين، والأسرى مثلهم، وفروا يومها منهزمين مدحورين، والسيوف الإسلامية تُعمل في أقفيتهم، فهل كانت هذه حال المسلمين: كان القتلى من المسلمين في أُحد سبعين، أربعة من المهاجرين، وأكثر من خمسة وستين من الأنصار، ولم يكن من المسلمين أسير قط، وكان القتلى من المشركين في غزوة أُحد اثنين وعشرين، وأسير هو أبو عزة الجمحي الذي أُسر يوم بدر، وخان العهد الذي أعطاه النبي ﷺ على ألا يُظاهر عليه، فظاهر على المسلمين وجاء مقاتلًا فأُسر، وطلب أن يمن عليه النبي ﷺ لفقره، ولبناته، فقال له النبي ﷺ الذي يجازي بالإحسان، والإساءة بعقابها، قال له: «**لَا أَدَعُكَ تَمْسَحْ عَارِضَيْكَ بِمَكَّةَ بَعْدَهَا، وَتَقُولُ: خَدَعْتُ مُحَمَّدًا مَرَّتَيْنِ، إِنَّ المُؤْمِنَ لَا يُلدَغُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ**»، وأُمر به فقُتل.

ولم يكن من المؤمنين أسير، ولم يفروا ولم ينهزموا مدحورين، ولم تُعمل السيوف في أقفيتهم، إذ لم يولوا مدبرين، وإذا كان قد أحيط بهم في الدورة الثانية من أدوار القتال، فقد شقوا طريقهم وارتفعوا عليهم، واختاروا لأنفسهم المكان الملائم، وأخذوا يسلبون نتائج المعركة من أيديهم حتى حسبوها ستفلت من أيديهم، بهذا القتال، وتتبعهم المسلمون في اليوم التالي، وإن كانوا مجروحين لم ينهزموا؛ لأنهم يقاتلون في سبيل الله، فهم ليسوا مع المؤمنين على سواء.

ونتيجة الحساب بالمعادلة تنتج أن عند المسلمين زيادة في الغلب.

وأن الجروح التي أصابت جيش الإسلام لا تُعد هزيمة.

وكما قال صديقنا القائد العظيم اللواء محمود شيت خطاب: إن فَقْد عشرة في المائة من الجيش مع بقائهم ثابتين، ومع أنهم شقوا الطريق إلى النصر لا يُعد هزيمة بحال من الأحوال.

إنما هو جرح، كما قال الله ﷻ: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ فما كانت المداولة بين الناس هنا في الانتصار والانهزام، بل كان في القرح الذي مسهم مثله فكانت الهزيمة لهم ابتداء، ولم يستطيعوا أن يُنزلوا بالمسلمين هزيمة مثلها، بل فروا في النتيجة فرارًا».

[خاتم النبيين ﷺ لأبي زهرة ٢/ ٧٢٤-٧٢٥].

٤ ـ نتيجة غزوة أحد:

يقول د/ أبو فارس: «لا يختلف اثنان في أن نسبة الخسائر من القتلى والجرحى في صف المسلمين كانت أكبر مما في صف المشركين، فقد استشهد من المسلمين في هذه الغزوة سبعون، وجُرح ما لا يقل عن ضعفي هذا العدد، وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: **من المنتصر في هذه المعركة؟**

أقول بادئ ذي بدء: إن الناس المعنيين بالأمر في القديم والحديث يختلفون في تقويم المعارك، واعتبار المنتصر فيها والمنهزم، باختلاف وجهات النظر، والمقاييس التي يقيسون بها الأمور.

ففريق يقوِّم النصر والهزيمة في المعارك على ضوء ما لحق الجيشين من الخسائر، فمن كانت خسارته أكثر كان هو المهزوم، ومن كانت خسارته أقل كان هو المنتصر، وهذه النظرة بسيطة وسطحية وغير دقيقة.

وهذه هي نظرة المؤرخين.

وفريق آخر يقوِّم النصر والهزيمة في المعارك على ضوء الأهداف لكل من المتحاربين، ثم مدى تحقيق هذه الأهداف عند كل من الطرفين، فالذي حقق أهدافه هو المنتصر وإن كانت خسارته في القتلى والجرحى أكثر، والذي لم يحقق أهدافه هو المنهزم، وإن كانت الخسارة في صفه، هي الأقل.

فلو كان جيش معين يهدف إلى احتلال بلدة معينة، فحاصرها واقتحمها واحتلها بعد سقوط عدد من القتلى والجرحى أكثر من قتلى المحاصرين وجرحاهم، فإن الجيش المحتل هو المنتصر وإن كانت خسائره أكثر.

ويلوح لنا ـ والله أعلم ـ أن هذه النظرة أدق في التقويم وأكثر عمقًا من الأولى.

وهذه النظرة نظرة العسكريين في العصر الحديث.

وإذا ما طبقنا نظرة الفريق الأول، وقسنا بمقياسه في غزوة أحد نجد أن النصر لم يكن حليف المسلمين بل كان حليف المشركين، لكثرة الخسائر في صف المسلمين، وإلى هذا الرأي ذهب أكثر المؤرخين وكتاب السير.

وإذا ما طبقنا نظرة الفريق الثاني فماذا نجد؟

لقد أدلى بعض المعاصرين من عسكريين ومؤرخين بدلوهم في هذا الشأن، كما رأينا من أقوالهم السابقة، يُضاف إليها رأي الأستاذ المباركفوري [**الرحيق المختوم ٣٢٢-٣٢٣**]، حيث يرى الأستاذ المباركفوري أن غزوة أحد كانت حربًا غير منفصلة، أخذ كل فريق بقسطه ونصيبه من النجاح والخسارة، ثم حاد كل منهما عن القتال، من غير أن يفر عن ساحة القتال، ويترك مقره لاحتلال العدو وهذا هو معنى الحرب غير المنفصلة.

كلمة في هذا المقام: مما تقدم يمكن القول بأن الفريقين قد تعادلا في غزوة أحد، إذ كانت الجولة الأولى للمسلمين، فكانت خسائر المشركين من القتلى والجرحى أكثر من خسائر المسلمين، وكانت الجولة الثانية في كفة المشركين، إذ قتلوا وجرحوا من المسلمين أضعاف ما جرح منهم، وإن لم يحققوا أهدافهم من استئصال شأفة المسلمين، وعادوا مسرعين.

كيف يُقال: إن المشركين قد انتصروا وهم لم يدَّعوا ذلك، بل أقروا على أنفسهم بأنهم لم يحققوا أغراضهم، والإقرار أقوى وسائل البينات، وهو حجة قاصرة على المقر.

لقد قال بعض قادة قريش يتلاومون: «**لَمْ تَصْنَعُوا شَيْئًا! أَصَبْتُمْ شَوْكَةَ القَوْمِ ثُمَّ تَرَكْتُمُوهُمْ وَلَمْ تَبْتُرُوهُمْ، وَقَدْ بَقِيَتْ مِنْهُمْ رُؤُوسٌ يَجْمَعُونَ لَكُمْ، فَلا مُحَمَّدًا أَصَبْتُمْ، وَلا الكَوَاعِبَ أَرْدَفْتُمْ، فَبِئْسَ مَا صَنَعْتُمْ؟**». [**السيرة النبوية لابن كثير ٣/ ٩٧، وينظر: السيرة لابن هشام ٢/ ١٠٢**]. [**غزوة أُحد لأبي فارس ١٢٣-١٢٨**].

٥ ـ حمراء الأسد وشن الحرب الوقائية:

يقول أ/ النجيري: «يشيع لدى كتاب السيرة والمؤرخين أن أُحدًا كانت هزيمة للمسلمين ونصرًا للمكيين القريشيين، ولكنا نرى أن أُحدًا لم تكن هزيمة بحال، ولكنها كانت سجالًا وجولات تبادل فيها الفريقان الكر والفر، وليس أدل على ذلك من أن النبي ﷺ لم يترك أرض المعركة بجيشه كما أن جيشه لم ينكسر، بل إن المشركين هم الذين انسحبوا في النهاية وزالوا عن أرض المعركة، تلقاء مكة، وإن كانوا قد أصابوا من المسلمين كثيرًا من القتلى والجرحى، إلا أن النصر والهزيمة لا يُحدد بعدد القتلى والجرحى، ولكن بتحقيق أهداف المعركة، والمشركون لم يحققوا أهدافهم التي تتلخص في القضاء على الدعوة الإسلامية وأهلها؛ ولذلك سيتلاومون بالطريق إلى مكة في هذه القضية، وسيحاولون الرجوع لتحقيق أهدافهم أو بعضها، ولكن سيظهر في النهاية أن بهم خوفًا كامنًا وترددًا من معاودة الكرة.

وإذا كان النبي ﷺ من عادته أن يقيم بأرض المعركة ثلاثة أيام بعد انتهائها إرهابًا لأعدائه، كما فعل يوم بدر. [**البخاري في المغازي (٣٩٧٦)، ومسلم في صفة الجنة والنار (٢٨٧٥)، وأبو داود في الجهاد (٢٦٩٥)، والترمذي في السير (١٥٥١)، وأحمد في المسند (٤/ ٢٩) من حديث أبي طلحة: «أن النبي ﷺ كان إذا ظهر على قوم...» الحديث**].

فلم يتيسر له ذلك في أحد فقفل راجعًا بجيشه بلا إبطاء بعد أن أسرع المسلمون بدفن شهدائهم، فقد كانت حكمة النبي ﷺ القائد تتطلع إلى ما بعد الموقعة، وأن قريشًا لن تهدأ بعد هذا الانسحاب، وأن الشيطان يمكن أن يغريهم ببعض الطريق ليعودوا لمطاردة المسلمين إلى المدينة رغبة في تحقيق انتصار ملموس وغنائم وأسرى، وكان النبي ﷺ يرى أن جيشه المكلوم لم يكن على استعداد لخوض هذه الجولة». [**البلاء الإلهي للنجيري ٦٤-٦٦**].

ويعود فيؤكد على هذا المعنى بقوله: «وعلى ذلك فإنا نعيد التأكيد على أن غزوة أحد لم تكن هزيمة للمسلمين ونصرًا للقريشيين، فلم يتمكن المشركون من أسر أَحد من المسلمين، كذلك لم يحصلوا على غنائم من المعركة، ولم يجترؤوا على دخول المدينة برغم أنها كانت على مرمى أبصارهم، وجيش المسلمين معسكر بشعب أُحد في الناحية الأخرى للمدينة، أي أنه لم يكن يمنعهم من دخول المدينة شيء، وأقسم النبي ﷺ إن دخلوها أن يلاحقهم ليناجزهم فيها، ولكنهم جازوها خوفًا من المسلمين.
[**ينظر: المغازي للواقدي ١/ ٢٩٨**].

ويؤكد خوف المشركين أنهم لم يجترؤوا على الرجوع ومعاودة حرب المسلمين بعد أن قفلوا إلى مكة، وحذَّرهم صفوان بن أمية أن تدول عليهم بعد أن كانت آخر جولة لهم، فهي جولة ويمكن أن يخسروا بعدها.

ومن رحمة الله وتأييده لجنده في هذه الموقعة، وكذلك في بدر قبلها، أن أنزل عليهم النعاس آمنة منه وتسكينًا لقلوبهم، وذلك خارج لنواميس الطبيعة أن ينام الإنسان في مقام الخوف والفزع وسط ساحة القتل والضرب والطعن، ولو لم يكن ذلك في آيات القرآن الكريم لكذبه الناس بعقولهم القاصرة عن المعجزات الإلهية والكرامات الإيمانية، ولكن الله القدير يقول: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٌ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾[آل عمران: ١٥٤].

وعَنْ أَبِي طَلحَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ فِيمَنْ تَغَشَّاهُ النُّعَاسُ يَوْمَ أُحُدٍ، حَتَّى سَقَطَ سَيْفِي مِنْ يَدِي مِرَارًا، يَسْقُطُ وَآخُذُهُ، وَيَسْقُطُ فَآخُذُهُ. [**البخاري في المغازي (٤٠٦٨)، والترمذي في التفسير (٣٠٠٨)، وأحمد في المسند ٢٦/ ٢٧٧ رقم ١٦٣٥٧ من حديث أبي طلحة رضي الله عنه، لكن روايته في غزوة بدر، وقال محققوه: «كذا وقع عند أحمد، وكذلك هو في ابن حبان: يوم بدر، ووقع عند البخاري وغيره: يوم أحد، قال ابن كثير في البداية ٤/ ٢٨: إن أُحدًا وقع فيها أشياء مما وقع في بدر، فذكر منها حصول النعاس حال التحام الحرب.**

قال: وهذا دليل على طمأنينة القلوب بنصر الله وتأييده، وتمام توكلها على خالقها وبارئها، قال الله تعالى في غزوة بدر: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ [الأنفال: ١١] وقال في غزوة أحد: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ﴾[آل عمران: ١٥٤]، يعني المؤمنين الكُمَّل»].

هذا التأييد الإلهي موافق لما في القلوب، فالقلوب التي تطمئن بالله، يرسل عليها الأمن في أشد المواطن، أما القلوب التي أهمتها أنفسها فقد تركها الله للفزع والرهب من الناس.

ومع هذا التأييد لجند الله، يظهر الله ﷻ كيف كانت الخيبة والخسران للمشركين يقول تعالى: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾[آل عمران].

ويضع الله ﷻ ميزان الحق لما تمخضت عنه المعركة من نتيجة لم تكن هي هزيمة المؤمنين أو نصر الكافرين بقوله: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾[آل عمران]». **[البلاء الإلهي للنجيري ٧١-٧٤].**

٦ ـ عناصر الهزيمة:

يقول م/ أبو راس: «إن للهزيمة عناصر ثلاثة، فلا تكون الهزيمة إلا بتحقق هذه العناصر الثلاثة مجتمعة:

العنصر الأول: تغيير المفاهيم والقيم!

العنصر الثاني: سلب وخسران الأرض!

العنصر الثالث: قتل الجيش!

فهل حدث شيء من هذا لجيش رسول الله ﷺ، لقد دخل المسلمون المعركة وهم يرفعون شعار: «**لا إله إلا الله محمد رسول الله**» تحت شعار: **الله ربنا، محمد** ﷺ **رسولنا، القرآن دستورنا، الإسلام ديننا،** فهل تغيرت مفاهيم المسلمين بعد انتهاء المعركة.

لا، إن أبا سفيان حين أراد الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته:

أَنْعَمَتْ، إِنَّ الحَرْبَ سِجَالٌ، يَوْمٌ بِيَوْم بَدْرٍ، أُعْلُ هُبَلُ!

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قُمْ يَا عُمَرُ فَأَجِبْهُ**، فَقُل: **اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ، لا سَوَاءَ قَتْلانَا في الجَنَّـةِ، وَقَـتْلاكُمْ في النَّارِ**».

وهل تجرأت قريش بعد هذا الذي هُيئ لها أنه انتصار على أن تطأ أرض مدينة رسول الله ﷺ، وهل سلبت منها نواة فضلًا أن تسلب منها قطعة من أرضها!

وهل أفنى جيش الشرك جيش الإيمان عن آخره، لا والله فما زُف إلى الجنة يومها غير سبعين رجلًا من جيش قوامه قرابة السبعمائة مجاهد!». **[تأملات حركية في سيرة المصطفى ﷺ لأبي راس ٢٠٦].**

٧ ـ هذه الغزوة نصر ساحق للرسول ﷺ وللإسلام وهزيمة للمسلمين:

يقول أ/ رضوان: «هي هزيمة للمسلمين؛ لأنها أضاعت نصرًا دنت ثماره من أيديهم، ولما فقدوا فيها من شهداء وهيبة.

وهي انتصار للرسول وللإسلام؛ لأنها أثبتت قوة الإيمان في بث أقصى طاقات الشجاعة عند الشدائد في قلوب المؤمنين.

وأظهرت بطولة الرسول القائد ﷺ الخارقة في صموده في وجه جحافل الأعداء المنهمرين عليه كأمواج البحار يريدون قتله.

ولولا ثبات الرسول القائد ﷺ وصموده في وجه الأعداء لقُضي على المسلمين قضاء مبرمًا.

وهي نصر للرسول القائد ﷺ لنجاحه في تربية رجال أبطال يبذلون حياتهم في رضا وسرور واندفاع دفاعًا عن دينهم الخالد، وفداء لحياة قائدهم ﷺ.

أظهرت هذه المعركة بطولات المسلمين التي لن تعرف الدنيا لها مثيلًا من قبل، وأبرزت عظمة المسلم المسلح بأسلحة الإيمان الباهرة، وأظهرت أن الإسلام الخالد لا يُهزم، وهناك رجال مازجوه بقلوبهم وأرواحهم وأنفسهم وأجسادهم مثل أصحاب محمد ﷺ.

ومن هؤلاء الرجال كانت مواقف خيثمة، وعمرو بن الجموح، وغيرهم رضي الله عنهم .

وكانت هذه البطولة الرائعة لأبي طلحة رضي الله عنه في الدفاع عن الرسول ﷺ.

فهل سمع العالم عن مثل هذه البطولة الفذة؟! ومثل هذا الحب من جندي بطل لقائده العظيم؟! كلا، إنها بطولة الإسلام، وعظمة الإسلام وتربية محمد رسول الإسلام لخير رجال عرفهم العالم، إن هذه البطولة الفذة والمحبة الباهرة تساوي انتصارات جيوش بكاملها.

من هنا قلنا: لقد انتصر الإسلام وانتصر رسول الإسلام في تلك المعركة وخسر المسلمون المعركة.

وهذه المواقف الرائعة للذين ثبتوا حول النبي ﷺ أظهرتها محنة الهزيمة، وما أصاب الرسول القائد ﷺ هو إخبار لأمته بدمائه الطاهرة، التي خطت أعظم صفحات البطولة على وجه التاريخ بأن كل شيء في سبيل الله يهون، وأن صموده أمام جحافل الأعداء بعد فرار المسلمين هو انتصار للإسلام الذي جاء به، وانتصار الإسلام أهم من كسب معركة أو خسارة معركة.

وإن ثبوت القلة معه واستشهادهم في سبيله هو انتصار باهر للإسلام وللرسول المعلم المربي في تلك المعركة.

وهكذا كانت تلك المعركة هزيمة للمسلمين، وانتصارًا في نفس الوقت للإسلام وللرسول ﷺ؛ لأن بقاء الإيمان في الصدور هو أعظم من كل كنوز الدنيا، وبه يتحقق النصر النهائي، فيجب على المسلمين إذا خسروا معركة أن لا ييأسوا من النصر ولا يحزنوا على ما أصابهم من هزيمة وقتل وجراح.

فالمعارك قائمة بين المسلمين وأعدائهم حتى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿۞ إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٥٣﴾[آل عمران].

أشارت الآية الكريمة إلى شجاعة الرسول ﷺ، وأن الغم الذي ملأ نفوسهم من ضياع الغنيمة والهزيمة في مقابل الغم الذي أدخلوه على الرسول ﷺ بعصيانهم أوامره.

ونسيانهم تحذير الله لهم من التعلق بعَرض الدنيا الزائل، وترك الإثخان في المشركين الحاقدين على الإسلام، المتربصين به، ولا شك أن الهزيمة المذكرة بتعاليم الله ﷻ وطاعة الرسول ﷺ أفضل ملايين المرات من الانتصار المُنسي عن طاعة الله وطاعة الرسول».

[محمد القائد الأعظم ﷺ لرضوان ٦٥ - ٧٤ بتصرف واختصار].

تنبيه: ذكر القاضي عياض في الشفاء: «قال الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ الله بْنُ الْمُرَابِطِ [(١)]: مَنْ قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ هُزِمَ يُسْتَتَابُ [(٢)]، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ لِأَنَّهُ تَنَقُّصٌ، إِذْ لَا يَجُوزُ ذَلِكَ عَلَيْهِ فِي خَاصَّتِهِ إِذْ هُوَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ، وَيَقِينٍ مِنْ عِصْمَتِهِ ﷺ». [**الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ ـ للقاضي عياض، تح البجاوي ١/ ٩٤١ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م**].

---

(١) أبو عبد الله بن المرابط: هو أبو مصعب، ويقال المصعب بن محمد بن خلف بن سعيد بن وهب، توفي بعد ثمانين وأربع مائة، وهو من أجل أئمة المالكية بالمغرب.

(٢) وفي نسيم الرياض ٤/ ٣٨١: «وقضية مذهبنا أنه لا يكفر بذلك، إلا إن قاله على قصد التنقيص؛ لأنه ليس صريحاً فيه؛ لأن الهزيمة قد تكون من الجبلات البشرية، فإن لم يقصد ذلك لم يكفر، بل يعزر التعزير الشديد».

المبحث العاشر
مقومات النصر وعوامل الهزيمة في ضوء غزوة أُحد [(١)]

تمهيد:

يقول أ/ محمود النجيري: «رأينا في سورة الأنفال كيف حذر الله المؤمنين بعد غزوة بدر من أسباب الهزيمة، فلم يكن إعلانهم الإيمان صكًّا بالنصر الدائم المتصل، ولكن متى تحققت أسباب النصر فلابد أن يأتي، ومتى تحققت أسباب الهزيمة فلابد أن تقع.

وكانت غزوة أُحد فصالًا لبيان مدى تمثل وامتثال المؤمنين للدروس التي بينها الله تعالى لهم بعد غزوة بدر، وقد تبين الآتي:

(١) تحول النصر المبدئي يوم أُحد إلى قرح ومحنة، والسبب في ذلك يبينه الله تعالى بقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾[آل عمران: ١٥٢].

وهكذا تُحدد الآية الكريمة أربعة أسباب للتحول في ميدان القتال من النصر إلى الابتلاء، وهي: مخالفة الأوامر، وحب الدنيا، والجبن، والخلاف.

ومن الواجب حتى يتنزل نصر الله تعالى أن تتنزه صفوف المسلمين عن هذه العيوب، وأن تتجرد قلوبهم لله، وتسمو نياتهم للدار الآخرة.

(٢) عصيان أوامر القيادة، وترك المواقع القتالية فوق الجبل والنزول إلى ساحة المعركة لجمع الغنائم والتعدي على رأي الأمير كان سببًا في صرف وجوه المؤمنين عن الكافرين بعد النصر الأول، كما قال تعالى ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ﴾[آل عمران / ١٥٢]، ويؤكد القرآن على بيان سبب الانقلاب في ميدان المعركة بأنه راجع إلى كسب الجند من الآثام، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾[آل عمران].

---

(١) ينظر للتفصيل: عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي - د/ شوقي أبو خليل ٢٩-٤٢، دراسة قرآنية لغزوة أُحُد (ماجستير) - د/ محمد خازر المجالي ص ٢٨٠-٣١٥، في ظلال القرآن - أ/ سيد قطب، سورة آل عمران، وينظر: الدروس المستفادة من المرحلة الثالثة (بعد المعركة)، من غزوة بدر الكبرى، المبحث الحادي عشر: متى ينتصر المسلمون؟ عوامل النصر وأسباب الهزيمة في ضوء غزوة بدر. وينظر للتفصيل في أسباب الهزيمة في غزوة أحد: غزوة أحد دراسة تحليلية من خلال السيرة النبوية للسعيدي ص ٢٣٧ -٢٩٩.

(٣) ولقد أدت الذنوب بنفر من الجند إلى الانهزام والتولي يوم الزحف وهو من أكبر الكبائر، ويبين القرآن ذلك بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران].

ويوضح الله تعالى حال هؤلاء لحظة الفرار وترك النبي ﷺ بين الأعداء بقوله: ﴿ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [آل عمران].

(٤) الغفلة عن أن أخطاء وذنوب بعض الجند تعمم المحنة والابتلاء، وتفقد الروح المعنوية والعزيمة، وتدفع إلى الانهيار، فالمعارك إنما تكسب بقوة السواعد والقلوب والتنزه عن المعاصي والذنوب والأعراض الدنية، والبعد عن الاختلاف والتدابر والتشاحن، والالتزام بالأوامر والالتفاف حول القيادة، فلا يكفي لكسب المعارك كثرة عَدد ولا عُدة.

ولكن هناك مقومات للنصر ينبغي تحقيقها والتزامها حتى لا يتحول النصر إلى هزيمة».

[البلاء الإلهي للنجيري ١٠٧-١٠٩].

ويقول د/ بامدحج: «من سنن الله ﷻ في خلقه أن جعل لهم سُنَّة النصر والهزيمة، فمن أخذ بأسباب النصر، وصدق التوكل على الله تبارك وتعالى حقيقة التوكل نال النصر بإذن الله ﷻ، ومن فرَّط في ذلك كانت الهزيمة من نصيبه، وهذا من سنة الله ﷻ كما أخبر بذلك تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفتح]، ولكي نعرف الأسباب المؤدية إلى النصر، أرى أنه لا بد لنا أن نعرف أن على المسلم أن يأخذ بجميع الأسباب، ويوفر العوامل التي تؤدي إلى النصر، بل يحكم السيطرة على مقومات النصر بإذن الله، ولكن أحيانًا ولحكمة من الله ﷻ قد لا يحصل على النصر، وذلك من باب القضاء والقدر، والابتلاء الذي لا يستطيع الإنسان أن يُقدِّم فيه أو يؤخِّر، ومن ذلك مثلًا أن يعد القوة عملًا بقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ بِأَنفُسِهِمْ..﴾ [الأنفال: ٦٠]، ويتوكل على الله ﷻ عملًا بقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران]، مثلما فعل رسول الله ﷺ في غزوة أحد حيث أخذ بأسباب النصر ومقوماته، من اختيار الموقع المناسب وتخطيط وشورى وتنظيم للجند وتشديد للأوامر ...إلخ، وبعد أن دارت رحى المعركة، وظهرت بوادر الانتصار للمسلمين، كادت بعض الأسباب أن تحيق بالمسلمين هزيمة ساحقة تقضي على الدعوة الإسلامية، عندها بدأ الصحابة رضي الله عنهم يتساءلون عن ذلك، وأصابتهم دهشة أذهلتهم، فأنزل الله ﷻ: ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، ومن خلال ما جرى في غزوة أُحد يتجلى لنا بعض هذه الأسباب التي فعلها الرسول ﷺ للمحافظة على مقومات النصر، نحاول أن نتلمسها في النقاط التالية». **[غزوة أحد لبامدحج ٢٢٢-٢٢٣]**.

١ ـ النصر مع الذلة لله ﷻ:

يقول أ/ النجيري: «ينهي الله تعالى المؤمنين أن يحزنوا أو يضعفوا بسبب الابتلاء الذي نزل بهم بأُحد، فهم الأعلون بإيمانهم، والمشركون في السَّفل بكفرهم، وما أصابهم من البلاء فقد أصاب المشركين عقابٌ مثله، وما ذلك إلا لأن الله تعالى قد اقتضت حكمته أن تكون الأيام دُول بين الناس، ومن رحمة الله تعالى بالمؤمنين أن يصيبهم بالبلاء كما يصيبهم بالخير حتى تتطهر نفوسهم من أن يصيبها الطغيان أو الشموخ والعُجب بقوتهم أو كثرتهم، وحتى يتأكد لديهم في كل لحظة افتقارهم إلى الله تعالى، وأن نصره يأتي مع المذلة إليه والانطراح بين يديه.

وفي المعاني السابقة ترد الآيات: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران]، فجرح أُحد مقابل جرح بدر، فلا مجال مع ذلك لليأس: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾[آل عمران: ١٥٣]، فالفريق الذي ترك موقعه على الجبل، والفريق الذي فر من أرض المعركة كان جزاؤهما غمًّا بغم لتتطهر القلوب من التعلق بغنائم الحرب، أو الحرص على الحياة الدنيا، أو الجزع بما أصاب من جراح، فالهدف هو إعلاء كلمة الله تعالى، وهنا كان لابد من انتصار المؤمنين مهما كان بهم من قلة عدد وعدة.

ففي بدر حين أخلصت القلوب لله تعالى وتألفت على محبته وطاعة رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾[آل عمران].

أما في موقف آخر، حين أعجب المسلمون بكثرتهم وعدتهم تغيرت نعمة الله تعالى، ودارت عليهم الدائرة؛ لأنهم تعلقوا بالأسباب دون الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾[التوبة]». [**البلاء الإلهي للنجيري ١٠٩-١١١**].

٢ ـ اليقين بعون الله ونصره:

يقول أ/ النجيري: «ينبغي أن يتعمق في قلوب أهل الإيمان يقين بوعد الله تعالى لهم بالنصر مهما كانت الأسباب من حولهم، وأن النصر بيد الله تعالى وحده يؤيد بنصره من يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، والله على كل شيء قدير، فلا تتعلق القلوب بعد ذلك إلا بالله تعالى، ولا تتوجه في طلب النصر إلا إليه وحده، فهو القائل: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾[آل عمران].

ويؤكد القرآن الكريم في مواضع كثيرة أن النصر هو منحة إلهية لا تكون بكثرة عدد ولا عتاد، ولكن باليقين بالله تعالى، وصدق التوكل عليه، وإخلاص القلوب له، وتآلف أهل الإيمان وطاعتهم للقيادة، والتزامهم بحدود الحق، واتصالهم الوثيق بالله ﷻ، يقول تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾[آل عمران].

ويريد القرآن أن تستمر العبرة بذلك كلما كان أهل الإيمان على موعد مع عدوهم، وقد أورد القرآن قصة تمحيص طالوت وجنوده، وما نالهم من ابتلاء حتى تأهلوا للنصرة، وتوجهوا إلى الله تعالى بطلب الفتح: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ٢٥١]، ويقول الله تعالى معقبًا على غزوة بدر: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[الأنفال: ١٠]، كما يقول في سورة آل عمران في سياق غزوة أُحد: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾[آل عمران].

وهكذا يتحدد الوعد الإلهي الصريح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾[محمد].

ويتضح لنا القضاء الإلهي المبرم: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾[المجادلة]، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾[يوسف]، ويبين وَهَنَ المحاولات التي يبذلها أهل الباطل لإطفاء نور الله تعالى بقوله: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾[الصف].

والنبي ﷺ يخبر في أحاديث كثيرة أن الحق الذي أتى به لابد أن ينتصر في النهاية وأن يعلو أهله على الباطل على وجه الأرض: يقول ﷺ: «**إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا...**». [مسلم في الفتن (٢٨٨٩)، وأبو داود في الفتن (٤٢٥٢)، والترمذي في الفتن (٢١٧٦)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٥٢)، وأحمد في المسند ٥/ ٢٧٨-٢٧٩ من حديث ثوبان ﷺ].

ويقول ﷺ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الكُفْرَ**».

[مسند أحمد ٢٨/ ١٥٤ رقم ١٦٩٥٧، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، والطبراني في الكبير رقم ١٢٨٠، والحاكم في المستدرك ٤/ ٤٣٠، والبيهقي في السنن ٩/ ١٨١ من حديث تميم الداري ﷺ، وأخرج بنحوه: ابن حبان في صحيحه رقم ٦٦٦٤ من حديث المقداد بن الأسود ﷺ].

ولهذا ينبغي أن يتقرر في صدور المؤمنين أن النصر من عند الله تعالى، وأن الباطل إذا انتصر في جولة فإنما ذلك ببعض ذنوب أهل الإيمان، ولكن الله تعالى يرفع الحق على الباطل في النهاية وينصر جنده، كما توعد الله ﷻ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾[آل عمران].

ومن ظن السوء بالله تعالى أن يظن أنه يخذل جنده، وأنه يديل عليهم الباطل دولة تذهب بشوكتهم وتستأصل شأفتهم، ولكن الله تعالى يريد من عباده المؤمنين أن تستقيم قلوبهم على التوجه إليه والتماس النصر منه دون الركون إلى قلة أو كثرة العدد والعتاد أو الاغترار بكثرة الكافرين أو بقوتهم، يقول سبحانه: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾[آل عمران].

فالله تعالى يملي لهم ويبسط ليزدادوا إثمًا وبغيًا في الأرض يستحقون به العذاب المهين في الآخرة، ولن يجعل الله تعالى لهم على المؤمنين سبيلًا.

وقد وعد الله تعالى بأن يقطع دابر الكافرين، ويمحق الباطل، ويحق الحق بقوته، وإن جاء ذلك على يد أهل الإيمان فإنما بإرادة الله تعالى ورضاه، فهو ينسب الفعل لنفسه فيقول سبحانه: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾[آل عمران]، كما قال من قبل في بدر: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[الأنفال: ١٧].

وعندما أُدمي النبي ﷺ في أحد قال وهو يمسح الدم عن وجهه الشريف: «**كَيْفَ يُفْلَحُ قَوْمٌ خَضَّبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالدِّمَاءِ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ؟**»، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[آل عمران].

فالأمر كله موكول إلى الله تعالى، ولن يستطيع النبي ﷺ نفسه أن يغير من جريان الأحداث إلا بإذن الله تعالى، فما أصابه من أذاهم فلن يرده، ما دام الله تعالى قد قدَّره، ويمكن أن يتوب الله عليهم فيدخلوا بعد ذلك في الإسلام، كما يمكن أن يُنزِل عليهم عقابه بكفرهم، فالله تعالى مهيمن على الكون بمن فيه، يقبل من يشاء في رحمته أو يطرده منها: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾[آل عمران]». [**البلاء الإلهي للنجيري ١١١-١١٧**].

٣ـ الثبات والصبر والاستقامة:

يقول أ/ النجيري: «وتنبع هذه المقومات من قوة الإيمان، فالله ﷻ يطلب إلى أهل الإيمان أن يثبتوا وألا يتزلزلوا حتى لو قضى الرسول ﷺ وسطهم في المعركة؛ لأن محمدًا ﷺ يموت، أما الله ﷻ فهو حي لا يموت؛ لذلك لابد أن تسير قافلة الإيمان على الجهاد في سبيل الله لا ترتد من بعد موت النبي ﷺ، يقول تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾[آل عمران: ١٤٤].

وقد وعد الله تعالى المؤمنين إذا صبروا ورابطوا واتقوا أن يحفظهم من إيذاء الكافرين وتسلطهم وجبروتهم، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾[آل

عمران]؛ ولذلك تتدخل عناية الله تعالى لترعى جماعتين من المؤمنين كاد أن يدخل الفشل صفوفهما، وذلك عندما تضعضعت صفوف المسلمين وانفرط عقدها، ويقول الله تعالى في ذلك: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران].

كما وعد الله تعالى المؤمنين حال صبرهم وتقواهم أن يمدهم بنصرات غيبية وإمداد بالملائكة تقاتل في صفوف المسلمين، يقول تعالى: ﴿بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران].

ثم يضرب الله تعالى المثل والقدوة للمؤمنين بمن قاتل وقُتل من الأنبياء وأتباعهم في سبيل الله صابرين مقبلين غير مدبرين، مستعينين بالله، مفوضين إليه أمورهم، يتضرعون بطلب النصر منه، ويلجؤون إلى سلطانه المجيد وركنه الشديد، يقول سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آل عمران]». [البلاء الإلهي للنجيري ١١٧-١١٩].

٤ ـ الإنفاق والاتصال بالله:

يقول أ/ النجيري: «الجهاد في سبيل الله قائم على الإنفاق في سبيل الله من حلائل الأموال وكرائمها وطاعة الله تعالى ورسوله في المنشط والمكره، والتنزه عن الذنوب والمعاصي، وذكر الله ﷻ واستغفاره والاجتهاد في العبادة، والتدبر في سير السابقين الذين كذبوا فأهلكهم الله، وهذه المقومات تبينها الآيات الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران].

وفي ختام الآيات الستين التي عرض الله تعالى فيها غزوة أحد، يؤكد على الإنفاق في سبيل الله ﷻ للتجهيز للقتال وغيره، ويحذر من البخل، يقول تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران]. [البلاء الإلهي للنجيري ١١٩-١٢٠].

٥ ـ الدقة في اتباع الأوامر وتنفيذها:

يقول أ/ رضوان: «فقد خالف الرماة أوامر الرسول القائد الأعلى ﷺ، فأدت إلى الهزيمة؛ لأنها مخالفة للقيادة العبقرية العليمة بنقاط الضعف والقوة.

ولأنها ثانيًا مخالفة لأوامر الرسول ﷺ الذي أَمْرُه هو أمر الله ﷻ، ولا ينصر الله قومًا يخالفون أوامر رسوله ﷺ». [**محمد القائد الأعظم ﷺ لرضوان ٦٥**].

٦ ـ وجوب فناء الأغراض النفسية في الهدف العام للجماعة:

يقول أ/ خلف الله: «وقد ثبت في فن قيادة الجماعات أن الجماعة التي يكون هدفها هو هدف كل فرد فيها، كما أن أهداف أفرادها هي عين هدف الجماعة: هذه الجماعة لابد أن تحقق أهدافها كائنة ما كانت.

أما إذا تغلبت الأغراض النفسية على الهدف العام، فإن ذلك يؤدي إلى انحراف الأفراد عن خطة الجماعة ومخالفتهم لها؛ لأن صالح الفرد ـ في نظره ـ مخالف لصالح المجموع، وبدهي أن الأفراد إذا ما اتبعوا أهواءهم التي تخالف الصالح العام باؤوا بالفشل، وانهارت روحهم المعنوية؛ لأن الذي يجاهد في سبيل تحقيق أغراضه الشخصية أولًا، يختلف اختلافًا بيِّنا عمن يجاهد لتحقيق المبادئ العامة.

والهدف العام من القتال هنا: هو قتال هؤلاء الذين يريدون أن يجتثوا شريعة الله سبحانه ظلمًا وعدوانًا باستئصال المؤمنين، بل استئصال الإنسانية نفسها: إذ لا يمكن أن تكمل الإنسانية إلا إذا تمت كلمة الله سبحانه.

فالهدف العام هو الجهاد في سبيل الله، وإعلاء كلمته تعالى.

ولما انحرف البعض عن هذا الهدف وأرادوا الدنيا حلت الهزيمة: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾، فتوحيد الهدف واجب لصيانة الجماعة والمحافظة على كيانها، وتقوية روحها المعنوية، هذا إلى أنه يبعث النفوس على الاستماتة في سبيل الهدف العام.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولَ الله ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَيْهِ: رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلقِيَ فِي النَّارِ.**

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ القُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ العِلمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ القُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ العِلمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلقِيَ فِي النَّارِ».

[مسلم في الإمارة (١٩٠٥)، والنسائي في الجهاد (٣١٣٧)، وأحمد عن أبي هريرة ﷺ (٨٠٧٨)].

فهؤلاء جميعًا غلَّبوا الأهواء والأهداف والأغراض الشخصية على الصالح العام، ومن فعل كذلك كان خطرًا يهدد الجماعة في صميم وجودها، وكان جرثومة فساد في بناء الجماعة، وهو بريائه ونفاقه وعبوديته لأغراضه يودي بالنظام العام ويهدمه. [غزوة أُحد لخلف الله ١٧٦-١٧٧].

ويقول أ/ رضوان: «إن تكالب الجيش على الغنائم، وترك مطاردة العدو نسيان لتنبيه الله ﷻ للمسلمين في غزوة بدر بأن الله ﷻ يريد من المسلمين أن يكون هدفهم الأوحد العمل للآخرة بالقضاء الكامل على المشركين، وعدم ترك الفرصة لهم للنجاة بكفرهم وشرهم للعمل على القضاء على المسلمين، قال ﷻ بعد غزوة بدر: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧﴾ [الأنفال].

فقد عاتب الله ﷻ الرسول ﷺ على أخذه الفداء وإطلاق سراح الأسرى وهم على شركهم وحقدهم على الإسلام ورسوله.

فكان واجب المسلمين في هذه المعركة استثمار النصر بمطاردة المشركين والإثخان فيهم بالقتل، وعدم التكالب على عرض الدنيا الزائل من الغنائم، ونسيانُ تعاليم الله ﷻ طريقٌ إلى الهزيمة والخذلان فالنصر من عند الله، والهزيمة هنا لتنبيه المسلمين بعدم نسيان أوامر الله ﷻ مرة أخرى».

[محمد القائد الأعظم ﷺ لرضوان ٦٤ -٦٥].

٧ ـ عدم الانجراف وراء الإشاعات:

يقول د/ أبو فارس: «أطلق المشركون الإشاعة التي ادعوا فيها قتل رسول الله ﷺ، وفي هذا قال تعالى: ﴿۞ إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٥٣﴾[آل عمران].

نعم لقد أصابت المسلمين غموم كثيرة في هذه الغزوة، فقُتل منهم سبعون ومُثِّل بقتلاهم، وحُرموا من النصر، وارتفع المشركون عليهم حين احتلوا الجبل، ولحق الرسول ﷺ من الأذى في جسمه الشريف، ومن الغموم ما أشيع من شائعات حول مقتل الرسول ﷺ، وهروبهم من وجه المشركين، وفوات الغنيمة التي انشغلوا بها عن القتال. [غزوة أُحد لأبي فارس ٧٩-٨٠].

٨ ـ الدعاء إلى الله ﷻ واللجوء إليه وقت المحن بخاصة:

يقول د/ بامدحج: «الدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه، وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلف أثره عنه، إما لضعفه في نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله، وإما لضعف القلب، وعدم إقباله على الله، وجمعيته عليه وقت الدعاء، فيكون بمنزلة القوس الرخو جدًّا، فإن السهم يخرج منه خروجًا ضعيفًا، وإما لحصول المانع من الإجابة: من أكل الحرام، ورَيْن الذنوب على القلوب، واستيلاء الغفلة والشهوة واللهو وغلبتها عليها. **[الداء والدواء لابن القيم ـ تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ص ٥ ـ دار اليوسف للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م].**

ولذلك أمرنا الله ﷻ بالدعاء فقال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف]؛ لأن المؤمن حينما يدعو الله ﷻ إنما يستنزل الرزق والنصرة، ويدفع البلاء وشر الأعداء، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة حيث قال رسول الله ﷺ لأصحابه ﭫ: «**اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي ﷻ**»، فَصَارُوا خَلفَهُ صُفُوفًا، فَقَالَ ﷺ: «**اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِيَ لِمَا أَضْلَلتَ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ، اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ العَيْلَةِ، وَالأَمْنَ يَوْمَ الخَوْفِ، اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ، وَاجْعَلنَا مِنْ الرَّاشِدِينَ، اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَل عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الكَفَرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلَهَ الحَقِّ**» (١).

[غزوة أحد لبامدحج ٢٢٣-٢٢٤].

---

(١) مسند أحمد عن عبد الله الزُّرقي ﭬ ٢٤/ ٢٤٦-٢٤٨ رقم ١٥٤٩٢، وقال محققوه: رجاله ثقات، والبخاري في الأدب المفرد باب دعوات النبي ﷺ رقم ٦٩٩ وصححه الألباني، والحاكم في المستدرك كتاب الدعاء والتكبير (١٨٢١)، وكتاب المغازي والسرايا رقم ٤٢٧٦، وقال عنهما: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ومجمع الزوائد ٦/ ١٧٦ كتاب المغازي (١٠١١٤)، وقال الهيثمي: رواه أحمد والبزار [مسند البزار ٥/ ٢١٩ رقم (٣٧٢٤)]، واقتصر على عبيد بن رفاعة عن أبيه وهو الصحيح. وقال: «اللهم قاتل كفرة أهل الكتاب»، ورجال أحمد رجال الصحيح، وسنن النسائي الكبرى ٦/ ١٥٦ رقم (١٠٤٤٥)، والمعجم الكبير للطبراني ٥/ ٤٧ رقم ٤٥٤٩، والمغازي للواقدي ١/ ٣١٤-٣١٥.

٩ ـ رفع الروح المعنوية:

يقول د/ بامدحج: «حرص الرسول ﷺ على رفع الروح المعنوية بعد الغزوة، وخصوصًا الجرحى وأُسر الشهداء والمجاهدين؛ حيث ذهب ليتفقد أصحابه ﭫ وخاصة الشهداء منهم، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ صُعَيْرٍ ﭬ قَالَ: لـمَّا أَشْرَفَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ فَقَالَ: «**أَشْهَدُ عَلَى هَؤُلَاءِ، مَا مِنْ مَجْرُوحٍ جُرِحَ فِي الله ﻷ إِلَّا بَعَثَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَدْمَى، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ المِسْكِ، انْظُرُوا أَكْثَرَهُمْ جَمْعًا لِلقُرْآنِ فَقَدِّمُوهُ أَمَامَهُمْ فِي القَبْرِ**». [مسند أحمد ٣٩/ ٦٣ رقم ٢٣٦٥٨، وقال الشيخ الأرناؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن]. [غزوة أحد لبامدحج ٢٢٤-٢٢٥].

١٠ ـ معرفة مخططات العدو:

يقول د/ بامدحج: «بعد أن انسحب جيش قريش من أرض المعركة أرسل رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ﭬ بعد الغزوة مباشرة؛ وذلك لمعرفة اتجاه العدو، فلما رجع علي ﭬ أخبر الرسول ﷺ بتوجه قريش إلى مكة، فلما كان الغد أذَّن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو، وإنما خرج مرهبًا العدو؛ وليظنوا أن الذي أصابهم لم يوهنهم عن طلب عدوهم.

[السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٩٤، والمغازي للواقدي ١/ ٢٩٧].

وهذا التصرف من الرسول ﷺ يبين لنا أن على الدعاة أن ينظروا بعين ثاقبة إلى مخططات أعدائهم ليعرفوا منتهى خططهم، وإلى ماذا يهدفون، بل عليهم أن يقفوا لهم بالمرصاد لصد هجماتهم، مبينين لهم أن الدعوة الإسلامية لديها القدرة بإذن الله في القضاء على كل الوسائل والأساليب المستخدمة لحرب الدعوة الإسلامية.

وقد امتدح الله ﻷ الذين بادروا بالخروج مع الرسول ﷺ إلى حمراء الأسد، عَنْ عَائِشَةَ ﭪ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ١٧٢﴾[آل عمران]، قَالَتْ لِعُرْوَةَ: يَا ابْنَ أُخْتِي! كَانَ أَبَوَاكَ مِنْهُمْ الزُّبَيْرُ وَأَبُو بَكْرٍ، لـمَّا أَصَابَ رَسُولَ الله ﷺ مَا أَصَابَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَانْصَرَفَ عَنْهُ الْمُشْرِكُونَ، خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا، قَالَ: «**مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ**»، فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا، قَالَ: كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ». [البخاري في المغازي (٤٠٧٧)].

والمراد من قول عَائِشَةَ ﭪ: «فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا» أنهم سبقوا غيرهم، ثم تلاحق بهم الباقون. [شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٢/ ٥٩]. [غزوة أحد لبامدحج ٢٢٥-٢٢٦].

١١ ـ القيادة الواعية اليقظة:

يقول د/ بامدحج: «إن القائد الفطن الذكي هو الذي يُقدِّر الأمور، وينظر بعين ثاقبة ما يترتب على تصرفه في المستقبل، بل يجعل جل تفكيره وهمه مصلحة الدعوة، ولنا في تصرف الرسول ﷺ درس من الدروس التي تهم الدعاة في الوقت الحاضر، فقد قال ﷺ لعلي ﭬ: «**أُخْرُجْ فِي آثَارِ القَوْمِ، فَانْظُرْ مَاذَا**

يَصْنَعُونَ وَمَا يُرِيدُونَ، فَإِنْ كَانُوا قَدْ جَنَّبُوا الخَيْلَ وَامْتَطَوْا الإِبِلَ فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ مَكَّةَ، وَإِنْ رَكِبُوا الخَيْلَ وَسَاقُوا الإِبِلَ فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ المدِينَةَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ أَرَادُوهَا لَأَسِيرَنَّ إِلَيْهِمْ فِيهَا، ثُمَّ لَأُنَاجِزَنَّهُمْ».

[السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٩٤، والمغازي للواقدي ١/ ٢٩٧].

كما كان النبي ﷺ يقظًا حذرًا أشد الحذر، يراقب تحركات قريش، رغم ما أصابه وأصاب المسلمين من آلام وجراح، وتعب ونصب، فها هو ذا رسول الله ﷺ يرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه في أثر المشركين، تحسبًا منه ﷺ أن يدفع الغرور ونشوة انتقام المشركين، إلى مهاجمة المدينة واحتلالها».

[غزوة أحد لبامدحج ٢٢٦-٢٢٧].

١٢ ـ سنن الله الثابتة في النصر والهزيمة:

يقول د/ الدقس: «لقد علَّم الله عباده أن هناك سننًا ثابتة في النصر والهزيمة، مَنْ سار عليها ظفرَ وإن كان ملحدًا أو وثنيًّا، ومَنْ تنكبها خسر، وإن كان صدِّيقًا نبيًّا: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران].

فالدولة والنصر دائمًا لِمَنْ عرف أسباب الفوز، وعمل بها، ورعاها حق رعايتها، فقد انتصر أهل الحق على أهل الباطل بتمسكهم بسنن الله، واتباع ما أمر الله به من الاستعداد للحرب، وإعداد العدة لقتال العدو.

فنَصْرُ الله تعالى لعباده المؤمنين لا يتم إلا بتجردهم لله، وأن ينصروا منهج الله وشريعته حتى تكون مهيمنة على ضمائر الناس وعقولهم وأخلاقهم وسلوكهم وجميع شؤون حياتهم، وقد نفى الله أن يُنزل نصرَه على أحد بمجرد الانتماء إلى دين أو كتاب، أو بالتمني والآمال: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء].

فلابد من خلوص النفوس لله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد].

ونصر الله يكون بالاستجابة له، والاستقامة على منهجه، والجهاد في سبيله، وطاعة رسوله، وعدم الخروج على أي أمر من أمره». [راجع تفاصيل مقومات النصر والهزيمة في كتابنا [د/ الدقس] «الجهاد في سبيل الله»، الفصل الثالث]. [دولة الرسول ﷺ في المدينة من التكوين إلى التمكين للدقس ص ٥٤١].

ويقول الشيخ الصوياني: «وقد يتساءل بعض المشركين وهو في طريق عودته: إذا كان الله قد أعطى محمدًا المعجزات كقتل أبي بن خلف، والخسف بهذا الرجل، فلماذا لم ينصره علينا وعلى الدنيا نصرًا مؤزرًا حتى الآن؟! وقد غاب عن ذهن هذا المتسائل المسطح أن الإِسلام لا ينتشر بالمعجزات ولا بالخوارق؛ لأنها تأتي مع الأنبياء وتغادر معهم، أما الإِسلام فقد جاء للبشر، وبجهدهم ـ بعد الله ـ ينتشر

وينداح، وينتصر، وبانحطاطهم وتخلفهم وسطحية فهمهم يتحول الإِسلام إلى ضحية، إلى خزانةٍ ضخمةٍ مليئة بالتهم، يلقي فيها الناس عيوبهم.

ها هم أفضل الناس، أصحاب محمَّد ﷺ عندما عصوه ـ مجتهدين ـ انقلبت المعركة على رؤوسهم ورؤوس أصحابهم الملتزمين بأوامره، ولم تسعفهم المعجزات ولا الدعوات: «**إِنَّ اللهَ ﷻ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ**». [مجمع الزوائد ٤/ ١٧٥ رقم ٦٤٦٠، وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى [مسند أبي يعلى ٧/ ٣٤٩ رقم ٤٣٨٦]، وفيه مصعب بن ثابت، وثقه ابن حبان وضعفه جماعة. المعجم الأوسط للطبراني ١/ ٢٧٥ رقم ٨٩٧، وقال الشيخ الألباني: (حسن) صحيح الجامع الصغير (١٨٨٠)، الصحيحة ١١١٣]. [السيرة النبوية للصوياني ٢/ ٢٣٨-٢٣٩].

١٣ ـ أثر المعاصي في النصر والهزيمة:

يقول الشيخ المدري: «في غزوة أحد ظهر أثر المعصية والفشل والتنازع في تخلف النصر عن الأمة، فبسبب معصية واحدة خالف فيها الرماة أمر النبي ﷺ، وبسب التنازع والاختلاف حول الغنائم، ذهب النصر عن المسلمين بعد أن انعقدت أسبابه، ولاحت بوادره، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران].

فكيف ترجو أمة عصت ربها، وخالفت أمر نبيها، وتفرقت كلمتها أن يتنزل عليها نصر الله وتمكينه؟ وبالمعاصي تدور الدوائر، ففاضت أرواح في تلك الغزوة بسبب خطيئة، وخرج آدم من الجنة بمعصيته، و«**دخلت امرأة النار في هرة**»، فما الذي أهلك الأمم السابقة وطمس الحضارات البائدة سوى الذنوب والمعاصي: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت].

يقول بعض أهل العلم: يا سبحان الله! رماة خالفوا رسول الله ﷺ والموت على رؤوسهم، وأنت تخالف رسول الله ﷺ في اليوم والليلة عشرات المرات ولا تخشى؛ ولذلك كان من نتيجة هذه المخالفة حلول الهزيمة وحلول الغلبة على المؤمنين رضي الله عنهم وأرضاهم، فمخالفة أمر الرسول ﷺ شؤم وفساد كبير، وما هناك تدمير لمستقبل الإنسان ولا خيبة أمل ولا تعكير لفهمه وذكائه ورزقه وولده مثل المعصية نعوذ بالله من المعاصي!

فالمعاصي سبب كل عناء، وطريق كل شقاء، ما حلت في ديار إلا أهلكتها، ولا فشت في مجتمعات إلا دمرتها وأزالتها، وما أهلك الله تعالى أمه إلا بذنب، وما نجى وما فاز من فاز إلا بتوبة وطاعة.

قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى].

المعصية عذاب، المعصية وحشة، المعصية ـ حتى ولو كانت صغيرة مع الإصرار عليها ـ تعمي البصيرة، وتسقط الكرامة، وتوجب القطيعة، وتمحق البركة، ما لم يتب العبد ويرجع خائفًا وجلًا.

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا

وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا

[**زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ٤/ ١٨٦**].

قال مجاهد رحمه الله: «إن البهائم لتلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السَّنَة وأمسك المطر، وتقول: هذا شؤمه معصية بني آدم، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

تأمل يا رعاك الله قول الحق سبحانه: ﴿**أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾**﴾ [آل عمران].

فالزم يا عبد الله الطاعة والعبودية، يُؤخذ بيدك في المضايق، وتُفْرَج لك الشدائد، ولا تجعل أعمالك جُندًا عليك، يزداد بها عدوك قوة عليك». [**غزوة أُحد للمدري ١٠-١٣**].

١٤ـ مقومات أخرى:

يقول أ/ النجيري: «وبالإضافة إلى المقومات السابقة يمكن أن نضيف: الاعتصام بالله تعالى واتحاد الكلمة وائتلاف القلوب وتلاحم الصفوف بين الجند، فذلك ضروري لتحقيق النصر.

ويأتي بعد ذلك في النهاية الإعداد المادي بما في الاستطاعة من قوة وعتاد وعدة.

ومن هذا العرض نرى أن الإعداد المعنوي تتسع مساحته في الجيش الإسلامي ليصل إلى جوانب تغفلها برامج الإعداد المعنوي في غيره من الجيوش، ويمكن أن نحددها في الآتي:

ـ التجرد وإخلاص النية لله تعالى، والإعراض عن الدنيا ومغانمها، فهدف القتال هو إعلاء كلمة الله عز وجل فقط.

ـ ترك الذنوب والمعاصي؛ لأنها سبب مباشر للانهزام، والقيام بإعداد الجندي الصالح.

ـ وحدة الصف واجتماع الرأي وائتلاف القلوب، حيث الإيمان بأن النصرة ترتفع بسبب الشقاق والاختلاف.

ـ الطاعة للقيادة طاعة لله ورسوله ما لم تكن في معصية، لقوله ﷺ: «**مَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي**».
[**مسلم في الإمارة (١٨٣٥)**].

ـ الإكثار من العمل الصالح وذكر الله تعالى، والتزام الفرائض والحدود، وقيام الليل والتهجد، والتضرع إلى الله ﷻ والدعاء بالنصر، ونذكر في ذلك مقولة صلاح الدين الأيوبي لجنده: «**إن هُزمنا فإنما ذلك بأثر هذه الخيمة التي نام جندها والناس قيام يتهجدون**».

ـ إنفاق الرعية لإعداد الجيوش احتسابًا عند الله.

ـ التعلق بقوة الله تعالى وتأييده لجنده، واليقين بأن النصر بيده وحده، والتوجه إليه ﷻ التماسًا للنصرات الغيبية، والاستعداد للتحمل والتصبر وعدم الجزع حال الهزيمة، يقول تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [آل عمران].

ويقول ﷺ في ذلك: «**نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ**». [**هو قطعة من حديث: أخرجه البخاري في الصلاة (٤٣٨)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٢١)، والترمذي في السير (١٥٥٣)، والدارمي في السير (٢٤٦٧)، وأحمد في المسند (١/ ٣٠١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما بلفظ: «أعطيت خمسًا..» الحديث**].

ـ تعلق قلب المقاتل المسلم بالآخرة ورغبته في الموت في سبيل الله ﷻ، واعتقاده بأن الشهادة تكريم من الله ﷻ وفوز عظيم». [**البلاء الإلهي للنجيري ١٢١-١٢٣**].

ويقول أ/ خلف الله: «إن من أسباب النصر على الأعداء الصبر على جهادهم وعدم الاستكانة والاستسلام لهم إذا ما نال المجاهدين ضر وأذى على أيدي عدوهم: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾.

أصحاب العقيدة الصادقة المخلصين لمبادئها لا يخشون من عدوهم كثرة، بل إنهم ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم ويقينًا على يقينهم كلما اشتد عدوهم في طلبهم: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾.

ثم بيَّن سبحانه أسباب الهزيمة ليجتنبها المؤمنون، ومن هذه الأسباب:

(١) عصيان الأوامر والتنازع الذي يؤدي إلى فسخ العزائم وانحلال الهمم: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ١٥٢].

(٢) سوء الظن بالله سبحانه: والظن بالله غير الحق يؤدي إلى اليأس، فيجب على المؤمن الصادق ألا يظن بالله تعالى خلاف ما وصف به نفسه أو جاءت به رسله، ولا يعتقد بعضنا أنه بمنجاة من هذا المرض بل عليه أن يفتش نفسه ويتغلغل في طواياها وحينئذ يتكشف له أن هذا الظن كامن فيها كمون النار في الزناد والواجب أن يظن بنفسه ظن السوء ولا يظلم ربك أحدًا: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾.

فهؤلاء الذين قالوا: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾[آل عمران: ١٥٤] فاتهم أن الإنسان بالغٌ أجله حيثما كان، ولو بلغ أجله في ميدان الجهاد لكان خيرًا له من الوفاة على فراش الهزيمة.

(٣) حذر الله تعالى من الإشراك به إذ على قدر الشرك يكون الرعب والخوف، فالذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بشرك لهم الأمن والفلاح والنصر، ومن أشرك دخله من الرعب من عدوه بقدر شركه.

(٤) إن الانحراف عن الهدف العام للجماعة موجب للهزيمة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾».

[غزوة أُحد لخلف الله ١٧٧-١٧٨].

١٥ ـ معوقات النصر:

يقول د/ أبو فارس: «نستطيع نحن والقارئ أن نستنبط معوقات النصر في هذه الغزوة والتي بسببها لم يجن المسلمون ثمار الانتصار في الجولة الثانية، ويمكننا أن نوجز المعوقات بما يلي:

(١) انشغال المقاتلين بجمع الغنائم وعدم تعقب فلول العدو ومطاردتهم وكسر شوكتهم حتى لا يجدوا لهم مجرد فرصة التفكير في المقاومة أو الهجوم المعاكس.

(٢) اختلاف الرماة وخروجهم على أمر قائدهم وعدم طاعتهم له ولأوامر الرسول ﷺ.

(٣) تمزق صفوف المسلمين وتفرقهم إلى شراذم لا رابطة بينها.

(٤) ترويج الإشاعة التي أطلقها المشركون ادعوا فيها قتل رسول الله ﷺ، وفي هذا كله قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[آل عمران]. [غزوة أُحد لأبي فارس ٧٩-٨٠].

المبحث الحادي عشر
فلسفة البلاء في ضوء غزوة أُحد

يقول د/ أبو فرحة: «يدفعنا إلى كتابة هذا المبحث، وإطالة النفس فيه، الإجابة عن السؤال الخالد القديم، الدافع لنا اتخاذ غزوة أحد موضوعًا لبحثنا، ألا وهو: **إن الله خير محض، والخير لا يصدر عنه إلا خير، فمن أين جاء الشر إلى هذا الوجود؟**

وخاصة شر يُبتلى به أولياء الله على يد أعدائه، ابتلاء ينتهي بهم إلى القتل، وهذا سؤال قديم موغل في القدم، برز نتيجة ضيق النفس البشرية بالشر يحل بساحتها، ولقد جهدت البشرية جهدها لتحاول الإجابة على هذا السؤال محاولة بذلك الخروج من هذا الإشكال.

فاعتقد الناس تارة أن الشر ثمرة السحر، فحاولوا التغلب عليه بالعبادة.

وأخرى جعلوه من عمل إله الشر، فتقربوا إليه تارة بالعبادة والقرابين، واستعانوا عليه أخرى بإله الخير.

وعالج بعضهم المشكلة نفسها باعتقاد أن الشر عرض زائل يتبعه الخير دائمًا.

وعالج آخرون المشكلة باعتبار الشر شرطًا لازمًا لتحقيق الخير.

وانتهى المطاف إلى حل الدين للمشكلة، بناء على أن الشر مشكلة الشعور الإنساني فحسب، فإذا عولج الشعور الإنساني بالدين زال عن الشر قناعه القبيح، وبدا وجه الشر حسنًا مقبولًا.

يقول الأستاذ العقاد: «أما شبهة الشر فهي من أقدم الشبهات التي واجهت عقل الإنسان منذ عرف التفرقة بين الخير والشر، وعرف أنهما صفتان لا يصف بهما كائن واحد، وربما كان تفريق الإنسان الهمجي بين شعائر السحر وشعائر العبادة مقدمة الحلول الكثيرة التي حاول الإنسان البدائي أن يحل بها هذه المشكلة العصيبة، ثم ترقى الإنسان في معارج الحضارة والإدراك، فاهتدى إلى حل آخر أوفى من الحل الأول الساذج وأقرب إلى المعقول، وذاك حيث آمن بإلهين اثنين، وسمى أحدهما بإله النور والآخر بإله الظلمة، وجعل النور عنوانًا لجميع الخيرات، والظلام عنوانًا لجميع الشرور، إلا أن هذا الحل على ارتقائه ووفائه بالقياس إلى الحلول البدائية في عقائد القبائل الهمجية لن يرضي عقول المؤمنين بالتوحيد ولن يحل لهم مشكلة الشر في الوجود، ولن يزال في عرفهم حتى اليوم ضربًا من الكفر يشبه جحود الجاحدين، وتعطيل المعطلين، ولعلنا نطلع على حل لهذه المشكلة العصيبة أوفى من الحل الذي نطلق عليه اسم (حل الوهم)، ومن الحل الذي نطلق عليه اسم (حل التكافل) بين أجزاء الوجود.

(وخلاصة حل الوهم) إن القائلين به يعتقدون أن الشر وهم لا نصيب له من الحقيقة، وأنه عرض زائل يتبعه الخير الدائم، ومن الواضح أن هذا الحل لا يفض الإشكال، ولا يغني عن التماس الحلول الأخرى التي تريح ضمير المعتقد به فضلًا عن المعترضين عليه.

إذ لا نزاع في تفضيل اللذة الموهومة على الآلام الموهومة، ولا يزال الاعتراض على الألم لغير ضرورة قائمًا في العقول، ما دام في الإمكان أن تحل لذاتنا الموهومة محل آلامنا الموهومة.

(وخلاصة حل التكافل بين أجزاء الوجود): أن المعتقدين به يرون أن الشر لا يناقض الخير في جوهره ولكنه جزء متمم له، أو شرط لازم لتحقيقه، فلا معنى للشجاعة بغير الخطر، ولا معنى للكرم بغير الحاجة، ولا معنى للصبر بغير الشدة، ولا معنى لفضيلة من الفضائل بغير نقيصة تقابلها، وترجح عليها، وقد يطرد هذا القول في لذاتنا المحسوسة كما يطرد في فضائلنا النفسية ومطالبنا العقلية.

إذ نحن لا نعرف لذة الشبع بغير ألم الجوع، ولا نستمتع بالري ما لم نشعر قبله بلهفة الظمأ، ولا يطيب لنا منظر جميل ما لم يكن من طبيعتنا أن يسوؤنا المنظر القبيح.

وهذا الحل ـ حل التكافل بين أجزاء الوجود ـ أوفى وأقرب إلى الإقناع من جميع الحلول التي عولجت بها هذه المشكلة على أيدي الحكماء، أو على أيدي فقهاء الأديان، ولكنها لا تغني الحائر المتردد عن سؤال لابد له من جواب، وهو:

لماذا كان هذا التكافل لزامًا في طبيعة الوجود؟ ولماذا يتوقف الشعور باللذة على الشعور بالألم، أو يتوقف تقدير قيمة الفضيلة على وجود النقيصة وضرورة الاشمئزاز منها؟ أليس الله بقادر على كل شيء؟ أليس من الأشياء التي يقدر عليها أن يتساوى لديه خلق اللذة وخلق الألم؟ أليس خلق اللذة أولى برحمة الإله الرحيم من خلق الألم كيف كان، وكيف كان موقعه من التكافل بينه وبين اللذات؟

[حقائق الإسلام وأباطيل خصومه للعقاد ص٧- ٩].

وبعد أن استعرض الأستاذ العقاد حلول المشكلة ملخصة في أربعة حلول كما رأينا، ولم يرتض حلًّا منها؛ لعدم سلامة حل منها من الاعتراض عليه اعتراضًا يطيح به، وتبقى المشكلة قائمة بدون حل.

وحسنًا فعل، فالواقع أن جميع الحلول المتقدمة أعجز من أن تحل إشكال الشر، وبعضها أعجز من بعض، وإن كان أقربها إلى المنطق حل التكافل بين أجزاء الوجود.

وهو حل يلهج بذكره الخاص والعام كلما دهمته مشكلة الشر، غير أنه هو الآخر لم يصمد للبحث والتمحيص، وكأن من رضيه قد قبله لأنه أوفى حل ارتآه ولم يجد سبيلًا لغيره فقنع به.

أقول: بعد استعراض الأستاذ العقاد لهذه الحلول غير المقبولة عمد إلى تقديم حل للمشكلة جديد، فقال: وعندنا أن المشكلة كلها بعد جميع ما عرضناه من حلولها إنما هي مشكلة الشعور الإنساني، وليست في صميمها بالمشكلة العقلية ولا بالمشكلة الكونية.

وهنا نعود إلى الباب الذي نستفتح به مسالك هذه المشكلات، ونسأل أنفسنا إذا كان الإله الذي توجد النقائص والآلام في خلقه إلهًا لا يبلغ مرتبة الكمال المطلق، فكيف يكون الإله الذي يبلغ هذه المرتبة في تصورنا وما ترتضيه عقولنا؟؟ أيكون إلها قديرًا ثم لا يخلق عالمًا من العوالم على حالة من الحالات؟ أيكون إلهًا قديرًا يخلق عالمًا يماثله في جميع صفات الكمال؟ هذا وذلك فرضان مستحيلًا، كل منهما أصعب فهمًا وأعسر تصورًا من عالمنا الذي ننكر فيه النقائص والآلام.

فأما الإله القدير الذي لا يخلق شيئًا، فهو نقيضة من نقائض اللفظ لا تستقيم في التعبير، بله استقامتها في التفكير، فلا معنى للقدرة ما لم يكن معناها الاقتدار على عمل من الأعمال.

وأما الكمال المطلق الذي يخلق كمالًا مطلقًا مثله، فهو نقيضة أخرى من نقائض اللفظ لا تستقيم كذلك في التعبير، بله استقامتها في التفكير، فإن الكمال المطلق صفة منفردة لا تقبل الحدود ولا أول لها ولا آخر، وليس فيها محل لما هو كامل وما هو أكمل منه، ومن البديهي أن يكون الخالق أكمل من المخلوق (من حيث كون الخالق قد اتصف بصفة الإيجاد، الذي منحه لغيره فوجوده لذاته ووجود غيره منحة له، وشتان بين موجود لذاته، وموجود لغيره)، وألا يكون كلاهما متساويين في جميع الصفات، وألا يخلو المخلوق من نقص يتنزه عنه الخالق. [**حقائق الإسلام وأباطيل خصومه للعقاد ص ٩**].

أقول: ومن هنا لم يخلق الله شيئًا إلا وأبرز فيها ما يجرح كماله حتى يظهر كمال الله واضحًا، وحتى لا يخدع البشر فيعبدوا سواه، ولا أدل على ذلك من ظاهرتي الكسوف والخسوف، وذلك أن الشمس والقمر من العظم بحيث يفتتن بهما قاصر الإدراك، فجعل الله في كل منهما شارة نقص تصرف عن عبادتهما، وما أفقه الخليل إبراهيم عليه السلام، وما أحسن إشارته إلى ذلك حيث يقول كما حكى الله تعالى عنه: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾[الأنعام].

ثم يقول العقاد: «فاتفاقهما في الكمال المطلق مستحيل يمتنع على القصور ولا يحل تصوره للمشكلة، وأي نقص في العالم المخلوق فهو حقيق أن يتسع لهذا الشر الذي نشكوه وأن يقترن بالألم الذي يفرضه الحرمان على المحرومين، وبخاصة إذا نظرنا إلى الأجزاء المتفرقة التي لابد أن يكون كل جزء منها قاصرًا عن جميع الأجزاء، وأن يكون كل شيء منها مخالفًا لما عداه من الأشياء.

فوجود الشر في العالم لا يناقض صفة الكمال الإلهي، ولا صفة القدرة الإلهية، بل هو بلا ريب أقرب إلى التصور من تلك الفروض التي يتخيلها المنكرون والمترددون ولا يذهبون معها خطوة في طريق الفهم وراء الخيال المبهم العقيم.

وقد يختلف مدلول القدرة الإلهية ومدلول النعمة الإلهية بعض الاختلاف في هذا الاعتبار، فمدلول القدرة الإلهية يستلزم خلق هذا العالم الموجود كما تقدم، ولكن مدلول النعمة الإلهية يسمح لبعض المتشائمين أن يحسبوا أن ترك المخلوقات في ساحة العدم أرحم بها من إخراجها إلى ساحة الوجود ما دام الألم فيه قضاء محتومًا على جميع المخلوقات.

ومهما يكن من شيوع التشاؤم بين طائفة من المفكرين، فليس تفسير النعمة الإلهية بترك المخلوقات في ساحة العدم تفسيرًا أقرب إلى المعقول من تفسير هذه النعمة الإلهية بإنعام الله على مخلوقاته بنصيب من الوجود، يبلغون به مبلغهم من الكمال المستطاع لكل مخلوق.

وليس الشر إذن مشكلة كونية، ولا مشكلة عقلية، إذا أردنا بالمشكلة أنها شيء متناقض عصي على الفهم والإدراك.

ولكنه في حقيقته مشكلة الهوى الإنساني، الذي يرفض الألم، ويتمنى أن يكون شعوره بالسرور غالبًا على طبائع الأمور.

وإذا كانت في هذا الوجود حكمته التي تطابق كل حالة من حالاته فلابد من حكمة فيه تطابق طبيعة ذلك الشعور، ولا نعلم من حكمة تطابق طبيعة ذلك الشعور غير الدين، إن الشعور الإنساني في هذه المشكلة الجلي يتطلب الدين». [**حقائق الإسلام وأباطيل خصومه للعقاد ص ٩-١١**].

ويؤكد ما ذهب إليه العقاد من أن مشكلة الشر ليست مشكلة عقلية ولا كونية قول حجة الإسلام الغزالي: «ليس في الإمكان أبدع مما كان»، ويفسر قول الغزالي هذا سيدي محمد المغربي فيقول: «أي ليس في الإمكان أبدع حكمة من هذا العالم يحكم بها عقلنا». [**الطبقات الكبرى للشعراني ٢/ ١٠٥**].

بل يذهب الشيخ المغربي إلى أبعد مما ذهب إليه العقاد، فالعقاد أقر بوجود النقص، وجعل العقل يقبله حيث لا يناقض صفة الكمال الإلهي ولا صفة القدرة الإلهية، كما ذكرنا من قبل، بل يرى العقاد أن من البدهي أن يكون الخالق أكمل من المخلوق، وألا يخلو المخلوق من نقص يتنزه عنه الخالق، فاتفاقهما في الكمال المطلق مستحيل.

أما الشيخ المغربي فيرى: أن العالم منزه عن النقص، فهو يقول: لو كان هذا العالم دخله نقص لنقص كمال الوجود، وهو كامل بإجماع؛ لأنه لا يصدر عن الكامل إلا كامل، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ۝٤٨﴾[الذاريات]، ومعلوم أن الامتداح لا يكون إلا بما هو غاية ونهاية، وإلا فكيف يمتدح الحق تعالى بمفضول. [**الطبقات الكبرى للشعراني ٢/ ١٠٦**].

وكأني بالشيخ المغربي يرى أن الشر ما دامت فيه حكمته فهو ليس بشر عند التحقيق فلا يكون نقصًا، ولا يخلو شيء من حكمة في هذا الوجود، يقول حجة الإسلام الغزالي: «**إن الله تعالى لم يخلق شيئًا إلا وفيه حكمة، ولا خلق شيئًا إلا وفيه نعمة، إما على جميع عباده أو على بعضهم**».

[إحياء علوم الدين للغزالي ٤/ ١٢٨].

ويبدو لي أنه لابد من الاعتراف بوجود أشياء تضيق بها النفس لذاتها، وهذه هي ما يعبر عنها بالشر، لكن بالتأمل فيها يقبلها العقل لما فيها من حكم عامة أشار إلى بعضها الأستاذ العقاد، ويبقى الشعور الإنساني ثائرًا على قبولها.

وهنا تأتي مهمة الدين الذي يخاطب العقل والشعور معًا بما يزيل عن الشر قناعه القبيح، ويجعل وجه الشر حسنًا مقبولًا، وإن آلم النفس قناعه، وضاق به الصدر حينًا.

فالدين يرى أن الشر أشبه بمبضع الجراح، يُعمله في جسد المريض يستأصل به الداء ويطلب به الشفاء، فيحرص عليه المريض ويسعى لطلبه ويبذل من ذات يده لنَيْلِه، لا لما يحدثه من ألم، فهو ليس مطلوبًا بوجه، ولا غَفْلَةَ عما يُحدثه من ألم، فهو مما لا يخفى على عاقل، ولكن تخلصًا من ألم أشد وأدوم بألم أخف وأعجل.

يقول ابن عطاء الله السكندري: «إذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها أن قل عملك، فإنه ما فتحها عليك إلا وهو يريد أن يتعرف إليك، ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك، والأعمال أنت مهديها إليه، وأين ما تهديه إليه مما هو مورده عليك». [إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة ١/ ٢٢].

ويشرح ابن عجيبة ذلك بقوله: «إذا تجلى لك الحق باسمه الجليل أو باسمه القهار وفتح لك منها بابًا ووجهة لتعرفه منها، فاعلم أن الله تعالى قد اعتنى بك، وأراد أن يجتبيك لقربه، ويصطفيك لحضرته، فالتزم الأدب معه بالرضا والتسليم، وقابله بالفرح والسرور، ولا تبال بما يفوتك بها معها من الأعمال البدنية، فإنما هي وسيلة للأعمال القلبية، فإنه ما فتح هذا الباب إلا وهو يريد أن يرفع بينك وبينه الحجاب.

ألم تعلم أن التعرفات الجلالية هو الذي أوردها عليك لتكون عليه واردًا، والأعمال البدنية أنت مهديها إليه لتكون إليه بها واصلًا، وفرق كبير بين ما تهديه أنت من الأعمال المدخولة، والأحوال المعلولة وبين ما يورده عليك الحق تبارك وتعالى من تحف المعارف الربانية والعلوم اللدنية.

فطب نفسًا أيها المريد بما ينزل عليك من هذه التعرفات الجلالية، والنوازل القهرية ومثل ذلك، كالأمراض والأوجاع والشدائد والأهوال، وكل ما يثقل على النفس ويؤلمها كالفقر والذل وأذية الخلق وغير ذلك مما تكرهه النفوس.

فكل ما ينزل بك من هذه الأمور فهي نعم كبيرة ومواهب غزيرة تدل على قوة صدقك.

إذ بقدر ما يعظم الصدق يعظم التعرف، فعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: قُلتُ: **يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟** قَالَ: «**الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلبًا اشْتَدَّ بَلاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ البَلاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**». [الترمذي في الزهد (٢٣٩٨)، وقَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وابن ماجه في الفتن (٤٠٢٣)، والدارمي في الرقاق (٢٧٨٣)، وأحمد عن سعد بن أبي وقاص ﷺ (١٤٨٤، ١٤٩٧، ١٥٥٨، ١٦١٠) وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن. وسبقت رواياته الأخرى في الدروس الدعوية].

وإذا أراد الله أن يطوي مسافة البعد بينه وبين عبده سلط عليه البلاء، حتى إذا تخلص صَلُحَ للحضرة، كما يُصفى الذهب بالنار، ليصلح لخزانة الملك». [إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة ١/ ٢٢].

«لهذا كان الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين يفرحون بهذه النوازل لأجل ما يجنيه العبد منها من أعمال القلوب، التي الذَّرَّةُ منها أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح».

[إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة ١/ ٢٣].

وزال بذلك عن الشر قناعه القبيح، فبدا وجهه حسنًا مقبولًا، وشتان بين مبضع الجراح وخنجر العدو، الأول يقطع ليصلح، والثاني لا يتأتى منه إلا الفساد.

فَخَفَّ بذلك وَقْعُ الشر على النفس المؤمنة بعد إذ عولجت فكرًا وشعورًا بالدين، وعاش في ضيق بالنوازل من ابتعد عن رحاب الدين، بل لقد سعد المؤمن بالبلاء كما أشرنا من قبل، وكما سنشير إليه من بعد.

ومن هنا يبدو ما نزل بالمسلمين يوم أُحد من بلاء لونًا من الخير مقنعًا، سأحاول بمشيئة الله تعالى كشف قناعه مستعينًا بحول الله وقوته.

ألا وإن أشد ما نزل بهم استشهاد سبعين منهم، وببيان فضل الشهادة ومكانة الشهيد تنقشع أقتم سحابة عن نتيجة غزوة أحد.

وتتضح حكمة من أهم حكم الابتلاء يوم أحد أشار إليها الله بقوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. [غزوة أحد: فلسفة البلاء في ضوء الكتاب والسنة ـ د/ أبو فرحة ٢٤٧-٢٥٧].

[١] فهرس الموضوعات التفصيلي للجزء الأول من غزوة أُحد

[٢] فهرس الموضوعات الإجمالي للجزء الأول من غزوة أُحد